

الجلد الاول من شرح الشفا للقاضي عياض
المسمى بنسيم الرياض في شرح
شفاء القاضي عياض
للمرحوم شهاب
افندي المصري

استكتبه العبد الفقير [illegible] جلده الثاني
محمد الامين [illegible]
عفي عنهما

تحقيق المصنف المشار اليه في قوله تعالى
وكذلك جعلناكم امة وسطا ان اردت فارجع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي نوّر الخافقين ببعثة النور المبين • وجعلها شفاءً لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين • فأزال ظلمات الضلال المدلهمّة • فإذا همّت أفواه الأباطيل بإطفاء نوره أبى الله الا ان يتمّه • حتى أشرق به مصباح الهداية وقد كاد أن يهمّ بالانطفاء • وانتضح منهج الحق بعدما اندرس رسمه وعفا • برسالته التي شرح الله بها الصدور وشفا • وأنهار به ركن الباطل بعدما صار من الغواية على شفا • فأكمل الله به المنة على البرية • وأحيا به موءودات المعارف الالهية في فترة الجاهلية • فصلى الله وسلم عليه وزاده تبجيلا وتكريما • كما أمرنا بذلك فقال صلوا عليه وسلموا تسليما • وعلى عترته وصحبه الذين باعوا له أرواحهم بالجنة وسلموها تسليما • ما درّ مداد على كافور الطروس • فعطّر أردان الأذهان والنفوس • هذا وان كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى • كتاب قدره جليل • وهو على جلالة مصنفه أدل دليل • فانه كان في مطمح الأنفس • أجل أعيان الأندلس • جاء به على قدر • وسبق لنيل المعالي وابتدر • فاستيقظ بها والناس نيام • ووردها وهم صيام • فتحلت به للعلوم نحور • وتجلت له منها عرائس وحور • كأنهن الياقوت والمرجان • لم يطمثهن انس قبله ولا جان • وألحفته بالأصالة رداها • وسقته درّه وأنداها • وألقت اليه الرياسة مقاليدها • وملكته طريفها وتليدها • وهو على اختصاصه بهذه المرتبة الرفيعة • واعتنائه باعلاء معالم الشريعة • يعتني باقامة أود الأدب • وينسل اليه أربابه من كل حدب • مع عفاف وصون • أعدم الفساد بعدما كون • وقد وفى ببيان بعض ما يجب من آياته • ونشر على كاهل الدهر ألوية الثناء بين يدي صفاته • مما يحق له أن يكتب بالنور في صحائف وجنات الحور • وتنقش بقلم العقل معانيه • وتخط على ألواح الأذهان مبانيه • صحف أنزعت لتشهد حلاه • في كل حرف لذاك كان شفاء • ولعمري لقد نثر الدر فيه من فيه • وبلغت أمانيه ما كانت تنويه من التنويه • حيث لو ان الميت نودي باسمه • لأصبح حيا بعدما ضمه القبر • وقد كنت قديما وحديثا • يحثني حادي الشوق نحوه حثيثا • وتصبيب الصبا قضبه مورقة الأزهار • ورياضه الزاهية محفوفة بروح وريحان • لشغفي بصفاته وموصوفه • وطربي بسماع تليده وطريفه • ممثلا لحميا شفت عنها ظروف حروفه • لا أزال أقفو العين بالأثر • منشدا وقد ناب

السمع

السمع عن البصر • فإنني اذا أرى الديار بطرفي • فلعلي أرى الديار بسمعي • وكان يصدني عنه ما في الباع من القصر • وزمان لا يعرف فيه ورد من صدر • ثم قلت لضيف الفكر خير الطعام ما حضر • وان لم تخل قصورها المشيدة من قصور • وفي بعضها أغاليط • وتطويل ممل وتخليط • الا ان تقليد الناس لبّى صريح ندائها • والبحث قد أمّن على دعائها • فتلا لي ما فيها من تلاعب الظنون قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون • فسوّدت بعض الأمالي رجاء ان تبيض بها صحف أعمالي • فيتيسر بها كاتب اليمين • وترفعها أيدي الكرام الكاتبين • فلما رآه بعض الأصحاب سألني ان أبرز مخدراته من خلف الحجاب • وألحّ علي في ذلك دفعة بعد دفعه • وأنا أقول له هذا يا سمين لا يساوي وهو يمد يد أمله • لاقتطاف وردة لدى تجنيه • ويهزّ بذوق ثمرته الغضة الجناه • وقضبه بريح القبول ما ترنحت • ووردته بنسيم السحر ما تفتحت • كعذرا أبصرها مبصر فغطت بأكمامها راسها • ثم عرض لي بغتة ما أضر بجوهر القوى من العرض • فقصدت شفاء الروح والبدن بانشاد الجسم الضعيف لحديثه الصحيح الحسن • رجاء الظفر بسعادة الدارين • مما فيه من عين القرة وقرة العين • لتشتفي أمراض القلب اذا أتت الساعة • فنلت منه بحمد الله ترياقا مجربا وبرءا ساعة • ولما انجلى على منصة التمام • وفض منه مسك الختام • سميته نسيم الرياض في شرح شفا القاضي عياض • رجاء ان تهب عليه ريح القبول • واذا كانت لنسمات الآمال عليله • وتشمله نفحة من نفحات الرسول • فتشتفي من الظما غليله • واعلم ان سندي في هذا الكتاب وغيره من كتب الحديث سلسلة الذهب من طرق عاليه • أعلاها روايتي عن خاتمة المحدثين ابراهيم العلقمي • وهو عن أخيه الشمس العلقمي شارح الجامع الصغير عن الجلال السيوطي بقراءته عليه من أوله الى آخره بالجامع الأزهر • وسند السيوطي أشهر من الشمس في رابعة النهار • وعن شيخ الاسلام شافعي زمانه الشيخ العلامة الرملي عن والده عن شيخ الاسلام زكريا الأنصاري وعن والدي قدس الله روحه عن ابن حجر الهيتمي وهكذا كابرا عن كابر الى المصنف رحمه الله • وهو عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي المالكي قاضي سبتة بالمغرب صاحب التصانيف الجليلة كشرح مسلم وغيره وله تبحر في العلوم النقلية والعقلية وأما أدبه وبلاغة شعره فحدث عن البحر ولا حرج • ووفاته يوم الجمعة بمراكش في جمادى الآخرة سنة أربع وأربعين وخمسمائه وما قيل من انه قتل لا أصل له • وفيه يقول علي بن هارون

اسم كتاب

ظلموا عياضا وهو يحلم عنهم • والظلم بين العالمين قديم •
جعلوا مكان الراء عينا في اسمه • كي يكتموه وشأنه معلوم •
لولاه ما فاحت أباطح سبتة • والروض حول فنائها معدوم •

وفي طبقات ابن فرحون لعلماء المالكية انه كان اماما في الفقه والتفسير والحديث وسائر العلوم خطيبا بليغا وذكر من تآليفه نحو ثلاثين تأليفا جليلة وأنشد له من شعره

الله يعلم أني مذ لم أركم • كطائر خانه ريش الجناحين •
ولو قدرت ركبت الريح نحوكم • وان يكن بعدكم عني جنا حيني •

وقوله

انظر الى الزرع وخاماته • يحكي وقد ماست أمام الرياح •
كتيبة خضراء مهزومة • شقائق النعمان فيها جراح •

قال واليحصبي بفتح المثناة التحتية وسكون الحا ونون وألف بعدها طا مهملة وهاء ويقال أغرناطة بألف قبل الغين أيضا انتهى • وقرأت في ديوان ابن المقري اليمني الشافعي كتاب الشفا مما شاهدوا بركته حتى لا يقع ضرر لمكان كان فيه ولا تغرق سفينة كان فيها

وانه اذا قراه مريض شفاه وهو مجرب وكان ابتلي بمرض فقراه فعافاه الله منه • وقال في ذلك شعر

ما بالكتاب هواي لكن الهوي • امسي بمن امسي به مكتوبا •
كالدار يهدي العاشقون بذكرها • شغفا بها للشمول لها المحبوبا •
ارجوا الشفاء تفاؤلا باسم الشفا • فحوي الشفا وادرك المطلوبا •
وبقدر حسن الظن ينتفع الفتي • لا سيما ظن يصبح مجيبا •

وانا ممن جرب بركته وشاهدها والحمد لله وانا الرجوا فوق ذلك مظهرا • واعلم ان في الشفا بعض احاديث ضعيفه وقليل مما قيل انه موضوع تبع فيه ابن سبع في شفايه وقد نبه علي ذلك كله الجلال السيوطي في كتابه مناهل الصفا في تخريج احاديث الشفا ولم ينصف الذهبي في قوله انه محشو بالاحاديث الموضوعة والتاويلات الواهية الدالة علي قلة نقله مما لا يحتاج قدر النبوة له ثم قال فعليك بدلايل النبوة للبيهقي فانه كله هدي ونور وقال الذهبي انه قلد فيما ذكره ابن سبع • وكفي المرء نبلا ان تعد معايبه • وهو نحال منه لا ينبغي وسترى ان شا الله تعالي ما ذكره في محله فانا لم نترك شيئا يحتاج اليه قاري هذا الكتاب ان

بسم الله الرحمن الرحيم ابتدا بالبسملة مردفة بالحمدلة عملا بالحديث المشهور وهو كل امر ذي بال لم يبدا فيه بالحمد لله اقطع وفي رواية ببسم الله الرحمن الرحيم وفي اخرى بذكر الله والاشكال في تعارض هذه الروايات مشهور وهذا التوفيق بينهما بحمل الابتدا علي العرفي الممتد او مجرد التقديم علي المقصود وهما متقاربان وكذا ما قيل من ان رواية البسملة يرد عليها الاذان والخطبة ونحوهما من بعض الامور المهمه مما لم يبدا بها فيه • واجيب بان المراد في الروايات كلها الابتدا باحدهما او بما يقوم مقامه بدليل الاكتفا تارة بالبسملة وتارة بالحمدلة وتارة بغيرها فاندفع الاشكال واشكال التدافع ايضا او يحمل المقيد علي المطلق وهو ذكر الله فالكلام علي هذا اشهر من قفا نبك فلا فادة في الاعادة وههنا اشكال ابداه شيخ مشايخنا السيد عيسي الصفوي رحمه الله وتلقاه من بعده بالقبول من عامة من راه وهو ان جملة البسملة لا تخلو من ان تكون خبرية او انشائية ويتجه علي الاول ان من شان الخبر الصادق ان يتحقق مدلوله بدونه في نفس الامر ويكون الخبر حكاية عنه كما اتفقوا عليه وما نحن فيه ليس كذلك لان مصاحبة الاسم والاستعانة به من تتمته وهما لا يتحققان الا بهذا اللفظ الملهم الا ان يجوز مثل ذلك في نحو قولك اتكلم او اقوم متكلما مخبرا بتكلم حصل بهذا اللفظ وفيه توقف وعلي الثاني ان من شان الانشا ان يتحقق مدلوله به واصل جملة البسملة ليس كذلك غالبا اذ الاكل والسفر ونحوهما مما ليس يقول لا يحصل بالبسملة فان كانت لانشاء المصاحبة او الاستعانة يلزم ان تكون الجملة لانشاء متعلقها والاصل غير مقصود بوجه ولو قيل ان المعني ابتدا او افتتح اي اجمله بدايه الفصل والجملة لانشاء الجمل وانه بداية كل شي كما نقل عن الامام لا يلزم مما مر الا انه خلاف المشهور ولا يتم ايضا علي تقدير الخبرية لان المصاحبة والاستعانة به من تتمة الخبر وهما لا يتحققان الا بهذا اللفظ وهو شان الانشا علي انه لا يجري حقيقة الا في نحو التاليف ما يكون بدا له حقيقة واجراوه فيما سوا يحتاج للمسامحة اقول الظاهر ان هذه الجملة انشائية لانشا التبرك الموقوف علي التلفظ بالبسملة وما توهمه هذا القائل علي تقدير الانشائية من الخيالات الواهية والاوهام الفارغه وقوله انها لانشا المتعلق ومثله في غاية الندور وعدم صحته في غاية الظهور الا تري ان ادوات الاستفهام باشرها تدخل علي الجمل المتحقق مضمونها خارجا فتصير بجملتها انشا كما تقول لمن راي شخصا قايما لم يحط بشخصه واحواله خبرا امن قام او علي اي حال قام وهكذا مما لم يحط به نطاق الحصر ولم يحم حوله الندر ولا يقال انه مع تحقق القيام في الخارج انه لانشا المتعلق وكذا كم غلط وقع منك ورب صواب صدر من غيرك كما صرح به الرضي واما كونه لانشاء

الجمل

الجمل فتعسف من غير داع لارتكاب مثله وانا اعجب من هذا الفاضل كيف زعم ورود ما قال وممن ارتضاه من فحول الرجال شعر وعين الرضي عن كل عيب كليلة • كما ان عين السخط تبدي المساويا وفي النسخ قال القاضي الفقيه ابو الفضل عياض بن موسي بن عياض اليحصبي رضي الله عنه قال في القاموس يحصب مثلثة الصاد حي والنسبة مثله ايضا لا بالفتح كما زعم الجوهري وكيضرب قلعة بالاندلس انتهي • وفي لباب الانساب لابن الاثير اليحصبي بفتح اليا وسكون الحا المهملة وقيل بضمها وكسر الصاد وهذه النسبة الي يحصب وهي قبيلة من حمير سميت باسم ابيها يحصب بن مالك قلت هكذا ضبط ابو سعيد بالصاد المكسورة والصحيح فتحها لان يحصب بالكسر فيفتح في النسب كنمري ويعلي انتهي قلت بهذا عرفت ان رد صاحب القاموس علي الجوهري مردود لا لانه قول بل لانه القياس المطرد في امثاله وما خالفه شاذ لا يعول عليه وهذه الاوصاف ليست من كلام المصنف وانما كتبها من بعده توقيرا له ولقب ابي الفضل كما قيل شعر

ابا الفضل من احري الي الفضل نافعا • فصار به يدعي وصار به يكني •

الحمد لله الحمد هو الوصف بالجميل علي الجميل الصادر بالاختيار حقيقة او حكما علي وجه التعظيم ظاهرا وباطنا بان لا يصدر ما يخالفه ولا يلزم اعتقاد اتصاف المحمود بالجميل المحمود المذكور عند متاخري المحققين وفي هذا المقام كلام طويل الذيل ليس هذا محله • والله اسم للمعبود بحق المستوجب جميع المحامد وفي علميته وفي اصله ما يغنيك عن ذكر شهرته • والمراد ان جنس الحمد او جميع افراده مختصة به تعالي فان قلنا الاختصاص الذي يدل عليه اللام بمعني الاختصار وضعا او بمعونة المقام يحمل الاختصاص الذي ذكره علي الفرد الكامل اما علي المبالغة تنزيلا لغيره منزلة العدم او منزلة حمده تعالي لانه مبدا كل جميل او علي الحقيقة لان المحمود عليه بحسب صدوره بالاختيار بالذات ولا اختيار لغيره بالذات عند البعض وهذا بنا علي حمل الاختيار علي الحقيقي الذاتي والاول بناء علي حمله علي العرفي الظاهري ولكل وجهة ولو اريد بالاختصاص هنا العلاقة والمناسبة الكاملة فلا تكلف علي ما فصله شراح التلخيص والعضد وفي شرح السيد ان جملة الحمد لانشاء الحمد لانها من صيغ الحمد شرعا او لدلالتها علي الاتصاف بجميل ولو عرفا فيصدق تعريف الحمد عليها وفيه نظر وههنا بحث ابداه ابن الهمام في شرح البديع فقال جملة الحمد اخبار صيغة انشاء معني كصيغ العقود وبالغ بعضهم في انكار كونها انشاء لما يلزم عليه من انتفا الاتصاف بالجميل قبل حمد الحامد ضرورة ان الانشا يقارن معناه لفظه في الوجود ويبطل من جهتين احدهما ان الحامد ثابت قطعا بل والاخري انه لا يصاغ لغة للمخبر عن غيره من متعلق اخباره اسم قطعا فلا يقال لقايل زيد فلو كان الحمد اخبارا محضا لم يقل القايل الحمد لله حامد ولا ينفي الحامدون وهما باطلان فبطل ملزومهما واللازم من المقارنة انتفي وصف الواصف المعين لا الاتصاف وهذا لان الحمد اظهار صفات الكمال الثابتة لا ثبوتها نعم يترا اي لزوم كون كل مخبر منشيا حيث كان واصفا للواقع ومظهرا له وهو توهم فان الحامد ماخوذ فيه مع ذكر الواقع كونه علي وجه ابتداء التعظيم وهو ليس جزء ماهية الخبر فاختلف الحقيقتان وظهر ان الغفلة عن اعتبار هذا القيد جزء ماهية الحمد وهو منشاء الغلط اذ بالغفلة عنه ظن انه اخبار لوجود خارج يطابقه وهو الاتصاف ولا خارج للانشا وانت تعلم ان هذا خارج جزء المفهوم وهو الوصف بالجميل وتمامه وهو المركب منه ومن كونه علي وجه ابتداء التعظيم لا خارج له انتهي اقول صنو ما مر في البسملة وهو تعسف لا وجه له فان هذه الجملة يصح فيها الخبرية والانشائية من غير ارتكاب لمثل هذه الاوهام فان انكاره الانشا لانه يلزمه انتفا الاتصاف بالجميل واه جدا لانه انما انتفي الوصف

لا الاتصاف وسياتي ما بينهما وقد كفانا بجيانه مؤنته • واما ابطاله للخبرية فقولهم حامد وحماد فمغالطة عجيبة لانه ليس نظير من قال زيد قايم بل نظير من قال زيد متكلم فانه مخبر ويصح ان يوصف بانه متكلم ايضا لاتصاف المخبر بما اخبر به عن غيره ومشاركته له في ذلك كما ان المخبر عن الحمد والاتصاف بالجميل واستحقاقه للتعظيم مع اعتقاده لذلك ظاهرا معظم فهو حامد وواصف له وهو ظاهر لمن نور الله بصيرته وقوله الى الحامد الخ ممنوع فانه انما يوجد فيه ذلك اذا لم تتمحض للاخبار فحينئذ يكون التعظيم وابداؤه لازما له لا جزؤه وقد بسطنا هذا في العناية فحسبك من القلادة ما احاط بالعنق **المنفرد** قال الراغب الفرد الذي لا يختلط بغيره وهو اعم من الوتر واخص من الواحد وجمعه فرادى قال تعالى لا تذرني فردا اي وحيدا ويقال في الله فرد تنبيها على انه مخالف للاشيا كلها في الازواج المنبه عليها بقوله تعالى ومن كل شيء خلقنا زوجين وقيل معناه المستغني عما عداه فهو كقوله غني عن العالمين فاذا قيل هو فرد فمعناه منفرد بوحدانيته مستغن عن كل تركيب وازدواج تنبيها على انه مخالف للموجودات كلها ومنفرد في كلام المصنف ضبط بالنون والتاء الفوقيه من باب الانفعال والتفعل ومعناه ما مر وفسر ايضا بعدم مشاركة غيره له في ذاته وصفاته وكل ما يختص به من نعوت جلاله والمراد هنا تفرد مخصوص بمتعلقه الاتي واطلاقه على الله تعالى اما لثبوته كما يشعر به كلامهم او للاكتفا بورود ما يشاركه في مادته ومعناه او بنا على جواز اطلاق ما لا يوهم نقصا مطلقا او على سبيل التوصيف دون التسمية كما ذهب اليه الغزالي والانفعال للمطاوعة والمراد انه بدون صنع فتفرده بذاته لذاته وكذا التفعل للصيرورة بدون صنع ايضا كتحجر الطين اي صار حجرا صلبا من غير مدخل للغير كتكون وتولد وكذا توحد الا انه قيل فيه انه في الاصل للتكلف فاثر به غايته وهي الكمال والمبالغة لان المتكلف يبالغ فيما تكلفه وبناؤه فيه كما قيل في المتكبر **باسمه الاسمى** الباء صلة المتفرد والاسم اما من السمة يعني العلامة او من السمو كالعلو لفظا ومعنى • قيل وفي قوله الاسمى ايما الى الثاني والباء اما للتعدية لانه يقال تفرد وانفرد بكذا اذا استقل به او للملابسة والارجح الاول ويرجح الثاني بافادته التفرد المطلق وتضمنه الرد على من يقول بمشاركة ذاته لساير الذوات في الماهية وتميزها بالصفات العلية والاسمى افعل تفضيل بمعنى الاعلى من السمو وهو العلو والاضافة تاتي لما تاتي له اللام فان كانت للعهد بان يراد به لفظ الله لاشتهار انه اسم للذات وما سواه اسما صفات فالمفضل عليه ما سواه من اسمائه الكريمة وفيه اشارة الى انه الاسم الاعظم كما ذهب اليه كثير وفيه اقوال كثيرة اخر مشهورة او للجنس فالمراد به اسماؤه المختصة به كالرحمن والرزاق او مطلق اسمايه لاختصاصها في الحقيقة وان اطلق بعضها على غيره كالملك فانه بمعنى آخر وفي البدايع لابن القيم اسماؤه تعالى التي تطلق عليه وعلى غيره كحي وسميع هل هي حقيقة فيه تعالى مجاز في غيره او مجاز فيه حقيقة في غيره او حقيقة فيهما اقوال اظهرها الاخير فتدبر وعلى الثاني المراد ان كل اسم من اسمايه اشرف مما سواه وشرف الاسم بشرف مسماه فان قلت قال ابو حنيفة في الفقه الاكبر اسماء الله وصفاته مستوية في العظم والفضل لا تفاوت بينها وهو مناف لما ذكر قلت مراده روح الله روحه انها من حيث اضافتها الى المسمى والموصوف لان مسمى جميع الاسما والموصوف بجميع الصفات واحد وهو الله تعالى واحد وهذا لا ينافي التفاوت في حقايقها من حيث ان بعضها في حيطة بعض لتقدمه رتبة وبحسب الظهور كالالوهية التي يشتمل حيطتها اكثر الصفات والعلم وقد صرحوا ايضا بتفاوت الصفات في نفس معانيها وحقايقها كالعلم بالنسبة للقدرة والقدرة بالنسبة للارادة فعدم التفاوت بين الاسما ليس الا لاستوائها بحسب الاضافة الى الذات

كما فضله

كما فضله الشيخ بها الدين في شرح الفقه الاكبر وفيه ايضا ان ايات القران متساوية في الفضل قال الشارح تساويهما من جهة القرآنية واضافتها الى الله وان كان لبعضها فضيلة الذكر والمذكور كاية الكرسي وايات القصص وعليه يترتب ما روي في فضايل السور **المختص** اختص يكون لازما ومتعديا يقال اختصه بكذا فاختص فيجوز في المختص ان يكون اسم فاعل ومفعول على التقديرين فيه قبل الادغام والاظهر انه اسم فاعل من اللازم بمعنى منفرد ومستقل وفي الصحاح خصه بالشيء خصوصا وخصوصية والفتح افصح وخصيص واختصه بكذا اخصه به وفي شرح السيد القياس ان تدخل الباء هي صلة الاختصاص على ما لا يوجد الشيء في غيره فتقول المختص به الملك كما يقال اختص السواد بزيد وكثيرا ما تدخل على ما لا يوجد في الغير كما فعله المصنف وهو فصيح ايضا والمعنى على التقديرين واحد اي هذا الملك لا يكون لغيره والثاني اكثر استعمالا والاختصاص حينئذ مجاز عن التميز اي تميز عن غيره بالملك وهذا ملخص ما قاله القوم في شروح الكشاف وحواشي المطول وهو مع اشتهاره وتلقيه بالقبول عند من يرى التقليد شريعة منسوخة غير مقبول وفي شرح المفتاح للسعد ادخال البا في المقصور عليه هو الاستعمال العرفي العامي وادخالها في المقصور هو الاستعمال الشايع العربي وقال قدس الله سره الاصل في لفظ التخصيص والاختصاص والخصوص ان يستعمل بادخال البا في المقصور عليه فيقال اختص الجود بزيد اي صار مقصورا عليه الا ان الاكثر في الاستعمال ادخالها على المقصور بنا على تضمين معنى التمييز والافراد وقيل انه مجاز صار بمنزلة الحقيقة لشيوعه هذا زبدة ما مخضته الافكار وانا اقول هذا كلام غير محرر لان الظاهر انه يسند حقيقة لكل منهما وقد يترجح احدهما بحسب المقام فان الفاعل الحقيقي من قام به الفعل لا من اوجده كما حقق في الاصول فاذا اسند الى احدهما حقيقة تعين دخول البا على الاخر لان قيام الاختصاص به اما بحسب نفس الامر والاستحقاق او بقهر وتغلب فعلى الاول يسند حقيقة للمقصور لانه اختص بنفسه وعلى الثاني يسند للمقصور عليه حقيقة لانه بفعله مثاله لو مات رجل عن ابن وخال يختص المال بالابن فتقول اختص مال فلان بابنه دون خاله فلو كان له ابنان حاز احدهما المال كله تغليبا فالاولى ان يقول اختص الابن بالمال فيتعين دخول البا على المقصور عليه وفي الثاني بالعكس فالظاهر ان كلا منهما فصيح صحيح لغة حينئذ فيهما واحد كما زعمه ومع هذا انه مجاز خبط وفي كلام اللغويين ما يصرح بما قلناه ثم انه قوله تعالى يختص برحمته من يشا يختص فيه متعد واسناده الى الله وادخال البا على الرحمة اشارة الى انه بمحض لطفه وكرمه ولو اسنده اولا للرحمة اوهم خلافه فتامله فانه دقيق جدا **بالملك** الظاهر انه هنا بضم الميم وان جوز الكسر والفتح وهو ابعدها وهو الاختصاص بقدرة التصرف في الامور المملوكة بتقليد الاوامر والنواهي وفسر بالاحتوا على الاشيا قادرا على الاستبداد بها وقد يراد به الاشيا المحتوي عليها والعظمة والفرق بين المضموم والمكسور له تحقيق بديع في كشف الكشاف وبينهما عموم وخصوص فان الاول السلطنة والثاني ملك الاعيان وقد يجتمعان والملكوت فسر بالملك والسلطنة وتارة للمبالغة كرحموت وجبروت وقد فرق بينهما بان الملك عالم الشهادة والاجسام والملكوت عالم الغيب والارواح وهو فرق لغوي وقيل اصطلاحي لاهل الحكمة والتصوف والبا داخلة على المقصود وقد سمعته آنفا **الاعز** افعل تفضيل من العز والمنعة قال الراغب العزة حالة مانعة للانسان عن ان يهان او يقهر ويغلب من قولهم ارض عزاز اي صلبة كانه في عزاز اي محل يصعب الوصول اليه كالجبل الشامخ وهذا مما قاله اهل اللغة قاطبة ومن لم يقف عليه قال في شرحه معنى كونه اعز ان احتواءه عليه اشد من كل احتواء ولا ينبغي ان يفسر الاعز هنا بالاشد لانه لا معنى لوصف الملك بالشدة والصلابة **الاحمى** افعل تفضيل من حميته حماية فهو محمي وحمي اذا صنته والمحمي مصون واصله ارض يمنع من قطع نباته ورعيه

وكانوا يفعلونه في الجاهلية كما يريدون فلما جا الاسلام نهي عنه صلي الله عليه وسلم فقال لا حمي
الا لله ورسوله فلذا منع شرعا الا باذن الامام لمصلحة واحمي اسم تفضيل علي خلاف القياس ان كان
بمعني المفعول كاشغل من ذات النحيين او علي القياس بمعني الفاعل بجعله كانه يحمي نفسه لعظمته ان يصل
اليه احد بحماية اعظم من حماية كل حام لملكه كجوهرة نفيسة وجدانها افضل لا يسعه ان يدعي انها ملكه
لعظمة قدرها عنده كانها حمت نفسها عن تملك مثله لها كما قيل في مقدمة الكتاب اذا كانت من قدم المتعدي
كانها قدمت نفسها وهو المناسب لقوله الاعز فاسناده مجازي والمعني علي الاول ان ملك غيره اذا كان
محميا فملكه تعالي محمي بحماية اقوي من كل حماية لانه ملك لا يصير لغيره الا الي الله تصير الامور ولا حاجة
لتجريده عن معني التفضيل علي انه وما قبله بمعني العزيز المحمي كقوله بيت دعايمه اعز واطول
علي راي وان قيل بانه مقيس لان المسموع خلافه كقوله شعر

اكر واحمي للحقيقة منهم • واضرب منا بالسيوف القوانسا •

وما قيل من انه علي القياس من غير حاجة لما مر لان ملك الله واحتواه علي العوالم اكثر منعا لغيره من التوصل
اليه واشد منعا لغيره من التوصل اليه بما نصره فهو اشد منعا من ساير املاك المالكين لا تحصل له
ولا وجه له لانه ان اراد الادعا فهو بعينه ما قدمناه وهو انه غيره من قلة التدبر وان اراد غير ذلك فلا
معني له الذي صفة لله او للملك يعني مالك ملكه لا شي قبله ولا بعده ليس دونه دون لما معان
قال الصاغاني تكون بمعني غير وبمعني خسيس وشريف والاول مشهور وعليه قوله شعر

اذا ما علا المرء رام العلا • ويقنع بالدون من كان دانيا •

ولا فعل له وقيل يقال دان يدون دونا وهي هنا بمعني فوق او امام ويجوز ان تكون بمعني ورا او غير
منتهي اسم مكان او مصدر ميمي من انتهي اذا بلغ النهاية ويكون انتهي بمعني انزجر وانكف كما في قوله شعر

لا تنتهي الانفس عن غيها • ما لم يكن منها لها زاجر •

وكونه اسم مفعول مع لزومه ولا صلة معه تكلف بغير داع له ولا وراه ورا نقيض قدام ويكون بمعناه ايضا
فهو من الاضداد اوهو ما واري سواه واري عنك غيرك او واراك عن غيرك فهو مشترك بينهما اشتراكا معنويا
وليس من الاضداد ويكون بمعني بعد وبمعني غير مرمي بميمين مفتوحتين بينهما را مهملة وهو مقصور مفعل
من الرمي وقد ورد استعمال هذا اللفظ بعينه واطلاقه في حق الله تعالي في الحديث فروي المصنف في مشارقه
وابن الاثير في نهايته وغيره ليس ورا الله مرمي وتكلمت به العرب العربا وبما هو بمعناه قديما كقول النابغة شعر

حلفت فلم اترك لنفسك ريبة • وليس ورا الله للمرء مطلب •

قال في النهاية اي ليس بعد الله لطالب مطلب لان العقول وقفت ثمة فليس ورا الله ولا ورا معرفته والايمان
به غاية تقصد انتهي • كما قيل شعر علي نفسه فليبك من ضاع عمره • وليس له منها نصيب ولا سهم •
وفي المشارق ليس ورا الله مرمي اي مطلب للطالب والمرمي الغرض الذي يرمي اليه واليه منتهي سهم الرامي
وبه يجوز السبق كالي الله انتهت العقول ووقفت فليس ورا معرفته والايمان به ملتمس ولا غاية يرمي اليها
انتهي • فالذي ان كان صفة للملك فالمراد انه ليس قبل ملكه شي ينتهي اليه ويتصل آخره باوله وليس بعده
شي تتصوره العقول وان كان صفة لله فالمراد انه الدايم الواجب الوجود وما عداه فهو حادث اوجده وابدعه
فهو بمعني الاول الاخر فيتصل بما بعده اتصالا ظاهرا وعلي الاول يكون كالاحتراس المتمم لما قبله لانه لما ذكر
اختصاصه بالملك الاعز قد يتوهم مشاركة غيره او اختصاصه بملك غير اعز فقال ليس قبل ملكه شي ولا بعده
شي فهو مالك كل ملك وخالقه فلا يخرج شي عن حوزة ملكه وعلي كل حال فالمرمي محل الرمي والهدف فاريد به
الغرض الاقصي الذي ترمي له الامال وتتوجه نحوه وجوه التضرع والابتهال فهو استعارة تمثيلية استعيرت

من حال الرامي في توجهه لاصابة المرمي بحال العارف الذي معرفة الله اقصي مطالبه ومطمح خواطره
كما قيل شعر يا مطلبا ليس في غيره ارب • اليك آل التقضي وانتهي الطلب •
ولك ان تقول ان كلام المصنف في فاتحة خطابه كقول رب العزة في فاتحة كتابه فان قوله الحمد
لله المختص اشارة الي المبدا الفياض وان الكل منه وله كالحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم وليس دونه
منتهي الي اخره اشارة الي المعاد كقوله مالك يوم الدين • ولما كان ذكره بصفاته وانعامه في
الدارين المقتضي للتوجه اليه بكل وجه حتي يصير كالمشاهد المحسوس الذي يوجه اليه الخطاب
بقوله اياك نعبد الي اخره اتي هنا بما هو بمنزلته وهو قوله الظاهر هذا هو المناسب للمقام ومما ذكرنا
من انه علي سبيل التمثيل لا يرد عليه ان ورا او دون ونحوهما امور تقتضي التحيز والجهة ومثله لا
يجوز استعماله في حقه تعالي لان الاستعارة التمثيلية لا تجوز في شي من مفرداتها واجزايها ومما
قيل من ان معناه ليس تحته محل انتها ولا بعده ومرمي ومنتهي بمعني مجاز مرسل كمرسن لانه مقصد الرمي اريد
به مطلق المقصد صحيح لكن ما ذكرناه انسب بالمقام واوفي باد المرام وما قيل عليه من انه خطا لانه لا بد فيه
من كونه فردا من افراد المطلق والهدف قد لا يكون مقصودا مع ان ابن الاثير جعل العلاقة فيه المشابهة كلام
لا وجه له ولا طايل تحته لان الهدف دايما يقصد للرمي والقصد بالفعل ليس بلازم وما قاله ابن الاثير يخالف
للجمهور ولا يلزمنا اتباعه وقيل المعني انه ليس في جهة وحيز فنفي الشي ينفي لازمه والظاهر من اسمايه تعالي
وهو في الاصل اسم فاعل من ظهر اذا بدا ولم يخف ويقابله الباطن ثم عم كل محقق معلوم بالبصر او بالبصيرة
وهو المراد هنا لمقابلته بالباطن وان فسر بالغالب من ظهر عليه اذا غلبه وقد صح وسمع كما ورد انت الظاهر
فليس فوقك شي وفي شرح المواقف الظاهر المعلوم بالادلة القاطعة فهو صفة اضافية وقيل الغالب فهو
صفة فعلية من ظهر عليه اذا قهره والباطن المحتجب عن الحواس بحيث لا يدرك اصلا فهو صفة سلبية وقيل
العالم بالخفيات انتهي وقال الراغب الظاهر الباطن من صفات الله ولا يقال الا مزدوجا كالاول والاخر
فالظاهر قيل انه اشارة الي معرفته البديهية فان الفطرة تقتضي في كل نظر انه موجود ولذا قال بعض الحكما
طلب معرفته طلب الجزو في الافاق ما هو معه والباطن باعتبار معرفة حقيقته وذاته ولذا قال الصديق
غاية معرفته القصور عن معرفته وقيل هو ظاهر باياته باطن بذاته قال المرتضي تجلي لعباده من غير ان راوه
فاراهم نفسه من غير ان يتجلي لهم انتهي • اقول قد عرفت مما ذكرناه ان للظاهر اذا اطلق علي الله معان هو
باعتبار بعضها مقابل للباطن ولا يستعمل حينيذ الا مزدوجا وباعتبار الاخر يطلق عليه مفردا فما قاله الراغب
ليس علي اطلاقه وفيه كلام حققناه في شرح اسما الله الحسني لا تخيلا ووهما يعني انه ظهوره تعالي بتحقق
مكشوف للعقول وتعين صادق عند من له بصيرة لقيام الادلة القاطعة والبراهين البينة الدالة علي وجوده
ووحدانيته لا بحسب التخيل والوهم وقيل لا بحسب الظن او السهو وقيل لا بحسب الطرف الراجح او المرجوح او لا بحسب
ادراك القوة المتخيلة والواهمة فان من شانهما ادراك ما لا تحقق فقلت المتخيل والموهوم علي كل ما لا تحقق له
فنفي ان يكون ظهوره كذلك انتهي وهذا الاخير هو الاصوب وذكره السهو لا وجه له وان وقع ذلك في كلام اهل اللغة
لان الاستعمال علي خلافه وقال الراغب التخييل تصوير خيال الشي في النفس والتخيل تصوره وخلت بمعني
ظننت يقال باعتبار تصور خيال الشي المظنون في النفس وفي حواشي شرح المطالع الفكر حركة النفس في
المعقولات والتخيل حركتها في المحسوسات والوهم خطرات القلب ومرجوح طرفي التردد والغلط في المقتفي الوهم
بسكون الها وفي الصحاح وهمت في الحساب اوهم وهما بسكون الها اذا غلطت فيه وسهوت ووهمت في الشي
بالفتح اوهم وهما بسكون الها اذا ذهب وهمك اليه وانت تريد غيره وقال ابن القطاع وهمت الي الشي ووهم واوهم
بمعني ونصبهما علي الحال او التمييز او بنزع الخافض فالمعني تام وقيل المراد ان معرفته بحسب اليقين لا بادراك

القوة المتخيلة او الواهمة التي تدرك ما لا تحقق له • والفرق بينهما ان المتخيلة هي القوة المتصرفة
في الصور والمعاني بالتركيب والتفصيل كتصور شخص براسين واختراع ما لا حقيقة له كالغول
والواهمة القوة المدركة للمعاني الجزئية الموجودة في المحسوسات كادراك الشاة عداوة الذيب ورد هذا
بانه مبني على فلسفة لا يرتضيها اعلام السنة الا انه يقال انه ابطال ونفي له ولا ضير في مثله وليس في وصف
الله بانه ظاهر ما يدل على ان ذات الله معلومة للبشر بالكنه وان اختلف في وقوع ذلك وامكانه على ما
فصل في الاصول فلا حاجة للتعرض له هنا على ان في اقترانه بقوله **الباطن** ما يدل على خلافه لانه بمعنى
الذي لا يدرك بالابصار ادراك احاطة لقوله تعالى لا تدركه الابصار كما حقق في محله وقد وقع في
اكثر النسخ بدون عاطف كما ذكرناه وهو الصحيح رواية لان الصفات كلها وقعت متصلة بدون عطف
لما بين المنفرد والمختص من كمال الاتصال ولما بين الظاهر والباطن من التقابل فلو عطف هنا توهم انهما
لا يجتمعان كما في قوله عز وجل مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وابكارا فان عطف
الصفتين الاخيرتين لعدم اجتماعهما وهنا ليس كذلك لان المراد انه في حالة واحدة ظاهر لكثرة الادلة وقوة
وثبوت ذاته وافعاله التي لا تخفى باطن خفي عن ادراك كنه ذاته وحقيقة صفاته وحجب الانوار اللاهوتية
في عالم الشهادة عن مشاهدته وهذا مما اهمله اهل المعاني في مباحث الفصل والوصل بل في كلام بعضهم ما
يدل على خلافه وقد تعرض له بعض المتاخرين واشار اليه العلامة الزمخشري في مواضع في كشافه كاول سورة
غافر وقال السيد عيسى الصفات الجارية على واحد قد ذكر للعطف بالمناسبة والتصريح بالاجتماع وقد
يترك عطفها اشعارا باستقلال كل منهما وقد يذكر في بعض ويترك في بعض تفننا فانه يوجب توجه الذهن
الزيادة فرعاية الانسب ابلغ والابلغ انسب ولما كان الظهور والبطون متقابلين كان التصريح بالاجتماع
انسب انتهى • وهذا بناء على ما في النسخة الاخرى من ذكر العاطف ولا يخفى ما في توجيهه من القصور لان اهمال
العطف لعدم الاجتماع كما مر في ثيبات وابكارا وكانه اغتر بما وقع لهم في قوله تعالى حم تنزيل الكتاب
من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول والذي ذكره الزمخشري فيه نزعة
اعتزالية كما نبه عليه شراحه وليس هذا محل تفصيله وقد علمت ما قلناه معنى الظاهر والباطن وقال
السهيلي معناه العالم بما ظهر وبما بطن **تقدسا لا عدما** اعرابه كاعراب ما قبله والتقدس تفعل من القدس
وهو الطهارة والتنزه اي ان بطونه وخفاءه لتنزهه وعلوه عن ان يحيط به البصاير والابصار لا لكونه
معدوما او غائبا ولا من جهة عدمه او عدم كماله بل لقصور غيره وتنزهه عن ان يحيط بكنهه ان اريد
بالباطن الخفي عن البصر في الدنيا فالتقدس التنزه عن مشابهة الحوادث عن قبول الرؤية فيها والعدم بضم فسكون
من عدمته اعدمه كعلمته اعلمه عدما وعدما بفتحتين بمعنى فقدته واختار الاول هنا للسجع وما قيل من ان
معنى العدم هنا الفقر كما في الصحاح اي ليس خفاؤه لافتقاره كما يختفي بعض الفقرا لفقره فهذيان محموم
ولبعض الشراح هنا كلام لا معنى له تركناه لانه غني عن النقد والتزييف **وسع كل شيء رحمة وعلما** العلم
مطلقا معلوم وفي صفات الله تحقيقه في الكلام والرحمة ميل الى طبع ورقة وهو مما لا يوصف الله تعالى به
فيعتبر باعتبار غايته ولازمه فيراد به الانعام وارادته وذهب الباقلاني الى انه يجوز به عن ارادته فلا
فعلى راي القاضي يجوز ان يقال اللهم اجمعنا في مستقر رحمتك وعلى راي الشيخ لا يجوز وفي القرآن مواضع
تناسب كلا من الرايين فقوله وسعت كل شيء رحمة وعلما يناسب بحسب الظاهر الارادة لاقترانها بالعلم الذي
هو صفة ذاتية وقوله هذا رحمة من ربي اي السد يناسب الاحسان كذا في شرح الاربعين الرواية للقرافي
وبسط الكلام فيه مقام آخر ووجه ارتباط هذا بما قبله انه لما كان مطمح نظره في هذا الكتاب بيان شرف المصطفى
وانه النعمة العظمى على جميع المخلوقات بدا بحمد الله تعالى ونعمته بما يدل على عظمته في ذاته وان الملك له لا تصرف

لاحد فيه سواه ثم ثنى ببيان حاله في ملكه وما يعاملهم به على وجه مناسق الى المراد فقال وسع
الخ ولو قال الذي وسع كان اولى والسعة ضد الضيق استعيرت للشمول والشيء الموجود مطلقا
او اعم منه على الخلاف المشهور فيه وهو هنا ما سوى الله وان صح اطلاقه عليه كما في قوله تعالى قل اي
شيء اكبر شهادة قل الله لان شمول الرحمة للذات لا يصح وان شمله العلم وشموله لما سواه ظاهر لان كل
شيء منعم عليه حتى المعذب بترك الاشد والمعدوم مرحوم ورحمة وعلما منصوبان على التمييز والجملة مستانفة
وتعلق العلم بكل شيء كليا وجزئيا مبرهن عليه في الاصول وفي شرح السيد هنا نقلا عن التفسير
الكبير انا لا نعلم كنه صفات الله كما لا نعلم كنه ذاته وانما المعلوم لنا انا لا نعلمها الا بلوازمها وآثارها
وذاته لم تكمل بها لان الذات كالمبدا لها فيلزم استكمال الذات بالممكن بل كمال الذات يستلزم الصفات
وفي عوارف المعارف اجمع الصوفية على ان له صفات ثابتة لا بمعنى انه محتاج اليها ويفعل بها بل
بمعنى نفي الضد وثبوتها قايمة به وهذه مسيلة نفيسة سكت عنها الاصوليون وربما اوهم كلامهم
خلافها وتوضيحها انه لا احتياج له الى الصفة الموجودة في تحقق اثرها بل لو لم تكن موجودة كان
الاثر بحاله الا ان وجودها اكمل لاقتضاء كمال الذات بها وبين فيه قول الحكيم الكمال بالذات اعلى من الكمال
بما سواه لاستلزامه الاستكمال وظهر ان مذهب اهل السنة اعلى عقلا ونقلا الا ان فيه ايهام تعطيل
الصفة ويدفعه ان مجرد وجودها فايدة وان سلم فليكن شيئا عاديا للآثار كساير الاسباب عند الاشعري
فلا استكمال ولا تعطيل فتدبر واحفظه فانه عزيز انتهى • اقول قوله لا استكمال الذات بالممكن بالذات
اشارة الى ما قاله في تعليقة له ان الخلق هو الايجاد بعد العدم مطلقا ولذا لا يقال صفات الله مخلوقة
لانها لم تسبق بالعدم وان كان التحقيق انها ممكنة بالذات اي محتاجة الى الغير لان كل محتاج ممكن
فليست واجبة بالذات بذاتها والا لزم تعدد الواجب لذاته وذلك لا يجوز والصفات ليس شيء منها
مسبوق بالعدم بل موجودة ازلا وابدا وان جاز ان يقال في سايرها انها مخلوقة وان الذات خلقتها
واوجدتها ونحوه لكنه بمعنى انها محتاجة الى الذات لا لانه اوجدها بعد العدم لكنهم يتحاشون عن
استعماله وان كان صحيحا ويرون الغوص في مثله سؤالا وجوابا بدعة لعدم وروده في الشرع فلا محذور
في ترك التعرض له الا اذا الجات له الضرورة ولذا قال في التفسير الكبير الذات المقدسة كالمبدا
للصفات وقد استشكل ظاهره لانه اذا لم يكن مبدا لم تكن الصفات ممكنة بل واجبة فيلزم تعدد الواجب
وهو لا يجوز • واجيب بان المتبادر من المبدا انه موجد بعد العدم والصفات غير مسبوقة بعدمها بل
لم تزل موجودة الا ان الذات تقتضيها وتحتاج اليها وتتوقف عليها فالذات بالنسبة اليها كالمبدا
لا مبدا لها انتهى • واعلم ان بعض علما المغاربة قال ان الفلاسفة اجمعت على نفي الصفات لشبه
بقرب مما قاله المعتزلة فقالوا لو وجدت الصفات لزم افتقارها للذات لاستحالة قيامها بنفسها وبعضها
شرط لبقا بعض كالحياة للعلم فيلزم الافتقار والتاخر وهو مناف للوجوب • واجيب بمنع الملازمة
فان الافتقار للغير ان كان في افادته الوجود كان حادثا ونحن لا ندعي هذا بل نقول جميع صفاته
واجبة الوجود وغنية عن مقتضى الوجود فان عنيتم بالافتقار عدم الانفكاك فهو لا ينافي الوجوب
ولما اعتقد الامام صحة قول الفلاسفة ان الافتقار مطلقا يوجب الامكان وان وجود الصفات يقتضي
التركيب والمركب مفتقر لجزئه فلا يكون الا ممكنا واستشعر النقض بصفاته تعالى فقال نستخير الله في
القول بامكانها لذاتها ثم جزم به وفاه بكلمة والعياذ بالله لم يسبق اليها فقال هي ممكنة باعتبار ذاتها
واجبة بوجوب ذات الله والذات قابلة لصفاتها وفاعلة لها وهي منزلة شنيعة • اقول هذا من
نفايس الذخاير المستودعة خزاين القلوب وقد تكلم فيها قدما الحكما والمتكلمين كما نقله الامام في المسايل

الاربعين عن الرئيس وجزم بان علة الامكان الافتقار ونازعه فيه العلامة القرافي في حواشيه
على هذه المسائل فقال الصفات يجب قيامها بالموصوف ويستحيل عليها القيام بنفسها فان عنيتم
بالافتقار هذا القدر فمسلم لكن العبارة رديئة ولا يلزم منه الامكان اذ الافتقار على هذا التقدير في
القيام لا في الوجود ولا يلزم من الافتقار في القيام الافتقار في الوجود فان العرض مفتقر للجوهر
في قيامه ومستغن عنه في وجوده فانه من الله فلا يلزم من مطلق الافتقار الامكان فبطل قوله كل
مفتقر ممكن بل المفتقر يكون افتقاره باعتبار تركيبه وباعتبار قيامه ومنه افتقار الصفة لموصوفها
وباعتبار وجودها كافتقار الاثر للموثر وهذا هو المقتضي للامكان والافتقار اعم والامكان اخص
والاستدلال بالاعم على الاخص غير مستقيم انتهى • اقول تحرير محل النزاع مع بيان الحق فيه ان مطلق
الاحتياج للغير مستلزم للامكان او الاحتياج في الوجود فقط فالرئيس ومن حذا حذوه جزموا بالاول
والقرافي ومن نحا نحوه كالسنوسي منعوه وقالوا بالثاني وشنعوا على من نحا نحوهم ولا يتم لهم هذا
بسلامة الامر فان كل ما احتاج لسواه حاجة تامة بحيث لا يوجد بدونه سوا كان علة او شرطا لوجوده
كالجوهر للعرض مثلا لا يمكن وجوده بدونه فيلزم امكان عدمه بالذات وان لم يكن حادثا وهذا لا محذور
فيه في صفات الله القديمة وان كان الادب ترك التصريح به كغيره وهذا من محذورات الاسرار التي
لا تبوح لغير محرم فنقول الذات المقدسة غير مفتقرة للصفات التي ليست عينها بل الصفة مفتقرة للذات
لاستنادها اليه وعدم صحة استغنائها عنه بديهة واذا كانت الذات غير محتاجة للصفات ولا مستكملة
بها لا يلزم تعطيلها ايضا لان وجودها فائدة لكونها صفات كمال فليست موثرة بالذات ولا واجبة بالذات
بل بالاسناد للذات التي هي كالمبدا لها لانها قديمة غير منفكة لكن وجوبها ليس لذاتها بل لغيرها وهذا
لا ينافي الامكان ولا يقتضي الحدوث الزماني وبقولنا كالمبدا ظهر ان قول المعترض انها مبدا وفاعله
تقول عليه وقال الاسنوي في شرح منهاج البيضاوي بعدما نقل قول الامام في الاربعين ان صفات
الله ممكنة لذاتها واجبة الوجود لوجوب الذات قد تلخص مما قاله الامام ان الصفات واجبة للذات
لا بالذات اي واجبة لاجل الذات المقدس لا ان ذات الصفات اقتضت وجود نفسها انتهى • وقال بعض
فضلاء العصر فتكون الصفات ممكنة في نفسها معللة بالذات القديم لكن يجب ان تكون الذات موجبا
بالنسبة اليها وان كان مختارا بالنسبة الى ما سواها من مخلوقاته والا لزم حدوثها بناء على ما تقرر من
ان الصادر عن المختار حادث البتة انتهى • **واسبغ** اي اتم واكمل وهو في الاصل صفة للدرع والثوب
الطويل استعير من الطول والسعة لما ذكر ثم صار حقيقة فيه لشيوعه **على اوليائه** جمع ولي فعيل بمعنى
فاعل او مفعول اي موالي او موالى ويطلق على الله وعلى غيره نحو الله ولي الذين امنوا الا ان اولياء الله
لا خوف عليهم ولا هم يحزنون • وهو من الموالاة وهي الاتصال والقرب ويكون ذلك في النسب والدين والحرفة
والنصرة وله معنيان يعم كل مومن واخر يختص بمن اخلص لله فولاه امره واخص منه وهو من افاض الله
عليه ما فضله به على غيره من اسرار ومعارف الهية انار بها بصيرته حتى تشاهد صنعه وينكشف
لنفسه القدسية خفايا الملك والملكوت وهو مرتبة جليلة وكل نبي ولي ولا عكس وقيل ولاية
النبي افضل من نبوته كما ان نبوته افضل من رسالته ولا يلزم منه تفضيل الولي على النبي كما توهم
والمراد هنا الاول او الثاني ويحتمل ان يكون الاسباغ هنا على حقيقته بان يشبه النعم للنبي بثوب
على انه استعارة مكنية وتخييلية كما في قوله

شعر

اذا ما غزا دهري وخفت خطوبه • علي دروع من نداه سوابغ •

نعما جمع نعمة وهي ما انعم الله به واعطاه من فواضل احسانه ويكون بمعنى الانعام والاحسان والحمد
على الانعام امكن من الحمد على النعم كما فصل في محله **عمما** هو بعين مهملة مضمومة وميم مفتوحة مشددة
تليها الف اما زايدة كالف زيد في قولك رايت زيدا حالة الوقف فالفه زايدة او بدل من التنوين كما في سائر
المنصوبات المنونة وهي الف مقصورة كالف حبلى ومعناه عميمة اي عامة شاملة لكل شي من الاجزا والجزئيات
قال ابن عصفور في شرح شواهد الايضاح عند الكلام على قول الشاعر

شعر

طافت به الفرس حتى بذ ناهضها • عم لقحن لقاحا غير مبتسر •

العم الطوال من النخل واحدها عميمة عن ابي حاتم ويعقوب وكانه خفف من عمم ثم ادغم لاجتماع المثلين وقال
اللحياني نخلة عم ونخيل عم اي طوال فعم على هذا مصدر وصف به الواحد ويبعد ان يكون من باب فلك لقلته
وقال ابن دريد العم العظام واحدها عمي كحبلى وهذا اقيس الوجوه انتهى واقتصر في التسهيل على انه فعل بضم
فسكون جمع عميمة لان فعيلة يجمع على فعل قياسا مطردا وفي كتاب النبات للدينوري في باب النخل العمة
النخلة التي يصعد اليها اذا جنيت وهي العميمة ايضا والنخل العم التي استحكمت وكملت وطالت وكذا في جميع
النبات وفي العم يقول الانصاري

شعر

وطفل كطفلكم يومل • فعم كعمكم نافع •

اي كبار يبلغ نفعهم ككباركم وصغار يومل كصغاركم فسمى صغارها اطفالا انتهى وبما قصصناه عليك
علمت ان قول المصنف عمما اما منون او غير منون مقصور وانه يجوز فيه ان يكون جمعا ومفردا بمعنى عظيمة
او عميمة شاملة فافاد وصف نعم الله بالزيادة في الكم والكيف وللشراح فيه كلام غير واف بحق المقام ثم
لما كانت بعثة الرسل اجل النعم واجلها بعثة خاتم الرسل عطف على قوله اسبغ الخ قوله **وبعث فيهم** من عطف
الخاص على العام رعاية لبراعة الاستهلال وما قبله تمهيد له والبعث في الاصل الاثارة والايقاظ من النوم
وبمعنى الاحيا والنشر من القبور وبمعنى ارسال الرسل وهو المراد هنا فاذا تعدى بفي معناه انه جعله بين
اظهرهم واذا تعدى بالى معناه انه يرسل لدعوتهم سوا كان فيهم ام لا وقد يستعمل كل منهما بمعنى الاخر وضمير فيهم
للاوليا بمعنى المومنين من غير تكلف لانه ليس قبله ما يصلح للرجوع له غيره والمراد مطلق المومنين وبعثه
فيهم لا يقتضي تخصيص النعمة بهم فينبغي ان لا يجعل في بمعنى الى حتى يرد عليه ان البعثة عامة للثقلين غير
خاصة بهم وانه ينبو عنه قوله عربا وعجما وقيل انه ضمير مبهم يفسره قوله عربا وعجما وليس راجعا لغيره وقيل
انه راجع لكل موجود من الثقلين المفهوم من قوله قبل كل شي وقيل بعث بمعنى ارسل فيهم نبيهم بان اوحى اليه
بتبليغ الشرايع والبعث وان كان في الكفار فانه كثير منهم قد علم منه انه سيصير من اهل ولايته ومنهم من
اشرف عليها وهو المراد بالاوليا وهذا ليس بيانا لاول البعث ثم قال البعثة انما هي في العرب بل في اهل مكة
والمبعوث فيهم جماعة هو بين اظهرهم فضمير فيهم لاوليا العرب وضمير انفسهم للعرب والعجم والاوجه انه استخدام
او اريد بالبعثة فيهم وجودهم في زمنها ويكون مبعوثا في الكل او في بمعنى الى او يراد مطلق الاوليا اعم من
الكل والبعض والبعثة باعتبار فرد والانفسية باعتبار الجميع • اقول هذا تعسف نحن في غنية عنه
فالحق انه لما ذكر عموم الرحمة اتبع ذلك ببيان ان رحمته الكاملة الشاملة مخصوصة باوليائه وهم مطلق المومنين
وان من اعظمها عليهم بعد الايمان بالله بعثة هذا الرسول فيهم واتباعهم له ولا يلزم منه تخصيص الرسالة بهم
كما في قوله لقد من الله على المومنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم وهو مبني على ان مطلق النعمة عامة للبر والفاجر
والنعمة التامة مخصوصة بالمومنين وليست العامة مخصوصة كما قيل لا نعمة لله على كافر وعموم رسالته
مشهور معلوم من غير هذا وقوله **رسولا** مفعول بعث ولم يذكر المرسل اليهم اشارة الى عموم رسالته والرسول
بمعنى المرسل وهو نبي اوحي اليه بشرع وامر بتبليغه والنبي من اوحي اليه مطلقا فبينهما عموم وخصوص مطلق
وذهب صاحب القاموس الى انه وجهي وفيه نظر وسياتي تفصيله عند كلام المصنف عليه **من انفسهم** بضم
الفا جمع نفس ولها معان منها العين والذات الشاملة للروح والجسد ومنها الروح ومرجع الضمير كالسابق

والمراد انه من جنس البشر وانما امتاز عنهم بالرسالة والخصائص المودعة في ظاهر عنصره التي اهله الله
بها لان يكون محلا لامانته ولم يفسره بما فسر به قوله تع لقد من الله على المومنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم
بانه من جنسهم عربي مثلهم لان المخاطب ثمة العرب امتنانا عليهم واقامة للحجة لديهم وان فسر ايضا بما هنا ولكل
مقام مقال لانه لا يناسب التعميم بعده وفيه تجنيس لما بعده وبعثه في الجنس يحمل ما للبعض للكل كما يقال بنوا
فلان قتلوا قتيلا والقاتل واحد منهم فلا ينافي كون المبعوث فيهم طايفة مخصوصة وبعضهم فتح هذه الفا قالوا
وهو خطا رواية ودراية **انفسهم** بفتح الهمزة والفا والنصب على البدلية من قوله رسولا لجواز ابدال المعرفة
من النكرة او بتقدير عامل له ويجوز رفعه على انه خبر مبتدا مقدر وجره على البدلية من انفسهم قبله ونرجح
بانه المروي والموافق لقراة الاية وفيه اشارة الى القرآتين وهو افعل تفضيل من النفاسة من نفس بالضم
صار مرغوبا فيه فهو نفيس عظيم في النفوس يحرص عليه وقيل الانفس الاعلى والاشرف ومنه الحديث سئل
اي الرقاب افضل قال انفسها عند اهلها اي افضلها وفيه نظر وهو قريب مما قبله **عربا وعجما** بضم اولهما
وسكون ثانيهما هنا للفاصلة وفيه لغة اخرى بفتحهما والعرب الجيل المعروف والعجم من عداهم وهو المراد
ثم غلب على صنف من فارس والعرب اسم جنس جمعي واحده اعرابي وقيل لا واحد له وقد يخص بسكان القرى
والامصار منهم كما يخص الاعراب بسكان الاخبية والبوادي ولذا قيل انه لا واحد له لان العرب مغاير
لهذا او اعم فلا يصح ان يكون مفرده الذي حتى غلط سيبويه في القول به وقال الراغب في توجيهه الاعراب
جمعه في الاصل ثم صار اسما لسكان البادية والغلبة بعد الجمعية كالانصار ولذا نسب له بلفظه
فلا يرد ما قالوه وسميت العرب بسكناهم في بلدة تسمى عربة كما قال الازهري وما قيل من ان اولهم
اسمعيل صلى الله عليه وسلم ومخلصهم من سلمة ليس بمقبول لانهم كانوا قبله بنواحي اليمن وابوهم قحطان
ومنهم جرهم والعمالقة واسمعيل تزوج منهم فتكلم بالعربية والعرب قسمان عاربة ومستعربة فالعا ربة
بمعنى الخلص وعرب عاربة كليل اليل والمستعربة ولد اسمعيل ومن بعده طرات عليه العربية وعليه
حمل انه اول العرب اي المستعربة وقحطان بن شالخ بن سام بن نوح وكونه ولد اسمعيل غلط نشا من
اشتراك اسمي كما في الروض الانف وغيره ونصبهما على التمييز او بنزع الخافض **وازكاهم** افعل تفضيل
من الزكاة وهي زيادة محسوسة كانت او معنوية والطهارة الحسية والمعنوية ايضا اي هو اكثرهم عبادة
وتقوى ومعرفة بالله وشرفا واطهرهم وانزههم عن القبائح عنصرا وخلقا وخلقا لعصمته من دنس
البشرية **محتدا** بفتح الميم وسكون الحا المهملة وكسر التا الفوقية وآخره دال مهملة وهو الجرثومة
والارومة والمنصب والعنصر والضيضي بمعنى وهو اصل النسب كما في فقه اللغة وفي الصحاح
حتد بالمكان محتدا اقام وثبت والمحتد الاصل وفي القاموس معاينة الاصل والطبع فاصل معناه
الاصل مطلقا وظاهر كلام الثعالبي ان حقيقته اصل النسب فكانه مشترك وعلى كل حال ما في شرح
المواقف من انه مكان اقامتي به والعرب تقول فيه بلد اظلعتك يعنون به شرف النسب كقولهم
لله درك وعلى كل حال لا يخلو ما فيه من القصور لمن تدبر والمراد انه اشرف العرب والعجم واعظمهم نسبا
فما قيل من انه لا يناسب عموم التفضيل لبشر شي يحتاج للرد **ومنمى** بميمين مفتوحتين بينهما نون
ساكنة اسم زمان او مكان او مصدر ميمي من نميته اذا نسبته او من نمى المال اذا زاد اي ان حسبه
ونسبه الذي انتمى اليه ازكى من جميع الاحساب واشرف من ساير الانساب فلا وجه لما قيل من ان المراد
به ازكى من جميع المومنين الذي بعث فيهم او ان محل تمامه اي مكة او المدينة ازكى مما عداه لاذدياد
الدين وظهوره بها او يجوز ان يراد ان ذاته في نماء العمر والصبا اطهر على انه مجاز عقلي لما عرف منه
في طفوليته من نزع حظ الشيطان منه وشق صدره ورفع خفة الصبا عنه ولا يرد عليه ان عيسى

كان نبيا في الصغر كما قيل ونصبهما على التمييز ايضا **وارجحهم عقلا** رجحان العقل زيادته ووصفه
به مشهور في الكتب القديمة وسياتي ويقابله الخفة والنقص وهو في الاصل يستعمل في الموزون ثم صار
حقيقة عرفية في مطلق الزيادة الممدوحة تمثيلا او مجازا مرسلا او استعارة مكنية من رجحت كفة الميزان
اذا زاد ما فيها فاريد به لازمه والاستعارة فيه احسن قال الاخطل **شعر**

وادا وزنت حلومهن الى الصبا • رجح الصبا بحلومهن فمالا •

وهذه اشارة لما في الحديث من انه لما شق صدره قال احد الملكين للآخر زنه بعشرة الى ان قال لو
وزنته بجميع اهل الارض رجح والوزن فيه كما قالوه اعتباري والرجحان انما هو في الفضل وفائدة فعل
الملكين ذلك ليعلمه الرسول وامناه والعقل يقال للقوة القابلة للعلم ولما يستفاد بواسطتها وقيل
هو نور روحاني تدرك به النفس ومحله القلب والدماغ او هو مشترك بينهما فيه خلاف مشهور ويقال
العقل عقلان مستفاد ومكتسب ومطبوع ومسموع من عقل الدابة لمنعه الانسان عن القبائح كما قال
الشاعر في التلميح لاصله • قد عقلنا والعقل اي وثاق • وصبرنا والصبر مر المذاق •
وحلما هو قوة توجب الصبر على الاذى وقال الراغب الحلم ضبط النفس على هيجان الغضب وقيل
الصبر على الاذى وقيل الحليم من عفا بعد ما ستر وقيل من لا يعجل بالانتقام واورد عليه الرازي
ان من لا يعجل بالانتقام ان عزم عليه فهو حقود وان عزم على عدمه فهو عفو غفور فاين الحلم ومعناه
الا ان يقال انه لمن يعزم على ان لا ينتقم البتة بشرط ان لا يظهر ذلك فان اظهره فهو عفو وبهذا يظهر
الفرق بين الحلم والعفو وقد فهم من كلام السلف ان الحلم صفة تعارض الانتقام وتمنعه ومنع الانتقام
وحل هو العفو وقد يمنع الحليم تعجيل الحتف به مع القدرة عليه ويوخر لحكم خفية بان صاحبه
لا يقدر على الانتقام حالا مع انتظاره للفرصة ولا يخفى ما فيه وهو في صفات البشر ان يملك نفسه فلا
يغضب اذا اوذي او راى ما يكره مع تمام الوقار فاذا وصف به الله اريد غايته لامتناعه عليه فهو ترك
الانتقام او تعجيله مع القدرة عليه ومغايرة الاول للحقد والعفو ظاهرة واما الثاني فلا مناسبة بينه
وبين الحقد فانه تعالى لا يوصف به وكذا مغايرته للعفو بحسب المفهوم وبحسب الماصدق فانه قد
يحلم ولا يعفو كما في حلمه على الكفرة في الدنيا وقد يقال يغفر له ولا يقال حلم فتدبر **واوفرهم** اي اكثرهم
واتمهم من الوفرة وهي الكثرة والسعة **علما وفهما** العلم هو الادراك الجازم وحصول صورة الشي في
العقل او الصورة الحاصلة فيه او عنده مفردا كان او مركبا وقد يراد به المعلوم الحاصل في الذهن
والملكة والتهيؤ واكثريته ظاهرة والفهم هيئة للنفس يتحقق بها ما يحسن قال تعالى ففهمناها سليمان
وقول الجوهري كغيره الفهم العلم على عادتهم في التسامح فليسا مترادفين حتى يكونا هنا كقوله
والفي قولها كذبا ومينا • اذ العلم مطلق الادراك والفهم سرعة انتقال النفس من الامور الخارجة
لغيرها فالمعنى انه اعلم الناس واحدهم فهما وفيه اشارة الى ان علمه صلى الله عليه وسلم كعلم غيره من البشر
ضروري وكسبي وقول بعض الصوفية ان العلوم كلها بالنسبة اليه ضرورية قد رده الشيخ زروق
بانه ان حمل على ظاهره لزمه ان ينفي عنه التكليف لان العلوم الضرورية لا يكلف بها ولا يوجر
عليها وان اريد انه لشدة عناية نفسه القدسية علمه بالكسبيات كغيرها فهو صحيح **واقوام يقينا** اليقين
والايقان اتقان العلم بنفي الشبه عنه فلا يوصف به الضروري ويتفاوت قوة وضعفا ولذا قال المصنف
واقوامهم ويشهد له الوجدان وقيل انه لا يتفاوت وانما التفاوت في آثاره ولذا قيل لو كشف الغطا
ما ازددت يقينا ونسب للحنفية وامام الحرمين فما يتخيل انه اقوى انما هو اجلى عند العقل **وعزما**
العزم والعزيمة عقد القلب على امضا الامر وعليه وبه ومنه اولوا العزم من الرسل لقوة باسهم وامضائه

عزمهم في تنفيذ اوامر الله وتبليغ شرايعه فمن توهمه معنى اخر فقال ليس المراد بالعزم مطلق عقد
القلب بل ما في قوله تعالى فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل لم يصب وعزم الله ايجابه وفي التهذيب
عزمة من عزمات الله اي حق من حقوقه وواجب مما اوجبه والعزم الصبر وقول السيد عيسى قال
المرزوقي العزم توطين النفس وعقد القلب على ما قصد فعله ولا يجوز اطلاقه على الله والعرب تمدح بقوته
لدلالته على قوة الطبيعة وعدم التزلزل في الرأي والتدبير والا لتمايظهر اولوية غير ما عزم عليه
فيتردد وقد علمت ما يخالفه من انه ورد اطلاقه على الله كما ورد في مسلم وصححه شراحه الا ان يريد انه لا
يطلق بالمعنى المذكور ولا يخفى بعده **واشدهم رافة ورحما** الرحم بضم الراء وسكون الحاء المهملتين يقال
برحمه رحمة ورحما رحم كقفل ورحما كرحفا فهو هنا منصوب او مقصور والرحمة العطف والشفقة والانعام
والرافة بمعناه فذكره هنا للتاكيد او هو عطف تفسيري او الرافة اخص لانها اشد الرحمة كما في الصحاح
وغيره وعلى هذا قدم الاخص الاعلى في الاثبات على عكس المعروف في استعمال البلغا للفاصلة كما قاله الشراح
تبعا للقاضي في التفسير وغيره ولا وجه له كما بيناه في حواشيه لان الرافة حيث قارنت الرحمة قدمت عليها
ولو في غير فاصلة كقوله تعالى رافة ورحمة ورهبانية ابتدعوها حيث قدمت في الحشو والذي غرهم
كلام الجوهري وغيره والحق تغايرهما حيث اجتمعا فان معنى الرحمة الانعام وارادته والرافة التلطف
والمعاملة برفق لانه يقابله العنف والتجبر كما يعرفه من تفهم كلام العرب فلا بد من تقديمها على الرحمة كما
قيل في المثل الايناس قبل الابساس وكما قال اضاحك ضيفي قبل انزال رحله • وقال الحسن
الكرم التبرع بالمعروف قبل السؤال والرافة البذل وتوضحه قول قيس

• ملكه ملك رافة ليس فيه • جبروت منه ولا كبرياء •

ومن تتبع مواقعه وعرف مقابله جزم بما قلناه وقال اشد هنا تفننا وايهاما للمطابقة كقوله تعالى
اشداء على الكفار رحماء بينهم **زكاه روحا وجسما** التزكية التطهير والتقديس والتنمية والزيادة اي
خلقه زايدا على من سواه منزها عن دنس البشرية ووسخ العناصر والكلام على الروح وانه جوهر مجردا
وسار في البدن سريان ما الورد في الورد او مما لا يدرك كنهه ولا ينبغي الخوض فيه مبسوط في تاليف مستقل
به والنفس تكون بمعنى الروح ايضا فتزكيته كونه في اكمل تقويم واحسن صورة متكملا بالقوى الظاهرة
والباطنة مطهرا من حظ الشيطان ودنسه في نفسه وبدنه بشق قلبه وغسله كما سياتي وفصل هذه
الجملة واتى بها فعلية لانها كالموكدة لما قبلها ولتكون الخطاب **وحاشاه** فعل ماض يقال حاشاه يحاشيه
قال ولا احاشي من الاقوام من احد • وليس هذا ماخوذ من حاشى الاستثنائية فانها مشتركة بين معان
ثلاثة فتكون فعلا متصرفا بمعنى جنب وباعد واداة تنزيه كما في قوله تعالى حاش لله وتكون للاستثناء
مفصلة في بابها وليس هذا محله وهل هو بمعنى اخرج او بمعنى نزه فنصب ما بعده على نزع الخافض اي من عيب
او عن عيب وبمعنى جنبه فنصبه على انه مفعول به وهذا اقرب سواء انه وارد عن العرب اولا وهذا تجوز او
تضمين فمعناه نزهه وعزله عن النوع الانساني الذي هو عينه للعيوب والضمير راجع للرسول صلى الله عليه وسلم
وقيل نصب ما بعده على التمييز كامتلاء الاناء ماء وفي الحديث احب الناس ما حاشا فاطمة وليس هذا محل الكلام
فالمعنى جنبه **عيبا ووصما** اي كل عيب ووصم لان النكرة في سياق النفي تعم مع ان النكرة قد تعم في الاثبات
والوصم بفتح الواو وسكون الصاد المهملة ان فسر بالعيب فهو من عطف احد المترادفين على الاخر اطنابا في
مقام الخطابة تتميما للفاصلة وان فسر بالعار كما في القاموس فهما متقاربان والتوصيم في الجسد كالتكسير
والفترة والكسل فعلى هذا يفسر بالتوانى وهو ابلغ والمعنى ان الله نزهه عن العيوب الحسية والمعنوية
ووفقه للجد في اموره من غير توان **وآتاه** بالمد بزنة اعطاه ومعناه فيتعدى لمفعولين **حكمة** في القاموس

انها العدل

انها العدل والحكم والنبوة والعلم والقران والكلام وهي من احكمه عن كذا اذا منعه لانها تمنع ص
صاحبها عن النقايص وقال البيضاوي هي في عرفهم استكمال النفس الانسانية باقتباس النظريات وكسب
الملكة التامة والمداومة على الافعال الفاضلة بقدر الطاقة البشرية قيل ولما لم يشمل ما ذكره القاضي
في تعريفه حكم الله قال بعض المحققين انها العلم بالاشيا كما هي والعمل به كما ينبغي وفيه نظر **وحكما** اي قضا
وفصلا للامور على الحق سواء كان الزاما للغير ام لا ويجوز ان يراد به خطاب الله المتعلق بافعال المكلفين ص
والاول اظهر ولذا اقتصر عليه الشراح ويكون بمعنى الحكمة وليس مرادا هنا وهي مساوية لها للاشتقاق
السابق وبينهما نوع من الاشتقاق يجوز ان يكون من جناس التحريف وما فيه من السؤال والجواب بعدم النظر
لها امر سهل لا ينبغي تكثير السواد بمثله **وفتح عينه** اي بسببه او البا للالة وفتح العين بمعنى فتح اجفانها
وهو كناية او مجاز عن جعلها مبصرة بعد ان لم تكن كذلك او هو عبارة عن كونه واسطة في نيل سعادة الدارين
بسبب دعوته وقيل انه سبب عادي لان الله جعل ارسال الرسل امارة لخلق الهداية فيمن ارسل اليهم كالشبع
والري **اعينا عميا** الاعين جمع قلة وكان مقتضى المقام جمع الكثرة لكنه اتبع اللفظ الوارد فيه كما ستراه
وجمع القلة قد يكون للكثرة كعكسه او هو هنا لنكتة كونه قليلا بالنسبة لقدرته تعالى ولكونها كانت
قليلة في الابتدا وسياتي تحقيقه **وعميا** جمع عمي ويكون جمع اعمى وهو صفة من العمى وهو عدم البصر عما
هو من شانه فانه لم يرد المعنى الاول فهو استعارة لا تمثيل وتشبيه جعلت الحواس الذي لا ينتفع بها كالمفقودة
فمن توهم ان ذكر الاعين المشبهة مانع من الاستعارة لم يفتح عينه وليس هذا كقول المتنبي ص

• انا الذي نظر الاعمى الى ادبي • واسمعت كلماتي من به صمم •

لان معناه ان كلامه لبلاغته وحسنه شاع وذاع حتى كان الاعمى يراه والاصم يسمعه **وقلوبا غلفا** جمع قلب
وهو العضو المعروف ويراد به العقل وقد فسر به هنا وهو الظاهر لقوله غلفا بضم الغين المعجمة وسكون
اللام جمع اغلف بمعنى ذي غلاف وغطا فهي مغطاة في اكنة ومنه غلام اغلف بمعنى اقلف من غلفت السيف
ونحوه ويكون جمع غلاف فاصله غلف بضم اللام فخفف وبه قرئ قوله تعالى وقالوا قلوبنا غلف ويصح ارادته
هنا على انه بدل استعمال فيكون المفتوح غلافه وغطاؤه وعلى الوجه الاول الاولى عطفه على الاعين المفتوحة
تغليبا او بتقدير وازال الغباوة قلوب غلف على نهج قوله • متقلدا سيفا ورمحا • وهذا مبني على ان القلب
محل العلم والقوة المدركة قايمة به لا بالدماغ وتغطية المحل يلزمها تغطية ما فيه ومعناه ان قلوبهم كانت
محجوبة عن الهداية فازال النبي صلى الله عليه وسلم حجابها وكشف غطاءه حتى اهتدت ففيه استعارة تمثيلية
او تخييلية ومكنية كما حقق في الكشاف وشروحه وهو لا ينافي قوله تعالى وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم
لانه فيمن طبع على قلبه وهذا في غيره او المنفي الدلالة الموصلة والمثبت مطلق الدلالة والاول اولى **وآذانا
صما** اذان جمع اذن بضمتين وتسكن تخفيفا وهي الجارحة المعروفة وصما بالتشديد جمع اصم كعمي وعميا
ويجوز فتح صاده على انه مفرد مونث ممدود قصر للوقف وصف به الجمع كجبال راسية • والصمم افة تمنع
السمع وفتحه ازالته مجاز مشهور ويقال في ضده انسدت استعير هنا لعدم الاذعان للحق والانتفاع
به لانها لم تسمع السمع المعتد به فنزل سمعها منزلة العدم فلما ارشد والحق وكشف عنهم وانقادوا وامنوا عنان
كانوا كمن زال صممه **فامن به** اي بالنبي صلى الله عليه وسلم وحقيقة الايمان جعل الغير في امان فهو متعد بنفسه
ثم ضمن معنى الاقرار والاعتراف فعدي بالبا كامن بالله بمعنى صدقه واعترف به وقد يعدى باللام وهو
في الشرع التصديق بما علم مجيء النبي به ضرورة تفصيلا فيما علم تفصيلها واجمالا فيما علم اجمالها وتلفظ القادر
شرط له فمن اخل به فهو كافر فهو كالعمل خارج عنه وذهب بعضهم الى انه جزء منه داخل في حقيقته الا انه
عند بعض المحققين جزء لا يلزم من عدمه عدمه كالشعر والظفر من الانسان والاوراق والشعب من الشجر

بالضم ص

كما ذهب اليه بعض السلف وتفصيله في كتب الكلام **وعزروه ونصروه** بعين مهملة وزاي معجمة ثم راء مهملة
بمعنى وقره ويكون بمعنى اعانه على عدوه والاول المراد لما فيه من التاسيس واصله المنع فاستعمل فيما ذكر
لما فيه من المنع عن الاهانة ونحوها وكذلك التعزير المعروف اطلق عليه لمنعه عن العود للجناية ولم يعدل
عنه لايهامه المعنى الاخير لدفع السياق له وترجيحه وموافقته للقرآن في قوله عز وجل وعزروه ونصروه
واتبعوا النور الذي انزل معه مع ما فيه من الاعتماد على اقوى الدليلين وهو اللفظ والفعل ولا يلتفت لما قيل لولا
القران لكان الاولى ان يقال عزروه بمعجمتين احترازا عن المشترك بين الاهانة وضدها والنصر الاعانة والدفع
عنه ما يضره ويقال نصرت السحابة اذا امطرت ونصره اذا اعطاه وقدم التوقير على النصر لموافقة الواقع
ودفع الاحتمال **من** موصول تنازعه الفعلان **جعل الله له** اي قضى وقدر كما علم بالنص كقوله اولئك هم
المفلحون وكل ميسر لما خلق له • واذا يسر الله سعيدا • لاناس فانهم سعداء • وليس في هذا ايجاب
ولا جبر كما توهم **في مغنم السعادات** مغنم كمقعد بمعنى الغنم والغنيمة وهي الفوز بما يطلب من الفيء ونحوه ويطلق
على ما يغتنم من كل شيء والسعادة ضد الشقاوة وتخص بالفوز بالنعيم الاخروي واضافة المغنم بالمعنى المصدري
لامية وهي بيانية ان كان بمعنى ما يغتنم ويجوز ان يكون كلجين الماء كما قيل وهو حسن لان المغنم والغنيمة
ما اخذ من العدو قهرا فكان المومنين لما اختصوا بالسعادة دون غيرهم كانهم سلبوهم اياها والجامع بينهما
ان كلا منهما له فايدة عظيمة لا تحصل الا بجد وجهد ولا وجه لما قيل ان وجهه خفي واقوى في التشبيه فانه
ظاهر لمن له ادنى تامل **قسما** بكسر القاف بمعنى الحظ والنصيب ويجوز فتحها قال في المصباح قسم من
باب ضرب فالقسم بالكسر اسم مصدري ثم اطلق على الحصة والنصيب ومناسبته للمغنم ظاهرة **وكذب به**
يقال كذب بكذا تكذيبا اذا انكره وجحده وكذبه اذا جعله كاذبا في كلامه هذا هو المعروف في الفرق بين المتعدي
بنفسه وبالبا والمراد انه انكر ذاته من حيث النبوة والرسالة ولم يقل كذبه لانه بمعنى ما بعده فمن فسره
بانه جعله كاذبا او انكره فقد خالف الظاهر وقيل المراد ان هذا الوعيد والشقا الابدي ثابت لمن انكره كان
وصفه بغير صفته كاسود او غير قرشي فقد فسره بغير مراده **وصدف** بمهملتين وفاء بمعنى اعرض **عن اياته**
جمع اية وهي العلامة والامارة واية القران منه ذات مقطع ومبدا وتكون بمعنى المعجزة التي هي علامة
النبوة ويجوز ارادة كل من معانيه هنا ووزنها فعلة ساكنة او محركة او فاعلة اي اعرض عن تدبر علامات
نبوته مكابرة كما قال تعالى ومن اظلم ممن كذب بايات الله وصدف عنها والايات تضاف الى الله والى الرسول كما هنا
لانه جاء بها وجرت على يديه تضد يقا له **من كتب الله عليه الشقا حتما** بمعنى حكم وقدر في الازل او اوجب
او كتبه في اللوح المحفوظ وقيل انه يكتب السعادة والشقاوة في بطن امه على جبينه او بين عينيه او في
رق ولا يرى في عنقه كما ورد وهو تمثيل السبق شقاوته وسعادته او هو على حقيقته وظاهره وحتما بمعنى
لازما وواجبا لا بد منه ولما كان الشقي لا يهتدي لمقاصده لعمى بصيرته نبه عليه مقتبسا فقال
ومن كان في هذه الدار الدنيا **اعمى** عن مشاهدة الايات الظاهرة **فهو في الاخرة اعمى** واضل سبيلا اتى
بالصفة البديعية من الاكتفا للسجع وعماه لعدم رؤيته طريق النجاة وهذه اشارة للدنيا ومن كان في
الدنيا اعمى القلب والبصيرة لا يبصر رشده كان في الاخرة اعمى عن طريق النجاة لا يراها واضل سبيلا منه
في الدنيا لزوال الاستعداد اولان الاهتدا بعد لا ينفعه والاعمى مستعار من فاقد الحاسة وقيل اعمى الثاني
افعل تفضيل كاجهل وابله ولذا لم يمله ابو عمرو ويعقوب فان افعل التفضيل تمامه بمن فالفه في حكم المتوسط
كما علم بخلاف النعت فان الفه متطرفة لفظا وحكما وكانت عرضة للامالة من حيث انها تصير يا في
التثنية واما امالة حمزة والكسائي وورش على اصله بين بين فيهما واورد عليه انه ينتقض بمثل قوله
بالذي هو ادنى والكافرين الا ترى ان حمزة والكسائي وابا بكر اما لوهما في الموضعين مع قيام هذا

الاحتمال

الاحتمال في الثاني ويمكن ان يقال المراد ان الفه في حكم المتوسطة والموضع اللايق للامالة آخر الكلمة
حيث تصير عند التثنية فنبه ابو عمرو ويعقوب على الفرق بين الكلمتين بامالة الاول دون الثاني او يقال
من امال الثاني راعى المشاكلة بينه وبين اصله وهو المعنى الحقيقي وفي بعض الشروح قالوا لكونه اسم تفضيل
امال ابو عمرو الاول دونه لان الفه غير متطرفة لما مر كما قاله الفارسي والزمخشري وفيه انهم اما لوا ولا ادنى
من ذلك مع التصريح بمن فلان يميلوه اذا قدرت معه اولى واحرى • اقول ذكروا للامالة اسبابا كمجاورة
الكسرة او اليا ولا يشترط فيه تطرف وكونها منقلبة عن يا او تصير يا في التثنية ونحوها وهذا يشترط فيه
ان يكون الفه متطرفة كما في التسهيل ثم انهم قالوا اسباب الامالة مجوزة لا موجبة فاذا اتصل بها ما يجعلها
في حكم المتوسطة وقارنت ما هي متطرفة حقيقة فترك امالته اذا اميل الثاني للفرق بينهما ارجح من الامالة تامة
فسقط ما ذكر برمته لانهم لم يمنعوا ان افعل التفضيل مع من ظاهرة او مقدرة فيه مانع من الامالة بل مرجح لتركها
لا سيما مع قصد الفرق بين افعل التفضيل وغيره وليس فيما ذكرنا اباه واما الكافرين فلا تحتاج للعذر لما
مر • فان قلت شرط افعل التفضيل ان لا يصاغ وصفه على افعل فعلا كالعيوب وما قابلها والالوان لان
حق فعله ان لا يكون ثلاثيا وفعل هذا النوع افعل المشدد اللام ولذا ضمت عينه اذا كان ثلاثيا كعود رعاية
لاصله وقال ابن مالك الاقرب ان يقال لما كان بنا الوصف من هذا النوع على افعل كاعور لم يبن منه اسم
تفضيل لئلا يلتبس احدهما بالاخر • قلت قد اجيب عنه بانه في العيوب الظاهرة وهذا في العيوب الباطنة
وهذا على التعليل الاول واما على الثاني فغير تام الا ان يقال حق وصفه ان لا يكون على افعل فعلا ويشهد له
قول الجوهري عمي وما خالفه محمول على غيره شذوذ افاذا اريد بالعمى عمى البصيرة فلا اشكال فيه فان اريد
عمى البصر عقوبة لهم فوجه التوفيق بينه وبين قوله فاذا هم قيام ينظرون ان في القيمة مواقف مختلفة
باختلاف احوالهم والاقتباس هنا مبين لما قبله ومثبت له وعطفه رعاية للنظم فانه لما ذكر ان من كذبه
واعرض عن ايمانه متحتم الشقاوة عقبه بما يدل عليه من كلام الله وفي الكشاف ان العمى حقيقة في البصر
والبصيرة والعمه مخصوص بالثاني فحينئذ يجوز بنا اسم التفضيل منه فان كان حقيقة في البصر فقط لم
يتجه بناؤه كما في درة الحريري لان ما يمتنع في الحقيقة يمتنع في مجازها الا انا اذا قلنا لا يجوز بنا التعجب من
الموت لا يصح ان يقال ما اموته فمن منع بنا التفضيل من الالوان والعيوب لا يجوزه بعد التجوز فيه والقول
بانه تمثيل لا يجدي الا الفساد اذ لا يجوز في مفرداته فهو غفلة من قايله • ولما ذكر انه صلى الله عليه وسلم
وصل الى اعلا مراتب الكمال وان كمال غيره انما هو بصدايته والاقتباس من نور شريعته ناسب ان يعظه ومن عو
له ادا لبعض حقه وتوسلا به الى الله تعالى في قبول حمده واتمام قصده فقال **صلى الله عليه وسلم** والصلاة
في العرف عبادة معروفة وفي اللغة الدعا وفي اشتقاقها كلام مفصل في محله وما اشتهر من انها من الله
رحمة ومن الملايكة استغفار ومن الادميين تضرع ودعا صح عن السلف وبه تمسك الشافعي في جواز الجمع
بين معنى المشترك ورده صاحب التوضيح بما هو مذكور في كتب الاصول ولما فيه من معنى التعطف
عدي بعلى للمنفعة مع تعدي الدعا بها للمضرة وعقب الحمد بالصلاة لقوله تعالى ورفعنا لك ذكرك
فان السلف فسروه بلا اذكر الا وتذكر معي كما سياتي ولذا ذهب كثير من الشافعية الى كراهة افراد
الصلاة عن السلام لفظا وكتابة وهو خلاف الاولى والسلام اسم مصدر بمعنى التسليم وخص الانبيا
بالصلاة والسلام استقلالا كما خص الصحابة غالبا بالترضية وغيرهم بالترحم والاصح انه لا يكره
الدعا بالرحمة للنبي صلى الله عليه وسلم كما لا يكره التسليم على الصحابة وان كان من اداب الشريعة
تركه مراغمة للشيعة في التسليم على ال البيت وعندي انه يكره الدعا بالرحمة للنبي صلى الله عليه
وسلم من العامة في مواطن لم يوثر فيه لا سيما منفردا **تنمو وتنمي** كذا في غالب النسخ كما قاله الكرماني
صلوع

وفي بعضها تنمي بفتح المثناة وكسر الميم وتُنمى بضم التا الفوقية وفتح الميم وفي المقتفي ان الاول
اوضح واصح رواية ودراية وفي المصباح نمي الشيء ينمي من باب رمي نما بالفتح والمد كثر وزاد وفي لغة
نما ينمو من باب قعد ونميته الى ابيه نسبته نميا وانتمى انتسب وضبط الثاني على الرواية الاولى
بفتح المثناة والميم مضارع نما ينمي كابى يابى وعلى ضمة تائه وفتح ميمه وهو مجهول من نما الحديث
ينميه اي رفعه وبلغه فالمراد بالاول انها تكثر وتضاعف تضاعف الحسنات او هو دعا بتكثيرها
الى غير النهاية والثاني بمعنى ترتفع الى الملا الاعلى لقبولها اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح
يرفعه وقيل تنمي الاول بصيغة المعروف اي تزيد وترتفع بنفسها كالشجرة وفي نسخة صحيحة تنمو
بالواو وتعقب بان صاحب الصحاح ضعفه ويرده حكايته في القاموس وغيره انتهى والظاهر
ان تنمو بمعنى تزيد والثاني بمعنى تبلغ وترفع وتبلغه لما سياتي من ان لله ملايكة تبلغ صلاة من
صلى عليه فلا حاجة لما قيل من ان الثاني بصيغة المجهول اي يزاد عليها بانضمام مثلها معها فاندفعت
المناسبة بان كل رحمة تنمي وهي تنمي على انه يحتمل التاكيد انتهى فانه تعسف انت في غنية عنه بما قدمناه
وكذا ما قيل من ان المطلوب صلاة مستقرة مستمرة تنميها فتنمو وتزيدها فتزيد وهذه الجملة انشائية
او خبرية كما بينا لعليه **وعلى آله** عطف على قوله عليه وقيل على المجرور باعادة الجار واصل معناه الاتباع
ولذا لم يضف في الاكثر المطرد الا الى العقلاء الاشراف وزيد فيه الذكور والكل اغلبي كقولهم آل الله
وآل البيت قال

• وانصر على آل الصليب اليوم آلك •

فهو اخص من الاهل ثم خص في العرف
بني هاشم وبني المطلب وقيل عترته واهل بيته وقيل هم جميع امته واختاره الامام مالك والنووي
والاصح تجويز اضافته الى الضمير وان زعم المبرد انه من لحن العامة وانه اذا اضيف يقال اهله واصله
اول لان الكثير يرجع اليه في المهمات وقيل اصله اهل انقلبت الهاء همزة والهمزة الفا واستدل بتصغيره
على اهيل ولا دليل فيه لانه قيل اهل واهيل وآل واويل قيل كان ينبغي ذكر الصحب لان الصلاة تستحب
عليهم ايضا واجيب بان معناه هنا الامة والاتقيا منهم فتشملهم مع الاختصار وهو مذهب مالك والمصنف
مالكي وقد تفرد ابن عبد السلام بانه لا يستحب الا ذكر من ورد ذكره في الحديث من الآل والازواج والذرية
وهو غير مرضي **وسلم تسليما** سلم بصيغة الماضي والامر وهذا موجود في اكثر النسخ وقد سقط من بعضها
كما في بعض الشروح وهو يحتمل ان يكون تسليما لمن ذكر قبله تاكيدا له بحسب المعنى كفعله ومصدره او
لقوله على آله بعطفه على صلة الصلاة السابقة على السلام بجعل تشريكهم معهم في اصل الصلاة والتسليم
تمييزا لشرفه وعلو قدره ولما كان المستحب ان لا يفرد الآل بالصلاة عن السلام اردفه به تتميما للمقام
كما ارتضاه الشارح الفاضل ويحتمل ان يفيد العطف التشريك في الصلاة والسلام ويكون ما ذكر تاكيدا
له وهذا دعا المقصود به تعظيمه ومعناه السلام عليه او جعله سالما من النقايص والآفات واما تاكيد
السلام بالمصدر دون الصلاة اقتداء بالنظم المجيد ولان الصلاة من الله والملايكة رحمة وتعظيم واقع
منهم بلا تردد واما البشر فلما صدر عن بعضهم كالكفرة ما صدر من اذيتهم وتنقيصهم امروا مع الصلاة
بالتسليم من النقايص والانقياد واكد لوقوع الانكار وما يخالفه وهذا مما خفي على بعض الناس وقال
الفاكهاني في الصلاة لما اكدت باعلام بانه وملايكته يصلون عليهم وبتقديمها اعتناء بشانها ولا كذلك
السلام فحسن تاكيده بالمصدر خبر اله وهو لا يجري هنا كما توهم لانه اخبر ان الله عز وجل صلى عليه بقوله
صلى الله فيكون قوله بعده وسلم بصيغة الامر اي سلم اي السلام عليه فيطابق الاية لفظا ومعنى وهو
تعسف غني عن الرد ثم ان المصنف اتى بسجع الخطبة على روي واحد ولم يجعل كل فاصلتين على حدة وهو
اسلوب من اساليب السجع ثم ذيله بما هو خارج عن السجع ومثله كثير في الخطب فمن توهم انه منه واورده

عليه انه يطول بعد فقره وهو معيب فقد وهم اذ لا يتوهم ان تسليما كالقافية هنا الا بتكلف
اما بعد اما حرف شرط لوقوع الفا بعده لفظا او تقديرا وتوكيد لان معناها مهما يكن من شيء فقد
علق شرطها على وقوع شيء ما في الكون مما لا يخلو عنه ضرورة فكانه قال انه واقع على كل حال البتة وتفصيل
غالبا او دايما بتقدير معادل فيما لم يذكر ويفصل بينهما وبين الفا بامور ذكرها النحاة منها الظرف كبعد
هنا والعامل اما او فعل مقدر او ما في حيز الجواب وهو مبني على الضم كغيره من الظروف المقطوعة عن
الاضافة واجاز ابن هشام فتحه من غير تنوين قال ابن النحاس انه غير معروف وروي عن سيبويه رفعها
ونصبها كما فصل في محله واما بعد قيل انها فصل الخطاب واختلفوا في اول من تكلم بها **اشرق الله في
قلبي وقلبك** اشرقت الشمس ونحوها بمعنى اضاءت وهو لازم كما قال تعالى واشرقت الارض بنور ربها
وقد استعمل متعديا في كلام المولدين كما هنا فتكون اما حملا له على اضا لانه بمعناه والشيء يحمل على نظيره
وضده واضا جا متعديا ولازما كما صرحوا به وهو مضمن معناه او معنى التصيير اي صير الله قلوبنا
مشرقة كما قيل في قوله

شعر

• ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها • شمس الضحى وابو اسحاق والقمر •

والخطاب هنا للسايل الاتي وهذه جملة دعائية معترضة بين الشرط والجزا لانه بعد ذكر الظرف
لا يذكر فاصلا آخر والقلب معروف ويطلق على العقل والروح ومما قيل انه لطيفة ربانية لها تعلق خاص
بالقلب الجسماني لا يوقف على حقيقتها تبع فيه بعض الصوفية وكانه اراد الاخير ثم ان المصنف بدا بنفسه
في الدعا كما ورد في القرآن رب اغفر لي ولوالدي وفي حديث رواه الترمذي كان اذا ذكر احدا ودعا
له بدا بنفسه وقد وقع ما يخالفه كثيرا فقال الزركشي في حواشي ابن الصلاح بان ذلك اذا كان المدعو
به واحدا فان تغاير فهو مخير وقال النخعي كانوا يقولون اذا دعوت فابدا بنفسك فانك لا تدري في
اي دعايك يستجاب لك فبين العلة فيه وليس هذا مخصوصا بالحديث الاخر وهو كان اذا ذكر احدا
من الانبيا بدا بنفسه فقال رحمة الله وعلى اخي كذا فانه لم يذكر للتخصيص وفي شرح المقدمة البرهانية
للمنتقى سن الله بتقديم الدعا للاخوان ايثارا واظهر لما ورد في الحديث ان العبد اذا دعا لاخيه المسلم قال
الله تعالى عبدي ولك ابدا اي فضيلة تلتمس وراء هذه وهي كونه مبدوا به في الاجابة فمقام الايثار
مقام عال شريف فان شا بدا بنفسه وان شا بدا بغيره انتهى فقد علم مما قالوه انه اذا دعا لنفسه وغيره
في الافضل من طرفه اقوال قد يجمع بينها بانها بحسب المقام ولكل امرئ ما نوى **بانوار اليقين** الانوار جمع
نور وهو كالضوء الا ان بينهما فرقا ولذا قال الله تعالى جعل الشمس ضيا والقمر نورا وفيه تفصيل ذكرناه
في حواشي البيضاوي وهل هو جرم اولا وفيه كلام في كتب الحكما فقيل عرض يحصل في الاجرام عند مقابلة
النير بتوسط جرم شفاف كالهوا والما والمفيض له المبدا الفياض المقتضي للضوء بالشروط المعدات
للاضافة فلولا قصور البشرية ما احتاجت لواسطة وقد قيل ان مشاهدة كل ما يرى بتوسط نور النار
المقتضي للنور على ما يقبل الاضافة بمثابة حق اليقين والاتصال به عين اليقين • ثم ان النور لما كان ظاهرا
بنفسه مظهرا لغيره شاع اطلاقه على ما ضاهاه كالرسل والعلم والعقل فان فهمت فهو نور على نور واليقين
ايقان العلم بنفي الشك والشبه عنه بالاستدلال ولذلك لا يوصف به علم الله والعلم الخصوصي والضروري
فنور اليقين اما من قبيل لجين الما اي اليقين الذي هو كالنور في قوة الظهور وقيل المراد الادلة المبينة
له استعارة او العقل اي يرزقنا الله عقلا سليما نهتدي بنوره الى سبيل الرشاد وشرح مشكاة صدورنا
لنعلم علوما نافعة ساطعة البرهان ودعا بذلك لان ما ساله يتوقف عليه وقيل المراد بنور اليقين
العلم اللدني وهو معرفة الذات والصفات بمشاهدة كشفية لا بمجرد ادلة عقلية ونقلية ومنه علم الخضر

وهذه مرتبة فوق مرتبة الايمان بالغيب ولا يخفى بعده **ولطف لي وللك** لطف كقعد وهو من اللطف
وهو الرفق والرافة وهو من صفات الله وفيه تفاسير منها التوفيق والبر والاحسان ومقابلة عباده بذلك
وبايصاله من حيث لا يشعرون ولذا يوصف بالخفا وجعل تذييلا لقوله تعالى لا تدركه الابصار
وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير ومن ثمة قيل انه من اللطافة المقابلة للكثافة وقيل انه العلم
بالدقايق التي لا يهتدى لها والمشهور تعديته بالبا كقوله تعالى لطيف بعباده وجا تعديه باللام في قوله
ان ربي لطيف لما يشا من معنى التوفيق والتيسير او تضمين لهذا او لمعنى الايصال كما ذهب اليه صاحب
العمدة والراغب وذهب صاحب المجمل الى انه حقيقة وفي النهاية يقال لطف به وله اذا رفق واليه اشار
من قال هو اجتماع الرفق في الفعل والعلم بدقايق المصالح وايصالها لمن قدرت له ولذا جمع المص بين حرفي
التعدية فقال **بما لطف به لاوليايه المتقين** وهو انما يتعدى باحدهما فاما ان يقدر لاحدهما متعلقا
او تجعل سببية لا متعدية وفي نسخة بما لطف به لعباده بالباقيهما وهو ايضا بما مر فلا غبار على كلامه كما قد
توهم والاوليا جمع ولي فعيل بمعنى فاعل لانه موال لله وبمعنى مفعول لانه تعالى تولى امره وله معنى عام
وهو كل مسلم منقاد لله وخاص وهو العارف بالله وصفاته المواظب على طاعته المجتنب للمعاصي المعرض
عن اللذات والشهوات المستغرق في شهود الذات المتحلي بكل خلق محمود وله مراتب الا انه لا يشترط فيه ان
تكون له كرامة وقال الدواني هو المتقي العارف بالله وصفاته المتوجه بكلية قلبه الى جناب قدسه تعالى
والمراد بالمعرفة ما كان عن كشف صريح صحيح بعد التهذيب او ملاحظة ذاته وصفاته في كل افعاله وعند
الصوفية هو الفاني في الله الباقي به والفنا الاستغراق في مشاهدته القلبية بحيث لا يشعر بغيره حتى
بنفسه وعموم شعوره وهو نهاية السير اليه والبقا به لكونه مظهرا لافعال الله ومراداته من غير اختياره في
عين اختيار والمتقين صفة كاشفة او المراد بها معنى خاص لان المتقي اسم فاعل من الوقاية وهي الصيانة
وفي العرف من نفى نفسه عما يضره في الاخرة وله مراتب اولها التوقي عن العذاب بالتبري عن الشرك
وعليه قوله والزمهم كلمة التقوى وثانيها التجنب عن الموثم فعلا وتركا حتى الصغاير عند قوم وعليه قوله ولو
ان اهل القرى آمنوا واتقوا وثالثها ان يتنزه عما يشغله عن الحق فينقطع اليه بكليته وهو المراد بقوله
واتقوا الله حق تقاته فهو دعا بان يوفقه لتيسير ما يسره **الذين شرفهم الله عز وجل بنزل قدسه** الشرف
في الاصل المكان العالي نقل للعلو والرتبة والمنزلة والنزل بضمتين ويخفف بتسكين ثانيه وهو الفضل والريع
في الطعام يقال طعام كثير النزل فاستعير للحاصل من الشي وهو ايضا ما يهيا للضيف اذا نزل ثم قيل
لمطلق الزاد والكرامة وهذا هو المراد هنا ويكون بمعنى المنزل والمسكن قال تعالى كانت لهم جنات الفردوس
نزلا ويصح ارادته ايضا والقدس بضمتين ويخفف مصدر بمعنى الطهر واسم جبل المقدس لطهارته بالعبادة
فيه والمقدس من اسما الله تعالى بمعنى المنزه عما لا يليق به والمبارك وقدس الله وحظيرة قدسه الجنة وهو
المراد اي شرفهم بكرامة لهم في جنته او باسكانه اياهم فيها او بكرامة تطهيره اياهم او تحمل الطهارة نزلا
على الاضافة البيانية كما قيل والحاصل انه خصهم بتشريفه وعلو منازلهم وتطهيرهم عن النقايص للتنزه
التخلي على التجلي عقبه بقوله **واوحشهم عن الخليقة بانسه** في نسخة من بدل عن واوحش ماض بمعنى صيرهم
في وحشة ونفرة عما لا يلايم ومنه الوحش والانس ضده وهو التقرب مع الانبساط لما تهوى ولذا قيل
الانس ارتفاع الحشمة مع وجود الهيبة وقيل هو انبساط المحب الى المحبوب والوحش بالسكون والوحش بفتح
الحاصفة منه بمعنى المتوحش وشاع في العرف بمعنى القبيح ولذا تطرق القائل شعر ٥

ووحشة لم تزل تحركها • يد النوى فهي دايما وحشة •

وللخليقة بمعنى الخلق والناس ويكون بمعنى الخالق والطبيعة وبمعنى الجديرة خليقة بكل مدح خليقة

وبآنسه

وبآنسه يعني ان انسهم بالله واستغراقهم في مشاهدته نفرهم عمن سواه والانس هنا روحاني
كما قيل شعر

وحبيب قلبي في الفواد انيس • فالجسم مني للجليس موانس •

وخص من معرفته من بيانية مبينة لما الآتية قلنا بجواز تقديم البيان على المبين كما ذهب اليه بعض
النحاة والمانع يقول هو بيان لامر مقدر والاتي تفصيل لما ابهم واجمل في ذلك المقدر ومعرفة الله
معرفة ذاته وصفاته بوجه ما ولها مراتب وهذا ما لا خلاف فيه انما الخلاف في معرفة الذات بالكنه هل هي
واقعة ام لا ممكنة ام لا كما فصل في الكلام ومعنى المعرفة معروف **ومشاهدة عجايب ملكوته** المشاهدة
المعاينة من الشهود وهو الحضور والملكوت صيغة مبالغة من الملك كالرحموت من الرحمة وقد يخص بما
يقابل عالم الشهادة ويسمى عالم الامر كما ان مقابله يسمى عالم الشهادة وعالم الملك قيل وهو المراد هنا
فهو ما غاب عن الحس وقيل بل المراد هنا الملك المشاهد ومن في قوله من معرفته ابتدائية لا بيانية اي
ان الله خص اولياءه بما سرهم وولههم لانهم لما عرفوه نظروا الى عجايب مصنوعاته فنشا لهم ما ملاهم
نضرة وسرورا ثم نزلت بهم حيرة بين الطمع في الوصول والياس كما قيل شعر ٥

حيرة عمت فاقتي • رام عرفانا فلم يجر •

ومن الجمل البيانية بنا على جواز تقدمها كما مر ففيه
احتمالات لكل منها وجه **وآثار قدرته** اثار بالمد جمع اثر واثار القدرة المقدورات البارزة في الوجود
بعد تعلق القدرة بها من بين الممكنات وقد حمل هذا على عالم المشاهدة المحسوس وما قبله على عالم الغيب
كما سمعته آنفا وهو الاحسن من حملها على الثاني **بما ملا قلوبهم حبرة** بفتح الحا المهملة وسكون البا
الموحدة ويجوز فتحها كما قاله التونسي ثم را مهملة تليها ها تانيث وملا مهموز ضد فرغ والحبرة السرور
وهو منصوب على التمييز وما الموصولة عبارة عما انكشف لهم من المعارف الالهية من مطالعة صحف الموجودات
ولطايف المصنوعات والقلب معروف وتفسيره بلطيفة روحانية تكلف **وولهت عقولهم في عظمته
حيرة** وله مشدد اللام تفعيل من الوله يقال وله يله ولها من باب تعب وفي لغة قليلة من باب وعد
والذكر والانثى واله ويجوز في الانثى والهة كذا في المصباح والوله الحزن او ذهاب العقل الناشي
منه وفي المصباح وله اذا ذهب عقله من باب فرح او حزن وقيل الوله لغة نفس الحيرة والعقل قوة
للنفس بها ادراك الانسان وتمييزه عما سواه شعر

لولا العقول لكان ادنى ضيغم • ادنى الى شرف من الانسان •

والحيرة بفتح الحا المهملة وسكون المثناة التحتية والرا المهملة
قال في المصباح حار في امره يحار حيرا من باب تعب وحيرة لم يدر وجه الصواب فيه فهو حيران
وقال الازهري اصله ان ينظر الانسان الى شي فيغشاه ضو فيصرف بصره عنه وفي الصحاح الوله
ذهاب العقل او التحير من شدة الوجد وهو في العرف كونه متهوتا واقفا بين المعرفة والذهول فان اعتبر
فيه العقل او الحيرة فلا بد فيه من التجريد والافلا وهو منصوب على انه مفعول مطلق لوله او تمييز والمعنى
انهم عجزوا عن ادراكها فكلما ازدادت العظمة ازداد العقل تحيرا وثبورا فان العظمة جلال الله وكبرياؤه
التي تقف العقول دونها وفي التفسير في حديث الكبريا ردائي والعظمة ازاري اشارة الى الفرق بينهما
وهو ان الكبير من هو في ذاته كبير سوا استكبره غيره ام لا وسوا عرفت هذه الصفة ام لا والعظمة عبارة
عن كونه بحيث يستعظمه غيره فالصفة الاولى ذاتية لا الثانية والذاتية اعلى واشرف فلذا جعلها ازارا
وتلك ردا وقيل له منكر دون مقابله وفي العبارة تجنيس ولف ونشر ان قلنا الذي ملا القلوب سرورا
معرفته والذي حير العقول عجايب ملكوته واثار قدرته لان من عرفه ابتهج بعبوديته وترقب فيضه
والعبد بر هو على مقدار مولاه وايرات تلك المشاهدة الوله والحيرة لان عيون البصاير لا تطيق النظر
لاشعة انوار القدس **فجعلوا همهم به واحدا** الفا تعقيبية او تفريعية والهم في الاصل مصدر بمعنى

الحزن والعزيمة والارادة وكل مطلوب يهمك ويعنيك وكل من المعاني غير الاول جايز هنا اي لما
شاهدوا باهر قدرته وتحيرت عقولهم في كبريا عظمته علموا ان ما سواه كلا شي فوجهوا جميع وجوه الارادة
والعزيمة اليه وجعلوا قبلتهم واحدة ولا مراد لهم سواه لاشتغالهم به عما عداه

تملك بعض حبك كل قلبي • فان ترد الزيادة هات قلبا •

وفي التفسير الكبير ورد عنه صلى الله عليه وسلم من جعل همومه هما واحدا كفاه الله هم الدنيا والاخرة
فكان العبد يقول همومي في الدنيا والاخرة غير متناهية فلا يقدر عليها الا الموصوف بقدرة غير متناهية
فانا لا اقدر على دفع حاجاتي ولا على تحصيل مهماتي بل القادر عليها الله سبحانه فانا لذلك اجعل همي
مشغولا بفكره ولساني وقفا على ذكره فاذا فعلت ذلك كفاني برحمته مهمات الدنيا والاخرة انتهى

وقلت انا في معناه
من صير همه جميعا هما • يكفاه ربه السرور كيلا جما •
والخوف بذا لحتماهما • من يسبح لا يخاف بحر اطما •

وباؤه سببية لا صلة لهم اي جعلوا قصدهم واعتناهم به تعالى حال كونه واحدا في القصد به فلا
يقصد سواه او حال كون قصدهم واحدا فلم يريدوا منه الا اياه الا ان فيهم قصورا فعرفوا انه لم يبق لهم
طلب ومطلب فقصدوه لا لشي وهذا معنى قولهم آخر ما يخرج من الصديقين حب الجاه فيتجلى لهم جمال
ذي الجلال حتى نسوا انفسهم وتناسوهم وهو كلام نفيس لكنه لا يناسب كلام المصنف والجار والمجرور يجوز
ان يكون مفعولا ثانيا وجعل واحدا حالا من الضمير المجرور او من الضمير المستتر في الجار والمجرور وهو
الاولى **ولم يروا** حقيقة لا مجازا وقيل لا حقيقة ولا مجازا **في الدارين** الدنيا والاخرة واصل معنى الدار
معروف وقد شاع في لسان الشرع فيما ذكر حتى صار حقيقة فيهما فكانهما لقلتهما عند الله بمنزلة دار
انزل فيها بعض عبيده والغافل يظنه مكانا سكنها ونقد غيره كراها **غير مشاهدا** الضمير لله وجملة لم يروا
معطوفة على جملة جعلوا لانهم اذا لم يهتموا بغيره ذهلوا عما عداه ويحتمل عطفها على اول الجمل وهذا محتمل
المعنيين الاول ان يريد ان في الكون مشاهدات سواه ولكن العارف المستغرق في مشاهدة جماله وجلاله
لا يراها وهذه مشاهدة الصديقين وتسميها الصوفية الفنا في التوحيد والثاني ان يريد انه ليس في
الوجود غيره لان كل شي هالك الا وجهه وكان الله ولا شي معه وهو الآن كما كان على ما قاله ارباب الشهود
فالمراد انه لا يشاهد حتى يروه على حد قوله • لا ترى الضب بها ينجحر • ورجح بعضهم الاول والمشاهد
اسم مفعول بمعنى المدرك بحاسة البصر من الشهود وهو المعاينة او الحضور وفي الشروح هنا كلام
طويل لا حاجة لنا به **فهم بمشاهدة جماله وجلاله يتنعمون** الجمال الحسن الذاتي لا الصوري والمتبادر
من الحسن الثاني ولذا لا يوصف به الله بدون تقييد ورد وصف الله به في الحديث يقال ان الله جميل
يحب الجمال وليس مشاكلة كما فصله شراحه والجلال العظمة يعني انهم يشاهدون جمال ربهم وانوار ذاته
بعيون البصاير والبصر في الآخرة يرونه دون احاطة كرؤية غيره او لو مي يومي اليه جعل المشاهد
نفس الجمال والتنعم الترفه والتلذذ فلا نعيم لهم بغير تلك المشاهدة كما قال تعالى ورضوان من الله
اكبر على ما بينه المفسرون ولم يخلق الجن والانس الا للعبادة وبها تصفية الباطن وصقل الحواس
حتى تعبد الله كانك تراه وقوله بمشاهد يتعلق بيتنعمون قدم عليه للحصر وله غاية الفاصلة
وفي نسخة كماله بدل جماله والتنعم بالجمال والكمال ظاهر واما الجلال فقيل انه يقتضي الادب والخوف
فلا يناسب التنعم فيحتاج للتاويل او التغليب وليس كذلك فان القرب ممن عظم وجل من ان يتقرب لحضرة
قدسه اعظم وقعا من غيره فان من تقرب من سلطان جليل يسر ويفتخر بقربه وفي حكم ابن عطاء الله النفيس
وان تنوعت مظاهره انما هو بشهوده واقترابه والعذاب وان تنوع انما هو بوجود حجابه **وتبين آثار قدرته**

اي تتردد وراته **وعجائب عظمته يترددون** يعني انهم قايمون في مقام جايلة فيه افكارهم لا يفترون
عن الجري في ميادين الاعتبار فتذهب تارة الى بدايع المصنوعات المشاهدة في مرائي آثار باهر
قدرته وتارة ترقى ادق عظمته فتظل اعناقهم خاضعة وعيون ابصارهم خاشعة والتردد
المجي والذهاب فشبهت حركات الاوهام المعنوية بحركات الاجسام الحسية ومنه التردد بمعنى الشك

قال الشاعر • لا تنكرن عدم الزيادة سيدي • فمحبتي طبع بغير تردد •

والمراد يواظبون على التفكر في عظمة الله ففيه استعارة تمثيلية **وبالانقطاع اليه** الانقطاع مطاوع
قطعه افصله فانقطع ثم شاع في التوجه لاحد ولا مدد وترك غيره وهو المراد هنا ولذا عداه بالى
ويتعدى باللام ايضا يعني انهم توجهوا الى الله ظاهرا وباطنا وقطعوا علايق الخلايق لتوكلهم عليه
ورضاهم بما قضاه وقدره وبجعلهم امورهم مفوضة الى الله عز وجل ونفوا الا ان عبد الملك العظيم
الملازم لسيده قوي عزيز ولذا ورد في الحديث من خاف الله خاف منه كل شي **والتوكل عليه يتعززون**
والتعزز تفعل من العز ضد الذل ويكون بمعنى القوة ومنه قوله تعالى فعززنا بثالث وكلا المعنيين
جايز هنا **لهجين** جمع لهج بزنة حذر اي ملازمين مداومين لذكر الله وقولهم هذا من اللهجة بفتح
اللام وسكونها وهي في الكلمة اللسان او طرفه ويطلق على الكلام يقال هو فصيح اللهجة ولهج بالشي
من باب تعب اولع به ولزمه كما في المصباح **بصادق قوله قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون**
يعني ان هؤلا المخلصين المختصين به الذين شغلوا ظاهرهم وباطنهم بمحبته وردهم دايما ذكر الله
والاعراض عما سواه متمثلين هذه الآية يعنون انهم مراقبون لله معرضون عن غيره ولذا يامرون انفسهم
او يامر بعضهم بعضا بما ذكر والصدق مطابقة الخبر للواقع مع الاعتقاد كما هو معروف ووصفت هذه
الجملة الانشائية نظرا لما تضمنته او لمقول مقدر كربنا الله ونحوه او لان الامر للمتاركة مثاله نحن لا
نعبا بكم ومقصود المصنف التمثل به كما تمثل به الشبلي لمن قال له اوصني فقال له عليك بالله ودع ما سواه
وكن معه ثم ذرهم في خوضهم يلعبون وبهذا سقط ما اورده الشراح من انه كيف وصف الانشا بالصدق
وان الآية ليست مناسبة هنا فانها هكذا وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شي
قل من انزل الكتاب الذي جا به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا
الخ اي قل الله الذي انزل التورية وانزلها الله فامره الله بجواب منكري الوحي اما لتعين الجواب وتنبيها
على انه لا يمكن غيره او تنبيها على انهم مبهوتون لا يقدرون على الجواب ثم قال لهم ذرهم في اباطيلهم فما عليك
الا البلاغ وجملة يلعبون حالية فيتمثل بها المصنف لترك ما سوى الله والانقطاع له كما تمثل بها الشبلي
وان كان سياقها في التلاوة لمعنى آخر اذ يكفي لمثله المناسبة بوجه ما وقيل وصف هذا القول بانه
صادق وصف له بوصف صاحبه مثل كتاب صادق وقيل الصدق هنا هو الخلوص او الثبات والكمال
كصادق الحلاوة ومنه الصداقة ولا حاجة اليه لما مر واضافة صادق بجرد قطيفة واستعارة الخوض
من المشي في الما للاقتحام في الباطل كما قرره المفسرون ونحوه استعارة الخياض وفي بعض النسخ بعد
قوله تعالى وهي جملة حالية او معترضة للتعظيم والتمييز والاشارة الى ان ضمير اليه لله فليس
هذا اقتباسا كما توهم لان شرطه ان لا يذكر انه من كلام الله ثم انه قيل ان معنى هذه الآية قل يا محمد جوابا
عن قولهم من انزل التوراة الله انزله ثم ذر الكفار في اباطيلهم وهو لا يناسب هذا المقام الا ان يقال
ما له الامر بقول الحق والاعراض عن الباطل اقول ما ذكروه يتراءى في بادي النظر وليس بشي
لما مر وان سلمه الشراح واجابوا بان المراد لهجين بمثل هذا اقتدوا بقوله تعالى في دفع المنكرين
المغرورين بالدنيا التي امرها لهو ولعب باطل لا ما فيها من ذكر الله فيتم الاقتباس من نور التنزيل

ولينا سب المقام ومقام المصنف اجل من ان يخفى عليه مثله وهو على طرف الثمام وههنا بحث وهو
انه قيل ان ذكر الله بتكرير الجلالة بدعة لا ثواب فيه قال الحطاب في شرح مختصر خليل • سئل العز بن عبد
السلام عمن يقول الله الله مقتصرا على ذلك هل هو مثل سبحان الله والله اكبر ونحوه • فاجاب ما نصه
بدعة لم ينقل مثله عن احد من السلف وانما يفعله الجهلة والذكر المشروع لابد فيه كله من ان يكون جملة
مفيدة والاتباع خير من الابتداع ونحوه ما افتى به البلقيني في قوم لا يزالون يقولون محمد محمد كثيرا ثم
يقولون في اخره مكرم معظم • فاجاب بانه ترك ادب وبدعة ولم ينقل ولا يثاب عليها وكذا قولهم على محمد
وتابعه عليه كثير من العلما اقول ما ذكره في اسم النبي صلى الله عليه وسلم مكررا وكونه بدعة ظاهر
لانه لم يتعبد بمثله مع انه داخل فيما نهي عنه لقوله تع لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا
ولم يرد تعظيم النبي الا بالدعا له والصلاة عليه فلو عظم بغير ذلك كان مراغما للسنة ولو ذكر احد سلطانا
باسمه زجروه واهانوه فما بالك باشرف الخلق واعظمهم واما ذكر الله فقد ورد الامر به ووعد ذاكره
بالثواب في آيات واحاديث لا تحصى كقوله الذاكرين الله كثيرا والذاكرات وفي الحديث القدسي من اشغله
ذكري عن مسئلتي اعطيته افضل ما اعطي السائلين الى غير ذلك مما لا يحصى ولا يتقيد بقيد على ان الذاكر
قصده التعظيم والتوحيد فهو اذا قال الله ملاحظا المعناه فكانه قال معبودي واجب الوجود مستحق
لجميع المحامد ولم يزل اهل الله من العلما والصالحين يفعلونه من غير نكير وكان الاستاذ البكري يفعله ويقول
استغفر الله ما سوى الله وكل شي يقول الله وفي مجلسه اجلة العلما والمشايخ وهذا هو الحق وقد صنف
في رد مقالة بن عبد السلام هذه عدة رسايل رايناها وممن صنف فيها القطب القسطلاني والعارف بالله
المرصفي والشيخ عبد الكريم الخلوتي وبه افتى من عاصرناه اللهم احشرنا في جملة الذاكرين ولا تجعلنا من
الغافلين **فانك** جواب اما واكده لان المسئول عنه حسن توكيده والخطاب لسايل معين محقق سالا او لغير
معين مفروض وما قيل من ان مقام المصنف اعلى من ان يفرض سايلا يخاطبه وان قوله كررت السؤال وما
بعده يأباه ليس بشي لانه كثيرا ما يقع من المصنفين مثله وفرض الامور لنكت واقع في القران والحديث
كثيرا كقوله ولو ترى اذ المجرمون وغيره مما لا يحصى ويجوز ان يكون من التجريد كقوله ٥
طحا بك قلب في الحسان طروب • وما بين اما والجواب معترض **كررت السؤال** التكرار اعادة ذكر
الشي مرة فصاعدا ويطلق على الذكر الثاني والاول مجموعهما **علي في مجموع** الجار يتعلق بكررت لما فيه من
معنى الالحاح والسؤال الطلب ويكون سؤال استفهام وسؤال استعطا وهما معروفان والمجموع اسم مفعول
من الجمع ضد التفريق وفي العرف كتابة تجمع من كلام الغير كما في قوله ٥ **شعر**

لله مجموع له رونق • كرونق الحبات في عقدها •
كادت مجاميع الورى عنده • تموت للخجلة في جلدها •

ففي عبارته هضم لنفسه بانه ليس له فيه الا الجمع والتقدير في تاليفه مجموع وتقدير في شان مجموع
ركبك وفي متعلقة بالسؤال لا بكررت لانه لا يتعدى بفي بخلاف السؤال فانه يتعدى بنفسه وبعن ومن
وفي اذا كان بمعنى الرجا والشفاعة دون الاستعطا تقول سالت الامير في كذا ويحتمل ان تكون للتعليل
كدخلت النار في هرة فيصح تعليقه بكررت ايضا **يتضمن** التضمن جعل الشي في ضمن الشي وداخله
والتعبير به لانهم يجعلون اللفظ ظرفا للمعنى لانه المقصود منه او هو من ظرفية الكل للجزو لما فيه من زيادة
شرح وبيان وغير ذلك وقد يعكس كما فصل في شرح المفتاح فالمعنى انه يحتوي عليه وتفسيره يحصل
منه وبسببه وفيه نسخ **التعريف بقدر المصطفى** التعريف الاعلام واصله جعل الغير عارفا والتعريف
في الميزان معروف ويجوز ارادته هنا على بعد فيه وقدر الشي مقداره غلب في رتبة شرفه واصله

تقدير

تقدير الشي بوزن ونحوه والمصطفى المختار والمنتخب افتعال من الصفوة وهو صفة غلبت على النبي صلى
الله عليه وسلم ولم يبلغ حد العلمية كالرحمن ولو كان علما بالغلبة لزم تعريفه باللام او الاضافة وليس كذلك
وانما ذكر في الاسما لانهم لم يخصوها بالاعلام كما سياتي فما قيل من انه لقب وصفي او بالغلبة واللام للمح الاصل
ليس بشي لانه لم يسمع في عهده واسماوه توقيفية على المشهور قيل ولو قال ببعض قدر المصطفى كان احسن ولا
ولا يخفى انه لا يلزم من سؤاله وقوع مسئوله ولذا قال حملتني امرا امرا على انه اذا اريد الاجمال سقط القيل والقال
عليه الصلاة والسلام وفي نسخة صلى الله عليه وسلم لانه لم يقصد التسجيع حتى يرد عليه ان الاوفق بالسجع
الاولى وانه يلزم طول الفقرة الاخيرة ويعتذر له بانه اشارة لجوازه والامر فيه سهل واسناد الصلاة لله
كما سياتي اكثر تعظيما **وما يجب له من توقير** تعظيم **واكرام** افعال من كرم بمعنى نفس وعز اي عده معززا معظما
لمحبته وتعظيم آله واصحابه **وما حكم به لم يوف** اي يتم ويكمل من وفا حقه اذا اعطاه اياه وافيا تاما والحكم
ما حكم به العلما فيه او خطاب الله المتعلق به **واجب عظيم ذلك القدر** اي مقامه الشريف وهو من اضافة
الصفة لموصوفها اي القدر العظيم واضافة واجب لامية واحد مفعولي يوف محذوف اي لم يوفه او يوف النبي
او لم يعرف قدر واجب حقه والمحذوف الاول والثاني او هو بمعنى يتم ويكمل فلا حذف لتعديه لواحد وما يجب
في محل نصب معطوف على تعريف وكذا ما حكم وما استفهامية اي يتضمن جواب هذا السؤال وقيل موصولة
والعايد مقدر وعلى الاول المضاف المقدر هو المفعول وهو وان اكتسب الصدارة لا يصح عمل ما قبله فيه الا ان
قصد به لفظه على طريق الحكاية اي جواب قولك ما حكم الخ فلا يلزمه عمل ما قبل الاستفهام فيه ولا تعليق
العامل عن المعطوف دون المعطوف عليه وتعليق يتضمن وليس من افعال القلوب فيجاب بانه ضمن معناه
وذلك من وضع الظاهر موضع المضمر وتعليق العامل بواسطة حرف حتى يجاب باثبات النحاة له كما في
شرح التسهيل ومنه تعليق فكر ونظر ونحو فلينظر ايها ازكى طعاما لتعديهما بفي والواجب ما يجب اعتقاده
في حقه صلى الله عليه وسلم **او قصر في حق منصبه الجليل** التقصير والاقتصار ترك ما لابد منه وفي نحو
قيل قصر عنه اذا تركه وهو لا يقدر عليه واقصر اذا تركه وهو يقدر عليه وحقه ما يستحقه مما لابد منه
والمنصب بفتح الميم وكسر الصاد في كلام العرب بمعنى الحسب والشرف كما ذكره اهل اللغة واستفاض في كلام
الفصحا كما قال ابو تمام • ومنصب نماه ووالد سما به • وفي المصباح يقال له منصب وزان مسجد
اي علو ورفعة وفلان له منصب صدق يراد به المنبت والمحتد ومن لم يقف على هذا قال انه في اللغة المرجع
ويطلق على الرتبة ونيل القدر فكانه من نصب اذا جد وارتفع واما المنصب بمعنى العمل فمولد لم يرد في كلامهم
اصلا كقوله في اللامية • وعناي من مداراة السفل • نصب المنصب اوهى جلدي •
فكانه لانه نصب فيه النظر او هو من النصب والحيلة واطلاقه على ما يوضع عليه القدر • كقول ابن نجيم

كم قلت لما فار غيظا وقد • ازيح عن منصبه المعجب •
لا تعجبوا ان فار من غيظه • فالقلب مطبوع على المنصب •

وفيه مع استعماله المولد تحريف آخر **قلامة ظفر** اي تقصيرا قليلا بمقدار قلامة ظفر فنصبه لاقامته
مقام المصدر او بنزع الخافض بعد حذف المضاف من قلامة فعالة من القلم وهو القطع من الاظفار سواء كانت
من ظفر او غيره كالشجر ولذا سمي القلم لقطعه وهو قبل القطع يراع وقصبة كما ذكره اهل اللغة واضافته
الى الظفر لامية كيد زيد فلا وجه للقول بانه تجريد ووزنه فعالة تكون لما يلقى من الشي كالقمامة
والكناسة وشذ منه الخلاصة مع ما فيه والظفر للانسان معروف وفيه لغات افصحها ظفر بضمتين
ويسكن للتخفيف وجمعه اظفار وربما جمع على اظفر ويقال الظفر بزنة حمل واظفور كاسبوع وقال الجوهري
انه جمع ظفر سهوا او من طغيان القلم اراد ان يقول اظفر فزاد الواو وقلامة الظفر كناية عن القلة والحقارة

كما قال ابو نواس • ايها المدعي سليمي سفها • لست منها ولا قلامة ظفر •

وبقلامة الظفر يشبه الهلال وتظرف فيه سعد الدين بن عربي حيث قال

• ناديت من اهواه وهو مقلم • اظفاره يا نزهة المتامل •
• ابعد ظفرك وهو بعضك فالذي • يهواك اجدر بالبعاد الاطول •
• فاجابني انظنني فلمتها • عن حاجة لكن لمعنى عن لي •
• لا ريك يا من بالهلال تقيسني • ان الهلال قلامة من انملي •

يعني انه حقير مبتذل عنده والمراد بعدم توفيته حقه ترك ما حقه ان يترك كله او بعضه والتقصير ذكره على غير ما ينبغي فهو مغاير لما قبله فلا يلزم عطف الخاص على العام باو وقد اباه النحاة او يعتذر بان الاول بمعنى كثيرا وهذا بمعنى قليلا ونحوه وان اجمع لك ما لاسلافنا وايمتنا جمع سلف وسلف جمع سالف وهو من مضى من اصولك واقربايك ثم عم لكل متقدم من الناس والمراد من تقدمه من العلما وهو المتبادر عند الاطلاق وهذا في محل جر معطوف على مجموع وايمتنا اي ايمة الدين المقتدى بهم من اصحاب الكتب والمذاهب جمع امام واصله ايمة بهمزتين فابدلت الثانية ياء قيل ويجوز ان يراد ايمة مذهب المالكية من حفاظ بيان لما وابينه بتنزيل صور وامثال ابينه بالنصب عطف على اجمع اي يوضح ما ينقله عن المتقدمين بذكر بعض افراده او صفاته او امثلته فاستعير التنزيل وهو الاهباط من علو الى سفل لذكر الافراد الخارجية فان الكلي لعدم تحققه في الخارج بعيد عن الافهام كالعالي والجزئي محسوس فهو كالسافل والصور بزنة كبر بصاد مهملة جمع صورة وهي النوع او الصفة او الفرد كما ذكره اهل اللغة ومنه قول العلما صورة المسيلة كذا والامثال جمع مثال او مثل وفي بعض النسخ سور بسين مهملة كما ذكره ابن رسلان قال والمراد به الايات من تسمية البعض باسم الكل مجازا والتنزيل معروف والفرق بينه وبين الانزال مشهور على ما فيه وفيه انه هنا بمعنى الترتيب كما ذكره وهذا كله تكلف فالحق انه بالصاد وان المراد توضيحه بتصويره بما يحاكيه في الخارج وذكر نظايره فاعلم اي اذا لم ترجم عن الحاجة في الطلب فاعلم امره بالعلم الصعوبة ما طلبه قبل الشروع فيه ليلقي فكره له وسمعه اعتناء به وبجوابه وكثيرا ما ياتي به المصنفون لذلك وقد استعملته العرب كما في قوله • فاعلم فعلم المرء ينفعه • ان سوف ياتي كلما قدرا • فلذا خصه بالدعا له بالاكرام فقال اكرمك الله بعد ما دعا لنفسه وله سابقا وهي جملة معترضة دعايية اي جعلك الله معززا مكرما لحسن سوالك وعظم ما سالت عنه وكونك باعثا لي على ذلك ونحو مثله ويجوز ان يقال انه اكرمه بسواله له لاعتقاده انه اهل لما طلبه منه مخصوص به في عصره فلذا جازاه بهذا الدعا ان حملتني بالحا المهملة اي كلفتني ما يشق تحمل الاثقال فهو استعارة تمثيلية كما في قوله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها من ذلك الاشارة للمسول عنه ومن بيانية على احد القولين في جواز تقدمها على المبين كما مر او ابتدايية لان حمله لذلك ابتداية ما طلبه منه ثم انتهى الى الزيادة ويحتمل ان تكون تعليلية امرا امرا امرا الاول بفتح الهمزة واحد الامور ويحتمل ان يكون واحد الاوامر والاول اولى والثاني بكسرها وهو بمعنى عظيم او منكرا او عجيب والكل محتمل هنا الا ان الاول اولى اي كلفتني امرا عظيما لا اطيقه او منكرا عندي او عجيب طلبه مني لاني لست باهل له ففيه تواضع وهضم لنفسه وارهقتني بتا الخطاب والارهاق والرهق تكليف ما لا يطاق واصل معنى رهقه غشيه وقد فسر قوله ولا ترهقني من امري عسرا بلا تكلفني امرا صعبا لا اقدر عليه وهو التحفظ عن التقصير فيما ساله فيما ندبتني اي طلبته مني ومنه المندوب

عسرًا بزنة فعلى وهو الامر العسير وارقيتني من الرقي وهو الصعود للمكان العالي بتكليفك ما سالته اي الجاتني اليه بتكرير سوالك والحاحك في طلب الاجابة بما كلفتني ما مصدرية اي بتكليفك ما سالته او موصولة والعايد محذوف اي كلفتنيه من ذلك وهو من الكلفة وهي المشقة والتكاليف المشاق وكلفته الامر حملته بمشقة ويتعدى لمفعول ثان بالتضعيف والكلفة تغير في لون الوجه كالبهق كما قلت في قصيدة • للبدر قلت وقد حكى وجها له • فضح التكلف شيمة المتكلف •

مرتقى مصدرا او صعودا اصعبا وعراشا قاما ملاء قلبي رعبا خوفا وفزعا وفيه استعارة مكنية وتخييلية وفي جعله غالبا اشارة الى علو قدره وشرفه فان الكلام في ذلك المسئول وهو تعليل لما ذكر من الصعود والمشقة يستدعي تقرير اصول اي يقتضي ما لا بد منه من التقرير وهو التحقيق والتثبت وفي النهاية التقرير ترديد الكلام على المخاطب حتى يفهمه ومنه تقرير الدرس للطلبة واصل معناه جعل الشي قرارا في مكانه والمراد قراره في الذهن او الخارج والاصول جمع اصل وهو في اللغة الاساس وفي الاصطلاح ما يبنى عليه غيره والقاعدة الكلية والدليل ويصح ارادة كل منهما هنا وتحرير فصول اي تهذيب امور مفصلة والفصول جمع فصل بمعنى فاصل او مفصول وتحرير الشي تلخيصه واظهار زبدته واصل معناه جعل الشي خالصا لوجهه الاكرم موضع منه وحر الطين ما لم يخالطه غيره والحر يقابل العبد واما التحرير بمعنى الكتابة فخاص اريد به عام واصله الكتابة الملخصة او كتابة العتاقة والحرية كما في كشف الكشاف الكشف اي الاظهار والتبيين وهو منصوب معطوف على مفعول يستدعي لا على الكلام كما توهم فانه تعسف لركاكة المعنى وان صح عن غوامض جمع غامض او غامض وهو خلاف الواضح واصله المكان المنخفض من الارض فاريد به ما ذكر لخفايه وجعله غامضة ليناسب الحقايق في التانيث امر نافه لا يلتفت لمثله لان فاعل الصفة لا يجمع على فواعل لانه مخصوص بصفات من يعقل بشروطه اما اسما الاجناس وصفات ما لا يعقل فيجوز فيها فجعلها بمنزلة الاسما غفلة ودقايق من علم الحقايق جمع دقيقة فعيلة من الدقة وهي خلاف الغلظة او صغر الجرم فاستعير لما يصعب ادراكه ثم شاع حتى صار حقيقة عرفية لان الدقيق كذلك والمراد به بعض احواله التي لا تدركها العقول القاصرة مما يدرك بالكشف ومشاهدة عين البصيرة الصافية فليست هي الغوامض السابقة لاسيما اذا فسرت بما مرة قبل البعثة فليسا بمعنى لان المقام يغتفر فيه التكرار وكيف يتاتى هذا مع قوله من علم الحقايق وهي جمع حقيقة وهي الذات والماهية المركبة من الذاتيات او العلوم المدركة بتصفية الباطن كما اصطلح عليه ارباب السلوك وهي غير متناهية بالمعنى الاول وهي في كلام العرب الامور التي يحق حمايتها والانفة عن تركها من الروسا وقال الخليل الحقيقة ما يصير اليه حق الامر ووجوبه قال المرزوقي

• الم تر اني قد حميت حقيقتي • وباشرت حد الموت والموت دونها •

مما يجب للنبي بيان لما قبله وقيل انه بيان للمكشوف ومما يجب له كالعصمة وعموم الرسالة وشرفه ذاتا وحسبا ونسبا ونحوه ويضاف اليه اي ينسب له ويوصف به وعطفه لانه غير مغاير لما قبله وهو كالقبيلة وقيل المراد به خصايصه ولا يرد ما سيصرح به لما سياتي او يمتنع عليه كالعيوب والنقايص وما لا يليق بمقام الرسالة او يجوز عليه من امور البشر كالاسقام والاعراض التي لا تورثه نفرة ويضاف وما بعده معطوف على الصلة لا صلة موصول محذوف كما جوزه الكوفيون في نحو قوله

• امن يهجوا رسول الله منكم • ويمدحه وينصره سواء • كما بين في محله

ومعرفة معنى النبي والرسول والرسالة والنبوة والخلة والمحبة روي بالنصب عطفا على مفعول يستدعي وروي بالجر عطفا على ما لا يجب لا على دقايق كما في المقتفي وقيل على المضاف اليه

تعرّنو والمراد بالمعرفة معناها المشهور لا التعريف وان جاز وانما استدعى الحال معرفة هذه لابتناء
كثير من صفاته عليها **وخصايص هذه الدرجة العلية** مجرور معطوف على النبي والدرجة واحدة الدرج
وهي المراقي والمراد بها هنا رتبة النبوة والرسالة لنبينا او غيره ولزالم يقل خصايصه وقيل الجامعة لهذه
الصفات كلها والخصايص ما يختص به ولا يتعداه لغيره جمع خاصة او خاصية على كلام فيه في شرح
المفتاح **وهنا مهامه** ههنا اشارة الى المسلك الذي سلكه للوصول لمقصده • والمهامه جمع مهمه
كجعفر وهو القفر والمفازة البعيدة قيل انما سميت بها لكونها مخوفة تخفض فيها الاصوات فيقول
كل لرفيقه مه مه كما سميت المفازة اضت **فيح** بفاء مكسورة وياء ساكنة وحاء مهملة جمع افيح او فيحا
وهي الارض الواسعة والمهمه يذكر ويونث كما قال • ومهمه مغبرة ارجاوه • وفي هذا الانتهي
نظر وهذه استعارة تمثيلية شبه بيان ما ذكر لصعوبته بفلاة لاحتياجه لسعة الاطلاع وتوقفه
على انظار دقيقة في معرفة مقام النبوة فانه قد يقع فيما لا يليق به او يصفه بما ليس فيه فيدخل في زمرة
من كذب عليه وهذا من عطف القصة على القصة لبيان صعوبة ما كلفه السايل بطريق آخر حيث جعله
اولا جبلا شامخا وعرا • ثم بعد النزول منه مفازة بعيدة كما قيل

• كيف الوصول الى سعاد ودونها • قلل الجبال ودونهن حتوف •

ومما يقضي منه العجب ما قيل انه جواب سوال مقدر اي كيف زعمت انك كلفت امرا صعبا وهذا
امر لا صعوبة فيه • فاجاب بانه كيف لا يصعب وسالكه محتاج لاقتحام مهامه فيح هذا شانها
وكيف يصح جعله جوابا لسوال مقدر مع اقترانه بالواو ومع انه لا وجه للسوال ولا الجواب سوى انه
يويد وجه العجب **يحار فيها القطا** حار يحار كخاف يخاف مخافة اذا لم يهتد لمقصده وضمير فيها
للمهامه والقطا طاير معروف واحدته قطاة وهي توصف بسرعة الطيران والاهتدا في الظلمات
والتبكير حتى يقال انها ترد الما من مسيرة عشرة ايام ثم تعود من ليلتها فلا تخطي صادرة ولا واردة ولذا
ضرب بها المثل فقيل اهدى من القطا كما قيل • **شعر**

• والناس اهدى في القبيح من القطا • واضل في الحسنى من الغربان •

وهذا اما داخل في التمثيل او ترشيح له للمبالغة في بعد هذا المقصد والمراد انه مما تضل ارباب
الهداية وتتحير فيه وقيل انها استعارة اخرى تصريحية **وتقصر عنها الخطا** وفي نسخة بها بدل
عنها وتقصر بفتح التا وسكون القاف وضم الصاد مضارع قصر بزنة كرم ضد طال والخطا بضم الخاء
جمع خطوة بضم الخا وفتحها وهي ما بين القدمين والمعنى ان هذه المهامه مع سعتها وكونها لا يعلمها
سالكها او غيره او لكونها وعرة ذات شوك وصخور تمنع الماشي بها من الخطا وباء بها بمعنى في او
سببية وعلى النسخة الاخرى قصرها عنها بمعنى العجز عنها للمامر او لطولها وهو على حد قوله ❊
ولا ترى الضب بها ينجحر • فالمراد انها لا تسلك اصلا وهو من جملة الترشيح او التمثيل او هو
تمثيلية اخرى وعلى كل حال فالمراد صعوبة ما كلف به وان الافكار فيها بطية الحركات او عاجزة
عنها راسا وما بعده كالتجريد كما ستراه **ومجاهل** مرفوع غير منون جمع مجهل وهو المفازة التي لا اعلام
فيها كما في المقتفي وهو المراد هنا وقيل المجهل المفازة ايضا وفي القاموس المجهل ما يحملك على الجهل
وجهله تجهيلا نسبه اليه وارض مجهل كمقعد لا يهتدى فيها ولا يثنى ولا يجمع انتهى وقال ابن سيده
في قوله • انا لنصفح عن مجاهل قومنا • مجاهل فيه ليس له واحد يقيس عليه الا قولهم جهل وفعل
لا يجمع على مفاعل فهو من قبيل ملامح ومحاسن انتهى • وفيه نظر لا يخفى وعلى القول بان مجهل اسم
الارض لا يثنى ولا يجمع يجمع المصنف له اما على القياس لان مفعل ومفعلة يجمعان اطرادا على مفاعل

ويكون

او يكون ثبت عنده • فان قلت ما معنى قوله في القاموس ما يحملك على الجهل • قلت يريد ما
ذكره اهل اللغة والعربية من ان صيغة مفعل تكون للزمان وتكون في كلام العرب لا يقتضي وقوع
ما اشتق منه ويدعوا اليه وان لم يقع بالفعل كقولهم الولد مجبنة ومبخلة اي يحمل المرء جبانا لتخلفه
عن الحرب وبخيلا لحرصه على بقائه لير بي ولده ويبخل ليبقى ما له لولده وهو من نوادر العربية فاعرفه
تضل فيه الاحلام تضل بفتح الفوقية وكسر الضاد المعجمة مضارع ضل اذا لم يهتد وبمعنى سكر في
الاحلام جمع حلم بكسر الحا وسكون اللام بمعنى العقل اي المعقول غير مهتد به لمعرفتها على الاستعارة
المكنية والتخييلية او هو اسناد مجازي وهو احسن من تقدير ذوي الاحلام لانه يريق ما رونق الكلام
وجعل الاحلام مجازا عن اصحابها والمراد الصعوبة بقيد **ان لم يهتد بعلم علم** يهتد مبني للفاعل اي
ان لم يحصل لها الهداية لتمكنها بها وسلوكها بدليلها ويجوز بناوه للمجهول وعلم بفتحتين العلامة
المنصوبة في الطريق لتعرف ولذا سميت نصبا ويكون بمعنى الجبل ايضا لانه يهتدى به كما قالت الخنسا

• وان صخرا لتاتم الهداة به • كانه علم في راسه نار •

وفي قولها صخرا وهو اسم لطيفة اتفاقية هنا لمناسبة الجبل وعلم ضد جهل من اضافة المشبه به للمشبه
كقوله • ذهب الاصيل على لجين الما • وقد يضاف المشبه للمشبه به كما تقول لضيف شربت منه ما الذهاب
ولكن المعروف الاول ولك ان تقول انه استعار العلم بفتحتين للكبير من العلما لاهتداء الناس بعلمه
كما يقال فلان نجيل في العلم ولعلو قدره واشتهاره كما فسر به البيت وبين علم وعلم تجنيس وقيل
في عبارة المصنف ان علم الاول بكسر فسكون والثاني بفتحتين عكس المشهور وهو وان لم يخل من
وجه صحة خلاف الاولى **ونظر سديد** النظر بمعنى الابصار والفكر وهو ترتيب امور معلومة
للتادي الى مجهول وقيل ملاحظة المعقول لتحصيل المجهول والملاحظة توجه النفس نحو المعلوم
الحاضر في ذهنه والسديد ما له سداد بفتح السين وهو الصواب من القول والعمل وان لم يحصل
بالنظر **ومداحض** معطوف على مهامه وهو مكان الدحض بدال وحاء مهملتين وضاد مهملة وهو
الزلق وسقوط الماشي ونحوه مما تزل الاقدام عن محالها لوحل ونحوه وفيه استعارة تصريحية
بتشبيه الوقوع في الخطا الغوص المطالب ودقتها بزلة القدم في المزالق الموديه للسقوط فقوله
تزل بها الاقدام بفتح حرف المضارعة وكسر الزاي المعجمة او فتحها من الزلل وهو الزلق في الطين
ونحوه ويتجوز به عن الخطا فهو تاكيد لمداحض وترشيح او تجريد نحوي والاقدام جمع قدم وهو معروف
وهو استعارة تمثيلية لكثرة الخطا وما قيل من ان المراد بالاقدام العقول في الاذهان المدركة بها
الايصال الى المرام على انه استعارة تصريحية غير سديد واستعارة الرجل للعقل لا يخفى ركاكتها
على من له عقل • **ان لم يعتمد على توفيق الله عز وجل** الاعتماد افتعال من العمدة وهي في الاصل ما
يتكا عليه ويستند اليه ثم شاع في كل ما يقال عليه وهو بمعناه الاصلي مناسب لمداحض والثاني
مناسب للمقصود ففيه تورية • والتوفيق خلق القدرة على الطاعة وقيل خلق الطاعة وقيل تسهيل
سبيل الخير واصله جعل الاسباب على وفق المسببات وهو تفعيل من الوفق كما ان الاتفاق افتعال
منه ثم خص بما ذكر وهو اوفق باصله من قول المعتزلة اظهار الايات الدالة على وحدانيته وابداع ما
يعرف به في الانسان كالعقل والسمع والبصر لطفا منه تعالى والتاييد التقوية والاعانة من
الايد وهو القوة والمعنى انه ان لم يعنه الله بتوفيقه وتاييده زل واخطا وما احسن تذييل الحيرة
والضلال بقوله ان لم يهتد الخ وتذييل الزلل والدحض بقوله ان لم يعتمد ولما كان ما ذكر للسايل
من صعوبة مطلوبه وتوقفه على امور خطيرة يشعر بعدم اجابته استدركه وقفه بقوله **لكني لما**

ورجوته بكسر اللام الجارة وتخفيف ما الموصولة والعايد لها الها ويجوز ان تكون موصوفة وليس لما بفتح اللام وتشديد الميم ولا ما مصدرية لاحتياجه للتكلف والجار والمجرور يتعلق بمقدر مقدم او موخر للحصر اي اجبتك لهذا دون غيره او دون غيرك والرجا ترقب ما يرجى حصوله والفرق بينه وبين الطمع ان الراجي مومل لعدم الفوت بسبب له وقد يستعمل كل منهما بمعنى الاخر كقوله تعالى والذي اطمع ان يغفر لي **لك** قدم نفسه لمطابقته للمقام ولان المرء يبدا بنفسه في الخير وليس الايثار مطلوبا في كل محل ولذا استحب تقديم المرء نفسه في الدعا كما مر لا لما قيل من ان النفس يراعي حالها اولا لان من شرف نفسه فانه يوثر غيره **من نوال وثواب في هذا السوال والجواب** فيه لف ونشر غير مرتب لان النوال والثواب راجع لقوله لكي والسوال والجواب لقوله لك والنوال العطا كالنايل والمنال والتناول تفاعل منه والثواب العطا من ثاب اذا رجع وهو الجزا خيرا او شرا لكن العرف والشرع خصصه بالخير كما في النهاية وهو المراد هنا ومن بيانية مبينة لما على الوجهين وقد يقال الا بشر فيه توزيع لتعلق كل منهما بكل منهما كما ذهب اليه بعض الشراح لان للمصنف عطا من الله لما صنفه وله ثواب عليه وللسايل نوال وعطا لوصوله لسواله وثواب لتسببه لايجاد هذا الكتاب والدال على الخير كفاعله ووجه الاول ان النوال عطا دنيوي عاجل للسايل بسواله والثواب اخروي للمصنف على اجابته لان المتبادر من النوال الدنيوي ومن الثواب الاخروي فلا وجه لما قيل من انه لا دليل عليه وفي بعض النسخ ثواب النوال بالاضافة وهو موبد للثاني **بتعريف قدره الجسيم** التعريف التبيين والبا سببية والقدر شرف الرتبة والجسيم العظيم الجسم فاريد به مطلق العظم على انه مجاز مرسل او استعارة بتشبيه العظم المعنوي بالحسي والقدر الجسيم ان كان علو رتبته عند الله والناس فهو مغاير لما بعده وعطفه وان اريد اتصافه بكل صفة حميدة فهو من عطف الخاص على العام والى كل منهما ذهب بعض الشراح **وخلقه العظيم** الخلق بضمتين ويسكن ثانيه تخفيفا وهو الطبيعة والسجية وقد عرفوه بانه ملكة للنفس تصدر عنها الافعال بسهولة من غير فكر وروية فخرج بالملكة كل عارض غير قار من الاحوال وبصدوره عن النفس ما يصدر عن الجوارح كالكتابة وغيرها من الصنايع العملية وبقيد السهولة ما كان بصعوبة كالصبر على بعض النوايب وكذا ما صدر بغير تفكر فكله لا يسمى خلقا والخلق للنفس بمنزلة الخلق للبدن والخلق الحسن من اعظم المنن من الله وفي الحديث اكثر ما يدخل الناس الجنة تقوى الله وحسن الخلق وخلق النبي صلى الله عليه وسلم اعظم الاخلاق قال تعالى وانك لعلى خلق عظيم وسياتي الكلام فيه **وبيان خصايصه** جمع خصيصة وهي ما خصه الله به فانفرد به عن كل ما سواه او انفرد به عن غيره من الانبيا او عن امته والاولى خصايص مطلقة حقيقية وما عداها اضافية وليس جمع خاصة لانها كالخاص خلاف العامة لا بمعنى ما انفرد به عن كل ما سواه واما الخاصة بمعنى الاثر الذي لا يظهر سببه كجذب المغناطيس الحديد فمن مصطلح الاطبا كخواص التراكيب عند اهل المعاني على ما فصل في شروح المفتاح وما ذهب اليه بعض علما الشافعية من منع الكلام على الخصايص النبوية او كراهته قيل انه متاول بالكبرى وسياتي بيانه وقيل محل الخلاف بيان ما حرم عليه كنزع لامته وخاينة الاعين وفيه نظر والحق ان منها ما يلزم ذكره لئلا يقتدي به غيره او يدفع توهم ارتكابه لغير المشروع كزيادة زوجاته على اربع وما هو مستحب كغيرها ويدخل فيها ما اختصت به امته واذا عرفت هذا فقوله **التي لم تجتمع قبله في مخلوق** بيان شامل لساير الاقسام كان المراد انه تفرد بمجموعها دون كل فرد منها فافهمه **وما يدين الله تعالى به** اي يتعبد ويطاع لامره به من الدين المعروف وهو معطوف على خصايصه وقيل على قدره **من حقه** بيان لما وقد ورد في الادعية الماثورة اسالك بحق محمد فقالوا المراد بحقه مرتبته ومنزلته او الحق

الذي جعله الله له على امته تفضلا به عليه كما في العقد المنظم لابن حجر والمراد هنا الثاني وهو ما يجب له على امته من حق بمعنى ثبت ويجوز ان يراد به ما يقابل الباطل من اليقين الثابت حقيقة بالدليل كما قيل وفيه تكلف كالقول بان من للتبعيض لان اضافته للعموم فلو كانت بيانية لزم ادعاه بيان جميع حقوقه اذ المراد جنس الحقوق فتامل **الذي هو ارفع الحقوق** صفة ما وحده والمراد انها ارفع من غيرها من حقوق البشر لا ما عداها حتى حقوق الله وارفع من الرفعة وهي العلو والشرف فتعريف الحقوق للعهد او للاستغراق العرفي ويجوز ان تكون صفة مخصصة للحق وتخصيص الارفع منها بالذكر اهتماما به والمراد بيانه على طريق الاجمال اذ التفصيل يضيق عنه الحصر **ليستيقن الذين اوتوا الكتاب ويزداد الذين امنوا ايمانا** الاستيقان استفعال من التيقن من يقن كفرح واستيقن وتيقن وايقن بمعنى علم علما محققا لا شبهة فيه بايقانه بالادلة النافية للشبهة ولذا قيل انه لا يوصف به علم الله ويقال ثلج اليقين دون العلم كما فصلناه في عناية القاضي وقوله يزداد افتعال من الزيادة وفيه دليل على ان الايمان يقبل الزيادة والنقص والكلام فيه مفصل في محله لا حاجة لنا به هنا واقتبس المصنف الاية هنا تعليلا لتعريف قدره وخلقه وخصايصه الذي به يستيقن ذلك او لكون الله بين انبيا ان حقوقه فكانه قال بتعريف فضايله وخصايصه يتحقق تيقن اهل الكتاب بحقية رسالته لموافقته لنعته المذكور في كتبهم ويزداد ايمان المومنين من امته بتحقق ما له من المحامد فالمراد باهل الكتاب اليهود والنصارى والكتاب التورية والانجيل وغيرهما من الكتب السماوية وتخصيص هولا بالذكر ليس للحصر لان المراد تعميمه وشموله لجميع احوال الانبيا لا مجرد اتباع معنى النظم القراني وان لم يطابق السياق كما قيل وقد يقال المراد بالذين اوتوا الكتاب اهل العلم بالتفسير والحديث ومن بعدهم ما عداهم من المومنين والمعنى ان هذا التعريف يستيقن ما تضمنه العلما ويزيد ايمان العوام ويجوز للمستيقن ان يقصد بالنظم غير المراد به على طريق التمثيل وان كانت هذه الاية وردت في عدد خزنة جهنم وكونهم تسعة عشر فانه مما استيقنه اهل الكتاب لموافقته ما عندهم وازداد ايمان غيرهم لعلمهم بذلك وفي الاية دليل على ان الايمان مما يقبل الزيادة والنقصان والكلام فيه مشهور فلا حاجة لذكره اذ لا يخفى ان ايمان الانبيا والملايكة ليس كايمان غيرهم فان قلنا بدخول الاعمال فيه فهو ظاهر كما بين في الاصول **لما** بكسر اللام وتخفيف الميم من ما الموصولة او الموصوفة وتقدير العايد كما مر وهو علة ثانية للتعريف المستفاد من هذا الكتاب **اخذ الله على الذين اوتوا الكتاب** المراد بالذين اوتوا الكتاب هنا ايضا اهل العلم مطلقا او اهل الكتب المتقدمة في النزول او اليهود كما هو احد التفاسير في هذه الاية وقد استدل بها على وجوب نشر العلم والمراد بها العهد والميثاق الذي اخذه الانبيا على اممهم ان يبلغوا ما سمعوه كما قال نبينا صلى الله عليه وسلم الا ليبلغ الشاهد الغايب ونحوه وقيل المراد ما اخذ من العهد يوم الست بربكم في عالم الذر **لتبيننه للناس ولا يكتمونه** فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا ولم تتل الاية بتمامها لعدم مناسبة ما قبلها لما اراده والضميران المنصوبان للنبي صلى الله عليه وسلم لعلمه مما سبق في كلام المصنف وان كان في النظم بخلافه فلا حاجة الى القول هنا بانه علم من السياق وان لم يجر له ذكر كما قيل وقيل هما للكتاب وهو عام للعلوم والعلما ويدخل فيه امر النبي صلى الله عليه وسلم دخولا اوليا ولم يوكد يكتمونه كما اكد يبين قبله اما لانه جملة جوابية ولا يكتمونه حالية وليست كما قيل بتقدير مبتدا اي وهم لا يكتمونه لاجل الواو والحالية لان الحال المنفية يجوز فيها الوجهان وليست كالمضارع المثبت كما صرح به النحاة او هو معطوف على الجواب فهو جواب والجواب المنفي لا يوكد قيل وهو اصوب ولما استدل على مدعاه بالنظم الكريم عقبه بالاستدلال بالحديث فقال **ولما** الخ تنبيه قال الزركشي في قواعد تصنيف كتب العلم لمن منحه الله فهما واطلاعا فرض كفاية ولن تزال هذه الامة مع قصر اعمارها في ازدياد وترق في المواهب والعلم فلا يحل كتمه فلو ترك التصنيف

لضيع العلم على الناس وقد قال الله تعالى واذ اخذ الله ميثاق الخ وفي التورية علم مجانا كما علمت مجانا انتهى
وقوله لما بكسر اللام وتخفيف الميم ايضا فان قلت قوله ليبيننه هل هو جواب قسم معلوم من السياق او مقدر
قلت هذا يحتمل الا ان ابن الاثير قال في كتاب البديع ان للعرب الفاظا تتلقاها تارة بما يتلقى به القسم
كقوله ثم واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب ليبيننه الاية وتارة لا تتلقى به كقوله واذ اخذنا ميثاقكم
ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما اتيناكم وتارة يكون الذي بعدها يحتمل الامرين كقوله واذ اخذنا ميثاقكم لا تسفكون
دماءكم ومعنى الاية ان قوله الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب
اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون قال الشيخ والذي ابن حجر قال ابن عباس وجماعة انها نزلت في اليهود والنصارى
وقيل في اليهود لكتمهم صفة النبي في التورية وقيل هي عامة وهو الصواب لان العبرة بعموم اللفظ لا
بخصوص السبب ثم ذكر الاية التي ذكرها المصنف وقال انها نزلت في اليهود وكتمهم صفته صلى الله عليه وسلم
وغيرها والعبرة فيها ايضا بعموم اللفظ والبينات ما نزل على الانبيا من الكتب والوحي والهدى الادلة العقلية
والنقلية قال وقوله من بعد في الاية الثانية طرق لقوله يكتمون لا لانزلنا لفساد المعنى يعني ان البيان
متاخر عن الكتم لا عن الانزال لسبقه عليه وهو غير مسلم لجواز ان يراد بما انزل وبين ما انزل في التورية
وبين لاسلاف بني اسرائيل وبالكتم كتم اليهود الذين كانوا في زمن نبينا صلى الله عليه وسلم وعلى هذا يجوز
تعلقه بكل منهما **حدثنا ابو الوليد هشام بن احمد الفقيه** رحمه الله هو الامام القرطبي الزاهد المحدث
المعروف بابن العواد احد شيوخ المصنف وهو من عرض عليه القضا فلم يقبله وتوفي بقرطبه سنه تسع وخمسمايه
ومولده سنة اثنين وخمسين واربعمايه **بقراتي عليه** قال المحدثون من سمع من حفظ شيخه يقول حدثنا
واخبرنا وانبانا قال العراقي وهو منتجه ومن قرا عليه او سمع بقراة غيره عليه فالاجود ان يقول قرات على فلان
او قرئ عليه وانا اسمع وفي العرض يقول حدثنا فلان بقراتي عليه او قرا عليه وانا اسمع كما فصل في مصطلح
الاثر ولذا قال المصنف بقراتي عليه **قال حدثنا الحسين بن محمد** هو الحافظ ابو علي الغساني المشهور
حدثنا ابو عمر اي قال الحسين حدثنا ابو عمر وهو شيخ الاسلام حافظ المغرب ابن عبد البر بن عاصم
النمري القرطبي صاحب الاستيعاب وغيره من الكتب الجليلة ولد في ربيع الاخر سنة ثمان وستين وثلثمايه
بقرطبه وتوفي بشاطبة ليلة الجمعة سلخ ربيع الاخر سنه ثلاث وستين واربعمايه وعمره خمس وتسعون
سنة **النمري** بفتح الميم نسبة الى نمر بفتح النون وكسر الميم اسم قبيلة وهو في الاصل اسم جدهم نمر بن
قاسط بن هنب وفتح ميمه تخفيفا لئلا يتوالى كسرتان ويا مشددة على القياس المطرد في كل مكسور العين
مضموم الفا او مكسورها او مفتوحها فان كان مكسورها كابل جاز فيه الفتح وابقا كسرها كما ذكره النحاة
قال حدثنا ابو عبد الله بن عبد المومن في المقتفي هو ابو عبد الله بن محمد بن عبد المومن القرطبي من
قدما شيوخ ابن عبد البر وفي الميزان انه كان تاجرا صدوقا لقي الكبار واخذ عنهم الا انه لم يكن جيد الضبط
فربما وقع له الخلل والمصنف نسبه لجده **حدثنا ابو بكر محمد ابن بكر** المعروف بابن داسه من مشايخ الحديث
المشهورين وداسة بدال مهملة تليها الف ثم سين مهملة بعدها تا تانيث وهو احد رواة سنن ابي داود
حدثنا سليمان بن الاشعث هو الامام الحافظ ابو داود سليمان بن الاشعث بن اسحاق بن بشير
شداد بن عمرو الازدي السجستاني صاحب السنن ولد سنة ستين ومايتين وسمع بمصر والحجاز والعراق
من خلق كثير وروى عنه ابن داسة وغيره وله ترجمة مفصلة في التواريخ **قال حدثنا موسى بن اسمعيل**
هو ابو سلمة بن اسمعيل المنقري التبوذكي نسبة لتبوذك بمثناة فوقية مفتوحة فموحدة مضمومة فذال
معجمة مفتوحة يليها كاف اسم موضع نزل قوم من اهله عند ابي سلمة فقيل له تبوذكي او لانه كان له دار بها
واصل معنى التبوذكي من يبيع ما في بطون الدجاج ككبدها ونحوها وقيل انه ايضا لبيع التبوذكي وهو السرجين

وموسى

وموسى هذا روى عنه اصحاب السنن ووثقوه وقيل انه فيه لين توفي سنة ثلاث وعشرين ومايتين
قال حدثنا حماد واطلقه والمراد به كما قال البرهان الحلبي حماد بن سلمة بن دينار احد الاعلام مولى قريش
او تيم وهو ثقة لم يتهمه الا من رق دينه وقيل انه كان من الابدال لانه تزوج كثيرا ولم يولد له وهو من عادتهم
كسرعة الصلاة لطي الزمان لهم او لغيرهم كما ذكره السيوطي في ترجمة ابن الهمام وكان مجاب الدعوة ولم يرد
حماد بن زيد وان كان من الكبار ايضا لان التبوذكي تفرد بروايته عن حماد بن سلمة ولم يرو عن حماد بن زيد
كما قاله ابن الجوزي في كتاب الجمال في اسما الرجال فما في بعض الحواشي من انه حماد بن زيد وهم توفي سنة
مايه وسبع وستين وله ترجمة في الميزان **قال حدثنا علي بن الحكم** البناني البصري وقد
روى عن الحمادين وعداه من المحدثين توفي سنة احدى وثلاثين ومايه وهو ثقة وقيل فيه لين **عن
عطا** هو ابن ابي رباح ابو محمد المكي القرشي مولاهم احد الاعلام روى عن عايشة وجابر وابن عباس
وزيد بن ارقم وروى عنه الاوزاعي وابو حنيفة وغيرهما وعاش ثمانين سنة وتوفي سنة خمس او اربع عشرة
ومايه وهو من كبار التابعين المتفق على توثيقه وجلالته وفي المقتفي انما ميزته لاشتراك اسمه بين
جماعة رووا عن ابي هريرة وهذا هو المراد هنا دون غيره وقال التلمساني المراد به عطا بن يسار الهلالي
مولى ميمونة ام المومنين ورجح الاول بان الذهبي وابن الجوزي لم يذكرا لعطا بن يسار رواية عن ابي
هريرة ولا يلزم انه لا يخفى من عدم ذكرهما ان لا يكون له عنه في الواقع مع ان النووي وغيره قالوا له
رواية عنه . اقول هذا كله خبط عشوى فان المصنف روى هذا عن عبد البر وقد ذكره في كتاب
العلم وصرح بانه ابن ابي رباح كما رايته فيه وعبارته قال قرات على عبد الوارث بن سفيان ان قاسم ابن
اصبغ حدثهم قال حدثنا بكر بن حماد قال حدثنا مسدد قال حدثنا عبد الوارث عن علي بن الحكم عن رجل عن
عطا ابن ابي رباح عن ابي هريرة رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم وساق الحديث والرجل الذي
يرويه عن عطا يقولون انه الحجاج بن ارطاه وليس عندي كذلك والحجاج بن ارطاه مشهور بالتدليس
ورواه حماد بن سلمة عن علي ابن الحكم ولم يقل عن رجل وكذلك رواه عمارة الصيدلاني عن علي بن الحكم عن
عطا عن ابي هريرة ثم ذكر له طرقا اخر وقال قال الحسن دخلنا فاغتممنا وخرجنا فلم نزدد الا غما اللهم
اليك نشكو هذا الغثا الذي كنا نحدث ان اجبناهم لم يفقهوا وان سكتنا عنهم وكلناهم الى عي شديد
لولا ما اخذ الله على العلما في علمهم ما انباناهم بشي ابدا وكان ابو هريرة يقول لولا آيتان في كتاب الله ما
حدثتكم شيا ان الذين يكتمون ما انزلنا والتي تليها الحديث انتهى واخذ المصنف ما قاله ابن عبد البر
وقدم فيه واخر وغير والمراد به في اصله صرح بان عطا هو عطا ابن ابي رباح فما في الحواشي ناشي
من عدم الوقوف على نقول الايمة **عن ابي هريرة** الدوسي وهو من غلبت كنيته اسمه ولذلك اختلف فيه
وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم كناه بها لما راه يحمل الهرة في كمه وقيل المكني له غيره وفي اسمه اقوال
نحو الثلاثين اشهرها انه عبد الله او الرحمن وكان اسمه في الجاهلية عبد شمس واسلم عام خيبر وشهدها
ولازم مجلس النبي صلى الله عليه وسلم صابرا زاهدا ولذا عد احفظ الصحابة وروي عنه ما لم يرو عن
غيره وفي البخاري انه قال لم يحفظ احد اكثر مني الا عبد الله بن عمرو بن العاص فانه كان يكتب وانا لا
اكتب وكان النبي دعا له بالحفظ فلم ينس شيا سمعه بعد والحديث فيه معروف ومات بالمدينة وقيل
بالعقيق وفي الشروح الجديدة نقلا عن ابن حجر ان هريرة مجرور بالكسر لان المجموع علم منقول فالمنقول
يبقى على اصله قبل النقل لا ان جزء العلم غير علم فلا يخرج عن تنكيره وصرفه ولو اعطي مثله حكم العلم لم
تدخل اللام في مثل شمس الدين فيجوز ابو الهريرة وابو هريرة بالتنوين وكونه غير منصرف للعلمية والتانيث
لان المضاف والمضاف اليه ككلمة واحدة اورد عليه انه يلزمه رعاية الاصل والحال في لفظة واحدة

فيعرب اعراب المضاف نظرا لاصله ويمنع صرفه نظرا للحال ثم قال ان البرهان الحلبي قال هريرة لا ينصرف لكثرة الاستعمال واطال فيه من غير طايل • وانا اقول هذا كله كلام ناش من عدم التامل وهو مما يقضي منه العجب فان السماع فيه منع الصرف وكتب العربية مشحونة بنقله عن علما العربية وهو مصرح به في ايضاح ابن الحاجب وفي كتب ابن مالك ونقله شراح التسهيل واتفق عليه شراح الكشاف فانهم بقاطبتهم قالوا في شهر رمضان المركب الاضافي اذا جعل علما تجزوه الثاني هو المنظور اليه في احكام العلمية ولزوم ال اذا قارنت الوضع وامتناعها في غيره كابن داية وصرح به سيبويه وابو علي وانما غرهم فيه كلام بعض المتاخرين من المغاربة نعم في بعض حواشي المفصل انه لا مانع من لمح اصله الا انه ياباه السماع وقد اشبعنا الكلام عليه في الشرح فان اردت شفا الغليل فانظره **من سيل عن علم فكتمه الجمه الله بلجام من نار** قال السيوطي في تخريج احاديث هذا الكتاب هذا الحديث اسنده المصنف من طريق ابي داود واخرجه الترمذي وحسنه وابن حبان والحاكم وابن ماجة بسند صحيح من طريق محمد بن سيرين انتهي واسنده ايضا ابن عبد البر من طرق كما مر فما نقل عن الامام احمد من انه لم يصح وعن غيره من انه ضعيف لا يلتفت اليه وفي الفاظ طرقه اختلاف ففي بعضها كتم علما مما ينفع الله به الناس وفي بعضها ثم كتمه بدل فكتمه والمراد كما قالوه بالعلم الممنوع على كتمه ما يلزم تعليمه ويتعين كتعليم حديث عهد باسلام الصلاة ت ومستفت في الحلال والحرام ولا حاجة لتقييده باهلية السايل الحديث واضع العلم عند غير اهله كمقلد الدرر رقاب الخنازير لانه ليس على اطلاقه فان الافتا فرض كفاية فان تعين كان فرض عين وقال الفقها ايد الله الدين ببقايهم يجب على الامام في كل مسافة قصر ان يضع فيها من يعلم الناس امر دينهم ومن العلم ما هو فرض كفاية كالفقه وما هو فرض عين كمعرفة الله وما يجب له وعليه ومباح كالعلوم التي ليست بدينية وحرام كالسحر والشعبذة • والكتم الاخفا واللجام بزنة كتاب ما يوضع في فم الدابة معروف وهو معرب لكام او لغام وقيل انه عربي لتصريفه كالجم وملجم وهو في المعرب نادر والجمه اذا وضعه في فمه والجمه العرق اذا وصل الى فمه ويقال الجم اذا سكت

• قال ابو نواس •

• مت بدا الصمت خير لك من دا الكلام • انما السالم من • الجم فاه بلجام •

والالجام في السكوت والعرق مجاز شاع حتي صار بمنزلة الحقيقة والجمه العرق بمعني اهلكه ابلغ من علا عليه الما لما فيه من بيان سبب هلاكه بمنع النفس والمقصود هنا انه يحرق جملته كما في الجمه العرق وان يراد احراق لسانه بدخول النار لفيه او يوضع حديدة محماة فيه ويجعل ذلك علامة عليه لانه كالحيوانات العجم مجوزي من جنس عمله لفظا ومعني فهو مستعار لما يمنع الكلام كاللجام المانع من الجماح او مجاز مرسل والاستعارة التمثيلية غير مناسبة هنا وبا بلجام للالة او المصاحبة وقيل ان الله يخلق له صورة لجام من نار توضع في فيه وقيل انه تشبيه لما وصل لفيه من النار وخص اللجام للتشبيه به لانه منعت عما تريد وهو تكلف وهذا لا ينافي قوله يوم تشهد عليهم السنتهم الآية لان في القيامة مواقف متعددة لكل منها حال تخصه **يوم القيمة** سمي به اليوم الموعود لقيام الناس من قبورهم او لوقوفهم فيه كما يقال له الموقف وهو يوم الحشر والحساب او من قام بمعني ظهر **تتمة** وفايدة مهمة قال النووي في الاذكار ذكر الفقها والمحدثون يجوز ويستحب العمل في الفضايل والترغيب والترهيب بالحديث الضعيف ما لم يكن موضوعا واما الاحكام كالحلال والحرام والمعاملات فلا يعمل فيها الا بالحديث الصحيح والحسن

الا ان

الا ان يكون في احتياط في شي من ذلك كما اذا ورد حديث ضعيف بكراهة بعض البيوع او الانكحة فان المستحب ان يتنزه عن ذلك ولكن لا يجب انتهي وخالف ابن العربي المالكي في ذلك فقال ان الحديث الضعيف لا يعمل به مطلقا وقال السخاوي في كتابه القول البديع سمعت شيخنا ابن حجر مرارا يقول شرايط العمل بالحديث الضعيف ثلاثة الاول متفق عليه وهو ان يكون الضعف غير شديد ليخرج من انفرد من الكذابين والمتهمين من فحش غلطه والثاني ان يكون مندرجا تحت اصل عام فيخرج ما يخترع بحيث لا يكون له اصل اصلا والثالث ان لا يعتقد عند العمل ثبوته لئلا ينسب الي النبي صلى الله عليه وسلم ما لم يقله والاخيران عن ابن عبد السلام وابن دقيق العيد والاول نقل العلاي الاتفاق عليه وعن احمد انه يعمل به اذا لم يوجد غيره وفي رواية عنه ضعيف الحديث احب الينا من راي الرجال وذكر ابن حزم الاجماع على ان مذهب ابي حنيفة ان ضعيف الحديث اولي عنده من الراي والقياس اذا لم يوجد في الباب غيره وفي العمل بالحديث الضعيف ثلاثة مذاهب لا يعمل به مطلقا يعمل به مطلقا يعمل به في الفضايل بشروطه وقيد ابن الصلاح جواز رواية الضعيف باحتمال صدقه في الباطن وهل يشترط في الاحتمال ان يكون قويا ام لا فيه خلاف وظاهر كلام مسلم انه اذا لم يكن قويا لا يعمل به انتهي وللعلامة الدواني في انموذجه على هذه المسيلة اشكال اورده على القوم وحاول الجواب عنه بما زاده اشكالا وليس بشي وهو انه قال اتفقوا على انه لا يعمل بالحديث الضعيف ولا تثبت به الاحكام الشرعية ثم انهم ذكروا انه يجوز بل يستحب العمل به في فضايل الاعمال كما في الاذكار وفيه اشكال لان جواز العمل واستحبابه من الاحكام الخمسة الشرعية فاذا استحب العمل به كان ثبوت ذلك بالحديث الضعيف وهو بنا في ما تقدم ويناقضه وحاول بعضهم التفصي عنه بان المراد انه تجوز روايته وهو لا يرتبط بما قالوه والذي يصلح للتعويل عليه ان يقال انه اذا وجد حديث في فضيلة عمل من الاعمال لا يحتمل الحرمة والكراهة يجوز العمل به ويستحب لانه مامون الخطر ومرجو النفع اذ هو داير بين الاباحة والاستحباب والاحتياط العمل به رجاء الثواب فان دار بين الحرمة والاستحباب لا يعمل به وان دار بين الاباحة والاستحباب فهو اسهل لان المباح يصير بالنية مستحبا وان دار بين الكراهة والاستحباب فلينظر ايهما اقوي خطرا يرجع اليه فجواز العمل به واستحبابه مشروط بعدم احتمال الحرمة الا انه اذا لم توجد الحرمة فجواز العمل به ليس لاجل الحديث على ان الاباحة ايضا من الاحكام الخمسة فالحق ان الجواز معلوم من خارج والاستحباب معلوم من القواعد الشرعية الدالة على استحباب الاحتياط في الدين فلم يثبت شي من الاحكام بالحديث انتهي • اقول اذا احطت خبرا بما قدمناه من كلام الحافظ السخاوي عرفت ان ما قاله الجلال مخالف لكلامهم برمته وما نقله من الاتفاق غير صحيح مع ما سمعته من الاقوال والاحتمالات التي ابداها لا تفيد غير تسويد وجه القرطاس والذي اوقعه في الحيرة توهمه ان عدم ثبوت الاحكام به متفق عليه وانه يلزم من العمل به في الفضايل والترغيب انه يثبت به من الاحكام وكلاهما غير صحيح • اما الاول فلان من الايمة من جوز العمل به بشروطه وقدمه على القياس • واما الثاني فان ثبوت الفضايل والترغيب انه يثبت به من الاحكام لا يلزمه الحكم الا ترى انه لو روي حديث ضعيف في ثواب بعض الامور الثابت استحبابها والترغيب فيه او في فضايل بعض الصحابة او الاذكار الماثورة لم يكن مما ذكر ثبوت حكم اصلا ولا حاجة لتخصيص الاحكام والاعمال كما توهم للفرق الظاهر بين الاعمال وفضايل الاعمال واذا ظهر عدم الصواب لان القوس في يد غير باريها ظهر انه لا اشكال ولا خلل ولا اختلال **فبادرت** بادر فاعل بمعني فعل والمبادرة العجلة الي فعل ما يرغب فيه وهو يتعدي بنفسه وبالي كما يقال بادرته وبادرت اليه ولما كا الفا لا تدخل في حين لكن لا سيما اذا كان ضميرا فلا يعمل ما بعدها فيما قبلها قالوا انه معطوف على مقدر

وهو الخبر المتعلق به قوله اي لكني اجيبك لما رجوته فبادرت الخ الى نكت اي الى جمع نكت وتاليفها
ونكت جمع نكتة كنقط ونقطة ويجمع ايضا على نكات بالكسر كبقعة وبقاع وعليه اقتصر في القاموس
وسمع فيه ايضا نكات بالضم وقيل الفه للاشباع والنكتة المعنى الدقيق النادر والكلام
القليل الحسن وهي ما في الاصل فعلة من النكت وهو النبش الخفيف في التراب بعود ونحوه والانسان يفعله
اذا تفكر في امر خفي فنقلت لما ذكر اما للتاثير في النفس او لانه يحتاج تفكر وتامل او هي منقولة من النكتة
بمعنى نقطة من لون يخالف ما هي فيه اما لدقتها في النظر بالنسبة لما هي فيه او لمخالفتها لغيرها من الكلام
وما قيل من انها تطلق على قليل جدا في وجه المراة او السيف كالوسخ كما ورد في حديث الجمعة لا يناسب المقام
مع انه ماخوذ مما مر مسفرة وفي نسخة سافرة وفي اخرى مسفرة سافرة بالجمع بينهما من الاسفار وهو الكشف
مطلقا وقوله في القاموس سفرت المراة كشفت عن وجهها تمثيل لا تخصيص حتى يكون تجريدا كما قيل لقوله تع
والصبح اذا اسفر وفي المقتفي سفر بمعنى كشف كما قال

سفرن وجوها بدورا وانتقبن اهلة • ومسن غصونا والتفتن جآذرا

وعلى نسخة مسفرة سافرة ينبغي ان يتغايرا فسافرة بمعنى مشرقة مضيئة وسافرة بمعنى كاشفة للغرض
بحيث لا يحتاج لكتاب آخر قيل في وصف النكت بالاسفار لطافة ونكتة اي لانها تكشف ما تحت التراب
وهو امر سهل عن وجه الغرض الوجه يكون بمعنى الجهة المقصودة والعضو الذي به المواجهة ويستعار
لخيار الشيء واوله ولرئيس القوم والغرض بغين وضاد معجمة بينهما راء مهملة مفتوحة كما قوله الهدف ويتجوز به
عن الفائدة المقصودة من الشيء وهو حقيقة عرفية فيه لكونه مقصدا وهو قبل الشيوع استعارة او مجاز مرسل
من استعمال المقيد في المطلق او الشيء في لازمه والنكت المسفرة العبارات الدالة على المراد والوجه ان كان
بمعنى الجارحة ففي الغرض استعارة مكنية يرشحها سافرة او هو استعارة ايضا مؤدى من ذلك الحق المفترض
مؤدى اسم فاعل من اداه تادية اذا اوصله من الاداء وهو حال من فاعل بادرت او من وجه الغرض والاشارة على
الاول للغرض الذي هو تعريف حق المصطفى ومن الداخلة عليه بيانية بناء على جواز تقدمها على المبين او تبعيضية
لان حق المصطفى اكثر من ان يحيط به كتاب وهو الحق وعلى الثاني الاشارة للحق الذي هو نعت اسم الاشارة وهو على
الوجهين مفعوله لتعديه مفعولين والثاني على الاول الحق والمفترض صفته وعلى الثاني هو المفترض ويصح ان
يفسر هنا بموصلا الى السائل مراده او قاضيا لحقه كانه لتعين اجابته عليه دين في ذمته يلزمه اداؤه والافتراض
افتعال من الفرض والمراد به اللازم جعله فرضا مبالغة والكلام في الفرض والواجب مشهور ولا فرق بينهما عند
الشافعية وعندنا ما ثبت بنص قطعي فرض وغيره واجب وقد يستعمل كل منهما بمعنى الآخر واعتمادا ما في هذا الكتاب
واجب جملته لا بيانه كتابة وتاليفا ولذا قيل انه هنا فرض كفاية واعاد المص اللام الجارة في قوله لما اشار الى
استقلال كل منهما بالعلية لاجابة سؤاله ولا شك في كفاية كل واحد منهما فان الاجر الجزيل والعطا الجليل اذا ترتب
على فعل يكفي فيه تقريره وان لم يدون والمقصد اذا كان له طريقان فالسالك مخير في سلوك ايهما شاء لا سيما
وهذه الطريق اكثر ثوابا واحسن لعدم انقطاعها وفي الحديث اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث صدقة جارية
او ولد صالح يدعو له او علم ينتفع به واما كراهة بعض السلف تدوين الكتب فلا صحة له على اطلاقه فان السلف على
خلافه وقد امر عمر بن عبد العزيز وناهيك به الزهري بتدوين الحديث وكتابته كما في البخاري وكان ذلك اول
ما صنف في الحديث لا اول ما كتب منه فان من الصحابة من كتبه كما مر ولذا حكي بعضهم الاجماع على جوازه وانما منع
بعضهم منه في العصر الاول للحوق بالقرآن اذ لم يكن حينئذ مدون غيره مع عدم الاحتياج له فسقط ما قيل من ان
العلتين الاخريين لا يقتضيان المقصود هنا واقتضا اعادة العامل الاستقلال في غاية الظهور فلا حاجة لاثباته
كما قيل اختلستها الاختلاس الاخذ بسرعة خفية فقوله على استعجال تاكيد او تجريد فان فسر بالاخذ

خفية

خفية او بالاستلاب كما في القاموس فهو تاسيس ومنهم من اخذ فيه قيد القهر والمكابرة وفيه لطف لجعله
كالمحارب للزمان لينال الفرصة ينتهزها كما قيل

انتهز الفرصة ان الفرصة • تصير ان لم تنتهزها غصة

وفي البعض اختلسوها بضمير الجمع وتكلفوا لتوجيهه بان المراد ان القوم اختلسوها من يد العوائق وانا تلقيتها
منهم ودونتها وصح رواية هذه النسخة وقال السيد المشهور خلافه وهو الاوجه لا الصواب كما توهم لما المرء بصدده
المرء مثلث الانسان وفسره بعض اللغويين بالرجل والاول اظهر وليس هذا التفات ولا تفنن لان المراد التعميم ولذا لم
يقل لما انا والصدد بفتحتين فمهملات بمعنى المقابلة او القرب والثاني اقرب وهو تعليل للمبادرة والاستعجال
او للاختلاس يعني انه اسرع فيه لخوف ان تحول العوائق بينه وبين مراده من شغل البدن والبال بضم الشين
المعجمة ويجوز فتحها يقال شغله اذا عاقه واشغله بالهمز لغة رديئة وكتبه بعض عمال الصاحب له في رقعة فوقع
عليها من يكتب اشغالي لا يصلح لاشغال ولا وجه لترديد صاحب القاموس فيه والبدن معروف والبال له معان
منها الفكر والحال والقلب وهو اقرب هنا ولو فسر بالفكر صح اي الامراض والهموم عائقة عما يريد وقل ما يخلو
عاقل من مثله فان الهموم بقدر الهمم بما طوقه ماض مجهول بضم الطاء المهملة وكسر الواو المشددة ويتعدى لمفعولين
اولهما المستتر القائم مقام الفاعل والثاني ضمير الغائب وهو من الطوق بمعنى الطاقة والوسع فالمعنى بما كلف
وابتلي به او من طوق العنق فهو استعارة لما الزم به ومنه طوق الحمامة لبياض في عنقها قال المتنبي

اقامت في الرقاب له اياد • هي الاطواق والناس الحمام

وهذا ورد في كلام العرب لكل لازم محمودا كان او مذموما وقوله في كشف الكشاف انه لم يرد الا في الذم لا وجه
له ورد للكشف لانه سال حاتما ابن له عن ابل لدا فناها العري فقال له طوقتك مجد الدهر طوق الحمام كما ذكره في
مرآة الزمان وفي الشروح هنا كلام طويل بغير طائل من مقاليد المحنة بيان لما والمقاليد اما جمع لا واحد له
او واحده مقليد او مقلاد او اقليد وهو معرب كليد بمعنى القفل ومعناه بعد التعريب المفتاح او الخزانة منه
والاول انسب باصله وورد بمعنى الحبل المفتول ومنه ضاقت مقاليده اي اموره هذا محصل ما قالوه في معناه
وحينئذ فالمراد به ما كلفه ولزمه من الامور الشاغلة ومنه تقليد الاعمال السلطانية من الامور الدنيوية
على انه ماخوذ من المعنى الاول والثاني لانها كالمفتاح لغيرها او اسباب لغيرها او كالخزانة او كالحبل المفتول
في عنقه الذي يربطه على ما كلف به ويعوقه عن السعي فيما يريده او هو كناية عن كل محنة لان من اعطي مفتاح شيء
فكانه سلم له فالمعنى انه ابتلي بجميع المحن او بكثير منها فان فسر طوقه بجعله طوقا له او جعلت المقاليد بمعنى
الحبال المفتولة وجعل كونها في خناقه بمنزلة العقود والاطواق التي يتحلى بها على انه استعارة تهكمية كما قاله
السهيلي في قوله تع في جيدها حبل من مسد كان وجها وجيها واما جعل المقاليد بمعنى القلائد بل لاقتضاء
التطوق له كما قيل فلو ساعدته اللغة كان حسنا والمحنة اسم للامتحان بمعنى الاختبار والتجربة ويكون بمعنى
المصيبة والبلية اما لان المرء يختبر بها فيعرف صبره وتجلده او لان الله يختبر بها عباده اي يعاملهم معاملة
المختبر ليجزيهم الجزاء الاوفى او لان المبتلى بها يختبر بها زمانه واصدقاه واخوانه كما قال

جزا الله المصائب كل خير • عرفت بها عدوي من صديقي

وفي المقتفي المراد بالمحنة هنا مباشرة القضا الذي ابتلي به المص وكانه ينقل عنه فانه ثقة والقضا اعظم
مصيبة لكونها على خطر عظيم الذي ابتلي بها صفة كاشفة او موكدة ان فسرت المحنة بالبلية والابتلا
يختص بما يسوء الناس وان كان في الاصل بمعنى الاختبار والمرء قد يختبر بما يحب لينظر هل يشكر وبما يكره لينظر هل
يصبر ام لا فالبلا يكون حسنا وسيئا ولذا قيل ابلى بلاء حسنا فالصفة حينئذ مخصصة فكادت تشغل عن كل فرض
ونفل اي عوائق الدهر وهو محنة قاربت ان تعوقه عما يهمه من امور الدين ولم يقل فشغلت لانه غير واقع والادعا
ليس بمناسب للمقام وتشغل بفتح المثناة الفوقية والغين المعجمة الحلقية بمعنى تعوق وضم التاء وكسر الغين لغة رديئة

وقال كل فرض ليدخل فيه المطلوب والفرض والواجب والمكتوب متقاربة المعاني وقد فرق بينهما كما مر بان الاول ما ثبت بدليل قطعي وغيره بخلافه وقيل الفرض ما لا خلاف فيه او ثبت بذلك والسنة والنفل والمستحب والتطوع ما لم يطلب طلبا جازما ومنهم من فرق بينهما كما فصل في محله **وتردده بعد حسن التقويم الى اسفل سفل** اي تردي في تلك الشواغل والعوايق بعد حسن ونضارة روض شبابي واستقامة غصن قوامي لعكس ذلك من تفوج قناتي ونضوب ماء حياتي او تعدل بي عن الطريق المستقيم المستبين الى اسفل سافلين وسجن سجين لشغلها عن عبادة رب العالمين اذ المراد تردد نوع الانسان بعد ما كان في احسن صورة مستجمعا لخواص الكاينات لانه النسخة الكبرى قياما بوظايف عبوديته الى ضد ذلك لان المراد بقوله لما المر بصدده ما استعمل له كل احد بالطبع في امور دينه ودنياه وذكر الامر العام المسلم يقتضي دخول المتكلم فيه بطريق برهاني وهو ابلغ واسفل سفل كاسفل سافلين وقد فسره المفسرون بالنار وارذل العمر والهرم بعد الشباب والضعف بعد القوة والمراد هنا الاخير وفيه لف ونشر فقوله لما طرقه ناظر لشغل البال وتردده الى اخره لسفل فانه مهانة ضعفه وظهور عجزه فان فسر بالنار على ان شغل البدن داخل في المحنة والمشغول عن جميع الفرايض والنوافل من اهل الدرك السافل وليس هذا للمصنف ولا لانسان معين بل للجنس كقوله ان الانسان لفي خسر ومع ذلك كاد في الاثبات نفي فلا يرد عليه شي مما يتوهم وهو لم يذكر الاية حتى يرد عليه ما قيل المراد بالتقويم الاستقامة في الدين واسفل سفل اتباع الهوى وايثار الدنيا على مرضات ربه كاكثر من تولى القضا وهو المذكور في قوله تعالى ولكنه اخلد الى الارض واتبع هواه فهو الاسفل هنا لا المذكور في سورة التين لانه غير ملايم هنا لاختصاصه بالكفرة وقد مر لك ما يتضح به ما في هذا الكلام من الخلل والسفل ضد العلو ويكون حسيا ومعنويا ثم شرع في التاسف على ما ابتلى به نوع الانسان وعلى ما اضاهاه مما ابتلى به في نفسه فقال **ولو اراد الله بالانسان** اي لو اراد الله بجنس الانسان وجميع افراده **خيرا** حتى اكون منذرجا فيهم وخيرا بمعنى خير محض بحيث لا يصدر عنه سواه كما قال تعالى ولو شا لهداكم اجمعين وهذا مراد من قال خيرا كاملا ومن ظن تغايرهما فقد وهم اذ الخير انما يكمل اذا لم يكن معه شر كما لا يخفى **فجعل شغله** فاعل جعل المستتر الظاهر انه لله ويجوز ان يكون للانسان واما الضمير المضاف اليه مقابله همه وقيل المراد ما يشغل قلبه وقالبه من العبادة فان منها قلبية كمعرفة الله وبدنية كالحج فلا وجه لتخصيصه **وهمه** اي ما يهتم ويعتني به او ما يعزم عليه عزما مصمما من هممت بالشي اهم بالضم من باب فعل يفعل فعطفه على الاول من قبيل عطف المتقاربين وعلى الثاني من عطف الخاص على العام ويجوز ان يراد به الحزن فهو من عطف المتغايرين وبينهما فرق وقد يجيئان بمعنى لكن الاول اقعد لان هذا لا يلايم ما بعده لان الحزن لا يكون لما يستقبل ولذا احتاجوا التاويل قوله اني ليحزنني ان تذهبوا به وايضا الحزن لا يكون فيما يحمد الا بتكلف كاعتبار فواته فمن اقتصر عليه فقد قصر حيث قال الهم الحزن والمراد بالشغل الفعل الاختياري والحزن انفعال النفس لخوف ما سياتي وليس المراد به الارادة كما توهم من هم بكذا اذا اراد فان كلام المصنف مقتبس من الحديث وهو قوله صلى الله عليه وسلم تفرغوا من هموم الدنيا ما استطعتم فان من كانت الدنيا اكبر همه افشا الله ضيعته وجعل فقره بين عينيه ومن كانت الاخرة اكبر همه جمع الله له امره وجعل غناه في قلبه وجمع شمله واتته الدنيا راغمة ولا يخفى ان ما فسر به الحزن غير مستقيم وان كلام المصنف بمعنى اخر بدليل سباقه وسياقه مع ان الهم في الحديث ايضا يجوز ان يكون بمعنى الارادة ويعضده ما وقع في بعض طرق الحديث وكانت الاخرة نيته فتدبر **كله** تاكيد للشغل والهم معا او تاكيد للثاني وتاكيد الاول مقدر كما قيل ولم يتعرض صاحب المغني في انواع الحذف له فان حذف التاكيد ينافي المقصود مع انه لا مانع منه ويجوز جعله تاكيدا للثاني كما قيل لان الهم اذا لم يكن في شي يدل على عدم الاشتغال به بفحوى الخطاب وجعل مبني للفاعل وبناؤه للمجهول خلاف الظاهر وان احتمل **فيما** متعلق بجعل او بالشغل والهم على التنازع فيجوز

في احرهما

في احرهما **يحمد غدا او يذم محله** بفتح الحا لا بكسرها فانه غير مناسب هنا وهو بمعنى المكان الذي يحل فيه وسياتي المراد منه والحمد والذم ضدان معروفان والغد اليوم الذي بعد يومك ويكون بمعنى المستقبل مطلقا وقد يراد به يوم القيمة وهو المراد هنا وفي المثل • لكل يوم غد • واما قوله

وسوف تري يوما وليس له غد • فهو كناية عن يوم الموت واصله غدو وربما جاء على الاصل في ضرورة الشعر كقول ذي الرمة

وما الناس الا كالديار واهلها • بها يوم حلوها وغدوا بلاقع •

وفي الشرح يجوز في يحمد ويذم ان يبنيا للفاعل وهما للمجهول والرفع وضميره لله او للانسان ايضا والمحل مكان الاقامة وليس المحل بمعنى كالمقام في قول الشماخ

وما قد وردت بقيت عنه • مقام الذيب كالرجل اللعين •

وهذا هو الظاهر الا ان زيادة الاسما ممنوعة ولذا قيل ان حمد المحل وذمه كناية عن حمده وذمه في نفسه على احسن وجه او يجعل حمده جزاؤه وذمه كجرمه فيجوز في نسبته وقيل المراد بمحله من صدر عنه وعبر به عن الفاعل ايما لما عليه الاشعري من ان الفاعل الحقيقي هو الله والعبد محل لكسبه ومباشرته لما خلقه الله واوجده فان قلت كيف يكون شغل العبد الذي يريد الله به خيرا بما يذم وهو الحرام وما يقرب منه قلت اجيب بان الشغل اعم من الشغل بالفعل وبالترك فشغله بما يحمد بفعله وبما يذم بتركه فيحمل شغله واهتمامه بفعل ما يحمد من الواجب والمندوب وترك ما يذم من الحرام والمكروه وقيل انه تكلف والمراد بالشغل بما يذم اشتغال قلبه به ويوبده عطف الهم عليه فالاشتغال بالطاعة بفعلها وبالمعصية للحذر منها ولا يخفى انه لا فرق بينه وبين ما قبله وقد يقال الاشتغال فيما يحمد والهم بمعنى الحزن فيما يذم وهو حسن او التقدير في معرفة ما يحمد ويذم كما قيل

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه • ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه •

ولك ان تقول المراد بما يحمد ويذم الامور المهمة التي من شانها ذلك يعني ان اشتغاله وهمته في معالي الامور دون سفسافها او غدا قيد لهما كما هو معروف في القيد المتوسط وقد يفسر غدا بالمستقبل بعد موته كما قيل

وانما المرء حديث بعده • فكن حديثا حسنا لمن وعى •

او يقدر مثله في الثاني واو اشمل الشغل القلبي فاو لا تاباه ولا حاجة لجعلها بمعنى الواو وقيل المراد بما يحمد ويذم التجرد عن العلايق مما يحمد في القيمة ويذم لفقد صاحبه فغدا قيد للاول فقط واو لتغاير محليهما وفاعليهما وفي بعض النسخ محله مرفوع نايب عن الفاعل وجعل مجهول وما بعده مرفوع ايضا رعاية للفاصلة وهو متجه ايضا وفي بعض النسخ ولا يذم بزيادة لا فيدل على ان ما يحمل الطاعات وما لا يذم المباحات اي شغله وهمه المباحات او الطاعات فلا يلزم وقوع او بين المترادفين لبعده الا انه في المباحات لا يناسب المقام فان نصب روي الاولى وبني جعل للفاعل نصب محله على الظرفية اشارة الى اعتبار الزمان والمكان في كليهما كما قيل في قوله لا املك لكم ضرا ولا رشدا ان لم يقابل الضر بالنفع والرشد بالغي والاظهر ان يقال انه لما ذكر انه مقطوف بالمحن الشاغلة عن الخيرات عقبه بان هذا مقتضى الفطرة الاولى ومن اراد الله به خيرا صرفه عن الالتفات الى المصايب وجعل شغله مقصورا على كسب الخير وحزنه على ما فرط فيه من اشتغاله بما يذم فانه قل ما يخلو عنه احد ومن خاب نفسه قطع العلايق ولم تقعده العوايق كما قيل

اراك تطلب دنيا لست تدركها • فكيف ترشد اخرى لست تطلبها •

فمن ثمة بفتح المثلثة والميم المشددة وهو اسم اشارة مبني على الفتح ويرسم بها السكت لانها تلحقه في الوقف وقيل انها تا تانيث في لغة قليلة واختلف فيه هل هو موضوع للبعيد او القريب وكل منهما صحيح

هنا وفي شرح التسهيل كونها للتقريب اقرب وهي في قولهم ومن ثمة كان كذا اشارة لمعنى يكون منشأ
لغيره ولذا فسروها بمن اجل وهو استعارة بجعل منشأ الشي لمكانه ويوخذ منه التعليل فان كانت
من تعليلية فهو ظاهر وان كانت ابتدائية فالتعليل يفهم من السياق كما افاده شيخنا في الايات
البينات والفا فصيحة او تعليلية تفريعية والاشارة للدار الاخرة ومكان لقيه كما قيل لانها
نصب عين المومن وهي تعلم من قوله غدا والاحسن انها اشارة الى الزمان الدال عليه فانها قد يشار
بها اليه اي اذا انكشف الغطا في ذلك اليوم عرفت انه ليس فيه غير ما ذكر **سوى حضرة النعيم**
سوى بمعنى غير والحضرة مصدر حضر ضد غاب كالحضور وفي النهاية حضرة الرجل قربه ويكون
بمعنى المجلس والفنا والكتاب في الانشا يستعملونه للتعظيم كالمقام العالي وحضرة الخليفة تادبا
باضافة ما له لمحله فالمراد هنا تعظيم النعيم او المراد به الجنة لمقابلته بالجحيم والنعيم المسرة والترفه
في المعيشة وفي نسخة نضرة النعيم اي بهجته وحسن منظره **او عذاب الجحيم** العذاب العقاب
الشديد والجحيم المكان الشديد الحر والنار المتاججة واسم لجهنم والاضافة لامية لا بمعنى في
ولا ادنى ملابسة كما قيل لانه عدول عن الظاهر بغير فائدة والحصر بالنسبة لما يجزى به المرء اي ليس
في الاخرة الا احد هذين الامرين وليس فيها تصرف لاحد فينبغي الاهتمام بامرها وبهذا ظهر المراد
وينبغي للعاقل ان لا يزال مفكرا في الاخرة ومعرفة ما ينجيه ويودي للعذاب الاليم ويجد فيما يودي للنعيم
المقيم في الطاعة والعمل الصالح حتى تحمد عاقبته وعذاب بالجر عطف على حضرة او النعيم نهكتابه هـ
والاول اولى وهذا اما بنا على عدم الاعراف او باذخالها في النعيم باعتبار المال للنعيم او بعد نعيما
بالنسبة للجحيم **ولكان عليه بخويصته** وفي نسخة بخويصة نفسه وهو عطف على جواب لو واعاد
اللام فيه اشارة الى انه جواب آخر مستقل وليس مرتبا مما قبله والضمير المستتر في كان للانسان وجملة
لله بتقدير لكان الله منتصرا في شانه ليلزم خويصته نفسه من غير داع وعليه يتعلق بمقدر وكذا
بخويصته اي لكان الواجب عليه اهتمامه بنفسه لانه لما ذكر انه استعجل بما طلب من الخير وخاف من محن
الدهر الشاغل وعروض ما يضعف عزمه ويدنه العائق عنه وعن غيره من العبادة كالقضا وامور الدنيا
عقبه بان من يرد الله به خيرا وفقه لاشتغاله بما هو خير لان ماله لجزاء عمله من خير وشر فينظر ما يقدم
عليه ويتقيد باصلاح نفسه بالعمل الصالح والعلم فيدع العوائق من امور غيره وامور نفسه التي لا تهمه
فان من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه فعلى هذا عليه ليس منقولا لانه اسم فاعل للاغرا وهو الحث
والطلب لانه يقال عليك وعلي وعليه بمعنى الزم والاخرشاد وعلى هذا يتعدى بنفسه وقد يتعدى
بالبا نحو عليك بذات الدين فيفسر بما يناسبه وقال الرضي الباء زايدة وهي تزاد كثيرا بعد اسما الافعال
لضعفها في العمل لانه فسر علي ولي وعليه فيلزم وقال ابن عصفور في حديث من لم يستطع فعليه
بالصوم الصوم مبتدا اخره عليه والبا زايدة واعترض بانه يقتضي ايجاب الصوم وزيادة البا في مبتدا
غير حسب وفيه كلام طويل في كتب العربية فعلية متعلق بمقدر او اسم فعل وبخويصة متعلق بمقدر
او بعليه وهو مبتدا والبا زايدة وعليه خبر مقدم لتاكيد الحصر والجملة خبر كان كما بيناه وخويصة
بالخا وفتح الواو وسكون اليا لان يا التصغير لا تحرك وصاد مهملة تصغير خاصة وهي ما يختص وحيث
وقع خويصة مع النفس او اريد به النفس لم يرد الا مصغرا والتصغير للتقليل والتحقير وقد يرد لغيره
والاول هو الاصل ففيه اشارة الى ان من تقيد بنفسه قلت اموره وخفت احواله فلم يصرف زمانه الا
في المهمات وفي الحديث عليك بخويصة نفسك فالمراد بالخويصة النفس واضافتها لتغاير اللفظ والمفهوم
كعرق النسا او هو من اضافة العام للخاص كمدينة بغداد والمراد عوارضها الذاتية المختصة بها دون

الناس

الناس وما لا يفيد وقيل هو الموت ونفسه اسبابه ولا يخفي بعده **واستنقاذ مهجته** المهجة الدما التي
منها الروح وهو المراد والاستنقاذ والانقاذ التخليص اي فتخليص روحه من العذاب باصلاحها وصونها
عن القبائح **وعمل صالح يستزيده** الاستزادة طلب الزيادة وليس الطلب مرادا بل المراد المبالغة في زيادته
ويجوز ابقاوه على اصله ووصفه بالزيادة اشارة الى انه ليس بفرض والصالح المحمود شرعا وقدمه على العلم
لانه المقصود او للترقي **وعلم نافع يفيده ويستفيده** من العلوم الشرعية وما لا بد منه كالعقايد الحقة
وقدم الافادة وان كانت موخرة عن الاستفادة لانها انسب بالمقام واشرف **جبر الله صدع قلوبنا**
الجبر اصلاح ما انكسر ومنه الجبيرة والصدع الشق وهو الكسر الذي لم يبن في الاجرام الصلبة كالزجاج
والعظم وفيه اشارة الى ان هذه القلوب كالحجارة قسوة ففيه استعارة في الجبر او تجوز بالاطلاق في المقيد
اي ازال ما في قلوبنا من النقايص واصلح ما فيها من العيوب والاحسن ان يقال انه دعا بان يزيل الله ما
في قلبه من الغفلة والقسوة المانعة عن قبول ما ينفعه فشبه القلوب القاسية باناء صلب مكسور
لا يقر فيه شي ففيه استعارة مكنية في قلوبنا وتخييلية في صدع والجبر ترشيح وهذا اولى مما في الشروح
وغفر عظيم ذنوبنا من اضافة الصفة للموصوف بحسب الاصل وخص العظيم اما لان الصغاير من الله
بمغفرتها بالمكفرات المشهورة كالصلوات الخمس ونحوها او لان من يغفر الذنب العظيم يغفر غيره بالطريق الاولى
او لان كل ذنب عظيم نظرا لعظم من عصي كما قيل ان الذنوب كلها كباير **فان قلت** ما الفرق بين العفو والمغفرة
قلت بين مفهوميهما بحسب الوضع عموم وخصوص فان المغفرة من الغفر وهو الستر والعفو بمعنى المحو
ولا يلزم من الستر المحو وعكسه كان يحاسبه بذنبه على رؤس الاشهاد ثم يعفو عنه ويستره ويجازيه عليه اما
بالنظر لكرم الله فهو اذا ستر عفا فبينهما عموم وخصوص مطلق ولذا يقال في مقام الملاطفة في الاكثر عفا
الله عنه **وجعل جميع استعدادنا** معنى الاستعداد طلب العدة بالضم وهي ما لا بد منه لوجود الشي لتم
شاع في لازمه وهو التهيو وهو المراد هنا ويكون بمعنى الاستحقاق كما في المحاكمات وهما متقاربان **لمعادنا**
اي جعل استعدادنا بما فيه عون على النجاة والفوز بالسعادة في الاخرة والمعاد محل العود فخص بالمحشر لعود
الارواح لابدانها او العود للقاء الله ليجزيهم باعمالهم كقوله اليه مرجعكم وللمفسرين في قوله ان الذي فرض عليك
القرآن لرادك الى معاد اقوال منها ما ذكر ومنها انه الجنة لانهم كانوا فيها في عالم الذر ولانها كونها معدة لهم
كانهم كانوا فيها فان العرب تجري ما هو بالقوة الممكنة مجرى ما بالفعل فيقولون جفنة يقعد فيها ثلاثة رجال
اي واسعة وعليه قول ابن القيم • فحي على جنات عدن فانها • منازلك الاولى وفيها المخيم •
وتوفر دواعينا معطوف على جميع او استعدادنا والتوفر الكثرة والقوة والدواعي جمع داع او داعية
وهي ما يحمل على فعل الشي قال الاسنوي في شرح منهاج البيضاوي اذا علم الانسان او ظن او اعتقد ان له
في الفعل او الترك مصلحة راجحة حصل في قلبه ميل الى الجازم فضل العلم ونحوه هو المسمى بالداعية مجازا
من دعاه بكذا اذا طلبه فكان علمه بالمصلحة طلب منه الفعل وقد يسمى الداعي غرضا وهذا هو المراد لانه
المعروف في كلامهم وقيل المراد عوننا وطلبنا ودواعي الدهر ما يستدعيه من الحوادث والمراد اعمالنا وما
نطلبه انتهى فالمقصود الدعا بان يجعل الله ميله مصروفا لما ذكر وهذا كله بيان لما قدمه **فيما ينجينا**
هو افعال او تفعيل من النجاة وهي الخلاص مما يخشى كعذاب الله وما يبعد عنه وكان الظاهر ان يقول لما ينجينا
لانه على المعنى الاول يتعدى باللام لكنه جعل شدة ميله له كانها تمكنه فيه فالظرفية مجازية كقوله
لاصلبنكم في جذوع النخل وقيل الدواعي تضاف لما تترتب عليه كدواعي الوطي وليس بلازم كقولهم دواعي
الدهر وكما في عبارة المصنف **ويقربنا اليه زلفى** زلفى فعلى من ازلف بمعنى ادنى وقرب قال الله تعالى وازلفت
الجنة للمتقين فالمراد قربا او تقريبا كاملا فهو مفعول مطلق منصوب بالفعل المذكور من معناه كجلس قعودا

او بمعد ومن لفظه ففيه ايجاز بليغ كما في تبيان الطيبي لان معني انبته نباتا انبته فنبت نباتا
والمراد قرب المنزلة والمرتبة المعنوية باكرام الله تعالي الذي هو اقرب من حبل الوريد **وحظيئا** بضم
المثناة التحتية من الحظوة بضم الحا وكسرها وهي القبول وعلو المرتبة عند من يحب وهو قريب معني مما قبله
لان القرب المكاني ينزه عنه الباري وما ورد في حقه في القرآن والحديث المراد به قرب معنوي باعتبار
علمه به او كرامته لديه وهذا هو المراد هنا ولذا فسر بعضهم الحظوة بالتفضيل علي الغير فالمعني انه طلب
من الله ان يكرمه ويفضله علي غيره لتغاير الجملتين بحسب الظاهر وان تغايرتا معني وما اورد عليه من
انه لا يفيد ما ذكر هنا لانه انما يفيده اذا تعدي بعلي كما قاله الجوهري ولا صلة له هنا لا وجه له لانه
غير مسلم مع ان باب التقدير واسع **بمنه** متعلق بما قبله وهو خبر وقيل تنازع فيه هو وما بعده علي
القول بتوسط المتنازع فيه ولا حاجة الي جعله متعلقا بمصادر تلك الافعال لانه تقدير لا حاجة اليه
والمنة تكون بمعني تعداد الجميل وهو يحسن من الله ومن اسمائه المنان ويقبح من غيره ولذا قيل المنة
تهدم الصنيعة والظاهر انها مكروهة لغير من كفر النعمة وجحدها وقيل انها حرام من كل احد وقيل
حرمتها مخصوصة بالنبي صلي الله عليه وسلم لقوله تعالي ولا تمنن تستكثر وانكاره من عدم الاطلاع
وتكون بمعني الانعام **ورحمته** بالجر معطوف علي منه وهي في الاصل رقة القلب ولامتناع ذلك
في حقه تعالي اريد بها غايتها وهي اللطف والاحسان فهي من صفات الافعال او ارادته فهي صفة
ذاتية والبا في قوله بمنه سببية وقيل انها للاستشفاع واورد عليه انه بمعني غريب لم يقله احد من
النحاة ورد بان مراده انها للتعدية ولكن اريد التشفع بمدخولها كما يقال في باء البسملة انها للتبرك
فالمراد انه توسل الي الله به كما ورد اعوذ بك منك ولك ان تقول انها للقسم الاستعطافي وما له الاستشفاع
وتمثيله له بقوله بحياتك صريح فيما قلناه فلا غرابة ولا استغراب الا من عدم التدبر ثم بقي الكلام
في ان القسم الاستعطافي الواقع في السؤال هل يتعقب بالبا والوقوع بعد الامام لاظهار كلامه انه لم
يسمع الا كذلك وفي الكشف في اول سورة النسا انه غير لازم **ولما نويت** لما بالفتح والتشديد
ظرف زمان عامله جوابه والنية في العرف القصد المقارن للفعل وغير المقارن عزم **تقريبه** اي
جعله قريبا الي الافهام او الي الحصول بالتدريج الاتي ونحوه والتقريب عند اهل المعقول سوق الدليل علي
وجه يقتضي المطلوب **ودرجت تبويبه** اصل التدريج جعله درجة بعد درجة وفي الصحاح درجت
اليه ادنيته علي التدريج وتبويبه مصدر مبني للمفعول اي جعله ذا ابواب والمراد انه رتبه بابا بابا
وقد يراد بالتدريج التاني والتمهل كما قيل • درج الايام تندرج • يعني انه سهله ورتبه ترتيبا
حسنا متناسبا **ومهدت تاصيله** اصل التمهيد بسط الفراش وهو المهاد والتاصيل ذكر القواعد
والاصول يعني انه ذكر فيه قواعد وادلة تبتني عليها مسايل ابوابه فليس بمجرد دعوي خالية عن الادلة
والنقول الصحيحة وليس المراد انه سهله واوضحه كما لا يخفي **وخلصت تفصيله** اي ميزت فصوله
اي فروع قواعده وتفاصيلها عن الاجمال والادلة واصل التخليص الاخراج والابعاد من الخلاص قيل
ويحتمل ان يراد بالتاصيل الاجمال او عبر به رعاية للفاصلة ولو قيل انه علي هذا من الاصول والقواعد
كان اظهر **وانتحيت حصره** حصره بالحا المهملة اي قصدت من نحا نحوه اذا قصده واصله انتحوت
وفي نسخة انتخبت بالخا المعجمة والبا الموحدة والحصر اصل معناه الحبس والمراد به حصر الكل او الكلي
في اجزائه او في جزئياته اي قصرت او اختصرت حصر انواعه في هذه الابواب او الابواب المعينة
ولا وجه لتفسيره بالاختصار علي النسخة المشهورة وحصر الكل في اجزائه ظاهر وقوله في عروس
الافراح انه لا يمكن لان الحصر جعل الشي في محيط به فالمحيط حاصر والمحاط محصور مظروف وشان الكل

مع اجزائه

مع اجزائه عكس ذلك لان الكل محيط بالاجزاء والاجزاء منحصرة في الكل فكيف يجعل الكل منحصرا فيها
ليس بشي لانه اصطلاح لا مشاحة فيه والمراد ان الاجزاء المفصلة لا يخرج عنها الكل كما لا يخرج المظروف
عن ظرفه وهو امر سهل وتحصيلا اي جعله حاصلا فيه بعد جمعه من الكتب المنتشرة وقيل المراد ان الناس
يحصلونه لاختصاره وضبطه فانه ما كل من طلب العلم حصله ولا كل من حصله اصله ولا كل من اصله
فصله ولا كل من فصله وصله **ترجمته** جواب لما والمراد سميته واصل معني الترجمة التعبير عن لغة
باخري ويكون بمعني التبليغ لما خفي من الكلام لبعد قايله او لحايل بينه وبين سامعه او لقصور فهم كما
في شروح البخاري ومنه قوله • ان الثمانين وبلغتها • قد احوجت سمعي الي ترجمان •
واطلاق الترجمة علي التسمية علي طريق التشبيه لجعل معرفة المسمي باسمه كمعرفة المعني بالتعبير عنه بلغة
اخري وهو مجاز متعارف والقول بانه التسمية قبل الخروج من الذهن الي الخارج لانه لما كان غير معلوم عبر
عنه بالترجمة لجامع بينهما تكلف لا حاجة اليه لما عرفته والترجمان هو المبلغ عربي وقيل انه معرب
ترجمان تصرفوا فيه وفيه لغات في كتب اللغة **بالشفا** متعلق بترجمته بمعني سميته **بتعريف
حقوق المصطفي** الباء سببية متعلقة بالشفا او بمعني في قال ابن الجوزي في كتابه نزهة العيون
الشفا ملايم للنفس يزيل عنها الاذي ويستعمل في القرآن علي ثلاثة اوجه الفرج كقوله ويشف
صدور قوم مومنين اي يسرهم والعافية كقوله واذا مرضت فهو يشفين والبيان كقوله شفا لما
في الصدور وهو وما بعده هنا علم منقول والكلام في اسما الكتب هل اسما جنس او اعلام جنسية او
شخصية ومسماها المعاني او النقوش او مجموعها احتمالات ليس هذا محل تفصيلها والشفا ممدود
قصر هنا للوقف علي فواصل السجع كالقوافي والممدود يجوز ان يقصر اذا وقف عليه حقيقة او تقديرا
او هو لمشاكلة مصطفي وهي مجوزة لحسنه فلا غبار عليه وما قيل من انه قصر لانه قصر عن بيان هذه
الحقوق لطيفة لا تصلح للتوجيه وقيل انه ضرورة والضرورة كما تجري في الشعر تجري في السجع كما في
شرح التسهيل وهو غريب من قايله واغرب منه تجربة المصطفي وغيره مما لا طايل تحته واسمه موافق
لمسماه فان السلف الصالحين قالوا انه جرب في انه لشفا الامراض وفك عقد الشدايد وفيه امان
من الغرق والحرق والطاعون ببركته صلي الله عليه وسلم وقد كنت حال كتابة هذا المحل في ضيق
صدر وحرج وانا الان انتظر لكل خير وفرج كما قيل

يارب ظهري مثقل بالعنا • وما اقاسي من شديد الجفا •
والمتن قد كل وصدري به • ضيق فوسعه بشرح الشفا •

اللهم صل علي محمد وعلي آل محمد النبي الامي الطاهر الزكي صلاة تحل بها العقد وتفرج بها الكرب
وحصرت الكلام فيه في اقسام اربعة ضمير فيه للكتاب او لتعريف حقوق المصطفي
والجار والمجرور متعلق بالكلام او حال منه والحصر والقصر بمعني الحبس لغة واصطلاحا تخصيص
شي بشي بحيث لا يتجاوزه ووجه الحصر في مثله استقرائي وجعله عقليا بالعناية تكلف وضمير
فيه ان كان للكتاب كما هو المتبادر فهو من حصر الكل في اجزائه وتسمية الجزء قسما باعتبار معناه
لغة والفرق بين الجزء والجزئي ان الاول يطلق المقسم عليه اذ كل واحد منهما لا يسمي كتابا حقيقة
وفي الاصطلاح القسم الجزئي لا الجزء فان اطلق عليه فهو مجاز لمشابهته له كما يقال تقسيم الكل
الي اجزائه • وادعي بعضهم انه حقيقي ايضا ولا مانع منه وان لم يرتضه بعضهم فان عاد الضمير للتعريف
فهو من تقسيم الكلي الي جزئياته والاقسام علي ظاهرها

القسم الاول في تعظيم العلي الاعلي لقدر هذا النبي قولا وفعلا

التعظيم والتبجيل والتفخيم بمعنى وهو توقيره وتكريمه بما يرفع قدره او يظهر رفعته والعلي من اسمائه تعالى من العلو اذ هو جل شانه هو العلي حقيقة علوا منزها عن الجهة والحلول ويوصف بالاعلى ايضا وان كان لا علو لغيره بالنسبة اليه واعلى المقادير بعد قدر الله قدر نبينا صلى الله عليه وسلم ولا يخفى موقع العلي الاعلى هنا فان التعظيم انما يعتد به من العظيم وعلو مرتبة النبي وان ناسب ان يشار اليه بما يدل على البعد الا ان المصنف آثر اشارة القريب اشارة الى ان تعظيم الله له قربه منه وادنى منزلته وانه ينبغي لمن يحبه ان يكون نصب عينه كما اشار اليه كانه حاضر عنده ولذا قال النبي دون الرسول لان النبوة اتصال صرف بالله والرسالة وساطة بينه وبين الخلق وبهذا الاعتبار كانت افضل كما في قواعد القرافي وسيأتي مفصل الكلام فيه والاشارة تاتي للتعظيم كما بينه اهل المعاني **وتوجه الكلام فيه في اربعة ابواب** من حصر الكل في اجزائه لا الكلي في جزئياته كما توهم •

الباب الاول في ثنائه عليه واظهاره عظيم قدره لديه وفيه عشرة فصول

الباب يطلق على الفرجة التي يدخل منها للدار وعلى ما يسد به ويغلق من خشب ونحوه ويطلق في عرف المصنفين على مسايل من الكتاب متناسبة افردت بترجمة لان ما فيها من المسايل والقواعد يتوصل به لمعرفة جزئياته او لانه يصونها ويحفظها وقيل بمعنى البابة وهي النوع وهو سمج بارد وهو قد يشتمل على الفصول جمع فصل وهو نوع من المسايل مفصول عن غيره او ترجمته فاصلة بينه وبينه فهو مصدر بمعنى فاعل او مفعول كما يشتمل الكتاب على الابواب غالبا والثنا الوصف بالجميل ولا يختص باللسان في المشهور لقوله انت كما اثنيت على نفسك على ما فيه وقدر الشيء مقداره وشرف رتبته ويكون بمعنى التعظيم كما في قوله تعالى وما قدروا الله حق قدره اي عظموه حق تعظيمه في احد الوجوه فيه فيجوز تفسيره هنا بكل منها ولديه بمعنى عنده وبينهما فرق مشهور واذا قيل عند الله فله معان لاستحالة حقيقته عليه تع فيكون بمعنى علم الله او حكمه كما في قوله فاولئك عند الله هم الكاذبون وبينهما فرق دقيق قد بيناه في حواشي القاضي في سورة النور ويكون بمعنى فضل الله كما في قوله تعالى قالت هو من عند الله هـ

الباب الثاني في تكميل الله تعالى له المحاسن خلقا وخلقا وغير ذلك

المحاسن جمع حسن على خلاف القياس او هو جمع لواحد كمحسن بزنة مقعد او لا واحد له وهو الامر الحسن مطلقا والحسن الخفي خلقا وخلقا بفتح وسكون فضم وسكون منصوبان على التمييز والخلق لا يجاد والخلق السجية والطبيعة وهي ملكة راسخة في النفس لا تقبل الزوال بسهولة على الاصح وهي للنفس كالخلق للجسم لان احدهما صورته الباطنة والآخر صورته الظاهرة وبحسن الاخلاق وقبحها يكون الحمد والذم وما يترتب عليه وحسن الصورة يدل على حسن السيرة فلذا يمدح به كمال الرجال ولذا اخطا الآمدي من اعترض على ابي تمام في وصف ممدوحه بالجمال لانه يليق بالغزل بل لما ذكرنا **وقرانه جميع الفضايل** القران بوزن القتال مصدر بمعنى الجمع وجميع مفعوله والفضا جمع فضيلة وهي الصفة الحميدة مطلقا سوا كان لها اثر متعد ام لا وقد تخص بالثاني الفضايل وبالاول الفواضل وكان شيخنا الزيادي يقول في مثله اذا افترقا اجتمعا واذا اجتمعا افترقا وهو كلام حسن **الدينية والدنيوية** الدينية منسوبة للدين وهو وضع الهي سايق لذوي العقول باختيارهم المحمود الى ما هو خير لهم في العقبى فيختص بالدين الحق الذي جات به الرسل ويستعمل فيما يشمل الباطل كما في قوله تعالى لكم دينكم ولي دين انه لم يقل انه مشاكل او بحسب

اعتقادهم

اعتقادهم والمراد الاول هنا وللدين معان اخر كالجزا والطاعة **والدنيوية** منسوبة للدنيا وهي الارض وما عليها من المخلوقات واحوالها وتطلق على المال وما يملك وفي النهاية انه اسم لمدة الحياة والمراد بالاول العبادة ونحوها وبالثاني نحو حسن خلقته وصحة بدنه وغير ذلك وهي فعلى مونث ادنى افعل تفضيل لكنها جرت مجرى الاسما وجردت من معنى التفضيل ولوازمه ولذا ورد تنوينها شذوذا وفي النسبة اليها ثلاث لغات فيقال دنيي وقلبها واوا فيقال دنيوي وزيادة الف فيقال دنياوي كما بين في علم التصريف وداله مضمومة وقد تكسر وهي من الدنو بمعنى القرب وقيل انها من الدناءة كما قال الشاعر •

اعاف دنيا نسيمي من دناءتها • دنيا والا فمن مكروهها الداني •

ووجه التسمية ظاهر والدنيا قد تقابل بالدين كما ورد في الحديث وغيره وقد تقابل بالدين ايضا وكل منهما صحيح فصيح فلا وجه لما قيل من الدنيا بمعانيها لا تقابل بالدين لكن شاع مقابلتها له وهو المراد بقرينة المقابلة او المراد ما نسب الى الدنيا فقط فان المنسوب الى الدين منسوب الى الاخرة ايضا ولا يخفى ما فيه فتدبر **فيه نسقا** ضمير فيه للنبي صلى الله عليه وسلم وهو متعلق بقران او بقوله نسقا بناء على جوازه ونسقا حال من جميع فان كان مصدرا فهو ما تأول بصفة والا فهو على ظاهره قال الدرر نسق وكلام نسق على نظام واحد فالمراد انه جمعها على وجه متناسب ياخذ بعضه بحجز بعض **وفيه سبعة وعشرون فصلا** قال السيد ليس في الكتاب الا ستة وعشرون فالظاهر انه عد ما بين ترجمة الباب الى الفصل فصلا وان لم يسمه وكذا الحال في جميع ما عدا من الفصول الا في موضعين نقل الكلام فيهما بين الترجمة والفصل فلا تغفل لكنه لما لم يعد ما بين القسم الى الباب بابا لان العادة تسمية لمسايل الجمل بالباب ولم يدخله في باب لتعلقه بالابواب كلها وقد سبقه اليه لتعلقه بالابواب كلها وقد سبقه اليه التلمساني وزاد عليه انه لم يذكر اوصاف الفصول بالعدد بحيث يقول الاول والثاني الخ الا في الباب الاول فيعلم منه ان الصدر عنده من جملة الفصول وبذلك ينقسم الامر ويتم العدد

الباب الثالث فيما ورد من صحيح الاخبار ومشهورها

الخبر في العرف واللغة ما ينقل عن الغير وزاد فيه اهل العربية واحتمل الصدق والكذب في حد ذاته والمحدثون يستعملونه بمعنى الحديث وقد يفرق بينهما فيقولون الحديث ما جاء عن النبي والخبر ما جاء عن غيره ولذا قيل لصاحب التاريخ اخباري بصيغة الجمع وقيل بينهما عموم وخصوص فكل حديث خبر ولا عكس وعبر به المصنف هنا لانه اشمل واذا كانا بمعنى فالمراد ما اضيف اليه قولا وفعلا او تقريرا ونحوه ويدخل فيه ما هم به قلبه اذا علم بوجه من الوجوه وكذا ما يتعلق بحلية الشريعة وفي هذا المقام تفصيل مذكور في مصطلح الحديث والصحيح والحسن اما لذاته او لغيره لانه اذا رواه عدل تام الضبط واتصل سنده ولم يكن معللا ولا شاذا فهو الصحيح لذاته فان لم يسلم مما يضعفه لا يجبر بتعدد الطرق ونحوه فهو الصحيح لغيره وما لم يشتمل على اعلى صفات القبول فهو حسن والمشهور ما نقله دون رواته ولم يصل الى حد التواتر ويطلق على ما شاع مطلقا وان لم تتعدد طرقه سوا كانت شهرته بين المحدثين ام لا وهو الذي عناه المصنف هنا ولذا عطفه على الصحيح واهل الحديث يستعملونه بهذا المعنى ايضا كما ذكره ابن حجر ويدل عليه قول المصنف في اول هذا الباب اعلم ان الاحاديث الواردة في ذلك كثيرة جدا وقد اقتصرنا على صحيحها وشهيرها انتهى وقيل المراد ما اشتهر بين المحدثين على انه من عطف الخاص على العام **بعظم قدره** متعلق بورد **عند ربه** متعلق بقدره لانه مصدر بمعنى رفعته او منزلته وقيل انه حال من قدره وجاء من المضاف اليه لان المضاف صفة له فكانه بين المحمول لان تقدمه

فدره العظيم حال كونه كاينا عند ربه فقدير **ومنزلته** اي رتبته الرفيعة عنده ايضا والعرب
تقول المنزل في الحسي والمنزلة في المعنوي كالمكان والمكانة فكان التا للنقل **وما خصه به
في الدارين** الدنيا والاخرة وتسميتهما بهذا شايعة لانهما مسكن ابن آدم فاما ان يكون الدار حقيقتها
هنا ثم خصت بما يحيط به بنا ونحوه او يكون مجازا صار حقيقة عرفية وخواص النبي منها ما خص
به عن ساير الخلق حتى الرسل ومنها ما هو بالنسبة للرسل وما هو بالنسبة لامته كما سياتي **من كراماته**
اي مما فيه تكريم وتبجيل له فمن بيانية او تعليلية كقوله مما خطاياهم اغرقوا وهو بيان لان المذكور
هنا بعض الخصايص التي خص بها تعظيما له دون ما خص به من بعض الاحكام الجزئية المخصوصة
بالتحليل والتحريم مما لا يظهر فيه التكريم وان تضمنه في الجملة ولم يذكر لذلك فهو غير مناسب لغرض
التاليف **وفيه اثني عشر فصلا** هكذا هو في النسخ كلها وهو المروي عنه مع ان الفصول خمسة
عشر وقد سلك الشراح في الجواب عنها مسالك منها ما قاله التلمساني ان الثلاثة الزايدة بعد ما اكمل
العدد اجنبية من هذا الباب مناسبة للباب الاول لانه ذكر جملة من اسمايه في اثنايه كقوله رءوف رحيم
وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وذي قوة عند ذي العرش والله نور السموات الخ مما ذكر في خفه ففهم
منه ان الفصول الثلاثة انما وضعها بعد ان تم مراده ولاح في خاطره امر يريد تركه واوجب ذكرها
وجعلها ذيلا لهذا الباب وذكر من كلامه ما يدل عليه ومنها انه كان عازما على جعلها اثني عشر فلما وصل
الى الباب الثالث اقتضى الحال زيادتها وهذا بنا على ان الخطبة مقدمة على التاليف والقول بان
قوله بوبت ودرجت باباه غير مسلم وهذا كما انه جعل القسم الرابع بابين مع انه زاد عليه ثالثا ومنها
ان مفهوم العدد غير معتبر وهذا اضعفها لان كلامهم في الاسناد لا في النصوص واما في المخاطبات
فلا فالحاصل انها ذيل للاثني عشر المقصودة او امر زاده على ما كان في تصوره وذهنه والله الموفق

الباب الرابع فيما اظهر الله على يديه من الايات والمعجزات

الايات جمع آية ولها معان منها العلامة الدالة على نبوته صلى الله عليه وسلم وفي اصلها اربعة اقوال
لاهل العربية احدها للخليل وهو ان اصله ايية بفتحتين بزنة فعلة فقلبت اليا الاولى الفا لتحركها
وانفتاح ما قبلها على خلاف القياس اذ هو يقتضي قلب الثانية او الادغام لتقدمه على الاعلال
الثاني للكسائي ان اصلها آيية على وزن فاعلة فحذفت عين الكلمة والقياس الادغام كدابة الثالث
للفرا اصلها ايية بسكون اليا الاولى فقلبت الفا على خلاف القياس الرابع لبعضهم اصلها ايية
بكسر اليا الاولى قلبت الفا لثقل التضعيف والمعجزة امر خارق للعادة معجز للبشر اظهره الله على
يديه واسناده الى الله لانها من افعاله كما قاله ابن الهمام واما كونها قد تكون من قبيل الترك كان
يقول هو آية صدقي ان اضع يدي على راسي ولا يقدر احد على ذلك فلندوره لا يعتد به اولانه باعتبار
انه كف كالفعل الوجودي وكذا اخباره عن الغيب وانما اسند الى النبي باعتبار صدوره عنه وان كان
بايجاد الله وخلقه على ما عليه اهل السنة والآية والمعجزة يشتركان في الدلالة على صدقه لكن الآية
اعم لانها لا يشترط فيها مقارنتها للنبوة والتحدي فكل معجزة آية ولا عكس فشق صدره وتسليم الحجر
قبل البعثة ونحوه آية وليس بمعجزة وقول السهيلي في بعض الخوارق انها علامة للنبوة لا معجزة بنا على
عدم اقترانها بالتحدي المشروط عنده فرده ابن الهمام عليه بان امره مبني على دعوى النبوة في كل
زمان غير وارد عليه وسياتي للمصنف كلام في هذا **او شرفه به من الخصايص والكرامات وفيه
ثلاثون فصلا** المذكور في الكتاب تسعة وعشرون لكنه عد صدر الباب فصلا كما مر وننبه عليه

التلمساني

والخصايص جمع خصيصة وهي الصفة الخاصة به سوا كانت في ذاته او صفاته او فيما يصدر
عنه من معجزاته وكراماته وهي تشتمل على امور كثيرة ذكر منها في الباب الثالث تفضيله في ذاته وسيادته
لبني آدم في الدارين وقربه من ربه بالاسرا والمحبة والخلة وذكر هنا ما جرى على يديه من المعجزات
وما ضاهاها من الكرامات فمقصد البابين وما ذكر هنا مختلف معنى وان تشابه العنوان كما يعرف
بالنظر في الكتاب فلا يرد عليه ان ما ذكر هنا هو بعينه في الثالث من قوله وما خصه وهو قبيح وغاية
ما يقال في توجيهه انه اراد في كل موضع بيان سابقه فالمراد في الثالث الكرامات التي لم يقصد بها
اثبات النبوة وكونها علامة كالاسرا والامور الاخروية وفي الثاني ما يقصد به ذلك وفيه ما فيه
وقد عرفت سقوطه وانما اوقعه فيه اتحاد العنوان ظاهرا وهو على طرف الثمام على انا نقول انهما
متغايران معنى كما يعرف بالتامل الصادق وقيل ان الخصايص والمعجزات آيات كما سياتي في بابه
والكرامة لغوية اصطلاحية فلا تنافي المعجزة واما الكرامة التي خص بها في الدارين المذكورة
قبله فقد قيل انها ما لم يقصد به اثبات النبوة ولا كونه علامة قبلها كالاسرا ولا طايل تحته وقيل
الكرامات هنا الخوارق التي قبل دعوى الرسالة وفي شرح المواقف انها تسمى كرامة وارهاصا
وهو التاسيس ولسبقها على اظهار الرسالة كانت كالتاسيس لها **فان قلت** اخباره عن المغيبات
كيف يعد معجزة **قلت** هو على قسمين ما وقع في حياته كعير قريش ونحوه ولا شبهة في كونه معجزة
وما وقع بعده كاخباره بالخوارج وذي الثدية وتسميته كرامة اقرب لعدم مقارنته للتحدي والقول
بانه معجزة لعجزهم عنه سوا كان العجز عديما ام لا تحدي **القسم الثاني فيما يجب على الانام**
اي يلزمهم حتى ياثموا بتركه والانام الخلق والآلا الانس والجن وكل ما على وجه الارض والمناسب
هنا الثاني وقيل انه ما يعتريه النوم **من حقوقه عليه السلام** جمع حق وهو الامر الثابت له هم
ويترتب القول فيه في اربعة ابواب يترتب اي يتمكن او يذكر مرتبا من الترتيب وهو جعل كل
شي في مرتبته اللايقة به وكونه من تقسيم الكل او الكلي تقدم مع ما فيه هم

الباب الاول في فرض الايمان به

اي كون التصديق برسالته فرضا فالاضافة للمفعول او هي لامية او بيانية فيجب الايمان به
وبشريعته وانها ناسخة لغيرها ووجوبه لك على كل من بلغته الدعوة **ووجوب طاعته** اي
اطاعته والانقياد له **و** وجوب **اتباع سنته** اي طريقته التي امرنا باتباعها امر ايجاب **وفيه
خمسة فصول** وقد اجاد في بقيته فعبر بالفرض تارة وبالوجوب اخرى كما قال في القسم الاول
وتوجه الكلام فيه وفي الثاني وترتب القول فيه وفي الثالث وتحرر القول فيه وفي الرابع وتقسيم
الكلام فيه هم

الباب الثاني في لزوم محبته ومناصحته وفيه ستة فصول

النصح والنصيحة والمناصحة ارادة الخير للغير وارشاده له وهي كلمة جامعة كما سياتي والمفاعلة
على حقيقتها لانها اذ يفعل ويقول لصاحبه ما يفعله الآخر به وان لم يتحد فنصيحة الامة ايمانهم
بما جاء به وانقيادهم لاوامره ونواهيه ونصيحة النبي تبليغه ما امر بتبليغه وارشاده للخير وقيل
انه بمعنى النصح كالمخادعة في قوله يخادعون الله وما ذكر في الكتاب من ثواب محبته ونحوه استطرادي
وله تحقيق في شروح الكشاف

الباب الثالث في تعظيم امره ولزوم توقيره

اي شانه وحاله كتعظيم حديثه وآله وقيل اللايق هنا تقديم اللزوم لا توسطه فيقول لزوم تعظيم امره وتوقيره فكانه اشار الى تقديمه تقديرا لان من اللازم تعظيم امره وتوقيره فهو من عطف العام على الخاص وليس الامر بمعنى الطلب هنا وفي ذكره ايما الى ان توقيره اشد لزوما من توقير امره مع ما في تركه اولا من المبادرة الى ذكر تعظيمه لشدة الاعتنا بنفس التعظيم ففي كلامه ترق من الادنى الى الاعلى ولزوم توقيره وبره توقيره تعظيم ذاته واحواله ومن ينسب اليه وامته ومعاهده وآثاره بحيث لا يرا منه احد فيه فدل صراحة على لزوم تعظيمه فلا وجه لما مر **وبره** بكسر البا واصل معنى البر السعة ومنه البر بالفتح مقابل البحر ثم شاع في السعة والاحسان والصلة وهو المراد هنا وصلته بصلة اتباعه وغيرهم ممن مر ذكرهم

الباب الرابع في حكم الصلاة عليه والتسليم

من الفرضية والاستحباب على كيفية مخصوصة فقوله **وفرض ذلك** اي فرضيته او المفروض منه من عطف الخاص على العام **وفضيلته** اي فضيلة المذكور من الصلاة والتسليم ولتاويله بما ذكر افرد الضمير ويكثر مثله في اسم الاشارة كقوله عوان بين ذلك **وفيه عشرة فصول** مع ما ذكر معه استطرادا كفضيلة زيارته وسكانها ومسجدها وفضل الصلاة فيه وفي مسجد مكة وزيارته صلى الله عليه وسلم

القسم الثالث في ما يستحيل في حقه

اي يمتنع امتناعا قويا حتى يلحق بالمحال عقلا كالكذب ونحوه واصل الاستحالة معنى التغير من حال الى حال ومنه استحال الحرف ويقال استحال اذا صار اعوج وقد ورد في كلام العرب واستعماله في كلامهم كثير كما وقع في عبارة الكتاب ومن لم يقف عليه اعترض على قول المتنبي • كانك مستقيم في محال •
ويجوز عليه اي يصح ان ينسب اليه سوا كان واجبا او جايزا والمراد ما يصح اتصافه به كالاعراض لا تنافي رتبته العلية من الامور المتعلقة بالدين وغيرها لان الجواز بمعنى الاباحة من الاحكام الشرعية فقوله **وما يمتنع ويصح من الامور البشرية ان يضاف اليه** المراد به الامور المتعلقة بالدنيا دون الدين فيصح التقابل لان معناه ما يعرض لنوع الانسان في بدنه ويجوز ان يريد به ما يستحيل ويجوز على انه عطف تفسيري فلا يرد عليه ما قيل انه لم يذكر ما يجب واللايق ذكره اولا لانه اذا بين ما يستحيل منه فقد بين ما يجب له لان استحالة الشي تلزم وجوب نقيضه فذا اجمل واخصر والمراد باضافته ان يقول انه متصف به واما انه من ذكر ما يجب وقد نتعرض له فيما ياتي في بابه جعله ثمرة لنا لانه من اعظم الثمرات كما لا يخفى **وهذا القسم اكرمك الله** جملة دعائية معترضة والمعنى جعلك الله مكرما بتجلاه **هو سر الكتاب** اي خلاصته وافضله او الخفي منه والمراد انه المقصود بالذات ولما كان ما تضمنه من بيان ما نصح اضافته اليه وما لا يصح مما للحاجة اليه في تعريف عظيم مقامه وجليل مقداره هو المقصود من التاليف لئلا يقع احد فيما لا يليق بمقامه او يترك ما لا بد منه كان ما ذكر هنا زبدة الكتاب ولبه وقيل السر بمعنى الاصل لان ما سبقه مبني على مصححه من الرذايل ولا تساعده اللغة **ولباب ثمرة هذه الابواب** لباب كل شي خالصه كما قال الزبيدي ومنه اللب العقل ولبيك اي اجابة بعد اجابة اخلاص والثمرة معناها الاصل وتكون بمعنى الفايدة والنتيجة والغاية وهو مجاز مشهور والابواب المشار اليها جملة ابواب الكتاب او البعض السابق من الابواب بناء على انه كالقواعد لما قبله وما بعده كالامور المبنية عليه فهو كالثمرة له فاضافة اللباب بيانية كما قيل وهذه استعارة مصرحة بتشبيه مقصوده بثمرة ذات لب وقيل انها مكنية وتخييلية بجعل الكتاب بمنزلة شجرة مثمرة تشبيها مضمرا في النفس واثبات الثمرة تخييل واضافته كذهب الاصيل ورد بان القواعد تاباه

اذ لا ذكر للكتاب في هذه الفقرة ولا يخفى ان مراده بالكتاب هذه الابواب لان الكتاب عبارة عنها وقيل المراد بالثمرة ما يستفاد من غيره او المقصود ولما كان غيره كالدليل عليه كان كالثمرة او المراد انه ثمرته اي نقله والانتفاع به لباب الثمرات **وما قبله** اي ذكر قبل هذا القسم من الاقسام والابواب ما هو **كالقواعد** القواعد في الاصل الاساس وخشبات يركب الهودج فيها والعمد واتى بالكاف لانها ليست قواعد كلية بل شخصية اذ موضوعها ذات النبي صلى الله عليه وسلم كما قيل والاظهر تشبيهها بالقواعد الحقيقية **والتمهيدات** جمع تمهيد اي امر ممهد وهو في الاصل مصدر بمعنى اتخاذ المهاد والفراش والمراد انها مقدمة وتوطية له **والدلايل على ما نورده فيه** ضمير فيه للقسم ونورده بمعنى نذكره من ورود الماء وهو الذهاب للشرب ويقابله الصدر ثم تجوز به عن الاتيان بشي ما والدلايل جمع دليل على خلاف القياس وفي الايات البينات انه جمع دلالة فان فعال يجمع على فعايل قياسا وذكر امام الحرمين انها تكون بمعنى الدليل والظاهر انه مجاز **من النكت البينات** قد مر ان النكت الامور الدقيقة الغامضة فجعلها بينات جمع بينة بمعنى واضحة بالنسبة للاذكيا ولما كان ما قبله من استحقاق التوقير والجلالة وثبوت النبوة والرسالة كالدليل على ما يجب له ويمتنع عليه لانه اذا قيل يستحيل عليه النقايص لعلو قدره وظهور شرفه صح جعله دليلا الا انه لما لم يكن مستلزما استلزاما عقليا جعل كالدليل والاستدلال عليه يعلم من علم الكلام وما في غيره اقناعي وان كان لا شبهة فيه لمن جلا الايمان مرآة ذهنه ويحتمل البينة هنا ان تكون بمعنى بينة المدعي او هو ايهام او تورية لقوله بعده **وهو الحاكم على ما بعده** تشبيه بليغ اي كالحاكم على القسم الرابع من جزئياته وبعضه والحكم خطاب الله المتعلق بافعال المكلفين واجراوه ابرازه ايضا ولا يخفى موقعه هنا والحاكم في الحقيقة هو القاضي ونحوه لا هذا القسم ونحوه فان مسايله ومن يعلمها اذا حقق ما يجب له ويجوز مبين لذلك فجعل مبين ذلك كالحكم في شانه صلى الله عليه وسلم وشان منتقصه **والمنجز من غرض هذا التاليف وعده** الوعد معروف وانجازه ايقاع ما وعد به واعطاوه واصل معناه الاتمام او الاحضار من نجز الامور والغرض هو المقصود من الشي ومن ابتدائية او بيانية والمراد بالغرض هنا تعريف حقوق المصطفى وضمير في وعده راجع لما رجع له قوله هو او للحاكم لا للغرض والمنجز بصيغة الافعال او التفعيل وفاعله ما رجع اليه الضمير ايضا والفاعل الحقيقي هو المصنف فالنسبة مجازية او استعارة مكنية مخيلة مرشحة بجعل هذا القسم لتتمة غرض التاليف كانه كريم وعد التفضل بتفصيله واجابة السايل لما سال عنه من تاليف جملة الكتاب فكانه بهذا منجز للوفا بالكل وهو من قبيل مجاز عرفه والسايل وان لم يسال ما في هذا القسم صريحا الا انه لما استدعى ذلك كان كانه مقصود له بالذات فلذا اعتنى به المصنف **وعند التقصي** هو تفعل من الاستقصا بالقاف والصاد المهملة وهو بلوغ اقصى الشي وغايته او طلبه كما في قوله • يا مطلبا ليس لي في غيره ارب • اليك آل التقصي وانتهى الطلب •
وفي بعض النسخ التقضي بضاد معجمة من تقضي الامر اذا تم ومضى وبمعنى التقاضي والالحاح ويحتمل على الوجهين ان يكون اصله تقضض فابدل احد المثلين يا للتخفيف كما قيل تظنيت بظننت واللام في قوله **لوعدته** بمعنى وعده او موعوده صلة له او تعليلية وانجاز الوعد مقابل الخلف قال تعالى انك لا تخلف الميعاد والوعد يكون في الخير والثواب والوعيد في ضده ويجوز الخلف فيه ولو من الله وقد يكون الكلام الواحد وعدا ووعيدا باعتبارين كقوله الله لاهلكن من عادى رسلي فانه نصرة لهم وههنا اشكال مشهور وهو ان تخلف الوعيد كذب غير جايز على الله وعن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من وعده الله على عمل ثوابا فهو منجزه له ومن اوعده على عمل عقابا فهو بالخيار • وسيل ابو عمرو ابن العلا ايجوز ان يعد الله على عمل ثوابا ثم لا ينجزه قال لا قال فاذا اوعد عقابا افلا بد ان ينجزه فقال له من قبل العجمة اتيت ان العرب

كانت شيمتها ان تفي بالوعد وان لا تفي بالوعيد قال

واني وان اوعدته او وعدته • لمخلف ايعادي ومنجز موعدي

قالوا ولا يلزمه الكذب لان الكذب يكون في الماضي والخلف في المستقبل لان فساده ظاهر لانه عدم المطابقة مطلقا بالاتفاق بل لان الوعيد مشروط بشروط مقدرة مسلمة معلومة من غير شي آخر كالاصرار او عدم التوبة او عدم العفو فيكون في قوة الشرطية فلا يلزم الكذب اصلا وقيل ان الوعد والوعيد انشا لا يتصف به كما ذكره علما الرسوم في مثل قولهم الصبر بقيا وما لاسد انه انشا التعجب وفي قوله رب اني وضعتها انثي انه لا انشا التحسر وقال بعض المشايخ الوعد حق العبد والوعيد حق الله والكريم قد يترك حقه ولا يشاح فيه • وفي قواعد القرافي اختلف في لزوم الوعد والوفا به الفقها فقال مالك لا يلزم وبه قضي عمر بن عبد العزيز وقال سحنون يلزم اذا دخل في امر كقوله لآخر بع دارك وانا اقرضك دراهم تشتري بها دارا تسكنها هذا ما قالوا برمته في هذه ولطائفة لعل الدهر يحسن ميعادها **والمتقضي عن عهدته** هو تفعل بالفا والصاد المهملة منقوص بمعني الخروج والخلاص وبينه وبين ما قبله تجنيس والعهدة بضم العين المهملة وها ساكنة بلها دال مهملة ضمان ما يتعهده العاقل في ذمته فيلزمه واصل معناه التوثقة فجعل المص اجابة سايله كامر التزمه في ذمته يلزمه اداوه ففيه استعارة تصريحية وعن متعلق بما بعده من قوله **يشرق به صدر العدو اللعين** يشرق من شرق يشرق كفرح يفرح من الشرق وهو وقوف الشراب ونحوه في الحلق ونحوه مثله لكن استعمالها في غير المايعات اكثر والمعروف اسناده للحلق الذي هو مجراه كقوله

لو بغير الما حلقي شرقا • كنت كالغصان بالما اعتصاري

ويسند للانسان نفسه واما اسناده للصدر كما في عبارة المص فغير معروف فكانه قصد به المبالغة في كثرته وعدم الخلاص منه لان الغصة تصير سابغة لسعته فاذا كان الصدر نفسه مشرقا لا يدفع ورد هنا بمعني تالم واغتاظ كما في قول الاعشي

وتشرق بالقول الذي قد اذعته • كما شرقت صدر القناة من الدم

وليس في قوله صدر القناة شاهد للمص وتعريف العدو جنس او استغراق وهما على الرسول ووصفه باللعين للذم لا للتقييد اذ كل عدو له كافر مستحق اللعنة واصله المطرود مطلقا كما في قول الشماخ

ذعرت به القطا ونفيت عنه • مقام الذيب كالرجل اللعين

ثم خص بالمطرود عن رحمة الله او للعهد والمراد به ابليس بقرينة اللعن لانه مطوق باللعنة ليوم الدين وقيل يشرق بمعني يضيق كضيق صدر من شرق بريقه عند موته وفي المقتفي يضيق صدره حسدا **ويشرق قلب المومن باليقين** مضارع اشرق يشرق اذا اضا وهو لازم وجوز بعضهم تعديه كما في قوله

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها • شمس الضحي وابو اسحق والقمر

والبا آلية او سببية كما في قوله تع واشرقت الارض بنور ربها والقلب مشبه بما يقبل الاضاة او بمشكاة واليقين مشبه بالنور كما يشبه به مطلق العلم ويشبه الجهل بالظلمة ويجوز فتح يا يشرق لانه يقال شرقت الشمس واشرقت بمعني والمغرب والمزيد وان اثبت اهل اللغة ثلاثيه ايضا لا لازمه صفة الكواكب ونحوها مما يقع عليه الضو من الاجرام **وتملا انواره** الضمير المضاف اليه لليقين والاضافة لادني ملابسة ان الله جعل قبله النور عين اليقين اما لانه من قبيل لجين الما اشارة الي ان الاضافة لا تخص القلب بل تفيض علي ما حوله فتملوه او المراد بالانوار انوار اخر حاصلة من ذلك النور ايضا كالهداية الي الحق ودفع الشبه ونحوه كما ان نور الشمس الذي يحصل منه انوار اخر تملا الكون والمراد بكونها اجمالية

لانها عامة شاملة له وهو استعارة مكنية تخيلية حيث شبهت الانوار بالمياه الفايضة من البحار واثبت لها الملء ويجوز عود الضمير للقلب **جوانح صدره** جمع جانحة وهي الضلوع التي تلي الصدر تحت الترائب والضلوع مما يلي الظهر ولذا اضيف للصدر واضافة الصدر لضمير القلب لما بينهما من الملابسة التامة والقلب معروف وتفسيره بلطيفة مدركة مرتبطة بهيكل الانسان وقع لبعض الصوفية وهو مخالف للغة ومراد المص فلا وجه له **ويغدو العاقل النبي حق قدره** يقدره بزنته بنصر يعرف مقداره ويتصور عظيم مقامه كما هو وقد فسر ابن عباس قوله تعالي وما قدروا الله حق قدره بما عرفوه حق معرفته ومنه لب اذا انتبه لما قاله المص واحاط به خبرا عرف اجمالا جلالة شانه ولمعت من افق اليقين له بوارق برهانه وان لم يحط بجملته فانه لا تسعه العقول ولا يحيط به نطاق البيان كما قال

انما مثلوا صفاتك للنا • س كما مثل النجوم الما

ويغدو معطوف علي يشرق **ويتحرر الكلام فيه** اي يتم ويجي محررا مهذبا في هذا القسم وفيه متعلق بالكلام لانه مصدر او اسم مصدر يعمل عمل فعله او حال منه وقوله **في بابين** متعلق بيتحرر والعاقل بعين مهملة وقاف وفي حواشي التلمساني انه بغين معجمة وفا قال والمراد انه يكون سببا لتنبيه الغافل وقدرته ولو لم يقل انه رواية قلنا انه تحريف من الناسخ

الباب الاول يختص بالامور الدينية

اي المتعلقة بما يجب ويجوز ويمتنع عليه بحسب الشرع والدين **ويتشبث به القول في العصمة** التشبث بمثناة فوقية وشين معجمة وبا موحدة ومثلثة التعلق والتمسك وفي العرف التمسك بما فيه ضعف كقولهم الغريق يتشبث بالحشيش اي النبات وضمن لما فهم مما قبله اي بما ذكر وبما يختص الخ وجعله لكونه مرتبطا به كانه متمسك به وفي التعبير به مع العصمة لطف لانها في الاصل بمعني الربط ثم صارت بمعني المنع وخصت عرفا بمنع الله عبده من جميع ما لا يرضاه من الذنوب بمجرد حفظ الله له او بخلق الله له صفة نفسانية ممتنعة عن ارتكابها وكونها بخلق الله لمن يختار تفضلا منه لا يتوهم انه مبني علي القول بالايجاب وان النبوة كسبية وهو ليس مذهب اهل السنة ويكون ايضا بمعني حد ونحوه عن اذية اعدائه بحيث لا يقدرون عليها كما في قوله والله يعصمك من الناس واذا وقع هذا لبعض الاوليا يسمي حفظا لا عصمة فلا يقال لغير الانبيا انه معصوم ولذا اختلف الرعاة بالعصمة لغيرهم هل يجوز ام لا والصحيح كما قاله ابن حجر في الزواجر يجوز لانه ورد في الادعية الماثورة اللهم اعصمنا في الحركات والسكنات لكنه بمعني مطلق الحفظ وسياتي تحقيقه وتعلق العصمة بما ذكر لانها مبدوه ومنشاوه **وفيه** اي في هذا الباب **ستة عشر فصلا**

الباب الثاني في احوال الدنيوية

اي الطارية عليه في الدنيا من جهة الاشباح لا من جهة الارواح ولذا قال **وما يجوز طروه عليه** اي عروضه وحدوثه يقال طرا مهموز بزنة قعد طروا كقعودا وتبدل همزته واوا فتدغم في مثلها فيقال طرو كعلو وقد سمع كما في كتب اللغة القاموس وغيره ولا فرق بينهما وان كان في كلام ابن القطاع ما يقتضيه وفي المقتفي انه ضبط هنا بتشديد الواو واذا اسند الي الناس كان بمعني القدوم يقال طرا علينا فلان فلذا قال **من الاعراض البشرية** جمع عرض بفتحتين وهو ما يعرض له من جهة ظاهرة سوا كان عرضا قارا ام لا والاطبا يخصونه بغير القار فيقولون عرض ومرض ووصف الاعراض بالطرو والحدوث حقيقة ولو فسر بالقدوم كان مجازا لكنه لا داعي له والمامر والبشرية

المنسوبة للبشر هنا اشارة الى انها غير مختصة به ومما يجوز احترازا عن الاعراض المقتضية التي لا تجوز عليه فلا اطناب فيه كما توهم

القسم الرابع في تصرف وجوه الاحكام

بمعنى الحكم والوجوه جمع وجه له معان مجازية منها النوع والقسم يقال الكلام على اربعة اوجه وتصرفها تحولها وتبدلها كتصريف الرياح وقيل تبيينها وكونه بمعنى تنويعها وذكر الوجوه تجريد عدول عن الجادة بلا فائدة والمراد بيان انواع الاحكام المتعلقة بها وما يلزم من قالها **على من تنقصه** متعلق بتصرف اي نسبه الى ما فيه نقص لجنابه المبرا عن النقايص **او سبه** السب الشتم اي بيان حكم من سبه والفرق بينه وبين ما قبله ان السب المجاهرة بالصفات الذميمة والتنقص اعم منه فان من قال له يا محمد فقد تنقصه وليس بشتم له وينبغي ان يخص بغير الشتم فليسا متساويين ولا بينهما عموم وخصوص حتى يرد عليه انه لا يصح العطف باو هنا او بتكلف فيقال حكم العام غير حكم الخاص او يقال السب بمعنى اللعن وعلى متعلقة بتصرف او بالحكم وكونها بمعنى الى اي تحول وجه الاحكام اليه على انه استعارة تعسف من غير داع ويجوز كون الجار والمجرور حالا **وينقسم الكلام فيه في بابين** ضمن ينقسم معنى يتجزى ويتم كما عبر به قبيله فمن قال معناه الى بابين او حال كونه فيهما الى امور فقد تكلف

الباب الاول في بيان ما هو في حقه سب ونقص

النقص هنا اعم من السب او بمعناه كما مر فلذا عطفه بالواو وليسا بمعنى كما قيل وقيل الواو بمعنى او كما يفهم من كلامه الاتي **من تعريض او نص** المراد بالنص هنا الصريح وله معان اخر كلفظ القرآن ولفظ الحديث والدلالة على ما لا يحتمل اللفظ غيره والتعريض ما يفيد معنى يلوح له الكلام ويومي كانه يوخذ من عرضه اي جانبه يقال نظر اليه بعرض وجهه وبه قسم من اقسام الكناية والمراد به هنا ما يقابل النص او فوعر عدبلا له وفيه كلام طويل في كتب المعاني والتفسير بيناه في حواشي البيضاوي **وفيه عشرة فصول**

الباب الثاني في حكم شانيه

هو اسم فاعل مهموز الاخر من الشان وهو البغض والعداوة ويجوز ابدال همزته ياء وفتح نونه وتسكينها **ومؤذيه** هو الاتي بما فيه اذية له قولا او فعلا يقال آذاه يؤذيه ايذاء واذى ولا عبرة بما في القاموس من انكاره للايذاء كما بيناه في كتابنا شفاء الغليل **ومنتقصه** وفي نسخة صحيحة متنقصه يقال انتقصه وتنقصه وتنقصه اذا اتى بما فيه نقص لكمال قدره من قول او فعل او ترك يقتضي ذلك **وعقوبته** بالجر عطف على حكم او على شانيه والضمير عايد على كل واحد اتاويله بالمذكور او على احدهما لانه عين الآخر والعقوبة والعقو ما يقع في مقابلة ذنب واما قوله فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به فهو مشاكلة او بمعناه اللغوي **وذكر استتابته** معطوف على حكم والمراد به ما يتعلق بتوبته من القبول وعدمه اثباتا ونفيا واصل معناه طلب التوبة وقيل الاستفعال للتحول عن اصله الى غيره كقوله

إن البغاث بارضنا تستنسر — اي تتحول من البغاثية الى النسرية فالمراد به التحول الى التوبة بعد الكفر فتدبر **والصلاة عليه** اي الصلاة على جنازة من ذكر بعد موته **ووراثته** اي حكم وراثته نفيا واثباتا كما في ميراث المرتد وهل يرث هو من غيره او لا وتاخير الصلاة والوراثة على الاستتابة في غاية الاستحكام لمصادفته محله **وفيه عشرة فصول** كذا في كثير من النسخ وهو سهو من قلم الناسخ والصواب كما في بعض النسخ خمسة فصول وهو الذي صححه مغلطاي والشمني في حواشيه وهو الظاهر

ولا ينافي فيه ما مر في الزيادة كما قيل والضمير للكتاب والله اعلم

وختمناه بباب ثالث جعلناه تكملة لهذه المسئلة ووصلة للبابين اللذين قبله

اي لما ناسب هذا القسم جعله مكملا لما قبله من المسايل ومتصلا به بان عده بابا ثالثا من هذا القسم وان لم يكن منه والوصلة بضم الواو الاتصال وهو اسم مصدر بمعنى اسم الفاعل ولولا ما قصده كان هذا خاتمة الكتاب او قسما خامسا **في حكم من سب الله تعالى ورسله** مطلقا او غير نبينا صلى الله عليه وسلم **وملائكته وكتبه وآل النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه** اي في حكم من صدر منه سب لواحد من هؤلاء او من جميعهم او لمعينين منهم مجتمعا ومنفردا ولا ينافيه كون من الموصولة تفيد العموم حتى يتوهم انه بقي حكم من سب فردا من هؤلاء غير مذكور والعطف بالواو ولا يقتضي انه في حكم من سب هؤلاء على سبيل الاجتماع مع ان المراد الاعم من ذلك كما لا يخفى ولا حاجة الى انه يقال الواو بمعنى او فان العموم يكفي لصحته امكان شموله سواء كان ذلك في الواقع او لا مع ان مثله مما يتوقف فيه اذا كان في كلام يستدل بلفظه كالقرآن والحديث اما في كلام المصنفين فلا مع ان تعريف الموصول كاللام فيجري فيه اقسامها فسقط ما في بعض الشروح هنا من التعسف **واختصر الكلام فيه** بالماضي المجهول وفي بعض النسخ يختصر بالمضارع والاختصار تقليل اللفظ مع تكثير المعنى اي جعل الكلام متصفا بالاختصار فيما ذكر **في خمسة فصول** قيل الصواب في عشرة كما في بعض النسخ وهو المطابق للواقع واما كون الزيادة بدت له بعده بناء على تقدم الخطبة على التاليف او الكرح لا مفهوم له فلا ينافي الزيادة وقد مر ما فيه ولك ان تقول ان ضمير فيه ليس للباب الثالث حتى يرد عليه ما ذكر بل لما تقدم اجمالا والمعنى انه كاد ان يجعل الباب الثاني عشرة فصول فاختصره في خمسة وافرد الخمسة الباقية بابا ثالثا فصارت فصوله خمسة وهذا وان كان في غاية الخفاء احسن من حمله على الخطا وهذا مما وعدناك به فان صادف حين القبول والا فاطرحه في زوايا الفضول ويكون هذا مبني قوله **وبتمامها** اي بتمام هذه الفصول المكملة لما قبلها **ينتجز الكتاب** تفعل من نجز بجيم وزاي معجمة اي تم وانقضى فهو مطاوع نجز قال ابن القطاع نجزت الحاجة وانجزتها فتنجزت قضيتها وقالوا انجز بالفتح والكسر اشهر في غيره انه بمعنى يحضر ويتم او ينقطع وفي المنتقى نجزت حاجتك قضيتها فالكتاب حاجة للسايل موعود بها وهو يختلف في النسخ بعضها من الافتعال وفي بعضها من التفعل والكل بمعنى واختار المزيد لانه ابلغ وقيل ليفيد انه بفعله وفي الملائكة اقوال لاهل اللغة فقيل جمع ملك بزنة فعل شذوذا وقيل مفرده ملاك كشمال حذفت همزته بعد القاء حركتها على ما قبلها ثم ردت لجمع فوزنه فعائلة وهمزته زايدة وقيل ملاك على وزن مفعل فميمه زايدة ووزن جمعه مفاعله وقيل مفرده مالك بتقديم فوزن جمعه مفاعله وقيل مفرده ملاكة كمعالة من لاكه يلوكه فحذفت عينه تخفيفا ووزنه مفل وملائكة وزنه مفاعله ويقال فيه ملائك ايضا **ويلوح في غرة الايمان لمعة منيرة** يلوح بالحاء المهملة بمعنى يبدو ويظهر والغرة في الاصل بياض في جبهة الفرس ويطلق على اعلى كل شيء واوله واللمعة بضم اللام من لمع الشيء يلمع لمعانا اذا اضاء وجمعه لمع ولماع كبرمة وبرام واللمعة ايضا البقعة فيها كلاء والقطعة من النبت اذا يبست وابيضت وموضع لا يصيبه ماء الغسل ذكره الصغاني وعليه استعمال الفقهاء واما اللمعة بالفتح فمصدر لمع والرواية هنا على الضم ومنيرة من انار ويكون لازما ومتعديا اي ذات نور ويكون بمعنى بين واضح ومبين ومظهر والمراد انه اذا تم ما في كتابه انتقش في صحايف الاذهان ازداد نور الايمان لان الايمان بالله ورسله اذا قرن بتعظيم هذا النبي الكريم

وَمحبته وَالعلم بما يودي اليه مخالفته من النكال او وصل صاحبه لاعلى عليين اذا عرفت هذا
فيلوح ان قرئ بالمثناة الفوقية ففاعله لمعة وان كان بالتحتية ففاعله ما ذكر ولمعة الموصوف
تمييز او حال وغرة الايمان اشرفه واظهره فاضافته حقيقية او هو كلجين الما لانه به يتميز صاحبه
وتظهر سعادته في الدارين او يظهر انه جواد سابق في حلبة السابقين الاولين ففيه استعارة تمثيلية
مخيلة وعلى الرفع فيه تجريد كقوله وفي الرحمن للضعفا كاف واللمعة هي الغرة او غرة الايمان بمعنى طاهره
واعلاه على استعارة مصرحة وجعل ما ذكر فيه لمعة فيه اي لنور الايمان عليه لانه زيادة في ايمانه واشا
بانه لمعة الى انه من جنسه لا يكاد يتميز عنه وان كان البياض يقبل الزيادة حتى يتميز بعضه عن بعض
لشدة بياضه ولذا وصفه بالامارة فان فهمت فهو نور على نور وفي بعض الشروح انه شبه الايمان
بفرس ينجي صاحبه من المهالك والاغر محمود في جنسه ففيه استعارة مكنية واثبات الغرة تخييل
او شبه كتابه هذا بلمعة منيرة في غرة فرس على نهج الاستعارة المصرحة وكنى بغرة الايمان عن الكتب
المؤلفة في شانه صلى الله عليه وسلم واضافته من اضافة الصفة لموصوفها اي فالدين النقي يلوح
لمعة منيرة واللمعة كناية فكانه زاد بياض الدين ونوره وتنكير لمعة للتعظيم او للتقليل بالنسبة لشرف
مقامه والاول اولى ولا يلزم من كون كتابه منيرا سلب النور عن غيره حتى يكون ذما له غايته ان له
زيادة عليها واعترض على المصنف بجعله اللمعة في الغرة بانه لا يظهر فيها فكان عليه ان يقول يلوح في
جبهته الايمان غرة وبما قررناه علم ان هذا بمراحل عن المراد وانه غني عن الرد ولك ان تقول اللمعة هنا
جزو من الغرة لا امر زايد عليها والمعنى ان الايمان كالغرة المميزة لصاحبها لان هذه الامة غر محجلون
ومعنى هذا الكتاب شعبة من شعبه وهذا احسن واوضح مما قالوه وقوله **وفي تاج التراجم درة**
خطيرة اي عباراته الدالة عليه لاستلزامها لاظهار الايمان والاقرار به بمنزلة تاج على راس عظيم
لدلالتها على رفعة قدره وما يدل منها على هذه المعاني كدرر مكللة بهذا التاج ومناسبة الغرة للتاج
والدرة ظاهرة وهو على هذا خبر مبتدا فتدبر عبارته او هي درة على الاستخدام لان ما تقدم معان وهذه
الفاظ وكونها بينة ظاهر وفيه استعارة مكنية لتشبيه العارف بها بذي سلطان واثبت له ما هو
من لوازمه والتراجم جمع ترجمة بمعنى العبارة في كلامهم كثير كقوله في ادب الكاتب ترجمة تزوق بلا معنى
وقد مر انه معرب وفي شرح ادب الكاتب انه عربي وهي مفعلة من الرجم يقال رجمت اذا ظننت قال تعالى
رجما بالغيب قال ما كان من غيب ورجم ظنون فكان الترجمان الذي يصيب بظنه معنى كلام المتكلم
بلسانين ويقال برد ترجمان وفي النهاية تراجم جمع ترجمان بفتح التا وضمها وهو المترجم وفيه نظر وخطيرة
بخاء معجمة وطاء وراء مهملتين بمعنى ذات قدر عظيم وقيل التراجم ما الف في معناه كدلايل النبوة لترجمتها
عن نعوت النبوة وجوز بعضهم ان يراد بالتراجم العلماء ايضا على انه جمع ترجمان وهو بعيد جدا ولما ذكر ان كتابه
من الانوار الربانية اردفه بجعله من بين نظايره كدرة باعتبار اما على انه شبه التراجم اي الكتب بالملوك
لانقيادها والعمل بما تقتضيه وشبه كتب السير بتاجها الذي به فخارها وكتابه بدرة نفيسة فيه تشبيها
بليغا او استعارة تمثيلية او مكنية مخيلة مرشحة او تاج التراجم كلجين الما وفيه اشارة الى ان كتب المتقدمين
في غنى عنه وفي تاج معطوف على قوله في غرة فهو متعلق بيلوح **يزيح كل لبس** يزيح كيزيل وزنا ومعنى
والضمير المستتر فيه راجع لما يرجع له ضمير يلوح وهو جملة الاقسام والابواب ويجوز رجوعه للمعة
وهو اولى من رجوعه لدرة لازالتها بضيائها ظلمة اللبس وان رجحوه لقربه وعدم العاطف ومثل هذه الجمل
بعد النكرات المتبادر انها صفات وان جاز ان تكون استينافية واما كونها حالا فبعيد واللبس في الاصل
الخطا والاختلاط قال تعالى ولا تلبسوا الحق بالباطل فالمراد الاشتباه والشبهة يعني ان كتابه يزيل الاشتباه

في احواله صلى الله عليه وسلم او في الدين في الجملة وقيل اللبس هنا بضم اللام الشبهة **ويوضح كل تخمين**
وحدس لفظ حدس سقط من بعض النسخ ووقع في بعضها على انه قافية فهو فقرة مستقلة وفي المنتقى انه سقط
من نسخة المصنف فتخمين قافية ما بعدها على نمط واحد وله وجه والتخمين والحدس متقاربان وهما الاعتقاد
لمجرد الظن والتوهم وعند اهل الميزان الحدسيات امور يحكم فيها العقل بما يلوح للنفس من الامارات الدالة عليها
كالحكم بان القمر يستفيد الضوء من الشمس بواسطة تشكلات نوره بحسب قربه وبعده منها فالمراد هنا ان كتابه
هذا يوضح الامور المتوهمة بحيث تشرق عليها انوار اليقين فيضمحل التخمين ويطلق الحدس ايضا على سرعة
الانتقال من المبادي للمطالب والمراد الاول لانه حقيقته لغة **ويشفي صدور قوم مومنين** مناسبة
هذا الكتاب والمعنى المقصود في الاية ظاهرة لان المراد انه يشفيهم من مرض الجهل والشبه والغيظ حيث حكم
بقتل العدو كما حكم هنا بقتل الشاتم الا انه وقع هنا في نسخة يشف بدون ياء في اخره لانه مجزوم في النظم
الكريم وفي نسخة بياء في آخره لانه مستانف مرفوع في كلام المصنف اذ لم يتقدمه ما يقتضي الجزم قالوا وهو مصحح
هكذا في نسخ المشايخ كمغلطاي والنسخة الاولى لا وجه لها هنا الا قصد حكاية لفظ التلاوة والاقتباس
واورد عليه انه جملة من كلامه ولا موجب للحذف فيه وكيف يقصد التلاوة والضمير في الاية لله في قوله
وبتمامها ينجز الكتاب لا الدرة او اللمعة حتى يرد عليه انه ينبغي ان تكون العبارة تشفي بالتا الفوقية
لان فاعله ضمير المونث ويعتذر عنه بانه ما يدل عليها باعتبار كونها كناية عن الكتاب كما قيل فانه تكلف
انت في غنى عنه بما سمعته آنفا والاية قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور
قوم مومنين وهو مجزوم فيها جواب امر غير مذكور ولا مقدر في كلام المصنف ولا يخفى ان الحكاية مسوغة
لما ذكر والمقتبس قد يبقى بلفظه وقد يتغير كما في قول ابن الرومي

فقد انزلت حاجاتي • بواد غير ذي زرع

فان المراد به في القرآن واد لا نبات فيه وفي الشعر رجل لا خير فيه كما ان المراد في النظم بالقوم بنوا
خزاعة وهنا مطلق المومنين والمراد انه يشفي صدورهم بما يقفون عليه من صفاته صلى الله عليه وسلم
لا يا نهم حتى يقال ان المومنين قلوبهم مشفية ويجاب بان الايمان يقبل الزيادة وزيادة الشفا شفا فانه
كلام ناشي من سوء الفهم وقد اختلفوا في جواز الاقتباس فاجازه بعضهم مطلقا ومنعه آخرون مطلقا
وفصل بعضهم فقال الحق جوازه ولو مع تغير لفظه اذا لم يقصد التلاوة ولم ينقل الى معنى سخيف من هزل
ونحوه فان فيه تلاعبا بالقرآن لا يجوز ولذا نقل عن الامام مالك انه لا يجوز التفاول من المصحف وما
وقع في فتاوي الصوفية من ان عليا فعله لا اصل له **ويصدع بالحق** اي يجهر بما يدل على الحق وهو
الامر الثابت في حقه صلى الله عليه وسلم وقال ابن عرفة في قوله فاصدع بما تومر اي فرق بين الحق
والباطل يقال تصدع القوم اذا تفرقوا اي يظهر به او يحكم او يفصل وما قيل انه يحتمل تشق بالحق
اي تظهره من خلال تراكيبه تعسف لا داعي له وقيل المراد بالحق هنا القرآن لما فيه من كثير من اياته
وقد جا الحق مرادا به القران في الايات تكلف ايضا وهو في الاصل استعارة من صدع اذا شقه وقيل
المراد يشق القلوب بما فيه من الادلة القاطعة **ويعرض عن الجاهلين** بحقوق الله ورسوله والغافلين
عن علو قدره واعراض الكتاب عنهم استعارة لعدم التفاته لا قوالهم ذكرا او ردا كذكر الحشو ونحوه فلا
يقبا بهم فانه انما صنف كتابه للمومنين او المراد عدم انتفاعهم به فانهم كتبت عليهم الشقاوة والسامع
للحق اما مومن يشتفي به صدره ويزداد ايمانا او كافر له عقل سليم يرجى قبوله للحق او ذو غباوة منقطع
او معاند فاشار الى الاول بقوله يشفي والى الثاني بقوله يصدع والى غيره بقوله يعرض الخ وهذا لا يلاحظ
المصنف في كلامه لان كلامه انما صنفه للمومنين كما صرح به وقد يراد في بعض الاقسام من يضاهيهم في

بعض الصفات **وبالله سبحانه لا اله سواه استعين** في النسخ هنا اختلاف ففي بعضها بدل سبحانه تعالى
وفي بعضها اسقاطهما وفي بعضها لا اله الا الله الحق المبين وليس فيه اختلاف معنى والتسبيح التنزيه عما لا يليق
وسبحانه مصدر سبح والكلام عليه ليس هذا محله طلب المعونة من الله على ما قصده من التاليف والانتفاع به
وسبحه من الثاني لدفع وكان ينبغي ان يقدم الحمد والتعظيم قبل الطلب كما وقع في الفاتحة ونزهه عن ان يخيب
قاصده ولذا قال لا اله سواه اي لا معبود ولا مقصود في المهمات سواه والجملتان معترضتان بين استعين
ومعموله المقدم للاهتمام وافادة الحصر لان الاستعانة الحقيقية لا تكون الا بالله وغيره وسائط ولذا استشكل
حصر الاستعانة في اياك نستعين مع الاستعانة باسمه في بسم الله على احد وجوه واجيب بان طلب المعونة
لا يكون الا من الله واما معونة الشفاعة والتوسل فيكون من غيره كاسمائه ورسله كما ذكره شراح الكشاف والمعو
اما ضرورية يتوقف عليها الفعل كالالة او مسهلة كالراحلة للقادر على المشي كما فصله القاضي في تفسير
اياك نستعين قيل وعلى نسخة بالله لا سواه اشكال لان التقديم يفيد الحصر والعطف بلا يفيده ايضا ولذا
منع اهل المعاني العطف به بعد الحصر في عبارة المصنف وقالوا انه غير صحيح عندهم ثم اجاب بان الذي منعوه
بعد ما والا فلا يقال ما قام الا زيد لا عمرو واما بعد حصر التقديم ونحوه فلم يقف عليه فيجوز ان يفرق
بينهما مع افادة الحصر وقصده غير معين الى اخر ما قرره واطال فيه • اقول هذا عجيب منه فان هذه المسئلة
ذكرها عبد القاهر والسكاكي ووقع في كلام الزمخشري في مواضع ما يخالفه كقوله في سورة آل عمران ما هي
الا شهوات لا غير وذكر شراحه كلهم ان هذا لم يقم عليه دليل عند العامة الحذاق وانما هو بعد ما والا
والنفي الصريح لا في غيره فالسؤال والجواب ساقط وقد تكلمنا عليه في السوانح • ثم انه شرع في المقصود
فقال

• القسم الاول في تعظيم العلي الاعلى •

اسما الكتب والفاظ التراجم فيها احتمالات مشهورة وافقها ان المراد بها الالفاظ والمعروف انها
ظروف وقوالب للمعاني فاذا عكس كما هنا فهو بتقدير مضاف اي في بيان تعظيم الخ والبيان يكون بهذا
اللفظ وغيره فهو من ظرفية الخاص في العام لدخوله فيه وشموله له فشبه احد الشمولين بالاخر وعلى
المشهور المعنى لما تخيل اولا واتى له بلفظ بقدره كان كالمظروف المقصود الذي يؤتى له بظرف مناسب
اوهو كاللباس لما فصلوه وقيل في بمعنى اللام والمراد بكونه فيه انه مقصود منه فلا ينافي ذكر غيره
بطريق التبعية والعلي هو العالي شانه في نفسه والاعلى عما عداه فالاول بالنظر لذاته فلذا قدم
والثاني بالنظر لغيره وليس للتفضيل على معين فانه لا يشاركه ولا يدانيه شي ولذا عدي بعن
فقال تعالى عما يقول الظالمون لبعده عن مخلوقاته ولذا قال سبح اسم ربك الاعلى • فان قلت لما نزلت
هذه الاية قال اجعلوها في سجودكم • ولما نزل فسبح اسم ربك العظيم قال اجعلوها في ركوعكم فما وجهه
قلت هو الهام والهام الانبيا وحي وقد فهمه من الموحى به لانه تنزيه الخالق المنعم عن مشاركة
مخلوقاته في علوه وتعظيمه يكون قولا وفعلا واعتقادا ومشاركة القول للاعتقاد والفعل بالتلبس
بما يدل عليه واظهره وضع اشرف اعضائه في تراب الذل الذي ينبت العز وكل مكان ينبت العز طيب
فلذا كان العبد اقرب ما يكون من ربه وهو ساجد وهو دعا مستجاب ولما كثر تعظيم العظما بالانحنا
امر بان يقول سبحان ربي العظيم في الركوع ومن هنا يفهم وجه ذكر الاسم والرب وفي تعبير المصنف من
البلاغة ما عرفته فان تعظيم العظيم اعظم والعلو في المكان فعله علا يعلو كدعا يدعو وفي الرتبة
علي يعلى كرضي يرضى **لقدر النبي المصطفى قولا وفعلا** وفي نسخة لقدر المصطفى وهو متعلق
معنى بتعظيم واللام للتقوية وفي تعظيم قدره اي رتبته تعظيم ابلغ من تعظيم ذاته والمراد بالقول

ما ورد

ما ورد في القران والكتب السماوية والاحاديث القدسية وبالفعل ما خصه به من التاييد مع
ذكره ودينه ونسخ شريعته لما عداها واكرامه بالمعجزات وغيرها ولا وجه لتخصيص الاول بالقران
والثاني بالمعجزات الا ان يكون اقتصر على اعظم ما عظم به فليس بسهو كما قيل **قال القاضي الامام
ابو الفضل** هو عياض بن موسى السبتي بفتح السين نسبة لسبتة بلدة بالمغرب كان بها قاضيا ولذا
اشتهر بالقاضي اليحصبي بالحركات الثلاث في الصاد وهي قبيلة من العرب وقد قدمنا ترجمته وقد
افردها بعض اهل العصر بجزء سماه زهر الرياض في محاسن عياض وما وقع في النسخ من قوله الامام
من تلامذته النساخ لانه لا يمدح نفسه **لا خفا على من مارس شيئا من العلم** اي ليس شي من الخفا
والاستتار عند من له علم ومارس بمعنى عالج ولازم من الممارسة وهي وضع الحبل في البكرة للسقي
ويقال مرس الشي اذا عركه كما في افعال ابن القوطية ثم شاع في كل ملابسة مع المداولة والملازمة
وشيئا المراد به شي قليل او شي معتد به والاول ابلغ والثاني انسب بالممارسة ونفس الامر والمراد
بالعلم المعلومات او الاصول والقواعد مطلقا او الشرعي منها وليس المراد به الملكة ولا الصورة الذهنية
والشي ما يصح ان يعلم ويخبر عنه والموجود في الخارج ويصح ابقاؤه على عمومه كما يقال فلان ليس بشي
اي ليس مما يصدق عليه لفظ شي ولا ما نع منه كما قيل **او خص بادنى لمحة من فهم** خص بضم الخاء على
صيغة المجهول الماضي بمعناه الاصلي من التخصيص وقيل انه بمعنى فضل اي صار ذا فضل اذ لم يكن
التخصيص اضافيا والمقام يا باه لان المراد ان الله خصه بشي قليل من الفهم دون ان يعطيه شدة فهم
وذكاء فان ما ذكر ان لم يخف على مثله لم يخف على احد غيره واو على اصلها لاحد الشيئين اي لا يخفى على مثل
هذين ولا حاجة الى جعلها بمعنى الواو والفهم تصور المعنى من اللفظ او سرعة الانتقال ويجوز ان
تكون او بمعنى بل كما في قول جرير • كانوا ثمانين او زادوا ثمانية • لولا رجاؤك قد قتلت اولادي •
وهي للترقي ممن عنده علم الى من له ادنى فهم وادنى يكون بمعنى اصغر مقابل الاكبر وبمعنى اقل مقابل الاكثر
وبمعنى اخس وارذل مقابل اشرف كما في قوله تعالى اتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير والكل مادة
دنى وقيل الاخير مقلوب ادون من الدون وهو الردي اذ ذاك واللمحة بفتح اللام من اللمح وهو كما في القاموس
اختلاس النظر وسرعته فلذا كني بها عن القلة كقوله تعالى وما امر الساعة الا كلمح البصر • وقال التلمساني
اللمحة بالضم قليل النظر وبالفتح المرة قيل فاذا صح الضم هنا فالمراد بالادنى الاقل وبالفهم قليله وهذا
بطريق الكمية والاول بطريق الكيفية ومن في قوله من فهم ان كانت بيانية فهو استعارة بجعل ما للبصر
للبصيرة ويؤيده انه وقع في نسخة بادنى لحظة واللحظة النظر بمؤخر العين وان كانت ابتدائية اي لمحة
ناشئة من فهم فيجوز فيه ان يكون باقيا على حقيقته وفي نسخة من الفهم معرفا **بتعظيم الله قدر
نبينا** اي مرتبته وشرفه والباقيل انها للملابسة وقيل بمعنى في وقيل بمعنى من اي من جهته وقيل انها
سببية وهل هو مستقر او لغو في متعلقه احتمالات ووجوه اشار اليها الشراح وعلى كل حال لم ياتوا
بما يثلج الصدور والظاهر ان مراد المصنف انه لا خفاء في تعظيمه عند من له ادنى بصيرة وحينئذ
فخفا اسم لا وقوله على الخ متعلق به لانه يتعدى بعلى يقال خفي عليه كذا فهو خفي منون لشبهه بالمضاف
بتعلق الجار ويجوز بناؤه على الفتح على لغة حكاها نحاة بغداذ وقد روي قوله صلى الله عليه لا مانع لما
اعطيت بلا تنوين فقال المحقق الحفيد جمهور النحاة على وجوب التنوين في مثله لجعل الظرف معمولا
له فيكون شبيها بالمضاف واما جعله معمولا لمقدر على انه خبر لا فلا يناسب المعنى المقصود كونه لا اسم
لا للخبر كما لا يخفى لكن بعض النحاة جوز ترك التنوين وكذا جوزه الزمخشري وتبعه القاضي في قوله
لا تثريب عليكم اليوم الا انه منعه في قوله لا غالب لكم اليوم فكانه مال الى المذهبين في الموضعين انتهى

فان قلنا على متعلقة بخفا على الوجهين فقوله بتعظيم الخبر لا والبا بمعنى في او للملابسة او بمعنى من والظرف مستقر فان قلنا انه لغو فالبا متعلق بعلم او بفهم لان العلم قد يتعدى بالبا فلك حمل الفهم عليه لقربه منه معنى او بفسر بالخبر ونحوه مما يتعدى بالبا وقد قرا بالنصب مفعول لعظيم **وخصوصه إياه** اي تخصيصه نبيه الكريم من بين سائر الناس فالخصوص بمعنى التخصيص لا بمعنى التفضيل كما توهم فانه عدول عن الظاهر بغير داع وهو مضاف للفاعل وهو ضمير الله والضمير المنفصل للنبي وهو مفعوله **بفضايل ومحاسن ومناقب** كلها مجرورة بالفتح لمنع الصرف والجار والمجرور متعلق بخصوص والمراد ما اعطاه الله من الكمال النفسي والبدني خلقا وخلقا وصورة وسيرة من الامور الدينية والدنيوية التي لا يدانيه فيها احد وهذه عبارات متقاربة معنى متغايرة مفهوما وقد تفسر بمعان متغايرة متباينة فيقال المراد بالفضايل ما تفرد به من العلم والعمل وبالمحاسن ما يتعلق بذاته الكريمة وبالمناقب ما يفتخر به من عموم رسالته وسيادته وشفاعته في المحشر كما هو مقتضى العطف واصل الفضايل جمع فضيلة وقد يخص بما لا يتوقف تحققه على تعدي اثره ويقابله الفواضل والمحاسن الحسن في الصورة جمع حسن على خلاف القياس او جمع محسن وهو الموضع الحسن من البدن كما في القاموس والمناقب ما يفتخر به وضده المثالب وحاول بعضهم اثبات تغايرها بما لا تساعده اللغة وفي الحديث انا سيد ولد آدم ولا فخر احتراس وتكميل وهو يكون في الاول والاخر والوسط خلافا لمن خصه بالاخير فالاول كقوله • الا يا اسلمي يا دار مي على البلا • ولا زال منهلا بجرعائك القطر •

والاخر كالحديث والوسط كقوله • فسقى ديارك غير مفسدها • صوب الحياء وديمة تهمي •

فان الدعا بالسلامة اولا احتراس ولا ينافيه قوله لا زال كما صرح به بعض الادبا وان غفل عنه من فضل بيت طرفة عليه **لا تنضبط لزمام** تنضبط بالتا الفوقية ويجوز بالتحتية على ان الضمير للفضايل وما معها او للمذكور واصل الضبط الحفظ بالامساك باليد ونحوها واما كونه بمعنى الاحصاء والحصر ومنه الضابط للقضية الكلية وقيل بينهما فرق عرفي فلم يرد في اللغة وانما استعمله المصنفون والمولدون كان الكل لجمع افراده حافظها وممسك وللتجوز وجه اي ما ذكر لا يمكن احصاؤه وضبطه وبزمام روي بالبا واللام كما قاله التلمساني والاول اظهر والثاني اشهر فان با السببية ولام التعليل متقاربان معنى • والزمام بكسر الزاي المعجمة ما يزم به اي يشد به البغل والناقة ولا يختص بالثاني كما في القاموس وفي كلامه هنا استعارة تصريحية او تمثيلية فالقول بانه لا استعارة فيه وان فسر بمطلق الشد لا وجه له وانما هو كما قيل في المثل • كثرة الشد ترخي فافهم • واما جعله استعارة مكنية بتشبيه الفضايل بناقة قوية تغلب صاحبها فركيك جدا **وتنويهه من عظيم قدره** يقال نوهت باسمه اذا رفعت ذكره واشعت تعظيمه قال تعالى ورفعنا لك ذكرك وفي حديث عمر انا اول من نوه بالعرب اي رفع ذكرهم بالديوان والاعطا وهو مجرور بالعطف على التعظيم او الخصوص وعظيم قدره بمعنى قدره العظيم وفي نسخة لعظيم قدره باللام والمشهور من المبينة لمقدر يفسره قوله **بما تكل عنه الالسنة والاقلام** اوله بناء على جواز تقديم البيان على المبين كما ذهب اليه بعض النحاة فلا وجه لرده بمنع تقديم ما في حيز الصلة عليها لانه على هذا متعلق بمقدر او حال من الموصول وقيل من بمعنى اللام او زايدة وبما متعلق بتنويهه وما عبارة عن امور او وجوه وتكل بمعنى تعيا وتعجز وعجز الالسنة والاقلام بعجز صاحبها او على تشبيه الالسنة والاقلام بالناس او هو من كلال السكين بمعنى عدم قطعها فهو ايضا استعارة مصرحة او مكنية وبين الالسنة والاقلام مناسبة تامة فانهم قالوا القلم احد اللسانين فيشبه احدهما بالآخر وينسب له كما قيل • والسنة الاقلام تشكره ايما • صنيع الندى اوليت واليد والفم •

فيها اي مما عبر عنه بما من الفضايل **ما صرح به في كتابه** الضماير لله اي نص عليه واظهره وقال المرزوقي في قوله • فلما صرح الشر فامسى وهو عريان •

يقال صرح الشر بالنصب اذا اظهره وصرح هو اذا انكشف ومثله بين الشي وبين هو فيكون لازما متعديا بالبا ومتعديا بنفسه **ونبه به** اي بما ذكر في كتابه واصله معنى ايقاظ النايم وتذكير الغافل ويراد به مطلق الذكر كما هنا والمصنفون يخصونه بذكر امر بديهي او سبق ذكره ومنه تنبيه في التراجم وقال التلمساني اصل التنبيه ان يكون على شي وقعت الغفلة عنه من قول او فعل فلا اشكال ولا التباس **على جليل نصابه** في المصباح كغيره من كتب اللغة النصاب والمنصب كمسجد العلو والرفعة وله منصب صدق اي منبت ومحتد وامراة ذات منصب اي حسب وجمال لانه رفعة لها انتهى • فاصل معنى النصاب والمنصب العلو والشرف حسبا ونسبا من الانتصاب وهو القيام اي ان الله جل وعلا بذكره له في كتابه المنزل عليه نبه على جليل رفعته وشرفه وهذا هو اصل معناه في استعمال العرب فما قيل انه لم يظهر له معنى هنا الا ان يكون ماخوذا من نصاب الزكاة مجازا عن مقامه الذي ساد فيه الخلق كلهم كلام ناشي من عدم فهم كلام العرب وعدم معرفة اللغة وقد سبق الكلام فيه فتذكره **واثنى به عليه من اخلاقه واداابه** بيان لما اي مما مدحه الله به مما ذكر والثنا ممدود بتقديم المثلثة قال الجواليقي هو ذكر بالحمد ولا يكون في الذم وهو فعال من ثنيت بقول واثنيت عليه ثناء حسنا والنثا الاسم وربما استعمل في الشر قال زهير • سيأتي آل حصن حيث كانوا • من الكلمات ما فيه نثاء •

ولقايل ان يقول انما سمي الذم ثناء على سبيل التهكم والنثا بتقديم النون والقصر في الخير والشر والفعل منه نثا ينثو وفي صفة مجلس النبي صلى الله عليه وسلم لا تنثى فلتاته فلا يلتفت الى من قال انه لا يبنى منه فعل وقال بعض اهل اللغة الثنا يكون في الخير والنثا عام فيه وفي مقابله وليس مخصوصا باللسان كما مر فثناء الله حقيقي ولا دخل للاصطلاح فيه كما توهم فهو اظهار الصفات الكمالية مطلقا والله تعالى لما مهد بساط الوجود ومد مايدة الجود في ساحة الامكان كشف كمال صفاته واظهر نعم مبدعاته والاخلاق جمع خلق بضمتين فسكون الطبع والسجية التي فطره الله عليها والآداب بالمد جمع ادب والادب في اللغة كما قاله البطليوسي ادبان ادب نفس وادب درس • ويقال ادب خبرة وادب عشرة كما قيل • يا سايلا عن ادب الخبرة • احسن منه ادب العشرة •

وقال الجواليقي في شرح ادب الكاتب الادب الذي كانت عليه العرب تعرفه هو ما يحسن من الاخلاق وفعل المكارم كترك السفه وبذل المجهود وحسن اللقا • قال الغنوي •

لم يمنع الناس مني ما اردت ولا • اعطيهم ما ارادوا احسن ذا ادبا •

كانه ينكر على نفسه الناس ولا يعطيهم واصطلح الناس بعد الاسلام بمدة طويلة على ان يسموا العالم بالنحو والشعر اديبا ويسموا هذه العلوم ادبا وهو من كلام المولدين واشتقاقه من الادب وهو العجب او من الادب مصدر ادب القوم اذا دعاهم قال طرفة •

نحن في المشتاة ندعو الجفلى • لا ترى الآدب فينا ينتقر •

فكانه تعجب منه لحسنه او من صاحبه لفضله او يدعو الناس الى المحامد والفضل وينهاهم عن القبايح والجهل والفعل منه ادبت فانا اديب انتهى • فالادب هنا بمعناه اللغوي وهو اجتماع خصال الخير والفقها يطلقونه على ما يقرب من السنن في العبادة وفي بعض الشروح الادب حسن التناول للامر **وحض العباد على التزامه** الحض بحاء مهملة وضاد معجمة والحث بمثلثة الطلب الشديد السريع والالتزام افتعال من اللزوم فهو بمعنى الالزام البليغ ويكون بمعنى المعانقة وهو مجاز عن اللزوم

ايضا او هو كناية متفرعة على المجاز وعلى كل حال فالمراد به عدم المفارقة لما كان عليه من الاخلاق
والاداب كما قال تع لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة فانه كانت له طاعات ومحاسن يامر الناس
باتباعه فيها وامرهم الله ايضا بذلك بقوله وما اتاكم الرسول الخ • وفيه اشارة الى انها على قسمين
قسم امر باتباعه وقسم لم نؤمر به كالامور الجبلية والخصايص النبوية ولذا وصف الاسوة بحسنة وان
كان كل ما عليه حسن وقيل المراد به ما كان فرضا ونفلا فان التزم فرضا فنحن نلتزم فعله وفرضيته وان
التزم نفلا فنحن نلتزمه ونلتزم كونه نفلا والحاصل انا نلتزم ما التزمه على الوجه الذي التزمه اذا لم
يختص به كما يعلم من قابله وهذا كلام حسن الا انه ينبو عنه قوله **وتقليدا ايجابه** لمنافاة الايجاب
للتقليد ولك ان تقول انما عنى المصنف ان ما امرنا باتباعه فيه على قسمين مستحب اشار اليه بقوله حض
العباد على التزامه فان الطلب يكون ايجابيا وغير ايجابي كما بين في الاصول وواجب اشار اليه بقوله
تقليدا ايجابه فليس هذا تاكيدا لما قبله كما قيل وحمل الفقرتين على الايجاب يخل بالاداب والتقليد وضع القلادة
في الجيد استعير لالتزام استعارة تصريحية اصلية لا تبعية ويجوز جعله مجازا مرسلا والتقليد والايجاب
مصدران مضافان للمفعول ويجوز في الثاني ان يكون مضافا للفاعل وما قيل من ان الثاني اخص من الاول
والايجاب ليس بمعناه الحقيقي بل هو مبالغة في الاحتراز عن تركه ومجاز عن الاثبات من اوجب اذا اتى بالواجب
والضميران لما صرح به او للنبي اي ما يحض به على التزام امره تعسف لا ينبغي ان يصدر عن مثله **فكان
جل جلاله** الجلال العظمة وفي جعل الجلال جليلا مبالغة في تعظيمه كما حققه الامام المرزوقي في جد جده
وقال الاصمعي الجلال لا يوصف به غير الله لغة وقيل قد يوصف به غيره كقول الحماسي

• الممر على ارض تقادم عهدها • بالجزع واستلب الزمان جلالها •

ويجوز ان يكون المعنى عظمته عن ان يساويها عظمة غيره مما يسمى عظمة عند الناس والاسناد حقيقي فان
اريد جلت ذاته من جهة كبريائها فالاسناد مجازي كجد جده والتفريع على ما قبله مما اعطاه الله لرسوله
والثنا عليه واعلاء مقامه فانه يدل على انه **هو الذي تفضل واولى** اي انعم واعطى افضل رسله عطايا
جزيلة جليلة بان خلقه اعظم الناس حسبا ونسبا وجعله اشرف الرسل واكثرهم آية وهو ناظر لقوله تعظيم قدره
واولى بمعنى اعطى وفي النهاية انه العطا من غير مكافاة فعلى الاول هو عطف تفسيري وعلى الثاني من عطف
الخاص على العام **ثم طهر وزكى** الطهارة الحسية معلومة والمعنوية نظافة الظاهر والباطن من الاوصاف
الذميمة والاخلاق الردية وزكى يكون بمعنى طهر وبمعنى نمى ويجوز ارادة كل منهما والمعنى انه طهره وزاد طهارته
وهذا ناظر لاخلاقه واداب والعطف للتراخي الزماني او الرتبي لما بين التخلية والتحلية من البعد وليست هذه
التخلية مؤخرة على ما فسرناه **ثم مدح بذلك واثنى** بذلك على رسوله في مواضع كثيرة من القرآن كقوله
وانك لعلى خلق عظيم ونحوه وهذا فاصل لقوله واثنى الخ والمدح الثنا بكل جميل اختياري كان اولا ولذا اختاره
واما كونه للاشعار باختصاص الحمد بالله فبعيد جدا والكلام على الثنا قد مر وقيل المراد بالتفضل هنا التفضل
علينا بهذا النبي الكريم الذي هو نعمة ورحمة والتطهير تطهيرنا من الشرك والاثام والثنا علينا بكنتم خير
امة وغيره وهو لا يناسب السياق والسباق **ثم اثاب عليه الجزاء الاوفى** اثاب بمعنى اعطى الثواب وهو
الجزا فاما انه تجريد او اثاب بمعنى اعطى والجزاء مفعول مطلق من غير لفظ كجلست قعودا فلا حاجة اليه ثم الاوفى
وهو يتعدى لمفعولين فالاول مقدر اي اثابه وعليه ضمير راجع لما تفضل به عليه والوافي بمعنى التام ۞
والاوفى افعل تفضيل منه **فله الفضل بدءا وعودا** اي اولا وآخرا والبدء الابتدا والعود الرجوع والابتدا
مقابل للانتهاء ويقابل بالعود ايضا ومنه المبدئ المعيد والفضل الانعام والاحسان مطلقا او من غير مقابل
وهما منصوبان على الظرفية وقيل على نزع الخافض اي انه ابتدا بانعامه على نبيه بان خلقه على اتم خلقة واكملها

ثم زكاه وطهره ظاهرا وباطنا ثم عاد على احسانه فتممه وزاده الثنا الجميل والثواب الجزيل ولو لم يثبه
لانه اوجده واقدره تفضلا منه كان ذلك له وقيل المراد بالبدء الخلق والايجاد بالعود الجزا والمعاد كقوله
انه هو يبدئ ويعيد والسياق يأباه لتفرعه على ما قبله بالفاء الواقعة احسن موقع فالمراد انه تفضل عليه
بما اولاه من المحاسن والمناقب ونسب ما فعله تكرما له ثم مدحه به واثابه عليه اتم ثواب فكان بذلك متفضلا
في البدء والعود **والحمد اولى واخرى** اي هو المستحق للحمد في اول الامر وآخره او في الدنيا والآخرة
لما به التفضل دايما في الدارين وقيل تقديره اولى الحمد وآخره لانه صيغة تفضيل وقد حقق اهل اللغة ان اول
يكون اسما للتفضيل وظرفا بمعنى قبل فيجري عليه احكامه ووزنه على الاول افعل وعلى الثاني فوعل وهذا
منونا فيقال اولا واذا كان اسم تفضيل تجري عليه احكامه ومؤنثه اولى ومؤنث الاول اولة وقد ثبت عن العرب
كما ذكره المرزوقي في شرح الفصيح ويقابلهما اخرى وآخرة وقد يغلب عليهما الاسمية للدار فيصيران بمنزلة
اسمين جامدين فيستعملان استعمالها لان الاسم يلزم التذكير والافراد وان لم يضف او يقترن بالالف واللام
ولذا خطى ابو نواس في قوله

• كان صغرى وكبرى من فواقعها • حصباء در على ارض من الذهب •

وان اجابوا كما فصلناه في شرح الدرة واما كونه وصفا مجردا عن التفضيل ومثله يجوز فيه المطابقة
وعدمها فرد بانه سماعي كما في التسهيل وغيره وبان معنى التفضيل مراد منه بلا شبهة لان الدنيا متقدمة
والاخرى متاخرة فلا يصح ان يقال انهما تجردا عنه ولا يخفى ما فيه فانه سمع في القرآن والكلام ومثله كاف
في ثبوته مع انه يرد على مدعاه لا النقض لانه اذا كان التفضيل مرادا منه كيف يقال انه غلبت عليه الاسمية
هل هذا الا جمع بين الجاري والملاح • واعلم ان ما ذكره معنى بليغ فانه ذكر انه تعالى ينعم بانواع النعم
ثم يمدح عبده ويثني عليه بقبوله نعمائه ويجزيه على ذلك اتم جزائه وهو احسن من قول ابن طباطبا الممدوح

• لا تنكرن اهداءنا لك منطقا • منك استفدنا حسنه ونظامه •
• فالله عز وجل يشكر فعل من • يتلو عليه وحيه وكلامه •

وله نظائر في معناه في كتب الادب وفي لئام الخلق عكسه فان منهم من اذا رأى من انعم عليه متجملا
فقد يحسده ويؤذيه وهو احد الوجوه في قول المتنبي ۞

• واظلم اهل الظلم من بات حاسدا • لمن بات في نعمائه يتقلب •

ومنها ما ابرزه اي اظهره ظهورا تاما لان اصله جعله على براز بالفتح اي مكان مرتفع **للعيان** ما يشاهد
بفتح العين ولا تفتح فيه العين لانه مصدر عاينه معاينة وعيانا كقتال وفي المثل ليس الخبر كالعيان
وروي العيان اي ما ابرزه الله للعيان فاللام للتعدية او للتعليل قيل والمراد به ما علم يقينا سواء كان
مشاهدا او منقولا نقلا صحيحا بحيث يتيقن ويصير كالمشاهد لانه عد منها تاييده بالمعجزات وليست كلها
مشاهدة مع انه بالنسبة لمن بعد عصره غير مشاهد الا انه بمنزلته لصحته لا للتواتر لان ادعاه في جميعها
التواتر غير مسلم وذلك ان تقول انه تغليب لقوة المشاهد او كثرته **من خلقه** بفتح الخا وسكون اللام ۞
كما قيده التميمي وفي المصفى انه بضمها وهو بارز للعيان بالمعنى السابق والمعطوف هو تخصيصه به فلا
تكرار فما قيل انه غير سديد لانه ما ابرزه للعيان ولانه سيذكره غير سديد قيل والمناسب لقوله وتخصيصه
وتاييده ان يكون الخلق بمعنى التخليق والايجاد وهو تاويل من غير حاجة وضمير خلقه لله او للنبي فاعلم
ان هذا كله انما يحتاج اليه اذا جعل قوله وتخصيصه مجرورا معطوفا على خلقه اما لو رفع وعطف
على ما ابرزه لم يحتج الى تكلف وعلى الاول كيف يعترض على من جعل الخلق بضم الخا فتدبر **على اتم وجوه
الكمال والجلال** الجار متعلق بخلقه سواء كان بمعنى تخليقه ام لا او صفة مصدر مقدر اي خلقا

كابنا على الحال او حال من المضاف قيل والتقدير اذا قرئ بالضم المطبوع على اتم الوجوه او هو يتعلق بمضاف مقدر اي ابرز خلقه او هو حال والوجوه الانواع والمراد اتم الوجوه المحققة في زمن ما او الوجوه الممكنة وهو احسن اذ لم يوجد مخلوق يدانيه فضلا عن ان يساويه ولا داعي لهذه التكلفات فانه غني عن التاويل والمراد بالجلال مهابته في عين رائيه **وتخصيصه بالمحاسن الجميلة** بيان للمحاسن والجميلة من الجمال وهو الاتصاف بالصفات الحميدة ولذا ورد اطلاقه على الله في حديث ان الله جميل يحب الجمال • وفي عرف اللغة حسن الصورة المشاهد وهو بهذا المعنى لا يطلق على الله وهو مراد المص وفي الحواشي التلمسانية الجميلة والحميدة كلاهما نعت فالاول بمعنى فاعل لان الفعل منه جمل بضم الميم اي لازم والثاني بمعنى مفعول ولا بد من لحوق التاء في آخر كل واحد منهما لانه صفة للجمع ولا يجوز ان يوصف الجمع بمفرد بخلاف ما اذا كان للواحد فانه لا يخلو ان يكون بمعنى فاعل كعليم او بمعنى مفعول كجريح وفي المحصول للفخر التاء في فعيلة للنقل من الوصفية الى الاسمية الصرفة فلا يقال شاة اكيلة ونطيحة يعني لغلبة الاسمية وتقريره ان هذه التاء من فعيل بمعنى مفعول اذا كان تابعا للموصوف لم يلفظ بالتاء وقد تثبت كخصلة حميدة وصفة حميدة فاذا حذف موصوفه جرى مجرى الاسما فيثبت فيه التاء خوف اللبس كهذه جريحة واما اذا كان فعيل بمعنى فاعل فانه بالتاء فتحققه فانه مفيد انتهى • **اقول** فهم من كلامه ان الموصوف اذا كان جمعا تثبت تاوه على كل حال ولم نر من ذكره غيره وبقية كلامه ظاهر **والاخلاق الحميدة** اي المحمودة وهي الصفات المعنوية التي هي للباطن كالصورة للظاهر وعليها مدار كمال البشرية والثواب والعقاب غالبا قيل وهو مبالغة او مجاز او التخصيص في الجملة لانه لم يرد عد الخصائص هنا فقط ولذا فسر التلمساني التخصيص بالتعيين ولا مانع من حمله على ظاهره نظرا لكمالها او مجموعها **والمذاهب الكريمة** المذاهب جمع مذهب وهو الطريق ويطلق على ما اختير من الافعال وغيرها كما يقال مذهب الفقها والمراد مسالكه في احواله مع امته او في نفسه • وللناس فيما يعشقون مذاهب • وهو ماخوذ من الذهاب وهو الخروج الى المقاصد سواء وصل اليها ام لا ولذا اختلف فيها وتنافيه فقيل لا يشترط الوصول وقال البصير يشترط لقوله تعالى اذهب الى فرعون فانه بمعنى ابتياه والكريمة بمعنى الحسنة النفيسة المطلوبة لاهل الكمال وقيل هي بمعنى العزيزة المنزهة عن النقايص **والفضايل العديدة** اي المعدودة من المفاخر من قولهم فلان عديد بني فلان اذا كان يعد فيهم ويعتد به او المراد الكثيرة قال صاحب المحكم في قوله تعالى سنين عددا جعله الزجاجي مصدرا وقال المعنى تعد عددا في الاشياء المعدودة انك تريد توكيد كثرة الشي لانه اذا قل كثر مقداره وعدده فلم يحتج ان يعد فاذا كثر احتاج الى العدد فالعدد في قولك اقمت اياما عددا تريد به الكثرة انتهى • فقول بعض الشراح هنا نقلا عن التلمساني انه من العد بالكسر بمعنى الكثير تكلف نشا من ان ذكر العدد يدل على القلة كما نقله ابن هشام عن ابن عبد السلام في هذه الآية من ان عددا بمعنى معدود ذكر ليدل على القلة لان ما ذكر في الغالب لا يمكن عده ولا يمكن هنا هنا لانها ذكرت لتعظيم القصة فلعل ذكرها لمناسبة روس الآي انتهى **وتاييده بالمعجزات الباهرة** التاييد النصر والتقوية من الايد وهو القوة والمعجزات جمع معجزة اسم فاعل من الاعجاز افعال من العجز ضد القدرة والمراد اثبات العجز واظهاره ممن شانه التحدي • وقيل العجز مجاز عن عدم القدرة كالجهل لعدم العلم وهما في الاصل امر وجودي او متعلق به فيمن شانه القدرة فلا يقال عجز الحجر عن الحركة وهو امر خارق للعادة

مقرون بالتحدي او بزمانه على وجه يدل على صدق مدعي النبوة الذي من شانه التحدي فلا يشترط فيه التحدي بالفعل والباهرة بمعنى العجيبة او الظاهرة ظهورا لا يمكن ستره ومنه وقمر باهر اي تام الاضاءة او الغالبة لمن يهم بمعارضتها وبه فسر قوله

• ثم قالوا تحبها قلت بهرا • عدد الرمل والحصا والتراب •

والبراهين الواضحة جمع برهان وهو الدليل القوي الذي يحصل به اليقين وليس المراد به البرهان المنطقي وان شمله والواضحة بمعنى الظاهرة **والكرامات البينة** جمع كرامة وهي امر اكرم الله به من اصطفاه من عباده المتقين بدون تحد ودعوى نبوة فتكون للنبي والولي واعم من المعجزة لاشتراط مقارنة النبوة والتحدي بالقوة او بالفعل وبقولنا اكرم الله خرج السحر وما يصدر من الكهنة والشياطين وجعل الوصف بها شاملا لما قبلها حتى البراهين تعسف ركيك **التي شاهدها من عاصره** اي كان في عصره ومدة حياته والمشاهدة الرؤية بالعين من الشهود وهو الحضور عنده والمراد علمها علما متيقنا فيدخل فيه نحو ابن ام مكتوم ويشمل ما سبق مما لا يدرك بالبصر **ورآها من ادركه** اصل معنى الادراك اللحوق يقال ادرك زمنه ومنه ادرك الطعام والثمر اي لحق حال النضج وادرك الغلام بلوغ حال الرجولية فادراك البصر لشي لحوقه له برؤيته ثم شاع في معنى العلم مطلقا • وهذه الجملة مفسرة لما قبلها فليست حشوا زائدا كما توهم ويمكن الفرق بينهما بان يراد بالاولى من طالت صحبته وشاهد حاله كله من الاولين السابقين وبهذه من بعدهم على ان الاطناب في مقام الخطابة مستحسن وفي نسخة عاصرها وادركها والاولى اولى **وعلمها علم يقين من جا بعده** من التابعين فمن بعدهم لتواتر بعضها واشتهار بعض آخر منها ونحو ذلك مما ينفي الشبهة وعلم اليقين كحجر راك فاضافته لامية او بيانية على راي ويلحق به ما كان بطريق الكشف **حتى انتهى علم حقيقة ذلك الينا** اصل معنى انتهى بلغ النهاية ولذا يكون بمعنى الزوال كما في قولهم وكل شي بلغ الحد انتهى والمراد انه بلغنا ووصل الينا لان من انتهى اليه شي وصله وضمير الينا للمتاخرين ومن بعدهم الى الحشر وهذا يناسب ما مر من تفسير من ادركه بمتاخري الصحابة ومن ولد بعد الهجرة لان لفظ الادراك يشير اليه اشارة ما فتكون عبارته شاملة لجميع الامة تفصيلا والافضل دخل فيما قبله لانهم ممن جا بعده **وفاضت انواره علينا** اصل معنى الفيض في الماء ونحوه من المايعات يقال فاض السيل اذا كثر وسال وفاض بالالف لغة وفاض الاناء فيضا امتلا وافاضه صاحبه ملاه وفاض الخير كثر واستفاض الحديث اشتهر وانتشر فهو مستفيض ولا يقال مستفاض وهو لحن عند الاصمعي واثبته بعضهم فشبه الانوار وانتشارها بماء سايل متدفق والمراد بانواره ما ظهر من بركته والضمير للنبي او للعلم لانه ورد اطلاق النور على كل منهما او اراد بالنور الايمان وما يترتب عليه من العلوم الشرعية الموصلة لسعادة الدارين المنقذ من ظلمة الضلالة وفي نسخة حقيقته وانوارها اي الحقيقة المحمدية وما لها من الكمال في نفس الامر وضمير انوارها للحقيقة او للكرامات **صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما كثيرا** اي تسليما عقب ما ذكر مما وصل للامة من خيره بالدعاء له ولآله الذين هم واسطة بيننا وبينه فيما وصل الينا ففيه شبه لف ونشر **حدثنا القاضي الشهيد ابو علي الحسين بن محمد الحافظ قراة مني عليه** قراة منصوب بنزع الخافض اي بقراة مني عليه او مفعول مطلق اي وانا اقراه قراة مني عليه حين حدثني له وهذا الحديث اسنده المص من طريق الترمذي وهو حديث حسن اخرجه احمد والبيهقي في سننه والقاضي المذكور شيخ المصنف قراة عليه بالاندلس وهو ابن فيرة الصدفي السرقسطي الاندلسي المعروف بابن سكرة وهو من المشهورين بعلم الحديث وترجمته مفصلة في اسما الرجال • وقال الشهيد

لانه استشهد ببعض ثغور الاندلس في وقعة وقعت في سادس ربيع الاول سنة اربع وعشرة
وخمسماية وله من العمر نحو اربع وستين سنة والحافظ وصف لكل من احسن رواية الحديث واتقنها وقد انقطع
هذا في عصرنا وآخر الحفاظ السيوطي والسخاوي وبين بقوله قراءة الخ وجه الاخذ عنه فانه يكون بقراءة
الشيخ وقراءة التلميذ عليه وقراءة غيره وهو يسمع والغالب الاول فاذا كان غيره احتاج للبيان حتى منع
ابن الصلاح ان يقول من قرأ على الشيخ حدثنا مطلقا وان اجازه غيره كما فصلوه **حدثنا ابو الحسين**
المبارك بن عبد الجبار بن احمد المعروف بالحمامي بتخفيف الميمين سمع من ابن شاذان وخلق كثير بعده
وكان من اهل الخير والصلاح **وابو الفضل احمد بن خيرون** في المقتفي هو الحافظ الناقد ابو الفضل
احمد بن الحسن بن احمد بن خيرون البغدادي الباقلاني سمع من ابي علي بن شاذان وابا بكر البرقاني وروى
عنه خلق كثير وترجمته مشهورة وهو عدل متقن توفي في رجب سنة ثمان وثمانين واربعمايه وله من العمر
اربع وثمانون سنة وقد ذكره في الميزان وصحح عليه وخيرون بفتح الخاء المعجمة تليها مثناة تحتية ساكنة
وعن المزي ان الاصل في خيرون الصرف الا ان المحدثين لا يصرفونه لشبهه بجمع المذكر السالم انتهى
يعني ان هذه الصيغة لما لم تعهد في الاعلام المفردة اشبه الاسم الاعجمي وهو احد الوجوه في امثاله
من الاعلام التي على هذه الزنة كزيدون وعبدون كما في شرح التسهيل فان فيه لغات فيعرب بالحروف
اعراب الجمع حكاية لاصله ويعرب بالحركات مع لزوم اليا كغسلين او الواو كهرون ويمتنع حينئذ من الصرف
لما ذكرناه وقال ابن العلا في كتاب الوليد ان بعض يجعل الف نحو الصلاة واوا فضلا منه ولذا
منع صرفه وهو غريب جدا فقول بعضهم كانه اراد بمنع الصرف مجرد منع الكسر والتنوين والا فشرطه صيغة
منتهى الجموع وتبعه الشارحان خبط ناشي من عدم الوقوف على كلام النحاة في امثاله **قالا حدثنا**
ابو علي البغدادي احمد بن محمد بن جعفر ويعرف بابن زوج الحرة كما ذكره ابن ماكولا وقال انه سمع
على ابي علي السنجي جامع الترمذي ببغداد **حدثنا ابو يعلى السنجي** نسبة لسنج مرو وهو كما قال
ابن ماكولا ابو يعلى الحسين بن احمد بن محبوب عن الترمذي وسمع منه وروى عنه زوج الحرة وغيره • ويعلى بفتح
المثناة التحتية واللام مقصور قال **حدثنا محمد بن احمد بن محبوب** هو ابو العباس المحبوبي المروزي
راوي جامع الترمذي قال **حدثنا ابو عيسى بن سورة الحافظ** سورة بفتح السين المهملة تليها واو
ساكنة ثم راء مهملة وهاء والد ابي عيسى الترمذي الضرير المحدث المشهور هو وتصانيفه كالجامع والسنن
قيل انه ولد اكمه وسمع ابن قتيبة وغيره مات في رجب سنة مايتين وتسعة وسبعين وقال الذهبي في
الميزان انه ثقة مجمع عليه ولا عبرة بطعن ابن حزم فيه لانه لم يعرف احواله • وترمذ بفتح المثناة الفوقية
وكسر الميم وبكسرهما وهو المشهور وبضمهما كما قاله السمعاني قال **حدثنا اسحق بن منصور** الكوسج
الحافظ المشهور توفي في سنة احدى وخمسين ومايتين وهو ثقة في الرواية قال **حدثنا عبد الرزاق**
ابن همام بن نافع ابو بكر الصنعاني احد الاعلام الثقات الذي روى عنهم اصحاب الكتب الستة وهذا
حديث مسند في الترمذي وغيره ولم يرو الا عن عبد الرزاق فهو غريب كما قاله صاحب المقتفي والسيوطي
في تخريج احاديث هذا الكتاب **ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي بالبراق** بصيغة المجهول
اي اتاه به جبريل فحذف فاعله لشهرته كما صرح به في غير هذه الرواية ولانه يعلم من آخر الحديث وبراق
كغراب دابة فوق الحمار ودون البغل سمي به لشدة سرعته كما يقال مر كانه برق خاطف او لشدة تلألؤه
وبريقه او لبياضه وقال المصنف انه سمي به لانه ذو لونين كما يقال شاة برقا اذا كان خلال بياض
صوفها طاقات سود واورد عليه انه مخالف لما صرح به في بعض طرق هذا الحديث من انه ابيض الا ان
يقال انه باعتبار الاغلب فيه وفي كتا بحبل النبي صلى الله عليه وسلم ان وجهه كوجه الانسان وذنبه

كذنب

كذنب الغزال وقوائمه كقوائم الثور وجسده كالفرس وقال الثعلبي جسده كالانسان
وذنبه كذنب البعير وعرفه بعين مهملة وراء مهملة وفاء كعرف الفرس وقوائمه كالابل واظلافه
كالبقر كانه ياقوتة وظهره كدرة بيضا وله جناحان في فخذيه يضع حافره عند منتهى طرفه كما
ورد في الصحيح وهو مذكر وسمع تانيثه باعتبار الدابة وقيل بتذكيره كتذكير الملاك وتذكير وصفه
فان مبنى التذكير على عدم التانيث لانه الاصل لفظا ومعنى • فقول ابن الملقن انه ليس بذكر ولا انثى
وقول جبريل في رواية يا براق لا تنفري لا ينافيه لانه نظر الى ظاهر حاله واحتمال التاويل ونظرا للحوق
تاء الوحدة اذا لم يفهم دليل على احد الشقين • وقوله تع ومن كل شيء خلقنا زوجين اغني او مخصوص
بدواب الارض وصيغة المذكر لا تختص بما له مونث لانها الاصل فلا جمع بين متنافيين كما في قايم
وقايمه كما توهمه الكندي وهو ملك خلق على هذه الصورة لحمل الانبيا ولا مانع منه كذلك العرش وهو
دابة مخلوقة في الجنة وقد قالوا انها يدخلها بعض دواب الارض ايضا وبلغوها نحو عشرة ونظموها
في شعر مشهور **ليلة اسري به** بصيغة المجهول والجار والمجرور قايم مقام فاعله وليلة منصوب
على الظرفية باتي والاسرا كان ليلا في سبع وعشرين من ربيع الاول وقيل من رجب وقيل في شوال
وكان ليلا لانه ادل على القرب وسنه عليه السلام خمسون سنة وتسعة اشهر واسري وسرى بمعنى
وهما سير الليل وقيل اسرى لاوله وسرى لآخره واختار السهيلي ان سرى لازم واسرى متعد
ترك مفعوله والاسرا والمعراج وقعا في ليلة واحدة يقظة بجسده على الاصح وبينهما فرق سيأتي
لان ما ذكرها استطرادي **مسرجا ملجما** مخففان بزنة مصحفا اي مهيا للركوب بسرجه ولجامه
وهما حالان من البراق وهل هو علم او اسم جنس منحصر في فرد كالشمس الظاهر الثاني لوروده معرفا
ومنكرا والقول بتعدده والاستدلال عليه بقوله ومن كل شيء خلقنا زوجين مما لا ينبغي الاشتغال به
لكن الامام السهيلي افاد انه كان قبل النبي صلى الله عليه وسلم ركبه الانبيا ذكره في شرح السيرة كما
وستسمعه عن قريب **فاستصعب عليه** ضمير استصعب للبراق او للركوب المعلوم من السياق وضمير
عليه للنبي صلى الله عليه وسلم اي انه لما اراد ركوبه لم يقر حتى يركبه ويجوز عود ضمير عليه للبراق
ايضا اي صار الركوب عليه صعبا على البراق كما قيل وهو تكلف والفعل مبني للفاعل ويجوز بناؤه
للمفعول لانه سمع من العرب لازما ومتعديا يقال استصعب الامر علينا بمعنى صعب واستصعبت
الامر اي وجدته صعبا بمعنى انه امتنع وابى ان يركب بسهولة ولذا فسر بنفر اي شمس كما ورد في بعض الروايا
ويقال دابة شموس وشموص بمعنى حرون • وروي ان جبريل مسك ركابه وميكائيل زمامه ومن هنا
علم ان قول بعض الشعرا في مدحه صلى الله عليه وسلم جبريل خادمه وميكائيل ليس بمنكر لما فيه من ترك
الادب كما توهم • وسبب استصعابه فيه وجوه منها انه لم يركب قبله قال التميمي وهو مبني على ان
الانبيا لم تركبها وهو لبعد عهده بالركوب لطول زمن الفترة وما قيل من ان الخلاف فيه الظاهر انه
في ركوب هذا النوع لجواز تعدد شخصه وهذا الشخص لم يركبه احد وان ركبه غيره او للمخايلة ربح
الاصيل من عدم التذلل كلام مواه رواية ودراية وقيل انه كان نشاطا وفرحا بركوبه وما باه
ما روي من انها انفرت ونفشت عرفها وقيل كان خوفا من تقصيره في حقه • وقيل انما توقف حتى
ياخذ عليه العهد ان يركبه في الجنة كما في قصة الجذع وحنينه • ومن الغريب ما في تذكرة القرطبي
في تفسير قوله تع خلق الموت والحياة ان الموت خلق في صورة كبش والحياة في صورة فرس انثى
بلقا وهي كانت الانبيا يركبونها وحكاه عن ابن عباس وطعن الحلبي في صحته عنه وقال السهيلي
في الروض الانف بعدما نقل الخلاف في ان البراق هل كانت تركبه الانبيا قبل النبي صلى الله عليه وسلم

وَمما ورد فيه ان سبب نفاره ما ورد في كتاب البعث ان جبريل قال له يا محمد هل مسست الصفرا
اليوم فقال ما مسستها ولكن مررت بها فقال تبا لما يعبدون من دون الله • وقد اختلفوا في
المراد بالصفرا فيه فقيل الذهب وعبادتها حبها كما يقال عبد الدرهم والدينار وقيل كل معناطيس
ومغناطيس الانسان الذهب وقيل هو صنم من ذهب كسره يوم الفتح ومسّه له انما اهانة او
لارادة كسره او غير ذلك وقال ابن حجر هذا واه جدا • اقول في الخصايص الكبري ان ابا يعلى
والبيهقي وابن عدي وابن عساكر اخرجوا عن جابر ابن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم شهد مع
المشركين بعض مشاهدهم فسمع ملكين خلفه احدهما يقول لصاحبه اذهب بنا حتى نقوم خلف رسول
الله فقال كيف نقوم خلفه وانما عهده باستلام الاصنام قريب فلم يعد بعد ذلك لمشاهدهم قال
الطبري والبيهقي معنى قوله انما عهده الخ انه شهد من استلم الاصنام لا انه استلمها والمشاهد
مشاهد الحلف ونحوه لا مشاهد الاصنام وقول ابن حجر هذا الحديث انكروه وانما المنكر منه قوله انما عهده
منه الخ فان ظاهره انه باشر الاستلام وليس مرادا انما المراد انه شهد استلام المشركين لها وروي ايضا
ان بوانة صنم كانت قريش تشهده يوما في السنة وابو طالب عمه فكلم رسول الله في ان يحضره فابى فغضب
هو وعماته وقالوا يا محمد ما تريد ان تحضر لقومك عيدا او تكثر لهم جماعة فلم يزالوا به حتى ذهب وغاب
فعاد مرعوبا فزعا فقالت له عماته ما دهاك قال اني اخشى ان يكون بي لمم فقلن له ما كان الله ليبتليك
بالشيطان وفيك من خصال الخير ما فيك فما رايت قال اني كلما دنوت من صنم منها يتمثل الي رجل ابيض
يصيح وراك يا محمد لا تمسه فما عاد الى عيد لهم حتى تنبا • وانما فصلنا هذا لان الامام السهيلي تردد فيه
في الروض يعني هنا انه هل اردفه جبريل ام لا فذكر البرهان انه اردفه خلفه وفي رواية انه ركب قدامه
والذي يظهر لي انه انما استصعب لما لم يعرف النبي صلى الله عليه وسلم وظن انه غير نبي فلذا عرق خجلا
فلما اعلمه جبريل فقال جبريل للبراق لما فعل هذا محمد وجبريل اسم للملك المشهور وفيه وصلت اربعة عشر
لغة جبريل وجبرين وغيرها وبعضها قوي وهو عبراني وسرياني ومعناه عبد الله على الاصح وايل اسم الله
في لغتهم وليس بمعنى عبد وما قيل من ان ايل لا يعرف من اسماء الله ليس بشي • ا بمحمد تفعل هذا زيادة
يا براق وفي رواية ابن حبان ما حملك على هذا ما ركبك خلق قط اكرم على الله منه وروي البيهقي يا براق
والله ما ركبك مثله وروي البزار يا براقة لا تنفري من محمد فوالله ما ركبك ملك مقرب ولا نبي مرسل
افضل من محمد ولا اكرم على الله منه قال قد علمت انه كذلك وانه صاحب الشفاعة واني احب ان اكون في شفاعته
فقال انت في شفاعتي ان شا الله قيل ففي رواية المصنف اختصار • فان قيل بعد اد الاسرا فالامر سهل
وليس كما قال فانه اختلاف رواية لا اختصار والاستفهام انكاري وقدم الظرف لتخصيص الانكار اذ
زيادته به لانه اجل من علاه فلا يليق النفار منه والاشارة راجعة لمصدر استصعب او لما فهم منه كما اشار
اليه بقوله فما ركبك احد اكرم على الله منه الفاء سببية واكرم افعل تفضيل من الكرم وهو وصف جامع
لكل خير وشرف وضده اللوم والكرم في العود بمعنى الجود فيقابله البخل والمراد هنا الاول • فان قلت
المراد انه ليس احد عند الله اكرم منه وافضل ولا مثله بل ولا يدانيه والعبارة قاصرة • قلت قال في شرح
المقاصد استدلوا على تفضيل الصديق بحديث ما طلعت شمس ولا غربت بعد النبيين والمرسلين على
افضل من ابي بكر ومثله وان كان ظاهره نفي افضلية الغير لكن انما يساق لاثبات افضلية المذكور ولهذا
افاد افضلية ابي بكر والسر فيه ان الغالب في حال كل اثنين هو التفاضل دون التساوي فاذا نفي افضلية
احدهما ثبت افضلية الاخر انتهي وقيل اذا قال ليس في البلد افضل منه فالمراد ليس فيها من يساويه ويدانيه
فضلا عمن يزيد عليه وهو معروف في استعمال البلغا وروي هنا ما ركبك مثله وهو يؤيده فهو كناية اذ
لا بد له من مساواة المفضول من بعض الوجوه وان زاد في بعض اخر فقصد بنفيه نفي لازمه وهو المساواة
وفيه بحث وظاهر الحديث ان البراق ركبه غير نبينا وقد مر انه ثابت وقال النووي انه لم يصح وقال ابن حجر رواياته
كلها واهية ولذا قيل هنا ان المعنى هنا انه لم يركبك احد فكيف يركبك اكرم منه على حد قوله هم •

ولا ترى الضب بها ينجحر •

وقيل الذي رواه النسائي والسهيلي وابن هشام والقرطبي انه ركبه غيره من
الانبيا حتى قيل ان ابراهيم كان يحج عليه في كل سنة فقيل له براق ابراهيم وقول النووي اشتراك جميع الانبياء
فيه يحتاج لنقل صحيح يحتمل انه انكار لعموم المشاركة ثم ان ركوبه له انما هو لبيت المقدس ثم ربطه في الصخرة ولم
يصعد عليه بل على رفرف اي معراج من نور قال هو من كلام الراوي عن انس ففاعله ضمير انس او ضمير النبي
وانما اتي به للفصل بين كلام جبريل وكلام غيره فارفض عرقا ارفض بهمزة وراء ساكنة وفاء وضاد معجمة مشددة
بزنة احمر بمعنى سال وانصب وعرقا تمييز محول عن الفاعل وعرقه لخجله او مهابته من استصعابه وثبوت
الخجل لنحوه غير مستبعد وقيل ارفض بمعنى ترشش عرقه وقال ابن رسلان عن المصنف انه ارفض بمعنى خر على الارض
ونزل كما روي انتفض ايضا والمعروف في كتب اللغة الاول وفي بعض الروايات ارفض عرقا وقر في السين ثم قر
وفسر بانه جرى عرقه ثم سكن وانقاد وترك النفار • وقلت في معناه برامية •

عرق البراق وقد اراد محمد • يعلو عليه لاجل مصالحه •
فكانه لنفاره خجلا غدا • متاسفا يبكي بكل مصالحه •

واعلم ان المصنف انما ذكر هذا الحديث مسندا على خلاف دابه في هذا الكتاب وغير اسلوبه في غيره من الاقسام والابواب
لانه لما كان هذا اول الاقسام • وتاج الزاجر والمرام • وتقديمه له لاهتمامه صدره بحديث ثابت فيه من الدلالة
على ما اراد بيانه من التعظيم قولا وفعلا ما لم يتيسر لغيره من الانبيا مما تقصر عنه الافهام • وتتحير فيه العقول
والاوهام • وهو دعوة الملك الجليل له ليلا لحظا من قدسه كما يدعي المقرب المطلع على الاسرار وارسل الدعوة
عظام ملائكته ببراق مسرج ملجم على عادة الملوك اذا عظموا من دعوه ارسلوا لبعض المقربين بمركوب كانوا
يسمونه فرس النوبة فاوصله الى حرم عزته لمكان لا يصل اليه سواه وكلمه بغير واسطة وتجلي له بلا حجاب
ولذا قال جبريل انه اكرم خلقه عليه وسياتي تفصيله في بابه ان شا الله تعالى •

• الباب الاول في ثنا الله تعالى عليه •

الثنا المدح كما تقدم تقريره واظهار عظيم قدره لديه بقول غير ثنا ظاهر كالقسم به والامر باتباعه فهما
متغايران اذ الاصل في العطف التغاير او المراد بالفعل والقول الصريح في ثنا وغيره والمراد عظيم قدره بالنسبة
لغيره من الانبيا او مطلقا فبينهما عموم وخصوص وجهي وهو باين جزيئ فالثنا من غير تفصيل ينفرد به
الاول وينفرد الثاني بالاسرا ونحوه ومادة الاجتماع تفضيله بالقول على غيره فان اريد بالثنا ما يدل على
الكمال مطلقا بطريق المجاز فالعطف للتفسير والتوضيح اعلم ان في كتاب الله العزيز بالجر صفة لله
او لكتاب لان العزيز معناه القوي الغالب يقال عزه اذا غلبه وفي المثل من عز بز وهو من اسمايه تعالى ويوصف
القرآن به وهو المراد بالكتاب لانه بمعانيه واعجازه فاق كل كتاب • واعلم امر من العلم يصدر به ما يعتنى به من
الكلام تقوية وتاكيدا وثنا على القايل لما بعده تنبيها على انه مما ينبغي ان يعلم ولا يترك وقد ورد كذلك
في القرآن وكلام العرب كقوله فاعلم انه لا اله الا الله ولذا التزم بعده غالبا ان المؤكدة كقوله هم •

فاعلم فعلم المرء ينفعه • ان سوف ياتي كلما قدرا •

ايات كثيرة اسم ان وصفته جمع آية واصل معناها العلامة والجماعة ثم خصت بمقدار من القرآن وجمع من
الحروف له مبدا ومقطع مندرجة في سورة في الاكثر عند بعضهم وانما يعرف بالتوقيف كما صرحوا به وفي اشتقاقها

وتصريفها مامر شي منه **مفصحة بجميل ذكر المصطفى** اي مبينة له والافصاح لغة الكشف
ويقال افصح اذا اتى بكلام فصيح وهو يتعدى بعن والمص عداه بالبا ولم يسمع فهي بمعنى عن فانها تاتي
بمعناها ولا يختص هذا بمادة السوال كما في قوله عز وجل فاسال به خبيرا او هو مضمن معنى ناطقة اي دالة او
محمول على ما هو بمعناه كاتي او المراد انها بينت في حد ذاتها والبا للملابسة من افصح اللبن اذا ذهبت رغوته
وجميل ذكره بمعنى ذكره الجميل وتفسيره بانه الذكر الجميل يظهر بما لا يخفى ما فيه والجميل المحمود من الصفات ما
نعضهم بالاختياري ولنا فيه كلام في حواشي التهذيب **وعد محاسنه** اي تفصيلها لما بينهما من الملازمة
في الجملة وفيه ايماء الى ان تفصيلها لا يحيط به نطاق البيان **وتعظيم امره** اي شانه وماله في نفسه
او هو ما يقابل النهي والمراد ايجاب اتباعه فترك النهي اكتفا لان الامر بالشي نهي عن ضده او المراد مطلق
الطلب مجازا **وتنويه قدره** اي رفعه باشاعته على وجه التعظيم والتكريم يقال نوه باسمه تنويها اذا رفعه
كما قال تع ورفعنا لك ذكرك قيل هو تصريح باللازم او تعميم بعد التخصيص **اعتمدنا منها** من الايات والمراد
باعتماده على بعضها اقتصاره عليه او جعله عمدة مقصودا بالذات وغيره بالتبع ويقال اعتمد على كذا اي اتكا
عليه وليس بمراد هنا وجملة اعتمدنا صفة ايات وجمعنا معطوف عليه وقيل انها حال من المجرور بعدها على
راي من جوز تقديم الحال على صاحبها المجرور وفيه نظر **على ما ظهر معناه وبان فحواه** ظهر وبان بمعنى
اي اتضح وانكشف والمعنى ما يفهم من اللفظ ويراد به ما يقابل الذات والمراد الاول والظهور ضد الخفا
لا ما اصطلح عليه الاصوليون • والفحوى لغة كالمعنى والفحوى عند الاصوليين بمعنى مفهوم الموافقة ويمد
ويقصر ماخوذ من الفحا وهو التوابل والابزار قيل وينبغي ان يراد به هنا مطلق المفهوم وهو معتبر بلا خلاف
ولذا اعتبره فقهاونا في ظاهر الرواية وانما الخلاف في صحة الاستدلال به من النصوص فلا وجه لما قيل ان المص
مالكي ومالك لا يقول بالمفهوم حتى يجاب بان صاحب الملخص نقل عنه انه قايل به لخروجه عن سنن السداد
وقيل انه بمعناه اللغوي فهو من عطف احد المترادفين على الاخر وقد يخص الفحوى بما يفهم قطعا او من خلال
التراكيب وان لم يكن بالمطابقة **وجمعناه لك المعتمد عليه في عشرة فصول** ٥

الفصل الاول فيما جا من ذلك مجي المدح والثنا

وليس من قبيل الفصول المذكورة والمدح والثنا متقاربان وليس من عطف الخاص على العام كما قيل
وتعداد المحاسن بالجر عطف على المدح وذكر الحلبي انه صح نصبه ووجه بان اصله ومجي تعداد على انه مفعول مطلق
معطوف على مثله بعد حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وكونه منصوب على الحالية سهو وتعداد بفتح
التا مصدر بمعنى التعديد **كقوله تع لقد جاكم رسول من انفسكم الاية** بالنصب بتقدير اعني او اذكر او
اقرا اشارة لبقية الاية اختصارا قال بعض المفسرين هذه الاية اخر اية نزلت وقد قيل يستفتونك في اخر النسا
واخر سورة براة وقيل اية الربا واراد بعضهم التوفيق فلم يساعده التوفيق ووقع في حديث جمع القران ان هذه
الاية لا مع ابي خزيمة الانصاري ووقع في البخاري مثله في قوله تع رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الخ
واستشكل بانه ينافي اتفاقهم على تواتر القران واجيب بان المراد التثبت في تلقيها ممن تلقاها عن النبي
بغير واسطة والمبالغة في استظهار ما كتب بين يدي النبي او انه في حد من شاركه في حفظها فتواتره وقيل
المنفي وجودها مكتوبة لا محفوظة فتدبر **قال ابو الليث السمرقندي** نسبة لسمرقند مدينة معروفة
بفارس قال التلمساني المصحح في النسخ فتح السين والرا وسكون الميم والمعروف فتح الميم وسكون الراء وتبع
فيه صاحب القاموس اذ قال اسكان الميم وفتح الرا لحن وفيه نظر وهو معرب سمركند وسمر اسم رجل وكند بمعنى
قرية • والسمرقندي هذا هو الامام الجليل المعروف بامام الهدى وهو نصر بن محمد بن احمد بن ابراهيم الفقيه

الحنفي

الحنفي المشهور صاحب التصانيف الجليلة كالتفسير والنوازل وخزانة الفتاوي وتنبيه الغافلين
والبستان توفي سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة ومن ايمة الحنفية ايضا اخر يدعى بابي الليث السمرقندي
متقدم على هذا كما قاله الصغاني وهذا يعرف بالحافظ وبهذا اللقب يفرق بينهما **وقرا بعضهم من
انفسكم بفتح الفا والجمهور بالضم** اي بفتح الفا وضمها والواو في قوله وقرا من المحكي فهو معطوف على مذكور
وفي عبارة المص على مقدر وفي المحتسب لابن جني انها قراة عبد الله بن قسيط المكي ومعناها على الفتح من خياركم
واشرفكم ومنه قولهم هو انفس المتاع اي اجوده وخياره ومنه المنافسة وهي اشتداد الرغبات في امر يقتضي التحاسد
عليه والغبطة وهي كما في شرح ادب الكاتب ماخوذة من النفس فكان المنافس لرغبته وحرصه عليه مثل نفسه
عنده وهذه القراة شاذة كما يعلم من نسبة الضم للجمهور وعزاها بعضهم لابن محيصن ورويها فاطمة عنه
صلى الله عليه وسلم وانفس على الفتح افعل تفضيل وجوز التلمساني فيه ان يكون اسم فاعل وهو بعيد وعلى
الضم جمع نفس لانه ما من قبيلة الا وقد ولدته الا بني تغلب لتمسكهم بالنصرانية والجمهور بالضم كثير من
الخلق جمعه جماهر وحكى التلمساني فتح جيمه وهو غريب **قال القاضي الامام ابو الفضل** رواية بعض
لانه لا يمدح نفسه وعبارة المص كما في بعض النسخ قال ابو الفضل وفقه الله وقد سقط كله من بعض
النسخ **اعلم** ماض من الاعلام **الله تعالى المومنين** جعل المخاطب هنا المومنين لقوله في سورة التوبة
لقد من الله على المومنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم والقران يفسر بعضه بعضا وهذا الخطاب
هو المسمى في الاصول بخطاب المشافهة وهل هو مختص بالموجودين منهم في زمان النزول او النازلين
في مهبط الوحي او يعم الموجودين منهم وغيرهم ممن سيوجد من هذه الامة اقوال اختلف فيها بعد الاتفاق
على دخولهم في حكمه وانما الخلاف في كونه يدل عليهم وضعا اولا فالدلالة هل هي قياس او اجماع او دليل
اخر وليس هذا محل تفصيله وهو شبيه بالخلاف المذكور في المنطق بين الفارابي وابي علي في عنوان
موضوع القضية وان لم يتنبهوا له ووجه التخصيص انهم المنتفعون ببعثته في الدارين وان كان وجد
لجميع العالمين والمقصود بهذا الخطاب الامتنان عليهم او اعلامهم بمضمونه وان كان منهم من يعلمه
تغليبا اهتماما بارشادهم ولذا اكد بالقسم او هو للاشارة الى ان نطاق علمهم لا يحيط بعظم قدره وقيل
هو لقصد اعلام الجاهل واظهار المنة على العام واستبعد وقيل ان قوله بالمومنين التفات مراعى فيه
نكاته او هو من وضع الظاهر موضع المضمر تشريفا لهم واهانة لمن عداهم وفي الالتفات بعدها ورد
بان المومنين لا سيما الصحابة عالمون بمدلول هذا الخبر فلا اعلام لهم بحسب الحقيقة الا ان ينزلوا منزلة
غيرهم لغفلتهم عن هذه النعمة وشكرها والعمل بمقتضاها او اراد مجرد توجيه الكلام نحوهم والاظهر
ان المقصود هنا اظهار المنة وتنبيه من غفل عن هذه الصفات ووفا بحقها كما مر • **اقول** هذا زيادة
القيل والقال هنا وتحت الرغوة اللبن الفصيح فان هذا مع ما فيه من التكرار والتقصير محتاج للتنقيح
والتغيير فان وضع الظاهر موضع المضمر لا يخرجه عن الالتفات وان جاز ان يقال انه تجريد بنا على عدم
المغايرة بينهما ولما كان الكلام هنا ليس محل التاكيد لعدم جهل المومنين وترددهم في مضمونه احتاج
للتوجيه فتدبر **او العرب** على ان المراد بانفسهم جنسهم او انه عربي مثلهم وقد رجح هذا اكثر المفسرين
لتبادره ولان قوله بعده فان تولوا فقل حسبي الله يدل على عدم اختصاصه بالمومنين وقول ابراهيم
ربنا وابعث فيهم رسولا منهم قد فسر بما ذكر لان ضمير منهم عايد على الامة المسلمة السابقة في قولهم
من ذريتنا ابراهيم واسماعيل اذ الامة من ذريتهما لا العرب كما قيل واحتمال اختصاص بعثته لهم مدفوع
بالقراين والادلة القاطعة وهذا لان العرب كلهم من ذرية اسمعيل والصحيح عند اهل التاريخ
خلافه قال ابن قتيبة في كتاب تفضيل العرب اسمعيل ليس اول من نطق بالعربية لان العرب من ولد

قحطان وهو اول من تكلم بالعربية حتى تبلبلت الالسن ببابل وسار حتى نزل بالحجر فكان منهم
لسعة قبايل قديمة فنقت السنتهم بالعربية وبعث فيهم هود وصالح وشعيب ولما بوأ الله
اسمعيل الحرم وهو طفل وانبط به زمزم مرت به رفقة من جرهم فراوا اما لم يكونوا راوه فاخبرتهم
انه بنسبه وحاله فتبركوا به وبمكانه ونزلوا معه فنشأ اسمعيل معهم بين ولدانهم وتكلم بلسانهم
فانكحوه منهم وقالوا نطق بالعربية ثم غيروه فقالوا نطق بالعربية لسان اليمن ويقال لهم العاربة
ولغيرهم المتعربة والمستعربة الداخلة في العرب كنبز ويعيش انتهى والذي قاله الازهري انهم
نزلوا ببقعة يقال لها العرب فسموا بها عربا **او اهل مكة** لانهم اقرب نسبا اليه اولانهم اول من جاء
اليه اولانهم اشرف العرب وهو اشرفهم فهو خيار من خيار وهذا لا يقتضي تخصيص بعثته بهم لان
التخصيص المذكور لا يفيد الحصر وانما يقتضي الترجيح وعموم الرسالة مخصوص به كما صرحت به
النصوص واتفقوا عليه ولا يرد عليه ان نوحا كان مبعوثا لاهل الارض كافة بعد الطوفان لانه لم
يبق على الارض الا من كان معه فعموم رسالته لعدم وجود غيرهم كادم صلى الله عليه وسلم واما نبينا
فعموم رسالته من اصل بعثته على ان دعوة نوح لم تعم من بعده وكون نوح اول الرسل كما ورد في الحديث
الصحيح فقد بينه شراح البخاري بما لا مزيد عليه واستدل لعموم رسالته بدعائه على جميع اهل
الارض حتى هلكوا غير اهل السفينة • واجيب بجواز بعثة غيره في زمانه وعلمه بانهم لا يؤمنون
به فدعا على من لا يؤمن من قومه وغيره الا انه لم ينقل لنا وايضا شريعته لم تبق الى يوم القيمة لنسخها
وقال ابن عطية انه دعا قومه للتوحيد وبلغهم واشركوا فدعا عليهم لانه لطول مدته اشتهر امره في
جميع الارض وقال ابن دقيق العيد الدعوة للتوحيد يجوز ان تكون عامة في حق بعض الانبياء وان لم تعم
فروع شريعته لان منهم من قاتل غير قومه على الشرك وهو كلام حسن **او جميع الناس** من بني آدم
الموجودين في عصره ومن بعدهم الى يوم القيمة لا من تقدمه لان المذكور هنا ليس لبعثته وحدها بل
بعثته لمن صعب عليه عنته وحرص على هدايته لشفقته التامة عليهم وقد رجح بعضهم هذا التفسير على
غيره لما في الثلاثة الاول من ايهام الاختصاص ان دفع بان الادلة قد قامت على خلافه وفيه ان في الاول
وضع الظاهر موضع المضمر لتشريفهم والاشارة الى تيسير ما ذكر ولذا رجحه بعضهم وقد مر الكلام في
ترجيح بعض هذه الوجوه والمنة عليهم بكونه من جنسهم لمشاهدة معجزاته التي تدعوهم للسعادة مع ما فيه من
الرفق بهم لان الجنس لجنسه اميل وانس به ولذا قيل لو كان ملكا بهيئته الاصلية لم يتيسر لهم التلقي
عنه ولا التبس عليهم • فان قلت ما وجه قول بعض الشراح المراد بالناس جميع المكلفين فيشمل الجن
وقد صرح في القاموس باطلاقه عليهم • قلت قد صرح به جماعة من اهل اللغة في التفسير وصرح به
ابن خالويه والعرب تقول ناس من الجن وفي الحديث جاء قوم فوقفوا فقيل من انتم قالوا ناس من الجن ولذا
جوز بعضهم في قوله تعالى من الجنة والناس ان يكون بيانا للناس ومن الغريب قول السبكي انه مشترك
بينهما فتارة يكون بمعنى الانسان واصله اناس وتارة يكون شاملا لهما واصله على هذا نوس بمعنى تحرك
وقيل الناس هنا شامل لهما واصله شامل لمن تقدم عصر الرسالة بنظرة فيه والظاهر على الثلاثة الاخيرة
انه نزل الكل منزلة الجاهل فاعلمهم او العالم فقصد اظهار المنة او غلب وقيل قصد اعلام الجاهل واظهار
المنة للعالم وفي صحته نظر • اقول وجه جعل المجي شاملا لمن تقدم انه اخذ منهم الميثاق على ان
يؤمنوا به ويخبروا اممهم بانه سيبعث فلما جاءهم خبره جعل كانه جاءهم حقيقة اولانه سيشفع لهم في المحشر
فكان مجيئه لهم كمجيئهم ولا يخفى بعده وان صح • ثم ان اعلام الله لفايدة الخبر او لازمها اذا كان لكثيرين
لا مانع من قصد اعلام بعض والامتنان على بعض كما انه لا مانع من قصدهما معا للجميع بان يعلمهم بما فيه

نفع عظيم ويمتن به فالتردد في صحته لا وجه له **على اختلاف المفسرين** اي اعلاما مبنيا على
اختلافهم في اختيار بعض لبعض هذه الوجوه واخر لاخر لما بدا لهم من وجوه الترجيح كما اشرنا اليه
من المواجه بهذا الخطاب من بفتح الميم اسم استفهام نونه مكسورة لالتقاء الساكنين وكونه
بكسر الميم حرف جر بيان للمومنين اي من الذين وجه اليهم الخطاب بعيد غير لايق والمواجهة بفتح الجيم
اسم مفعول مرفوع خبر او مبتدا على القولين والمواجه المخاطب لمقابلة وجهه لوجهك والخطاب
مصدر خاطبه اذا شافهه بالكلام ويطلق على توجيه الكلام للغير وعلى الكلام الموجه وعلى ما
يدل عليه كالكاف ويصح ارادة كل منهما هنا وعلى كامر متعلق بمقدر صفة او خبر مبتدا مقدر اي
هذا او ما ذكر مبني الخ واصله في جواب القايل من المواجهة الخ والاختلاف مصدر متعد بالحرف
يقال اختلف في كذا والاختلاف فيما مر من التخصيص والتعميم والمطلوب تعيين احد الوجوه للسايل
وهو كما قيل معلق عنه عامله وان تعدى بالحرف تعليق افعال القلوب اما لتضمنه معنى العلم كما قالوه
في قوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا او على قول يونس بجريه في جميع الافعال والجملة الاستفهامية
مستانفة كما في قوله ولقد نجينا بني اسرايل من العذاب المهين من فرعون في قراءة من بفتح الميم
فتعلق الاختلاف بنزول او مقدر كانه لما ذكر الامر قبله فيم اختلفوا فقيل في جواب القايل كما
قدروه وقد قيل عليه انه مع سماجته فيه ان هذا السؤال المقدر لا يتولد من ذكر الاختلاف وايضا
المصنف لم يقصده وليس مرادا في هذه الاية الى آخر ما طوله بغير طايل مع ذكره امورا مفصلة من العربية
ليس هذا محلها والخلاف والاختلاف متقاربان الا ان علماء الحنفية فرقوا بينهما كما ذكره الخصاف
في اداب القضا فقال الخلاف ما وقع في محل لا يجوز فيه الاجتهاد وهو ما كان مخالفا للكتاب والسنة
والاجماع والاختلاف بخلافه بان يكون في محل يجوز فيه الاجتهاد فالاول لو حكم به قاض ورفع لغيره
يجوز فسخه بخلاف الثاني وهذا معنى قولهم خلاف لا اختلاف **انه بعث فيهم رسولا من انفسهم**
ان بالفتح وهو مع ما بعده ساد مسد مفعولي علم وان كان مصدرا مفردا بحسب التاويل الا انه
لاشتماله على النسبة في حكم الجملة فليس كالمصدر الصريح من جميع احواله كما بينه النحاة كما ذكروه
وقد افردناه بالتاليف في الرسايل ولذا قال المحققون انه لا يحتاج لتقدير مضاف اذا وقع خبرا كما
توهموه وانفسهم هنا بضم الفاء جمع نفس والضمير في بعث راجع لله وكون انه بعث الخ بدلا من
قوله بهذا الخطاب بدل كل او اشتمال تكلف غير محتاج اليه وهذا جار على الوجوه كلها فان كان الخطاب
للمومنين فالمراد بكونه من انفسهم انه على طريقتهم ومعتقدهم وان كان للعرب فالمراد انه من صميمهم
وبني عمهم وان كان لاهل مكة فالمراد انه نشا من تربيتهم وبين اظهرهم وان كان للناس فالمراد انه
بشر من جنسهم وليس هذا على بعض الوجوه كما توهم وفيه اشارة الى شرف من بعث منهم ومن هنا يعلم ان
شموله للجن غير مناسب للمقام **يعرفونه** بيان لفايدة كونه منهم وهي معرفتهم لذاته وصفاته واحواله
وذكره في الكتب القديمة وتواتر اخباره واضاءة انواره وهذا جار على الوجوه كلها ايضا والمراد بالمعرفة
المعرفة بالقوة او بالفعل لان عندهم ما لا يخفى من ذلك او بالفعل على التغليب ولم يرد معرفة نبوته
حتى يكون كفرهم عنادا كما قيل وان صح بالتاويل السابق **ويعرفون مكانه** اي قدره ومنزلته
ويحتمل ان يراد محله الحقيقي خصوصا اذا كان الخطاب لاهل مكة وهذا ليس تحته كبير فايدة الا ان
يكنى به عن معنى بعيد مثل انهم يهابونه ولا يقدرون على اذيته او انهم يعلمون انه لم ياخذ باجابة
عن احد وفي نسخة مكانته بالتاء وهو اولى لان المكان يستعمل في المكان الحقيقي والمجازي بخلاف
المكانة فانها تختص بالثاني كما صرح به اهل اللغة فكان التاء فيه للنقل وهذه النسخة انسب بالمقام

وبقوله يتحققون فتدبر **ويعلمون صدقه وامانته** لانه كان معروفا بذلك حتى كان يدعى قبل البعثة بالامين ويوضع عنده الودايع والامانات وهذا على اطلاقه من غير نظر لدعوى النبوة ولما قبلها فلا حاجة الى ان يقال المراد ما عداها وبؤيده حديث هرقل مع ابي سفيان المذكور في الصحيحين **فلا يتهمونه بالكذب** اي لا يصفونه به ولو افتراء وتهمة لانه نشا بين اظهرهم وجربوه فلم يسمع احد منهم ما يتهم به ولذا قال هرقل في حديث البخاري ما كان ليدعي الكذب على الناس ويكذب على الله يقال وهم يهم بمعنى غلط او ظن واتهمه ادخل التهمة عليه او نسبها له وفي القاموس تهمة كهمزة ما يتهم به وفي التقريب انها قد تسكن وفي النهاية اتهمته ظننت فيه ما نسب اليه والباء الكذب للسببية او الملابسة اي لا ينسبون اليه الوهم ولا يظنون ملابسة بالكذب او لا يتهمونه بسبب الكذب وقيل انها للتعدية **وترك النصيحة لهم** ترك بالجر معطوف على الكذب اي لم يتهمه بترك النصيحة حتى كانوا يرجعون اليه في مشكلهم ومشاورتهم قبل الدعوة للنبوة والنصيحة ضد الغش في معناها لغة اختلاف فقيل وهو الاشهر معناها الخلوص يقال نصحه اذا اراد له الخير واظهره وغشه في ضده ومنه التوبة النصوح وهي الخالصة ظاهرا وباطنا التي لا يرجع صاحبها عنها اصلا ورايت في فتاوى ابن تيمية ان من الناس من قال ان نصوحا اسم رجل كان في زمن عيسى عليه السلام تاب توبة مشهورة فامر النبي ان يتوب الناس توبة كتوبته قال وهو كذب من قايله اذ لم يسم باحد يسمى نصوحا في الاعصار المتقدمة ولم يقل هذا احد من المسلمين فضلا عن العلما وانما ذكرت هذا لاني سمعت بعض جهلة الوعاظ من الروم يذكرونه في مجالسهم فاياك ان تغتر بمثله **لكونه منهم** متعلق بيعرفون او به وبما بعده على التنازع لانه تعليل لمجموع الكلام او هو خبر مبتدا اي وهذا لكونه الخ وهو جار على الوجوه كلها وقيل انه متعلق بيعلمون فان القرب يعرف حال القريب او بلا يتهمونه فيكون دليلا له فقد مر ان الكلام يحتمل ان المراد انهم يعلمون نبوته بالقوة او بالفعل ومر ما فيه فتذكره **وانه لم يكن في العرب قبيلة الا ولها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولادة او قرابة** انه بالفتح وهو وما بعده في محل جر عطف على كونه وهو عطف مغاير او تفسيري تفصيلي وهذا اولى من عطفه على انه الاول لبعده ولانه لم يعلم به الا بتكلف بان نزل وقوعه منزلة الاعلام وقبيلة بفتح القاف بنو اب واحد وجمعه قبيل وقبايل بمعنى وهو الجماعة وقيل بينهما فرق فالاول بنو اب واحد والثاني من اباء مختلفة او هو اعم • وطبقات انساب العرب ستة وهي الشعب بالفتح وهو اكبرها ثم القبيلة ثم العمارة ثم البطن ثم الفخذ ثم الفصيلة وهي العشيرة وقد نظمها الشاذي في قوله

شعب بفتح الشين والقبيلة • من بعدها عمارة اصيله •
وهي بكسر العين تروى ثم قل • بطن وفخذ بعدها ولا تمل •
وسادس فصيلة تروي به • وهي العشيرة التي تليه •

والشعوب بضم الشين جمع شعب بفتحها في العجم والاسباط بني اسرائيل كالقبايل في العرب ولذا قيل لمن يفضل العجم على العجم شعوبية ونسب له وهو جمع لانه كانصاري وقوله الا ولها الخ يعني به ان في كل قبيلة من العرب لداب واحد او ام واحدة بدون واسطة او بواسطة وفي هذه الجملة الواقعة بعد الا مع الواو قولان فذهب الزمخشري الى انها صفة والواو لالصاقها بالموصوف تشبيها لها بالحال والجمهور على انها حالية والمعنى لم تكن قبيلة على حال من الاحوال الا على هذه الحال من ايصال النسب لامتناع الواو والتفريغ في الصفات كما فصل في محله والمراد بالقرابة القرب من عمود النسب الفرعي والاصلي مطلقا الا انها في العرف اذا اطلقت خصت بالفرعي ولذا اذا اوصى او وقف على اقاربه لم تدخل فروعه واصوله والفرق ظاهر بينه وبين اقرب اقاربه والقرابة بالفتح تكون مصدرا بمعنى القرب يقال هو ذو قرابته ولا يقال من قرابته الا تجوزا ويكون اسم جمع بمعنى الاقارب وانكار الحريري له في الدرة ليس بشي كما رددته في شرحها والمراد في عبارة

المصنف

المصنف بالقرابة المعنى العرفي لانه لو كان بمعناه الحقيقي لغة لزم عطف العام على الخاص باو وهو انما يكون بالواو كعكسه وفي شرح السيد انه يكون باو نادرا والاول هو المعروف عند النحاة كما في المغني وغيره وقوله لم يكن في العرب الى هنا ورد في الاثر كما اخرجه ابو نعيم في الدلايل من طريق الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس في تفسير هذه الاية قيل ومثله لا يكون من قبل الراي فهو في حكم الحديث المرفوع وفيه بحث لانه سياتي رفعه ايضا واخرج البخاري عن ابن عباس انه لم يكن بطن من قريش الا وله فيهم قرابة هم • كما قال حسان

وشطت بنسبتي الذوايب منهم • كل دار فيها اب لي عظيم •

ووقع في بعض نسخ الشفا عند بعض الشراح هنا زيادة وهو قوله **وهو عند ابن عباس وغيره معنى قوله تعالى قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى** قال السيوطي في تخريج احاديث هذا الكتاب ان هذه الطرق كثيرة استوفيناها في الدر المنثور منها ما اخرجه البخاري من طريق طاوس عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لم يكن من قريش الا كان لي فيهم قرابة الا تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة واخرج الطبراني نحوه من طريق سعيد بن جبير عنه فالقربى على هذا قرابة اهل مكة خاصة وعلى ما رواه ابو نعيم في الدلايل كما مر قرابة جميع العرب لاتصال نسبه بهم كما مر فمعنى الاية عند ابن عباس لا تؤذوني لاجل القرابة بيني وبينكم والخطاب لقريش خاصة لما رواه الضحاك من ان المشركين كانوا يؤذونه فنزلت وما روي من انها نزلت في آل البيت خاصة فقال ابن حجر انه موضوع وما روي من انها نزلت في الانصار لانه لما قدم المدينة قالوا له يا رسول الله انك تنوبك نوايب وقد جمعنا لك ما تستعين به عليها فنزلت قال ابن حجر انه ضعيف ويبطله ان الاية مكية واقوى ما ورد في سبب نزولها ما اخرجه قتادة من ان المشركين قالوا لعل محمدا يطلب اجرا على ما يتعاطاه فنزلت وهذا محصل ما قالوه في سبب نزولها وقيل الاية مدنية والذي صححه ابن حجر خلافه وفي في قوله في القربى تعليلية كما في ان امراة دخلت النار في هرة الحديث • او هي للظرفية المجازية وهو حال او صفة ان جوزنا تقدير المتعلق معرفة فكان القربى ظرفا للمودة واعلم انهم اختلفوا في هذا الاستثنا هل هو متصل او منقطع فقيل انه متصل والاية منسوخة بقوله قل ما سالتكم من اجر فهو لكم وقيل منقطع لان الانبيا لا يطلبون على تبليغهم اجرا فالمعنى اني اذكركم المودة في القربى وفي زاد المسير انه اختيار المحققين وهو الصحيح فلا يتوجه نسخ وفي شرح البخاري ان الاية نزلت لاستكفاء شر الكفار فهي منسوخة باية القتال وهو لا يتم على كونها مدنية ويعضد الانقطاع ما في الكشاف من المودة ليست اجرا حقيقة لان قرابته قربتهم وصلته لازمة لهم مروة وهو مقتضى السياق كما في بعض الشروح من ان الصحيح الذي يرتبط به كلامه ما اخرجه البخاري من انه لم يكن بطن من قريش الا وله فيهم قرابة الا ما ذكره المصنف كما اخرجه ابو نعيم ليس بصحيح وفيما ذكره الزمخشري ان لزوم ايصال شي احد الاينا في كونه اجرا مطلوبا بعمل • ثم المتبادر من الاجر انه ما لا ياتي الا بالعمل وما لزم بدونه لا يسمى اجرا والثواب لازم للعمل فيه وذهب بعضهم الى جواز الوجهين فان نظر الى الظاهر وان المراد بالاجر مطلق ما يترتب على شي او بالمودة لوازمها يكون متصلا وهو المراد في هذه الاية وان اريد حقيقته فهو منقطع وهو المنفي في الاية فلا منافاة ولا نسخ وهو كلام حسن • اقول هذه زبدة ما مخضه التتبع وقد ظهر لك منه جواز الوجهين وان المودة اما مودة اقاربه له او مودة بعض لبعض وما طلب اجرة تبليغ الرسالة واداء الامانة وهو صلى الله عليه وسلم لحرصه على هدايته وشفقته عليهم عد طاعتهم نفعا له لما فيها من كثرة اتباعه وقوة شوكته • والقربى ذوي القرابة القريبة والبعيدة كما قيل

اذا كان اصلي من تراب فكلها • بلادي وكل العالمين اقاربي •

فكلام المصنف منزل على الاقوال كلها والضمير في قوله وهو عند الخ لجميع ما ذكر قبله او للاخير فلا غبار عليه • ثم شرع في توجيه القراءة بالفتح الشاذة فقال **وكونه** ولم يعطفه باو لتحقق المعنيين والقرائين

كما قيل وقد جوزوا فيه ان يكون عطفا على مدخول اللام في قوله لكونه والنصب بعطفه على
مفعول العلم او يعلمون والرفع على انه مبتدا خبره قوله نهاية الى اخره واقتصر عليه في المغني واستبعده
بعضهم ولا وجه له فان الدراية والرواية لانه ابتداء كلام لبيان القراءة الشاذة ولذا اخره **من**
اشرفهم وارفعهم وافضلهم على قراءة الفتح اي بناء على قراءة الفتح وهذه المنها طفات متقاربة
ولك ان تفسرها بما يجعلها متقابلة والامر فيه سهل وافادة النظم لزيادة شرفه وفضله لانه اخبار من
الله الذي لا يتوهم عاقل خلافه فلا يرد عليه ما قيل من ان المبني على القراءة كونه معلما به ومرادا من فحوى
النظم لا اصله ولاما توهم من الامر كذلك قطعا فلا ينبني على القراءة الشاذة ثم يرد على رفع كونه
ويدفع بالتاويل وكذا ما قيل انه مبني على القراءة المتواترة ايضا فلذا قدمها وهو ظاهر السقوط بغير دفع
وهذه اي المنقبة والصفة الجميلة التي تضمنتها الآية على هذه القراءة او على القراءتين او هذه
الآية او هذه القراءة باعتبار ما تضمنته وكون الاشارة للوصف بالانفسية والتانيث لرعاية الخبر
ارتكاب لما يحتاج للتاويل من غير داع له **نهاية المدح** في بابه ونهجه المقصود منه وهذا يمكن عوده
الى القراءتين وان كان الظاهر الثاني فقط فعلى القراءة الاولى هو نهاية للمدح بعلو الحسب والنسب
لان العرب اشرف الناس وقد حازت كل قبيلة نوعا من ذلك فمن اتصل بجميعهم حاز جميع محاسنهم وحلاوة
السنتهم فكان اجل منهم كلهم فهذا هو المقصود بكونه منهم وكذا اذا قلنا المراد جميع الناس وان توهم
خلافه في قولك هو واحد من الناس او من بني فلان ونحوه وعلى الثاني هو نهاية النهاية لانهم انفس
الناس وهو اجلهم وافادته لهذا من بديع الكناية على نمط قوله عز وجل كانت من القانتين وقولهم
فلان من العلما فانه ابلغ من كانت قانتة فلذا عدل عنه مع انه اوجز لافادته انه مع اتصافه به له قدم
راسخ فيه لا دخيل كقولك مثلك لا يبخل كما في شرح المفتاح وهو ماخوذ من كلام ابن جني في المحتسب
وعبارته العرب تفخم لفظ مثل توكيدا وسببه انهم يريدون جعله من جماعة هذه اوصافهم تثبيتا
للامر وتوكيدا له ولو كان فيه وحده لعلق منه موضعه ولم يترسخ فيه قدمه ولم يومن عليه انتقال
منه الى ضده ومثله قولهم في مدح الانسان انت من القوم الكرام اي لك في الفضل سابقة واول
وانت مقيم عليه محفوف به لست دخيلا فيه من غير اول ولا اصل فيخشى نزوك عنه ولما اريد مثل
هذا في الثنا على الله ولم يجز ان يكون تابعا فيه لسلفه ولا موجدا له فيه نظير عدلوا به الى وجه
ثالث وهو ان يجعل قديما وراسخا عليه فكانا ثبت له وذلك نحو وكان الله سميعا بصيرا انتهى اذا عرفت
هذا فقول بعض الشراح هنا انه يفهم من هذا الاعلام امران كونه من اشرفهم لان من كان اشرف وهو
رسول الله فهو اشرف من الاشراف وهو نهاية المدح بالنسبة لغيره فلا يرد عليه ان كونه من جملة اشرفهم
ليس نهاية المدح انتهى فانظر الى هذا مع سماجته وافلاسه من افادته وانظر بعين الانصاف لا بعين
الرضا فيما قلناه • **واعلم** ان دخول من على افعل التفضيل كما في عروس الافراح على وجهين الاول
ان تكون جماعة فاضلة مستوية الرتبة في زيادتها على غيرها فنقول في كل منها هو من الافضل ولا نتمايز
ذلك عند تفاوتها • **الثاني** ان يكون نوع فضل الانواع فيقال في كل فرد منه انه من الافضل كما في
قوله من انفسكم على قراءة الفتح فتنبه لهذه الدقيقة انتهى • **اقول** هذا على ما قاله انما يفيد
مدح قوم النبي صلى الله عليه وسلم اولا ولا يلزم من شرف قوم شرف جميع افراده كما لا يخفى فالحق ما
قدمناه فانه نفيس • **واعجب** من هذا ما قيل ان في كلام المص خفا ظاهرا لان ما في الآية على هذه القراءة
ليس نهاية المدح لان قولك هو انفس الخلق وافضلهم ابلغ منه مع ان الخطاب لم يشمل الانبيا وانما يتم
اذا كانت من بيانية لا ابتدائية او تبعيضية كما هو المتبادر فكونها نهاية مدح في القرآن فيه خفا لا لكنه

انه مبالغة

انه مبالغة اريد بها الكمال انتهى فانظره فانه مع عدم وقوفه على مراد المص لا محصل له ويقتضي ان
الآية فيها عدول عن الابلغ وهذا مما يقضي منه العجب **تنبيه** قال بعض الفضلا هنا في حديث
انا افصح من نطق بالضاد بيد اني من قريش من نطق بالضاد العرب وبيد بمعنى من اجل ولا يلزم
من كونه من قريش الذين هم افصح العرب ان يكون افصحهم وممدوحا بالفصاحة وقد تردد فيه زمانا
حتى رايت الفاضل الكوراني في شرح جمع الجوامع قال له بعد ما ذكر الحديث فان بيد بمعنى من اجل وفيه
نظر قوي وهو ان كونه من قريش لا يقتضي كونه افصح من قريش والحق انها بمعنى غير من المدح الذي يشبه
الذم • **اقول** هذه غفلة على غفلة لانه ترك آخر الحديث وهو تربيته في بني سعد والذي صححه ابن
حجر في تخريج احاديث الرافعي انا سيد ولد آدم بيد اني من قريش ونشات في بني سعد واسترضعت
في بني زهرة ويروى انا افصح العرب الخ واللفظ الاول مقلوب فانه نشا في بني زهرة وارتضع في بني سعد
واما انا افصح من نطق بالضاد فلم يصح يعني انه انطلق لسانه في قبيلتين هما افصح العرب واملحهم
فحاز لب اللسانين المليحين وكل احد انما يفوق في لسان قومه فقط فلزم منه ان يكون افصح من جميع العرب
ثم ان ما ظنه منجا لا منجا فيه فانه لا يفيد اولا كونه افصح ساير قريش فقد وقع فيما فر منه ثم ان شيخنا
رحمه الله في الآيات البينات ذكر كلام الكوراني ورده على عادته في التعصب عليه انتصارا للجلال بما
حاصله ان فيه جملة مقدرة ومثله كثير تقديرها وانا افصح منهم فزاد في الطنبور نغمة لا تطرب ولا
تضحك **ثم وصفه بعد** اي بعد الاعلام المذكور **باوصاف حميدة** اي محمودة او حاملة على التحوز في
النسبة **واثنى عليه بمحامد كثيرة** قيل ثم هنا بمعنى الفا كما في قوله جرى في الانابيب ثم اضطرب
لعدم الفاصلة بين الاعلام والوصف فالترتيب في الاخبار دون الحكم كما قاله النحاة ورده ابن عبد السلام
في كتاب المجازيات في صحة نظرا لان الترتيب فيه اذ ثم لا يتم التراخي الا بتعسف يرجع لغيره من
الوجوه فالاحسن ان يقال انها للتفاوت الرتبي لان بعثة الرسل وشرفهم نعمة عظيمة لكافة الخلق وحرصه
على هدايتهم وشفقته دونها مراتب ولك ان تقول وجه ما قاله النحاة ان الترتيب الذكري لما كان
على ما يقتضي من الالفاظ يعطى حكم البعيد كما قرره الزمخشري في الاشارة اليه بذلك في قوله ذلك
الكتاب لا ريب فيه على انه ما ذكر كل منهما امر ممتد يجوز عطفه باعتبار آخره بالفاء وباعتبار غيره بثم
كما قالوه في قول السكاكي فاضح ثم للمهلة وهو تاسيس لا تاكيد والاوصاف جمع وصف بمعنى الموصوف
به لا المصدر وحميدة بمعنى محمودة عند الله تعالى وعند الناس والمحامد جمع محمدة وهي المحمود به ايضا
والثنا بالمحامد لا يغاير الوصف بالصفات الحميدة ولا يعاب مثله في مقام الخطابة مع انه لما كانت
الاوصاف جمع قلة عقبه بجمع الكثرة دفعا للايهام والاول مطابق لظاهر الآية والثاني لما تضمنته
مما لا يحصى **من حرصه على هدايتهم ورشدهم واسلامهم** من بيانية مبينة لما قبلها من الاوصاف
وما بعدها والحرص فرط الشره وقيل هو الشح على الشي ان يضيع وفيه نظر والمراد به هنا شدة الطلب
لما يريد ويحبه والهداية الدلالة مطلقا او الموصلة وقيل المراد بها هنا الاهتدا لعطف الرشد عليها
وقيل المراد ما قاله الاشاعرة من انها خلق الاهتدا الى الايمان لا الدعوة اليه والطاعة كما ذهب اليه
المعتزلة لان فرضه ليس على الدعوة التي هي عادته ولا يخفى ما فيه وحرصه على الدعوة المراد طلب
تاثيرها لا مجردها والرشد وان كان ضد الغي فهو الهداية فينبغي تفسيره بالصلاح ظاهرا وباطنا
لتغايرهما كما يقتضيه ظاهر العطف وههنا بحث وهو ان ابن عبد السلام قال في القواعد في قوله تع
فان انستم منهم رشدا اكثر الاحكام تبنى على ظاهر الامر حتى يظهر خلافه وما يبطله لانه لو شدد
بطلت التجارات والمعاملات وهذا يشكل على اشتراط الشافعية في الرشد حسن التصرف في المال

والصلاح في الدين بحيث لا يلم بكبيرة ولا يصر على صغيرة فان اجماع المسلمين على معاملة المجهولين والحكم لهم وعليهم وقبول اعتاقهم وهذا يأباه مما يأباه والاية لا تدل على ما ذكروه والعجب من الامام فانه قال اذا بلغ الصبي ولم يوجد منه ما يخالف الرشد ايفك عنه الحجر • اقول قد رد كلام الفقها بوجوه ثلاثة مخالفة للاجماع ونص القرآن ومناقضة كلام النهاية لدم انه تبعهم فيه فكلامهم فاسد والله يعلم المفسد من المصلح فان الذي قالوه معنى الرشد وحقيقته وهو صلاح الدين والدنيا بلا شبهة والمشروط في الاية استيناس الرشد وهو كما قاله المفسرون احساسه وابصاره وذلك بظهور اماراته فمآله النظر لظهور الحال وهو الذي عول عليه الفقها واشار اليه في النهاية فلا مخالفة بين ما قالوه والاسلام معروف وهو مغاير لما قبله ولذا عطف بالواو ثم قيل ان المصنف قدم هذه الصفة مع تاخرها في الاية لان المقام مقام مدح وهو في الحرص اتم واكمل وسياق الاية للامتنان وهو كونه يعز عليه حالهم اظهر فاشار الى تفاوت المقامين • فان قيل المنة في الحرص ثم قلنا مسلك الاية على الترقي وما هنا بخلافه فتدبر تدر معاصد المصنف ولطف نظره او يقال لما كانت العزة منشأ لحرصه قدمت في الاية على وفق الواقع لبيان حاله في ابتداء امره فلما حكاه المصنف بيانا لمحامده قدم المقصود بالذات الذي به الحمد ثم انه جعل متعلق الحرص في كلامه هدايتهم للايمان وصلاح شانهم كما ذهب اليه المفسرون لدلالة السياق عليه ولقوله في غير هذه الاية ان تحرص على هداهم فان القران يفسر بعضه بعضا والحرص لا يتعلق بالذوات وشدة ما يعنتهم من الاعنات قال الله تعالى ولو شا الله لاعنتكم او من التعنت وبكل منهما روي كلام المصنف واثبتهما اهل اللغة فقالوا يقال عنته واعنته والعنت المشقة او الوقوع فيها ويجي بمعنى الاثم والفساد والهلاك وقد اعترض صاحب المواهب على عبارة المصنف هذه بان ظاهرها ان قوله شدة معطوف على مجرور على التي تعلقت بالحرص ولا يستقيم عليه المعنى ولذا قيل انه بتقدير مضاف مجرور معطوف على الحرص المجرور بمن اي وكرا هة شدة الخ • اقول هو كما قال معطوف على حرصه ولكن لا حاجة فيه الى تقدير لان شدته عليه انه صعب شاق عليه فيراد به انه مكروه تاباه نفسه فالمعنى من حرصه على هدايتهم ومن كراهة لما يضرهم وصاحب المواهب لم يخف عليه العطف ولكن اوقعه التقدير فيما وقع فيه وعزته معطوف عليه وقد تنازع الشدة والعزة قوله عليه وما موصولة او مصدرية وفي قول المصنف اشارة الى جواز الموصولية فالتقدير ما عنتموه لا ما عنتم به لان حذف العايد المجرور ضعيف فما قيل من ان المصنف اشار الى ان المراد في الاية ما عنتم به وقد جعلت ما مصدرية اي عنتكم فيتفاوت المعنيان وان تلازما لا وجه له قال في المصباح تعنته ادخل عليه الاذى واعنته اوقعه في العنت وفيما يشق عليه تحمله انتهى ويضر بهم في دنياهم واخراهم يضر بفتح اليا وضم الضاد مضارع ضر وروي بضم اليا وكسر الضاد مضارع اضر لانه يقال اضره واضر به فلا يلتفت لمن ابصره لظنه ان همزته انما تكون للتعدية ومعنى اضره واضر به اوقعه في الضرر والدنيا يقال في مقابلة آخرة واخرى كما في عبارة المصنف وعزته عليهم عطف على شدة عطف تفسير كقوله انما اشكو بثي وحزني فقيه اشارة الى تفسير عزيز في الاية وانه من عز عليه كذا اذا صعب وشق كما قال • يعز علينا ان نفارق من نهوى • وله معان اخر مفصلة في كتب اللغة تركناها لعدم مناسبتها هنا قيل كان المناسب للتفسير وعطفه ان يوخر الاشهر الاظهر فيقول عزته وشدته لكنه عكس للمبادرة لما يفيد المراد حتى يسلم السامع من عنت الانتظار ولا حاجة لجعل الشدة غير العزة للتنازع في عليه فان التفسير لا ينافي التنازع ورافته ورحمته بمومنيهم معطوف على حرصه وقوله بمومنيهم متعلق بما قبله على التنازع ولا تنازع في الاية الا على راي من يجوز التنازع في المتقدم والرافة مع الرحمة حيث وقعت مقدمة لا للفاصلة كما قاله القاضي ومن تبعه

لوقوعه كذلك في الحشو كقوله رافة ورحمة ورهبانية ابتدعوها بل لان اصل معنى الرافة اللطف والشفقة ويقابلها العنف والجبروت كما يشهد له كلام فصحاء العرب كقول قيس الرقيات •

ملكه ملك رافة ليس فيه • جبروت له ولا كبرياء •

فلذا قدمت على الرحمة بمعنى الانعام كما في المثل الايناس قبل الابساس والذي غرهم قولهم في كتب اللغة الرافة اشد الرحمة كما في الصحاح وغيره والرحمة في كلامهم بمعنى رقة القلب في حق البشر وهي في حقه تعالى بمعنى الانعام او ارادته نظرا لغايتها وقد قلت هذا بطريق البحث ثم رايت الامام القرطبي قال في شرح الاسما الحسنى ما نصه قال الله تعالى وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رافة ورحمة الاية وحيث ذكر هذان الوصفان قدم الرؤف على الرحيم في الذكر وسببه ان الرحمة في المشاهد انما تحصل بمعنى في المرحوم من فاقته وضعفه وحاجته والرافة تطلق عندنا على ما يحصل للرحمة من شفقته على المرحوم وقال المشايخ الرؤف المتعطف والذي جاد بلطفه ومن بعطفه انتهى بحمد الله على موافقة الصواب • ثم ان اضافة مومنيهم للضمير ظاهر في ان الضمير ليس للمومنين فقط ودخوله تحت قوله اعلم الله الخ يشعر بان رافته ورحمته بمومني المخاطبين على الاقوال كلها حتى على القول بان المخاطب المومنين وبينهما تدافع كما قيل ورفع التدافع بان الاضافة بيانية اي بالمومنين الذين هم المخاطبون واتى بالظاهر ليبين علة الرافة والرحمة ولو قال بهم لفات هذا او قصد عود الضمير على من ذكر غير المومنين في الوجه الاول ولا يخفى بعده وركاكته والاولى ان يقال الضمير على شي مفهوم من الكلام كالمخاطبين او من ذكر او الامة وقال بعضهم القايل هو حسين ابن الفضل اعطاه اي اعطى الله نبيه في هذه الاية تشريفا له اسمين من اسمايه رؤف رحيم الظاهر رفعه موافقة للنظم على انه خبر مبتدا مقدر اي هما رؤف رحيم ويجوز نصبه بمقدر وهو اعني ونحوه او على انه بدل من اسمين وجره على انه بدل من اسمايه والاسم يكون بمعنى العلم وما يقابل الفعل والحرف وما يقابل الصفة المشتقة والمراد هنا ما يطلق على ذات وسمي صفة كان او لا وفي بدايع ابن القيم الاسما التي تطلق على الله وعلى غيره كحي عليم هل هي حقيقة في الله مجاز في غيره او على العكس او حقيقة فيهما اقوال ثلاثة اظهرها الاخير انتهى وقول المصنف اعطاه الخ فيه ميل الى القول الاول • فان قلت كيف يصح ما قاله عقلا ونقلا وبعض الاسماء مجاز في الله حقيقة في غيره كالرحيم لان الرحمة رقة القلب والقلبين كالك الملك وقاضي القضاه قلت لم يعن بالحقيقة الوضعية اللغوية ولو اراد ذلك لم يصح بل العقلية او العرفية الشرعية وقيل انها مشتركة اشتراكا لفظيا لعدم تشاركهما في معنى ونقل عن الغزالي • فان قلت كثير من اسماء الله يطلق على غيره كحي وكريم وسميع وغيرها فكيف يكون هذا من خصايصه صلى الله عليه وسلم • قلت قال الغزالي المراد انه تعالى اعطاهما له بمعنى من المعاني التي اطلق بها على الله فجعله متحليا ببعض صفاته كما جعله متخلقا باخلاقه بوجه وان لم يكن على الوجه الاكمل اللايق بجناب العزة كما قيل كل ما يصلح للمولى على العبد حرام والمقصود انه لما ذكره في القرآن وصفه بصفتين خلع عليه منهما خلعتي اكرام دالتين على تمييزه عما عداه وفي تفسير ابن المنير المسمى بالبحر الكبير فان قلت ما وجه اختصاصه بتسميته باسمين من اسمايه وقد سمى موسى كريما فقال وجاءهم رسول كريم وبالاعلى حيث قال انك انت الاعلى وسمى ابراهيم حليما واسمعيل حليما عليما فقال في آية وبشرناه بغلام عليم وفي اخرى حليم • قلت وجه الخصوصية ايرادهما معا في سلك واحد ونسق متصل في القراءة ولا يكاد يوجد هذا الا في وصف الله لنفسه فهي كرامة اكرمه الله بها ليدل على مكانته وان رتبته فوق ساير الرتب انتهى

تتمة اعلم ان الايات القرآنية حيث ختمت باسمائه تع وقعت مكررة وما كررنا اما في
معني ما قبله كغفور رحيم فيفيد مبالغة في تلك الصفة علي وجه يليق بالربوبية او مغاير له كعزيز
حكيم لافادة احتراس وتكميل لان العزيز قد يفعل بقوته ما لا تقتضيه الحكمة فلما اجري ما هو من
خصائصه في وصفه صلى الله عليه وسلم كان عنده من الاحتفاء به ما لا يخفي فتدبر **ومثله في
الاية الاخري** قوله ومثله الخ سقط من بعض النسخ وتم بدونه **لقد من الله علي المومنين اذ بعث
فيهم رسولا من انفسهم الاية** بالنصب كما مر اي اقرا الاية او اذكرها فانها مماثلة لتلك في الدلالة
علي انه مبعوث في قوم هو من جنسهم سواء ضمت الفا او فتحت لانه اذا كان من اشرفهم كان منهم ضرورة
وفي تفسير ابن المنير من انفسهم من جنسهم يعرفون حاله وانه ما قرأ ولا درس وقد جاءه العلم دفعة
فقص سير الاولين والاخرين علي ما هي عليه حرفا بحرف فيعلم العاقل انه امر خارق من عند الخالق
كل ذلك ابلغ في ظهور حجته ووضوح معجزته فكيف يليق ان يجعل المقتضي منافيا فيلحدون
ويجحدون انتهى وقوله في الاية الاخري صفة مثله لانه نكرة متوغل في الابهام لا يعرف بالاضافة
وليس بحال لانها لا تجي من المبتدا علي الاصح لا لان مثله لا يكون ذا حال كما توهم لان الاضافة ولو للنكرة
مسوغة له بلا خلاف ويجوز ان يكون مثله مبتدا خبره في الاية وما بعده بدل منها • والمن الانعام مطلقا
او علي من لا يطلب ويكون بمعني تعداد النعم استكبارا لها وهو غير محمود الا من الله لانه بمنه يذكر العبد
فيبعثه علي الشكر ومن المخلوق قبيح مطلقا ولذا نهي النبي عنه بقوله ولا تمنن تستكثر حتي قيل انه
من خصائصه حرمة المن وهو مكروه من غيره وقيل انه حرام ايضا فان كان لغرض صحيح جاز ولذا قيل
المنة تهدم الصنيعة كما قال تع لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذي وكما قال الشاعر

وان امرءا اهدي الي صنيعة • وذكرنيها انه لبخيل

وقال آخر

اذا زرعت جميلا فاسقه غدقا • من المكارم حتي يثمر الشجر

ولا تشنه بمن منك يتبعه • فسيمة المن ان يودي به الثمر

والمنعم المالك الحقيقي وعطاؤه عز وعطا غيره ذل لاخذه يجعل يده سفلي **وفي الاية الاخري هو
الذي بعث في الاميين رسولا منهم الاية** في هذه الاية امتنان وثناء عظيم كما تقدم والامي هو الذي
لا يكتب ولا يقرأ الخط وان قرأ ما حفظ بالسماع من غيره • وانما سمي اميا نسبة الي الام كانه يوم ولدته
امه فيكون علي جبلته من غير ان يحسن كتابة ونحوها او لامة العرب لانهم كانوا اميين الكتابة معدومة
فيهم الا نادرا لا حكم له كما ورد في الحديث بعثت الي امة امية ثم اطلق الاميون علي من كتب منهم ومن لم يكتب
كما قاله ابن عباس تغليبا وقيل الامي الذي يقرأ ولا يكتب والمراد بكونه منهم اي مثلهم قال الله تع ما كنت
تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون ففيه اشارة الي حكمته وانه معجزة
له لكونه مع ذلك اظهر علم الاولين والاخرين وقص سيرهم واخبارهم وفيه ايضا موافقة لما تقدم من
بشارة الانبيا به ونعته في كتبهم بانه امي • واليه اشار الابوصيري بقوله

كفاك بالعلم في الامي معجزة • في الجاهلية والتاديب في اليتم

وبالاشارة الي الوجه الاول تظرف القائل

من اعجب الاشيا اني امرؤ • عمي خالي وابي امي

تنبيه قال الحافظ ابن حجر في كتاب تخريج احاديث الرافعي عد فقهاء الشافعية ان مما حرم عليه الخط
والشعر وانما يتجه التحريم اذا قلنا انه كان يحسنهما واستدل بالاية المذكورة وبحديث انا امة امية لا نكتب

ولا نحسب والاصح انه كان لا يحسنهما ولكن يميز بين جيد الشعر ورديه وادعي بعضهم انه صار يعلم
الكتابة بعد ان كان لا يعلمها لقوله من قبله في الاية فان عدم معرفته بسبب الاعجاز فلما نزل القرآن واشتهر
الاسلام وكثر المسلمون وظهرت المعجزة وامن الارتياب عرف حينئذ الكتابة وقد روي ابن ابي شيبة وغيره
ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتي كتب وقرأ قال مجاهد ذكرت هذا للشعبي فقال قد سمعت اقواما
يذكرون ذلك وليس في الاية ما ينافيه وروي ابن ماجة عن انس قال قال رسول الله رايت ليلة اسري بي
علي باب الجنة مكتوبا الصدقة بعشر امثالها والقرض بثمانية عشر والقدرة علي قراءة المكتوب فرع معرفة الكتابة
واجيب باحتمال اقدار الله له علي ذلك من غير تقدم معرفة الكتابة وهو ابلغ في المعجزة او فيه تقدير اي سالت
عن المكتوب فقيل لي هو كذا وفي حديث سهل ابن الحنظلية انه صلى الله عليه وسلم امر معاوية ان يكتب للاقرع
بن حابس وعيينة ابن حصن قال عيينة اتراني اذهب الي قومي بصحيفة كصحيفة المتلمس فاخذ رسول
الله صلى الله عليه وسلم الصحيفة فنظر فيها فقال قد كتب لك ما امر قال يونس بن ميسرة رواية فنري انه
كتب بعد ما انزل عليه ومن الحجة عليه ما اخرجه البخاري في صلح الحديبية انه اخذ الكتاب وليس يحسن
ان يكتب فكتب هذا ما قاضي عليه محمد بن عبد الله الحديث قال ابن دحية واليه ذهب ابو ذر وابو الفتح
النيسابوري وابو الوليد الباجي وصنف فيه كتابا وسبقه اليه ابن شيبة وقال انه كتب بيده بالحديبية
وقال ابو بكر بن عربي لما قال الباجي هذا طعنوا عليه ورموه بالزندقة وكان الامر عندهم متشبثا وعقد
مجلسا للمناظرة فاقام الباجي الحجة ونسبهم الي عدم المعرفة فكتب بذلك لعلماء الافاق افريقية وصقلية
وغيرهما فجاءت اجوبتهم بموافقته وان معرفة الكتابة بعد اميته لا ينافي المعجزة بل هي معجزة اخري بعد معرفة
اميته وتحقق معجزته وعليه تنزل الاية السابقة والحديث فان معرفته من غير تقدم تعليم معجزة
وصنف ابو محمد بن مفوز كتابا رد فيه علي الباجي وبين خطاه وحكي ان ابا محمد الهواري كان يرى راي
الباجي فراي في النوم ان قبر النبي انشق وماد فلم يستقر فانزعج لذلك وقال العلة لاعتقادي هذه المقالة
ثم عقدت التوبة مع نفسي فسكن واستقر ثم قص الرؤيا علي ابن مفوز فعبرها بذلك واستظهر بقوله
تعالى تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا الاية ومحصل ما اجاب به ابن مفوز عن ظاهر
حديث البراء ان القصة واحدة والكاتب فيها علي ابن ابي طالب وقد وقع في رواية البخاري من حديث البراء ايضا
لما صالح النبي صلى الله عليه وسلم اهل الحديبية كتب علي رضي الله عنه بينهم كتابا فكتب فيه محمد رسول الله
فتحمل الرواية الاولي علي ان معني فكتب امر الكاتب ويدل عليه رواية المسور في هذه القصة ايضا والله اني
لرسول الله وان كذبتموني اكتب محمد بن عبد الله وقد ورد كثيرا في الاحاديث كتب بمعني امر كحديث كتب
الي قيصر وكتب الي النجاشي وكتب الي كسري ونحوه وكلها محمولة علي انه امر بالكتابة ويشهد له قوله في بعض
طرق هذا الحديث لما امتنع الكاتب ان يمحو محمد رسول الله قال له ارني فاراه موضعه فمحاه ثم ناوله لعلي
فكتب بامره ابن عبد الله بدله واجاب بعضهم بانه علي تقدير حمله علي ظاهره يحتمل ان يراد انه كتب مع عدم علمه
بالكتابة وتمييز الحروف كما يكتب بعض الملوك علامتهم وهم اميون والي هذا ذهب القاضي ابو جعفر السمناني
انتهى ولا يخفي بعد هذا الجواب وان شاهدنا مثله نادرا **وقوله كما ارسلنا فيكم رسولا منكم الاية**
في هذه الاية غاية المدح له كالتي قبلها لما فيها من انه يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ولذا صرح بالمنة فيها
كما بين في التفسير فلا حاجة لاعادته كما في الشرح الجديد وفي هذه ايذان بانه اتم النعمة بارساله كما اكمل
دينه وفي الكشاف وجهان احدهما ما ذهب اليه ابن جرير من انها متصلة بما قبلها من دعوة ابراهيم وقوله
ربنا وابعث فيهم رسولا منهم فبعث الله محمدا ووعده بان يجعل من ذريته امة مسلمة فمعني الاية لاتم نعمتي
عليكم بالشريعة الحنيفية واهديكم لدين ابراهيم كما ارسلنا فيكم رسولا منكم اجابة لدعوته فهو متصل بما قبله

كما ذهب اليه الفرا وهي متعلقة بما بعدها وهو فاذكروني اذكركم والخطاب جار على الوجوه السابقة
فبعثه بانه كما قاله ابراهيم تاليا لكلام ربه مزكيا لامته معلما لحكمته وقدم مزكيهم هنا واخره في
دعوة ابراهيم نظرا للقصد وللفعل فيهما كما قاله القاضي يعني ان التزكية هي المقصودة بالذات
من تعليم الكتاب والحكمة فلذا قدمت في الآية الآتية لانها اهم وبالفعل لا توجد الا بعده فلذا اخرت
فرقا بين المقامين قيل لو استشهد المصنف باية دعوة ابراهيم لكان احسن واوفى بالمقصود لما اشتملت
عليه من المدائح مع افادة ذكره على السنة الانبيا السابقين وليس كما قال لان ما هنا اخبار من الله
عما ذكر فيفيد وقوعه والدعا لا يفيده والباب مقصود لثنا الله عليه لا لثنا الانبيا وان حكاه
الله فهذا ناشي من عدم معرفة مقاصد الكتاب **وروي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه عنه**
عليه السلام في قوله تعالى من انفسكم قال الفاضل الحلبي يعني في قراءة من فتح الفا كما قاله
ابن رسلان ويعضده ما في المواهب اللدنية عن ابن مردويه انه صلى الله عليه وسلم قرا من انفسكم
بالفتح وقال انا انفسكم نسبا الى اخر ما ذكره المصنف من الحديث المرفوع وهذا مما اهمله المخرجون
لاحاديث هذا الكتاب فلذا قال **قال نسبا وصهرا وحسبا** تمييز لاسم التفضيل لابهام
المفضل به الذي يفسر تمييزه وقد فسره النبي به كما عرفته والنسب القرابة مطلقا او من جهة الآباء
وفي النهاية النسب الولادة القريبة وهو صلى الله عليه وسلم اشرف الخلق نسبا وكذلك سائر الانبيا
كما ورد في الحديث لم يبعث نبي الا وهو ذو نسب في قومه وفي المصباح النسب مصدر مطلق الوصلة
بالقرابة يقال بينهما نسب اي قرابة سواء جاز بينهما التناكح او لا وجمعه انساب ومنه استعيرت
النسبة في المقادير والصهر واحد الاصهار قال الخليل اهل بيت المراة وقال الازهري الصهر يشتمل
على قرابات النسا من ذوي المحارم وذوات المحارم كالابوين والاخوة والاخوات واولادهم والاعمام
والاخوال والخالات فهولاء اصهار زوج المراة ومن كان من قبل الزوج من ذوي قرابته فهم اصهار
المراة ايضا وقال ابن السكيت كل من كان من قبل الزوج من ابيه او اخيه او عمه فهم الاحما ومن كان
من قبل المراة فهم الاختان ويجمع الصنفين الاصهار وصاهرت اليهم اذا تزوجت منهم • والحسب
بفتحتين ما يعد من المآثر وهو مصدر حسب بالضم وقال ابن السكيت الحسب والكرم يكون في الانسان
وان لم يكن لآبائه ورجل حسيب كريم بنفسه واما المجد والشرف فلا يوصف بهما الشخص الا اذا كانا فيه
وفي آبائه وقال الازهري الحسب الشرف الثابت له ولآبائه ماخوذ من الحساب وهو عد المناقب لانهم
كانوا اذا تفاخروا عدوها **ليس في ابائي من لدن آدم سفاح كلنا نكاح** وفي نسخة كلها نكاح
ولو اوقع في سنن الترمذي مرويا بالوجهين اي في آبائي من حيث ابوتهم فيلزم ان لا يكون في امهاته
ايضا لذلك كما يدل عليه السياق ولدن ولدى ظرف مكان بمعنى عند الا انهما لا يستعملان الا في الحاضر
يقال لدنه ولديه قال اذا كان حاضرا وجاءني لدنا رسولا اي من عندنا وقد يستعمل لدى في الزمان واذا
اضيف لضمير قلبت الفه يا الا في لغة بني الحارث وما قيل من ان لدن بمعنى عند الا انها لا تضح الا في
ابتدا الغاية كما في عبارة المصنف الحصر فيه لا وجه له فانه اغلبي • والسفاح الزنا والفجور من سفحت
الماء اذا صببته فكانه اراق ماءه واضاعه وعلى روايته كلها الضمير للوطئات واسناد النكاح لها
حقيقة اذا كان بمعنى الجماع ومجاز ان كان بمعنى العقد فلا وجه للاطلاق في محل التقييد وعلى
الاخرى وهي الاصح الضمير للنبي ولآبائه واسناد النكاح لهم بتاويل ذوي النكاح ونحوه او على التجوز
في الاسناد كانهم تجسموا من النكاح كقوله • فانما هي اقبال وادبار • والنكاح يطلق على
الوطي والعقد بلا خلاف انما الخلاف في انه حقيقة فيهما او في احدهما على اقوال مفصلة في الفروع

والاصول

والاصول وقيل ولم يرد في القرآن الا بمعنى العقد لانه في الوطي صريح في الجماع وفي العقد
كناية عنه وهي اوفق بالبلاغة والادب كما ذكره الزمخشري والراغب واذا كان بمعنى العقد
فالمراد به عقد صحيح موافق لدين الاسلام او لغيره من الاديان السالفة وحيث اخبر عنه صلى
الله عليه وسلم فهو بوحي من الله انباه به الله انه صانه واسلافه عما يشين وطهر ارحامهم عن
دنس السفاح فلم يزل كما قال ابن الجوزي في الوفا انتقل من الاصلاب الطاهرة الى الارحام الطيبة
مصفى مهذبا لم يتشعب شعبتان الا كان في خيرهما وقال السيد ان المورخين اتفقوا على ان هاجر
ام اسمعيل كانت ملكا لابراهيم فان لم يكن هناك عتق وزواج تعين ان يكون المراد في الحديث بالنكاح لعموم
المجاز عقد صحيح يبيح الوطي اذ المقصود نفي الفجور فيشمل الزواج وغيره من غير محذور كما نقحوه هنا وظاهر
الحديث انه لا فجور في الآباء مطلقا لكن الاظهر بشهادة ما سبق وما ياتي وما في المواهب مرفوعا من انه لم
يلتق ابواي على السفاح ان المراد طهارة النسل كما اشرنا اليه وتبعه تلميذه ابن الحنبلي اقول يمكن ان معنى
لم يلتق ابواي لم يلتق نسب ابوي بقرينة الروايات الاخر جمعا بينهما **قال ابن الكلبي** هو محمد بن السايب الكلبي
ابو نصر المفسر النسابة المحدث اخرج له الترمذي وسياتي ترجمته مفصلة ونسبته الى كلب وهي قبيلة
معروفة وتوفي في السنة التي مات فيها الشافعي وهي سنة اربع ومايتين قال الحلبي وصاحب المقتفي
وقال التلمساني وصاحب المواهب ان محمد بن هشام بن محمد بن السايب فالكاتب هو الوالد فلعله نسب الكتابة
تارة الى نفسه حقيقة او تجوزا فرواه المصنف كذا قاله السيد **كتبت للنبي صلى الله عليه وسلم خمسمائة**
ام فما وجدت فيهن سفاحا اي وطا بطريق الزنا قيل اراد بالام ما يشمل الجدات ومن في حكمهن كام الام
والعمة وام عم الاب ونحوهن فان الجدات الحقيقية لا تقارب ذلك وقد عدوا الى آدم سبعة واربعين
ابا ويعلم من هذا النقل ان السفاح لم يقع في الاقارب فما في الشرح من ان ذلك النقل احوط رتبة لا طائل
تحته • اقول هذا اشارة الى السوال المشهور على ما قاله ابن الكلبي من ان امهاته وجداته لا تبلغ هذا
العدد فكيف ما قاله وانت اذا تاملت قول المصنف لم تكن قبيلة من العرب الا ولها على رسول الله قرابة او ولادة
عرفت انهم لم يقفوا على المراد فانهم جعلوا النسب شجرة لها ساق وعمود وشعب واغصان متفرقة متفرعة
فان نظرنا الى عمود النسب وما عليه ومحاذيه لم يبلغ عدد الامهات ما ذكرناه فضلا عن مساويه وان
نظرنا الى الفروع والشعب وساير قبايل العرب فجميعهم لهم به اتصال نسبي ونساوهم امهات واحاطة
ابن الكلبي بمثل ذلك غير مستبعد فانهم لهم اعتنا بالانساب يعدونها من اعظم علومهم وتوضيحه انك اذا
نظرت لقبيلة وجدتها من نسل رجل واحد فجميع ذكورهم آبا له او اعمام او اخوال وجميع نسايهم جدات او عمات
او خالات بعدد قراباتهم ولادة له والمراد ان نسبه بحواشيه واطرافه جميل لم يمسه دنس عار فاذا فتحت
عين البصيرة لم تجد غبارا فاعرفه وانما اطلت الكلام لاني رايتهم استشكلوه ولم يات احد فيه بما يشفي الغليل
ولا شيا مما كانت عليه الجاهلية وفي نسخة مما كان وفي نسخة اهل الجاهلية وعلى النسخة الاخرى
اهل مقدر والمراد الامة او المراد بالجاهلية اهلها كما يطلق المجلس والمقام على اهله والجاهلية زمان
كثر فيه الجهال او ناس كذلك وهي ما قبل الاسلام او ايام الفترة وقد تطلق على زمن الكفر مطلقا وعلى
ما قبل الفتح والمراد انه ليس في نسبه زنا ونحوه مما يعاب وعطف قوله ولا شيا الخ من عطف العام على الخاص
لا من عطف الخاص على العام كما قيل انهم كانت لهم انكحة لا يعدونها سفاحا فحرمها الشرع كنكاح المضامدة
وعد منها في بعض الشروح امورا اكثرها زنا واطال فيها من غير طايل ومنها نكاح المقت وهو نكاح زوجة
الاب واورد عليه الزبير بن بكار مما ذكره المورخون لان كنانة خلف على برة بنت اد زوجة ابيه خزيمة
على ما كانت الجاهلية تفعله اذا مات الرجل خلف على زوجته بعده اكبر بنيه من غيرها ورد بما روي عنه

صلى الله عليه وسلم انه قال ما ولدني من سفاح الجاهلية شيء ما ولدني الا نكاح كنكاح الاسلام
وبما ذكره المص عن الكلبي وقد اجيب عنه باجوبة منها انه لم يكن سفاحا محرما قال السهيلي ويدل
عليه قوله تع ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النسا الا ما قد سلف فان الاستثنا يدل على تحليله وانه ليس
في نسب رسول الله مما نعا وانه لم يكن في نكاح اجداده سفاح الا ترى انه لم يقل في شيء نهي عنه في
القرآن الا ما قد سلف نحو ولا تقربوا الزنا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله ولم يستثن من المعاصي التي
نهي عنها الا في هذه وفي الجمع بين الاختين لانه كان مباحا في شرع من قبلنا كما جمع يعقوب بين راحيل
واختها ليا فقوله الا ما قد سلف التفات الى هذا المعنى وتنبيه على هذا المغزى ونقل هذه النكتة
عن ابن العربي وهذا بناء على ان نكاح زوجة الاب كان جايزا قبل الاسلام وكان اذا مات احدهم ورث
اولياؤه نكاح زوجته ولو كرها فانزل الله تع لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها وظاهر كلام بعض المفسرين
ان نكاح زوجة الاب كان جايزا في اول الاسلام وياباه قوله انه كان فاحشة ومقتا فان كان هنا
بمعنى لم يزل وهو احد معانيها لا زايدة فانها لا تزاد اذا عملت وذهب بعض المفسرين الى انه لم يكن حلالا
ابدا وقوله الا ما قد سلف لا يدل عليه ولذا اعترض على من استدل به ورد فيما مر بما نقله الحافظ من
ان كنانة بن خزيمة خلف على زوجة ابيه بعده وهي برة بنت اد بن طابخة وهي ام اسد فهي لم تلد منه
ذكرا ولا انثى حتى تكون جدة للنبي ولكن كانت ابنة اخيها وهي برة بنت مر بن اد بن طابخة اخت تميم
بن مر كنانة ابن خزيمة فولدت له النضر بن كنانة وانما غلط كثير من الناس لما سمعوا ان كنانة خلف
على برة لاتحاد اسمهما وتقارب نسبهما قال وهو الذي عليه اهل العلم بالنسب ومعاذ الله ان يكون
اصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نكاح مقت وقد قال ما زلت من نكاح كنكاح الاسلام ومن اعتقد
غيره وشك في هذا الخبر فقد اساء واخطا وكذا ما قيل من ان هاشما خلف على واقدة زوجة ابيه فانه رد
بانها ليست جدة للنبي صلى الله عليه وسلم فان ام عبد المطلب انصارية ولذا كان الانصار كما فصل
في السير واعلم ان المص لما قصد ذكر آيات قرآنية فيها الثنا على رسول الله سردها على ترتيب انيق
لم ينبه عليه احد ممن تكلم عليه فانه بدأ بقوله لقد جاكم رسول من انفسكم الآية الدالة على ان الرسول
الذي جاهم ازال عنهم العنت والمشقة وهداهم للنور المبين وهو منهم معروف بينهم ثم عقب ما ذكر
من التحلية بما يدل على التخلية من قوله من الله الخ فدل على نعمة ومنة عظيمة لتعليمه وارشاده للعلوم
والحكم والاتيان بكتاب لم يشرف بما يدانيه احد من الامم ثم ختمه بما يؤكد هذه المنة من انهم اميون
لا قدرة لهم على القراة والكتابة مع ان الكتب السالفة ليست بلسانهم فلو لم يبعث منهم هذا النبي الكريم
لم ينقذوا من الضلالة ويهتدوا للسعادة فاعرفه وعن ابن عباس في قوله وتقلبك في الساجدين
قال من نبي الى نبي حتى اخرجتك نبيا وروي اخرجك قال السيوطي هذا الحديث رواه ابن سعد
والبزار وابو نعيم في الدلايل بسند صحيح عن ابن عباس وهو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب الصحابي
المشهور حبر هذه الامة وترجمان القرآن الفايق في العلم والكرم احد العباسية توفي سنة ثمان وستين
في ايام ابن الزبير وقد كف بصره والتقلب تفعل من القلب وهو التحول من جهة الى اخرى وجعل اعلى
الشيء اسفله وهو بالمعنى الاول في الآية وفيه وجهان آخران غير ما ذكره ابن عباس احدهما ان المراد تردده
في تصفح احوال الصحابة في تهجدهم بعد ما نسخ فريضة قيام الليل فرأى بيوتهم مملوءة بالذكر والصلاة
ولهم دوي كدوي النحل او تصرفك بين المصلين قياما وركوعا وسجودا ولذا قيل انه لم يذكر صلاة الجماعة
الا في هذه الآية وعلى هذين اقتصر اكثر المفسرين وعلى الاول اقتصر الرازي في اسرار التنزيل واستدل
بها على اسلام آباء النبي واجداده فقال انه كان يتنقل روحه من ساجد الى ساجد فيدل على ان آباءه لم يكونوا

مشركين ويدل عليه ايضا ما ورد في الحديث من انه لم يزل ينقل من اصلاب وارحام طاهرة وقد قال تع
انما المشركون نجس وسياتي تفصيله في حال الابوين والاولادة فيما ذكر لان المراد بتقلبه انتقاله من صلب
نبي الى نبي ولو مع الوسايط والمراد بالحديث انه ليس في اصوله سفاح كما مر وفي الحديث تصريح بان هذا
هو المراد فالمراد تعظيمه والثناء عليه بعد ما مدحه بان الله طهر اصوله كما طهر فروعه وملايمة هذا لما
قبله وهو فتوكل على العزيز الرحيم الذي يراك حين تقوم وتقلبك الخ لان المعنى فوض امورك كلها
في جميع احوالك الى من يراك اذا قمت لكل صلاة او لصلاة الليل ويراك في اخفى من هذا اذ كنت ذرة في
اصلاب المصلين وعبر عن الصلاة بالسجود لانه اعظم واقرب الى الله فان العبد اقرب ما يكون من ربه وهو
ساجد فالمراد انه يراك في ظهورك وبطونك لاستواء الظاهر والخفي في علمه خلافا لمن توهم انه لا ملايمة
بينهما وبهذا ظهر ايضا مناسبة هذه الآية لما قبلها في كلام المص ووجه تاخيرها والمراد بالرؤية ظاهرها
او الحفظ والكلاءة والرعاية كما يقال نظر الله اليك اي يحفظك في جميع حالاتك من حين كنت نطفة كيف
لا يحفظك من اعدايك وينصرك عليهم وسقط ايضا ما يتوهم على هذا التفسير انه ان اريد ان جميع الاصلاب
التي حوته كذلك فالواقع خلافه والا فلا فرق بينه وبين غيره من بني اسمعيل وقد روي عن ابن عباس
ما ذكره غيره من المفسرين ففيه روايتان عنه **وقال جعفر** هو جعفر الصادق ابو عبد الله بن محمد بن علي
بن الحسين بن علي بن ابي طالب وامه بنت القاسم بن محمد بن ابي بكر الصديق روى الحديث عن ابيه وعن نافع
وعطا والزهري وغيرهم وروى عنه كثير كمالك والسفيانين وابن جريج وابن اسحاق واتفقوا على امامته
وجلالته وسيادته وولد سنة ثمانين وتوفي سنة ثمان واربعين ومائة قيل مسموما ودفن بالبقيع
مع ابيه وجده وعمه في قبر واحد وقال ولدني الصديق مرتين لان امه ام فروة بنت القاسم بن محمد بن الصديق
وامها اسما بنت عبد الرحمن الصديق وكذا يقال ولد مرتين لمن انتسب من جهتين ووثقه في روايته الشافعي
وابن معين وابو حاتم والذهبي وهو من فضلاء اهل البيت وعلمايهم والاحاديث المروية عنه مقبولة الا عن
اولاده اذا لم ترد من طريق آخر فانهم رووا عنه مناكير كثيرة حتى ذهب بعض الناس الى تمريضه ولا
تزر وازرة وزر اخرى وكانه لذلك لقب بالصادق **علم الله تعالى وتقدس عجز خلقه عن طاعته**
في نسخة ضعف خلقه والطاعة اسم مصدر هو الاطاعة من اطاع اذا انقاد واتبع الامر فلم يخالفه
قال ابن فارس اذا مضى لامره فقد اطاعه واذا وافقه فقد طاوعه والاستطاعة الطاقة والقدرة اي
انه عز وجل علم عجز القوى البشرية عن طاعته كما ينبغي من غير ان يكون بينهم وبينه واسطة من جنسهم
لا يحجبه باعتباره ويتعلق بمقتضى الفطرة به يفيض على من هو دونه ولذا كان الرسالة سفارة بين الله
وبين العقلاء يزيح بها عللهم فيما قصرت عنه عقولهم من مصالح الدنيا والآخرة ولا حاجة هنا كما قيل الى
تفصيل معنى النبوة والرسالة **فعرفهم ذلك** العجز وانهم لو لم يكونوا عاجزين لم يقم بينه وبينهم رسولا
موصوفا بما سياتي ولذا اقام الله عذر من لم ياته رسول فقال وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا
لكي يعلموا انهم لا ينالون الصفو من خدمته ينالون بمعنى يصلون ويأخذون والصفو بمعنى
الصافي الخالص بفتح الصاد المهملة والصفوة مثلثة وخدمته بمعنى عبادته وطاعته وصفوها ما خلا
من الحظوظ النفسية فلا يشوبها ما يكدرها من التقصيرات **فاقام بينهم وبينه** وفي نسخة بينه وبينهم
بتقديم المفيض على المستفيض لتقدمه ذاتا ورتبة وفي الاولى قدمهم لانهم المحتاجون للوساطة فقدم
رعاية للمقام واقامه بينهم جعله قايما موجودا بينهم او اقامه خليفة له **رسولا مخلوقا من جنسهم**
وسقط رسولا من بعض النسخ اي بشرا منهم فليس الجنس منطقيا بل لغوي وهو اعم من المصطلح لشموله
النوع وغيره ومما قيل من ان المراد من جنس اشرفهم اذ اصل الكلام بالنظر الى الانسان الاشرف او المراد

من العناصر ونحوها مما يعم الثقلين ولذا عدل للجنس كلام لا يناسب المقام وفيه تعقيد من غير حلاوة
فتركه خير وفي الآخر يكون الطرف لغوا والقصد بهذا زيادة الالتيام وسهولة الاتباع **في الصورة**
اي جنسيته انما هو بحسب الصورة الظاهرة لا المعنى الباطني لما سياتي في القسم الثالث لتكون له المناسبة
بين الجانبين فيتاهل للوساطة بين الله وعباده **والبسه** اي كساه الله حللا **من نعته الرافة والرحمة**
ففيه استعارة مكنية والنعت والصفة بمعنى ورايت في بعض كتب العربية ان النحويين فرق بينهما فقال
النعت لا يقال الا في غير الله كقولك نعت الثوب ونعت الفرس ولا يقال نعوت الله بخلاف الوصف والصفة
والمشهور هو الاول وعليه كلام المص والضمير المضاف اليه نعت الله والرافة مفعول البس الثاني وقد
قدمنا لك الفرق بين الرافة والرحمة ووجه تقديمها وما وقع لهم من الغلط فيه فليكن على ذكر منك قال
بعض الشراح اطالة فيه هنا بغير طايل وقال القرافي في التنقيد شرح المسايل الاربعين الرحمة اصلها ميل
الطبع ورقته وهو مستحيل على الله فيصرف للمجاز وهذه الرقة لها لوازم لان من رق طبعه اراد الاحسان
واحسن فكلاهما يصح التجوز به وذهب الباقلاني الى ان التجوز عن الفعل فقال رحمته معاملته معاملة
الراحم المرحوم وذهب الاشعري الى انها ارادته فعلى راي القاضي الرحمة محدثة وعلى راي الشيخ قديمة
وعلى راي القاضي يجوز ان يقال اللهم اجمعنا في مستقر رحمتك وهو عنده الجنة وعلى راي الشيخ يحرم
ذلك لان مستقرها الذات وفي القرآن مواضع لا تستقيم الا على احد الراايين فقوله وسعت كل شيء
رحمة وعلما يتعين فيه الارادة لاقترانها بالعلم وهو صفة ذاتية والوسع وقوله هذا رحمة من ربي
الاشارة الى السد وهو من باب الاحسان انتهى وهل هي مجاز مرسل او استعارة تبعية او تمثيلية احتمالات
بيناها في حواشي القاضي • واعلم ان المص لما ذكر في هذا المحل ايات دالة على نهاية الثنا على نبيه وكان
معناها كلها ان الله بعث في هذه الامة الامية رسولا هو اعظم مخلوقاته حسبا ونسبا اودعه الاصلاب
الطيبة والارحام الطاهرة وجعله واسطة انبيائه ورسله واوحى الله بكتاب هو اعظم الكتب السماوية
وجعله مشتملا على علوم الاولين والاخرين فاقام به الملة السمحة واتم به دينه ونصرهم على اعدائهم في
الدنيا ولطف بهم اذ جعله بشرا مثلهم يخاطبهم بلسانهم وفي ذلك رافة بهم واتم نعمه عليهم واعطى نبيه
مثل ذلك اذ تراف بهم وانعم عليهم بنعم الدنيا والاخرة ولذا وصفه بصفتين متجاورتين في قوله
بالمومنين رؤف رحيم ومثله مما خص الله به نفسه فلما جعله خليفة الله خلع عليه خلعة فوق خلعة
تمييزا له وتكريما كما تفعله الملوك فقوله البسه الرافة والرحمة يعني به المذكور في الآية السابق ذكرها
ولم يجمع له غيرهما • فان قلت كيف هذا وقد وصفه بصفات غيرهما وجمع له بين صفتين ايضا في
قوله في اية الاسرا لنريه من اياتنا انه هو السميع البصير بناء على ان الضمير لعبده • قلت هذا مما
ذهب اكثر المفسرين الى خلافه وان هذا الضمير لله ولو قلنا انه له فهاتان الصفتان لم يجر لهما ذكر
هنا ولا مناسبة لهما بهذا المقام فلذا خصهما المص بالذكر فما قيل بعض المناسبة الرافة والرحمة انه
وصفه بهما بما شاركه في اصل المعنى وان تغايرا في الحقيقة وانما بينهما مشاركة لفظية ومناسبة
وانما خصهما من بين الصفات لكمال مناسبتهما لبعثته للثقلين ووساطته بينهما مع شرف الاخرى
لذلك كما قال صاحب معيار المريدين في قوله تخلقوا باخلاق الله معناه اتصفوا بالصفات المحمودة
وتنزهوا عن الصفات المذمومة وليس معناه ان ياخذ من صفات القديم شيئا ومثاله من يوقد سراجا
من سراج او ياخذ علما من عالم فانه لا ياخذ عين سراجه ولا عين علمه بل يحصل له من اشراق سراجه سراج
آخر ومن افاضة علمه علم آخر وهو كلام من لا يصل الى العنقود مع انه لا محصل له وليس تحته كبير فايدة
واخرجه الى الخلق سفيرا صادقا المراد انه اخرجه من العدم والتقدير الى الوجود الخارجي العيني

او من الاصلاب والارحام والسفير الرسول والمصلح بين القوم والمراد الاول اي رسولا من الله
لهم وهو ماخوذ من سفرت الشيء سفرا اذا كشفته واوضحته لانه يوضح ما امر به ويظهره ومنه اسفار
الصبح والمراد بالخلق جنسهم او جميعهم لعموم رسالته كما سياتي وصدقه صلى الله عليه وسلم لان الله
عصمه عن الكذب ولم يؤثر عنه تهمته به فضلا عن وقوعه كما في حديث هرقل **وجعل طاعته طاعته
وموافقته موافقته** طاع واطاع بمعنى اي انقاد واذعن وقيل طاع بمعنى انقاد واطاع بمعنى
اقلع عن امر ولم يخالفه وليس بينهما بعد بحسب المال والموافقة ضد المخالفة ومعناها الاتفاق
والتظاهر اي من اتفق معه على ما كان عليه في دينه وقبول ما جاء به فقد وافق الله والضمير
الاول للرسول والثاني لله ويجوز العكس لانه لا طاعة لله الا بطاعة رسوله ولا طاعة للرسول
الا بطاعة الله والمراد الاتحاد الحقيقي لانه لا ينطق عن الهوى فهو مبلغ والآمر هو الله اي لانه
لا يامر الا بما فيه طاعة الله وعبادته فطاعته عبادة وقيل المراد ان طاعته مثل طاعته في الوجوب
لان الله امرنا بطاعته قيل وهو قصور او خطا وذكر الموافقة بعد الطاعة وهي بمعنى الاطاعة
للتاكيد قيل ويوضح الاتحاد الحقيقي ان من اطاع الرسول ليس له اطاعة لا يكون مطاعها الحق
وهذا كما قيل ان وجود العرض في نفسه هو وجوده في الموضوع فليس للسواد وجود لا يكون تابعا
للموضوع ولذا امتنع انتقاله عنه بخلاف وجود الجسم في الحيز فلذا انتقل عنه كما قاله التفتازاني
ورد بانه لا يستقيم هذا لان الاتحاد الحقيقي هو ان يصير شي بعينه شيا آخر من غير ان يزول
عنه شي او ينضم اليه شي آخر وهنا قد انضم الى اوامره ونواهيه كونها وحيا من الله ليست كاوامره
ونواهيه بامور طبيعية قبل النبوة وهذا كقول السلطان لوزيره مر الناس بكذا فانه صادر من
الوزير صورة وبعد امر الوزير وهو في الحقيقة امر السلطان فالاتحاد مجازي بطريق الانتقال
والتغير كما يقال صار الماء هواء اي زالت عن هيولاه صورة خلفتها اخرى او هو من قبيل صار الابيض
اسود او انضم اليه شي آخر كصار التراب طينا وما قيل في توضيحه ايضا غير صحيح لان الاتحاد الحقيقي
يعدم المغايرة والعرض له حقيقة مغايرة لحقيقة موضوعه فلا يقال ان حقيقة السواد هي حقيقة
الجسم وهذا الفاضل جعل حقيقة طاعة النبي هي حقيقة طاعة الله واين الوجود من الحقيقة وقد تقرر
ان وجود العرض والجوهر زايد على ماهيتهما ولهذا لم يصدق تعريف الجوهر بانه ماهية اذا وجدت
في الخارج لم تكن في موضوع على ذات الباري لان وجوده عين ذاته ثم ان معنى قولهم ان وجود العرض
هو وجوده في موضوعه انهما لا يتمايزان في الاشارة الحسية وقد توهم من هذه العبارة ان وجود السواد
مثلا في نفسه هو وجوده في الجسم وليس بشي اذ يصح ان يقال وجد في نفسه فقام بالجسم وهذا
يقتضي المغايرة • اقول انما نقلت هذا مع طوله لئلا يظن ان في التوبيخ رجالا وتحقيقه ان المدلولين
اذا تغايرا بحسب المفهوم واتحدا في الخارج بحسب الماصدق كالحيوان والمتحرك بالارادة يكون الاتحاد
حقيقيا بحسب الخارج واطاعة الله واطاعته كذلك من غير شبهة فان الله اذا اوجب الصلاة فامر
بها فامر الرسول بها فامتثلوا فاطاعة الله واطاعة الرسول اقامة الصلاة وهي امر واحد في الخارج
وان تغاير مفهوماهما فانه امر اضافي يختلف باختلاف المضاف اليه وكذا وجود العرض في نفسه وجوده
في موضوعه لعدم التمايز والانفصال بخلاف وجود الجسم وما انضم اليه شي آخر كالسرير والخشب
والماء المنقلب هواء ليس من هذا القبيل لتغايرهما في الخارج فهذا القايل خبط خبط عشواء واطال
من غير طايل • فان قلت كيف يتم هذا ان قلنا باجتهاده صلى الله عليه وسلم فاذا امرهم باجتهاده هل
يقال اطاعة امره اطاعة لله مع احتمال امره بخلافه كما في قصة الاسرى • قلت هو اطاعة لله

لقوله اطيعوا الرسول من غير قيد ولذا عقبه المصنف بقوله **فقال من يطع الرسول فقد اطاع الله**
تقدم ان ضميري طاعته طاعته فيهما وجهان وقد قيل هنا ان جعل الضمير الاول لله يفيد ان طاعة الله
منحصرة في طاعة الرسول لتعريف الطرفين لان المعتبر منها ما وافق الشرع والشرع من الرسول فهو المبلغ
الا ان دلالة هذه الاية عليه ليست بظاهرة وتوضيحه كما قيل ان معناها ليست له طاعة الا وهي لله
بتنزيل الموجود منزلة المعدوم كما في قوله وما رميت اذ رميت ويحتمل ان يكون معناها من يطع الرسول
في تفاصيل ما جاء به فقد اطاع الله في قوله قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول الا ان هذه الاية هي الدالة
على انه طاعته كطاعته في اصل الوجوب لا في ذاته ووصفه لا الاية التي تلاها المصنف فلا يصح ان يقال
معنى جعل طاعته انه جعلها مثلها في الوجوب لان قوله فقال الخ يأباه لتفسيره وتفريعه عليه ما يخالفه
كما سيأتي ورد بانه لا ينبغي قصر الدلالة على وجوب طاعته في الاية الثانية لان الاية التي تلاها المصنف
دالة على ذلك ايضا فان مضمونها انه جعل طاعته طاعة الله وطاعة الله واجبة شرعا وعقلا فطاعته
كذلك وان لم تكن مثلها من كل الوجوه فدل ذلك على انه يجوز ان يكون مراد الصادق بقوله انه جعل طاعته
في الوجوب وهو كلام حسن والذي جنح اليه القائل اذ القاضي وغيره قال في تفسير قوله من يطع
الرسول الاية ان الرسول مبلغ والآمر هو الله وهذا الحصر يقتضي انه لا آمر ولا ناهي سواه وانه لا طاعة
لغيره الا بحسب الظاهر وانا اقول هذا كله من ضيق الفطن فان كون الامر كله بيده ليس فيه اشتباه
وما على الرسول الا البلاغ لكن لما كان العباد لا تطلع على ذلك الا باوامر الرسول وكانت طاعته وتصديقه
واجبان علينا جعل آمرا وناهيا ومثله يعد حقيقة بحسب اللغة كما قال في البردة

نبينا الآمر الناهي فلا احد • ابر في قول لا منه ولا نعم

وفي هذا التفريع خفاء ليس هذا محل بيانه فاي باس في النظر لهذين الامرين وقوله طاعته تشبيه
بليغ كقولك ابو يوسف ابو حنيفة ويجوز عكسه وجعله عينه ادعاء فلا ينافي الاية لان الشرط والجزاء
متغايران نظرا لما في نفس المقام ولكل مقام مقال **وقال الله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين**
هذا ابتداء كلام في ذكر ما جاء من الثنا من الله على رسوله او من تتمة كلام جعفر رضي الله عنه وبه جزم في
الشرح الجديد وهو حينئذ متصل باول كلامه اي لما علم عجزهم عن نيل صفو خدمته اقام بينه وبينهم
سفيرا من جنسهم رحمة لهم فانه انما بعثه رحمة للعالمين او بقوله البسه من نعته الرأفة والرحمة وهو اقرب
والعالمين عام شامل للمتقين والعصاة والكافرين كما سيأتي من انه رحمة للكافرين بتأخير العذاب ومنع
الاستئصال ولغيرهم بالشفاعة والوساطة لكل فيض ولانه كما في الكشاف وغيره اتى بما فيه سعادة فمن خالفه
فعل به من نفسه كعين جرت فانتفع بها قوم وكسل آخرون فهي رحمة لهما وما قيل من ان المفسرين لم يتعرضوا
لبيان نفي الغضب مع وقوعه منه كثيرا وقد قصد الله ببعثته ان لا يؤمن به معظمهم وليس الحصر هنا
نظرا للعالمين او يقال المقصود بالذات الرحمة والغضب بالتبعية وهو في جنب الرحمة كالعدم او المعنى
لاجل الرحمة على الكل لا الغضب على الكل الى آخر ما قاله واطال فيه من غير طائل ولعمري ان ما ظنه مشكلا في
غاية الظهور فانه رحمة عامة شاملة كما ورد انما انا رحمة مهداة فانه لم يرد لاحد ضررا وقد اجتهد في نفع
كل احد ولكن من يضلل الله فما له من هاد وكان لا يغضب لنفسه وانما يغضب لانتهاك حرمات الله ولعمري
ان صاحب الكشاف اجمل واجمل فلا حاجة للاطالة هنا ورحمة مفعول له وللعالمين متعلق به اي ما ارسلناك
الا لترحم بك العالمين بهدايتك اياهم لسعادة الدارين • وفي مسلم قيل يا رسول الله ادع على المشركين
فقال اني لم ابعث لعانا انما بعثت رحمة ويجوز ان يكون حالا من الكاف اي الا ذا رحمة او هو عين الرحمة
وليس للعالمين متعلق بارسلنا لان ما قبل الا لا يعمل فيما بعدها الا في الاستثناء المفرغ نحو ما مررت

الا بزيد والمعنى الا لان ترحم بالبنا للفاعل لا للمفعول كما قيل **قال ابو بكر بن طاهر** قال الشمني
والبرهان الحلبي هو ابو بكر بن طاهر بن مفوز ابن احمد بن مفوز المعافري الشاطبي وقال التلمساني هو
عبد الله بن طاهر الابهري وهو من اقران الشبلي ومن مشايخ الجيلي عالم ورع مات قرب الثلاثين وثلاثمائة
وهناك ابو بكر بن طاهر واسمه محمد بن احمد بن طاهر الاشبيلي القيسي يروي عن ابي علي الغساني ويروي
عنه السهيلي والاول اقدم من الثاني وهو المراد والله اعلم والذي عند سيدي ابي الحسن ابو بكر بن طاهر بن مفوز
المعافري الشاطبي والله اعلم انه هو انتهى **زين الله محمدا بزينة الرحمة** يعلم من هذه العبارة ان في قوله
البسه الرأفة والرحمة استعارة مكنية بجعل كل منهما كالحلة والخلعة البهية **فكان كونه رحمة وجميع
شمائله وصفاته رحمة على الخلق** الفاء هنا للتفسير والتفصيل وكونه مرفوع اسم كان وهو مصدر كان
التامة اي وجوده ورحمة منصوب خبرها وكونه لا خبر له وتقديره من بابه فيفتح وما بعده معطوف عليه
والزينة ما يتزين به لباسا او غيره واضافته للرحمة كلجين الما او بيانية وقيل الزينة هنا اللباس اي البسه
الله رحمة رحمانية شاملة له وفيه اشارة الى انها منة من الله من بها الله عليه غير الجبلية البشرية والشمائل
جمع شمال بالكسر مثل شمال خلاف اليمين قال الازهري الشمال خليقة الرجل اي خلقه وجمعه شمائل ورجل
كريم الشمائل اي في اخلاقه ومخالطته انتهى • وبه سمي كتاب الشمائل • وما الطف قول ابن الوردي فيه مضمنا

يا الطف مرسل كريم • ما الطف هذه الشمائل
من يسمع اخبارها تراه • كالغصن مع النسيم مائل

يعطف صفاته من عطف العام على الخاص ان لم يختص بالصفات الظاهرة والشمائل بخلافها وقال الشراح
صفاته تشمل غضبه وظاهر مرآة انه لا يغضب لنفسه وانما يغضب لله وغضبه للاصلاح وهو رحمة في
ذاته واما مرآة الحسن فانه لمحبته فالتصديق به الا ترى ان عبد الله بن سلام لما رآه آمن به وقال لما رأيت
وجهه تبينت انه ليس بوجه كذاب فان اريد بالخلق جميعهم كما مر فقوله **فمن اصابه شيء من رحمته
فهو الناجي في الدارين** اي في الدنيا والآخرة والناجي بمعنى السالم من اصابة ما يكرهه ويضره قيل
المراد به من انتفع به او انتفع بشيء مما يتعلق به او ان وجوده وصفاته هداية لمن اهتدى بشيء منهما نجا
وقيل المراد بشيء من رحمته انه اهتدى بهدايته لان من لم يهتد كانه لم تصبه الرحمة كما ان من شرب الما ولم
يرو كانه لم يشرب وهذا هو التفسير الصحيح وما قبله تكلف فالمعنى ان من هداه الله للايمان به سلم من
كل مكروه ونال كل مرغوب واستقام الدنيا والامها لا تعد مكروها بعد العلم بما فيها من تكفير السيئات ونيل
الحسنات **من كل مكروه** يلحق من لم يهتد فلم يؤمن به في الدنيا كالقتل والسبي واخذ الجزية وفي الآخرة
العذاب المخلد **والواصل فيهما الى كل محبوب** اما في الدنيا فان كان ذا غنى ونعمة فظاهر والا فالمؤمن
العاقل اذا صبر وقام بوظائف العبودية في دنيا سريعة الزوال كان ما اصابه من المكروه لايصاله للنعيم
الاخروي محبوبا عنده واما حاله في الآخرة فغني عن البيان فما قيل انه يشكل عمومه بالمؤمن العاصي المعذب
وبان مصائب المؤمنين في الدنيا كثيرة الا ان يقال في الدارين متعلق بالمكروه والمحبوب اي المراد انه
سبب في الجملة او الكل بمعنى الجل لا وجه له فانه من قسم الوسواس **الا ترى ان الله تعالى يقول
وما ارسلناك الا رحمة للعالمين** وفي نسخة الم تر وفي نسخة اسقاطه اي لم تعلم ان الله لما قصره
على الرحمة علم انه من اصابته هذه الرحمة لم ينل مكروها اذ نيله ينافي الحصر وهذا ترغيب كما في حديث
من قال لا اله الا الله دخل الجنة فلا مسامحة في المدعى حتى يحتاج للتاويل وهذه العبارة تسميها العلماء
تنويرا لانها تشير الى ان ما بعدها موضح لما قبلها ولذا عبر بالرؤية لجعله كالمحسوس وهذا من كلام ابن طاهر
فلا تكرار فيه والكلام في الآية مبسوط في التفسير وشهرته تغني عن ذكره **فكان حياته رحمة ومماته**

رحمة كما قال صلى الله عليه وسلم حياتي خير لكم ومَوتي خير لكم هذا الحديث رواه البزار عن ابن مسعود
بسند صحيح ورواه الحارث بن اسامة في مسنده بسند صحيح ايضا والحديث الذي بعده في صحيح مسلم وفي
رواية موته بدل مماته اي كل منهما نافع لامته فلا يتوهم انقطاع نفعه عنا بموته لان كثيرا منا اذا مات
انقطع عمله عنه وعن غيره الا ما استثني والخير النفع الذي يرغب فيه وهو يكون صفة مشبهة وافعل
تفضيل مخفف من اخير كثير من اشر ولا ينطق باصله الا نادرا كقوله بلال خير الناس وابن الاخير وقرئ في
الشواذ سيعلمون غدا من الكذاب الاشر ويكون صفة كالخير بالتشديد ويجوز كل منهما هنا اي كل واحد
من حياته وموته نفع لمن دخل تحت الخطاب او ان حياته انفع من موته في وقتها وموته انفع في وقته من
وجه لنفعه لهم بنحو شفاعته عند عرض اعمالهم عليه يوم الاثنين وفتح باب الاجتهاد وترك الاتكال والمشي
على الاحتياط وكالانابة بالحزن لموته وتسهيل كل مصيبة بمصيبته والاعتبار به والرحمة الناشية من
اختلاف امته وارتفاع التشديد بتوقيره وفي الحديث زيادة في بعض التعاليق وهو لما حياتي فابين
لكم السنن واشرع لكم الشرايع واما موتي فان اعمالكم تعرض علي فما رايت فيها حسنا حمدت الله وما رايت
منها سيئا استغفرت وايضا فان الملايكة تعرض صلاة من صلى عليه وتبلغها في وقت واحد وانه لم يحص
عددها كالشمس في كبد السما وضوءها يغشي البلاد مشارقا ومغاربا كما في بعض الشروح ونقل في بعض
ما لا يستانس له بالمقام وفيه نقلا عن ابن عربي اذا امت لا ازال انادي في قبري امتي امتي حتى ينفخ في
الصور فطنين الاذان لما نزل به الروح المتمكنة في قلبه وراسه من ذلك الندا فلذا استحبت الصلاة
عليه اذا طنت الاذان او الشي من حقه كما في العطاس كما قاله الترمذي ولفظة الاجر على مصيبته ولذا
ساوت فاطمة امها خديجة وجميع اخواتها ممن مات في حياته لما في صحيفها من مصيبتها به وقد قيل عليه انه
لا شبهة في نولها بضلال الرزية العظيم ولكنها لم تفضل امها بذلك بل لكونها بضعة من رسول الله ولذا
قال في سنن ابي داود لا اعدل ببضعة من رسول الله احدا واما تفضيلها على اخواتها فللحديث فاطمة
افضل نسا العالمين الا مريم ابنة عمران ونحوه ولو كان تفضيلها بهذه المصيبة فضلت عايشة خديجة
والاكثر على خلافه ثم انه اورد على عد الاجتهاد من الخير الذي حصل بموته ان الاجتهاد من الصحابة
كان في زمنه ايضا كما تبين في كتب الاصول ولك ان تقول المراد كثرته مع ما يتفرع عليه من المذاهب
والتاليف قبل عرض الملايكة الصلاة عليه مما لا يحصى في وقت واحد لم يثبت وهو مردود بانه ورد
من طرق صحيحة كما سياتي مفصلا فلا وجه لانكاره والاحسن ان رحمته في حياته لامته هداهم لسبيل الخير
وما دام بين اظهرهم فهم آمنون من عذاب الاستيصال والمسخ والخسف ونحوه كما قال الله تع وما كان الله ليعذبهم
ليعذبهم وانت فيهم ورحمته في مماته لانه تقدمهم فرطا لهم كما سياتي وبه فسر قوله وبشر الذين آمنوا
ان لهم قدم صدق عند ربهم ثم ان تفضيل فاطمة وعايشة بما مر لا ينافي كون خديجة افضل لانه قد يكون
في المفضول ما ليس في الفاضل كما لا يخفى • واعلم انه حكي عن الاشعري والقشيري واصحابه انهم قالوا
ان النبي صلى الله عليه وسلم ليس بنبي في قبره وان رسالته انقطعت بموته وقد شنع عليهم بذلك وقالوا
بتكفيرهم وقال السبكي انه افتراه عليهم وقد كتب بذلك الى الافاق وكيف يقال مثله مع ما صح في الحديث
من ان الانبيا احياء في قبورهم يصلون وانما فهم هذا عنهم الكرامية وادعوا انه لازم لمذهبهم ولازم
المذهب ليس بمذهب فانه صلى الله عليه وسلم في قبره حي باق على ما كان عليه • حتى سيل النووي عمن
يراه في منامه يامره بامر هل يجب عليه ام لا فاجاب انه ان لم يخالف الشرع وكان له في خاصة نفسه
ينبغي العمل به وانما لم يجب لان النايم لا يضبط ما قيل له وربما لم يفهمه او يكون اشارة لما يحتاج للتاويل
وهو كلام حسن فلا ينافي قوله من رآني فقد رآني حقا الحديث **وكما قال اذا اراد الله رحمة بامة**

فقبض

قبض نبيها قبلها فجعله لها فرطا وسلفا هذا حديث صحيح متنا وسندا رواه مسلم عن ابي
موسى الاشعري فقال اذا اراد الله رحمة امة من عباده قبض نبيها قبلها فجعله لها فرطا وسلفا
بين يديها واذا اراد هلكة امة عذبها ونبيها حي فاهلكها وهو ينظر ليقر عينه بهلكتها حين كذبوه
وعصوا امره وهكذا وقع في النسخ بتقديم الفرط ووقع في بعضها موخرا وبانه من الناسخ والذي
في مسلم باضافة رحمة لامة مخالف لما في الشفا فقول المخرجين انه حديث مسلم لا يخفى ما فيه فلعله
رواه من طريق آخر الا ان يقال انه رواه بالمعنى واقتصر على بعضه والامة الجماعة ثم شاع فيمن
بعث اليهم الرسول ووجب عليهم اتباعه فان اتبعوه فهم امة الاجابة وهم وغيرهم امة الدعوة
والمراد الاول والقبض في الاصل اخذ الشي واستيفاوه يقال قبض المال والمتاع فيقال قبض
الله او الملك زيدا اوروحه والمشهور في الاستعمال الاول وكان العدول عنه هنا اشارة الى ان الانبيا
احيا في قبورهم ولا تاكل الارض ابدانهم فموتهم ليس كموت غيرهم فهم كمن ارسله الملك لامر فاتمه وعاد
اليه والفرط بفتحتين اصله من يرسله الناس قدامهم لمنزل رحلتهم ليهيئ لهم لوازمهم ولينظر ما به
من ما وعشب وانه هل يحسن نزول السفر به ام لا او ليزيل ما يخافه وينظر هل به عدو ام لا من فرط
بمعنى تقدم فهو فعل بمعنى فاعل كتبع بمعنى تابع لا جمع له كخدم وخادم لاطلاقه على الواحد وغيره
ويطلق على الطفل الذي يموت قبل ابويه او احدهما كما ورد في دعا الجنازة وهو من هذا القبيل لا بمعنى
آخر فهو اما لانه يحصل بسببه اجر كما في المنازل او لما ورد من انه يقف على الحوض ليسقي ابويه
وفيه استعارة بديعة لجعله القبر منزلا كل احد سائر اليه ويورده كل وارد عليه ولذا يقال حياض
المنايا وموارده من صيرته الحياة في ظهرها فالموت ورد لا بد ان يرده وان الناس مسافرون ليست
الدنيا دار اقامة لهم •
وانا لفي الدنيا كركب سفينة • نظن وقوفا والزمان بنا يسري •
ويقال افرط فلان ابنه اذا مات قبله والسلف بوزنه معناه ما تقدم اعطاوه من المال كالسلم ورد
بمعنى القرض وسلف المرء من مضى من ابائه واقربائه لتقدم موته ولذا سمي الصدر الاول السلف
الصالح فكان ما اصاب الامة بفقد نبيها جعل سلما او قرضا للاجر الذي يجازوا به على الصبر
والصبر يحمد في المواطن كلها • الا عليك فانه مذموم •
ولذا قيل لما قدم من العمل الصالح فرطا
والنبي عليه السلام اب لامته لانه سبب لحياتهم الابدية كالاب الذي هو مبدا الحياة ولذا كانت
زوجاته امهات المومنين ففي حياته من الرحمة ما لا يخفى كما مر فاذا انتقل لجوار ربه مع الرفيق الاعلى
وهو راض عنهم لقبول ما بلغهم ونصرتهم ومحبتهم له وشهادتهم على ابلاغه ولولا ذلك لاهلكوا فكان
رحلته رحمة لهم مع ما اصابهم من الاجر بمصيبته وحمده واستغفاره لهم اذا عرضت عليه اعمالهم
فجزاه الله حيا وميتا خير الجزا **قال التمر قنداي** الامام الحنفي وقد مر ترجمته **رحمة للعالمين**
يعني الجن والانس هذا تفسير للآية المذكورة بان المراد به جنس العقلا من الثقلين بقرينة صيغة جمع
المذكر السالم وان كان جمع عالم وهو كل ما يعلم به الصانع من العقلا وغيرهم فالمفرد اعم من جمعه فخص
ثم جمع بجعله صفة او ملحقا بها لان فاعلا بالفتح اسم آلة كالخاتم والغالب وقيل غلب العقلا او جعل اسما
لذوي العلم من الثقلين او الثقلين والملك او الانس وقال الشريف الجرجاني يطلق على جنس لا فرد فهو
للقدر المشترك بين الاجناس فيصح اطلاقه على كل جنس وعلى مجموعها لا المجموع واذا عرف بلام الاستغراق
شمل كل فرد من جنس كالافاويل لمن فسره بجميع الخلق فعلى الاصل ومن فسره بالجن والانس فعلى بعض الوجوه
او خصه لانه مبعوث اليهما ومن فسره بالمومن والكافر اراد انه يشملهما لا ان معناه ذلك وهذا يقتضي
ان هذا غير مخالف لقوله **وقيل لجميع الخلق** وسياقه مع تمريضهم ياباه فالحق كما في بعض الشروح انه

لما اختار تفسير العالمين بالثقلين ذكر تفسيره لم يرضه ثم اخذ في بيان ما به تكون الرحمة على ما
اختاره فقال **للمومنين رحمة بالهداية** اي ارسله لمن آمن بهداية تزيد على هداية الايمان او لمن
قدر ايمانه قيل وهو على الثاني عام شامل للملايكة والجمادات قلنا انه مرسل لهم على احد القولين فيه
وسياتي تحقيقه وان عمته رحمته ايضا وقوله للمومنين الخ بدل من قوله للعالمين او متعلق بمقدر وعلى
الاول هو بيان لمختاره وهو الظاهر وعلى الثاني يصلح لهما **ورحمة للمنافق بالامان من القتل** مطلقا
بخلاف الكافر فانه لا يامن الا بامان او اداء الجزية والنفاق اسم اسلامي معناه اخفاء الكفر واظهار
الاسلام ماخوذ من نافق اليربوع او من النفق بمعنى السرب **ورحمة للكافر بتاخير العذاب** وفي
نسخة المومنين والكافرين والمنافقين بالجمع والمراد تاخيره لما بعد الموت واما عذاب الدنيا بالقحط
وغيره فلا يختص بطايفة وقيل المراد نفي الاستيصال والمسخ والخسف واورد عليه ايضا ان المنافق
والزنديق سواء اذ ظ فيه وفي الكافر عذابه موخر ايضا فالظاهر اشتراكهما فيه ويميز المنافق باجراء
احكام الاسلام عليه ظاهرا او يقال انه اراد في كل قسم ذكر رحمة مخصوصة من غير تخصيص والامان
انسب بالمنافق للعموم ثم ذكرات من رحمة الكافر ايضا الشفاعة له من هول الموقف ورحمته لساير المخلوقات
ايضا اذ لولاه ما خلقت فتامله **وقال ابن عباس** في تفسير هذه الآية من شمله العالمين **هو رحمة
للمومنين والكافرين اذ عوفوا** اي عافاهم الله بالعفو عنهم عاجلا **مما اصاب غيرهم من الامم
المكذبة** للانبيا السالفة فان الله عاقب من كفر بهم بالاستيصال والخسف والمسخ وما نزل عليهم
من السما فلا يرد من قتل في غزوات هنا واما النفاق فلم يشتهر في الامم السالفة حتى يعلم حكمه
وقول ابن عباس هذا مسند اليه في الطبراني ودلايل البيهقي وفي تفسير ابن جرير وابن ابي حاتم
وحكي انه عليه السلام قال لجبريل حكي بالبنا للمجهول كما صححه البرهان في المقتفي فهو مقطوع عن كلام
ابن عباس وما قيل من ان كونه مقطوعا غير مقطوع به بعيد ويجوز بناوه للفاعل وهذا لم يوجد في شي
من كتب الحديث نقله كما في تخريج السيوطي وغيره **هل اصابك من هذه الرحمة شي** فيه اشارة الى انه
مرحوم مقرب وانما السوال عن رحمة زايدة نالته من رحمة النبي وهذا ان كان من كلام ابن عباس ناظر لما في
الآية على مختاره الاول فكانه قال هل دخلت في العالمين فناسب السوال لارادة الثقلين وان كان على الثاني
فكانه قيل هل دخل في الخلق واصابه شي من هذه الرحمة وقيل لا شبهة في انه واسطة كل رحمة وخير وان رحمة
اصابت جبريل وسواله اما ليعترف ويتحدث بالنعمة او للتلذذ او من باب طرح المسيلة والاختبار وهذه
كلها امور واهية وجبريل غير محتاج للاعتراف وكثرة اجتماعه به تغني عن التلذذ وطرح المسيلة ليس بشي
قال نعم كنت اخشى العاقبة بتقدير مضاف اي سوء العاقبة السيية بجعل التعريف للعهد بقرينة
الخشية فانها بمعنى الخوف وانما يكون في المكروه والعاقبة ما يعقب الشي ويحصل منه خيرا كان او شرا
فامنت بفتح الهمزة المقصورة وكسر الميم الخفيفة مبني للفاعل من الامن ضد الخوف وسياتي فيه ضبط غير
مقبول **لثناء الله علي بقوله ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين** عند الله في علمه
او حكمه او قضايه اذ ثناء العظيم يقتضي رضاه وقبوله وهو لا يرضى ويقبل الا من كان مرحوما مقربا منه
فلما علم ذلك من القرآن الذي هو رحمة نازلة لمحمد صلى الله عليه وسلم اطمان خاطره وامن سوء الخاتمة
واما ما ورد من انه قال ما جفت لي عين منذ خلقت النار مخافة ان اعصي فيقذفني فيها وان الله قال
له لم تبكي وقد امنتك فقال من يامن مكرك كما في الاحيا فهو لا ينافي ما ذكر لان المقرب لا يزال خايفا
ممن يهابه فانه لا يامن مكر الله الا الكافرون او لانه من عظمة الله قد يذهل عن الامان وقد صرح في الآية
بامور منها القوة وهي معلومة من الاحاديث الواردة في اقتلاع المداين والجبال واهلاك صيحته كل من

سمعها وهبوطه الارض وصعوده في طرفة عين الى غير ذلك ومكانته منزلته عند الله جلت عظمته
وشانه ولذا قال ذي العرش ولم يقل الله ونحوه وقربه من مرادقات عزه الى ما يصل اليه غيره من المقربين
وهو مطاع في السماوات والارض امين على سر الغيب والوحي وعلى موازين القيمة واختلفوا في رسول
كريم والاصح انه جبريل لقوله ولقد رآه بالافق المبين فان الرائي هو النبي صلى الله عليه وسلم وهو المعبر عنه
بصاحبكم والمرئي جبريل في صورته الاصلية وقد مر ان امنت بزنة علمت مبني للفاعل وقال التلمساني
انه مبني للمفعول بضم الهمزة ولم يزد على ذلك ولم يسنده لراويه والمشهور خلافه وعليه فان كان بتشديد الميم فهو
ظاهر وان كان بتخفيفها فهو ركيك جدا لانه ان كان من الامانة ضد الخيانة فهو غير مناسب للمقام وان كان من
الامن فكذلك لا لان امن لازم فهو متعد الا ترى قوله لا يامن مكر الله بل لان مفعوله الثاني يكون من المعاني دون
الذوات فيحتاج لتقدير وحذف لان اصله آمن سوء عاقبتي ومثله لا داعي له وكريم بمعنى جامع لانواع الخير
ففيه شهادة له بعلو الرتبة وليس المراد كريم مرسله كما قيل به في القي الي كتاب كريم وان جاز وسياتي الكلام
على هذه الآية في الفصل الخامس من هذا الباب **وروي عن جعفر** تقدمت ترجمته **في قوله تعالى** في سورة
الواقعة فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم واما ان كان من اصحاب اليمين **فسلام لك
من اصحاب اليمين** في هذه الآية وجوه ذكر منها هنا ما روي عن جعفر الصادق لمناسبته لكونه صلى
الله عليه وسلم رحمة ونعمة تامة ولما عقد له الفصل من ثناء الله وهو قوله فسلام اي سلامة لك يا محمد من
اصحاب اليمين **اي بك** فسره به بناء على ان اللام تعليلية والعلة والسبب متقاربان وان فرق بينهما
اي لاجلك ولاجل كراماتك ومعناه انه **انما وقعت سلامتهم من اجل كرامة محمد صلى الله عليه وسلم**
قد جعل الله في هذه الآية من حضره الموت ثلاثة اقسام مقربون واصحاب اليمين ومكذبون ضالون ۞
فالمقربون فسرهم ابن عطية بوجهين الاول الاصناف الاربعة المنعم عليهم في قوله ثم اوليك مع الذين
انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين والثاني من لا حساب عليهم من المومنين وقد
فسر به السابقون ايضا في قوله ومنهم سابق بالخيرات واصحاب اليمين من غلبت حسناته سيئاته او
عفي عنه ولو بعد حين والمكذبون الضالون الكفرة والمنافقون وله تفصيل في التفسير لا ينبغي تكثير السواد
به وفسر مكي قوله فسلام لك من اصحاب اليمين بان الله سلمهم من عذابه قيل وعليه المخاطب بقوله لك المحتضر
المذكور اولا واصله فنسلم ايها المحتضر سلاما حاصلا لك فحذف الفعل ورفع سلام بعد نصبه مفعولا
مطلقا ليدل على الدوام والاستمرار وقوله لك صفة سلام ومن تعليلية اي من اجل انك من اصحاب اليمين
وقيل المخاطب بقوله لك النبي صلى الله عليه وسلم وسلام مبتدا ولك خبره ومن اصحاب اليمين حال من الضمير
المستكن في الخبر اي فلك يا محمد سلامة من جهة اصحاب اليمين او من اصحاب اليمين خبره ولك حال واللام
تعليلية اي سلامة وامن من جهة اصحاب اليمين حال كونه لك لاجلك لشفاعتك فيهم وهذا مراد جعفر
وقدم الجار والمجرور الذي هو حال على عامله وهو متعلق بمن اصحاب اليمين لافادة الحصر اي انما سلم اصحاب
اليمين لاجلك ومن للابتداء اي سلامة ظهرت منهم انما هي لاجلك فليست انما لمجرد المبالغة لان اصحاب
اليمين لم يكونوا مقربين ففيهم ما يقتضي عدم السلامة فكانه قيل انما سلموا لاجلك ولكراماتك على الله ولا
قلب في الآية وقال قتادة المعنى سلموا من عذاب الله وسلمت عليهم الملايكة او المعنى لك يا محمد منهم سلام
تحية اذ يزورونك في الجنة وقيل المعنى يدعون لك بان يصلي الله ويسلم عليك او هو تحية اصحاب
اليمين ففي السلام هنا اقوال هذا محصل ما في الشروح على طول فيه وهو رد لما في شرح ابن الحنبلي
من انه على قول الصادق في الآية قلب والمعنى فسلام منك حاصل بالمعنى المذكور لهم ففسر لك بقوله
بك لانه واقع موقع منك اي من اجلك وفي القلب تنبيه على شرف اصحاب اليمين كما في عكس التشبيه في

نحو قوله • وبدر الصباح كان غرته • وجه الخليفة حين يمتدح •

فان افادت الآية ان ليست سلامتهم الا من اجل كرامتك بمعونة المقام فانما للمبالغة مع الحصر والا فلمجرد المبالغة كما في الجنى الداني عن ابي عطية ان انما لا تفارقها المبالغة فان ساعد المعنى على الحصر صح والا بقيت للمبالغة وقيل المعنى فسلام لك اي مسلم لك وقوله من اصحاب اليمين مستانف بتقدير انك من اصحاب اليمين وقيل المعنى فسلام لك منهم لانهم معك في الجنة واللام بمعنى على وقيل معناه تقول الملائكة لمن مات من اصحاب اليمين مبشرين له بشارتين سلام لك انك من اصحاب اليمين انتهى • اقول الظاهر ان مراده السلام بمعنى السلامة من العذاب واللام تعليلية بمعنى الباء كما مر وقوله انما الخ بيان لحاصل المعنى المراد واصحاب اليمين بمعنى الفايزين لان اليمين يتبرك بها كما يتشاءم بالشمال ولك متعلق بمقدر وهو كاين ومن متعلقه بمعنى وداي سلامة المعدود من اصحاب اليمين لاجلك او لك متعلق به مقدم من تاخير لافادة الحصر اي لم يجعلهم الله من اصحاب اليمين الا بسببك اي لاتباعهم او لشفاعتك لهم وفيه اقامة الظاهر مقام المضمر وتوضيحه ان في الآية معان كما مر اختار منها المصنف ما ذكر لافادته ما ذكر من ثناء الله على نبيه فان اما تفصل بينهما وبين جوابها بشي من اجزاء الجواب مفردا او في حكمه كجملة الشرط فما بعد الفا جملة هي جواب الشرط وسلام مبتدا لان اصله سلام لهم ولك خبره ومن اصحاب الخ حال من المضاف المقدر او من الضمير المستتر في الخبر والمعنى ان كان من اصحاب اليمين فسلامهم لاجلك وان كانوا من اصحاب اليمين والحصر من سياق التقسيم او من التعليل فلا قلب كما توهم فتدبر •

وقال الله تعالى الله نور السموات والارض الآية اي اقرا الآية او اذكرها وهي الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح الخ وفي هذه الآية اسرار ولطايف افردها بالتاليف الامام الغزالي في كتاب سماه مشكوة الانوار وفيه فوايد جمة وكذا الامام السهيلي **قال كعب** هو كعب الاحبار ابن ماتع بالمثناة الفوقية ابن هنوع ويقال عمرو ابن قيس بن معن بن جشم بن عبد شمس بن وايل بن عوف بن حمير بن قطن بن عوف بن زهير بن ايمن بن حمير بن سبا الحميري التابعي ادرك زمن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره واسلم في خلافة ابي بكر وقيل في خلافة عمر وصحبه واكثر الرواية عنه وعن غيره من الصحابة وروى الصحابة عنه ايضا وكان ادرك الجاهلية على اليهودية وسكن اليمن ثم سكن حمص بعد اسلامه وبها توفي في خلافة عثمان سنة اثنين وثلاثين ويقال له كعب الحبر بفتح الحا وكسرها لكثرة علمه واخرج له اصحاب السنن وغيرهم **وابن جبير** هو سعيد بن جبير الوالبي مولاهم ابو عبد الله وابو محمد التابعي العابد الزاهد الثقة احد اعلام رواة الحديث روى عن ابن عباس وغيره وروى عنه من لا يحصى وخرج له اصحاب السنن وغيرهم وقتله الحجاج ظلما في سنة خمس وتسعين ولم يسلط على احد بعده بدعوته عليه وقصته معه مشهورة **المراد بالنور الثاني محمد صلى الله عليه وسلم** النور من نار ينور اذا نفر ومنه نوار الظبية وبه سميت المراة فوضع له لانتشاره او لازالته الظلام فكانه ينفي منه ثم اطلق على الله وعلى النبي والقرآن كما في هذه الآية وكان صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه اللهم لك الحمد نور السموات والارض ومن فيهن والنور كما بينته في عناية القاضي عند الحكما كيفية تدركها الباصرة اولا وبواسطتها ساير المبصرات كما يفيض من النيران على الاجرام الكثيفة وزعم بعضهم انه اجرام صغار تنفصل من المضي وتتصل بالمستضي كما فصلوه في كتبهم ويقرب منه الضوء الا ان الزمخشري قال الاضاءة فرط الانارة فقيل انه جعل الضوء ابلغ من النور لقوله تعالى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وانكره في الفلك الداير وقال ليس له في اللغة شاهد ولا في الاستعمال مساعد وقد سوى بينهما ابن السكيت ولا دليل في الآية واجيب بان كلام ابن السكيت بحسب اصل الوضع وما ذكر بحسب الاستعمال كما في الاساس والتحقيق ما في الكشف من ان الضوء فرع النور وهو الشعاع المنتشر ولذا اطلق النور على الذوات دون الضوء ولكن الابصار بتخلية الضوء كما فيه مبالغة

من جهة اخرى وتنويره ما حققه في الروض الانف في قول ورقة هم •
ويظهر في البلاد ضياء نور • يقيم به البرية ان تموجا •

فان في البيت ما يوضح الفرق بينهما وان الضيا الشعاع المنتشر عن النور فالنور اصل ومبدؤه كما قال تعالى فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وجعل الشمس ضياء لان القمر لا ينتشر عنه ما ينتشر عنها لا سيما في طرفي الشهر ولذا سمي الله نورا دون ضياء فعلم ان بينهما فرقا لغة واستعمالا وان في كل منهما بهجة من جهة وان اطلاقه على الله وجهه ظاهر فسقط ما قيل ينبغي ان يكون النور على الاطلاق قوي لقوله الله نور السموات لكنه انما يتجه اذا لم يكن بمعنى المنور والظاهر ان اطلاق النور على الله مجاز اما بمعنى المنور او استعارة الا ان الغزالي قال في المشكاة انه حقيقة لان المنور معناه الظاهر بنفسه المظهر لغيره فان فهمت فهو نور على نور وهو مثل لما قاله الحكما الاشراقيون قال العلامة في شرح حكمة الاشراق الله نور السموات والارض لا بمعنى منورهما على ما يقوله بعض المفسرين من باب اطلاق اسم النور عليه بل بمعنى انه محض النور البحت وان ساير الانوار شرر من نوره انتهى وقد عرفت ان النبي صلى الله عليه وسلم سمي نورا ايضا وتفسير النور الثاني به كما قالوه ظاهر الا ان قوله **وقوله تعالى مثل نوره اي نور محمد** المثل المماثل والمشابه والصفة العجيبة وللامام الغزالي كلام لطيف في النور نورده وان طال لان كلام الحبيب لا يمل وهو ان النور يشير الى الظهور وهو امر اضافي فقد يظهر الشي لانسان ويبطن عن غيره واضافة الظهور الى الحواس المدركة اقوى واجلاها حاسة البصر والاشياء بالنسبة اليها ثلاثة اقسام ومنها ما لا يبصر بنفسه كالاجسام المظلمة ومنها ما يبصر ولا يبصر به غيره كالاجسام المضية من الكواكب وغيرها ومنها ما يبصر بنفسه ويبصر به غيره كالشمس والسراج والنور اسم لهذا القسم الثالث وهو عبارة عما يبصر بنفسه ويبصر عنده غيره وقد يطلق على ما يفيض منه على ظواهر الاجسام الكثيفة فيقال وقع نور الشمس على الارض لما كان سر النور وروحه هو الظهور للادراك وكان الادراك موقوفا على وجود النور فهو الظاهر المظهر واسم النور بالنور الباصر احق منه بالنور فلذا اطلق على نور العين المبصرة وقالوا للاعمى فقد نور البصر فسموا الروح الباصر نورا الا انه موسوم بانواع النقص فانه يبصر غيره ولا يبصر نفسه ولا ما بعد ولا ما هو وراء حجاب ويبصر الظاهر دون الباطن ولا يبصر ما لا يتناهى ويغلط كثيرا فيرى الكبير صغيرا وعكسه والبعيد قريبا وعكسه والساكن متحركا والمتحرك ساكنا • ثم ان قلنا ثم ان في قلب الانسان روحا ونفسا انسانية وعقلا وهي اولى باسم النور من هذه لسلامتها من تلك النقايص الا ان المبصرات ليست عندها متساوية لتفاوتها بالبداهة ونحوها وعند اشراق انوار الحكمة يصير العقل مبصرا بالفعل بعد ان كان مبصرا بالقوة واعظم الحكمة كلام الله فمنزلة ايات القرآن عند عين العقل منزلة نور الشمس عند العين الظاهرة اذ به يتم الابصار فلذا سمي القرآن نورا فقال والنور الذي انزلنا فالعين عينان عين ظاهرة هي من عالم الشهادة وباطنة من عالم الغيب دقيقة اذا كان ما يبصر نفسه وغيره اولى باسم النور فان كان من جملته ما يبصر به غيره ايضا مع انه يبصر نفسه وغيره فهو اولى باسم النور الذي لا يوثر في غيره اصلا بل بالحري ان يسمى سراجا منيرا لفيضان انواره الى غيره وهذه الخاصة توجد للروح القدسي النبوي اذ تفيض بواسطته انواع المعارف على الخلايق وبهذا ظهر معنى تسمية محمد سراجا منيرا وكذا الانبيا والعلما وان تفاوتوا والذي يقتبس منه السراج جدير بان يكنى عنه بالنار وهي التي تونس من جانب الطور وهذه السرج الارضية انما تقتبس من انوار علوية والروح القدسي النبوي يكاد زيته يضيء ولو لم تمسسه نار ولكن انما يصير نورا على نور اذا مسته النار ويقابل النور الظلمة والظلمة اشد من كتم العلم انتهى • وقد اعترض على عبارة المصنف بانها غير محررة وآخرها مناف لاولها لان اولها يقتضي ان النور اطلق على النبي هنا فانه يطلق عليه كما مر فاذا كان المراد بالنور في قوله مثل نوره محمد

فالاليق التفريع وان يكون الضمير راجعا لله سبحانه والمعنى مثل نبيه فقوله مثل نوره اي نور
محمد لايصح بوجه والموافق ان يقول نور الله اي محمد واجيب بانه غير وارد لانه ليس كلاما واحدا
صدر من كعب وابن جبير بل كلامان اولهما لابن جبير وثانيهما لكعب على اللف والنشر المشوش مغن عما
قيل من ان اضافة النور لمحمد بيانية فالنور منحصر في ذاته وعلى غيره الاضافة للتشريف والتعظيم ورد
بانه ليس في كلامه قرينة تدل على ما قاله ولم يقله غيره والمنقول عن كعب وابن جبير ان الضمير المجرور لمحمد
كما نقله المص عنهما وهو المنقول في تفسير القرطبي والوقف الحسن على الله نور السموات والارض فقول
المصنف المراد بالنور الثاني محمد يعني به ان المقصود من النور الثاني ما به شان محمد فليس محمولا عليه بهو
هو غايته انه يجوز في العبارة وهذا اقرب واسلم من التكلف الا انه لا ينبغي منع كون الاضافة بيانية
ايضا اقول هذا محصل ما قالوه من الاعتراض والجواب وانت اذا تاملته رايته متعسفا ومثله لا يخفى
على هولاء والذي ظهر لي ان المراد ان النور الثاني محمد صلى الله عليه وسلم بطريق المجاز والاول هو الله
اضيف لجميع مخلوقاته للتعميم والثاني مضاف اليه للتشريف والتعظيم والثالث اضافته كلجين الما
اي بيانا للتشبيه الذي بنيت عليه الاستعارة فالمعنى الله نور عم نوره جميع مخلوقاته وخص نبيه
منه باوفر اسم منه فسماه باسمه والبسه حلته كما البسه الرافة والرحمة ثم فسر بنوره محمد اي هو محمد
النور المبين وبهذا ترتبط الآيات بما قبلها وياخذ كلام المص بعضه بحجز بعض فينشط من الاشكال كما
ينشط العقل من العقال وفي نسخة محمد ولا غبار عليها **وقال سهل** بن عبد الله بن يونس بن عيسى بن عبد الله
بن رفيع التستري الصالح المشهور الذي لم يسمح الدهر بمثله علما وورعا وله كرامات مشهورة صحب
ذا النون المصري بمكة وتوفي سنة ثلث وثمانين في المحرم وقيل سنة ثلث وسبعين ومائتين بالبصرة
ومولده سنة مائتين وقيل احدى ومائتين بتستر وهي بلدة من كور الاهواز ويقال ششتر بمعجمتين
وبها قبر البراء بن مالك وقال النووي هي بمثناتين من فوق الاولى مضمومة والثانية مفتوحة بينهما
سين مهملة ساكنة مدينة بخوزستان **المعنى الله هادي اهل السموات والارض** هذا التفسير
هو المأثور عن ابن عباس رضي الله عنه وقال الامام الرازي في شرح الاسما الحسنى هذا حسن الا ان الهادي
في الاسما الحسنى التسعة والتسعين لا يجوز لانه يصير تكرارا محضا واجيب بانه يجوز ان يكون الهادي
اعم كما قالوه في الرؤف والرحيم او يعتبر فيه هداية بالغة الى حد لا يتناهى فيحصل به المغايرة في الجملة
كالرحمن الرحيم وقوله لا يجوز لا وجه له فان له نظائر في هذه الاسما وفي شروح الكشاف معنى نور السموات
والارض هادي العالمين يبين ما يهتدون به ويتخلصون من ظلمات الكفر والضلال بوحي منزل
ونبي مرسل والتاويل الذي عليه التعويل ما يساعده النظم سياقا وسباقا وما قبله من قوله انا انزلنا
الى هنا اشارة في ضمن ما يبين من الاحكام الى نزاهة ام المومنين وطهارة ساحة افضل المرسلين
هدانا بها الى معالم الحكم فذكر بعدها انه الهادي ثم قال يهدي الله لنوره فاخذ الكلام بعضه بحجز
بعض فما قيل من ان تشبيهه بالنور في الهداية وبناء كلام ابن عباس عليه مستبشع عندي كلام لا وجه
له فاي استبشاع في مثله وفي ذكر اهل اشارة الى ان الاضافة في الآية للسموات والارض مجازية
يجوز في نسبتها الاضافية كما في قوله تعالى مالك يوم الدين او هو بتقدير مضاف والاول اولى وفي
بعض الشروح الرواية عن المص قراءة عليه بنصب اهل والمعروف الكسر **ثم قال** اي سهل رضي الله عنه
مثل نور محمد اذ كان مستودعا في الاصلاب وفي نسخة في اصلاب آبائه وهذا من تتمة
تفسيره المذكور وقيل انه مبني على تفسير آخر منقول عن سهل ايضا كما نقله عنه البغوي في تفسيره والظاهر
الاول لان قوله ثم نص فيه والضمير المستتر في كان راجع لنور محمد او لمحمد نفسه ورجحه بعضهم بان محمدا

كان في صلب آبائه لا نوره وفيه نظر اي مثل نور محمد وصفته العجيبة وقت كونه في الاصلاب
جمع صلب بضم فسكون وقد يضم اللام اتباعا وفيه لغات تقدمت واصل معناه الشديد فسمي به
الظهر وعظم فيه عند ما بين الكاهلين الى عجب الذنب وهي فقار الظهر الممتدة فيه كالسلسلة قيل كان
نوره في جبهة آبائه من آدم الى ابيه عبد الله وهو نور حسي كالقمر في الليلة الظلما والمستودع في الاصلاب
مادة جسمه اللطيفة والنور تابع لتلك المادة وكان يظهر في امهاته ايضا كما ورد في صحيح
الاخبار واستيداعه في الاصلاب وجوده فيها كما قيل

انواره كانت بجبهة آدم	لا تختفي عمن له عينان
وبصلب آدم كان وقت هبوطه	وبصلب نوح وهو في الطوفان

قلت انكر اولا ان يكون النور في الاصلاب ثم اعترف به وكونه تابعا للمادة يقتضيه اقتضاء ظاهرا
والمستودع بالفتح سياتي بيانه **كمشكاة صفتها كذا** في نسخة وصفتها كذا وكذا كناية على قوله فيها مصباح الخ
فانها استعملت كذلك اي صفة نور محمد كصفة نور مشكاة والمشكاة كوة غير نافذة والكوة بفتح الكاف وضمها
اسم ما لا ينفذ ولا يخرج وقيل انها معربة من الحبشية وقيل هي القنديل وقيل موضع الفتيلة وقيل معلاق
القنديل وقيل الفتيلة ماخوذ من الصباح او الصباحة والسراج الفتيلة الموقودة والناس تطلقه على محلها
وهو مجاز مشهور هذا معناه لغة واما المراد هنا فاشار اليه المصنف بقوله **واراد بالمصباح
قلبه وبالزجاجة صدره** الزجاجة بالضم وهي مثلثة لكن هذا اعرفها وافصحها وعلى ما ذكره المص
تكون المشكاة صدره الشريف وكون القلب في الصدر اي في جانبه الايسر مما لا اشتباه فيه وهذا من تتمة
كلام سهل وقيل انه ليس منه وللسلف تفاسير اخر هنا منها ان المشكاة ابراز آبائه والزجاجة اصلابهم
والمصباح نوره صلى الله عليه وسلم المستودع فيهم كما سياتي في شعر العباس وانما جعل المصباح في المشكاة لانه
يكون فيها اقوى ضوءا وقيل المشكاة ابراهيم والزجاجة اسمعيل والمصباح محمد عليه السلام **اي كانه** اي
صدره **كوكب دري** في الزاهر لابن الانباري الدري الكوكب المضيء وفيه خمس لغات ضم الدال وكسرها
وفتحها مع الهمزة وبدونها مشددة اليا قيل انه منسوب الى الدر في حسنه وصفائه بوزن فعلي وهو بالضم
والهمز فعيل من درا الكوكب جرى او دفع او طلع بغتة وهو شاذ لان فعيل ليس من ابنية العرب وبريق اسم
العصفر اعجمي وعده سيبويه من ابنيتهم وقال ابو عبيدة اصله دروء كسبوح فجعلت الضمة كسرة والواو
ياء كما قالوا في عتو عتي ومن قال دري بكسر الدال كسره من اجل اليا التي بعد اليا لمجانسة لها ومن قال
انه منسوب للدر بناه على عدم فعيل فالهمز من تغييرات النسب وعلى الكسر هو فعيل كشريب وسكيت صفة
مشبهة وهو افصحها والضم نادر والقول بانه لحن غير صحيح غير صحيح لعدم وروده في القرآن واما
دري بفتح الدال والهمزة فشاذ لا نظير له الا سكينة بفتح السين في لغية حكاها ابو زيد فقد روي بمعنى
متلالي مشرق غاية الاشراق ولم يجعلوا الضمير للقلب لاستتاره قيل ولم يشبه بالقمر والشمس لما يعرض
لهما من الخسوف والكسوف ورد بان المصباح يعرض له الانطفا بالكلية وهو قابل له في كل اوقاته فالصواب
ان يقال ان هذا اوفق بالتشبيه باعتبار ان النيرين لا يحويهما مكان ضيق يستتران فيه وايضا اشراقهما
عام للبر والفاجر بخلاف المصباح ولو تركوا هذا كله لكان احسن **لما فيه من الايمان والحكمة** ضمير فيه للصدر
وجعل ذلك فيه بواسطة القلب ولو ارجع للقلب لم يبعد والحكمة العلم النافع ولا وجه لتخصيصها بعلوم
القرآن وقيل المراد بها هنا النبوة كما في قوله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة **توقد من شجرة
مباركة** في توقد لغات بالفوقية والتحتية والضم والفتح على الماضوية والمضارعية ولا تعيين لشيء منها
هنا وذهب بعضهم الى انه بالفوقية المفتوحة ماض كتكسر وايثاره على قراءة يوقد بضم المثناة التحتية وفتح القاف

المخففة لان الضمير فيها اما للمشكاة او للزجاجة والضمير في الاول انما هو للمصباح مرادا به القنديل
الذي في الزجاجة ونسبة التوقد اليها اولى من نسبة الايقاد اليهما وان قيل وقرئ المسجد مع ما في
التوقد المكمل به الاصل المشبه به السارية الى فرعه ومن للابتداء اي ذلك المصباح يوقد من زيت هذه الشجرة
ومباركة بمعنى متيمن بها لكثرة منافعها وثباتها وللزيتون بركة عظيمة مشاهدة حتى ذكر في كتاب الفلاحة
ان الحكما كانوا يضعون شيا من اغصانها في بيوتهم في راس كل سنة تبركا بها **اي من نور ابراهيم** اي المراد
يتوقد المصباح من نور هذه الشجرة ووصول نور النبوة من ابيه ابراهيم اليه لان النسا تشبه بالشجرة وابراهيم
ابو الانبيا وجد نبينا ودعوته **وضرب المثل بالشجرة المباركة** المثل كلام شبه مضربه بمورده وضربه
ذكره كذلك من ضرب اللبن والخاتم اذا صنعه على قالب مخصوص فضربه بمعنى بيانه ويكون المثل تشبيها
واستعارة تمثيلية في الاكثر والمراد هنا الثاني لانه شبه نبوة محمد صلى الله عليه وسلم المتصلة بابيه ابراهيم
ونسبه المتصل به بمصباح اضاء بزيت من شجرة مباركة واقتصر على بعض اجزاء التمثيل لظهور باقيه وفائدة
التمثيل كما في الكشاف وابراز المعقول في هيئة المحسوس ليتضح ويرسخ في الاذهان ولذا كثر في الاحاديث
والكتب الالهية وفي بعض الشروح كما ضرب مثل صدر محمد بالزجاجة وقلبه بالمصباح وما فيه من الايمان
والحكمة والعلم بالنور وضوء المصباح الذي يتحقق توقده من نار زيت هذه الشجرة ووصفها بلا شرقية ولا غربية
اشارة الى ان ابراهيم لم يكن يهوديا ولا نصرانيا بل حنيفا مسلما كما فسره به ابن عمر لان النصارى تصلي للمشرق
واليهود للمغرب وعلى ما اختاره المص بعد قوله نهل فسقط ما قيل من ان التقدير كمصباح في مشكاة اي كمثل ضوء
في مشكاة بناء على ان في جانب المشبه قلنا كقوله • وكان النجوم بين دجاها • سنن لاح بينهن ابتداع •
وفي شرح البخاري ان هذا الذي حكاه المص من ان المصباح كناية عن قلب محمد والزجاجة عن صدره والشجرة
المباركة عن ابراهيم تاويل بعيد عن ظاهر القرآن والصحيح ما عليه جمهور المفسرين من انه تعالى ضرب هذا
مثلا لنوره وتمثالا لقصور افهام الخلق اذ لولاه ما عرف الله قال وما اشبه هذا التاويل بتاويل المفضل في
قول الفرزدق • اخذنا باطراف السماء عليكم • لنا قمراها والنجوم الطوالع •
لما سأله الرشيد عنه فقال اراد بالقمرين ابراهيم ومحمدا صلى الله عليه وسلم وبالنجوم الطوالع انت وآباك
فقال له احسنت انتهى وفيه نظر **وقوله يكاد زيتها يضيء اي تكاد نبوة محمد تتبين للناس قبل
كلامه** اي تكليمه ودعواه النبوة وتحديه كهذا الزيت تبين مضارع بان بمعنى اتضح والكلام يكون مصدرا
بمعنى التكليم كقوله • فان كلامها شفاء لما بيا • او المراد به ما يتكلم به فيقدر مضاف اي قبل ايراد
كلامه الذي يتكلم به وقبل ان يوحى اليه فعلى هذا شبه نبوة محمد بزيت اخذ من شجرة للاضاءة فان النور المحمدي
الماخوذ من النور الجليل سبب لاضاءة سراج قلبه الذي اضاء به الكونان وشبه الكلام بالنار لاظهار النبوة
والدين واورد عليه ان نور محمد كان في الاصلاب قبل خلق جسمه وما فيه من قلب وصدر فكيف يصح تشبيه القلب
والصدر بما مر الا ان يقال اصل المادة موجود مع كل واحد من اجزائها الاصول في الاصلاب كما ياتي من تعلق
الروح به فيتم التشبيه والاوجه ما روي عن كعب من انه مثل ضربه الله لنبيه ثم قال المشكاة صدره والزجاجة
قلبه والمصباح قلبه يوقد من شجرتها ومحاسنه تظهر قبل الكلام وان يوحى اليه فاذا فسر النور بمحمد فالمشكاة
بالصدر فالمراد كمثل ذي مشكاة لان التشبيه باعتبار بعض الاجزاء فلا تقدير انتهى وقيل اضاءة الزيت
قبل ان تمسه النار اشارة الى نبوة ابراهيم التي هي نهاية زيت تلك الشجرة وهكذا ايمانه يكاد يتبين للناس قبل
كلامه فاشار الى ذلك مكتفيا بذكر احدهما احالة للاخر على المقايسة بقوله كهذا الزيت والاشارة للذي في
الآية الموصوف بالاضاءة قبل مماسة النار فالايضاح كالاضاءة كما ان الخفا كالاظلام والتكلم كمماسة النار
في ترتب ظهور سره عليه وقد قيل في الآية غير هذا من الوجوه المنقولة في التفاسير واقتصر المص على ما ذكره

لما فيه من الثنا على النبي صلى الله عليه وسلم **وقد سماه الله نورا وسراجا منيرا** لما ذكر انه فسر بعضهم النور
في مثل نوره بمحمد صلى الله عليه وسلم وهو مما استبعده كثير من العلما ارد فه بما يغني عنه او يرفع الاستبعاد عنه
فقال ان الله اطلق عليه النور في غير هذه الآية حيث سماه نورا على ما تقدم في كلام الغزالي وغيره من انه المرشد
الهادي للناس بما عليه من الانوار القدسية والمنير الزايد النور والمظهر لغيره ما خفي عليه **فقال قد جاءكم
من الله نور وكتاب مبين** الخطاب لاهل الكتاب في قوله يا اهل الكتاب قد جاءكم الخ وقد فسر النور بالاسلام والكتاب
شامل للتورية والانجيل وكانوا يخفون ما فيهما من صفات النبي وغيره فلذا فسر بالتورية وبالقرآن فسماه نورا
لكشفه ظلمات الجهل والضلال ولذا وحد الضمير وحده لاتحادهما وعلى هذا فلا شاهد في هذه الآية وقيل المراد
به النبي صلى الله عليه وسلم ووحد الضمير لاتحاد الطريق في هدايتهما فان خلقه القرآن كما سيجي **وقال انا
ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه** الاذن على ظاهره لان امره اذن له والمراد
به الارادة فانه كثيرا ما يعبرون به عنها وعن الامر كما في مجاز القرآن لابن عبد السلام وفسر بتوفيقه ايضا وتيسيره
وسراجا منيرا واطلاق النور من بيانه واطلاقه على النبي والاسلام والقرآن فان بكل منها تتقوى البصيرة
على ادراك المحسوسات وسماه شاهدا لانه يشهد على امته بالقبول والانكار وعلى الرسل بالتبليغ وعلى اممهم
وهو المبشر لهم بالجنة ونعيمها والنذير بضده لمن يكفر وهو الداعي الى توحيد الله وطاعته وتشبيهه بالسراج في
غاية الوضوح والبلاغة لانه يستضيء من الوحي ويضيء للناس بما اتاهم به ففيه من البلاغة ما ليس في قوله
شمسا وقمرا ووصف السراج بانه منير للتوكيد وقيل لان السراج ما لا يضيء اذا دق فتيلته وقل زيته وقد قيل
يضيء رسول بطيء وسراج لا يضيء ومائدة ينتظر لها من يجيء ومن هذا القبيل الذي عقد هذا الفصل لذكره ما
اثنا الله على نبيه **الم نشرح لك صدرك الى اخر السورة** الهمزة لانكار النفي ونفي النفي اثبات فناسب
عطف المثبت عليه وقوله الى اخر السورة يقتضي انها كلها ثناء من الله على نبيه فان الكلام فيه والثنا بحسب
الظاهر انما هو في اوايلها الى قوله ورفعنا لك ذكرك قلت هذا بحسب بادي النظر كما قيل وعند التحقيق
هي باسرها فانها على نعم انعم الله بها على رسوله وهي متضمنة للثنا عليه بما اعطاه من الكمال الذي لم ينله سواه
ولا يداينه فيه احد وهو من ابلغ الثنا ففي قوله ان مع العسر يسرا اشارة الى انه ثبت جاشه لما اقتحم من الشدايد
كضيق الصدر والوزر المنقض للظهر في مكايدة قومه وايذايهم له وهو مداوم على الدعوة والتبليغ ثم انه بشره
بانه كوفي بيسره وزاده على عسره فانه لا يغلب عسر يسرين على قاعدة اعادة النكرة والمعرفة المشهورة في قوله
فاذا فرغت فانصب اي اذا فرغت من التبليغ فانصب في العبادة اشارة الى انه ادى الامانة ونصح الامة
وتمت له النعمة المستحقة لابلغ الشكر وهو العبادة فالسورة كلها متضمنة لتعديد النعم عليه مع مدحه
والثناء عليه وامره بالشكر على ما اولاه والابتهال اليه لا الى غيره في كل ما ينوبه وبهذا تبين ان السورة من هذا
القبيل **شرح** اي وسع الشرح قال الراغب اصل معناه بسط اللحم ونحوه ومنه شرح الصدر وهو بسطه بنور
الهي وقال غيره هو التوسعة مطلقا فلا يختص بالظرف كما قيل انه من صفات الظروف باعتبار كان ظرفيتها
لامور فوصف القلب به باعتبار انضافه بامور فاذا قيل شرح به او له فهو متصف به واذا اطلق كما في الآية
فالمراد تحليته لليقين وتحمل المشاق من غير قلق ونحوه من الكمال ويراد به الفرح وعدم الانقباض ومنه شرحت
الحديث اذا بينته وفسرته وشرحت اللحم قطعته طولا وقد فسره هنا بالاخير بناء على انه بيان لشق قلبه
في صباه كما ذكره القاضي ومما يدل على ان اصل معناه الاتساع المقابل للضيق قوله تع فمن يرد الله ان يهديه
يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا وتفسير المص له بالماضي المثبت لان
الاستفهام الانكاري نفي معنى ونفي النفي اثبات ولم يقلب المضارع ماضيا واختاره في النظم على شرح
هو اوضح واوجز لانه ابلغ لانه ذكر الشيء بلازمه وهو اثبات ببينة لانه كناية عن الاثبات اللازم له اي ان الله

وسع قلبه لمناجات الحق ودعوة الخلق او بما اودع فيه من العلم والحكم او بما يسر من تلقي الوحي بعدما
شق عليه كما ذكره المفسرون **والمراد بالصدر هنا القلب** فهو تسمية للحال باسم المحل والظرف باسم
المظروف والقلب معروف وتفسيره بلطيفة يمتاز بها الانسان عما عداه ليس بشيء **وقال ابن عباس**
شرحه بالاسلام ويروى بالايمان اي التصديق الكامل المقرون بالعمل والكلام عليه وعلى الاسلام
ليس هذا محله اي بحلوله فيه وقبوله واذعانه حقيقة واتباع مقتضاه وهذا اخرجه عن ابن عباس ابن مردويه
وابن المنذر من طريق عطا وابن ابي حاتم عن عكرمة **وسهل** قد تقدمت ترجمته وقوله **بنور الرسالة**
قال الطيبي والرسالة هي ارسال الله اياه لتبليغ وحيه والمعنى انه شرحه برسالة تشبيهها بالنور لاظهارها
للشريعة وساير العلوم فهو كلجين الماء او المراد اثارها المضاهية له فجعله معدنا للحقايق والبا للتعدية
او للسببية **وقال الحسن** هو الحسن بن ابي الحسن البصري التابعي واسمه يسار بالتحتية والمهملة وهو
من اجل التابعين وهو في الزهد والعلم واظهار الحق بمرتبة عالية غنية عن البيان مكث ثلاثين سنة لم
يضحك ولم يخرج ولقي كثيرا من الصحابة وروى عنه احاديث كثيرة وحيث اطلق المحدثون الحسن فهو
المراد وجلالته لم يختلف فيها وانما اختلفوا في كونه لقي عليا رضي الله عنه وروى عنه فذهب كثير منهم الى
انه لم تثبت رؤيته ولا انه البسه خرقة المشايخ الصوفية قدس الله ارواحهم ونفعنا بسرهم على الطريقة
المعروفة منهم وذهب كثير من المحدثين الى انها بدعة لم تصح ولكن الجلال السيوطي صنف فيها جزءا لطيفا
وقال انها ثابتة واثبت ايضا ان الحسن اجتمع بعلي وكذا ذكره الحافظ ابن حجر فلا عبرة بانكار مثله وسن
الحسن محتمل له والمثبت مقدم على النافي فانه مولى الانصار وولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر ومات
بالبصرة سنة عشر ومائة وهو ابن ثمان وثمانين سنة وكانت امه تخدم ام سلمة زوجة النبي صلى الله
عليه وسلم فكان اذا بكى عندها في صغره وضعت ثديها في فمه فاصابه بركتها حتى صار تضرب به الامثال
في العلم والزهد والفصاحة وله قصة مع الحجاج مشهورة **ملأه حكمة وعلما** وروى كما في بعض النسخ حكما
بضم الحاء المهملة وسكون الكاف او بكسرها وفتح الكاف فجمع حكمة وهي العلم بالحقايق النافعة والشرعية
والحكم بالضم ايضا يكون بمعناها كما ورد في الحديث ان من الشعر لحكما وحكمة وقيل انه يؤيد رواية الحكمة
هنا ما في حديث الشق من انه حشي ايمانا وحكمة والحكم بالضم الفقه او القضاء العدل او التصديق او الكمال
والعطف للتاكيد والتتميم وملؤه مجاز عن عدم سعة شيء غيره او عن كثرته وقيل انه جعل على صورة جسم
ثم ملئ به ذو حقيقته وبعض اهل البصرة يرى الايمان والعلم مجسما شمعا ومصباحا ومشعلا وانا ارى
ذلك من ثمرتهما كما سيجي انتهى وقيل معناه الم نطهر قلبك اي ننظفه من حظ الشيطان ودنس الاوهام
وهو اشارة الى ما ورد في شق صدره واخراج علقة سوداء منه وقوله هذا حظ الشيطان منك وسياتي
مفصلا مشروحا وفي بعض النسخ لك قلبك كما في الآية وزيادة لك مع عدم الحاجة لها قيل الاشارة الى
ان الله غني عن العالمين فاللام للتعليل اي فعلنا لاجلك لا لاجلنا لعدم احتياجنا لشيء من المخلوقات
وفي تفسير القاضي انه للابهام قبل الايضاح فيفيد مبالغة وهذه النكتة جارية في نشرح ورفعنا
لك يعني انه لما ذكر الفعل علم ان ثمة مشروح ومرفوع ولما قيل اشتد ابهامه وتوهم انه اعرض عن ذكره
فلما ذكر بعده صار اوقع في النفس واكمل لانه في قوة ذكره مرتين مجملا ومعينا لان ذلك بمعنى شيالك
ثم لما قال صدرك عينه قيل والفصل للمتقدم حتى لا يؤذيك الوسواس قال ابن مالك فعلال ضربان
صحيح كدحرج وثنائي مكرر ككبكب ولهما مصدران مطردان فعللة وفعلال بالكسر كزلزال وهو كثير
فيه واما الفتح فورد فيه شاذا لكنه كثير في المكرر كتمتام وفافاء وهو للمبالغة كفعال في الثلاثي والحق
انه صفة ومن جعله مصدرا اريد به الفاعل او بتقدير ذو ومالا داعي له كما جنح اليه الزمخشري ومن تبعه

انتهى فعلى ما اختاره الوسواس بالفتح بمعنى الموسوس صفة حقيقة من غير تاويله فهو بمعنى
الشيطان وعلى ما اختاره الزمخشري يفسر بالوسوسة فانه مصدر عنده ويجوز تفسيره بالشيطان
على انه مجاز وتطهير قلبه مما ذكر من حظ الشيطان والوسوسة اما بان خلقه سالم الصدر وهو اشارة
الى ما ورد في الحديث الصحيح من شق صدره وقلبه واخراج علقة سوداء منه وقول الملك هذا حظ الشيطان
منك وغسله لما اراد الله تقديسه وتنويره بنور منه حال طفوليته ليستعد لقبول الوحي ومشاهدة
الملكوت ونحوه مما لا تطيقه القوى البشرية وهذا مما يؤذن بانه على حقيقته وظاهره ولا يحتاج
لتاويله وقد فسر شرح الصدر بهذا وقيل بقوة المجاهدة وقيل بعدم التوجه لغير الله وقال بعض الشراح
الاولى شرح الشرح بجمع الكمالات القلبية الشاملة لجميع ما ذكر جمعا بين الاقوال فان التخصيص بلا مخصص
غير متجه وبهذا يندفع الاشكال في هذه التفاسير وامثالها من انه ان ثبت كل منها بنقل فما وجه الجمع
بين النقول والا فما وجه العدول عن التعميم مع ظهوره فنقول مقصود السلف ان ما ذكر مراد من
غير حصر والوسوسة حديث النفس والهواجس والخواطر القلبية واصل معناها الهمس والاصوات الخفية
ولذا قيل للصوت الحلي وقد اشتهر ذلك في كلام العرب وما احسن قول علي الباخرزي في هذا المعنى

وخريدة تكسو الحمائل باسا • قاسى الفؤاد بحبها ما قاسى
حنت خلاخلها بنغمة ساقها • ولذاك سمي جرسها وسواسا

وما احسن قول ابي الفتح الطبسي

يقال شعرك وسواس هذيت به • وقد يقال الصوت الحلي وسواس

وفي الحديث ان الله تجاوز عن امتي ما وسوست به صدورها ما لم تعمل به او تتكلم والكلام في انه
جميعه معفو وفيه تفصيل كما بين في محله لا حاجة للتطويل به هنا كما في بعض الشروح واما شق الصدر
وما فيه فسياتي فلا حاجة لتلقي الركبان به **ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك** الوزر
الحمل الثقيل ووضعه ازالته عنه لانه اذا تعدى بعلى كان بمعنى التحميل واذا تعدى بعن كان بمعنى
الازالة وقال ابن عبد السلام في مجاز القرآن شبه اسقاط مؤاخذته بما سبق النبوة باسقاط اثقال
الاحمال الثقيلة والوزر يكون بمعنى الذنب ايضا والانقاض حصول النقيض وهو صوت فقرات الظهر
وقيل صوت الجمل او الرحل او المركوب اذا اثقل ما عليه ولا يدل هذا على عظم وزره بل المراد استعظامه له
لشدة خوفه واجلاله لله تعالى انتهى الثقل في الحمل حتى سمع له نقيض اي صوت كما قاله الازهري وقال ابن عرفة
هو اثقال الحمل ما حمل عليه نقضا اي هزلا وضعفا قيل وهذا تمثيل فان الظهر اذا اثقل حمله له نقيض
والفعل بالمعنى المجازي على ظاهره او على ارادة القرب اي كاد ينقض او على التشبيه البليغ او على
تقدير لو كان وفيه بعد ولا يخفى ما فيه من التكلف فاختر لنفسك ما يحلو وسياتي للمصنف كلام في هذه
الآية قيل ما سلف من ذنبك يعني قبل النبوة مرضه لما سياتي من عصمته من الصغاير والكباير
قبلها وبعدها وهذا بناء على جواز صدور تقصيرات تعرف عقلا او بشرع سابق انه خلاف الأليق
او من امور حرمت عليه في دينه فعدها اوزارا وان لم تكن كذلك فاندفع ما قيل من انه غير مناسب
لكلامه الآتي فتدبر وقيل اراد ثقلا هو ضد الخفة بكسر المثلثة وفتح القاف ويجوز تسكينها
ولاثقال معان اخر مذكورة في كتب اللغة او اراد بالوزر ايام الجاهلية بعد عيسى الى بعثته صلى
الله عليه وسلم وثقلها عدم رضاه مما راهم عليه فيها من الشرك وعبادة الاصنام والحروب والمقاتلة
للحظوظ النفسانية وغير ذلك مما استقبحه لسلامة فطرته **وقيل اراد ما اثقل ظهره من الرسالة**
حتى بلغها حكاه الماوردي والسلمي اي الوزر مستعار من الحمل الثقيل لما قاساه من المشقة

في ابتدا تلقيه الوحي من هيبة الملك وحفظ ما يلقي اليه وتكذيب قومه وغيرهم لما عرض نفسه
على القبائل وشدة اذيتهم له ولاصحابه ووضع ذلك عنه بما فيه من قوة الصبر وتسهيل الله ذلك
عليه بعد ما كان يخاف ان لا يبلغ الامانة ولا يقوى على مقاومتهم وهو بين اظهرهم لان هذه السورة
مكية ووضع الوزر في القولين السابقين مجاز عن عدم خلق الذنب او خلق القدرة عليه كالحذف
المستعمل عند المصنفين في عدم الاتيان بالمحذوف حقيقة عرفية وحقيقته اللغوية اسقاطه بعد
ذكره وقيل المراد بالوزر ثقل ذنوب امته الاجابة الموضوعة عنهم بالشفاعة • والماوردي علي بن
حبيب القاضي ابو الحسن الماوردي نسب ابوه لعمله ولبيعه والقياس الوردي وهو صاحب
التصانيف الجليلة في التفسير وفقه الشافعية والاصول والحديث كالحاوي والاحكام السلطانية
وهو كتاب جليل لم يصنف في بابه مثله ولم ينصفه امام الحرمين حيث قال في تصنيفه المسمى بالغياثي
انه قال في الاحكام يجوز ان يكون الذمي وزيرا ومن هذا مبلغ علمه ومنتهى فهمه كيف يتصدى
للتصنيف والفتوى قال ابن الملقن في طبقاته والذي جوزه ابن الماوردي انما هو وزارة التنفيذ
لا التفويض فتنبه له قلت قد نبهنا فوجدنا جوابه غير صحيح وله رحلة لابي حامد ودرس بالبصرة
وبغداد واتهم بالاعتزال مع انه خالفهم في بعض اقواله مات سنة خمسين واربعماية رحمه الله وقد بلغ
ستا وثمانين سنة • والسلمي بضم السين وفتح اللام منسوب لسليم بالتصغير وهو ابو عبد الرحمن السلمي
صاحب الحقايق واسمه محمد بن الحسين بن موسى النيسابوري شيخ الصوفية وصاحب تاريخهم وطبقاتهم
وتفسيرهم ولد سنة ثلاثين وثلاثماية وتوفي في شعبان سنة اثنتي عشرة واربعماية ونقل الذهبي
عن يوسف القطان انه قال انه كان يضع الاحاديث للصوفية وقد خالفه فيه الخطيب وقال انه
ثقة صاحب علم وحال كما نقله السبكي في طبقاته واطال في ترجمته بما لا يناسب الكتاب **وقيل عصمناك**
ولولا ذلك لاثقلت الذنوب ظهرك حكاه السمرقندي السمرقندي تقدم الكلام عليه
قيل انه يعني ان الوضع مجاز عن ان لا يحمله بتحمل الذنوب وهذا القول بعيد والتعليل بان العصمة
ثابتة له فاسد اذ المقصود انكار النعمة والثنا عليه وسياتي الكلام على هذا في القسم الثالث
اقول لا بعد فيه لانه تقدم ان وضعه بمعنى رفعه وازالته فاذا اريد منه ما كان منها العدم خلق
الذنب ودواعيه فيك او لعدم اقرارك عليه لم يبعد لما في كل منهما من عدم تلبسه بالوزر واي بعد
في هذا وقد ورد مثله لتنزيل ما بالقوة منزلة ما بالفعل الا ترى الى قوله في الحديث رفع القلم عن ثلاث
ولم يوضع عليهم قلم حتى يرفع والقول بان احدا من اهل اللغة لم يفسر وضع بمعنى عصم لعجيب من قائله
ومثله غني عن الرد وقد نقل هذا القرطبي في تفسيره **ورفعنا لك ذكرك قال يحيى بن آدم**
بالنبوة يحيى بن آدم بن سليمان الاموي مولاهم الكوفي ابو زكريا احد الاعلام الذين اخرج لهم اصحاب الكتب
الستة وقد وثقه ابن معين وغيره وتوفي سنة ثلاث بعد المائتين وروى عنه احمد بن حنبل وغيره
ومن فسر رفع الذكر بالنبوة فسوغ الصد عنه اما مفسر بالرسالة او المراد قبولها او تفسيره بغير ذلك
والثالث تنبيه ولا يلزم من رفعه بالنبوة تفرده بها عن غيره من الانبيا اذ يكفي رفعه على من في عصره
وقيل المراد بالنبوة ما سبق بها ساير الانبيا في الازل وآدم بين الما والطين حيث اخذ الميثاق على ان
من ادركه منهم اتبعه ولا دليل عليه في كلام المصنف اقول هذا كلام شراح هذا الكتاب وانما يحتاج
اليه اذا لم يقل المراد سواء تعلقت البا برفع او بذكر انه شرف ذكره حيث خاطبه بيا ايها النبي ويا ايها
الرسول تعظيما وقال لا تجعلوا دعا الرسول بينكم كدعا بعضكم وهو المذكور في شروح الكشاف ولكن
هذا غير ما ذكره المصنف عندهم ولا وجه له **وقيل اذا ذكرت** بضم التا والضمير لله فيه **ذكرت معي**

بفتحها

بفتحها والخطاب للنبي والفعل مجهول فيهما **قول لا اله الا الله محمد رسول الله** قول بالرفع بدل
من الجملة قبله او خبر مبتدا مقدر هو ويجوز نصبه بتقدير اعني وما يضاهيه اي اعني بذكرك في ذكري
لا اله الا الله الخ وفي بعض النسخ روي وقول الخ قيل وهذا بنا على العادة الغالبة او على الافضل
المامور به وهذا جواب عن سؤال انه قد يقول المومن لا اله الا الله مقتصرا عليها وايضا كثيرا ما يذكر
الله وحده نحو سمع الله لمن حمده وربنا ولك الحمد كما ورد في كثير من مواطن العبادة واجيب بان الشرطية
لا عموم لها ولذا قال المنطقيون ان قضيتها جزئية وليس قول لا اله الا الله من جملة كلام من فسر ورفعنا
الخ بقوله اذا ذكرت ذكرت معي لما سيذكره المصنف عن الخدري وكذا هو في زاد المسير وفيه عقبه قال
قتادة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة الا يقول اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا
رسول الله وهذا تفسير ماثور عليه الجمهور والحصر فيه مشكل بما مر والظاهر ان يحمل ذكره تم على افضل
الذكر وهو لا اله الا الله الخ حتى ورد انه يقوم مقام كل الاذكار وكل الصيد في جوف الفرا والقرينة
على هذا ان المقام مقام امتنان وتذكير بالنعم وكونه مذكورا معه اذا ذكر افضل الذكر اليق بمقامهما
وتوسط المصنف قيل وهي صيغة تمريض والقول للجمهور ولا يخفى ما فيه انتهى ولم يرض بهذا الشارح الجديد
فقال المراد ذكر المومن وهولاء بن ذكر الله الا وذكر معه رسوله صلى الله عليه وسلم فالمصلي اذا قال
سمع الله لمن حمده هل يقولها الا وفي ذهنه النبي عليه السلام لانه الذي امره بها فليس المراد بالذكر
القولي فقط بل الاذكار الفعلية والقولية والقلبية والقايل فهم ان المراد بالذكر اللفظي وهذا
فهم من لم يتتبع مقاصد الشريعة ثم اطال في هذا بما محصله ما ذكر ولم يات بشي عن ان زاد في الشطح
نغمة وفي الطنبور نغمة اقول هذا جملة ما قالوه في هذا التفسير الماثور ولم ياتوا بما تقر به عين التقرير
فان قوله اذا ذكرت ذكرت معي ان اخذت كلية خالف الواقع فانه كم ذكر الله وحده وكم ذكر الرسول وحده
وان عين موضع فهو ترجيح بلا مرجح وان جعلت القضية مهملة فلا يخفى ما في الاهمال من الركاكة هـ
وقد امعنت فيه النظر فلم ار ما يثلج الصدر ويرد بل السايل غير صفر حتى لاح لي ان الجواب الحق ان
يقال الذكر محمول على الذكر في مجامع العبادة ومشاهدها فانه ذكر مقرون بذكره فيها في الواقع في الصلاة
والخطب فلا ترى مشهدا من مشاهد الاسلام الا وهو كذلك فلا ينفك ذكره عن ذكره في يوم من الايام
ولا ليلة من الليالي ولا في وقت من الاوقات المقيد بها بقيد الكلية فان قلت من اين لك هذا
التقييد فهل هو الا ترجيح من غير مرجح قلت المقام ناطق بهذا القيد فان المراد التنويه بذكره
واشاعته على قدره الدال على قربه من ربه لقرب اسمه من اسمه وانما يكون هذا بذكره في المحافل والمشاهد
والجوامع والمساجد واي اشاعة اقوى من الاذان لا في الاسواق والطرق التي يطرح فيها كل ذكر
ثم انهم اعترضوا على المصنف باتيانه بقيل في تفسير الجمهور الماثور وليس بمناسب وهذا ايضا من قلة
التيقظ فانه بالنظر الى تمامه وقول لا اله الا الله وهو كذلك وقوله **وقيل في الاذان** والعلية تسقط
ما قيل الوجه التقديم بدون التمريض ثم الترديد في البيان وفي الاذان ظرف لذكرت او رفعنا قيل وهو
الاظهر على ما نقله في المعالم عن مجاهد وروي عن ابن عباس في الاذان والاقامة والخطب والتشهد
ولعل ذكر مجاهد الاذان ليس للتخصيص او تخصيصه برفع الصوت على المبالغة **وقيل في الآخرة** هـ
وقيل باخذ الميثاق على الانبياء بالمتابعة قيل وهذا مبني على الغالب ايضا والا فقد يقتصر في الخطبة
على ذكر الله ثم وهو جايز عند ابي حنيفة ومثله نادر في حكم العدم وفي بعض النسخ في الاذان والاقامة
والنسخة الاولى اشهر ولما كانت الاقامة كالاذان وصفا وحكما ادخلت فيه بطريق التغليب وقد ورد
اطلاق الاذان على الاقامة ايضا والشي بالشي يذكر **قال القاضي ابو الفضل** قد مر ان هذا ابن نصر ف

النساخ والا فهو يقول يقول الفقير ونحوه **هذا تقرير من الله جل اسمه لنبيه صلى الله عليه وسلم** الاشارة لما وقع في سورة الم نشرح وهو بيان لحاصلها قال في المغني التقرير حملك المخاطب على الاقرار والاعتراف بامر قد استقر ويجب ان يليها الشيء الذي يقرره به وحمل الزمخشري قوله الم تعلم ان الله على كل شيء قدير على التقرير مراده به التقرير بما بعد النفي لا بالنفي وغيره يجعله انكارا ابطاليا فيكون اثباتا للمنفي والمصنف تبع فيما ذكره الزمخشري ولكل وجهة هو موليها فعلى هذا التقرير تفعيل من الاقرار وقد يكون من قر قرارا فيكون بمعنى تثبيت الحكم قيل وفي حمل ما هنا عليه تكلف لانه لا بد فيه من ايلاء المقرر اداة الاستفهام نحو زيدا ضربت في تقرير المفعول وهنا وليها النفي ولم يقصد تقريره فينبغي ان يحمل على الاول ويؤيده ما ورد في الحديث من انه صلى الله عليه وسلم قال سالت ربي فقلت يا رب انه قد كان انبياء قبلي منهم من سخرت له الريح الخ فقال يا محمد الم نشرح لك صدرك الحديث • اقول يجوز ان يراد تثبيت بعد النفي كما ارید في الاول الاقرار بما بعده فان كلا منهما تاويل على خلاف الظاهر كما صرح به ابن هشام وادعى الظهور في احدهما دون الآخر تحكم وقد فسر التلمساني التقرير هنا بالتمهيد **على عظيم نعمه لديه وشريف منزلته عنده وكرامته عليه** على متعلقة بالتقرير سواء كان من الاقرار او بمعنى التثبيت اما الاول فلتاويله بحمله على الاقرار وحمل يتعدى بعلى فلما كان مؤولا به عدي تعديته واما على الثاني فظاهر وقيل ان على بمعنى البا لان الاقرار يتعدى بها فتقول اقر بكذا وهو كقوله حقيق على ان لا اقول وهذا منه وليس بمعنى التثبيت والا لقال المصنف تقرير من الله جل اسمه لعظيم نعمه وقيل عليه انه من التثبيت اي تثبيت من الله عز وجل لنبيه على ما احاط به علمه من عظيم نعمه وذلك لان هذه النعم علمها وخشي لعدم شكره ان لا تكون نعما فثبت فوائده على ثبوت انها نعم جسيمة ولا يخفى ما فيه والباقي بان شرح للسببية او هي متكفلة بالتقرير على انه من الاقرار وعلى متعلقه بمقدر اي تنبيها على عظيم الخ فلا حاجة الى ما قيل ان على بمعنى البا والمنزلة تقدم انها الرتبة العلية علوا معنويا وكرامته عليه يعني كونه مكرما معززا عنده موقرا **بان شرح قلبه للايمان والهداية** تقدم معنى الشرح فان شرح بمعنى وسع وفسح فهو لسعته يقبل ما يدخله من ايمانه وتصديقه بالله في اول امره وزيادة مراتب ايمانه والهداية بمعنى الاهتداء او المراد قبول الهداية او هدايته الناس كما قال تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام **ووسعه لوعي العلم وحمل الحكمة** معطوف على شرح عطف تفسير والوعي الحفظ والحكمة فسرت بالنبوة وبالفقه في الدين وفهم القرآن والاتباع له وقيل الورع وحملها العلم بها والعمل من الاتقان وهذا ناظر لتفاسير الاية السابقة وترك بعضها اكتفاء بحكمه فتذكره **ورفع عنه ثقل امور الجاهلية عليه** اي ازالها وثقل بزنة عنب ويجوز تسكينه وعليه متعلق به وهذا ناظر لقوله ووضعنا عنك وزرك وتفسيره بمعنى عام شامل لما مر والجاهلية ما كانت العرب عليه قبل الاسلام من الجهل بالله والشرايع وارتكاب امور رفعها الله لما جاء الحق وزهق الباطل كما مر **وبغضه لسيرها وما كانت عليه** السيرة فعلة من سار يسير ويكون لازما ومتعديا ويقال منه سار واسار والسيرة جمعها سير كسدرة وسدر وهي الهيئة والحالة وغلبت في الطريق يقال سار سيرة حسنة او قبيحة كما قال • واول راض سيرة من يسيرها • وغلبت السير والسيرة في السنة الشرع على المغازي كما في المصباح والضمير المضاف اليه للجاهلية وقال التلمساني سيرها عوايدها وبغضه في النسخ فعل ماض مسند مبني للفاعل وفي الطرة بغضه مصدر اي بضم الموحدة وسكون المعجمة وعليه صح والصواب ان يقال بغض له سيرها بالتضعيف والفاعل هو الله قال الشارح ولكن لم يوجد في نسختي سوى ما ذكرته اولا انتهى • وفي بعض الشروح الذي في النسخ المقروة على ابي ذر المحدث بن برهان الحلبي بغضه بصيغة الفعل المشدد المعطوف على رفع عنه وليس بالاسم المجرور بالعطف على امور الجاهلية لانه لم يرفع عنه ثقل بغضه لسيرها لبقايه وبقاء لوازمه واما عطفه على وعي ففاسد مع ما فيه من ذكر معنى الوضع في اثناء معنى الشرح وذكر معنى الشرح في معنى الوضع اذ معناه الرفع والحط الا ان ثقل البغض اذا قارن العجز عن ازالته زاد وهذا كما قيل مع تكلفه غير مناسب لمعنى الآية او هو اشارة الى انه عبارة عن العصمة عن خبثه • اقول ما في الحواشي التلمساني من تصحيح بغضه بصيغة المصدر المجرور هو الصحيح وهو معطوف على العلم المضاف اليه وعي بمعنى فهم وضمير بغضه المضاف اليه راجع لله اي وسع الله عليه لفهم العلوم والحكم وفهم بغض الله لما هم عليه حتى كان لا يخالطهم في اعيادهم ومجامعهم قبل البعثة كما قال تعالى ولكن الله حبب اليكم الايمان وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان وهذا كله ناظر لشرحه للاسلام ولا ادخال فيه للتفسير في تفسيره كما توهم وعلى قراته بالفعل يكون في كلامه قلب من غير نكتة وحق العبارة بغض له سيرها **بظهور دينه على الدين كله** متعلق بشرح وقيل برفع وقيل البا للمصاحبة بمعنى مع والظهور بمعنى الغلبة عليه حتى قهر اهله وابطل حكمه ولذا تعدى بعلى واصله ضد الخفا والدين للجنس الشامل للاديان ولذا اكده بكل **وحط عنه عهدة اعباء الرسالة والنبوة** معنى الحط التنزيل وهو قريب من الوضع فهذا اشارة لتفسير قوله ووضعنا عنك وزرك والرسالة غير محتاجة للبيان لا سيما هنا والاعباء بالمد كالاحمال والاثقال وزنا ومعنى جمع عبء بكسر العين المهملة وسكون الموحدة وهمزة • والعهدة بضم فسكون فعلة من العهد وله معان منها الامان والموثق والذمة ويقال تعهدته وتعاهدته اذا ترددت اليه واصلحته وحفظته ومنه وثيقة البيع عهدة لانه يرجع اليها عند الاحتياج ويقال عهدته هنا عليك اي تبعته وما يلزم منه فالمعنى هنا ان الله حمله اثقال الرسالة والزمه باجراء احكامها وتبليغها فكان في اول الامر في حرج ومشقة من خوف التقصير فلما يسر الله له ذلك شرح صدره واستراح من ثقلها وبريت ذمته من عهدتها لما بلغ الامانة وادى الامانة فامتن الله عليه بما يتضمن الثناء العظيم من انه اقدره على التحمل والصبر ولذا قيل ان حط العهدة مجاز عن توفيقه لمعالجة تلك الاثقال وتحملها على الوجه اللايق وهو كلام حسن **لتبليغه للناس ما نزل اليهم** وروي بتبليغه بالبا بدل اللام وهما متقاربان اي حط تلك الاحمال واراحه من الاثقال لاجل انه ما امر به وما على الرسول الا البلاغ وقيل معناه فعل ذلك لاجل ان يبلغ فالسببية غائية او اراد بيان الحط بان وفقه على التبليغ على الكمال ولا يخفى انه غير مناسب للمقام مع ما فيه من التعقيد بلا فائدة وانما خص الناس وهو مبعوث للثقلين بالاتفاق وللملايكة ايضا كما سياتي بيانه لان حط الاعباء انما هو بتبليغ الناس وتبخيرهم وكسر شوكتهم فانهم الذين عادوه وحاربوه واما الجن فبمجرد سماع القرآن اطاعوه ولم يقع عنهم ما يتعبه وان كان منهم من لم يؤمن وليس الكلام في بيان رسالته وعمومها حتى يعترض بتركهم عليه وقيل انه اكتفاء كقوله سرابيل تقيكم الحر وقيل المراد بالناس ما يشمل الجن فانه ورد اطلاقه عليهم وفي الحديث ناس من الجن وفسر به قوله تعالى قل اعوذ برب الناس وجعل قوله من الجنة والناس بيانا له وروي عن ابن عباس وذهب بعضهم الى انه حقيقة وقال السبكي انه انه لفظ مشترك بحسب الظاهر وهما معنيان متغايران ولفظان متغايران فالناس بمعنى بني ادم اصله اناس ومادته انس من الانسة ضد الوحشة وبالمعنى العام للثقلين اصله نوس بمعنى تحرك وقيل انه اقتصر على الاشرف والمقصود بالذات وانت في غنى عنه كله بما مر **وتنويهه بعظيم مكانه وجليل رتبته ورفعة ذكره وقرانه مع اسمه اسمه** قد مر ان يقال ناه بالشيء نوها ونوه به تنويها اذا رفع ذكره وعظمه وفي حديث عمر انا اول من نوه بالعرب اي رفع ذكرهم بالديوان والاعطا كما في المصباح وهذا اشارة لمعنى قوله ورفعنا لك ذكرك وتنويهه

بالجر معطوف على قوله بتبليغه لان تعظيم الله له ورفع ذكره له يروح قلبه وييسره لانه يدل على قبول رب
العزة لما فعله من اداء ما في عهدته وبذل جسمه وروحه في هم خدمته وهذا في غاية الظهور وقيل
معطوف على انشرح وقيل على تعديد فهو مرفوع والداعي لارتكابه مع بعده انه كان الظاهر ان يقول
نوره تفسيرا لو فقنا على سننه السابق وانما عدل عن التعبير بالفعل الى عطف المصدر الصريح على
المؤول لئلا يتوهم انه كلام مستانف والبا في قوله بعظيم متعلقة بنوره وليست زايدة فان قيل نوهه
ونوه به كما قيل لان الاشهر هو التعدية بالبا كما مر في كلام سيدنا عمر وقوله رفعة ذكره بكسر الرا واخره
تا التانيث مضاف لذكره وروي بفتحها واضافته للضمير ونصب ذكره وروي رفيع عطف على جليل
ورفعة ذكره اما بهذا الرفع او برفع زايد عليه واسمه الثاني منصوب مفعول قران بكسر القاف مصدر
بمعنى الضم والجمع ومنه قران الحج واقران غلط فيه وقيل رواية **وقال قتادة رفع الله ذكره في الدنيا**
والاخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة الا يقول اشهد ان لا اله الا الله وان
محمدا رسول الله قد مرت ترجمة قتادة وتحقيق هذا الكلام الا انه بقيت امور ينبغي التنبيه لها
وهي ان بعضهم لما قال هنا ان ما ذكرها هو الاكمل الجاري في العرف والعادة بعد البعثة اذ الشهادة
ليست شرطا في اصل الخطبة وهذا في الدنيا ويعلم امر الاخرة بالمقايسة عليها وفي الحديث كل خطبة
ليس فيها شهادة فهي كاليد الجذما والمراد بالصلاة الفرض الكامل المتبادر فلا ترد صلاة الجنازة هو
والمتشهد من تشهد بالوحدانية سواكان بهذا اللفظ كمن يقول اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده
ورسوله المروي عن ابن مسعود وعليه ابو حنيفة فلا يرد انه يقتصر في خطبة الحمد والعيدين وغيرهما
على ما ذكر اسد بالتسبيح ونحوه قيل هذا انما يرد لو كان قتادة قايلا به في عصره وليس هذا بشي
يتصدى لجوابه وقيل ان مراد قتادة بيان رفعة ذكره في الدنيا التي هي عنوان رفعة الاخرة هو
وقوله فليس خطيب الى اخره يريد به ان الخطبا قبل كانوا يعدون ماثرهم ومفاخر قومهم فلما جاء
الاسلام صارت الخطبة اسما للمشروعة باي مذهب كان واي خطبة كانت كما في الحج والخسوف والعيد
والجمعة وغيرها وفاعل ذلك كله يعتقد وحدانية الله شاهدا بان محمدا رسول الله ممتثلا لامره مقتديا
بهديه والمصلي لا يعتد بصلاته حتى يعتقد ذلك وانت ترى ما في هذا الكلام الذي لا محصل له
ولا يجدي شيئا فالقول ما قالت حذام • والنمرة تدل على الشجرة وقوله الا يقول مستثنى من اعم
الاحوال اي ليس في حال من الاحوال الا فيلذ وما قاله قتادة رواه عنه البيهقي وابن ابي حاتم
فان قلت ما وجه التفريع في قوله فليس الخ وامر الاخرة لا يعلم بالمقايسة والمتشهد اعم من الخطيب
والمصلي فكان ينبغي تقديمه او تاخيره قلت اخذ من اطلاق الاية والحديث والتفريع وجهه ان
من رفع ذكره في الدارين حقيقة بان يشهد له بذلك والمتشهد المراد الاتي بكلمة الشهادة في غير
الخطبة والصلاة لا ذ غيره يقال له خطيب ومصل فقد بر **روى ابو سعيد الخدري** وهو سعد بن
مالك بن سنان بن عبيد بن الابجر وهو جده المنسوب اليه على الاصح وسيأتي الصحابي الانصاري نسبة
لخدرة بضم الخا المعجمة وسكون الدال المهملة يليها را مهملة وها وهو حي من الانصار سمي باسم جدهم
ثم نسب اليه كتميم فلا منافاة بينهما وقيل خدرة امه وهذا الحديث كما قاله السيوطي والشيخ قاسم في
تخريج احاديث هذا الكتاب اخرجه ابو يعلى في مسنده وابن حبان في صحيحه والطبري في تفسيره
واسناده حسن فلا وجه لما قيل من ان في زاد المسير ما يخالفه وان ذاك من واد وذا من واد ولا
لما قيل ان في المعالم انه صلى الله عليه وسلم سال جبريل عن هذه الاية هكذا فقال قال الله الخ فلعله بعد
السؤال جاء وقال ان ربي الخ وقوله قال الله نقل بالمعنى لان الرواية المسندة كما عرفته • وقوله

ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اتاني جبريل فقال ان ربي وربك يقول تدري
كيف رفعت ذكرك تقديره اتدري فحذف منه حرف الاستفهام وهو جايز مع القرينة في النظم
والنثر كما في المغني وغيره وقول البخاري انه قليل مخصوص بالشعر مخالف للرواية والدراية وقد
روي هذا الحديث اتدري بثبوت الهمزة على اصلها سوآء كان الاستفهام حقيقيا كقوله وان زنا
وان سرق او غير حقيقي كقوله تع سواء عليهم أانذرتهم على قراة والاستشهاد بهذه الاية للحقيقي
سهو والاستفهام هنا غير حقيقي لاستحالته على علام الغيوب والسراير بل هو تقريري لنفي
تقدم علمه فيعلمه من لدنه والمشهور في مثله ان معناه اتدري جواب هذا السؤال وليست كيف
فيه خارجة عن معنى الاستفهام على ان المعنى كيفية رفع ذكرك وان كانوا يقولونه في بيان حاصل
المعنى فما قيل من انه مخرج عن معنى الاستفهام اي تدري كيفية الرفع وهذا من الانبساط مع المحبوب
لاجل زيادة التوجه والانسط ولكنه اعجمه مع ان لفظ الكيفية لم يسمع من العرب كما صرح به اهل
اللغة وتدري معلق على الجملة التي بعده كما في قول زهير

• وما ادري وسوف اخال ادري • اقوم آل حصن ام نساء •

وكيف في محل نصب على الحال من المفعول على القاعدة المشهورة في اعرابها من انها ان وقعت قبل
كلام تام فهي حال والا فهي خبر الا ان هذه القاعدة غير مسلمة كما في المغني وشروح الكشاف
وهي سؤال عن الحال والصفة اي على اي حال وصفة رفعت ذكرك وليست منصوبة بتدري
لان لها الصدر ووقع في بعض النسخ **فقلت الله ورسوله** المراد هنا جبريل لانه من رسل الملائكة
الذين يرسلون بالوحي لانبيائه ورسله **اعلم** كذا عندي في نسخة مصححة مقروة على المشايخ
وفي نسخة شرح عليها الشارح الجديد وقال لم اجدها في نسخة من الشفا واللايق عدم ذكرها ولعله
كما قال والتفضيل اما في الزيادة في مطلق العلم فلا يلزم ثبوت اهل العلم له في هذه المسالة او المراد
اعلم فيها نظرا الى حصول بعض الوجوه له تجويزا وظنا فالترجيح في الكيفية والمطلوب
حصول التفنن او وجه آخر واعلمه جبريل منه صلى الله عليه وسلم مع انه علم علم الاولين والاخرين
كما ثبت في الصحيح او بالنظر الى علم الله فعلمهما اتم من علمه وان كان علمه اتم من علم احدهما او
بالنظر الى ان تلك الحالة لم تكن دايمة له كذا قاله الشارح المدقق اقول الظاهر انه اراد
تفضيلهما عليه في خصوص هذا العلم او على الاطلاق اما الله تع فظاهر واما جبريل فلعله ببعض
الامور التي لم يعلمها النبي صلى الله عليه وسلم لاعلام الله بها او لكونها في الملا الاعلى ولا يلزم هذا
شكا ونقصا لمقام النبوة حتى يلزم تكلف ما ادعاه واما ما ورد في الحديث من انه علم علم الاولين
والاخرين فليس المراد به ما فهمه لانه لو كان كذلك علم المغيبات كلها وقد امره الله بان يقول لا
اعلم الغيب ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وقال لا ادري ما يفعل بي ولا بكم وهذا مما لا
يشك فيه وانما المراد انه علمه كل علم عند الاولين والاخرين متعلق بمعرفة الله واحوال الامم
الاتية والسالفة اجمالا من خير او شر واوحي اليه ببعض المغيبات ايضا واخبر بها بعض الصحابة
كما في حديث حذيفة فمتعلق اعلم مني او من كل احد غيرهما او لا متعلق له كما في الله اكبر في احد الوجوه
وقيل المراد اعلم من كل عالم نحو الله اكبر او اعلم مني على انه علم رفع ذكره وهذا مما لا ريب فيه او فهم
من جبريل انه عالم بكيفية الرفع دونه وانه جاء مخبرا بها له ولو كانت مما استاثر الله به قال جبريل
ما المسؤول عنها باعلم من السايل كما في حديث آخر اذ المراد انهما سيان في عدم العلم لان قولك ما زيد
باعلم من عمرو المراد به نفي المساواة كما مر وهو احد احتمالات في مثله واما ما ورد من علم النبي علم

الاولين والآخرين فلعله كان آخر احواله بعد انقطاع ايحا جبريل له وقيل المراد ان الله تعالى اعلم من كل عالم ومنه تشقق العلم اي لا اعلم الا ما علمني ربي واما كونه علم علم الاولين والآخرين فهو نعمة من الله خصه بها ولم يرد انها انقطعت عنه والكريم لا يقطع عوائده كما انعم الله فيما مضى كذلك ينعم فيما بقي واحتياجه الى الوحي تقتضي مقام العبودية واظهار الافتقار من لوازمها وكون هذا آخر احواله غير مسلم لان هذه القصة وقعت ليلة الاسرا وهي من اول احواله وجبريل لم ينقطع عنه حتى فارق الدنيا وهذا مع ابتنائه على ما عنده من الطراز الاول وكذا ما قبله ولولا خوف ان يظن ان بالسويدا رجا لا تركته راسًا **قال اذا ذكرت ذكرت معي** تقدم شرحه **قال ابن عطا جعلت تمام الايمان بذكرك معي** لم يسم المصنف ابن عطا فلم يدر مراده به لان المشهور به اثنان فلذا قال التلمساني هو ابو عبد الله محمد بن عطا شيخ وقته وهو مات كما قال القشيري سنة تسع وتسعين وثلاثمائة وقال الشمني انه ابو العباس احمد بن محمد بن سهل بن عطا الزاهد البغدادي وجزم بانه المراد هنا الشارح الجديد لان المشايخ قالوا ان له لسانا في فهم القرآن يختص به وكان صحب الجنيد وسئل رضي الله عنه عن الوجد والسماع فقال هو صحيح فقيل له انه لم يبلغنا عن احد من الصحابة والتابعين انه تواجد فقال اما الصحابة فكو شغلوا بالشريعة في سرهم فكانوا لا يغلبون عن تحمل الاحوال بخلاف من بعدهم فانه لم هذه الرتبة وقوله بذكري معك روي بذكرك معي وهذه النسخة واضحة والاولى مشهورة مخالفة للظاهر لان مع تدخل على المتبوع وقد تجي لمطلق المصاحبة وقد تقدم انه باعتبار الاكثر المعتاد في مواطن واقوال مخصوصة كقول المتشهد اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وقد قيل انه في كلام المصنف تكرار وانتشار والذي وقع بالمصنف ذكر الاقوال ثم حاصل معنى الآيات وفي بعض العبارة قلب ايما الى شرفه صلى الله عليه وسلم كقوله لا يذكرك احد بالرسالة الا ذكرني بالربوبية فان الظاهر عكسه كما قيل • وانا اقول هذا من عدم الوقوف على مراده لانه لما ذكر السورة لما فيها من الثناء عليه الذي هو بصدده عقبها بذكر اقوال المفسرين فيها تم لحصه ووضحه بعبارة فصيحة ثم ذكر الدليل على ما قالوه رواية مسندة ثم اختمه بكلام ارباب الطريقة من مشايخ الصوفية فانه مسك الختام ونقل لهم عبارات ثلاثة فقال الذكري معك وذكرك معي وذكرك عين ذكري وهنا بحسب المقامات كقولهم ما رايت شيئًا الا رايت الله قبله او معه او بعده اما الاول فظاهر لانه رسوله وخليفته وهذا بحسب الحقيقة في نفس الامر واما الثاني فلانهم انما عرفوا الله منه وبعد معرفته كما قيل •

• فانت باب الله اي امرئ • اتاه من غيرك لا يدخل •

واما الثالث فلان من ذكره من حيث هو رسولا مبلغا عن الله فقد ذكر الله ومن هنا قيل من رآني فقد رأى الحق فلا تكرار ولا قلب الا لمن ليس له قلب ينظر بعينه الحق وجعل ذكره تمام الايمان اما لان الايمان عنده تصديق بالجنان وتصديق باللسان كما هو قول لاهل السنة واما من يقول بانه مجرد التصديق فجعله تمامه باعتبار انه لا يعتد به بدونه ولا يترتب عليه الاحكام ما لم يات به لسانا لان الامر مبني على الظاهر والله اعلم بالسرائر قيل وهذا غير قول قتادة لانه من تتمة الايمان فتوهم العينية فاسد وفيه نظر فتدبر **وقال ايضا** اي قال عطا قولا كالذي قاله وايضا مفعول مطلق لفعل مقدر من آض اذا عاد ورجع قيل واستعير هنا لمجرد الانضمام ولك ان تبقيه على معناه الحقيقي لانه عاد لكلام عطا **جعلتك ذكرا من ذكري فمن ذكرك ذكرني** ذكرا مفعول ثان لجعل والظرف بعده صفته او تمييز محول عن المفعول والجار والمجرور هو الثاني والمعنى واحد

اي كان ذكرك غير ذكري لعدم انفكاكه عنه غالبا او هو مثله في التقرب به والاجر وهو معدود من افراده لما ورد ان كل مطيع لله ذاكر والاسناد مجازي والفا تفسيرية او تفريعية **وقال جعفر** تقدم بيانه **لا يذكرك احد بالرسالة الا ذكرني بالربوبية** الاستثنا من اعم الاحوال والجملة التي بعد الا حالية ولا حاجة لتقدير قد معها ذكره النحاة والربوبية مصدر من الرب وهذه اليا تسمى اليا المصدرية ولا بد معها من تاء التانيث وفي هذه اليا بحث ذكرناه في رسالة المصدر والسوابح ومعنى كلام جعفر رضي الله عنه لا يعترف احد برسالتك الا بعد ان يعترف بوحدانية الله وربوبيته لانه يجب معرفة الله عقلا قبل ذلك لئلا يلزم الدور كما ذهب اليه الماتريدية او سمعا كما ذهب اليه غيرهم كما تقرر في الاصول وقيل المراد الاول وقد اراد ذلك او عبر بالماضي عن المضارع مبالغة في تحقق وقوعه وفي الاول اشكال لعدم مقارنة الحال العامل وذلك لان المراد بالرسالة انه رسول الله والعادة ان يقال رسول الله ورسول رب العالمين ونحوه او لان معنى الرسالة شرعا انه انسان بعثه الله لتبليغ احكامه والالوهية جامعة للربوبية وخصت الربوبية هنا لمناسبتها للرسالة لمربوبية الرسول للمرسل اليه وقيل المراد من آمن بك آمن بي وفيه تكلف ظاهر ثم ان ما قاله الصادق وغيره يشترك فيه الانبيا بحسب الظاهر فلا بد حمله على ما يظهر فيه الاختصاص والتمييز انتهى وقد عرفت معناه وانه محمول على الايمان بالله ورسوله والاعتراف بذلك المقتضي لمقارنة اسمه لاسمه مع التعبد باظهاره والنداء به على رؤوس الاشهاد كما يفصح عنه التعبير بالرفع الذي بينه وبين الوضع صيغة المطابقة واما عدم مقارنة الحال فظاهر لسقوط التقدم الايمان بالله واراد به الايمان بالرسول واما التلفظ بما يدل على ذلك فلذكره عقبه من غير فاصل يعد مقارنا عرفا ومثله يكفي عند النحاة فلا حاجة الى جعل الحال مقدرة واما ما ادعاه من عدم الاختصاص بمحمد صلى الله عليه وسلم فقد علم مما مر ان هذه المقارنة في نحو الاذان والاقامة والخطب والصلاة والاتيان بكلمة الشهادة المعتبر في الاعتداد بالايمان وهذا كله مختص بهذه فيختص القرآن الواقع بهذه الكيفية بسيدنا ونبينا اختصاصا حقيقيا بالنسبة لكل من عداه من الرسل والامم وهذا في غاية الظهور **واشار بعضهم في ذلك الى الشفاعة** المراد بالبعض من فسر قوله عز وجل ورفعنا لك ذكرك المشار اليه بقوله في ذلك جعلنا ذكرك مرفوعا في الدنيا والآخرة بالشفاعة وهو احد اقوال خمسة فيه وقيل هو الماوردي وقال البرهان لا اعرفه **تتمة** لطيفة لما ذكر الله عز وجل في آخر السورة التي قبل هذه قوله ولسوف يعطيك ربك فترضى الى قوله واما بنعمة ربك فحدث ثم اتى بعدها بقوله الم نشرح قال بعض المشايخ ان شكر النعمة والاعتراف والرضا بها مما ينشا منه انشراح الصدر والسرور وهو مشاهد ثم انه لما ذكر انشراح الصدر ورفعة الذكر وسط بينهما اعبا الرسالة التي تنقض الظهور وفي ذلك عسر بين يسرين فلذا قال فان مع العسر الخ ثم اشار الى مقصوده من الدنيا انما هو ادا خدمته والامانة وانه لا راحة للمؤمن دون لقاء ربه الذي هو بطلبه لا ما سواه فلذا قال فاذا فرغت فانصب ولم يقل له استرح بل اجتهد فيما يقربك الى الله فارغب كما قال اذا جا نصر الله والفتح الخ فتنبه لاسرار التنزيل **ومن ذكره معه ان قرن طاعته بطاعته واسمه باسمه فقال اطيعوا الله والرسول وآمنوا بالله ورسوله** لما قرن الثنا من الله برفعة قدره فانه اذا ذكر ذكره معه كما مر وذلك القرآن في كلام الناس وما يحكي عنهم اتبعه بما هو من قبيله وهو ذكر الله جل وعلا لنفسه وذكر الرسول معه معطوفا عليه من غير فاصل كالاثنين المذكورين وفيهما زيادة على ما ذكر لفظا فقرن طاعته بطاعته لان احدهما لا ينفك عن الآخر كما قال من يطع الرسول فقد اطاع الله والمقارنة المصاحبة كما قال •

• عن المرء لا تسئل وسل عن قرينه • فكل قرين بالمقارن يقتدي •

ومصاحبة الاسمين ظاهرة فيما ذكر واما مصاحبة الطاعة للطاعة فهي معنوية لا لفظية هنا
بمعنى انها لا تنفك عنها بل هي عينها كما مر وجعل هذين من قبيل الذكر المقارن لذكره امر حقيقي لا من قبيل
عموم المجاز ولا من قبيل الجمع بين الحقيقة والمجاز كما قيل فانه في الآيتين كذلك لا قتران الطاعة بطاعته
في قوله اطيعوا الله والرسول لا بمعنى واطيعوا الرسول واما قوله آمنوا بالله ورسوله فمثال المقارنة
الاسم الاسم على اللف والنشر المرتب وبعضهم جعل كل آية مثالا لهما فاحتاج الى التكلف فقال معنى
الطاعة الانقياد وقد يكون بحسب الظاهر كالاسلام الذي هو الانقياد والاستسلام وقد يكون
بحسب الظاهر والباطن كما قدمنا في الايمان ومنهم من قال الذكر هنا عدم الغفلة ومطيع الله ذاكر له كمطيع
فكل من قرن طاعته بطاعته وقرن اسمه باسمه ذاكر الله عز وجل ولرسوله بغير حقيقة وليس هنا ذكر مجازي
فمن زعم ان الذكر الاول مجاز والثاني حقيقة وان الآية من باب عموم المجاز اذ المراد بالذكر هنا معنى يعمهما
فرارا من الجمع بين الحقيقة والمجاز فقد ارتكب شططا انتهى ۰ والحاصل ان المصنف ان قصد اقتران الاسمين
وزاد الطاعة لوقوعها في الآية والحديث فالامر في الحقيقة ظاهر من غير ارتكاب شيء مما قالوه وان اراد بيان
كل منهما على اللف والنشر لان في كليهما اقتران الاسمين فظاهر ايضا وان اراد اقتران الطاعتين والاسمين
في كل منهما فهو الذي يحتاج للتكلف ومن ذكره خبر مقدم وان قرن مبتدا موخر واما كون من مبتدا لانها
بمعنى بعض كما قيل في قوله ومن الناس من يقول آمنا في البقرة **فجمع بينهما بواو العطف المشركة**
بكسر الراء المشددة وضمير بينهما للاسمين وقيل للاسمين والطاعتين وجعلها مشركة لافادتها المشاركة
المتعاطفين في الحكم من غير ترتيب والجمع به دال على التعظيم والمناسبة بخلاف ثم لدلالتها على تفاوت
الرتبة لا التسوية وكذا الفاء الواو محتملة للامور الثلاثة التقدم والتاخر والمعية على الصحيح **ولا
يجوز جمع هذا الكلام في غير حقه عليه السلام** قيل اي جوازا من غير نهي فلا يباح واعلم ان الجواز
يطلق في لسان حملة الشرع على امور كرفع الحرج اعم من ان يكون واجبا او مندوبا او مكروها وعلى مستوي
طرفي الفعل والترك وعلى ما ليس بلازم وهو اصطلاح الفقها في العقود وهذا كله ظاهر والغريب ما في
قواعد الزركشي انه جاز كذا استعملوه هو وفي الوجوب قال وهو ظاهر فيما اذا كان الفعل دايرا بين الحرمة
والوجوب فيستفاد من قولهم يجوز رفع الحرمة اي تشريك الله وغيره بالعطف بالواو في حكم من الاحكام
لا يجوز الا في حق النبي صلى الله عليه وسلم لانه امر شرف به رسوله كما مر في تفسير رفعنا لك ذكرك وقد اعترض
بعض الشراح على هذا وقال ان القاضي وهم فيه فان الذي لا يجوز لغير النبي جمع اسم الله واسمه مع اسم غير
النبي في ضمير يعود على الله وعلى صاحب الاسم فلا يجوز لنا ان نستعمله الا ان يرد عن الله كقوله ان الله وملايكته
يصلون على النبي واما عطف اسم ظاهر بالواو على اسم الله فما اظن احدا يمنعه وكيف يختص هذا بالنبي مع
قوله من كان عدوا لله وملايكته ورسله وفي الحديث القدسي قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين
وقيل ايضا ان اراد ان مثله لم يرد في القرآن وغيره فليس كذلك وان اراد انه لا يجوز لنا فاي مانع من ان
يقال اطع الله واطع القاضي والامير لقوله تعالى اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم واجاب بعضهم
بان مراده انه منهي عنه تنزيها وادبا لورود الحديث بما يدل على رعاية الادب في اللفظ وترك ما يوهم خلافه
بالاتفاق واطلق لفظ الجواز اعتمادا على تصريح الخطابي وغيره ولا دليل في الآية لما يجي والاحتمال
الجواز بالتبعية ثم تشكل هذا بقوله تعالى كل آمن بالله وملايكته وكتبه ورسله ومن كان عدوا لله وملايكته
وان اشكر لي ولوالديك ومثله في الحديث الا ان يقال انه لبيان الجواز وهو من الشارع بالفعل اولى واقوى
وان يختص النبي بالآية والله يفعل ما يريد كما ذكره القرطبي فما معنى الجمع بالضمير وان تكون المواضع المرادة
مختصة او الممنوع جمع الامة معه فلا يرد الاول لان فتامل وقال تلميذه ابن الحنبلي قوله اطيعوا الله واطيعوا

الرسول واولي الامر فيه التشريك بين الطاعتين طاعة الله وطاعة غيره بالواو في حق غير الرسول
لكنه بالتبعية ولذا لم يكرر اطيعوا مرة اخرى كما لم يكرر اللام في حديث الدين النصيحة لله ولرسوله
ولائمة المؤمنين وعامتهم في العامة فاندفع ما مر وقيل كلام الغزالي في الاحيا يدل على انه حرام كما ذكره في
آفات اللسان الا ان الله يعفو عن العوام مثله ونقل كلامه واطال بما هذا محصله وسياتي تحقيق هذا تماما
في شرح الحديث بما يثلج الصدر ان شاء الله تعالى ۰ **حدثنا الشيخ ابو علي الحسين بن محمد الجياني الحافظ فيما اجازنيه
وقراته على الثقة عنه** الشيخ من طعن في السن ثم شاع في كل من تصدر لافادة العلوم وابو علي الحسين بن محمد بن
احمد الغساني الجياني بفتح الجيم وتشديد التحتية والف ونون يليها يا النسبة الى جيان وهي بلدة بالاندلس
ولد في المحرم سنة سبع وعشرين واربعماية وحمل عن ابن عبد البر وغيره من الايمة وروى عنه ابن الحكم وابن
سكرة وزهرة وخلوج وتوفي في ليلة الجمعة لاثنتي عشر خلت من شعبان سنة ثمان وتسعين واربعماية
ولم يخرج من الاندلس ۰ وقوله قراته على الثقة الثقة كعدة مصدر وثق به ومنه اذا ائتمنه واستوثق احكم
ثم تجوز بالمصدر عن المؤتمن على الحديث وغيره وشاع حتى صار حقيقة ولم يعين المصنف من اراد قال البرهان
ولا اعرفه وكانه ابن سكرة وقد تقدمت ترجمته وقوله اجازنيه يعني انه روى عنه بالاجازة وان كان
يمكنه السماع منه فذكر ان روايته عنه بواسطة قال السيد وتوثيق مثل المصنف لشخص يخرجه عن حكم المجهول
وابهام التعديل فيه خلاف في كتب المصطلح فمنهم من قبله بناء على الاحتجاج بالمرسل ومنهم من قال لا يكتفى
به ومنهم من فرق بين تعديل العالم وغيره كقول مالك اخبرني الثقة وكذا يقول الشافعي وقيل يقبل ممن
عرف انه اذا اطلق يعني به معينا ۰ والاجازة ان يقول اجزتك ان تروي عني كذا او جميع مروياتي وفي
تصحيح لفظها كلام في ابن الصلاح فيه كلام كتبناه في حواشيه ليس هذا محله وهي مقبولة ولا عبرة بقول
ابي طاهر الدباس انها لا تقبل نعم هي انزل من غيرها وانما قدمها المصنف لعلو سنده فيها على السماع الذي بعدها
وان كان منها **حدثنا ابو عمر النمري** هو العلامة الحافظ ابن عبد البر وقد تقدمت ترجمته **حدثنا ابو محمد
بن عبد المؤمن** هو عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن احد شيوخ ابن عبد البر تقدم ذكره ايضا وكذا ابو بكر بن
دارة تقدم **ابو داود السجزي** وهو سليمان ابن الاشعث صاحب السنن وسيد الحفاظ كما تقدم والسجزي
بكسر السين المهملة يليها جيم ساكنة وزاي معجمة منسوب الى سجستان على خلاف القياس وقيل انه منسوب
الى سجز وهو اسم او بلدة منها كما قال في جامع الاصول وهو الاشبه وهو اقليم بقرب خراسان **حدثنا ابو الوليد
الطيالسي حدثنا شعبة عن منصور عن عبد الله بن يسار عن حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم**
الطيالسي هو هشام بن عبد الملك الحافظ روى عنه حذيفة وقال احمد انه كان في عصره شيخ
الاسلام واخرج له اصحاب السنن توفي سنة سبع وعشرين ومايتين وله اربع وتسعون
كما في الميزان واما عبد الله بن يسار بمثناة تحتية ثم سين مهملة الجهني الكوفي ثقة اخرج
لمصدر ثبت وهم عبد الله بن يسار وكنيته ابو همام لكن قال الحافظ البرهان لم ار لواحد منهما رواية
حذيفة في الكتب الستة واما خارجها فلا ادري وليس في الكتب الستة احد يقال له عبد الله
بن بشار بالموحدة والشين المعجمة انتهى وهذا الحديث حسن روي من طرق كثيرة واما حذيفة
فترجمته مسطورة مشهورة فلا حاجة لذكرها وشعبة هو ابن الحجاج بن الورد الحافظ امير المؤمنين
في الحديث كما قاله ابن الجوزي وممن يقال له هذا اللقب سفيان الثوري **قال لا يقولن احدكم
ما شاء الله وشاء فلان ولكن ما شاء الله ثم شاء فلان** قال التلمساني وقع في نسخة
باثبات ما بعد ثم اي ثم ما شاء وعليه صحح وفي الطرة ثم شاء بدون ما وهو كذا بدون
خط القاضي وهذا هو الاشهر وهو المروي في شرح مسلم للنووي وهذا النهي تنزيهي

لرعاية الادب بترك العطف بالواو الموهمة للتساوي كما سياتي بخلاف ثم الدالة على البعد رتبة
وزمانا وفي شرح الجياني انما جا النهي عن التشريك في المشية بين الله وغيره لايهامه ان مشية الله موقوفة
على مشية غيره تعالى عن ذلك فاذا اخلصت المشية لله جاز ان يعلق الفعل على مشية غيره مجازا بثم التي
للتراخي وعطف مشية العبد على مشية الله على ان تكونا موصولة او عطف العبد على مشية الله على ان
تكون مصدرية وعلى الوجهين الخبر محذوف اي كاين او كاينة انتهى • ثم انه قيل ان هذا وان لم يكن فيه عطف
غير اسم الله على اسمه فيه التنفير كما يوهم سوء الادب لفظا واستنباطه مما ذكر على ان قوله ما شاء الله وفلان
هو شامل لما شاء الله ومحمد ويعضده ما ورد في الحديث عن الطفيل انه راى ناسا من اليهود والنصارى فقالوا
له نعم القوم انتم لولا قولكم ما شاء الله وشاء محمد وفي رواية انه قال له انكم تشركون ولا تشعرون واخبر به
النبي عم فقام خطيبا ونهى عن ذلك وسوغ ان يقال ما شاء الله وحده ثم محمد وقول المص لا يجوز هذا الجمع
في غير حقه لا يوجب جوازه في حقه في الاماكن كلها وانما يدل على جواز الجمع بين الاسمين والطاعتين ⊙
وقد صرح بعضهم بكراهة هذا اعوذ بالله بك ولولا الله وفلان انتهى • ثم ان هذا الحديث روي بلفظ آخر وهو
لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد بل قولوا ما شاء الله ثم شئت قال العلامة الطوفي في كتاب الذال هذا تنبيه
على تراخي رتبة المخلوق عن الخالق والواو يفيد الجمع والتشريك بلا ترتيب فان قيل قد اقرهم على قولهم
الله ورسوله اعلم ولم يامرهم ان يقولوا ثم رسوله اجيب بان ما شاء الله وشئت تسوية بينهما في اصل المشية
وفوقها لفظا ولا كذلك الله ورسوله اعلم فان اعلميته بالنسبة اليهم حق وبين الله ورسوله اشتراك في اصل
الاعلمية لان الله اعلم من الرسول ومن كل احد والرسول اعلم من غيره من الصحابة وغيرهم ولانه تعالى صرح بتبعية
الخلق له في المشية بقوله وما تشاؤون الا ان يشاء الله وفيه نظر لان علم الخلق يتاخر عن علمه ثم ايضا بقي
في هذا المقام كلام سنذكره بعد شرح الحديث الآتي **قال الخطابي** بالمعجمة والتشديد والموحدة وهو ابو
سليمان حمد بفتح الحا وسكون الميم وقيل احمد بن محمد بن ابراهيم البستي المعروف بالخطابي قيل انه نسبة الى زيد
بن الخطاب بن نفيل العدوي اخي امير المومنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال الذهبي لم يثبت هذا وكان
راسا في سائر العلوم لاسيما الحديث والفقه والادب شافعي المذهب اخذ العلوم عن كثير بن كالقفال ⊙
واللغة عن ابي عمرو الزاهد وصنف التصانيف الجليلة المشهورة منها معالم السنن وغريب الحديث وشرح
اسما الله الحسنى وغير ذلك وله شعر حسن توفي ببست سنة ثمان وثمانين وثلثمائة **ارشدهم صلى الله عليه
وسلم الى الادب في تقديم مشية الله على مشية من سواه** ارشده دله وهداه لما فيه من الرشاد والصلاح
وفي المصباح عن ابي زيد يقال ارشده الله وله وعليه والادب رياضة النفس ومحاسن الاخلاق وفعله
ادبته وادبته ومنه ادبته تاديبا اذا عاقبته على اساءته لانه يدعو الى حقيقة الادب اي دلهم على رعاية الادب
في كلامهم هذا واما الادب المعروف بين الناس ومنه العلوم الادبية فاصطلاح لم يرد في كلام العرب العربا
والمشية الارادة وفرق الحنفية بينهما كما فصلوه في الاصل والفرع لكنهما متقاربان معنى وليس هذا محل
تحقيقه وقال ابن عطا الله الادب الوقوف مع المستحسنات **واختارها بثم التي هي للنسق والتراخي
بخلاف الواو التي هي للاشتراك** ضمير اختارها لمطلق المشية او لمشية الله او لمشية من سواه اي
اختار المشية متلبسة بثم على المشية بالواو وليس هذا من باب الحذف والايصال واصله اختار لها كقوله عز
وجل واختار موسى قومه سبعين رجلا فانه لا داعي له هنا اي ارشدهم الى ان يراعوا الادب في هذا بتقديم
مشية الله وتاخير مشية غيره معطوفة بثم والنسق العطف باحد الحروف والمشورة من نسقه اذا ضمه والتراخي
تفاعل من الرخا واصل معناه الاتساع ومنه تراخى الامر تراخيا امتد زمانه وفي الامر تراخ اي فسحة كما في
المصباح والواو لمطلق الجمع والاشتراك في الحكم ونحوه من غير دلالة على ترتيب ولا منافية في الواقع ايضا

فليس في ذكرها رعاية الادب والدلالة على عدم المساواة بل ربما يوهم خلافه لاسيما اذا لوحظ رتبة
عن ثم اليها فاندفع ما قيل من ان الواو لمطلق الجمع لا للمساواة الدالة على ترك الادب وما ذكره المصنف
هو الصحيح عند النحاة وقد انكر الفراء دلالة ثم على التراخي وقال بعضهم ان الواو تفيد الترتيب والترتيب
يكون حقيقيا ورتبيا وذكريا ولابن عبد السلام كلام فيه في كتاب المجاز كفانا ترك المص له مؤنة ذكره
وهذا الحديث اخرجه ابو داود والنسائي وغيره وهو حديث صحيح ثم انه قيل هنا ان المنع في الحديث ان كان
لاجل الجمع بين الله وغيره في حكم بالواو والاشتراك به ظاهر وان كان الامر في المشيتين فهو يدل على
النهي عما يوهم خلاف الحق وترك الادب فيفيد مدعى المص استنباطا فلا يرد عليه ان المنع في هذا الحديث
انما هو لاجل ان مشية العبد متاخرة عن مشية الله لا للعطف والجمع وايضا في الكلام ايهام توقف
مشية الله على مشية العبد فمنع لهذا لانه على التقديرين يفيد مدعاه ايضا كما مر ثم ان كلام المصنف
يقتضي انه لا يمنع الجمع بين مشية الله ورسوله بالواو وينافيه ما رواه البيهقي في حديث طويل
لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد فان صح خص بما ذكره المص من الطاعة والايمان ونحوه مما لم يرد فيه نهي
فايدة في بعض الشروح ان قوله صلى الله عليه وسلم ما شاء الله كان وما لم يشا لم يكن اذا ضم لقوله
وما تشاؤون الا ان يشاء الله انتج ما تشاؤون كاين لا محالة وهو خلف لتخلف كثير من مشيتهم واجيب
بان المعنى ما تشاؤون شيا كاينا الا ان يشاء الله كينونته **ومثله الحديث الآخر** اي هو مثله في ⊙
التنبيه عما يوهم من العبارة وهو حديث صحيح في حديث مسلم وسنن ابي داود مسندا **ان خطيبا خطب
عند النبي صلى الله عليه وسلم** هذا الخطيب هو عدي بن حاتم كما قاله الطوفي وقال البرهان الحلبي
لا اعرف اسمه وقال بعض الحفاظ انه ثابت بن قيس بن شماس وهو خطيب الانصار الصحابي الانصاري
الذي شهد له رسول الله بالجنة وان في عبارة المص مفتوحة ويجوز كسرها على الحكاية والخطيب
مصدر خطب ويطلق على الكلام نفسه وهي معروفة وكان خطب قومه عند النبي صلى الله عليه وسلم
على عادة العرب في الخطبة للامور المهمة وللنكاح قاعدا وقايما وكذا كان النبي صلى الله عليه وسلم
يخطب للامور ثم حدث المنبر بعد الهجرة **فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد** قال في المصباح
الرشد الصلاح وهو خلاف الغي والضلال ورشد رشدا من باب تعب ورشد يرشد من باب نقل فهو
راشد والاسم الرشاد ويتعدى بالهمزة انتهى وقد قال مثله غيره من اهل اللغة فشين رشد مفتوحة
في الحديث وهو المشهور رواية ويجوز كسرها ودوي من باب علم ايضا ومن الغريب ما حكاه السبكي
في طبقاته ان شهاب الدين بن المرحل قرا على الحافظ المزي رشد بكسر الشين فرد عليه وقال له
قال الله لعلهم يرشدون فقال له ابن المرحل وكذلك قال فاولئك تحروا رشدا فسكت يعني الحافظ
ان يفعل المضموم مضارع فعل مفتوحا او مضموما والثاني غير محتمل فتعين الاول فاجابه بان مصدره
ورد على فعل بالتحريك وهو مصدر فعل المكسور قال ابن هشام والذي في كتاب سيبويه رشد كسخط
فجاء السماع على وفق قياس ابن المرحل فلله دره قال السبكي ولا وجه للقياس مع الرواية فان المروي في
الحديث المشهور في اللغة انتهى وكذا نقله السيوطي في شرح سنن ابي داود واذا جاء نهر الله بطل نهر معقل
ومن يعصهما قيل اثر المص رواية الوقف على يعصهما ليظهر منشا القول بان المنع للوقوف وان لم يرض به
كما سنراه وقد خفي هذا على المعلقين انتهى • قلت يخفى وقد ذكره الدلجي فلا ينبغي مثله من مثله **فقد
غوى** في النهاية غوى يغوي من باب ضرب والغي والغواية الضلال والانهماك في الباطل وفي شرح
سنن ابي داود غوى روي بفتح الواو وكسرها قال عياض والصواب الفتح انتهى فقال له النبي صلى الله
عليه وسلم بيس خطيب القوم انت قم او قال اذهب وفي سنن ابي داود قم اذهب بيس خطيب القوم انت

فان لم تتعدد القصة فبعضها رواية بالمعنى الا ان قوله او قال يقتضي شك الراوي ويحتمل انه اختلاف في الرواية ان كان القائل غير الراوي الاول وهو معطوف على مقدر مثله او هو معطوف على الاول ولم يكتف بقوله بيس الخ حتى زاد طرده للزجر تنبيها على ان من لا ادب له لا يصلح لصحبته ٩ والتكلم بحضرته والمراد بقم ايضا اذهب من مجلسي كما قال ٥

كانت اذا ابصرت في القوم محتشما • في الحال قالت له قم غير مطرود

واما على الرواية الاخرى فاذهب بدل من قم مفسر له او باسقاط العاطف اي قم واذهب وبيس مستوف لجميع الذم كاستيفا نعم لجميع المدح وقم لما كان المراد به الطرد كما عرفته لم يقتض كونه قاعدا وهذه الخطبة يخطبها القاعد والقائم كخطبة النكاح فمن قال لعله كان يخطب قاعدا ولعلها لم تكن خطبة مشروعة كالجمعة فانها يجب فيها القيام لغير عاجز بل خطبة نصيحة ومفاخرة على عادتهم فقد اخطا في فهم المراد وكيف يتوهم ان يخطب الجمعة غيره بحضرته قال ابو سليمان وهو الخطابي كره اي النبي صلى الله عليه وسلم منه الجمع بين الاسمين بحرف الكناية اي كره ان يعبر عنهما بضمير واحد ففيه مضاف مقدر اي بين مسمى الاسمين بكلمة واحدة وهي ضمير التثنية في قوله يعصهما والحرف له معان منها الوجه والكلمة المخصوصة عند النحاة ومطلق الكلمة والطريقة قال الازهري في التهذيب كل كلمة تقرا على وجوه من القرآن تسمى حرفا فيقال هذا حرف ابن مسعود اي الكلمة التي قراها اي قراءته ومنه الحديث انزل القرآن على سبعة احرف في احد الاقوال وللناس فيه كلام كثير حتى افرد بالتاليف واما مجي الكناية بمعنى الضمير فاصطلاح كما في الكشاف في اول سورة البقرة وقال الرضي الكناية في اللغة والاصطلاح اي يعبر عن معين لفظا كان او معنى بلفظ غير صريح في الدلالة عليه اما للابهام على السامع كجاني فلان ٣ و للاختصار كالضماير الراجعة الى متقدم انتهى فحرف الكناية بمعنى وجه الكناية او طريقة الكناية او كلمتها وهي الضمير وهذا مما لا شبهة فيه وان نوقش في الاختصار بان بعض الضماير اطول من بعض الظواهر كزيد واباه فقيل بانه اغلبي وعدا عنه الشريف في شرح الكشاف وعلله بدفع التكرار والامر فيه سهل فمن قال هنا حرف الكناية آلته وهي ضمير الغايب ان اراد معناهما من ضمير واحد والحرف لغوي افرد لارادة الجنس او لشرق الاتصال او لانه آلتها وقال الرضي الكناية غير الصريح لدلالته على المعنى بواسطة المرجع ولا يخفى ان انا وانت فيهما تصريح بالمراد وقال التلمساني الضمير مطلقا يسمى كناية من الكن وهو الستر انتهى • فقبيح في غير جزم لانه كيف يعد صريحا وهو صادق على كل متكلم ومخاطب وانما يدل صريحا بواسطة حضور معناه ٩ والعجب ممن نقل اطلاق الحرف على الكلمة عن حواشي الشمسية للعمادي وممن سنه وقال انه اصطلاح منطقي ٥ وفي الشرح الجديد الكراهة هنا تنزيهية وكلام الاحيا يقتضي انها تحريمية وفيه ان ثابتا كان خطيب النبي كما كان حسان شاعره ولما قدم وفد تميم وقام خطيبهم فخطب وافتخر قام ثابت فخطب بكلام جزل وهو من كبار الصحابة الانصار شهد المشاهد وبشره النبي بالجنة كما ورد في الحديث فكيف يقال له بيس انت واجاب عنه بانه لا ينافي زجره لخطابه بمخالفة الادب لا سيما وقد ورد في الحديث الصحيح انه قال شارطت ربي فقلت اللهم انما انا بشر فاي المسلمين لعنته او سببته او آذيته او شتمته فاجعله له زكاة واجرا ورحمة وفي رواية اجعله له كفارة يوم القيمة وفي رواية ابي داود في السنن بدل قوله فقد غوى فانه لا يضر الا نفسه لما فيه من التسوية وذهب غيره الى انه انما كره له الوقوف على يعصهما وقول ابي سليمان اصح لما روي في الحديث الصحيح انه قال ومن يعصهما فقد غوى ولم يذكر الوقوف على يعصهما قال العلائي في كتاب الاصول المفيدة قيل في الجمع بين هذه الاحاديث وجوه منها ان هذا خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم فانه يعطي مقام الربوبية حقه ولا يتوهم فيه تسوية له بما عداه اصلا بخلاف غيره من الامة فانه مظنة التسوية عند الاطلاق والجمع في الضمان بين الله

وغيره فلذا اجاز الجمع بينهما في كلام النبي صلى الله عليه وسلم في قوله من كان الله ورسوله احب اليه مما سواهما وغير ذلك وامر النبي الخطيب بالافراد لئلا يوهم كلامه التسوية والمخاطب الوفد الذين قرب عهدهم بالاسلام ومثله قوله لا تقولوا ما شا الله وشئت الخ ويعلم منه ما في كلام الله بالطريق الاولى ويرد عليه حديث ابن مسعود الذي علم فيه الامة ما يقولوه عند الحاجة فان فيه ومن يعصهما فيدل على عدم الخصوصية الا ان يقال يوخذ من مجموع الحديثين انهم يقولون في خطب الحاجة ومن يعص الله ورسوله ولا يجمع بينهما وفيه نظر ومنها ان النبي صلى الله عليه وسلم حيث انكر على ذلك الخطيب كان هناك من يتوهم منه التسوية بين المقامين عند الجمع في الضمير ولعل هذا اقرب مما قبله ومنها ان ذلك الجمع لم يكن على وجه التحتم بل على وجه الندب والارشاد الى الاولى الما في افراد اسم الله عز وجل من التعظيم بدليل انه ورد خلافه في الاحاديث وهو قريب مما قاله الاصوليون من ان الواو لا تفيد الترتيب ومنها ان ذلك الانكار كان مختصا بذلك الخطيب لانه فهم منه التسوية فيختص بمن كان حاله كذلك ولعل هذا الجواب هو الاقوى لانها واقعة حال وذلك احتمال الا انه اذا انضم اليه حديث ابي داود الذي علم فيه النبي صلى الله عليه وسلم امته كيفية خطبة الحاجة قوي الاحتمال ومثله قيل في الحديث لا تفضلوني على يونس انتهى اقول في هذا المقام اضطرابات واشكال لان مقصود المصنف ذكر ثناء الله على رسوله وما يدل على رفعة قدره فلما انتهى الى انه رفع ذكره حيث قرنه بذكره وادرج فيه انه قرن طاعته بطاعته بالواو والمشاركة عقبه بحديث النهي عن قوله ما شا الله وشا فلان مويدا به انه لا يجوز العطف بالواو في حق غير النبي بناء على هذه الرواية والنهي عن عطف مشيئته بالواو دون ثم ثم ترقى الى النهي عن جمع اسم الله وغيره في ضمير واحد وهو كلام متجاوب الاطراف بحسب الظاهر سوا قلنا النهي نهي على الصحيح او تحريمي لكن اذا تاملت كلامه وجدته مخالفا لما في نفس الامر فان العطف بالواو على اسم الله لا يختص بالنهي لوروده في حق غيره كثيرا في القرآن والحديث ولا مانع منه عقلا وشرعا والحديث الاول فيه رواية اخرى صحيحة كما مر ما شا الله وشا محمد فلا يكون مويدا له بل مخالفا وجمع الضمير ورد في القرآن والاحاديث كقوله ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما ولما راى الناس هذا مخالفا لما تقرر ذهب بعضهم الى التوفيق وبعضهم الى التلفيق فقال بعضهم انه كان في ابتداء الهجرة ثم نسخ وقيل الخطبة شانها الافصاح وان كلام الرسول جملة واحدة ايقاع الظاهر فيها قليل لغة بخلاف الخطيب وان النبي لو افرد كان معظما وهو اعظم الناس تواضعا وقيل انه ادب شرعي مخصوص بغير كلام الله ورسوله فلا يرد ما في القرآن والحديث وقيل فعله النبي لبيان الجواز واما الحديث الاول فذهب بعض المحققين الى انه مخصوص بالمشيئة لقوله ما شاء الله كان وما لم يشا لم يكن وقوله وما تشاؤن الا ان يشا الله فانه ندب لتعليق الامور بمشيئة الله وحده فلا يجوز تشريك مشية غير الله بمشيئة الله ايضا لانه الذي خلق فيه الدواعي وغاية ما يوجه به كلام المصنف انه مكروه عنده في حق غير النبي اذا كان في كلام غير الله وكلام الرسول لما فيه من الايهام وانه لما ذكره في العطف اتى بالمشيئة وما بعدها استطرادا اذا عرفت هذا فقوله لما فيه من التسوية اي في تثنية الضمير وجمعه تسوية بينهما لانه لفظ واحد متصل لا سيما اذا لوحظ العدول عن العطف الدال على التفاوت بالتقديم والتبعية ولذا قال لا يقل من يعص الله ورسوله وليس في الواو تسوية عند المصنف كما قيل بل تشريك اذ الواو تقتضي التغاير والاستقلال لقيامها مقام تكرار العامل وتقديره معها وقول النحاة العطف بالواو بمعنى الضمير لم يريدوا من جميع الوجوه وقوله ذهب غير الخطابي الى انه كره من الخطيب وقوفه على يعصهما بناء على انه فعل ذلك لعي وسعال ونحوه فيوهم عطفه على فاعل فيكون العاصي راشدا وهو فاسد وقيل المراد بالسكوت سكتة حقيقية بقطع النفس لا قطع الكلام مرة واحدة كما مر وانما سكت اشارة لمحل الذم واكتفاء بالمقصود وتنبيها على جواز الحذف

اوذهولا ونسيانا ولا حاجة لما تكلفه وصرفه عن ظاهره وقوله وقول ابي سليمان اصح اي من القول
بان الانكار عليه لوقفه لا للجمع في الضمير لان قوله له قل ومن يعص الله ورسوله صريح فيه وأما
القول بان الجمع وارد ايضا الخ فقد عرفته وما فيه فلا حاجة للتطويل به واما قوله اصح دون وهو الصحيح
لان عدم ذكره الوقوف والرد عليه بما مر والرد عليه بما ذكر لا ينفيه لاسيما مع احتمال تعدد القضية
وقد اختلف المفسرون واصحاب المعاني قال بعض الشراح لم يرد بعلم المعاني هنا علم البلاغة المشهور
بل اراد من لهم زيادة اختصاص بالبحث عن معاني الكتاب والسنة غير المفسرين بقرينة المقابلة وجواز ان
يراد المعنى المعروف لما فيه من المجاز الذي هو من مباحثه كما سيأتي **في قوله تعالى ان الله وملائكته
يصلون على النبي هل** واو **يصلون راجعة على الله تعالى والملائكة ام لا** وفي نسخة وعلى ملائكته
ورجع يتعدى بعلى والى والمراد بالرجوع والعود ارادتهما منه بقرينة ما قبله وهو معروف غني عن
الشرح وهل هنا بمعنى الهمزة فلهذا عادلتها ام كما ورد في الحديث هل تزوجت بكرا ام ثيبا والكلام عليه
مبسوط في محله وقوله في قوله متعلق باختلف والتقدير المشهور في امثاله اختلف في جواب هل الخ
اذ الاختلاف في الاستفهام وانما الخلاف في الرجوع وعدمه فصل الضمير عايد على الله والملائكة ام على
الملائكة فقط وخبر الجلالة محذوف اي ان الله وملائكته يصلون **فاجازه** اي الرجوع اليهما **بعضهم
ومنعه آخرون لعلة التشريك** اي للزوم التشريك بين الله والملائكة والتسوية بينهما في عبارة واحدة
وهو ضمير الواو وان كان معنى الصلاة في حقهما واحدا لما مر من انه ممنوع لما فيه من عدم رعاية التعظيم
الدال على التفريق بالتقديم او بفسد على ما فيه فان كان هذا التعليل نقل من هنا البعض من منع فلا كلام فيه
والمص ثقة واجل من ان يكون لم يفهم مرادهم فسقط ما في بعض الشروح من انه لم ينقله احد سواه والمنع له
علة اخرى مذكورة في كتب اصول الفقه وهي لزوم استعمال اللفظ المشترك في معنييه او الجمع بين
الحقيقة والمجاز فانهم قالوا الصلاة من الله رحمة ومن الملائكة استغفار ومن الآدميين تضرع ودعا
فان كانت هذه معان حقيقية لزم الاول والا بان يكون في واحد منها حقيقة وفي غيره مجاز لزم الثاني
واجيب بانه على تسليم صحة النقل من عموم المجاز وهو استعماله في معنى عام مجازي شامل لهما على الاحتمالين
او من عموم المشترك فلا يلزم ما ادعاه المجوزون الذين استدلوا بهذه الآية وبان المنع على ما ادعاه المص
انما هو من غير الله ورسوله في مقام توهم تسوية الله بغيره لانه حق لهما يفعل الله فيه ما يشا ويجلعه على
من يشا وهو لا يسئل عما يفعل كما مر تحقيقه وقد صرح به القرطبي في تفسيره هنا وفي تفسير القاضي
لقوله تعالى هو الذي يصلي عليكم وملائكته يصلي عليكم بالرحمة وملائكته بالاستغفار لكم والاهتمام بما يصلحكم
والمراد بالصلاة المعنى المشترك وهو العناية بصلاح امركم وظهور شرفكم مستعار من الصلاة بمعنى
الدعا وقيل الترحم والانعطاف المعنوي ماخوذ من الصلاة المشتملة على الانعطاف الصوري **واعلم**
ان في تفسير الصلاة السابق كلام لنا فيه رسالة مستقلة وليس هذا محله فحسبك من القلادة ما احاط
بالجيد **وخصوا الضمير بالملائكة وقدروا الآية ان الله يصلي وملائكته يصلون** اي من
ذهب الى ان العلة التشريك ولم يجوزه مطلقا خص الضمير بالملائكة وقدر في الاول خبرا فالتقدير عنده
ان الله يصلي وملائكته فحذف من الاول ما يدل على الثاني على عكس المشهور في الحذف والتقدير ولكن مثله
جائز بان قرئ بنصب ملائكته عطفا على اسم ان فاذا رفع تعين كونه كذلك وعلته عند المص الهرب
من التشريك وعند غيره ما مر وكون الحذف من الاول لدلالة الثاني عليه ضعيفا غير مسلم من انه قيل عليه ايضا
انه على هذا التقدير وان اندفع التشريك لم يندفع ايهامه بحسب الظاهر من اللفظ **روي عن عمر انه قال من
فضيلتك عنده ان جعل طاعتك طاعته فقال من يطع الرسول فقد اطاع الله** من فضيلتك

خبر مقدم وعنده متعلق به وان جعل مبتدا مؤخر والعكس يجعل من التبعيضية لكونها بمعنى بعض مبتدا
آخر والسياج من غير احتياج وان ذكره بعضهم في قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا وهذا الحديث قال
المخرجون انهم لم يجدوه في شيء من كتب الحديث وان ورد ما هو بمعناه في صحيح البخاري عن ابي هريرة
من اطاعني فقد اطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن اطاع اميري فقد اطاعني ومن عصا اميري
فقد عصاني **وقد قال الله قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله الآيتين** هذا يحتمل ان يكون
استئنافا من المص ويحتمل ان يكون من كلام عمر ايضا وهو المقصود بالذكر هنا وانما نقل اول كلامه ليكون
مذكورا بتمامه فلا يرد عليه ما قيل من انه قد سبق بلفظه فلا فائدة فيه غير الاطالة وقيل انه لا تكرار فيه على
كلا التقديرين لاختلاف المقامين فانه اولا ذكر اقتران اسمه باسمه وطاعته بطاعته لرفع ذكره واعلاء
قدره وذكره هنا لان الله عظمه مع تادبه مع ربه فجعل طاعته نفس طاعته ولا يخفى انه لا يحصل له نعم لك
ان تقول انما نحن فيه ابلغ مما مر فيكون ترقيا في مدحه لا قتران شيء بشيء دون كونه عينه بحيث لا يمكن
انفكاك احدهما عن الآخر وان من عصى النبي عصى الله فان قلت هذا مراده فمرحبا بالوفاق وعلى كل حال
فليس في ذكره هنا مع ما مر كثير فائدة فلو اقتصر على احدهما حصل المراد وقال القاضي في تفسيره المحبة
ميل النفس الى الشيء لكمال ادرك فيه بحيث يحملها على ما يقربها اليه والكمال الحقيقي ليس الا لله عز وجل
فان ما يراه كمالا من نفسه او غيره فهو من الله وبالله والى الله فلا ينبغي المحبة الا لله وفي الله وذلك يقتضي
ارادة طاعته والرغبة فيما يقربه له فلذا فسرت المحبة بارادة الطاعة وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول
ومطاوعته وبهذا علمت وجه الملازمة في الشرطية وقال الامام اتفق المتكلمون على ان المحبة نوع من
انواع الارادة وان الارادة لا تعلق لها الا بالحوادث والمنافع فيستحيل تعلقها بذاته تعالى وصفاته فاذا
قيل العبد يحب الله فمعناه يحب طاعته وثوابه ونحوه واما محبة الله له فهي عبارة عن ارادة الخير له في
الدارين ونقل الشارح الفاضل ان العارفين قالوا ان العبد يحب الله لذاته واما حبه لشيء آخر فمن رحمة
نازلة والقول الاول ضعيف لانه لا يمكن ان يقال ان كل شيء انما كان محبوبا لشيء آخر اذ لا بد من الانتهاء الى شيء
يكون محبوبا لذاته فمن سمع اخبار رستم في شجاعته مال قلبه اليه مع القطع بان محبته معصية فعلمنا ان الكمال
محبوب لذاته واكمل الكمال لله فيقتضي انه محبوب لذاته واكمل الكمال لله فيقتضي انه محبوب من ذاته لذاته
وقيل المراد هنا ان صدقتم في دعوى المحبة فاتبعوني فان اتباعي علامة ذلك فاذا اتبعتموني يزيدكم الله
فضلا فيحبكم فتتم الملازمة وهي امر اعتباري اي انما نعتبر محبتكم باتباعي او هي قضية اتفاقية او بولكي
قضية ضرورية عرفية **اقول** محصل ما قالوه وفي الشرح الجديد هنا كلام طويل من غير طائل والحق
الحقيق بالقبول ان المص قصد بعد ما ذكر ان الله رفع ذكره وطاعته بجعلهما قرينتي ذكره وطاعته ان يبين
ان طاعته تقتضي محبة الله ورضوانه الذي هو اكبر من جميع ما مر لان محبة الله واجبة اذ بها يكمل الايمان
فانه لا يؤمن احد حتى يكون الله احب اليه من نفسه وحبه لا يكون الا بطاعته ان المحب لمن يحب مطيع وطاعته
انما تكون بطاعة رسوله لانه اعظم مامور به لقوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول وطاعة الرسول اتباعه
في اوامره ونواهيه فاذا كان هذا تحقق محبة الله ومن احب الله احبه كما قيل

لا وحق الخضوع عند التلاقي • ما جزا من يحب الا يحب •

وبهذا علمت ان ذكر آية الطاعة امر لازم هنا ليتم الدليل على انه صلى الله عليه وسلم احب الخلق الى الله
لانه يحب من اتبعه فادعاء التكرار من قصور الانظار وما بعده من فتق الديباج وترقيعه بالخيش وبهذا
عرفت محبة الله لعبده ومحبة عبده له **وروي** رواه ابن الجوزي عن ابن عباس وابن المنذر عن مجاهد وقتادة
انه لما نزلت هذه الآية قالوا اي الكفار او المنافقون والقائل عبد الله بن ابي بن سلول نزل قوله

منزلة فوقهم كلهم **ان محمدا يريد ان نتخذه حنانا كما اتخذت النصارى عيسى فانزل الله تعالى قل
اطيعوا الله والرسول فقرن طاعته بطاعته رغما لهم** الحنان بفتح الحاء بعدها نون مخففة يليها
الف ونون ومعناه الرحمة والعطف ومنه قوله وحنانا من لدنا وقال ابن عباس لا ادري ما الحنان وفي
النهاية ان ورقة مر ببلال وهو يعذب فقال والله لئن قتلتموه لاتخذنه حنانا والحنان الرحمة والعطف
والرزق والبركة اي لاجعلن قبره موضع حنان اي مظنة رحمة وبركة فاتمسح به كما يتمسح بقبور الصالحين
الذين قتلوا في سبيل الله من الامم الماضية والمعنى على هذا هنا ان محمدا يريد ان يجعلنا نتبرك به ونخضع
له خضوعا يؤدي لعبادته كما عبدت النصارى عيسى بن مريم لان محبة الله بالاطاعة والخضوع له بالعبادة
وقد جعل اتباعه تتوقف عليه محبة الله قيل وفيما ذكره صاحب النهاية نظر لان بلالا انما عذب بعد
ما اسلم وورقة مات قبل البعثة وفيه تامل فان قيل ان القائل زيد بن عمرو بن نفيل واما قول
المعترض ان ورقة اسلم قبل البعث فليس بصحيح لما في البخاري مما يخالفه وما في النهاية ذكره ابن اسحاق
في السيرة وايده ابن حجر بما في البخاري وانما الذي لم يدرك البعثة زيد المذكور • والنصارى عند سيبويه
مفرده نصران ومؤنثه نصرانة ولم يستعمل بياء النسب وقال الخليل واحده نصري كمهري ومهارى
وقيل هو منسوب الى نصرة وهي قرية نزلها عيسى وقال قتادة هي ناصرة ولكنه غير في النسب
ونصارى ممنوع من الصرف للالف وهم قوم عيسى وقد افترقوا فرقا بسبب قصة بولس المفصلة في
التواريخ وذكرها التلمساني ايضا وعيسى بن مريم بنت عمران بن ماثان قال التلمساني لم يذكر الله في
القران امراة باسمها الا مريم ذكرها في نحو ثلاثين موضعا والحكمة فيه ان الملوك والاشراف لا يذكرون
حرائرهم وحاجاتهم باسمائهن بل يكنون عنهن بالاهل والعيال ونحوه فاذا ذكروا الاماء لم يكنوا ولم
يحتشموا عن التصريح فلما صرح باسمها اشارة الى انها امة من اماء الله وابنها عبد من عبيد الله ردا
على اليهود الذين قالوا في عيسى ومريم ما قالوه وهو كلام حسن جدا • وعيسى ليس بمشتق من العيس
بمعنى البياض لانه اعجمي معرب والاشتقاق يختص بكلام العرب وان كانوا اذا عربوه الحقوه بكلامهم
وتصرفوا فيه فقد يفرضون اشتقاقا لبيان وزنه وحكمه وعيسى عليه الصلاة والسلام رفع
وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة او اربع وهو الاشهر عند المفسرين والمحدثين وقيل ثمانون سنة وقيل
مائة وعشرون سنة كما نقله ابن حجر في الاصابة • واختلف ايضا في مكثه في الدنيا بعد نزوله
من السما فقيل سبع سنين وقيل اربعين وقيل غير ذلك ونزول الاية ردا لما قالوه لامره بطاعته
وتوقيره بما يليق به ففيه تكذيب لهم وتسفيه • ورغما بالراء المهملة والغين المعجمة والميم مثلث الرا
بمعنى تذليل وقهر واكراه واصله من الرغام وهو التراب لان المهان يسحب في الارض على التراب
ثم عم فقيل ارغم الله انفه ورغما عليه اي قهرا او ذلا او غيظا وهو منصوب مفعولا له اي لارادة
ذلك بهم وتحصيله وفيما ذكر من تعظيمه عليه السلام وتذليل عدائه ثم مناسبة لغرض المصنف هنا
وقد اختلف المفسرون في قوله تعالى في ام الكتاب وهي سورة الفاتحة ولها اسامي مذكورة
مبينة لا حاجة لنا بذكرها ووجه هذه التسمية فيه وجوه اشهرها انها سميت به لانها مبدوءة
ومفتتحة فكانها امه او لاشتمالها على مقاصده اجمالا او وجه التسمية لا يلزم اطراده مع ما فيها
من المرجحات وفيه تحقيقات تكفلت بها شروح الكشاف فعليك بها ان اردتها **فقال ابو العالية**
هو اسم مشترك والذي رجحه الشراح انه رفيع بن مهران التابعي الذي اسلم في خلافة الصديق
فانه خرج له الشيخان وله تفسير مات في سنة تسعين على الصحيح وقيل هو زياد بن فيروز البرا
بتشديد الراء المهملة لانه كان يبري النبل وهو ايضا ممن اخرج له الشيخان ومات في تسعين

ايضا وتردد بعضهم في المراد به هنا ورفيع بالتصغير كما قاله النووي في تهذيبه الرياحي
نسب الى امراة من بني رياح اعتقته سائبة فهو مولاها اسلم بعد عامين من موت النبي وروى عنه
اصحاب الكتب الستة ومعنى السائبة ان يعتق ويترك ولاؤه وميراثه طلبا للاجر وهذا مما كان
في الجاهلية ونهي عنه وهذا مما اخرجه ابن جرير وابو حاتم عن ابي العالية عن ابن عباس وصححوه هم
ورواه الحسن البصري كما ذكره المصنف • وتسميتها ام الكتاب وام القران على طريق الاستعارة ماثور
مشهور وان اطلق الاول على غيرها كاللوح المحفوظ والقول بان هذه التسمية مكروهة مما لا يلتفت
اليه وان ذكره بعضهم تكثيرا للسواد قيل وانما صرح المصنف باسم السورة مع ظهوره وكونه على خلاف
عادته فيما يذكره من الايات لما فيه من تعظيم الله له واعتنائه بشانه حيث ذكره في اول كتابه
ومبدا خطابه **الصراط المستقيم هو رسول الله وخيار اهل بيته واصحابه** جملة اهدنا
الدعائية بيان للمعونة المطلوبة والكلام على الهداية وتعديتها ومراتبها مفصلة في حواشينا
على تفسير البيضاوي والصراط جادة الطريق من الصرط وهو الابتلاع ومثله تسميته لقما وقرئ
بالصاد والسين وباشمامها زايا وبها خالصة في رواية ضعيفة وهو يذكر ويؤنث والمراد به
هنا طريق الحق وهو ملة الاسلام او القران او الايمان وتوابعه او الاسلام وشرائعه او السبيل [illegible]
او طريق النبي صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر والنبيين او طريق الجنة او طريق السنة والجماعة
او طريق الخوف والرجا او جسر جهنم وهذا ما عليه اكثر المفسرين قال الامام السبكي ويرد على
بعضها ان المراد بهذا ما بعده من قوله صراط الذين الخ • قلت ليس هذا متفق عليه نعم يرد
على ما ذكره المصنف انه اذا فسر بالنبي واصحابه يصير المعنى اهدنا النبي وصحبه ولا معنى له الا
بتقدير طريق النبي ونحوه وفيه ركاكة لا تخفى ولذا قيل الظاهر على هذا انه شبههم بالطريق
الحق في ايصاله للمطلوب اي اهدنا اياهم لنؤمن بهم ونتبعهم وقيل سمي المرشد للطريق طريقا تسمية
الدال باسم المدلول او المسبب باسم السبب فهو مجاز مرسل كما قيل وفي المعالم حكاية هذا القول بلفظ
طريق رسول الله فهو رواية او اشارة الى حذف مضاف فيه والمستقيم المستوي من غير اعوجاج
والاستقامة تكون حسية ومعنوية وقوله واصحابه يجوز فيه الرفع عطفا على رسول الله او
خيار ورجح هذا المناسباني والجر عطفا على اهل بيته وبه جزم في المقتفى والمعنى خيار اصحابه
والاضافة بيانية هنا وهناك او جميع اصحابه واهل بيته خيار عدول حتى من لابس الفتن منهم
لاجتهادهم وعلى عدالتهم مشى ابن الهمام في تحريره وجزم به العراقي وابن عبد البر وعليه الاكثر وحكي
اجماع اهل السنة والجماعة عليه ويجوز ان تكون الاضافة لامية سواء جعلت الخيرية بمعنى العدالة
ام لا لتفاوت مراتبهم فيها والنعمة لين العيش وخصبه واصلها من النعومة وهمزة انعم للتصيير هي واحد
معاني صيغة افعل وهي نحو اربعة وعشرين معنى **حكاه عنهما ابو الحسن الماوردي** وقد تقدمت
ترجمته وهذا الاثر رواه الحاكم في المستدرك عن ابن عباس وصححه وحكى مكي هو ابو محمد بن ابي طالب
شيخ الصوفية واهل السنة المتبحر في التفسير وغيره من العلوم وله تفسير كبير وكتابه القوت
كتاب جليل توفي بقرطبة سنة سبع وثلاثين واربعمائة واصله من القيروان ولد بها ثم انتقل الى الاندلس
وسكن قرطبة وبها توفي ودفن وقال مكي هو اي الصراط المستقيم في الفاتحة **وحكى مكي عنهما نحوه**
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحباه العطف اما تفسيري فالجملة مبينة للمحكي او هو قول
آخر فللمحكي فيه قولان وليست الجملة مستانفة الا ان يراد انها معطوفة على جملة مستانفة **ابو بكر وعمر**
بدل من صاحباه او عطف بيان وابو بكر افضل الصحابة واسبقهم في الصحبة وهو افضل من طلعت

عليه الشمس بعد النبي باتفاق اهل السنة ولا عبرة بخلاف الشيعة فيه اسلم هو وابوه وابنه وحفدته
وهو الصاحب في الغار وفي السر والجهار ولم يزل ملحوظا بعين الرضا موحدا لم يسجد لصنم قط وقال
ابو الحسن الاشعري لم يزل بعين الرضا منه وقد اختلف في قراره فقيل لم يزل مومنا قبل البعثة وبعدها
وقيل لم يزل بحالة غير مغضوب عليه فيها لعلم الله بانه سيومن ويصير من خلص الابرار وقال السبكي لو
كان كذلك ساواه كثير من الصحابة وهذه الرواية لم تثبت عنه والصواب ان يقال لم يثبت عنه كفر بالله
قلت هذا هو المعنى الاول بعينه والذي اراه ان ضميرمنه للنبي والمراد انه لم يفارقه طرفة عين
ولم يخالفه بنت شفه وبهذا استحق التقدم على غيره وتوفي سنة اربعة عشر وله اربع وستون سنة وعمر
هو ابن الخطاب بن نفيل بن نفيل العزي بن رباح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لوي بن
غالب القرشي ابو حفص امير المؤمنين روى عن رسول الله احاديث كثيرة وروى عنه كثير من الصحابة
والتابعين وقد صنف ابن كثير كتابا مستقلا في ترجمته وسيرته وما روي عنه مات رضي الله عنه سنة
ثلاث وعشرين وعمره ثلاث وستون على المشهور وفضايله غني عن البيان **وحكى ابو الليث السمرقندي**
تقدمت ترجمته **مثله عن ابي العالية** السابق ذكره والمراد بالمماثلة مشاركته في تفسير الصراط بالنبي
واصحابه وان اختلفا في تخصيص الاصحاب وعدمه **في قوله صراط الذين انعمت عليهم** هو بدل مما
قبله او عطف بيان فهو عين الاول وقال السبكي من الغريب ما قيل انه غير الاول فكانه على راي من يجوز
حرف العطف • واختلف هل لله على كافر نعمة فاثبتها المعتزلة ونفاها غيرهم وبناء انعمت للفاعل استعطافا
لقبول الدعا بالهداية وغير وصف عند سيبويه وبدل من الذين عند ابي علي ومن الضمير عند غيره على معنى
انهم جمعوا بين النعمة المطلقة والايمان والسلامة من غضب الله انتهى • فالمراد عند هذا القايل بالذين
انعمت عليهم النبي وخيار اهل بيته وصحبه فهو بدل وهذا التفسير مع ما سبق على الاحتمال والبدل ولا
حاجة الى القول بان ابا العالية عبر القايل بان الصراط النبي فيما سبق لنا فيهما ولا يخفى ان قوله مثله باباه
قال اي ابو الليث **فبلغ** اي سمع هذا التفسير **الحسن** السابق ذكره **فقال صدق والله ونصح** اي صدق
ابو العالية فيما قاله وانه تفسير للاية والقسم لتاكيد صدقه وجزمه بما قاله او غلبة ظنه وقال
بعض المفسرين على ان المنعم عليهم في هذه الاية هم المذكورون في قوله اوليك الذين انعم الله عليهم من
النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وهو قول ابن عباس واذا انظرت لقوله وحسن اوليك
رفيقا وجمعت بينه وبين قوله صراط الذين انعمت عليهم تجده شرحا له لان الطريق وهو محتاج رفيق
وفي الحديث خير الرفقا اربعة يعني قوله من النبيين الخ فانهم اربعة وهذا مما نبه عليه الامام السهيلي
اقول ونحوه من اللطايف ما قاله الحرني تلميذ الفخر الرازي في كتاب له سماه اقاليم التعاليم
ان بسم الله الرحمن الرحيم اشارة الى حقيقته الكاملة التي لا يحيط بها ادراك مدرك وهو الله في الازل
خلق الخلق برحمته ولهذا لا يقال رحمن لغيره ثم بعد الخلق ابقى المخلوق بالرزق ورزقه بالرحمة فهو رحيم
اي رحمه برزق ولذا قيل لغيره رحيم لانه قد يجري الرزق على يد غيره فهو اذن رحمن رحيم خلق ورزق
وتمت نعمته فوجب شكره فلذا قال الحمد لله رب العالمين • ثم انه تعالى في مرة اخرى بعد الموت والفوت
يخلق المكلفين كما كانوا ويرزق في الدنيا والاخرة فهو رحمان رحيم كما كان فلذا قال ثانيا الرحمن الرحيم
باعتبار المعاد الذي هو مالكه فلذا قال مالك يوم الدين فاذا تبين انه الخالق الرازق اولا واخرا
فلا عبادة الا له فقال اياك نعبد ولما كانت نعمه لا تفنى ولا يفي بها الشكر من عباده الضعفا قال
اياك نستعين لتكون العبادة كما يرضى لعباده ويليق بجلاله فاذا عبدناه واعاننا نبغي الوصول اليه
ليحصل الشرف الاقصى بالتولي بين يديه وذلك بسلوك طريق موصل اليه فقال اهدنا الصراط المستقيم

الصراط صح

٦١

ومن اراد سلوك طريق بعيد لا بد له من رفيق فقال **صراط الذين الخ** اي النبيين والصديقين
فهم احسن الرفقا ثم اذا وجد الطريق خيف قطاع الطريق فقال غير الخ فاذا امن منهم خيف الضلال
في الطريق لاشتباه معالمه فقال ولا الضالين انتهى **عن عبد الرحمن بن زيد** بن اسلم المدني وهو
واخرج له اصحاب السنن وتوفي في سنة اثنين وثمانين بعد الماية وفي تفسير الصراط
بالنبي واتباعه من الثناء والتعظيم ما لا يخفى لاسيما ذكره في ام الكتاب الواجب قراءته
في كل صلاة وهو سر ذكر اسم السورة على خلاف عادته كما مر وابو عبد الرحمن السلمي مر ذكره وترجمته
فقد استمسك بالعروة الوثقى محمد صلى الله عليه وسلم اول الاية فمن يكفر بالطاغوت ويومن بالله
فقد الخ والطاغوت ما يعبد من دون الله وقيل الشيطان وفي وزنه واشتقاقه كلام في التفسير
واستمسك مبالغة في التمسك يقال مسك وامسك وتمسك واستمسك بمعنى والعروة في
الاصل النبات الثابت في الارض ويقال لما يعقد في الحبل لتدخل فيه اليد للتمسك ومنه عروة القميص
والكوز ثم استعير لكل ما يعتصم به ويلتجا اليه والوثقى فعلى من الوثاقة وهي الاحكام والشد
الوثيق الربط المحكم الذي لا انفصام له اي لا انقطاع ولا انفصال فاذا اريد بها النبي صلى الله عليه
وسلم فهو استعارة ومجاز على المجاز لشهرة الاول والتحاقه بالحقيقة والمراد من صدق وامن به سلم
من كل سوء في الدنيا والاخرة فهو استعارة تصريحية والاستمساك ترشيح او استعارة تبعية فان
فسرت بالتوحيد والاسلام كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في صحيح البخاري فالمراد ان نفعه
والسلامة بسببه محكمة متصلة في الدارين وصاحبه امين من السقوط والانقطاع • وقوله عن بعضهم
قال بعض الشراح لم يسمه ولم اره ولا وجد لاستبعاد ما ذكر مع صحته وظهور وجه التجوز فيه **وقيل الاسلام**
وقيل شهادة التوحيد اي قال بعضهم هذا معنى العروة الوثقى وهو ظاهر مما مر وشهادة التوحيد قول
اشهد ان لا اله الا الله وقريب منه تفسيره بلا اله الا الله وهي كلمة التوحيد اي الايمان بوحدانية
الله قيل واول هذين القولين الصق بقوله فمن يكفر بالطاغوت ويومن بالله الخ وعليهما ففيه ثناء على
ما جاء به محمد ويلزمه الثناء عليه نفسه والظاهر عند البخاري غيره وان الاية استعارة لعقد لنفسه
عقلا وثيقا لا تزل بعد قدمه ومن شان العرب تشبيه المعاني بالذوات المرئية فشبه في الاية
التمسك بالدين بالتمسك بعروة وثيقة لا تنقطع ونحوه قول السعد في شرح الكشاف شبه التدين
بالدين الحق والثبات على الهدى والايمان بالعروة الوثقى في الحبل المحكم المامون من انقطاعه فذكر
المشبه به واريد المشبه ولا يمتنع كون العروة استعارة للعهد او الكتاب كما في قوله واعتصموا بحبل
الله انتهى • وعلى هذا اقرب من استعارته لذات النبي لا يرد عليه شي مما مر **وقال سهل** هو سهل بن عبد الله
التستري وقد قدمنا ترجمته **في قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها قال نعمته بمحمد صلى**
الله عليه وسلم في هذه الاية بلاغة عظيمة حيث قال نعمة الله ولم يقل نعم الله والنا الموحدة بحسب
الاصل والعد يقتضي الكثرة ولذا قال الحساب الواحد ليس بعدد الا انه قد يعم ويستغرق فتكون الوحدة
نوعية او جنسية فلك ان تقول فيه ايماء الى ان النعمة الواحدة ولو كانت الوحدة حقيقية تشتمل
على نعم لا تحصى فالصحة نعمة واحدة مثلا وهي مشتملة على صحة كل جزء جزء في كل حين ظاهرا وباطنا
فلو اراد احد تفصيلها وفي حواشي المطول للسيرامي المعنى ان شرعوا في عد افراد نعمة من نعم الله لا
يطيقون عدها وانما اتى بان وعدم العد مقطوع به نظرا الى توهم انه يطاق واصل معنى الاحصاء
العد بالحصى وكانت العرب تفعله كما قال الاعشى •

• ولست بالاكثر منهم حصى • وانما العزة للكاثر •

ثم صار حقيقة في العدد مطلقا والمراد هنا الحصر والاستقصا لان ما ليس كذلك لا يعد والا لكان المعنى ان تعدوا نعم الله لا تعدوها والمراد تريدوا عدها • وقوله قال اعادة تاكيد للاول وللفصل بين كلام الله وتفسيره والقايل هو سهل والنعمة تكون بمعنى الانعام والمنعم به فان اريد الاول فالبا للتعدية تقول انعم عليه بكذا ومحمد هو المنعم به لان النعمة العظمى لكونه رحمة لساير الخلق كما وقع في نسخة مروية عن المص نعمته محمد بغير با وان اريد الثاني فالبا سببية فالمعنى نعمته كاينة بسببه او انعامه به وفيه فوايد ومنافع لا تحصى فلا منافاة بين عدم الاحصا وكون المنعم به محمدا صلى الله عليه وسلم فلا وجه لما قيل انه من اعظم النعم والمراد المعنى الاعم المتناول لها بقوله لا تحصوها والا فالنعمة به من اعرف المعارف المعلومة والاحصا انما يكون في المعدود لقوله واحصى كل شي عددا انتهى • واضافة نعمة يجوز ان تكون للعهد والاستغراق لان الاضافة تاتي لما تاتي له اللام كما تقرر في الاصول فعدم الاحصا لها او لما يترتب عليها **وقال تعالى والذي جاء بالصدق الاية اكثر المفسرين على ان الذي جاء بالصدق هو محمد عليه السلام** وفي المراد بالذي هنا تفاسير منها انه محمد وعليه اكثر المفسرين وهو في غاية الوضوح واقتصر عليه المص لمناسبته لما عقد له الفصل من المدح والثناء عليه بانه صادق مصدق وقيل هو جبريل وقيل انه مفرد لفظا جمع معنى لان تقديره الفريق او الجنس الذي بعضه جا بالصدق الذي هو لا اله الا الله او القرآن فاوليك هم المتقون مبني على ان المراد هو ومن تبعه كما في قوله تع ولقد اتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون او بتنزيل الواحد منزلة الجماعة تعظيما له قال التفتازاني الاوجه ان يراد بالثاني النبي والامة واوليك على ظاهره وفيه نظر واختلف في تفسير الذي صدق به كما اشار اليه المص بقوله **وقال بعضهم وهو** اي محمد **الذي صدق به** المراد بالبعض ابن عباس لانهم نقلوا هذا التفسير عنه ومعنى صدق به آمن به كما في الكشاف وفي المعالم معناه صدق الرسول به اي بلغه الى الخلق وقال البيضاوي صدق به الناس فاداه اليهم كما نزل او صار صادقا بسببه لانه معجز يدل على صدقه انتهى وقيل في هذا خفاء الا ان يقال معناه جعل الخلق مصدقا به وهو بالتبليغ فليتامل وقيل ضمير به للصدق فيتناول الرسول والمومنين والذي مبتدا خبره اوليك وهذه الايات قد دلت على انه صلى الله عليه وسلم جا من عند ربه بصدق دلت معجزاته على صدقه قطعا وانه صدق جبريل فيما اتاه به ووصفه بانه متق وحصر التقوى فيه لان المراد بها تقوى كاملة لا تتيسر لغيره والحصر من تعريف الطرفين وفيه مدح عظيم له واعلم ان الذي قد ياتي بمعنى الذين ويغني عنه في غير تخصيص كثيرا اذا اريد به الجنس لا افراد مشخصة بخصوصه فلفظه مفرد ومعناه جمع لتقدير موصوف له مفرد اللفظ مجموع كالفريق ونحوه مما مر وفي شرح التسهيل التقدير في هذه الاية الجمع او الفريق الذي جاء الى اخره فله جهتان بحسب اللفظ والمعنى روعي اللفظ فوصف بالمفرد وروعي المعنى فعاد عليه ضمير الجماعة كقوله كمثل الذي استوقد نارا وليس الذي اصله الذين فخفف بحذف النون كما جوزه بعض النحاة لانه لو كان لم يجز افراد عايده فان اريد بالموصول جماعة معينة لم يجز افراده الا نادرا للضرورة كقوله ع

• وان الذي حانت بفلج دماوهم • هم القوم كل القوم يا ام خالد •

قاله ابن مالك في شرح التسهيل وقرئ في الشواذ والقاري هو عكرمة وابو صالح **وصدق علي [illegible]** قال في المصباح صدق خلاف كذب وصدقته يتعدى ولا يتعدى وصدقته بالتثقيل نسبته الى الصدق وقلت له صدقت انتهى والصدق يكون في الافعال ايضا فيقال لحملة حملة صادقة كما قال الراغب اي اخبر عن الله بما هو صحيح نسبته الى الله مطابق لما في الواقع وهو ايضا معتقد مصدق به فانه قد يقول

انسان

انسان امرا واقعا لا يعتقده كقول الدهري العالم حادث او وجد الله او المراد انه صدق في الوحي كما انزل اليه وقيل المعنى انه صادق بسببه لكونه معجزة له فسقط ما قيل من انه مكرر مع قوله الذي جا بالصدق والتاسيس اولى من التاكيد مع ما فيه من الخطا وترك لان القراءة لا يعترض عليها ولو كانت شاذة **وقال غيرهم** وفي نسخة قال غيره والافراد نظرا لافراد لفظ بعض والجمع نظرا الى المعنى لانهم جماعة والقايل قتادة ومقاتل **الذي صدق به المومنون** يعني على القراءتين وتفسير الذي جاء بالصدق بمحمد صلى الله عليه وسلم والاخبار باوليك على ظاهره لكنه كما قيل يلزم فيه تقدير موصول اي والذين صدقوا به وهو ممنوع عند بعض النحاة وجوزه آخرون وقالوا انه الحق رواية ودراية اذا دل عليه دليل ومنه قوله تع قولوا آمنا بما انزل الينا وانزل اليكم اي وما انزل اليكم وقول حسان

• فمن يهجو رسول الله منكم • ويمدحه وينصره سواء •

وارتضاه ابن مالك والمانعون يمنعون تخريج الاية عليه ويقولون هي حالية بتقدير قد او يقولون ال بمعنى الجنس في الذي الخ من غير حاجة الى التقدير **وقيل ابو بكر وقيل علي وقيل غير هذا من الاقوال** كتفسيره بجبريل او بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل الذي جا بالصدق وصدق به المومنون الذين يجيئون في القيامة بالقرآن ويقولون هذا هو الذي جاءنا وقد اتبعناه واما تخصيص ابي بكر فلانه الصديق الاكبر الذي سبق الناس كلهم لتصديقه ولم يصدر منه غيره قط وكذا علي فانه يسمى الصديق الاصغر الذي لم يتلبس بكفره قط ولم يسجد لغير الله مع صغره وكون ابيه على غير الملة ولذلك خص بقول كرم الله وجهه وقيل تخصيصهما للاولية في التصديق او للتصديق في اول الدعاء وهذا منقول عن مجاهد ولا يرد على هذا ولا على ما قبله انه يلزم منه حذف الموصول بدون الصلة او ان يراد بموصول مع صلة شي منه مع صلة اخرى آخر لان الموصول هنا واحد لفظا جمع معنى بتقدير موصوف كذلك كالفريق ونحوه والصلة له على التوزيع اي جمع بعضهم جاء به وبعضهم صدقه فلا محذور وفيه كما ذكره الطيبي وهذا جار في الوجه الاخير لا لما تم منه فلا وجه لقول القاضي ومن تبعه انه اذا كان الجائي النبي والمصدق ابو بكر ونحوه يلزم اضمار الذي وهو غير جائز مع انه ذكر هذا في الوجه السابق وليس بينهما فارق والفرق بانهما فردان متشخصان هنا لا يجدي نفعا للمامر ولا حاجة ايضا الى ان الذي اصله الذين فخفف بحذف النون لطوله بالصلة اقول الذي غيره لان الذي لا يراد به متعدد الا اذا كان غير مختص بمعين قال في التسهيل يغني عن الذين الذي في غير تخصيص كثيرا وفيه للضرورة قليلا انتهى **وعن مجاهد** قال السيوطي رواه ابن جرير وابن ابي حاتم ومجاهد من كبار التابعين وهو ابو محمد بن جبر بفتح الجيم وسكون الموحدة والراء المهملة المقرئ المفسر الزاهد العابد روى عنه اصحاب السنن وغيرهم ووثقه المحدثون كما ذكره الذهبي في ترجمته ومولده في خلافة عمر سنة احدى وعشرين وتوفي بمكة سنة اثنين او ثلاث ومايه وهو ساجد وقيل كنيته ابو الحجاج واذا سمي ابنه جبير بالتصغير وقيل انه راى هاروت وماروت فكاد يتلف **في قوله تعالى الا بذكر الله تطمين القلوب قال بمحمد واصحابه رضي الله عنهم** قيل انه مبالغة لكونه سببا للذكر امر ابه جعل عين الذكر كرجل عدل او على تقدير مضاف اي ذكر رسول الله كقوله ذكر رحمة ربك ولا وجه لما قيل من انه بعيد خارج عن النص وافراده عن المعنى الاول نظرا لاصله فانه يستوي فيه الواحد المذكر وغيره واطمينان القلب سكونه وعدم اضطرابه يقال اطمان بالموضع اذا اقام واتخذه وطنا وموضع مطمين منخفض واختلف اهل اللغة فيه فقيل ان اطمان كاحمار ثم همز وقيل كانت الهمزة مقدمة على الميم فقلبت والمشهور ان الذكر

على ظاهره واطمينان القلب به لاستيناسه به والتعبير بالمضارع للاستمرار التجددي لدوام ذكره وروي عن مجاهد ايضا ان المراد بذكر الله هنا القرآن وفي الحديث القدسي اذا كان الغالب على عبدي الاشتغال بي جعلت همه ولذته في ذكري • اللهم اجعلنا ممن يطمين قلبه بذكرك وتكون همته مصروفة لحمدك وشكرك آمين

الفصل الثاني في وصفه تعالى له بالشهادة وما يتعلق بها •

من الثنا والكرامة اي بانه شاهد على امته بالتبليغ اليهم وعلى ساير الامم بتبليغ انبيايهم لهم وفي بعض النسخ الصحيحة في وصفه له تعالى بتقديم له والمعنى ظاهر وليست احدى النسختين جديرة بالحكم والحكم بالسقم كما قيل لظهور المعنى وان ضمير وصفه والمستتر في قوله تع وصفه له للرسول وتوهم خلافه بعيد كما في قوله تع لتومنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة واصيلا فانه لا يتوهم عود ضمير تسبحوه لرسوله والقول بعوده له على ان المعنى تسبحوا معه مستبعد جدا والشهادة مشتقة من المشاهدة وهي المعاينة والمراد بها الخبر القاطع تقول شهد على كذا ويكون بمعنى حضر وما يتعلق بها من الثنا والكرامة اي الاكرام له ويكون اسم مصدر بمعنى الحاصل بالمصدر وهو الاكرام يعني ان المقصود في الفصل الاول ثناء الله ومدحه لنبيه بكونه انفس الناس ذاتا وحسنا ونسبا وكونه خيرا ورحمة عامة في حياته ومماته وكونه نورا محضا للعالم وكونه ذا صدر واسع منشرح ورفعة قدره واسمه بمقارنته لاسم ربه وذكره وانه الصراط المستقيم والمقصود هنا ان الله تع جعله شاهدا على امته وساير الامم وانبيايهم وما ذكر فيه من الثنا والاكرام مذكور بالتبعية للشهادة استطرادا لمناسبته له وبهذا تتبين المغايرة بين ما عقد له الفصلان فلا تكرار ولا عموم وخصوص بقرينة المقابلة كما قيل وستقف عليه قريبا ان شا الله تعالى قال الله تعالى يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا الاية اي وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا كما مر وشاهدا وما عطف عليه حال مقدرة ومن عادته ان يذكر الاية في محل الغرض منها بسوقها في موضع آخر لغيره فذكر هذه الاية للتاكيد كونه نورا ثم ذكرها هنا لكونه شاهدا على التبليغ فلذلك قال جمع الله في هذه الاية ضروبا اي انواعا جمع ضرب اي صنف اوهو جمع ضرب وضرب بالفتح والكسر وهو النظراي امور متناسبة متماثلة من رتب الاثرة وجملة اوصاف من المدحة رتب بضم ففتح جمع رتبة وهي كالمنزلة والمراد المقام المعنوي والاثرة كما في المقتفى بضم الهمزة وسكون المثلثة ثم راء مهملة تليها تا تانيث كذا ضبط هنا • والاثرة بالفتح في الهمزة والثا وبضم الهمزة وكسرها مع اسكان الثا الاستبداد بالشي والانفراد به والمدحة بكسر الميم الثنا والذكر الحسن فاذا فتحت الميم قلت المدح انتهى • وقيل الاثرة بضم الاول وكسره وسكون المثلثة وبفتحها وهو الافصح كما ذكره النووي الانفراد بالشي ويكون اسما لما به الانفراد كذا قرره ومقتضاه ان في الاية امورا مخصوصة انفرد بها وليس كذلك فالوجه انها بالضم المكرمة كما في القاموس او المراد الافراد بالذكر او في الجملة او تحمل الاوصاف على معنى يختص به يعني انها اذا فسرت بالمكرمة والفضيلة فلا اشكال في كلام المص فان فسرت بالانفراد يقتضي ان ما ذكر هنا من خصايصه صلى الله عليه وسلم فيه وليس كذلك فيحتاج للتاويل بما قاله وقد تبعوا فيه بعض الشراح في اعتراضه بقوله تع فكيف اذا جينا من كل امة بشهيد وجينا بك على هولا شهيدا لان قوله هولاي كالمبعوث اليهم اللهم الا ان تحمل الاشارة على جميع اهل المحشر ولا دليل عليه انتهى • ولا يخفى ان الجواب والسوال لا وجه له اما الاول فلان قوله من خصايصه يأباه واما الثاني فلانه بعد تفسير الشهادة بانها شهادة على الامة بابلاغهم ما ارسله الله تع به والبشارة لمن اطاعه في ذلك والنذارة

لمن عصاه

لمن عصاه كيف يتوهم مشاركة غيره له في ذلك وهذا مما يقضي منه العجب عندي فلذلك قال فجعله شاهدا على امته لنفسه بابلاغهم الرسالة واعجب منه انه فسره بقوله اي مقبولا قوله عند الله من غير طلب بينة كما هو شان الشاهد العدل صرح به الزمخشري فالشهادة مجاز انتهى وقال الفاضل ابن الحنبلي الشهادة المذكورة من خصايصه لان غيره من الانبياء وان كان ذا شهادة بمقتضى قوله فكيف اذا جينا من كل امة بشهيد وجينا بك على هولاء شهيدا الا انه مطالب بالبينة وشهادته لا تقبل الا بشهادة محمد صلى الله عليه وسلم وامته له بالتبليغ لقومه لانه عليه السلام قد اخبرنا بالتبليغ لاممهم فنحن نشهد بذلك وقد بين الله تع هذا بقوله لتكونوا شهدا على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا فقد ولانا الله ببركته الشهادة على جميع الخليقة وجعلنا اولا مكانا وآخرا زمانا فله الحمد على ذلك وفي البخاري انه صلى الله عليه وسلم قال يدعى بنوح يوم القيمة فيقول لبيك رب فيقول هل بلغت فيقول نعم فيقال لامته هل بلغكم فيقولون ما اتانا من نذير فيقول له من يشهد لك فيقول محمد وامته فيشهدون الحديث وقيل الشهادة في هذه الاية شهادته للانبيا بتبليغهم وهي من خصايصه ايضا بالنسبة لبقية الانبيا لشهادة امة محمد ايضا بذلك وقد مر في الفصل الاول عن اللباب ما فيه تعميمها لشهادات متعددة وهو الوجه حيث لا مخصص انتهى وفي شرحه هنا خبط وخلط لا حاجة لنا به ومبشرا لاهل طاعته ونذيرا لاهل معصيته فيه كلام سياتي في الفصل التاسع الانذار التخويف والاعلام بما يحذر منه والتبشير الاخبار بما يظهر سرور المخبر به ولذا قالوا لو قال لعبيده ايكم بشرني بقدوم زيد فهو حر فبشروه فرادى عتق اولهم لانه هو الذي اظهر سروره فلو قال اخبرني عتقوا جميعا ومنه المبشرة وتباشر الصبح واما قوله فبشرهم بعذاب اليم فعلى التهكم كقوله • تحية بينهم ضرب وجيع • فهو مجاز من استعمال اللفظ في ضد معناه كذا في الشرح الجديد وفيه خطا فاحش تبع فيه غيره فان اردت تحقيقه فانظره في حواشينا على البيضاوي فانك لا تجده في غيره وداعيا الى توحيده وعبادته داعي اسم فاعل من الدعوة وهي طلب الاقبال اي انه دعي الناس الى اعتقاد وحدانيته ونفي الشريك والايمان به وعبادته قال في المصباح دعوت الله ابتهلت اليه بالسوال ودعوت زيدا ناديته وطلبت اقباله فما قيل من ان اصل الدعوة للطعام لم يصب والعبادة خدمة الله والخضوع له ولا يتم الا بالاخلاص فلذا قال وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وتفسير التوحيد هنا بالدين عدول عن الظاهر بلا سبب وقيل ان المص اشار الى ان الدعا الى الله يراد به الدعا الى الاقرار بوجوده وتوحيده وما يجب الايمان به من صفاته وما يجب تنزيهه عنه وقيده بقوله باذنه اي تيسيره اشارة الى انه امر صعب لا يتاتي الا بمعونته ويجي بمعنى العلم كقوله تع وما هم بضارين به من احد الا باذن الله وقوله وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله اي بعلمه وتوفيقه انتهى • اقول هذا كلام غير منقح والتحقيق فيه ما قاله العز بن عبد السلام في كتاب مجاز القران ان اذن الله مشيئته وارادته لان الغالب في الاذن ان لا يقع الا بمشيئته واختياره والملازمة المعالبة فصح المجاز او بامر التكوين فان الامر يلازمه مشيئة الامر غالبا وقال ابن عباس في قوله تع فهزموهم باذن الله بامر الله وقوله كن وهو من مجاز التمثيل شبه سهولة الاشيا في قدرته بسهولة هذه الكلمة على الناطق بها فتهيما الشرعة نفوذ مشيته وقدرته فيما يريده ويعبر بالاذن عن التيسير والتسهيل كما في قوله تع يدعوا الى الجنة والمغفرة باذنه اي بتيسيره وتسهيله اذ لا يحسن ان يقال دعوته باذني ولا فتنة وفهمته باذني ولذا قال الزمخشري يجوز ان يراد بالاذن هنا الامر اي يدعوكم الى المغفرة بامره اياكم بطاعته وكلاهما من مجاز الملازمة انتهى وسراجا منيرا يهتدى به للحق

وروي يهتدي به وهو اشارة الى وجه التشبيه وتنزيله وكلاهما مجهول مضموم الياء مروي
عن المصنف وقد مر تفسيره وانه يهتدي به في ظلمات الجهالة ويقتبس من انواره وقد وصفه الله في هذه
الاية بخمس صفات قابل كل منها بما يناسبها غير صفة الشهادة اذ لم يقابلها راقبني لان الامر بالمراقبة
يناسب المشاهدة فما بعده كالتفصيل له فقابل البشارة ببشارة المومنين بالفضل الكبير وقابل الانذار
بالنهي عن متابعة الكفار والمبالاة باذاهم وقابل الدعوة بتيسيره بالامر بالتوكل عليه والسراج المنير
بالاكتفا بربه لان من اتاه الله برهانا فحقيق بان يكتفي به عمن سواه وقال ابن عطية هذه الاية
ارجى اية في القرآن لان الله امره بتبشير المومنين بالفضل الكبير وقد فسر هذا الفضل بقوله في اية اخرى
والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير
حدثنا الشيخ ابو محمد بن عتاب بفتح العين المهملة وتشديد المثناة الفوقية والف وباء موحدة علم
منقول من صفة بمعنى كثير العتب والشيخ فوق الكهل وهو في العرف اسم لكل من تصدى لافادة العلم
وهو عبد الرحمن بن محمد بن عتاب شيخ المصنف سمع منه في رحلته للاندلس وهو من علما الحديث توفي سنة
عشرين وخمسماية قال حدثنا ابو القاسم حاتم بن محمد وهو ابو القاسم حاتم بن محمد بن عبد الرحمن بن حاتم
التميمي المعروف بابن الاطرابلسي تلميذ ابي علي الغساني قرا عليه البخاري مرات وروى عنه وعن القابسي
وغيره حدثنا ابو الحسن القابسي وهو الحافظ الفقيه العلامة ابو الحسن علي بن محمد بن خلف المعافري
اخذ بافريقية عن ابن مسرور وابن الدباغ ودارس ابن اسمعيل وبمصر عن حمزة بن محمد الحافظ ولد سنة اربع
وعشرين وثلثماية وتوفي في ربيع الاخر سنة ثلاث واربعماية بمدينة القيروان وكان ضريرا وكتبه في
نهاية الصحة ضبطها له ثقات اصحابه والقابسي بقاف والف وباء موحدة وسين مهملة وياء نسبة
تنسب لقابس وهي بلدة بالمغرب بين سفاقس وطرابلس ولم يكن منها ولكنه عرف بعمه وعمه كان يشد عمامته
شد اهل قابس حدثنا ابو زيد المروزي وهو محمد بن احمد بن عبد الله بن محمد الامام البحر الزاهد العابد المجمع
على جلالته وعظمته جاور بمكة وحدث بها وببغداد بصحيح البخاري عن الفربري وهي اجل الرواية عنه
لجلالة ابي زيد وتوفي بمرو يوم الخميس ثالث عشر رجب سنة احدى وسبعين وثلثماية وترجمته مشهورة
ونسبته لمرو البلدة المعروفة واذا نسب اليها الناس زيدت الزاي على خلاف القياس وفي الثياب وغيرها
يقال مروي فرقا بينهما • ومن اللطايف قولي في هذا في ارجوزة •
• ومروزي جاء في الاناسي • والثوب مروي على القياس •
حدثنا ابو عبد الله محمد بن يوسف هو الفربري المشهور سمع البخاري من مصنفه مرتين مرة بفربر
ومرة ببخاري وروايه وفربر بكسر الفا وفتحها وفتح الراء المهملة وسكون الباء الموحدة يليها راء مهملة
قرية من قرى بخاري وهو ثقة ورع زاهد حافظ ترجمته مشهورة ولد سنة احدى وثلاثين ومايتين
وتوفي سنة عشرين وثلثماية لعشر بقين من شوال ويوسف اسم عجمي مثلث السين وليس مشتقا من
الاسف وان وافق لفظه وقول ابيه يا اسفا على يوسف حدثنا البخاري وهو الامام الحافظ محمد
بن اسمعيل بن ابراهيم الجعفي البخاري الامام الورع الزاهد المتفق على جلالته وتاليفه اصح الكتب
بعد كتاب الله تعالى وترجمته مشهورة ولد سنة اربع وسبعين ومائة وتوفي بقرية خرتنك من اعمال بخارى
سنة ست وخمسين ومايتين حدثنا محمد بن سنان هو محمد بن سنان العوفي الامام ابو بكر يروي عن همام
وجرير بن حازم وفليح وغيرهم وروى عنه اصحاب السنن حدثنا فليح بفاء ولام وحاء مهملة وهو
لقب له تصغير فلح صفة مشبهة من الفلاح ويحتمل ان يكون تصغير مفلح او افلح تصغير ترخيم
وهو فليح بن سليمان بن ابي المغيرة بن حنين واسمه عبد الملك توفي سنة ثمان وستين ومائة وهو

عدوي مدني روى عن سعيد بن الحارث وضمرة ابن سعيد ونافع وغيرهم وروى عنه ابنه واصحاب
السنن الستة وقال ابن معين وابو حاتم والنسائي انه ليس بالقوي وقال ابن حجر صدوق لكنه كثير
الخطا لكن الشيخان اعتمداه حدثنا هلال هو هلال بن علي وهو هلال بن ابي ميمونة يروي عن انس وعطا
بن يسار وابي سلمة وعنه مالك وفليح وغيرهما واخرج له اصحاب الكتب الستة وقال النسائي ليس به
باس قال الواقدي مات في اخر خلافة هشام بن عبد الملك عن عطا بن يسار بفتح الياء التحتية والسين
المخففة المهملة ابو محمد المدني من كبار التابعين توفي سنة اربع وتسعين او ثلاث ومائة وهذا الحديث
تفرد به البخاري واخرجه في التفسير بغير هذا السند ايضا قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص
واو عمرو مشهورة قال التلمساني جوز بعضهم تركها وعبد الله هذا هو ابو محمد ويقال ابو عبد الرحمن القرشي
الزاهد العابد الصحابي ابن الصحابي كان بينه وبين ابيه في السن اثنتي عشرة سنة وامه ريطة بنت
منبه وكان صلى الله عليه وسلم يقول نعم اهل البيت عبد الله وابو عبد الله اسلم عبد الله قبل ابيه
وكان كثير العبادة والرواية عن النبي صلى الله عليه وسلم حتى انه اكثر رواية من ابي هريرة لانه كان
يكتب وابو هريرة لم يكتب وانما لم تشتهر روايته كابي هريرة لانه سكن مصر والواردون اليها قليل وابو
هريرة سكن المدينة والمسلمون يقصدونها من كل وجهة وتفصيل ترجمته مشهورة توفي بفلسطين وعمره
ثلاث وسبعون سنة وعمرو ابوه اشهر من ان يذكر والعاصي يرسم بالياء وبدونها واثباتها اولى وقال
ابن الصلاح كتبه كثير في حالة الوصل بالياء وفي حالة الوقف بحذفها ولا وجه لمن انكره فانه لغة لبعض
العرب شبهوا ما فيه الالف واللام بالمنون لتعاقب اللام والتنوين وبها قرئ في السبعة الكبير المتعال
ونحوه والذي غر المنكر ان النحاة خصوه بالمنكر كما ذكروه في باب الرسم فقلت اخبرني عن صفة رسول
الله صلى الله عليه وسلم يعني صفته المذكورة في التورية بدليل قوله في الجواب انه لموصوف في التورية
فان السؤال يعاد في الجواب انه لموصوف في التوراة صراحة وضمنا وهو من القواعد الاصولية
كما وقع مصرحا به في روايات الصحيح والخبر يتعدى للامر المسئول عنه وللمنقول عنه الخبر ايضا كالخبر
عن النبي صلى الله عليه وسلم وان كان المشهور في الاول تعديته بالباء وهذا مما لا شبهة فيه عندي فلا
حاجة لما قيل من انه انما تعدى بها هنا وهو مخبر به لا عنه لتضمينه معنى الكشف اي اخبرني كاشفا عنها
وموضحا لها وقوله انه يجوز ان يريد جعل صفة النبي صلى الله عليه وسلم موضوعا يحمل عليه ما ذكر في التوراة
وانه لا يصح تضمينه معنى السؤال تعسف خارج عن جادة الصواب وكذا ما قيل انه نظر للفظ فذكر
قال اجل والله انه لموصوف في التورية ببعض صفته في القرآن اي قال عبد الله لمن قال له اخبرني
عن صفته في التورية اجل اي نعم هي مذكورة فيها لان كلامه يقتضي ان صفته مذكورة فيها واجل
كما في المغني لتصديق المخبر ولاعلام المستفهم ولوعد الطالب وصرح في القاموس بانها تجيء بعد الاستفهام
وغيره فقال اجل كنعم الا انه احسن منه في التصديق ونعم احسن منه في الاستفهام وقال الرضي
هي لتصديق المخبر ولا تجيء بعد ما فيه معنى الطلب وهو المنقول عن الزمخشري وجماعة فالوجه على
هذا كما قيل انه بعد خبر ضمني وهو انه موصوف في التورية واما تقدير الاستفهام او جعله لتصديق
خبر عن نفسه فليس بشيء انتهى وهو رد على بعض الشراح حيث قال اجل بمعنى نعم حرف ايجاب وهو مؤول
عند من شرط فيه تصديق المخبر او هو تصديق خبر نفسه ولذا اردفه بقوله والله والتاكيد لا
لقسم للاعتناء به لان السائل غير منكر او لتنزيله منزلته لفضله عنده ولما شاع من انكار اليهود وتحريفهم
وفي شرح التسهيل اجل لتصديق الخبر ماضيا او غيره مثبتا ومنفيا ولا تجيء بعد الاستفهام وعن الاخفش
انه تجيء بعده الا انه في الخبر احسن من نعم ونعم في الاستفهام احسن منها ولم يذكر مجيئها بعد الطلب

كما في هذا الحديث الا انه يقطع النزاع كما قيل صح نحوك بالحديث ولا نصح الحديث بنحوك وهذا بناء
على جواز اثبات الاحكام النحوية وفيه تفصيل في شرح المغني وفي قوله والله دليل على جواز الحلف
من غير تحليف بلا كراهة وقد ورد كثيرا في الاحاديث والتورية اسم لكتاب الله تعالى المنزل على موسى
عليه السلام وهي كلمة غير عربية بل معربة وفي وزنها واصل معناها كلام طويل ليس هذا محله • فان
قلت عبد الله قرشي عربي فلا يناسب سؤاله عما في التورية والتورية وغيره من الكتب القديمة قال
الفقها لا تجوز قرآنه فما وجه هذا • قلت ان عبد الله رضي الله عنه كان يقرا ويكتب كما مر وقال البرهان
الحلبي في المقتفى انه كان يحفظ التورية وقد روى البزار من حديث ابن لهيعة عن وهب ان عبد الله بن عمرو
بن العاص راى في المنام في احدى يديه عسلا وفي الاخرى سمنا وهو يلعقهما فلما اصبح ذكر ذلك
للنبي صلى الله عليه وسلم فقال له تقرا الكتابين التوراة والقرآن فكان يقراهما ذكر هذا الحديث بعض
شيوخي انتهى • واما النهي عن قرآتها فقد صرح به الفقها لكنه ليس على اطلاقه لو وقع في زمن النبي
صلى الله عليه وسلم لكثير من الصحابة من غير انكار فهو مقيد بمن لم يميز المنسوخ والمحرف منها
ويضيع وقته في الاشتغال بها واما غيره فلا يمنع منه بل قد يطلب لالزامهم فيما انكروه منها كما في
قصة الرجم وقوله ببعض صفته في القرآن في بعض النسخ بما في القرآن وفيه دلالة على ان وصفه
في القرآن اكثر مما في التورية لتفصيله وان تفرق في آيات وسور متعددة وهذا مما لا شبهة فيه
فما قيل من ان فيه كلفة تامة الا ان يقال المراد توافق الكتابين بعضهما وان زاد كل منهما على الآخر
لا وجه له عند من له ادنى بصيرة وقوله في التورية كما سياتي اذهب الى كل خلق كريم ولو سلم انه
اشمل من قوله وانك لعلى خلق عظيم مخصوص بمدح خلقه والصفات اعم منه فلا حاجة الى تكلف الجواب
بانه وعد يحتمل عدم التنجيز او التعليق والتخصيص وقد وقع في الشروح هنا كلام طويل بلا طائل
يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا بدل من بعض او بيان له وقد تقدم تفسيره
ولفظ النبي صادق بحرزه مع قول انا ارسلناك وخطاب نبينا بما في التورية خطاب للحاضر في العلم
بما جعل كالماضي لتحققه او حكاية لما يقال في المستقبل ولجعله على نهج استحضار الصورة الآتية
والتعبير بما يعبر به في ذلك الزمان على قياس حكاية الحال الماضي ونادى الكليم ثم خاطب الحبيب
التفاتا قيل لكونه لما سيقال في الآتي بتقدير سيقول له في المستقبل كما قيل في قوله تعالى كنتم خير امة
اخرجت للناس ان تقديره يقال لهم في القيمة كنتم في الدنيا يا باه ان ما سيقال له في المستقبل ليس
فيه حرز للاميين والذي فيه داعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وما ذكره من الالتفات يتمشى على
راي السكاكي كذا قيل وفي الشرح الجديد هذا نوع من الالتفات غريب ذكره ابن ابي الاصبع وسماه
الالتفات في الضماير كان يذكر ضميرين لمخاطبين احدهما الواحد والآخر لغيره او ضميرين لغايبين
كذلك وهنا ضميران في اصل النداء اي ادعوك ايها النبي وهو للكليم والآخر في قوله انا ارسلناك
لمحمد صلى الله عليه وسلم وهذا هو المراد بالالتفات المذكور لا ما ذهب اليه الجمهور ولا السكاكي انتهى
اقول الغرابة منه فان ما ظنه غريبا ذكره جميع اهل المعاني وهو عندهم يسمى الافتنان وتلوين
الخطاب والادبا سموه التفاتا والاعتراض انما هو اذا وقف على عبارة التورية فان قبله خطاب لموسى
فهو وارد والا فلا **وحرزا للاميين** الحرز بكسر الحا وسكون الرا المهملتين ثم زاي معجمة هو في الاصل
مصدر بمعنى الحفظ ثم شاع وصار حقيقة في المكان الذي يحفظ فيه فيقال حرز حريز كحصن حصين
ومنه احترز عن كذا اي تحفظ لذي يحفظ به واحرز قصب السبق اي حازه فجعله نفسه حرزا مبالغة
لحفظ اموالهم وانفسهم في الدارين والمراد بالاميين العرب لغلبة الامية فيهم وقيل لانهم لا كتاب لهم

وخصهم

وخصهم مع عموم دعوته لشرفهم اذ لا رسالة بين اظهرهم او لان الحفظ من العجم اختص بهم
وقيل المراد حفظه لهم من آفات النفوس وغوائل الدهر او من آفات العجم وتغلبهم او من مطلق
العذاب ما دام فيهم لقوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم او من عذاب الاستيصال لحديث
سالت ربي ثلاثا فاعطاني اثنتين ومعنى الثالثة والاثنتان هلاك السنة والغرق والثالثة
كون باسهم بينهم **انت عبدي ورسولي سميتك المتوكل** قدم العبودية لشرفها قال
لا تدعني الا بيا عبدها • فانه اشرف اسمائي •
ولذا خص وصفها بالذكر في الاسرا وليست بالمعنى العام الذي يتصف به كل مخلوق بل المعنى
الخاص الذي رضيه الله لعبده حتى اطلعه على حظاير قدسه وجعله رسولا مبلغا عنه
وكفاه جميع مؤناته فقال اليس الله بكاف عبده فان الملك يعير بوقوف عبده بباب غيره
واحتياجه لسواه واهانة احد له فانه هو الذي يؤدبه فلذا قال سميتك المتوكل وقدم العبودية
هنا تشريفا وتعظيما اذ المراد الكامل في العبودية وانظر قوله سميتك دون جعلتك او وصفتك
المنادي بشدة توكله الذي صبره عليه ولذا قيل ان فيه اشعارا بشدة توكله الساري في
امته **ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الاسواق** فيه التفات من الخطاب اذ مقتضى
الظاهر ان يقول لست اي لم يكن هذا كلاما آخر من التورية ضمه عبد الله الى الاول وفي الالتفات
هنا بعد النظر به حسن لما قبله اذ لم يواجهه بمثله وان كان منفيا والفظ كما في المصباح الرجل
الشديد الغليظ القلب يقال منه فظ يفظ من باب تعب فظاظة اذا غلظ حتى يهاب في غير موضعه
وغلظ بخلاف رق غلظة بالكسر وحكى في البارع التثليث وعذاب غليظ شديد الالم وغلظ الرجل
اشتد واغلظ له في القول عنفه وغلظ اكرها انتهى فمعنى ليس بفظ انه ليس له قسوة قلب ولا
تشديد على الناس لان ملته سمحا وليس بغليظ اما تاكيد له او بمعنى انه لا يعنف الناس والمراد
انه ليس بسيئ الخلق قال تعالى ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ولذا قيل المعنى ليس بسيئ
الخلق ولا غليظ القلب ليوافق الآية وقيل ليس شديد القول فلا تكرار فيه ولا ينافيه وقوع الغلظة
والشدة اللايقة او الواجبة احيانا لانهما لا تنافي حسن الخلق فالمراد نفيهما بحسب الطبيعة والحاصل
او في غير محلهما واما ما وقع في الصحيح في حق عمر انت افظ واغلظ من رسول الله فقيل انه لم يقصد
التفضيل بل هو لاصل الفعل وقيل ولفظ من باباه وقيل انه من قبيل الخل احلى من العسل واختاره الدماميني
في حواشي البخاري اي غلظتك اشد من رقته صلى الله عليه وسلم والوجه انه بالنظر الى الغلظة اللايقة
به في محلها فما وقع من امير المؤمنين ازيد مما وقع منه لانه رحمة للعالمين وشفيع للمذنبين فهو يختار
الايسر الاحسن له وغايته ان الفاروق ترك في بعض الاوقات الاولى لاحتياجه لما يحتج له صلى الله
عليه وسلم ولا محذور في مثله والصخاب صيغة مبالغة من الصخب وهو ارتفاع الصوت وشدته
وهما لغتان في كل صاد لاصقت حرف الحلق وهو من غير داع امر مذموم جدا والصاد افصح والسين لغة
وقد روي بالوجهين هنا وقوله في الاسواق جمع سوق وهو موضع يجتمع فيه الناس للبيع والشرا ونحوه
وهو يذكر ويؤنث والسوقة خلاف الملك ولما كان في الغالب محلا لارتفاع الاصوات والصياح لا
سيما من الدلالين قيده به والمراد نفيه مطلقا لانه اذا انتفى في المحل المعتاد فيه انتفى في غيره
بالطريق الاولى وهو ابلغ من الاطلاق وافصح لانه نفي بدليل على حد قوله •
ولا ترى الضب بها ينجحر • وللعرب في مثله ثلاث مقاصد • نفيهما • ونفي القيد • ونفي المقيد
وهذا هو الارجح هنا لان فيه اثبات دخوله للاسواق تواضعا وتركا لعادة الجبابرة من الملوك

وَرَدَّ القولهم ما لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق لانهم قالوا لما اظهر الدعوة انه
ينبغي ان لا ياكل ويشرب ويكون ملكا ولا يدخل السوق ليكون ملكا وفي الشرح الجديد المراد انه ليس صخابا
في موضع من المواضع فالنفي للمقيد لانتفاء المطلق يجعله دليلا لكونه مفترا امعروفا وقال
الطيبي المراد نفي الصخابية وكونه في الاسواق وهو عجيب لان نفي الصخابية فيها لا ينافي كونه
فيها بلا صخابية ولا الصخابية من غير كونه فيها بشهادة الذوق وقال شيخنا الاقرب الى الفهم انه
نفي المقيد لشناعته مع انه مظنته وموضع اعتياد الناس ليفيد انه لا يفعله في غيره بالاولى ولا
يرد ان صخابا صفة مبالغة فيتعذر توجه النفي الى قيده وهو في الاسواق يثبت له الصخابية لانا
نمنع بان الصيغة هنا للنسبة كخياط ومنه وما ربك بظلام في احد الوجوه ولا ضير اذا كان
المراد نفي الصخابية المقيدة لانتفائها مطلقة لان نفي مطلقها لا ينافي ثبوت اصل الصخب لم
وهو قد ثبت في محله كالخطبة والتلبية ونحوهما انتهى • اقول فيه نظر من وجهين الاول ان
رده على الطيبي وتعجبه ليس في محله لما عرفت من انه احد الاحتمالات في امثاله وما ذكره امدح لانه نفي عنه
اعتياد الصخب واعتياد دخول الاسواق كارباب الدنيا الثاني انه ادعى ان المبالغة لا تناسب هنا والتجا الى
جعل الصيغة للنسب وليس بلازم لجواز كون المبالغة في النفي لا في المنفي كما ذهب اليه خاتم المفسرين في
الاية الا ان فيه نظرا لان صرف المبالغة للقيد الذي في الصفة ليس بالسهل مع امكان التفصي عنه بوجه
وفي هذا المقام مباحث اخر مذكورة وقد افردناه في رسالة مستقلة **ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن
يعفو ويغفر** لانه خلقه القرآن وقد قال وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا واصلح فاجره على الله فلذا
قال بل يعفو ويغفر فلا يسيء لمن اساء اليه ويدفع بالتي هي احسن وفي الاية مشاكلة وكذا في كلام المصنف
وان كان نفيا فتدبر وفي ذكر المغفرة بعد العفو تاكيد ان كانا بمعنى او يعفو تارة ويستر اخرى فلا يفضح
فيقول في خطبه ما بال اقوام يفعلون كذا قيل وفي كلام التفتازاني ميل للاول وقيل بين العفو والمغفرة
في حق غير الله فرق فان العفو لغة بمعنى المحو فهو ازالة السيئة من ظاهره وخاطره والمغفرة مشتقة من الغفر
وهو الستر ولا يلزم من سترها ازالتها وقوله ولكن الخ استدراك لانه لا يلزم من عدم جزائها بمثلها العفو
في اسماء الله وتغاير مفهوميهما واشتقاقهما مما لا شبهة فيه ثم بعد ذلك قيل انهما متساويان وهو
المشهور والتحقيق ان بينهما فرقا من وجوه منها ما نقله الامام القرطبي في شرح الاسماء الحسنى عن
بعض العلماء ان الغفران ستر لا يقع معه عقاب وعتاب والعفو انما يكون بعد عقاب او عتاب فان
استعمل في غيره فهو بطريق المجاز **ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجا** الملة الدين وبينهما
فرق والعوجا مؤنث اعوج وهو ضد المستقيم ولكثرة اطلاق الملة على الكفر فسرها بعضهم هنا به
وقال الشارح المحقق العوج ضد الاستقامة وهو كما في النهاية بفتح العين في المرئي وبالكسر في غيره
وكلام القاموس يدل على التعميم واقامة المعوج جعله مستقيما والمراد بالملة هنا ملة ابراهيم التي
عوجتها العرب بتغييرها كما قال تعالى واتبع ملة ابراهيم لان ملة الكفر كما توهم ازالها انتهى وفي النهاية
الملة العوجا ملة ابراهيم التي غيرتها العرب عن استقامتها لانهم ذرية اسمعيل بن ابراهيم وكانوا يزعمون
انهم على ملته الحنيفية والحنيف من يوحد الله ويعبده لان الحنف في اللغة الاستقامة وانما قيل للمائل
الرجل احنف تمليحا او تفاؤلا وكان ابراهيم حنيفا اي مستقيما وبهذا تعين المراد بالملة • وقبضه الله
اي توفاه وقبض روحه واصل القبض اخذ المال واستيفاؤه فاطلاقه على هذا التشبيه الحياة والروح
بالمال كما قال عمارة • اذا كان راس المال عمرك فاحترس • عليه من الانفاق في غير واجب
او هو من باب استعمال المقيد في المطلق ثم شاع فصار حقيقة فيه **بان يقولوا لا اله الا الله** اقتصر

على

على هذا وجعله عبارة عن الدين القيم لان المعوج الواقع عوده الشرك وعبادة الاصنام وبهذا
يستقيم وقيل المعنى انهم ياتون بجملة التوحيد وذلك كاف في عصمة دمائهم واموالهم غير ان المنجي هو
التصديق بها عن صميم القلب وانما لم يقل محمد رسول الله وهي قرينة كلمة التوحيد التي لا تكاد تنفك عنها
اكتفاء على حد سرابيل تقيكم الحر والقول بانها زيادة على الملة الابراهيمية فلم تذكر هنا ففيه انه يجب
على امة الخليل قبل وجود محمد عليه السلام ان تصدق بان محمدا رسول الله كما صدق به ابراهيم نفسه وقيل المراد
الرجوع الى التوحيد ولا ينافيه زيادة الايمان بشيء آخر ففيه اشارة الى ان الاعوجاج من جهة الشرك هذا
محصل ما في الشرح وفيه بحث لانا لا نسلم انه بعينه داخل في الايمان التفصيلي للامم السابقة ومثله لا
يقال بالراي وما ذكره لا يناسب ما نحن فيه **ويفتح به اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا** وقد مر
هذا في الخطبة وهذا الحديث مروي في البخاري بتانيث ضميرها على انه راجع لكلمة التوحيد والمصنف
ذكره فجعله عائدا عليها باعتبار اللفظ او للنبي صلى الله عليه وسلم وروى البيهقي عن كعب لنبصر الله
به اعينا عورا ويقيم به السنة معوجة حتى تشهد الخ وهو هنا بنصب اعينا وما عطف عليه • ويفتح
بالتحتية وعلى رواية البخاري بالفوقية المضمومة ورفع الاعين وما بعده ووقع في رواية اعين عمي
بالاضافة وكذا الكلام في الاذان والقلوب وعلى هذا فالعمي جمع اعمى وكذا الصم جمع اصم وعلى الاول
جمع عميا وصما قيل والظاهر ثبوتهما في التورية فلا اشكال فيها لعدم تغايرها الا في العمي والعور
والذي في القرآن صم بكم عمي وكان النكتة فيه ان التوحيد اثبات الله ونفي ما سواه فهم لما اثبتوا الله مع
الشريك كانوا كمن فقد احد عينيه اذ العور عبارة عن ذهاب العين مطلقا ثم ان العمي توصف به الاعين
وصاحبها حقيقة فقصره على الثاني تقصير وفتح العين عبارة عن الابصار لما فيه من فتح الاجفان
او للتشبيه للابصار بفتح الباب وقد شاع هذا حتى صار حقيقة وعكس حتى شبهت الابواب المغلقة
بالاعين العمي كما قيل • قد اغلقت ابوابه دايما • كانها اجفان عميان •
وقال • واقسم لو جاد الخيال بزورة • لصادف باب الجفن بالنوم مغلقا
وفيه معنى دقيق ليس هذا محله وازالة الاحساس في الحواس المذكورة باداة تصبيها فشبهت كعدم
نفعها بالموت الا انه لا يقال فتح اذنه وقلبه فهو على حد قولهم • متقلدا سيفا ورمحا • والغلف جمع اغلف
وهو الذي عليه غلاف اي غشاء وغطاء كقوله وقالوا قلوبنا في اكنة وقوله قلوبنا غلف بضم فسكون
وقرئ بضمتين على انه جمع غلاف كحمار وحمر اي هي اوعية للعلم وليس هذا بمناسب هنا فهو بالسكون لا غير
اذ المعنى لا ينظر ويسمع ويعي ما جئت به **وذكر مثله** ذكر بصيغة المجهول والذي في البخاري ذكره في
صحيحه تعليقا **عن عبد الله بن سلام وكعب الاحبار** عبد الله بن سلام بفتح السين المهملة ولام مخففة لا غير
ونقل التلمساني انه يخفف ويشدد وكذا سلام بن الحقيق ومحمد بن سلام شيخ البخاري وسلام بن مشكم
وما عداه بالتشديد وابن سلام هذا اسلم في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة وكان حبرا عالما
بالتورية والقرآن وشهد له النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة وتوفي سنة ثلاث واربعين وهو اسرائيلي
من ولد يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم وكان اسمه في الجاهلية حصينا فسماه النبي عبد الله ونزل
في فضله قوله وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله وقوله كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب
وشهد مع عمر فتح المقدس والجابية وهو انصاري خزرجي بالولاء وكان من كبار الصحابة روى له اصحاب
الكتب الستة وغيرهم وكعب الاحبار هو كعب بن مانع الحميري التابعي المشهور ادرك النبي صلى الله عليه
وسلم ولم يره واسلم في خلافة ابي بكر وقيل في خلافة عمر وكان على اليهودية وصحب عمر وروى عنه كثيرا وعن
غيره كصهيب وابن المسيب وسكن حمص بعد ما كان باليمن واتفقوا على سعة علمه وشدة دينه وتوثيقه

وتوفي في خلافة عثمان سنة اثنين وثلاثين متوجهًا الى الغزو ويقال كعب الاحبار وكعب الحبر بكسر الحاء وفتحها باضافة الاسم للقب ولقب به لكثرة علمه او لكثرة كتابته فالحبر بمعنى المداد الذي يكتب به والحبر ايضا بمعنى العالم كذا في المصباح وتهذيب الاسما للنووي وفي مثلثات ابن السيد فقوله في القاموس كعب الحبر ويكسر ولا تقل الاحبار غير صحيح وهذا الحديث اخرجه البيهقي في السنن الكبرى ودلايل النبوة
وذكر ابن ظفر في كتابه خير البشر الذي افرده لما في الكتب السالفة من التبشير بالنبي وهو كتاب بديع في معناه رايناه ورويناه ورواه البخاري مسندًا عن عبد الله بن عمرو بن العاص كما ذكره المصنف ورواه عن ابن سلام تعليقًا على عادته في تعليق ما كان بعض رجاله على غير شرطه كما بينه شراحه وفيما ذكره مخالفة لما في فتوح الشام للواقدي
وفي بعض طرقه عن ابن اسحق الطرق جمع طريق وهي معروفة وتطلق على الروايات والاسانيد لايصال هذا الحديث
ولملح القايل
له حديث في الجود مشتهر • ترويه عند الركبان من طرق •
وفي المقتفي للبرهان كان هذا في الاصل عن ابي اسحق فضرب عليه وكتب في الهامش ابن اسحاق وهو الامام محمد بن اسحق بن ابي بكر ويقال ابو عبد الله المطلبي مولاهم المدني صاحب المغازي راى انسا وروى عن عطا والزهري وطبقته وعنه شعبة والحمادان وخلق كثير وكان من بحور العلم صدوقا وله غرايب وربما تستنكر لسعة حفظه ولذا اختلف في الاحتجاج به وحديثه حسن وفوق الحسن صححه جماعة واخرج له اصحاب السنن وله ترجمة في الميزان توفي سنة احدى وخمسين ومائة وقيل سنة اثنتين وقيل سنة خمسين وجه من بني العراق وهو اول سبي دخل المدينة منها وقد طعن فيه هشام لروايته عن فاطمة بنت المنذر وقال كيف يراها وليس يبعد الجواز ان يسمع منها وهي خلف الحجاب كما روى الناس عن عايشة وغيرها وكذلك طعن فيه الامام مالك وقال انه دجال من الدجاجلة الا انه روي عنه انه رجع عن ذلك والقادح فيه غير منصف لانه كان اعلم الناس بالانساب وانما انكر عليه ما كان ياخذ عن اولاد اليهود الذين اسلموا لبعض ما ذكر في الغزوات من عورات المسلمين وابتغاء الهجا فيهم لحرصه على الرواية مع ان عليه المعول في المغازي وكان شعبة وسفيان يوثقانه ويقولان هو امير المومنين في الحديث قال السيوطي هذه الطريق اخرجها ابن ابي حاتم عن وهب بن منبه في تفسير سورة الفتح ووقع في حواشي التلمساني هنا زيادة وعبد الرحمن بن يزيد وقال هو عمرو بن عبد الله ابن علي السبيعي راى عليا واسامة بن زيد ولم ارها في النسخ **ولا صخب في الاسواق** بكسر الخا صفة مشبهة تفيد المبالغة باعتبار افادة الثبوت وقد مر بيانه **ولا متزين بالفحش** فحش كفتح وزنا ومعنى فكل شي جاوز الحد فهو فاحش والفحش القول السيي ويطلق على الزنا وقيل في تفسير قوله نعم ولا باين بفاحشة لا يزنين والحاصل انه كل قبيح قولا كان او فعلا ومتزين روي بزاي معجمة ونون وروي بدال مهملة من الدين وروي منقوصا متزي بياء بدل النون من الزي وهو اللباس والهيئة اي لا يتلبس بامر قبيح او يتجمل به ويباهي به ولا يرد على ظاهره انه يوهم انه قد ياتي به غير متجاوز او غير متزين به لانه لا يتوهم له لجريه على عادة ارباب الفحش في المباهاة به وقيل انه استعارة تهكمية وقيل التزين بمعنى الاتصاف على التجريد او المراد انه لا يرى الفحش زينة فيرتكبه وهذا علامة من علاماته لانه نشا بين قوم يتزينون بالفواحش كالقتل والزنا والطواف عراة فاتى بما يخالف عادتهم **ولا قوال الخنا** قوال فعال صيغة مبالغة اي كثير القول والخنا بخاء معجمة ونون مقصور قبيح الكلام وهذا مع ما قبله يفيد انه لا يصدر عنه شي منه قليلا او كثيرا لان ربما بمعناه وقيل يقال هنا للنسبة اي ليس بذي قول كتمار ونبال وليس المراد انه اشارة الى انه ربما يقوله لموجب لان ما كان لموجب ليس بفاحش وقيل المراد نفي المبالغة ولم ينف اصل قوله للصيانة عن توهم الكذب في كلامه نعم لو صدر عنه ما يوهم فحشا ما وعن الهلاك الذي يتمم ذلك التوهم فوق الهلاك الذي يتمم توهم انه ربما يقول الخنا • ولما ذكر صفات التخلية بقوله ليس بفظ الخ اخذ في صفات التحلية بطريق الوعد

قوله

ممن لا يخلف وعده فقال **اسدده لكل جميل** مستانفا المقصد اعلى مما قبله ولذا لم يعطفه وقيل انه جواب سوال تقديره فما تفعل به بعد ان صنته عن النقايص والجميل الحسن صورة كان او معنى • وفي الحديث ان الله جميل يحب الجمال والتسديد التوفيق للسداد وهو الصواب والقصد من القول والعمل وتيسره بتيسير جميعه او بعضه فقوله لكل جميل ليس تجريدا كما قيل والكلية للمبالغة او هو كاستغراق جميع الامير الصاغة اي لكل جميل يليق به **واهب له كل خلق كريم** اهب بفتحتين مضارع وهب بمعنى اعطى • والخلق بضمتين ويسكن السجية والطبيعة التي فطره الله عليها وهو يوصف بالكرم بمعنى الخير والكمال يقال كرم كرما اذا نفس وعز ويكون بمعنى العطا الكثير وليس بمراد هنا وان اوهمه قوله اهب ففيه تورية وقيل هو من قبيل عطف الخاص على العام للاهتمام ويقال لكل صفة خلق ولذا يجمع على اخلاق فلا حاجة الى تقدير كل فرد خلق كما توهم وهو وعد منه تم وهو لا يخلف الميعاد وفيه نظر وكونه جامعا لمكارم الاخلاق غير محتاج للبيان وسياتي نبذ منه **واجعل السكينة لباسه والبر شعاره** اجعل بصيغة المتكلم وهو الله والسكينة بفتح السين وكسر الكاف المخففة ثم ياء ونون وهاء وفيها لغة بكسر السين وتشديد الكاف نقلها الصغاني في مشارقه وبها قرئ في الشواذ وهي فعيلة من السكون والمراد بها هنا الوقار والطمانينة وورد في القرآن في قوله عز وجل هو الذي انزل السكينة في قلوب المومنين ووردت في الاحاديث الصحيحة بمعان اخر وقيل انها مشتركة فيها وللمفسرين فيها اقوال فمن علي انها ريح هفافة وقيل انها ملك له وجه انسان ولها راسان وعيون ذات اشعة وطست من ذهب تغسل فيه قلوب الانبيا وقيل انها شي كان يلقي فيه موسى الالواح والعصا وقيل هي رحمة وقال السيوطي انها اسم ملك مخصوص وفي حديث الوحي غشيته السكينة وهي ما كان تلحقه عند نزوله وقيل انها صورة هرة مع بني اسرائيل اذا ظهرت انهزمت اعداوهم وفي حديث بناء الكعبة فارسل الله السكينة وهي ريح سريعة المرور والمراد هنا الاول واما هذه المعاني فيحمل عليها ما ورد في الاحاديث ولا حاجة لذكرها هنا ولما كان السكون والوقار مبدوه ما يلوح لقلبه في مراقبته جعله في الآية في القلب ويلزمه ما يظهر عليه من الخشوع والتثبت وباعتباره جعله لباسا له من باب تشبيه المعقول بالمحسوس فلكل منهما وجه وجيه بليغ فلا حاجة الى التوفيق بينهما بان ما في الآية بمعنى ملك يسكن قلب المومن ويومنه او العقل كما قيل والبر الطاعة والاحسان او زيادته والخير في الرحمة والشعار بمعنى اللباس الذي يلي الجسد سمي به لانه يمس شعره وبدنه ويكون بمعنى العلامة ايضا والمناسب هنا الاول لذكره مع اللباس ويقابل الشعار بهذا المعنى الدثار وهو ما يتغطى به الانسان وفي الحديث الانصار شعار والناس دثار اي هم خاصة له والناس عامة او هم اقرب اليه من غيرهم وهو بزنة اللباس ولما كانت السكينة ظاهرة فيه في ساير احواله ويراها كل احد برا او فاجرا جعلها لباسا والبر الخير والرحمة وان لازمه ايضا وعم احواله انما يقف عليه المومنون ببصايرهم جعله شعارا فانظر حسن موقعه مع ما قبله وما بعده ايضا وهو قوله **والتقوى ضميره** لان الضمير ما يضمر في القلب وينوى في خاطره بحيث لا يبداه والاسم الضمير والمضمر الموضع والمفعول قال
ستبقى لها في مضمر القلب والحشا • سريرة ود يوم تبلى السراير •
ويسمى القلب ضميرا لخفايه او لانه محله فانظر كيف انتقل من الظاهر للخفي ثم للاخفى مع ما فيه من شبه اللف والنشر مع الامور السلبية والتقوى عبارة عما يقي من العذاب في الآخرة ولها مراتب اولها التبري عن الشرك والثاني التنزه عن كل ما يوثم والثالث ان يتنزه عما يشغل سره عن الله وبهذا علمت التيامها مع الضمير **والحكمة معقوله** الحكمة كالحكم كل كلام جامع لما يرشد الى الحق فيشمل المواعظ والامثال لانتفاع الناس بها ويطلق على العلوم الشرعية ويطلق على القضا بالعدل وفسر قوله ادع

الي سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة والقرآن وتفسيرها هنا بالعلم باحوال الموجودات
علي ما هي عليه بقدر الطاقة او مطلق المعلومات كما قيل غير مناسب وان صح والمعقول يكون مصدرا واسم
مفعول فالمراد انها يعقلها اذ ما يعقله كله حكم ومواعظ وعلوم نافعة لانه لا ينطق عن الهوي **واجعل**
الصدق والوفا طبيعته اي لا ينطق بغير ما وافق الواقع واذا عاقل احدا او وعد وعدا لا يخلفه
وهذا امر طبيعي جعله الله فيه **والمعروف خلقه** المعروف والعرف قال في المصباح هو الخير والرفق
والاحسان ومنه قولهم من كان آمرا بالمعروف فيامر بالمعروف اي من امر بخير فليامر برفق انتهي ويقابله
المنكر والمعروف ما تعرفه وتالفه العقلا ولذا قيل المعروف كاسمه معروف **والعدل سيرته** العدل
القصد في الامور وهو ضد الجور والسيرة فعلة فهي في الاصل الهيئة في السير ثم صارت اسما للطريقة
يقال سار سيرة حسنة اي طريقته وحاله العدل وعدم الخروج عن الحق قال تع ان الله يامر بالعدل
والاحسان قيل في تفسيره العدل الفرايض والاحسان النافلة وقيل العدل استوا السريرة والعلانية
والاحسان ان تفضل السريرة العلانية وقيل العدل الايصال والاحسان التفضل • وقال ابن عطية
العدل فعل كل مفروض من العقايد والعبادة واداء الامانة والانصاف والاحسان فعل المندوب وقال
البغوي العدل بين العبد وربه ايثار حقه علي حظ نفسه واجتناب الزواجر وامتثال الاوامر وبينه
وبين نفسه منعه لها عما فيه هلاكها والصبر وبينه وبين غيره بذل النصيحة وترك الخيانة وانصافهم
من نفسه والصبر علي اذاهم قيل جعل العدل سيرته لا ينافي ان يكون الاحسان سيرته في محل يليق به
ولا ان يكون العفو طبيعته له لمصلحة تليق بالمقام وقيل عليه ان الاحسان اخص من العدل فان تمثيل
المشركين بحمزة في احد وعدم تمثيل النبي بقتلاهم احسان ولو فعله كان عدلا ومقتضي هذا ان الاحسان
ينفرد عن العدل وليس كذلك واما العفو فان كان باذن الشرع كعفوه عن الذي اخترط سيفه ليقتله
فهو عفو وعدل وعفوه عما لم يوذن فيه كالحدود لم يقع منه لعصمته عن مثله • اقول هذا القائل فسر
العدل بالمساواة في المكافاة ان خيرا فخير وان شرا فشر والاحسان ان يقابل الخير بمثله وزيادة والشر
باقل منه ومقتضاه تغايرهما ومراده المقابلة فيما لا بد من مقابلته وترك العفو عنه فلو اذن له في
العفو والتعليل وفعل ذلك لم يكن عدلا ولا جورا بل مرتبته زايدة علي العدل والمعترض ظن ان كل ما ليس
بعدل جور وليس كذلك **والحق شريعته** الذي رايناه في النسخ المصححة المقروة بنصبهما عطف
علي مفعول اجعل وحينئذ لا يرد عليه شي كما اورد علي الرفع فان تعريف طرفي المسند والمسند اليه
يقتضي الحصر فيقتضي بمفهومه ان ما عداه من الشرايع باطل وليس كذلك ولذا قال بعضهم المراد
الحق الكامل الذي لا ينسخ وقيل الحصر علي ظاهره ولا يحتاج في تصحيحه الي تقدير ذلك الوصف
او جعل التعريف عهديا عبارة عنه لان شريعته في زمن موسي وعيسي لم يكن في الشرايع حق غيرها
وما سواها باطل كذا في النسخة التي عندي ولا يحصل لها ولا يدفع السوال بما قاله ولك ان تقول
ان شريعته في زمانه هي الحق لا غيرها لانتساخ الشرايع بها والكلام يفيد هذا بدون تقدير والحق
الثابت وخلاف الباطل وما يستحقه الانسان علي غيره والشريعة دينه الذي شرعه الله لامته
وهي قانون الهي وضعه الله علي لسان رسله يسوقهم الي خير الدارين • والشريعة قيل انها في الاصل
الطريق الواضح المستقيم كالشرعة قال تع لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وتكون بمعني المشرعة
والموردة اي المحل الذي يشرب منه من حافة نهر ونحوه ثم نقلت للدين اما لانه طريق للخير والثواب
او لتضمنها ما هو سبب للحياة الباقية كالموردة لتضمنه لسبب الحياة الفانية ورد بان معناها
انما هو الطريق والموردة وانما سميت بها لانها موصلة للماء وفيه نظر لا يخفي **والهدي امامه**

الهدي الدلالة بلطف ولذا اختصت بالخير ولها انواع اولها خلق القوي والمشاعر الظاهرة
والباطنة التي يتمكن بها من الاهتدا لمصالحه والثاني نصب الدلايل الحقة والثالث ارسال
وانزال الكتب والرابع ان يكشف عن قلوبهم حتي يشاهدوا الاشيا • فان قلت كيف يشمل هذه الانواع
والاول لم يدلهم الله عليه قلت هذا من سوء الفهم فان المراد ان خلقها بمنزلة الدلالة فيها وقوله
امامه بكسر الهمزة بضبط البرهان الحلبي وهو الظاهر وضبطه بعضهم بفتحها وهو بمعني قدام
احد الجهات الست ومعناه علي الاول مقتداه ومتبعه وبه سمي الامام للاقتدا به وقال تع لابراهيم
اني جاعلك للناس اماما اي انه متبع للهدي وهو كناية عن ملازمته له وعدم انفكاكه عنه وقيل
ان تعريفه للعهد اي هدي الانبيا لقوله تع اوليك الذين هدي الله فبهداهم اقتده والمراد بهداهم
ما اتفقوا عليه من التوحيد والاصول لا الفروع ويجوز ان يراد بالامام الطريق كما قيل في قوله وانهما
لبامام مبين وعلي الفتح فالمراد بطريق الكناية اي انه ملاحظ له كما يقال في ضده انه ظهري ونحو
ظهري **والاسلام ملته** بنصبهما ورفعهما كما مر والاول هو المصحح في النسخ التي عندنا وهو الاحسن
قيل المراد ان الاسلام اسم لهذه الملة فالمعني انه جعلها خير الملل وسماها بهذا الاسم وهو عام والمراد
الكامل منه وهذه التسمية في التورية صريحا او ضمنا لقوله هو سماكم المسلمين من قبل اي قبل نزول
القران سماهم بهذا في الكتب الالهية والظاهر ان هذه الصفات السلبية والايجابية ذكرت في
التورية والانجيل تعريفا له فينبغي حملها علي الكامل منها لتكون من خصايصه التي يتميز بها عن غيره
والملة كالدين والشريعة تطلق علي الاسلام وغيره وهي متغايرة بحسب المفهوم متحدة بحسب الخارج
والاسلام اصل معناه اللغوي الاستسلام والانقياد ثم خص في لسان الشرع بالانقياد لما جاءت
به الرسل والانبيا بلا خلاف وانما الخلاف في اختصاص الاسلام بامة محمد صلي الله عليه وسلم والمشهور
انه لا يختص بهم فيقال لكل ملة اسلام ولاهلها مسلمون ولكل نبي انه مسلم لقوله تع في حق لوط
فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين وقيل انه لا يوصف به هذه الامة ولا يوصف به غيرهم من الانبيا دون
اممهم وارتضي هذا السيوطي وصنف فيه رسالة مستقلة واطال فيها وتبعه بعض الشراح هنا ثم
قال ان الاسلام بالمعني الشرعي المتضمن للشهادتين وساير الاحكام المفروضة علي هذه الامة مختص
بهذه الامة دون جميع من عداهم من الامم والانبيا وهو اسم منقول كالصلاة واما بالمعني اللغوي
وهو الانقياد فهو عام لكل منقاد لمشرعه من الشرايع ويويده قوله تع سماكم المسلمين • ثم ان معني
الاسلام والفرق بينه وبين الايمان مفصل في كتب الاصول فلا حاجة لذكره هنا • اقول
فيما قاله السيوطي نظر لا يخفي **واحمد اسمه** اي جعل اسمه احمد وسماه به في الكتب القديمة قبل
وجوده وهو علم منقول من اسم التفضيل اي هو اكثر حمدا لله من ساير الانبيا وجميع الخلق وهو صاحب
لواء الحمد يوم القيمة وقال السخاوي في سفر السعادة انه صفة كاحمر وابيض نقلت لهذه وسياتي الكلام
عليه في اسمايه صلي الله عليه وسلم • ولما ذكر صفاته الموصوف بها في نفسه شرع في صفاته التي لوحظ
فيها غيره وهو جواب لسوال مقدر تقديره هل ينتفع بهذا الطاهر المطهر الكامل في نفسه غيره فقال **اهدي**
به بعد الضلالة كما قيل وقيل انما فصله لعلو مرتبة الهداية سواء كانت للايصال او الدلالة الموصلة
واهدي بفتح الهمزة مضارع هدي فيه تقوية لمدحه السابق والمراد الهداية الي ما به النجاة الي ما به
تحصيل الناجي فلذا قال **واعلم به بعد الجهالة** والضلالة بمعني الضلال وهو سلوك غير الطريق الموصلة
ويقال اضل الشي اذا ضيعه وهي تكون عن قصد وعمد وبغير قصد كقوله فعلتها اذا وانا من الضالين
اي المخطيين وبين الهداية والضلالة صنعة الطباق البديعية والبا للسببية او للتعدية • واعلم

مضارع بضم الهمزة وتشديد اللام كما في المقتفي ● **والجهالة** بفتح الجيم مصدر كالضلالة بمعنى الجهل
والجهل والجهالة ضد العلم وهو الاعتقاد الذي لا يطابق الواقع ● وفي المصباح جهلت الشي جهلا
وجهالة خلاف علمته وفي المثل كفى بالشك جهلا انتهى **وارفع به بعد الخمالة** ضبطه ابن رسلان
بفتح الخا المعجمة والميم ونقل عن بعض النحاة انه لا يقال خمالة وانما هو خمول وفي الصحاح الخامل الساقط
الذي لا نباهة له وقد خمل يخمل خمولا واخملته انا وفي الجمهرة رجل خامل الذكر بين الخمول والخمولة
وهو ضد النبيه والنابه اقول هذا الحديث صحيح وثبوت هذه اللفظة فيه يكفي دليلا لصحتها
وهو لمشاكلة الضلالة والازدواج معها ولو قلنا انه غير قياسي والمراد برفعه جعل الدين والتوحيد
بعد ما ترك في الفترة لغلبة الجهل مشهورا شائعا فهو مجاز كقوله تع ورفعنا لك ذكرك وبينه وبين الخمالة
طباق او شبهه **واسمي به بعد النكرة** يقال اسميته كاكرمته وسميته بالتشديد ويتعدى بنفسه
وبالبا كسميته زيدا وبزيد اذا جعلته اسما له وعلما وبالتشديد ضبطه البرهان في المقتفي وروي
بضم الهمزة وسكون السين المهملة والنكرة بضم النون وسكون الكاف وبفتح النون وكسر الكاف خلاف
المعرفة وتطلق بمعنى المجهول كقول الشاعر في مجهول النسب ● وامه معرفة ● لكن ابوه نكرة ●
والبا للسببية اي اعرف الناس بسببه او بما اوجده اليه الناس المجهولين او اعرفهم ما جهلوه من
التوحيد او اعرف الناس ما لم يعرفوه من الانبيا وقصصهم وقيل الاولى التعميم وقيل المراد اعرف به
من هو في حكم النكرة غير معروف ولا بشهرة موصوف وهو تكلف وبين التعريف والتنكير شبه الطباق
ومعنى هذا وما قبله اني ارسله في زمان جهالة وضلالة وفترة فيؤمن به اول مساكين الناس
وضعفاؤهم على عادة الرسل فيصيرون بعد خمولهم وكونهم مجهولين اعز الناس واكرمهم فان من صحبه
من كان بدويا واعرابيا بعد اشراق نور النبوة عليه فصار صدرا يقبل الجبابرة يديه ورجليه
وقد كان الدين والعلم قبيل بعثته نكرة لا يقبل التعريف فافاض الله منه على امته ما لم تنتهم بالامم
حتى ابدعوا علوما وتاليفا تحار فيها الافكار فجزاه الله خير الجزا وهذا من خصايصه صلى الله
عليه وسلم **واكثر به بعد القلة** اكثر بضم الهمزة وسكون الكاف وكسر المثلثة وتخفيفها او بفتح
الكاف وتشديد المثلثة المكسورة لانه يتعدى بالهمزة والتضعيف قال تع فقد جادلتنا فاكثرت
جدالنا وقولهم اكثر من الاكل يحتمل زيادة من وحذف المفعول اي اكثر الفعل من الاكل كما في المصباح
والمراد انه تكثر به الارزاق مطلقا او على من تبعه او اكثر امته بعد قلتها في ابتدا امره او بعد
عدمها لان القلة ترد في كلام العرب بمعنى العدم ايضا وهو بعيد وقيل المراد اكثر به قواعد الملة
بعد القلة لانهم كانوا على ملة عوجا فاقامها واعاد منها ما نقص بكلمة التوحيد وهو تكلف ●
واغني به بعد العيلة اغني مضارع من الاغنا وهو اعطا الغني والعيلة بفتح المهملة وسكون
التحتية الفقر قال تع ووجدك عايلا فاغني من عال له اذا قام بامره وكفله والعامة تقول عيلة
بمعنى عيال جمع عيل كجياد وجيد ولو استعمله بمعنى كان له وجه من المجاز والصحيح وورود العيلة
بمعنى عيال كما فصله البيهقي في كتاب الانتصار للشافعي والمراد ما كان هو وامته عليه في ابتدا
امره ثم صار بعد ذلك لهم من النعم والسعة بما احل لهم من الغنايم وفتح من الممالك ما هو غني عن الشرح
والبيان **واجمع به بعد الفرقة** اي اجمع به بين الناس بعد افتراقهم وتنافر قلوبهم لما بينهم من العداوة
المؤدية للحروب وترك الديار كما كان بين العرب والعجم وبين قبايل العرب وبين القبيلة الواحدة
الاترى ما كان بين المسلمين والمشركين مما ادى الى الهجرة وترك الاوطان وبين الاوس والخزرج من
الحروب والمهاجاة بل بين الاب والابن والاخ واخيه كما قال ابو فراس ●

وقل

وقبلي كان الغدر في الناس شيمة ● وذم زمان واستلام خليل ●
وفارق عمرو بن الزبير شقيقه ● وخلى امير المؤمنين عقيل ●

فلما جا الاسلام الف الله بين قلوبهم وسل احقادهم وضغاينهم حتى صار الواحد يترك عن
اخرى زوجتيه للآخر ويقطع برده نصفين او المراد انه جمع العقايد والملل على التوحيد وملة
الدين او المراد الامم منها فقوله **واولف به بين قلوب مختلفة واهواء متشتتة وامم متفرقة**
عطف تفسيري لما قبله ومتفرقة كما قال التلمساني بتقديم التاء على الفاء من التفرق وبتقديم الفاء
على التاء من الافتراق في نسخة العوفي والتاليف جعل الاشيا مؤتلفة مجتمعة اي اجمع بينهم على مودة
وايتلاف بعد الافتراق والعداوة كما قال تع واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم
فاصبحتم بنعمته اخوانا واسناد التاليف الى الله تع في الآية لا ينافي كون التاليف بسبب النبي صلى الله
عليه وسلم فانه السبب الظاهري والفاعل الحقيقي هو الله والتاليف بين القلوب يستلزم التاليف
بين الذوات فلا منافاة بينهما كما توهم او المراد التاليف بين عقايدهم بحيث تكون عقيدتهم واحدة
متفقة على الحق والتوحيد ● والاهوا جمع هوى وهو ميل النفس لما تشتهيه وتحبه والمتشتتة المتفرقة
اي اجعل مهواهم واحدا متفقا محمودا والهوى غلب اطلاقه على المذموم كما قال الله تع ولئن اتبعت اهواءهم
بعد ما جاءك من العلم والامم جمع امة وهي الفرقة من الناس وغيرهم يعني ان كل امة كانت على دين واعتقاد
وعلى طريقة منهم من يعبد الاصنام ومنهم من يعبد الكواكب ومنهم من هو على دين موسى ومنهم من هو
على دين عيسى فنسخ الله بشريعته جميع الشرايع وجعل الدين دينا واحدا قيما من حاد عنه هلك
وشقي في الدارين **وجعل امته خير امة اخرجت للناس** كما قال تع كنتم خير امة اخرجت للناس
اي انه تع قضى بذلك وقدره في الازل وعالم الذر واخرجت بمعنى وجدت وخلقت واخرجت من العدم
والمراد امة الاجابة وهم من آمن به وتطلق على امة الدعوة وهم جميع الناس الموجودين بعد بعثته
وقيل المراد كنتم مذكورين في الامم الذين قبلكم موصوفين بانكم خير لخيرية نبيكم ودينكم او بما بينه من
قوله بعده تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتومنون بالله في هذه الآية دليل على ان اجماعهم حجة
وفي حديث آخر اخبرنا رسول الله عن صفته في التورية رواه الطبراني وابو نعيم في الدلايل عن ابن مسعود
والدارمي عن كعب موقوفا ورواه باسناد ضعيف **عبدي احمد المختار** اضافه اليه تشريفا له واحمد
عطف بيان او بدل والمختار صفته وجملة **مولده بمكة** اي كاين فيها فالبا ظرفية او عبدي مبتدا احمد
خبره وما بعده جملة اخرى مستانفة والمختار الذي اختاره من جميع خلقه وهو بمعنى المصطفى مولده
بمكة اي موضع ولادته في هذه البقعة الشريفة **ومهاجره** اي محل هجرته الذي يهاجر اليه **بالمدينة او
قال طيبة** والمدينة المصر الجامع ووزنها فعيلة لانها من مدن وقيل مفعلة بفتح الميم من دان غلبت على مدينة
الرسول والجمع مداين بالهمز على القول باصالة الميم ووزنها فعايل وبغير همز على القول بزيادتها ووزنها
مفاعل لان للبا اصلا في الحركة فترد اليه كما قيل في معايش ● والهجرة في اللغة الترك ثم خصت بترك
مكان لآخر وكانت واجبة قبل فتح مكة وللمسلمين هجرتان للحبشة ومكة وغالب الانبيا وقع لهم الهجرة لعداوة
الناس لهم وكان اسم المدينة يثرب فكره النبي ذلك لما فيه من ايهام معنى التثريب ولها اسما منها طيبة
بفتح الطا وتخفيف اليا الساكنة مونث طيب بالفتح لغة في الطيب بمعنى الرايحة الطيبة او هي مخففة
من طيبة بالتشديد ويقال طابة ايضا والمراد انها مطهرة من الشرك والخباثة وقوله او قال شك من
الراوي فيما قاله النبي صلى الله عليه وسلم وطيبة مجرور بالفتح لمنعه من الصرف تقديره او قال بطيبة
لا مرفوع تقديره مهاجره طيبة نعم لو ان جاز على بعد فيه قيل وظرفية طيبة لمهاجره بضم الميم وفتح الجيم

من ظرفية الكل للجزئية كما يقال الانسان في زبيد وكذا مولده بمكة ولو قيل انه مصدر ميمي لم
يبعد فتدبر **امته الحمادون لله على كل حال** الحمادون الكثيرون الحمد وتعريف الطرفين يفيد الحصر
فكثرة الحمد مختصة بهذه الامة في السراء والضراء لان الله مستحق الحمد استحقاقا ذاتيا فلا يختص
بحال دون حال وهو بالنظر للمجموع او الغالب او المتقين منهم او هذا من شانهم وحمله على الكل والحمد لا
يلزم ان يكون في مقابلة النعمة كالشكر فلا يحتاج الحمد في الضراء للتوجيه وان كان العبد منعما
عليه في كل حال بنعمة الايجاد والجوارح والحواس والضراء منفعة بالثواب عليها وحفظه عن
الاضر ولك ان تقول كثرة الحمد في هذه الامة لما في اوقات الصلوات من قراءة سورة الحمد والثناء على
الله فيها على ابلغ وجه لم يقع لغيرهم من الامم • **واعلم** ان في بعض الشروح الاعتراض على المصنف ممن
اكثر النقل من التورية وغيرها من الكتب المنسوخة وقد حرم الفقهاء قراءتها والنظر فيها فانها محرمة
مبدلة وبالغ بعض الفقهاء فقال يجوز الاستنجاء باوراقها وهذا مما لا ينبغي التلفظ به ثم انهم
اختلفوا بعد ذلك في تحريفها وتبديلها هل هو بتغييرها بالزيادة والنقصان او بتاويلها وتفسيرها
بغير المراد منها وقالوا الاشتغال بها ينافي الغرض من نسخها ولا مانع من قراءتها لمعرفة النبي صلى الله
عليه وسلم فيها ولالزامهم بما انكروه وكيف يحرم هذا وقد قال الله تعالى قل فاتوا بالتورية فاتلوها
ووقع في الاحاديث النقل عنها ولو حرفوها لحرفوا آية الرجم الذي الزمهم عبد الله بن سلام بها
وقد ارتضى هذا ابن تيمية وفي شرح التجاني اذا وجد فيها ما يقوم النظر على عدم تبديله وافاد
النظر فيه مقصدا شرعيا فلا يبعد ان يباح النظر فيه والاشتغال به وهو كلام حسن **وقال
تعالى الذين يتبعون الرسول النبي الامي الآيتين** اي اقرا او اذكرها تين الايتين بتمامهما
اعني الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التورية والانجيل يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر
ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم فالذين
امنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه اولئك هم المفلحون قل يا ايها الناس
اني رسول الله اليكم جميعا الذي له ملك السموات والارض لا اله الا هو يحيي ويميت فامنوا بالله
ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون وانما اقتصر المصنف على بعضها
للاختصار ونحن ذكرناها ايضاحا لمن يحفظ وادخالا الثواب التلاوة وانما ذكر المصنف هاتين الايتين
لان الفصل مقصود للشهادة اي لكونه شاهدا على امته وغيرهم ولما يتعلق بها فذكر اولا ما يدل
على مقصوده من القرآن العظيم ثم ثنى بانه موصوف بذلك في الكتب الالهية كالتورية والانجيل
ثم ذكر هذه الآيات لتعلقها بما ذكر لانها تدل على صحة ما نقل من التورية في ذكره فيها وقد قال في الترجمة
ذكر الشهادة وما يتعلق بها وقد قيل انه ذكر استطرادا لما في الآية الاولى من التنبيه على ان وصفه
واسمه مذكور في التورية كما نقله وفي الثانية ذكر كونه رسولا ونبيا اميا كما في التورية وقيل ذكرت
لما فيه من الثناء والمدح له صلى الله عليه وسلم ولما نزل قوله ورحمتي وسعت كل شيء قال ابليس انا شيء
فطمع في الرحمة فلما سمع قوله فساكتبها للذين يتقون ايس من انه تناله الرحمة وقالت اليهود والنصارى
نحن متقون داخلون في هذه الرحمة فلما سمعوا قوله الذين يتبعون الرسول الخ خرجوا عن العموم وهذا
كما روى سعيد بن جبير عن ابن عباس انه قال كتبها الله لهذه الامة وهو كما قيل مبني على ان الذين يتبعون
خبر مبتدا تقديره هم الذين الخ او بدل بعض ان كان تعريف الموصول هنا للاستغراق فان كان للعهد
فهو بدل كل من كل فان جعل الذين مبتدا وقوله يامرهم الخ خبره فلا تخصيص الا انه يخالف التفسير
المأثور عن ابن عباس والقول بان البدل مخصص ذهب اليه كثير من الاصوليين كابن الحاجب وغيره

وانكره الهندي لان المبدل منه في نية الطرح ولا حجة له فيه لانه وان لم يكن مطروحا من كل الوجوه
فطرحه يدل على خلاف مدعاه ونقل عن الشافعي رحمه الله تعالى ان كان بدل البعض والاشتمال من المخصصات
وهو الحق والامي هو الذي لا يقرأ ولا يكتب وهو صفة مادحة للنبي صلى الله عليه وسلم وقد مر
تقريره والقول بانه كتب بيده بعد ذلك تقدم وما فيه وانه نسبة لام القرى او لامة التي ولد به
وفي شرح التجاني انه قرئ في الشواذ الامي بفتح الهمزة منسوب الى الام بمعنى القصد لانه مقصود
كل احد باتباعه واتباع شريعته وفي تقديم الرسول على النبي مع انه اخص منه مخالفة للظاهر فقيل
لانه ارسل نبيا عن الله يعني انه بمعناه اللغوي وهو المنبي لا بمعنى من اوحي اليه بشرع سواء امر
بتبليغه ام لا وقيل قدم الرسول للاهتمام به ولذا رد النبي على البراء بن عازب لما قال امنت
بكتابك الذي انزلت وبرسولك الذي ارسلت وقال له قل ونبيك الذي ارسلت ليكون الكلام
جاريا على الترتيب اللائق به وليسلم من التكرار وقيل انما اخر النبي لدفع احتمال ان يراد بالرسول
معناه اللغوي واحتمال ان يراد بالنبي معناه وحقيقته اللغوية ايضا اجيب عنه بانه يحصل
من الاجتماع معنى ليس في الانفراد وقيل ليس الصفة مجرد النبي بل النبي الامي لاشتهاره بذلك
في الكتب السالفة فالمقصود الاخبار بمجموعهما كالرمان حلو حامض فهو اخص من الرسول او ذكر
للتفهيم فذكر اولا الاعلى ثم الادنى ليستوعب جميع صفاته لا للترقي ومعنى وجدانه في التورية
والانجيل انهم يجدونه فيهما اسما وصفة والمعروف ضد المنكر وهو ما عرف انه طاعة لله من ترك
الاوزار ومكارم الاخلاق كصلة الرحم والطيبات كل حسن حلال والخبائث ما كان بخلافه كالخنزير
وكل مستقذر ويدخل فيه الربا والسحت بمعنى الرشوة التي تسحت البركة ووضع الاصر بمعنى الثقل
او العهد لان بني اسرائيل اخذ عليهم العهد بالتزام امور شاقة كقرض موضع النجاسة وتحريم الغنائم
فخفف الله عن هذه الامة بعدم التكليف بها وعزروه بمعنى عظموه ووقروه ونصروه بدفع اعدائه
عنه والمراد بالنور الذي انزل معه القران لظهوره في نفسه واظهاره لغيره كما مر والمعنى انه
انزل مع نبوته وقيل مع ما يتعلق باتبعوا اي اتبعوا القرآن مع اتباعه اشارة للكتاب والسنة
والمفلحون الفائزون بكل خير **قال الله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم الآية** ذكر هذه الآية عقب
ما تقدم في التورية من قوله ليس بفظ ولا غليظ اي فبرحمة من الله وما مزيدة لتاكيد الكلام
وتزيينه وزعم ابن كيسان ان ما نكرة تامة في محل جر ورحمة بدل والاول هو الوجه اي برحمة الله لك
وتوفيقه ولطفه بك ان خلقك لينا مهذب الاخلاق وجعلك صبورا لا تؤاخذ الناس بما فرط منهم
حتى جبلت القلوب على محبتك ولو لم تكن كذلك كنت فظا اي شديدا غليظ القلب متجاوزا للحد
لانفضوا فيتفرقون يقال فضضت الشيء فضا فانفض اذا فرقته قيل فامتناع التفرق عنه
لامتناع كونه فظا غليظا كما هو شان لو فالشرطية تنتج فيها استثناء نقيض التالي للزوم نقيض
مقدمه اي لم ينفضوا من حوله فلم يكن فظا بطريق قياس الخلف لاثبات مقصود بابطال نقيضه
وقيل الاولى ان يقال المعنى لكن لم تكن فظا فلذلك لم ينفضوا والمقصود اظهار النبي وان عدم
الانفضاض من اللين الذي هو من رحمة الله ففيها ترهيب وترغيب ولكل وجهة وقيل ليس المراد
الاستدلال بانتفاء الانفضاض على لينه وانتفاء كونه غليظ القلب كما في قوله لو كان فيهما آلهة
الا الله لفسدتا الخ حيث استدل بانتفاء الفساد على انتفاء تعدد الآلهة لان التحقيق ان لو لا تفيد
امتناع الشرط لامتناع الجزاء وانما تقتضي انتفاء ما يليها واستلزامه لتاليه كما قرروه على انه عليه
السلام عالم بحاله وانه ذو لين • وقوله فبما رحمة الخ ليس لافادة انه ذو لين وانما هو لافادة ان لينه

ليس الا برحمة منه وما ذكرنا انما يكون اسيدلالا لو لم يكن عالما بحاله الا ان يقال المقصود بالاية
غيره تعريضا ولو قيل لان بالغيبة لم يكن لتعريض اصلا فتدبر • وقال في الكشاف ما مزيدة للتوكيد
والدلالة على ان لينه لهم ما كان الا برحمة من الله ونحوه فبما نقضهم ميثاقهم وقال المحقق التفتازاني
في شرحه الحصر انما استفيد من تقديم الجار والمجرور وزيادة ما انما تفيد تاكيد ذلك فلذا قيل
ان في كلامه حذف اي ما مزيدة والظرف مقدم للتاكيد والدلالة الخ انتهى فهو من باب اللف
التقديري وتبعهم بعض الشراح هنا اقول ما ارتكبوه من التكلف من عدم الوقوف على مذهب
الزمخشري في هذه المسئلة فانه ذهب الى ان زيادة حرف في التركيب يفيد الحصر والذوق السليم
شاهد له فان تقوية الحكم قد تقتضي الحكم بان لا يشاركه غيره فيه قال ابن هشام في رسالته المشهورة
في اعراب لا اله الا الله ذهب الزمخشري الى ان اسم مبتدا والله خبره وقال في انا تقرير نحو ما جاءني
رجل يفيد نفي واحد غير معين فيجوز السامع عن اثنين فاذا قيل ما جاءني من رجل علم انه لم يجئه احد
من جنس الرجال ومن ثمة صح ان يقال ما جاءني رجل بل رجلان ولم يصح ما جاءني من رجل بل رجلان
وكذا فبما رحمة من الله لنت لهم وفبما نقضهم ميثاقهم لعناهم لو لم تؤت بما جوزنا ان اللين واللعن
كانا للشيئين المذكورين ولغيرهما وحيث دخلت ما قطعنا بان اللين لم يكن الا للرحمة وان اللعن
لم يكن الا لنقض الميثاق انتهى ويؤيده قول الفقهاء ان السبب الموهوم لا يعتبر في مقابلة السبب
الظاهر كما اذا راينا قتيلا في محلة اعرابيه لا يقال ان غيرهم قتله وحمله الى محلتهم كما في شرح
الهداية • ثم قال فاذا كنت مجبولا على اللطف واللين فاعف عنهم ما صدر منهم في حقك واستغفر
الله واطلب منه المغفرة لهم وطيب قلوبهم بمشاورتهم فيما تريد فاذا اتفقت الشورى على امر فاعزم
وتوكل فانك منظور بعين الرضى والمحبة **فال السمرقندي** تقدم بيانه وترجمته **ذكرهم** اي
ذكر النبي والمومنين وفي نسخة ذكره وذكر مشدد فيهما وقيل الله مخفف **منته** اي انعامه
وامتنانه عليهم **انه جعل رسوله رحيما بالمومنين رؤفا لين الجانب** بفتح الهمزة بدلا من منته
او بتقدير بانه والضمير لله او للشان وخص المومنين بالذكر مع عموم رحمته لان الاية في حقهم
والضمير راجع اليهم وقد تقدم الفرق بين الرحمة والرحمة وقوله لين الجانب يصح ان يكون تفسير الرؤف
والجانب اي الذي يليهم منه وهو كناية عن معاملته لهم ومواجهته بتشديد اليا وروي بتخفيفها
من اللين بكسر اللام ضد الخشونة **ولو كان فظا خشنا في القول لانفضوا من حوله** المعروف
ان الخشونة ضد النعومة والملاسة الا ان الجوهري جعلها ضد اللين وهو الواقع في كلام العرب
كقول الحماسي • اذن لقام بنصري معشر خشن • عند الحفيظة ان ذو لوثة لانا •
لان اللين في الغالب من الرقة والملاسة فهي عبارة عن الشدة في القول والفعل وقد يمدح بها اذا
كانت على من يستحقها كما في البيت وقوله تعالى اشداء على الكفار رحماء بينهم وكونها طبعا وسجية له
غير ممدوح وقد قيل ان ظاهر قول المص هنا ان خشونة القول صفة مبينة للفظاظة فيكون التفرق
مرتبا على مجرد الخشونة وعلى امر واحد وهو في الاية مرتب على امرين الفظاظة وغلظ القلب
فما فسر به الاية غير موافق لها فيحتاج هذا للتصحيح والتوفيق فاما ان يقال انه اشار الى ان التفرق
مرتب على الاول وحينئذ يلزمه ترتبه على ما تركب منه مع غيره من جنسه وفيه ان لزوم ترتبه على
خشونة القول والفعل غير مسلم ويجوز ان يكون فظا في كلامه بمعنى غليظ القلب وخشنا بمعنى فظا
ولما كانت منشاء الخشونة هذه الغلظة وقدمها في الاية واقتصر عليها المص فان الامر القلبي انما
يثمر بعد قول او فعل فتامل • اقول لك ان تقول ترتب التفرق في الاية على امرين الذي سلمه

المعترض غير مسلم لان الجوهري قال الفظ الغليظ وقال في المصباح رجل فظ شديد غليظ القلب
يقال منه فظ يفظ من باب تعب فظاظة اذا غلظ حتى يهاب في غير موضعه انتهى فتكون الصفة
الثانية في الاية مبينة للاولى كقوله تعالى خلق الانسان هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه
الخير منوعا فظا في التفسير بمعنى غليظ القلب وقوله خشنا في القول بيان لما به تظهر الفظاظة
ففي الاية صفة واحدة وفي التفسير اثنتان عكس ما توهمه المعترض ومن دابه ان يستسمو العدم
على ان ما بني عليه كلامه من كونه خشنا صفة اساس في الهوى وما بناه عليه كبنيان القصور
على الثلوج **لكن جعله الله سمحا سهلا طلقا برا لطيفا** سمح بوزن ضرب مصدر كالسماحة بمعنى
سهلا ومنه الحديث اتيتكم بالملة الحنيفية السهلة وفسره بعضهم بجواد كريم والسهل بزنته
وكذا كل ما بعده الذي لا صعوبة فيه او لا فظاظة وغلظة • والطلق بالفتح هنا ويجوز تثليثه
صفة مشبهة وهو في الاصل يوصف به فيقال طلق الوجه اي عبوس فيه بشاشة وسرور
ويوصف به صاحبه ايضا كما هنا ويكون بمعنى الجواد وليس بمناسب للمقام كما قيل وفيه لغات
نظمها ابن مالك في قوله • من دابه الافصاح حين ينطق • طلق طليق طلق وطلق •
والبر من فيه خير وشفقة ورفق واحسان ورحمة واللطيف الشفيق لانه اشفق الناس على امته
وهو من اسمائه تعالى قال الله تعالى لطيف بعباده وفسر بالخبير العالم بخفيات الامور وهذه الصفات
تفهم من اللين ونفي غلظ القلب فان البخل في محل الانفاق من عدم الشفقة وطلاقة الوجه من
عدم الفظاظة لانها تلزمه غالبا والثاني ظاهر **هكذا قال الضحاك** قال البرهان الحلبي
هو ابن مزاحم الهلالي الخراساني التابعي وروى عن ابي هريرة وابن عباس وغيرهما من الصحابة
ضعفه بعضهم لكن احمد وابن معين وثقاه وروى عنه اصحاب السنن وغيرهم وله ترجمة
في الميزان وتوفي سنة خمس ومائة وقيل غير ذلك ومن اجلة التابعين ايضا ضحاك بن قيس
المعروف بالاحنف ولشهرته بالاحنف لم يجوز احد من ارباب الحواشي ان يكون المراد ومن حسن
الاتفاق موافقة معنى اسم الراوي للمروي وهكذا بمعنى مثل هذا وها للتنبيه والكاف للتشبيه
وذا اسم اشارة والمماثلة والمغايرة باعتبار ان اللفظ القائم بمتكلم غير القائم باخر واذا اتحد
نوعهما او حرف التشبيه مقحم غير مقصود اي هنا وسترى تحقيقه قريبا **وقال تعالى وكذلك
جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا** سيأتي تفسير
هذه الاية وفسر بعض الشراح قوله كذلك فقال اسم الاشارة المجرور بالكاف التي للتشبيه هو
واللام قبل كاف الخطاب لبيان كون المشار اليه بعيدا او هو ما فهم من الاية قبلها اي وكما جعلناكم
مهتدين الى صراط مستقيم او جعلنا قبلتكم افضل القبل اقول هذا خلاف ما ارتضاه
المحققون من شراح الكشاف فيه وفي امثاله قال العلامة التفتازاني في قول الكشاف
ومثل ذلك الجعل يريد ان ذلك اشارة الى مصدر الفعل المذكور بعده لا الى جعل اخر بقصد تشبيه
هذا الجعل العجب به على ما يتوهم من ان المعنى ومثل جعل الكعبة قبلة جعلناكم امة وسطا واذا
تحققت هذا فالكاف مقحمة اقحاما كاللازم لا يكادون يتركونه في لغة العرب وغيرهم هكذا
ينبغي ان يفهم هذا المقام انتهى • اقول هكذا قاله الطيبي وغيره ولم ازل ابحث عن هذا كل
من ثاقفته من الفضلاء فلم اظفر بما يثلج الصدر فتصفحت الدفاتر وراجعت خزاين الضماير
فرايت في شرح القصايد الطوال في شرح قول زهير •
كذلك خيمهم ولكل قوم • اذا مستهم الضراء خيم •

نقلا عن الجرجاني انه قال لفظ كذلك يكون تثبيتا الخبر متقدما او متاخرا فهي نقيض كلا لانها تنفي ذلك فمعنى البيت ان زهرا وآباءه ثبت لهم حسن الخلق في دفع المهمات اذا نزلت بقومهم وان كانت الاخلاق تتغير عند نزول الشدايد وحلول العظايم ومثله قوله ثم كذلك نسلكه في قلوب المجرمين انتهى • فقد علمت من هذا ما ذهب اليه اهل المعاني من ان كذلك تكون في كلام العرب لتثبيت ما بعدها وتقريره من غير نظر للتشبيه وانه طريق مسلوك لبلغاء العرب وتوضيحه ان وجه الشبه يكون كثيرا في النوعية والجنسية كقولك هذا الثوب كهذا الثوب اي في كونه خزا او بزا وهذا التشبيه يستلزم وجود امثاله وثبوته في ضمن النوع فاريد به على طريق الكناية مجرد الثبوت لما بعده ولما كانت الجملة تدل على الثبوت كان معناها موجود ابروزها وهي موكدة له فكانت كالكلمة الزايدة وهذا معنى قولهم انها مقحمة واما دلالتها على كون ما بعدها عجيبا غريبا فلان ما ليس كذلك لا يحتاج لبيان فلما اهتم باثباته في الكلام البليغ علم انه امر غريب وبهذا تبين لك معنى قوله ومثل هذا الجمل العجيب • فان قلت ما مناسبة كونهم امة وسطا شهداء على الناس لما سبق له النظم من تحويل القبلة قلت وجهه ان اهل الكتاب لما انكروا تحولهم عن قبلة من قبلهم رد عليهم انكارهم بان هذه الامة واهل هذه الملة شهدا عليكم يوم الجزا وشهادتهم مقبولة فانتم احق باتباعهم والاقتدا باهل قبلتهم ولا وجه لانكاركم عليهم لان قولهم وفعلهم مقبول منكم وهذا تحقيق لم اسبق اليه فعليك بادخار جواهره في حقايق الاذهان فانك لا تراه في غير هذا المكان

قال ابو الحسن القابسي تقدم الكلام في ترجمته ونسبته **ابان الله تعالى** اي بين واظهر **فضل نبينا وفضل امته بهذه الآية** البا للتعدية او السببية واختار بعضهم كونها ظرفية بمعنى في لقوله **وفي قوله في الآية الاخرى** وهي قوله هو سماكم المسلمين من قبل **وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس** ضمير هو لله عز وجل اي الله عز وجل سماكم المسلمين فيما اوحاه لرسله في الكتب القديمة ثم سماكم به في هذا القرآن كما تقدم وقيل المعنى ان ابراهيم سماكم قبل هذا الوقت في قوله واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك او ابراهيم سماكم مسلمين كما نقل عنه في هذا القرآن وقوله ليكون متعلق بسماكم وفسرت شهادته بتزكية شهادة المخاطبين وتصديقها على ان الاولى بمعنى اللام وشهادتهم للانبيا على اممهم وعلى الثاني على اصلها ان كان المراد بالناس اممهم او بمعنى اللام ان كان المراد اباهم فتطابق هذه الآية وما قبلها كما سياتي في كلام المصنف وتعاكسهما لفظا لان التزكية موخرة زمانا عن الشهادة في الاولى والمزكي موخر رتبة عن المزكى في الثانية وترقي في مدح المخاطبين في الثانية ببيان انهم سيشهدون ويزكيهم من لا ينطق عن الهوى ولاهتمامه به قدم ذكره في الثانية وان مثله سيزكيهم ومنهم من فسر شهادتهم بما مر وشهادته على المخاطبين بالتبليغ فيتطابق الآيتان على هذا والظاهر ان شهادتهم هذه قبل شهادتهم تلك فلذا قدمت في احداهما واخرت في اخرى لان السياق لهم بل لا لتصديرها وان ذكر النبي فيها وشهادته بالتبليغ وهم غير منكرين لانهم لم يقضوا حق ما افترض عليهم فنزلوا منزلة من لم تبلغه لعدم الجري على موجبها فهي كالشهادة عليهم واستشكلوا كون لام ليكون للتعليل اذا اريد شهادة الرسول بالتبليغ على المخاطبين لانها لا تتوقف على تسميتهم مسلمين وجعلهم مسلمين بدليل ان من الرسل من يشهد على اممهم بالتبليغ ولا اسلام لهم فلذا فسرت بالشهادة بالتبليغ مع الاطاعة وقيل مناط التعليل الشهادة الثانية وفيه ما لا يخفى ومنهم من جعلها لام العاقبة **وكذلك** اي كما ابانت الاولى فضلهم ابان **قوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد الآية** المراد بالامة جماعة فيها نبيها والشهيد هو النبي

الذي

الذي يشهد على ما عملوه اي كيف يكون حالهم اذا شهد بصلاحهم وفسادهم او بالاخير فقط او على التبليغ ويجوز التعميم واقتصر اكثرهم على الاول لانه انسب بالتوبيخ والآية بالنصب اي اذكرها واتمها وهو قوله وجئنا بك على هولاء شهيدا اي جئنا بك يا محمد على هولاء الشهداء شهيدا على صدقهم او على الامم او على التبليغ او على امتك بالتزكية ولا منافاة بين كون النبي شهيدا للانبيا وعلى الامم وبين ما سياتي من ان امته يشهدون وهو يزكيهم اما لانه يشهد معهم ثم يزكيهم او لانه جعل التزكية شهادة لانها في حكمها **وقوله تعالى وسطا اي عدلا خيارا** الوسط بفتح السين ما وقع بين الطرفين بحيث تكون نسبته اليهما متساوية وقد يراد به ما يكتنف جوانبه ولو من غير تساو كما في المصباح وبسكونها بمعنى بين وفي الفرق بينهما كلام لاهل اللغة بيناه في شرح الدرة ثم استعير لاحسن الشي وخياره ولذا قيل خير الامور اوسطها وقال الشاعر •

• حب التناهي غلط • خير الامور الوسط •

ورده هذا الامام السهيلي في الروض الانف الوسط يكون مدحا وذما كقولهم اثقل من مغزل وسط فالوسط اخو الدون وانما يمدح به في مقامين احدهما الشهادة لتوسط الشاهد في الحق وعدم ميله الى احد الجانبين والثاني النسب كما قيل في وصف ام المومنين خديجة كانت وسطة في قومها لان وسط القبيلة اعرفها وصميمها لاحاطة الآبا والامهات به من كل جانب فلذا كان مدحا والاطراف يتسارع اليها الخلل والاوساط محمية عنه والى هذا المعنى اشار الطائي بقوله في وصف قلعة هم •

• كانت هي الوسط المحمي فاكتنفت • بها الحوادث حتى اصبحت طرفا •

واورد عليه التجاني في شرحه انه مخالف للغة فانهم متفقون على ان الوسط صفة مدح ومنه الصلاة الوسطى وليس واردا عليه فان استعمال الوسط فيما ذكر مجاز فلا يلزم اطراده والسهيلي لا ينكر كونه بمعنى الخيار وانما ينكر لزوم ذلك له كما قال بعضهم ومن هنا عرفت انه يرد بمعنى العدل وبمعنى الخيار وبهما فسرت الآية والعدل معناه ظاهر والخيار يكون اسما مفردا بمعنى المختار والاختيار ويكون جمعا لخير كسهم وسهام كما صرح به في المصباح والعدل في الاصل مصدر فلذا اطلق على الواحد والجماعة وقد يجمع فيقال عدول ولذا افرده المصنف هنا وجمعه فيما سياتي فلا منافاة بينهما وقيل على المصنف ان النبي صلى الله عليه وسلم فسر الوسط في هذه الآية بالعدل في حديث رواه الترمذي وصححه وثبت تفسيره به في صحيح البخاري والعدل والخيار معنيان متغايران وقد رجح الاول بتقديمه لشمول الثاني للجماد ولذا اخره وعطفه الزمخشري باو فجمع المصنف بينهما ان اراد انهما مرادان معا في الآية فلا كلام على منع مثله وان اراد احدهما فلا ينبغي العدول عما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم اذ الظاهر انه بين مراد الله حتما لا احتمالا والمصنف اعلى شانا من انه لا يعرف مثله الا ان يقال انه ذكر الثاني بالتبعية للاول للزومه له انتهى • اقول قد ظهر لك ما قدمناه ان الخيار بمعنى الخير والمختار وكل عدل فهو خير مختار فذكر المصنف له بعد العدل دون عطف بالواو واو لجعله صفة مادحة للعدل لان العدل من هذه الامة لا بد ان يكون خيرا ولا منافاة بين ما ذكره وبين الحديث وليس مثله مما يشكل ويستصعب • وفيه اشارة الى ان التفسيرين مآلهما واحد وعطف الزمخشري له باو للتخيير بين التفسيرين اللذين ذكرهما السلف فان مآلهما واحد فان اختيارهم للشهادة يدل على انهم عدول فلا ينافي التفسير المأثور بل يناسبه مناسبة تامة فلا وجه لما قيل هنا من ان كلام المصنف محل تامل حيث افرده ووصفه بخيار وهو جمع خير مع جمعه بعد في قوله عدولا اخيارا الا ان يعرف والعدل يطلق على الواحد وغيره كما في الصحاح يقال قوم عدل

وعدول فما ذكره كله من ضيق العطن وخبط القطن وفي تركيبه هنا حزازة لانه يحتاج الى تقدير
اي قوله وسطا اي عدلا اخيارا فيه تفضيلهم ومدح ومعنى هذه الاية وكما هديناكم فكذلك
خصصناكم وفضلناكم بان جعلناكم امة وسطا خيارا عدولا لتشهدوا للانبياء على
اممهم ويشهد لكم الرسول بالصدق اشارة الى ان المشبه به في هذه الاية وهي قوله تع وكذلك
جعلناكم امة وسطا الخ الهداية المذكورة قبله في قوله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وقيل المعنى
كما اصطفينا ابراهيم او كما فضلناكم بهذه القبلة وقد بينا لك ان المحققين من شراح الكشاف مشوا على
ان المشار اليه ما بعده ولم يقصد التشبيه بما قبله وقد مر تفصيله وهو على هذا صفة مصدر مقدر للفعل
المذكور بعده والجار والمجرور في محل نصب اي جعلناكم جعلا كذا وهذا مع ظهوره غفل عنه من قال ان اسم
الاشارة هنا على هذا في محل رفع على الابتداء على ان جعلناكم بتاويل جعلنا اياكم فيكون كالضمير الذي يفسره
خبره نحو ان هي الا حياتنا الدنيا وهذا تعسف لا معنى له • وقوله بان الخ تنازعه الفعلان ويشهد بالنصب
والتخصيص لهذه الامة من فحوى الخطاب لانهم اذا كانوا شهدوا على جميع الامم السالفة وانبيائهم والرسول
شاهد لهم لم يبق احد من بني آدم غيرهم يشهد هذه الشهادة فاختص بها او يقول المصنف مالكي ومذهب مالك
افادة لام التعليل الحصر كما نقله الخطابي في شرح الاثر عنه واستدلاله بقوله والحصر لتكبروا على
خرمة الكلها فان اردت تفصيله فانظره فما قيل من ان التخصيص من السياق او نظرا للواقع الى اخر ما ذكره
واطال فيه من غير طايل بعد ما استشكله وفي قوله ليشهد والخ اشارة الى ان على بمعنى اللام لا للمضرة
لانها اذا دخلت على المشهود به لا تكون للمضرة وقيل ضمن الشهيد معنى الرقيب وقدم للتخصيص تحملوه
وعليه فالناس في الاية بمعنى الانبيا ولا باس به وقيل ان الله جل جلاله هو ابلغ من قوله جل وعلا
فانه على نهج جل جلاله اذا سال الانبياء هل بلغتم ليظهر حال الامم وفضل هذه الامة فانه يعلم السر
واخفى فيقولون نعم فتقول اممهم ما جانا من بشير ولا نذير فتشهد امة محمد للانبيا ويزكيهم
النبي صلى الله عليه وسلم قال السيوطي في تخريجه هذا حديث مرفوع اخرجه البخاري من حديث ابي
سعيد الخدري وقيل عليه ان البغوي روى ان الله يجمع الاولين والاخرين في صعيد ثم يقول للكفار
الم ياتكم نذير فينكرون ويسال الانبيا عن ذلك فيقولون كذبوا قد بلغناهم فيسالهم البينة واقامة
الحجة فيؤتى بامة محمد فيشهدون انهم قد بلغوا فتقول الامم من اين علموا هذا وهم اتوا بعدنا فيقولون
ارسلت الينا رسولا وانزلت علينا كتابا اخبرتنا بتبليغ الرسل ثم يؤتى بمحمد فيسال عن حال امته فيزكيهم
ويشهد بصدقهم وما ذكره المخرج فيه ان ما اخرجه البخاري انما هو في نوح وامته لا ما ذكره المصنف
ولذا قال قيل والحكم في هذا اظهار فضل نبينا على ساير الانبيا وفضل امته على ساير الامم لقبول
شهادتهم وتزكيته افضل الخلق لهم والله تعالى عالم غني عن السؤال وفيه معنى حسن لكونهم وسطا
لتوسطهم بين الامم والنبي لظهور علمهم وعدالتهم واقامة الحجة على غيرهم وقيل معنى الاية انكم حجة
على من خالفكم قال في المقتفى انكم بفتح الهمزة وفي النسخة التي ذكرت بفتحها وكسرها بالقلم اي اجماعهم
حجة وشهادتهم مقبولة معتبرة والنبي صلى الله عليه وسلم حجة على الجميع كما قاله السمرقندي ايضا
وقال تعالى وبشر الذين امنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم اي لهم تقدم ورتبة رفيعة عند الله
عبر عنها بالقدم لان السبق بها كما سميت النعمة يدا لان بها العطا واضافه الى الصدق لبيان فضله
ومرتبته قال ابو عبيدة كل سابق خير • واجيب عنه بان هذا الفضل لما كان مفقودا لوصف الله له
بالشهادة وما يتعلق بها كالتبشير بما يدل على فضله وفضلهم عند الله استطرد التبشير بالشفاعة مع
احتمال ان يراد بقدم الصدق تزكيته المقرونة بتصديقه ففيه مناسبة تامة لما نحن فيه قال قتادة

والحسن وزيد بن اسلم قتادة هو ابو الخطاب بن دعامة السدوسي الحافظ المفسر روى عنه خلق
كثير وهو ثقة ثبت الا انه قيل فيه انه مدلس توفي كهلا سنة سبع عشر او ثمان عشرة بعد المائة
وترجمته مفصلة في الميزان والحسن البصري تقدمت ترجمته وزيد بن اسلم هو الفقيه مولى عمر وهو
ثقة حديثه صحيح توفي سنة ست وثلاثين بعد المائة وله ترجمة في الكامل والميزان قدم صدق
مبتدا خبره المفسر له قوله هو محمد عليه السلام يشفع في نسخة لهم وروي المشفع وشفيع فالقدم
على هذا الشفيع سمي قدما لتقدمه وسياتي تفسيره بالشفاعة عن الخدري بتقدير قدم انسان صدق
اي صادق وكرجل عدل والشفاعة طلب نفع للغير ومثله لا يوصف بالصدق والكذب فاما ان يتجوز بالصدق
عن القبول لمشابهته لتحقق ما شفع فيه فيصير كالخبر المطابق للواقع او يقال المراد شفاعة تقدم صاحبها
على رجائها كما في قولهم حملة صادقة وقيل المراد ان الشفيع صادق في خبره ومن يكون كذلك تقبل شفاعته
وعن الحسن ايضا هي مصيبتهم بنبيهم اي وفاته قبلهم كما تقدم انه فرط لهم وسابقة تنفعهم حياته
ومماته هم
كالغيث ان جيته وافاك ريقه • وان تاخرت عنه لح في الطلب •
وعن ابي سعيد الخدري اسمه سعد بن مالك بن سنان بن عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن الابجر بموحدة
وجيم وهو خدرة الذي نسب اليه على الاصح وقيل خدرة ام الابجر الصحابي الرفيع القدر المشهور من
اصحاب الشجرة توفي بالمدينة ودفن بالبقيع سنة اربع وستين وقيل اربع وسبعين وروى عنه احاديث
كثيرة هي شفاعة نبيهم محمد عليه السلام وهو شفيع صدق عند ربهم جعلت الشفاعة سابقة لتقدمها
او تقدم صاحبها وقوله هو شفيع الخ اشارة الى ان الصدق صفة مضاف مقدر والصدق بمعنى الصادق
او بمعناه المصدري وقيل انه اشارة الى جواز تفسير القدم به صلى الله عليه وسلم باعتبار الشفاعة
ايضا كما مر او الى المسامحة في تفسيره بالشفاعة فتتوافق الاقوال وقال سهل تقدم الكلام عليه هي سابقة
رحمة اودعها الله في محمد عليه السلام قال التلمساني اودعها بفتح الهمزة والدال والعين وفي نسخة
العوفي بضم الهمزة وكسر الدال وضم عين المضارع وفتحها اذا سقطت في ورفع محمد على انه نائب عن الفاعل
وهو الله وليس ما قاله بشي لان ودع يتعدى بنفسه لمفعولين على كل حال فتضمن معنى الحفظ ونحوها
هنا ولا باس به ومعناه اجعله متصفا بها لينتفع الناس بها عند الحاجة والسبق لما مر وفي الاول وسابقة
رحمة بمعنى رحمة سابقة او الاضافة بيانية وقيل هي رحمة قدمها بوفاته لما في الحديث اذا اراد الله بامة
رحمة قبض نبيها قبلها فجعله فرطا لها وسياتي تفصيله ومثل القدم هنا ما ورد في الحديث في صفة النار
يضع الجبار فيها قدمه اي من تقدم في علم الله خلقه لها والجبار اسم الله وقيل الجبار بمعنى الجبارين والقدم
على ظاهره وليس هذا محل تفصيله وقال محمد بن علي الترمذي الامام الحافظ ابو عبد الله محمد بن علي بن الحسن
بن بشر الزاهد المؤذن الحكيم ليس هو صاحب السنن وهذا مروي عن ابيه وقتيبة بن سعيد وغيرهما وروى
عنه خلق كثير لما قدم نيسابور سنة خمس وثمانين ومايتين وعاش نحوا من ثمانين سنة وقد طعن الناس
في اعتقاده لكلام صدر عنه في بعض تصانيفه والله اعلم بالسرائر وترمذ فيها لغات تقدمت هو امام
الصادقين والصديقين الشفيع المطاع والسائل المجاب محمد عليه السلام حكاه السلمي بضم السين
وفتح اللام ابو عبد الرحمن شيخ الصوفية وقد تقدم الكلام عليه وهو ضمير عايد على قدم وتذكيره رعاية
لمعنى العضو ونحوه والصادق معناه ظاهر وقال الفاضل الزملكاني الصديق فعيل من الصدق واصله
في القول والخبر واختلفوا في تفسيره وورده في الشرع لمعان يجمعها كلها المبالغة في الصدق وتكثيره فاما
اقوال العلما فقيل الصديق من كثر منه الصدق وقيل من صدق بقوله واعتقاده وحقق صدقه بفعله
واشتهر حتى بلغ درجة تلي درجة الانبيا وقيل من لم يكذب قط وقيل من لم يتات منه الكذب لتعوده الصدق

وورد في القرآن العظيم في مواضع كقوله تع اوليك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم اجرهم ونورهم واوليك اشارة لمن اتصف بالصفات السابقة من اتصف بها هو الصديق والشهيد ويعني بالشهدا الانبيا الذين هم شهدا على الناس يوم القيمة فلهم اجر ونور لم تره عين ولا سمعت به اذن الى آخر ما فصله ونقل فيه كلام ارباب الكشف والصديقية مرتبة قبل النبوة ليس فوقها درجة الا النبوة فهي من الولاية وتنضم للنبوة ايضا كولاية النبي ولذا قال الله في حق ابراهيم كان صديقا وقد قرنت الشهادة بالصديقية في القرآن على القول المرضي فما قيل من ان هذه الآية ليس فيها الوصف بالشهادة وما يتبعها وانها ليست من الفصل بالاستطراد غير واضح لا وجه له لا سيما كونه اماما مطاعا مجابا المسائل يدل على قبول كلامه وعدم رد شهادته

الفصل الثالث فيما ورد في خطابه اياهم

اي خطاب الله لنبيه الكريم والخطاب في الاصل مصدر بمعنى المخاطبة وهي توجيه الكلام لغيره ويطلق على الكلام المخاطب به وعلى الاول نسبة بين المتخاطبين وهي بالنسبة الى الكلام الازلي القايم بالنفس محال ولذا اختلف في صدق الخطاب على الكلام النفسي كما حكاه ابن الحاجب ويصح ارادة المعنيين هنا فالظرفية مجازية من ظرفية الخاص في العام وقيل انه بتقدير حين والورود بمعنى المجيء والوقوع مجاز مشهور او حقيقة عرفية وقيل انه يجوز في اسناد الورود الى ما خوطب به مجازا عقليا بتشبيه المبرة والملاطفة بسرعة الماء بجامع الانتفاع ففيه استعارة مكنية وتخييلية ولا يخفى ما فيه فتدبر • وكون في بمعنى من تاويل من غير داع **موارد الملاطفة والمبرة** مورد اسم مكان او مصدر ميمي بمعنى الورود والملاطفة المعاملة بلطف وشفقة والمفاعلة مجازية لتنزيل استحقاقه له بمنزلة فعله او هي لاصل الفعل من غير مشاركة ولذا عطف عليه المبرة بمعنى البر وهو الاحسان والخير ولا يخفى ان الفصول معقودة لمعان متغايرة وتغايرها ظاهر فلا حاجة لما قيل ان المراد هنا لطف ومبرة لم تكن مما سبق من المدح والشفقة والقسم **فمن ذلك قوله تعالى عفا الله عنك لم اذنت لهم** في نسخة بدل قوله تعالى عز وجل وضمير لهم للمنافقين المتخلفين عن غزوة تبوك وذلك اشارة لما ورد على الوجه المذكور قال في الكشاف وتبعه البيضاوي انه كناية عن الجناية لان العفو مرادف لها ومعناه اخطات وبيس ما فعلت وقد شنع الناس عليه في هذا حتى كان سببا لمنع الناس من قراة كتابه كما حكي عن الامام السبكي لما فيه من ترك الادب وقال ابن المنير في تفسيره المسمى بالبحر عفا الله عنك وعامة الكلام يقصد به ملاطفة المخاطب وهو عادة العرب في التلطف بتقديم الدعا لاستدعاء الاصغاء او خبر معناه لا عهدة عليك لانه تع غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فهو تخصيص وتمييز لا ذنب يتعلق به العفو لان تحمله ومسامحته لهم مع اذاهم حملا للمشقة على نفسه واسقاطا للحظوظ فهو عتب عليه وتلطف لا ملامة فيه اي قد بلغت في الامتثال والاحتمال الغاية وزدت ما اجحف بك في محبة الله وطاعته والرفق بالبر والفاجر واين هذا من التخطية والزمخشري نزع به هنا عرق العجمة لاساءة الادب واراد بعضهم ان يصلح فافسد فقال بداه بالعفو قبل الذنب ولو عكس انقطع نياط قلبه وكله ذهول عن عتب الحبيب في خيفه على نفسه وهو تخفيف لا تعنيف ومدح لا قدح وهذا كما قيل له اذ جهد وجد في العبادة ما انزلنا عليك القرآن لتشقى ولعلك باخع نفسك والعفو وان كان يستدعي ذنبا كاستدعا رضي الله عنك لغضب سابق فهو هنا تنبيه على انه امر ان يرفق بنفسه فكانه قيل له اذ ابيت الا الحلم والاحتمال فانت غير مواخذ بل مثاب كمن يرخص له في لذة وراحة فيعمل بالعزيمة فقال له ما كان هذا بلازم لك فاذا احتملته فلا عهدة عليك ايجابا لحقه ورفعا لقدره لا لترامه [الا]

بان منه وذلك انهم ادعوا الطاعة وزاحموا المطيعين في رتبتهم فاستاذنوا ليكون قعودهم باذن لا ينافي دعواهم ولو لم يوذن لهم هتكوا حجاب الهيبة وخلعوا ربقة الطاعة وقامت الحجة عليهم بانهم ليسوا في ورد ولا صدر فلما اذن لهم تمت مكيدتهم واليه الاشارة بقوله حتى يتبين لك الى اخره وليس في هذه المخالفة مصلحة مرضية فان الله بين انه باذنه لهم طابق تحجيز الكراهة فانه لا مصلحة في خروجهم بل فيه مفسدة شوها • وعاقبة شنعا لانهم لو خرجوا كانوا مخذلين باعثين للفتنة يمشون بالنمايم ويثيرون غبار الضغاين مشتتين للشمل كالظربان فانهم ذباب يقعون على الدبر والقذر فكان المصلحة العظمى في قعودهم وان كان فيه ستره لغيرهم واحتمالا لمكرهم وغاية الغايلة التباس امرهم وقيام حجتهم وهو قد عرفهم وانكشف له عوارهم ولكن لم يفضحهم حلما وكرما واتساع صدر وكم ضاق نطاق عمر عن ذلك واشار بضرب اعناقهم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه فانه قد يخدش الصدور السليمة ويوقع في حصايد الالسنة فاشفق على العدو فاستشفاه وعلى الولي ان تخرجه الشبه عن رتبة بقاه وحمل غب ذلك نفسه في ذات الله انتهى

اقول جزاه الله خيرا عما اهداه للعقول السليمة من نفس التحف ودافع به عن حرم النبوة وانت اذا تاملت ما بعده من النظم تراه مصرحا بما افاده المصنف فقوله لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ولاوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون فاي راي اسد من الاذن في تخلفهم واي حلم اعظم من الستر عليهم فكيف يكون في اول الكلام عتاب وآخره بيان لان ما وقع عين الصواب ولو كان هذا في رسالة كاتب من قهر سلطانه فما ظنك بمالك الملك تعالى شانه **قيل هذا افتتاح كلام** اي هذا جار على نهج البلغا وارباب الترسل والانشا في ابتداء كلامهم بالدعاء توقيرا وتعظيما وفيه اشارة الى ان هذه الجملة انشايية دعايية على ارجح الاحتمالين فيها كما سمعته آنفا **بمنزلة اصلحك الله واعزك الله** اي هو مثله في انه دعا للتعظيم لم يلتفت فيه لما يوهمه الدعا بالصلاح من الفساد والعزة من الذل كما ورد في الحديث لقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره والله يغفر له وقدم هذا المص لانه التحقيق المرضي عنده لما في قوله **وقال عون بن عبد الله اخبره بالعفو قبل ان يخبره بالذنب** وعون هو ابن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي الكوفي الزاهد الفقيه اخو عبيد الله الراوي عن ابي هريرة وابن عباس وجمع وقيل روايته عن الصحابة مرسلة وليس بتابعي لكن له حديث عن ابن عمر في مسلم وروى عنه الزهري وابو حنيفة وابو العميس واخرج له احاديث كثيرة وهو ثقة توفي في حدود سنتين بعد الماية وفي نسخة خبره بدل اخبره والمعنى واحد وكذلك يخبره لكن في المقتفى ان يخبره في النسخة المصححة بالتشديد وهو الصحيح وهو مع اخبره من تنويع الكلام لان اخبره وخبره بمعنى • والتنويع ان يكون في الكلمة لغتان فيجمع بينهما كقول بشار

اذا انكرتني بلدة او نكرتها • خرجت مع البازي على سواد •

ففي العبارة ثلاثة اوجه قيل المراد بالذنب خلاف الاولى والاليق لان حسنات الابرار سيئات المقربين والوجه هو الاول وبعض الشراح ارجع هذا لما قبله ورد بان بينهما فرقا ظاهرا لان على الاول لا ذنب اصلا والجملة انشايية دعايية وعلى هذا هي خبرية فان اراد ان المال واحد صح ما قاله ثم ان هذا كيف يعد ذنبا وان لم نقل الجهاد فرض كفاية فتخلف بعضهم باذن لا باس فيه لا سيما اذا كان في ذلك مصلحة ونفع وقال نفطويه اذا امر الملك احدا على جيش كان ذلك تخييرا له فيما يامرهم وينهاهم فيمتنع العيب عليه فيما فعله لمصلحة لا سيما اذا كان مقامه في غاية الجلالة عنده وقد تقدم الكلام على السمرقندي وترجمته **وحكى السمرقندي عن بعضهم ان معناه عافاك الله يا سليم القلب لم اذنت لهم** فيه ايهام لان عفا من المعافاة لاشتراكهما في اصل المادة

وليس مراد بل قصد التحبيب للفرق بينهما ولذا ورد الجمع بينهما في الحديث نسالك العفو
والمعافاة الدايمة • وفيه اشارة الي ان الذنب كالمرض والعفو عنه بمنزلة الطب الشافي له الا انه
قيل عليه انه سليم القلب وليس بمناسب هنا لانه وان كان مدحا في نحو قوله الامن اتي الله بقلب سليم
لان معناه خلوصه من الغل والغش الا انه صار في الاستعمال عبارة عن الغفلة وضعف الراي وقلة
الحزم والعزم كما في لباب التفاسير • واجيب عنه بان ما ورد مدحا في القرآن يجوز التعبير به في
مقام المدح وان اوهم خلافه لعرف طار عليه وفيه نظر ولو بدا بها النبي صلى الله عليه وسلم
بقوله اذنت لهم هذا مبني للفاعل وفاعله ضمير يعود على الله والنبي منصوب مفعول وبدا مهموز
بمعنى ظهر لخيف اي لخاف عليه من محبة الله لن ينشق قلبه من هيبة هذا الكلام لتاثيره في قلبه
وجلالة قايله ومهابته خصوصا ممن هو اخوف الناس منه لعلمه بما لم يعلمه غيره وسياتي الكلام عليه
وفيه مبالغة والمراد كما قيل انه كاد ان يخاف عليه او يخاف عليه من لا يعرف انه آمن مغفور له
او خيف عليه بحسب الظاهر ان يكون شانه ذلك في ذاته ومثله لا يوجب خللا في المقصود كما توهم
وهذا مبني على ان خوف النبي من العقاب بعد تامين الله له غير جايز وسياتي تفصيله وانفطار القلب
وانشقاقه عبارة عن الخوف المهلك كما تنشق الاجسام من خشية الله كما قال تع لو انزلنا هذا القرآن
على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله لكن الله اخبره بالعفو حتى سكن قلبه سكن ماض
بالتشديد والتخفيف وفي نسخة سكن وقلبه مرفوع او منصوب وروي يسكن مضارع مضموم
الاول مشدد وقلبه منصوب مفعول ويجوز تخفيفه ورفع قلبه يعني انه تع لرافته به ورحمته
قدم العفو ولا ليسكن قلبه اي يطمين ويامن قيل المراد بل ومرله السكون وعدم الاضطراب لامنه
او هو من قبيل سبحان من صغر البعوضة واعترض عليه بعض الشراح بانه لا طايل تحت هذا الكلام
لانه خوطب باشد منه فلا تكونن من الجاهلين ولم يضطرب لتامين الله له بقوله ليغفر لك الله ونحوه
ورد بانا لا نسلم انه اشد منه او مثله فانه نهي عن الوقوع فيه من غير عتب وتخويف كما سيجي ولو سلم
فهذا اعتراض اشد تخويف من النهي مع انه لا يلزم من عدم الرعاية في مقام عدمها في مقام آخر ولكن
الرعاية الرعاية واللازم الامن من النار ونحوها على ان الوعد لا يمنع الدهشة والخوف من الصدمة
كما سيقع للانبيا في يوم القيمة والعشرة المبشرة يخافون من سوء العاقبة لاحتمالات وسياتي
تحقيق هذا ان شا الله تع في محله ثم قال لم اذنت لهم بالتخلف حتى يتبين الصادق من الكاذب
ثم هنا لمجرد الترتيب الذكري بغير مهلة او بمهلة لتنزيل ما انقضى والعدم بمنزلة البعيد كما حقق
في قوله ذلك الكتاب في احد الوجوه ويتبين بمعنى يتضح ويظهر ويتميز هذا من هذا وينفصل
فتعلق من به باعتبار ما تضمنه من الانفصال وحتى يتعلق بمقدر لا باذنت لفساد المعنى اي حتى
يتبين الذين صدقوا وتعلم الكاذبين اي لم اذنت للمنافقين بالتخلف عن تبوك وكان عليك ان
لا تاذن لهم حتى يتبين الخ كما في لباب التفاسير وغيره والاستفهام فيه اشعار بما قدرناه هـ
وفي هذا المذكور من تقديم العفو وتاخير السوال من عظيم منزلته عند الله ما لا يخفى على ذي لب
المنزلة المرتبة المعنوية وعند ظرف مكان اذا اضيف الي المنزه عن المكان فهي بمعنى في علم الله هـ
او في حكمه كما في قوله كان عند الله عظيما وبينهما فرق دقيق وتكون للقرب المعنوي كما في قوله
عندك بيتا في الجنة وبمعنى احسانه وانعامه كما في قوله قالت هو من عند الله فاختر لنفسك ما
يحلو • واللب العقل والمراد الكامل وهو على ظاهره مبالغة ومن بيان مقدم على المبين عند من اجاز
تقديمه او هو بيان لمقدر منهم وما بعده بيان او صفة اخرى للمبهم ومن اكرامه اياه وبره به

لرعاية خاطره والتسلية له وتقديم الدعا والعفو في اول خطابه مما ينقطع دون معرفة
غايته نياط القلب نياط فعال من النوط وهو التعلق ومنه المناط فقلبت واوه ياء لانكسار ما
قبلها وهو عرق يعلق به القلب من الوتين وقيل هو الوتين نفسه فاذا انقطع مات صاحبه
فلذا كني به عن الموت قال ابن خالويه في كتاب في اسما المنية قال الله عز وجل الا ان
تقطع قلوبهم معناه الا ان يموتوا يقال قطع قلبه ورمي بنياطه ورماه الله بنياطه وطالبه بحقه
اذا مات انتهي وللنياط معان اخر كالعرق المستوطن الصلب والمراد ان له منزلة عند الله وزيته
اكرمه بها وانعم عليه بما لا تطيق العقول معرفة كنهه وغايته ولا تفي الاعمار بتحصيله هـ •
وعلى تقنن واصفيه بحسنه • يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف •
فانقطاع النياط كناية عن تعذره وصعوبة مسلكه او عبارة عن عدم وفا الاعمار به ما
الموت دونه وما قيل من انه يجوز ان تكون اشارة الي ان من عرف كمال اكرام الله ورعايته له عرف
انه في غاية التقصير فيخاف خوفا يتم الهلاك نفسه وارتكاب لما يا باه نحوي الكلام والغاية
هنا النهاية وتفسيرها بالفايدة غير مناسب ومنهم من فسرها بجملة الشي وجعله استعارة
وهو بعيد ودون هنا بمعنى قبل كقولك دون الدار منازل قال نفطويه هو لقب لابي عبد الله
ابراهيم بن محمد بن عرفة بن سليمان بن المغيرة بن حبيب بن المهلب بن ابي صفرة الازدي النحوي
الواسطي صاحب التصانيف الجليلة توفي في صفر سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة وقيل سنة اربع
ببغداد وقيل بواسط وولد سنة اربع واربعين ومايتين وقيل خمسين ولقب به لدمامة منظره
والنفط معروف معرب وفي هذا وامثاله كسيبويه الاصل الصحيح فيه فتح الواو وسكون اليا
وبعضهم يسكن الواو ويفتح اليا وقيل من تعبير المحدثين تجنبا من لفظ ويه ولذا قيل في هجايه
احرقه الله بنصف اسمه • وصير الباقي صياحا عليه •
وقال المعري ان هذا مما احدثه المولدون وويه بلغة اهل البصرة اداة تصغير ويجوز فيه
كسر النون وفتحها ويجوز في مثله الاعراب والبنا على كسر الها لتركيبه تركيب مزج وهو الاقيس
ذهب ناس الي ان النبي عليه السلام معاتب بهذه الآية وحاشاه من ذلك اي والنبي
منزه عن ان يفعل ما يستحق العتاب عليه وقد تقدم الكلام على حاشا مفصلا وانه لا عتاب
في هذه بل فيها اعزاز له واكرام بالدعا له وتصويب لفعله والتعبير بالعتاب فيه اشارة الي
ان ما فعله خلاف الاولى عند صاحب القيل بل كان مخيرا بين الاذن وعدمه اذ لم يتقدم نهي كما
وفيه نظر والاولى ان يعول النزول وحي عليه في ذلك لقوله فاذن لمن شيت منهم كما سياتي
في اول القسم الثالث الا ان ابن الجوزي قال ان هذه الآية منسوخة بقوله فاذن لمن شيت الي الخ
ولفظ مخيرا هنا بالمثناة التحتية وقال البرهان الحلبي انه في بعض النسخ مخبرا بموحدة تحتية
مخففة وهما نسختان مصححتان عنده والاولى اولى والمعنى على هذه انه ماذون له بوحي غير
متلو لم يخبرهم به تحريضا لهم على الجهاد فلما اذن لهم اعلمه الله انه لو لم ياذن لهم لقعدوا
لنفاقهم وهم يدعون بطلب الاذن انه لو لم ياذن لهم ما تخلفوا فاذا ظهر كذبهم وانكشف نفاقهم
لزم شق العصا وما يترتب عليه فكانه ما فعله اولى واصوب وانه لا حرج عليه في الاذن لهم
اي ليس فيما فعله ضيق واثم لكن لو صبر تبين امرهم وفيه اشارة الي كمال الرفق به والرعاية
له وانه لم يقع منه تقصير للعتاب والاخطا في الاجتهاد ولا ارتكاب لخلاف الاولى كما توهم
قال القاضي ابو الفضل هو المصنف كما مر يجب على المسلم المجاهد نفسه بتهذيب الاخلاق

والصبر وكسر شهوتها كما يدل عليه ما بعده فانه الجهاد الاكبر قيل الوجوب هنا اعم من الشرعي
بل ما لا يليق تركه وهو شايع بهذا المعنى كما صرح به في شرح المواقف وغيره فيشمل المسنون والمندوب
وفي تعبيره بالمسلم الجاهل لطف لم يتنبهوا اليه لتعريضه بانهم منافقون تاركون للجهاد
الرابض بزمام الشريعة خلقه هو من رضت الدابة اروضها اذا ذللتها لتنقاد لما تريد وتلين
شكيمتها والزمام ما يقودها به كاللجام ففيه استعارة مكنية وتخييلية والزمام بمعناه الحقيقي
او عبارة عن الاحكام الشرعية على حد يتقضون عهد الله وفسر التلمساني الرياضة بالتعليم
والزمام بالسبب والطريقة وفي كلامه تسامح ولا يستغرب مثله **ان يتادب** فاعل يجب **باداب
القرآن** وفي نسخة باداب القرآن بصيغة الجمع والادب كما قاله الازهري وغيره يقع على كل
رياضة محمودة يتخرج بها الانسان في فضيلة من الفضايل ومنه ادبه اذا عاقبه على اساءته
لانه داع لحقيقة الادب وادب ادبا من باب ضرب صنع صنيعا كالطعام ودعا الناس اليه
فهو آدب **بك ليته** فاعل قال

نحن في المشاة ندعو الجفلي • لا ترى الادب منا ينتقر •

ومنه المادبة لما يدعى والقرآن مادبة الله وهو الداعي اليها وفي كلام المصنف اشارة الى الحط
على مثل الزمخشري ممن خاطب النبي واساء الادب في مقامه بما لم يقله له رب العزة اذ قال له
عفا الله عنك ودعا له وقال هذا اخطأت وبيس ما فعلت **في قوله وفعله ومعاطاته
ومحاوراته** الجار والمجرور متعلق بيتادب ومعاطاته من العطا والعطية وهي ما يعطيه
قال في المصباح ومنه المعاطاة لانها مناولة لكن استعملها الفقها في مناولة خاصة ومنه
فلان يتعاطى كذا اذا اقدم عليه انتهى فالمعاطاة هنا مصدر والمراد الافعال الواقعة معه
فهي اخص من الفعل كما ان المحاورة مخاطبته ومصاحبته فهي اخص من القول كما قيل من ان المعاطاة
الفعلية جمع معاطاة كمعادة ومعاداة في قوله موكل بمعاداة المعادات على ما فيه من احتمال
افرادها وربطها بهما ومحاوراته القولية جمع محاورة بالحاء المهملة وهي المجاوبة ومعاطاته
وان احتملت الافراد الا ان محاوراته جمع قطعا فناسب ان يكون مقابله جمعا انتهى **فهو عنصر
المعارف الحقيقية وروضة الآداب الدينية والدنيوية** ضمير هو للنبي صلى الله عليه
وسلم او للقرآن وهذا ارجح وعليه الشراح والعنصر بضم الصاد المهملة ويجوز فتحها بمعنى الاصل
وفسره التلمساني بالمنبع ولا وجه له والمعارف العلوم او المعلومات والحقيقية المتحققة في
نفس الامر والروضة ارض ذات مياه واشجار وازهار طيبة منتزهة والمراد بالدينية ما هو
متعلق بالعبادة والتوحيد ونحوه من الامور الشرعية والدنيوية ما يوخذ من الشريعة متعلقا
بالدنيا فهي دينية ايضا كمكارم الاخلاق وحسن العشرة وتدبير المعيشة شبهه بالرياض لما فيه
مما يرفع الكدورات البشرية ويسر الارواح الزكية او شبه الآداب بالمياه والازهار فهو
تشبيه لذكر الطرفين فيه لا لان وصفه بالدينية والدنيوية ياباه كما قيل ولا يصح كونه استعارة
كما قيل الا على قول اوتاويل بعيد فتدبر **وليتامل** التامل تفعل من الامل وهو رجاء ما يبعد حصوله
من الخير نقل لمعنى آخر وهو كما في المصباح التدبر واعادة النظر مرة بعد اخرى حتى يعرفه والمصنفون
يستعملونه فيما فيه دقة او شبهة واللام لام الغايب وفاعله ضمير راجع للمسلم وفي العبارة حزازة
ولو اسقط اللام وعطفه على يتادب كان اولى وعلى هذه النسخة قال بعض الشراح انه امر معطوف
على يجب ان يتادب ميلا مع المعنى لانه في معنى ليتادب فهو كما قيل في قوله تع ومن اياته ان يرسل

الرياح مبشرات وليذيقكم اي ليبشركم وليذيقكم وان كان الاولى انه بتقدير وارسلها
ليذيقكم كما في المغني ومن العجيب ما قيل انه امر معطوف على يتادب ولو قيل انه من عطف القصة على
القصة كان اسهل **هذه الملاطفة العجيبة** كما تقدم حيث قدم الدعا والتبشير على ما يوهم الاعراض
والعتاب مراعاة لخاطره وتطييبا لقلبه وهو العلي الغني عن عباده الفعال لما يريد فكيف
بالامة الذين يجب عليهم التادب معه **في السؤال من رب الارباب** متعلق بملاطفة او صفة لها
بتقدير الكاينة والرب الموجد المربي والسيد المالك مصدر وصيغة مبالغة او صفة مشبهة
وفي اختصاصه به تع اقوال فقيل يختص به اذا اطلق من غير اضافة وكان مفردا فاذا اجمع كما في
عبارة المصنف جاز لعدم الايهام بالواحد الاحد كقوله ءارباب متفرقون واما قوله •

وهو الرب والشهيد على يو • م الحوارين والبلاء بلاء •

وقوله • ارب يبول الثعلبان براسه • لقد ذل من بالت عليه الثعالب •

فنادر جاهل لا يعتد به وليس الكلام في صحته بحسب اللغة بل الشرع هل هو حرام او مكروه
وقيل انما ينهى عن كثرة استعماله واضافته للعقلا بخلاف رب الفرس والدار والاصح انه انما
ينهى عنه اذا اوهم معنى المعبود فمحل التعجب كون السؤال من الرب العالم الغني عن خلقه كما اشار
اليه بقوله **المنعم على الكل المستغني عن الجميع** لم يبين ما انعم به واستغنى به ليفيد العموم
وكذا كل اطلاق لم تقم قرينة على تقييده والسين هنا ليست للطلب بل للتاكيد للغنى وعرف
الكل بالالف واللام كقولهم بدل الكل والبعض وهما لم يسمعا معرفان بها في كلام العرب كما ذكره
الجوهري وغيره من ايمة اللغة وقد جوزه الجوهري فقال كل وبعض معرفتان ولم يجئ عن العرب
بالالف واللام وهو جايز لان فيهما معنى الاضافة اضفت ام لم تضف انتهى يعني انه يلزم
الاضافة لفظا او تقديرا الا ان الالف واللام قد تقوم مقام الاضافة وتسد مسدها كما صرح
به النحاة فالقياس يقتضي صحة دخولها عليهما الا انه تسمح في قوله معرفتان وقد ذكر ابن
خالويه في كتاب   انه سمع نادرا فالحق ما قاله الجوهري ولا اعتراض عليه واردف المنعم
بالمستغني اشارة الى انه لم يرد بانعامه فايدة ولا حاجة له به وامر بالتامل حثا على رعاية الادب
في حقه **ويستثير ما فيها** اي في الملاطفة والآداب القرآنية ويستثير بالمثناة الفوقية والمثلثة
بعد سين الطلب من اثار الارض كما قال اثاروا الارض وعمروها اي يحركه ويبرزه كاثارة
الصيد من مكمنه والتراب من مقره ومنه اثارة الفتنة والشر والمعنى يظهره لنفسه وغيره
وفي نسخة ابن رسلان يستبين بالنون وفي نسخة بعض الشراح يستبين ويستثير وهو كالعطف
التفسيري قال هو مجزوم معطوف على يتامل اي يتعرف ويتفحص ويجوز رفعه وقد وقع في نسخة
هو ويستثير بمعنى يستخرج مرفوعان انتهى ويجوز جزمهما عطفا على يتامل ونصبهما عطفا
على يتادبا وفي جواب الامر بتقدير ان بعد الواو اي ليكن منه التامل والاستثارة
وتفسير هذا كما في بعض الشروح لا داعي له والفوايد جمع فايدة وهي ما يتنبه له الذكي من ملاطفة
الله له وحسن خطابه ولينه والسؤال الى ما هو اعلم المشير الى انه خبير بما صدر منه واقف على
ما اخفوه من مكايدهم حارس لضبابات حقدهم من نافقها وتعظيمه ورونق خطابه في المبدا والختم
المقتضي للزوم الادب معه **وكيف ابتدأ بالاكرام قبل العتب وقبل ذكر الذنب ان كان ثمة ذنب**
كيف اسم استفهام يسال به عن الكيفية والحالة وقد يخرج عن الاستفهام والصدارة كما فصله
شراح البخاري في باب كيف بدء الوحي ولا حاجة لنا به هنا وابتدا بفتح التاء والهمزة وثمة اسم

إشارة بمعنى هناك والهاء المسوقة للسكت والوقف وفيه لغة ايضا بتاء التانيث وهو احتمال هنا وفي قوله ان كان ذنب اشارة الى انه لا ذنب له بل من محاسنه • كما قال البحتري

إذا محاسني اللاتي اذل بها • كانت ذنوبي فقل لي كيف اعتذر •

واذا لم يكن ذنب ولا ارتكاب لخلاف الاولى لم يكن عليه ملامة وعتب فهذا يدل على ان قوله قبل العتب المراد منه ان كان هناك عتب ولظهوره استغنى المص عن ذكره فهذا من بديع الاكتفا وقد حام حول هذا من قال لم يقل المص ان كان عتب كما قال ان كان ذنب اكتفاء بالثاني عن الاول لانهما نظيران وشيخنا حمل العتب على ما هو في صورته لئلا ينافي ما سيذكره من انه لا عتب عليه وغلطوا من ذهب اليه والمراد بالذنب خلاف الاولى وهذا كله من ضيق العطن فتدبر • وكذا من الزوايد جعله كيف مفتحة وآنس بمد الهمزة بزنة قابل وروي بالقصر وتشديد النون وقوله كيف قيل انه معطوف على ما فيها والظاهر انه معطوف على هذه الملاطفة اي وليتامل كيف الخ ويعينه قوله فيما سياتي ثم انظر كيف بداءه الخ فتنبه له وقال تعالى ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيا قليلا اي لولا ان ثبتناك على الحق والصواب والسداد قاربت الميل الى مرادهم ميلا ما قليلا ففي الاية تصريح بان الله عصمه عن الميل الى خلاف الصواب فضلا عن الوقوع فيه وفيه دليل على ما قدمه من انه لا ذنب له راسا وفيما فسروه به اشارة الى ان العفو ليس عن ذنب وتقصير • قال بعض المتكلمين اي المفسرين الذين تكلموا على هذه الاية وكثيرا ما يستعمل المص وغيره هذا المعنى اللغوي ويجوز ان يراد المعنى المصطلح اي اهل علم الكلام واصول الدين لتعلق هذا بعصمة الانبيا وهي من مباحثه فلا وجه لما قيل ان المنقول عنهم من غير ذلك العلم عاتب الله الانبيا قبل الزلات وعاتب نبينا قبل وقوعه العتب والعتاب مخاطبة من تودده بما صدر منه مما لا يناسب ليزيله او يترك العود له وهو يكون ناشيا عن المحبة والادلال والزلات جمع زلة بالفتح من الزلل واصله دحوض القدم ثم عبر به عن الوقوع فيما لا يرضى من غير قصد ولذا فسر بالخطا وفي التعبير بالوقوع بمعنى الصدور في الواقع مع الزلل لطف لان من زل سقط وضمير وقوعه للذنب ويجوز عوده لنبينا بتقدير قبل وقوعه في الذنب ولك ان تقدره قبل احتمال وقوعه كما يدل عليه تعبيرهم في الاية بقوله كدت تركن اي تميل لان القرب من الميل للذنب يقتضي عدم وقوعه والمراد بالزلات في حق الانبيا خلاف الاولى الذي هو بالنسبة لعلو مقامهم كالزلة من غيرهم ولخفائه قيل كان اللايق عدم وقوعه فان قيل كان اللايق عدم وقوعه فان القبلية تقتضي الوقوع بحسب الظاهر وان صرحوا بانه غير لازم بدليل قوله تع لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي وفي بعض الشروح معترضا على ما نقله المص بانه لا عتب فيما ذكروا انما هو تذكير بنعمة العصمة له وهو مناف لما سياتي من عصمة الانبيا عن الكباير والصغاير ومقامهم منزه عن الزلات وان صدر عنهم ما هو بصورتها فهو لحكمة لبيان الجواز والتشريع للامم • وقال الصفوي العتاب قبل وقوع الذنب يستلزم امرين احدهما وقوع العتاب في زمن لم يقع في الدنيا والاخرة وقوع الذنب بعد فاستعماله في لازمه الاول فقط مجازا • فان قلت العتاب مخاطبة الادلال ومذاكرة الوجدة يقال عاتبه وعتب عليه قال •

اذا ذهب العتاب فليس ود • ويبقى الود ما بقي العتاب •

قلت جزم محققوا المفسرين بانه صلى الله عليه وسلم لم يهم بالركون اليهم والعتاب عتابان عتاب منجز كما لو قال لقد تركن اليهم وهذا انما يكون مع كيد ودة الركون وعتاب تعلق كما في قوله لولا ان ثبتناك الخ وهذا انما يكون مع عدمه اي لو لم نثبتك ووقع منه ذنب القرب من الركون

لكن

لكنا ثبتناك فلم يقع والمنقول عن بعض المتكلمين وان اقره المص لا ينافي ما جزم به من انه لم يعاتب اصلا لان المنفي المنجز المستلزم للوقوع والمثبت خلافه كذا قيل ولا يخفى ما فيه فتامل لتكون بذلك المذكور والعتب على ما ادعاه اشد انتهاء اي اقوى في تركه لما ذكر مما لا يليق به والانتهاء افتعال من النهي يقال نهاه فانتهى لا من النهاية ومحافظة لشرائط المحبة اي مداومة لما تقتضيه المحبة من قصر الهمة وهذه غاية العناية من الله به وهذه اشارة الى المعاتبة قبل الوقوع لما ذكر من الفوايد ولذا انث او هو لرعاية الخبر والعناية قصد المساعدة والاعتنا بحفظه والامر يقال عنيت بامر فلان بالبنا للمفعول عناية وعنيا شغلت به وهذه اقوى من عناية الله بغيره من الانبيا فلذا جعلها غاية وقيل انما جعلها غاية مبالغة ثم انظر كيف بداءه بتثبيته وسلامته قبل ذكر ما عاتبه عليه وخيف ان تركن اليه اتى بثم لبعد مرتبة هذا مما قبله لان في المعطوف عليه احتمال صدور الزلة وفي هذا اكرامه وتامينه من صدورها منه وهو اما من كلام المص او من تتمة كلام ذلك البعض ملتفتا من الغيبة الى الخطاب ايقاظا للمامور وحثا له على التامل وهو من عطف القصة على القصة او عطف على مقدر اي تامل ما ذكر ثم انظر والنظر بمعنى التفكر والتدبر مستعار من نظر البصر وقيل ثم مجردة عن المهلة او لان الفراغ من ذلك التامل انما يكون بعد مهلة وبداءة بتثبيته اي لم يقل لقد كدت تركن لولا ان ثبتناك وقال بتثبيته ولم يقل بتثبيته كما في الاية لان قوله كدت يدل عليه وهو محل المدح او لان تثبيت الله يلزمه الثبات والسلامة مما خيف عليه والمعاتب عليه الركون وخيف مبني للمجهول اي وقع الخوف ممن هو شانه وقيل فاعله المقدر هو الله وان كان حقيقة الخوف مستحيلة عليه لان المراد معاملته معاملة من يخاف عليه ما ذكر كما في قوله عز وجل ليبلوكم ايكم احسن عملا ليعاملكم معاملة المختبر ولا اختبار ولا ابتلا اي يخاف عليه القرب من الركون وفيه مبالغة لانه اذا خاف عليه القرب من شيء خاف عليه ذلك الشيء بالطريق الاولى وهذا لا محذور فيه حتى لا يقال المراد بالركون في عبارة المص الوقوع لانه هو الخوف فهو غير الركون المذكور في الاية وقيل كدت من افعال المقاربة وقد اخبر به موكدا بقوله لقد ومثله مما يعتب عليه الا ان قوله شيا قليلا يدل على انه لا يضر لقلته وهو عناية به ونعمة عظمى لان صفاه من شوايب الخطرات القلبية التي لا ثبات لها وانما يواخذ بما وقع عن عزم وتصميم كما قالوا في تفسير قوله ان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله وله تفصيل ليس هذا محله ففي اثناء عتبه براءته وفي طي تخويفه تامينه وكرامته اثناء الشي بالمد خلاله وتضاعيفه يقال جا في اثناء الناس اي بينهم جمع ثني بكسر فسكون وياؤه مخففة او ثني بالقصر والمراد بكون البراءة في اثناء العتب انها معه في كلام واحد بلا فاصل فلا يعترض عليه بانه تقدم هنا كما قيل لان الدال على البراءة قوله لولا ان ثبتناك وفي طيه اي داخله او في ضمنه او في تخويفه المطوي فيما ذكر اذ لم يفهم منه صريحا وتامينه وكرامته بتثبيت الله له وتنزيهه عن القرب الى الميل يعني انه عتب بالركون الى الاعدا وتخويف بقوله اذا لاذقناك العذاب فعلق بما هو صريح في عصمة الله له عن القرب منه فضلا عن الوقوع فيه تعريضا بالمنافقين واسماعا لهم على حد قوله • اياك اعني فاسمعي يا جاره وقد تقدم انه لا عتب ولا ذنب وانما هو تكريم فلذا قيل انه كان ينبغي للمص تركه وكلامه في غاية الظهور فلا حاجة لان يقدر فيه اثناء الكلام الدال على العتب والتخويف فانه لا داعي له ومثله قوله تعالى قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك الاية اي مثل ما تقدم في اللطف به او مثل لولا ان ثبتناك في الشفقة والتسلية وهو اقرب او مثل عفا الله عنك في الملاطفة

والتنوين وضمير انه للشان وقد للتحقيق والمضارع بمعنى الماضي او بمعنى ربما بالنسبة لسائر معلوماته
والذي يقولونه انه ساحر او كذاب او شاعر ونحوه مما لا يضره اي لا تحزن لنفسك كما في الكشاف
ويدل عليه ما بعده ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون وهو خبر اريد به لازم الفائدة كقوله اني وضعتها
انثى او المقصود تطييب قلبه **قال علي رضي الله عنه** رواه الترمذي وصححه الحاكم **قال ابو جهل** هذه
كنية كناه بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يكنى ابا الحكم فالله كناه ابا جهل والناس كنوه ابا الحكم والجهل
وان كان ضد العلم فالمعروف في كلام العرب انه ضد الحكم كما قال

الا لا يجهلن احد علينا • فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وهو عمرو بن هشام فرعون هذه الامة وقيل انه مع جهله وكفره انه كان يحيي العصا ولذا قيل انه يصف
سنة وكان صلى الله عليه وسلم في اول الاسلام يرجو اسلامه ويقول اللهم اعز الدين باحد الرجلين ابو جهل
او عمر فلما اسلم عمر علم انه اشقاه الله فقتل ببدر واختلف في قاتله كما فصل في السير واسلم ابنه عكرمة وحسن
اسلامه ونصر الله به الدين تحقيقا لرجاء النبي صلى الله عليه وسلم **للنبي عليه السلام انا لا نكذبك ولكن
نكذب ما جئت به** وفي نسخة مصححة من الشفا ما جئته بدون باء لجحده لآيات الله عنادا او بغيا اي ننكره
ونجعله كاذبا مع انك صادق عندنا وفي لباب التفاسير قال ابو ميسرة ان النبي صلى الله عليه وسلم
مر بابي جهل واصحابه فقال والله يا محمد انا ما نكذبك انك عندنا الصادق ولكنا نكذب ما جئت به فنزلت
هذه الآية نصا هو سبب نزولها قال المصنف **فانزل الله تعالى فانهم لا يكذبونك الآية** وعزاه ابن الجوزي
الى ناجية ابن كعب من المفسرين وقد فسره به على قراءة يكذبونك بالتشديد وما في الكشاف من قوله وانك
عندنا الصادق مروي في الحديث قال السيد عيسى وهذا بظاهره فاسد لان كذب القول يستلزم كذب قائله
الا ان يكون ناقلا غير ملتزم للصحة والنبي انما ذكره على انه حق من عند الله وقال الطيبي لا نعتقدك كاذبا
وانما ننسب الكذب لما جئت به عنادا او حسدا فقوله نكذب بما جئت به في موضع نحسدك اقامة للسبب مقام
المسبب وفيه بعد وقيل المعنى لا نقصد بنسبتك للكذب وتعييرك به لانا نجزم بك على خلافه وانما
غرضنا ابطال الكلام او لا نقول انت من عادتك الكذب لكننا ننكر النبوة فلا يلزم ان تكون كذابا او انك غير
متعمد للكذب بل تخيلت امرا باطلا فالتكذيب بالنسبة لا فعاله فاكذبناك ليكون عيبا وهذا احسن
التاويلات وقيل انت ناقل ونحن نكذب المنقول لا الناقل وفيه ما مر انتهى وفي اللباب المعنى لا نخصك
بالتكذيب ونقل ابن الجوزي عن قتادة لا يكذبونك بحجة بل بهتانا وعنادا او لا يكذبونك اعتقادا بل قولا
وهذا مما ارتضاه الطيبي هذا ان بعد كلامهم وسياتي في كلام المصنف ما يوافقه **وروي ان النبي صلى الله عليه
وسلم لما كذبه قومه حزن فجاءه جبريل** قال السيوطي في تخريجه لم اجده وكذا قال غيره قيل وهذا من فضوله
ولم يرد على هذا وهو غريب منه **فقال ما يحزنك فقال كذبني قومي** لما حرف وجود لوجود او وجوب لوجوب
فصله النحاة والاكثر الافصح في جوابه عدم اقترانه بالفاء وورد اقترانه بها ومن يأباه يقدر له جوابا
محذوفا وقوله حزن هو الجواب وحزن واحزن لغتان شايعتان فصيحتان بهما جاء التنزيل فقوله يحزنك
يجوز فيه فتح الياء وضمها وقوله كذبني بالتشديد وروي اكذبني وهو لغة ايضا واراد تكذيبهم حيث
قالوا ان ما جاء به كاذب دون ان يقولوا انه كاذب او حيث قالوا انه كاذب واليه اشار المصنف بما سياتي
من انهم معترفون بصدقه قولا واعتقادا او يروى او اعتقادا اشارة الى القولين السالفين كما مر **فقال
انهم يعلمون انك صادق فانزل الله تعالى الآية** فهو سبب النزول على احد القولين وفيه دليل على ان المنفي
في الآية العلم **ففي هذه الآية منزع لطيف الماخذ** منزع بفتح الميم والزاي المعجمة والعين المهملة محل النزع
مصدر ميمي بمعنى المفعول فسره التلمساني بالماخذ ورده بان ما بعده يأباه فالمراد به شيء يرجع اليه قال

في القاموس

في القاموس المنزعة ما يرجع اليه الرجل من امره ورايه واقتصر عليه صاحب المقتفى والمنزع بكسر الميم
السهم يقال نزعت في القوس نزعا وانتزع ينتزع اي سهم وفي المثل عاد السهم الى النزعة اي رجع الحق الى اهله
قاله الامام المرزوقي ولطيف الماخذ اي حسن دقيق اخذه واستنباطه منها **من تسليته تعالى له عليه
السلام والطافه في القول** قال البرهان الطاف بكسر الهمزة في النسخ التي وقفت عليها مصدر من الطفه
بكذا اذا بره به كما في الصحاح والتسلية تطييب القلب بما يذهب حزنه ويفرج كربه ومن لبيان المنزع
بتقريره انه صادق عندهم قولا واعتقادا كما اشار اليه بقوله **بان قرر عنده انه صادق عندهم وانهم
غير مكذبين له معترفون بصدقه قولا واعتقادا وكانوا يسمونه قبل النبوة الامين** الباء سببية والآية
وقرر بمعنى بين وحقق هذا بحيث قرر وثبت في نفسه لما في الآية من بيان ذلك مؤكدا بان وجعلهم
ظالمين جاحدين لما قالوه وكونهم غير مكذبين له تحقيقه وستسمعه قريبا وروي او اعتقادا اشارة
الى القولين في الآية • وروي ان الاخنس قال لابي جهل يوم بدر ليس هنا غيري وغيرك اخبرني عن
محمد اصادق هو ام كاذب فقال والله انه لصادق وما كذب قط ولكن اذا ذهب بنو قصي باللواء
والسقاية والحجابة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش ثم انه قيل هنا ان عدم الكذب اعم وان ورد ان
عدم نسبة الكذب اليه لا تستلزم نسبة الصدق لجواز ان لا يعترفوا باحدهما ولو سلم فالآية فسرت
بالنفي اعتقادا او قولا فمن اين تقرير الامرين الا ان يقال ان المراد بعدم التكذيب الحكم بعدم الكذب
لانهم لم يشكوا في حقه وهو بمنزلة الحكم بالصدق والمصنف جمع بين التفسيرين وهو عادته والاوجه
ان عدم التكذيب وان لم يستلزمه لكنه قد يكون كذلك فحمل عليه بقرينة ما عرف منهم لا بطريق اللزوم
وهم وان كذبوه لكن منهم من لم يكذب في بعض الاحيان كما مر والاظهر ان نفي التكذيب باحد الوجوه هم
والتاويلات السابقة فلا ينافي التكذيب ظاهرا كما اشار اليه البيضاوي وهذا غاية ما يمكن هنا
انتهى • وقوله واعتقادا على نهج قوله • وزججن الحواجب والعيونا • وكلام النحاة فيه مشهور
في كتب الحديث وسيجي يتعدى بنفسه وبالباء **فدفع بهذا التقرير ارتماض نفسه بسمة الكذب**
الدفع بدال مهملة منع الشي قبل وصوله وبعد الوصول يكون رفعا ولذا قالوا الدفع اسهل من الرفع
وفي التعبير به اشارة الى عدم تلبسه بما اورده والتقرير براءين مهملتين هو ما تضمنه قوله بان
قرر الخ وفي بعض النسخ التقدير بدال بدل الراء كما ذكره التلمساني وقال ان الذي في اصل القاضي بالراء
ومعناه على تلك النسخة فرض الشي وتصويره وبالراء بمعنى تبيينه وتمهيده وكل واحد منهما قريب من
الآخر • والارتماض براء مهملة ساكنة وآخره ضاد معجمة افتعال من الرمض وهي شدة الحرارة شبه به
ما اشتد عليه واقلقه من الم قلبه والسمة العلامة واصلها وسمة فحذفت فاؤه كعدة • والمراد
وصفه لهم بها والاضافة لامية او بيانية اي سمة هي الكذب في قولهم انه كاذب **ثم جعل الذم لهم بتسميتهم
جاحدين ظالمين فقال ولكن الظالمين الخ** عطف على قرر وثم للتراخي الرتبي والاشارة الى بعد الذم
عنه او هي للترتيب الذكري ولا حاجة لتجريدها لمجرد العطف كما قيل والمراد بتسميتهم وصفهم بما ذكر
وعبر به اشارة الى ان ذلك صار كالعلم لهم وبين التسمية والتسمية تجنيس وتسميتهم جاحدين
لانه لما اخبر عنهم بانهم يجحدون علم انه قال جاحدين وقدم الجحد مع تاخره في الآية لانه المقصود بالذكر
ولان ظلمهم هنا بجحدهم ولذا وضع الظاهر موضع المضمر ولم يقل ولكنهم تنبيها على ان جحدهم نشا من
ظلمهم الثابت فيهم لان ترتب الحكم على وصف يشعر بعليته ولذا عدل عن جاحدين الى يجحدون وجحدهم
بآيات الله اما انكار حقيقتها او انكار كونها من الله والباء قيل انها لتضمين الجحد بمعنى التكذيب الا انه
قال في القاموس جحد حقه وبحقه اذا انكره وهو يقتضي خلافه **فحاشاه من الوصم** حاشا فعل ماض

اي نزه النبي وبراءة والوصم بالصاد المهملة في اللغة مطلق النقص والعيب والمراد به الكذب
المذكور في الاية **وطوقهم بالمعاندة** طوق فعل من الطوق وهو ما احاط بالعنق ثم صار مثلا للزوم
وقال في كشف الكشاف في شرح قوله • طوقهم بها طوق الحمامة • انه يقال للامر المذموم الذي لا يفارق
من اتصف به فضحه بالزم كقول حسان • لولا سوابقك طوقتك بها طوق الحمامة • اي هجوتك
اقول في اختصاصه بالذم نظر لما نقل في مرآة الزمان عن حاتم الطائي انه قال لابنه لما سأله عن
ابله التي نحرها للقرى وقال له ما فعلت الابل فقال • طوقتك مجد الدهر طوق الحمامة • وعليه قول المتنبي

• اقامت في الرقاب له اياد • هي الاطواق والناس الحمام •

والبا للتعدية وقيل انها سببية **بتكذيب الايات حقيقة الظلم** هذه البا متعلقة بالمعاندة
وحقيقة منصوب مضاف للظلم مفعول ثان لطوق بمعنى جعلها كالطوق في اعناقهم للزومها لهم
ففيه استعارة مكنية وجعله حقيقة الظلم الذي هو وضع الشي في غير موضعه لانهم وصفوه
بالكذب وهم كاذبون وعبر عنه بالاسم الدال على الثبوت وكون اسم الفاعل للحدوث كما ذكره النحاة غير
مسلم عند اهل المعاني كما قيل • اقول ما ذكره غير واضح لان اسم الفاعل انما يدل على الثبوت اذا الحق
بالاسما كالمؤمن والكافر ولا خلاف في هذا بين النحاة واهل المعاني **اذ الجحد انما يكون من علم الشي
ثم انكره** لتفاوت الريبي والحقيقي كما مر وهذا مما صرح به اهل اللغة ففي القاموس والصحاح وغيرهما
جحد اي انكر مع العلم فما قيل انه بعيد بعيد ووجه استبعاده انه يكون ممن يجهل كما قاله ولذا ذكر
ايمتنا الحنفية في الاصول لو قال الخصم امقر انت ام جاحد فقال مقر او جاحد فقد اقر وينبغي ان
يقيد هذا بمن كان من اهل اللسان **كقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا**
اي بهذه الاية استدلالا على ما ادعاه وقيل عليه انا لا نسلم دلالتها على مدعاه فانه لو قيل انكروها
واستيقنتها انفسهم كان صحيحا فيكفي لمدعاه النقل من ايمة اللغة كما مر ولذا ذهب بعض الشراح الى
انه تمثيل لا استدلال وفيه نظر واستيقن وتيقن بمعنى ولم يقل استيقنوها مع انه لبيان انهم اخفوا
علمهم واسروه والعلو هنا بمعنى التكبر عن الانقياد للحق عنادا وفي شرح الصفوي اقول اليقين في
اصطلاحهم الاعتقاد الثابت الجازم المطابق للواقع والعلم اعم فلو اريد بالجحود الانكار مع العلم كما
ذكره المص افاد قوله واستيقنتها معنى جديدا على هذا الاصطلاح فلا بعد فيما ذكره لكن اللغويون
واهل العربية فسروا اليقين بالعلم والاظهر حينئذ ان يكون المراد في الاية مجرد الانكار ليكون قوله
استيقنتها تاسيسا لا تاكيدا للمافهم ضمنا ولذا فسر كثير من المفسرين الجحود بالانكار بشرط ان يكون
مع العلم وهو خارج عن مفهومه شرط لصحة اطلاقه وهو في الاية كذلك قطعا لقوله واستيقنتها
فيتم الاستشهاد بالاية بلا نزاع واستيقنتها حينئذ تصريح بما يكون ان يفهم منه فتامله فانه دقيق
انتهى قيل وهو مبني على ان الشاهد والمثال سيان في جواز وقوعهما بعد الكاف وبعضهم يجعل الكاف
للتمثيل كقوله واذكروه كما هداكم وعلى ان اليقين بمعنى العلم شرط خارج عن مفهوم الجحود وانه انما
يتم الاستشهاد على التقدير الاول لا الثاني مع انه لا يتم الاستشهاد عليهما جميعا والحق انه تمثيل اقول
اذا علمت ان حقيقة الجحد انكار عن علم فادعاء انه شرط خارج عن مفهوم الجحود تعسف وحيرة والاية
الثانية انما جاء بها المص للاستشهاد المعنوي وبيانه انه تم قال في الاية الاولى ولكن الظالمين بايات
الله يجحدون والدليل العقلي والنقلي دال على ان المراد انكار عن علم والا لم يكونوا ظالمين بجحدهم لان
الجهل قد يعذر صاحبه لكنها لما كان فيها خفاء اتى بالاية الثانية لما فيها من التصريح بانهم كانوا
عالمين فالاستدلال بمعناها لا بلفظ الجحد فيها كما توهموه فوقعوا فيما وقعوا فيه نعم في ذكر اليقين

تاكيد ان لم يكن اخص من العلم وهذا كيف على من يدعي انه بيضة البلد **ثم عزاه وآنسه بما
ذكره عمن قبله ووعده النصر بقوله ولقد كذبت رسل الاية** التعزية من العزا والصبر ومعناها
تسلية المصاب بما يخفف حزنه قال

• هي الشمس مسكنها في السما • فعز الفؤاد عزاء جميلا •

ويختص في العرف بما يقع عند الموت كقول ابي فراس

• كن المعزي لا المعزى به • ان كان لا بد من الواحد •

وآنسه بفتح الهمزة من غير مد وتشديد النون او بالمد وتخفيفها اي اذهب وحشته وقلقه مما
لقيه منهم ودجاه والمشاكلته لعزاه ووعده النصر في الاية بقوله فيها ولقد كذبت رسل من
قبلك فصبروا على ما كذبوا واوذوا حتى اتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله اي مواعيده بنصر
انبيائه واوليائه بقوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وقوله
انا لننصر رسلنا والوعد فيها له ولهم ظاهر ولا حاجة الى ما قيل في هذه الاية دليل على تحقق مقام
النبوة فانه غني عن البيان وقوله بما ذكره عمن قبله روي عمن كان قبله اي فهون عليك واصبر
حتى ياتيك النصر فقد كذب اخوانك وصبروا حتى نصروا وهذه الاية تدل على ان نفي التكذيب
في الاية السابقة ليس على اطلاقه كما ذكره البيضاوي ويحتمل ان يكون المعنى هون عليك جحودهم
لايات الله وما جئت به واصبر فان اخوانك قد كذبوا واوذوا حتى نصروا فلا تدل الاية على ما
ذكر وقد قيل في معنى الاية انها كقول السيد لعبده ما اهانوك بل اهانوني قاصدا تعظيم
الامر وتقريره اذا اهانتك اهانتي لا نفي الاهانة وهو كلام حسن جدا **من قرا لا يكذبونك
بالتخفيف فمعناه لا يجدونك كاذبا** هي قراة نافع والكسائي من اكذبه كابخله اذا وجده كاذبا
او بخيلا وهذا احد معنى صيغة الافعال كما ذكره النحاة في باب ابنية الفعل ومعناه ان صيغة
الثلاثي موضوعة لاتصاف الفاعل بالحدث فاذا دخلت عليه الهمزة كان لمعان اخر منها وجدان
الفاعل للمفعول متصفا بالحدث الذي دل عليه الثلاثي وهو معنى حقيقي وضعت له هذه
الصفة ويلزم من كونهم لا يجدونه متصفا به انهم لا يعتقدون كذبه سواء قالوا انه كاذب
ام لا ففيه تسلية له ايضا **وقال الفرا والكسائي لا يقولون انك كاذب** الفرا هو الامام
ابو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الاسلمي الدولي الكوفي النحوي اللغوي المفسر
كان ابرع الكوفيين واعلمهم بفنون الادب وتفسيره من اجل التفاسير وعليه اعتماد الزمخشري
توفي سنة سبع ومايتين بطريق مكة وعمره ثلاث وستون وانما لقب بالفرا لانه كان فصيحا
يفري الكلام ويفصله فليس نسبة للفرا لعملها او بيعها • والكسائي ابو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله
بن بهمن بن فيروز الاسدي الكوفي احد القراء السبعة امام النحو واللغة والقراآت توفي سنة ثلاث
وثمانين ومائة بقرية من قرى الري وقيل بطوس والذي لقبه بالكسائي حمزة شيخه لانه كان يجيئه
ملتفا بكسا وقيل لانه احرم في كساء ولما لم يجد هذا المعنى في كتب النحو المشهورة السيد الصفوي
قال هنا ان هذا بناء على اكذب لكذب للنسبة كما صرح به الامام والقاضي او لان معناه بين كذبه كما
في القاموس ويؤيده ما نقله الواحدي عن الفرا ان معناه لا يجعلونك كذابا بل يقولون ان ما جئت به
باطل وفي الصحاح نقلا عن الكسائي ان اكذبه بمعنى اخبر به انه جا بالكذب وهو لا يوافق المنقول
وبالجملة ان في هذه النقول اضطرابا وتبعه ابن الحنبلي في شرحه وهو كله من قصر الباع وقلة
الاطلاع فان هذا المعنى صرح به ايمة العربية قال ابن عصفور في كتاب الممتع من معاني افعل التسمية

كقولهم اكفرته واخطاته اي سميته كافرا ومخطيا انتهى وهو معنى النسبة في العرف لانهم يقولون نسبه للزنا اذا قال انه زان فالاضطراب انما هو من عدم الوقوف على الصواب وهذا مبني على ما مر **وقيل لا يحتجون ولا يثبتونه** عطف تفسير لان معنى يحتجون يقيمون حجة مثبتة لما ادعوه وفي بعض النسخ لا يجتمعون قيل كانه تفسير باللازم فان من صاحبه لا يجعلونك كاذبا والجعل انما يكون اذا اثبتوا كذبه فيلزم من نفي الجعل نفي الاحتجاج ومعناه على النسخة الاخرى ان منهم من يعرف بطلان قوله ولا اعتداد به الا انه لا يناسب قوله ولا يثبتونه • اقول الصحيح الاول وتوجيهه ان افعل يكون للدلالة على الشيء والايصال اليه وهو انما يكون بالبيان والحجة لا بما ذكره قال في الممتع يقول ابصر اي دله على وجوه المبصر واغفلته اي وصلت غفلتي اليه واما على النسخة الاخرى فالمعنى ظاهر وبما قررناه علمت سقوط ما قيل من ان هذا التفسير لا يناسب المقام ولا يلايم الجحد **ومن قرا بالتشديد فمعناه لا ينسبونك الى الكذب** كقولهم نسبته اذا نسبته وتممته اذا نسبته لبني تميم وهذه النسبة اعم من النسبة المصطلح عليها وهذا على الوجوه السابقة **وقيل لا يعتقدون كذبك** هذا توفيق بين ما ورد فيه التصريح بتكذيبهم له وما في هذه من قوله لا يكذبونك بان المثبت قولهم والمنفي اعتقادهم لمعنى ما قالوه واورد عليه بان الاعتقاد المنفي لا يخلو من ان يكون جازما فيكون عين التفسير الاول وحكايته تقتضي انه غيره او غير جازم بان يظنوا صدقه ويتوهموا كذبه وهذا مما يشق عليه فليس فيه تطمين له كما في الاول ورد بان المراد الاول بلا شبهة واحتمال الثاني وقصد المصنف بعد ما قرره نقل اقوال المفسرين في القراءتين لتنزيل ما قاله عليه بدليل تفريعه عليه بالفا في قوله فمن قرا الى اخره والمعترض توهم ان ما هنا مخالف ومغاير لما قبله فقال ما قال والظاهر انه لا اختصاص لهذين القولين بقراءة دون قراءة ولو قيل بالاختصاص لم يكن فيه باس فان منهم من جعل القراءتين بمعنى كما قالوا اقللت واقللت وكثرت واكثرت ولك ان تقول المعنى على هذا انه لكن بعضهم مطلقا الجحد ما قالوا بمنزلة العدم لعلمهم بخلافه كما قيل في قوله تع لا ريب مع كثرة المرتابين فيه وهذا يدل على انهم معترفون بصدقه اعتقادا فقط الا ان قولهم بمنزلة العدم لعلمهم بخلافه وما قرره المصنف وارتضاه مبني على انهم معترفون بصدقه قولا واعتقادا فلا غبار عليه **ومما ذكره ع من خصايصه وبر الله به** الخصايص جمع خصيصة وهي ما خص به دون غيره تمييزا له وتفضيلا على غيره واتى بمن اشارة الى كثرتها حتى افردت بالتصنيف وبر الله احسانه ولطفه **ان الله تعالى خاطب جميع الانبيا باسمائهم فقال يا ادم** بدا به لانه ابو البشر المقدم عليهم وهو علم ممنوع من الصرف بالاتفاق للعلمية والعجمة ووزنه فاعل كآزر وعاذر وجمعه اوادم وآدمون وقيل انه عربي مشتق من اديم الارض او من الادمة لون بين السواد والحمرة واصله على هذا أأدم بالهمزة فابدلت الثانية الفا ووزنه افعل ومنعه من الصرف للعلمية ووزن الفعل ومن الغريب ما قيل انه مفعول من فعل رباعي كما حكي عن الطبري وفيه نظر وروي تقديم نبينا على ما قبله وهذه الاعلام ووقوع الخطاب بها في القرآن كقوله يا آدم انبيهم باسمائهم غني البيان **ولم يخاطبه هو بصيغة المجهول** وضميره هو للنبي اي لم يخاطبه الله في القرآن باسمه وفي نسخة لم يخاطبه بالبنا للفاعل والضمير وقيل هي الاولى ولا وجه له الا بعبارة في ندائه دالة على تعظيمه وملاطفته لمنزلته عند ربه كقوله **يا ايها النبي يا ايها الرسول يا ايها المزمل يا ايها المدثر** معنى النبي والرسول معلوم وقدم النبي لانه اعم كقوله تع يا ايها النبي حرض المؤمنين يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر يا ايها المزمل قم الليل الا قليلا يا ايها المدثر قم فانذر وقيل الخاصة انما هي عدم الخطاب بالاسم وجعله خاصة بحسب

الظاهر

الظاهر المشهور لئلا يشكل بما سيجي من ان يا سين بمعنى يا محمد ونحوه ما قيل في طه ايضا فيجاب عنه بانه بنا على عدم ثبوت هذا وفي العدول عن الاسم الى الصفات الحسنة تعظيم في العرف يعرفه كل احد وفي شرح البجائي انه لم يذكر باسمه في الندا وذكر في الخبر كقوله محمد رسول الله وما محمد الا رسول لانه ورد مورد التعيين والتعليم لان صاحب هذا الاسم هو الرسول ونحو قوله تع لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لما لم يرد هذا المورد لم يذكر اسمه والمزمل اصله المتزمل اي الملتف بثوب ونحوه وفيه تفاسير اخرى والمدثر اصله المتدثر اي لابس الدثار وهو البرد التي فوق الثياب وفيهما تلميح الى قوله لخديجة رضي الله عنها حين رجع من حرا زملوني وفي رواية دثروني والقصة مشهورة في كتب الحديث اي غطوني وذكر المزمل والمدثر للملاطفة والتانيس على عادة العرب بخطابهم بما يدل على حاله حين الخطاب كقوله لعلي رضي الله عنه يا ابا تراب فلو ناداه سبحانه باسمه وبامر عار عن مثل هذه الملاطفة وفؤاده يرجف شق عليه فلذا بداه بما يونسه وفيه نكتة ذكرها الامام السهيلي لانه صلى الله عليه وسلم قال انا النذير العريان وهو مثل للعرب يمثل به وكان يقوله من بالغ في الانذار بقرب العدو ولان المستغيث كان يتعرى ويرفع ثوبه ليرى من بعيد لئلا يسبق العدو صوته وقيل اصله ان رجلا سلبه العدو فجاء قومه منذرا على تلك الحالة فقوله يا ايها المدثر قم فانذر وقوله انا النذير العريان اي مثلي مثله فيه اشارة الى انه بضد حالة النذير ففيه تمليح وتلميح وتطرق للملاطفة كما في الاستعارة التلميحية التي ذكرها اهل المعاني وان لم يكن منها وما ذكره المصنف في خطاب الله له باسمه في القرآن فلا يرد عليه كما توهم خطاب الله بقوله انك لا تهدي من احببت وقوله له في المحشر ارفع راسك وقل تسمع يا محمد ولم يا ايها النبي ويا ايها الرسول وان قيل الحكمة فيه انه احضر ففيه سرعة اجابته وتطويل الكلام غير مناسب في مقام الاذن بالشفاعة وقال السيوطي ان الله شرف امته في القرآن بخطابهم بيا ايها الذين امنوا وخاطب الامم السالفة في كلامه المنزل عليهم بيا ايها المساكين • واعلم انه قال في الامتاع ان من خصايصه صلى الله عليه وسلم انه لا يجوز لاحد ان يناديه باسمه فيقول يا احمد يا محمد بل يقول يا نبي الله يا رسول الله لقوله تع لا تجعلوا دعا الرسول بينكم كدعا بعضكم بعضا وقوله ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض وبهذا فسرها مجاهد والضحاك ومقاتل وسعيد بن جبير واجيب عن قول الاعرابي له يا محمد اتانا رسولك الحديث بانه قبل النهي او هو صدر منه قبل اسلامه وهل مثله الكنية نحو يا ابا القاسم فيه نظر والظاهر انه مخصوص بخطابه له في حضوره كما في حياته والله الموفق

الفصل الرابع في قسمه تعالى بعظم قدره

وفي نسخة عز وجل **صلى الله عليه وسلم** وفي نسخة تسليما والقسم يكون بمعنى الاقسام وهو الايمان بالفتح وهو المراد بمعنى المقسم به وقال النحاة انه مصدر للنبس بجار على فعله وقياسه الاقسام وهو في عرفهم جملة انشائية يوكد بها جملة اخرى لا على جهة التبعية **قال تعالى لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون** المقصود من هذا الفصل بيان القسم نفسه لا المقسم عليه كما في الفصل الذي بعده لتغايرهما والفرق بينهما فالبا في بعظم قدره صلة القسم لا سببية حتى يتداخل المقصدان فيحتاج لارتكاب تكلفات في الفرق بينهما وعظم قدره اما بمعنى قدره العظيم او الاضافة بيانية والمقسم به حياته وذاته ونحوهما والمقصود من القسم به تعظيمه وتقرير المقسم عليه في الذهن وتمكينه والعرب من عادتها ان تقسم بالشيء اذا ارادت تعظيمه حتى تجعل الجمل قسما من غير حرف القسم وهذا هو القسم الذي عدوه من انواع البديع كقوله

بقيت وفري وانحرفت عن العلا • ولقيت اضيافي بوجه عبوس

إذ لم اَشن على بن حرب غارة • لم يخل يوماً من نهاب نفوس

قال المرزوقي هذا من الايمان الشريفة ولفظه لفظ الخبر وظاهره الدعا ومحصول القسم وكرر هذا في مواضع من شرح الحماسة واشار اليه الزمخشري وقل من تنبه له وهذه الآية في قصة لوط وما ذكره المصنف مبني على ان هذا الخطاب لنبينا صلى الله عليه وسلم على احد الوجهين فيها وفي الكشاف انه على ارادة القول اي قالت الملائكة للوط عليه السلام لعمرك وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فرجح الاول لانه مناسب السياق ورجح المصنف الثاني لانه تم لما قص عليه قصة بتمامها الى قوله هؤلاء بناتي ان كنتم فاعلين خاطبه ببيان ما هم عليه من الضلالة مقسماً بحياته واختاره لموافقته لمقتضى الحال وضمير انهم لقوم لوط وسكرتهم غفلتهم وغلبة الهوى والشهوة عليهم حتى صاروا سكارى لا يميزون الخطاب من الصواب ويعمهون يتحيرون لعمى بصائرهم والعمى في البصر والعمه في البصيرة وفيه استعارة تحقيقية مرشحة بالعمه وشبه تمكنهم في الغفلة المحيطة بهم بتمكن المظروف في الظرف لانهم لم ينفذهم النصح للائمة طبائعهم وخسة انفسهم ففيه استعارة اخرى تبعية حرفية وقيل انهم لقريش وقال البجاني انه بعيد لانقطاع الآية عما بعدها وما قبلها ولذا قيل ان الجملة على هذا معترضة وعبر بالمضارع حكاية للحال الماضية او لتشبيه الماضي بالحال فتدبر اتفق اهل التفسير في هذا الكلام او اللفظ الذي هو لعمرك انه قسم من الله جل جلاله هو اسناد مجازي كجد جده وسعد سعده وتحقيقه في كتب المعاني بمدة حياة محمد صلى الله عليه وسلم المدة بالضم مقدار من الزمان قليلاً كان او كثيراً من مده اذا بسطه وفي بعض الشروح القسم للتعظيم اذ لم يقسم بحياة احد غيره والكلام مسوق للاخبار بقبائح لوط واهلاكهم تنبيهاً على ان من كان هذا دابه لم ينفع نصحه وتنفيره عن ارتكاب مثله من المفاسد ودعوى المصنف الاتفاق دعوى بينتها غير مقبولة لقول جماعة من المفسرين انه قسم بمدة حياة قوم لوط اذ قالت له الملائكة ذلك بشهادة السياق انتهى وكذا القول بانه لم يقسم بمدة حياة احد غير محمد صلى الله عليه وسلم وقيل ايضاً العمر مطلق الحياة اي سواء كانت المدة بتمامها او بعضها وقيل المراد البقا فلا اتفاق ايضاً على احدهما الا ان يريد بمدة الحياة معنى يشملها وفيه نظر والجواب بان المراد اتفاق من عليه المدار ولو عند المصنف لا يجدي نفعاً كالقول بان الاتفاق انما هو على القسمية ولو قيل المراد باهل التفسير مفسروا السلف الذين اقتصروا على التفاسير المأثورة كابن عباس وعلى هذا فتاخيره وحكايته بقيل غير مناسب وعلى كل حال فالكلام لم يخل من الكدر واصله ضم العين من العمر ولكنها فتحت لكثرة الاستعمال قال ابن مالك في باب المبتدا والخبر يحذف الخبر وجوباً اذا كان المبتدا صريحاً في القسم ومثلوا له بقولهم لافعلن كذا اي لعمرك قسمي او ما اقسم به قال الدماميني في شرح التسهيل جواب القسم ساد مسد الخبر والعمر والعمر بمعنى ولا يستعمل مع اللام الا المفتوح لان القسم موضع التخفيف لكثرة استعماله واحترز بالصريح عن نحو عهد الله ويجوز حذف خبره واثباته لانه غير صريح في القسم واستشكله شيخنا ابن قاسم بان الفقها صرحوا بان كلا منهما كناية لا ينعقد به اليمين الا بالنية وقالوا المراد بالعمر البقا والحياة واجاب بان المراد بصراحة الاول اشتهاره بالحلف مطلقاً في استعمالهم واراد وانتفى كونه يميناً انه لا ينعقد به شرعاً وقالوا في باب القسم يقال عمرك الله بنصب عمر ويجوز في الله النصب والرفع وعمر مصدر محذوف الزوائد لان فعله عمر بالتشديد ويقال عمرتك في القسم ايضاً ومعناه ذكرتك بالله او عمرت قلبك بذكره قال الشاعر

• ايها المنكح الثريا سهيلاً • عمرك الله كيف يلتقيان •

وفيه كلام في شروح الكتاب لا يسعه هذا المقام وقال السيوطي في مختصر نهاية ابن الاثير

المسمى بالدر النثير في الحديث خرجوا عماراً اي معتمرين جمع عامر من عمر بمعنى اعتمر وان لم تسمع فلعل غيرنا سمعه قال الزمخشري وعمرك الله اي اسألك ان يطيل عمرك والعمر بالفتح العمر ولا يقال في القسم الا بالفتح ولعمر الهك قسم ببقاء الله ودوامه انتهى وفي شرح الصفوي قال في المواهب انه قسم عند الحنفية والمالكية وكناية عند الشافعية واللام لتاكيد القسم وانهم جوابه ووقع في بعض النسخ بفتح العين وجعل الضم اصلاً لم يذكره اهل اللغة لكن في تفسير القاضي ان الفتح لغة في الضم وهو يشعر بما ذكره انتهى ومثله في شرح البجاني وقال ان المصنف لم يحقق هذا الموضع وفي التقريب في شرح الغريب العمر بضم وبضمتين الحياة وهو يشعر بعكسه اقول هذا ما قاله الشراح برمته وهو لم يصف من الكدر وتحقيق هذا المقام على وجه ينفض عنه غبار الاوهام ان العمر بالفتح مصدر عمر المشدد واصله التعمير بحذف زوائده وله معنيان تعمير الله اياك او قلبك وعلى هذا هو صفة من صفات الله فيصح القسم به حقيقة وهذا ما جنح له سادات الحنفية والنحاة والعمر بضم العين مخصوص بالانسان وهو مدة وجوده في الدنيا فلا يصح القسم به شرعاً لكن الله له ان يقسم بما شاء كقوله والضحى والليل اذا سجى فالضم اصل في هذا المعنى لاختصاصه به في غير القسم فاذا اريد بالمفتوح هذا لا باس ان يقال انه من قبيل معناه او معدول به عنه ويؤيده ما في شرح ادب الكاتب للاوصلي انه سمع نادراً لعمرك بضم العين واذا لم يرد هذا المعنى في قسم الناس صح ان يقال انه كناية لتوقفه على النية كالمشترك واما العرب فيقسمون بما ارادوا فلا منافاة بين ما ذكره النحاة وما ذكره الفقها ولا حاجة لما قاله شيخنا مع ما في قوله لا يعقد به شرعاً من الوهم وبهذا اتضح ما قاله القاضي ومعناه وبقايك يا محمد وقيل وعيشك وقيل وحياتك البقاء جملة حياته في الدنيا وتمام عمره والحياة اعم منه لصدقها على البعض والكل فالمغايرة بينهما ظاهرة والعيش له معان في اللغة منها الحياة فان فسر به هنا كانت المغايرة بينه وبين ما بعده لفظية ولذا فسره التلمساني به هنا لئلا يتكرر مع ما بعده وقيل انه بعيد ولو فسر بالمعيشة في دنياه وجعل عبارة عن الزهد والتقشف لم يبعد ظاهره وقيل المراد معيشته الواسعة الفايضة على غيره فهو عبارة عن سخائه وجوده وهذه التفاسير كلها ما ثورة عن ابن عباس من طرق مختلفة ونقل الاخفش معنى آخر وهو وحقك على امتك قيل وعرض لوط بناته انما هو اشارة الى نساء امته لانه كالاب لهم اي ان كنتم تريدون قضاء الشهوة فعليكم بالحلال ولو حمل على ظاهره من تزوجهم لا مانع منه وقيل المراد ود وامد لابد الاباد معه كما قيل

• وانما المرء حديث بعده • فكن حديثاً حسناً لمن وعى •

وهو بعيد ومن الغريب ما نقل عن مجاهد ان المعنى لعمرك من قولهم لعمر الله اي يفيد المعاني التي ذكرها حقيقة لتصريح اهل اللغة بها فلا وجه لدعوى التجوز فيها وهذه نهاية التعظيم وغاية البر والتشريف تانيث الاشارة لانها للكلمة المقسم بها او باعتبار الخبر لان العظيم اذا قال لاحد بعمرك وحياتك كان ملاطفة وتكريماً فكيف برب الارباب في مثل هذا الكتاب ووجه كونه نهاية كون ربه اقسم به وقيل انه في خصوص القسم بالحياة لانه في العرف يدل على كمال الالفة والمحبة كما يشهد به الذوق والطبع السليم فتامله وقال ابن عباس ما خلق الله وما ذرأ وما برأ نفساً اكرم عليه من محمد عليه السلام الخلق الايجاد وذرأ وبرأ بالهمزة فيهما ان كان بمعناه يكون ذكرهما للتوكيد وقد يفرق بينهما بالاعتبار بان يكون ذرأ من الذرية وبرأ بمعنى صور اي لم يوجد احد اشرف منه ذاتاً ونسباً وصورة اكرم من محمد وقد عرفت مما سبق ان مثل هذه العبارة تفيد انه ليس احد افضل منه ولا مساوياً له

تجي

وقد حققناه قبل هذا ودخل فيه الملائكة مطلقا حتى خواصهم كجبرئيل على المذهب الحق انه افضل
منهم ولا عبرة بمن اختار خلافه كالزمخشري وغيره من المعتزلة وسيجي تحقيقه الا ان بعض الشراح قال
لو قال روحا اي ذا روح كان اصرح في تفضيله على الملائكة لان النفس ربما يقال انها لا تطلق عليهم
لتفسير بعض اهل اللغة لها بالجسد وان جاز تفسيرها بالروح فانه احد معانيها وعلى هذا يجوز ويتقدر
في قوله من محمد من نفس محمد كما قيل **وما سمعت الله تعالى** قيل المراد ما علمت من اطلاق السبب على مسببه
وقيل انه هنا من النواسخ الداخلة على المبتدا والخبر على ان المفعول الاول مصدر الخبر المضاف الى المبتدا
واليه ذهب الرضي وغيره في فعل السماع الداخل على الذوات كسمعت زيدا يقول كذا بشرط كون الخبر
مما يسمع فالتقدير ما سمعت اقسام الله لا من نبي ولا من كتاب يتلى وقصره على الثاني قصور والجملة
مبينة للمقدر وفيه انهم شرطوا فيه ان يكون السماع بغير واسطة كما صرح به في حواشي المطول
وفيه كلام فصلناه في طراز المجالس **اقسم بحياة احد غير محمد صلى الله عليه وسلم** وفي بعض النسخ
غيره وبعد ما ذكر هذا عن ابن عباس تلى الآية لعمرك الخ وكلمة غير مجرورة صفة احد او بدل منه
الا انه على هذا كما قيل لا يفيد انه اقسم بالنبي وانما يفيد انه لم يقسم بغيره ولذا تلا الآية ليستفاد
المعنيان معا بخلاف ما لو نصب على الاستثنا فانه يفيدهما صراحة ولا وجه له فانه يفيدهما على
الوجهين بقرينة السياق كما مر في قوله ما خلق نفسا اكرم من محمد واما احد فقال الشراح للكشاف
في قوله لا نفرق بين احد من رسله انه يستوي فيه المفرد والجمع والمذكر والمونث وهو في حيز
النفي يعم القليل والكثير مجتمعا ومنفردا بخلاف الواحد فانه يقال ما في الدار واحد بل اثنان
ولا يقال مثله في احد وذكره التفتازاني وقال معناه ما ذكره اهل اللغة مع ان احدا اسم لمن
يصلح ان يخاطب فيستوي فيه الواحد المذكر وغيره فاذا اضيف اليه بين واعيد اليه ضمير جمع
ونحوه فالمراد به جمع من الجنس الذي يدل عليه الكلام فمعنى لا نفرق بين احد لا نفرق بين جمع الرسل
ومعنى فما منكم من احد ما منكم من جماعة وكثير من الناس يسهو فيزعم ان معنى ذلك انه نكرة وقعت
في سياق النفي فعمت فكانت بهذا الاعتبار في معنى الجمع كساير النكرات وفي التلويح نقلا عن
النحاة انك اذا قلت خذ احد هذين فالفه منقلبة عن واو ويستعمل في الاثبات واذا قلت ما جاني
احد فالفه ليست منقلبة عن واو ولا يجوز استعماله في الاثبات وهذا مشكل لان اللفظين صورتهما
واحدة ومعنى الوحدة موجود فيهما والواو فيهما اصلية فيلزم قطعا انقلاب الالف عنها فيهما
وان يكونا مشتقين من الوحدة واما جعل احدهما مشتقا منها دون الآخر فترجيح من غير مرجح ولم ار
من تعرض لهذا حتى رايت العلامة القرافي قاله في كتابه العقد المنظوم في الفاظ العموم
واجاب عنه بان احدا الذي لا يستعمل الا في النفي معناه انسان باجماع اهل اللغة وواحد
الذي يستعمل في الاثبات معناه الفرد من العدد واذا كان مسمى احد اللفظين غير مسمى الآخر
يمايزه في الاشتقاق بانه مناسبة بين اللفظين في الحروف والمعنى ولا يكفي فيه احدهما فعلم ان
احدا الذي لا يستعمل الا في النفي ما هو واحد المستعمل في النفي والاثبات ما هو فان وجدت المقصود
اثنان فهو الاول والفه ليست منقلبة عن واو فان كان المقصود منه نصف الاثنين فهو الصالح
للنفي والاثبات والفه اصلية انتهى وفيه بحث وقد اشار الى هذا هنا بعض الشراح ولم يهتد به
وقال ابو الجوزا بفتح الجيم وواو ساكنة وزاي معجمة يليها المد ولهم ابو الجوزا ايضا غير هذا وابو الحورا
بمهملتين وهذا اسمه اوس بن عبد الله الربعي البصري يروي عن عايشة وصفوان بن عسال وغيرهما
وهو ثقة كما قاله الحاكم واخرج له الستة وتوفي سنة ثلاث وثمانين مقتولا في الجماجم **ما اقسم الله**

بحياة احد غير محمد عليه السلام لانه اكرم البرية عنده قيل غير هنا منصوب على الاستثنا وقد
سمعت آنفا ما له وعليه وقد مر ايضا ان عند ظرف فلا يضاف الا الى ثم حقيقة وقد ورد في القرآن
لمعان منها الحكم والعلم فالاول قوله كان عند الله عظيما وقد يراد بها القرب ورفعة المرتبة وهو
يكون بالثواب على انواعه ويصح ارادة كل منها هنا والبرية الخليقة من برا الله النسمة فيجوز همزه
وتخفيفه والثاني افصح واكثر وهو يدل على انه غير مشتق من البرا بمعنى التراب كما ذهب اليه بعض
اهل اللغة ثم انه قيل ان الآية لا تقتضي حصر القسم فيه دون غيره كما ذهب اليه بعض اهل اللغة
ولا قصرها على حياته دون ذاته فالتعليل غير تام الا ان يقال عادة العرب لمن احبوه وعظموه ان
يقسموا بحياته دون ذاته فان القسم بالذات انما يقتضي العظمة والشرف ولا يلزم من التعظيم
القسم ولا التخصيص به فان القسم مطلقا قد يتعدد المقسم به وقد يقسم بفاضل مع وجود الافضل
وكون الاكرمية تقتضي التخصيص ببعض الامور فلذا خص بما ذكر لا انها تقتضي هذا بخصوصه
لا يخفى ما فيه اقول هذا كله من التعسفات التي لا حاجة اليها فان فيما ذكر تكريما وتعظيما
خصه الله به على ما اختاره المصنف فلا يحتاج الى اقامة برهان منطقي عليه وكله من ضيق العطن
وانما تعرضت له لئلا يظن ان في السوبر رجالا واكرم من الكرم وهي صفة جامعة لكل خير ويقال
هذا مكرم علي اي هو عزيز عظيم في قلبي ونظري وهو في العرف يختص بالجود وليس مرادا هنا
لا بمعنى انه اكثر جامعية لكل خير عنده **وقال تعالى يس والقرآن الحكيم الآيات** لم يصرح ببقية
الآيات لانها ليست مما نحن فيه بل باعتبار المقسم عليه من الفصل الثاني ولم يذكرها هناك اكتفاء
بما ذكره هنا وتفننا في التصريح ببعض المقاصد والتلويح لبعضها والتفنن في الطريق فن من فنون
البلاغة وسياتي في اسمائه صلى الله عليه وسلم ما يتعلق بيس **اختلف المفسرون في معنى يس**
فحكى ابو محمد مكي تقدم الكلام في ترجمته والاقوال فيه كثيرة حكى منها بعض الشراح خمسة وهي ان
معناه يا سيد او يا انسان في لغة طي او هو اسم من اسماء الله لانه السيد الحقيقي او يا محمد او يا رجل
او هو اسم من اسماء القرآن كله او سورة منه وفيه قراآت فتح اليا وكسر النون وفتحها وكسر اليا واظهار
النون وهل هو معرب او مبني وجهان ايضا ومعنى الحكيم ذو الحكمة او الحكيم صاحبه او المحكم
انه روي بصيغة المجهول في تخريج الشيخ قاسم انه اخرجه ابن عدي في الكامل من حديث علي وجابر
واسامة بن زيد وابن عباس وعايشة وفي سنده مقال وقال السيوطي انه رواه ابو نعيم وابن مردويه
باسناد فيه ابو يحيى الوضاع وسيف بن وهب وهو ضعيف ولكن سياتي عن قتادة مرفوعا وتعدد طرقه
قد يجبر ضعفه وليس مما يتعلق بالاحكام **عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لي عند ربي عشرة**
اسماء تقدم ان عند الله بمعنى في علمه فالمعنى انه هو الذي سماه به لاعتنائه به وتكريمه ولذا قال
ربي دون الله والعدد لا مفهوم له فلا ينافي الزيادة كما سياتي واليه اشار بقوله **ذكر ان منها انهما**
طه ويس وورد تسميته به في لسان العرب كقول الحميري

يا نفس لا تمحضي بالنصح جاهدة • على المودة الا آل ياسينا

وزاد قوله ذكر اما لان في الحديث زيادة على ما ذكر او لانه لم يحفظ لفظه بعينه وقيل معناه يا رجل
وقيل اصله طا اي الارض وسياتي الكلام عليه **اسمان له** اي هما اسمان له بحذف حرف الندا او القسم
ويجوز على بعد ان يكون خبر ان **عن جعفر الصادق انه اراد يا سيد** فيه اطلاق السيد على غير الله
وقد قيل بامتناعه لحديث رواه البيهقي مسندا في كتاب الصفات عن مطرف قال انطلقت في
وفد عامر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا انت سيدنا فقال السيد الله الخ وتحقيقه ان فيه

للسلف اربعة اقوال الاول وهو الصحيح انه يجوز اطلاقه على الله وعلى غيره مطلقا فاذا اطلق
على الله فمعناه العظيم المحتاج اليه وفي غيره بمعنى الرئيس الحسيب وله شواهد من الكتاب والسنة
وكلام العرب الثاني وهو منقول عن مالك انه لا يطلق الا على غير الله اذ لم يثبت اطلاقه عليه في الاحاديث
المشهورة ولانه من السؤدد وهو الرآسة على قومه وفخره ولذا لما اطلق على الله فسروه بغير هذا كما مر
الثالث انه مختص بالله لان معناه المحتاج اليه المنصرف على الاطلاق وهذا لا يليق بغيره تم • الرابع
التفصيل في المعرف بال فيختص بالله وغيره يجوز اطلاقه عليه وعلى غيره • فان قلت ما تصنع بالحديث
المفيد للحصر بتعريف الطرفين • قلت اذا ثبت وصف الشي وارتد سلبه عن غيره حقيقة او ادعا فلهم
فيه طرق الاول التصريح باداة الحصر كقولك لا معبود الا الله الثاني ان يعرف الطرفان وهو في معنى
ما قبله الا ان فيه ايما الى ذكاء المخاطب لاستغنائه عن التصريح فقد يكون ابلغ من الاول الثالث
وهو ادق طرقه ان يجعل من اثبت الزاعم له الصفة عمن هي له فيقال الدهر هو الذي يضيف الامور للدهر
الدهر هو الله اي لا تصرف لغير الله في جميع الامور سوا الدهر وما سواه فاثبت التصرف كله لله ونفاه
بطريق برهاني عما سواه على حد قوله ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين وهو نوع من اخراج الكلام
على خلاف مقتضى الظاهر يسمى التوبيخ فصله عبد القادر في دلايل الاعجاز وهو مذكور في الكتاب
كقولهم عتابه السيف • وتحية بينهم ضرب وجيع • وما نحن فيه ان جرى على ظاهره فهو من هذا القبيل
فلا دليل فيه فاعرفه فانه من نفايس الذخاير المستودعة في ذا فاتر الخواطر مخاطبة للنبي عليه السلام
بفتح التا منصوب بدل مما قبله او مصدر فعل مقدر اي خاطبه به مخاطبة مخصوصة به وعن ابن
عباس يس يا انسان اراد محمدا عليه السلام رواه ابن ابي حاتم وعن مقاتل انها لغة حبشية يسمون
الانسان ايس وعن ابن عباس انها لغة طي فقيل ان اصله يا انيسين مصغرا فاقتصر على بعضه
لكثرة النداء به كما قاله الامام تبعا للزمخشري وتعقبه ابو حيان بان المنقول عن العرب في تصغير
انسان انيسيان بيا قبل الالف واستدل به على اصل انسان انسيان لان التصغير يرد الاشيا
الى اصولها ولم يسمع في تصغيره انيسين ولو سلم تصغيره كذلك فلا بد من بنايه على الضم لان
التصغير اصله التحقير فيمتنع في حق الانبيا ولذا قال ابن قتيبة في المهيمن انه تصغير مهيمن
واصله مؤيمن ابدلت همزته هاء قيل انه قريب من الكفر فليتق الله قايله وايضا الحذف من اول
المنادي غير معروف وسياتي الكلام عليه في فضل اسمايه صلى الله عليه وسلم وعلى هذا المنوال ما
تقدم من ان اصله يا سيد فانه قيل انه اكتفا ببعض الكلمة عن باقيها وهو مذهب للعرب مسموع في
كلامهم حكاه سيبويه وغيره فيقولون الا تا بمعنى الا تفعل فيقولون بلا فا اي افعل فيكتفون
عن الكلمة ببعض حروف الكلمة معبرين باسم بعض حروفها كقولهم قلت لها قفي فقالت قاف • اي
وقفت فيحتمل يس ان يكون عبر عنه باسمين من اسما حروفه لا بمسماه كما قاله الرازي وان
كانت العرب قد تكتفي ببعض الكلمة كقوله • كانت مناها بارض لا يبلغها • اي منا باها
وقوله درس المنا بمتالع فابانا • اي المنازل وله نظاير كثيرة اقول هذا محصل ما قالوه
هنا وقال الادبا كما نقله النواجي وهذا الحد صادق على نحو واشال القرينة على احد القولين فيه ثم
قسمه الى الاكتفا بكلمة كقولك سرابيل تقيكم الحر اي والبرد والى الاكتفا ببعض الكلمة قال وهذا
النوع مما اخترعه المتاخرون من اصحاب البديع واكثر منه الشعرا المتاخرون والتي توافقه
التورية كقول الدماميني •

• يقول مصاحبي والروض زاه • وقد بسط الربيع بساط زهر •
• تعال نباكر الروض المفدي • وقم نسعى الى ورد ونسر •

وقول ابن حجر رحمه الله تعالى •

• دع يا عذولي رقي الملام فمذ سري • عني الحبيب فنيت دام له البقا •
• والطرف من فقد الرقاد بكى بما • يحكي الغمام فليس يهدي بالرقا •

وامثاله مما لا يحصى وفيه اشكال لان النحاة اتفقوا على انه لا يكون الترخيم في غير المنادي بشروطه
المذكورة في بابه فيكون هذا وامثاله مخلا بالفصاحة لمخالفته القياس فكيف يعد هذا من
المحسنات البديعة التي انما تستحسن بعد الفصاحة وكيف يجوز ان يخرج على مثله القرآن الكريم
وان كان فيه تورية لانها لا يجوز مثله اللهم الا ان يقولوا انه مقيس مغتفر في الشعر وما وقع
في القرآن ليس منه بل هو من ذكر اسم حروف ايما الى بقيتها وليس من قبيل الترخيم وهو الذي اشار
اليه المفسرون فانظره فانه مما حاك في صدري ولم ار من تعرض له وفي كلام البجاي الذي
مر آنفا اشارة اليه وان لم يفصح به وقيل هو قسم وهو من اسما الله تعالى قال السيوطي اخرجه
ابن جرير وحرف القسم مقدر معه والقسم بمعنى المقسم به وقال الزجاج ابو اسحق ابراهيم بن
محمد شيخ العربية الامام في الادب صاحب التصانيف الجليلة وتفسيره مشهور وكان متينا في
الدين توفي ببغداد سنة ست واحدى عشرة وثلثماية وقد بلغ سنة الثمانين واليه ينسب
الزجاجي صاحب الجمل قيل معناه يا رجل وقيل يا انسان وقيل يا محمد فيس او يس علم له والمراد
بالرجل والانسان محمد ايضا واما ارادة النوع فذلك التفات كما قيل فبعيد لا ينبغي حمل التنزيل
على مثله وتقديريا وجعل العلم مجموع يس لاشتهار علميته لا يرد عليه انه شاذ كقولهم اصبح
ليل كما قيل لانا نحمل جعله بمعنى انسان ورجل في اصل وضعه ثم نقل وجعل علما او نقول هو بالغلبة
التقديرية فلا يحتاج الى ان يقال ان بعض هذه المعاني تقدم وانما عيد تتميما لكلام الزجاج
وقال ابن الحنفية رواه البيهقي في دلايل النبوة وابن الحنفية هو ابو عبد الله محمد بن امير
المومنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه والحنفية امه واسمها خولة وقيل لها الحنفية لانها من
سبي بني حنيفة واشتهر بنسبته اليها تمييزا عن السبطين وهو امام عظيم اخرج له الشيخان وغيرهما
ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر وتوفي بالمدينة في سنة ثمانين على الاشهر وفيه اقوال اخر وصلها
البرهان في المقتفي وترجمته مفصلة في التواريخ وهو من كبار التابعين يس يا محمد
اي معناه هذا لانه وضع له ابتدا او بواسطة كما مر وانما ذكره وان تقدم لبيان قايله وتعدد
طرقه وعن كعب الاحبار تقدم الكلام عليه يس قسم اي مقسم به او جعله قسما لتضمنه له او
مبالغة اقسم الله به قبل ان يخلق السما والارض بالفي عام لم يبين المقسم به ففيه الاحتمالات
السالفة وفي المواهب في نقل كلام ابن الحنفية اقسم الله باسمه وكتابه وفيه فايدة سترا ها
والعام والسنة متقاربان معنى وللسهيلي كلام في الفرق بينهما والمراد بمقدار الفي عام
والافقبلهما لا تتحقق السنين والاعوام لان الزمان يقدر بحركة الفلك اذ المراد مجرد الكثرة
او عدم النهاية مجازا فلا يقتضي الحصر ونبا في الزيادة قيل ولو سلم ان الزمان مقدار حركة
الفلك لا يرد هذا لان الفلك الاعظم العرش وهو مخلوق قبل السما والارض لقوله تع وكان عرشه
على الما كما قاله زين العرب في قوله صلى الله عليه وسلم كتب الله مقادير الخلايق كلها قبل ان
يخلق السما والارض بخمسين الف سنة وفيه نظر ثم قيل انه مشكل ايضا لان كلام الله قديم فلا
قبلية فيه ولا بعدية وخلقهما محدث واجيب بان المراد ابرزه في ام الكتاب واللوح المحفوظ
المكتوب فيه جميع الكاينات ولم يتصد البجاي فقال الاولى ان يضعف مثل هذه الروايات ه

مما امكن فان صحت ترك علمها الى الله نعم اذ مثله لا يقال بالراي ولا يدرك بالاجتهاد وقيل
القبلية المذكورة متعلقة بالاقسام وليس المراد معناه النفسي القديم بل احداث ما يدل عليه عند
الاشعرية وتعلقه باسماعه وعروض اضافة مخصوصة بلا واسطة معناه وهذا التعلق حادث
قبل خلقهما فلا محذور وفيه غير كون الزمان موجودا قبل خلقهما وقد عرفت انتفاعه وكون التعلق
حادث ارتضاه بعض ائمتنا كالنسفي ومن لم يدخل من باب التاويل وهو واسع مع ان منهم من جوز تعلق
الكلام الازلي بالمعدوم الذي سيوجد فلا ينافي الاقسام به ازليته الا ترى الى قولك الزمان
الماضي قبل المستقبل حيث يقصد مجرد بيان تقدمه لا يخطر ببالك ان للزمان زمان او ظرفية
لنفسه اقول مثل هذا ورد في الحديث كثيرا فالطعن فيه لا يليق ولا بد من تاويله وهو ظاهر
لان المراد انه اطلع على ملائكته قبل تمام هذا المقدار وقدرها وهو المناسب هنا لافادته اظهار
عظم قدره في الملأ الاعلى ومجرد تقدم العرش لا يقتضي الزمان بالمعنى المتعارف فتدبر يا محمد
انك لمن المرسلين ليس قوله يا محمد تفسير ليس لانه غير مناسب لما سيق الكلام له من ان الله اقسم به ولذا
ذكر انك لمن المرسلين الذي هو جواب القسم توضيحا للمراده بل هو بيان للمخاطب وليس مراده انه جواب
مقدر للقسم بيس حتى يلزم عليه اجتماع قسمين من غير عطف على جواب وهو مما اباه النحاة كما صرح به
في الكشاف وقال ان العرب تكرهه وبينة الذوق لا تشهد الا مع شاهد فالقسم واحد والواو عاطفة
لا قسمية وقد خطر لي توجيهه بان القسم جملة فاذا تعدد كان بين الجملتين مناسبة تامة لان كلا
منهما قسم مقسم به على شيء واحد فيقتضي العطف واجتماع واوين وهو ثقيل وحذف احدهما وفيه
لبس وترك المص بقية التفاسير لكونه اسم السورة لانه ليس مما هو فيه وجوز بعضهم ان يكون اشارة
الى جواز تعدد القسم لزيادة التعظيم والتاكيد وهو مخالف لما قالوه ثم قال والقرآن الحكيم انك
لمن المرسلين هذا من كلام المص اي قال يس والقرآن الخ وما قيل من انه تنبيه على ان هذا قسم مستقل
والمذكور جوابه وجواب الاول مقدر وهو مراد كغيره ايضا وان خالف كلام النحاة لا وجه له فان قلت
بكسر الدال المهملة المشددة اي ان قيل بهذا وعبر به لان فيه وجوها اخر انه الضمير ليس والفاء
فصيحة اي اذا عرفت ما مر فان قدر الخ انه من اسمائه عليه السلام وصح انه قسم كما سمعته عن كعب
ومكي وصح بمعنى ثبت او ريد به ذلك في نفس الامر لاحتماله عقلا وان ليس الشك في قوله ان
كان فيه اي في القسم وقيل في يس وقيل في التخصيص ورد بانه لا تخصيص فيه الا ان يريد التخصيص
بالذكر من التعظيم ما تقدم في القسم بقوله لعمرك واورد عليه ان القسم بالحياة فيه من التعظيم
ما مر ولذا اقسم الله بذاته غيره ولم يقسم بحياته فالمراد مما تقدم من التعظيم العظيم وكانه نسي قوله
قبل هذا باسطر ان كل احد يحلف بالعظيم عنده وعلى هذا فهو في محل نصب بنزع الخافض لا في محل جر لانه
لم يرد في غير لفظ الله الا شذوذا وفيه بحث ويؤكد فيه القسم عطف القسم الاخر عليه عطف مرفوع
فاعل يؤكد والقسم منصوب على انه مفعول مقدم والقسم بمعنى الاقسام وضمير فيه ليس او للتعظيم
فالمعنى مظروف في اللفظ والاخر بالمد وفتح الخاء وكسرها كما قاله البرهان الحلبي وفي الصفوي المعنى
انه ذكر بعده مقسما به بالواو والمتبادر منه العطف ويس اذا كان مقسما به فهو معطوف على مثله والا
لم تكن الواو عاطفة ولا المقسم تلو مثله او كان المقسم به عطفا على غيره والاول الحسن والانسب
وفي العبارة مؤاخذات لان عطف مثله مبني على ان يس قسم فكيف يؤكد مع
انه مقسم به لا قسم فالوجه ان يقول يؤكد ذكر المقسم به الاخر وعطفه عليه لو كان قسما وذلك العطف
اولى فكذا قسميته اقول هذا مما لا ينبغي ان يصدر من مثله لان كون القسم بمعنى المقسم به

ظاهر

ظاهر فاعتراضه ساقط وعطف القسم على المنادي الذي زعم انه حسن باطل ويتعين قسمية
الثاني بجره فان كانت الواو عاطفة وفرض قسمية الاول ايضا كان مؤكدا له فلا معنى لما اعترض
به وتوضيحه ان المص لما نقل ان يس بمعنى محمد اتبعه بما نبه على وجه اختيار العطف لمزيته فقال
والمعترض توهم ان قوله ويؤكد الخ استدلال على القسمية بالعطف والتاكيد وهما انما يتحققان اذا كان
قسما والاستدلال على الشيء بما يتوقف وجوده عليه فاسد فقال ما قال وكم له مثل هذه مما قرعت له
العصا ومما يدلك على ما قلته قوله وان كان بمعنى النداء فقد جاء قسم آخر بعده لتحقيق رسالته
والشهادة بهدايته اي ان كان يس متلبسا بمعنى النداء وهو منادى بتقدير يا او بدونه تقديرا
كما مر ففيه اي في الكلام قسم آخر بالقرآن المنزل عليه فلا يكون مما نحن فيه بل مما يتعلق بالفصل الخامس
لكنه مناسب لما هنا لما اشتمل عليه من تعظيمه وتحقق بقوله انك لمن المرسلين والشهادة بهدايته
في نفسه وغيره بقوله على صراط مستقيم فالمقسم عليه رسالته وتحققها الدال عليه ان واللام
والجملة الاسمية لانه بمعنى رسالته المحققة والقسم المؤكد لها تم استئناف لتوضيح معنى الرسالة
والطريق المستقيم فقال حبينا الله على وهو كون يس قسما اقسم الله تعالى باسمه
اي اقسم الله قسما متلبسا باسمه وهو يس العلم الدال على ذاته ولا بعد فيه كما قيل لان الظاهر
ان يقول اقسم به او بذاته كما يقال والله والجزم بالقسم باسمه انما يتمشى اذا كان لفظ الاسم مقحما
او المراد بايراد اسمه وهو بعيد انتهى وقوله وكتابه بالجر عطف على اسمه لا على الضمير المجرور لمن غير
اعادة الجار لما فيه من مخالفة الافصح والاحتياج الى التاويل والقسم بكتابه متعين ولما بذاته
فعلى الارجح عنده كما سمعته آنفا والضمير ان للنبي صلى الله عليه وسلم لا لله لما فيه من مخالفة الظاهر
وانتشار الضمائر وعلى النداء لا ينافي ما مر من انه لم يناده باسمه كما مر فتذكره انه لمن المرسلين يوحيه
الى عباده بكسر ان لتقدير القول والحكاية بالمعنى اي قائلا انه الخ ولذا لم يقل انك والارسال
بمعناه اللغوي ولذا ذكر الوحي بعده لتخصيصه او بمعناه الشرعي على التجريد ومجرد ملاحظة الثاني
لا يكفي كما قيل وعلى طريق مستقيم من ايمانه بيان للطريق وان المراد بها التوحيد وهي تعليلية
وزاد الواو اشارة الى انه خبر ثان مقصود مقسم عليه لا متعلق بالمرسلين اي ممن ارسل على هذه الطريقة
والقسم على امرين كما قال قبله ان الاقسام على امرين برسالته والشهادة بهدايته لا امر واحد
هو انه رسول مهدي على طريقه ولا حال كما قيل لانه قريب من هذا وان كان جعله قيل لا ينافي
القصد لان هذا افصح واتم في المدح اي طريق لا اعوجاج فيه ولا عدول عن الحق اي بفتح الهمزة
وسكون الياء المخففة مفسرة للطريق المستقيم وهذا اعم من الايمان وهو تفسيران على الاول
وتشديد الياء على ان المعنى طريق واي طريق لانه لا اعوجاج فيه ولا عدول الخ تفسير لعدم الاعوجاج
مخالف للرواية والظاهر والمجاز وقد تذكرت هنا قولي

من احسن العشرة فليلتزم	سماحة النفس وترك اللجاج
ويشتري المعوج من خلقهم	اي طريق ليس فيه اعوجاج

قال النقاش هو ابو بكر بن محمد بن الحسن بن احمد الموصلي البغدادي المقري المفسر روى عن ابي
مسلم اللخمي وطبقته وقرأ بالروايات حتى صار شيخ المقرئين في عصره على ضعف فيه وقيل انه
كان يكذب في الحديث فلذا قالوا ان رواياته منكرة وتفسيره ليس فيه شفاء للصدور والغالب
عليه القصص الا ان ابا عمرو الداني اثنى عليه وروى عنه حكاية تقتضي رده وفي حاشية
التلمساني انه مغربي توفي سنة احدى وخمسين وثلثمائة وله ترجمة في الميزان وطبقات القراء

وقال ابو شامة في شرح الشاطبية انه ضعيف عند اهل النقل وقال الجعبري المضعف له غالط لم يقسم الله لاحد من انبيايه بالرسالة في كتابه الا له اي بسبب الرسالة اذ لم يقسم على رسالته احد غيره كما في هذه الاية وهذا وان دل على ان غيره مرسل ايضا الا ان المقسم عليه بالقصد الذاتي رسالته وعدل عن قوله رسول او مرسل وهو اخصر ليثبت رسالته وانه عريق فيها على نهج قوله كانت من القانتين لان فلانا من العلما ابلغ من عالم كما قرره علما البيان وفصلناه في غير هذا المحل اي لم يذكر هذا القسم في القران لغيره تشريفا له وتعظيما له ولشدة انكار قومه لرسالته فلذا جاء موكدا بالتاكيدات وفيه من تعظيمه وتمجيده على تاويل من قال يا سيد ما فيه التمجيد تفعيل من المجد وهو العز والشرف والتاويل حقيقته في اللغة معرفة حال الشي وما يرجع اليه من آل ثم شاع في معنى التفسير مطلقا وقد يخص التفسير بما كان منقولا عن النبي والصحابة والتاويل بغيره وقد يخص ويجعل الكلام على المعنى الخفي دون الظاهر كالحقيقة والمجاز والعموم والخصوص والاطلاق والتقييد وضمير فيه الاول ليس وقوله ما فيه فيه ايجاز ومبالغة اي فيه امر عظيم لا يمكن الوقوف عليه كقوله تع الحاقة ما الحاقة لوصفه بالسيادة المطلقة المفيدة للعموم في المقام الخطابي فيفيد تقوية على من سواه لانه واسطة كل خير وقد تقدم الكلام في اطلاق السيد على الله ومعناه ووزنه فيعل بكسر العين من السودد فاصله سيود وقيل انه فيعل بفتح العين فغير على ماض وحملهم على هذا انهم لم يجدوا في الصحيح فيعل بالكسر بل بالفتح كصيقل وضيغم ولذا ذهب بعضهم الى ان اصله فيعل ورد بانه لا مانع من اختصاص المعتل بوزن يخصه ثم عقب هذا بحديث يناسب السيادة ويدل على عمومها في حقه فقال **وقال عليه السلام انا سيد ولد آدم** اي جميع اولاد آدم وكل البشر لان الولد يكون واحدا وجماعة كما قاله التلمساني وفي نسخة ولا فخر الفخر ادعا العظمة والشرف والاعلا بذكره اي لا اقول تبجحا وافتخارا بل تحدثا بنعم الله وشكرا له كما قاله ابن الاثير وقال ابن فورك اي لا فخر في الدنيا عندي اي لا اتعظم ولا اتكبر بذلك فيها وان كان له الفخر الاكبر في الدنيا والاخرة وفي هذا الحديث روايات منها انا سيد ولد آدم يوم القيمة كما رواه مسلم والترمذي قال البجاي فيه اشارة الى انقياد جميع الخلايق له في ذلك اليوم من غير منازع كما في الدنيا وهو كما قال الله لمن الملك اليوم وفيه دلالة على جواز مدح المرء نفسه اذا قصد التحدث بنعمة الله وقد قيل انه واجب عليه ليبلغ امته ما يجب في حقه ولذا قال تع واما بنعمة ربك فحدث وهذا الاينافي سيادة الملايكة وما سوى الله وقوله ولا فخر احتراز عما يتوهم من الكبر على حد قولهم

فسقى ديارك غير مفسدها • صوب الحيا وديمة تهمي •

وهذا مذكور على طريق الاستطراد والتتميم **وقال تعالى لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد** يعني لا نافية للقسم واقام الظاهر مقام المضمر ولم يقل وانت حل به استعظاما لحلوله فيه والبلد مكة حرسها الله كما اشار الى توضيحه بقوله **قيل لا اقسم به اذا لم تكن فيه** وروي اذ لم تكن فيه وهما بمعنى هنا **اي بعد خروجك منه حكاه مكي** تقدمت ترجمته اشارة الى ان عدم القسم به لخروجه منه ولو قال اذ خرجت كان اوضح واخصر وفيه ايما الى ان القسم في سورة التين بقوله وهذا البلد الامين لكونه فيه فلا ينافي بين الايتين اذا كانت البلد فيهما بمعنى فاذا كان فيها فهي حقيقة بالاقسام بها لان شرف المكان باهله كما قيل

• وما حب الديار شغفن قلبي • ولكن حب من سكن الديارا •

وهو منتظم مع ما بعده من قوله ووالد الخ اي لا اقسم بالبلد واقسم بغيره او الوله بغير قسم بنا على

انسحاب

انسحاب النفي عليه او لا اقسم بهذا لجلالة المقسم والمقسم عليه وان كان ما ذكر مما يقسم به لعظمته ففيه تعظيم لما نفي القسم عنه فلا وجه لتوهم عدم الانتظام وقدم هذا الوجه لرجحانه عنده كما ذهب اليه الامام **وقيل لا زايدة اي اقسم به** زيادتها نظرا للمعنى المقصود وليست لغوا لافادتها تاكيد الكلام وتقويته وتحسينه وان كان حذفها لا يغير اصل المعنى فاندفع قول الامام انه مانع من الانتظام وموهم لجعل الاثبات نفيا ويلزمه عدم الاعتماد على القران مع ان لا تاتي زايدة مع القسم كثيرا وقد تزاد في غيره ايضا وذهب بعض النحاة والمفسرين الى انه لا يطلق على مثله انه زايد بل يقال تاكيد باصلة وهو كلام حسن وقيل لا انا فحذفت انا واشبعت اللام ويويده انه رسم في الامام بلا الف وانه قرئ شاذا لاقسم بلام الابتدا **وانت يا محمد حلال او حل لك ما فعلت فيه** جملة حالية وهذا مبني على التفسيرين في هذه الاية بالاثبات والنفي او في معنى الحل او على كليهما لتكون الكلام افيد وحل له معان فيكون ضد الحرمة وبمعنى الاقامة بالمكان والاسم منها حل بالكسر وحلال بمعنى جايز ومقيم وفعل يكون اسما كجذع وصفة كنقض ومصدرا كعلم والى كل من المعنيين هنا ذهب بعض المفسرين فالمعنى اقسم بهذه البلدة وانت مقيم بها لشرفك وعظمتك عندي او اني احللت لك ما لم احله لغيرك في هذه البلدة من القتل وغيره وهذا اما للنسخ حرمتها او خصوصية له صلى الله عليه وسلم لقول الله عز وجل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام سواء حمل على ظاهره او فسر بالحرم وهذه الاية محكمة عند ابن عباس ومجاهد لما رواه الشيخان من قوله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح ان الله حرم مكة يوم خلق الله السموات والارض ولم تحل لاحد قبلي ولا بعدي وانما احلت لي ساعة من نهار ثم عادت حراما الى يوم القيمة وقتاله صلى الله عليه وسلم وامره بقتل من جا الى الحرم كابن خطل من خصايصه كما روي عن السلف واورد عليه الجعبري في كتاب النسخ بان قوله احلت يدل على الحرمة فيكون نسخا ولو كان لاستمر فيكون رخصة لانها استباحة مع المانع وبه قال ابو حنيفة وقال قتادة والضحاك هي منسوخة بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وبآيات اخر في معناها وتمسكا بفعله ولا دليل فيه لتصريحه بالتخصيص وبه قال الشافعي انتهى وفي الاية تسلية له اي ان اخرجوك فستعود لها وتفعل فيها ما تريد فيها وتثبيت ووعد بالنصر والاول على تقدير ثبوت القسم والثاني على انتفايه او كل منهما جار على التفسيرين وفيه تفاسير اخر فقيل المعنى وانت حلال اي محرم مقيم بها او المعنى يستحلون ايذاك واخراجك منها وهو تثبيت له وتعجيب مما جرى عليه او اشارة الى علة عدم القسم فاندفع الاعتراض بان الحال يقتضي عدم القسم بعد الخروج فيتنافيان ويجوز اجراوه على الوجهين وقيل المعنى لا اقسم وانت مستحل او انت حال فانه حينيذ ينبغي القسم بك لا انه قيل ان هذا لا يناسب كلام المصنف وهو امر سهل وقال القسطلاني فان قلت هذه السورة مكية وانت حل بهذا البلد اخبار عن الحال والواقعة التي ذكرت في آخر هجرة المدينة فكيف الجمع بين الامرين واجيب بانه قد يكون اللفظ والمعنى مستقبلا كقوله انك ميت وانهم ميتون واستشكل هذا بانه يلزمه اختلاف زمني الحال وعاملها الا ان يقال الجملة معترضة لا حالية فيتضمن وعدا فيه مبالغة بواسطة تنزيل المستقبل المحقق منزلة الحال لا الماضي كما يدل عليه قوله ما فعلت به قيل وفيه اشارة الى عظم شانه بعد التنبيه على عظم مكانه دفعا لما يتوهم من ان المكان اشرف او ان شرفه مكتسب منه **والمراد مكة** وقيل غيرها كما سياتي **وقال الواسطي** نسبة لواسط مدينة مشهورة وهو الامام العارف بالله ابو بكر بن موسى وهو ممن صحب الجنيد وتوفي بعد الثلاثماية وعشرين وهو من اجلة العلما والصوفية **اي نحلف بهذا البلد الذي شرفته بمكانك فيه حيا وببركتك ميتا** نحلف بنون مفتوحة وحا مهملة

تليها لام مكسورة وقاف كذا ضبطه في المقتفي ولو قرئ بالياء التحتية صح ايضا وفاعل الحلف على كل
حال هو الله تعالى وتسمى هذه النون نون العظمة لان اصلها للمتكلم مع الغير كنحن الا ان العظيم يتكلم بها
ويطلقها عليه غيره تعظيما لعده بمنزلة جماعة كثيرة او لان له اتباعا في خدمته اذا اراد فيكني عنه وعنهم
ولذا قال الراغب في مفرداته ان الله تعالى انما يوردها في كلامه فيما يفعله بواسطة ملايكته كقوله انا نحن
نزلنا الذكر وفي شرح التسهيل انه مقصور على السماع لايهامه التعدد فلا يجوز استعماله وبه افتى
علما الحنفية فالاولى حينئذ الغيبة هنا وعلى نون العظمة تذكرت ما تظرف به ابن نباتة المصري في قوله

اغمزه بناظري • فلم يزد لي كلمة • يحسبني حاجب • لكن بنون العظمة •

وقوله لك اي
لاجلك ولاجل تعظيمك وتشريفه لانها بحلوله فيها صارت حرما ومهبطا للوحي ومنبعا للدين وقد قالوا
ان هذا القسم ادخل في عظمته من القسم بذاته وحياته كما اشار عمر رضي الله عنه بقوله بابي انت
وامي يا رسول الله ان اقسم بتراب قدميك فقال لا اقسم بهذا البلد ومكانك بمعنى كونك وحلولك
فيه مصدر ميمي ولذا اعمله كقوله هـ •

اظلوم ان مصابكم رجلا • اهدى السلام تحية ظلوم •

ولو كان اسم مكان لم يعمل كما صرح حول به وببركته ميتا لو قال بمكانك وبركتك حيا وميتا كان اولى
لان الانبياء احياء في قبورهم حياة حقيقية وان قيل انه تفنن لان بركته في حياته كما كان على علم
يعني المدينة والاول اصح لان السورة مكية يعني ان هذا القايل اراد بالبلد المدينة لانها مكانه
في حياته ومماته وعلى القول الاصح عند المفسرين مكة لان هذه السورة نزلت بمكة فالاشارة حال
النزول تعين انها مكة لان هذا يشار به للقريب للحاضر وقت الخطاب والمدينة على هذا ليست كذلك
ولذا قيل انه مجمع عليه وتنزيلها منزلة الحاضر القريب مخالف للظاهر رواية ودراية واشار بالاصح
الى قول ضعيف نقله ابن عطية ان السورة مدنية فلا وجه للاعتراض به على المصنف كما في شرح البخاري
ولشدة ضعفه وضعف ما بني عليه لم يعتد به مدعي الاجماع **وما بعده يصححه** مبتدا وخبر اي
ما بعد القسم وانت حل بهذا البلد فقوله **قوله حل بهذا البلد** خبر مبتدا مقدر مع الاقتصار على مناط
الدليل واصله وهو قوله وانت حل بهذا البلد ويجوز ان يكون بدلا مما قبله بلا تقدير وفيه بحث
كما اشار اليه بعض الشراح لان القايل لا يسلم ان السورة مكية فالبلد في الموضعين عنده المدينة والاشارة
فيهما لها وحل بمعنى حال مقيم فكيف يقام الدليل عليه بما لا يسلمه فالاولى الاقتصار على رواية خلافه
صحتها واشتهارها وقيل ان قوله لان السورة الخ مجموعه علة للاصحية وهو قوله وانت الخ وكونها
مكية الا انه انما يتم على تفسير حل بما لا يتصور في حق المدينة كالحلال غير المحرم ومن الجاني اذ يفسره
الواسطي بالحال النازل ويقول البلد فيهما المدينة والسورة مدنية فلا يلزم منه شيء مما مر ولا يخالفه
قا على اعادة المعرفة معرفة كما اذا اريد بالاول المدينة وبالثاني مكة على انه وعد له بانه سيكون بها
حالا غير محرم على ما فيه من الاشارة في كلام واحد لغايب وحاضر بتنزيل الغايب منزلة الحاضر لنكتة
والمراد بالاول القول بانها مكة كما بيناه وقيل يجوز ان يريد به القول الحاكم بان لا نافية للقسم
وما بعده القول الحاكم بانها زايدة ويصححه قوله وانت حل بهذا البلد اذ في كونه حلا به اشعار بثبوته
مع كونها زايدة انتهى ولا يخفى ما فيه من التكلف **ونحوه قول ابن عطا في تفسير قوله وهذا البلد
الامين** اصل معنى النحو القصد ومنه علم النحو لانه يقصد نهج كلام العرب افرادا وتركيبا ثم استعمله
الناس بمعنى مثل وشبه وشاع حتى صار حقيقة فيه اي مثل ما تقدم من القسم بمكة لتعظيمه صلى الله
عليه وسلم او نحو قول الواسطي في ان المحلة صفة مدح بواسطة قول ابن عطا وان كان قول الواسطي

في

في حق المدينة وقول عطا في حق مكة وذلك بسببه وهذا لتشريفه بما فيه من الامان بدعوة
الخليل وتعليق الاقسام على صفة الامان يفيد عليته له والامين فعيل بمعنى فاعل فهو آمن
لقوله ومن دخله كان آمنا وقيل بمعنى المامون على ما اودعه من البركات او لانه مامون عن
الغايلة وتحقيقه في الكشاف وشروحه **قال آمنها انه لمقامه فيها وكونه بها** في المقتفي آمنها
بقصر الهمزة وتشديد الميم كما في النسخ ولا اعرف فيه الا مد الهمزة وفتح الميم يعني ان المعروف
في اللغة مجيئه ثلاثيا ومن باب التفعيل واما الافعال فمن الايمان وقوله لمقامه بضم الميم بمعنى
اقامته ويجوز فتحها بتكلف والوجه الاول وعطف كونه بمعنى وجوده فيها وفي نسخة بمقامه
بالباء السببية والامان بسببه وقد فهم من الآية ان الاقسام لاشعار الترتب بالعلة فيكون الاقسام
بسببه ايضا **فان كونه** اي وجوده **امان** اي موجب للامان **حيث كان** اي حيث وجد بذاته
الشريفة والحيثية قد ترد للتعميم اي في اي مكان كان لقوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم
وهذا الامان بعد وجوده وقريبا من وجوده كما امنه به من الفيل واصحابه لان ولادته كانت في
ربيع الاول من عام الفيل وقصة الفيل في المحرم وقال بعض الشراح الاظهر ان هذا الامان كان بدعوة
ابراهيم وقوله اجعل هذا بلدا آمنا ومن دخله كان آمنا واجاب الله تعالى دعاءه فقال واذ جعلنا البيت
مثابة للناس وامنا واجيب عنه بانه لا يبعد ان يكون كل ذلك ببركته ويمن وجوده فيه فلما علم الله
انه سيصير بمقام عظمة قبل دعا خليله اذ استدامة ذلك واستمراره بسببه ولا يبعد ان يقال ان
المصنف اشار الى هذا بقوله **ثم قال ووالد وما ولد** عطف على هذا البلد والمفسرون اختلفوا في تفسير
الوالد **فمنهم من قال اراد آدم فهو عام** اي ما ولد على هذا التفسير عام شامل لجميع اولاده لا يختص
بفرد منهم فالقسم على هذا بنوع الانسان لانه اشرف مخلوقاته ونسخة توحيده في ذاته وصفاته وعلى
هذا الجمهور لتبادره من غير داع للعدول عنه وقيل المراد على هذا الصالحون منهم قيل ولا يبعد ان يراد
الفرد الكامل منهم وهو محمد صلى الله عليه وسلم فيكون القسم بالاول والآخر ولا ادري ما وجه تركه
وعدم تعرض احد من المفسرين له وكانه لعدم دليل عليه فتدبر **ومن قال هو ابراهيم وما ولد** ضمير
هو للوالد او المجموع الوالد والولد والثاني اولى وقيل الاولى ان يقول على منوال ما سبق ومن قال هو
ابراهيم والضمير في قوله **فهي ان شاء الله تعالى** للبيت انث باعتبار الخبر وهو قوله **اشارة الى محمد
صلى الله عليه وسلم** يعني هو المراد من قوله وما ولد عند هذا القايل وهو ابو عمران الجوني كما نقله في
زاد المسير وقيل هم العرب وقيل اولاد ابراهيم او الصالحون منهم ولكونه غير متعين من النظم اطلق عليه
الاشارة لخفائه والمشهور اطلاق الاشارة على ما يدل عليه اللفظ دلالة التزامية كاشارة النص وقوله
ان شاء الله قيل انه للتبرك والاهتمام بما بعده او هو تادب منه في الحكم بانه مراد الله او اشارة الى ان
فيه احتمالا آخر وجوز بعضهم فيه ان يكون تعليقا على ظاهره وقد ذهب الى هذا كثير من المفسرين
لانه لما حمل الوالد على اكمل افراده ناسب حمل ما بعده على مثله وقيل المراد بالوالد محمد صلى الله عليه وسلم
لحديث انما انا لكم بمنزلة الوالد والولد امته وذريته وقال فيه ما • دون من • وما في الاصل لما لا
يعقل قيل لان كثيرا من النحاة جوزوه او لتاويله بالمبهم اي الولد الكامل الذي لا يدرك كنه ذاته لتناهيه
في الكمال اقول المختار عند صاحب الكشاف وغيره من المحققين انه يطرد فيما قصد به المعنى الوصفي
كالمولود هنا نظرا للصفة فانها ليست من جنس العقلاء كما في حواشي الكشاف قال الزمخشري في قوله تعالى
فانكحوا ما طاب لكم من النساء التفرقة بين من وما انما هو اذا اريد الذات واما اذا اريد الوصف فيجوز
ذهابه الى الوصف وقد خفي هنا على بعض الافاضل وظاهر كلامهم انه معنى حقيقي فان قيل بانه يكون

ان يكون فيه تغليب دقيق لم ينبهوا عليه وهو تغليب احد جزئي المدلول وانما ذكروه في الجزئيات
والتنكير فيه للابهام المشتقل بالمدح والتعجيب كما قيل فتضمن **السورة القسم به في موضعين** اشار
بالفاء الى تبيانه مما قبله اي اذا كان كذلك ففي ضمن هذه قسم بمحمد مرتين احدهما في البلد التي هي محله والثاني
في قوله ومولود على هذا التفسير والقول بانه لما اقسم بوالده وهو في صلبه فكانه اقسم به بعيد غاية
البعد واما القول بانه لتقسيم الوالد بمحمد صلى الله عليه وسلم كما في الكشاف فغير صحيح لانه ليس في كلام
المصنف ذكر له بوجه من الوجوه وهو عجيب من قايله اللهم الا ان يقال من اقسم لاحد بمن مضى من ابائه
قاصدا لتعظيمه فكانه اقسم به اي بصفة من صفاته وهي شرف حسبه فتامل **وقال تعالى الم ذلك**
الكتاب ذلك اشارة الى الم على انه طايفة من الحروف او اسم السورة او القرآن تنزيلا له منزلة المحسوس
المشاهد البعيد لرفعة قدره او لتعظيمه كما فصله المفسرون **قال ابن عباس هذه الحروف اقسام**
اقسم الله بها وعنه وعن غيره فيها غير ذلك الاقسام جمع قسم بمعنى المقسم به لقوله بها وقد روي عن
ابن عباس وغيره من مفسري السلف في هذه وفيما ضاهاها اقوال غير ما ذكر قال الشريف كما روي
عن الخلفاء الاربعة انهما مما استاثر الله به قال البيضاوي ارادوا انها اسرار بين الله وبين رسوله
اذ يبعد الخطاب بما لا يفيد وفيه انهم صرحوا بانه مما لا يعلمه الا الله فانه اخفاه لحكمة فلم يتحاشوا
عما فر منه اقول يعني انهم قالوا ان التعقيد المعنوي يخل بالفصاحة فكيف بما لا يمكن علمه وما ذكره
لا يدفع ما قاله فالحق في جوابه ما قاله الفاضل الليثي بان هذا انما يشترط فيما قصد به تفهيم
المخاطب كما فصله في حواشي المطول وهذه الحروف اشارة لما ذكر او الى جميع حروف المعجم كما يقولون
تعلمت اب اي جميع الحروف المقطعة كما قاله ابن قتيبة فهي اقسام متعددة جوابها مقدم اي لقد
بينت لكم السبيل واوضحت لكم الدلالة بهذا الكتاب المنزل بقرينة قوله ذلك الكتاب الخ وفيها اقوال
كثيرة تكلفت بها التفاسير فلا حاجة لذكرها هنا والى هذا اشار بقوله **وقال سهل التستري** قال
السيوطي رواه ابن جرير وابن ابي حاتم **الالف هو الله تعالى واللام جبريل والميم محمد صلى الله**
عليه وسلم قيل ان هذا غير واضح المعنى والماخذ وفي تفسير الاصفهاني نحو عشرين قولا لم ار فيها هذا
الا انه حكي عن الضحاك ان اللام من جبريل والميم من محمد والالف من الله وهي اقسام اقسم الله بها وهو
في غاية اللطف والدقة فان كان المراد هذا فهو واضح لانه اذا اقسم بحرف من اسم دل على شرفه
وفي هذا تقديم جبريل عليه السلام فربما تعلق به مدعي التفضيل وان لم يلزمه مطلق التفضيل
يعني انه لم يقل انها حروف من اسمائهم بل جعلها دالة عليهم ووجهه في غاية الخفا فان نزل على ما ذكره
الضحاك اتضح لكن العبارة غير ظاهرة فيه فرده بانه لا طايل تحته دعوى بلا دليل وان كان فيه
قسم بمحمد صلى الله عليه وسلم فهو مناسب لما هو بصدده واما تقديم جبريل هنا فلانه واسطة بين الله
ورسوله فالاعتراض به في غاية السقوط كما اشار اليه بقوله **وجعل معناه الله انزل جبريل على محمد**
بهذا القول لا ريب فيه كما حكاه القاضي عن ابن عباس يعني انه لوضوح شانه واعجازه لا يرتاب
عاقل فيه بعد النظر وان كثر المرتابون كما قال وان كنتم في ريب الخ وعلى الوجه الاول الذي رواه عن
ابن عباس وهو القسم بالحروف **يحتمل القسم ان هذا الكتاب حق لا ريب فيه** ان بالفتح على انه
قسم في قول سهل وعلى هذا فجواب القسم لا ريب فيه وقيل الجواب محذوف يدل عليه قوله ذلك الكتاب
لا ريب فيه لا جواب بتقدير اللام لانه لا يسوغ حذفها الا اذا استطال القسم كما في المغني وحذف
الجواب ورد في القرآن كما قدروه في قوله ص والقرآن ذي الذكر بانه لمعجز وانك لمن المرسلين
وايا ما كان ذلك بهذا لان التعظيم يكون باشارة القريب والبعيد كما تقرر في المعاني والنكات لا تتزاحم

والتردد

والتردد في انهما على حد سوا ام لا كما قيل لا طايل تحته وفي شرح السيد الجرجاني انه اشار
بهذا الى ان الظاهر الاشارة للقريب الحاضر في الذهن وانما عبر بذلك لتنزيله منزلة البعيد
للتعظيم ولم يرد تعزيز حق بل بيان ان لا ريب خبر بمعنى حق **ثم فيه من فضيلته قران اسمه باسميهما**
نحو ما تقدم اي في الم او في هذا القول او القسم او الكتاب على قول سهل مطلقا او على ما ذكره السمرقندي
لدلالة الحروف المقطعة من الاسما او لدلالتها عليها كانها اسماء واشار بقوله نحو ما تقدم الى ما مر في
قوله ورفعنا لك ذكرك ولا يخدش القرآن توسط اللام المفسرة بجبريل لما في وقوعها في ذكر واحد
من القرآن لاسيما وجبريل سفير محض بينهما لا يعد فاصلا قيل وكون الالف من اول اسم الله والميم من وسط
اسم محمد واللام من آخر اسم جبريل مناسب لما ذكر وقد تقدمت ترجمة ابن عطا **اقسم بقوة قلب**
حبيبه فالقاف بمعنى القوة على طريق الاكتفا كما في قوله قلت لها قفي فقالت قاف والظاهر
ان مثله لا يقال بالراي فلا وجه للاعتراض بانه لا يجوز ان يكون من قدرة الله ونحوه **حيث حمل الخطاب**
والمشاهدة اي حيث تحمل واطاق خطاب الله له ورؤيته ليلة الاسرا ومشاهدة الملكوت ومهابته
مما تتهدد له الجبال ولا تطيقه الملايكة على احد تفسيري قوله حتى اذا فزع عن قلوبهم ومشاهدة
التجليات القلبية **ولم يؤثر ذلك فيه لعلو حاله** اي لم يصعب ويشق عليه حتى يمنعه من تحمله
وقوله لعلو حاله تعليل لما قبله اي ان له حالا في اثبات جنانه ورفعة شانه لما اودع في
قلبه من اليقين **وقيل هو اسم للقرآن** ضمير هو لقاف هذا القول تفسير ماثور عن قتادة فما قيل
من انه في غاية الركاكة لا يصير القرآن والقرآن المجيد تهجم لا يليق بالادب والعجب منه حيث رواه
بعد ذلك لانه على هذا يجوز ان يذكر تفسير الخفا ما قبله وقيل انه في غاية الوجاهة من حيث المعنى
اذ حاصله ان هذا القرآن اقسم به واظهره في مقام الاخبار لتمكن وصفه ودخول حرف القسم
عليه ومن حيث اللفظ لان الركاكة انما هي لو صرح باسم القرآن الا اذا عبر عنه بغيره وهذا هو [illegible]
في العدول فتفطن وتادب على انه يحتمل ان يراد بالقرآن هذه السورة **وقيل هو اسم الله** على نهج
ما مر من اطلاق حرف من الاسم على مسماه فهو على هذا بمعنى قيوم او قدير ونحوه او هو مما لم يطلع على
معناه ويؤيد الاول ما حكاه القرطبي من انه افتتاح اسمه القدير القاهر القريب **وقيل جبل محيط**
بالارض ينبع منه جميع المياه وهذا رواه ابن الجوزي عن مجاهد قيل انه من زمردة خضرا وخضرة
البحر من انعكاس شعاعه **وقيل غير هذا** فيه اقوال تزيد على عشرة منها انه اسم النبي صلى الله عليه
وسلم وقال الوراق معناه قف عند امرنا ونهينا ولا تتعدهما والخطاب للنبي **وقال جعفر الصادق**
وجعفر الصادق تقدمت ترجمته **في تفسيره** وفي نسخة في تفسير بدون ضمير قيل ان لجعفر تفسيرا
لم يشتهر **والنجم اذا هوى انه محمد عليه السلام** وهوى بمعنى نزل او صعد الى السماء في المعراج
من الهوي بتشديد اليا مع فتح الها وهو الذهاب في انحدار او مع ضمها وهو الذهاب في ارتفاع
وهذا التفسير نقله البغوي فلا غرابة رواية ودراية لان وجه الشبه ظاهر **وقال** اي جعفر
فله فيه تفسيران او عنه فيه روايتان على البدل او الاجتماع انجوز **النجم قلب محمد هوى انشرح**
من الانوار الربانية المنزلة على قلبه في مشاهداته من العلوم والحكم وانواع الكمال وتشبيه
قلبه بالنجم لا يخفى ظهوره لاشراقه بنور ربه وهداه ومثله مشهور واما تفسير هوى بانشرح
فلانه يقال هوى اذا فتح فما او مد يدا ولا يضر عدم اشتهاره لمعرفة العرب اهل اللغة له هي
وقال اي جعفر الصادق في رواية اخرى عنه في تفسير هوى **انقطع عن غير الله** وهذا ارتضاه
مما قبله لانه من هوى النجم اذا سقط من بين نوعه من النجوم وهو اذا انقطع الى ربه فارق الناس

وقال الامام المرزوقي في شرح اشعار هذيل قال الاصمعي يقال هوى العقاب اذا انقض لغير الصيد واهوى اذا انقض له وقيل هما بمعنى وقال بعضهم يقال هوى يهوي هويا بفتح الها من اعلى الى اسفل وهويا بضمها لعكسه انتهى فقول بعض الشراح انا لم نر هذا المعنى في مشاهير كتب اللغة ساقط والمثبت مقدم على النافي الا ان يقال انه من هوى الجوف اذا خلا كما في التقريب فيكون هذا لخلوه عن غير الله او من هوى ذهب في جهة العلو لارتفاعه الى الله تعسف غير محتاج اليه وتوقفه في هذا دون ما قبله غريب من مثله وقد سبقه بعضهم لهذا وفي النجم هنا تفاسير اخر فقيل هو الثريا وقيل الزهرة وقيل الرجوم وقيل مطلق النجوم وقيل ما نزل من القرآن منجما وقيل الهوى نزول من المعراج وسياتي كلام فيه **وقال ابن عطا** تقدم الكلام عليه **في قوله والفجر وليال عشر الفجر محمد صلى الله عليه وسلم لان منه تفجر الايمان** تفجر بفتح التا وتشديد الجيم المضمومة على انه مصدر مضاف للايمان او بفتح الجيم المشددة على انه ماض فاعله الايمان من تفجر الصبح طلع وطلوعه كما قال ابن رشد وهذا اما على تشبيه الايمان بالنور المشرق من افق الوحي الماحي لظلمة الكفر وهو استعارة لتشبيهه بالما على نهج المكنية واثبات التفجر له على طريق التخييل كما قيل والاحسن عندي ان يشبه الصبح وانواره بما يتفجر مما استعار ذلك لشهرته لما ظهر منه صلى الله عليه وسلم من الدين والتوحيد كما قال ابن تميم

انظر الى الصبح المنير وقد بدا • يغشي الظلام بمائه المتدفق •
غرقت به زهر النجوم وانما • سلم الهلال لانه كالزورق •

وفيه تفاسير اخر تركها المصنف لشهرتها واقتصر منها على ما يناسب غرضه الا ان الشراح قالوا ان هذا مع غرابته بعيد غير مقبول لانه مخل بالانتظام فان عطف ليال عشر بالواو من غير جهة جامعة كقولك الشمس ومراده الارنب والباذنجان محدثه ومثله مخل بالبلاغة • اقول نقل الشراح هذا كانه وارد غير مندفع وليس كذلك وفيه سوء ادب وتهجم على كتاب الله وهذا منقول عن السلف مما ثور وهم اهل اللسان ومن فسر الفجر بمحمد صلى الله عليه وسلم يفسر الليالي بعشر رمضان وقد كان النبي عليه السلام يجتهد في العبادة والخيرات فيه ليري ليلة القدر فيصير المعنى على هذا اقسم بمحمد بلياليه التي جل في عباداتي والتقرب الي فيها واي مناسبة اتم من هذه كما قلت

وحبيب هو المنا وليال • كان فيها وصاله ورضاه •
وزمان بالانس كان ربيعا • لا اطيعن عاذلا في هواه •

اترى هذا كالباذنجان ومنورة الهذيان • او كوجه الحبيب وغيبة الرقيب • والذي عليه المفسرون انه على حقيقته وهو بتقدير مضاف اي صلاة الفجر والليالي عشر ذي الحجة والفجر فجر عرفة او النحر والعشر اول المحرم او آخر رمضان ومما يضاهي قول المصنف قول الرازي ان الضحى وجه محمد صلى الله عليه وسلم والليل اذا سجى شعره هـ

الفصل الخامس في قسمه تعالى جده

بفتح الجيم وتشديد الدال ويكون بمعنى الحظ والغنا ومنه ولا ينفع ذا الجد منك الجد يقال جل بمعنى عظم واسناد التعالي له مبالغة كما يقال جل جده فهو اسناد مجازي او استعارة مكنية وفي بعض النسخ له متعلق بالقسم والضمير للنبي صلى الله عليه وسلم **لتحقق مكانته عنده** اللام للتعليل والاولى صلة فلا يلزم تعدي عامله بحرفين متحدي اللفظ والمعنى **وقوله صلى الله عليه وسلم** متعلق بحسب المعنى بضمير عنده ولتحقق بمعنى لتبين حقيقة حقه عندنا والمكان معروف فاذا زيدت فيه الها اريد به المرتبة المعنوية كالمنزل والمنزلة وفي بعض النسخ ليتحقق وفي بعضها التحقيق بصيغة المصدر والكل

بمعنى واللام قيل انها مثلها في قوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون بمنزلة الغرض لا علي ضنا لان افعاله تعالى لا تعلل بالاعراض وهذا وان اشتهر فالذي ارتضاه النسفي خلافه وان ذهب السيد الشريف لخلافه والتحقيق ان الخلاف لفظي وعند مثلث العين والكسر افصح وبدا الفصل بسورة الضحى لمناسبتها لخاتمة الفصل الذي قبله وتضمنها لكريم خطابه وعميم نعمه عليه لتشريفا له فقال **قال جل اسمه** كما جل وعلا في نفسه وفيه تادب وتانس **والضحى والليل اذا سجى السورة** بالنصب انه لم يوقف عليها بتقدير اذكر او اقرأ السورة الى اخرها والسورة طايفة من القرآن مترجمة اقلها ثلاث ايات ان كانت مهملة وهي منقولة من سور المدينة لاحاطتها بما فيها من مدلين العلم ومنازله فان كانت مهموزة فهي من السور وهو البقية كما بين في محله **اختلف في نزول هذه السورة** سبب النزول امر حادث في زمن النبوة نزل القرآن في حقه ويجوز تعدده وكما ان للقرآن اسبابا كذلك الحديث وقد صنفوا في كل منهما تصانيف جليلة وان كان المشهور هو الاول **فقيل كان ترك النبي صلى الله عليه وسلم قيام الليل لعذر نزل به فتكلمت امراة في ذلك بكلام** روي ان هذه المراة هي ام جميل بنت حرب واسمها العورا امراة ابي لهب وكان ابو بكر ابن عربي يسميها ام قبيح وهذا ما رواه الحاكم في مستدركه وقال اسناده صحيح الا اني وجدت فيه علة وكان بعضهم لكراهتها لا يحب ان يسميها ولذا قال المصنف امراة او لما فيها من الخلاف وهذه السورة مكية اتفاقا وزعم ابو عبد الله ابن عسكر انها احدى عمات النبي وروى ابن جرير انها امراة من اهله او من قومه ونقل عن امراة اخرى وهو غير صحيح وفي شرح البخاري كلام هنا طويل هنا وقال المصنف بكلام ولم يصرح به لقباحته لانه روي ان ام قبيح قالت يا محمد ان شيطانك تركك لما راى من عدم قيامك ولم اره قربك منذ ليلتين او ثلاث كما ذكره البخاري قيل وهو اصح ما قيل فيه وعذره ما روي ان حجرا اصاب اصبعه فدميت فقال

هل انت الا اصبع دميت • وفي سبيل الله ما لقيت •

وقيل انما قالته ام قبيح لابطاء الوحي عنه وروى ابو داود بسند صحيح ان ام المومنين خديجة قالت له حين ابطا عنه الوحي ان ربك وفي رواية ان صاحبك قد قلاك فنزلت وانما قالته له على سبيل الاستكشاف والشفقة او هو بتقدير الاستفهام وجمع بينهما بتعدد سبب النزول وفيه اطلاق الصاحب على الله وقد ورد في حديث اللهم انت الصاحب في السفر والخليفة في الاهل ولم يقل صاحبي وصاحبك او ربي وربك كما هو مقتضى الظاهر لنكتة وهي الاشارة الى شدة مراقبته لله وقربه منه قربا لا ينبغي لسواه **وقيل بل تكلم به المشركون عند فترة الوحي فنزلت السورة** اي تكلموا بكلام من نوع الكلام المذكور في سبب النزول الاول لا بشخصه وعينه والفترة مدة قليلة بين شيئين والسكوت والمراد انقطاعه عنه ومنه قوله تعالى على فترة من الرسل وكان الوحي تاخر بضعة عشر يوما وقيل سنتين ونصفا والاول اصح فقالت قريش ان محمدا ودعه ربه وقلاه وقيل ان اليهود سالوه عن الروح وعن اصحاب الكهف وذي القرنين فوعدهم بالجواب ولم يقل ان شا الله فانقطع عنه الوحي وقيل بل كان في بيته جرو كلب قيل ولا مانع من تعدد السبب كما مر وقول المصنف كان القايل ادعى رد القول الاول وجزم بخلافه فالاضطراب كذلك وقيل بل الافادة انهم تكلموا به ايضا فهو انتقال للترقي وهو بعيد ومرضه لان الاول اصح **تضمنت هذه السورة** اي اشتملت سورة الضحى **من كرامة الله تعالى وتنويهه له** كرامة الله اكرامه اي توقيره واللطف به وتنويهه له رفعة قدره وجعله مشهورا بذلك واشاعة فضله وتعظيمه جعله عظيما مهيبا في عيون الناس وقلوبهم فهو مغاير لما قبله ومن بيانية ان قلنا بجواز تقدم المبين على المبين كما ارتضاه بعضهم والا فهو بيان لمقدر يفسره ما بعده وليست زايدة

للتعظيم كما قيل **سنة وجوه** وجوه جمع وجه وهو مستقبل كل شيء وما يواجهك منه ويطلق على الحال فيقال فلان احسن القوم وجهاً اي حالاً وقول الفقهاء الوجه كذا اي القول ولهذا وجه اي مأخذ والمراد الاول وهو جمع كثرة استعمله المصنف في القلة لان كلا منهما يقوم مقام الآخر وقد يقال انها اشارة الى انها اكثر من ذلك كما قيل **الاول القسم له عما اخبره به من حاله** بياناً لما والمراد حاله التي له في الدنيا والآخرة **فقال والضحى والليل اذا سجى** والضحى جمع ضحوة كقرية وقرى وهي اول النهار وسجى اي دخل واظلم واصله من التسجية وهي التغطية لستره بظلمته ولذا قال تعالى وجعلنا الليل لباساً

وقلت للانس لما اختلينا • وغاب داعي الهموم •
في حلة للدياجي • مزرورة بالنجوم •

ومنهم من فسره بما اقبل او ذهب وقيل معناه سكن والمراد سكون الاصوات او اصحابها ولكل وجه **اي ورب الضحى** هذا بناء على الظاهر الذي ذهب اليه الفقهاء من ان القسم لا يجوز بغير الله وصفاته من المخلوقات فيقدر فيما ورد مخالفاً له رب ونحوه والظاهر ان هذا مخصوص باليمين التي تنعقد ويكون لها كفارة واما ما يذكر للاستعطاف والملاطفة ونحوه من التعظيم فلا يختص بما ذكر كما ورد من قوله صلى الله عليه وسلم بابي وامي وامثاله مما لا يحصى ولم ينكره السلف وقيل النهي مخصوص بالناس تعظيماً لله واما الله فله ان يقسم بما اراد ونحوه الصلاة فانها لا تجوز لغير النبي واما هو فله ان يصلي على من اراد كقوله اللهم صل على آل ابي اوفى • والضحى صدر النهار كما مر وقيل هو هنا النهار كله واما الليل فعلى ظاهره وما نقل عن ابن عباس من انهما وقت الخلوة مع المحبوب اي وحق قربك منا وانه وجه وجيه في تعظيمه صلى الله عليه وسلم كما نقله الطيبي غير ظاهر بالنسبة للضحى فتامل **وهذا من اعظم درجات المبرة** اي القسم المذكور والمبرة مصدر ميمي بمعنى البر وهو الاحسان وفعل الخير وكل امر مرضي وفيه كما قيل استعارة مكنية لجعل المبرة منزلاً عالياً له درجات توصل اليه ويجوز ان يكون استعارة تصريحية في الدرجات للمراتب وفي كلام المصنف نظر لم ينبهوا عليه لانه على تقدير رب يكون التعظيم الذي يفيده القسم لله فكيف يدل على ما قاله بعض الشراح من انه اوتي ما لم يؤت احد من الرتب العالية والدعوة العامة والمعجزات الباهرة ونحوه مما لا يحصى **الثاني بيان مكانته عنده وحظوته لديه** مر مراراً ان المكانة الرتبة المعنوية والحظوة بحاء مهملة مثلثة وكذا كل فعلة لامها واو كما قيل وفيه نظر وبعدها ظاء معجمة مشالة ويقال فيه حظية بالكسر والياء ايضاً من حظي عنده اذا كان له عنده فضل يقربه ويحببه اليه وذكر الشمني وفي بعض الشراح معترضاً على المصنف ان الوجه الاول انما يكون تعظيماً اذا انضم للمقسم عليه المذكور في هذا الوجه فجعله وجهاً مستقلاً فيه نظر وهو مثل ما قلناه اولاً واجيب عنه بان المراد في هذا القسم والمقسم عليه تعظيمين متغايرين احدهما بيان المكانة والآخر القسم عليها وان توقف احدهما على الآخر وهذه حزرة لا محل لها **بقوله ما ودعك ربك** الوداع له معنيان في اللغة الترك وتشييع المسافر فان فسر بالثاني هنا على طريق الاستعارة فيكون فيه ايماء الى ان الله لم يتركه اصلاً فانه معه اينما كان وانما الترك لو تصور من جانبه ظاهر مع دلالته بهذا المعنى على الرجوع والتوديع انما يكون لمن يحب ويرجى عوده واليه اشار الارجاني بقوله

اذا رايت الوداع فاصبر • ولا يهمنك البعاد •
وانتظر العود عن قريب • فان قلب الوداع عادوا •

فقوله وما قلى هو كذلك وهذا مما ذكره مع غاية لطفه وكلهم فسروه بالمعنى الاول والمراد ان صيغة التفعيل تفيد زيادة المعنى والمبالغة فيه فيقتضي الانقطاع التام قالوا ان المبالغة

في النفي لا في المنفي فتركه لحكمة عليه لا لضرورة هجره او لنفي القيد والمقيد وقرا عروة بن الزبير ودعك بالتخفيف وورد في الحديث شر الناس من ودعه الناس لاتقاء شره وورد في الشعر كقوله

فكان ما قدموا لانفسهم • اعظم نفعاً من الذي ودعوا •

ولذا قال في المصباح بهذا علم ان قولهم في علم التصريف اماتوا ماضي يدع ويذر غلط وجعله استعارة من الوديعة تعسف **وما قلى اي ما تركك وما ابغضك وقيل ما اهملك بعد ان اصطفاك** تفسير للقلى واختار الاول لمناسبته لما قبله فان كان المشهور الثاني والاهمال عدم التقيد مع الترك فهو ترك مخصوص وقوله بعد ان اصطفاك اي اختارك وقربك بيان للواقع ويحتمل ان يكون من معناه الوضعي كالهجران فانه انما يكون بعد المودة وهذا مروي عن ابن عباس وحذف مفعول قلى اختصاراً لعلمه به وليجري على نهج الفواصل التي بعده او لئلا يخاطبه بما يدل على البغض وقيل الاخير انه حذف ليعم نفسه واصحابه وامته فكانه قال له ما هجرتك للبغض وسترى منزلتك **الثالث قوله تعالى وللآخرة خير لك من الاولى قال ابن اسحاق** صاحب المغازي وقد تقدمت ترجمته **ما لك في مرجعك ما موصولة** وروي مآلك بمد الهمزة اي ما يؤول اليه حالك ومرجعك اسم زمان او مصدر بتقدير في وقت رجوعك من الدنيا الى الله في الآخرة **عند الله** اي في دار كرامته وجنته وهو متعلق بما لك او باعظم ولام للآخرة لام ابتداء مؤكدة او جواب قسم ففيه تعظيم آخر اي كما اعطاك في الدنيا يعطيك في الآخرة ما هو اعلى واكثر فلا تبال بما قالوه فهو وعد فيه تسلية بعد ما نفي عنه ما يكره فهو تحلية بعد تخلية **اعظم مما اعطاك من كرامة الدنيا** من تقريبك واعزازك ونصرك وقرة عينك بما تريد **وقال سهل** التستري السابق ترجمته في تفسيره **اي ما ذخرت لك** بالذال والخاء المعجمتين اي ما اعددت لك من الذخيرة وهو ما يخبؤ من النفائس ومن الغريب ما قيل هنا ان الذخر بالمعجمة ما يكون في الآخرة وبالمهملة ما يكون في الدنيا قال التلمساني وهذا غلط او فقه فيه قولهم يدخرون **من الشفاعة** بل الشفاعات التي ستاتي **والمقام المحمود** هو مقام الشفاعة العظمى الذي يحمده فيه الاولون والآخرون او كل مقام يتضمن كرامة محمودة وعلى هذا يكون بمعنى ما قبله وقيل المراد ان احوالك الآتية خير من السالفة في الدارين وقيل الدار الآخرة خير في المحبة والوصلة **الرابع قوله** اي ما يقوله مما يتضمن ذكره او هو بالمعنى المصدري **ولسوف يعطيك ربك فترضى** وقرا ابن مسعود ولسيعطيك واللام للتاكيد وقال الزمخشري انها لام الابتداء وهي لا تدخل الا على المبتدا فتقديره ولانت وردة ابن الحاجب بانه تكلف لما فيه من الحذف وخلع اللام عن معنى الحال لئلا يجتمع دليلا حال واستقبال وليست اللام للقسم لانها لا تدخل على المضارع الا مؤكداً بالنون **وهذه آية جامعة لوجوه الكرامة** وانواع السعادة حيث اجمل ووكله الى رضاه وهذا غاية الاحسان فاذا قلت كل ما ترضاه وتريده فقد عممت عموماً بليغاً ووجوه بمعنى ضروب او استعارة من الوجه المعروف وهذه فقرة مع قوله **وشتات الانعام في الدارين والزيادة** والشتات مصدر بمعنى التفرق اريد به متفرقاته ونعني به انه يجمع فيك كل نوع من انواع النعم التي انعم بها على غيرك ممن اختاره واصطفاه والزيادة على ذلك بما خصه به او الزيادة على النعم المعروفة بلقائه ورضوانه كما قال للذين احسنوا الحسنى وزيادة او الاول ما في مقابلة عمله وهذا غيره او الاول ما وعده واعطاه وهذا لم يخطر بباله ما سيعطيه وما قيل من انه عطف تفسير للانعام لا وجه له **قال ابن اسحق يرضيه بالفلج في الدنيا** الفلج بفتح الفاء واللام وبالجيم وبضمها وسكون اللام الفوز والظفر بالاعداء ويكون بمعنى مطلق الفوز وبفتح الفاء وسكون اللام ايضاً فالمراد انه يفوز في الدنيا وينصره الله ويحبه **والثواب**

في الآخرة الثواب الجزاء بالخير على فعل الخير في الآخرة هذا هو المراد وان كان حقيقته الاصلية
مطلق الجزاء خيرا او شرا او دنيا وآخرة وهذا كالوجه السابق فيه لاحتمال لان التا لغة فان جعلت الآية
شاملة لكل ما اعطاه الله من كمال النفس وظهور الامر وما ادخر له مما لا يعرف كنهه سواء كان ايضا
قريبا مما قبله وقيل انه اشارة الى فتح مكة في الدنيا وقيل يعطيه الحوض والشفاعة الحوض ما يحفر
مع بنائه او بدونه ليجعل فيه الماء للحاجة ووقع ذكر هذا الحوض في حديث مسلم بينا رسول الله اغفى
غفاة ثم رفع راسه وقال نزلت على آنفا سورة وهي سورة الكوثر دون ماء الكوثر هو نهر وعدنيه ربي
عليه خير كثير هو حوض ترده امتي يوم القيمة الخ وقوله هو حوض ان كان الضمير للنهر فالحوض هو الكوثر
وان كان للخير الكثير فهو غيره كما ورد في حديث آخر الكوثر نهر في الجنة عليه حوض عده وهذا التفسير روي
عن علي وابن عباس والحسن قيل ان اريد بيان فيهما ولو مع الغير فلا كلام وان اريد التخصيص فلا بد من
قرينة وفي مسلم انه قال امتي وبكى فقال الله لجبريل قل له سنرضيك في امتك ولا نسوءك فتشفع
حتى تقول رب رضيت اقول اذا اراد الاعتراض فلا وجه له لان اللفظ محتمل له والنقل يساعده
فما المانع من حمله عليه وروي عن بعض آل النبي عليه السلام هو علي رضي الله عنه قال السيوطي ⊙
اخرجه ابو نعيم في الدلايل موقوفا واخرجه الديلمي في مسند الفردوس من حديثه مرفوعا وقال البرهان
الحلبي روي انه الحسن بن محمد بن الحنفية وهو اول المرجئة وقال الذهبي ان اول من تكلم في الارجاء
ذر بن عبد الله بن زرارة الهمداني ورواه الثعلبي مسندا وصاحب المعالم عن محمد بن علي ورواه ابن
ابي حاتم وابن جرير عن ابن عباس وهذه طرق تعضده انه قال فليس اية في القران ارجى منها
اي من قوله ولسوف يعطيك الخ وارجى افعل تفضيل من الرجا معناه اكثر رجاء والمعنى ان هذه الاية
اكثر رجا من ساير ايات الوعد وهو مجاز اصله ليس سامع للقران وآيات الوعد ارجى من سامع هذه
الاية فجعل الاية نفسها ترجو مبالغة وهو من بديع الكلام • تنبيه اختلف في ارجى آية في القران
فقيل هذه • وقيل هل يجازى الا الكفور • وقيل قد اوحي الينا ان العذاب على من كذب وتولى • وقيل
وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير • وقيل قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم
الخ • وقيل يا ايها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين • لانه احتاط لدنيانا فكيف لا يحتاط لآخرتنا • وقيل
ولا ياتل اولوا الفضل منكم الخ • وقيل ولكن ليطمئن قلبي • واخوف اية ويحذركم الله نفسه
وقيل سنفرغ لكم ايها الثقلان • وقيل فاين تذهبون • وقيل غير ذلك ولا يرضى رسول الله ان يدخل
احد من امته النار وقد استشكل هذا الحديث بان دخول بعض العصاة النار امر مقرر فلو لم يكن من رضاه
لزم الخلف في الوعد ولذا قال القرافي لا يجوز الدعا بالمغفرة لجميع المومنين وان رد بانه ورد في الاثار
وفي قوله تعالى رب اغفر لي ولوالدي وللمومنين والمومنات وبان عدم الخلود مغفرة ايضا • واعلم انه
ورد هنا ان مقام الرضا بما يريده الله والتسليم مقام عظيم للسالكين فكيف لا يكون لسيد المرسلين ولذا
قال صاحب المواهب مما يغتر به بعض الجهال من انه صلى الله عليه وسلم لا يرضى واحدا من امته في
النار او ان يدخلها احد من امته من غرور الشيطان فانه يرضى بما يرضى به ربه وهو اعرف بحقه من
ان يقول لا ارضى الخ ورد بانه جراءة وسوء ادب والوجه توجيه الحديث لثبوت رواياته وان ضعفت
ولا يبعد ان يكون عذاب العصاة لعصيانهم غير مرضي لله تعالى فلا يرضى به رسوله ايضا لان رضاه
على وفق رضى الله والرضى بالمقضي قد يكون مذموما فاذا لم يرض بعصيانهم ودخولهم النار لعدم رضى
ربه به يدخلهم الله الجنة ولو بالاخرة للوعد به والرضى بفعل الله انما يجب من حيث انه فعل المولى
لا من حيث هو في ذاته والمنفي في الحديث الثاني فهو لا يرضى بدخول احد من امته النار من حيث هو

في ذاته

في ذاته لا من حيث انه امر الله فلا اشكال او الرضى مجاز عن ترك الطلب اي لا اترك طلب العفو عن
واحد من امتي في النار ولا يلزم عدم الرضى حقيقة وكم طلب لامته امورا وهو في مقام الرضى دايما واذا
وعد بالارضا فلا بد من ادخالهم الجنة لا ترك الطلب فافهمه فانه دقيق فلا ينبغي ان يجترئ احد على
ابطال الروايات باوهام الشبهات وهذا محصل ما في شرح المواقف من ان للكفر نسبة الى الله تعالى باعتبار
فاعليته وايجاده ونسبة الى العبد باعتبار محليته واتصافه به وانكاره باعتبار النسبة الثانية
والرضى باعتبار النسبة الاولى وفي بعض الشروح يجوز ان يكون المراد نفي الرضى بالدخول على وجه الخلود
وانما قال ان يدخل دون ان يخلد قصدا لافادة نفي الرضى بالخلود على نهج المبالغة والاستدلال ويجوز
ان يكون المراد ولا يرضى ان يقضي الله احدا من امته فعبر بالمسبب عن السبب الا ان سياق الكلام يأباه هـ
وقيل مقام الرضى انما هو في حق نفسه وهو بعيد الخامس ما عدد الله عليه من نعمه وقرره من الادية
النعم والآلاء بمعنى وعبر في النعم بالعد وفي الآلاء بالتقرير والتحقيق موافقة لقوله تعالى وان تعدوا
نعمة الله لا تحصوها وقوله فباي آلاء ربكما تكذبان فانظر حسن مقاصده وفي واحد الآلاء لغات منها
الى بفتح الهمزة والكسر مع القصر والى والى بسكون اللام مع فتح الهمزة وكسرها والواو في بيان او عد
ما وعده قبله بكسر القاف وكسر البا بمعنى عند اي عنده وفي جهته ويقال ليس لي بكذا قبل اي طاقة
في بقية السورة متعلق بعدد وهو من قوله الم يجدك يتيما الى قوله فاما اليتيم الى اخره تنبيها على
انه كما احسن الله فيما مضى كذلك يحسن فيما بقي ثم اشار اليه بقوله من هدايته الى ما عدد له او هداية
الناس به على اختلاف التفاسير بيان لما وعده له عام شامل للقولين في تفسير قوله تعالى فهدى
اي فضلاك او هدى الناس بك فهدايته مصدر مضاف للفاعل او للمفعول اي هداك الشريعة ومعالم
النبوة والقران وتعليم ما لم تعلم او الطريق التي ضل فيها في طريق الشام او في شعاب مكة في صغره والاقوال
الاقوال المذكورة في كتب التفسير ولا مال له فاغناه بما آتاه قيل انه معطوف على مجرور من بتقدير انه
لا مال الخ ولو جعلت حالا لجاز ووجد في الاية بمعنى علم وآتاه بالمد بمعنى اعطاه ولو قصرت على
معنى اتاه من عند الله مما اغناه الله به كمال خديجة وابي بكر ومال الغنايم بل بما في خزاين الغيب
الذي لو طلب ظهوره ملاء الارض وقيل عيا له في الاية الذين يتعوم من امته اذا اغناهم الله به
وبما جعله في قلبه من القناعة والغنى القناعة في اللغة الرضا بما قسم الله او الاكتفا بقدر الضرورة
والرضى به كما قيل ⊙
هما كلما فوق البسيطة كافيا • واذا قنعت فكل شي كافي •
والقناعة كنز لا يفنى والغنى غنى النفس كما ورد في الحديث وقد رفع الله قدره عن الاحتياج
لخلقه وقد خيره بين ان يكون نبيا ملكا او نبيا عبدا فاختار العبودية وقيل المراد غنى الظاهر
والباطن وهو تكلف لا حاجة اليه ويتيما فحدب عليه عمه وآواه اليه اي وجده يتيما لموت ابيه
قبل ولادته او بعدها بمدة يسيرة واليتيم الصغير الذي لا اب له قيل واليتيم في غير الانسان
من الام وفي الطير منهما وحدب بفتح الحاء المهملة ودال المهملة مكسورة يليها موحدة واشتهر بفتح
الدال وكذا وقع في بعض النسخ الا انهم قالوا انه غلط وهو من حدبة الظهر والمراد منه العطف
والشفقة وعمه فاعله وجوز بعضهم نصبه اي عطف الله عليه وليس بغلط كما قيل والمراد به ابو
طالب واسمه عبد مناف وحنوه على النبي صلى الله عليه وسلم ومحبته له امر مشهور في السير
كان يعظمه ويعرف نبوته ولكن لم يوفقه الله تعالى للاسلام وفي الامتاع ان فيه حكمة خفية من
الله لانه عظيم قريش لا يمكن احدا منهم ان يتعدى على ما في جواره فكان النبي صلى الله عليه وسلم
في بدء امره في كنف حمايته يذبهم عنه كما قال ⊙ • •

والله لن يصلوا اليك بجمعهم • حتى أوسد في التراب دفينا • فلو انه لم
يكن له ذمة عندهم ولذا لم يكن بعدونه بل من الهجرة ومن الغريب ما نقله بعضهم من ان الله تع احياه
له فآمن به كابويه واظنه من افتراء الشيعة وقوله وآواه بالمد متعد اي ضمه لتربيته وحمايته
واوى بالقصر بمعنى نزل غير صحيح هنا والضمير للعم واما جده عبد المطلب فمات في صغره وعدم
احتياجه قبل البعثة لمن يحميه فما قيل من انه لم يتعرض لعطف جده عليه اولا لانه كالاب فكانه
لايتم معه اولان عطفه امر عادي لم ينفعه حين ظهور الاعداء ونحوه والا وجه التعميم خطا منه
وقيل اواه الى الله اي قيل في تفسير هذه الاية ان معناها آواه الله اي ضمه الى نفسه ولم يحوجه
لحماية احد وابوائه وهذا في معنى ما حكي عن جعفر الصادق انه سئل لم كان النبي يتيما في صغره
فقال لئلا يكون عليه حق لمخلوق وقد روي هذا عن الحسن ايضا قيل فيه ان في صغره عليه حق
لغيرهما قطعا كابي طالب وحق ابويه اولى واسهل من حق غيرهما فالوجه ان يقال في حكمته ان فيه تسلية
ليتامى امته وان فيه مع ايوائه توطئة لشكر نعمائه من عطفهم عليه ولا وجود لابويه ولا يخفى
ان حق الابوين عظيم وتربيتهما وشفقتهما ليست كغيرهما فلو كانا حيين معه لكان ينسب اليهما
ايواؤه فلما فقدا علم عناية الله به واواه روي بالمد والقصر ومعناه بالمد ضمه اليه وهو اولى
واظهر وبالقصر من اوى الى منزله ياوي من باب ضرب اويا اقام قال في المصباح وربما عدي
بنفسه فقيل آوى منزله وانكر بعضهم تعديته وقال الازهري انه لغة فصيحة وقرئ بها في
الشواذ وهو غير ظاهر هنا ولذا قيل بمعنى رحمه ورباه او جعل له ماوى عنده وفاعله اوى
ضمير مستتر يعود الى الله كضمير اليه وكان الظاهر ان يقول آواه الله اليه قيل وانما عدل عنه
لما ذكر ولم يقله ولا آواه اليه لئلا يتوهم عود الضمير لعمه فيكون بمعنى ما قبله وفيه نظر وههنا
امران الاول ان المص غير ترتيبه فذكر الهداية ثم الاغناء ثم الايواء وابقى الاولين على ترتيبهما
فيه وقدم الثالث على اخويه وقد اعترض عليه بعض الشراح ووجه ما في النظم انه قدم عدم تركه
وقلاه اهتماما بالرد لما قالوه في سبب النزول لانه جواب لهم ثم اردفه بانه في الاخرة ايضا غير
متروك ولا مقلي وفيه ارغام لانوفهم وجواب اقوى من الاول ثم قال انه سيعطيه فيما ياتي
كلما يحب ويرضى في الدنيا والاخرة ثم كر على ذلك بتفصيل حاله المؤيد لجوابه فقال انه آواه في
صغره ويتمه وعدم المعين له فكيف يتركه بعد كبره وقدرته فقال الم يجدك يتيما فاوى فهذا
ناظر لقوله ما ودع وما قلى وعقبه بانه ابعده من الضلال وهداه وهدى به لسبيل الرشاد ومن كان
هذا حاله دنياه فحال آخرته كذلك وهذا ناظر لقوله وللاخرة خير لك وثلث بانه اغناه عمن سواه مع
مع فاقته وعيلته فهو ناظر لقوله ولسوف يعطيك ففيه شبه اللف والنشر على تم نظام وكذا ما بعده
كما ياتي وهذا هو مقتضى المقام حال النزول والمص لما ذكر نعم الله عليه وعدها قدم اعظمها وهو
الهداية التي فيها سعادة الدارين ثم الغنى في البدن والقلب الذي هو اعظم النعم الدنيوية بعد
الهداية لسبيل الرشاد وهو لا يكون الا نهاية ثم الايواء الذي هو بمعناه الظاهر دون هذين
فغير الترتيب واتى بترتيب متسق اقرب الى العقول لان اشارة الى ان النكات لا تتزاحم وان
الحسن يحسن في كل الناس وقيل انه قدم الثالث على اخويه لتقدمه بتفسيره الاول في الواقع
وتاخره في كلام المص لتاخره عنهما في العظم وتاخر ثانيهما عن اولهما فيه مع ان المقام مقام بيان
عظم شانه فالاولى تقديم الاعظم فالاعظم وقيل الاظهر ان الاية وردت في مقام الاستدلال كما
ذكروه فقدم الاظهر فالاظهر فان اليتم والضم معلومان بالمشاهدة وقد اختار الفقر والقناعة وفي

غناه خفاء بالنسبة لتعليم الشرايع والمص قدم الاشرف تعظيما وآثر هذا الاسلوب اشارة
لاشرفيته والى ان الانسب في مقام التعظيم تقديم الاعلى كما في البسملة وهذه امور متكلفة لا
تليق بساحة التنزيل فالوجه ما قدمناه • الثاني ان في قوله آواه الى الله فيه نكتة وهو انه لو قال
آواه اليه لزم تعدي الفعل بالواسطة الى ضمير هو عين ضمير الفاعل وهو ممنوع عند النحاة
في غير افعال القلوب وعدم وفقد كما ذكروه في قوله ثم فصرهن اليك فيحتاج لتقدير مضاف
ظاهر فلذا عدل المص عنه ولنا فيه كلام فصلناه في كتاب السوانح **وقيل يتيما لا مثال**
لك فآواك اليه اي قيل في معنى يتيما انه لا نظير له من قولهم درة يتيمة اي لا نظير لها
وتسمى فريدة ايضا لانفرادها عن نظائرها اي عدمك عدم النظير لانه كان واحدا في قريش
بل في جميع الخلق قال الجاني وهو قول ضعيف حكاه صاحب المشرع الروي وفيه ما تقدم
من تعديته لضمير الفاعل وجعله في الكشاف من بدع التفاسير ومعنى آواك اليه كامر اصطفاك
او ضمك الى عمك ونحوه ففي مرجع ضمير اليه وجهان وفي نسخة لامثال لك ويؤيده ما في العالم
من تفسيره بالم يجدك يتيما فقيرا حين مات ابواك واورد عليه انه سيصرح به فلا حاجة
لذكره مع ان اليتم لا يدل على الفقر واجيب بانه اعتبر الفقر فيه بدلالة الواقع وتكرير يتيما
لان غنى اليتيم مرغب في رعايته وكفالته فالمنة في ضم العديم دون المرغب ثم والنعم اعظم
واعاد ذكره ليمن عليه بازالته فذكر الاول بالتبعية والثاني لازالته **وقيل المعنى الم يجدك**
فهدى بك ضالا واغنى بك عايلا واوى بك يتيما حكاه بقيل اشارة الى ضعفه والحامل
عليه ان وصف النبي بالضلال بحسب معناه المشهور غير ظاهر فلذا صرفه عن ظاهره ولذا
حمله بعضهم على فقده في صغره او حظوه في الطريق في سفره كامر وقال الجاني هذا القول لا
يساعده اعراب ولا يصحبه صواب فالاولى تركه لما فيه من تقديم المنصوب على عامله بالفاء
العاطفة لا الزايدة كما في قوله وربك فكبر مع وجود عامل مقدم ملاصق وهو مما لا يجوزه
النحاة وكذا جعله وجد متعديا لاثنين حذف احدهما اي وجدك رحيما فآوى بك يتيما
ومهتديا وهدى بك ضالا وكان اويته واكثر النحاة ابوه ايضا وقيل في توجيهه ان قايله
ذهب الى ما قاله السدي انه من قبيل خطاب السيد بما للعبيد اي وجد قومك ضالين فهداهم
وقس عليه اخويه والمص نقله بالمعنى اذ القايل فسره بما يؤل اليه ثم ان قوله الم يجدك هنا
تفسير لوجدك بمآل معناه لتقاربهما وفي النظم غاير بينهما تفننا ووجدك بتقدير لما المساوية
لالم معنى فكان الثلاثة داخلة تحت قوله الم يجدك فلذا ادخلها تحته ولا يخفى ما فيه من
التكلف ولذا قال بعض انه صرف للايات عن ظاهرها بلا دليل من غير مقتض **ذكره بعدم**
المنن ذكره بتشديد الكاف تفعيل من الذكر اي جعله متذكرا والمنن جمع منة وهي الاحسان وقيل
ذكره بمعنى وعظه لانها للتذكير وورد بهذا المعنى كما في قوله فذكر بالقرآن من يخاف وعيد
اي عظه به والذكر على الاول خلاف النسيان والمراد ذكره بتفصيلها او تفصيلها وان كان ذاكرا
لها وكيف ينسى مثله وقد قام حتى تورمت قدماه وقال افلا اكون عبدا شكورا وما قيل انه
لعدم شعوره بكونها مفصلة على ما رواه ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم قال سالت ربي مسئلة
وددت اني لم اكن سالتها قلت اي رب قد كان انبيا قبلي منهم من سخرت له الريح وذكر سليمان
ومنهم من كان يحيى الموتى وذكر عيسى فقال الله الم اجدك يتيما فاويتك قلت بلى قال الم اجدك
ضالا فهديتك قلت بلى قال الم اجدك عايلا فاغنيتك قلت بلى الحديث مما لا ينبغي ولا دلالة

في الحديث لما ادعاه ومما احسن قول بعض الشراح المراد إعلامه بما انعم عليه به وقيل انه
لاشتغاله بتذكر النعم العظيمة المتجددة اذ النعم كلها على الاجمال يغفل عن تفصيلها وشكره كذلك
او انه جعل بمنزلة الغافل وعامله معاملته لكنه وان سلم ان هذا غير مناسب فالتذكير بمعنى
الوعظ لئلا تغفل فلا تغفل والباء زائدة ثم اخذ في تقرير دليل في هذه السورة على انه ما قلاه
بعد ما اصطفاه فقال **وانه على المعلوم من التفسير** ومروي على المعهود قال في المعلوم للعهد
والمراد به جعل اليتم واخويه من احواله لا من احوال غيره وعلى متعلقة بما بعده وقيل بالتذكير
والارادة المفهوم من الكلام **لم يهمله في حال صغره وعيلته ويتمه** وقيل معرفته الضمائر ظاهرة
كلها له صلى الله عليه وسلم غير ضمير انه فانه لله او للشان اوله ويهمله بمعنى يتركه ويخلي بينه
وبين نفسه والعيلة مصدر عال يعيل فهو عايل والجمع عالة كما في المصباح والفقر يقال عال
اذا افتقر واعال اذا كثر عياله وليست العيلة بمعنى العيال كما تقول الناس حتى يقال الاولى ان
لا يتوسطها بين الصغر واليتم والصغر بزنة عنب مفهوم من اليتم وقيل فقرفته تفسير لقوله
ضالا ولم يصرح به تادبا وان وقع في الاية موقعا حسنا والضلال قد يراد به ما وجد من غير
قصد ماخوذ من الضلال عن الطريق ولذا نسب للانبيا وغيرهم مع ما بينهما من البون البعيد كما
في هذه الاية ونظايرها كقوله فعلتها اذا وانا من الضالين ولله ان يقول في حق عباده ما
شاء وليس لنا ان نقول مثله الا على سبيل الحكاية الا ترى ان السلطان يدعو اكبر خواصه
باسمه ويسمه بوسمه فيعد تعظيما وملاطفة ولو خاطبه به غيره كان ترك ادب ينقصه
كذا في عدة الحفاظ وهو كلام حسن وقال الهروي المراد قبل ان يعرف الشرائع والاحكام لقوله
وعلمك ما لم تكن تعلم وليس في علم استعارة لتشبيه المعلوم بمكان عال مرتفع كما قيل **ولا ودعه**
ولا قلاه اي ما بغضه ولا تركه في هذه الحالة وهذا مفهوم مما في ضمنه اذ لو كان هذا لما هداه
الى ما هدى واذا كان هذا حاله قبل البعثة واتمام النعمة ومعرفته بربه **فكيف بعد اختصاصه**
واصطفائه كيف للاستفهام الانكاري على من قال انه ودعه كقوله كيف تكفرون بالله اي في
اي حال يكون هذا بعد اختصاصه بزيادة قربه او جعله مخصوصا بفضايله الجليلة واصطفائه
اي اختياره من بين خلقه قيل والمراد اظهار ذلك في عالم الشهادة وتقرير الدليل على ما قاله
الامام ان كمالك وعبادتك بعد هذه الامور ثم حيث رقيناك قبل ذلك الكمال الى ذروة العلى
فالاولى ان لا نتركك ولا نبغضك بعد الكمال والعبادة وقيل عليه انه لا يناسب تفسير الغنى
بالغنايم ونحوها مما لا يتحقق بعد النزول وان جعل بمنزلة المحقق اذ لا بد من تحقق امر قبل الكمال
ليعلم ثبوت مثله بعده بالاولى والمجاز المذكور لا يفيده فالاظهر في الاستدلال بالغنى حينئذ ان
يقال سنخصك بالطاف جليلة او انا قدرنا لك ذلك فلا نتركك ولا نبغضك لانه مناف
له فتدبر . **اقول** الثابت في كتب التاريخ ان التفسير الكبير وصل الى سورة الانبيا وكمله تلميذه
الجويني فنسبة ما ذكر للامام لا ينبغي وما اورده عليه غيره وارد لانه ليس في تفسيره المذكور تعرض
للغنى فكيف يلزمه بما لم يقله ومن نظر في تفسيره عرف ما قلناه والله الموفق **السادس سره**
بصيغة المصدر المضاف لفاعله كما ضبطه به بعض او الفعل الماضي كما في المقتفي والاول اظهر
ولا حاجة لتقدير ان المصدرية قبله كما في قوله ومن اياته يريكم البرق كما قيل لانه هنا الاقربية
تدل عليه **باظهار نعمته عليه** هو عام شامل لجميع ما انعم به عليه وقيل المراد بالنعمة هنا النبوة
او القرآن والاظهر الاولى هو الاول والخطاب والامر وان كان خاصا به فهو عام لامته تعليما لهم

والتحدث

والتحدث بالنعمة شكر لها وقد قالوا انه يحسن من الانسان الثنا على نفسه وذكر محاسنه
وفضائله في مواضع استثنوها من الاصل الغالب على الكاملين من هضم انفسهم وروي عن علي انه
قال اذا اصبت خيرا فحدث به اخوانك ومن مواطن التحدث بالنعم ما اذا جهل قدره ونوزع في
امره وللسيوطي تاليف في هذا سماه نزول الرحمة في التحدث بالنعمة وقد روي مثله عن كثير من الصحابة
وامره له بالتحدث بما اولاه يقتضي تعظيمه لان من امر غيره بشكر نعمة من نعمه انما يامره في العادة
بما عظم عنده لاستهجان طلب الشكر على امر حقير وهذا يقتضي عظم المامور ايضا وقال بنعمة ربك
فحدث دون بنعمتي اشارة الى انه رباه وفيه ايضا اشارة الى عظم قدره عنده وعنايته به ففي هذا
تعظيم له في الامرين الاخرين ولذا لم يذكرهما المصنف فاندفع ما قيل من انه بقي هنا شي لم يذكره وهو
ارشاده لمكارم الاخلاق بقوله فاما اليتيم فلا تقهر الخ وخص اليتيم لانه لا ناصر له الا الله هو
والسؤال الذل وهما منصوبان بالفعل بعدهما بتقدير مهما يكن من شي فاما الخ فلا حاجة لما تكلف
في الجواب **وشكره ما شرفه به بنشره واشادة ذكره بقوله فاما الخ** مجرور معطوف على اظهار
وليس عطف تفسير كما قيل بل بيان لان اظهار النعم اذا لم يكن رياء ولا لغرض آخر يكون شكرا
للمنعم ونشره اذاعته واظهاره للناس والاشادة بكسر الهمزة وشين معجمة ودال مهملة هو رفع
الصوت به وهو كناية عن اعلام الثقلين وقوله بقوله تنازعه امره وما بعده **فان من شكر النعمة**
التحدث بها اي من التبعيضية اشارة الى ان للشكر طرقا اخر منها كاظهار المطاعم والمشارب
والملابس والمركب وفي الحديث التحدث بالنعمة شكر وفيه اذا انعم الله على عبد بنعمة احب ان
يرى اثرها عليه وما ذكره المصنف هنا منقول عن مقاتل وليس فيه تخصيص بنعمة كما توهم **وهذا**
خاص له عام لامته عليه السلام الاشارة الى الامر المذكور اي هو بحسب الظاهر والمورد خاص
به لانه المامور بحسب الظاهر وهو عام شامل لجميع الامة لانه امر لهم ما لم تقم قرينة على
انه من خصائصه فهم مامورون بمثل الامر او بامر آخر والقول بان المراد انهم مامورون بالشكر
لانه واجب عليهم تكلف **وقوله تعالى والنجم اذا هوى الى آخره** تعالى جملة معترضة وقيل انها
حال لازمة من فاعل قال اي متعاليا عما لا يليق بجنابه ذكر هذه الاية لتضمنها القسم لاجله
صلى الله عليه وسلم . ثم استطرد لذكر ما معها من الايات استقصاء لما فيه تعظيمه **اختلف**
المفسرون في قوله والنجم اذا هوى باقاويل معروفة اقاويل جمع اقوال فهو جمع جمع عبر به
للدلالة على كثرتها والباء متعلقة بالمفسرين او بمقدر من جنسه لانه يقال فسره بكذا فيتعدى
بالباء وهو وان كان بعيدا اظهر مما قيل ان تقديره اختلفوا مصحوبا باقاويل او مفصحا عن
اقاويل واذا في هذا ونحوه قيل انها للحال ظرف للقسم او كائنا المقدر وليست للاستقبال لان
اقسام الله قديم وقال ابن هشام لا يصح تعلقه باقسم الانشائي لان القديم لا زمان له لتقدمه
على الزمان فهو متعلق بكائنا باقيا على استقباله بدليل صحة مجيء الحال المقدرة واجاز بعضهم انه
متعلق بالعظمة المفهومة من القسم فالمعنى اقسم بالنجم العظيم اذا هوى فان اريد بالنجم الجنس
وهويه غروبه فعظمته دلالته على حدوثه الدال على وجود الصانع وان اريد القرآن
المنجم نزوله فعظمته بدلالته على الاحكام وان اريد به النبي ونزوله بعد المعراج فعظمته بدلالته
على تكريم من هو اعظم من كل عظيم كما قيل وفسر الهوي بالطلوع ايضا . **اقول** هذا كلام غير مهذب
فان كلام الله قديم لفظه او معناه النفسي وكل ما فيه مما يدل على الزمان كالظروف والافعال
ليس بمجاز بل حقيقة باعتبار متعلقه وظهوره لان علم الشي في زمان لا يقتضي ان يكون ذلك

العلم في ذلك الزمان كما حققه علما الكلام وهذا المقام لا يسع تفصيله وتحقيقه مع انه
لشهرته غني عن البيان **منها النجم على ظاهره** فيراد به جنس النجم او الثريا او الزهرة لان من العرب
من كان يعبدها والثريا ليست نجما واحدا بل عدة نجوم اختلف في عددها على اقوال قيل ستة • وقيل
سبعة • وقيل تسعة • وقيل احد عشر • وقيل اثني عشر • والنجم صار علما لها بالغلبة وفي الحديث
ما طلع النجم قط وفي الارض من العاهة شيء والهوي الغروب او الطلوع كما مر ولا حاجة الى جعل الثاني
مفهوما من النجم لانه يقال نجم الشيء اذا اطلع والقسم به لانه مخلوق بديع دال على صانعه وقدرته
وكذا في الهوي بمغيبه **ومنها القران** لانه نزل نجوما مفرقة بحسب المصالح وقال بعض المفسرين انه نجوم
للقول من قولهم نجم الدين اذا جعله حصصا ومن الغريب ما قيل انه الصحابة لقوله اصحابي كالنجوم
حكاه البحابي هنا وهو تيمم موتيم على هذا وهو بعيد وجعفر الصادق نقل من ترجمته
انه محمد صلى الله عليه وسلم لم يقل ومنها لانه مع ما قبله كوجه واحد لشدة مناسبته له وهذا وان
سبق لا يعد تكرارا لاختلاف الغرض فيهما والقول بانه ليس منها لا وجه له فالمقسم به واحد
وهو امر مستحسن عند البلغاء كما ذكره الزمخشري • لقول البحتري • وثناياك انها اغريض •
فانظره في شروح الكشاف ولنا فيه كلام في السوانح وقد تقدم تفسيره به على هذا **وقال سهل**
تقدمت ترجمته **هو قلب محمد** اطلاق النجم عليه ظاهر كما اطلق الشراح واما اطلاقه على قلبه فلاشراقه
بالانوار الالهية وهو منبعها ومنبع الهداية وان كان فيه خفا وقيل انه النبات الساقط على
الارض والنجم ما لا ساق له وما له ساق شجر وقيل تقديره ورب كما مر وذكر المصنف السلام بدون
الصلاة وقد قيل انه مكروه مع ان الذي في النسخ الصحيحة صلى الله عليه وسلم مع انه يحتمل انه تلفظ به
ولم يكتبه او مذهب المصنف عدم كراهته **وقد قيل في قوله تعالى والسما والطارق وما ادراك
ما الطارق النجم الثاقب** الثاقب المضيء كانه يثقب الظلام بشدة اضاءته والطارق اصل معناه
من ياتي ليلا لانه يطرق الباب المغلق ليلا والارض برجله ثم غلب على النجم لظهوره ليلا ومنه الطريق
لانها مطروقة بالارجل وقيل الطارق زحل وكلما يرى ويظهر ليلا يسمى طارقا قال الزمخشري اراد الله
ان يقسم بالنجم الثاقب تعظيما لما فيه من عظيم قدرته ولطيف صنعه فابهمه ثم فسره **ان النجم
هنا ايضا محمد عليه السلام** وذكره لان الله اقسم به على حفظ كل نفس فكيف بمن هو انفس الانفس
فهو اشارة الى عصمته وبهذا الاعتبار يكون مما نحن فيه فان لم يلاحظ هذا يكون تاييدا لقول جعفر
فلا وجه لما قيل من ان الاحسن ذكره في فصل القسم به السابق والقول بانه اشار الى عدم الاستيفاء او
انه غفل عن ذكره هنا فتذكر وذكر وعلى هذا فالطارق اشارة الى انه اتى وقد دجى الكفر واظلم اولان
معناه سالك الطريق كما قاله الراغب والسلمي بضم السين وفتح اللام تقدمت ترجمته **تضمنت
هذه الايات من فضله وشرفه العد** التضمن الاشتمال وجعله في ضمنه اي وفيها كما يفي الضال
ما ضمنه قال المؤلف والعد بكسر العين المهملة وتشديد الدال المهملة الماء الدائم الجريان الذي
لا ينقطع مادته والقديم والكثير ويصح ارادة كل منهما وعلى الاول فيه تشبيه له لكثرة الانتفاع
به وعلى مع انه لا ينقطع عنه مورد القياض المطلق وفيه تجنيس **ما يقف دونه العد** بالفتح
والتشديد شبه العد والاحصا برجل يجري ليصل الى الاحاطة بمناقبه فيبعد عنه حتى اعيا وانقطع
دون مرامه ففيه استعارة تمثيلية وتقدير صاحب العد يذهب برونق الكلام وما به ودون
هنا بمعنى قبل كما في قول ابن دريد

• اذا امرؤ القيس جرى الى مدى • فاعتاقه حمامه دون المدى •

وقد تقدم

وقد تقدم الكلام عليها في الخطبة **اقسم جل جلاله** هو بجد جده كما مر وفي نسخة جل اسمه
على هداية المصطفى وتنزيهه عليه السلام عن الهوى هذا ما دل عليه قوله ما ضل صاحبكم
وما غوى وما ينطق عن الهوى اشارة الى نفي الضلال والغواية كناية عن الهداية وان توهم في
بادي النظر ان بينهما واسطة فان الصغير ونحوه ليس بضال ولا مهتدي لكنه لما اكد بنفي الغواية
دل على ان المراد اثبات الهداية له على وجه بليغ وكذا نفي النطق بالهوى المراد به انه ليس له هوى
ولا نطق به وعلى منواله قوله • ولا ترى الضب بها ينجحر • ولذا ذهب المفسرون لما ذكر
والهوى ميل القلب الى خلاف الصواب وحب الشهوات **وصدقه فيما تلاه وانه وحي يوحى**
فيما تلاه متعلق بصدق او تنازع فيه هو وما قبله والذي تلاه هو القرآن والتلاوة في عرف
اللغة والشرع تختص به وان كانت قد تطلق على مطلق التكلم لانه من تلاه يتلوه اذا اتبعه
وهو وحي منه وضميره انه راجع لما وهو القران والوحي يطلق على معان كالكتابة والاشارة
والرسالة والالهام ونحوه مما فيه مصلحة واتى بيوحي بعد الوحي للتاكيد ودفع المجاز وافادة انه
يتجدد شيئا فشيئا كما يشير اليه النجم والاول بالمعنى اللغوي فهو تاسيس وقيل الحكم على كل ما ينطق
به وانه يجوز في قوله ان هو الخ ان يكون استينافا غير مقسم عليه وفي ضمير ينطق ان يكون
للقران ويمكن تطبيق كلام المصنف عليه ولم يذكر الحصر المذكور في النظم اشارة الى ان فحوى
الكلام يفيده لان المقصود نفي وجود البطلان واذا بين انه وحي على اكمل وجه دل على هذا
كما لا يخفى فلا يرد عليه ما قيل انه اخل بالحصر والقسم على الاثبات والنفي الذي افاده قوله
ان هو الا وحي يوحى وهو انسب بتعظيم القرآن الذي جاء به النظم المقتضي لتعظيم من جاء به
وتبجيله وهو المناسب لما قصده المصنف ثم اتى بكلام اوهم انه اوفق بقدرته وما آله ما ذكرناه
وهو مسبوق به ثم قال كيف يتوجه القسم الى قوله ان هو الخ مع انه لم يدخل عليه القسم ولم يعطف
على مدخوله والجواب انه بيان لقوله وما ينطق عن الهوى سواء كان المراد انه ينطق بوحي
متلو هو القرآن او ان كل ما ينطق به مما يتعلق بالدين وحي من عند الله ولذا رجح القسطلاني
عود ضميره الى النطق المفهوم من ينطق وليس عائدا للقرآن فان نطقه بالقرآن والسنة وكل
منهما وحي من عند الله ولذا فسر قوله وانزل عليك الكتاب والحكمة بالقرآن والسنة لانها كانت
تنزل عليه كما ينزل القرآن **اوصله اليه عن الله جبريل وهو الشديد القوى** اي اوصل الوحي
بقضيته كما بيناه فلا وجه لما قيل ان كان المراد القرآن فلا خلاف فيه وان كان كل ما ينطق به
فهو على التغليب والمراد انه اوصله بواسطة غيره او بلا واسطة والشديد القوى من اضافة
الصفة المشبهة لفاعلها اي قواه شديدة والقوى جمع قوة واصل معناه طاقة الحبل المفتول
وجبريل عليه الصلاة والسلام موصوف من بين الملائكة بالقوة العلمية لتلقيه عن الله ما لا
يقدر غيره على تلقيه والقوة الحسية كنقله قرى قوم لوط واهلاكه بعض القوم بصيحة منه
ونزوله من فوق السموات في طرفة عين وقيل الشديد القوى هو الله العظيم القدرة **ثم اخبر الله
تعالى عن فضيلته بقصة الاسرا** الباء للالصاق متعلقة باخبر او للسببية بفضيلته وثم
للاشارة الى بعد هذه القصة عما قبلها لزيادة شرفها والاسرا اسراؤه من مكة لبيت المقدس والمعراج
عروجه منه الى الملا الاعلى فلا يناسب تفسير الاول بالثاني وان كان كل منهما يطلق على الاخر
والفضيلة ما اكرمه الله به من تقريبه وتشريفه بما لا يعلمه غيره وابتدا القصة من قوله
فاستوى الى قوله لقد راى من ايات ربه الخ فانها في المعراج في قول طايفة قيل والاصح ان قوله

ولقد رآه نزلة اخرى المراد به رؤية جبرئيل على صورته الاصلية ويؤيده ان ما قبله ليس حكاية عما في المعراج على راي الاكثرين ولم يتعرض المص لتفصيله بل اتى بثم معقبا بقوله **وانتهائه الى سدرة المنتهى** السدرة واحدة السدر وهي شجر النبق وهذه من جنسها ولذا ورد ان نبقها كقلال هجر وهي عن يمين العرش وورد انها في السما السادسة والسابعة ووفق بينهما بان اصلها في السادسة وفروعها في السابعة واضيفت للمنتهى بمعنى الانتهاء او محله لانه ينتهي اليها علم المقادير والارواح او الملائكة وسياتي تفصيل حالها في مبحث الاسرا وفي الرؤية في قوله ولقد رآه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى في المرئي اختلاف ايضا هل هو الله او هو جبرئيل على صورته الاصلية والمعراج هل كان الى السما او الجنة او لما فوقها وما ذكره المص من انتهائه لا ينافي انه لما فوقها **وتصديق بصره فيما راى** اي تصديق الله له في رؤيته بقوله ما زاغ البصر وما طغى الخ كما سياتي اي ما رآه واعتقده بسبب رؤيته حق مطابق للواقع والرؤية وان كانت فعلا الا انه يقال صدقت فعله اذا اثبته اثباتا متيقنا لانه لم يجاوز بصره ما رآه ولم يمل عنه ولم يعدل عما امر برؤيته ومدح الله له دليل على عدم خطابه لتركه الالتفات فادبا فلا وجه لما قيل انه لا يدل ما قيل على تصديقه وهذا معنى قوله ما كذب الفؤاد ما راى اي ببصره مما مر اي ما كذب بصره فيما حكاه له فان الامور القدسية تدرك بالقلب ثم بالبصر او ما قال فؤاده لما رآه لا اعرفك ولو قال لكذب لانه عرفه بفؤاده كما رآه ببصره يقينا لا تخيلا كما قاله بعض الشراح **وانه راى من ايات ربه الكبرى** اشارة الى قوله ثم راى من ايات ربه الكبرى ومن بيانية مبينة لمقدر او تبعيضية او زايدة اي راى ليلة اسري به الكبرى من ايات ربه وعجايبه الملكية والملكوتية ليلة المعراج وقيل انها المعينة بما راى والكبرى صفة الايات والمفعول محذوف او مفعول من ايات حال مقدمة وعلى البيان فهو راي لجميع الايات وعلى التبعيض المرئي بعضها او زيادة من في الاثبات مرجوح عند النحاة فالمعنى انه راى ما راى ما لا يمكن وصفه قيل والاضافة الى الرب تدل على انها غيره ولو رآه لكان الظاهر ذكره دون اياته قاله صاحب الكشاف وفيه كما قيل نزغة اعتزالية وفيه نظر **وقد نبه على مثل هذا في اول سورة الاسرا** ضمير نبه لله والتنبيه يكون ايقاظ النايم وارشاد الغافل ومطلق البيان لكنه ايما الى كونه بالليل يشير الى قوله في اول سورة الاسرا لنريه من اياتنا انه هو السميع البصير وجعله مثله لانه في سورة النجم ذكر تحقق رؤيته بخلاف هنا مع شموله لما قبل العروج وبعده لقول المفسرين ان المعنى لنريه من اياتنا رؤية السموات وما فيها من العجايب ومشاهدة البيت المقدس ومقامات الانبيا ومواطن عباداتهم وتمثلهم له وبينهما مناسبة بل لا لانهما على رؤية الايات الكبرى الا ان فيها اشارة باضافة الايات له بضمير العظمة وجعل نفسه هو السميع وهو البصير الى زيادة قربه وعظمته كما لا يخفى على من له ذوق وافتتحها بسبحان الدال على التنزيه نفيا للجهة المتوهمة واشارة لبراءته سبحانه عن استبعاد ما استبعده حتى قالوا ما قالوه **ولما كان ما كاشفه عليه الصلاة والسلام من ذلك الجبروت** لما بالتشديد وفتح اللام وما موصولة وكاشف فاعل من الكشف وهو رفع الغطا والكشف عن الشي يقتضي معاينته ومشاهدته ولذا وقع هنا عبارة عن المعاينة ولذا علق به قوله من الجبروت وعطف عليه قوله **وشاهده من عجايب الملكوت** عطف تفسير فلا وجه لما قيل المناسب ان يقول فشاهده لان المشاهدة اثر الكشف لصحة قولك كشف فشاهد لكنه راعى السجع اذ لا يصح ان يقال رفع غطا ما هناك من الجبروت لان المراد انه عاين الجبروت

واطلع عليه لرفع غطاه والجبروت فعلوت بفتح الفا والعين ولام مضمومة تليها واو ساكنة وتا طويلة وتسكين البا والهمزة غلط كما قاله ابن مكي تثقيف اللسان وهو بمعنى العظمة والجلال الذي من الجبر وهو القهر من تجبر بمعنى تعظم كما في القاموس وله معنى آخر غير مناسب هنا وقيل المراد بالمكاشفة الدلالة لانه معنى من المعاني لا يشاهد ولو ابقي على ظاهره جاز وقيل المكاشفة غير المشاهدة فالفعلان ليسا صلة لموصول واحد بل المراد الجلس الذي كاشف بعضه وشاهد بعضه او بنا على تجويز انه حذف مع بقاء صلته وهو تكلف لا حاجة اليه والملكوت عالم الغيب والملك عالم الشهادة قال تعالى اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وهو مصدر ملك مع المبالغة وهو مختص بالله قيل وكان الاظهر ان يقول عجايب الملك والملكوت وفيه نظر **لا تحيط به العبارات** والعبارة اللفظ المعبر به عن المعنى من العبور وهو المرور قال تعالى الا عابري سبيل اطلق عليه لتوهم ان الفهم يعبر عنه وفي المصباح البيان بكسر العين وحكي في المحكم فتحها ايضا انتهى اي تقصر العبارة عن ادايه لكثرته بحيث لا تفي العبارة بتفصيله او هو على اطلاقه مبالغة قيل وهو ناظر الى ما شاهده وقوله **ولا تستقل بحمل سماع ادناه العقول** ناظر الى ما كاشفه على اللف والنشر المشوش وهو مبني على تغايرهما كما مر وتستقل استفعال من اقله عن الارض اذا رفعه ثم صار بمعنى حمله ومنه القلة ويكون استفعالا من القلة اي عد ذلك الشي قليلا واستقل بالامر استبد وانفرد كما قيل

رب ما قصر الصديق المقل • عن حقوق بمن لا يستقل

وهذا هو المراد اي لا ينفرد على حمله الا بقوة قدسية ومساعدة ربانية وقيل المراد الاول اي لا تطيق العقول غير عقل النبي صلى الله عليه وسلم حمله وادنى افعل تفضيل بمعنى اقل اي لا يقدر على اقله فضلا عن كله واكثره وفي كلامه مبالغة واغراق حيث اضاف الحمل للسماع وهو كالتحمل للحديث يعني ان التعبير عنه غير ممكن ولو امكن لا يتحمله ويعيه سامعه **رمز عنه تعالى بالايما والكناية الدالة على التعظيم** جواب لما وفاعله ضمير مستتر لله عز وجل والرمز في الاصل الاشارة الخفية بالعين او الحاجب ونحوه والايما الاشارة بالراس ونحوه والرمز كالاشارة يتعدى بالى قال الشاعر

رمزت الي مخافة من بعلها • والمص عداه بعن لتضمنه معنى التفسير

والكناية في عرف اهل المعاني ما يراد به لازم معناه الحقيقي مع جواز ارادته وعند اهل الاصول ما يقابل الصريح وهو المراد هنا يعني انه اتى بالموصول الاسمي المبهم ومثله يستعمل للتعظيم لما فيه من الاشارة الى انه لا يدرك كنهه كقوله عز وجل فغشيهم من اليم ما غشيهم وقوله

ما كان ما كان مما لست اذكره • فظن خيرا ولا تسال عن الخبر

مع ترك المفعول ايضا وهذا ما اتفق عليه النحاة والمعاني الا ان فيه اشكالا لانهم اشترطوا في الصلة ان تكون معلومة معهودة حتى يتعرف بها الموصول واذا كانت مبهمة لم يعرف معناه حتى يعرف غيرها بها وقول ناظر الجيش ان هذا فيما لم يقصد ابهامه لا يجدي نفعا وان تبعه من بعده كالدماميني فالتحقيق ان يقال الاتيان بها مبهمة من اعلى طبقات البلاغة لان الذهن يذهب كل مذهب فيقع في النفس موقعا عظيما فيتصوره السامع بهذا الطريق ويرتسم في ذهنه اشد ارتسام وليس المراد بالعهد الا هذا فاعرفه **فقال تعالى فاوحى الى عبده ما اوحى** هذا وما سياتي لتفسيره تفصيل للرمز عما كاشفه وشاهده مع الاشعار بما في الابهام من التعظيم وقيل هذا مبني على ان الكبرى صفة الايات ومن تبعيضية وفاعل اوحى الاول والثاني رب العزة اي اوحى الله ما اوحاه الى نبيه او هما ضمير جبرئيل لا ان الاول لله والثاني لجبرئيل

او العكس وان كانت ما فيهما مبهمة ظاهرا وكلام المصنف في الباب الثالث يقتضي اختلاف الضميرين
فيهما • اقول يعني انه على بعض الوجوه لا يكون من قبيل النوع المذكور عند اهل البلاغة كما صرح به
القائل والصور على هذا اثني عشر وجها تجري في هذه العبارة من ضرب وجوه من الثلاثة في اربعة
جاءت من اتحاد الضميرين واختلافهما فان ضربناها في وجهي الكبرى كانت اربعة وعشرين ولكن ما قاله
لا وجه له فان البلاغة والمبالغة انما جاءت من الابهام وهو موجود في سائر الوجوه لدلالتها على ان
ما اوحي اليه لا يحيط به نطاق العبارة ولا تسعه الاسماع والاذهان البشرية ولا تطلع على اسراره الا
النفس القدسية **وهذا النوع من الكلام يسميه اهل النقد والبلاغة بالوحي والاشارة**
وهو عندهم ابلغ ابواب الايجاز الايما والاشارة والوحي كلها بمعنى واحد هنا وهذا نوع من
محاسن الكلام البليغ صرح به المبرد في كلامه وسماه الايما وصرح به التبريزي في شرح ديوان ابي
تمام وفي الكشاف اشارة اليه وقد وقعت هذه التسمية في كلام العرب ايضا كقوله •

يرمون بالخطب الطوال وتارة • وحي المريب مخافة الرقباء •

وهو ان يقصد بالكلام معنى غير ما وضع له وغير لوازمه المعروفة فيؤخذ منه معنى لطيف يفهمه
اهل اللسان الاذكيا ولدقته سموه بهذا الاسم ومثلوا له بقوله • جادوا بمرق فهل رايت الذيب قط •
فانه اراد انه مزج بماء كثير حتى مال لونه للرمادية ثم كنى به عن ذمهم وبخلهم • ومنه قول المنادي
في صفة واد •

تروع حصاه حالية العذارى • فتلمس جانب العقد النظيم •

وقد صرح به اهل المعاني قال ابو هلال في كتاب الصناعتين في فصل عقده لهذه الاشارة ان
يكون اللفظ القليل مشارا به الى معان كثيرة بايماء اليها ولمحة تدل عليها وذلك كقول الله تعالى اذ يغشى
السدرة ما يغشى وقول الناس لو رايت عليا بين الصفين انتهى ثم اورد له امثلة وشواهد كقوله
انقيري وانا انا • • وقوله •

هذا رجاي وهذي مصر معرضة • وانت انت وقد ناديت من كثب •

كما فصلناه في طراز المجالس وهذا ليس له عبارة مخصوصة كالموصول وما نحن فيه فان الايجاز من
لوازمه وهنا لما قال فاوحى الى عبده ما اوحى قصد انه اوحى له باسرار بواسطة غير البشر وبغير واسطة
لا يمكن تفصيلها ولا تقدر العقول على ادراك حقايقها واراد بهذا ان له مرتبة عظيمة عند الله تعالى
ولدنو من الزلفى والقرب منزلة لم يصل اليها سواه ولذا عبر بالعبد اشارة الى انه ليس باجنبي في مقامه
الى غير ذلك من المعاني التي لو فصلناها ضاق عنها نطاق البيان وبعض الشراح لما لم يقف على مراده
قال التسمية وحيا لعله اصطلاح قديم وهو نكتة لايراد المبتدا موصولا والابلغية فيه بالايجاز
وفيه انه ليس بلازم هنا كما اذا قلت في شي واحد علمت ما هو كراهة ان يطلع عليه غيرك فما ذكره ممنوع
وتعقبه من قال انه ثم انواع الايجاز لاداء المراد بلفظ اقل من المتعارف فيه وقد ترك تفصيله لعظمته
لمنع منعه وزعم دفعه بما لا محصل له ولبعض الشراح هنا كلام لا محصل له اضربنا عنه لعدم فايدته
والعجب من عدم اطلاع هؤلاء وخبطهم خبط عشوى والنقد تمييز الجيد من الردي بنظر سديد ففيه
استعارة لتشبيه الكلام بالذهب ونحوه والعارف به كالصيرفي وقوله وهذا النوع اشارة
الى هذا الكلام وامثاله او الى النوع الذي في ضمن جزئي من جزئياته فلا يرد عليه ان ما ذكر ليس بنوع
بل كلام الشخص والمراد باهل البلاغة البلغا او العلما بعلم البلاغة والبلاغة معروفة عندهم ○
**وقال تعالى لقد راى من ايات ربه الكبرى انحسرت الافهام عن تفصيل ما اوحى وتاهت
الاحلام عن تعيين تلك الايات الكبرى** انحسر بمعنى اعيا وكل وتاه من التيه وهو الضلال في الطريق

والتحير

والتحير والافهام جمع فهم وهو الادراك والاحلام جمع حلم بزنة فعل وهو العقل ويكون بمعنى
ما يراه النايم وليس بمراد هنا خلافا لمن توهمه وشبه الطالب للوقوف على المعنى بسالك في الطريق
الطويلة التي يتعب المسافر فيها وقد يخفى عليه فيضل فيها فبين قوله تاه وانحسر مناسبة تامة
والتفصيل التبيين وضد الاجمال والتعيين تحقيق عين الشي وفي ذكر التفصيل مع الانحسار
والتعيين مع التيه لطف تام والاشارة بتلك للايات وقيل للمرئي منها وهو ايات كبرى لا الى جميعها
لما مر من ان احتمال رؤية البعض هو الراجح فيليق حمل كلام المصنف عليه وان كان خلاف الظاهر
مع ان التعظيم انما يستفاد من حذف المفعول الذي هو بعضها واعتبار ان التقدير لقد راى من
ايات ربه الكبرى ما راى وفيه نظر **قال القاضي ابو الفضل** هو المصنف **اشتملت هذه الايات
على اعلام الله تعالى بتزكية جملته عليه السلام** اي مجموعها من قوله والنجم الى قوله الكبرى
وان لم يكن كل واحد منها مشتملة عليه والتزكية تطهيره عن النقايص البشرية وجملته ذاته
وصفاته الظاهرة والباطنة ونفسه القدسية واذا اخبر الله بذلك فقد جعله زكيا ○
وعصمتها من الافات في هذا المسرى العصمة من عصمه يعصمه من باب ضرب اذا حفظه وصانه
واعتصمت بالله اي امتنعت والاسم العصمة والمسرى مكان السرى او نفس السرى على انه مصدر
ميمي والافات جمع افة وهي ما يعرض من المفاسد ولما اخبر الله تع في هذه الايات بما حصلت به
التزكية كان كانه اعلم بها نفسه ولذا فسره المصنف بقوله **فزكى فواده ولسانه وجوارحه
وقلبه** قال السيوطي وقع في نسخة وزكى بالواو والصحيح انه بالفاء التفسيرية المفسرة
لقوله اشتملت والواو مخلة بالمعنى ولا وجه لما قاله فان العطف التفسيري كما يكون بالفاء
يكون بالواو كما في قوله انما اشكو بثي وحزني وقد يكون ابلغ اذا قصد انه لمغايرته بالتفصيل
والاجمال كانه غيره والفواد القلب عبر به اولا لموافقة الاية وعبر بعده بالقلب فرارا من صورة
التكرار وقيل الفواد وعاء القلب فذكر المحل واراد الحال وقيل هو داخله ويكون بمعنى العقل
ويجوز ارادته هنا والاول اصح واوضح واللسان معروف والجوارح جمع جارحة وهي العضو
الذي يكتسب به كما في الصحاح ويعلم ما جرحتم اي كسبتم والاظهر اختصاصها بالاعضاء
الظاهرة كاليدين وجعلها شاملة للقلب لاكتسابه بعض الامور او على التغليب فهو تعميم
بعد تخصيص بتكلف ولم يذكر هنا الا اللسان والبصر ولذا قيل بعض جوارحه او هو بناء على ان
اقل الجمع اثنان او هو بالنظر لكل من المعنيين او لجعل هذين العضوين بمنزلة الجميع او عبارة
عنهما لان المرء باصغريه قلبه ولسانه وهما كالسلطان والوزير وما عداهما تبع لهما والذي
في نسخة الشراح هنا قلبه **بقوله ما كذب الفواد ما راى** اي بدون واو وهو الظاهر
لانه بدل مما قبله مفصل من مجمل وقد جوز في مثله ان يكون بدل كل وبعض بتقدير من او بدونه
وفيه كلام فصلناه في غير هذا الكتاب وفي بعض النسخ وقلبه بالواو وعلى نهج ما مر في العطف
التفسيري وروي فزكى قلبه بالفاء التفصيلية التفسيرية على اللف والنشر او هو استيناف
جواب سوال مقدر تقديره كيف زكاه فقال قلبه الخ والمقام مقام بسط وتطويل وهو مقبول
من مثله فالقول بان فيه طولا ولو قال فزكى قلبه بقوله الخ ثم نص على القلب وما بعده كان اولى ○
واخصر غير متجه والكذب معروف يوصف به الكلام والمتكلم والمعنى ما كذب الفواد ما راه
اي اعتقده وهو غير مقبول عند المصنف لانه يأباه ما زاغ البصر وما طغى وقال المفسرون
ان القلب لم يوهم العين ولم ينكر ما راته ويلزم من تزكيتها تزكيته فلا يقال ان التزكية حينئذ

للعين لا للقلب لان قبوله الحق تزكية له وهذا مراد من قال ما قال فؤاده للذي رآه بصره
لم اعرفك كما قاله القاضي ولو قال ذلك كان كاذبا لانه عرفه وهل المرئي الرب او غيره سياتي
تفصيله والمراد نفي الخطا عن اعتقاداته **ولسانه بقوله وما ينطق عن الهوى** وهذا وان لم
يكن مخصوصا فيكفي شموله له الا اذا اخص بالقرآن كما ذهب اليه الاكثر الا انه بني كلامه على بعض
الاقوال **وبصره بقوله ما زاغ البصر وما طغى** اي ما مال بصره صلى الله عليه يمينا وشمالا
ولا تجاوز حده في نظره لما هو امامه ففيه تزكية لبصره وهو تزكية او بيان لثبات جنانه وكمال
ادبه وهو في رؤيته لربه جل وعلا في معراجه كما سياتي **وقال تعالى فلا اقسم بالخنس الجوار
الكنس الخ** هي النجوم فالخنس الكواكب الرواجع وهي ما عدا النيرين من المسيرات ولذا وصفها
بالجواري لسيرها والكنس التي تغيب في مغاربها من كنس اذا دخل كناسه والكناس للظبي كالغيل
للاسد والوكر للطير والجحر للحشرات والبيت للانسان فهو على التشبيه والخنس لقصر الانف والظا
توصف به والشيطان من الجن مردتهم وقد يخص بابليس من شاط اذا احترق او من شطن اذا بعد
وهو انسب بالرجيم لانه المرجوم بالشهب لطرده وابعاده لا اقسم انه لقول رسول كريم اي كريم
عند مرسله وهو الله عز وجل وعلى عدم الزيادة انه واضح غير محتاج للتاكيد بقسم وغيره
وهو قول لاكثر المفسرين لانه الاصل وعلى الزيادة لمناسبة المقام ولقوله وانه لقسم لو تعلمون
عظيم ولثبوت الزيادة في قوله فلا اقسم بمواقع النجوم مع اشتراك المقامين في بيان شان القرآن
واختاره المصنف لمناسبته لما عقد له الفصل واشار لعدم القسم فيما سبق لما فيه من التعظيم
او اشارة لجواز الامرين او الفرق بين الموضعين مع ان في الاية ما يناسب النفي وايهام عدم جواز
غيره لا يعتد به وضميره انه للقرآن او لما اخبر عنه من المغيبات والقول بمعنى المقول والرسول
المرسل ولم يعبر بلفظ القرآن كما هو دابه وقيل التقدير لقول مرسل رسول والكريم بمعنى العظيم
او الجواد بساعدة الدارين قيل فاعل اقسم جبريل واضاف القسم له لا لقائله ثم صرف عنه بقوله
تنزيل من رب العالمين وكريم ومكين صفة جبريل واضاف القسم له لا لقائله ثم صرف على الاصح
وقيل المراد به النبي وتفسير المصنف بكريم عند مرسله لا حاجة اليه مع قوله عند ذي العرش مكين
والغرض انه عنده غير الاصح ولذا نقله عن الرماني او لعجز جعله ضمير اقسم لله واعتراضه على
المصنف لا وجه له سواء اراد ان المكانة عند الله تستلزم كرمه عنده او ان العندية من قوله عند
ذي العرش لانه مقام مدح فيقتضي التصريح بما يدل عليه مع ان ما ذكره غير مسلم والعندية
عندية تشريف وتعظيم فتامل **ذي قوة على تبليغ ما حمله من الوحي** حمله بالتشديد مع البناء
للفاعل اي حمله او المفعول والتحميل في الرسالة لثقلها مشهور وهو في الاصل استعارة لثقل
الامانة وعند ظرف لمكين والقوة   وقد تفسر بالمنزلة كما يقال فلان قوي عند السلطان
فيتنازع هو ومكين في الظرف او الظرف صفة اخرى والقوة صفة جبريل لما حمله الى النبي او
هو النبي لما بلغه لامته والمراد بالوحي القرآن لقوله انا سنلقي عليك قولا ثقيلا **مكين اي
متمكن المنزلة عند ربه** رفيع المحل عنده يعني ان مكين بمعنى متمكن المنزلة اي معظم مبجل
رفيع المقدار عنده ومعنى العندية معلوم مما مر واعرابها وتفسيره بالتمكن لا يخالف ما تقدم
من ان المكانة المنزلة عند الملك كما قيل **مطاع ثم اي في السماء** ثم بفتح المثلثة وتشديد
الميم مبني على الفتح اسم اشارة الى المكان بمعنى هناك ويرسم بالهاء للوقف عليه وقيل لغة فيه
ايضا وهو اعلى قوله في السماء قوله عند ذي العرش في ملايكته ويجوز تعلقه بالآية وبما

امين

امين على الوحي خصه به لان المقام يقتضيه وهو ممن عليه وعلى غيره ولذا فسره بمقبول
القول مصدق فيما يقول ويجوز فيما ذكر ان يراد به جبريل والنبي صلى الله عليه وسلم لاطلاق
الامين على كل منهما وكون جبريل مطاع في السما اظهر وان قيل النبي فيها لامامته بالانبيا فيها
وما جرى بينه وبين ملك الجبال وغيره الا انه خلاف الظاهر وجوز في ثم ان يكون اشارة للظرف
السابق اي مطاع عند ذي العرش مقبول الشفاعة وهو بعيد **قال علي بن عيسى** وفي المقتفي
الظاهر انه ابو الحسين علي بن عيسى بن علي بن عبد الله الرماني الامام في اللغة والنحو والتفسير
والكلام له تفسير عظيم لم نقف عليه وهو تلميذ ابن دريد ويروي عنه جماعة توفي ليلة الاحد
حادي عشر جمادى الاولى سنة اربع وثمانين وثلثمائة وقيل سنة اثنين وثمانين ومولده ببغداد
سنة ست وتسعين ومايتين واصله سرا والرماني نسبة الى بيع الرمان او الى قصر رمان
وهو قصر معروف بواسط كما قاله ابن خلكان وله ترجمة في الميزان **الرسول الكريم هنا محمد
عليه السلام فجميع الاوصاف بعد هذا له** هذا قول الجمهور وبعد هنا منهم من قال انه بالموحدة
بلفظ بعد ضد قبل اي بعد ذكره هذا القول والتفسير ومنهم من قال انه بالمثناة الفوقية فعل
مجهول من العدد والجملة خبر وعلى الاول الظرف متعلق بمقدر وله خبر وعلى تعلق بما تعلق به
او بالبنا المقدر وضمير له عليهما للنبي صلى الله عليه وسلم اي على هذا القول المذكور بعد او المقدر
للنبي حتى مطاعيته في السما كما مر وما قيل من ان في الصفات المذكورة ما يعين انه جبريل
مبني على الظاهر المتبادر ورد بان ملك الجبال قال امرني ربي ان اطيعك ولا يتخلف ملك عن
امره بل الشجر والدواب لا يخفى ما فيه **وقال غيره هو جبريل فترجع الاوصاف اليه** ضمير
غيره هنا راجع لعلي بن عيسى ولم يلتفت لغيره المذكور لعدم تعينه ولانه تابع له او هو راجع
له بتاويله بغير من ذكر ومثله كثير فالغير هنا غير الذي وافقه على القول اما كونه هو على ان
عنه روايتين في التفسير فتعسف لا وجه له وان جوزه بعضهم وكون المراد بالرسول الكريم
جبريل هو قول جمهور المفسرين ويؤيده ما رواه الواحدي من ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لما
احسن ما اثنى الله عليك بقوله ذي قوة الخ وما مر من قوله هل اصابك من هذه الرحمة شيء
فقال كنت اخشى العاقبة حتى نزلت هاتين الآيتين وعلى القول الاول ما وقع في خطبة المقامات
فلا وجه لتشنيع ابن الخشاب عليه ولا لقول الشريشي انه غيره وضعف القول الاول السهيلي
بان الآية وردت لتكذيب قول الكفار انه محمد يقول القرآن فاضافه الله لجبريل وان كان في
الحقيقة قوله تعالى لان جبريل هو الذي جاء به الى النبي فصار كانه قوله فلا يسوغ على هذا ان يكون
الرسول الكريم محمد وان كان رسولا كريما قيل ما ذكره ظاهر اذ ثبت انها وردت لهذا الغرض ورد بان
لا ارادة النبي مساغا ولو سلم ما قاله لان مدعى الكفار انه مقال محمد من تلقاء نفسه وقوله انه لقول
رسول كريم ناطق بان قول من ارسله كما مر فينتفي كونه من تلقاء نفسه فتدبر **ولقد رآه يعني محمدا
قيل راى ربه وقيل راى جبريل في صورته** يعني الرائي محمدا صلى الله عليه وسلم على التفسيرين
واختلف في المرئي فالجمهور على انه جبريل على صورته الاصلية بستمائة جناح ومنه يعلم
نكتة تخصيصه بالافق قيل ولم يره غير مرة بهذه الصورة وقيل رب العزة قال بعض الشراح هو
قول ابن مسعود وقدمه المصنف لما فقد لغرضه وهو قول غريب قيل انه لم ينقل عن احد ممن يعتمد
عليه ويأباه كل الاباء قوله بالافق المبين سواء كان نواحي السما او حيث تطلع الشمس اذ لم يقل
احد انه راى ربه بالافق واجيب بانه اذا جاز عود ضمير رآه لربه فرؤيته بالافق كاستوى

على العرش والمراد بالافق الذي فوق السما السابعة وحينئذ فقوله دنى فتدلى من قبيل دنو المكانة
لا المكان او المراد به المنزلة العالية كما اشار اليه الامام وقولهم لم ينقل به احد يرده انه روي عن
ابن مسعود **وما هو على الغيب بظنين اي بمتهم** الغيب الغائب عن الحس الذي اخبر به او ما هو
وسائر الانبيا على اخبار الغيب فيشمل الذات والصفات والقرآن فيستدل به على غيره او المراد ما غاب
غاب عن علمكم فيشمل اخباره عن الشاهد او الغائب والظنين بالظا المشالة ما ينسب الى التهمة للتوهم
والغلط او المراد ليس مظنونا ما نسب اليه مما اتهمه به الكفرة فالنفي فيه كالنفي في قوله لا ريب فيه
وقرئ في السبعة بالضاد كما اشار اليه بقوله **ومن قراها** اي الاية او الكلمة وروى قراءة اي هذا
اللفظ بالضاد وهو نافع وعاصم وحمزة وابن عامر من الضن والضنة وهي البخل **فمعناه ما هو ببخيل**
بالدعاية والتذكير بحكمه وبعلمه وهذه لمحمد صلى الله عليه وسلم باتفاق الفا زايدة في خبر
الموصول لتضمنه معنى الشرط وضمير معناه للفظ او القول المذكور وقوله بالدعاية الدعاية بالمد
بمعنى الدعوة او المدعو اليه والباقي به على هذه الرواية اشارة الى ان على في النظم بمعنى البا او هي
بمعنى الى او للسببية والمدعو اليه احكام الشريعة كلها وروي الدعالة باللام والدعاية بكسر
الدال ومثناة تحتية بعد الالف والتذكير التنبيه او الوعظ وحكمه بضم الحا وسكون الكاف او بكسرها
وفتح الكاف جمع حكمة وهو الكلام النافع والعلم ما علم منه من كل امر فيه علم وحكمة اي ما هو ببخيل على
الناس في تبليغ ما اوحي اليه وقد امر بتبليغه وهذه اشارة للاية او الصفة على هذه القراءة
والاتفاق على هذه بخلاف قراءة الظا لان هذه العلوم والحكم امر نفيس فيه سعادة الدارين ومثله
مما يضن به البشر فنزهه عن مثله بكرم جبلته **وقال تعالى ن والقلم الايات** اي اقرا الايات
الى اخرها او اذكرا واعنى **اقسم تعالى بها اقسم من عظيم قسمه** ابهم المص اشارة الى عظمته كما مر
والى عظيم ما فيه بناء على ان نون قسم هنا وهي الحرف او الدواة او اسم للسورة فاقسم بالقرآن ما
كتب به القلم والقلم هو المعروف او قلم اللوح وقيل نون الحوت الذي عليه الارض والقسم على
ظاهره او بمعنى المقسم به **على تنزيه المصطفى مما غمصه** وفي نسخة غمصته **الكفرة به**
وتكذيبهم له غمصه بفتح الغين المعجمة والصاد المهملة بمعنى عابه وحقره قال ابن القطاع
غمص الناس غمصا احتقرهم وعابهم والشي كذلك وغمص النعمة واغمصها كفرها وقال التلمساني
الغمص بالصاد المهملة العيب والتنقيص واكثر ما يكون في الدين وقال ابن حبيب في غريب الموطا
الغمض بضاد معجمة اخت الصاد تصغير النعمة وتحقيرها وبالصاد المهملة اذا اصغر الناس وازدرى
بهم واستحسن هذا العزفي بعد ان قال انهما سوا انتهى فيجوز في كلام المص الاهمال والاعجام الا ان
الاول ارجح وعليه اقتصر اكثر الشراح وتكذيبهم بالجر عطف على ما والمراد بالتكذيب في كلام المص
كما في بعض الشروح وهو قولهم هذا ساحر كذاب واجمل بعضهم فقال المراد التنزيه عن الكذب بقصر
القادح او ما كذب به اقول لا يخفى ان المص لم يذكر من الايات ما يدل على التكذيب نفيا واثباتا
وليس في كلامه غير ما انت بنعمة ربك بمجنون وما قيل اولا لا مساس له بكلامه ونظر المص في مقاصده
دقيق لمن عرف مغزاه فالمراد انه تع انعم عليه بما علمه واعطاه من نعم الدارين واغناه عما سواه
ونصره على اعدايه ومن اوتي مثل هذا لا يكذب فان فعل او تكلم بما لا يليق فهو مجنون ولذا قال الفاضل
الحلبي انه تع نزهه عن تكذيبهم وهو واقع لان معنى الاية ما انت بمجنون بسبب انه تع انعم عليك
بكمال العقل والمعرفة بافادة تنزيهه عن الكذب وان تكذيبهم كلا تكذيب لعدم الاعتداد به
مع قيام الدليل على خلافه **وانسه وبسط امله** فعل ماض معطوف على اقسم بقصر الهمزة والتشديد

النون من التانيس او بالمد والتخفيف من الايناس يقال انست به وانسته اذا اذهبت وحشته
وسكنته والامل الرجا وبسطه توسيعه وتكثيره او من الانبساط وهو المسرة كما ورد في الحديث عايشة يبسطني
ما يبسطها اي يسرها ما يسرني فهو استعارة تدل على انه عامله باللطافة حتى كثر رجاه او سر **بقوله مخبرا**
خطابه ما انت بنعمة ربك بمجنون محسنا حال من الضمير وروي مخففا ومشددا من الاحسان والتحسين
والثاني احسن عند من له ذوق ولذا اقتصر عليه البرهان وخطابه مفعول وما انت الخ مقول القول وهي
جواب القسم في النظم وتوسيع الامل لجعله ملتبسا بنعم الكريم الذي رباه وقوله وان لك لاجرا الخ وفيه
ايما له ولمن اماها وازديادها وقيل خطابه المقرون بتحليته وتخليته وشرح امله لان من اثنى على احد وسع
امله وهو تكلف انت في غنى عنه بما عرفته والبا للسببية او الملابسة او المصاحبة وقال
الشريف المعنى ان عدم الجنون لانعام الله عليه ولطفه او حال كونه ملتبسا بنعمة العقل والنبوة
والاخلاق العلية مما يدل قطعا على تكذيبهم وهو حال من معمول معنى النفي اي انتفى عنك او من فاعل
بمجنون كما ذهب اليه الزمخشري والبا زايدة ليصح العمل وضعف بانه يلزم نفي الجنون المقيد لا مطلقا
واجيب بان القيد دايمي فيصح المعنى واجل عرضه ان مقام رد المعاند يقتضي ما لا يوهم ولو في
بادي الراي والتقييد موهم وفيه ان تقييد النفي موهم ايضا لكن ايهامه اقل والقيد للاخبار ومثله
كثير كما ذكره ابن الحاجب فالحكم بعدم الجنون في زمن تلبسه بالنعمة وعدم الجنون مطلق وقيل البا للقسم
وبه جزم في لباب التفاسير وضعف بان القسم لا يدخل على القسم انتهى اقول هذا ليس بشي
لانه وقع مثله في الكتاب العزيز ولم يلتفت فيه لمثل هذا الايهام لان السياق ومقام المدح شاهدا
صدق ولا يحتاجان لتزكية انتهى الا ترى ان ابا البقا اعرب قوله تع وما هم بمؤمنين يخادعون
الله حالا والعامل اسم الفاعل وهو بمؤمنين وذو الحال الضمير المستتر فيه ولما خطاه ابو حيان
بمثل ما قاله هذا المعترض رده المحققون بما قلناه فالاعتراض على الزمخشري غير مسموع اصلا
ولا حاجة الى ما اجابوا به فانه كله من ضيق العطن ولولا خوف الملال فصلناه ولكن الثمرة تدل على
النجوم • تنبيه خطر ببالي نكتة وهي ان الله اقسم بالقلم وما خط به لمناسبة المقسم عليه لان
المجنون مرفوع عنه القلم فانا نقول يدل على تكذيبهم فيما قالوه فله موقع هنا ليس لغيره **وهذه**
نهاية المبرة في المخاطبة واعلى درجات الاداب في المحاورة الاشارة للامور المذكورة من
التنزيه عما قالوه في حقه بقوله ما انت الخ والتكذيب الذي دل عليه والتانيس بتقديم الدليل
بقوله بنعمة ربك قطعا للطمع والشبهة من اول الامر ثم بيان تحقيق آماله بقوله وان لك لاجرا
غير ممنون به عليك او غير مقطوع وهذا غاية البر والاحسان في خطابه له واقصى مراتب الادب
اللايق بمقامه تعليما لعباده والمحاورة بالحا والرا المهملتين كالمراجعة والمجاوبة وزنا
ومعنى ففيه وجوه اكثر من خمسة فلم يكتف بمجرد الرد عليهم كمن راى من يحبه في هجوم اعدايه
بمقالهم فكذبهم وبين وجه كذبهم ثم ذكر ما يطرد وحشته ثم وعده بما هو اعظم مما ذكره **ثم اعلمه بما**
هو له عنده من نعيم دايم وثواب غير منقطع اي بعد ان برأه ونزهه اعلمه بما اعده له بعد من
الثواب على ما قاساه وعطفه بثم اشارة الى بعد ما بين الامرين من تعبه السريع الانقطاع ونعيمه
الدايم الواقع في مقابلة تكذيبهم له والاجر المضاعف على عمله وصبره على طعنهم ورميهم بما لا
يليق ففيه تسلية له كانه قال له لا تحزن فقد تبين كذبهم براهينه فلا نقص يعود عليك
بما قالوه لك نعيم مؤبد في مقابلته والصبر على الشدايد المقاسات في التبليغ ففيه تثبيت
وتحضيض فالثواب هو الاجر غير منقطع تفسير لقوله غير ممنون **لا يأخذه العد** اي لا يحصى

ولا يعد ففيه استعارة كانه اذا عد اخذ او لا يغلبه العد ولا يحيط به كما قيل في قوله لا تاخذه
سنة ولا نوم ومنه يعلم وجه تقديم السنة والمراد المبالغة في كثرته **ولا يمن عليه به** يمن
بصيغة المبني للمجهول من المن وهو تعداد المنعم نعمه وصنيعه والتقدير لا يمن احد من الخلق بها
عليه لانها من الكريم الوهاب اولا يمن بها الخالق ويؤيده انه روي بصيغة المبني للفاعل وقول
الطيبي زمن شان الكرام ان لا يمنوا ولذا قيل ان ذكر الاجر يفيد انه لا منة والثواب لا ينقص
بالمنة ففيها تاكيد للاجر وما قيل عليه انه تكلف مردود وفائدته يمن على عباده كما صرح به في
مواضع عديدة والاجر محض تفضل منه اذ العمل لا ينتفي بشكره ونيل المراتب العلية فضل آخر
واعطاء ما لا يجب عليه فضل ثالث فتحري وجوه المنة منة وهي تشريف منه والتحقيق انها لما
قبحت من غيره تم واعتادت النفوس النفرة منها لا يفعلها الله لايهامها ما لا يليق به فان حسنت
منه ففيه تاسيس للتعظيم يستفاد منه تدقيق النظر اقول ما ذكر من التحقيق ليس بشي فان
المنة قولا وفعلا مستحسنة منه تع وقد ورد التصريح بها في نحو قوله قل لا تمنوا على اسلامكم
بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان بل قد يستحسن من غيره ايضا ولذا قيل انه هذا شبيه بقول المعتزلة
فافهم وفي كلام المصنف اشارة الى تفسير آخر في قوله غير ممنون **وان لك لاجرا غير ممنون**
اتى بالفاء لانه متفرع على ما قبله من الاعلام او تفصيل له في الجملة اي لك على ما احتملته من اذاهم
ثواب غير منقطع او غير ممنون به عليك من غيره لانه موهبة الهبة واتى بتاكيدات اربع للاهتمام
والتقرير والانكار وزيادته فاكد المجموع بالمجموع او هي موزعة على ما ذكر وان لم يكن النبي
صلى الله عليه وسلم منكرا فانه قد يراعى حال السامع كما في التعريض وقد علمت ان المن له
معان القطع فالنقص وتعديد النعم واشار المصنف الى ذلك كله بقوله غير منقطع وقوله لا ياخذه
العد الخ الا انه قيل عليه انه لا يتم ما ذكره من الاعلام بالكل الا على القول بجواز استعمال
المشترك في معنييه او جوازه في النفي او ارادته على البدل فقول المصنف اعلم الخ وعطفه بالواو
غير حسن الا ان يكون بمعنى او وكل قسم على تفسير وفي تحرير ابن الهمام المشترك يعم في النفي
هو المختار والقول بانه اعلمه بما له عنده والبيان من المصنف لثبوت المفسر تكلف وتحميل للعبارة
ما لا تطيقه والظاهر انه بيان للوجوه المذكورة في الآية على وجه يفيد ثبوتها كلها للاستلزام
عدم العد لعدم الانقطاع والنقص بحسب عرف التخاطب فتدبر **ثم اثنى عليه بما منحه من
هباته** عطف بثم لما مر اي مدحه بما وهبه واعطاه من موهوباته السنية **وهداه اليه**
من معرفته وتوحيده او من القرآن وآدابه ودلالته له دلالة موصلة فان افعال العبد وصفاته
بايجاده كما هو مذهب اهل الحق **واكد ذلك تتميما للتمجيد** اي للتعظيم من المجد وهو الكرم
اي تتميما للنسبة اليه **بحرفي التاكيد** زيادة لتعظيمه واهتماما به ففيه تعظيم على
تعظيم وهما اللام وان مع القسم واسمية الجملة ولذا قيل الاولى ان يقول بوجوه التاكيد الا
انه اقتصر على المصرح منه فان الاسمية قد لا يقصد بها التاكيد ولذا قالوا انه زيد قائم
يلقى لخالي الذهن لكنه غير تام بالنسبة للقسم **فقال وانك لعلى خلق عظيم** اتى بعلى اشارة
لاستعلائه عليه لكونه مجبولا عليه من غير تكلف **قيل القرآن** هذا مروي عن عائشة والحسن
وغيرهما كما سياتي والمراد انه اتصف بكل صفة جميلة تعلم منه وتنزه عن كل ما لا ينبغي فليس هذا
تفسيرا آخر كما قيل **وقيل الاسلام** ولذا قال ابن عباس في تفسيره على دين عظيم والخلق
يجي بمعنى العادة والطريقة **وقيل الطبع الكريم** اصل معنى الطبع الختم وطبع السيف ونحو

عمله ثم صار بمعنى الجبلة التي خلق الله الانسان عليها ومثله الخلق والخلايق وهو ملكة
نفسية لا تقبل التغير بسهولة وقال ابن الجوزي حقيقته ما ياخذ الانسان به نفسه من الآداب
واما ما طبع فيسمى خيما وقد اجتمع فيه صلى الله عليه وسلم ما لم يجتمع في غيره من المكارم وقال الامام
المراد التخلق بمجموع اخلاق الانبيا وهي مرتبة عظيمة فانه امر بالاقتدا بهم ولم يرد اصول
الشرايع لعدم مناسبة التقليد فيها والمراد ما مر قيل في دليله نظر لجواز ان يراد الاقتدا في
تحصيل اليقين بالاصول والعمل بمقتضاها فلا يلزم التقليد اقول لا يخفى ان تقليد النبي
في الاصول الدينية غير صحيح وهذا الذي اراده الامام فان اراد مجرد سلوك طريقهم الموصلة لها
لا نفسها فلا خلاف بينهما فتدبر **وقيل ليس له همة الا الله** الهمة كما في المصباح العزم من هم
بالشي ويكون بمعنى العزم يقال له همة عالية والمراد هنا الثاني هذا المحكي عن الجنيد قال انما
سمى الله خلقه عظيما لانه لم يكن له همة في غير الله سبحانه فكانه فما شر الخلوع بجسمه ومزايلا
لهم بقلبه فظاهره مع الخلق وباطنه مع الحق يعني ان عزمه في اعلاء كلمة الله وتبليغ ما يوصل
اليه وفكره في ذاته وتوحيده فقول بعضهم انه بعيد جدا لا وجه له والواسطي تقدمت ترجمته
او بما اسداه اليه بحسن قبوله لما اسداه عليه من نعمه اسدى بمعنى اعطى او اوصل وهما متقاربان
ومن بيان لما الموصولة والباء صلة اثنى او سببية والنعم فضلها الفاضل الشريف بالاخلاق
العظيمة التي انتظمها الخلق في الآية وتبعه تلميذه **وفضله بذلك** اي بما اسداه او بحسن قبوله
على غيره من جميع المخلوقات الانبيا وغيرهم وقوله **لانه جبله على ذلك الخلق** اي خلقه مطبوعا
على خلقه العظيم الكامل الذي لا ينفك عنه وضمير قبوله للنبي وجوز فيه ان يكون لله اي قبول
الله اخلاقه وانه جعل حسن قبوله مثنيا عليه والاول اولى ولذا اقتصر عليه اكثر الشراح وقيل
ان في كلامه مناقشة لان المجبول على الشي الذي طبع عليه بمعنى انه خلق كذلك لا يقال فيه انه قابل
لذلك الذي جبل عليه ولله المنة المطلقة فانه المنعم بالشي والمثنى عليه وتتمة كلام الواسطي
ليشير لذلك ورده السيد بانه تقرر في العلوم العقلية ان ما اتصف به المرء اما على الفاعلية
او القابلية والمراد بالقبول تاثيره وتحقيقه فيه وصرح بانه قابل لا فاعل ردا للطبيعيين
بل حسن قبوله ايضا من الله فهو قابل له ايضا فاثنى عليه لا لفعله اياه بل لقبوله وقبوله ايضا ليس
منه فظهر ان هذا الاعتراض غير قابل للقبول بل للرد آه اقول هذا الكلام كله تكلف مبني على
غير اساس وتقريره ان مراد الواسطي بيان محصل معنى الآيات كلها فالنعم في كلامه ليس بمعنى الاخلاق
بل كل ما انعم الله عليه لعموم الموصول وحسن القبول ماخوذ من اشارة النص بقوله ما انت بنعمت
ربك بمجنون اي لست ممن تستخفك النعم والنظر لمعرفتك بالله وتعدل رتبته وتفضيله على غيره
من كونه له اجر لا يحصى وقوله لانه الخ تعليل لمجموع ما قبله يعني انه لسلامة طبعه وكمال اخلاقه
حسن قبوله للنعم واستحق الثنا وبهذا التقرير سقط الاعتراض لان الاخلاق وان كانت بخلق
الله فيما جعله قابلا لكنه غير مراد هنا فما ذكره المجيب صلح من غير تراض فتدبر **فسبحان اللطيف
الكريم المحسن الجواد الحميد** الكلام على سبحان مفصل في محله وهو منصوب على المصدرية ومعناه
تنزيه الله عما لا يليق بجلال ذاته ويكون كثيرا للتعجب فيقال عند رؤية كل امر عجيب تنزيها عن
ان يوجد شيئا من غير حكمة وان خفيت علينا فالمراد هنا التعجب من كرم الله واسدائه النعم
الجليلة ثم الثناء على من قبلها وجزاه بالاجر وليس للعبد في ذلك تاثير وقد ذكر المصنف مثله في
اواخر الخطبة وفيما ذكره من الاسماء اشارة لهذا فاللطيف للطفه بعباده اذا وفقهم لحسن القبول

والكريم بما اسداه وانعم به والمحسن لهم بالثناء عليهم والجواد بتخفيف الواو والسين غير مسموع فيه
وقال في عمدة الحفاظ ولا مانع منه ان قصدت المبالغة وفيه نظر وقيل السخي بناء على جوازه وصفه
بالسخا كما بيناه في شرح اسماء الله الحسنى وقال ابن عصفور في الممتنع امتنعوا من وصف الله بسخي
لان اصله من الارض السخاوية وهي الرخوة بل وصفوه بجواد لانه اوسع في معنى العطاء وادخل
في صفة العلا انتهى وقد ورد اطلاق الجواد عليه في حديث قد رواه الترمذي والبيهقي اني جواد
ووقع في بعض النسخ بدل الحسن المجيد اي ذو المجد والكرم وهو انسب هنا **الذي يسر للخير وهداه**
اليه ثم اثنى على فاعله يشير الى قوله ثم اعطى كل شيء خلقه ثم هدى وتيسيره تسهيله بتهيئة
اسبابه ثم خلقه فيه وهداه لمنافعه حتى سعى في كسبه وفاعله المباشر له فان الفعل ينسب له وان
كان الفاعل حقيقة هو الله والثنا كما يكون على الفعل يكون على الفاعل كما قال انت كما اثنيت على نفسك
وقوله فانت كما تثني وفوق الذي تثني فالاعتراض ساقط ثم كرر التعجب لتكرر الاحسان فقال
وجازاه عليه هو ناظر للاجر **سبحانه ما اغمر نواله** اغمر فعل تعجب بالغين المعجمة من الغمر وهو
الما الكثير استعير لمطلق الاكثر والنوال العطا **واوسع افضاله** السعة معروفة شاعت في
الشمول والانعام والافضال والانعام قال في المصباح تفضل عليه وافضل افضالا بمعنى
وفضلته على غيره صيرته افضل منه انتهى فما قيل الافضال مصدر افضله جعله فاضلا وافضله
قريب خبط لا وجه له **ثم سلاه** بتشديد اللام من التسلية وهي ازالة الغم **عن قولهم بعد هذا**
اي مما قالوه في حقه وبعد متعلقة بسلاه وهذا اشارة لكل ما ذكر من الرد والثنا والظرف مؤكد
لما يدل عليه وكونه للاشعار بانه لم يكتف بالتسلية غير ظاهر **بما وعده به من عقابهم** اي تعذيبهم
بما صدر منهم وفي نسخة عقوباتهم بصيغة الجمع لتعدد المعاقب وانواع العقاب وروي عقباهم
اي عاقبة سوء حالهم وما يؤل اليه وفي نسخة عقباه اي عقبى النبي في نصره قلبهم والانتقام
منهم ولما كان عذابهم وهلاكهم فيه مسرة وشفاء لما في صدور المؤمنين كما قيل
مصايب قوم عند قوم فوايد • كان وعدا له فلا وجه لما قيل انه استعمل الوعد في الشر
مجازا ولانه في اصل وضعه عام وجعل الموعود هو النبي صلى الله عليه وسلم في قوله وعده
معين بقوله له كشفنا له والقول بانه عدي بقوله له باعتبار انه ذكره تعنيبر في وجوه
للحسان قبل ما ذكره ليدل على عدم رجا اسلامهم اذ لو كان وعده به فالاحسن ان يقول على عقاب
طايفة منهم ولذا قيل تعريض بابي جهل والوليد واضرابهما ورد بان المصنف لم يقصد العموم ولو
سلم فما ذكر ممنوع فانه يقال لكل كافر ان لم تنته فستبصر ومقابلة الوعد بقوله **وتوعدهم**
بقوله فستبصر الى اخره يابى ما ذكره كله اي ذكر وعيدهم وتهديدهم والجار متعلق بتوعد او به
وبما قبله على التنازع والثلاث منصوب بعقد والايات بدل منه منصوب بالكسرة لا مجرور
بالاضافة واضيف نحو الثلاثة الابواب والمقتدر اعني واقرا ونحوه ولا فرق بينهما كما تقدم
وقوله بايكم المفتون المفتون بالجنون اسم مفعول والبا زايدة او مصدر لانه يجي على زنة مفعول
قليلا اي بايكم الفتنة والبا بمعناها او بمعنى في ويجوز هذا اذا كان اسم مفعول ايضا اي المفتون
في اي الفريقين ومن يستحق هذا الاسم والابصار بمعنى العلم ما بعده معموله او مستانف والتعجب
مفهوم من سياق التهديد وبقية الايات ظاهر **ثم عطف بعد مدحه على ذم عدوه وذكر سوء**
خلقه وعد معايبه بعد منصوب على الظرفية مضاف لمدحه او مقطوع عن الاضافة مبني على الضم
فمدحه منصوب وهو الثابت رواية عن المزني وقيل وفيه نظر لانه يقتضي تقدم الذم على المدح وليس

كذلك في النظم فالاحسن ان يقرأ بالاضافة اي التفت اومال اليه وعلى رواية المزني المعنى
انه ثنى مدحه فلا يقتضي تقدم الذم الا ان تعديته بعلى وجعل الذم مما يثنى به المدح تكلف فالوجه
الاول وكون المراد بالمدح قوله فلا تطع على ان المعنى ذمه على ترك طاعتهم وهو مدح له وان تضمن
ذمهم فالمراد عطف مدحه مع ذمهم بعيد جدا وذكر وعد مصدر مضاف او ماض معطوف على قوله
وعدوه كل من عاداه لا معين كما ذكر والعدو يطلق على الواحد وغيره والمعايب جمع معيبة بمعنى العيب
واعلم ان العطف يتعدى بعلى بمعنى الشفقة والحنو وبعن للصرف والصد ويقال عطفته اذا ثنيته
واملته والعطف النحوي يتعدى بعلى ايضا وما في عبارة المصنف عطف لغوي لا نحوي وتجويزه هنا
لكونه بالفا غير صحيح لانها ليست عاطفة فارتكابه التمحل له تعسف وسوء خلقه مقابل لعظم خلقه
مولا بانا ذلك بفضله ومنتصرا لنبيه احوال من ضمير عطف اي لم يكن ذلك لاحد ولم يجعل بينه
وبينه واسطة بل فعله بنفسه اهتماما بتعظيمه ونصرته كما ذكر بكلامه النفسي واللفظي في قوله
سنسمه الخ **فذكر بضع عشرة** وروي بضعة عشر وفي المصباح بضع بالكسر في العدد وبعض العرب
يفتحه واستعماله من الثلاثة الى التسعة يستوي فيه المذكر والمؤنث ويستعمل ايضا من ثلاثة عشر الى تسعة
عشر لكن تثبت الها في بضع مع المذكر وتحذف مع المؤنث كالنيف ولا يستعمل فيما زاد على العشرين واجازه
بعضهم فيقول بضعة عشرون رجلا وبضع عشرون امراة كذا قاله ابو زيد وعلى هذا المعنى البضع
والبضعة في العدد قطعة مبهمة غير محدودة انتهى وفيه اختلاف لاهل اللغة وكلام المصنف ليس مخالفا
لما قالوه كما توهم وما هنا ثلاث عشر او اثنى عشر او احدى عشر بنا على عد المداهنة والاستظهار بالمال
والبنين منها **خصلة من خصال الذم فيه اي في عدوه** والخصلة بفتح الخا المعجمة الصفة مطلقا
وغلبت في صفات المدح اذا اطلقت **بقوله فلا تطع المكذبين** فيما دعوك له من تعظيم آلهتهم ونحوه وهو
تهييج له على تصميمه ومخالفتهم **الى قوله اساطير الاولين** اي اباطيلهم المنقولة عنهم وهو جمع اسطار
جمع سطر وما وقع منه في القرآن منقول عن النضر بن كلدة لانه دخل بلاد فارس وتعلم اخبار
رستم وغيره فكان يقول انا احدثكم باحسن مما يحدث به محمد فنزل ومن قال سانزل مثل ما انزل الله الخ
ثم ختم ذلك اي ما عده من المعايب اورده عقبه كالخاتمة له **بالوعد الصادق لنبيه** كما مر وفي نسخة
بالوعيد وروي ايضا الوعيد بالنصب صفة ذلك وصدقه لعدم تخلفه وان كان الوعيد يجوز
تخلفه لكن لكونه وعدا لا يخلفه من لا يخلف الميعاد او الصادق هنا بمعنى الخالص الذي لا يشوبه غيره
كما يقال صادق الحلاوة **بتمام شقائه وخاتمة بواره** متعلق بختم اي بشقائه التام والبوار الهلاك
الذي هو خاتمة امره وآخر احواله او حاله يجر اليه فسمي به **بقوله سنسمه على الخرطوم** الوسم
العلامة والكي والخرطوم وخراطيم كعصفور وعصافير الانف هنا واصله يختص بالحيوان كالفيل
ونحوه فاستعير للانسان باذايته باستخفافه والتحكم به وهو هنا كناية عن تشهيره بالقبايح في الدنيا
وفي الاخرة وفيهما وقيل وسمه تسويده وجهه يوم تبيض الوجوه وخص الانف لانه اظهر الاعضا تذليلا
للمتكبر عن الحق الذي عنده شمم في انفه فهو عقوبة بضده **فكانت نصرة الله له اتم من نصرته لنفسه**
اي نصرته التي تولاها بنفسه في قوله سنسمه الخ ونصرة نفسه على اعدايه هي لله ايضا لانه كان
لا ينتقم لحق نفسه الصرف وما فعله العظيم عظيم **ورده تعالى على عدوه ابلغ من رده**
رده لتكذيبهم بنفسه لا ابلغ من رد النبي واقامة الحجة وان كان هذا ايضا ليس من تلقاء نفسه وقيل
المراد لو كان له رد ونصرة وهو عليه الصلاة والسلام فعل ما فعله لله ومن كان لله كان الله له
واثبت في ديوان مجده اي اعظم واقوى ثباتا وابقى في صحف الدهر من ان يثبته هو بنفسه فان ما

امضاه الله لا نقص فيه والديوان بكسر الدال المهملة وقد تفتح منهم من قال انه فارسي معرب واصله
جمع ديو وهو الشيطان شبه له اهله وقيل انه عربي من التدوين وهو الكتابة وهو داوي خفف بقلب
احدى واويه ياء ويجمع على دواوين ودياوين وهو مجتمع الصحف والكتاب للسلاطين واول من وضعه
في الاسلام عمر رضي الله عنه ويطلق على نفس الدفتر والكتاب وعبارة المص تحتملها وهو استعارة
فاستعار لمحله اي عظمته ديوانا يكتب فيه فاذا اثبته الله كان ثابتا واكثر ثباتا وهكذا هو باق الى يوم القيمة

الفصل السادس فيما ورد من قوله تعالى في جهته عليه السلام مورد الشفقة والاكرام

يعني ان ما جا في القرآن من الآيات الدالة على اكرام الله والشفقة به اسم مصدر من شفق بغيره عطف وحنا
فهو شفيق وهذا ونحوه مما لا يوصف به الله فيتجوز به عن التلطف بمن يحبه والجهة مقابلها الجانب والمراد
بها هنا شانه وحقه والمورد مصدر ميمي منصوب على المصدرية او اسم مكان منصوب على الظرفية واصله
المحل الذي يوخذ منه الما فاستعير له لعموم نفعه وقيل الشفقة حرص الناصح على حال المنصوح وقد
يطلق على ما فيه دفع المضرة ونحوه فالمراد بالاكرام اكرام مخصوص ولو عمم شمل ما في غيره من الفصول
قبل طه اسم من اسمائه اي من اسما النبي وقدم للاهتمام به لمناسبته للمقام والبلغا يقدمون مثله لان
البلاغة يعتبر فيها رعاية مقتضى المقام فما يقتضيه عندهم اهم مما له تقدم ذاتي كما قرروه في تقديم بسم
الله مع القراءة في قوله اقرأ باسم ربك فتذكره **وقيل هو اسم الله تعالى** هذا منقول عن ابن عباس والمستدل
لما قبله بحديث لي عند ربي عشرة اسما طه ويس الخ **وقيل معناه يا رجل** اي معناه رجل وحرف النداء مقدر معه
وهو مروي عن ابن عباس ايضا وقال عكرمة انه لغة معروفة في عكل وعك وقيل انها لغة حبشية عبرانية
او سريانية اونبطية ومعناه يا حبيبي وقيل اصله يا هذا وهو بعيد جدا **وقيل يا انسان** رواه البغوي
عن الكلبي وقال انه لغة عك فان صحت الروايات فهو مشترك **وقيل هي حروف مقطعة لمعان**
الجمع لما فوق الواحد لقوله **قال الواسطي اراد يا طاهر يا هادي** فالطا من طاهر والها من هادي وقيل
الطا من طوبى الغزاة والها هيبتهم وقيل طوبى والهاوية وقيل انه قسم بطوله وهدايته وقيل معناه
انها البدر لان الطا والها في الجمل اربعة عشر **وقيل هو امر من الوطء** فابدلت الهمزة الفا **والها كناية**
عن الارض اي ضمير راجع اليها لعلمها من قرينة الحال والضمير يسمى كناية عند النحاة كما ذكره اهل العربية
وهذا قول ذكره القرطبي والبيضاوي وقيل ان ها اسم الحرف ماخوذة من ها اسم الضمير في كنايته اصطلاحا
عنه لا انه ضمير كما قيل في طاورد البيضاوي هذا القول بانه يا باه كتابتها بصورة الحرف ورد بان رسم
المصحف غير قياسي فيه كما رسم آية المومنون بلا الف في الامام وقرئ طه بسكون الهاء واصله طا
فابدلت الهمزة ها كاياك وهناك او هو امر والهاء للسكت والمفعول محذوف اي طا الارض ويحتمل
انه اراد الها من هاد وحده ها ضمير كما قال بعض النحاة **اي اعتمد على الارض بقدميك ولا تتعب**
نفسك بالاعتماد على قدم واحدة الاعتماد الاتكا والاستناد على الارض بقدميه او قدم منه ويقال
اعتمد على القدم وعلى الارض وظاهر هذا وما ياتي انه كان يقوم على قدم واحدة اتعابا لنفسه
ليزيد اجره في عبادته فان الاجر على قدر المشقة وانه لم يثبت في الشرع ان القيام على رجل واحدة
من التطوعات حتى يفعله النبي ويخالفه ما روي عن ابن عباس وابن مردويه عن علي انه صلى
الله عليه انه صلى الله عليه وسلم قام الليل كله حتى تورمت قدماه فجعل يرفع رجلا ويضع رجلا
فنزل جبريل وقال طا الارض بقدميك وظاهره انه وضع احدى قدميه كان راحة له لا تعبا
وصرح به البغوي ونقله الكلبي فالوجه بان المعنى لا تتعب حتى تحتاج الى الاستراحة برفع

فتردد ون الاخرى لاما ذكره المص والجمع بينهما انه لما تورمت قدماه وتروح برفع واحدة وقع
في مشقة القيام برجل واحدة لثقل الاعتماد عليها فامره بالاستراحة وترك التعب وما يوجبه كما
خفف عنه القيام اي قيام الليل اقول هذا مما لا طائل تحته فانه لا شبهة في ان القيام على رجل
واحدة اشق من القيام على رجلين كما قيل

اذا الحمل الثقيل توزعته • اكف القوم هان على الرقاب •

فان كان في القيام على واحدة راحة للمرفوعة فيصح بنسبة الراحة لكل من الامرين وما ذكره المص
متعين من السياق على هذا التفسير فانه اذا قال له ضع قدميك فانا لا نريد تعبك دل على الراحة ولا
منافاة بينه وبين ما رواه والتوفيق الذي ذكره تكلف فتدبر تنبيه على كون الاجر على قدر المشقة
كما ورد في حديث عايشة اجرك على قدر نصبك كما ورد في مسلم قال ابن عبد السلام في قواعده ليس
هذا على اطلاقه انما هو اذا اتحد العملان في الشرف والشرائط والسنن وكان احدهما شاقا فيثاب
على تحمل المشقة كالغسل في الصيف والشتا اما اذا لم يتساويا فلا فان الايمان افضل من الاعمال
مع خفته ثم اختار ان فضل الاعمال انما هو بالمصالح الناشية عنها فتصدق البخيل افضل من قيام
وانقاذ الحاكم مظلوما افضل من قيام الليل وصيام النافلة ونقله الزركشي وارتضاه في قواعده
وهو قوله ما انزلنا عليك القرآن لتشقى نزلت فيما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتكلفه من
السهر والتعب وقيام الليل الضمير راجع للنهي عن اتعاب نفسه المستفاد من النفي في الآية
اي هو المراد من الآية والشقا اصل معناه التعب قيل انه عبر به ليدل على سعادته والنفي على هذا
التعب مخصوص كما يقتضيه سبب النزول وان كانت العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب والمورد
فلا يختص بما ذكر ولا بتعبه بما يشقه على غيرهم **اخبرنا القاضي ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن وغير**
واحد اي رواه المص عنه وعن كثير من العلماء غيره وهو ابن عبد الرحمن بن علي بن بشير بالمعجمة من اصحاب
الباجي ثقة حافظ توفي يوم الخميس رابع رجب سنة ثلاث وخمسمايه باشبيلية **عن القاضي**
ابي الوليد الباجي بالموحدة نسبة لباجة من بلاد المغرب وباجة بموحدة وجيم بلدة بقرب اشبيلية
وقيل هي باجة القيروان وهو العلامة الحافظ صاحب التصانيف الجليلة ابو الوليد سليمان بن
خلف ابو سعد بن ايوب بن وارث التجيبي القرطبي الذهبي اصله من مدينة بطليوس وانتقل جده
لباجة التي نسب اليها هو والحافظ ابو محمد الباجي ولد سنة ثلاث واربعماية واخذ عنه جماعة
كابن عبد البر والخطيب والحميدي وغيرهم ورحل للحج وجاور الحرم ثلاثة اعوام ولازم اباذر الهروي
وخدمه ثم رحل لبغداد ودمشق واخذ عن العلما وتفقه على ابي الطيب الطبري واخذ علم الكلام عن ابي
جعفر السمناني واقام بالموصل ثم رجع الى الاندلس بعد ثلاثة عشر عاما وقصته في كتابه التبرية
مشهورة وقال ابن سكرة انه مات بالمرية في تاسع عشر رجب سنة اربع وسبعين واربعمائة هـ
اجازة ومن اصله نقلت الاجازة في كلام العرب قديما كما نقله اهل اللغة الاذن في الانصراف من
جاز المكان اذا تجاوزه ومن تعدى بالهمزة للمفعول الثاني وقد يقتصر على احد مفعوليه لانه من باب
كسى ومعنى اجازه اذن له في الجواز ثم استعمل المطلق الاذن وخصه المحدثون بالاذن في نقل الحديث
فصار حقيقة عرفية وهذه لفظة عربية قديمة كالجائزة بمعنى العطية وقد وقع هنا كلام لابن
الصلاح لنا فيه كلام بيناه في حق آسية والمراد باصله كتابه الذي ضبط فيه ونقله السماع وقوله
نقلت الخ من كلام ابي عبد الله يعني انه لم يسمعه منه وانما نقله من كتابه الذي اجازه به وقال ابن الحنبلي
انه من كلام المص لا من كلام شيخه كما قيل لان تعلق نقلت بمن تاخيرنا يا باه ولو كان قيل بدلا من قاله

لم يكن من كلام المصنف والاصل اصل شيخه لعود الضمير على الاقرب وانما قيده به لان العنعنة تحتمل
منها السماع وعليه المحدثون فلو لم يقيد اوهم خلاف المراد وقد يقولون اخبرنا وحدثنا في الرواية
بالاجازة والمختار خلافه الا ان يصرح بالاجازة ورواية السماع اقوى من الاجازة وسوى بينهما
الطوفي في قواعد في الكتب المدونة قال حدثنا ابوذر الحافظ الهروي العلامة عبد بدون
اضافة بن احمد بن محمد بن عبد الله الانصاري المالكي ابن السماك سمع بهراه وغيرها كثيرا من المشايخ
وصنف التصانيف الجليلة وروى عنه الكبار وترجمته مشهورة توفي في شوال سنة اربع واربعمائة
اخبرنا ابو محمد الحموي هو ابو محمد عبد الله بن احمد بن حمويه السرخسي الحموي بفتح الحا المهملة وضم الميم
المشددة ثم واو مكسورة ثم يا مشددة نسبة الى جده حمويه ورايت في بعض النسخ بعد الواو همزة مكسورة
وفيه نظر والذي في حواشي ابن رسلان والشمني الاول لا غير وقيل اسم جده بفتح الميم المخففة فالنسبة
على هذا بالفتح والتخفيف وكسر الواو وفي ضبط النسخ اختلاف لهذا قلت لعل الهمزة المخففة رسمت
اشارة الى ابدال الواو المضموم ما قبلها همزة فانه لغة وهو من اهل هراه وكوسج ووصل ما وراء النهر وهو
اصولي محدث ثقة توفي في سنة احدى وثمانين وثلثمائة في ذي الحجة ومولده سنة ثلاث وتسعين ومائتين
حدثنا ابراهيم بن خزيم بخا معجمة مفتوحة مصغر وهو شاشي ترجمته مشهورة وهو ابو اسحاق بن
عثمان ومن قراه بحا مهملة فقد اخطا والشاش بمعجمتين بلدة بما وراء النهر حدثنا عبد بلا اضافة
بن حميد بحا مهملة مصغر والذي جزم به ابن حبان والبخاري اسمه عبد الحميد الكشي بالاعجام والاهمال
وهو ثقة حافظ مات سنة تسع واربعين ومائتين حدثنا هاشم بن القاسم ابو النضر المعروف
بقيصر ثقة مات سنة عشرة ومائة عن ابي جعفر قال التلمساني هو محمد الباقر بن علي سمي باقرا لتبحره
في العلم من البقر وهو الشق والتوسعة تابعي عدل ثقة وامام مشهور توفي في سنة اربع عشرة ومائة
على الاصح ودفن مع ابيه وعمه بالبقيع وهو من تلاميذ الربيع ومشايخ هاشم وفي المقتفي انه اختلف
في اسمه فقيل عيسى ابن ماهان وقيل عيسى بن عبد الله بن ماهان مولى تميم مروزي روى له الاربعة
وترجمته مشهورة عن الربيع بن انس ابو حاتم البكري البصري التابعي صدوق لكنه له اوهام كما
قاله ابن حجر وما في حواشي التلمساني من انه انس بن مالك سهو وحديثه هذا مرسل لانه لم يذكر صحابيه
توفي سنة مائة وتسع وثلاثين قيل والحديث المتقدم اولى سندا ومتنا ويمكن التوفيق بينهما بحمل الصلاة
على صلاة الليل والقيام على رجل ورفع رجل على ما كان يفعله بسبب تورم قدميه فان ثبت انه كان
يفعله اختيارا منه تطوعا فلعله نسخ لان الفقهاء لم يجوزوه لغير ضرورة وفيه نظر قيل كان النبي
عليه السلام اذا صلى قام على رجل ورفع الاخرى فانزل الله تعالى طه ما انزلنا يعني طا الارض
يا محمد ما انزلنا عليك القرآن الخ هذا كما مر من غير فرق فما مر لا وجه له وهذا كان قبل النهي فحكم الفقها
بالكراهة لا اشكال فيه • تنبيه لم نزل نتوقف في كيفية صلاة النبي صلى الله عليه وسلم قبل الاسرا
حتى راينا ما نقله السيوطي في الخصائص الكبرى انها لا ركوع فيها وان المفسرين قالوا في قوله تع
واركعوا مع الراكعين ان مشروعية الركوع في الصلاة خاص بهذه الامة ويدل عليه ما اخرجه البزار ۝
والطبراني في الاوسط عن علي انه قال اول صلاة ركعنا فيها العصر فقلت يا رسول الله ما هذا قال
بهذا امرنا ووجه الاستدلال انه صلى قبل ذلك الظهر وصلى قبل فرض الصلوات الخمس قيام الليل ونحوه
فكون الصلوات السابقة بلا ركوع قرينة لخلو صلاة الامم السالفة وكذلك الجماعة كما في شرح المجمع
انتهى • اقول هذا امر مقرر الا انه لخفائه لم يعرفه كثير من الصحابة المتاخر اسلامهم لان الساجد لا بد
له من الركوع في هويه لكنه انه لم يفصله عند انتصاب لم يكن ركنا مستقلا وعبادة ولا خفاء بما في هذا كله

من الاكرام

من الاكرام وحسن المعاملة الى ما يعني في اي والمذكور مما في الآية وما يتعلق بها واكرامه
بانزال القرآن عليه وشفقته عليه بنهيه عما يتعبه من عبادته فما بالك بغيرها من امور تراه بين
له تعبا فيها فمعاملة الله له وخطابه بهذا فيه من اللطف ما يدركه من له ذوق سليم وان جعلنا
طه من اسمائه كما قيل او جعلت قسما الحق الفصل بما قبله اي ان جعل طه علما للنبي صلى الله عليه
وسلم مقسما به او جعل اسما لله ونحوه مقسما به ايضا التحقت هذه الآية المذكورة في هذا الفصل
بالفصل الذي قبله لانبائه بما اقسم به تع تحقيقا لمكانته عنده وبما افاده من نهاية المبرة في
مخاطبته واعلى درجات الادب في محاورته وقد قيل عليه انه لحوق بالفصل الذي قبله على القسمية
واضح واما اذا كان من اسمائه فلا فانه تكلف وقيل انه متضمن للقسم يأباه جعله
قسما لعطفه باو انتهى وقد علمت سقوطه بما بيناه وان كان في عبارته والقسم له لا ينافي كونه به
ايضا وما قيل من ان فيه مسامحة تامة بالحذف او المجاز والاستخدام وانه ان كان قسما باسمه فهو
من الرابع بل الخامس ايضا وان كان قسما بغيره فهو من الخامس لانه قسم لتحقق المكانة لكن لو كان اسما
غير قسم لم يلحق احدهما فلا يناسب قوله او جعلته ولم يرد الالحاق بالثالث لانه لا ينبني على احد
فصلين او بمعنى الى او بل انتهى وفيه ما لا يخفى ومثل هذا من نمط المبرة والشفقة في المصباح
النمط بفتحتين ثوب من صوف ذو لون من الالوان ولا يكاد يقال للابيض نمط والنمط ايضا الطريق
والجماعة من الناس ثم اطلق النمط اصطلاحا على الصنف والنوع فقيل هذا من نمط هذا اي من نوعه
انتهى فالمعنى انه من نوع الاحسان واللطف ومن جملتها فكانه من جماعتها وهذا مسموع فلا يتوهم
انه استعمال غير مسموع وفي الحديث خير هذه الامة النمط الاوسط قوله فلعلك باخع نفسك
على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا اي قاتل نفسك كذلك غضبا او غيظا او جزعا
لعل كما يكون لرجا المحبوب يكون للاشفاق من المكروه والمراد هنا الثاني على لسان العباد او بارادة
لازمه لاستحالته عليه تع وباخع من بخع نفسه من باب نفع ما يقع قبلها من وجد او غيظ او
بخع لي بالحق بخوعا انقاد وبذل له كما في المصباح قال البيضاوي شبهه لما تداخله من الوجد
على توليهم عن الايمان بمن فارقته احبته فهو يتحسر على آثارهم ويبخع نفسه وجدا عليهم او
اذا ما تولوا على الكفر تقول العرب بكى على اثر فلان اذا بكى على فراقه وهذا كما يقول لمن اهمه ما يحزنه
من غيره اطرح ما انت فيه وكل امرك لله ولا تهلك نفسك والمراد بالحديث القرآن وهو يطلق
عليه قال تع ومن اصدق من الله حديثا واما اختصاصه بحديث الرسول فعرف طار وقوله ولذلك
اي لاجل عدم ايمانهم بهذا الحديث لان الشرط قد يفيد العلية نحو ان كانت الشمس طالعة فالنهار
موجود ويؤيده قراءة ان لم يؤمنوا بفتح الهمزة قال القاضي قرئ بالفتح على تقدير لان فلا يجوز اعمال
باخع الا اذا جعل حكاية لحال ماضية يعني على هذه القراءة لان عدم الايمان على القراءة الاولى
مستقبل لانه في حيز الشرط فباخع مستقبل عامل وعلى الثانية ماض فلذا جعل حكاية وقوله غضبا
الخ له معان ثلاثة ما لوحة ثابتة في اللغة وقيل حزنا او ندما والغضب ضد الرضا والغيظ اشده
او سورته او ما اضمر في النفس وفيه كلام وفسر بالغضب ايضا وليس بمراد لئلا يتكرر ولا
يصح التفسير لعطفه باو والجزع ضد الصبر وفي عمدة الحفاظ الاسف الغضب والحزن معا
ويطلق على كل منهما بانفراده وحقيقته فوران دم القلب لارادة الانتقام فمتى كان من تحته
انتشر فصار غضبا وعلى من فوقه انقبض فصار حزنا وهي منصوبة مفعول له او حال ۝
ومثله قوله ايضا مصدر آض يئيض اذا رجع ومعناه عودا لما قبله لمشاركته له في معناه

فلذا فسرت بالشفقة وهو مفعول مطلق او حال ومثله نظر للمعناه ونظر للفظه فلا تكرار ولو
حذف لكان اولى لعلك باخع نفسك ان لا يكونوا مؤمنين تفسيره يعلم مما مر والمقصود منها
منع العم شفقة عليه قيل وانما ذكر هذه الآية لما في هذه من توقع انقيادهم ووقوع انقيادهم
ووقوع امنيته فان كانت لا زائدة ففيها غاية الاشفاق عليه ثم قال ان نشا ننزل عليهم
من السما آية فظلت اعناقهم لها خاضعين المراد بالاية هنا آية مخصوصة وهي الملجئة
يشير الى الايمان او ما فيه عذاب وعقاب والا فكم من آية نزلت وما انقادوا لها والخضوع
التذلل والانقياد وقوله فظلت معطوف على الجواب لصحة وقوع الماضي موقعه وعبر بالماضي
لتحققه بعد نزول هذه الآية والاعناق الاعضا المعروفة ويعبر بها عن الروسا كما يعبر بالراس
وعلى هذا فخاضعين بجمع العقلا ظاهر وعلى الاول فلما نسب لهم ما ينسب للعقلا من الخضوع
عبر بعبارتهم كما في قوله رايت احد عشر كوكبا والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين والاعناق
مقدر او المضاف اكتسب منه العقلا من المضاف اليه كما يكتسب منه التذكير والتانيث وفي الاية
تسلية له تزيل غمه وهو شفقة عظيمة ففيه مناسبة لما المصنف بصدده ومن هذا الباب
الباب معروف ويطلق على القبيل والنوع اطلاقا شايعا فيقال هذا من باب كذا اي من جنسه
ونوعه وهو المراد اي من قبيل ما غن فيه من شفقة الله على رسوله فلا يتوهم ان الظاهر ان يقول
من هذا الفصل قوله تعالى فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين الى قوله يضيق صدرك بما
يقولون الى اخر السورة واصل معنى الصدع صدم الانا ونحوه فينشق فاستعير للامر المؤثر
تاثيرا ظاهرا والكلام المؤثر في النفس وقيل الصدع الفرق بين الشيئين فكانه قيل له افرق
بين الحق والباطل فكانه صدع على جهة البيان والتشبيه لظلمة الجهل والشرك بظلمة الليل
ولنور القرآن بنور الفجر لان الفجر يسمى صديعا كما قال •

• نري السرحان مفترشا يديه • كان بياض غرته صديع •

وما مصدرية او موصولة والعائد محذوف واصله بما تؤمر به على حد امرتك الخير ولا يخفى
ان هذا على الحذف والايصال فالظاهر ان يقدر بما تؤمر به ولا يشكل بان شرط حذف عائد الموصول
المجرور ان يجر بمثل ما جر به الموصول لفظا ومتعلقا نحو ويشرب مما تشربون اي منه لان الصدع
بمعنى الامر كما مر ولا يشترط المماثلة اللفظية ولا يخفى مناسبة الآية للفصل اذ المراد لا
تحزن لمخالفتك فانها الحكمة ستري عاقبتها لك وعلى اعدايك واي شفقة وتكريم احسن من
هذا ولم يقل في الآية التي قبلها الى اخر السورة تصريحا بما فيه زيادة دلالة على التسلي والشفقة
به وما يقولونه هو الشرك والاستهزا والطعن في القرآن وهي منسوخة باية القتال وقيل كان
ينبغي ان يذكر قوله انا كفيناك المستهزئين قلت استغني عنها بالآية التي عقب هذا وهي في قوله
ولقد استهزئ برسل من قبلك الاية اي فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون
والمستهزءون خمسة من اشراف قريش كانوا يبالغون في ايذايه فاهلكهم الله كما فصله المفسرون
وهي واردة على نهج الشفقة والتسلية والوعد بانه سيكفيكهم باهلاكهم وورد بصيغة الماضي
تحقيقا له ولذا عقبه بقوله الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون اي عاقبتهم في الدارين
كما ذكره القاضي واقتصر في اللباب على ان عاقبة امرهم يوم القيمة ذلك وقوله فحاق الخ اي
احاط بهم حيث اهلكوا لاجل الاستهزا باطلاق السبب على المسبب لان المحيط العذاب لا الاستهزا
به ونزل به وباله فوضع موضعه وهذه الآية في الانعام والانبيا ويحتمل انها آية الرعد وتمامها

فامليت

فامليت للذين كفروا ثم اخذتهم فكيف كان عقاب اياهم قال المكي سبقت ترجمته سلاه الله تعالى
بما ذكره وهون عليه ما يلقى من المشركين من استهزائهم وعنادهم وانما تسلى من تحبه وتشفق
عليه والتسلية بان اخوانه اولي العزم ابتلوا بمثله فصبروا وكانت النصرة والعاقبة لهم
في الدارين والتاسي بما يثلج الصدر كما قيل •

• ولولا كثرة الباكين حولي • على اخوانهم لقتلت نفسي •

وفي التاخير حكم كثيرة وان كان تعجيل الانتقام من آذي المنسوبين لانهم لا يتيقنون عاقبة
امرهم فلذا قال واعلم ان من تمادى على ذلك يحل به ما حل بمن قبله اعلم ماض فاعله ضمير الله
ومفعوله ضمير الرسول وتمادي اي تاخر وتطاول تفاعل من المدى وهو الغاية ومنه مدى البصر
وفي المصباح تمادى عنه اذا اخره ودام على فعله من امدي البعد او من تماديته اذا امهلته
وعلى ذلك حال اي كائنا مستمرا على استهزائه قيل فيه قرينة على ارادة آية الرعد ويحل به
اي ينزل به العذاب الذي نزل بامثالهم فهو بضم وكسرها من الحلول بمعنى النزول لانه الذي
يتعدى بالبا لا من حل بمعنى وجب لانه يتعدى بعلى قال في المصباح حل العذاب يحل ويحل
حلولا هذه وحدها بالضم والكسر والباقي بالكسر فقط انتهي وفي القاموس حل المكان وبه تحلى
وتحلي نزل وفي الصحاح بالكسر وجب وبالضم نزل وتبعه بعض الشراح وفيه نظر يعني انها
عادة الله في مثله ومثل هذه التسلية قوله تعالى وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك
اي مثل التسلية السابقة ما في هذه الآية من تهوين ما لقيه بانه له فيه اسوة بمن تقدم من
الرسل وانه سيكون له مثل ما كان له من نصره وعلو قدره والانتقام من اعدائه والتسلية لئلا
يحزن ويشق عليه ويحزنه ذلك وهو غاية الشفقة واطلق الآية واراد جميعها الى قوله ترجع
الامور فهو من اطلاق الجزء على الكل كما تقول قرات بانت سعاد اي القصيدة كلها فالمناسبة
للفصل والمماثلة في غاية الظهور ومن هذا القبيل في الشفقة والتسلية الدالة على منزلته
عند الله قوله تعالى كذلك ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون
المشار اليه بقوله كذلك الامر الذي وقع له صلى الله عليه وسلم من تكذيبه وقولهم انه ساحر
او مجنون افترى على الله كذبا ام به جنة وتمام هذه اتواصوا به بل هم قوم طاغون والاستفهام
تعجبي تعجب من توارد افوالهم وآرائهم على تكذيب الرسل مع تباين ازمانهم والاضراب عن تواصيهم
بما ذكر الى تجاوز حدهم في العناد الجامع لهم فيما ذكر وقوله ما اتى الخ كالتفسير لما قبله كما قاله
البيضاوي وقيل الوجه ان يكون الامر عبارة عما جعله المشار اليه تكذيب الذين من قبلهم رسلهم
وتسميته كل رسول اتى اليهم اي جاءهم وبعث اليهم كذابا او ساحرا او مجنونا لان المقصود
تشبيه فعل هؤلاء المتاخرين مع رسلهم بفعل اولئك المتقدمين مع رسلهم وارشادهم لهم
ما هم منزهون عنه لعصمة الله لهم فالمماثلة تامة عزاه الله اي حمله على الصبر كما صبروا لانه
تفعيل من العزا وهو الصبر بما اخبره به عن الامم السالفة الباء للتعدية او سببية والسالفة
بمعنى المتقدمة والوصف بالمفرد المؤنث لتاويله بالجماعة وهي مقيس مطرد ومقالها بالجر معطوف
على الامم ويجوز عطفه على مجرور البا كما في قوله واتقوا الذي تسالون به والارحام في قراة الجر
اي وبمقالها والاول اقرب ولا تكلف فيه كما قيل وفي نسخة مقالتها لانبيائهم قبله والقبلية
تصريح بلازم ما في الآية لان كون انبيا اولئك قبل هؤلا يستلزم كونهم قبله صلى الله عليه وسلم
ومحنتهم بهم وفي نسخة محنته اي محنة النبي صلى الله عليه وسلم بهؤلا المكذبين له وعلى الاول

محنة الانبيا باممهم والمحنة الابتلا والاختبار وهذه النسخة اولى وانسب بقوله **وسلاه بقوله**
بذلك عن محنته بمثله من كفار مكة وانه ليس اولى من لقى ذلك ذلك اشارة الى ما تم للانبيا قبل
مع اممهم مما يضاهي ما وقع له وبمثله الضمير فيه راجع للمشار اليه وافرده لتاويله بما ذكر وروي
بمثلهم وهو تسلية بالتاسي كما مر ومن كفار مكة متعلق بالمحنة وضمير انه للنبي وهو معطوف على
ذلك وتبين وجه التسلية بقوله ليس الخ **ثم طيب نفسه وابان عذره** ثم للبعد اللفظي والرتبي
ونحوه كما مر وابان عذره عطف على طيب نفسه عطف تفسير لان حزنه لعدم اطاعة كفار مكة
خوفا من تقصيره في مرتبة الرسالة والتبليغ فاظهر انه متعين ورفع اعراضهم وعدم انقيادهم فطاب
نفسه من نسبة شي من التقصير اليه فلا لوم ولا عتب عليه في مثله وفيه غاية الشفقة واللطف
وتفريج همه وكربه **بقوله تعالى فتول عنهم اي اعرض عنهم** وهذه الآية منسوخة باية السيف وقيل
بقوله فذكر اي اعرض عن المجادلة وما يتبعك اي عن الهم والحزن المكدر للقلب المضيق للصدر
او اعرض تارة وذكر اخرى فلا نسخ والنسخ بقوله فان الذكرى تنفع المؤمنين كما قاله ابن الجوزي
قيل وهو غريب لعطف الناسخ على المنسوخ بالواو المشركة الا ان يكون الواو للاستفتاح كما ذكره
بعضهم وعلى تفسير المص يعني دم على التذكير والموعظة فتذبر **فما انت بملوم** اصله ملووم
فنقلت الضمة وحذفت الواو والمنفي لوم مخصوص من جهة مخصوصة كما اشار اليه بقوله **اي في**
اداء ما بلغت وابلاغ ما حملت مبني للمجهول مشدد الميم وما حمله امانة الرسالة وقد
اداها وبذل الجهد فلا يتوجه اليه لوم وفيه من المدح والاشفاق ما لا يخفى اي انت لا تلام من جهة
الاداء على التقصير فانك لم تقصر وانما انت مذكر ما عليك الا البلاغ وقد فعلت وبذلت مقدورك
قيل والاولى ما قاله البيضاوي من ان المراد نفي اللوم على الاعراض بعد بذل جهده في البلاغ
اذ المقصود نفي اللوم مطلقا وكلام المص موهم لتنفيه مقيدا او قيل اللوم على عدم ايمانهم فقيل
لا تهتم بهم ولا تحزن ولا يبعد ان يراد لا تلتفت لقولهم لك لم تركت ملة الآباء لما امرتنا به ونحو
ذلك فانك لست بملوم عندنا او في نفس الامر بل في اعتقادهم ايضا فلا تعتبر ما قالوه وذكروه
وعلى هذا فلا نسخ كما مر قلت التقييد لا ضرر فيه هنا وايهام لست ملوما هنا في انه يلام في غيره
لا يلتفت له لانه على حد قوله ● ولا ترى الضب بها ينجحر ● فيفيد عدم اللوم على غيره بالطريق الاولى
وليس في قوله ابلاغ ما حملت تكرار مع ما قبله لان الثاني فيه كفاية عن الاول كما توهم لان
المعنى بلغت الكل واديته كما ينبغي فالاولى لحسن الاداء والثانية للشمول والتعميم او الثانية تعميم
بعد تخصيص ففيه اطناب حسن كما قيل بل لان الاولى تفيد انه مأمور بالتبليغ كمن ارسل برسالة
وامانة فاوصلها **ومثله** في التسلية الدالة على كمال الشفقة والمحبة **قوله تعالى واصبر لحكم**
ربك فانك باعيننا اي دم على الصبر وتنفيذ ما حكم الله به ولا تحزن ولا تخف من الاعداء فانك
محفوظ محروس لا يصلون اليك ولا ينوبك بساحتك عقارب كيدهم او اصبر لاجل حكم الله اي التبليغ
احكامه وفي المعالم اصبر الى ان يقع ما حكمنا به او الى ان نحكم او ننزل حكما وفيه الايما الى قتالهم
واللام بمعنى على او للتعليل او بمعنى الى والحكم ما حكم الله به وقدره في الازل اي لا تنزعج بالبعث
في سبيلنا ودم على الجد فانك محفوظ معصوم من الناس والاعين جمع قلة للعين والضمير المضاف
اليه لله بصيغة التعظيم ولا يهامه تعددا لا يجوز اطلاقه هنا بل يقتصر فيه على ما قاله الله في
حق نفسه كما نقله الدماميني في شرح التسهيل والمراد بالعين الحفظ والحراسة على الاستعارة
او المجاز المرسل فانه يقال هو بعيني او عيني وبمرأى ومسمع مني وجمع قيل لمناسبة المضاف اليه او لكثرة

اسباب الحفظ فيه وتنبيه تع تتعلق بكل شي وليست مخصوصة للنبي صلى الله عليه وسلم يعني ان جمع القلة
مستعار هنا للكثرة ولك ان تقول ان حفظ جميع مخلوقاته قليل بالنسبة لجلاله وعظمة ذاته والى هذا
اشار بقوله **اي اصبر على اذاهم فانك بحيث نراك ونحفظك** بيان للمراد من هذه الآية وارادة
الحفظ والمجازاة بعيد ولا يلتفت الى ما قيل انه غير بعيد فانه مكابرة وفي الشرح الجديد دلالة على
ما ذكر على الحفظ لانك اذا قلت فلان بعين استحال حقيقة الظرفية على انه داخل العين فتعين ارادة
لازمه وهو في حفظك بغير طريق الرؤية لان ما استقر في عينك كان محفوظا فوق الرؤية اذ من شرط
الرؤية عدم مماسة العين للمرئي فان اريد معناه الحقيقي على ان البا للظرفية المجازية فالحفظ مراد
بطريق الكناية لصحة الجمع بين المعنيين فيها دون المجاز فالمراد مجرد الرؤية بغير جارحة لاستحالتها
في حقه تع وذهب البيضاوي في قوله تع واصنع الفلك باعيننا الى ان البا للملابسة والتعبير
بكثرة آلة الحس الذي به يحفظ الشي عن الاختلال للمبالغة والحفظ والرعاية على طريق التمثيل فلا
كناية فيه اصلا على هذا ومنه يفهم وجه الجمع كما مر **سلاه الله بهذا** اي بمثل هذا الكلام وما في معناه
بذكره **في آي** بمد الهمزة وتخفيف اليا جمع آية او اسم جنس جمعي لها ولا حاجة لجعله في بمعنى مع كما قيل وان
صح **كثيرة** كقوله تع ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا واوذوا حتى اتاهم نصرنا
من هذا المعنى من بيانية والتقدير كاينة من مثل ما يدل على هذا المعنى وهو الحفظ والوعد بالتاييد
والنصر والامر بالصبر للتسلية والشفقة والمعنى مفعل من عناه بمعنى قصد قال في المصباح تقول
العامة لاي معنى فعلت والعرب لا تعرف المعنى ولا تكاد تتكلم به نعم قال بعض العرب ما معنى هذا
بكسر النون وتشديد اليا وقال ابو زيد هذا في معنى هذا وفي معناه سوا اي في مماثلته ومشابهته
دلالة ومضمونا ومفهوما وقال الفارابي معنى الشي ومعناته واحد ومعناه وفحواه ومضمونه كله
هو ما يدل عليه اللفظ وفي التهذيب على تغلب المعنى والتفسير والتاويل واحد وقد استعمل الناس
قولهم هذا في معنى كلامه وشبهه يريدون هذا مضمونه ودلالته وهو مطابق لقول ابي زيد
والفارابي واجمع النحاة واهل اللغة على عبارة تداولوها وهي قولهم هذا بمعنى هذا وهذا في المعنى
واحد وسواء اي مماثلة ومشابهة انتهى ولنا فيه كلام في حواشي الرضي

الفصل السابع فيما اخبر الله به في كتابه العزيز

اي العظيم الشريف او القوي ادلته ومعانيه او في الذي لا نظير له في الكتب **من عظيم قدره وشريف**
منزلته على الانبيا وحظوة رتبته وفي بعض النسخ عليهم اي على جميع الانبيا عليهم الصلاة والسلام
كما ستري تفضيله والمنزلة والرتبة متقاربان معنى علو القدر والحظوة بضم الحا المهملة وكسرها
وسكون الظا المشالة اي اختصاص رتبته بالحظ الاوفر من حظي عند غيره يحظى من باب تعب حظة
كعدة اذا احبوه ورفعوا منزلته فهو حظي على فعيل وقوله على الانبيا متعلق بما قبله لتضمنه معنى العلو
قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة الى قوله من الشاهدين
يعني قوله ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أاقررتم واخذتم على ذلكم
اصري قالوا اقررنا قال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين وفي بعض النسخ تلاوتها بتمامها قال
ابن المنير في تفسيره البحر الكبير يحتمل ان يراد اخذ الله الميثاق على النبيين او على الامم الميثاق الذي
شرع النبيون تعظيمه فاضيف اليهم وهو بتقدير مضاف اي ميثاق امم النبيين ويحتمل ان يراد
بالنبيين مدعوا النبوة تهكما بهم وقد كان اليهود يقولون نحن احق بالنبوة من العرب وعدلوا عن الاول

مع ظهوره لانهم لم يدركوه فهو على الفرض والتقدير وهو تكلف ولما اتيتكم يحتمل الشرطية والموصولة واللام موطئة للقسم لان اخذ الميثاق في معنى الاستحلاف وعلى الشرطية جواب القسم ساد مسد الامرين وهو قوله لتؤمنن وقرا حمزة لما بالكسر اي لاجل ايتائي اياكم بعض الكتاب والحكمة ثم لمجيء رسول موافق لكم مصدق لما معكم فكل من هذين الامرين جدير بان يكون علة وسببا في نصرتكم اياه لانكم اولى بيتم الحكمة ومقتضاها نصرة الحق كاينا من كان ولانه جا بما هو مظاهر لكم مصدق لما معكم فاذا كانت شرطية او موصولة فمن بيانية وان كانت مصدرية فتبعيضية لانه ليس هناك ما يبين وانما امتن عليهم ببعض الكتب لانه كاف في الحجة ويجوز على قراة الكسر به والتعليل ان تكون ما موصولة اي اوجبت على الانبيا نصرة النبي الموعود به في المستقبل لاجل الكتاب الذي اتيته كل احد منهم وجملة جاكم معطوفة على الصلة اقيم فيها الظاهر مقام الضمير والتقدير لما اتيتكموه من الكتاب ثم جاكم رسول مصدق له وقراة ابن جبير لما بالتشديد وهو يقوي المصدرية وقيل اصل لما لمن ما ادغمت النون فاجتمع ثلاث ميمات فحذف احدها والمعنى لمن اجل ما اتيتكم من كتاب وهو قريب حمزة بالكسر انتهى ● واعلم ان هذه الاية اجل آية في حقه صلى الله عليه وسلم وقد افردها التقي السبكي برسالة سماها التعظيم والمنة في معنى لتؤمنن به ولتنصرنه قال فيها في هذه الاية من التنويه به عليه السلام وتعظيم قدره العلي ما لا يخفي وفيه مع ذلك انه على تقدير مجيئه في زمانهم يكون مرسلا اليهم فتكون نبوته ورسالته عامة لجميع الخلق من آدم الى يوم القيمة وتكون الانبيا واممهم كلهم من امته ويكون قوله وبعثت الى الناس كافة لا يختص بالناس الى يوم القيامة بل يتناول من قبلهم ايضا ويتبين بذلك معنى قوله كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد وان من فسره بعلم الله بانه سيصير نبيا لم يصل الى هذا المعنى لان علم الله يحيط بجميع الاشيا ووصف النبي بالنبوة في ذلك الوقت ينبغي ان يفهم منه انه امر ثابت في ذلك الوقت ولهذا راى آدم مكتوبا على العرش محمد رسول الله فلا بد ان يكون ذلك معنى ثابتا في ذلك الوقت ولو كان المراد بذلك مجرد العلم بما سيصير في المستقبل لم يكن له خصوصية بانه نبي وآدم بين الروح والجسد لان جميع الانبيا يعلم الله نبوتهم في ذلك الوقت وقبله فلا بد من خصوصية للنبي صلى الله عليه وسلم لاجلها اخبر بهذا الخبر اعلاما لنبوته ليعلموا قدره عند الله فيحصل لهم الخير به ● فان قلت اريد ان افهم ذلك القدر الزائد فان النبوة وصف لا بد ان يكون الموصوف به موجودا وانما يكون بعد بلوغ سنه اربعون سنة فكيف يوصف حينئذ قبل وجوده وقبل ارساله وان صح ذلك فغيره كذلك ● قلت قد جا ان الله خلق الارواح قبل الاجساد فالاشارة بقوله كنت نبيا الى روحه او الى حقيقته والحقايق تقصر عقولنا عن معرفتها وانما يعرفها خالقها ومن امده بنور الهي ثم ان تلك الحقايق يوتي الله كل حقيقة منها ما يشا في الوقت الذي يشا فحقيقة النبي قد تكون من قبل خلق آدم اتاها الله ذلك الوصف بان يخلقها متهيئة لذلك وافاضه عليها من ذلك الوقت فصار نبيا كتب اسمه على العرش واخبر عنه بالرسالة ليعلم ملايكته وغيرهم كرامته عنده فحقيقته موجودة من ذلك الوقت وان تاخر جسده المتصف بها واتصاف حقيقته بتلك الاوصاف الشريفة المفاضة عليها من الحضرة الالهية وانما تاخر البعث والتبليغ وكل ما له من جهة الله ومن جهة تاهل ذاته الشريفة وحقيقته معجل لا تاخير فيه وكذلك استنباؤه وايتاؤه الكتاب والحكم والنبوة وانما المتاخر تكونه وتنقله الى ان ظهر عليه السلام وغيره من اهل الكرامة وقد يكون افاضة الله تلك الكرامة عليه بعد وجوده بمدة كما يشا سبحانه ولا شك ان كل ما يقع فالله عالم به من الازل ونحن نعلم علمه بذلك بالادلة العقلية والشرعية ويعلم الناس منها ما يصل اليهم عند ظهوره كعلمهم بنبوة النبي حين نزل عليه

القران في اول ما جاءه جبريل وهو فعل من افعاله تعالى من جملة معلوماته ومن آثار قدرته وارادته واختياره في محل خاص يختص به فهاتان مرتبتان الاولى معلومة بالبرهان والثانية ظاهرة للعيان وبين المرتبتين وسايط من افعاله تعالى تحدث على حسب اختياره منها ما يظهر لهم بعد ذلك ومنها ما يحصل لهم كمال لذلك وان لم يظهر لاحد من المخلوقين وذلك ينقسم الى كمال يقارن ذلك المحل من حين خلقه والى كمال يحصل له بعد ذلك ولا يحصل علم ذلك الينا الا بالخبر الصادق والنبي عليه السلام خير الخلق فلا كمال لمخلوق اعظم من كماله ولا محل اشرف من محله فعرفنا بالخبر الصحيح حصول ذلك الكمال من قبل خلق آدم لنبينا صلى الله عليه وسلم من ربه سبحانه وانه اعطاه النبوة من ذلك الوقت ثم اخذ له المواثيق في معنى الاستحلاف ولذلك دخلت لام القسم في لتؤمنن به ولتنصرنه لطيفة هذا كايمان البيعة للخلفا وكانها اخذت من هنا فانظر هذا التعظيم من ربه سبحانه واذا عرف ذلك فالنبي عليه السلام هو نبي الانبياء ولقد اظهر ذلك في الاخرة بكون جميع الانبيا تحت لوايه وفي الدنيا كذلك ليلة الاسرا اذ صلى بهم ولو اتفق مجيئه في زمن آدم وغيره وجب عليهم وعلى اممهم الايمان به ونصرته وبذلك اخذ الله الميثاق عليهم فنبوته ورسالته اليهم معنى حاصل له وانما امره متوقف على اجتماعهم معه فتاخر ذلك الامر راجع الى وجودهم لا الى عدم اتصافهم بما يقتضيه ● وفرق بين توقف الفعل على قبول المحل وتوقفه على اهلية الفاعل فهذا لا يتوقف من جهة الفاعل ولا من جهة ذات النبي وانما هو من جهة وجود العصر المشتمل عليه فلو وجد في عصره لزمهم اتباعه بلا شك ولهذا ياتي عيسى في آخر الزمان على شريعته وهو نبي كريم على حاله لا كما يظنه بعضهم من انه ياتي واحدا من هذه الامة نعم هو واحد منها لما قلناه من اتباعه للنبي صلى الله عليه وسلم فانما يحكم بشريعة نبينا بالقرآن والسنة وكل ما فيهما من امر او نهي فهو متعلق به كما يتعلق بساير الامة وهو نبي على حاله لم ينقص منه شي ولذا لو بعث النبي في زمنه او زمن موسى وغيره كانوا مستمرين على نبوتهم ورسالتهم الى اممهم والنبي نبي عليهم ورسول الى جميعهم فنبوته ورسالته اعم واشمل واعظم متفق مع شرايعهم لانها لا تختلف وتقدم شريعته فيما عساه يقع الاختلاف فيه من الفروع فيه اما على سبيل التخصيص واما على سبيل النسخ او لا نسخ ولا تخصيص بل تكون شريعة النبي في تلك الاوقات بالنسبة الى اوليك الامم ما جات به انبياوهم وفي هذا الوقت بالنسبة الى هولاء الامة هذه الشريعة والاحكام تختلف باختلاف الاشخاص والاوقات وبهذا بان لنا معنى حديثين خفيا علينا ● احدهما قوله بعثت الى الناس كافة كنا نظن انه من زمانه الى يوم القيمة فبان انه زايد على ذلك على ما شرحناه وانما يفترق الحال بين ما بعد وجود جسده وبلوغه الاربعين وما قبل ذلك بالنسبة الى المبعوث اليهم وتاهلهم لسماع كلامه لا بالنسبة اليه ولا اليهم لو تاهلوا قبل ذلك وتعليق الاحكام على الشروط قد يكون بحسب المحل القابل وقد يكون بحسب الفاعل المتصرف فبان ان التعليق انما هو بحسب المحل القابل وهو المبعوث اليهم وقبولهم سماع الخطاب والجسد الشريف الذي يخاطبهم بلسانه وهذا كما لو وكل الآن رجلا في تزويج ابنته اذا وجدت كفوا فالتوكيل صحيح وذلك الرجل اهل للوكالة ووكالته ثابتة وقد يحصل توقف التصرف على وجود كفو ولا يوجد الا بعد مدة وذلك لا يقدح في صحة الوكالة واهلية الوكيل انتهى ● اقول بعد ما قدم لك حديثا رواه ابو نعيم في الحلية عن انس انه عليه السلام قال اوحى الله الى موسى انه من لقيني وهو جاحد باحمد ادخلته النار قال يا رب ومن احمد قال ما خلقت خلقا اكرم علي منه كتبت اسمه مع اسمي في العرش قبل ان اخلق السموات ان الجنة محرمة على جميع خلقي حتى يدخلها هو وامته قال ومن امته قال الحمادون يحمدون صعودا وهبوطا وعلى كل حال يشدون اوساطهم

ويطوفون اطرافهم اسود بالنهار رهبان بالليل اقبل منهم اليسير وادخلهم الجنة بشهادة ان لا اله الا الله قال اجعلني نبي تلك الامة قال نبيها منها قال اجعلني من امة ذلك النبي قال استقدمت وانا استاخرت لكن ساجمع بينك وبينه في دار الجلال انتهى وورد بمعناه من طرق كثيرة كما في الخصايص الكبرى واعلم ان معنى كون احد من امته نبي من الانبيا انه مكلف باتباعه واتباع شريعته علما وعملا وهي امة دعوة وامة اجابة ويلزم من اجابته من امته تعظيمه وتوقيره واعتقاد صدقه في كل ما جا به واعزازه ومحبته ولا يلزم من تعظيمه ومحبته واعتقاد صدقه ان يكون مكلفا باتباع شريعته والتعبد بها الا ترى ان الله اعزه وعظمه واحبه ولا يتصور فيه ذلك وكذلك الرسل والانبيا جميعهم معظمون له ومحبون لانهم اعرف به من غيرهم مع انه غير مكلفين باحكام شريعته والا لم يكونوا اصحاب شرع وكتاب مستقل والنصوص العقلية والنقلية ناطقة بخلافه الا ترى الى قوله تع انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده وما في معناها من الايات اذا عرفت فاعلم ان ما قاله السبكي وتبجح به واستحسنه هو ومن بعده ممن وقف عليه لا وجه له عند من له بصيرة نقادة فاياك ان يخطر ببالك ان هذا يقتضي ان من تقدمه من الانبيا وعلما الملل السالفة غير مبالغين في تعظيمه وتصديقه ومحبته فان هذا معنى والتعبد بشرعه معنى آخر ومن ظنهما امرا واحدا لا يعتد به وقوله لتومنن به دون بشرعه مناد عليه وكيف يتاتى ما قاله مع قوله اتبع ملة ابراهيم حنيفا فانه عكسه وقد طلب موسى ان يكون من امته فاجابه الله بما سمعته آنفا في الحديث الصحيح فقوله انه على تقدير مجيئه في زمانهم يكون مرسلا اليهم الى اخره لا معنى له وقوله في حديث كنت نبيا الخ انه في عالم الارواح معنى صحيح ومن فسره بالعلم فقد يقال المراد علم اظهره الله لغيره من الملايكة والارواح تشريفا له وتعظيما وكونه اشارة الى حقيقته اذا اراد به روحه رجع لما قبله فان اراد غيره فامر لا يعقل عند من خلع ربقة التقليد من جيد اعتقاده وقوله في حق عيسى انه ياتي في آخر الزمان على شريعته وهو نبي كريم جمع بين الصيب والنون وهنا بحث وهو ان بين ظرف مكان معناه مكان توسط بين شيئين اضيف لهما وقد يكون للزمان وهو في الاصل مصدر بمعنى الافتراق ويتجوز به عن معان اخر كما يقال بين الرجا والخوف اي متردد بينهما يكون تارة خايفا وتارة راجيا وبين الحلو والحامض والكلمة بين اسم وفعل وحرف اي منقسمة وقوله في الحديث بين الروح والجسد ليس بمعناه الحقيقي لاقتضايه وجود روح آدم وجسده حين بعث نبينا ولا يصح هذا ولا شي من المعاني السابقة والظاهر انه ظرف زمان اي في زمان كان بين خلق روحه وقبل خلق جسده على ان الله نباه في عالم الارواح واطلع الارواح على ذلك وامرها بمعرفة نبوته والاقرار بها وهذا المعنى يفيده قوله بين الما والطين اي بعد خلق عناصره غير مركبة ولا منفوخ فيها الروح فهو بمعنى الحديث الذي صححوه فيكون رواية بالمعنى لم يثبت بهذا اللفظ وهذا مما لم يحم احد حول حماه والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله واذ متعلقة باذكروا مقدرا او حله او اذكروا يا اهل الكتاب فقوله يا اهل الكتاب ان اريد به جميعهم فظاهر ولذا اريد الموجودين في زمن نبينا فلتنزيل ما جاهم او بعد روا او جا اياكم والميثاق العهد واليمين وقيل متعلق باقررتم وان اخر والمراد بكتاب الجنس والحكمة الشريعة والاعتقادات الحقة والمراد بالنبيين مطلقهم او مع اممهم او انبيا بني اسرايل ومن تبعيضية او بيانية واللام موطئة او ابتدائية **ثم جاكم رسول** التنوين والابهام للتفخيم لان المراد محمد صلى الله عليه وسلم وقيل انه عام وان العهد اخذ على ساير الانبيا ان يصدق بعضهم بعضا

ويامر باتباعه والايمان به وهو مروي عن ابن جبير **مصدق لما معكم** من وضع الظاهر موضع المضمر كما مر وقيل تقديره جاكم به فالعايد محذوف وهو تكلف **لتومنن به** اي برسالته تقدم انه جواب القسم وهو ساد مسد جواب الشرط ان كانت ما شرطية او جوابها محذوف وعلى كل حال سوا كانت شرطية او موصولة مبتدا لابد في الجواب والخبر من التقدير وفيه تكلف وقال التعابي قد يستغني بعود الضمير الى ما في اثنا الجملة عن العود الى المبتدا او الشرط لارتباط بعض الكلام ببعض قيل هو غريب جدا ولما كان المراد الايمان بالرسول فلا بد من التقدير اي ضمير به لما بتقدير المصدق اي برسالته مصدقه اقول ما عده غريبا اشهر من قفا نبك وهو مذكور في متن التسهيل وقال في شرحه انه مذهب الاخفش والكسايي وصرح به السعد في شرح الكشاف في قوله تع والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن وفي الروض الانف ما في هذه الاية مبتدا بمعنى الذي والخبر لتومنن به ولتنصرنه وان كان الضميران عايدان على رسول ولكن لما كان رسول مصدق لما معكم ارتبط الكلام بعضه ببعض واستغنى بالضمير العايد على الرسول عن ضمير يعود على المبتدا وله نظاير في التنزيل انتهى **قال** الله لهم **اقررتم** للاستثبات **واخذتم على ذلكم** اي قبلتم على ذلك المذكور **اصري** عهدي وميثاقي **قالوا اقررنا قال فاشهدوا** اي الملايكة على اقرارهم او بعضكم على بعض **استخص الله** استخص وخص واختص بمعنى فالسين للتاكيد لا للطلب وقيل المعنى طلب تخصيصه وهو مجاز عن لازمه وهو الارادة وارادة الله لا تتخلف فمعنى اراد كن افعله وهو تكلف لا حاجة اليه **بقوله** اي بسبب قوله هذا في الاية للانبيا وقد سقط هذا من بعض النسخ **محمدا عليه الصلاة والسلام بفضل لم يوته غيره** موكد للتخصيص دفعا لتوهم المجاز او ارادة التخصيص الذكري **ابانه به** اي اظهره لذلك الفضل له اي فضله وميزه به عن غيره وهو موكد لما قبله ايضا سوا كان مستانفا ام لا وبايه للتعدية او سببية **وهو** اي الفضل المختص به **ما ذكره في هذه الاية** قيل ان هذا على بعض التفاسير لما مر من ان بعض المفسرين قال انها عامة وان كل نبي اخذ عليه العهد بان يصدق من بعده وان يومن بعضهم ببعض وقال البغوي والثعلبي ان عليه كثير من المفسرين ولذا استشكل بعضهم اختصاص هذا بنبينا ولذا فسر الرسول هنا بمحمد لانه امر ثابت بغير هذه الاية مقرر عندهم واجيب بان العهد الماخوذ على الانبيا اجمالي من غير تعيين وهذا معين باسمه وصفته او ان الفضل المخصوص به اخذ العهد بان يومنوا به ويتبعوه اذا ادركوه حتى يكونوا من امته والاية محمولة على هذا كما مر عن السبكي فلا اشكال **قال المفسرون** اي بعضهم وكون التعريف للعهد لا قرينة عليه **اخذ الله الميثاق بالوحي** الى الانبيا وحمل على هذا ما وقع في عالم الذر حين اخرجهم من صلب آدم واخذ العهد بالايمان به فيكون اخذ عليهم عهدا بالايمان بمحمد ايضا فالوحي مجاز عن مطلق الاعلام وهو اعلام نبيه بذلك اذ اوحاه له بتجدد او الحوالة هذا امر آخر في هذه النشاة كما يدل عليه قوله **فلم يبعث نبيا الا ذكر له محمدا ونعته** بصيغة المصدر المنصوب في الماضي اي ذكر له صفته اي لم يبعثه في حال من الاحوال الا حال ذكره له والبعث زمانه ممتد فالذكر الواقع في اوله او بعده مقارن له فالحال من زمن العامل **واخذ عليه ميثاقه ان ادركه ليومنن به** ضمير للنبي في قوله لم يبعث نبيا اي ميثاق ذلك النبي الماخوذ عليه او لله تع والاول اوفق باضافة الميثاق للنبيين في الاية او لمحمد اي الميثاق الماخوذ لاجل محمد فالاضافة لادنى ملابسة وهذا الميثاق اشارة الى ان شريعته ناسخة لجميع الشرايع فيجب على كل من ادركه اتباعه فيعلم الرسل به اممهم ويامرهم بتبليغه لمن بعدهم وفي الحديث لو كان موسى حيا ما وسعه الا اتباعي وسياتي ما في التوراة والانجيل وغيرهما من التصريح

بصل ومعنى ادركه انه عاش حتى يجيء زمنه فتلقاه في الدنيا قال الشريف هنا ما نقل عن التقي
السبكي من ان الانبيا كانوا من امته وعلى دينه في زمنهم والاختلاف بحسب الزمان والعباد مما لا
دليل عليه ولا قايل به والاحتمال المخالف للظواهر لا اعتبار به انتهى وما نقله عن السبكي غير صحيح
وان كان كلامه مردودا من وجه آخر كما بيناه في صدر هذا الفصل **وقيل** معنى هذه الاية **ان يبينه**
لقومه ويأخذ ميثاقهم ان يبينوه لمن بعدهم اي اخذ الله العهد على كل نبي ان يؤمن به وينصره
اذا ادرك زمنه وفي هذا من تشريفه واعلاء قدره ما لا يخفى والايمان لا بد فيه من مطابقة القول
للاعتقاد فاذا تلفظ به علانية فقد بينه فاقيل من ان حمل الايمان على مجرد البيان بعيد جدا
ولعل المراد ما في بعض التفاسير انه يصفه ويقول من ادركه منكم فليؤمن به غني عن الرد وقال
التلمساني ان المص نقض ما قدمه عن المفسرين من اخذ الميثاق على الانبيا بقوله **وقوله ثم جاكم**
الخطاب لاهل الكتاب المعاصرين لمحمد عليه السلام وتبعه بعض الشراح فقال هذا لا يصح
على القول بانه تم اخذ ميثاق النبيين بذلك اذ من قال لا يجعل خطاب جاكم الا لهم وانما يصح
عند من قال اخذ ميثاق معاصريه واضيف للنبيين نظرا الى انهم هم الآخذوه على اممهم وانهم
ياخذونه على من بعدهم الى ان يبعث او سموا بالنبيين تهكما كما مر ورد بانه من تتمة القول الثاني
لا الاول للتصريح بخلافه ومنافاته لهم والمراد ان الخطاب في جاكم واتيتكم والمعنى انه اخذ
الميثاق على الانبيا ان يبينوا لكم ايها المعاصرون بواسطة اصحابهم وجوب الايمان به ونصره
وليس المراد الخطاب في جاكم فقط ولانه بعيد جدا ولا حاجة لتكلف ان يقال المعنى انه قيل للانبيا
اذا جاكم بعدكم رسول الله ولما كان ذلك البعض هم المعاصرون ذكر عند حكاية القصة لهم ولم
يتامل هذا من يقول ان الميثاق ماخوذ على الانبيا لا يجعل الخطاب في قوله جاكم الا لهم ومن يقول
انه لاهل الكتاب المعاصرين للنبي صلى الله عليه وسلم وبيننا والاضافة للنبيين بانهم الذين اخذوه
عن الله والاضافة الى الآخذ الفاعل لا الى الماخوذ عليهم وكونه من تتمة الثاني ممنوع لان محصله انه
تم اخذ الميثاق على كل نبي ان يبين محمدا لقومه ليؤمنوا به ولينصروه ويبلغوا ذلك لمن بعدهم
ليكونوا كذلك فكيف يكون الخطاب للمعاصرين او لاهل الكتاب مطلقا كما نقل عن الربيع واستدل
بقراءة ابي واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب ثم ان الطيبي نقل عن بعضهم الوقف على النبيين
وان الله امرهم بعد ذلك فقال قولوا للامم عني مهما آتيتكم من كتاب وحكمة ورسول لتؤمنن به
فبطل حينئذ القول بان من يقول الميثاق ماخوذ على الانبيا لا يجعل الخطاب الا لهم لان منهم من
جعله للامم لا لهم يحتمل ان المص ماش على هذا فالخطاب للمعاصرين واخذ الميثاق على الانبيا وما
نقله عن المفسرين تفسير لقوله واذ اخذ الله ميثاق النبيين فقط لجواز الوقف عليه فتامل
وقال علي بن ابي طالب هذا رواه ابن جرير وابن كثير باسناد صحيح والبغوي بعبارات مختلفة عنه
بالمعنى او تعدد القول المروي عن علي **لم يبعث الله من آدم فمن بعده نبيا** في حال من الاحوال **الا**
في حال ان **اخذ الميثاق عليه في امر محمد صلى الله عليه وسلم لئن بعث** محمد **وهو** اي ذلك النبي
حي ليؤمنن به ولينصرنه وامر باخذ الميثاق على قومه ليؤمنن به ولينصرنه من ادركه منهم
كما قاله البغوي واليه اشار المص بقوله **ويأخذ العهد على قومه بذلك** اي الايمان به ونصرته
وعدي اخذ بعلى والمعروف تعديته بمن كما في قوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم اشعارا بمضرته
لهم اذا فرطوا فيه او نقضوه كما ان فيه منفعتهم اذا حفظوه والعهد الوصية والتقدم في الشي
واليمين وكل منهما محتمل هنا كما قاله التلمساني ومن في قوله من آدم لابتداء الغاية وقوله فمن بعده

اي واحدا بعد واحد ويأخذ قال السمين بالنصب رواية عن المص وهو كذلك في النسخ الصحيحة نصه
وجزم بانه معطوف على ليؤمنن به بتقدير نون التاكيد الخفيفة ورده السيد عيسى بانه حينئذ يكون
من جزاء الشرط فيلزم كون الاخذ من الامة بعد بعثته نبينا وليس المراد الا ان ياخذ الانبيا في زمنهم من
اممهم انه اذا بعث وهم احيا ليؤمنن به وينصرنه ما في اللباب وتفسير البغوي عن علي ما بعث الله
نبيا الا اخذ عليه العهد في محمد وامره بان ياخذ العهد على قومه بان يؤمنوا به وينصروه اذا ادركوا
زمانه وحينئذ فالعطف على جملة لئن بعث الخ على انها في موضع مفرد من باب زيدني فاكرمك اي الا
اخذ العهد عليه في محمد بالايمان به ان بعث وهو حي وبان يأخذ فالوجه ان التقدير والامر ان ياخذ كقوله
افغير الله تامروني اعبد فيمن نصب اي بان اعبد على نهج علفتها تبنا وماء باردا ومما يعضده ما مر
من التفسير • اقول ما ذكره السمين ذكره القسطلاني في حاشيته وكذلك كونه مؤكدا بالنون
الخفيفة على نهج قوله • لا تهين الفقير علك ان • تركع يوما والدهر قد رفعه •
وعلى هذا ففي الكلام مقدر اي ويأخذ العهد على قومه ان لم يبعث وهو حي وعلى هذا التقدير لا بد منه
على كل حال فاعرفه **ونحوه عن السدي وقتادة** اي مثل ما ذكر عن علي روي عن السدي وعن قتادة
والسدي بضم السين وتشديد الدال المهملتين اسمعيل بن عبد الرحمن بن ابي كريمة المحدث المشهور
واختلف فيه فقيل ثقة وقيل كذاب لا يحتج به وقال البيهقي انه كوفي تابعي مفسر صدوق والائمة
منهم بالتشيع ونقده ابن حبان وضعفه ابو حاتم مات سنة سبع وعشرين ومائة ونسبته الى السد
موضع بالمدينة والمشهور انه منسوب الى سدة مسجد الكوفة وهي ما يبقى من الطاق المسدود لبيعه المقانع
فيه كما في القاموس وفي المصباح السدة الباب وينسب اليها على لفظها فيقال سدي ومنه الامام المشهور
اسمعيل السدي لانه كان يبيع المقانع ونحوها في سدة مسجد الكوفة وقتادة تقدمت ترجمته وهذه
الرواية عنهما اثبتها ابن جرير **في آي** اي هذا المذكور مروي في جملة اي جمع آية كايات **تضمنت**
فضله من غير وجه واحد وهذه الجملة وآي بالمد وتخفيف اليا قال التلمساني هذا متصل بقوله
في اول الفصل وجب تقديمه على الاية لانه من جملة الترجمة وليس ما قاله متعينا كما ظنه **قال الله تعالى**
واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابرهيم الآية قيل اخذ عليهم الميثاق بتبليغ الرسالة
وتصديق بعضهم بعضا وقيل بان يعلنوا بنبوة محمد ويعلن محمد بانه لا نبي بعده ففيها تفضيله من وجوه
كما سياتي وقال التجاني ذكر الله النبيين في هذه الاية جملة ثم خص بالذكر بعضا منهم تشريفا لهم وقدمه
صلى الله عليه وسلم تشريفا على تشريف والتقديم لشرف ذاتي كقوله من النبيين والصديقين والشهداء
والصالحين او التقديم زماني كتقدم نوح على ابراهيم ويجوز ان يكون تقديم نبينا للامرين لحديث كنت اول
النبيين في الخلق وآخرهم في البعث وان لم تكن الواو للترتيب ولذا ورد في الحديث ابدؤوا بما بدا الله به
وقد راعي الفقهاء هذا في الوصايا كما فصله بعض الشراح هنا وان لم يكن محله وتمام الاية واخذنا منهم
ميثاقا غليظا اي عظيما شانه او مؤكدا باليمين وكرر للبيان ووصفه تعظيما له لان الميثاق لو وصف دين
الاسلام بالاصالة في الاستقامة فتدبر **وقال انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح الى قوله**
وكيلا كذا في اكثر النسخ وفي بعضها الى قوله شهيدا يعني قوله لكن الله يشهد بما انزل اليك انزله بعلمه
والملايكة يشهدون وكفى بالله شهيدا وليست الاولى غلطا كما توهم لان بعد شهيدا ايات اربع آخرها
وكيلا تشتمل على ذم الكفرة ووعيدهم ونعته بالرسالة ومجيئه من الله بالحق والامر بالايمان برسله
الذين هو منهم وهو مما يدل على فضله فيناسب ذكره هنا فالقول بانه وهم ينبغي اصلاحه وانه قراءة
او قرأه بالمعنى وهم وارتكاب امور لا تليق واعترض على المص بان هذه الاية غير تامة فيما عقد له الفصل

من تفضيله على غيره الا ان يقال قوله لكن الله يشهد الخ يدل على الفرض اذ لم يذكر في حق غيره وقيل التشبيه لوحيه بالوحي الى الكل يدل على التفضيل على كل واحد والجواب الاول ضعفه ظاهر وان كان الفضل في بيان المنزلة مطلقا وما ذكر استطرادي فلا اشكال يعني مما وقع في بعض نسخ الترجمة من خطوة رتبته مطلقا من غير قوله عليهم والجواب الذي استضعفه هو الحق لان الاستدراك يمكن يقتضي اختصاصه بشهادة الله لما اوحاه له وانه انزله بعلمه مع ان كل ما نزل بعلمه ففيه اشارة الى ان له شانا عظيما لا يعلمه الا الله وفي هذا من التفضيل والتشريف له على غيره ما لا يخفى وسياتي جواب هو الحق عندي • وذكر نوح دون آدم لانه اول مشرع عند بعضهم او لانه اول نبي عوقب قومه او اول الرسل او لعموم دعوته وعلى الثاني فيه تعريض بالمشركين **روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه** قال السيوطي في تخريجه لم اجده في شي من كتب الاثر لكن صاحب اقتباس الانوار وابن الحاج في مدخله ذكراه في ضمن حديث طويل وكفى بذلك سندا لمثله فانه ليس مما يتعلق به الاحكام **انه قال في كلام بكى به النبي صلى الله عليه وسلم** اول هذا الكلام بابي انت وامي يا رسول الله لقد كان لك جذع تخطب عنده فلما كثر الناس اتخذت منبرا لتسمعهم فحن الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكن فامتك اولى بالحنين عليك حين فارقتهم بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان بعثك آخر الانبيا وذكرك في اولهم فقال واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الاية بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان اهل النار يودون ان يكونوا اطاعوك وهم بين اطباقها يعذبون يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسول بابي انت وامي يا رسول الله لئن كان موسى اعطاه الله حجرا تتفجر منه الانهار فماذا باعجب من اصابعك حين نبع الماء منها صلى الله عليك بابي انت وامي يا رسول الله لئن كان سليمان بن داود اعطاه الله ريحا غدوها شهر ورواحها شهر فماذا باعجب من البراق حين سرت عليه الى السماء السابعة ثم صليت الصبح في ليلتك بالابطح صلى الله عليك بابي انت وامي لئن كان عيسى بن مريم اعطاه الله احياء الموتى فماذا باعجب من الشاة حين كلمتك وهي مسمومة بابي انت وامي يا رسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ولو دعوت مثلها علينا لهلكنا كلنا من عند آخرنا فلقد وطئ ظهرك وادمي وجهك وكسرت رباعيتك فابيت ان تقول الا خيرا اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون بابي انت وامي يا رسول الله لقد اتبعك في قلة سنك وقصر عمرك ما لم يتبع نوحا في كثرة سنه وطول عمره فلقد آمن بك الكثير وما آمن معه الا قليل بابي انت وامي يا رسول الله لو لم تجالس الا كفوءا لك لما جالستنا ولو لم تنكح الا كفوءا لك لما نكحت الينا ولو لم تواكل الا كفوءا لك لما واكلتنا وركبت الحمار ولبست الصوف ووضعت طعامك بالارض ولعقت اصابعك تواضعا منك صلى الله عليك انتهى • وبكى في كلام المصنف مخففة ولا يجوز تشديدها كما في المواهب اللدنية لانه يقال بكاه وبكى عليه اذا بكى لميت ونحوه في غيبته وبكاه وابكاه اذا حمل غيره على ان يبكي بوجه ما ولو كان هنا مشددا كان المعنى ان النبي صلى الله عليه وسلم بكى وليس هذا بمراد قطعا هنا وان سلم وروده بمعنى المخفف لقول الجوهري بكيت الشي مخففا ومشددا اي بكيت عليه لان الاستعمال على خلافه الا ترى قوله •

ولا يحزنكم مني ابتسام • فبفعل مضحك والقول يبكي •

غيره عليه به ويحتمل انه بكى النبي فما في المواهب خطاه على خطائه انتهى **فقال** اي عمر والفاء عاطفة لمفصل على مفصل كقوله ونادى نوح ربه فقال ولا تعقيب ولا تاكيد كما توهم **بابي انت وامي** هذا مما تقوله العرب لمن تريد تكريمه واظهار محبته اي لو نزل بك امر يقبل الفداء باحد من البشر بذلت في فداك ابوي فضلا عن المال وغيره وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقولها لمن يتلطف به من اصحابه وهذا الكلام

ثم ما قيل بعد وفاة النبي فخطابه بانت لتنزيله منزلة الحاضر لكونه نصب عينيه متمثلا خياله في صحيفة ذهنه وخطاب الاموات بمثله كثير غني عن شاهد وانت مبتدا والجار والمجرور خبر مقدم اي انت مفدى بابي وامي فلما حذف الفعل انفصل الضمير بصيغة المرفوع وتاخر والبا للمقابلة الدالة عليها الفدا او منع الثاني لا وجه له **لقد بلغ من فضيلتك** عند الله اي في علمه وحكمه وتقريبه منه ومن جوز فيها ان تكون زائدة في الاثبات على راي فضيلتك فاعل او المعنى بعض فضيلتك على ان من التبعيضية فاعل بملايمة المعنى كما جوز التفتازاني ان يكون مبتدا في قوله ومن الناس من يقول الاية اي بلغ بعض فضيلتك هذه المراتب الحسنة فما بالك بكلها وان بعثك مفعول على الوجهين لا فاعل ويكون كونها بيانية مقدمة على راي من جوزه كما تقدم **ان بعثك آخر الانبيا** اي جعل بعثتك الظاهر في آخرهم بحسب الزمان لتختم بك النبوة وتنسخ بشريعتك ساير الشرائع ويبقى دينك الى يوم القيمة **وذكرك في اولهم** بصيغة الماضي اي قدم ذكرك على ذكرهم في التفضيل **فقال واذ اخذنا الى آخره** ليدل على انك عنده اعظم من ساير الرسل واشرف وبهذا الذي قاله عمر علم ان هذه الاية دالة على ما عقد له المصنف الفصل وعلم مراده من ايرادها فالاشكال السابق ناش من عدم الوقوف على ما اراده وما مر من الاجوبة بمعزل عما قصده وهذا ما وعدناك به والاولية التقدم في الشرف والرتبة اي ان من خص بالذكر في الاية من اولي العزم مقدم في الرتبة على غيره فهم اول وانت منهم اولاهم فلذا قال في اولهم ولم يقل اولهم كما قال آخر الانبيا لانه خاتم لرسالة غيره مع التفنن البديع **بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده** فيما تقدم من بيان لمن **ان اهل النار** من امة الدعوة لك كلهم او بعضهم كما سياتي **يودون ان يكونوا اطاعوك** وروي لو انهم يكونون اطاعوك الود في الاصل المودة وهي دوام المحبة ثم صار بمعنى التمني فيقال وددت كذا او يود لو كان كذا اي يتمنون بعد دخول النار انهم كانوا اطاعوه في الدنيا والذي يمنع طاعته واتباعه **وهم بين اطباقها يعذبون** جملة حالية والاطباق جمع طبق وهي المنزلة المرتبة واحدا بعد واحد وما تراكب بعضه على بعض ويعذبون بيان لما اوقعهم دخولها وذكره لكشف حالهم ولو حذف تم المعنى **يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسول** يا اما للندا والمنادى نفسهم كقولهم • وهل تطيق وداعا ايها الرجل • او لبعض المعذبين او للزبانية وهو تجريد على الاول وضمير ليتنا للقايلين والمقول لهم المنادون وحذف المنادى مبادرة للتمني وما فاتهم اظهارا للتحسر وانهم لشدة العذاب عاجزون عن النطق كما قيل في قراءة يا مال ليقض علينا ربك بالترخيم واليه اشار العلا الموصلي بقوله هم •

• ما كان اعني اهل نار جهنم • اذ رخموا يا مال وسط جحيم •

• عجزوا عن استكمال كلمة مالك • فلاجل ذا نادوه بالترخيم •

ثم انه قيل المراد باهل النار بعض امته او اهلها عامة على انهم تمنوا ان يكونوا من مطيعي امته لو رايتهم حسن حالهم فتمنوا انهم ادركوا زمانه واطاعوه وحينئذ يستفاد فضل نبينا على غيره من الانبياء وتناسب الفصل ويعلم وجه ذكر المصنف له والا فكل طايفة جهنمية من امة رسول تود لو كانت اطاعت رسولها فلا يكون له حينئذ فضل على ساير هم من هذه الجهة وقال التجاني كلام عمر قاله بعد تحققه من ابي بكر موت النبي صلى الله عليه وسلم ورجوعه في ذلك الى قوله لما توفي وارتفع البكاء عليه ذهل الناس كما روي عن غير واحد من الصحابة انهم طاشت عقولهم ومنهم من خبل ومنهم من خرس ومنهم من اقعد فكان ممن خبل عمر فجعل يقول ان رجالا من المنافقين زعموا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توفي وانه والله ما مات ولكنه ذهب الى ربه كما ذهب موسى وغاب عن قومه اربعين ليلة ثم رجع

بعد اذ قيل قد مات والله ليرجعن رسول الله كما رجع موسى فيقطعن ايدي رجال زعموا انه مات
واما عثمان فاخرس حتى يذهب ويجي ولا يتكلم واقعد علي وبلغ الخبر ابا بكر وهو بالسنح وعيناه تهملان
وزفراته تتردد في صدره وهو مع ذلك جلد العقل والمقالة حتى دخل على رسول الله فاكب عليه وكشف
وجهه ومسحه وقبل جبينه وجعل يبكي ثم خرج الى الناس وهم في عظيم غمراتهم وشديد سكراتهم فقام فيهم
بخطبته المشهورة فلما فرغ منها التفت الى عمر بن الخطاب فقال يا عمر انت الذي بلغني عنك انك تقول
على باب النبي والذي نفس عمر بيده ما مات نبي الله اما علمت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم كذا
وكذا قال الله تع في كتابه انك ميت وانهم ميتون قال عمر فكاني والله لم اسمع بها في كتاب الله قبل ذلك
لما نزل بنا ثم قال اشهد ان الكتاب كما انزل وان الحديث كما حدث وان الله تع حي لا يموت وعنده نحتسب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم سقط رضي الله تع عنه الى الارض وجعل يبكي ويقول في بكائه بابي وامي
الى آخر ما ذكره المص وبما ذكرناه لك علم مناسبة ما ذكر من حال اهل النار لهذا الفصل فسقط ما يتوهم
من انه حشو غير مناسب فاعرفه **وقال قتادة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كنت اول الانبياء في الخلق**
وآخرهم في البعث هذا رواه البغوي والثعلبي مسندا عن قتادة عن الحسن عن ابي هريرة عنه صلى الله عليه
وسلم كنت اول النبيين ورواه ابو نعيم وابن ابي حاتم بسند فيه راو اسمه بشر مجهول وقال الغزالي اي كنت
بحسب التقدير ولم يرد العلم الازلي فانه لا ترتيب فيه بل علم الكل دفعة وانما اراد تقديره ما كان وما
يكون في اللوح او في علم تلك لما في صحيح مسلم مرفوعا ان الله عز وجل كتب مقادير الخلق قبل السموات
والارض بخمسين الف سنة الحديث فقدم هنا المقصود بالذات ويؤيده ما روي في بعض الطرق وكتبت
بالتاء الفوقية من الكتاب فالمعنى كنت اول الانبياء في تقدير الخلق وآخرهم في البعث لانه تع كتب مقادير
الخلق كلها كما مر ولا يجدي في حل الاشكال على الحديث الذي ذكره المص ما قيل من انه تع لما صور طينة آدم
اخرج منها ذرة نبينا ونبأها واخذ الميثاق عليها ثم اعادها الطين هذا في معنى حديث كنت نبيا وآدم
بين الماء والطين اي جعلني قبل نفخ الروح فيه كانه اخفى بين الماء والتراب الذي كانت منه طينته ونظيره
ما رواه ابو هريرة وآدم بين الروح والجسد اي ثبتت لي النبوة وآدم صورة بلا روح كما في شرح المصابيح
وحاصل الحديث الاول انه عليه السلام كان نبيا وآدم تراب بلا ماء يعجن به ليصير بعد ذلك طينا
على مجاز الاول • فان قلت اذا ريد بالحديثين تعلق علمه تع فما فائدة ذكر الماء والطين والروح والجسد
اجيب انه كلمهم على قدر عقولهم واراد ثبوتها عند الله زمانا طويلا وجوابنا عن الحديث الثاني وهو
انه اراد انه تع لما خلق آدم وحكم بانه سيكون من صلبه نبي آخر الزمان وجبت لي النبوة من ذلك الزمان
لان ما حكم به وعلمه كائن لا محالة وهذا لا ينطبق على اشكال الحديث الاول فالوجه ان يقال
المراد بالحديثين انه تع لما حكم بانه سيكون نبي يسمى آدم من الماء والتراب ومن صلبه نبي يسمى محمدا
في آخر الزمان وجبت لي النبوة وجوبا مستمرا قبل نفخ روح آدم فظهر بهذا المعنى قوله اني لخاتم
النبيين وآدم منجدل في طينته الى آخر ما فصله • اقول مجرد تقدم امر ظاهر ليس فيه تقدم
وجودي فالانسب ما قيل ان الله خلق روحه قبل الارواح ونبأها واخذ عليها الميثاق واعلم بذلك
الملأ الاعلى وذلك في عالم الذر وهو المراد بالاحاديث السابقة وعن كعب الاحبار ان جبريل قبض
من موضع قبره طينته منيرة عجنت بماء الجنة فصارت درة ذات شعاع فطافت الملائكة بها حول العرش
وفي السموات والارض فعرفه الخلق وفضله ونبوته قبل معرفة آدم وفي العوارف ان درة المصطفى
هي التي اجابت لما قال ائتيا قالتا اتينا طائعين ومنها دحيت الارض فهي الاصل والمراد ان نوره اول مخلوق
كما ورد في الاحاديث وهذا النور امر غير الروح وهو المنتقل في الاصلاب **فلذلك وقع ذكره مقدما**

قبل نوح وغيره من كلام قتادة تعليلا لكونه اول في الخلق وهذه اشارة في الآية وقيل بدل من
مقدما او وصف مبين لكيفية التقدم وفي نسخة على نوح وقد رواه القرطبي ايضا **قال السمرقندي**
في هذا تفضيل نبينا لتخصيصه بالذكر قبلهم هذا اشارة الى الكلام المذكور قبله اي فيه ما يدل
على تفضيله ويظهره او فيه ما ينشأ من تفضيله لكونه خصه بتقديمه على من ذكره وان كان في الآية
تفضيل لكل من ذكر لتخصيصه بالذكر بعد التعميم والثاني لا يختص به ففيه تفضيله من وجهين واما
تقديم نوح على ابراهيم وان كان المشهور ان ابراهيم افضل بعد نبينا فلتقدمه بالزمان او لانه اول رسول
مشرع او لما وقع له مما قاساه وصبر عليه **وهو آخرهم** زمانا وبعثا وخلقا فلا يرد عيسى عليه السلام اي
قدمه والحال انه آخرهم والتقدم في الذكر والكلام البليغ المعجز لا بد له من نكتة وهي اما التقدم بزمانه
او التقدم بذاته بحسب الشرف وقد انعدم الاول فتعين الثاني اذ لا وجه له غيرهما وان كان التقدم عند
الحكماء على وجوه خمسة منها هذان لان غيرهما لا مناسبة له بما نحن فيه وقد مر ان التقدم يجوز ان يكون
بحسب الوجود ايضا نظرا لروحه والحاصل انه للفضل الا ان الجهات مختلفة كذا في الشروح الا ان
قوله **المعنى اخذ عليهم الميثاق اذ اخرجهم من ظهر آدم كالذر** سواء كان من كلام السمرقندي او من كلام
المص يأبى ما قالوه لان المراد ان تقدمه في الذكر لتقدمه في اخذ الميثاق في عالم الذر كما نطق به
السياق والا لم يكن لذكره هنا التيام مع ما قبله والذر واحده ذرة وهي كما قاله التلمساني النملة الصغيرة
البيضاء والحمراء او جزء من مائة واربعة وعشرين جزءا من شعيرة وقيل جزء من الف وسبعة وعشرين
جزءا منها وقيل اصغر شيء لا يعلمه الا الله وعدي اخذ بعلى لتضمنه معنى التقدير لا التكلف كما قيل لانه
لا يتعدى بعلى وقوله اذ اخرجهم اي وقت اخراجهم كلهم على هيئة ذرات واعترض عليه بعض الشراح بان
هذا الميثاق وان كان في قوله الست بربكم الخ فهو شامل للنبي صلى الله عليه وسلم من غير بيان لتقدمه فيه
وكذا ان كان الميثاق الماخوذ في التبليغ والايمان بالمرسل السابق وقد ورد بان البغوي نقل تقدمه
في ذلك ومثله لا يقال من قبل الراي لنقله عن الله وقد تقدم ان الماخذ على نبينا كان قبل ذلك اليوم
فلعل ذلك كان في مرة اخرى والسمرقندي لم يرد ان تقدمه وهو كلام لا محصل له واخذ هذه الذرات
كلها سواء كان من ظهر آدم بغير واسطة او بواسطة اصولهم وآبائهم وتركيب العقل والادراك فيهم
لياخذ العهد والميثاق عليهم بالايمان به وليشهد على ذلك امر يؤمن به ويصدقه وان كنا لا نقف على
حقيقته كما هي فالبحث عنه كما في الشروح لا نتيجة له فينبغي الكف عنه كما ذهب اليه السلف وهو
ثابت في القرآن والاحاديث الصحيحة وفي قوله كالذر اشارة الى ان الذرية فعلية من الذر هو
وذالها مثلثة ويكون واحدا وجمعا وقيل انها من ذرأ الله الخلق فتركت همزته للتخفيف **وقال الله**
تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الآية الاشارة الى جماعة سبقوا في الذكر او معلومة
للمخاطب والجميع الرسل وما ورد من عدم الفرق والتفضيل بالنسبة لاصل النبوة او ما اول كما سياتي
وقال التفتازاني اجمع المسلمون على ان افضل الرسل محمد صلى الله عليه وسلم قيل ثم آدم وقيل نوح وقيل
ابراهيم وقيل موسى وقيل عيسى انتهى والراجح عندهم انه ابراهيم لما ورد في الحديث انه خير البرية
وقال السيوطي اتفقوا على العلم بان الافضل بعد نبينا ابراهيم ثم موسى وعيسى ونوح ولم يذكروا مراتب
تعيينهم انتهى وفيه نظر • واعلم ان القاضي بدر الدين المالكي صاحبنا قال في كتاب الابتهاج وقطع اللجاج في
في تفسيره المسمى بالاشارات الالهية في قوله تع اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده انه احتج
بهذه الآية على ان نبينا افضل من جميع الانبياء لانه امر بالاقتداء بجميعهم والاقتداء بفعلهم الاتيان
بمثل ما فعلوه ولا بد انه امتثل هذا الامر وحينئذ قد فعل وحده من الطاعة مثل ما فعل هؤلاء جميعهم

والواحد اذا فعل مثل فعل جماعة كان افضل منهم ويحكى ان هذه المسئلة وقعت في زمن العز بن عبد السلام فافتى فيها بانه عليه السلام كان افضل من كل واحد منهم لانه افضل من جميعهم فتما الاجماعة من علماء عصره على تكفيره فعصمه الله عز وجل منهم انتهى • اقول نحن لا نشك في انه افضل من كل واحد منهم ومن الجميع ايضا وما ذكره الطوفي ماخوذ من التفسير الكبير الا ان في الدليل بحثا لانه لا يلزم من اتيانه بكل ما اتى به كل واحد منهم الامثال وانه للمجموع لا افضليته عليهم وكانه الداعي للعز على ما قال الدليل قد يتوقف في المساواة ايضا فانك لو انعمت على اربع فاعطيت واحدا دينارا وآخر دينارين وآخر ثلثة وآخر اربعة كان لصاحب الاربعة زيادة على كل واحد دون جميعهم ما لغيره ولو اعطيته ستة كان مساويا لهم ولو اعطيته عشرة زاد عليهم فينبغي ان يقال انه ساواهم في العمل وزاد عليهم بانه اعلم منهم بالله واكثر من جميعهم خصايص ومعجزات وهذا التفضيل في القرب وعلو المنزلة وهو اكثرهم ثوابا وامته اكثر من جميع الامم واجرهم له الى يوم القيمة ولو كانت للناس مساكن بعضها فوق بعض كان الذي فوق الاخير اعلى من الجميع وفي الاية الآتية ايماء لهذا حيث ابهم وعبر برفع الدرجات دون ان يسميه ويقول انه اعظم او افضل فاعرفه • ثم اعلم ان قوله في تتمة الاية منهم من كلم الله فيه وجهان احدهما انه النبي ليلة المعراج ومنهم من قال ان المراد موسى في الاية هنا الاول وان كان الاشهر الثاني **قال اهل التفسير اراد بقوله ورفع بعضهم درجات محمد عليه السلام** اي رفع النبي عليه السلام على ساير الانبيا فالمراد ببعضهم محمد صلى الله عليه وسلم فابهمه للتعظيم ولانه لا يلتبس كما قيل

• وافول بعض الناس عنك كناية • خوف الوشاة وانت كل الناس •

وقيل المراد بالبعض اولوا العزم وقيل غير ذلك ولما ابهم اولا في التفضيل اخذ في التفصيل فقال منهم من كلم الله ومنهم من رفعه درجات ومنهم من اتاه المعجزات وغير الاسلوب في القسم الثاني بذكر بعضهم دون منهم وذكر رفع الدرجات الكثيرة كما يفيده التنكير اشارة الى نهاية هذا الفخر لغيره ونظيره قول الحماسي

• ومن الرجال اسنة مذروبة • ومزندون شهودهم كالغايب •
• منهم ليوث ما ترام وبعضهم • مما قمشت وضم حبل الحاطب •

وانه بعث الى الاحمر والاسود اي جميع الناس والعرب والعجم اي العرب وغيرهم او الانس والجن واشهر الاقوال الثاني والمراد بالاحمر الابيض مطلقا فان العرب تقول في المراة حمراء بمعنى بيضاء والبياض عندهم في صفة النبي النقاء من العيوب فاذا ارادوا اللون قالوا حمراء وهذا قول ثعلب من ايمة اللغة ورده في النهاية باستعمال الابيض في صفات الناس كثيرا كقول امرئ القيس

• مهفهفة بيضاء غير مفاضة • وجاء في الحلية الشريفة

ابيض اللون مشربا بالحمرة وعن انس ابيض كانما صيغ من فضة ولا منافاة بينهما لان الاول في نعت وجهه وقول انس في وصف جسده وعن البكري مثل ما قال ثعلب وعن جرير الاخطل او صفنا للخمر والحمراء اي النساء الحسان ولا منافاة بين القولين ايضا لان العرب اذا مدحت الناس بالبياض مطلقا يعني بياضا مشربا بالحمرة لان البياض الخالص كبياض الجص غير ممدوح في الناس لقربه من البرص والممدوح منه ما خالطه حمرة من الدم او صفرة حقيقة والبه اشار بقوله كانهن بيض مكنون ولذا يشبه بالدر وهذا كله باعتبار الاغلب وما ورد في المثل الحسن احمر محمول على هذا او على انه يرتكب المشاق والشدايد التي تحل على اراقة الدم هذا هو التحقيق والعرب تغلب على الوانهم السمرة والادمة فلذا عبر عنهم بالاسود **واحلت له الغنائم** جمع غنيمة

من الغنم وهو الكسب والربح ويقابله الغرم وهو ما يوخذ من مال الكفار قهرا ولم تكن الغنيمة تحل للامم السالفة كالصدقة لان منهم من لم يؤمر بالجهاد ومنهم من امر به ووضع الغنايم فتنزل نار من السماء تحرق ما يقبل منها كالصدقات والذبايح فلم تحل لاحد قبله وكانت الامم لا تتصرف في مال الغنايم مما لم تاكله لانفسها وهذا هو الذي عد من خصايص نبينا وامته وبهذا يجاب عما ورد في بعض الاحاديث الدالة على انه كانت لهم غنايم **وظهرت على يديه المعجزات** اي اظهر الله له معجزات لم تكن لغيره من الانبيا فما معجزة لنبي الا وله مثلها او اعظم مع زيادة معجزات باهرة لا يقاربها شي من المعجزات كانشقاق القمر ولو لم يكن الا القران الذي لا يشبهه معجزة اذ فيه ما لا يحصى لكماه هم

• فمبلغ العلم فيه انه بشر • وانه خير خلق الله كلهم •

ولم يقل ظهرت له المعجزات واتى بالبدين اشارة لعظمها وكثرتها لانه كانه يظهرهم بكلتا يديه ظهورا محسوسا مشاهدا مكشوفا لا خفاء فيه حتى نطق بها الحيوانات العجم والجمادات وبهذا ظهر نظمها في سلك الخواص **وليس احد من الانبيا اعطي فضيلة او كرامة** قيل المراد بالفضيلة ما في ذاته العلية والكرامة ما اكرمه الله به مما يشمل المعجزات وغيرها والاول ما فضل به على غيره والثاني اعم وهما وان اتحد المعنى متغايران مفهوما او الاول ما اقترن بدعوى الرسالة والثاني ما لم يقترن بها والظاهر من العطف باو ان يفسر بما يقتضي تغايرهما كما لا يخفى **الا وقد اعطي محمد عليه السلام مثلها** اي ما هو من جنسها ونوعها وما هو مشابه لها بحسب الظاهر وان كان اعظم منها في الحقيقة كانشقاق القمر له المقابل لانفلاق البحر لموسى كما قلت

• شهد البدر انه زاد حسنا • من جميع البدور وازداد خلقا •
• ثم لما راى الشهادة ترضى • ان يبيت فشق في الحال شقا •

في هذه الجملة التي بعد الاخلاق فذهب الزمخشري الى انها صفة والواو زايدة للالصاق اي لا فضلية ذات صفة من الصفات الا هذه الحال والتقدير مرئيا اعطاه مثلها او مقدرا التقاء صاحبها وفيه ان المراد اعطاء المثل لا تقديره واراد نعم انه لا تاتي في نحو لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح وقيل يجوز الاكتفاء بالمقارنة الادعائية بجعل ما لم يتحقق كالمحقق او المعنى ان الله تعالى اعطاه ذلك في زمن اعطاء الانبيا وقد ذهب المفسرون في قوله تعالى يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة اي تتبعها حال وبين النفختين اربعون سنة لاعتبار مدة الخراب الى اخر الدنيا زمنا واحدا ممتدا ويمكن اعتباره هنا بلا تكلف وقول الرضي المقارنة في الحال اغلبية كما في خرج الامير صايدا غدا بجعل المقروم عليه كالواقع ياباه قول النحاة ان الحال هيئة للمعمول حين تعلق العامل به فلا تغيير يقتضي ان لازم المقارنة استثناء الا انها قد تترك ظاهرا فيجب التاويل ولا يخفى ما فيه من الاضطراب وقوله مثلها يفيد تفضيله على الانبيا كما سمعته ايضا في قوله تعالى فبهداهم اقتده ولا يحتاج الى ان يقال مع تفضيله بمثل انشقاق القمر وغيره او جعل كرامات امته كرامة له **وقال بعضهم** تقدم الكلام عليه واعاده هنا اشارة الى انه من المفضلين باعتبارين **ومن فضله** معطوف على مقدر كالعطف التلقيني اي من فضله ما ذكر **ان الله تعالى خاطب الانبيا باسمايهم وخاطبه بالنبوة والرسالة في كتابه** اي القران الكريم **فقال يا ايها النبي ويا ايها الرسول** وقد مر انه باعتبار الاغلب تعليما للامة ولذا نهاهم ان ينادوه باسمه فقال لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا وهذا مخصوص بحياته كما تقدم **وقال السمرقندي** تقدم الكلام عليه **عن الكلبي** محمد المفسر

او هشام ابيه وقد تقدم ايضا في قوله تعالى وان من شيعته لابراهيم ان الهاء عائدة على محمد
صلى الله عليه وسلم وان لم يتقدم ذكره لدلالة الكلام عليه فكانه مذكور في قوله ثم ولابويه لكل واحد
منهما السدس اي الميت والشيعة الاتباع والمعروف في كلام العرب اطلاقه على المتاخر زمانا وقد
يطلق على المتقدم كما في قول الكميت

وما لي الا آل احمد شيعة • وما لي الا مشعب الحق مشعب •

لان من كنت على منهاجه ودينه فهو على منهاجك ودينك ايضا واذا اضيفت الشيعة للمتقدم افضت
تفضيله بالطريق الاولى لان العدول عن المعروف لابد له من نكتة وليست الا التفضيل الا ترى
ان ابا نواس لما قال كيف يدانيك من اهل من رسول من نفره ومن شيعته شنعوا عليه كما سياتي
لاقتضائه تفضيل محمد وجه ولا فرق بين من نفره ومن شيعته • فان قلت هذا يقتضي تفضيل نوح
على ابراهيم على القول بان الضمير راجع اليه مع ان ابراهيم افضل منه كما تقدم • قلت قد عرفت انه
انما يفيد التفضيل اذا اضيف للمتاخر ونوح متقدم وهو آدم الثاني واول الرسل والشرائع متفقة
في الاصول فجعل من كان على نهجه من ذريته شيعة له لا يدل على ما ذكر مع ان المفضول قد يفضل من جهة
على الافضل ويحتمل انه ابراهيم جعل من شيعة نبينا لما مر من تقدم خلقه ونبوته عليهم وعلى كل حال
فالآية دالة على تفضيله بالتفضيل على الافضل على الجميع وهو المقصود فلذا قدم هذا القول
اي على دينه ومنهاجه اي طريقه الواضح من نهج الامر اذا وضح والمسابقة المتابعة والموافقة
والمراد الموافقة فيما ذكر واختاره الفراء وحكاه عنه مكي تقدم الكلام عليهما وترجمتهما واشار
بهذا الى انه قول صحيح منقول عن المفسرين لان منهم من ضعفه وادعى انه بعيد وانما اخره ومرضه بقوله
وقيل المراد نوح عليه السلام هو القوي الصحيح وفي نسخة مكان اختاره اجازه بالجيم والزاي
المعجمة على انه بمجرد احتمال لما بين نبينا والخليل من المناسبة التامة الظاهرة وهذا لا يفيد
تفضيل نوح على ابراهيم كما سمعته آنفا والمراد بكونه من شيعته انه من نسله وعلى منهاجه في الدين
والتوحيد ومشابهته له لان نوح ابو الناس وابراهيم ابو الانبياء والعرب والى هذا ذهب اكثر
المفسرين لظهوره لتقدم ذكر نوح ولذا قيل ان بينهما مجرد التفضيل لا التمريض وانه عادته في هذا
الكتاب

• الفصل الثامن في اعلام الله خلقه بصلاته عليه وولايته له •

اي بنصرته وتاييده لا بمعنى توليته والواو يجوز فيها الفتح والكسر فمن اقتصر على الثاني فقد قصر
قال في المصباح وليت الامر اليه ولاية بالكسر توليته والولاية بالكسر والفتح النصرة انتهى
ورفعه العذاب بسببه روي رفعه بالراء والدال والفرق بينهما لان الرفع بعد النزول والدفع
قبله ولذا قالوا الدفع اسهل من الرفع قيل وهذا هو المناسب لقوله ووروده العذاب كما سياتي والرفع
قد يجيء بمعنى الدفع كما في رفع القلم عن الصبي وكذا الدفع يجيء بمعنى الرفع والاول هو الاصل المتبادر
ثم ان المصنف اختار اللف على عكس النشر لانه الاصل الكثير في كلامهم كما صرح به النحاة وان جعل اهل
المعاني كلا منهما من فنون البلاغة وتسميته هذا مشوشا يقتضي مرجوحيته عندهم قال الله
تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم قيل هذا يدل على عدم التعذيب وقوله وما لهم ان لا يعذبهم
الله على التعذيب فقيل الثانية ناسخة بناء على جواز نسخ الخبر وخلف الوعد وكل منهما مقيد بوقت
والى ذا اشار بقوله اي ما كنت بمكة اي انتفى تعذيبهم مدة كونك مقيما بمكة معهم او المثبت
مطلق التعذيب والمنفي عذاب الاستيصال كما قاله الزمخشري فلما خرج النبي صلى الله عليه وسلم

من مكة

من مكة وبقي من بقي فيها من المؤمنين نزل وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون هذا
منقول عن ابن عباس وغيره من السلف كما في تفسير ابن الجوزي قالوا كان النبي صلى الله عليه وسلم بمكة
فانزل الله وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم فلما هاجر اخرج الى المدينة وبقي المستضعفون من المسلمين بمكة
يستغفرون انزل الله وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فلما خرجوا انزل الله وما لهم ان لا يعذبهم الله
فاندفع التدافع بين الآية الاولى والثانية على قول من جعل مفادها انتفاء التعذيب لوجود الاستغفار
وبين الثالثة اذ المراد انهم يعذبون بعد خروج النبي صلى الله عليه وسلم ومن بقي من المسلمين بعد ان
كانوا وهو فيهم او وهم يستغفرون ومنهم من قال بنسخها الاولى وفيه ما تقدم ومقتضاه عود ضمير
معذبهم للكفار بمكة وعود ضميرهم للمؤمنين الباقين بعده لفهمهم من السياق وان لم يتقدم او عود كلاهما
الى الفريقين على انهم وصفوا بصفة بعضهم كبني فلان قتلوا قتيلا والقاتل واحد منهم واما عود كليهما
الى المؤمنين فقول آخر اسنده المصنف لبيانه الحديث وان قال التجاني فيه انه غريب لانه يدور على اسمعيل بن
مهاجر وهو ضعيف عند المحدثين وقول التلمساني انه ابو بشر الاسدي قيل انه وهم وقيل مفاد الآية الثانية
نفي الاستغفار عن كفار مكة وانها ليست كالاولى في انتفاء التعذيب لوجود الاستغفار كانتفائه
لوجود النبي فيهم لان استحقاق العذاب يدل على عدم ما اذ لو استغفروا ما استحقوه وفي حواشي الفاضل
اليمني انه نوع من الكناية نظيره وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون فان الاهلاك دليل على
افسادهم اذ لو اصلحوا ما اهلكهم انتهى وفي تفسير ابن الجوزي معنى الآية على قول لو استغفروا ما عذبهم
ولكنهم لم يستغفروا فاستحقوا العذاب كما تقول ما كنت وانت تكرمني اي ما كنت لاهينك لو اكرمتني
فاما اذ لست تكرمني فانت مستحق لاهانتي وهو مختار اهل اللغة وتغيير الاسلوب نفيا للاشعار بان
عدم عذاب المستغفر امر مستمر وقيل تعذيبهم وارد على الاصل وعبر بالفعل والاثبات ودخول اللام
على خبر كان لتاكيد النفي وافادة المبالغة في نفي التعذيب بسببه وبالاستغفار وظهر الفرق بين مقامه
ومقامهم حتى لو قيل معذبهم فيهما لم يظهر وهذا على راي الكوفيين من ان اللام في مثله زائدة لتاكيد
النفي وعند البصريين انها جارة متعلقة بخبر كان المقدر فيما كان زيد ليفعل اي قاصدا لان يفعل
وعلى هذا تفيد المبالغة ايضا لان نفي القصد ابلغ من نفي الفعل • ولذا قالوا في قوله •

• شعر • يا عاذلي لا تروادن ملامتي • انه ابلغ من لا تلومني • فان قلت ان كان المراد المنفي
فقد انتفى ببعثته فلا وجه لتقييده وان كان المثبت غيره لا حاجة لتقييده بالخروج • قلت اجيب
بان المنفي استيصال الكل كافر والمقيد من هو فيهم او نفي مطلقا ومقيدا والتقييد في المثبت لبيان
الواقع ونزول الآية فيه وخصوص المورد لا ينافي عموم الحكم وهذه اجوبة متكلفة باردة والحق عندي
انه لا منافاة بين الآيتين لان قوله وما لهم ان لا يعذبهم الله معناه اي شيء لهم استحقوا به عدم العذاب
في انفسهم فان حل بهم فباستحقاقهم والا فبحكم منه وليس فيه انه نزل بهم عذاب حتى يتكلف لدفعه
وان قلنا المنفي الاستيصال فالقيد مبين لسببه وهو وجوده بين اظهرهم واستغفار مؤمني
امته وهذا امر غير منقطع اذ ليس المراد استغفار المستضعفين فقط والمثبت غير الاستيصال له
انواع كثيرة كالقحط والقتل والاسر والواقع بعد خروجه غير ما كان قبله فالتقييد في محله كما لا يخفى
ومعنى قوله وهم يستغفرون اي وفيهم مؤمن اي وفي اصلابهم من سيؤمن ويستغفر وهذا كله بسبب
النبي عليه الصلاة والسلام ففيه من مدحه والتنويه بشانه الاستغفار ما لا يخفى وهذا مثل
قوله لو تزيلوا الآية هذا اشارة الى ما ذكر من رفع العذاب عن اهل مكة بسببه وبسبب اصحابه وما
لاصحابه انما هو ببركته ايضا • ولاجل عين الف عين تكرم • واما ما لهم ما ذكر في هذه الآية ايضا

وهي قوله في سورة الفتح لولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم ان تطؤهم فتصيبكم منهم
معرة بغير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا اليما ومعنى تزيلوا
تميزوا وتفرقوا اي تميز المتقون من الكفار بخروجهم من بينهم وروى القرطبي عن النبي عليه السلام
ان معناه لو تزيل المؤمنون عن اصلاب الكفار واستشكل بان الوصف بالوطء والمعرة لا يصح في الذين
في الاصلاب واجيب بانه يجعل مرجع الضمير الموجودين على الاستخدام اي لو انتفى الامران عذبنا اي
لولا كراهة ان توقعوا رجالا ونساء مؤمنين مجهولين بالقتل ووطء الخيل فيلحقكم معرة اي عيب وعار
من جهتهم او من المشركين بقولهم انكم قتلتم اهل دينكم لعذبنا اهل مكة عذابا اليما بالقتل وان تطؤهم
بدل من المرفوع بتقدير كراهة ان غلب الرجال على النساء في الضمير وجواب لولا محذوف لدلالة لولا
وجواب لو عليه وسده مسده لاتحاد معناهما بالا وبقية الكلام على الآية مفصل في كتب التفسير
وقوله ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات الآية هذا مع قبله كلام وهذا مقدم في التلاوة وانما
اخره المصنف وافرده عما تقدم عنه مع انه من تتمته للتنبيه على ان الاستشهاد لما قاله بموضعين من هذه
الآية وان قوله لو تزيلوا ليس تاكيدا لما قبله ولعذبنا جواب الاول كما جوزه بعضهم فلذا استشهاد فيه
فاشار بعكس الترتيب الى رده بابلغ وجه والحاصل ان بين الكفار جماعة مسلمون لم يعرفوهم لولا كراهة
ان يوقعوا بهم من غير علم فتصيبكم ما تكرهون من الغرم والدية لعذبنا الكفار بتسليطكم عليهم وعن
الضحاك لولا جماعة في الاصلاب والارحام يكره ان يطؤا آباءهم وامهاتهم فيلحقكم المعرة بانهم لولم
يقتلوا جاءت امة مسلمة منهم كما مر او لولا من علم الله انه سيؤمن منهم وبالجملة فالمراد ان وجود المؤمنين
مانع وان اختلفت جهة المنع **فلما هاجر المؤمنون** من مكة ولم يبق احد منهم مختلطا بالكفار نزلت
آية **وما لهم ان لا يعذبهم الله** فيوقع بهم القهر والقتل وهو اعتذار عن الرجوع من الحديبية **وهذا
من ابين** اي من اظهر شيء في رفعة قدره عند ربه كما اشار بقوله **ما يظهر من مكانته صلى الله عليه
وسلم** وقوله **ودرايه** بدال مهملة مفتوحة وراء مهملة ساكنة تليها همزة مقصورة وضميره للنبي
صلى الله عليه وسلم كما في اكثر النسخ المصححة وفي بعضها درايته بتاء مصدر درأه درأة الضربة
وهي بمعنى ما قبلها ايضا درأته فعل ماض بعده جار مجرور متعلق به وفي شرح الشريف انه في غالب
النسخ معطوف ومعناه يظهر بتكلف او حال وفي بعض النسخ بالعذاب وهو من غلط الكتاب والصواب
العذاب ثلاثا وفي حواشي التلمساني درأته وقال هكذا في نسخة الشارح بكسر الدال المهملة وسكون
الراء وتاء اي دفعته ومنه قوله ويدرؤ عنها اي يدفع قال ودرأته معطوف على قوله من ابين ما يظهر
مكانته ووقع بخط العوفي وهو الذي عند سيدي ابي الحسن ودرأته فعل انتهى وعلى الاول وهي الاصح
هو منصوب معطوف على مكانته **عن اهل مكة بسبب كونه** اي وجوده فيها **ثم كون اصحابه
بعده بين اظهرهم** ثم اشارة الى مكثهم مدة متطاولة والبعد باعتبار آخر المدة او هي للتراخي الرتبي
واما جعلها للتعقيب بلا مهلة فغير ظاهر وبين اظهرهم بمعنى الاقامة معهم يقال هو نازل بين ظهرانيهم
بفتح النون قال ابن فارس ولا يكسر وقال جماعة الالف والنون زائدتان للتاكيد وبين ظهريهم
واظهرهم كلها بمعنى بينهم وفائدة ادخاله في الكلام ان اقامته بينهم على سبيل الاستظهار بهم والاستناد
اليهم وكان المعنى ان ظهرا منهم قدامه وظهرا وراءه فكانه مكنوف من جانبيه هذا اصله ثم كثر حتى
استعمل في مطلق الاقامة هذا ما دل عليه اهل اللغة كما في المصباح والنهاية وتفسيره بالعزة او
تقدم الفتنة والظهور لان الظهر الظهرين غير مناسب للغة وحال المستضعفين **فلما خلت
مكة منهم** اي من الصحابة **عذبهم الله** اي كفار مكة **بتسليط المؤمنين عليهم وغلبتهم اياهم**

وليس فيه تفكيك الضماير لظهور المعنى وليس الظاهر ان يقول بغلبتهم بدل بغلبتهم على توهم ومثله
مما لا يلتفت اليه **وحكم فيهم سيوفهم** حكم بالتشديد اي جعلها حاكمة على رقابهم وهي استعارة لطيفة
اي جعلهم في قهرهم متمكنين من قتلهم والتصرف فيهم ولذا كان الانسب التعبير بالغلبة قبله
واورثهم ارضهم وديارهم واموالهم ان فسرت الارض بما لا بناء فيه مما يعد للزراعة ونحوها والديار
بالمساكن المبنية والاموال بما عدا ذلك من المتاع والانعام والنقود وساير المنقولات وهي متغايرة
والعطف ظاهر وليس فيها عطف خاص على عام كما قيل بان يحمل الاموال على مطلق ما يملك والتعبير
عن الحيازة والتملك بالارث مجاز مشهور صار حقيقة فيما ذكر والتعبير به هنا فيه لطف لما بينهم
من القرابة وفي كلامه ما يرشد الى ان مكة فتحت عنوة كما ذهب اليه ابو حنيفة والجمهور كما جزم به البرهان
الحلبي هنا وتبعه بعض الشراح وما قيل من انه لا ينافي كونها فتحت صلحا كما توهم لا وجه له وفيها قول
ثالث بعضها فتح صلحا وبعضها فتح عنوة ثم ان البرهان استطرد هنا ذكر خبر مكة وتفصيل فتوحاتها
باعتبار الصلح والعنوة والصحيح ان فتح مكة عنوة عند امامنا الاعظم كما مر **وفي الآية ايضا تاويل
آخر** تعريف الآية للعهد والمراد بها وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون
والتاويل السابق محصله ان الله لا يعذب الكفار وانت فيهم ولا يعذبهم ايضا وبقية الصحابة
فيهم يستغفرون الله فضماير الغيبة للكفار الا ضمير هم وضمير يستغفرون ولذا ذهب بعض الشراح
الى ان المراد بالتاويل الآخر جعل الضميرين الاخيرين للكفار والجملة حالية اي ما كان الله معذب
الكفار لو تابوا واستغفروا من كفرهم واختاره الطبري وهو اشارة الى ما سبق في علم الله تعالى من
ان منهم ومن ذريتهم من يسلم اي ما كان الله معذبهم ومنهم من يخرج فيؤمن ويستغفر واختاره الزجاج
او هو اشارة الى قولهم في دعائهم غفرانك اللهم فجعله الله امانا لهم واختاره ابن عطية في قوله ايضا اشارة
الى التاويل السابق والى غيره من الايات المؤولة ولا مشاحة فيه كما قيل وفيها تاويلات كما مر من ان
المنفي الاستيصال في الدنيا والمثبت عذاب الآخرة او الاوليان من مقالة الكفرة والثانية ردهما
وقيل ان المصنف اشار الى ما يفهم من الحديث من ان حياته واستغفار المومنين مطلقا دافع للعذاب او المؤمن
لا يعذب ما دام مستغفرا وضمير الغايبين للمؤمنين اي ما كان الله ليعذب المؤمنين بضرب من عذاب
من قبلهم وانت حي وهم يستغفرون او الآية على تاويلها الاول ولكن اذا لم يعذب الكفار بهذين الشيئين
فالمؤمنون بالطريق الاولى ففيها امان للفريقين والامة في الحديث امة الدعوة وان كانت في بعض التاويلات
امة الاجابة **حدثنا القاضي الشهيد ابو علي** ابن سكرة الحافظ وقد تقدمت ترجمته **بقراءتي عليه**
اي لا بالسماع وغيره من وجوه الرواية **حدثنا ابو الفضل بن خيرون** تقدم الكلام عليه ايضا **وابو الحسن
الصيرفي** قال البرهان كان في الاصل ابو الحسن فصحح في الطرة الحسين بالتصغير وهو الصواب وهو
المبارك ابن عبد الجبار كما تقدم وقد وقع له ذكر في اول فصل في تفضيله في القيمة وكتبه ابو الحسن
ايضا ولم ينبه عليه احد فكن تجاهه تمام **قال حدثنا ابو يعلى بن زوج الحرة** هو احمد بن عبد
الواحد بن محمد بن جعفر وقد تقدم الكلام عليه وعلى الحرة بضم الحاء المهملة وتشديد الراء والها **حدثنا
ابو علي السنجي** الحسن بن محمد وقد تقدم الكلام عليه وضبط السنجي بكسر السين المهملة والنون الساكنة
والجيم والنسبة بياء **محمد بن محبوب المروزي** تقدم الكلام عليه وعلى نسبته وانه راوي جامع الترمذي
عنه **حدثنا ابو عيسى الحافظ** هو الامام الترمذي صاحب السنن وتقدم الكلام عليه **حدثنا
سفين بن وكيع** ابو محمد بن الجراح الكوفي وله ترجمة في الميزان وهو ممن ضعفه الذهبي توفي سنة سبع
واربعين ومايتين وروى عنه في السنن **حدثنا ابو نمير** بالنون والميم آخره راء مهملة بصيغة التصغير

وهو محمد ابو عبد الرحمن بن عبد بن نمير الامام المحدث الهمداني الكوفي توفي سنة اربع وتسعين ومائة
وقيل سنة اربع وثلاثين ومائتين وهو الاصح عن اسمعيل بن ابراهيم بن مهاجر وابن مهاجر سقط من بعض
النسخ وهو محكي من تبع التابعين وقول التلمساني انه ابو بشر الاسدي قيل انه وهم منه وفي التقريب انه
ابن ابراهيم بن نعيم وهو ثقة وابن مهاجر ضعيف عن عباد بن يوسف بفتح العين المهملة وتشديد الموحدة
وهو كندي حمصي ثقة وقيل اسمه عبادة والذي صححه المزي وابن حجر الاول وهو ثقة مقبول الرواية عن
ابي بردة عامر بن عبد الله وبردة بضم الموحدة وهو ثقة توفي سنة اربع ومائة على قول عن ابيه ابي موسى
الاشعري الصحابي المشهور واسمه عامر بن عبد الله بن قيس وقيل الحارث احد الحكمين توفي بمكة او
بالكوفة سنة اربع واربعين او اثنين وخمسين ومائة وبنسبته الى اشعر لقب لابي القبيلة المعروفة
باليمن لقبه به لانه ولد وعليه شعر وهذا الحديث اخرجه ابن ابي حاتم عن ابن عباس وابي هريرة موقوفا
بمعناه وهو حديث غريب ضعيف وفيه نظر انزل الله تعالى علي اي اوحى الي بقرآن يدل على
امانين لامتي اي شيئين فيهما ما يدل على ان الله تعالى امن امتي من العذاب بهما وهما قوله وما كان الله ليعذبهم
وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون قد تقدم ان الايتين في المومنين او الكفار او ق
فيهما وكذا هذا الحديث محتمل لذلك لان الامة امة الدعوة او الاجابة فما قيل ان مقتضى الحديث شمول
الاية للمومنين وظاهر النص بالطريق الاولى وانه صلى الله عليه وسلم علم منهما عموم الحكم وحمل الحديث على
الكفرة بعيد جدا وعلى ظاهر الحديث يجوز عود الضمير في الاية على الامة لكونه فيهم مدة حياته سواء
كانوا مومنين او كافرين فيعم الحكم بنوع تكلف كلام مضطرب متكلف فاذا مضيت اي ارتحلت للاخرة
وتركت فيكم وفي رواية فيهم اي خلفت بعدي بضم تاء المتكلم الاستغفار اي اذا مت بقي الامان
الاخر فاذا تركتموه حل بكم العذاب جزما او احتمالا والاستغفار هو الدعاء بالمغفرة المعروف وقيل المراد
به الصلاة وقيل الاسلام على رواية فيكم فيه التفات من الغيبة للخطاب اشارة الى ان انتفاء التعذيب
عنهم بالاستغفار دون انتفائه بكونه فيهم وبه يعلم وجه قوله ليعذبهم اولا دون معذبهم وهو مناف
لنزول صدر الاية بمكة وعجزها بعد خروجه وترك نفيه المومنين بها كما قيل وفيه نظر نحو منه متعلق
بنحو لتضمنه معنى قريب اي فيه نوع مماثلة لما قبله بحسب المعنى من رحمة الكفار بتاخير العذاب قوله
تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين اي لجميع الخلق حتى الكفار والجماد والحيوان لاصلاحهم
واسعادهم في امور معاشهم ومعادهم وامنهم من الخسف والمسخ وعذاب الاستيصال وغير ذلك مما نزل
بالامم السالفة وكل ذلك ببركته صلى الله عليه وسلم قال عليه السلام انا امان لاصحابي كونه
امانا لاصحابه من كل ما يخافون امر وقطعي وهو اعم مما حكاه المصنف بقيل وينبغي ان يكون هذا مندرجا
تحت قوله وولا بنده له كما قيل وهذا الحديث رواه مسلم عن ابي موسى قال صلينا المغرب مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم قلنا لو جلسنا حتى نصلي العشا فخرج علينا فقال ما زلتم ههنا قلنا يا رسول الله
صلينا معك المغرب ثم قلنا نجلس حتى نصلي معك العشا فقال احسنتم ورفع راسه الى السما وكان كثيرا
ما يرفعها فقال النجوم امنة للسما فاذا ذهبت الى السما ما توعد وانا امنة فاذا ذهبت الى اصحابي ما يوعدون
واصحابي امنة لامتي فاذا ذهبت اصحابي اتى امتي ما يوعدون فما ذكره المصنف رواية موافقة لرواية
مسلم او هي رواية مسلم بالمعنى لان امنة بفتحتين مصدر بمعنى الامان وان ورد جمعا لامين بمعنى
الحافظ لخدمه كما في النهاية والمراد الاول لقول ابن مسعود كان امانا لهم والاستغفار فهاجر وبقي
الاستغفار كما رواه في اللباب ومن هنا علم انه يجوز ان يكون معنى مضيت هاجرت فلا التفات وان
احتمل ايضا والمراد بذهاب النجوم انتثارها اذا الكواكب انتثرت وما توعده السما انفطارها

وتبديلها

وتبديلها المذكور في قوله اذا السما انفطرت ويوم تبدل الارض وهو تمثيل وايماء الى اصحابه
كالنجوم في الامة وما اوعدت به اصحابه الفتن والردة بعده والموعود به الامة ما انذرهم به من
البدع والاختلاف والهرج وغلبة الروم وتخريب مكة والمدينة وغير ذلك مما كان اكثره وبقي ما لا
شك في كونه وفيه دلالة على ظهور الشر بعد ذهاب اهل الخير وانه ما دام حيا لم يقع شي من ذلك
ولولا اختلاف بعده وقع الاختلاف ثم لما انقرض الصحابة قويت الظلم لذهاب الانوار كالسما عند
ذهاب النجوم فقبل الامان المذكور ما كان في حياته لا في حياته ومن بعده كما توهم كما لا يخفى فما حمله عليه
اخطا وفيه نظر قيل من البدع جمع بدعة وهي ما لا يعلم من الشرع لا صريحا ولا استنباطا وليست
كلها مردودة كما يوهمه قوله كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار فان الفقها قالوا تجري فيها الاحكام
كلها فمنها ما هو حرام كانواع السياسة التي لم تكن في العصر الاول ومنها ما هو مكروه كتكبير العمايم
وتوسيع اللباس وتطويله ومنها ما هو مباح كاحداث بعض الاطعمة ومنها ما هو واجب كتدوين علم
الكلام التي يلزم بها الكفرة واهل الاهواء ومنها ما هو مستحب كاحداث المدارس والرباطات
وقد استوفى اقسامها ابن الحاج في المدخل وهو كتاب لم يصنف في بابه مثله وان كان فيه امور
غير مسلمة وقيل من الاختلاف والفتن المراد بالاختلاف ما يشمل الخلاف وهو مخالفة العلماء
والفقها والحكام من غير دليل معمول به وان كان ذلك مطلقا لم يقع في حياته صلى الله عليه وسلم
لمعرفة حقيقة كل امر بالوحي واما الاختلاف الذي وقع عنده كما ورد في الاحاديث الصحيحة من
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في مرضه ايتوني بدواة اكتب لكم كتابا لا تضلون من بعدي فقال
عمر ان الرجل ليهجر حسبنا كتاب الله فلغط الناس فقال اخرجوا عني لا ينبغي التنازع لدي
فقال ابن عباس الرزية كل الرزية ما حال بيننا وبين كتاب رسول الله وهذا مما شنع به الروافض
على عمر قال صاحب الملل والنحل هو اول اختلاف وقع في الاسلام وقال ابن تيمية في كتاب الرد
على الرافضة لا يخفى ان عمر ثبت من فضله وعلمه ما لا يثبت لغيره وقد قال صلى الله عليه وسلم ان
يكن فيكم محدث فعمر وقصة هذا الكتاب قد جات مفصلة في الصحيحين عن عايشة انه عليه السلام
قال في مرضه ادعي لي اباك واخاك حتى اكتب كتابا فاني اخاف ان يتمنى متمن ويقول قايل
انا اولى بالخلافة ويابى الله والمومنون الا ابا بكر وقد اشتبه على عمر قوله هذا هل كان من شدة
المرض ام لا والانبيا غير معصومين عن اعراض المرض ولذا عبر بالرجل وقال اهجر ولم يجزم بانه
هجر وعلم ان الكتاب لا يرفع الشك واما قول ابن عباس الرزية الخ فلان الحايل عنه رزية في حق
من شك ومن توهم انه خلافة علي فهو ضال والحاضرون جماعة يجي منهم جحده ولو كتب فلذا ترك
لتحقق ما فيه عنده انتهى وحديث اختلاف امتي رحمة لم يثبت وهو مأول ايضا والصحابة عند
الاختلاف يجتهدون في ادراك الوقايع والاتفاق اولى على كل حال وقد يودي الخلاف الى ما لا
ينبغي قيل والحق اذا غفل واخطا فله اجر كما انه اذا اصاب له اجران ولا يضره خطاوه بل ينفعه
اقول هذا وان اشتهر فقد قال ابن عبد السلام الحق خلافه والحديث الذي رواه عمرو بن العاص
انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا حكم الحاكم واجتهد واصاب فله اجران وان حكم واجتهد
ثم اخطا فله اجر قال ابن عبد البر في كتاب العلم اختلف العلما في تاويل هذا الحديث فقال قوم لا يوجر
من اخطا لان الخطا لا يوجر احد عليه وحسبه ان يرفع عنه الاثم وردوا هذا الحديث بحديث
بريدة القضاة ثلاثة وبقوله تجاوز الله لامتي عن خطايها ونسيانها وقوله ليس عليكم جناح فيما
اخطاتم به ونحوه وقال اخرون يوجر اجرا واحدا لظاهر الحديث وقال الشافعي يوجر لا على الخطا

لان الخطا في الدين لم يؤمر به احد وانما يوجر لارادته الحق الذي اخطاه وسعيه فيه انتهى وهو
معنى لطيف جمع به بين القولين والفتن جمع فتنة واصل معناها الاختبار فاطلقت على المصايب وما
يختبر به والمراد بها الحروب والارتداد وكل ما جرى بعده بين الصحابة فهو عام ومناسبته للترجمة
ودخوله في ولايته ظاهر قال بعضهم الرسول هو الامان الاعظم ما عاش وما دامت سنته
باقية فانه نفس الامان او وجوده امان من كل مكروه بالدفع والرفع فهو الامان لا غيره لتعريف الطرفين
كما يشير اليه وانت فيهم وسنته طريقته التي شرعها ومنها الاستغفار ولذا فسر بامر وبقاؤها ببقائها
والعمل بمثلها فهو باق والضمير للامان والرسول لانه بقاء اثر عده كبقائه فيكون الامان الاعظم كالباقي لتنزيل
بقاء سنته منزلة بقائه كما يشير اليه قوله وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون وهذا مبني على انه
امان للمومنين والكافرين كما مر ولذا كان اعظم وما في الجملتين ظرفية مصدرية والثانية معطوفة على الاولى
وقيل هو ركيك فكانه جعل الثانية شرطية وجملة الشرط معطوفة على ما قبله اذ ادامة السنة بالرسول وامانه
باق كما بينه بقوله فاذا اميتت سنته فانتظروا البلاء والفتن وفي بعض النسخ فانتظر مفردا
باعتبار المخاطب واذ كان الحكم عاما ومعنى اميتت بصيغة المجهول تركت على الاستعارة اي لم يعمل بها
ولم يحرص الناس على تعلمها بان غلب فيهم ذلك لا الترك بالكلية فانه من اشراط الساعة والبلاء بفتح البا
والمد المصايب كالطاعون والظلم والفتن محاربة الناس بعضهم بعضا نسال الله العفو والعافية وكانهما
مترادفين كما قاله التلمساني وفي كون الاستغفار قايم مقام الامام الاعظم دون غيره اثر لم ينبهوا عليه فتنبه
وقال تعالى ان الله وملايكته يصلون على النبي الاية انما ذكرها هنا لدلالته على عظم شانه وتولي الله
اموره وسياتي الكلام مفصلا على الصلاة في الباب المعقود لها ابان اظهر او فضله على غيره الله تعالى
فضل نبيه عليه السلام بصلاته ثم بصلاة ملايكته ثم للتراخي الرتبي والذكري يحصل بعثته
لعبده كما فصل في قوله ذلك الكتاب بقيل وفيه اشارة الى اختيار احد القولين في قوله يصلون ان الله وملايكته
كما تقدم وامر عباده مصدر مجرور بعطفه على صلاته او فعل معطوف على ابان كما صححه البرهان لا على
فضل بتقدير ان المصدرية لانه تكلف من غير داع والمراد بعباده المومنون المكلفون او الاعم بناء على ان
الكفار مكلفون بفروع الشريعة وكون الامر للوجوب او الندب سياتي وعباد جمع عبد وله جموع تزيد على
عشرين جمعها ابن مالك في شعره المشهور وزاد عليه بعض اصحابنا فقال (شعر)

جمع عبد عبودا اعبد عبد • عبدة عبدا عباد عبدان
عبد عبدي ومعبودا ومعبدها • عبدة عبدا عباد عبدان
عبيدا اعبدة عباد معبدة • معابد وعبيدون العبدان

بالصلاة والتسليم عليه وسياتي تفصيل معناهما فله بذلك الفضل على غيره وقد قيل عليه ان
المومنين شاركوا في مجرد صلاة الله وملايكته لقوله هو الذي يصلي عليكم وملايكته ليخرجكم من الظلمات
الى النور وفي الحديث مثله كثير نحو حديث ان الله وملايكته يصلون على ميامن الصفوف وقد ذكر ان
الاية الاولى لما نزلت قال ابو بكر يا رسول الله ما اعطاك الله من خير الا اشركنا فيه فما بالك لم
تشركنا في هذا الخبر فنزلت هذه الاية فاذا كان نزول هذه بعد الاولى ظهر فضله على غيره بها حيث
نزلت اولا من غير مزاحم فيها مع التاكيد بان والافتتاح بمجموع ما ذكر وايضا المضارع يدل على
الاستمرار التجددي في حقه دونهم فيظهر الاختصاص وعن الامام الرازي ان صلاة الملايكة على
المومنين بطريق التبعية لصلاته تعالى عليهم لتاخر ذكرها وصلاتهم عليه بطريق الاصالة ففي الاية
الاولى تفضيل له على غيره كما اذا قيل دخل فلان وفلان بن فلان واورد عليه ان الواو لمطلق الجمع

بلا ترتيب

بلا ترتيب في اي التركيبين كانت واما قول ابي حنيفة من قال لغير مدخول بها ان دخلت الدار فانت
طالق واحدة وواحدة تقع واحدة بخلاف انت طالق واحدة وواحدة ان دخلت الدار حيث يقع ثنتان فليس
مبنيا على ان الواو للترتيب بل لان المعلق بالشرط كالمنجز عند وقوعه وهو ان لم يجز الاول حقيقة لم يقع
الثاني لكن اذا صار كالمنجز حكما بخلاف ما اذا اخر الشرط لان صدر الكلام توقف على اخره لوجود المغير في
اخره فكان في حكم البيان كما بين في محله وليس النبي داخلا تحت المخاطبين في الاية الثانية ليقال انه
لما ميز بالصلاة عليه من مجموعهم دل التمييز دلالة واضحة على ترجيحه فيها كاحب القوم واحب زيدا
الاول او تاخيره لان المخاطبين بها المومنون خاصة بقرينة السياق انتهى • اقول القول ما قالت حذام فان
النبي صلى الله عليه وسلم مخصوص بالصلاة عليه استقلالا وتبعا لانه ثم لا يسال عما يفعل والصلاة حق
النبي فله ان يعطيه لمن شاء مع ان الصلاة عليه رحمة وتعظيم مخصوص به والصلاة على غيره مطلق الرحمة
والمثال الذي ذكره الامام مثاله لما قاله ابو حيان بعينه وليس هذا من الواو كما مر نظيره في قصة الخطيب
فبقوله نعم وامره لنا امر مخصوص فلا حاجة لما ذكر من الحزازة لمن في بصيرته نور من الله بالصلاة والتسليم
عليه وخص المومنين بالتسليم المؤكد لبيان لزوم رعاية التعظيم من الامة في حقه لانه المنقذ لهم من
الضلال وانتظارهم له ولانعامه اكثر من غيرهم والمراد التسليم من النقايص التي عصمه الله منها
ولم يسندها لغير البشر الذين هم من نوعهم وخصه بالتاكيد وتنوين التعظيم اي تسليما عظيما تعريضا
بمن لم يسلم وقيل لان المراد تسليما لا كتسليم غيره من الامة والصلاة ليست مما يشاركه فيها الامة
فيفهم منها التعظيم في نفسها من غير تاكيد او لان التسليم لم يثبت لله فهو في معرض المساهلة في الجملة
وهو كلام حسن وقد حكى ابو بكر بن فورك بفاء مضمومة وواو ساكنة وراء مهملة وكاف
عربية وهو لفظ اختلف فيه فقيل انه عربي وفور بمعنى فار فالكاف اما زايدة فيه كما قالوا في هندي
هندكي او للتصغير فان العجم اذا صغروا الحقوا اخر الاسم كافا ورد بان فور بمعنى الفار لم يسمع من العرب
والثابت في اللغة فور جمع فاير بمعنى الظبي الذي في اللغة الفارسية قيل وليس هذا علة منع الصرف
لان شرط العجمة كونه علما في العجمية قبل استعماله وليس كذلك انما الشرط ان لا تستعمله العرب الا علما
كقالون على ما فيه وقيل فور عربي فلا ينقلب بلحوق الكاف عجميا اقول اللفظ العربي اذا غيروه
وعجموه بالحاق اداة من ادواتهم ولم يستعمل الا علما فالظاهر انه يصير عجميا ممنوعا من الصرف
كبابك فانه في الاصل بابا بمعنى اب مصغر على قاعدتهم وقد استعمل ممنوعا في شعر ابي تمام ولا عبرة
بالتردد فيه ولا لجهله كما هنا كما في بعض حواشي المطول وفي حواشي الفاضل الحفيد على المطول
بابك والد عبد الصمد الشاعر المشهور ممنوع من الصرف وقيل مبني على السكون انتهى وهو وهم
لا يعتد به البتة وفي حواشي البرهان الحلبي هو مصروف بضبط القلم في النسخ المصححة والظاهر
انه ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة وهو محمد بن الحسن الاصبهاني الامام الجليل والبحر الذي لا يجارى
فقها ونحوا واصولا وكلاما مع جلالة وورع زايد وقد امتحن في الدين وجرت له مناظرات ادت
الى عزله ومات مسموما شهيدا او في الطريق لما عاد من عزله سنة ست واربعمائة نقل الى نيسابور ودفن
بها وقبره يزار ويستجاب عنده الدعا وهو شافعي المذهب وقال التلمساني كانت الملايكة تكلمه
في اليقظة وقوله وقد حكى الى قوله الى يوم القيمة لم يثبت في الاصل الذي عليه خط المصنف وثبت
في الاصل المروي عن ابن عباس العزفي انتهى وفي حواشي الكمال بن ابي شريف على النخبة انه فارسي مصغر
غير منصرف ومعناه فوير تصغير فار لان الكاف عندهم للتصغير وجعل في العجم علما لكن في القاموس
ان لفظ فور علم له ولم يعد من العجم كما هو عادته قيل وهو يدل على ان التفخيم بادخال الكاف بعد العلمية

ولذا قيل انه تفخيم غير معتبر وفيه نظر ان بعض العلماء تأول قوله عليه الصلاة والسلام وجعلت
قرة عيني في الصلاة على هذا والحديث حبب الي من دنياكم ثلاث النساء والطيب وجعلت قرة عيني في
الصلاة وفي اثبات لفظ ثلاث ومعنى الحديث كلام سيجي والمقصود هنا ان بعض العلماء فسر الصلاة هنا
بالدعاء والمعروف انه الصلاة الشرعية ذات الركوع والسجود لما فيها من المناجاة والمعارف وكشف
الاسرار اي في صلاة الله على النبي صلى الله عليه وسلم وملائكته وامره الامة بذلك الى يوم القيمة ه
ذلك اشارة الى الصلاة المذكورة في الآية وذكر لتأويله بالمذكور او الدعاء ودوامه الى يوم القيمة بدوام امته
ولعدم نسخه والى متعلقة بالامر ويجوز تعلقه به وبما قبله على التنازع وانما غياه بما ذكر لعدم التكليف
في الاخرة والمراد بالقيمة معناها المعروف او خراب الدنيا وكونه الى بمعنى مع تكلف وخص ذلك قيل لابراز
كل فضيلة فيه والآية تدل على تجدد الرحمة وكثرتها على ما يليق بمقامه والصلاة من الملائكة ومنا دعاء
وفي نسخة من الملائكة استغفار ومنا دعاء وهو الذي اشتهر عن ابن عباس وما في هذه النسخة سيأتي وهما
مشتركان في انهما دعاء ومعنى الاستغفار وتخصيصه بالملائكة سيأتي تحقيقه والمراد بقوله منا بني
آدم لا المكلفون كما قيل ومن الله رحمة انعام ولطف وثناء وتعظيم وقيل معنى يصلون يباركون اي
يعطيه الله البركة والملائكة يطلبونها له والبركة اليمن والخير الكثير او الدائم من برك البعير او من بركة
الماء كما حققه في الكشف واشار بقوله وقد فرق بتخفيف الراء ويجوز تشديدها انه لم يقل ان المخفف يختص
بالمعاني والمشدد بالاقسام كما قاله القرافي النبي صلى الله عليه وسلم حين علم بتشديد اللام
اصحابه بين لفظ الصلاة والبركة في حديث قد امرنا ان نصلي عليك فكيف نصلي فقال قولوا اللهم صل على
محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد او حيث عطف احدهما على الآخر في
حديث آخر فقال صليت وباركت والظاهر ان مراده الاول اشارة الى اعتراض على هذا القول ولا يخفى
ان المغايرة بينهما بحسب المفهوم لا تنافي تفسيره به وعطفه عليه وان كان الاصل ذلك وسيأتي تتمة
هذا وسنذكر حكم الصلاة عليه من الوجوب والكيفية وغير ذلك وفي نسخة صلى الله عليه وسلم تسليما
كثيرا الى يوم الدين والمراد التأبيد الى يوم القيمة لظهور امر الدين فيه او الجزاء عليه او خضوع كل احد له
فالغاية غير مرادة وقيل هي للكثرة كقوله ملك السموات والارض وذكر بعض المتكلمين اي المفسرين بدليل
قوله في تفسير حروف كهيعص والجار والمجرور متعلق بذكر او بالمتكلمين وليس المراد به المتسمين بعلم الكلام
كما قيل لعدم مناسبته هنا ان الكاف من كاف اي حرف من اسمه تعالى الكافي ولم يقل من الكفاية كما قال فيما بعده
مع ان المناسب لتفسيره بقوله اي كفاية الله لنبيه. وعبارته لا تخلو من اضطراب فانه اكتفى بحرف من
الكلمة على طريق الرمز والاشارة واما من كاف الذي هو اسم له او من الكفاية التي هي صفته وما قيل من
انه ميل الى انه اشارة الى اسم الله باعتبار الصفة ولم يقل الهاء من هادي ونحوه وهو المراد اكتفاء بالاول
وانه اراد الاشارة الى ما وقع في القرآن والذي فيه في الاول اسم الله وفي الباقي نسبة الصفة الى الله
فذكر على نهج ما ورد اقول هذا كلام من فر من المطر فوقف تحت الميزاب اما الاول فلان الاشارة
الى الاسم باعتبار الصفة تكلف لا داعي له وهو غير صحيح في الصاد التي هي اشارة الى الصاد من مصلي
اذ ليس من اسمائه المصلي واما الثاني فغفلة عن قوله فسيكفيكهم الله ونحوه والذي يظهر انه اراد ان
كل حرف مقتطع صفة من صفات الافعال وانها باعتبار تعلقها به لا مطلقا وانه لما ذكره اولا باسم من
اسمائه الحسنى تبركا به وبيانا للوجه تقدمه لانه اهمها واعمها فسره بما ذكر لئلا يتوهم جريانه فيما بعده
فانه المنقول فيما سيأتي وان المراد اثبات معناه للنبي صلى الله عليه وسلم لانه منادي ولانه مقتضي ما
عقد له الفصل فتدبر فالكاف من كاف والمعنى انه كاف له عما سواه كقوله يا ايها النبي حسبك الله ه

واليه

واليه اشار بقوله اي كفاية الله كائنة منه لنبيه وسكت عن الباقي لظهوره فالحروف منتزعة
من صفات مشتقة لا من مبادي اسما كما توهم ولا يشترط في الحرف ان يكون من اول الاسم وهذا مروي
في بعض التفاسير عن ابن عباس ومثله لا يقال بالرأي فقول بعض الشراح ان هذا لا ينبغي فان الحروف
تدل على غير مسماها ولم تكن الكاف من كبير او كريم وهذا من بدع التفاسير كما في الكشاف وفي هذه الحروف
اقوال آخر احدها انه من المتشابه الذي لا يعلمه الا الله وقيل انها اسما للسور او القرآن والعجب انه
بعد ما انكره هنا نقل قولا بانها اسماء الله وقيل انها بيان لمدة هذه الامة او بعضها وقد نقل علماء علم الحرف
لها خواص كما في حياة الحيوان من خاف سلطانا او ظالما عقد اصابع يده اليمنى بكهيعص يبدأ بابهامه
واليسرى بحمعسق يبدأه بخنصرها ثم يقرأ في نفسه سورة الفيل ويكرر لفظ ترميهم عشر مرات يفتح في
كل مرة اصبعا من اصابعه المعقودة يأمن شره وهو عجيب مجرب قال الله تعالى في كتابه الكريم أليس الله بكاف
عبده فسر عبده بمحمد صلى الله عليه وسلم ويحتمل العموم بدليل انه قرئ عباده فيدخل النبي بالطريق الاولى
والاستفهام انكاري للمبالغة في اثبات الكفاية ويحتمل ان يراد غيره والمعنى انه اذا كفى غيره من
العباد كيف لا يكفيه والهاء هدايته لم يقل من هدايته لانه يعني ان الهاء من هاد لاثبات هدايته له
وما قيل انه لم يقل من هدايته تفننا ولئلا يتعين الاكتفاء ببعض الكلمة لا وجه له وكذا ما قيل انه بتقدير
مبتدأ ومضاف اي الكاف والهاء رمز كفايته والكاف من كفايته لا من كاف فيتدافع كلاماه والجواب
بانها اذا كانت رمز الكاف كانت رمز الكفاية في ضمنه ويهديك صراطا مستقيما من الدين الاكمل
والفلاح او يثبتك على ذلك وقيل يهدي بك والياء تأييده له قال وايدك التلاوة ليس فيها واو
بنصره الضمير في تأييده لله وفي له للرسول وفي نسخة تأييده بدون له والضمير يحتمل عوده لله
وللرسول والتأييد التقوية والاعانة على اعدائه بالادلة والمعجزات والملائكة وفي اللباب ولم يرد
عن ابن عباس في الثاني ووجه بانه لم يأت في الله مما اوله ياء وقد علمت ان حرف الرمز لا يلزم ان يكون
اولا وقد نقل هو ان الياء من حكيم والقول بانها من يمين وهم لانه ليس اسما لله واما والسموات مطويات
بيمينه فلا شاهد فيها والاضافة تأباه وعندي ان هذا مما لا ينبغي ذكره والعين عصمته له قال الله
تعالى والله يعصمك من الناس اي يحفظك من كيدهم ومكرهم ويمنعك من اذاهم وهو وعد ممن لا يخلف
الميعاد وقد كان له حرس فلما نزلت قال لهم انصرفوا فان الله يحرسني والقول بان معنى الآية انه يحفظ
عن الذنوب من بين سائر الناس تكلف وان كان مصونا عنها كما سيأتي وفي زاد المسير فان قلت كيف
ضمان العصمة وقد شج جبينه وكسرت رباعيته وبولغ في اذاه. قلت انما عصم عن القتل والاسر
لا عن عوارض الاذى او هذه الآية نزلت بعد ما جرى عليه لان المائدة من اخر ما نزل كما في الشرح الجديد
اقول هذا بناء على ان هذه الآية مدنية والعصمة بعد الهجرة وهو المشهور وذكر خاتمة المحققين
الامام الخيضري في خصائصه وهو كتاب لم يصنف مثله ما حاصله ان وجوب الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر عليه واجب من اول امره الى آخره اشتدوا عليه بان الله وعده بالعصمة فكيف يكون هذا
وكون هذه الآية مدنية فيه بحث لانه وان اشتهر يرده ما رواه ابن ابي حاتم في تفسيره عن جابر انه صلى
الله عليه وسلم كان اذا خرج بعث معه ابو طالب من يكلؤه حتى نزل والله يعصمك من الناس فذهب
معه فقال يا عم ان الله قد عصمني لا حاجة الى من تبعث وروى مثله الطبراني عن ابن عباس وفيه انه
قال لابي طالب ان الله قد عصمني من الجن والانس وهذان الحديثان دالان على ان الآية نزلت بمكة في اول
الامر وفي الصحيحين عن عائشة انها قالت ارقت رسول الله ذات ليلة فقال ليت رجلا صالحا من
اصحابي يحرسني الليلة اذ سمعنا صوت السلاح قال انا سعد بن ابي وقاص جئت لاحرسك فنام حتى

سمع غطيطه وروى الترمذي عن عايشة انه كان يحرس حتى نزلت هذه الآية فاخرج من القبة راسه
فقال لهم ايها الناس انصرفوا عني فقد عصمني الله قال الترمذي وهو حديث غريب رواه الحاكم في المستدرك
وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه وفي سنده من هو ضعيف الا ان له متابعات ولذا احتج به مسلم وهذا يدل
على ان ذلك كان بالمدينة لان عايشة اخبرت عن مشاهدة وهي لم تكن معه بمكة فيحتاج الى الجمع بين الروايات
وما في الصحيح اولى لكنا نلتزم تاخر نزول الاية بالمدينة وندعي ان وجوب الانكار عليه كان داخلا في
عموم التبليغ ثم انهم لم يبينوا ما المراد بالخوف هل هو من القتل او اعم وظاهر كلامهم انه الاول فكان يحرسه
اصحابه في الفزع والخوف حتى هاجر الى المدينة وامر بالقتال فانزل الله عليه آية العصمة مع انا ندعي
انه كان يعلم ذلك من غير هذه الآية وانما نزلت تطييبا لخاطره فان قلت اذا كان يعلم ان الله عصمه من اعدائه
وآمنه من كيدهم وشرهم فما له اختفى بالغار اذ خرج من مكة وما له كان يحرس ويلبس الدرع وما له كسرت
رباعيته وشج وجهه ونحو ذلك بعد نزول الآية • قلت ذلك تشريع لامته ليقتدوا به فما ليس من خصايصه
مع ان في ذلك حكما لطيفة فاختفاؤه في الغار خوفا على الصديق لا على نفسه كما يدل عليه قوله اذ يقول
لصاحبه لا تحزن فاعلم ابا بكر به تطييبا لخاطره وليظهر له من المعجزات ما يعلم به غيره وان كان هو لا
يحتاج لزيادة علم كخروجه والكفار يرصدونه ونثر التراب عليهم ولو خرج ظانا الظن انه لحماية بعض
قومه فاريد ان لا يكون لاحد عليه منة واحتراسه للخوف على من عنده عزة من اهله واظهارا اعتماده على
اصحابه وامانتهم ولبس اللامة ليرهب الاعداء وليظهر ان عنده عزة وسلاحا الظن بعض الكفار انهم فقراء
تحدثا بنعم الله واما كسر رباعيته وشجه فبيانا لما فطره الله تعالى عليه من لعدل العلم الله انه يصيب
المومنين باحد مصايب عظيمة فجعل النبي مشاركا لهم في ذلك لتحصيل اجر له وتسليتهم بمصيبته وعصمة
الانبيا لها معنيان احدهما حفظه من الناس بما ذكر والثاني صونه عن ارتكاب الذنوب كما سياتي فان
قلت هل يجوز طلب الثانية لاحد غير النبي قلت قال شيخ والدي ابن حجر الهيتمي في شرح العباب
اختلف الفقها فيها فقيل يجوز لقول مالك والشافعي في الرسالة نسال الله العصمة في الحركات والسكنات
وفي حديث اخرجه النساني ليقل من دخل المسجد اللهم اعصمني من الشيطان وقيل يمتنع لاستحالته
والحق ما قاله بعض المتاخرين انه ان قصد عن جميع المعاصي والرذايل في جميع الاحوال امتنع لانه
سؤال لمقام النبوة وان قصد التحفظ من الشيطان والتحصن من افعال السوء فصل لا باس به انتهى
وفيه نظر وفي كلام مشايخ الصوفية انه يقال في النبي معصوم وفي غيره محفوظ وكانه تادب
منهم **والصلاة صلاته قال ان الله وملايكته يصلون على النبي** قيل المراد الاخبار عن هذه الامور
او القسم بهذه الصفات وهذا التفسير وامثاله ليس على الحتم ولا احتمال محض فما قيل من انه غير واجب
التسليم لا طايل تحته فتامل **وقال الله تعالى وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه اي وليه** هم
تظاهرا عليه بالتشديد والتخفيف بمعنى تعاونا وتناصرا والخطاب لعايشة وحفصة ام
المومنين على الاصح او عايشة وسودة ام المومنين اي تتفقا في امر يسوءه من افشاء السر او
شدة غيرة النسا او امر النفقة فلن يعدم من يعينه والله يعينه **الآية** اي اقراها التمم بقوله
وجبريل وصالح المومنين والملايكة بعد ذلك ظهير والولي والمولى المعين والناصر وتعريف
الطرفين والضمير يفيد الحصر اي لا مولى له حقيقة سواه وما ذكر بعده انما ذكر ظهيرا خبر عنه
وعما يعطف عليه وان كان لا يعتمد على غير الله بناء على الظاهر تطييبا وتطمينا لقلبه واظهارا
للفضل والتشريف وجبريل مبتدا وهو وصالح عطف على الله والملايكة مبتدا وخبره ظهير وافرده
بجعل من ذكر لاتفاقهم كالواحد او لانه اسم جمع كطفلا في قوله يخرجكم طفلا او لان فعيلا قد يقع للواحد

وغيره كما في قوله • ان العواذل ليس بامير • ويترتب على ذلك الوقف على مولاه او المومنين
او ظهير وقد اختار كل واحد منهما جماعة من القرا والوجه الاول اشارة للنصر والتظاهر وسبب
نزول هذه الآية انه صلى الله عليه وسلم دخل على حفصة في نوبتها فخرجت لحاجة لها فارسل
لمارية جاريته فاتته فواقعها فلما رجعت حفصة علمت بذلك فغضبت وبكت وقالت اما لي
حرمة عندك فقال ليرضيها انها حرام علي بعد اليوم وحلف ان لا يقربها واخبرها ان الخليفة بعده
ابوها وابو عايشة وقال لها لا تخبري احدا بهذه القصة فلما خرجت اخبرت عايشة بالقصة
وقالت اراحنا الله من مارية وكان بينهما مصادقة وتظاهر فانزل الله هذه الآية • اي ان
تتوبا الى الله من ايذائه وحب ما يكره تحقق بذلك ميل قلوبكما عن الحق على حد قوله ان يسرق
فقد سرق اخ له من قبل في جعل التاويل دون تخصيصه لان مضمون الشرط فيه محقق بمضمون الجزاء
وفيما نحن فيه محقق له ضرورة فان التوبة عن الذنب محققة فان كان الميل الى الحق لم يحتج الى
هذا التاويل **وصالح المومنين قيل الانبياء** هذا مروي عن قتادة فان قلت الصلاح مما
يوصف به آحاد الامة دون الانبيا قلت لما فطن لهذا بعض المفسرين قال الصفة قد تذكر
لبعض الموصوف وقد يقصد مدح الصفة نفسها بمدح العظماء بها كما هنا فكانه قيل الصلاح
صفة عظيمة في نفسها لانها مما يوصف بها الانبياء وهذا كما قال حسان

ما ان مدحت محمدا بمقالتي • لكن مدحت مقالتي بمحمد •

وخالفهم السبكي في فتاواه فقال الصلاح من ابلغ الصفات واذا اردت معرفة ذلك انظر
حديث مدح القلب ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله الخ فصلاح القلب بالايمان
والعرفان والاحوال وصلاح الجسد بالطاعة والخلق تتفاوت في ذلك تفاوتا كثيرا فصلاح
العبد بصلاح قلبه وبدنه على قدر مقامه وهي صفة ذاتية تفضل الله بها وما سواها من النبوة
والرسالة وغيرها ناشئ عنها فلذا كانت اعظم الصفات وقول من قال الصالح من قام بحق الله وحق
العباد كلام اجمالي لا زم له وانما السر في المعنى الذي ابتني عليه هي صفة حقيقية اودعها
الله في العبد بها ينال سعادة الدارين وصلاح كل احد بحسب حاله فاعظم الصلاح صلاح محمد
صلى الله عليه وسلم انتهى **وقيل الملايكة** قال السيد عيسى هذا بعيد فان العطف للتفسير او
للتغاير بالمفهوم خلاف الظاهر ولك ان تقول المراد خواص الملايكة كاسرافيل وحملة العرش
والمراد بالملايكة بعده بقيتهم او جميعهم وذكر للتعميم بعد التخصيص وتعبيرهم عنهم بصالح المومنين
قرينة على ذلك ظاهرة وكان الحامل له على ذلك توسطه بين جبريل والملايكة فانه اخفى مما
استبعده اذ مقتضى الظاهر ان يقول والملايكة وصالح المومنين **وقيل ابو بكر وعمر** رواه الدارقطني
والثعلبي عن عكرمة وابن جبير مرفوعا للنبي صلى الله عليه وسلم وزاد بعضهم عثمان ووجه التخصيص
على الاول انهما ابوا زوجتيه اللتين اسر لهما ما مر فمن قال انه دعوى بلا بينة لم يصب يعني
انهما وان تظاهرا فابواهما اشفق الناس عليهما لا معهما وهذا تفسير منقول عن النبي عليه السلام
كما رواه ابن مسعود وقيل هم الصحابة وقيل الخلفا وصالح المومنين حذفت واوه لا لتقارب
وكون حذفها للدلالة على سرعة النطق لما في الواو من المد والبعد بعيد جدا والمراد صالح هو
المومنون على ان الاضافة بيانية او الصالح منهم لا الاصلح الذين تولاهم الله واعانهم فتولوا رسوله
ونصروه **وقيل علي** وفي نسخة رضي الله عنهم اجمعين وهذا التفسير رواه القرطبي والثعلبي
عنه صلى الله عليه وسلم قيل ولا منافاة بين الحديث لانه لم يرد به الحصر وان كان بعيدا **وقيل**

المؤمنون كلهم بناء على ظاهره المتبادر من لفظه من غير مانع واختاره الامام الرازي
والآية دالة على ولاية الله له بنصره وتسخير القلوب له الذي هو من مقاصد هذا الفصل ٥

الفصل التاسع فيما تضمنته سورة الفتح من كراماته صلى الله عليه وسلم

تقدم الكلام في تطبيق التراجم والكرامة ما كرمه الله به من اعزازه وتعظيمه وقد يخص بما يكون خارقا
للعادة والفرق بينها وبين المعجزة سيأتي والفتح اصله ازالة الغلق في المحسوسات ثم استعير
لتيسير الامور معنوية كانت او حسية كفتح الله بالمال وكفتح البلاد ومكة وشاع حتى صار
حقيقة عرفية فيه والسورة مدنية بالاتفاق وهذا لا ينافي كونها نزلت بالحديبية لان المراد
بالمدني ما نزل بعد الهجرة على اصح الاقوال وقيل الاختلاف بين تفاسير الفتح فمن فسره بفتح مكة
اقتصر على المقصود والمراد في سبب نزولها قولان احدهما انه لما كان بالحديبية حيل بينه وبين
دخول مكة وعسر ذلك على الصحابة نزلت وعدا له بفتحها ودخولها وعبر عنه بالماضي على عادة
الله في اخباره لتحققها وفيه من الفخامة والدلالة على بيان علمه ما لا يخفى وهذا هو المشهور والثاني
انه فتح مكة وما كان وسيلة له كقضية الحديبية ومن فسره بالحديبية سماه فتحا لانه وسيلة لما
بعده من الفتوح فانه رجح غيره فيه بطريق الاشارة كما رواه عطا عن ابن عباس لما نزل عليه وما ادري
ما يفعل بي ولا بكم قال اليهود كيف نتبع من لا يدري ما يفعل به ولا بكم فاشتد ذلك عليه فنزلت
بيانا لما يؤول اليه امره في الدنيا والآخرة قال الله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا الى قوله
يد الله فوق ايديهم تقدم ان الفتح ازالة القفل والاشكال حسيا كان او معنويا والمراد النصر
على العدو وقيل المراد ما فتحه الله تعالى عليه من العلوم الالهية والهداية الدينية التي هي سبب
لنيل اعلى المقامات المحمودة والثواب الجزيل ولذا عقبه بقوله ليغفر الخ ولا يخفى انه مخالف لسبب
النزول المشهور وما عليه الاكثر من انه صلح الحديبية وما تضمنه من احاطة المشركين بهم وسؤالهم
كلاما استمالهم حتى كان سببا لاسلام كثير منهم وسالوهم الصلح والامان وروى احمد باسناد
قوي ان عمر قال او فتح هو يا رسول الله قال نعم والذي نفسي بيده انه لفتح وروي بل هو اعظم
الفتوح وقال الفرا الفتح قد يكون صلحا وقد يكون الصلح ثم المشركين متعذرا ففتحه الله وعن
انس انه فتح مكة وقيل خيبر قيل وليت شعري لم قدمه القاضي قلت قدمه لانه المعنى الحقيقي
للفتح مع ما فيه من البلاغة والفخامة التي اشار اليها وان حمل على الفتح المتعذر ومعنى شامل للحال
والمستقبل بعموم المجاز شمل كل فتح وحصل التوفيق بين الاحاديث اذ لم يقصد الحصر تضمنت هذه
الآيات اي وقع في ضمنها او دلت من فضله اي فضل الله وانعامه او فضيلة الرسول والثناء
عليه وكرم منزلته عند الله ونعمته لديه اي نعمة الله لدى رسوله صلى الله عليه وسلم ما يقصر
بضم الصاد المهملة والتخفيف وفيه استعارة تمثيلية شبه الوصف بحبل مد ونحوه ليتوصل به
اليه فلم يف به لكثرته او بعده فلذا قال عن الانتهاء اليه اي بلوغه او الوصول لنهايته لتعذر
تفصيله وقصور الاجمال عن اداء حقه فابتدأ السورة باعلامه بما قضاه له اعلام مصدر
مضاف لفاعله اي الله او لمفعوله وهو النبي قيل فيه اشارة الى ان الفتح من الفتاحة بالضم وهي
القضا كما في قوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا اي احكم ومنه الفتاح للقاضي والقضا الحكم الازلي
والكتابة في اللوح او القدر والاظهار للعيان من القضاء البين اي المقضي الظاهر الذي
لا يشتبه بظهوره وغلبته على عدوه الظاهر تعلقه باليمين وغلبته معطوف عليه ولا حاجة لجعله

عطف

عطف تفسير ولا لجعل بظهوره بدلا من بما قضاه اي اعلمه بظهوره كل الظهور وبينه اكمل
تبيين وعلى عدوه تنازع فيه الظهور والغلبة والعدو جميع الكفار ومشركو مكة وعلو
كلمته المراد بكلمته كلمة التوحيد والنبوة التي اتى بها وامر بقبولها والانقياد لما يتعلق بها من تكاليف
لنفاذها وعلوها بما اسقط ما عداها عن درجة الاعتبار او المراد كل ما اتى به من امر ونهي وغيره
وعلى الاول اضافها له لانه الذي اظهرها وشهرها وان كانت كلمة الله في الحقيقة واثار الكلمة
على الكلام لعلم غيرها بالطريق الاولى وشريعته علوها بالانقياد لها واجراء احكامها وتذليل
من انكرها بالجزية وغيرها ونسخ ما عداها من الشرايع وليس في كلام المصنف ما يقتضي كون المراد بالفتح
فتح مكة كما قيل وان كان من فسره بالقضا حمله على ذلك فلزمه مخالفة الحديث وكانه مال الى التعميم
الشامل لما وقع وما سيقع وانه مغفور له غير مؤاخذ بما كان وما يكون اي اعلامه بانه مغفور
الخ بقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر والمغفرة من الغفر وهو الستر وهو والعفو
متقاربان والمؤاخذة من الاخذ قال في المصباح اخذه بذنبه عاقبه عليه وآخذه بالمد اخذه
بذلك والامر منه آخذ بمد الهمزة وتبدل واوا في لغة اليمن فيقال واخذه مواخذة وقرئ به في الشواذ
والامر منه واخذ انتهى فعبارة المصنف بالواو والهمزة وليس المراد بمؤاخذته معاقبته لانه لم يصدر
عنه ما يقتضيها لانه معصوم بل عتابه على بعض ما صدر عنه مما هو بالنسبة لعلو مقامه كالذنب
وما قال المراد ما تقدم من ذنبه قبل النبوة وما تاخر بعدها من الصغاير فهو مبني على تجويزها على
الانبياء ومن لم يجوزها قال انه بمبالغة كما يقال اعطى من رآه ومن لم يره وهو الذي يرتضيه الله
به ويعتقده قال بعضهم اراد غفران ما وقع وما لم يقع اي مما يصح ان يعاتب عليه كما في لعلك
باخع نفسك وعبس وتولى ان جاءه الاعمى او انه لو وقع منك ذنب اي ذنب كان غفر وهذه مرتبة
عظيمة جدا وقال السيد سنح لي معنى بديع وهو ان العبد لا ياتي بما يليق بجلال كبريائه ولذا قيل
سبحانك ما عبدناك حق عبادتك وهذا قصور بالنسبة لكمال القرب ذنب مجازي مبالغة في
التخويف ثم شرفه بما لم يحم حول الفكر وهو ستر ذلك القصور بعد عبادته عبادة لا يقدر جلاله
واي مرتبة فوق هذه المرتبة ولا يبعد عد مثله قصورا لتشريفه فانه تم بكمال حكمته جعل
اعمال الخلق بقدرته ذنوبا من هو مضطر في صورة مختار وله ان يعاقب عليها وان لم يفعل وغيره
قال البجائي الظاهر ان هذه وردت مورد التشريف له بهذا الحكم كما يقال لمن يريد اظهار محبته
لو كان لك ذنب قديم او حديث غفرناه ولم يرد اثبات ذنب له ولا مغفرة • اقول سنح لي ما هو
احسن من هذا وهو ان المغفرة لما كان معناها الستر المقتضي لعدم الرؤية ارتضى منه لازمه وهو
انه لا ذنب لك يرى اي لا ذنب لك اصلا اذ لو كان لرئي على نهج قوله • ولا ترى الضب بها ينجحر
ويؤيده ان المتاخر لا وجود له وقد سوى بين المتقدم والمتاخر ففيه اشارة الى انتفائهما كما في قوله
تعالى اذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون ولما كان المتقدم يوهم التحقق قدم الذنب
وقرنه به مبادرة لنفيه بمغفرته والمراد بالمتقدم والمتاخر ما قبل النبوة وما بعدها وما قبل
الفتح وبعده او قبل نزول الآية اي انك مغفور لك كانه اراد بتفسيره هذا ان التقدم والتاخر
عبارة عن عموم المغفرة ودوامها وقال مكي تقدمت ترجمته جعل الله المنة سببا للمغفرة اختلف
اهل المعقول والمنقول في الفرق بين السبب والعلة فقيل انهما سواء وقيل بينهما فرق عند النحاة
واللغويين ولذا قال ابن مالك الباء للسببية والتعليل وعليه اكثر عباراتهم فالسبب ما يتوصل
به والعلة ما يترتب على التاثير في امر آخر ومثلوا للسببية بقوله اخرج به من الثمرات رزقا

لكم وللعلة بقوله فبظلم من الذين هادوا حرمنا وفرقوا بينهما وبين الاستعانة واما اهل
الشرع فعندهم السبب والعلة يشتركان في ترتب الامر عليهما ويفترقان بان السبب ما يحصل
الشي عنده لا به والعلة ما يحصل به فلذا قال الشاعر

الم تر ان الشي للشي علة • تكون به كالنار تقدح بالزند

واختار السمعاني ان السبب الموصل مع جواز المفارقة بينهما ولا اثر له فيه ولا في تحصيله كالحبل
للماء والعلة ما يتاثر الشي عنه بغير واسطة ويعبر عنهما بالنار وقد تحل اللام محلها كما في القواعد
للسبكي ووقع الخلاف في افعاله تم هل تعلل بالاعراض حقيقة ام لا والمشهور انها لا تعلل وانما
لها غرات وحكم تجعل عللا كما اختاره الجرجاني ولم يذكروا ذلك في السببية فعدول المص عن التعبير
بالعلة المذكور في التفاسير هنا كانه بناء على الفرق بينهما فما وقع في الشروح هنا من تفسيره بالتعليل
غير مناسب والمراد بالمنة الامتنان والنعمة التي هي الفتح او قضاوه ولما كان الفتح ناشيا من جهده
وسعيه مع ما ترتب عليه من الامور العظيمة صار سببا للمغفرة قيل ولا تكلف فيه لان ما ترتب على
فعل العبد بلا واسطة يعد فعلا له عرفا وشرعا ماثاب عليه بالمغفرة وعكسه كانه قال اجرينا على
يديك الفتح ليكون سببا للمغفرة وقيل عليه لا نسلم انه عد فعلا له اذ لم يقل انك فتحت ونحوه الا ان
يقال انه عد فعلا له وابرز في صورة يستفاد منها انه فعله تم كما هو في نفس الامر ومنهم من قال
التقدير فاستغفر ليغفر الخ كما في قوله تم اذا جاء نصر الله والفتح ورايت الناس يدخلون في دين
الله افواجا فسبح بحمد ربك واستغفره والاسهل ان اللام للعاقبة ويحمل كلام مكي على السبب والعلة
المجازية لانها مستعارة لما يشبه التعليل كما صرح به الزمخشري وصاحب المغني فيقال لما كانت
المغفرة نتيجة فتحه تم له الفتح المبين وثمرته شبهت بالراعي بناء على ان افعاله لا تعلل بالاغراض
وان اريد بالفتح القضا فباعتبار ان المقضي فعله كانه قال قضينا بترتبه على فعلك لتثاب
وقيل المعنى لتجتمع هذه الامور لك واجتماعها فرع تحقق الفتح فصح التعليل وهذا ما اختاره في
الكشاف وفي شروحه هنا كلام طويل الذيل بيناه في حواشي البيضاوي اقول ما اورده ظاهر
الدفع ولا حاجة لما تكلفه فانه ناش من عدم الفرق بين الفاعل اللغوي والفاعل الحقيقي فان الاول
ينسب حقيقة لمن قام به او باشره لا الى الله وان كان هو الفاعل في نفس الامر كما حققه الابهري
في حواشي العضد فاسناد الفتح بمعناه المتبادر انه مجاز والحقيقة ظاهرة وهو الذي بنى عليه
القائل كلامه واليه اشار بقوله **وكل منهما** اي من المنة والمغفرة حاصل **من عنده او لا عن عزمه** فهو
الذي سبب السبب وهداه له واقدره عليه وفي نسخة لا اله الا هو وجعل الخلق والتاثير من خواص
الالوهية المستلزمة له فبقي الملزوم ليبقى لازمه المساوي فحصل من خالق غير الله ولذا جعل احد
الفعلين سببا للاخر لانه تبنه من غير تاثير للغير فلا دخل للتعليل الافعال فيه **منة** بالمغفرة وبالنعم
بعد منة بخلق السبب فيه وتيسره عليه **وفضلا بعد فضل** اي تفضلا وانعاما بعد تفضل
وانعام ان كانت المنة بمعنى الانعام فهو تفسير موكد لما قبله قيل المنة بمعنى الامتنان من من
بمعنى امتن كما قاله الجوهري **ثم قال ويتم نعمته عليك** عطفا على قوله قال اولا ولا حاجة لتغيير
با قول ثم اقول وعطفه بثم اعتبار اخر ما ذكر اي ذكر هذه الايات الى قوله عزيزا حكيما فعبر بالجزء
عن الكل كقولك قرات قل هو الله احد وتريد السورة بتمامها كما قيل بقرينة قوله فاعله الخ المعطوف
على ما قال عطف مفصل على مجمل ولولا هذا لم يبق ما ذكر بما فصله واقتصر على ما ذكر لما اعترض
بما يتضمن الخلاف في معناه الذي اشار اليه بقوله **قيل** وفي تفسيره **وبخضوع من تكبر عليك لك**

والجار

والجار الاول متعلق بتكبر والثاني بخضوع وسقط عليك من بعض النسخ والخضوع والتذلل
والانقياد ضد التكبر والتعظيم **وقيل بفتح مكة والطايف** واد بقرب مكة كثير الفواكه والمياه
كان مثوى لثقيف سمي به لانها طافت على الماء في الطوفان او لان جبريل طاف بها البيت ونقلت من
الشام الى الحجاز بدعوة ابراهيم او لغير ذلك مما في القاموس وغيره وزاد بعضهم خيبر وقال الكرماني
باعلاء دينك وقهر اعدائك وفتح البلاد على يديك وغير ذلك والتعميم انسب بتميم النعمة والمقام
الا ان يقال التخصيص اقتصار على الاهم ويفسر فتح مكة بالحديبية لما وقع فيها مما كان سببا
لفتحها خلاف الظاهر وقيل ايضا بالنبوة واعلاء دينه على ساير الاديان **وقيل برفع ذكرك في الدنيا**
وينصرك ويغفر لك الثلاثة بصيغة المضارع المرفوع مصحح في النسخ المقروة على ولد المصنف
وما في المقتفي من انه يرفع بالباء الجارة للمصدر المضاف لذكرك فيه ركاكة مخالفة للرواية وخص
الدنيا لان المذكور في الاية في احوالها وان كان ذكره مرفوعا اي مشهورا في الدنيا والاخرة فلا حاجة
لتقديره والعقبى كما قيل وقيل بانضمام الملك الى النبوة ولا حاجة لهذا التخصيص كما مر الا ان يكون
صلى الله عليه وسلم من تكرمة النبوة مع ان ذكر الملك مناف لما ورد في الحديث من ان الله خيره بين ان يكون عبدا
نبيا او ملكا نبيا فاختار الاول ولنا فيه كلام سياتي وما قيل من ان النصر وما بعده روي بالمصدر
مجرورا بمن مخالف للرواية والدراية كما مر مع تحريف يغفر لك بغفر لك والغفر بمعنى المغفرة غير
مستعمل كثيرا فان قلت هذا لا يناسب تفسير الاتمام لانهما مذكوران والغفران مقدم على الكل
فلم قدم النصر عليه ورفع الذكر ليس له ذكر في النظم والافعال على المختار مرفوعة وفي الاية
منصوبة فما وجه العدول قلت هذا تفسير لما تضمنه النظم من اوله الى قوله حكيما كما مر وليس
المراد حكاية ما في القرآن حتى يلزمه نصبه ورفع الذكر والنصر بمعنى الفتح المبين لا الفتح
العظيم فيه اشادة ذكره والتنويه به وغاية النصرة له على اشد اعدائه واقواهم اليه وفيه
من النعم ما يقتضي المغفرة ومن هنا علم وجه اخر في كلامه وهو ان يكون ما ذكره اولا توطئة
لتفسير يتم وما بعده مفرع عليه لا تفسير له فما قيل في الجواب عما ذكر ان في الاية تعميما تخصيصا
والمراد بالاتمام جميع النعم فعد فيه ما ذكر استعارة بانه يقتضي اعادته في قوله فاعله ثم قال
المراد بالغفران ثوابه في الاخرة كما في المعالم وهو تفسير لقوله يهديك ولذا قدم النصر لتقدم
وجوده وهو تعسف بغير فايدة وكذا ما قيل من انه رفع المنصوب لانه ليس مضمونه بل ماخوذ منه
وانه من باب تسمع بالمعيدي واصله بان ترفع الخ فحذف الناوان ورفعه اشارة الى ان فتح الله
له للهداية والمغفرة والنصر واتمام النعمة بالاخرين ورفع الذكر ولو كان غير مضمونه كان
تعميما بعد التخصيص ومثله كثير في الكلام البليغ وهذا مع تناقضه تكلف بما لا حاجة اليه
ولولا ظن الغفلة طويناه وقلنا • تسمع بالمعيدي خير من ان تراه • **فاعله** بالفاء فهما
وجهان سمعتهما انفا **بتمام نعمته عليه بخضوع متكبري عدو له** الخضوع التذلل والانقياد
ومتكبري جمع حذفت نونه للاضافة والعدو يكون بمعنى المفرد والجمع كما في قوله فان كان من قوم عدو
لكم فالمعنى المتكبرين من اعدائه وهم صناديد قريش كابي سفيان والمغيرة **وفتح اهم البلاد عليه**
واحبها اليه يعني مكة واهم افعل تفضيل من الهم بمعنى العزيمة او الحزن ويقال منها هم واهم والمهم
ما يلزمك الاعتناء به وتقديمه على غيره قال

فقلت لها هاتيك نعمى اتمها • ولا تتبعيني ان المحب المقدم

فالمعنى ان فتحها مطلوب له مقدم على جميع الفتوح عنده لانها ماوى المشركين وسادة العرب وجميع

العرب ينتظرون اسلامهم وفتحها فاذا تم ذلك اسلموا فلذا دخلوا بعدها افواجا افواجا
في الاسلام ولانهم اخرجوه والمسلمين منها فكان عودهم لها اقوى في اظهار شوكة الاسلام لدخولهم
لها رغما على انفهم وايضا هي القبلة ومعبد الانبياء فتطهيرها من الشرك والاصنام من اعظم المهمات
ووقع ملحق في بعض النسخ اسنى بسين مهملة ونون مقصورا اما من السنا بمعنى الرفعة والشرف
او من السنا بمعنى الضوء والمراد اظهر وعلى هذا فهي بدل اهم ويحتمل على بعد ان تجمعهما اي اسنى
اهم البلاد نحو بدل اعلم العلما وعداه بعلي لما فيه من الصعوبة والوجوب وهي احب اليه كما ورد في
الحديث انك لاحب ارض الله الي لان الطباع السليمة مجبولة على حب الوطن فلا يلزم من هذا تفضيلها
على المدينة حتى يرد على المصنف انه مخالف لمذهبه كما سياتي كما في بعض الشروح لكنه قد يكون في
المفضول ما ليس في الفاضل وفي بعض النسخ اليه مكان له وظاهر كلام الشراح كلهم ان التعجب
بمعنى وهو مخالف لما قاله النحاة من ان افعل التعجب وافعل التفضيل اخذا مما يفهم كلا او بعضا
يتعديان الى الفاعل بالى والى المفعول باللام فيقول ما احبني اليه اذا كان هو المحب بكسر الحاء وما
احبني له اذا كنت تحبه وهذه المسئلة من مسايل الكتاب وقد فصلناها في السوانح فالظاهر هنا
ان اللام محتاجة للتجوز بجعلها محبة له وهو خلاف الظاهر وما قيل من ان قوله فاعلم الخ من قبيل الحمل
البديعي تكلف **ورفع ذكره** بالجر اي وبرفع ذكره السابق واعترض عليه بانه لا قايل بارادة هذا
المجموع من تمام النعمة فلا اعلام بهذا المجموع عند احد وان سلم صحته فلا يصح تفريعه على الخلاف
الا ان تكون الواو بمعنى او ويراد كل واحد على قول والاوجه انه اشارة الى جواز ارادة المجموع
لثبوت الجميع وعموم اللفظ ووجه التفريع انه لما صح الحمل على ما فهم من الاول ولا مخصص فالاليق
الحمل على جميعها انتهى وهو كلام حسن جدا **وهدايته** بالجر معطوف على التمام والخضوع اشارة
الى ان ما ذكر من التمام **الصراط المستقيم** وفي نسخة الى الصراط لانه يتعدى بنفسه وباللام
والى **المبلغ** بتشديد اللام **الى الجنة والسعادة** في الدارين او السعادة الكاملة في الاخرة اي
اعلمه بهدايته اياه لدين الاسلام المبلغ الى الجنة تبليغ الطريق المستقيم المسلوك الى المطلوب
او يبلغ الصراط المعهود قال البيضاوي صراطا مستقيما في تبليغ الرسالة واقامة مراسم الرياسة
لا وجه للتخصيص بهما لا يقال حال المخاطب والمقام قرينة عليه لان التعميم افيد وابلغ وما
ذكر يندرج تحت العموم اندراجا اوليا فالاولى ما في المدارك من قوله نثبتك على الدين المرضي
فاندرج فيه مع امور اخر من وظايف العبودية والمعارف الالهية وانما فسر بالتثبيت لانه
المترتب على الفتح دون اصل الهداية فانها حاصلة له قبله **ونصره النصر العزيز** بالجر مصدر
والنصر مفعول مطلق له او بدل منه والعزيز المعز لصاحبه او جعله عزيزا في نفسه لوصفه
بوصف صاحبه او المراد انه نفيس قليل النظير ولاذ العزة اذ الغالب من قولهم في المثل • من عز
بز • قيل النبي قوله وهدايته وقوله ونصره عطفا على ما به تمام النعمة لان من جعل النصرة منه
جعل المغفرة منه ايضا فلو وافقه المصنف لذكرها مع النصر ولو مع زيادة ذكر الهداية اذ لا
وجه لتبديلها بها كما لا وجه لكون وهدايته عطفا على ما به وقع اعلامه وكون ونصره عطف
على ما به تمام النعمة لفساد نظم العبارة عند العارف باساليبها **ومنه** اي اعلمه بنعمته **على امته
المؤمنين بالسكينة والطمانينة** عطف تفسيري لان السكينة لها معان منها الطمانينة والطمانينة
مصدر او اسم مصدر من اطمان اذا سكن قلبه بما يشرحه ويزيل رعبه **التي جعلها في قلوبهم** يشير
لقوله تعالى هو الذي انزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا يعني ما كان في صلح الحديبية

من الامن بعد الخوف وعدم القتال فلم تنزعج قلوبهم بعد ما كانت تنزعج لما صدهم المشركون عن
البيت حتى قال عمر ولا نعطي الدنية في ديننا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انا عبد الله
ورسوله لن اخالف امره ولن يضيعني فاوقع الله الرضا بقضائه في قلوب المؤمنين بعد ذكر النعم
المتعلقة به زادهم ايمانا بحقية ذلك وان المصلحة فيه وهذه الزيادة في اليقين من نور اوقعه
الله في قلوبهم به يعرفون الصواب وسياتي تفصيله في الباب الثاني **وبشارتهم بما لهم** ظرف
مبني على الضم اي تبشير المؤمنين والمؤمنات بما لهم بعد ذلك او بعد الحياة الدنيا من النعيم المخلد
في الجنة بقوله ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات الخ وفي نسخة عند ربهم واللام في قوله ليدخل علة
لما يستنبط من السياق من اول السورة الى هنا واليه اشار في الكشاف بقوله وانما قضي ذلك ليعرف
المؤمنون نعمة الله فيها فيستحقوا الثواب فيثيبهم ويعذب الكافرين بما غاظهم وخالفه البيضاوي
في التعلق دون العلية فقال علة لما دل عليه قوله ولله جنود السموات والارض من معنى التدبير اي
دبر ما دبر من تسليط المؤمنين ليعرفوا نعمة الله فيشكروها فيدخلوا الجنة ويعذب الكفار والمنافقين
بما غاظهم من ذلك واختاره لقربه مما يستنبط منه وعدم ظهور مدخلية بعض الامور المذكورة فيه او
هو علة لانزل وانما قالوا انه لا يتعلق حرفان بمعنى بمتعلق واحد فالظاهر ان القاضي انما عدل عنه
لايهامه ما فر منه كما وقع فيه من قال انه متعلق بفتحنا الا ان يقال انه بدل من العلة الاولى وقيل
انه لم يعطف لانه مستانف لانه نزل جوابا لقولهم هنا لك اولا اشعار باستقلاله وفيه نظر وللمفسرين
هنا كلام لا يسعه هذا المقام **وفوزهم العظيم** الفوز النجاة والظفر بالخير يعني قوله ثم وكان ذلك عند
الله فوزا عظيما وذلك اشارة لدخول الجنة وتكفير السيئات المذكورين قبله لانهما منتهى الطلب وقدم
الفوز بدخول الجنة على التكفير فقال **والعفو عنهم والستر لذنوبهم** في قوله ويكفر عنهم سيئاتهم
مع انه بعد العفو لانه المقصود بالذات مع موافقة النظم واشار بالستر الى معنى التكفير لانه حقيقته
لغة ومنه الكفر لستره الايمان والحق ولذا سمي الليل كافرا لستره ظلمته • وما احسن قول ابن الفارض
في طول ليل الهجر

شعر

لي فيك اجر مجاهد • ان صح ان الليل كافر •

وقيل تقديمه للفوز بالجنة للستر الكامل بتكميل الدرجات من غير نقص وهو انما يظهر في الجنة
فظهور التكفير بعد الدخول قيل يحتمل ان يكون ذلك اشارة الى ثاني الامرين وان قرب لفظ البعد
درجة بالنسبة لعدمه او لهما بتاويل ما ذكر ويؤيد الاول تفسير الفوز بالنجاة والتفصي من الشيء
والثاني تفسيره بالظفر بالخير من طول السلامة وهو الملايم لقوله فمن زحزح عن النار وادخل الجنة
فقد فاز وفيه نظر وقدم المصنف الفوز مع تاخره في النص والواقع لان المراد ما حصل من الامرين
وقيل ذلك اشارة لمجرد الدخول واشار بالقيد ليفيد تثبته لان الدخول اذا كان وحده فوزا فكيف
مع العفو وهو معنى انيق لم يذكروه قلت لم يذكروه لما فيه من ان الدخول بغير عفو لا يصح
وهلاك عدوه اي اعلمه بهلاك اعدائه بقوله ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين
والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دايرة السوء اي يعذب اهل النفاق والشرك كما يعلم
المؤمنين لظنهم بالله ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا والمراد بالعذاب العذاب
في الدنيا بالقتل والخزي ونحوه **والاخرة** بجهنم والاول يعلم بالواقع وقوله عليهم دايرة السوء
اي يحيط بهم ما ظنوه بالمؤمنين **ولعنهم** اصل معنى اللعن الطرد والبعد ثم خص كما اشار اليه بقوله
وبعدهم من رحمته اي اعلمه بلعنهم وبعدهم بقوله وغضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم وساءت
مصيرا اي انتقم الله منهم بابعادهم من رحمته وبقضيته جهنم التي هي اسوا مقر لهم **وسوء منقلبهم**

بفتح اللام اسم مكان وقال الحلبي مصدر بمعنى الانقلاب والاول اولى لقوله وساءت مصيرا
ولم يتعرض لذكر غضبه المذكور في الآية لان لعنهم واعداد جهنم لهم يدل عليه والاولى ذكره
لان الاطناب في الايعاد ابلغ مع ما فيه من الاشارة الى ان عذابهم ليس لتطهيرهم وانما هو ناش
من الغضب عليهم **بما قال** متعلق باعلمه وفي نسخة ثم قال **انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا**
الآية احوال مقدرة للاعلام ببعض ما اوتيه والآية بالنصب اي اقرا الآية متمما لها بقوله
لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة واصيلا وهذا مبني على انهما آية
واحدة لا آيتان لان ربط لتؤمنوا بانا ارسلنا يحسنه وان كان من ذهب الى غيره يقول انه لا ينافيه
الا ترى ان قوله تعالى وانكم لتمرون عليهم مصبحين آية تامة مع ربط قوله وبالليل **فعدد محاسنه**
الفاء للتفصيل والمحاسن تقدمت فعطف به المفصل على المجمل **وخصائصه** فضائله التي اختص
بها اختصاصا حقيقيا او نسبيا **من شهادته على امته لنفسه** شهادة مقبولة لدعواه ومن بيانية
وقيل ابتدائية لاستحالة كون ما بعدها مبينا لمحاسنه وخصائصه مع كثرتها وجعل قوله
ومبشرا ونذيرا بتقدير وكونه مبشرا منذرا على العطف على شهادته تكلف فتدبر **بتبليغ الرسالة**
لهم لا حاجة لتأويله بلهم لتعديته باللام **وقيل شاهدا لهم بالتوحيد** فالمراد بالامة المؤمنون
وفيه كلام تقدم وفي بعض التفاسير شاهدا للامة بالقبول وعليهم بالانكار وللرسل بالتبليغ
وعلى اممهم بالجحد فعمه وهو افيد **ومبشرا لامته بالثواب** قيل انه معطوف على شهادته بتاويل
كونه شاهدا ومبشرا بالثواب قطعا على العمل الصالح ولو بعد دخول النار **وقيل بالمغفرة** والنجاة
من النار او العفو في الجملة فيشمل الكل **ومنذرا عدوه بالعذاب** اي منذرا اعداءه الكفار والانذار
معناه التخويف والتبشير بحسب الظاهر لامته المسلمين والانذار للكافرين وقد يعم كل واحد
منهما فيكون الانذار لكل من عصى وخالف الامر مؤمنا وكافرا والتبشير لكل من اطاع مؤمنا
وكافرا فان للكافرين تبشيرا معلقا كقوله ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وهذا يختلف باختلاف
المقام ولذا قيل في قوله تعالى • وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا انه على ظاهره من غير
توزيع وان احتمله وقيل في تفسير منذرا **محذرا من الضلال** قيل انه شامل للمؤمن والكافر لكن
قوله **ليؤمن بالله ثم به من سبقت لهم من الله الحسنى** يأباه الا ان يفسر بيثبت ويدوم او يزداد
ويترقى في ايمانه ولا حاجة اليه والتراخي زماني ويجوز ان يكون رتبيا واعم منهما والحسنى الصفة
الحسنة قيل المراد بها السعادة في الدارين وقد فسرت بالجنة وبالبشارة بها وهذا انسب مما
هو بصدده من تفسير بشيرا ونذيرا والمراد بسبقها كونها مقدرة في علمه الازلي عبارة عن القدم
روعي لفظه فافرد ضميره ومعناه فقال لتؤمنوا بالله ورسوله اي برسالته وبما جاء به وقرئ
بالخطاب والغيبة فيه وفيما بعده من قوله تعزروه الخ والخطاب له وللامة لانه كما يجب على الامة
الايمان بالله وبه يجب عليه ذلك او لهم فيه التفات او ينزل خطابه منزلة خطابهم ويعزروه
براء مهملة بعد المعجمة وهو بصيغة الخطاب والغيبة في القراءة اي يجلونه كذا هو في النسخ بالنون
مع ان المفسر لا نون فيه وينبغي حذفها ان قلنا الجملة المفسرة تابعة لما بعده وفيه بحث والاجلال
التعظيم وكذا التوقير فعلى هذا يكون تاكيدا وقد فسر التعزير في اللغة بالنصر والتقوية فالاولى
التفسير به ليكون تاسيسا فقوله وقيل ينصرونه ينبغي تقديمه لا تاخيره وتمريضه لا سيما وقد
ذكر الثعلبي في تفسيره ان هذا التفسير روي عن النبي صلى الله عليه وسلم • وروي يجلوه
وينصروه بلا نون وقيل يبالغون في تعظيمه وجه تمريضه انه كان ينبغي تاخيره عن يوقروه على هذا

وما قيل من ان الامر بالتعظيم بعد الامر بالمبالغة فيه اشعار بان الاصل مما يجب ان يعتني
به كل الاعتنا واما المبالغة فقد يتسامح فيها ويحتمل ان هذا القائل حمل التوقير على معنى غير
التعظيم وعود ضمير يوقروه لله بمعنى قوله ما لكم لا ترجون لله وقارا اي لا يخافون عظمته بعيد
وتوقروه اي تعظموه روي بنون وبغير نون وقراءة بعضهم تعززوه بزايين من العز • بن العز
خبر قراءة وقوله بزايين بهمزة او ياء بعد الالف كما قاله التلمساني لان في اسم المعجمة ثلاث لغات
زاء بالمد والهمزة وزاي بالياء وزي بزنة كي وهو بمعنى التعزير وقال من العز وهو القوة
والغلبة والرفعة والشدة لان مصدر المزيد من مصدر المجرد عند بعضهم او هو منتزع منه
والاكثر والاظهر ان هذا في محمد عليه الصلاة والسلام يعني انهم اختلفوا في هذه الضماير
هل كلها لله او للرسول لئلا يلزم تفكيك الضماير او بعضها لله وبعضها للرسول لسبق ذكرهما
فاختار الزمخشري وتبعه القاضي الاول لتعينه في يسبحوه وتشتت الضماير وتفكيكها غير
متجه لما فيه من الركاكة ومخالفة الظاهر فاختار المصنف عود الضمير في يعزروه ويوقروه
فقط للرسول للقرينة النبوية التي ترفع هجنة التفكيك لان التعزير والتوقير لا يستعملان
في حقه تعالى ففيه بعد لا يناسب بلاغة القران وقد رجحت هذه الضماير له في آية الاعراف
الذين امنوا به وعزروه ونصروه ولهذا وقف كثير من القراء على قوله يوقروه للفصل بين ضمير
الرسول وضمير الله وما قيل من ان التعزير بمعنى التعظيم يطلق على الله وبمعنى النصر والاعانة
بمعنى نصر دينه ورسوله وهو نصرته واما التوقير فلا اشكال فيه لقوله ما لكم لا ترجون
لله وقارا انما الاشكال في التعزير لانه من الاضداد ويستعمل فيما لا يليق كالتاديب لا يدفع
الاظهرية الموافقة لما عليه الاداء والتفكيك مع ظهور القراين كثير في كلامهم والاكثر مبتدا
والاظهر معطوف عليه وان هذا الخ خبرهما اما بتقدير على بقطع النظر عن التابع وتغليب للمتبوع مع
موافقته بحسب الظاهر وقيل الاظهر مبتدا وما بعده خبره ويقدر مثله لقوله الاكثر ولكن على
تقدير على نحو قول ابن الحاجب وما وقع ظرفا فالاكثر انه مقدر بجملة **ثم قال وتسبحوه فهذا راجع**
الى الله اشار بثم الدالة على التراخي الى ما عليه اهل الاداء من الوقوف على يوقروه ردا على من خالفه
فتعين رجوع هذا الضمير كما في نظيره الناس لله قال الزمخشري تسبحوه من التسبيح او السبحة
وهي الصلاة وفيه على هذا حذف وايصال كما اشار اليه القاضي بقوله في تفسيره تنزهوه وتصلوا
له **قال ابن عطا** الذي تقدمت ترجمته **جمع للنبي عليه السلام في هذه السورة نعم مختلفة**
اي متعددة كثيرة متغايرة لفظا ومعنى ولهذا عقد لها المصنف فصلا مخصوصا **من الفتح المبين**
الظاهر في نفسه المظهر لدينه ورسوله **وهو من اعلام** بفتح الهمزة جمع علم بمعنى اشارة
ودليل **الاجابة** اي اجابة دعائه بالنصر الذي سبق منه في مواطن كثيرة كذا قالوا ولعله اراد
انه تعالى اجابه وغفر له كلما يحتاج وكلما يرجو منه فان فتح مكة اعظم مطالبه واجل نعمه ولذا يقول
الملبي اعز عبده وانجز وعده **والمغفرة وهي من اعلام المحبة** فيه اشارة الى ان المغفرة المراد
بها الطهارة بشدة محبة الله كما يقول من يقول لمن يحبه • كل ما يصدر منك مغفور لديك • وكل ما
يفعل المحبوب محبوب • **وتمام النعمة وهي من اعلام الاختصاص** اي هو دليل على انه تعالى جعله
من خواص انبيائه لانعامه عليه بما لم ينله غيره كما قال تعالى والله يختص برحمته من يشاء **والهداية**
وهي من اعلام الولاية اي ان الله تولى اموره ان هداه الى الطريق الموصل الى قربه • والولاية
بكسر الواو وبفتحها النصر والتاييد فهدايته اياه اليه وهي علامة لتوليته اموره من التبليغ

وغيره وتثبيته عليه المؤدي لنصرته كما قال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ثم فرع عليه قوله فالمغفرة تبرئة من العيوب اي هي كناية عن شدة محبته وهو لا يحب الا من كان كامل الخلق والخلق مبرأ مما لا يحبه وفيه اشارة لما سلف وتبرئة بزنة مكرمة مصدر بمعنى من البراءة او بضم التاء وفتح الموحدة وكسر الراء المشددة وهمزة مضمومة مضارع منها كما قاله البرهان الحلبي وفي بعض النسخ تنزيه بالزاي المعجمة مصدر من النزاهة يعني انه تم اولاه الفتح المبين لتنزهه عما لا يليق بمنصبه العالي قيل فيكون في مقام التخلي ويبلغه بتمام النعمة عليه درجة كاملة يترتب عليها التجلي بالمشاهدات القلبية الناشية عن التجليات ولم يذكر الفتح لاندراجه فيما ذكر لظهوره فتدبر وتمام النعمة وهي من اعلام الاختصاص اي هو دليل وتمام النعمة ابلاغ الدرجة الكاملة غير المشاهدة فانه مطلوبه ونزهه عن كل عيب وخلاه وحلاه بكمالات تقتضيه لمشاهدته وتدعوه لها كما اشار اليه بقوله والهداية وهي الدعوة الى المشاهدة لما مر من المشاهدات القلبية الناشية عن التجليات الجلية لاما وقع له ليلة المعراج لتقدمها على فتح مكة وصلح الحديبية وكون المراد بالفتح القضا المتقدم تعسف لا يفيد وقال محمد بن جعفر الصادق الذي تقدمت ترجمته في تفسير هذه الآية من تمام نعمته عليه اي من تمام نعمه التي انعم بها عليه ان جعله حبيبه اي اصطفاه وخصه واكرمه اكرام المحب لحبيبه حتى لقب بالحبيب كما ورد عنه انا حبيب الله ولا فخر ونسخ به اي بشرعه شرايع غيره جميعها او مجموعها فلم تبق شريعة احد لكمالها وان بقي بعض منها ببقائه على ظاهره فانه لا يجوز العمل بشي من شرع غيره الا من حيث انه صار شرعا له بتقريره له وعرج به بالبناء للمجهول والتخفيف اي اعرجه بمعنى صعد به لا اصعده وفي الصحيح عرج بي جبريل الى سدرة المنتهى فان صح وروده بمعنى اصعده كذهب الله بنورهم اي اذهبه فلا كلام والا فهو كبني الامير المدينة اي امر جبريل بالعروج به الى المحل الاعلى الجنة او العرش او ما فوقه او ما فوق العالم كما حكاه التفتازاني وحفظه في المعراج اي في ليلة المعراج او في عروجه او في مصعده كما سياتي حتى ما زاغ البصر وما طغى تقدم تفسيره وبعثه ارسله الى الاسود والاحمر جميع الخلق كما تقدم وسياتي تفصيله واحل له ولامته الغنايم التصرف فيها كما تقدم وجعله شفيعا اي اذن له في الشفاعة وخصه ولقبه بها مشفعا مقبول الشفاعة وسيد ولد آدم بل سيد الاولين والآخرين وجميع العالمين كما ورد في الحديث الصحيح وقرن ذكره بذكره في التشهد والاذان وفي مواضع تزيد على عشرين في القرآن وهو معنى قوله ورفعنا لك ذكرك ورضاه برضاه مصدر ان مفعولان اي جعل رضى الله برضى رسوله وارضى رسوله برضى الله يعني طاعته كطاعته للزوم الرضا للطاعة لقوله من يطع الرسول فقد اطاع الله والاظهر انه اشارة الى قوله والله ورسوله احق ان يرضوه وجعله احد ركني التوحيد اصل معنى التوحيد في علم الكلام اعتقاد توحد الله وانفراده في ذاته وصفاته والوهيته وانه لا معبود سواه ويطلق ويراد به ما يجب الايمان واصل معنى الركن الجانب واركان الشي اركانه الخارجية واجزاء ماهيته الداخلة فيه بخلاف الشرط فانه الخارج الذي يتوقف عليه صحته ولما كان الايمان الكامل انما يتحقق بالتصديق والاقرار بنبوته ورسالته جعل ركنا من التوحيد لا يتم ويقبل بدونه سواء كان بالمعنى الاول او بالمعنى الثاني كالاقرار بذلك الا انه على المعنى الاول مبالغة وعلى الثاني حقيقة والظاهر تفسير الاتمام بما كان بعد الفتح بعطفه على مدخول الواو وعد الاتمام منه ما كان قبله لانه اراد بالفتح القضا او جعل العلة اجتماع ما ذكر او اراد بيان نعم يحصل باجتماعها التمام لا بيان الاتمام نفسه

ثم قال

ثم قال ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يعني بيعة الرضوان هذا كالدليل على ما قبله وعطفه بثم نظرا للاول لما قبله لتراخيه عنه فلا حاجة للتراخي الرتبي والمبالغة اخذ العهد والميثاق على امر وكان من عادتهم وضع اليد على اليد اشارة الى التعاضد والتمسك فلذا قال يد الله فوق ايديهم وبيعة الرضوان كانت بالحديبية وسميت بها لقوله تعالى لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة وهي شجرة سمرة وعضاه وقعت تحتها البيعة وبقيت الى زمن عمر وكانوا الفا واربع مائة او خمس مائة والمبايعة كانت على ان لا يفروا او على الموت ولا مخالفة بينهما وقيل كانت على السمع والطاعة في النشاط والكسل وعلى النفقة والعسر واليسر والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وعلى ان سنكون في الله لا تاخذنا لومة لايم وعلى ان ننصره اذا قدم علينا يثرب فنمنعه مما نمنع منه انفسنا وازواجنا وابناءنا ولنا الجنة فمن نكث فانما ينكث على نفسه وهذا وهم من ناقله فان هذا انما قيل في بيعة العقبة ولم يتخلف احد غير الجد بن قيس وعثمان لان النبي بعثه لقريش ليخبرهم انهم لم يقدموا للحرب وانما جاؤوا زائرا للبيت فبايع النبي عنه وقال هذه يد عثمان وكان وقع الارجاف بقتله اي انما يبايعون الله ببيعتهم اياك والمبايعة مفاعلة من البيع لقوله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة فالله تعالى بايع منهم الجنة بانفسهم وهم بايعوا انفسهم واموالهم بها فالبيع والشرا مقابضة والتسليم في المعركة كما اشار اليه يقاتلون الخ لا تسلم كما في بعض شروح الكشاف قيل ولذا قال بان لهم الجنة دون بالجنة وفيه نظر والمراد المعاهدة والمعاقدة كما يرشد اليه قوله ومن اوفى بعهده من الله ولما ورد انه كيف اثبت مبايعته ومبايعة الرسول بقوله ونفاها في ضمن الحصر اجيب عنه باجوبة منها ان المثبت بحسب الصورة والمنفي بحسب الحقيقة وليس المراد نفي الحقيقة من حيث هي بل تنزيلها كانها معدومة ادعا من المؤمنين الواصلين لمقام الاحسان بطي الوسايط لغلبة الشهود فالقصر ادعائي وقيل حقيقي بل على التشبيه فانه بلا واسطة وفيه تعظيم وقيل النفي غير مراد والحصر مجاز عن تاكيد الحكم الاضافي ردا على من زعم انه مع اولي الوجوه ولما جعل المبايعة مع الله حقيقة اكد ذلك بقوله يد الله فوق ايديهم يريد عند البيعة اي المبايعة على عادتهم في وضع اليد فوق اليد وهذا من المتشابه وجمهور السلف فيه على تفويض علمه الى الله وتنزيهه عما لا يليق به وذهب بعضهم الى تاويله بما يليق به بشرط موافقته لكلام العرب وذهب ابن الهمام الى انه ان دعت اليه حاجة جاز والا فلا وذهب ابن دقيق العيد الى انه ان كان التاويل قريبا جاز والا فلا واليه اشار المصنف بما ذكره هنا قال الاشعري اليد ورد اطلاقها عليه بالشرع فالمراد بها صفة اي صفة قريبة من القدرة الا انها اخص كالارادة والمحبة فان في اليد تشريفا لازما وفي الكشاف لما قال انما يبايعون الله اكده على طريق التخييل فقال يد الله الخ يريد يد رسوله التي تعلو ايدي المبايعين وهو منزه عن الجوارح فالمراد تقرير ان عقد الميثاق مع الرسول كعقده مع الله من غير تفاوت وتبعه البيضاوي حيث قال الجملة حال او استيناف مؤكد على سبيل التخييل وبيانه كما قيل انه لما شبه مبايعة الرسول بمبايعة الله تشبيها بليغا ومن ضرورة ذلك تشبيه الذات المقدس بالمبايع تشبيها مضمرا في النفس تحققت هناك استعارة مكنية وهي التشبيه المضمر عند صاحب التلخيص وعند السكاكي اللفظ المستعمل في المشبه به ادعاء وعند غيرهما عبارة عن اسم المشبه به المتروك المرموز اليه بذكر لازمه ولا يصح هنا ما قاله السكاكي للزوم استعمال الجلالة في غير ذاته تعالى وهو لا يجوز اجماعا والتخييل الذي قالوه هنا عبارة عن اثبات اليد التي هي من لوازم المشبه به وهو المبايع للمشبه وهو قرينة الكناية على راي

القزويني وعلى راي غيره عبارة عن لفظ اليد المثبتة للمشبه والفرق بين مذهب السكاكي
ومذهب الجمهور ان التخييلية لا تحقق لمعناها حسا ولا عقلا بل هي صورة وهمية لا يشوبها شيء
من التحقيق كاظفار المنية فانه لما شبه المنية بالسبع في الاغتيال تصورها الوهم بصورته واخترع
لها صورة المنية واطلق عليها لفظ الاظفار ولا يمكن هنا اعتبار مذهبه بان يخترع الله صورة
وهمية مرادة من لفظ اليد وقد صرح الزمخشري بان المراد بيد رسول الله التي تعلو ايدي المبايعين هي يد
الله لنكتة ذكرها فكلامه يدل على بطلان مذهبه لانه يدل على تحقق التخييل هنا وقوله هنا في مادة لا
لا يتصور فيها اعتبار الصورة الوهمية اللهم الا ان يقال انه لم يعترف بوجود التخييل وقوله اكد تاكيدا
على طريق التخييل معناه التشبيه البليغ فانما يبايعون الله افاد ان عقد الميثاق مع الله والرسول
سواء بلا تفاوت والمكنية المقرونة تفيد هذا فالجملة المشتملة على الاستعارة تاكيد لجملة التشبيه
البليغ على راي اهل المعاني دون النحاة ولذا لم يعطف وانما ذكر التخييل دون الكناية لاستلزامه
لها وذكره صريحا فاكتفى باحد المتلازمين عن الاخر فان قلت المشبه به في التشبيه المضمر المعروف
بالتخييل اما المبايع المطلق او الخاص وهو الرسول وعلى الاول لا يصح جعل يد الرسول من لوازم المشبه
به لعموم المشبه وخصوص يد الرسول وعلى الثاني يرد عليه ان يد الله كعمومها لا تختص بيد الرسول
لان العام لا دلالة له على الخاص فكيف يصح قوله يد الرسول قلت نختار الاول ونجعل التخييل عبارة
عن اثبات اليد مطلقا وخصوص اضافتها من المقام او الثاني واليد وان عمت الايادي كلها مقرونة
بما يخصها وهو قوله فوق ايديهم لان اليد التي فوق ايديهم انما هي يد النبي فالتخييل اثبات يد الرسول
للمشبه وهذا كله بناء على حمل كلامه على اصطلاح المعاني وهو الظاهر فان حمل التخييل على اللغوي.
كان اضافة اليد معبرة عن الجارحة مجرد تخييل وتصوير لقصد المبالغة والتاكيد لم يحتج الى
العبارات المذكورة الا انه مع بعده مخالف لعادته في الجري على المصطلح وقرئ انما يبايعون لله
اي لوجه الله وقال التلمساني الصواب ان يقول معناه عند البيعة والا فالعناية والارادة
انما هي في كلام المخلوقين ولا ينبغي ان يقول المفسر بمعنى ولا يريد بل يقول من معناه او يجوز ويحتمل
ونحو وهذا مما لا وجه له **قيل في تفسير اليد قوة الله** هذا على مذهب الخلف الذاهبين الى تاويل
المتشابه اي المراد باليد هنا القوة فانه تع يوصف بها ومن اسمائه القوي اي قوة الله وقدرته في نصر
رسوله فوق قواهم فهو مجاز مرسل لان آثارها تظهر باليد قيل فعلى هذا تكون نعمة مستقلة وعد الله بها
رسوله ولا مانع من اعتباره في الحال **وقيل ثوابه** اي المراد باليد ثواب الله لرسوله فوق ثوابهم في
مبايعتهم والوفا بعهدهم وهو قريب من قوله **وقيل منته** اي نعمته عليهم ببيعتهم مما منحوه من العز في
الدنيا والثواب في الآخرة فوق منتهم عليك بمبايعتهم وبذل انفسهم واموالهم واطلاق اليد على النعمة
لكونها بمنزلة العلة الفاعلية لها شايع في كلام العرب ووردت بهذا المعنى مفردة ومجموعة على
ايدي وايادي وهو جمع الجمع وبعض اهل اللغة قال اليد بمعنى الجارحة تجمع على ايدي وبمعنى النعمة
على ايادي والصحيح الاول والدليل على قوله م

لجودك في قومي يد يعرفونها ∗ وايدي الندى في الصالحين فروض

وقوله

ساشكر عمرا ان تراخت منيتي ∗ ايادي لم تمنن وان هي جلت

والى هذا المعنى يرجع ما قبله وما قيل من انها من الله الثواب ومن المبايعين الطاعة وقيل اليد هنا
معناها عقد وقيل معنى العقد ربط الحبل ونحوه ثم استعير لمعان منها العهد والميثاق يقال
عاقدته على كذا وعقدته بمعنى عاهدته كما في المصباح وهو المراد هنا اي اليد عبارة عن عقد العهد

وهي المبايعة المذكورة فان كان معناها المصدري فهو ايجاد عهد البيعة واتمامه بمعنى ان الله
اوجد هذه البيعة وتممها واستعارها لايجاده عنده اسم اليد لان الناس يفعلونها فهو من اطلاق المسبب
على السبب وفوق ايديهم ترشيح للاستعارة اللغوية فان لها ترشيحا كما صرحوا به وايديهم على حقيقته
كما في شرح البخاري واعترض عليه بان اول كلامه ظاهر في ان اليد عبارة عن العقد وقوله استعارها
لايجاد عقده يقتضي استعارتها للايجاد وعليهما التجوز في المفرد وهو اليد فالمعنى ان عقد الله
وايجاده فوق ايديهم وهو مخالف لتفسيره بان الله اوجد هذه البيعة وتم عقدها وهذا المعنى انما
يستفاد من مجموع يد الله فوق ايديهم فانه لازم معناه التركيبي وانه لو كان له يد فوق جوارحهم لكان
هو الذي اوجد هذه البيعة والتحقيق انه مجاز مركب كتقدم رجلا وتؤخر اخرى وبهذا تظهر مناسبته
لما قبله **اقول** ان العقد مصدر فيطلق على المعنى المصدري وعلى الحاصل به وعلى هذا فلا تنافي
بين اول كلامه وآخره الا ان يكون عنده اليد الثانية بمعناها الحقيقي غير متجه نعم ما ادعاه من انه
مجاز مركب له وجه سواء كان استعارة او مجازا مرسلا واما قول الرازي يد الله فوق ايديهم اي حفظه
فوق جارحتهم يحفظهم على البيعة كما انه لا يقتضي ان المبايعين للرسول يبايعون فيه كما مر وانما يقتضي
انهم يبايعون الرسول ليس الا والله حافظ للمبايع ومنهم من ذهب الى ان في يد الله مكنية وتخييلية بان
شبه الله برسوله ثم ذكر المشبه مثبتا له يدا على التخييل كما نقله بعض الشراح وهو مما لا ينبغي نقله لشناعته
ان سلمت صحته كما قيل فتدبر **وهذه استعارة وتجنيس** والتقدير ذات استعارة وقد عرفت مما مر
انه يجوز في الاستعارة ان تكون مكنية وتخييلية او تصريحية او استعارة لغوية وهي المجاز المرسل
او اعم منه ومن الاستعارة المصرحة وحدها الرماني بانها تعليق العبارة على غير ما وضعت له في اصل
اللغة على سبيل النقل او هي تمثيلية لقوله تع ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم فانها تمثيل
لاثابة الله تع اياهم الجنة على بذل انفسهم واموالهم في سبيله وقوله استعارة راجع لما قبله او للوجه
الاخير فهو من مقول القول او كلام مستأنف من كلام المصنف متعلق بالاخير وجزم به بعض الشراح
قال لانه فيما قيل ليس استعارة بل مجاز مرسل وحقيقة وفيه ما لا يخفى والتجنيس وقع في بعض النسخ
فكانه تجنيس بجيم وسين مهملتين والمشهور هو الاول وهذا التجنيس جار على احد الوجوه وهو ان
ايديهم مستعمل في معناه الحقيقي ولا شك ان يد الله ليست بهذا المعنى فيتم الجناس من غير شبهة لانه
توافق الكلمتين لفظا سواء كان المعنيان حقيقيين او مجازيين او احدهما حقيقة والاخر مجازا
كما في ما نحن فيه وهو تام ان قلنا التخالف بالافراد والجمع لا ينافيه والا فهو نوع لم يتعرض له
ارباب البدايع وعلى هذا يرد على ما في الاتقان من انه لم يقع الجناس التام في القرآن الا في موضعين
ولم يذكر هذا فيه على انا لو قلنا انهما بمعنى مجازي ففيه تجنيس بناء على ان الصفات المشتركة بين الله
وعباده كالمنعم هل هي بمعنى او بينهما تخالف بحسب الحقيقة احتمالان كما فصله ابن القيم في كتاب الفوائد
والعجب من الشراح حيث اعترضوا على المصنف فيه حتى قال بعضهم انه لم يرد التجنيس البديعي بل اللغوي
وهو مطلق المناسبة لان العقد اذا اطلق عليه اسم اليد فانما يراد الجارحة فبينها وبين الايدي
مناسبة وهذا مع فساده لا وجه له ثم ذكر بعضهم كلاما فيه خبط وخلط ثم قال ما زعمه ابن دريد
من ان الاصمعي كان يدفع قول العامة هذا مجانس لهذا ويقول انه مولد غير قادح في صحته اذ يقال
ان في هذا تجنيسا بين هذا وهذا الاختلاف في الصورة وان اتحدت المادة بناء على انها من الجنس
الذي هو الضرب الذي هو اعم من النوع كما نبه عليه الجوهري وهذا لم يفهم كلام الاصمعي فانه مراده
ان الجنس جامد لم يسمع اشتقاق منه كاستحجر واما استعمال المصنف له فانه خطأ مشهور وهو خير

من الصواب المهجور فان المصنفين لا يبالون بمثله كما في كشف الكشاف ولفظ الجاسوس ايضا مولد واختلف فيه هل هي بكسر الجيم او فتحها ولم يذكرها اهل اللغة **وتاكيد لعقد بيعتهم اياه** اي الرسول صلى الله عليه وسلم من حيث جعل بيعتهم كبيعتهم مع الله للتفاوت بينهما فيده التي يعلو ايديهم هي يد الله على ما مر **وعظم شان المبايع صلى الله عليه وسلم** عظم بزنة عنب مصدر بمعنى العظمة مجرور معطوف على عقد والمبايع اسم فاعل او مفعول والاول انسب بالمقام ولذا اقتصر عليه التلمساني المراد به النبي صلى الله عليه وسلم ودلالته على تعظيمه بجعل يده يد الله وطاعته طاعته وفيه تعظيم لمن بايعه ايضا وهو تعظيم له داخل فيما ذكره المصنف وقول بعضهم ان فيه تشبيه ذات النبي صلى الله عليه وسلم يلزمه اطلاق الجلالة على غير الله وهو لا يجوز الا ان يقال ان مثله تجوز والاستعارة المكنية على بعض الاقوال كما مر وفي التاكيد تاكيد لما قبله من جعل بيعته بيعته **وقد يكون من هذا القبيل** وقد للتحقيق او هي مجاز عن كونه محتملا وفيه بعد **فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى** اي لم تقتلوا قريشا اذ اسلطكم الله عليهم ونصركم ولكن الله قتلهم اذ هو الخالق لهذا الفعل فيكم وان كنتم مباشرين له وهذه الآية نزلت في غزوة بدر وحنين كالتي بعدها وقوله وما رميت الخ اشارة الى ما وقع ثمة اذ رمى النبي المشركين بكف من حصباء او تراب وقال شاهت الوجوه فلم يبق احد منهم الا ملئت عينه فاشتغل بها وانهزم وشد عليهم المسلمون حتى قتلوهم ونزلت الآية والمشابهة بين الآيات انه اثبت لنفسه فعلا كالغير لغيره بحسب الظاهر وجعل الثلاثة منحصرة فيه وليس فيه وفيما بعده اتباعا للمعتزلة في خلق الافعال كما توهم وكلا الآيتين من قبيل انما يبايعون الله لما فيهما من النفي والاثبات كما يفيده يبايعونك وان من قال ليس فيهما نفي ولا اثبات لا صريحا ولا دلالة لم يصب **وان كان الاول من باب المجاز** اي وان كان المذكور اولا من قوله يد الله من نوع المجاز الى المبايعة واليد وهذا اي القتل والرمي المسند الى الله من باب الحقيقة وليس هذا اشارة الى القتل فقط وروي في باب الحقيقة اي داخل فيه والمجاز بانواعه والحقيقة امر مشهور لا حاجة لبيانه هنا كما في الشروح والمراد بالمجاز المجاز اللغوي لا العقلي الواقع في النسبة وصرف بعضهم المجاز الى المبايعة واليد الفوقية فورد عليه انه يجوز ان يكون تشبيها بليغا فاحتاج الى الجواب بانه على راي من يقول انه مجاز وليس فيه اداة مقدرة او انه راجع الى اليد على بعض الوجوه وقال بعضهم ان المصنف لم يبق المبايعة في الآية على اطلاقها اذ قيدها باليد المستعملة في حق الله في قوله يد الله الخ فالمعنى ان الذين يبايعونك المبايعة التي توضع فيها الايدي على الايدي انما يبايعون الله تلك المبايعة فتعين ان قوله انما يبايعون الله مجاز لغوي مركب اي لا يكون ايجاد مبايعتهم منك بل من الله وفيه بحث يعلم مما قدمناه **ان القاتل والرامي في الحقيقة** وفي اكثر النسخ بالحقيقة والحقيقة نفس الامر والواقع ويلزمه ان يكون حقيقة اصطلاحية **هو الله** لا النبي ولا المخاطبون ثم ذكر علة كون الرامي حقيقة الله لا غيره لانه المتعلق بالنبي وادرج فيه القتل فقال **وهو خالق فعله** اي الله خالق فعل النبي كسائر العباد ويحتمل عود الضمير الى العبد لفهمه من السياق **ورميه** تخصيص بعد التعميم او تفسير **وقدرته عليه ومشيئته** المشيئة بمعنى الارادة وبينهما فرق مفصل في كتب الكلام وفي نسخة وضميره عليه للفعل وفي نسخة مصححة مستبته بالسين المهملة وتشديد الموحدة المكسورة مرفوع معطوف على خالق ويجوز جره عطف على فعله فيكون بمعنى السبب ثم اشار الى التعليل ثان ودليل على كون الآيتين حقيقة واعاد اللام اشارة الى استقلاله ومغايرته لما قبله فقال **ولانه ليس في قدرة البشر** هو لفظ مشترك يقال على الانسان ويستوي فيه الواحد وغيره فلا يجمع ويقال البشر جمع

بشرة

بشرة وهي اعلى الجلد **توصيل تلك الرمية حيث وصلت** اي مكان وصولها من وجوههم لانه صلى الله عليه وسلم قال لعلي يوم بدر ناولني كفا من الحصا فناوله فرمى به وجوه القوم فما بقي الا وقع في عينه منها وقيل اخذ قبضة من تراب ورمى بها وقال شاهت الوجوه فما بقي مشرك الا انه اشتغل بعينيه الى اخراج التراب الذي فيها فنزل وما رميت الخ ذكره ابن الجوزي وذكر ان سبب نزول قوله تع فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ان الصحابة لما رجعوا من بدر جعلوا يقولون قتلنا وقتلنا فنزلت فيحتمل انه سبب نزول وهو لا ينافي ما ذكره المصنف من ان الملائكة قاتلوا لان ما قالوه بناء على ما راوه بحسب الظاهر والى ما ذكر اشار بقوله **حتى لم يبق منهم من لم تملأ عينيه** اي لم يبق احد من المشركين لم تملأ رميته عينيه من التراب وذكر حصاة انه حقيقة او نظرا للاكثر ولذا قيل عرفا فانه روي هنا والفرق بين التعليلين ان الاول بناء على ان الله خالق لفعل العبد ولقدرته عليه وموجد لسببه وهو غير مختص بما نحن فيه ولذا قدمه والثاني مبني على ان هذا الفعل ليس مقدورا للبشر فعلى الاول هو حقيقة باعتبار الواقع دون غيره ودون عرف اللغة وعلى الثاني حقيقة لغوية وعرفية والمذاهب في الافعال ثلاثة فقيل ان العبد موجد للفعل ولا مانع من اجتماع مؤثرين على اثر واحد والجلال تحرير مستقل في هذه المسئلة وعلى كل حال فالعبد مباشر فيصح النفي عنه والاثبات له ولله اذ الفعل ينسب الى الموجد والمباشر كليهما على الحقيقة اللغوية واعترض بانه لو صح هذا صح ما صليت والله صلى وكذا في المعاصي واجيب بانه ان اراد صحة نسبة جميع الافعال الى الله فممنوع اذ قد يمنع عنها مانع مع صحة المعنى كايهام او بشاعة كما قيل في الفارق وخالق الخنازير واطلاق الشارع لا يقاس عليه وان اراد صحة النفي عن العبد واثباته لله تع حقيقة فبطلانه مسلم وخص هذا المقام بذكره لانه مظنة الخيلاء اذ قالوا قتلنا واسرنا فنزلت تعليما وتاديبا للتبري واذلك من الله وقد صرح المحقق في شرح المقاصد بان الفعل لا يسند حقيقة الا لمن قام به لا لمن اوجده وشنع على من قال بخلافه وبه صرح شراح الكشاف في قوله شققنا الارض شقا فاسناد الرمي والقتل الى الله مجاز على ما فيه او اراد ان الرمي والقتل ثابتان له خلقا دون البيعة معه واليد فليست الحقيقة بالمعنى المصطلح ثم ان كونه تع خالق القدرة لا دخل له في المدعى وانما ذكره لمناسبة انتهى اقول الفرق بين الفاعل اللغوي والفاعل الحقيقي امر مهم ولم يحققه احد كالابهري في شرح العضد حيث قال الفاعل يجب ان يكون سببا قابليا لفعله ليصح الاسناد اليه لغة فاذا خلق الله شيئا في محل يقوم بالعبد يسند اليه دون الله وان كان الله اوجده ولذا شدد النكير على المعتزلة في اسناد الكلام الى الله لكونه اوجده ولم يقم به لعدم صحته لغة بالاستقراء واذا اسند الفعل لغير السبب القابلي لم يجعل مجازا عن فعل آخر مناسب له ويكفي في هذا ان يعد سببا قابليا في عرف العرب لا يجب ان يكون محلا له في الحقيقة كما في سرتني رؤيتك فلا تجد احدا من العرب يخطر بباله عند اسناد الضرب لعمرو والسرة عند رؤيته ان فاعلهما غير المذكور هكذا يجب ان يفهم هذا المقام لتندفع به الاوهام الى آخر ما حققه بما لا مزيد عليه ولم يذكر فيه اختلاطا واخلالا فانه مع طول باعه وسعة اطلاعه واذا عرفت هذا ففيما ذكره هذا القائل امور منها ان قوله ان الفعل ينسب للموجد والمباشر حقيقة لغوية غير صحيح لانه لا ينسب الا لمن قام به وهذا بخلافه عند اهل اللسان مع ان اول كلامه غير صحيح مناسب لآخره ومنها ان الحقيقة تطلق على ما يقابل المجاز الاصطلاحي وعلى الواقع في نفس الامر والمصنفون اذا ارادوا الاول قالوا هذا مراد به كذا حقيقة واذا ارادوا الثاني قالوا هو في الحقيقة بمعنى كذا فما ذكره في كلام المصنف لا وجه له

ومنها ان قوله ان العارف لا يطلق على الله لا يهام به يعني انه يختص بالجزئيات او بما يسبقه جهل والاول يوهم اختصاص علمه تع والثاني يوهم ما لا يليق به جل وعلا تبع فيه غيره وقد رده الحافظ ابو زرعة في نكته على المنهاج بان امام الحرمين فسر العلم بالمعرفة وتبعه البيضاوي في تفسير قوله تعالى وآخرين منهم لا تعلمونهم الله يعلمهم فقال اي الله يعرفهم ان كان العلم بمعنى المعرفة متعديا بالواحد واعترض عليه الفاضل المحشي وقال الجوهري علمت الشيء عرفته وقد وقع اطلاق المعرفة على الله في كلام النبي صلى الله عليه وسلم واقوال الصحابة واهل اللغة فلا حاجة لا ثباتها بالمشاكلة ونحوها والعجب من صاحب المواقف حيث قال علم الله لا يسمى معرفة اجماعا لا اصطلاحا ولا لغة • ومنها ان قوله ان كون الله خالقا للقدرة لا دخل له في مدعاه عجيب منه فاذا خلق العبد وقدره عليه وسببه كان ذلك ابلغ في نسبته له على اتم الوجوه فاي شي تم خلقه اعظم من هذه **وكذا القتل الملائكة حقيقة** منهم لمباشرتهم له وحقيقة يجوز رفعه خبر القتل ونصبه على الحالية وكذا الخبر مقدم وهذا مبني على ان الملائكة قاتلوا في بدر وان قوله ولكن الله قتلهم بتقدير ولكن ملائكة الله قتلوهم ومنهم من منع قتالهم معهم فيها كما ذكره المقريزي وقال بعض الشراح ما الحق هذا بالتعجب لان القاتل حقيقة بالنسبة اليهم هو الله الخالق لافعالهم وقدرتهم وهم المباشرون فلا خصوصية لهم بكون قتلهم حقيقة لم يسند لله وايضا لا يظهر كونهم لم يقتلوهم مثل ان الذين يبايعونك الا ان يقال ان اللفظ يطلق على معناه وعلى كماله المقصود منه فاطلق اولا على ما وضع له من نفي القتل والرمي مع صدوره صورة في قوله تع فلم تقتلوهم وما رميت ثم ثانيا على المقصود ومن قذف الرعب في قلوبهم ومنفعة الرمي وثانيا ولكن الله قتلهم ولكن الله رمى فهو من اطلاق السبب على المسبب ورده بان الملائكة باشروا القتال فاسناده اليهم حقيقة لا الى الصحابة فيصح النفي عنهم فما ذكر من قصور الفهم ثم قال ان هذا الدليل انما يدل على النفي عن العبد حقيقة لا الاسناد الى الله اذ لا يلزم من كون الانصار من الله والقتل من الملائكة ان يكون القتل والرمي فلعله ساق الدليل الاول لحقيقة الاسناد الى الله تع والثاني لحقيقة النفي فالمجموع دليل على الاثبات والنفي والثاني دليل البعض المدعى ومثله سايغ وهذا ليس بشي والحق وروده اعتراضه وقصور فهم من رده واما الثاني فغير وارد وقد علم جوابه مما اوردناه اولا **وقد قيل في هذه الآية الاخرى** وهي فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم **انها على المجاز العرفي** وفي نسخة العرفي بالفاء ولما كان الفاعل الحقيقي هو الله كما مر تحقيقه كان اطلاق الفعل على غير فعله واسناده لغيره ليس حقيقيا فيكون مجازا بالنظر للحقيقة الا ان عادة العرب وتخاطبهم على عد غيره فاعلا حقيقة والقرآن ورد بلسانهم وجرى على نهج كلامهم وهذا معنى قوله العربي والعرفي فهما بمعنى ولذا جعل بعضهم المجاز العربي شاملا للمجاز في اللفظ والاسناد وان المراد هنا الاول والمراد بالعرف عرف اللغة وقيل المراد بالعربي اللغوي وهو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له في اصطلاح التخاطب عن المجاز العقلي والنسبة وللتلمساني هنا كلام يتعجب منه والمراد بالعرفي ما عدل له به عما وضع له في عرف غير اللغة والشرع ولا وجه لايراده في هذا المقام الا ان يراد به ما يعم عرف اللغة فهو في مقابلة العقل وقد عرفت انه كلام ساقط برمته وكذا ما قيل ان المجاز لا يختص بلغة العرب الا انه لما كان مبحوثا عنه في علم البيان المدون للفظ العربي سمي عربيا وهو اصطلاح لم نحكه لغيره **ومقابلة اللفظ ومناسبته** بجرهما عطفا على المجاز وعطف مناسبته على مقابلة عطف تفسيري ان اتحدا والظاهر تغايرهما فان الاصل والمراد بالمقابلة صنعة الطباق وهي الجمع بين متضادين في الجملة سواء كانا مثبتين نحو تحسبهم ايقاظا وهم رقود او احدهما مثبت والآخر منفي

نحو

نحو ولكن اكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا كما في التلخيص وليس المراد المقابلة التي ذكرها السكاكي والمراد بالمناسبة ذكر اليد في الجانبين والقتل والرمي فيهما فهي بالمعنى اللغوي كالمقابلة وليس المراد بها المشاكلة على حد قوله

قالوا اقترح شيئا نجد لك طبخه • قلت اطبخوا لي جبة وقميصا

كما قيل للتلمساني المراد بالمقابلة ايراد اللفظ الفاظ متوالية متماثلة في الترتيب والمادة كما ذكره ابن رشيق وهو اكثر ما يقع في الفاظ الكتاب كقوله • اي قول البحتري

تطيب بمسراها البلاد اذا سرت • فينعم ريّاها ويصفو نسيمها

والمناسبة ذكر الشيء مع ما يناسبه على جهة الاستعارة او التشبيه كقوله

سقيتها عبرات ظنها مطرا • سايلة من جفون ظنها سحبا

والاول لا مناسبة له بوجه من الوجوه والثاني يمكن ارادته **اي ما قتلتموهم وما رميتهم انت اذ رميت وجوههم بالحصا والتراب** الحصا بالمد الاحجار الصغار وقيل المختلط بالتراب لان الغالب ان الحصا مع التراب وفي نسخة ما قتلتموهم اذ قتلتموهم اي لم توجد واذ لك وتخلقوه ولم يكن ذلك منكم ما ثبت لله من رمي قلوبهم بالخوف والجزع لقوله ولكن الله رمى قلوبهم بالجزع اي رمى ما رماه من الجزع وهو عدم الصبر لشدة الخوف ولم يتعرض لمعنى القتل المجازي لفهمه مما ذكر ولو جعل الرمي شاملا لايصال الحصا لعيونهم الشاغل لهم كان اولى فالله هو الموجد لما ذكر والممكن منه وقيل كان مقتضى الظاهر ان يقول وما شغلت قلوبهم بالجزع ولكن الله شغلها به فعبر عن شغلها بالرمي لمشاكلة قوله رميت قاصدا بالرمي رمي الجزع في قلوبهم على تقدير المفعول كما قصد رمي النبي ورمي الحصا **اي ان منفعة الرمي كانت من فعل الله تبارك وتعالى** والمنفعة والنفع بمعنى وهو ما يقابل الضر وفي لحن العامة للزبيدي اذا ذكر الضر مع النفع فهو بفتح الضاد كقولك لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا واذا ذكر وحده فبالضم كقوله مسني الضر والغلبة والعزة او شغل قلوبهم بالجزع وسكت عن القتل لعلمه منه فالمراد بالفعل فايدة الموضوع له **فهو القاتل والرامي بالمعنى والحقيقة** لانه الموجد له ولسببه ومنفعته هم المقصودة منه فكانه هو الذي فعله وتفريع القاتلية يدل على انه مقدر قبله او في حكمه منفعة الرمي التي هي الرعب والجزع سبب القتل فاذا كانت من الله فهو القاتل لانه الموجد لسببه والرامي فانه الموجد لفايدته فلا تقدير والمعنى المقصود والفايدة من اوجد سببها فهو الموجد لها **وانت بالاسم** اي بتسميتك راميا واطلاق لفظ عليك لغة لمباشرتك وان كان الفاعل هو الله وفي عبارة المصنف اشارة الى انه تع لو قال فلم تقتلوهم اذ قتلتموهم جاز ان يكون الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين كما انه في قوله تع اذ رميت له خاصة ولا ضير فيه وانه لم يباشر القتل بنفسه لجواز ان يسمى قاتلا لانه السبب والآمر بالقتال او ينسب القتل للجميع تغليبا للاكثر على الاقل لانه لم يقاتل بنفسه في وقعة بدر كما قاله التجاني وغيره هم

الفصل العاشر في ذكر ما اظهره الله في كتابه العزيز

اي العديم النظير والغالب على غيره من الكتب بالنسخ او الممتنع من مضاهاته باعجازه او من التغيير وتحريف لفظه لحفظه له من كرامته عليه يقال كرم عليه لتضمنه معنى العزة او هي بمعنى عنده وعدل عنها لئلا تتكرر مع قوله **ومكانته عنده** اي علو مرتبته وشرفه عند الله كما مر **وما خصه به من ذلك** المذكور من الكرامة والمكانة وهو تخصيص بعد تعميم اي فيه كرامات وتشريفات مشتركة ومخصوصة به **سوى ما انتظم فيما ذكر قبل** اي غير ما دخل فيما قبله من الفصول وقيل مبني على الضم

واستظم يكون لازما ومتعديا كما صرح به اهل اللغة وفيه استعارة ظاهرة وقيل متعلق به او بذكر على
التنازع فيه ولما لم يستوعب كرامته قبل اردفه بفضل كماله به ولم يدرجه في بعض ما سبق كالملاطفة
لترجيح هذه الطريق **من ذلك ما قصه الله تعالى** من قصصت الخبر اذا ذكرته على وجهه كما في المصباح
فهو اخص من الذكر مع مجانسته لقوله في قصة الاسرا **في سورة سبحان والنجم** وهو متعد بنفسه
فلا حاجة لجعله بمعنى نص عليه على الحذف والايصال والاسرا سيره من مكة الى الاقصى وما فوقه معراج
وعروج ويطلق على ما يشملهما ايضا وهذا تقدم مفصلا الا انه ذكره هنا استطرادا وهنا مفصلا
اصالة لعقد الفصل لامثاله **وما انطوت** اي اشتملت **عليه القصة من عظيم منزلته وقربه** من الله
تعالى المفهومين من قوله **وغير ذلك ومشاهدته ما شاهد من العجايب** وهذا بناء على ان المراد دنو ربه
من الله او دنو الله منه دنو منزلة ومكانة لا منزل ومكان بخلاف القول بان القرب دنو جبريل منه
والعجايب ما راى من ايات ربه الكبرى ورؤية الانبيا وذهابه وايابه في برهة من الليل وغير ذلك
ومن ذلك عطف على من ذلك المتقدم اي ومما اظهره وقيل الاشارة الى عظم المنزلة **عصمته من الناس**
بقوله والله يعصمك من الناس اي يحميك عن القتل وما لا يليق من الاهانة وقد تقدم الجمع بين هذا
وبين كسر ثنيته باحد بتخصيص العصمة او بتاخر نزول هذه الاية والمراد بالناس الكفار كما في قوله
امرت ان اقاتل الناس الحديث **وقوله واذ يمكر بك الذين كفروا الاية** اي ومن العصمة قوله الخ وهو
مجرور معطوف على قوله وكذا ما بعده وتمام الاية ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ويمكرون ويمكر الله
والله خير الماكرين • وهذا انه لما بايع الانصار بالعقبة وامر اصحابه بالذهاب للمدينة اشفقت قريش
من ظهوره فاجتمعوا بدار الندوة للمشاورة في امره فاتى ابليس بصورة شيخ نجدي وقال سمعت ما اجتمعتم
له فاحببت ان اكون معكم ولن تعدموا من رايي نصحا فقال احدهم احبسوه توثقا وتربصوا به ريب
المنون فقال الشيخ ما هذا براي يوشك ان يثب اصحابه فياخذونه من ايديكم فقال اخر اخرجوه
من بين اظهركم فقال ما هذا براي يجمع جموعا وياتي لكم فقال ابو جهل ناخذ من كل قبيلة غلاما معه
سيف فيضربونه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه في القبايل فلا تطيق قريش على حربهم كلهم فيقبلون
العقل ونستريح فقال ابليس هذا هو الراي وتفرقوا فاتاه جبريل واخبره بذلك وامره ان لا يبيت بمضجعه
في هذه الليلة فامر عليا بان يتردى ببردة وينام مكانه ففعل فاتوا واحاطوا بمكانه فلما اصبحوا
اتوه فراوا عليا وقد خرج الى الغار على ما فصل في السير • وعلي اول من باع نفسه لله كما قال •

وقيت بنفسي خير من وطي الثرى • ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر •

في شعر نسب له ويثبتوك معناه يوثقوك ويحبسوك به ويمكرون ويمكر الله مشاكلة بمعنى يجازي
مكرهم بما يليق به كقوله نسوا الله فنسيهم قال التجاني وخير الماكرين اقدرهم واعزهم جانبا لانه اثبت
للكفار مكرا فصح التفضيل عليهم فيه وقيل عليه انه يقتضي ان اصل المكر ثابت كما ثبت لهم الا انه خير منهم
مع ان الثابت له انما هو المجازاة المعبر عنها بالمكر مشاكلة واذا ثبت لهم المكر الحقيقي وهو ايصال المكروه
خفية وله المجازاة عليه فيكون الماكرين بمعنى المجازين وهو ممنوع عند النحاة كتثنية المعنيين
المشتركين فالحق ان المراد خير المجازين على المكر كما قيل في احسن الخالقين انه بمعنى المقدرين وفيه
بحث **وقوله الا تنصروه فقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا الاية** قوله بالجر كما مر وروي
بالرفع عطف على العصمة وهذه الاية تتميم لما قبلها والمعنى ان لم تنصروه فقد نصره الله فسينصره
من نصره قبل ذلك وهو بين اعدايه وقد هموا بما هموا به فاذن له في الهجرة وامده بالملايكة وطريقه الاخراج
للنصر لانه سبب او لانه سلمه من اعدايه واعمى ابصارهم ثمة وحماه في الغار وقصة سراقة فلا اشكال

فيه والاية نزلت في غزوة تبوك ونسب الاخراج للكفار وان كان منه باذن من الله لانهم سببه كما في
قصصنا عليك **وما دفع الله به عنه** اي بحفظه من غير محس له او ببركته عليه السلام في هذه
القصة المشار اليها بقوله واذ يمكر بك الذين كفروا الخ في الهجرة والغار والطريق • وقوله الا تنصروه
فقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار **من اذاهم** اي اذيتهم له بما سيأتي ومن
مبينة لما المعطوفة على الناس واختار بعضهم عطفها على عصمته على ان ما مصدرية او موصولة
ومن بيان لمقدر والتقدير ودفع الله بسبب النبي عنه او والكرامة التي دفع الله به بسببها عنه امرا
امرا عظيما عنه ولا يخفى ما فيه من التكلف من غير داع له **بعد تحزبهم** بحاء مهملة وزاي معجمة
وموحدة وفي نسخة تحزبهم اي قصدهم والاول بمعنى تجمعهم في تشاورهم مع احزابهم وقرار رايهم
لهلكه بضم وسكون اي هلاكه وهو مصدر او اسم مصدر **وخلوصهم نجيا في امره** اي بعد انفرادهم
في اذيته منفردين في دار الندوة للمشاورة في امره والخلوة اعون على الحسم والراي ونجيا بمعنى
متناجين ومتناجين فهو فعيل بمعنى فاعل او مفعول للمبالغة في النجوى وتقع على الواحد والجمع
والاخذ على ابصارهم عند خروجه عليهم حقيقة الاخذ التناول باليد ونحوها ومنه اخذه الله
بمعنى اهلكه ومعنى اخذ الله على ابصارهم منعها من رؤيته ثم ترقبهم له لما خرج من داره مارا عليهم
والاخذ مجرور معطوف على تحزبهم وروي مرفوعا بالعطف على ما وقيل تقديره من الاخذ على ابصارهم
عند خروجه لما ارادوا قتله وهو خطا لاقتضائه دفع الاخذ وهو ثابت **وذهولهم عن طلبه في
الغار** الذهول ذهاب العقل والنسيان والغفلة والمراد هنا الاخير وفي الغار متعلق بالطلب
اي ذهلوا عن ان يكون طلبهم له في الغار لا حال من ضميره لانهم طلبوه وهو فيه لما اقتصوا اثره حتى
بلغوه فصدهم نسج العنكبوت وبيض الحمام ببابه والغار نقب في الجبل كالمغارة فاذا اتسع فهو كهف
وتعريفه للعهد لغار ثور القريب من مكة بمقدار ساعة وما ظهر في ذلك الغار او الامر وهذا معطوف
على عصمته اي ومن ذلك ما ظهر اي للنبي وابي بكر فيما ذكر من قصة الاسرا وقصة الهجرة والغار
وجمع ضميرهما تعظيما وجمع ضمير المثنى كثير ولهم في اكثر النسخ والقدح فيه لتوهم انه ضمير للكفار ولم
يظهر لهم نزول السكينة عليه تعسف لانه من الايات الدالة على نبوته كوقوع كف من تراب على جميع
رؤس جماعة رصدوه فقتلوا كلهم ببدر وبنات شجرة تسمى الراكاشم الحروف ببابه ونسج العنكبوت
وتعشيش الحمام وبيضه به وشفا الصديق من لدغ الحية بريقه وشرب الصديق من ماء الجنة لما عطش
به كما نقله الفيروزابادي والطبري وفتح جبريل الطرفه الاخر عند خروجهما **ونزول السكينة عليه**
اي على النبي او على ابي بكر لما في مصحف حفصة فانزل الله سكينته عليهما وقيل الحق الثاني
لانه هو الذي كان منزعجا بل النبي قوله اذ يقول لصاحبه لا تحزن وقال التجاني في عود الضمير على
النبي وابي بكر قولان وفي احكام القران لابن العربي الاقوى انه لابي بكر لا على النبي عليه السلام ©
فانزل الله سكينته على قلبه سكينته اي طمانينته وامنه وفي السواد عليهما ولذا قيل الضمير في
عليه لهما واكتفي باعادته على احدهما كقوله والله ورسوله احق ان يرضوه كما ذكره ابن الجوزي عن ابن
الانباري بعد توجيه عوده لابي بكر وان كان ضمير وايده بجنود للنبي بلا خلاف لانه لا يحتاج لذلك
الا المنزعج ونظيره ما مر في توقروه وتسبحوه والقراءة الشاذة ما قوله بنسبته ما للواحد الى الاثنين
كيخرج منهما اللؤلؤ والمرجان الا ان قوله ثم ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين يصح عوده
هنا للنبي ايضا والسكينة فسرت بطمانينته والامن والرحمة والوقار فيفسر في كل حال بما يليق
به مع ان طمانينته صلى الله عليه وسلم ليست كغيره لانها عن جزم بعدم وصولهم له وعدم قدرتهم

لو وصلوا الى اذيته او للرضا بما قدره الله وعدم المبالاة بما يناله لاجله كما قيل وكانت هذه القصة في مبالاته ﷺ

وبما شئت في هواك اختبرني • فاختياري ما كان فيه رضاكا •

وقصة سراقة بضم السين المهملة وراء مهملة وقاف **ابن مالك** وسياتي تفصيلها وهو ابن مالك بن خثعم بن مالك بن تيم بن مدلج بن مرة بن عبد مناف بن كنانة المدلجي الصحابي الحجازي وجعشم بضم الجيم والشين المعجمة وما نقله البرهان عن الجوهري من انه بفتحها ليس موجودا في نسخه كما قيل وكانت هذه القصة قبل اسلامه واسلم في غزوة الطايف بعد فتح مكة ومات في سنة اربع وعشرين وكان شاعرا وبنو مدلج كلهم والقيافة من علوم العرب وقلما يخطئون فيها وقد عمل بها وعمل بها النبي في بعض الامور

حسب ما ذكره اهل الحديث والسير في قصة الغار وحديث الهجرة بفتح السين وسكونها منصوب اي موافقا لما ذكر وفي الحديث يجزى المرء على حسب عمله اي على مقداره وله معان اخر والحديث اقواله صلى الله عليه وسلم وافعاله واحواله وتقريراته وتطلق على قول الصحابي ونحوه ايضا كما فصل في محله واهله علماؤه المفتنون به والسير جمع سيرة بمعنى الطريقة والخصلة ثم خص بغزوات النبي واسفاره المفردة بالتدوين والهجرة الانتقال من دار لاخرى وصار للمعهد اي هجرته للمدينة **ومنه** معطوف على قوله من ذلك قوله تعالى **انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر** اكده مع ضمير العظمة ايماء الى عظمة المعطي والمعطى وتسويغا ونفيا للشبهة فيه وعبر بالماضي لمضيه ان كان الكوثر مطلق الخير الكثير كما قال ﷺ

وانت كثير يا ابن مروان طيب • وكان ابوك ابن الفضايل كوثرا •

وكذا ان كان اسم الحوض او نهر في الجنة احف واحلى من العسل وابيض من اللبن وابرد من الثلج كما ورد في الحديث لتقدم العطا وفي الروض الانف عن عايشة انها قالت الكوثر نهر في الجنة لا يدخل احد اصبعيه في اذنيه الا سمع خريره لك النهر الى نحوه مما ثبت في الحديث وفي الاحاديث الصحيحة فان قلت ما يسمع من الدوي اذا سدت الاذان بالاصبع انما هو لارتفاع الهوى المانع للاذن عن سماع حركة الابخرة التي في داخل الدماغ وهو امر طبيعي كما قال المتنبي في صفة حرب كما قال ﷺ

• وتسمع في الدنيا دويا كانما • تداولت الاذان املاك العشر •

فما معنى هذا الحديث قلت الجنة موجودة الآن كما هو مذهب اهل اللغة واهل السنة وهو الذي نعتقده وما تدركه الحواس الظاهرة يدركه الحس المشترك بعد غيبته لانه كالحوض الذي ينصب فيه انهار خمسة فلا مانع من ان النفس كانت سمعته في عالم الذر بحاسة ظاهرة فلما غاب ولم يشتغل بالسمع الآن انسته لسدة ادركته او ادركت دويا آخر كما قاله الحكما فتذكرته وجعل تذكره مما عد على طريق الاستعارة وليس هذا مما يقال بالرأي • وقد قلت وانا بالروم اتشوق لمصر •

• لحديث نيلك مصر امسي مصغيا • حتى يخوضوا في حديث غيره •

• يا كوثرا اذ سد عنه مسمعي • القاه فيه قد جرى بخريره •

فصل لربك وانحر امر بالصلاة مطلقا او التهجد وكان الظاهر فاشكر فعدل عنه لان مثل هذه النعمة العظيمة ينبغي ان يكون شكرها كذلك واعظم ذلك العبادة واعظمها الصلاة وعدل عن التكلم اذ لم يقل لنا الى الظاهر بقوله مخلصا لربك التفاتا تطرية للسمع وتقوية لداعية الشكر لتقدم انعامه عليه بالتربية قبل الشكر فكيف بعده • وقوله وانحر امر بتقريب البدن لان النحر يختص بها وفي غيرها يقال ذبح وهذا عبارة عن جميع انواع العبادة المالية والبدنية ولما قال بعضهم عدم المناسبة غفلة عما ذكر جعل الصلاة صلاة العيد وقال معنى انحر ضع يدك على صدرك في الصلاة لانها تكون تحت النحر وقول بعضهم ان الصلاة وقعت قرينة كثيرا نحو ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ﷺ

لا شريك له

لا شريك له اي لا شك **إن شانئك هو الابتر** اي المقطوع العقب والقليل ولم يقل جعلناه ابتر لئلا يسند الشر لنفسه **اعلم الله بما اعطاه حقيقة او قدره له** او بما هو موجب للعطا فسماه به وتاويله بيعطي يفوت هذه النكات ثم شرع في تفسير الكوثر وسرد اقوال المفسرين ولم يقصد بقوله قيل تضعيفا وانما اراد الحكاية فقال **والكوثر حوضه** في القيمة وسياتي بيانه **وقيل نهر في الجنة** غير الحوض وهو الصحيح **وقيل الخير الكثير** فهو صيغة مبالغة من الكثرة في اللغة وخص بالخير بمقتضى المقام واحسن في تعقيبه بقوله **وقيل الشفاعة التي من خصايصه** في مقام لا يستمع غيره النطق فيه وهذا اعظم الخير والنفع واكثره **وقيل المعجزات الكثيرة وقيل النبوة وقيل المعرفة اي العلوم** اللدنية التي افاضها الله عليه فليفضها بغير واسطة كانها كوثر وهكذا النبوة والمعجزات فما قيل انه لا وجه له ثم انهم اختلفوا في الحوض ونهر الكوثر هل هما شيء واحد او امران متغايران او الحوض ماخوذ من الكوثر وانه يمد بمجاري مايته منه على اقوال استدل لكل منها باحاديث تركناها لطولها **ثم اجاب عنه عدوه** تقدم ان العدو يطلق على الواحد والجمع والمراد هنا قريش والعاص ابن وايل السهمي كما قاله المفسرون لانه لما مات ابنه القاسم قالوا ان محمدا صار ابتر اي لا عقب له فنزلت جوابا لهم مصدرة بما اعطاه عوضا عن مصيبته بابنه القاسم وقيل عبد الله وقيل قايل ذلك ابو جهل وقال كعب بن الاشرف والسورة ثم نزلت بتمامها جوابا لهم وعن ابن عباس ان آخرها نزل جوابا وقيل لقول ابي جهل بتر محمد وكلام المصنف ماش على هذا واورد على القول الاول بانها جواب للعاص ذا عقب وله اولاد هشام وعمرو ماتا مسلمين وهشام قديم الصحبة اسلم بمكة وهاجر للحبشة وقدم المدينة بعد ما حبسه ابوه وقومه وعمرو قدم هو وخالد بن الوليد وعثمان بن طلحة مسلمين فنظر لهم رسول الله وقال رمتكم مكة بافلاذ كبدها بالمعجمة جمع فلذ وهو القطعة واجاب البجاي بان العاص وان كان له عصبة فقد انقطعت عصبته منهم بالاسلام ولا توارث بينهم وصاروا اتباع النبي صلى الله عليه وسلم لانه اب لهم وازواجه امهاتهم كسائر الانبياء والمومنين فلا قرابة بينهم وبينه وقد روي انه انقطع نسله كما سياتي وقد قرئ ازواجه امهاتهم وهو اب لهم ولا تنافي بينهما وبين قوله ما كان محمد ابا احد من رجالكم لان المنفي الابوة الحقيقية • واجاب غيره بان من قال ابتر لم يقصد ظاهره وانما قصد انه سيموت ولا يذكر وقد ورد هذا مصرحا به في بعض الروايات فالرد باعتبار المقصود وان شانيه هو الذي لا ذكر له فان المراد ذكر الاب بخير بعد موته ولا شك ان عقبه لا يذكرونه بخير بعد اسلامهم واما ما قيل من ان صدر السورة لا دخل له في الرد فاذا كانت نزلت جملة كيف يقال انها نزلت للرد فمدفوع بانه لا مانع في الجواب من ان يزاد فيه والاحسن ان يقال انه موطئ للجواب وموطئ له اذ المعنى انا اعطيناك الكوثر عطايا عظيمة في الدنيا والاخرة يجب عليك شكرها وجعلنا لك عبادة وشريعة باقية ومن هذا شانه لا يكون ابتر انما يكون الابتر من ليس كذلك فان المقصود من الولد الذكر واي ذكر ابقى من ذكرك واقوى ولك ان تقول ليس سبب النزول قولهم هذا بل سببه موت ذكور اولاده وقوله شماتة بشتمه انه ابتر ومعنى السورة مطابق له بتمامها فان من مات من الاولاد فرط لابائهم يثابون عليه في الاخرة فالمراد انا اعطيناك الكوثر لما احتسبته منهم والذي يليق بك انما هو الاشتغال بالعبادة فان امتك ومن هداه الله بك عقب لك الى يوم القيمة ومن كان هكذا فليس بابتر انما الابتر عدااه واي مناسبة اتم من هذه **ورد عليه قوله انه منقطع** العقب والذكر بوجه يتضمن شتمه وتنقيصه **فقال تعالى** وفي نسخة قال على الاستيناف او البدل **ان شانئك هو الابتر** لا انت بل بقايك وبقاء ذكرك علة لمقدر اي لا يلتفت لمقاله فانه ابتر او استيناف نشا مما قبله اي امرتك باشتغالك بالعبادة المالية والبدنية لانها لا عايق عنها

من عدوك الابتر وقيل هو مع الامر قبله معطوف على جملة الامر الاولى وغير فيها الاسلوب
تفننا وفيه تكلف وتعريف الطرفين وضمير الفصل المفيد كل منهما الحصر ولم يكتف باحدهما لزيادة
الاهتمام بنفي ما ذكر عنه واثباته لعدوه على اتم الوجوه وتبجح بعض الشراح هنا بامر لا طائل
تحته غير التطويل **اي عدوك ومبغضك** اصل معنى الشنان البغض ويلزمه العداوة في الاكثر
وهو الواقع هنا فلذا ذكرهما لا انهما مترادفان كما قيل بدليل قوله انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم
العداوة والبغضا **والابتر الحقير الذليل** اصل معنى البتر القطع وفي حديث الضحايا نهى عن المبتورة
اي المقطوعة الذنب ثم استعير لمن لا عقب له وصار رفيه حتى صار حقيقة ومجرد عدم الولد
لا ذم فيه وانما يذم باعتبار لازمه وهو انقطاع العمل لحقارته وذلته كما ورد في الحديث اذا مات
ابن آدم انقطع عمله الحديث مع ان عقبه من فاطمة لم ينقطع ففيه رد وزيادة اذ الحقير لا يذكره احد
وقيل الابتر مشترك بين من لا عقب له والحقير ليس بتفسيره اصلا ومعناه المفرد بفتح الراء اي الوحيد
فعناه تاكيد له وفي القاموس الابتر الذي لا عقب له او مقطوع الذنب وهذا المعنى ماخوذ
ولذا فسر الابتر بالمنفرد الذي لا ناصر له ولا يبلغ ما موله وروي هذا عن الحسن وقيل اعلى ايته
انقطع باسلامهم ومنه ما انقطع بقاوه حقيقة كالعاص كما قالوه والذي لا خير فيه فلا يذكره احد
وفي مقابلته بينه وبين قوله الكوثر اذا فسر بالخير الكثير ومن كرامته التي ذكرها الله ما اشار اليه
بقوله **وقال تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم** والمثاني جمع مثنى
مفعل ولعن اثنين ومن بيانية او تبعيضية اي من جملة الايات المثاني والقرآن وصف او اسم
وخص السبع بالذكر لفضلها واما كون الفاتحة لم تكتب في مصحف ابن مسعود كما نقله الامام فلا
وجه له وقيل السبع الطوال بكسر الطا جمع طويلة واما بضمها فمفرد كرجل طوال بتخفيف الواو وتشديدها
لمبالغة الاول بضم الهمزة وفتح الواو والمخففة جمع اولى مونث اول وليس الطوال جمع طولى حتى يرد
عليه ان جمعه انما هو طول اي السير والسور الطوال واختلف فيها على هذا القول فقيل هي البقرة
وآل عمران والنسا والمائدة والانعام والاعراف والسابعة الانفال وبراة معا بناء على انهما سورة
واحدة وقيل يوسف وضعف ابو العالية هذا القول بان هذه الاية نزلت ولم يكن اذ ذاك نزل شيء
من هذه السور والمثاني اما صفة القرآن كقوله كتابا متشابها مثاني ومن تبعيضية او بيانية وقيل
وصفية ومعنى وصف القرآن بها ان قصصه ومواعظه واوامره تثنى وتكرر فلا تمل كغيرها
من الحديث المعاد او السبع هي المثاني من الثناء لاشتماله عليه وعلى قاريه والعامل به لقوله وانه
لقرآن كريم ومجيد وهذه الاية مكية والسورة مدنية والقرآن العظيم على هذا التفسير ام القرآن
اي الفاتحة وجعلها اما لاشتمالها على معانيه وغير ذلك من المعاني التي ذكرها المفسرون ولاطلاق
القرآن عليها بخصوصها وهي بمعنى المقروء وانما يجعل التعريف للعهد او لمخصص آخر ولانه جعل
علما عليها وان لم يذكروه في اسمائها وتفسير السبع بما ذكر مروي عن ابن عباس واطلاقه عليها مروي
عن ابي هريرة رضي الله عنه مع تفسير السبع المثاني بها ايضا فانه روي انه صلى الله عليه وسلم قرا
عليه ابي ام القرآن فقال والذي نفسي بيده ما انزل الله في التورية والانجيل والزبور والفرقان
مثلها وهي السبع المثاني والقرآن العظيم فما قيل انما ذكره في القرآن مهجور عقلا ونقلا لا يخفى ما فيه
وقيل السبع المثاني ام القرآن العظيم وعليه اكثر الصحابة والتابعين وهو قول الجمهور من المفسرين
وورد به الحديث الصحيح في البخاري وغيره كما سمعته آنفا والمراد على هذا انها سبع آيات بعد البسملة
آية منها او بعد صراط الذين انعمت عليهم وما بعدها آية اخرى على الخلاف المشهور والقرآن العظيم على هذا

التفسير والقول بانه غير مخصوص بها كما مر سايره اي جميعه او بعد الفاتحة وفي كتب اللغة
ان السائر الباقي مهموز من السور وهو البقية او معتل من السور المحيط فهو بمعنى الجميع وقد ورد
كل منهما في كلام العرب وقد اشبعنا الكلام عليه في شرح درة الغواص وقول صاحب القاموس هو
الباقي ووهم الجوهري في تفسيره بالجميع ليس بشيء والواهم ابن اخت خالته وكلام المصنف يحتملهما
وما قيل من انه هنا بمعنى الجميع فانا لا نعلم احدا قال ان السبع المثاني ام القرآن والقرآن العظيم
جميعه امر غريب منه فانهم متفقون على ان القرآن العظيم يطلق على الجميع وعلى معنى كل شامل له
ولبعضه والعطف قرينة قوية على الثاني وخصت بالامتنان بها للشرف فيها وزيادة فضلها
ونوالها واشتمالها على المعاني القرآنية اجمالا فالحاصل انهم اختلفوا في السبع فقيل السور وقيل
الفاتحة وعلى التقدير يجوز كونه الفاتحة او السائر وفي الصحيح عنه عليه السلام ام القرآن
هي السبع المثاني والقرآن العظيم وفي رواية الذي اوتيته فذهب الاكثرون الى مقتضاه في هذه
الاية فوصف الفاتحة بوصفين قيل والعدول عنه يلزمه التكلف في الحديث والمصنف عدل
عن الاقوال المعتبرة الى تقديم قول ضعيف مهجور يوهم ان القائل بان السبع هي السور او الفاتحة جزء
في القرآن بما نقله وليس كذلك فتاويله بان مراده نقل ما قيل في كل مفرد انفرد بتعيين ثم ان الاولى
حينئذ نقل ما قيل في السبع ثم قيل في القرآن فتدبر **وقيل السبع المثاني في هذه الاية ما في
القرآن العظيم من امر ونهي وبشرى وانذار وضرب مثل واعداد نعم** اي المراد بها
سبعة معان يشتمل عليها القرآن العظيم والمراد بالامر الطلب ايجابا او ندبا لا صيغته وان كان
يطلق عليها والنهي طلب الكف عما يحرم او يكره على سبيل الاستعلا والبشرى بضم الباء وكسرها
بمعنى البشارة اسم مصدر والانذار ضده وهو التخويف منجزا او معلقا وضرب المثل تشبيه شي
وهو المراد بالضرب والورد واعداد النعم بكسر الهمزة اي تعديدها وجوز فتحها وبه جزم البرهان
الحلبي وقال ابن رسلان انه الواقع في النسخة المعتمدة وكذا قال الرجي والعدد بمعنى المعدود
او التعديد والنعم جمع نعمة بمعنى الانعام او المنعم به والذي عن المصنف ستة فقيل انه اشارة
الى السابع وبعضهم قوله في تاج القرآن او السابع انباء قرون والانبا جمع نبا وهو الخبر والقصص
التي قصها الله في القرآن لما فيها من الفوائد والعبر التي هي تسلية النبي وحكم شتى وغير
الاسلوب اشارة الى مغايرته لما قبله تفننا كما قيل به في حديث حبب الي من دنياكم ثلاث
النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة فان الثالث ما تضمنه قوله وجعلت الخ وعدل
عن الظاهر في قوله وجعلت قرة عيني في الصلاة اشارة الى انه ليس من لذائذ الدنيا المعروفة
وان عد منها لوقوعه فيها على ما اختاره ابن فورك وغيره وليس هذا تفسيرا للقرآن العظيم ليشمل
ما مر وغيره وارتضاه السيد عيسى ورده بعضهم فقال ليس هذا اشارة الى السابع بارادة
نبا القرآن لا مقتضي النظم حينئذ ان يترك قوله آتيناك ليوافق المعطوف الاخر ما قبله في
الافراد بل هو اشارة الى ان القرآن العظيم منصوب بالعطف على سبعا من المثاني والمعنى آتيناك
وزاد نبا على بمعنى اشارة لتعظيمه والنبا يكون بمعنى القرآن كما فسر به في قوله عم يتساءلون عن
النبا العظيم الذي هم فيه مختلفون كلا سيعلمون **وقيل سميت ام القرآن مثاني لانها
تثنى في كل ركعة** قيل الاولى ترك الواو لانها مرة انها قول آخر في تفسير الاية مع انه بيان
الوجه تسمية الفاتحة مثاني وكونها سبع آيات تقدم بيانه وفي نسخة تثنى كل ركعة باسقاط
في ونصبه ونصبه على الظرفية المجازية والركعة على ظاهرها والمراد في كل ركعة بعد اخرى

والكل مجموعين او المراد بالركعة الصلاة اطلاق للكل على الجزء لخروج صلاة الجنازة والمأموم
عند ابي ح لكونهما على خلاف الاصل المبادر لكماله والركعة الواحدة لا تسمى صلاة وقد فسر قوله
ثم اركعوا مع الراكعين بصلوا مع المصلين لما مر ان التثنية من جعل الشيء ثانيا كربعتهم وثلثتهم اذا
كنت رابعهم او ثالثهم او بمعنى التكرير او من الثني بمعنى العطف قيل او لتكرر مضمونها في القرآن او هي
من الثنا وعليهما يثنى بضم اوله وفتح ثانيه والتشديد او سكون ثانيه والتخفيف وعليه اقتصر التلمساني
وقيل لانه استثناها وادخرها له لمحمد صلى الله عليه وسلم فالمثاني من الاستثنا المعروف واصله
الثني بمعنى العطف واستثناها بمعنى ميزها واخرجه من بقية كلامه وادخر بدال وخاء معجمتين
وفي نسخة اذخرها بالمهملة المشددة والمعنى والاصل واذخر من الذخر وهو ما يدخر من النفايس وهو
انه اختارها وحفظها ولم يبذلها لغيره من الرسل ولذا قال له اي لمحمد ليبين انها عليه دون الانبيا وروى
دون ساير الانبيا فلم يدخرها ولم يعطها لغيره من بينهم وفي الحديث نادى رسول الله ابيا وهو يصلي
فلما فرغ لحقه فوضع يده على يده وهو يريد الخروج من باب المسجد وقال اني لارجو ان لا تخرج من المسجد
حتى تعلم سورة ما انزل الله في التوراة والانجيل مثلها فجعلت ابطي في المشي رجاء ذلك ثم قلت
يا رسول الله السورة التي وعدتني فقال كيف تقرأ اذا افتتحت الصلاة فقرأت عليه الحمد لله رب
العالمين الى اخرها فقال هذه وهي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي اعطيت وبه استدل على
خروج البسملة منها وفيه كلام ليس هذا محله يعني انها اشتملت على ما لم يكن في غيرها وفيها من الاسرار
ما ليس في غيرها ولها من الفضل واجابة الدعا بها ما لم يشاركها فيه غيرها كما ذكره مشايخ الصوفية
والحروف حتى قال ابن بركات في تفسيره لو قيل لك ان احدا احيا بها الموتى فاياك من انكاره ومن اطلع على
تفسيره فهم ما قلناه فالاعتراض بان هذا لا يختص بالفاتحة لوجوده في ساير السور ساقط وسمي
القرآن مثاني اي في هذه الاية ونحوها دفع لما يتوهم انه سمي به لما مر او هو جواب سؤال مقدر لان
القصص بكسر القاف جمع قصة وهو الظاهر من القصص وهو الاتباع لاتباع من يحكي الخبر كالآثار
وروي بفتحتين مصدر كقوله نحن نقص عليك احسن القصص فقوله يثنى فيه بالياء التحتية والضمير
للقرآن وعلى الاول بالمثناة الفوقية والرواية هنا كما قيل بتشديد النون لا غير والقصص مطلق الحكاية
وتخص في العرف بحكاية اخبار الامم السالفة ومجرد هذه المناسبة كافية في تسمية مثاني فلا يرد عليه
ان كرر فيه غير القصص كالفرايض والحدود والامثال وقد ذكروا هذا وجها لتسمية الطوال مثاني
فلعله اقتصر في كل منهما على وجه ليعلم اجراء كل في كل يقينا والقول بان وجه التخصيص انها مع عجايبها
لا يزداد تاليها الا رغبة ومحبة فيها وغيرها من القصص لو كرر مجه الطبع وهذا كلما كررته يحلو
كما قال الشاطبي رحمه الله

وخير جليس لا يمل حديثه • وترداده يزداد فيه تجملا

ولك ان تقول الاحكام لازمة لاية عظيمة فتكرارها ليتعلموها وتثبت في حفظهم بخلاف
القصص ونحوها من الامثال الا ترى ان الاستاذ يعيد المسئلة مرارا على الطالب هذا وقيل
السبع المثاني معناها في قوله ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم انا اكرمناك
بسبع كرامات هذا مروي عن الامام جعفر الصادق فآتيناك بمعنى اعطيناك تكرما لك لانها
كالهدية التي ترسل للتكريم وكان الظاهر ان يقول سبع اكرمناك بها او آتيناك بمعنى اكرمناك فالسبع
مبتدأ وما بعده خبره بتقديرين وبتقدير مضافين اي معنى آيات السبع المثاني اكرمنا الخ او السبع مبتدأ
وقوله الهدى الخ خبره وقوله اكرمنا معترضة وقيل انه بدل من السبع او خبر مبتدأ مقدر وعن الامام جعفر

الصادق

الصادق انه قال السر في هذا انه ذكر في هذه السورة لجهنم سبعة ابواب فذكر سبع كرامات
اشارة الى ان من اكرم بها امن من تلك الهدى والنبوة والرحمة والشفاعة والولاية والتعظيم
والسكينة يجوز فيه الحركات الثلاث وهو ظاهر والهدى ما هداه الله اليه من المعارف والدين
والمراد بالنبوة نبوته الكاملة المختصة بالخاتمة الناسخة لما عداها والرحمة العامة وما ارسلناك
الا رحمة للعالمين وما طويت عليه جبلته والشفاعة العامة والخاصة كما سيأتي • والولاية بفتح
الواو وكسرها ولاية الله بنصره له او توليه لجميع اموره بحيث صار اولى بهم من انفسهم او الولاية التي
هي صفة له كما هو كالنبوة والتعظيم جعله الله اعظم من ساير خلقه والسكينة الوقار والهيبة بحيث
يخافه كل من يراه وهو لا يخاف الا الله قيل تخصيص هذه الامور وتغايرها مع امكان اتحاد واندراج
بعضها في بعض يحتاج لسند ودليل فتدبر وقال تعالى وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل
اليهم ولعلهم يتفكرون وهذا متعلق بالاية المذكورة ومناسبته لما بعدها لدلالتها على عموم الرسالة
اذ لا عمدة ولا تعقيد اي ليخبر الناس بالوحي ولا يكتم شيئا منه او ليبين لهم ما فيه من التكليف
والتكاليف والشرايع قيل اورد في هذه الاية الانزال والتنزيل بمعنى الانزال وقد فرق بينهما
بان التنزيل ما كان تدريجا والانزال ما كان دفعة واحدة وهذا بحسب الاصل وقد يرد كل منهما بمعنى وتفصيل
في شرح الكشاف ووضع فيه الظاهر موضع المضمر اي لتبيينه اشارة لتغايرهما لان المنزل نفسه
والمبين معانيه واحكامه والمعاني منزلة تبعا لالفاظه ولا حاجة لتقدير مضاف فيه وقال تعالى
وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا الكافة ماخوذة من الكف وهو المنع او الجمع والاحاطة
كما قاله الهروي ومعناه جميعا وتاؤه للمبالغة كعلامة وهي في الاصل للتانيث نظرا للغاية والنهاية
او الجماعة وهو منصوب على الحالية من المجرور المتاخر او من الضمير المنصوب او هو صفة مصدر قام مقامه
اي ارسالة كافة وفي المغني انها تختص بمن يعقل ووهم الزمخشري في جعلها صفة لارساله وذكر
بعض النحاة انها تلزم التنكير والحالية وتبعه الحريري فخطا تعريفها والاضافة اليها لحنا وليس
كما قالوه فانه سمع بخلافه كما فصلناه في شرح الدرة وانما قدم ليدخل المقصود حصره ولو قيل
وما ارسلناك الا كافة اوهم نفي الارسال لغير الناس وهو غير صحيح وقيل المعنى وما ارسلناك الا
جامعا للناس بالدعوة وكافا لهم عن المعاصي والمراد جميع بني ادم او ما يشمل الجن وانما خصوا على
الاول لانهم المقصودون بالذات وليس المراد اهل زمنه كما توهم وقال تعالى قل يا ايها الناس
اني رسول الله اليكم جميعا ولا يعترض بان نوحا كان مبعوثا الى اهل الارض بعد الطوفان لانه لم يبق
الا من كان مؤمنا معه وهو مرسل اليهم لان العموم لم يكن في اصل بعثته وانما اتفق لحادث وقع واما
نبينا فعموم رسالته من اصل البعثة واما كون ثمة رسول غيره في اثناء مدته فيحتاج الى النقل
والمراد بقاء شريعته بحيث لا يطرأ عليها ناسخ الى غير ذلك مما فصله ابن حجر في شرح البخاري
واختلف في خطاب يا ايها الناس ونحوه هل هو نحو حودين ويثبت لمن بعدهم بدليل اخر كاجماع
وقياس ونص آخر او للجميع ويدخل فيه الرسول وكان مخاطبا بقل لانه يلزمه ما يلزم امته بطريق
الاولى ما لم يعرض له مخصص ولا حاجة لتخصيص الناس بالمكلفين كما قيل لدخول الصبي في بعض
الاحكام فهذه اي الصفة او البعثة العامة من خصايصه جمع خصيصة وهي ما لم يشاركه
فيها غيره من الرسل كما عليه اكثر الملة لحديث اعطيت خمسا لم يعطهن احد قبلي نصرت بالرعب وجعلت
لي الارض مسجدا وطهورا واحلت لي الغنايم واعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث الى قومه خاصة
وبعثت الى الناس كافة وروي عامة وقد تقدم ما يرد عليه وجوابه وقوله وكان النبي الى آخره

المراد به الاستغراق لانه ورد وكان كل نبي وهو صريح فيه فلا وجه لقول الامام الخاصة لجموع
ما ذكر فلا يلزم اختصاص عموم البعثة به وقد وقع مثله للكرماني في شرح السنن حيث قال ابن
حجر وهو غفلة منه عظيمة فانه نظر الى اول الحديث وغفل عن آخره فانه نص على خصوصيته بقوله وكان
النبي يبعث الى قومه خاصة وما قيل من انه احتمال بعيد اذ لا يظهر لتخصيص الخمس تارة والاربع والاثنين
اخرى جليل فائدة غير متجه لانه اذا سلم عموم رسالة آدم ونوح يكون له فائدة عظيمة واي فائدة وقد
دفع بامر وقيل المراد بالناس من في زمنه الى يوم القيمة وهذا لم يكن لغيره وهذا امر غير بقاء الشريعة
لا غشنه كما توهم او يقال هو مبعوث لجميع الناس من قبله ومن بعده بحيث لو ادركه من قبله لزمه
اتباعه او هو مبعوث للجميع الى الاصناف والاقوام واصحاب الملل المختلفة وآدم ونوح ليسا كذلك
اقول هذا كلام لا طايل تحته اما رد الاول بان ما ذكر هو بقاء الشريعة فليس بصحيح لان مراده البقا
مع العموم ولم يصرح به لظهوره واما جوابه الاخير فظاهر الفساد **وقال تعالى وما ارسلنا من رسول
الا بلسان قومه** اي الا بلغة من بعث اليهم ليبين لهم ما بعث به اليهم واما نبينا فبعث الى قومه
وغيرهم من جميع الامم كما عرفته **مخصصه بقومهم وبعث محمد صلى الله عليه وسلم الى الخلق كافة
الانس والجن والملك** كما سيأتي تحقيقه وقيل كلامه يقتضي ان غير نبينا مبعوث بلسان من بعث
اليه ونبينا بعث الى الخلق فيخصص الرسول بغيره وهو مخالف للظاهر ولما عليه المفسرون ومقابله
على غير النهج المعروف مع انه شامل لنبينا ايضا كان لسانه عربي وكلامه عربي لياخذ عنه قومه
بغير واسطة وينقل نقلا مستفيضا ولا دلالة فيه على تخصيص بعثة الرسل لقومهم والنبي وان
ارسل الى الناس كافة يكون لسانه وكتابه واحد لا ينافيه لفهم معانيه لغير قومه ولو اتى بالترجمة
ولو اتى بغير لغته فات اعجازه المقصود منه كما قال واجيب عنه بانه معطوف على قال الاخير ناظرا
اليه مبينا لضعفه فان قيل عاذكر كما نقل عن تفسير تاج القراء وفيه بحث كما قال صلى الله عليه وسلم
فيما رواه البخاري واحمد والبيهقي بعثت الى الاحمر والاسود اي العرب وغيرهم او الانس والجن كامر
وقال تعالى النبي اولى بالمومنين من انفسهم وازواجه امهاتهم يدخل فيه النساء على ما بين في
الاصول لانهن تبع لهم في الاحكام فيدخلن بالتغليب وان ذهب بعضهم الى انهن لا يدخلن في
مثله الا بدليل او قرينة قوية الظهور لانهن يعلمن بالطريق الاولى الان قوله وازواجه امهاتهم
مرجع الضمير فيه لذكور المومنين فقط لان المراد تحريم نكاحهن وهو خاص بالذكور ولذا لم يسم
غير امهات المومنين وقيل انه عام ايضا وهن امهات المومنين والمومنات واقتصر على الاول واكتفى به
لانه الاهم الاشرف فيجوز اطلاقه عليهن ايضا وقوله من انفسهم المراد به ذواتهم وارواحهم يعني
انه مقدم عند كل احد على نفسه وليس المراد انه اولى من بعضهم لبعض في نفوذ حكمه وطاعته كما قيل
في قوله فسلموا على انفسكم اي ليسلم بعضكم على بعض وان جاز فان الاول ابلغ فيما ذكر وهذا معنى
ما قيل هو اولى بالمومنين فيما قضى فيهم كما انك اولى بعبدك فيما قضيت وهو قريب من قول المصنف
**قال اهل التفسير اولى بالمومنين من انفسهم اي ما انفذه فيهم من امر فهو ماض عليهم كما يمضي
حكم السيد على عبده** فيفعل ما يامره به ويختاره على ما يريده ويختاره لنفسه وكان احق بكل احد
من نفسه ومضى الحكم بمعنى احق وقيل انه من الولاية والتسلط وان ما ذكر مبني على قول العرب
السيد اولى بعبده من نفسه اي نافذ فيه حكمه فيحمل الآية مجاز او كناية وروي ان سبب نزول
هذه الآية انه لما امر الناس بالخروج لغزوة تبوك قال قوم نستاذن اباءنا وامهاتنا فنزلت اي طاعة
الرسول اوجب عليكم من طاعة آبائكم وامهاتكم وانفسكم وليس فيه تاييد للتفسير الثاني كما توهم **وقيل
اتباع امره اولى من اتباع راي النفس** هذا مروي عن ابن عباس بالمعنى واولى هنا بمعنى اولوية
اتباعه وقيل اولوية محبته وقيل معناه ارأف واعطف والاحسن ما في الكشاف من انه اولى بهم في
جميع امور الدين والدنيا من غيره فانه سبحانه حيا بهم الابدية وفي البخاري انه صلى الله عليه وسلم قال ما من
مومن الا وانا اولى الناس به في الدنيا والاخرة اقروا ان شئتم النبي اولى بالمومنين الآية الخ فايما مومن
ترك مالا فلترثه عصبته وان ترك دينا او ضياعا فليأتني فانا مولاه قال القرطبي هذا تفسير
الولاية ولا عطر بعد عروس والظاهر كما قيل انه تفريع على الاولوية العامة لا تفسير لها دنيا في ما سبق
وفيه اشارة الى ان مقتضى الاولوية ان يراعى في جانب الرسول ايضا ومعاملته معهم فينفعهم اكثر من
نفعهم لهم حيث رد على الورثة المال وتحمل المضار والتبعات فافهم **وازواجه امهاتهم** اي هن
وفي نسخة هم وهو سهو وكونه للفظ الازواج لا وجه له اي كالامهات في التعظيم وحرمة النكاح لا
في الارث والنفقة والنظر والخلوة لآية الحجاب ولا يقال لبناتهن اخوات وفي كونهن امهات المومنين
قولان نقل منهما لاشارة اليهما والى ما ذكر اشار بقوله **في الحرمة كالامهات حرم نكاحهن عليهم
بعده** اي بعد نكاحه او بعد وفاته كما سياتي واختلف فيمن طلقها قبل الدخول على قولين فجوزه كثير
من الشافعية وبه قضى عمر **تكريما له وخصوصية** بضم الخاء وفتحها اي هو مخصوص به دون غيره من
الامة فما يقع لبعض جهلة الصوفية من منع تزوج المريد زوجة شيخه جهل وترك ادب والمراد هم
بالحرمة حرمة النكاح اي تحريمه لقوله تعالى ما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده
ابدا ان ذلكم كان عند الله عظيما • وفي خصائص الخيضري اختلف في تعليل ذلك فقيل لانهن امهات
المومنين قال تعالى وازواجه امهاتهم اي مثل امهاتهم في وجوب احترامهن وطاعتهن وقيل لا في احلالهن
لغيره لما فيه من النقص لمنصبه وقيل لانهن ازواجه في الجنة كما ذكره غير واحد من المفسرين فلقولهم
لان المراة في الآخرة لآخر ازواجها في الدنيا كما قاله القشيري وورد به التصريح في الحديث
وقيل لانه لا اجل النبي صلى الله عليه وسلم ولذا حكى الماوردي انهن لا يجب عليهن عدة الوفاة واختلف
فيمن فارقها في حياته كالمستعيذة على اقوال ثلاثة احدها وهو مروي عن ابي هريرة انها تحرم
فالتقدير من بعد نكاحه لوجوب محبة النبي صلى الله عليه وزوج المراة الثاني يكره الاول
فيؤدي لكفره قال النووي وهو الارجح والاشبه بظاهر القرآن الثاني انها لا تحرم فالبعدية
مخصوصة بما بعد الموت والثالث انه يحرم المدخول بها دون غيرها وكذا اختلف في الامة
الموطوءة بغير نكاح على ثلاثة اوجه فقيل لا تحل لغيره كمارية وقيل تحل فانها لم تسم ام المومنين
لنقصها بالرق والمومنين لا تتعدي فلا يقال لبناتهن اخوات ولا لاخواتهن اخوال فلا يقال
معاوية خال المومنين وفيه خلاف ايضا واما كون النبي ابا المومنين فقال الواحدي لا يسمى
به لقوله ما كان محمد ابا احد من رجالكم والقراءة به منسوخة لفظا ومعنى وقيل يجوز والمنفي
الابوة الحقيقية انتهى • فما قيل الحرمة للاحترام فيشمل التعظيم وعدم الايذاء وحرمة النكاح
فان فيه دلالة واكتفى بحرمة النكاح لانه مقصود ومخصوص بهن وقال ابن كثير لا يقال لهن امهات
النساء لعدم العلة فيهن وهي حرمة النكاح ورجح ابن حجر جوازه وقول القرطبي الظاهر التعميم
اذ لا يختص بالرجال مدفوع بما ذكر فان اريد التشبيه في التعظيم فلا منع والا فلا الا انه يوهم انه
مراد في الآية كلام غير محرر لما سمعته آنفا • وقوله ولانهن له ازواج في الآخرة احد الاقوال كما
عرفته والامهات جمع ام وقيل اصلها امهة ولذا تجمع على امهات واجيب بزيادة الهاء وان الاصل
امات للفرق والوجه ما في البارع ان فيها اربع لغات ام بضم الهمزة وكسرها وامه وامهة فالامهات

والامات لغتان ليست احديهما اصلا للاخرى ولا حاجة لدعوى حذف ولا زيادة كما في المصباح وقد قرئ وهو اب لهم في الشواذ وهي على وجهين فقراءة ابن عباس النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم وهو اب لهم بدون وازواجه امهاتهم • وقراءة ابي النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم وازواجه امهاتهم وهو اب لهم بجمع بينهما فقول بعض الشراح قراءتها ابي وابن عباس من غير تمييز بين القراءتين خلط موهم وقد علمت الكلام فيه وابوته برافته ورحمته لهم او يكون ازواجه امهاتهم او لكونه سببا لحياتهم الحقيقية الابدية وفي سنن ابي داود انما انا لكم بمنزلة الوالد اعلمكم **ولا يقرا به الآن لمخالفته المصحف** وروي ان عمر رضي الله عنه مر بغلام يقروها فقال للغلام حكها من المصحف والمراد بالمصحف مصحف عثمان المتواتر بالاجماع ومخالفته لذا ايضا بعدم نسخ تلاوته وتواتره ولفظه ومعناه على قول كما مر قيل وانما نسخ لئلا يوهم حرمة زوجة الوالد فتامل وقول الخفاجي انهم اجمعوا على ان قراءة ابي المذكورة مما نسخ من القرآن مع ان مضمونه خبر مجمع على انه لا يصح نسخه ليس بشيء لان في نسخ الخبر خلاف مقرر في الاصول ولو سلم فيلزمه احكام يصح نسخها كتلاوته وتسميته به وجواز الصلاة به **وقد قال الله تعالى وانزل الله عليك الكتاب والحكمة الآية** وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما والكتاب القرآن والحكمة الشرعية والمواعظ والسنة كما مر وهو كقوله في سورة اقرا علم الانسان ما لم يعلم ولما كان التعليم انما يحصل به ما لم يعلم ورد السؤال على الآيتين والفرق بينهما وقيل المراد ما لم تعلم ما لا تقدر على علمه من الخفايا او ما لم تتصوره ولم يكن مطلوبا لك فيفيد ذكر المفعول وقيل لو قال ما لم يعلم اي ما كان مجهولا افاد فائدة تامة حسنة لدلالته على اشراق نور العلم ورفع ظلمة الجهل او المراد ما لم تعلمه بقوة نفسك واجتهادك واما ذكر الكون في آية النساء دون آية اقرا لاسيما اذا اريد بالانسان نبينا فقط فلان الثانية وردت فيه • اقول هذا السؤال غير وارد راسا ولذا لم يعتن به جهابذة المفسرين كالزمخشري الا انا نقول في تحقيقه ان نفي الكون ابلغ من نفي الشيء نفسه فان الاول يصدق بما بقي على عدمه لم يشم رائحة الوجود والثاني يشمله وما عدم بعد وجوبه ووجوده والاول ابلغ ولما كان المنفي علمه او لا علمه بالدين والحكم والوحي ونحوه مما لا يتيسر لمن نشا في امة امية ولا يمكن بغير عناية الهية اشار في الاول الى ان انتفاءه عنه امر محقق مقرر قوي فاكده بذكر الكون ولذا امتن به عليه وجعله فضلا عظيما ولما كان الثاني قابل الوجود متيسر الكسب لان الانسان قابل للقراءة والعلم وصنعة الكتابة لم يؤكده لان انتفاءه امر اتفاقي واما الفائدة في المفعول فظاهرة اذ ليس المراد بهما امرا ابل امرا عظيما معلوما بخصوصه مما قبله وانما ابهم ليدل على عظمته كما في قوله فاوحى الى عبده ما اوحى فلا حاجة الى قوله في عروس الافراح انما ذكر لانه اوضح في الامتنان والا فلا فائدة فيه وفي بعض حواشي المطول نقلا عن السعد انه قال في درسه ان الاولى بصاحب التلخيص ان يقول ما لم يكن يعلم والا فلا فائدة في ذكره لان التعليم انما يكون لما يعلم فيه اشعار بانه لولا تعليمه لم يحصل العلم له لانه علم خفي لا يمكن الاحاطة به الا لعلام الغيوب فهو مفيد اذ ربما يتوهم انه يحصل العلم به من غير تعليمه ثم ورد بانه مثل الاية فذكره للعموم كما في قوله وما من دابة في الارض الخ ومما قررناه تبين انه كلام **وقيل فضله العظيم** في هذه الآية **بالنبوة** مطلقا فانها اعظم النعم التي تفضل بها او بنبوته الخاصة به للكرامة الكاملة **وقيل بما سبق له في الازل** الازل هو القدم والوجود الذي لا اول له قال في الجمل الازل الذي هو القدم وبقاءك هو ازلي والكلمة ليست بكلمة مشهورة في كلام العرب والاحسن انهم قالوا في القديم لم يزل ثم نسب اليه فلم يستقم الا باختصار وقالوا يزلي ثم ابدلوا الياء الفا وقيل الازل اسم لمن يضيق القلب عن بدايته من الازل وهو الضيق فهمزته اصلية والمراد ما سبق للنبي في علمه وتقديره من كل ما اعطاه الى الابد فيعم جميع ما انعم الله به عليه اذ لا مخصص وقيل المراد ما اعطاه له وسبقه باعتبار تقديره ففيه مقدر مضاف وهو تقديره على الاول للاشارة بالتقدير صريحا وبالمقدر ضمنا لعدم تعلقه عنده ولفظه كان في مثله تدل على الازلية في حق الله تعالى كما صرحوا به **واشار الواسطي** تقدم ذكره وترجمته والاشارة في اللغة الايماء الى الشيء بغير نطق وتكون في كلام المصنف من مقابلة الصريح والمراد هنا مطلق الذكر وعبر به لمشاكلته لما بعده في قوله **الى انها اشارة الى احتمال الرؤية التي لم يحتملها موسى صلى الله عليه وسلم** وضمير انها للآية وقيل لحمل الفضل والاحتمال فسر بالطاقة والقدرة على رؤية الله ومشاهدته ليلة المعراج على قول من قطع انه رآه ببصره ولما كانت هذه من اجل الفضائل واخصها به حمل الفضل عليها وان كان فيها اختلاف لانها لما كانت عند المصنف راجحة لم يلتفت للخلاف ولم يرد عليه انه تفسير للمقطوع به بالمحتمل فالاعتراض على الواسطي بانه لا دلالة في النظم على ما ذكره غير متجه وحمل الرؤية على القلبية التامة يأباه ظاهر قوله التي لم يحتملها موسى بن عمران حيث قال لن تراني فخر صاعقا وموسى ممنوع من الصرف للعجمة والعلمية واصله كما قيل موشا فعير وهو بالعبرانية اشارة لموشا الشجر • فسمي به لانه القته امه في ماء النيل في صندوق من خشب الشجر والقول بانه من ماس يميس اذا تبختر ومنع صرفه لالف التانيث بعيد جدا واما موسى بمعنى آلة الحلق فعربي وفي وزنه خلاف عندهم وفي معرفته وفي معرب الجواليقي ان موسى لم يسم به احد من العرب قبل الاسلام وبعده سمي به تبركا باسماء الانبيا قال الخفاجي اكثر المفسرين على ان الفضل العظيم عصمة الله للنبي صلى الله عليه وسلم عن ان يضله احد من الكفرة بقوله قبله ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طايفة منهم ان يضلوك وما يضلون الا انفسهم وما يضرونك من شيء وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما وهذا آخر الباب الاول والحمد لله على تيسير شرحه وهو النظر في حقايقه ودقايقه الرايقه وشفاء غليل الصدر من موارد فضايل سيد الخلق الفايقه • وانا ارجو ببركته ويمن صفاته ان يشرح صدرنا • وييسر امورنا • ويفيض علينا من بركاته امين •

الباب الثاني في تكميل الله تعالى له المحاسن

جمع حسن على خلاف القياس او جمع مقدر لم يسمع كما تقدم والحسن المحسوس يناسب الاعطاء وكونها على صورتها الاولى الاصلية مع صفاء البشرة واعتدال القامة وفي ذكر التكميل اشارة الى ان النوع البشري مخلوق على الكمال في احسن تقويم وصورة هذا الحبيب وسيرته في غاية الكمال وكون النوع احسن لا ينافي التفاضل والتفاوت بين افراده حتى ذهب بعض الحكما الى ان كل فرد منه ماهية مستقلة **خلقا** بفتح الخا وسكون اللام وقدمه لتقدمه على ما بعده في الوجود وهو منصوب على التمييز وليس بمعنى المخلوق كما توهم وخلقته صلى الله عليه وسلم على ما يكون كما قال فيه ابو العباس الاشبيلي الواعظ

من انت محبوبه من ذا يغيره	ومن صفوت له من ذا يكدره
ما لاح للناس منك يشغلني	والكل اعراض حسن انت جوهره

وخلقًا بضم الخا واللام وتسكن تخفيفا وهو في الاصل الطبيعة والجبلة ويطلق على الصفات
المعنوية الراسخة في النفس وهو للنفس والصورة الباطنة واوصافها بمنزلة الخلق للصورة الظاهرة
وترتب الثواب والعقاب وقال الراغب هنا في الاصل بمعنى وخص الفتح بالهيئة والصور المدركة
بالبصر والضم بالقوى والسجايا المدركة بالبصيرة وهي كيفية راسخة في النفس تقتضي سهولة صدور
الافعال عنها من غير احتياج لفكر وروية ويطلق على ما ترتب على تلك الكيفية ويخص في العرف بما يتعلق
بمعاشرة الناس كما سياتي • وقال الآمدي في كتاب الموازنة جمال الوجه وحسنه مما يتمدح به لانه يتيمن
به ويدل على الخصال الممدوحة ويبتذل في الهيبة • والدمامة يذم بها بعكس ذلك وقد غلط فيه من توهم
انه لا يدخل في مدح العظما انتهى • قلت وقد اشار الى هذا في الحديث الشريف بقوله اطلبوا الحوائج
عند حسان الوجوه ولله در الصرصري في قوله

الا يا رسول الاله الذي • هدانا به الله من كل تيه •
سمعت حديثا من المسندات • يسر فؤاد النبيل النبيه •
وانك قد قلت فيه اطلبوا الحوائج عند حسان الوجوه •
ولم ار احسن من وجهك الكريم فجد لي بما ارتجيه •

فان قلت قول الراغب بان هذين المصدرين وضعا للهيئة تنافي قول النحاة ان الهيئة والمصادر
يعبر عنها بفعلة بكسر الفاء كالجلسة • قلت لا منافاة بينهما فان الهيئة التي ذكرها النحاة هي الهيئة
العارضة في الافعال لا الخلقية **وقرانه** مجرور معطوف على تحيل **جميع الفضايل الدينية** الممكنة
اللايقة به والدينية المتعلقة بدين الاسلام **والدنيوية** المنسوبة للدنيا المعروفة وفيه وفي امثاله
مما بعده الف تانيث كحبلى اذا نسبت اليه ثلاث لغات دنيي ودنيوي ودنياوي كما فصل في كتب
العربية **فيه نسقا** حال من قرانه اي قرن الفضايل فيه متناسقة منتظمة وفسرها التلمساني بمتتبعة
ولا وجه له وقد تقدم الكلام فيه **اعلم ايها المحب لهذا النبي الكريم** اعلم داب المصنفين انهم ياتون به
في ابتداء الكلام لتنبيه السامع وتنشيطه لاهتمامهم بما يلقونه له والمخاطب به من ساله تاليف هذا
الكتاب او كل سامع فهو عام لكل من يصلح لخطابه وكونه خطابا لنفسه على التجريد بعيد مع مخالفته لما
والكريم الشريف العظيم او الجواد **الباحث** اي الطالب المتفحص عما خفي لان اصله كما قاله التلمساني الفاحص
للتراب لشيء تحته **عن تفاصيل جمل قدره العظيم** جمع تفصيل المصدر تفعيل من الفصل وهو تمييز
الشيء وافرازه عن غيره ثم استعمل في تبيين كل امر باستيفاء افراده وتوضيحها ويطلق على المبين نفسه
وجمل جمع جملة وهو الامر المجموع في عبارة مختصرة فهو بمعنى الاجمال كما ليق اجمالات او مجملات قدره
الا ان يريد بالجمل الجملة والجمل هو ما اشتمل على متعدد بلا تمييز لا وجه له وقدر وقدر بالسكون والفتح
مقدار الشيء ومماثله وحرمته ووقاره كما في المصباح ومنهم من فسره هنا بلغة من الكلام والكمال
والمرتبة والمراد تفصيل ما جمع من انواع صفاته كمله وجله **ان خصال الجمال والكمال في البشر**
وفي اكثر النسخ الجلال بلامين وان وما تمها مفعول اعلم والخصال جمع خصلة وهي الصفة المعتادة محمودة
كانت ام لا والجلال العظمة والجمال ما يستحسن والكمال التمام فيما تفضل به النبي على غيره وخص البشر لان
مجموع ما ذكر مختص بهم ولان المقصود بيان حاله وقد تقدم عن الاصمعي ان الجلال لا يجوز ان يوصف به
غير الله ولم يسمع في غيره وخالفه فيه اكثر اهل اللغة لوروده في كلامهم كقول هدبة

فلا ذا جلال هبنه لجلاله • ولا ذا ضياع هن يتركن للفقر •

نوعان منحصرة فيهما وان توهم كثير من الشراح انها اربعة الا انها اما ضرورية او كسبية وكل منهما

اما دنيوي او اخروي حتى اعتذر عنه بعضهم بانها قضية مهملة في قوة الجزئية فالمراد بعضها
الغالب فيها وهذا ناش من عدم تدبر كلامه فانها وان كانت اربعة الا انها في الواقع لا تخلو من نوعين عنده
لان الديني منسوب للدين وهو وضع الهي سايق لهم باختيارهم الى ما هو محمود وقلما يكون ضروريا والدنيوي
لا يعد منه من صفات الكمال الا ما كان جبليا او ملحقا به وما عداه غير معتد به فسقط عنهم قسمان وسياتي
معنى الالحاق وتحقيقه والمراد بالنوع القسم لا النوع المنطقي احدها **ضروري** منسوب للضرورة وهي هنا
اعم من شدة الحاجة ومن عدم الاختيار وليس المراد به ما يقابل النظري كما توهم فان الضرورة لها معان والثاني
دنيوي لا يتعلق به ثواب وكمال اخروي من حيث هو **اقتضته الجبلة** اقتضته بمعنى دعته اليه المقتضي
والدواعي والسبب بمعنى واحد قيل ظاهره ان الطباع اسباب للخصال ودون اثبات
لمزاق الحكما والمراد ان الله خلقه فيه من غير اختيار وعبر بالاقتضا على طريق الافتنان وهذه دقة في غير
محلها لان الجبلة ما جبله الله عليه وخلقه فما له من ذكر من غير دندنة • قال البرهان الجبلة الخلقة
قال تع واتقوا الذي خلقكم والجبلة الاولين والمطبوع على الشيء لا يتحول عنه كالجبل والمراد جبلته او
جبلة ما يتعلق به كارضه وقومه وفي الجبلة لغات ذكرها الصاغاني في كتاب العادة جبلة بضمتين
مشددة اللام وجبلة بكسرها مع التشديد **وضرورة الحياة الدنيا** فقيل انه عطف تفسير والمراد
بما اقتضته الجبلة ما لا يمكن الحياة بدونه والاظهر انه قسم آخر للضروري الدنيوي لم يقتضه ولا يرد
عليه انه ينبغي عطفه باو لان العطف في التقسيم بالواو وكثير لاجتماع الاقسام في قسمها **ومكتسب
ديني** اخروي حصل له في حياته بعد ان لم يكن حاصلا قبل انه شامل لما هو محض وما هو وهبي وشمل
النبوة وليس على ظاهره لينضبط ويلتيم ولا يخفى ما فيه **وهو** عايد على مطلق الديني **ما يحمد** شرعا
وعقلا **فاعله** وهو من اتصف به **ويقرب الى الله زلفى** مصدر بمعنى قربة مؤكد ليقرب كقعدت
جلوسا لانه امر ديني يعد عبادة يثاب عليها ما لم يعرض له ما يفسده او يغير نية فاعله كالريا وبقي قسمان
آخران الدنيوي المكتسب والديني الضروري وقد تقدم الكلام عليهما **ثم هي** اي خصال الجمال والجلال
والكمال جميعا وجميعها لا بعضا والجملة معطوفة على ما قبلها عطف القصة على القصة بثم للبعد الرتبي
لانه تقسيم حقيقي وهذا اعتباري **على فنين ايضا** اي على ضربين ووجهين آخرين كما انها على قسمين
بحسب القسمة الاولى وجعله بعضهم تقسيما للمكتسب الديني ويأباه قوله المحض **منها** اي من تلك الخصال
ما يتخلص اي يصير خالصا غير مختلط بغيره **لاحد الوصفين** اي الضرورة والكسب المفهومين من
التقسيم لا الضرورة الدنيوية والكسب الديني وهو تقسيم لمطلق الكمال سواء كان في واحد من
الانواع السابقة او اكثر **ومنها ما يتمازج ويتداخل** معان متقاربة وقد يراد بكل منها الآخر الا
ان اصل المزج خلط بعض المايعات ببعضها بحيث لا يمكن تمييز بعضها من بعض كالماء والخل ومنه مزاج
الانسان والتداخل اعم منه لانه دخول اجزاء شيء في آخر مايعا كان ام لا ممكن تمييزه اولا والاختلاط
اعم منه لانه وجود امر مع امور تداخلت ام لا كاختلاط قوم بقوم ومراده بالتمازج وجود الوصفين
في شيء ولما كان امرا معنويا لا امتياز فيه حسا عبر به ثم عطف عليه دخول بعض الانواع في بعض
والتفاعل فيه على حقيقته فالمعطوفان متغايران وقيل المعنى ان يختلط الكسب بالضرورة ويدخل
كل منهما في الآخر والتفاعل في الاصل الفعل وهو على ظاهره وبينهما عموم وجهي والممتزج ما كان اصله
جبليا وكماله كسبيا او نوع يكون تارة كسبيا وتارة جبليا وقال التلمساني التمازج والتداخل بمعنى واحد
والكلام يفسر بعضه بعضا وذلك توسع في العبارة كما قرره الشارح وقال ابن سيدي الحسن يتمازج
اي يختلط ومزج خلط لكن المزج جعل الاثنين واحدا لا اصل التشابه في الصورة ولا كذلك الخلط فهو

مثله او خلافه وكل مزج خلط وليس شي مثله وليس كل خلط مزجا والتداخل دخول بعض الشي
في الشي وهو تفاعل ومعنى الامتزاج ان يكون الشي الخارج في شدة تمكنه كالاصل لا يمتاز
عنه • ومعنى التداخل ان يمتاز الفرع عن الاصل لكن يقرب شبهه منه فيكون كالاصل فصار
هو التداخل هنا انتهى وكل هذا خلط انت غني عنه بما مر **فاما الضروري المحض** اي الخالص
الذي لم يخالطه غيره ولا دخل لكسبه فيه واختياره فليس دينيا كما اشار اليه بقوله **فما ليس للمرء**
بفتح الميم وسكون الراء والهمز بمعنى الانسان **اختيار ولا اكتساب** الاختيار هنا مقابل الاضطرار
قيل اصطلاح لاهل المعقول ومعناه لغة فعل ما هو خير كما قال تع وربك يخلق ما يشاء ويختار فيجعل
له سوء ارادة ام لا من غير كسب اسباب عادية ثم مثل لبعد ما فسره توضيحا فقال **مثل ما كان في جبلته**
اي فطرته التي فطره الله عليها من كمال خلقته وايجاد اجزاء بدنه تامة معتدلة المقادير **وجمال**
صورته اي حسن صورته الظاهرة في جسده بتناسب اعضائه وصفا لونه واعتدال قدره وقيل
المراد حسن وجهه **وقوة عقله** وهو نور وقوة اودعه الله في الانسان يميز به بين الاشيا ويعلم
به وله تفاسير اخر كالعلم والعلوم الضرورية وهل محله القلب او الدماغ قولان واصل معناه المنع
ومنه العقال لمنعه عما لا يليق كما قال

• كما عقلنا والعقل اي وثاق • وصبرنا والصبر مر المذاق •

وصحة فهمه اي ادراكه المعلومات بسرعة واضافة القوة للعقل بيانية وفي اضافة القوة
والصحة للفهم غاية المناسبة **وفصاحة لسانه** الفصاحة لغة واصطلاحا مشهورة يوصف
بها الكلام والمتكلم في اللسان واللسان يطلق على الجارحة المعروفة وعلى اللغة ويصح ارادة
كل منهما هنا والمراد فصاحة نفسه لان المراد باللسان الذات وبالفصاحة عدم اللكنة وما قيل
من ان الفصاحة جبلية تتكامل بمباشرة الاسباب فهي من الممتزج الا ان يريد القوم القدر الكسبي
منها كما في الاخلاق الآتية واطلاقه يقتضي انها ضرورية محضة فانه لم يقيد بالمكتسب منها
او التقسيم لما ذكر مطلقا او الاسباب بما يرفع الموانع عن القوة ولا يزيدها وان كان بعيدا جدا لانه
كلام ناش من عدم معرفة الدخيل من الناشي **وقوة حواسه** المراد الحواس الخمس الظاهرة من السمع
واخواته لا الباطنة فان اهل الشرع لم يثبتوها ولم ينفوها وقوتها بزيادة احساسها وسلامتها
عن الآفات واعتدالها **واعضائه** جمع عضو بضم العين وكسرها وسكون الضاد المعجمة وهي اجزاء
البدن التي يزاول بها الاعمال ونحوها كاليد والرجل بقوته تتم اعماله وما به كماله قيل ليس في
الانسان جارحة احب الى الله تع من اللسان لنطقه بتوحيده **واعتدال حركاته** الاعتدال
قيل انه وقوعها بين الافراط والتفريط في السرعة وقيل سلامتها عن الآفات والمراد كونها على
نهج قويم حيث جعل في كل عضو اعصابا وعضلا بتحريك جميعها فردا فردا كالراس والظهر والكف
والاصابع والزند وهكذا الجسد ينحني ويمسك ويطلق ويقعد ويلتفت الى غير ذلك مما ليس في
غيره فقدرته على ذلك ومنشاؤه ليس باختياره في الحقيقة والحركة ضد السكون لا الحركات الفكرية
ولا الاعم منها ولا الحركة في النحو والكم ونحوه مما ذكر في الحكمة لبعده عن مقاصد المصنف فاذا اريد
باعتدالها سلامتها او المعنى الآخر باعتبار منشائه ومبدئه لم يشكل بانها امور كسبية اختيارية
فلا يصح ذكرها هنا الا ان يقال انها لم تذكر فصلا بل تبعا لقوة الاعضاء وهو بعيد وما قيل
من انه لو اريد مطلق الانتقال من حال الى حال لم يبعد والحركة وان كانت كسبية يجوز ان لا تكون
صفاتها بالاختيار لجواز ان يغفل عنها وفي الجملة ان يوتى بها على ما ينبغي فهذا الاعتدال غير صادر

بالاختيار عند المحققين وكذا الملكة المقتضية لها قريب مما قلناه **وشرف نسبه**
اي شرفه الحاصل له بسبب نسبه فانه صفة لم تحصل باختياره الا ان في تسميته جبلة تسمح
او على التغليب ومثله عز بعيد والشرف والمجد بالآباء والحسب به وبآبائه معا كما قاله السكيت
ولا شك ان نسبه اشرف الانساب لما في سلسلته من الانبياء ومنهم قريش ومثله يدعو لعلو
الهمم ونوقي سفساف الامور لا سيما اذا انضم لشرف الذات الذي لا يساويه غيره كما قال ابن الرومي

كم من اب قد علا بابن ذوي شرف • كما علت برسول الله عدنان •

وعزة قومه القوم الجماعة اذا اضيف لاحد كما كانوا معه مجتمعين في اب **وكرم ارضه**
التي هي موطنه ومولده وهي من احب البلاد الى الله والحرم الآمن فيه ومقصد الحجيج وقبلة
الانبيا ومهبط الوحي والانوار والملائكة واعدل الارض وان لم تكن لغيرها ذات غياض ورياض
وليس المراد بالارض الام لانها فراش وموضع حرث كما جوزه التجاني فان السياق يأباه وهذا مما
لم يكن بكسبه واطلاقه فيه موهم والمراد به في الجبلة الخلقي سواء كان في طبيعته او خارجا عنه
فصح جعل الثلاثة الاخيرة منها وان اريد بها بالضرورة ما لا ينفك دائما فالفصاحة وقوة الاعضا
ليس كذلك وان اريد في بعض الاوقات فكل مكتسب كذلك الا ان يقال المراد انه لا ينفك في قوته
وفي وقته اللائق به وانه ناش عن كيفية مستمرة **ويلحق به** لحوق الشي بالشي تبعيته له والحاق
الولد بابيه او بابنه اجدر بانه ابنه لشبه بينهما كما في المصباح فالمراد انه يعد منه لشبهه به
وسياتي بيانه وهو بضم اليا مبني للمجهول وفي الشرح انه يجوز البنا للفاعل وفتح اليا فيلتحق بالضروري
المحض امور منها **ما تدعوه ضرورة حياته اليه** متعلق بتدعو او بضرورة او بهما على التنازع
وروي تدعو بغير ضمير والضرورة شدة الاحتياج باعتبار العادة البشرية وفي عبارته لطف
لا يمايه الى انه ليس مضطرا لغيره وانما الضرورة هي التي دعته وطلبته • كما قال البوصيري

• وكيف تدعو الى الدنيا ضرورة من • لولاه لم تخرج الدنيا من العدم •

ولما كان ملحقا لانه اختياري لا يدخل في الضرورية المحضة كما مر **من غذائه** بمعجمة مكسورة ودال
معجمة ومد وهو ما يتغذى به من الطعام والشراب وجوز فيه الفتح والدال المهملة وهو طعام
اول النهار والاول اصح والاضطرار له لقيام البنية به **ونومه** وهو حالة تعرض وقد تقتضي عدم
الحس والحركة بسبب تصاعد الابخرة واسترخاء الاعصاب وهو من الامور الضرورية لراحة البدن
واستراحة الحواس وقال المعري

• وفضيلة النوم الخروج باهله • عن عالم هو بالاذى مجبول •

وملبسه هو بفتح الميم بمعنى اللباس **ومسكنه** بفتح الكاف وكسرها وهو المنزل وهو ضروري
بحسب العادة وروي مكسبه بتاخير الموحدة وكسر السين وفتحها اي اكتسابه للرزق وهو ما يضطر
اليه عادة الا انه يغني عنه قوله ماله وقد يفسر بما به تغاير **ومنكحه** اي ما ينكح من النسا بعقد
او تسر وهو ضروري عادة ومثله قوله **وماله** اي ما يملكه وهو معروف يذكر ويؤنث وهو
عند العرب يختص بالابل وفي العرف العام بالنقدين **وجاهه** المنزلة والقدر عند الناس
واصله وجه • قلت وفي عد هذه من الضروريات الملحقة بعد وان احتاج اليه بعض الناس
عادة فلعل المراد ما يحمي به ماله واتباعه **وقد تلحق** بضم التا الفوقية وفتحها وقد للاشارة
الى انها اكثر غير ملحقة بها **هذه الخصال الاخيرة** بزنة فعيلة وضبطها السيد بمد الهمزة من غير
ياء والاولى اولى بالمذكورة في الآخرة **بالاخروية** الدينية المثاب عليها في الآخرة نسبة للاخرى

بمعنى الاخرة وهو المعروف في النسبة فيكون بحسب الفصل والنية اخروية لان لها حكمه وان
كانت بحسب الاصل دنيوية فلا تخرج عن النوعين كما توهم وانقلابها بالنية من العادة للعبادة
المثاب عليها صرح به في الاحيا ومنهم من قال انما هو على النية والفعل على حاله وقيل الخلاف في
ذلك مما لم يصر واجبا وعلى هذا يمكن عدها اخروية والحاقها بها اما المشابهة لها حتى كانها
ضرورية اولاستلزام الضروري لها وعلى هذا يمكن ان يقال ان الغذا والنوم ملحق بكماله
وبكمال الخلقة والصورة والملبس والمسكن والمنكح ملحق بالعقل والفهم والجاه والمال ملحق
بشرف وعزة قومه ويمكن غير ذلك فتامل **اذا قصد بها التقوى** بفتح المثناة الفوقية والقاف
وتشديد الواو المكسورة تفعل من القوة وما بعدها كالتفسير له وجوز فيه فتح التا وسكون القاف
والواو المخففة من الاتقاء والاول اقوى واظهر وعلى الثاني المراد التحرز من المناهي وامتثال
الاوامر بان يريد بما يفعله ذلك مع قضاء وطره الدنيوي به وقصده معه فان الباعث
على الشيء قد ينفرد وقد يتعدد مع غلبة احدها وبدونها وقيل ليس المراد النية بل انبعاث النفس
وميلها الى فعل يعتقد انه يترتب عليه الغرض الباعث الغالب اجابة للباعث على تحصيل الغرض
وارادة الشيء قد لا تتيسر للتوقف على الميل النفساني الذي ليس باختياره الى اخر ما طول به في شرح
طايل **ومعونة البدن** المعونة مصدر بمعنى الاعانة وهي المساعدة وهي من الشواذ كما ذكر
في التصريف والبدن هو الجسد ما سوى الاطراف وما سوى الراس كما قاله الازهري ويطلق
على جملة الجسد كثيرا وما قيل من ان حذفه اولى اذ قد يقصد معونة الزواج ايضا لا وجه لان المراد
انه يقصد تقوية بدنه بالغذاء ونحوه ليقوم بوظايف العبادة **ليسلك طريقها** اي ليدخل
في طريق الاخرة او طريق الخصال الاخروية مع ان هذا لا يكون بمجرد البدن فهو يدل على ما ذكره
والمراد انه يكون ملتبسا بما ينفعه في الاخرة او في طريق توصله لنعيم الاخرة بقصد ما يحمله
الشرع من العبادة والعفاف عن المحرم ومتابعة السنة ونحوه لا لمجرد قضاء الشهوة وحق النفس
واما قوله في الحديث ان لنفسك عليك حقا فلا ينافي هذا لانه لامتثاله بامر الشارع مثاب
بل لانه امر لان فعله جائز شرعا وتركه اذا اضر غير جائز فهو مباح فوقه مرتبة اخرى يصير بها
احسن ولكل مقام مقال والحوق بالاخروي يجري في كل مباح حتى اللعب كما اذا مل من عبادة
فاشتغل بمباح ينشطه بل قال الغزالي لهو هذا افضل من صلاته وعبادته ووجه بان تشغله
بكسل من غير توجه مكروه يثاب على تركه **وكانت على حدود الضرورة** الحدود جمع حد وهو
نهاية الشيء وغايته المحيطة به ومعنى كونها على حدودها ان ياخذ منها بمقدار حاجته من غير
زيادة واسراف ونقص وتفريط بالشح ونحوه فانها اذا كانت كذلك لم تكن محمودة ملحقة بالاخروية
وهذا كقوله تعالى ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون وما كان كذلك لا يفيد فيه نية
صالحة كمن نوى بطعامه التقوي للعبادة وزاد على الشبع او زاد في الالوان ومن جمع المال
لينفقه وانهمك في جمعه ولكل ضرورة حد وقرينة لا ينبغي تعديها والامور الدنيوية ليست
مقصودة له لذاتها وفي بعض الشروح هنا كلام لا محصل له **وقوانين الشريعة** القوانين
جمع قانون وهو الاصل والقاعدة الكلية المنطبقة على جزئياتها والاضافة لامية او بيانية
لا لادنى ملابسة كما قيل والمعنى ان يكون ما يفعله من هذه الامور على وفق الشريعة المطهرة
فانه ان لم يكن كذلك لا تنفعه نية التقرب به الى الله كمن ياكل حراما ويلبس مغصوبا ليتعبد به
او يتصدق بالحرام قال •
ومطعمة الايتام من كد فرجها • فليتك لم تزني ولم تتصدق •

وقال الغزالي

وقال الغزالي لا تظنن ان المعصية تنقلب طاعة بالنية كبناء الربط بالحرام فانها جهالة
عظيمة وله فيها كلام مفصل وعن العز بن عبد السلام ان المعصية قد تصير قربة بالنية كمن
شهد زورا لدفع ظلم الا ان منها ما لا تتغير حرمته كالزنا وفي هذا المقام كلام طويل ليس هذا
محله وذهب ابن القيم الى ان من انفق ما لا حلالا في قربة يثاب عليه وان عوقب على كسبه
من غير حل كالصلاة في ارض مغصوبة **واما الخصال المكتسبة الاخروية** الدينية **فسائر
الاخلاق** جمع خلق وهذا الوصف الذي طبعه الله فيه او اكتسبه وسائر هنا بمعنى الجميع
او الباقي وقد اختلف فيه اهل اللغة فذهب الاكثر الى انه لم يرد في كلامهم الا بمعنى الباقي
ثم اختلفوا فقيل هو الباقي مطلقا قل او كثر لانه من السؤر بالهمز وهو البقية وقيل انه الباقي
الاقل والاول هو الصحيح وذهب الجوهري وغيره انه يكون بمعنى الجميع وخطاهم فيه كثير
كابن قتيبة والحريري في الدرة لانه مخالف للسماع والاشتقاق لانه من السؤر فلا يصح كونه
بمعنى الجميع وقد انتصر قوم للجوهري وان ما قالوه غير صحيح اما الاول فلانه سمع من الصحابة
من الفصحاء كقوله •
الزم العالمون حبك طرا • فهو فرض في ساير الاديان •
واما الثاني فلان القايل به يقول انه مشتق من السير اي من يسير فيه هذا الاسم ويطلق
عليه وقد اشبعنا الكلام فيه في شرح الدرة فانظره **العلية** اي الشريفة المحمودة عند العقلاء
واهل الشرع المكتسبة والجبلية اذا اريد بها وجه الله **والاداب الشرعية** التي هي اعم من
الاخلاق او مقابلة لها فيشمل انواع العبادة ثم بين ما اجمله بقوله **من الدين** اي التدين
والعبادة والانقياد لاوامر الله تعالى والايمان **والعلم** بالله وعليه مدار نظام معاشه ومعاده
والحلم وهي ملكة يقتدر بها على الصبر على الاذى **والصبر** وهو حبس نفسه اذا اصابته
مصيبة او نالته ضراء او قل رزقه بان يتصور ما خلق له ورجوعه الى الله وان كل شيء بقضائه
وقدره لحكم فيتسلى بذلك ويرضى **والشكر** بان يحمد الله على نعمه ويحمل من اولاه معروفا
ويصرف ما انعم الله عليه فيما خلق لاجله **والعدل** بان يجتنب ما يخل فعله ويتوقى ما يضر
غيره **والزهد** بترك الدنيا والرغبة عما في ايدي الناس وترك المحرمات والشبهات وترك
ما سوى الله مريدا وجه الله وهو زهد المقربين **والتواضع** اي الخضوع والتذلل ولين الجانب
والعفو وهو الصفح والتجاوز وعدم المؤاخذة **والعفة** وهي منع النفس عن تعاطي ما لا ينبغي
والجود وهو بذل ما ينبغي لمن ينبغي من غير اسراف ولا بخل **والشجاعة** وهي الاقدام على ما
ينبغي كما ينبغي ولها ضدان الجبن والتهور **والحيا** وهو الانقباض عن القبيح حذر اللوم من غير
وقاحة وعدم مبالاة وتفريط فيه وهو الخجل والانكسار يعتري القوة الحيوانية فيردها
عن افعالها **والمروءة** فعولة بالضم مهموز وقد تبدل همزته واوا وتدغم وتسهل بمعنى الانسانية
لانها ماخوذة من المرء وهي تعاطي المرء ما يستحسن ويجتنب ما يسترذل كالحرف الدنية
والملابس الخسيسة والجلوس في الاسواق **والصمت** وهو الصموت بمعنى السكوت والمراد
ترك الكلام فيما لا ينبغي وترك الفضول فانه كما ورد في الاثر الصمت حكم وقليل فاعله
وقد يجمل في محله ولذلك قال عمر انه قفل الفم كما قيل •
وكم فاتح ابواب شر لنفسه • اذا لم يكن قفل عليه مقفل •
وهو كثير في النسا ولكنا نذم احيانا اذا كان عيانا • وقيل الصمت منام اللسان والتكلم
يقظته والمرء مخبوء تحت طي لسانه لا تحت طيلسانه • وقيل من لم ينطق فسد عقله ومات

خاطره وهذا في الخير **والتؤدة** بضم التا الفوقية وفتح الهمزة والدال المهملة تليها الها وهي التأني وترك العجلة والمبادرة بالكلام وغيره كما قيل

قد يدرك المتأني بعض حاجته • وقد يكون مع المستعجل الزلل •

وروي التودد اي اظهار الود والمحبة للناس من غير تملق ومداهنة **والوقار** وهو السكوت والطمانينة من غير طيش وخفة **والرحمة** الشفقة والتعطف **وحسن الآداب** مع الناس باكرامهم وتنزيلهم منازلهم **والمعاشرة** معطوف على الآداب اي حسن المعاشرة والاختلاط مع الناس وترك التجنب وهجر الاخوان بغير داع **واخواتها** بالجر وهي كل ما تسعد هذه الخصال مما سياتي في الفصل الذي يليه **وجماعها** بكسر الجيم اي يجمع هذه واخواتها ويشملها كلها وفي الحديث صلى الله عليه وسلم بكلمة تكون جماعا اي جامعة للكلمات كما في النهاية **حسن الخلق** فانه عبارة يدخل فيها كل ما ذكر وغيره وهو معاملة كل احد بما يرضيه ولا يوحشه كما قاله ابو مدين وحسن الخلق بمعنى الخلق الحسن كما في قولهم العلم حصول الصورة اي الصورة الحاصلة وفيه مبالغة بجعله كانه عينه اللزومه وفي تفصيل في حواشي المطول في تعريف الفصاحة كما قيل ان الصواب الخلق الحسن لانه هو الشامل وهو المراد الا ان يئول بالجمع المشترك بين الكل لان الخلق هو الصفة المعنوية والصورة الباطنة ليس بصواب ولا حاجة لما تكلفه **وقد يكون من هذه الاخلاق ما هو في الغريزة** هي والطبيعة والجبلة بمعنى كما مر **واصل الجبلة لبعض الناس** خلقه الله وانشاه عليها كما ترى من بعض كرامات الناس وحسن خلقه من غير تعلم من احد واعلم ان مراده بالكمال الذي عقد له هذا الباب كمال الانسان في خلقه الذي ذكره الله تع بقوله لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم وما يلحق به من امور معاشه وما له مدخل فيه كارضه واصله وما له دخل في بقائه من امور الدنيا معاشه وهو الذي اشار اليه الحكما بقولهم لما كان الانسان خلق لاشرف الصور التي هي النفس الناطقة خصها الله باشرف الامزجة واعدلها وجعلها بحكمته تقدست اسماوه زينة مزينة فيها اعضار لنشاته ومروته ومراده بصفاته الاخروية صفات ممدوحة فيه عقلا لا تختص بعصر ولا بنوع منه ولا بشريعة مما يدركه ويحمده كل عقل سليم كالسخا والشجاعة وغيرهما وهذه لا يدخل فيها صرف العبادة كالصلاة والحج ونحوه مما يخصه العرف باسم العبادة وان كانت هذه الصفات فيمن عرف نفسه وعرف ربه وقصدها القربة تسمى عبادة ايضا لان الشارع امر بها وحث عليها فمن فعلها امتثالا لامره كان متعبدا بها ومن لم يعرف مقاصده خلط وتكلف توجيهات لا حاجة اليها فقوله **واصل الجبلة** عطف تفسير للغريزة وهذه فيها ما هو قسم من الضروريات ايضا والاخلاق تطلق مسامحة ويشترط في كون هذه دينية ارادة وجه الله كما عرفته فما قيل على المصنف ان مقتضى كلامه ان الجبلي والوهبي كالنبوة لعدم القصد والعمل لا يكون دينيا وان التحقيق ان التقرب الى الله تع بتعظيمه وحسن الخلق والحال والمال يكون لكمال في الجبلة ووهب في الحياة بل بلا اختياره فان المعرفة والتصديق الوهبي والجبلي كما في بعض الانبيا والانتساب الى النبي بمحبته كمالات تقرب وتنفع وان لم تكن اعمالا يثاب عليها وكم في الاخرة من امر يقرب وليس بعمل وهذا لا ينكره من له انصاف والاخلاق التي مدحها الشارع امور كسبية وان كان كمالها بكونها جبلية كما سيذكره المصنف والظاهر انها توجب التقرب والتكريم في حد ذاتها وباب الجدال لا يسده طول المقال الى اخر ما اطال فيه وقد عرفت انه خارج عن نهج السداد **وبعضها تكون فيه فيكتسبها** هذا معلوم من جملة ما تقدم وهو انما ذكرها توطئة لما بعدها وقوله فيكتسبها بالنصب كما قاله البرهان الحلبي وقال بعض الشراح

الصواب

والصواب الرفع على الاستيناف وتقدير المبتدا وهكذا كل ما اريد به نفي ما قبله واثباته كقوله لمن يكره اتيانه ما تاتيني فاكرمك اذا قصدت اكرامه لاجل عدم اتيانه كما ذكره ابن هشام في الشذور وفي الاقليد وكتب العربية ما يخالفه وليس هذا محل تفصيله واعلم انهم اختلفوا في الاخلاق هل هي كلها غريزية من غير كسب او كلها كسبية او بعضها كسبي وبعضها غير كسبي واليه ذهب المحققون قال البحاني واليه ذهب المصنف كما سيصرح به في الفصل الحادي عشر من هذا الباب والشعرا في تخيلاتها ان ما ليس بغريزي لا بد من زواله كما قال المتنبي

واسرع مفعول فعلت تغيرا • تكلف شي في طباعك ضده •

وقال ذو الاصبع العدواني

كل امرئ راجع يوما لشيمته • وان تكلف اخلاقا الى حين •

ولكن لا بد ان يكون فيه من اصولها في اصل الجبلة شعبة كما سنبينه ان شا الله تعالى لا بد من كذا اي لا محيد عنه ولا مفارقة من بدون الشي واصل معناه الفرقة ولا يستعمل الا في النفي ولا يرد عليه قوله

من ظن ان لا بد عنه • فان عنده الف بد

لقصد التمليح وهو مولد وما وقع في بعض حواشي المطول من تفسيره بالسعة وتوجيهه لا وجه له واصل الجبلة اضافته بيانية والشعبة بضم الشين وسكون العين المهملة الحصة من الشي واصل معناه الفرقة والقطعة واحال المصنف على ما سياتي في فصل الخصال المكتسبة **وتكون هذه الاخلاق دنيوية** اي آثارها المترتبة عليها واكتسابها او التطبع بها حتى تنقلب من حسنها المحمود المثاب عليها الى انها تكون دنيوية صرفة لا يثاب عليها كما ان الدنيوي ينقلب دينيا بالنية الصالحة ولذا قيل طلبنا العلم لغير الله فابى ان يكون الا لله قيل وهو تصريح بنوع رابع غير النوعين المذكورين اولا وهو الدنيوي المكتسب فالانواع اربعة ديني ودنيوي وكل منهما ضروري ومكتسب وقد عرفت ما فيه **اذا لم يرد بها** بالبنا للمجهول او اذا لم يرد فاعلها بالبناء للفاعل وقد تقدم معنى الارادة والقصد **وجه الله** اي ذاته بان يقصد عبادته والتقرب اليه واتباع امره **والدار الآخرة** التي في مقابلة الدنيا اي نعيمها وما فيها من الثواب والجزا وما كان لله تع ولوجهه فهو للآخرة وبالعكس وقيل الاول اشارة لعبادة الخواص التي لا ينظر فيها لجنة ونار وانما هو لاجلال الله هم وامتثال امره وقد يجعل هذا على قسمين ما قصد به الكمال بالنظر والقرب والرضى ونحوه وما قصد به التعظيم وامتثال الامر وفعل ما يستحقه وهذه عبادة خواص الخواص قال الغزالي وهذا قل ان يعلمه احد فضلا عن ان ياتي به واعترض على عبادة الخواص بان البراءة من الحظوظ من خواص الالوهية ونقل عن الباقلاني تكفير من ادعى البراءة من الحظ بفعله واجاب الغزالي بانه حق ولكن مرادهم ان فعلهم لحظ غير حظ القوم وهو التلذذ بمعرفته ومناجاته والنظر له وقيل عليه هذا لا يصح في القسم الثاني اذ ليس نظرهم لتلذذ انفسهم ولم يبق لهم مطلب ولا مريد ولا مراد فالحق في الجواب ان عدم الحظ بمعنى عدم التاثر عن شي فانه غني وهذا نقص لا يليق بانه لا يلزمه الامكان والاحتياج وهم معترفون بانهم محظوظون متاثرون ولكن يدعون عدم ملاحظة الحظ وقصده بالفعل ولا دليل على اختصاصه فيجوز في فعلهم الغير الاختياري واما الاختياري ففيه نظر لما تقرر من ان الفعل الاختياري من الممكن لا بد ان يسبق بالتصديق بفائدة وغرض باعث على الفعل يعود الى الفاعل ولذا نفوه عن الله فكيف تكون العبادة لمحض استحقاق الذات والظاهر ان ذلك غير مسلم عند الحكما والثاني اشارة الى عبادة القوم بما كان لنيل النعيم والخلاص من الجحيم

وهذه على مراتب ما من منها ما يفعل لعبادة الله تع واطاعة امره راجيا النجاح بحيث لو لم يكن ينيل
هذه دونها ومنها ما يفعل مع الغفلة عن امر الله وطاعته وانما القصد مجرد النجاة والنعيم الا ان هذه
حكم الرازي ببطلانها وفاقا فقال في تفسيره اجمع المتكلمون على ان من عبد الله ودعاه لاجل خوف النار
وطمع الجنة لا تصح عبادته ودعاؤه وذلك لان التكاليف بمقتضى الالوهية والعبودية عند اهل السنة
ومع كونها مصالح عند غيرهم فوجه الوجوب والحرمة الامر والنهي فمن اتى بها لاتباع الامر والنهي صحت
ومتى اتى بها خوفا وطمعا لم تصح اتفاقا لانه لم يات بها على وجه وجوبها انتهى • ومنه يظهر ان المراد وجوب
ان يكون الغرض الامتثال ونحوه ولم ينف انضمام شيء آخر باحد الوجهين ما لم يتصور ريا فلا ينافي هذا قول
النووي لو قال احد لآخر صل لنفسك وعلي كذا فعلى هذه الهيئة صح ومن لم مراده توهم المنافاة هذا
ومن العبادات الظاهرة ما لا يحتاج الى نية بل يكفي عدم الصارف كالصدقة والعتق وغيره فلا يبعد ان
يكون في الاخلاق العلية ما هو كذلك واذا لم يجب في الصدقة ونحوها فبالاولى ان لا يجب في العلوم
الشرعية والعدالة واذا كان الكلام في الآثار فقد يكون عين ما ذكروه وحينئذ انما تكون دنيوية
اذا اريد بها غير الله واذا اريد بها آخرة وغيرها ففيه تفصيل وخلاف ولنا هنا تحقيقات خارجة عن
مقاصد الكتاب انتهى • اقول ذكر هذا الامام في تفسير الفاتحة واستدل بقوله ادعوا ربكم تضرعا
وخفية وقد اقره على ذلك جماعة وقد قال شيخ مشايخنا ابن حجر الهيتمي في شرح الارشاد وهذا
عجيب فقد صرح الفقها بان من قصد بالصلاة الدنيا تصح صلاته فبالاولى هذا فالوجه خلافه وقد
حث الشارع على العبادة بذكر الثواب والعقاب ففيه دليل على ان مثله لا يضر وقد صرح في الاحيا
بان قصده لا ينافي الكمال والعامل للجنة عامل لبطنه وفرجه كالاجير السو ودرجته درجة البله
الذين هم اكثر اهل الجنة وقد رد لما قاله الفخر ونحوه قول السبكي العاملون على اصناف صنف عبدوه
لذاته وانه لم يخلق جنة ولا نارا ومع ذلك يسالونه الجنة ويستعيذون من النار اتباعا للنبي صلى
الله عليه وسلم وقد قال حولها ندندن ومن اعتقد خلاف ذلك فهو جاهل وصنف عبدوه خوفا
من ناره وطمعا في جنته وهو دون الاول وكلاهما يعتقد وجوب الطاعة واستحقاقه تعالى لها انتهى
وحمله بعضهم على جعل عبادتهم في مقابلة ذلك وانه واجب على الله كالمعتزلة فهو غير جازم بالنية
فيبطل عمله عند اهل السنة وحمله على انه لولا ذلك ما عبد تكلف اذ الكلام في اسلامه حينئذ وفي
الاحيا عن مكحول من عبد الله بالخوف فهو حروري ومن عبده بالرجا فهو مرجي ومن عبده بالمحبة فهو
زنديق اذ المؤمن لابد له من الخوف والرجا لقوله خافوني ولا ييأس من روح الله الخ فمن عبده بالخوف
ولم يوجد منه رجاء او وجد ما لا وزن له معه فهو حروري لحكمه على العاصي بالانسلاخ من الرحمة
والخوف من الذنب كالخوارج على وهم فساق او كفرة فتجريد الخوف يوجب الالتحاق بهم • ومن عبد
بالرجا دون الخوف فهو كالمرجئة الذين يقولون لا يضر مع الايمان ذنب ومن تجرد رجاؤه قد يقال
لا تصح صلاته ولا شي من عبادته لان نية الفرضية شرط فيها واذا انتفى الخوف بتقدير الترك
انتفى اعتقاد الوجوب لان الفرض ما يلزم تاركه او يعاقب او يخاف من العقاب على الخلاف في
حده ومن اعتقد العقاب فلازم يخاف منه العقاب فعلم ان انتفاء الخوف لا يصح معه عبادة واجبة
لانه رجاء لا يقال ينافيه قوله نعم العبد صهيب الخ لانا لم نقل ان انتفاء الخوف لا يوجب الا رجاء
مطلقا بل نريد ان تجريد الرجا هو الموجب له وثمة حالة اخرى اكمل منه وهي الحيا المانع من المعصية
ومعنى الثالث ان نفس المحبة مع انتفاء الخوف والرجا يستلزم العمل لا لاجلها الا لاستحقاقها واعتقاده
كفر ممن يظهر الاسلام فهو كالزنديق ومعنى قولهم ما عبدناك خوفا من نارك ولا طمعا في جنتك

انه لذاته المستحقة لذلك كما مر انتهى • وانما اطلنا في هذه المسئلة لانها من المهمات والوقوف
عليها لازم الا ان ما ذكره غير متجه بوجه من الوجوه لان كلامهم في العبادة المعروفة في علم الشرع
وما نحن فيه من هذا القبيل كما حققناه لك فليكن على ذكر منا مع ان في كلامه سقطات يعرفها من
له ذهن وقاد • وفكر لذوق المعارف نقاد • فلنجذب عنان التحرير • ليستريح جواد القلم من التسطير
والى ما ذكر من ان ما نحن فيه ليس من قبيل العبادة المعروفة في عرف الشرع اشار بقوله ولكنها كلها
محاسن وفضائل اي كلها امور حسنة تفضل بها صاحبها في حد ذاته بقطع النظر عن الشرع فان
صحبها مقاصد حسنة وخلوص يثاب عليها والا فلا باتفاق اصحاب العقول السليمة وان كانت
قد تذم لامر عارض كالريا والصمت عما يجب انكاره كما يعرض لبعض الكمال لما يجعله ناقصا وان
اختلفوا في موجب بكسر الجيم لا بفتحها كما توهم اي سبب حسنها وتفضيلها على غيرها هل هو
لذاتها لما يترتب عليها او لتحسين الشارع وتفضيله بناء على ان الحسن والقبح امر يعرف من الشرع لا من
غيره مطلقا كما ذهب اليه الاشعري او في بعض الامور كما ذهب اليه الماتريدي او من العقل مطلقا
كما قاله المعتزلة والخلاف في الحسن والقبح الذي يترتب عليه الثواب والعقاب لا مطلقا كما توهم

فصل

قد عرفت ان فصول هذا الباب سبعة وعشرون وانه عد ما تقدم فصلا ولم يعد الفصول
لذلك او للاختصار ولم يترجم بعض الفصول لعدم انضباطها وهذا الفصل معقود لخصال
محمودة مخصوصة به صلى الله عليه وسلم مقتبسة من الكتاب والسنة منها ما يذكر في الفصول
التي بعده اذا كانت خصال الكمال والجلال المتقدم ذكرها كما اشار اليه بقوله مما ذكرناه في اول
هذا الباب ووجدنا الواحد منا معاشر البشر وهذا معطوف على ما قبله او حال بتقدير قد والمعنى
ان الواحد منا يتشرف كما وجدناه ويشرف بفتح اليا وضم الرا اي يحصل له الشرف على غيره بواحدة
او اثنتين منها اي بسببه اذا كانت فيه على ما يليق به ان اتفقت له قيد للشرف اي الوجدان
والحصول والمعنى لاتفاق حصولها على وجه يشرف به بغير كسب والضمير للخصلة المفهومة من
السياق والمراد نوعها وجنسها فيشمل المتعدد وتعبيره بالواحد اشارة الى ان اهل الكمال في كل عصر
قليل كما قيل • اني لافتح عيني حين افتحها • على كثير ولكن لا ارى احدا •
والعصر الدهر وكل مدة ممتدة غير محدودة يحتوي على امم وينقرض بانقراضهم والجار والمجرور
متعلق بوجدنا او بيشرف ويجوز تعلقه باتفقت والمراد بالواحد الجنس اي واحد في عصر وآخر
في آخر في عصر بعد عصر لا في ايام قلائل • واشار بقوله واحدة او اثنتين الى ان اجتماعها كلها
او اكثرها نادر وفي بعض النسخ او اوان وهو زمن مخصوص كزمن الربيع وليس من عطف الخاص
على العام كما قيل اما من نسب او جمال او قوة في الاعضا او القوي وقيل بمعنى البطش والشدة او علم
من اي العلوم الشرعية او العقلية او حلم او شجاعة او سماحة وجود كما مر حتى يعظم قدره
غاية لقوله يشرف ولو صفه بما ذكر اي يرتفع حتى يصير معظما مبجلا عند الناس في حياته قيل هو
وما بعده غاية اذ العظمة اعلى من العلو والشرف او مقيدة بقوله وتضرب باسمه الامثال في حياته
ومماته كما يقال هو حاتم في الجود والامثال جمع مثل وهو المشبه به وضربه بيانه في تشبيه غيره
به وضرب الامثال باسمه ذكره بجعله مشبها به وليس اسم مقحما للتعظيم والمبالغة هنا كما قيل لان المثل
يضرب لايضاح ما يراد في معرض المحسوس ليدل على غاية وضوحه وكماله في وجه الشبه والضرب

اصله ايقاع شيء على آخر ويختلف باختلاف متعلقه فالضرب في الارض السير لايقاع الارجل وضرب الدراهم صوغها لايقاع المطارق ومنه اخذ ضرب المثل لتاثيره في النفوس كما اشار اليه بقوله **وبتفرده بالوصف بذلك في المقلوب اثرة** بضم الهمزة وكسرها وسكون المثلثة وبفتحها وهي المأثرة والمكرمة من تلك الخصال التي وصف بها وانفرد واستاثر بها عن غيره **وعظمة وهو منذ عصفور خوال** اي والحال ان تلك الموصوف بها من ابتداء ازمنة خالية ماضية الى ظهور عظمة قدره وضرب الامثال به ومنذ يبني على الضم كما قرره النحاة مختص بالزمان بخلاف من **رمم** بكسر الراء وقد يضم جمع رمة او رميم وهي العظام واجزاء البدن البالية **فقوله بوال** جمع بالية تاكيد كنفخة واحدة او تجريد او بيان لرمم لانه قد يغفل عن معناها وهو قريب من التاكيد ولا وجه لرده وليس في حمل الرمم عليه وهو باعتبار اجزاء بدنه تكلف ولم يكتف بالمفرد لان المراد ان الواحد يعظم قدره بعد موته بالاتصاف بواحدة او اثنتين منها مع صيرورته عظاما تفرقت جموعها فما الظن بمن عظم قدره بما فوق ذلك وقد حرم جسده على الارض واحياه الله في قبره كسائر الانبياء صلى الله عليهم وسلم وقد رايت في بعض الكتب ان السلف اختلفوا في كفر من قال ان النبي لما انتقلت روحه الى الملا الاعلى تغير بدنه وروي ان وكيع بن الجراح حدث عن اسمعيل بن ابي خالد ان رسول الله لما توفي لم يدفن حتى ربا بطنه وانثنى خنصره هم واخضرت اظفاره لانه توفي يوم الاثنين وترك للثلثا الاربعا لاشتغالهم بامر الخلافة واصلاح امر الامة وحكمته ان جماعة من الصحابة قالوا لم يمت فاراد الله ان يريهم اية الموت فيه ولما حدث وكيع بهذا بمكة دفع الى الحاكم العثماني فاراد صلبه على خشبة نصبها له خارج الحرم فشفع فيه سفيان بن عيينة واطلقه ثم ندم على ذلك ثم ذهب وكيع للمدينة فكتب لاهلها اذا قدم فارجموه حتى يقتل فابرد له بعض الناس بريدا الخبره بذلك فرجع للكوفة خيفة من القتل وكان المفتي بقتله عبد المجيد بن رواد وقال سفيان لا يجب عليه القتل وانكر هذا الناس وقالوا رأينا بعض الشهدا نقل من قبره بعد اربعين سنة فوجد رطبا لم يتغير منه شيء فكيف بسيد الشهدا والانبياء وهذه زلة قبيحة لا ينبغي التحدث بها **فما ظنك بعظيم قدر اجتمعت له كل هذه الخصال** اي الواحد منا اذا حصلت له خصلة او خصلتان منها حصل له شرف قدر ووقع في القلوب ورفيع قدره لا يزول بموته وصيرورته عظاما بالية فكيف بمن جمع جميعها وهو باق في قبره وهو خاتم النبيين وسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وهذا جواب اذا • والظن الاعتقاد الراجح الغير الجازم ويكون بمعنى العلم وعظيم قدره بمعنى قدره والاستفهام انكاري بمعنى النفي والحمل على الاقرار بغاية عظمته او التعجب وليس بعجيب كما توهم والمراد بالخصال السابقة حالة كونها متجاوزة **الى ما لا ياخذه عد** اي لا يعد لكثرته ولعدم اطلاعنا على كثير منه ومعنى لا ياخذه لا يحيط به او يغلبه كقوله لا تاخذه سنة ولا نوم فهو استعارة ولا حاجة الى ما قيل انه ادعاء او مبالغة والى ما قلناه اشار بقوله **ولا يعبر** بكسر الموحدة المشددة **عنه قول** فاعل يعبر اي يقول ويؤدي به مقال اي لا يعرب به ويظهره مقال **ولا ينال** اي يحصل ويوصل اليه **بكسب** وتحصيل باسباب عادية **ولا حيلة** اي جد وتصرف بجودة نظر وهو اعم من الكسب **الا بتخصيص الكبير المتعال** استثناء مما قبله منقطع اي لكن لا ينال الا بامر وهبي يختص به الله من يشاء وقيل يحتمل ان يكون متصلا اي الا بحال مصاحبة للتخصيص فيقدره على كسب بعض ويهبه بعضا وفيه نظر والكبير العظيم

شانه وقال الرازي الكبير ما كبر في ذاته والعظيم ما يستعظمه غيره فلذا كثر وصفه تعالى بالكبير دون العظيم فتامله والمتعال بحذف اليا للوقف تخفيفا المستعلي عن كل ما سواه والعالي شانه عن جميع شوائب النقص **من فضيلة النبوة والرسالة** بيان لما في قوله لا ياخذه عد الخ لم يذكر قبله وقيل للكل من الخصال المذكورة ومما لا يحويه العد مما هو مذكور في الكتاب ليقف عليه الباحث عنها مجتمعة فيكون اقرب الى الضبط وادعى الى التعظيم والتخصيص اعم من السببي والحقيقي وان الظاهر انه لم يرد الخصائص المشتركات ولا داعي للتكلف للتخصيص والقول بانه لا يناسب عد المواهب من الغرائب انتهى وفي قواعد القرافي النبوة افضل من الرسالة عند العز بن عبد السلام من جهة انها عبارة عن خطاب الله نبيه بما يتعلق به وبذاته والرسالة متعلقة بالامة وقيل الرسالة افضل لعظم ثمرتها وعموم نفعها ولكل وجهة وسياتي تفصيله قلت وبهذا ظهر السر في ان الصلاة عليه وردت مقرونة بلفظ النبي لتعلقها بذاته ولذا قال تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي لانه اذا صلي عليه باعتبار النبوة علمت بالاولى تلك وليس ذكر الرسالة مستدركا هنا كما توهم **والخلة والمحبة والاصطفا** افتعال من الصفوة بالفتح والكسر وهي المختار والاجتبا بالجيم تناول لجنابته وجمعه فيه وسياتي الكلام على المحبة والخلة وهذه اشارة الى ما ورد في الحديث ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسمعيل واصطفى من ولد اسمعيل بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم **والاسرا** الى المسجد الاقصى وسياتي تفصيله **والرؤية** لربه او آياته الكبرى او جبريل في صورته الاصلية فلا يرد عليه ما قاله البرهان الحلبي انه جزم هنا برؤية ربه وقال فيما سياتي ان ذلك لم يثبت عنده لاحتمال ان يراد بالرؤية غير ما ذكر او بين كونه هنا تبعا لغيره وقيل الذي رآه رفرف اخضر سد الافق في الجنة **والقرب والدنو** لقوله تعالى ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى على القول ان الضمير للنبي صلى الله عليه وسلم وليس هذا قربا مكانيا ان كان المراد به القرب من الله لاستحالة المكان والجهة على الله وقد ذكر في الآية على سبيل المدح فالاول في قوله فكان قاب قوسين او ادنى والثاني في قوله ثم دنى فتدلى فهما متغايران هنا او عطف تفسير **والوحي** مصدر وحي بمعنى اوحى والاكثر في الاستعمال الفعل المزيد ومصدر الثلاثي وهو اعلام نبيه بما يريده من شرع وغيره بكلام او ارسال ملك او الهام ونحوه واصل معناه الكلام الخفي **والشفاعة والوسيلة** المراد مطلق الشفاعة في امته او الشفاعة العظمى وله شفاعات ستاتي والوسيلة اصلها ما يتوسل به ويتقرب ويتوصل بالمراجعة لربه وقيل هي الشفاعة يوم القيمة وقيل هي منزلة في الجنة وحمله هنا عليها ارجح **والفضيلة** هي اما فضيلة خاصة به صلى الله عليه وسلم او شاملة لجميع ما منحه الله من الفضائل والكمالات اذ كل صفة حادثة قابلة للزيادة ولذا قال وقل رب زدني علما وقال ولا يحيطون بشيء من علمه انه يجوز في الدعا للنبي عليه السلام ان يقال اجعله لك زيادة في شرفه لقبول الصفات الحادثة للزيادة والنقص بخلاف صفات الله ولذا اثنى الله على نفسه ومنع غيره من الثناء على نفسه بقوله فلا تزكوا انفسكم ولا تمني منه مما لا ثم منها الامين الواثق بامانته كقول يوسف اني حفيظ عليم ومنها الشجاعة كقول علي انا مفرق الكتائب • انا ليث بني غالب ومنها العالم او النسيب اذا لم يعرف انه **والدرجة الرفيعة** واحدة الدرجات وهي الطبقات والمراتب وهي المنزلة المختصة به والرفيعة المرفوعة

الغايه **والمقام المحمود** هو مقام يقوم فيه للشفاعة فيحمده فيه الاولون والآخرون ولا
شك انه مغاير للشفاعة وان احتوى عليها فهو مغاير لها لتقدمها وهذا اولى من القول بانه
الشفاعة لاخراج طايفة من النار وهو حيث يعطى لوا الحمد ويكون اقرب من جبريل ومن القول
بالعموم والخصوص او تغاير المفهومين وقال البرهان انه الشفاعة العظمى في اراحة الناس من
الموقف وعن كعب بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يبعث الناس يوم القيمة فاكون
انا وامتي على تل فيكسوني ربي حلة خضرا فاقول ما شا الله ان اقول فذلك المقام المحمود رواه
ابو حاتم وهو لا ينافي ما تقدم كما قاله المحب الطبري بقوله فاقول الخ فيجوز التغاير وعدمه وقوله
فذلك الخ فذلكة لما قبله والاشارة لمجموعه كقوله عوان بين ذلك ولا حاجة لتقدير مضاف
اي فمقام ما ذكر او الاشارة للمقام وان لم يسبق ذكره وفيه زيادة لقبول مقاله والباسه تلك
الحلة الفاخرة ثم ان البرهان ذكر عن ابن مسعود ان عبد الله بن سلام سال رسول الله عن صفة لوا الحمد

صفة لوا الحمد

فقال طوله الف وستماية سنة من ياقوتة حمرا وقضيبه من فضة بيضا وزجه من زمردة خضرا له
ثلاث ذوايب ذوابة بالمشرق وذوابة بالمغرب وذوابة وسط الدنيا مكتوب عليه ثلاثة اسطر الاول
بسم الله الرحمن الرحيم • والثاني الحمد لله رب العالمين • والثالث لا اله الا الله محمد رسول الله •
طول كل سطر مسيرة الف عام قال صدقت يا محمد • وفي الرياض النضرة وفضايل العشرة للطبري عن ابن
عباس انه صلى الله عليه وسلم سيل عن لوا الحمد فقال له ثلاث شقق كل شقة ما بين السماء والارض
على الاولى مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم الى آخر فاتحة الكتاب • وعلى الثانية لا اله الا الله محمد رسول الله
وعلى الثالثة ابو بكر الصديق عمر الفاروق عثمان ذو النورين علي الرضى انتهى • وتصديق ابن سلام
الظاهر لخصوص اعتقاده او لموافقته لما في الكتب الالهية عنده لانه خير بني اسرائيل ثم ان كونه
جسمانيا على هذه الصفة المروية خالف فيه صاحب النهاية فقال قوله صلى الله عليه وسلم لوا
الحمد بيدي اراد به انفراده بالحمد يوم القيمة وتشهيره به على رؤوس الخلق والعرب تضع اللوا في
موضع الشهرة انتهى • ووجه تسميته لوا الحمد كتابة الحمد عليه او انه تبعه فيه جميع الناس حامدين
له او انه حمد الله حين رفعه بمحامد اللايقة به **والبراق** تقدم الكلام عليه **والمعراج** بكسر
الميم وقد تفتح المصعد مفعال من العروج وهو اسم آلة والمراد عروجه على المعراج الى السما وفي رواية
انه راى معراجا كالسلم فنسمي به بهذا الاعتبار واشتهر بذلك وان لم تشتهر تلك الرواية وفي
الصحاح المعراج السلم ومنه ليلة المعراج ولا بعد فيه كما قيل وقال التلمساني انه سلم من نور
يصعد فيه الملايكة او المراد الدرجات الصورية كالسموات او المعنوية التي عرج عليها وقد
يطلق على العروج وبه فصل في بعض المواضع وفي القاموس عرج يعرج عروجا ومعراجا ارتقى
فاذا كان خلقة فعرج يعرج او مثلث في غير الخلقة وهو اعرج بين العرج انتهى • ومن لطايف
الفاضل قوله في رسالة هم • في اعرج قامت العصا بيده مقام رجله • وقلت اعواد الاغصان
من اجله يفرج به الى الارض لا الى السما • وغرس العود بكفه ولكن ما اورق ونما • ولعمري
حمل العصا هو لعذاب الاليم • وما افلح من لازمه بعد موسى الكليم • تنبيه قال الحافظ
الدمياطي الاسرا عبارة عن سيره من مكة للمسجد الاقصى والمعراج سلم من نور او من جواهر
تصعد فيه الارواح الى السما ويطلق كل منهما على ما يشمل الآخر **والبعث الى الاسود والاحمر**
اي عموم رسالته كما تقدم والاسود العرب او الجن والاحمر غيرهم لان الغالب على الوان العرب
السمرة وعلى العجم البياض **والصلاة بالانبيا** اي امامته لهم حين اجتمع بهم بالمسجد الاقصى

حتى اسري به ولم يراع المصنف الترتيب بين ما ذكر ولو راعاه كان احسن **والشهادة بين الانبيا
والامم** يوم القيمة كما في قوله تعالى ويكون الرسول عليكم شهيدا كما مر **وسيادة ولد آدم** اي سيادته
لجميع الخلق وآدم وولده كما ثبت في الحديث الصحيح لانه اكرم الخلق على الله كما مر **ولوا الحمد** تقدم
الكلام عليه وسياتي ايضا واللوا اكبر من الراية ولا يشترط فيها الترتيب كما قاله التلمساني ويجمعها
العلامة **والبشارة والنذارة** بكسرها اي كونه بشيرا ونذيرا كما في القرآن الكريم **والمكانة
عند ذي العرش والطاعة ثم** بفتح المثلثة اي هناك **والامانة** على الوحي واسرار الالوهية
المذكورة في قوله تعالى انه لقول رسول كريم الآية على قول من جعلها له كما مر مع انها ثابتة له في نفس الامر
بادلة اخر **والهداية** له المذكورة في اول سورة الفتح او كونه هاديا للخلق **ورحمة للعالمين** بالنصب
بكون مقدر وروي بالجر لقوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين كما تقدم **واعطا الرضى والسول**
بضم السين وسكون الهمزة وتبدل واوا وهو المامول لكل مسيول والرضى ما يرضيه لقوله ولسوف
يعطيك ربك فترضى والسول قريب من الرضى قيل والذي ورد في الآية الرضى والسول ورد في
موسى في قوله لقد اوتيت سولك يا موسى اي ما ساله بقوله رب اشرح لي صدري ويسر لي امري
قال الحجازي ولا شك انه صلى الله عليه وسلم اعطي ما به الرضى لان من اعطي ما به الرضى فقد اعطيه واما
السول فكم اعطي رسولا ونال مامولا وسولا وان لم يعبر فيه بهذا اللفظ كما في حق موسى فلعل المصنف
اراد انه اعطي سول موسى السابق لقوله له ان مع العسر يسرا وشرحنا لك صدرك الى غير ذلك مما
هو بمعناه وهذه تكلفات لا حاجة اليها ولذا لم يلتفت له الشراح **والكوثر وسماع القول** اي
سماع الله لقوله وقبوله الوارد في حديث الشفاعة الطويل بقوله قل تسمع وسل تعط واحتمال
ان يراد بالقول القرآن وسماعه العمل بموجبه او سماع النبي لقول الله كما قيل بعيد **واتمام النعمة
والعفو عما تقدم وتاخر** المذكور في قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر كما تقدم
وشرح الصدر ووضع الوزر ورفع الذكر المذكور في قوله الم نشرح لك صدرك الخ **وعزة
النصر** كما مر في قوله وينصرك الله نصرا عزيزا **ونزول السكينة والتاييد بالملايكة** اشارة
الى قوله تعالى فانزل الله سكينته عليه وايده بجنود لم تروها يعني الملايكة ببدر كما مر • وقال
ابن العربي في احكام القرآن اتفقوا على ان الاقوى في هذه الآية ان الضمير فيها عايد على ابي بكر
لا على النبي وقد تقدم ما فيه والمراد بالسكينة الرحمة وفي انوار التنزيل في تفسير قوله سكينة
من ربكم اي ما تسكنون اليه وهو التوراة وقيل صورة من زبرجد او ياقوت لها راس وذنب كراس
الهرة وذنبها ولها جناحان فتزف التابوت نحو العدو وهم يتبعونه فاذا ثبتت ثبتوا وحصل
النصر وهو غير ملايم لهذا المقام • ثم السكينة بفتح السين وتخفيف الكاف المكسورة فعيلة من
السكون وبه جزم ابن قرقول وغيره وما حكاه الصاغاني من كسر السين وتشديد الكاف قول
مرغوب عنه والاظهر انها الامن والثبات والرحمة والوقار وقيل المراد الملايكة والتاييد التقوية
وعن كعب الاحبار ما من فجر يطلع الا ينزل سبعون الفا من الملايكة يضربون باجنحتهم ويصلون
على النبي صلى الله عليه وسلم حتى اذا امسوا عرجوا وهبط مثلهم فيصنعون مثلهم حتى اذا انشقت
الارض خرج سبعون الفا من الملايكة رواه البيهقي في شعبه **وايتاء الكتاب والحكمة** والكتاب
القرآن والحكمة النبوة والعلم النافع **والسبع المثاني والقرآن العظيم** تقدم الكلام فيهما
وتزكية الامة لقوله تعالى يتلو عليهم آياته ويزكيهم وفيه فضيلة له ظاهرة **والدعا الى الله**
قال تعالى قل هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة وقوله وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا كما تقدم

وأما قوله تعالى ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله فعامة أو المراد به نبينا صلى الله عليه وسلم وعن
عائشة أن هذه الآية نزلت في الأذان واستشكل بأنها مكية والأذان إنما شرع بالمدينة ولذا قيل
المراد بلال بخصوصه والجواب بأن المراد أن الأذان داخل فيها بإيماء ظاهر **وصلاة الله والملائكة**
عليه كما في الآية والأحاديث الآتية **والحكم بين الناس بما أراه الله** لقوله إنا أنزلنا إليك الكتاب
بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله أي عرفه بالوحي أو الاجتهاد الذي أراه طريقه **ووضع الإصر**
أي ثقل التكاليف التي كانت في الأمم السالفة **والأغلال عنهم** أي المواثيق اللازمة لهم لزوم الغل
في العنق وفيه استعارة مصرحة قال أبو علي ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم أي يخفف
ما شدد في التوراة على بني إسرائيل وأخذ عليهم العهد به كقتل القاتل بدون دية أو عفو وقطع
الأعضاء الخاطئة وقطع محل النجاسة من الثياب وضيق عنهم لأمته أولاده ولهم **والقسم باسمه** كأمر
والاسم ما أطلق عليه فيشمل نحو والنجم أي إيراد اسمه في القسم فلا يرد أن القسم إنما هو بمعناه **وإجابة**
دعوته أي دعائه في مواضع لا تحصى **وتكليم الجمادات** كالطعام والحصا والأحجار كما ورد في
الحديث إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قيل هو الحجر الأسود وقيل غيره والمراد تكلمها عنده ولأجله
فلا يرد قول بعضهم إنه لا يدخل فيه تسبيح الطعام في يده كما ظنه البجائي نعم هو داخل في تسبيح الحصا
لشبهه به وسيأتي والجمادات جمع جماد من الجمود ضد الذوبان والمراد به ما ليس بحيوان • قال
وقبلنا سبح الجودي والجمد • وقيل إنه اصطلاح العلماء والأسماء المذكورة التي لم يسمع لها جمع تكسير
من العرب يجوز جمعها بالألف والتاء كحيوانات وأما ما جمع جمع تكسير فلا إلا في الشاذ القليل كما قال الرضي
وظاهره أنه مقيس وكلام الحريري في الدرة مصرح بخلافه **والعجم** أي وتكليم العجم بضم العين وسكون
الجيم وليس بفتح العين والجيم رواية ودراية والمراد به الحيوان الذي ليس من شأنه النطق وأراد
به ما ورد من نطق الطير والضب والجمل والحمار المفصل في معجزاته وهو جمع أعجم كما في المقتفى
وحاشية السمين وقال ابن رسلان جمع عجماء ومنه الحديث إذا ركبتم هذه الدواب العجم وجرح العجماء
جبار وكلاهما جائز وفي النهاية ومختصرها للسيوطي ورد بعدد كل فصيح وأعجم أي آدمي وبهيمة
فقول البجائي الأعجم يطلق على من في لسانه عجمة وإن كان عربيا وليس مرادا هنا وعلى من لا يصح منه
كلام من الحيوانات غير الناطقة إن أراد به الاعتراض فغير مسلم وتفسير بعضهم له بخلاف العرب
غير صحيح وجمع بعض الناس كتابا مستقلا في هذا سماه النطق المفهوم من أهل الصمت المعلوم طالعته
فلم أره محررا وفي توثيق عرى الإيمان للبارزي اختلف أهل النظر في هذا فمن قائل إنه كلام وأصوات
يخلقها الله في الجماد ويسمعها من غير تغيير وهو مذهب الأشعري والباقلاني وذهب آخرون
إلى إيجاد الحياة فيها أولا ثم الكلام بعده • وللمنصوري في قصيدة نبوية هـ

يا ألسن فصحاء قد خرست • إن الجماد بفضله نطقا

وسيأتي الكلام فيه مفصلا **وإحياء الموتى** أي إحياؤه الموتى بحسب الظاهر والمراد إحياء الله
الموتى جمع ميت كما ورد في إحياء أبويه وغير ذلك مما سيأتي **وإسماع الصم** أي إسماع الله بنبيه
الحجارة الصم ونحوها من الجماد كالحجر جمع أصم وهو الحجر الصلب كما ورد أنه أمر الحجارة أن يجتمعن لما لم
يجد ما يستتر به عند البراز كما ذكره البجائي وهذا لا يخالف قوله تعالى أفأنت تسمع الصم أو تهدي
العمي ومن كان في ضلال مبين فإنه مستعار للكفار لكونهم غير منتفعين بحواسهم وليس المراد به
الصمم المعروف • فائدة قال الحافظ ابن حجر لم يكن في حياته أحد من الصحابة أصم وهذا من كراماته
صلى الله عليه وسلم لأنه مبلغ لهم أوامر ربه والصمم يمنع منه بسهولة بخلاف العمى **ونبع الماء من بين**

أصابعه

أصابعه أي حدوثه من بينها كما سيأتي بيانه والأصابع جمع إصبع وفيه عشر لغات نظمها ابن مالك
في فوائده تثليث الهمزة مع تثليث الباء وأصبوع كعصفور فهي عشر • ومما قلته في هذا من مقطعات النيل

لا تقل لي أصابع النيل تحكي • ما جرى من أصابع المختار
وهو عذب جرى بغير قياس • زائدا رائقا بغير انكسار

وتكثير القليل من الطعام وغيره أي تكثير الله له بسببه أو تكثيره هو بحسب الظاهر والعادة وهو
ضم الأمثال كما في قصة جابر وطلحة المروية في كتب الحديث لما أمر بجمع الزاد القليل ودعا وبرك
فيه فكثر حتى ملأ منه كل وعاء معهم **وانشقاق القمر** لأجله بدعائه كما روي أن قريشا سألته
فانفلق القمر فلقتين وروي مرتين وروي أنه ذهبت فلقة وبقيت فلقة وله طرق صحيحة
وليس المراد بما في الآية أنه سينشق يوم القيامة كما في الكشاف وغيره لأنه إخراج للقرآن عن ظاهره
وترك تفسيره بما هو من أعظم معجزاته **ورد الشمس** في الخندق وصبيحة الإسراء ولصلاة علي
وسيأتي تفصيله وفي حواشي التلمساني أنها وقفت ليلة الإسراء لتصديقه وردت لعلي بعد الغروب
حتى صلى العصر وستقف في أيام الدجال لطول أيامه فيوم كسنة وشهر وجمعة قيل كان علم النجوم
صحيحا حتى وقفت الشمس ليوشع فبطل وبطل باقيه بقصة علي • وإلى هذا أشار القائل

ردت علينا الشمس والليل راغم • بشمس لها من جانب الخدر مطلع
فوالله ما أدري أأحلام نائم • ألمت بنا أم كان في الركب يوشع

وقلب الأعيان جمع عين وهي ذاته ونفسه وهي مشتركة بين معان مشهورة كثيرة كعصا عكاشة
يوم بدر حيث تناولها بيده فصارت سيفا صارما ونحوه مما سيأتي وقلب الأعيان بقدرة الله تعالى
ممكن واقع ومن ينكره ولا ذم يعتد بإنكاره يقول لم تنقلب وإنما عدمت وأوجد الله مكانها مثلها **والنصر**
بالرعب بضم فسكون وهو الخوف وسيأتي تفصيله **والاطلاع على الغيب** بتشديد الطاء أي إطلاع
النبي على بعض المغيبات بإقدار الله له على ذلك ليكون معجزة له ويقع مثله لبعض الأولياء كرامة
لهم خلافا للمعتزلة حيث نفوه واستدلوا بقوله فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول
والجواب عنه مفصل في التفاسير وكتب الأصول فقال التلمساني هو اطلاع بسكون الطاء ولا
يشدد لفساد المعنى لأن الله هو الذي أطلعه لأنه اطلع بنفسه وقد يقال الاطلاع فيما يمكن
من مقدور الإنسان بخلق قدرة من الله ولا كذلك الغيب لأنه ليس من مقدوره وليس بشيء **وظل الغمام**
أي تظليلها له لئلا يؤذيه حر الشمس وقد كان ذلك في أول أمره فإن لم يثبت بعده فلاستغنائه
عنه **وتسبيح الحصا** في كفه وإن كان ما من شيء إلا وهو يسبح بحمده لأن هذا التسبيح خاص يسمعه
الناس والحصا صغار الحجارة • ومن أحسن ما قلته فيه

رسول له وادي زناد عزيمة • فليس به صم الحجارة تقدح
رمى بالحصا قوما بغاة فكفهم • بكف به بحر السماحة تطفح
فكل لسان ناطق بتعجب • كذاك الحصا في راحتيه يسبح

وإبراء الآلام جمع ألم وهو الوجع لغة والمراد ما يعم الأمراض والأوجاع والأحاديث فيه كثيرة
مشهورة **والعصمة من الناس** من بطشهم به بالقتل ونحوه وتقدم ما فيه **إلى ما لا يحويه محتفل**
هذا كقوله قبله إلى ما لا يأخذه عد متعلقه محذوف معلوم من السياق أي منتهية مضمومة
إلى ما ذكر فكونه بمعنى يشمله ويجمعه فيحتوي عليه ويحتفل اسم فاعل من احتفل القوم في المجلس
إذا اجتمعوا ومنه المحفل ولا يحتفل به أي لا يهتم والمعنى أنه من أهم لجمع هذه الصفات وأمثالها

لا يمكنه الاحاطة بها وبينه قوله **ولا يحيط بعلمه** بالوقوف عليه على اتم وجه **الا ما نحه ذلك**
اي الا الله الذي اعطاه ذلك واصل المنحة كما في المصباح شاة ونحوها يعطيها رجلا لينتفع بلبنها
ثم يرد وكثر ذلك حتى صار بمعنى مطلق العطا يقال منحته منحا من باب نفع وضرب اعطيته والاسم المنحة
ولا يلزم من الاتصاف بشي ان يعلمه الناس لان منه امورا باطنية غير ظاهرة لغيره بل منها ما لا يعلم
الموصوف بالكنه والكال فلا خلل في الحصر **ومفضله** على غيره بما اودعه من الفضائل **ربه** اي بكل
ذلك ومجموعه **اذ لا غيره** اشارة الى الفاعل للتفضيل والعلم على ابلغ وجه ولا تمام للحصر اي ليس علمه
واعطاوه الا لله الخالق لا للمخلوق العاجز لانه المعطي الحقيقي المحيط علمه بكل شي وقد تستعمل هذه
الكلمة للتعجب كسبحان الله كما صرح به النووي في الاذكار **الى ما اعد له في الآخرة** اي هياه له
فيها من المنح والمنازل العلية ما لا عين رات ولا اذن سمعت قيل انه حال من معمول التجاوز المقدر
فالتجاوز الى ما لا يحويه في الدنيا الى اعلى منه في الآخرة او بدل او حال بعد حال او فرد بالتصريح
لكثرة الانواع في الدارين **من منازل الكرامة ودرجات القدس** اي من مراتبه المقدسة او الموجبة
للقدس او الكاينة منه وما فوقها مما لا يتناهى فلا يقال الظاهر تقديم الدرجات على المنازل
والقدس بضمتين وسكون ولا حاجة لتقدير نزول منازل الكرامة واصل معنى القدس الطهر فسمي به
المكان لانه يطهر فيه العايذ من الذنوب واسم الجبل يقال انه غير منصرف • وانشد والكثير •

كالمصرحي غدا فاصبح واقفا • في قدس بين مجاثم الاوعال •

قاله التبريزي في شرح ديوان ابي تمام **ومراتب السعادة** التي يترقى لها في رفيع الدرجات
والحسنى والزيادة معطوف على مراتب او السعادة اي والمثوبة الحسنى من اللقاء والرضوان
ولا حاجة لتخصيص هذا ولا تخصيص ما قبله من غير داع **التي** صفة للزيادة او للمجموع **تقف
دونها** اي عندها والظاهر انه قبل الوصول اليها **العقول** ولا تصل لادراكها وتقدر عليه
ويحار يتحير وهو مفتوح اليا التحتية دون ادانيها وروي دون ادراكها والادانى جمع ادنى
بمعنى انزل واسفل او اقرب من الدنو لا يدرك العقل سافلها فضلا عن عاليها ولا يصل لما يقرب منها
فضلا عما يبعد عنها **الوهم** وهو قوة تدرك بها الجزئيات المحققة وغيرها وجناب القدس اعلى
من ان تحوم حوله الاوهام والتخيلات وان كانت تفرض المحالات وفيه من التوقي ما لا يخفى
والقول بان من هذه الخصال ما هو محض موهبة فلا يناسب المقام • من جملة الاوهام • مقدمة
لا بد من التنبيه عليها قال ابو شامة فانها من المهمات • اعلم ان افعاله صلى الله عليه وسلم صنف
فيها العلامة كتابا سماه تحقيق الوصول الى افعال الرسول لم ار في بابه مثله وقد طالعته
ولخصته هنا وتعريبه اذ افعاله تشارك اقواله في حكم الاسناد وتختص باحكام والاختلاف
في الاستدلال بافعاله فقيل يستدل بمجردها على الوجوب او الندب او الاباحة اقوال وقيل يستدل
بها باعتبار الوجه فان علم اتبع والا فضربان اما بيان لمجمل العلي وجوب او غيره اولا • والثاني
لا يدل على وجوب وغيره والاول تابع لما بينه والمختار الاول • وهي على اقسام • الاول ما فعله
امتثالا لامر كالحج والصلاة وهو مساو لامته فيه • والثاني ما وقع منه جبلة مما لا يخلو البشر
عنه كالاكل والشرب والحركة والسكون والسفر والقيلولة في منزل وتحت شجرة وهو سواء فيه
وامته • ومنه تتبعه الدبا • واكله القثا بالرطب ومحبته الحلوا والبارد • وساير ما ورد في
طعامه ولباسه مما لا يظهر فيه قصد قربة • ومنه كراهة اكل الضب لا الثوم والبصل • والثالث
ما ثبت انه من خواصه كزيادة الزوجات والوصال وقيام الليل وجوبا • والرابع ما فعله بيانا لمجمل

في القرآن

في القرآن كالصلاة وقطع يد السارق من الكوع • والخامس ما صدر ابتداء وليس بيانا ولا خصوصية
له ولا جبلة وهو اما يعلم وجوبه او ندبه اولا • وهذا اما يظهر فيه قصد القربة اولا • فالاقسام
سبعة وفي حكمها مذاهب فاما الاول فيه امته ظاهر والجبلي والضروري لا يشرع اتباعه فيه
وكذا اكل ما فعله على الاباحة من اكله ولباسه ولا يستحب كلبسه العمامة السودا وفعله وتركه سواء
الا ان يكون استنكافا عن مثله وحكى القاضي ابو الطيب قولا بان التاسي به مندوب وقال الغزالي
في المنخول انه غلط • ومن الغريب القول بانه يجب علينا فعل كل ما فعله ولا وجه له والى الاستحباب
ذهب ابن عمر اذ كان يتحرى آثاره والفقها يستحبون بعضه كاتباع منازل حجه ومقدار وضوئه وغير ذلك
واما خصايصه فمنها ما وجب عليه دون امته فيحوز التشبه به كالوتر عند الشافعي والمشاورة
لان المختص به الوجوب وكذا المحرم كالاكل من الزكاة بخلاف ما ابيح له دوننا وما فعله بيانا لمجمل
وتقييد المطلق فهو كما بينه وقيده والفعل المبتدا على وجوه ما علم وصفه من وجوب وغيره فتعبد
به كما علم وما لم يعلم فان قصد به القربة فاصله الوجوب ما لم يدل دليل على خلافه وقيل يحمل على
الندب وقال الغزالي يحمل على الوجوب في العبادات وعلى الندب في العادات وقيل على الاباحة
وقيل على الحرمة وقيل بالوقف وقيل ما ظهر فيه القربة بين الوجوب والندب فغير مباح • فالاقوال
سبعة • وما لم يظهر فيه القربة قال الآمدي فيه الاقوال ايضا غير ان القول بالوجوب
والندب ابعد مما قبله والوقف والاباحة اقرب • قال وبعض من جوز على الانبيا المعاصي قال
انها على الحظر والمختار انه محمول على القدر المشترك بين الوجوب والندب والاباحة وهو دفع
الحرج عن الفاعل والمعتقد لدليل عليه وقال المازري افعال المكلفين دايرة بين الوجوب والحظر وغيرهما
فان قلنا بعصمتهم من الصغاير سقط عنهم قسم الحظر وان قلنا بجواز وقوعها لم يحسن تكررها فيقع
فلتة فاذا صدر منهم ولم يقارنه ما يدل على انه معصية يحمل على الجواز لكن لا يقتدى بهم
وهو كما قال ومن قال بالحظر اراد حظر اتباع غيرهم لهم بناء على ان التحريم هو الاصل لا الاباحة اذا علمت
هذا فافعاله الجبلية مباحة وما وقع امتثالا او خصوصية له فهو ظاهر وكذا المرسل الذي ظهر
فيه قصد القربة وعلمت صفته وما لم تعلم متردد بين الوجوب والندب والظاهر الندب ويعتقد
القدر المشترك بينهما من غير تعيين وما لم يظهر فيه قصد القربة ان كان من افعال الجبلة فمباح وان
تردد بين العبادة والعادة فالمتحقق فيه القدر المشترك بين الاباحة والندب وهو رفع الحرج
لكن وقوله بالمحصب مباح هذا بالنسبة اليه واما بالنسبة للامة فما ظهر فيه قصد القربة وكان
معلوم الصفة فنحن مندوبون الى ايقاع مثله وكذا ما كان محتملا للقربة وغيرها فيستحب التاسي
به فيها الا ان الثاني محطوط الرتبة عما قبله وقال الماوردي التاسي به ابلغ انتهى محصله وهو
كلام نفيس فينبغي حفظه وسياتي في عصمة الانبيا تتمة له والمقصود هنا انما هو بيان اقسام
افعاله ثم انه ذكر بعد هذا ادلة المذاهب ولا حاجة لنا به هنا

فصل

تالث الماموحي يتم العدد **ان قلت اكرمك الله** وفي نسخة وان قلت بالواو دعا له بان يكون
معظما عزيزا ببركة حبيبه جامعا للفضايل والكريم من كرمت نفسه عن التدنيس بالرذايل من
الكرم ضد اللوم والخطاب للمحب السابق اول الباب او لكل من يصلح للخطاب والجملة معترضة **لا خفا**
بالفتح اسم لا وخبرها انه اي في **انه على القطع** اي على سبيل القطع **بالجملة** المصنفون يقولون
في كلامهم هذا في الجملة كذا وبالجملة والجملة بمعنى الاجمال ضد التفصيل ويريدون به على كل حال

لانه اذا قطع بشي مع الاجمال فمع التفصيل اولى فالمراد لا خفا قطعا فالجار والمجرور متعلق
بالخفا ويجوز تعلقه بالقطع والمراد به المجموع فالمعنى لاخفا اذا قطعنا بجميع ما تقدم وقيل
المعنى لاخفا في المجمل اي لاسير على القطع بالمجمل والاجمال الذي هو صفة اعظمية القدر متعلق
بالقطع او عدم الخفا مجازا ومسامحة والمراد ان هذا المجمل قطعي لاحاجة الى بيانه بخلاف التفصيل
لان التفصيل كذلك كما توهم انه صلى الله عليه وسلم اعلا الناس قدرا اي في ذاته والضمير للنبي
صلى الله عليه وسلم لا للمجمل كما توهم والقدر المرتبة واتى الناس على الخلق قيل لانه ليس بواضح على القطع
واعظمهم محلا تعظيم محله ابلغ من تعظيمه كما لا يخفى ولو قال اعلاهم محلا واعظمهم قدرا كان
احسن وقدرا ومحلا تميز من النسبة محول على ما يلزمه والتقدير علا قدره فتامل واكملهم محاسن
وفضلا في ذاته وعلى عزم وقد ذهبت اي سلكت او قصدت او اعتقدت قال في المصباح
ذهب مضى وذهب مذهب فلان قصده وذهب في الدين مذهبا راى رايا وتا ذهبت مفتوحة
للخطاب كما ضبطه البرهان في تفاصيل خصال الكمال مذهبا جميلا حسنا والمذهب المسلك
وجمعه مذاهب قال ابو فراس

وبن من هوي حب الديار لاهلها • وللناس فيما يعشقون مذاهب •

والمراد بتفاصيلها ما تقدم من كونها ضرورية وكسبية الخ شوقني وفي نسخة شوقتني
الخطاب والتانيث للمذهب بمعنى الطريقة وهو تكلف لا داعي اليه والشوق الحنين ونزاع النفس يقال
شوقني الى كذا اي هيجني وقال في هياكل النور في الانسان قوة شوقية محركة طبيعية وللجلال
في شرحه كلام طويل في الفرق بينه وبين العزم لا يليق ايراده هنا لابتنائه على تخيلات فلسفية
الى ان اقف عليها اي اطلع لان من وقف على شي عرفه ويقال وقف الامر على كذا اي علقه عليه من اوصافه
صلى الله عليه وسلم تفصيلا وهو حال من ضمير عليها لانه قد وقف عليه مطلقا فلا يساق لها الا من
حيث انها من اوصافه وتفصيلا بمعنى مفصلة حال او مفعول مطلق لمقدر فاعلم خطاب خاص او
عام كما مر نور الله قلبي وقلبك بنور منه يزيل ظلمة الغباوة حتى تعلم ما قصدته وقدم نفسه للاهتمام
لانه هنا تقدم رتبته وضاعف اي زاد وضعف الشي مثله او اكثر وفيه كلام لاهل اللغة والمفسرين
طويل الذيل في هذا النبي الكريم حبي وحبك الجار والمجرور متعلق بالمصدر مقدم عليه وان
منعه بعض النحاة لتجويز الاكثر له اذا كان ظرفا كقوله فلما بلغ معه السعي وفي هي كما في الحديث
الحب في الله والبغض في الله فهي تعليلية كما في قوله ان امراة دخلت النار في هرة وهي ابلغ من اللام
وان كانت بمعناها لدلالته على شدة حبه له حتى كانه في ذاته والاشارة بهذا تو بين له لدلالته على
قربه وتعظيمه وقال الكريم اي الجامع للخصال الحميدة ودعاوه بزيادة الحب مناسب جدا لان من
احب شيا اكثر من ذكره فنفسه حث له على التفحص عن اخلاقه وفهمها وتفهيمها انك اذا نظرت
الى خصال الكمال التي هي غير مكتسبة وفي جبلة الخلقة اي طبيعتها واصلها والاضافة لامية او
بيانية وهذه شاملة للطبيعية وغيرها وانك الى آخره مفعول اعلم وخلقه صلى الله عليه وسلم
اي علمت علما يقينيا انه كان جائزا اي جامعا لجميعها ومتصفا بها على اكمل وجه يليق به محيطا
بشتات بفتح الشين مصدر بمعنى المتفرق واريد به هنا المتفرق محاسنها ووجوه حسنها المختلفة
المتفاوتة اي جميع ما تفرق في غيره منها واحاط به كما ينبغي دون خلاف اي متجاوزا عن اختلاف
الناس الى تفاقهم بين نقلة الاخبار نقلة بفتحات جمع ناقل ككاتب وكتبة اي لم يقع اختلاف
بين رواة الاخبار في جمعه المحاسن والكمالات لذلك متعلق بنقلة وهو اشارة للمذكور من حيازته

المحاسن

المحاسن ثم انتقل لما هو ابلغ فقال بل قد بلغ بعضها مبلغ القطع الجزم اليقيني لتواتره وتثبت
رواته المثمرة للجزم ومبلغ بمعنى الى مبلغ مفعول لبلغ لا مفعول مطلق ثم شرع في تفصيل
الصفات المذكورة فقال اما الصورة اي هيئة جسده الظاهرة وقد تطلق الصورة ويراد
بها الصفة ومنه قولهم صورة المسئلة كذا ومنه ما ورد في الحديث ان الله خلق آدم على صورته
على احد الوجوه فيه وجمالها حسنها وتناسب اعضائه اي كل عضو مناسب لمقابله
وملائمه في صفاته المستحسنة ووصفه كالطول والقصر والصغر والكبر كما مر فقد
جات الآثار جمع اثر وهو والخبر والحديث يطلق كل منها على الآخر وقد يفرق بينها الصحيحة
المشهورة ليس المراد منها ما اصطلح عليه المحدثون وان جاز وحينئذ الصحيح دون المشهور
فلا وهم فيه كما توهم واذا اريد به المعنى اللغوي فبينهما عموم وخصوص وجهي اي تلك
الاخبار والآثار منها ما هو صحيح ومشهور ومنها ما هو صحيح وما هو مشهور وليس فيه لف
ونشر الكثيرة بذلك متعلق بجات لانه يتعدى بالباء تقول جيت به واجاته اي الجاته
الى المجي وذلك اشارة لما ذكر من الاخبار والآثار من حديث علي بيان لما قبله من الآثار
والاخبار وقد تقدم معنى الحديث وترجمة علي رضي الله عنه وانس بن مالك الانصاري
الخزرجي الصحابي خادم النبي وهو ابن عشر او ثمان ولازمه عشر سنين فروى عنه الفي
حديث وما يتين وستة ودعا له بالبركة في ماله وولده وعمره والمغفرة فكان من اكثر الناس
مالا وولد من لصلبه بضعا وعشرين ومائة وكان له بستان يحمل في السنة مرتين وعاش
حتى سيم الحياة وتوفي في سنة تسعين وله مائة سنة ودفن بقرب البصرة بقصر انس
وحديثه في الصحيحين كما قاله النووي وابي هريرة تقدم ان اسمه عبد الرحمن بن صخر من
ثلاثين قولا وقيل كان اسمه في الجاهلية عبد عمرو او عبد شمس وفي الاسلام عبد الله او عبد
الرحمن وكنيته التي كناه بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو هريرة وهو ممنوع من الصرف
على الاصح كما فصلناه قبل ذلك والبرا بفتح الموحدة والراء المهملة المخففة والمد على الصحيح
علم منقول من البرا كالقضا بمعنى التراب ابن عازب بعين مهملة وزاي معجمة وموحدة
الصحابي الانصاري اسلم في صباه قبل الهجرة وشهد احدا ومشاهد علي واسلم ابوه وتوفي
بالكوفة في ايام ابن الزبير وعايشة ام المومنين بهمزة بعد الالف وعامة المحدثين
يبدلونها ياء ويقال عيشة في لغة ضعيفة وهي الصديقة بنت الصديق زوج حبيب الله
المامور بحبها رضي الله تعالى عنها الطيبة الطاهرة النازل في حقها الطيبات للطيبين
تزوجها رسول الله وهي بنت تسع ولم يتزوج بكرا غيرها وقيل بنت ست وابتنى بها في
السنة الثامنة من الهجرة على الصحيح ودفنت بالبقيع سنة سبع او ثمان عشرة وخمسين
وروت الفا ومايتي حديث وسيجي بعض حديثها وهذا الحديث في وصف حلية الرسول
مروي في الشمائل وعنها يروى نظرت الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يخصف نعله وقد
عرق جبينه وجعل عرقه يتولد نورا فبهت فقال ما لك بهتين فقالت نظرت لعرقك
يتولد نورا فلو رآك ابو كبير الهذلي لعلم انك احق بقوله

• ومبرا من كل غبر حيضة • وفساد مرضعة وداء معضل •
• واذا نظرت الى اسرة وجهه • برقت كبرق العارض المتهلل •

فقام النبي وقبل بين عيني وقال جزاك الله عني خيرا ما سررت مني كسروري بهذا

قال الحجابي معناه ان امه لم تحمل به في آخر الحيض بل بعد انقضايه واستقبال طهرها وهو مجمز ومصلح للولد به فيكون صحيح الجبلة محكم البنية كما قال الشاعر

حملته غرا في اول الطهر • وقد لاح للصباح بشهر •

وقال المعري واني لمثريا ابن آخر ليلة • وان عزمال فالقنوع ثرايد •

قال ابن السيد في شرحه اراد ان امه حملت به في آخر ليلة من طهرها حين استقبلت الحيض وهو مذموم مفسد للولد وغبر بضم الغين المعجمة وفتح البا الموحدة المشددة والرا المهملة بقاياه كما قاله الجوهري **وابن ابي هالة** بالها وتخفيف الكلام علم منقول من هالة البدر وهي الدائرة المحيطة به وهو ابن مالك اخو بني اسيد بن عمرو بن تميم حليف بني عبد الدار واسمه هند ولابي هالة ثلاثة اولاد هند وهالة وبني كني واشهرهم هند ولاشتهاره لم يسمه المصنف ويقال له هند الوصاف لاشتهار وصف حلية النبي عنه لانه كان ابن خديجة ام المومنين من زوجها الاول وكان ربيب رسول الله اخا والطهر وخال الحسين فكان لصغره يتشبع من النظر لرسول الله ويديم النظر لوجهه لكونه عنده داخل بيته فلذا اشتهر وصف النبي عنه دون غيره من كبار الصحابة فانهم لكبرهم كانوا يهابون اطالة النظر له فاحاط به نظره احاطة الهالة بالبدر والاكمام بالثمر هنا له مع ان ما قاله قطرة من بحر •

وعلى تفنن واصفيه بوصفه • يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف •

شهد بدرا قيل واحدا وقتل مع علي يوم الجمل قال الحجابي ولهند بن ابي هالة ولد يسمى هند ايضا توفي بطاعون البصرة الذي مات فيه نحو من سبعين الفا فاشتغل الناس بجنايزهم عن جنازته فلم يوجد من يحملها فصاحت نادبته واهند بن هنداه وربيب رسول الله فلم يبق جنازة الا تركت وحملت جنازته على اطراف الاصابع اعظاما لرسول الله ذكره الدولابي وقيل الذي مات في الطاعون هند بن ابي هالة والصحيح الاول **وابي جحيفة** بضم الجيم وفتح الحا المهملة والفا مصغرا واسمه وهب بن عبد الله ويقال وهب بن واهب السواي بضم السين المهملة وتخفيف الواو والمد نسبة لسواه بن عامر بن صعصعة صحابي توفي النبي وهو مراهق وتوفي هو سنة اثنين وسبعين وروى له احمد وغيره **وجابر ابن سمرة** بفتح السين المهملة وضم الميم ورا مهملة بن جنادة بن جندب يكنى ابا عبد الله وهو ابن اخت سعد بن ابي وقاص توفي بالكوفة سنة اربع وسبعين وقيل وستين وفي التهذيب انه وهم وكذا الحجابي وغيره اقتصر عليه **وام معبد** بفتح الميم وسكون العين المهملة والبا والدال المهملتين واسمها عاتكة بنت خالد بن منقذ وفي الاكمال عاتكة بنت خليف بن منقذ بن ربيعة بن اصرم بن حبيش بن حرام بمهملتين بن حبشية التي نزل عليها النبي صلى الله عليه وسلم في هجرته وهي خزاعية بنت كعبية صحابية خرج لها ابو يعلى الموصلي وكان منزلها بقديد ولم ينقل لها تاريخ **وابن عباس** تقدمت ترجمته **ومعرض بن معيقيب** معرض بضم الميم وفتح العين المهملة وكسر الرا المهملة المشددة والضاد المعجمة معناه القوي العريض ثم نقل علما وهو صحابي روى له ابن قانع من طريق الحديمي ولم يذكره ابن ماكولا ولا الذهبي في تجريد الصحابة اسم ابيه معيقيل باللام بدل البا قال البرهان الحلبي وكذا هو في نسختي ولا ادري اصحيح هو ام لا وفي تنقيح ابن الجوزي معيقيب بالبا وابوه شهد بدرا وتوفي في زمن علي وهو يماني **وابي الطفيل** اسمه عامر بن واثلة بن عبد الله بن عمرو بن جابر الكناني صحابي له دراية ورواية ولد في اوايل الهجرة وروى عن ابي بكر وعمر ومعاذ وغيرهم وروى عنه الزهري وقتادة وغيرهما وكان من محبي علي مات سنة عشر ومايه وقيل سنة مايه وهو آخر من مات من الصحابة وكان شاعرا مفلقا والطفيل بطا مهملة مضمومة مصغر **والعدا بن خالد** بعين مهملة

ودال

ودال مهملة مشددة ومد معناه الشديد الجري وهو ابن خالد بن هوذة ابن ربيعة بن عمرو بن عامر بن صعصعة اسلم يوم حنين وحسن اسلامه وهو الذي اشترى من رسول الله صلى الله عليه وسلم غلاما او امة كما رواه الترمذي وذكره الفقهاء وتاخر الى بعد المايه وروى له الطبراني كان حسن السبلة والعرب تسمي اللحية سبله **وخريم بن فاتك** بضم الخا المعجمة وفتح الرا المهملة وميم مصغر • وفاتك بفا ومثناة فوقية قيل انه نسبة لجده وقيل انه لقب ابيه اخرم بن شداد بن عمرو وفي التهذيب انه خريم بن فاتك بن اخرم وهو غريب شهد بدرا وقيل لم يصح ومات بالرقة في زمن معاوية وروى عنه ابن عساكر **وحكيم بن حزام وغيرهم** حكيم بفتح الحا المهملة وكسر الكاف وحزام بكسر الحا المهملة والزاي المعجمة يليها الف وميم ابن اخي خديجة بنت خويلد ام المومنين المكي عاش مايه وعشرين سنة نصفها في الاسلام وولد قبل عام الفيل بثلاث عشرة سنه داخل الكعبة ولم يولد فيها غيره وكان من المولفة ثم حسن اسلامه ولما حج في الاسلام اهدى مايه بدنة والف شاة ووقف بمايه وصيف في اعناقهم اطواق فضة منقوش عليها عتقاء الله عن حكيم بن حزام ومات سنة ستين بالمدينة وقيل غير ذلك واكثر من ذكر من روى حديث الحلية بيانا لشهرته وتاييد الكلام قبله واشار بقوله وغيرهم الى من رواه غير هولا ككعب بن مالك والفاروق والصديق وبنت معوذ كما في كتاب الدلايل والوفا وغيرها **مر انه صلى الله عليه وسلم** قيل انه بيان آخر لما بينه الاول بدل منه او مستانف او بيان لقوله ذلك والاظهر انه بيان لحديث وليس المراد جميع ما ذكر بل واحد منهم روى هذا الحديث بتمامه فانه ملفق من روايا تهم والمراد بالشهرة مصطلح اهل الاثر فانه غير صحيح هنا بل الشهرة العرفية **كان ازهر اللون** صفة مشبهة مضافة للفاعل وفي الازهر هنا تفاسير منقولة عن اهل اللغة فقيل نير وقيل حسن ومنه زهرة الحياة الدنيا لزينتها وقيل ابيض وقد اختلفت الرواية في لونه صلى الله عليه وسلم فقيل ابيض كما في حديث عايشة وابيض مشرب بحمرة عن علي وفي رواية انس ازهر اللون وعنه ايضا انه كان اسمر وفي الصحيح عن انس لم يكن بالابيض الامهق اي الخالص البياض كلون الجير فانه غير محمود وما وقع في رواية امهق ليس بابيض مقلوبة او وهم من الراوي كما قاله المصنف والمهق بمعنى الخضرة كما قاله ابن حجر الهيتمي وليس بالادم بالمد اي الاسمر ورد الطبري في الاحكام رواية الاسمر ورواه غيره كالترمذي في الشمايل وعامة المحدثين فسروا الازهر بالابيض المنير المشرق وكذا ذكر في صحاح الجوهري وقد وفقوا بين الروايات بان المراد بالبياض البياض المعتدل المعتاد ويويده ليس بالامهق كما مر ولا ينافيه انه مشرب بحمرة وانه كان اسمر في بعض الاوقات لمقابلته الشمس فيعبر به سمرة احيانا وهو المراد بكونه آدم وليس المراد انه شديد السمرة لانه سمي به لشبهه باديم الارض كما ان الابيض الماهق الشديد البياض الذي لا يخالطه حمرة كالبرص والاحاديث دالة على انه لم يكن شديد البياض ولا شديد السمرة وعن الخطابي في الجمع بين السمرة والبياض بان السمرة فيما برز للشمس من بدنه والبياض فيما تواريه الثياب ويويده رواية ابن ابي هالة انور المتجرد وايضا ففي الحديث انه مشرب بحمرة والحمرة اذا اشبعت حكت السمرة وقيل ان ما في الشمايل عن انس ابيض كانما صيغ من فضة لا يعارض وصف علي بالحمرة لانه عني وجهه وانس جسده كما مر وسيجي تتمته • اقول ما ذكر من انه عارضي من تاثير الشمس ياباه السياق لان الظاهر من لونه امر خلقي لا عارضي لان مثله لا يقال انه لونه والراوي له انس وكان قريبا منه ملازما له لا يخفى عليه امره قال ابن حجر الهيتمي الاولى حمل السمرة على الحمرة التي تخالط البياض وهو المراد والعرب تطلق على من كان كذلك اسمر ويويده رواية البيهقي عن انس كان ابيض بياضه الى سمرة وعن ابن عباس احمر الى البياض فثبت من مجموع الروايات وصفه

ببياض فيه حمرة ورواية انه شديد البياض محمولة على الامر النسبي فانكار رواية اسمر لا وجه له
فالحق انه كان ابيض مشربا بحمرة وهو احسن الالوان لدلالته على قوة المزاج واعتداله وهذا معنى ازهر
ويقال لمن اسمر نظرا الى ميله بحمرة ومن اطلق عليه آدم عنى هذا واما قوله كانما صيغ من فضة فلم يرد به
شدة بياضه بل حسن منظره ورونقه واما جعل لونه عبارة عن لون وجهه فبعيد ايضا وقوله انوار المتجرد
اي ما تحت الثياب لا يساعده وقالوا البياض برنس الجمال وما سواه ملاحة • فان قلت كيف قال بعض الصحابة
ان سمرته من تاثير الشمس وقد كان الغمام يظله • قلت اجيب بان ذلك انما كان في اول امره ارهاصا للنبوة
واما بعدها فلم يحفظ ذلك قال ابن حجر في شرح الشمائل كيف وقد ظلله ابو بكر بثوبه لما وصل المدينة
وظلل بثوب وهو يرمي الجمار في حجة الوداع • تنبيه قال ابن حجر قال ايمة الشافعية من قال ان النبي
صلى الله عليه كان اسودا او غير قرشي او نوفي امرد كفر لان نعته بغير صفته نفي له وتكذيب ومنه يعلم
ان كل صفة ثبتت له بالتواتر نفيها كفر فان قلت لونه اشرف الالوان وكذلك اهل الجنة فلم جاء في
صفتهم انه لونهم بياض يشوبه صفرة كما فسر به قوله نعم كانهن بيض مكنون قلت البياض المشوب
بالحمرة يدل على غلبة الدم الموروث لقوة المزاج واعتداله الناشي عن الغذاء في الدنيا واما غذاء الاخرة
فله شان آخر والصفرة فيها بريق ولمعان يناسب النساء دون الرجال ولذا قد جيء به في اشعار العرب
مع انه ناشئ عن ترك الحركة وكثرة النوم والترفه ولذا قالوا ان الاولى ان لا يلبس البياض لما فيه
من التشبه بالرجال ۲ ادعج وعن الترمذي ادعج العينين والدعج بفتحتين شدة سواد العين مع
سعتها وقيل سواد وبياض البياض ويشكل بانه ۱ اشكل العين من الجلة وهي سعة الشق ومنه هم
طلعة نجلا ومن فسر الدعج بشدة سواد العين مع سعتها فيه عنده تجريد او تاكيد اشكل بشين
معجمة من الشكلة وهي الحمرة في بياض العينين وكان اصله مطلق الحمرة لقوله •

• فما زالت القتلى تمج دماءها • بدجلة حتى ماء دجلة اشكل •

وقال ابن دريد يسمى به الحمرة والبياض المختلطين فيه وفي المفتقي في صحيح مسلم عن سماك بن
حرب ان معنى اشكل طويل شق العين وهو وهم بالاتفاق وقال البجاي الشكلة الحمرة اليسيرة في
بياض العين فان كانت في السواد فهي شهلة والرجل اشهل وكلاهما مستحسن ويعني اشكل اشجر
بجيم وسين وراء مهملتين وفي حديث جابر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضليع الفم اشكل العينين خرجه مسلم
وقال الاصمعي لا يجر الاشهل واكثر اللغويين على خلافه وعن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان اشجر العينين ولم ترد الشهلة في وصفه ۲ اهدب الاشفار الهدب بضم الهاء والدال ويجوز تسكينها
الشعر النابت على الجفن والاهدب الطويل الاهداب او الكثيرة وهذه الصفة في حديث رواه الترمذي
والبيهقي ووقع في رواية فيه طويل الاهداب وفي البيهقي وصفه بالكثرة وكل منهما شاهد للتفسيرين
السابقين • والاشفار جمع شفر بضم الشين وقد يفتح طرف الجفن غطاء العين الاعلى والاسفل وانما
خلقت هذه الاجفان واهدابها لتقي العين وهي تمسحه في انطباقهما وانفتاحهما وتذب عنه باهدابها
كما قال • فلو افترقت ما ذبت عن ناظر شفر • ولذلك كان الذباب يمسح
دائما بيديه عينيه لانه خلق بغير اجفان • واليه اشار عنترة في تشبيهه البديع بقوله •
وقع المكب على الزناد الاجذم • وفي الجفن وطول اهدابه زينة ونفع وحسن واضافة
اهدب للاشفار من اضافة الشيء لمكانه فانه يجوز اضافته للمكان والزمان نحو عالم بغداد ومالك
يوم الدين وهي لامية او على معنى في والاهدب يوصف به الرجل فيقال رجل اهدب الجفن والشفر والكل
فيه اطلاق الاشفار على الاهداب مجاز من باب اطلاق الحال على المحل كما تسمى الخمر كاسا وان جاز ۞

وليس المراد بالشفر الجفن مجازا باطلاق الجزء على الكل ولا تجريد فيه ولا تقدير مضاف اي شعر
الاجفان كما توهم ۲ ابلج من البلج بفتحتين وهو نقاء ما بين الحاجبين من الشعر ووقع في حديث
ام معبد عند البيهقي والبغوي ابلج الوجه وفسر بمضي مشرق والمشهور في البلج الاول وضده
القرن وهو ما اتصل فيه شعر الحاجبين والعرب تحب البلج وتمدح به وتكره القرن كما قال الحريري
لا والذي زين الثغور بالفلج • والحواجب بالبلج • وقد ورد في حديث ام معبد وصفه بالقرن
وانه اقرن وهو مخالف للرواية المشهورة في حديث الحلية ولهذا رد بعضهم هذه الرواية ووفق
بينهما بانه كان بينهما شعر خفيف جدا ربما يظهر اذا وقع عليه الغبار في سفر ونحوه وحديث
ام معبد سفري وفي كتاب خلق الانسان لثابت رجل اقرن والمراة قرنا فاذا انسب الى الحاجبين
قالوا مقرون الحاجبين وقد تمدحوا بالبلج قديما وحديثا كما قال بعض المحدثين ۞ •

• اذا ارسلت سهم الناظرين بصدها به • وان كان سلما غير يوم هياج •
• على سواتر امن حاجبيه جبينه • لها البلج الوضاح فيضته عاج •

• ومنه اخذ ابن سنا الملك قوله ۞ •

• رماني من اجفانه السهم صائبا • ومن حاجبيه القوس والقبضة البلج •

والحنية بمعنى المحنية القوس والقبضة وسطها الذي يقبضه الرامي والعرب تسمي السيد بالابلج
كما في قوله • وابلج يستسقى الغمام بوجهه • ثمال اليتامى عصمة للارامل •
واستعمله بعضهم ابيض والثمال الملجا اسم مفرد كالغياث لفظا ومعنى ۱ ازج بفتح الهمزة والزاي
المعجمة وتشديد الجيم وهذا وكل ما وازنه في حديث الحلية صفات مشبهة لانها تجيء كذلك في الصفات
والحلى ويوصف به الرجل والحاجب في المدح والزجج كما في تحفة العروس للتجاني رقة محط الحاجبين
وامتدادهما الى موخر العين غير عريض ولا كثيف وضده الزبب وقال السمين ازج مقوس الحاجب مع
طول وامتداد وقال حسان • ازج كمشق النون من خط كاتب •

وقال رؤبة • ومقلة وحاجبا مزججا • والزجج خلقة والتزجيج ما كان
يصنع كما قال • وزججن الحواجب والعيونا • اي صنعن ذلك وهو ما تسميه العامة
تحفيفا بالحاء المهملة وهذا ايضا مما رواه الترمذي ۲ اقنى كما ورد في حديث هند الذي رواه الترمذي
وفي حديث علي اقنى العرنين والعرنين الانف والقنا طوله ودقة ارنبته مع حدب في وسطه وفسره
الجوهري بالحدب والمصمت بالسائل المرتفع الوسط وقد يبدل السائلون بالدقة وقيل انه نتو في
الوسط وضيق المنخرين وقال التجاني القنا احديداب قصبته مع نزول الارنبة وهي راس الانف
مما يلي الفم والشمم استواء اعلا قصبة الانف مع ارتفاع يسير في الارنبة وهو من صفات الجمال
والمدح وعلامة السودد في الرجال قال حسان •

• بيض الوجوه كريمة احسابهم • شم الانوف من الطراز الاول •

وقال الفرزدق • بكفه خيزران ريحه عبق • من كف اروع في عرنينه شمم •
وورد في الحديث ان رسول الله كان اشم وبعض اوصفه اصحابه كما ورد في الاحاديث ويعارضه
ما اشتهر من انه كان اقنى وجمع بينهما بان القنو كان خفيفا فان زيادته غير ممدوحة كما مر في البلج
ويدل عليه قول ابن ابي هالة • اقنى العرنين يحسبه من لم يتامله اشم فتامل ۱ افلج الفلج بفتحتين
تباعد ما بين الثنايا او ما بين الاسنان وهو من قولهم فلجت الشيء اذا شققته فلجين اي نصفين
وفلج فلو جا ظفر وقال ابن دريد وتبعه صاحب القاموس انه لا يقال رجل افلج الا اذا ذكر بعده الاسنان

اي اذا قيد بها سوآء كان بلفظ الاسنان او الثنايا او غيرها لئلا يلتبس برجل افلج مخالف للغة اذلم يستعمل الامقيدا كما عرفته وقد استعمله الحريري كذلك ثم ان ما قاله اهل اللغة مخصوص بهذه الصيغة فان غيرها كثير من غير تقييد كقول العجاج • ازمان ابدت واضحا مفلجا •

وفيه بحث لان هذا الاستعمال مروي في الحديث هكذا وابن ابي هالة راويه من خلص فصحاء العرب ولا عبرة بقول بعض النحاة ان الحديث لا يستدل به في اثبات العربية • واعلم ان العرب اذا وضعت كلمة لمعنى فقد تستعملها مطلقة وقد تستلزم تقييدها باضافة مطلقة او معينة كوحده او نحوها وقد تستلزمه في حالة مخصوصة كاب واخ اذا اعرب بالحروف وقد تستلزم هيئة مخصوصة نحو كافة وقاطبة وتعريف الان وقد تستلزم تقييده بشيء كما فيما نحن فيه • ثم ان ههنا شيئا وهو انه اذا ورد استعمال لفظ عن العرب على هيئة مخصوصة تم من ما المانع من استعماله في ذلك المعنى من غير تغيير لبنيته في موضع كما في ما نحن فيه واذا جاز التجوز فيها ونقلها عن معناها فيا فصدا بالطريق الاولى خصوصا وقد عضده السماع والفلج ممدوح لانه يطيب رائحة الفم لعدم بقايا المأكول بينها مع المعاونة على خروج المخارج سهلة فصيحة • ومن المليح فيه قول ابن نباتة

• افدي الذي جبينه وشعره • طرة صبح تحت اذيال الدجا •

• مالي به مع قرب داري ملتقى • فصل رأيت ثغره المفلجا •

مدور الوجه في الشمايل لا بالمكلثم وكان في وجهه تدوير وفسر بانه لم يكن شديد التدوير بل فيه تدوير مع استطالة قليلة وهو اجمل واحسن وهو المراد هنا • والمكلثم بالمثلثة فسر بالمدور والسمين والنحيف فهو ضد وفي النهاية انه كان اسيل الوجه وروى البغوي مسنون الوجه اي فيه طول والروايات يفسر بعضها بعضا وما ورد من انه مدور الوجه كالبدر محمول على الضياء والحسن فلا منافاة بينهما **واسع الجبين** السعة ضد الضيق والجبين والجبهة هل هما بمعنى او بينهما فرق اكثر اهل اللغة على الفرق بينهما بان الجبهة موضع السجود المحاذي للناصية من الحاجب الى قصاص الشعر وجانباها جبينان وقيل انها قد تطلق بمعنى الجبهة والمجموع وانكره بعضهم وخطاء المتنبي في استعماله بهذا المعنى الا ان ابن عاصم قال في شرح زهير

• يقيني بالجبين ومنكبيه • وانصره بمطرد الكعوب •

انه اراد بالجبين الجبهة وسعة الجبين مما يدل على قوة العقل والفهم والحواس ان لم يكن مفرطا وسعة الجبهة حسنها وشخوصها او طولها كما قيل والظاهر من العبارة انه اريد بالجبين الجبهة اذ لم يقل الجبينين بالتثنية **كث اللحية** هذه الصفة في الترمذي والبيهقي عن هند وعلي وام معبد والكث في اللحية ان تكون كثيفة غير خفيفة يرى منها ما تحتها لكثرة اصولها مجتمعة ملتفة وليست بطويلة ولا قصيرة الشعر في العرض والبه اشار بقوله **تملاء صدره** يعني انها طولا وعرضا بقدر صدره فجعلها كانها حالة فيه لان المظروف لا يزيد على ظرفه ومثله قولهم قد ملأت نحره ونحر الصدر اعلاه او موضع القلادة فمراد المصنف اعلا الصدر والا لطالت وقد ثبت قصرها وقيل المراد انها علو ما يقابل الصدر بها فاستوت طولا وعرضا والحاصل ان لحيته معتدلة طولا وعرضا غير خفيفة • واعلم ان اللحا واللحي ما ينبت عليه الاسنان واللحية ماخوذة • فان قلت ورد في الحديث من سعادة المرء خفة لحيته وهو ينافي كونها كثة قلت المراد عدم طولها لما ورد في ذمه • وقد قيل اعتبروا عقل الرجل في ثلاث • طول لحيته • ونقش خاتمه • وكنيته • قال الشاعر

• بمقدار ما طالت من لحيته • ونقصان عقل الفتي عندنا •

مع انه ورد خفة لحيته بالتثنية وفسر بخفته في حركته للذكر **سوآء البطن والصدر** وهو بتنوين سواء ورفعه ونصبه واضافته اي مستويهما وهو اشارة الى اعتدال الخلق وعدم خروجهما او احدهما عن الاعتدال والبطن مبتدا وسواء خبر مقدم ولا حاجة لتقدير منه ولا الحمل الى بدل الاسم من الضمير كما قاله التلمساني فان البطن اذا كان بارزا او مضمرا لم يكن من الصفات الحسنة وكذلك اذا برز او تطامن وسوآء الشيء قد يكون بمعنى وسطه وليس بمراد هنا كما قاله التلمساني **واسع الصدر** في المواهب عن ابي هريرة رحب الصدر وفي الترمذي والبيهقي عريض الصدر وقال البيهقي كان بطنه غير مستفيض فهو مساو لصدره وصدره عريض مساو لبطنه والعريض والواسع بمعنى وقال الصفوي يجوز ان يكون مجازا عن الحلم واحتمال الامور كما يقال في ضده ضيق الصدر وقال ثم فلا يكن في صدرك حرج وعدول المصنف الى السعة ليكون اظهر في احتمال المعاني • اقول هذا غير صحيح هنا لان الكلام في الحلية الحسية وليس هذا فلو قال كما قال الدلجي ان معناه واسع الصدر حسا ومعنى ليكون كناية كان اولى فتامل **عظيم المنكبين** مثنى منكب بفتح الميم وكسر الكاف والموحدة وهو مجمع عظم العضد والكتف اي ضخمهما وروى البيهقي مسندا جليل مشاش المنكبين ومشاشهما بالضم رؤسهما وروي الواقدي **ضخم العضدين** والمنكبين وفي الشمايل جليل المشاش اي روس العظام كالمرفقين والركبتين والمنكبين وهو معنى قوله **ضخم العظام عبل العضدين** الضخم الغليظ كما في الصحاح او العظيم الجرم الكثير اللحم وفي حواشي عبد المجيد النبي ضخم العظام غليظها تقول اضخمت اذا انتصبت قائما والمضطجم المنتصب والعظام جمع عظمة وعظيم كما في حرام السقط الصدر الافاضل وبعض الجهلة توهم ان قولهم الموالي العظام غلط لانه لا يكون الا جمع عظم وروي الترمذي وغيره ضخم الكراديس قال ابو نعيم هي العظام اي عظيم الالواح وقيل رؤس العظام وقال البغوي الاعضاء والمراد عظام يحس عظمها كالجوارح والاطراف وقد ثبت انه كان عظيم الاطراف والجوارح والعظام اساس البدن لعظمها تقوى وتحسن وتنمي الحواس وعبل بفتح العين وسكون الموحدة تليها لام بمعنى ضخم قوي العضدين تثنية عضد بفتح العين وضم الضاد المعجمة وتسكن تخفيفا وفيه لغات وهو ما بين المرفق والكتف ويسمى ساعدا **والذراعين** اي وعبل الذراعين والذراع هو ما بين مفصل الكف والمرفق او من المرفق الى اطراف الاصابع **والاسافل** جمع اسفل قال التلمساني يريد به رجليه وباقي جسمه وقال غيره المراد بها الفخذان والساقان وذلك كله مما يؤذن بكمال قوته لما في الحديث انه اعطي قوة ثلاثين رجلا وفي مسند احمد عن ابي هريرة كان شبح الذراعين بعيد ما بين المنكبين والشبح بفتح الشين المعجمة وسكون الموحدة والحاء المهملة بمعنى العريض **رحب الكفين والقدمين** اي واسعهما وقال البجائي اي كبيرهما وهو محمول على ظاهره من كبر الجوارح لدلالته على كمال الخلق بخلاف صغرهما وتاوله بعضهم في الكفين على انه كناية عن جوده وسماحته قال والحق انه روي مجموع رحب الكفين والقدمين فلا مجال لهذا التاويل للجمع بين الحقيقة والمجاز فان ورد رحب الكفين فقط فان كان في بيان مقام خلقه بالفتح فلا مناسبة له وفي مقام بيان خلقه بالضم فله مناسبة وقد ورد انه كان شثن الكفين والقدمين والشثن بمعنى الغليظ لا الواسع وهو لا ينافي ما مر وفسر الاصمعي الشثن بالغليظ الخشن وقيل له انه ورد في صفة النبي وقد ورد في البخاري وغيرهم ما مسست حريرا ولا ديباجا الين وانعم من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم فآلى على نفسه

ان لا يفترشها في الحديث وقيل لين جلده ونعومة ملمسه خلقة وخشونته باعتبار عمله في جهاده ومهنته وتفسير ابي عبيد الشثن بالغليظ القصير مردود بما صح من انه **سائل الاطراف** واعلم ان البارزي قال في توثيق عرى الايمان انه روي انه صلى الله عليه وسلم كان خمصان الاخمصين اي متجافي اخمص القدم وهو الموضع الذي لا يناله الارض من وسط القدم وروي انه كان مسيح القدمين اي املسهما ولذا قال ينبو عنهما الماء وفي حديث ابي هريرة ما يخالفه لانه قال فيه اذا وطئ بقدميه وطئ بكليهما ليس له اخمص وهذا يوافق رواية مسيح القدمين قال وسمي عيسى بالمسيح لانه لم يكن له اخمص في احد الوجوه وقيل بمعنى مسيح لا لحم عليهما وهو يخالف رواية شثن القدمين انتهى وفيه نظر ففي شرح الشمائل مسيح القدمين املسهما الينهما فليس فيهما تكسر ولا تشقق ولهذا قوله ينبو عنهما الماء اي يسيل سريعا لملاستهما فكان غليظ اصابعهما وروى احمد وغيره ان سبابتي قدميه اطول من غيرهما وفي البيهقي كانت خنصر رجله متظاهرة وما اشتهر من اطلاق كانت سبابته اطول من وسطاها غلط فانه خاص باصابع رجليه انتهى وما قيل ان سعة القدمين لم ترد الا انه بمعنى العظم المذكور في البخاري فيه نظر سائل الاطراف وفي شمائل الترمذي سائل الاطراف او شائل الاطراف بالشك من الراوي من انه بالسين المهملة من السيلان بمعنى ممتدها امتدادا معتدلا بغير افراط ولا تفريط او بالمعجمة من شالت الميزان اذا ارتفع احد كفتيه والمراد منه ما قبله والمراد بالاطراف الاصابع وروى ساين بالنون المبدلة من اللام كما قاله التلمساني وطول الاصابع مما تتمدح به العرب وسائل بهمزة مبدلة من الياء كما تقرر في الصرف وقوله في المقتفي انه بالياء اذ اراد انه روي كذلك على خلاف القياس صحيح والا فلا وفسر بالطول من غير تعقد وروي كان اصابعه قضبان فضة قيل الاوجه في تفسيره التعميم لما روي من انه سبط القصب وفسر بكل عظم ذي مخ والسبوط الامتداد قال ابو نعيم **انور المتجرد** انور بمعنى نير صفة مشبهة لانه من باب الالوان وعليه اقتصر التلمساني والبغوي والمتجرد بضم الميم وفتح الجيم والراء المشددة وبالدال المهملة بمعنى الجسد الذي من شانه ان يجرد عنه الثياب والعرب تقول فلان حسن الجرد والمتجرد والجردة والعرية والمعرى والكل بمعنى وقيل انور افعل تفضيل مضاف لغير المفضل عليه كما ذكره النحاة اي متجرده انور من متجرد غيره والمتجرد بالضم مصدر ميمي يقال امراة بيضة المتجرد والمجرد اي عند التجرد والتعري والمحدثون فسروه بما جرد عنه الثياب اي نوع وليس على القلب اي ما جردت الثياب عنه او هو اسم موضع التجرد او اسم مفعول على الحذف والايصال كالمشترك لانه ثبت عن العرب فلا يقال انه غير قياسي واسم المفعول لا يبنى من مثله بغير صلة كممرور به والقول بانه جعل تجرد بمعنى جرد المتعدي كما جعل رحم المتعدي بمعنى رحم اللازم وبني منه الصفة المشبهة وجعله من الحقايق والدقايق من زخرف القول الذي لا طايل تحته وتفسيره سائر البدن باعتبار ما عليه واكثره كلام حسن وجمله وهما خرافات واهية **دقيق المسربة** دقيق بالدال المهملة والقاف والمراد انه ليس بعريض ولا متكاثف الشعر وروي بالراء المهملة وهما بمعنى • والمسربة بفتح الميم وسكون السين المهملة وضم الراء المهملة وفتحها والموحدة شعر مستطيل من الصدر للسرة فهو خط من الشعر بينهما قيل من اوايل الصدر الى السرة والوصف بالرقة للمبالغة والمسربة من السرب وهو دخول الطريق والاسترسال فيها **ربعة القد** القد بمعنى القامة ورجل ربعة وامراة ربعة بفتح الراء وسكون الباء وفي المصباح حذف الهاء في المذكر وفتح الباء لغة فيهما ورجل مربوع مثله اي معتدل وفي القاموس الربع الرجل القصير والطويل

ويكون

وتانيثه باعتبار النفس والذات وليس في اضافته للقد تكلف كما توهم وفيه ضمير للنبي صلى الله عليه وسلم بالتاويل المذكور وروى الترمذي وغيره انه كان اطول من المربوع وفي البيهقي عن انس فوق الربعة فالمراد بكونه ربعة انه بين الطول الفاحش والقصر ومن نفى الطول اراد الفاحش ولذا قال **ليس بالطويل البائن** في الصحيحين عن انس اي لم يكن مفرط الطول فهو من بان بمعنى ظهر لظهور طوله او بعد لبعده عن قدر الرجال الطوال او لبعده عن الاعتدال او من المفارقة والانقطاع لانفصال بعضه عن بعض او عن غالب الناس او عن الاعتدال **ولا القصير المتردد** اي المتناهي في القصر من التردد بمعنى الرجوع او التداخل كان بعضه يدخل في بعض ويرجع اليه وهذه صفة خلقته لذم الطول المفرط والقصر وللتلمساني هنا كلام في تفسيره لا محصل له **ومع ذلك** اي مع كونه ربعة معتدلا **فلم يكن يماشيه احد** من الناس اي يمشي معه ويجنبه بحيث يعرف مقدار القدود وقيل الاولى عدم الفاء الا ان يقال هذه بيان الحالة السابقة يعني انها خلقة وهذه عارضة فتدبر **ينسب الى الطول الا طاله** المراد بنسبته له اتصافه به وكونه معروفا به مشهورا كما يعرف المرء بالنسبة فيقال القرشي ونحوه فهو استعارة وطاله اي غلبه في الطول وزاد عليه فهو من باب المغالبة المعروف فلذا تعدى مع لزومه او اصله طال عليه على الحذف والايصال وروى البيهقي وغيره زيادة ربما اكتنفه الرجلان الطويلان فيطولهما فاذا فارقاه عاد ربعة وفي المواهب عن ابن سبع واذا جلس كان كتفه اعلى من الجالسين وهل هذا بحض ارائه لذلك او حقيقي يرجع عنه فيه تردد ولم يخلق اطول من غيره لخروجه عن الاعتدال الاكمل المحمود ولكن جعل الله هذا له في راي العين معجزة خصه الله بها لئلا يرى تفوق احد عليه بحسب الصورة وليظهر من بين اصحابه تعظيما له بما لم يسمح لغيره فاذا فارق تلك الحالة زال المحذور وعلم التعظيم فظهر كماله الخلقي **رجل الشعر** يقال شعر رجل بفتح الراء وكسر الجيم وفتحها وهو ما فيه تثن قليل وما لا تثني فيه فهو سبط والاول احسن وامدح وروي شعره بين شعرين لا رجل ولا سبط وفي مثله مبالغة في قلة التثني وفيه كلام بسطناه في السوانح وفي الصحيحين لا بالجعد القطط بفتح الطاء وكسرها الشديد الجعودة والسبط بكسر الباء ضد وهو المسترسل بغير تكسر فشعره بين هاتين الصفتين لا تجعيد فيه كثير **اذا افتر ضاحكا افتر عن مثل سنا البرق** هذا رواه البيهقي مسندا ومعنى افتر كشف عن اسنانه متبسما وضاحكا ويفتر يضحك ضحكا حسنا بمعناه وفي النهاية تبسم حتى تبدو اسنانه من غير قهقهة وهو افتعال من فررت الدابة اذا كشفت شفتها ليعرف مقدار سنها ومنه اخذ السن بمعنى العمر وفي حواشي عبد الحميد ومنه فرة الحرا بمعنى بكسر الفاء وتشديد الراء وتبعه بعض الشراح ومن قال انه وهم لم يفهم مراده والسنا مقصور وروايته مدة لا اصل لها فان الممدود بمعنى الشرف كما قال ابن عباد المغربي

• ايها الصاحب الذي فارقت • عيني ونفسي منه السنا والسناء •

اي اذا كشف عن اسنانه في حال ضحكه ظهر من فمه وبياض اسنانه لمعان كلمعان البرق وانما خص التشبيه بحال التبسم والسرور وشبه ذلك بالبرق دون ما هو اضوا منه كالشمس والبدر اشارة الى انه لا يديم ضحكه وانفتاح فمه لان كثرة الضحك غير محمودة ولم يكن ذلك من دابه ولان تبسمه لمخاطبه يعقبه نفع وخير من عطائه وكلامه ورضاه كما يعقب البرق المطر والرحمة العامة وما قيل ان الاظهر انه اذا اشتمر يتلالا فيظهر تارة ويخفى اخرى فالمناسب البرق ويؤيده رواية مثل سنا البرق اذا تلالا لا مخيلة برق خلت وهذا تشبيه لنور ثغره وقوله

وعن مثل حب الغمام في بياضه ونقائه وصفائه حب الغمام هو البرد بفتح الراء وتسكينها قال المصنف ويروى تسكينها والاول اصح وقيل حب الغمام حبابه المائية به على اسنانه من قليل الريق وبلله وهو الظلم بالفتح الذي تسميه العرب استغنا كما قال ابن الوكيل

يا بارقا قد حكاه في تبسمه • لقد حكيت ولكن فاتك الشنب •

والاصح الاول ولرواية البيهقي عن هند عن مثل البرد المتحدر عن متون الغمام قال السيد شبه ما يظهر من اسنانه في التبسم بذلك في البياض والصفا واللمعان والاعتدال وفي النهاية وفي البرد وهو بعيد ومن قال حبه قطرة الغمام شبهها بما يطفو على الثنايا من الريق فقد وهم لان الثنايا ليس عليها عادة الابلل فلو اجتمع لم يحسن قيل وما احسن عدوله عن تشبيهه بالحباب حب السحاب لتنزهه عن تشبيهه بامر محرم وقيل عليه ما احقه صلى الله عليه وسلم بقول البحتري

كانما تبسم عن لؤلؤ • منضد او برد او اقاح •

وقول الحريري

نفسي الفداء لثغر راق مبسمه • وزانه شنب ناهيك من شنب •
يفتر عن لؤلؤ رطب وعن برد • وعن اقاح وعن طلع وعن حبب •

وليس الحبب حباب الماء ونفاخاته ولا حباب الخمر بل نضرة الاسنان كما قاله الجوهري فلا ميل في التشبيه لما قاله وهو وهم منه فان الحبب والحباب بالمعنى المذكور مما لا شبهة فيه وما قاله الجوهري لا يصح هنا لما فيه من تشبيه الشيء بنفسه فهو كما قيل

اقام يعمل اياما قريحته • وشبه الماء بعد الجهد بالماء •

اذا تكلم يرى كالنور يخرج من ثناياه وقع عندنا يرى مضارع له اي المجهول والذي صححه التلمساني وغيره رواية ربي براء مكسورة تليها يا ساكنة تليها همزة بوزن قيل وفي رواية رئي بضم الراء وهمزة مكسورة تليها ياء مجهول راى والكل صحيح رواية ودراية وهذا رواه الترمذي في شمائله والدارمي والبيهقي عن ابن عباس والثنايا جمع ثنية وهي ربع اسنان اثنان فوقانية واثنان في مقابلتها والمراد وصف ثناياه لشدة البياض والبريق والصفا واول الحديث كان افلج اذا تكلم الخ وروى ابن كثير ربي النور من ثنيته وهي الاظهر ولذا قيل الكاف زائدة ويحتمل انها اسم بمعنى مثل وهي والجار والمجرور نائب الفاعل وهو صفته لمقدر اي تلالؤا ويقي وضمير يخرج للنور وقيل انه للكلام المفهوم مما قبله اي يخرج كلام شبيه بالنور في ظهوره احسن الناس عنقا رواه البيهقي مسندا وفيه احسن عباد الله عنقا وفي رواية من احسن الناس والمراد احسن جميع الناس او الناس الموجودين ولا تكلف فيه كما توهم وحسنه باعتداله وبياضه وصفا لونه ويستحسن في العنق القلع وهو اشرافه وانتصابه والسطع وهو طوله قال الحجابي وقد جاء هذا في وصفه صلى الله عليه وسلم قال وطول العنق مما يستحسن ما لم يفرط فاذا افرط فهو مما يذم وقد هجر واصل بطول عنقه ولقب لقابه • واعلم ان السهيلي قال في الروض الانف العنق والجيد بمعنى الا ان الجيد يستعمل في المدح والعنق بخلافه فيقال صفعت عنقه لا جيده ولما ورد عليه قوله تع في جيدها حبل من مسد قال انه تهكم وتمليح بجعل الحبل كالعقد لها وفيه نظر لان الاستعمال بخلافه كثير كما هنا وكقوله • وفي عنق الحسنا يستحسن العقد • ليس بمطهم ولا مكلثم المطهم كما في القاموس كمعظم السمين الفاحش والنحيف الجسم الدقيقه ضد والمنتفخ الوجه والجهمة مدور وقليل لحم الوجه ومكلثم اسم مفعول من الكلثمة وهذه الصفة مروية عن علي في سنن الترمذي والبيهقي باسناد غير متصل وسيأتي وعن عايشة وله معان منها ما تقدم ومنها كما في الترمذي بادن

كثير

كثير اللحم والجاور لونه السمرة الى السواد ويصح ارادة كل منها غير السمن وبيناه اذ فسر بذلك لئلا يتكرر واعادة لا مع العاطف تنفي كونه تاكيدا واما معناه المذكور في القاموس وهو البارع في الجمال فلا يصح هنا كنفيه وقد ثبت انه وساير اعضائه في غاية الكمال والجمال ومكلثم اسم مفعول مروي عن علي وعايشة مسندا وفسر بمدور الوجه مطلقا ومع كثرة اللحم والنائي الوجنة وقيل هو قصير الذقن وفي النهاية انه القصير الحنك الداني الجبهة المستدير مع خفة اللحم لانه كان اسيل لا مستديرة ولا ينافي هذا ما مر عن علي من وصفه بانه مدور الوجه لان المنفي الاستدارة المفرطة المذمومة والمثبت خلافه كما صرحوا به الا ان في شرح السنة ان الكلثمة لا تكون الا مع كثرة اللحم وكذا في الصحاح والمراد غير المفرطة ايضا فهو من الاضداد ودواء الضفان للنبي صلى الله عليه وسلم لا للعنق كما توهم وهو غلط فاحش هنا متماسك البدن وهذا مروي في حديث هند كان بادنا متماسكا اي معتدل الخلق كان اعضاءه يمسك بعضها بعضا لقوتها وعدم استرخائها وقال الغزالي الحمة متماسك على خلقه الاول لم يضره السن الذي من شانه ان يسترخي اللحم فيه بخلاف الشباب ضرب اللحم ضرب بفتح الضاد المعجمة وسكون الراء المهملة والموحدة بزنة المصدر اي قليل لحم البدن خفيفه لا الى حد الهزال وهو يتمدح به كما قال طرفة هو

ان الرجل الضرب الذي تعرفونه • خشاش كراس الحية المتوقد •

وهذا معنى قولهم لحمه بين اللحمين لا ناحل ولا مطهم وذكر اللحم مع قول اهل اللغة الضرب الرجل الخفيف اللحم لبيان معناه لانه مشترك او للتجريد وهذه الصفة في حديث ام معبد وفي حديث رواه البيهقي وهي لا تنافي ما ورد في حديث آخر من انه كان بادنا اي جسيما او كثير اللحم لان القلة والكثرة والخفة ومقابلها امور نسبية فحيث اثبتت اريد بها مرتبة معتدلة وحيث نفيت اريد الافراط او ان هذا كان في اول عمره وكونه بادنا في آخره لما في الصحيح انه لما كبر سنه كثر لحمه ولا خفا انه لم يكن نحيفا قط ولا سمينا قط وقال التلمساني يعني كونه بادنا كثير لحم البدن ولكنه بكونه متماسكا يقوي بعضه بعضا وبشرة خفيف بهذه النسبة قال البراء بن عازب رضي الله عنه تقدمت ترجمته وهذا الحديث رواه الترمذي وصححه ورواه بتقديم احسن الآتي ما رأيت من ذي لمة في حلة حمراء احسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم من زائدة او مبينة لمقدر اي من احد اي اللمة بكسر اللام وتشديد الميم ما طال من شعر الراس في احد جانبيه قال التلمساني قيل هي الوفرة وقيل فوقها وقيل اذا الم بالشعر بالمنكب فهو لمة وقيل اذا جاوز شحمة الاذن وقيل دون الجمة وقيل فوقها والجمة ما بلغ المنكبين انتهى • وقد اختلف في الفرق بين هذه الثلاثة اللمة والجمة بالضم والوفرة بالفتح فقيل اللمة ما جاوز من شعره شحمة الاذن وسميت بها لالمامها به فوقها كما في المصباح لا لبلوغ اولها وسقوطها وفوقها متصلة بها منبسطا بعضها عليه قليلا وقيل يجاوزه لما ورد في الحديث شعره يضرب منكبيه وفيه نظر وفي القاموس الوفرة ما سال على الاذن وجاوز الشحمة ثم الجمة ثم اللمة ووافقه الجوهري تارة وتارة قال اللمة ما جاوز الشحمة فاذا بلغ المنكب فهو جمة فتوهم فيه السهو او التناقض وهو محمول على ما في شرح السنة وقيل يتعين حمل كلامهم على ان ما في الجمة لغتين اي معنيين ما سقط على المنكب وما لم يبلغه لما مر فاقتصر بعضهم على احدهما والآخر على الآخر وذكرهما الجوهري وفي الشمائل جمته تضرب شحمة اذنيه فهي ثابتة من غير تناقض ومنهم من اول الحديث بانه جمة قيل وربما وصل لما ذكر بعده وهو بعيد بل غير سديد • اقول الجمة بمعنى الكثيرة الشعر ومنه الجم الغفير • والوفرة من الوفور وهو

الكثرة والملمة من الالمام وهو القرب او النزول ولا يخفى ان الكثرة والقرب ونحوه امور نسبية
تتفاوت بحسب ما نسبت اليه فلا تعارض بين معانيها بحسب الاصل والاشتقاق فلكل منها معنى
يجوز استعماله في المعاني المذكورة بحسب القرائن فالملمة ما يلم بالاذن او بشحمتها او بالمنكب
بان يقرب منه او ينزل عليه والكثرة اما في نفسها او بالنسبة بالملمة فاذا لوحظ كل من هذه صحت
المعاني فتدبر • والحلة بضم الحاء المهملة وتشديد اللام كما في القاموس ازار ورداء برد او غيره ولا
يكون حلة الا من ثوبين او ثوب له بطانة انتهى فلا يكون ثوبا واحدا ولا ثوبا له بطانة كما قال الخليل
والثوب لا يختص بالمخيط بل يعمه وغيره وفي النهاية انها من برود اليمن ولا يكون الا ثوبين من جنس
واحد وتاؤها للوحدة الصورية كما يقال جنس واحد او للاسمية وقال التحاني في الحديث دليل على ان
الحلة قد تكون ثوبا واحدا يعني لبناء الوحدة ووصفها بحمراء واللغويون مطبقون على انها لا تطلق الا
على ثوبين والحديث صحيح متفق على تخريجه ووهم المصنف في فارقه انها سميت بذلك لحلولها على الجسم
او على ثوب تحتها وهو باطل لاقتضائه ان كل ملبوس يسمى حلة من اي نوع كان اقول هذا بل منه غير
صحيح اما اشتراط كونها ثوبين واتفاق اهل اللغة فقد نقلنا لك عن صاحب القاموس وعن الخليل
ما يخالفه فاي اتفاق يصح بعد هذا واما اعتراضه على المصنف في وجه التسمية فليس بشيء لان وجه
التسمية مناسبة لحظها الواضع لا يلزم اضطرادها ولا انعكاسها فهو غفلة منه ثم ان الامام الشافعي
ومن وافقه استدل بهذا الحديث على جواز لبس الاحمر ولو كان قانيا كالمعصفر والمزعفر ومن ذهب
الى كراهتهما كراهة تحريم • اجاب بان المراد انه كان فيه خطوط حمر ولبس احمر خالصا وبان هذا
منسوخ قال محمد في شرح السير الكبير لبس الاحمر مكروه وفي حديث ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال اياكم والحمرة فانها زي الشياطين وما روي من حديث البراء بن عازب ما رايت ذا لمة في حلة حمراء
كان في الابتداء ثم كره استعماله للرجال بعد ذلك انتهى او هو من خصائصه وضرب عمر من لبس حلة
معصفرة وقال دعوا هذه الثياب للنساء او الكراهة تنزيهية وفعله للجواز وسئل القاسم بن قطلوبغا
عن لبس الاحمر الذي فيه النزاع وهو الاحمر الصرف هل هو مكروه ام لا فاجاب بانه مكروه كراهة
تحريم للاحاديث الواردة في النهي عنه ثم اورد كلام محمد في السير وانه كرهه بعد ذلك لما في حديث
ابن عمر نهاني رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المعصفر وانما لبسه الشعبي فرارا من القضاء لما
كلفوه مرارا فلبس المعصفر ولعب بالشطرنج وخرج مع الصبيان لينظر الفيل فتركوه واذا ورد
ما يقتضي الاباحة وما يقتضي التحريم فالثاني ناسخ نسخا اجتهاديا كما يشير اليه كلام السير
وما ذكر عن الشعبي جواب عما يقال لو كان النسخ مشهورا لما لبسه الشعبي وقال بعض المتاخرين
حديث البراء ليس من محل النزاع لان الحلة برود اليمن المخططة انتهى وفيما قاله الشيخ نظر لان النهي
عن المعصفر العمل الذي شاع في عهد النبوة لبس النساء له لا يستلزم النهي عن الاحمر المنسوج لذلك
وفرار الشعبي عن القضاء لا يبيح له الحرام فقوله حلة حمراء في حديث البراء يابى كونها مخططة فالحق
ان الكراهة تنزيهية ولذا قال النووي في شرح المهذب لبس الاحمر جائز بالاجماع وان قال
بعض اصحابنا من المالكية بجوازه ومراده الاجماع المذهبي وما ذكره من النسخ بالاجتهاد محل بحث
فليحرر • وقال ابو هريرة تقدم الكلام فيه وانه غير منصرف ما رايت شيئا احسن من رسول
الله هذا ابلغ من الحديث الذي قبله لانه جعله في لباس مخصوص وخصه لانه يظهر فيه النور والحسن
اكثر من غيره • وقال في هذا ما رايت شيئا من الناس وغيرهم مطلقا كان الشمس تجري في وجهه
كان بالتشديد في الرواية هنا وان جاز تخفيفها وهي اداة تشبيه وترد للظن والتشكيك وهو

مبني على التشبيه والشمس منصوب اسمها وجملة تجري خبرها وجريان الشمس حركتها الفلكية
الشمس حركتها كما قال عز وجل والشمس تجري لمستقر لها قيل شبه لمعان وجهه تارة بالشمس وتارة
بجريان الشمس الا ان المنتقل لمعانه فالمناسب ان يقال كان نور الشمس او يراد بالشمس نورها فلا وجه
انه شبهه بنورها وجريانه لكنه لما كان بتبعيتها حكم بانها تجري وهو دقيق بليغ او شبه محل اللمعان
بقرصها وتغيره تارة وتارة بجريان القرص وفيه بعد وقال الطيبي يجوز تعلق الخبر بمستقر فهو من جنس
التشبيه وجعل الوجه مقر الشمس فكانه جعل تجري حالا او كان للظن او الادعاء او فعلا ناقصا وهو
بعيد انتهى وقيل المعنى ان الشمس الجارية في فلكها شبيهة بما يجري في وجهه من عرق ونحوه ففي
وجهه ما هو شبيه بالشمس ولذلك التشبيه ما هو شبيه بذلك الجريان من التلالؤ والانبساط
ففيها مشبه ومشبه به وصفة هي للمشبه ظاهرا وللمشبه به حقيقة على اسلوب كانني قايل اي انا
كالرجل القايل فحول اسناد الجريان وفيه مشبهان مطويان على سنن الاستعارة وهما ما في وجهه
من الشبيه بالشمس والشبيه بذلك الجريان كما في قوله تعالى وما يستوي البحران هذا عذب فرات سايغ شرابه
على ما فصل في شرح المفتاح اقول هذا كله تكلف وتعسف بلا طايل وبيانه ان مراده المبالغة في
وصف وجهه بالنور كما اشار اليه بقوله واذا ضحك يتلالؤ في الجدر فشبه وجهه الشريف
بالشمس في الاشراق والنور ثم عكس التشبيه ليكون ابلغ فقال كان الشمس وجهه ثم زاد في المبالغة
على طريق التجريد فانتزع منه شمسا جعلها في وجهه كقولهم لي فيها دار الخلد والجملة تجري على انه
حال فاصلة كان وجهه الشمس ثم كان الشمس وجهه وانما قيدها بكونها جارية اما لان المراد ظاهرة
سايرة على وجه الارض ولان تلالؤ النور في وجهه كتحركها وهو اقوى في التشبيه وهذا هو
الذي عناه واما جناس التشبيه فمراده به تشبيه وجهه بالشمس لانه منطوقه تشبيه الاستقرار
والجريان لما عرفته لكنه تسامح في العبارة واما ما سنح له الشراح فلا وجه له ومن الغريب هنا
قول التلمساني ان معنى تجري في وجهه تتوهج كتوهج الشمس واشار الى ظهور الاثر ان كرهه او
اصابه كرب في وجهه كظهور ذلك في الشمس من سحاب او غيره ومنه قوله في الحديث فرايت لوجهه
صلى الله عليه وسلم ظللا وهي جمع ظلة انتهى والتلالؤ اللمعان والاضاءة وجدر بضمتين جمع
جدار وهو الحايط والناس تستعمله بمعنى الاساس واما الجدر بفتح فسكون فهو الحاجز الذي يحبس
الماء كما في حديث الزبير اسق حتى يبلغ الكعب الجدر وليس مفردا كما توهم وهذا رواه احمد والترمذي
وابن حبان والجمع على ظاهره من غير حاجة الى حمل التعدد باعتبار الاوقات اي نوره وجهه يشرق
اشراقا يصل الى الجدران المقابلة كما يكون ذلك من الشمس والقمر وقيل انه من نور يخرج
من بين ثناياه وفمه اذا اسر وتبسم وروى ابن كثير عن ابي هريرة يكاد يتلالؤ في الجدر
فتفاوته بحسب الاوقات او بحسب خفة ضحكه وشدته او ما هنا محمول على المبالغة التي على
تقدير تكاد وقال جابر بن سمرة الذي مر ذكره وهذا مما رواه الشيخان عنه وقال له رجل
كان جملة حالية بتقدير قد او معطوفة على ما قبلها وفي الشمايل سال رجل البراء بن عازب
وجهه صلى الله عليه وسلم مثل السيف بتقدير الاستفهام كما ورد مصرحا به في الشمايل ونحوه
عدم التقدير هنا والظاهر الاول وتشبيهه في البريق واللمعان لا مطلقا ولا في الطول
كما توهم وروى البيهقي كان وجهه حديدا كالسيف ولا يظهر وصفه بالحدة وان اريد حدته
نفاذ امره وامضاؤه في الدين وقصد الخبر كما في النهاية فلا وجه لتخصيصه بالوجه وكذا
التعميم ولذا رده جابر فقال لا قيل قال تاكيد لقال الاول وعطفه لجواز عطف المؤكد على المؤكد

بالفاء وثم كما قال الله تعالى كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون وانكاره اهل المعاني له غريب او هو لتفصيل
ما قبلها وانه لم يقصد الجواب ووقع في مسلم بدون عاطف وردة بلا اما لايهامه الطول ومخالفته
في اللون اولان لمعانه اقوى والمشبه ينقص عن المشبه به كما قاله هم

ظلمناك في تشبيه صدغيك بالمسك • فمن عادة التشبيه نقصان ما يحكي •

بل مثل الشمس والقمر شبهه بشيئين والمشبه به قد يتعدد فيعطف باو • كقول البحتري •

كانما تبتسم عن لؤلؤ • منضد او برد او اقاح •

وبالواو كقول الحريري •

يفتر عن لؤلؤ رطب وعن برد • وعن اقاح وعن طلع وعن حبب •

فلا وجه لقول السيد اللائق ان يقول الشمس او القمر او الواو بمعنى بل والشمس تمنع استيفاء النظر
من رؤيتها فاللائق القمر وما في الوفا من انه لم يقتصر مع الشمس قط الا غلب ضوءه ضوءها الا ينافي
التشبيه بها لانها اعرف واشهر وقال التلمساني انه اضرب عن تشبيهه بالسيف لعدم مناسبته
وانما يشبه به نفس الانسان في انفاذ امره وشدته كما قال •

وكالسيف ان لاينته لان متنه • وحداه ان خاشنته خشنان •

قال ويقال لا بل ولا بن وقابل انتهى وهو غريب وفي شرح الشمائل لابن حجر الشمس يشبه بها غالبا
في الاشراق والضيا والرفعة والضمير يشبه به في الملاحة والحسن فبين جمع وجهه للمعنيين
مع نوع استدارة وطول وفي حديث كعب بن مالك كان اذا سر استنار وجهه كانه قطعة قمر
وفي رواية فلقة قمر وفي رواية للطبراني التفت الينا كان وجهه شقة القمر وانما اراد والتشبيه
بعض وجهه لان السرور كان يبدو في جبهته فشبه بعضه ببعضه وبهذا اندفع ما قيل ان
وجهه الاحتراز عما في القمر من السواد فشبهه ببعضه الخالي منه **وكان وجهه مستديرا** فيه
استدارة ما وهذا مؤكد للتشبيه لا لعدم المشابهة التامة اي هو احسن منه واضواه لاستدارة
دونه وهذا لا وجه له لان استدارته وكريته كساير الاجرام العلوية مبرهن عليه في الهيئة
وقيل التشبيه بالنيرين انما يتبادر منه الضوء والملاحة فبين الاستدارة ليكون التشبيه فيها
ايضا **وقالت ام معبد** وهي عاتكة بنت خالد الصحابية التي كانت نازلة بخبا في طريق
المدينة وقد نزل عليها النبي صلى الله عليه وسلم في هجرته لما خرج من غار ثور وقصتها مشهورة
مروية من طرق عديدة بعضها وبصحيحها وكان زوجها غايبا فلما اتاها اخبرته به فاستوصفها
اياه فقالت رايت رجلا ظاهر الوضاءة ابلج الوجه حسن الخلق لم تعبه ثجلة • ولم تزر به
صعلة • وسيم قسيم • في عينيه دعج • وفي اشفاره عطف • وفي صوته صهل • وفي عنقه سطع
وفي لحيته كثاثة • ان صمت فعليه الوقار • وان تكلم سماه وعلاه البهاء • اجمل الناس
وابهاه من بعيد • واحلاه واحسنه من قريب • الى اخر ما قالته في نعته من كلام بليغ مشروح
في السير منه **في بعض ما وصفته به** اي في بعض كلام وصفته به والحم بعض اشارة
الى انه كلام طويل مشتمل على وصفه وغيره من قصة الشاة وغيرها وما نقله المصنف بعض الصفة لا
كلها واضافة بعض لامية من اضافة البعض للجزء لا بيانية كما توهم اقول تفصيله كما في شرح
الكتاب لابن غالب تلميذ الشلوبين ان النحاة اختلفوا في اضافة بعض القوم فقال ابن خروف لا يمتنع
بعض من القوم وجزء من النبي فهي على معنى من ولا يكون ذلك في كل فقد يكون للشيء حكم لا يكون
لمقابله ويجوز في بعض المال بعض المال ويراد به اما الباقي منه فيتصف هذا بانه بعض له كان

مضافا له والاضافة تحقق بادنى مناسبة وقد يراد به بعض للكل المحقق وقال السهيلي
البعض في مقابلة الكل ولاضافة الكل على معنى اللام فيجب في بعض مقابلها ولا يضاف الاضافة
على معنى من انما تكون فيما يكون جنسا للاول يصدق عليه كخاتم حديد وليس بعض الدرهم درهما
ولا بعض زيد زيدا وهذا فيه تفصيل وهو انك اذا اضفت البعض الى الجنس كبعض الحديد
وبعض الطعام واذا اضفته لذي صورة لذا اسم كزيد كان له حكمه انتهى **اجمل الناس من
بعيد** الظاهر انه صفة رجلا في قوله رايت رجلا كما سمعته آنفا ويجوز رفعه على القطع
والمدح والجار والمجرور حال من ضمير اجمل اي مشاهدا من بعيد والجمال والبها الحسن والذي
في الرواية السابقة اجمل الناس وابهاه فالمصنف اما ان اسقط منه لكونهما بمعنى او ظفر
برواية فيه هكذا او كون الاطناب في المدح محمود سهل والناس اسم جمع او جمع ناس واصله اناس
كما فصله شراح الكشاف وجعل الجمال من بعيد لانه يحقق الناظر النظر فيه لمهابته بحيث لا
يطيل النظر له من قرب منه الا من يكون صغير السن كابن ابي هالة او من محارمه او من الاعراب
الجفاة فاذا فعل ذلك ادرك فوق الجمال برتبة اخرى كما قال •

يزيدك وجهه حسنا • اذا ما زدته نظرا •

والى ذلك اشار بقوله **واحلاه واحسنه من قريب** وفي نسخة واحسنهم والعرب تفرد الضمير
في مثل هذا حملا على الجنس كانه قال وابهى هذا الجنس وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم خير نساء
ركبن الابل صالح نساء قريش احناه على ولد الحديث اي احنى هذا الجنس لان الناس والنسا من
اسماء الاجناس وفي النهاية انما وحد الضمير هنا ذهابا الى المعنى وان التقدير احنى من وجد
او من هناك كذا قرره بعض الشراح اقول تحقيق هذه المسئلة ان العرب تقول احسن الفتيان
واجمله بافراد الضمير بمعنى احسن فتى وفي التسهيل انه يسد واحد مسدهم ومثله وان لكم في
الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه ان الانعام يسد مسد النعم قاله ابن مالك في شرح التسهيل
وقال ابو حيان مذهب الفارسي ان افراد الضمير لانهم يقولون تارة هو احسن فتى فيفرد دون
وتارة احسن الفتيان فيجمعون فتوهموا ذلك في حالة الجمع فافردوه والذي يدل عليه كلام
سيبويه انه افرد كما افرد في ضربني وضربت قومك على معنى من ذكر وهو الصحيح ويدل عليه
الحديث السابق فلو كان ما يقوله الفارسي قال احناها وقد يعود الضمير على الاثنين والاناث
مع افعل مفردا كقوله • ومية احسن الثقلين جيدا • وسالفة واحسنه قذالا •

وقوله • شربوا منها واغواه لها • ركبت عيرا بحدج جملا •

وضمير الاناث السابق ويكون ذلك دون افعل قليلا وفيه كلام حققناه في غير هذا المحل قال
التلمساني وهو مقيس عند ابن مالك وسماع عند سيبويه واقرانه لارادة ما مر لا لانه اسم جنس
كما توهم واحلى من قولهم حلي بعينه وقلبه اذا اعجبه واستحسنه فعطف احسنه عطف تفسير والحاصل
ان الصورة الاجمالية المشاهدة اجمل من غيرها وكذلك الفضيلة المشاهدة من قريب وكثيرا ما يتفاوت
البعد والقرب اذا دقق النظر **وفي حديث ابن ابي هالة** الاتي وتقدمت ترجمته **يتلألأ**
يضيء ويشرق **وجهه تلألؤ القمر** منصوب على المصدرية اي مثل تلألؤه **ليلة البدر** اي
عند تمامه وتمامه هو كل نوره ما يكون واحسنه وقالوا يسمى ليلة طلوعه والثانية والثالثة
هلالا ثم يسمى قمرا الى ثلاثة عشر ثم يستوي ليلة ثلاثة عشر فيسمى ليلة السواء ثم التي تليها ليلة
البدر لانه اذا برزت الشمس للغروب بادرها بالطلوع وقابلها وقيل من البدرة وهي الف دينار لتمام

عدده ثم يسمى ليلة النصف قمرا ويسمى زبرقانا وقال علي ابن ابي طالب رضي الله عنه كما رواه
الترمذي والبيهقي عن محمد بن الحنفية في حديث مرسل ضعيف في اخر وصفه له صلى الله عليه
وسلم اي في حديث طويل في صفته وحليته آخر ما نقله المصنف عنه وليس المراد انه آخر مجلس
وغيره مما نقله بعضهم من رآه بديهة اي فجاءة وبغتة قبل مخالطته ومعرفة حاله وخلقه
ويقال لكل ما يفعل عجلة من غير تأمل بديهة كما قاله الغزي • ان الطعام بداية الفرسان
وفي كتاب بدايع البداية البديهة مشتق من بدهه بمعنى بداه كما يقال مدح ومده واصله
في الكلام وغلب في الشعر من غير روية وتفكر والارتجال اسرع من البديهة هابه اي خافه
وقد يرتعد من يقوم بين يديه وفي النهاية هابه عظمه ووقره فالمعنى ان من رآه ابتداء
وقره ولو كان من اعدائه واذا ادرك كماله وحلمه احبه ومن احبه عظمه فالتوقير لازم له
في كل حال والمحبة بعد المخالطة ومن خالطه اي مازجه وصاحبه وبلغ معرفته فلذا
قال معرفة وهو حال اي ذا معرفة او مفعول مطلق اي مخالطة معرفة او لاجل المعرفة لا
لاجل النفاق والعداوة والانتقاد لما يراه من لين جانبه وحلمه وكرمه وشفقته على جميع عباد
الله احبه لظهور محاسنه التي توجب محبته ولان الله سخر القلوب لمحبته واذا احب الله
بعض عباده القى عليه محبة للناس ولا يحتاج الى ان يقال انه ربما كان يبصر منه معجزة كما
روي انه وضع يده على صدر رجل فارفعها حتى صار احب الناس عليه بعدما كان ابغضهم عنده
وفي رواية من خالطه فعرفه وهي قريبة من رواية المصنف بلا نعت يقول ناعته لم أر
قبله ولا بعده مثله كلام مستانف فصله لاستقلاله وناعته واصفه اي كل من يريد وصفه
ومن من شانه نعت ما يراه والنعت يغلب في الوصف الحسن وقال الطيبي اي ناعته يقول
عند العجز عن وصفه ولا تكلف فيه كما توهم والرؤية بصرية او علمية والمثل المساوي
والمشابه ونفي المماثلة المطلقة مبالغة والمراد مثله في حسنه وكماله ونفي المثل يقتضي
نفي من يفوقه بالطريق الاولى ولان كل فايق مثل وزيادة فيلزم من نفيه نفيه كما يراد بنفي
الافضلية اثبات الافضلية كما مر وقوله كل من شانه النعت هذا يقتضي انه لا مثل له
حقيقة والا لم يكن من شان من رآه نعته بذلك كما لا يخفى والاحاديث الواردة في
بسط صفته فالجار والمجرور صفة بلا تكلف تقديره الكاينة او كاينة على انه حال
من المبتدا او من فاعل الخبر وفي الظرفية كلام مر والبسط التطويل مشهورة شهرة لغوية
او عرفية او اصطلاحية وما اشتهر تغني شهرته عن ذكره فلذا قال فلا نطول الكتاب
والكلام بسردها سرد الشيء تعداده متواليا متتابعا مفصلا من سرد الدرع نسج حلقه
وقد اختصرنا اي اوردنا مختصرا غير مطول في وصفه صلى الله عليه وسلم نكت ما جاء
فيها اي في تلك الاحاديث والنكت اللطايف والدقايق الخفية من النكت في الارض كما مر
او المعاني اللطيفة التي تتاثر منها النفس لحسنها وجملة بضم فسكون اي مقدارا مجموعا مما
فيه الكفاية من بيانية اي جملة هي الكفاية اي الكافية او تبعيضية اي جملة هي بعض
الكافي وقيل المراد من جملة امور يكفي كل منها لا انها جزء الكافي لانه مع ما فيه ينافيه التقييد
بالمشية فتدبر في القصد الى المطلوب من وصفه صلى الله عليه وسلم متعلق بالكفاية
والقصد الوصول الى ما طلبه في هذا المقام من بيان كماله وجماله وحسن جملته وتفصيله
من قصد السهم اصاب مرماه او المراد به الاتيان يقال قصد له واليه اذا اتى له او المراد

الاعتدال

الاعتدال والتوسط بين الاختصار والتطويل فيما يفضي الى الغرض المطلوب ان شاء الله تعالى
وقع في بعض النسخ هنا وليس في اصلنا وهو للتبرك والتيمن او تعليق للقصد والكفاية وقد
ضمنا هذه الفصول جملة معطوفة على ما قبلها ويجوز ان تكون حالا ولا حاجة لجعل الماضي
بمعنى المضارع استعارة لتحقق وقوعه بابرازه في صورة الحاصل تفاؤلا او اظهارا للرغبة فيه او
حصل بعينه باعتبار قربه او كونه في المسودة لما فيه من المقارنة العرفية فتدبر والمراد بالفصول
فصول هذا الباب بحديث جامع لذلك اي لصفات حليته المنتشرة في الاحاديث لتشتمل على اكثر انواعها
واصنافها فان فاته شيء من افرادها فلا تكلف في الجامعية كما توهم وهذا الحديث وان لم يكن آخرها
بحسب الظاهر لا يضر لان ما بعده كالتتمة والخاتمة للمقصود منه وهذه زهرة لا تحتمل الفرك تقف
عليه هنالك وروي هناك وهما للمكان وقد يكونان في آخر الباب وفي زمان الوصول اليه والاول
للبعيد والثاني للمتوسط والبعد والتوسط بالاضافة لامر آخر دائر على الاعتبار فلا منافاة بينهما ان شاء
الله تعالى ممتد للوقوف لتوقفه على المشية وقول المصنف قبل هذا وقال علي ونحوه تعليق وهو حذف
اول السند وقد يسمى مثله معضلا فان اعتقد حامله صحته فلا كلام فيه والا فينبغي ايراده بصيغة
التمريض والكلام على هذا مفصل في كتب ابن الصلاح وغيرها

فصل

هو رابع الفصول السابق ذكرها واما نظافة جسمه عطف على قوله اما الصورة الخ في الفصل
الذي قبله اي نقاوته من نظف بالضم ضد قذر وطيب ريحه المراد بالريح هنا الرايحة التي
تدرك بالشم وروي رايحته وهما بمعنى وعرقه بفتحتين وهو ما يترشح من البدن وقد يستعار لغيره
كماء الورد المستقطر منه ونزاهته عن الاقذار اي بعده وخلوه منها وتنزهه عنها والضمير للجسم
او لصاحبه المعلوم التزاما والاقذار جمع قذر والقذر والقذارة ضد النظافة وهو مؤكد لما قبله
وكالتفسير له وعورات الجسد اي البدن وعورات بسكون الواو وقد تحرك وبه قرئ جمع عورة وهو
كل ما يوجب خللا او يستر ويستحي منه مما يشين وينقص ولذا قيل انها مشتقة من العار الذي يذم بسببه
يقال عورات الجسد والكلام فكان صلى الله عليه وسلم والفاء تفصيلية قد خصه الله تعالى
وفضله وميزه عن من سواه في ذلك المذكور بخصايص اي فضايل لا توجد في غيره كما اشار
اليه بقوله لم توجد في غيره من الامم اصلا او لم توجد في الاكثر وهذه صفة مخصصة او مبينة
او مؤكدة ثم تممها سبحانه تنزيه الله المنزه له واقع في محزه والضمير للخصايص بنظافة الشرع
متعلق بتممها اي تمم ما فطر عليه من ذلك وما خصه به بما شرع له من النظافة الدينية كالوضوء
واضافة النظافة للشرع لملابستها له وكونها بسببه فهي لامية قيل المراد انه جعل بعضا منها ارثا
في جبلته بحصوله فيها او باقتضاء طبعه وعقله مما لم يعط لغيره ثم امره بما لم يكن كذلك لكمال
ووفقه لاتباعه على اكمل الوجوه شرعا له وامما نسخ فقد زال فما قيل من ان هذا انما يستقيم
ان لم يكن متعبدا بشرع من قبله او المراد بالنظافة عدم الاصر والاغلال تكلف من غير داع
وبالجملة فشرعه شامل لكل ما ينبغي على الوجه الاكمل وخصال الفطرة العشرة من عطف الخاص
على العام والفطرة اصل معناها في اللغة الطبيعة والجبلة التي خلق عليها مركوزة فيه من فطر
بمعنى خلق ومنه فاطر السموات والارض واصل معنى الفطر الشق كما قاله الراغب وفسرها المحدثون
هنا بالسنة واعترض عليهم ابن الصلاح بانه لا يناسب المعنى اللغوي ووجهه بعضهم بان مرادهم
ان في الكلام مضافا مقدرا اي سنة الفطرة بمعنى الصفة الناشية عن الفطرة السليمة ورد

بانه وقع تفسيرها بها في صحيح البخاري والقول بما قالت حذام فلا عبرة بمن انكر من اللغويين
كصاحب المغرب اقول السنة الطريقة المالوفة المعتادة والانسان لاسيما الانبيا انما يالفون
ما تقتضيه فطرتهم السليمة المبنية على النظافة والنزاهة وما يعتاد مما تقتضيه الطبيعة يلحق
بها فلا يبعد في تسميته باسمها كما قالوا العادة طبيعة ثانية فالقول بانه لا مناسبة بينهما غير
صحيح والجواب المذكور اقناعي لا يجدي نفعا وللسيد هنا كلام لا محصل له رأينا تركه خيرا من ذكره
ورده واول من سن هذه السنن ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام وكونها عشرا رواه مسلم في حديث
مرفوع عشر من الفطرة • قص الشارب • واعفا اللحية • والسواك • واستنشاق الما • وقص الاظفار •
وغسل البراجم • ونتف الابط وحلق العانة • وانتقاص الما • قال مصعب نسيت العاشرة الا ان تكون
المضمضة وروى ابو داود المضمضة بدل اعفا اللحية وقال المصنف المنسي الختان وروى ايضا في
الحديث الصحيح خمس من الفطرة فالحصر غير مقصود وان السنن كانت تزيد شيئا فشيئا وعن ابن عباس
في قوله تعالى واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن انه امره بعشر خصال ثم عدهن كما مر فاشار بقوله من
الفطرة الى انها غير منحصرة وهذه كلها والسنة المراد بها الطريقة فتشمل السنة والواجب والختان
سنة عند الاكثر في حق الرجال وهو قطع جلدة الكمرة وفي حق النساء مكرمة ويسمى خفاضا بكسر
الخا المعجمة وهو قطع جلدة في اعلى الفرج على ثقب البول وقطع ادنى شي منه كاف • واستحسن مالك
ختان الصبي من سبع الى عشر وكرهه في اليوم السابع لانه عادة اليهود ولم يعين له ابو حنيفة زمانا
وقص الشارب سنة وقيل حلقه احسن وتقصير بقص ما زاد على القبضة ويوخذ من طولها ايضا
واما حلقها فنهي عنه لانه عادة المشركين واما السواك فسنة مطلقا وقيل انه سنة الوضوء وهو سنة
للرجال دون النسا لضعف اسنانهن واقيم العلك لهن مقامه ولذا كره للرجال الا في الخلوة لعذر
والمضمضة والاستنشاق من سنن الوضو وانتقاص الما هو الاستنجا ويكون واجبا وسنة كما بينه
الفقها وهو بالقاف والمهملة او المعجمة والمذكور في اللغة انه بالفا والمهملة واما بالفاء فنضحه على
الذكر فقد ورد الاستنفاض بفاء ومعجمة بمعنى الاستنجا قال في المغرب والقاف والصاد غير
المعجمة تصحيف وفيه ان رواية القاف هي المشهورة وقال الصاغاني انتفاض الما بالفاء والمهملة
رشه على الذكر وقيل الانتقاص بالقاف تصحيف واشعر بان ما في المغرب ضعيف وقص الاظفار وتقليمها
سنة وورد النهي عنه في يوم الاربعاء وانه يورث البرص وحكي عن بعض العلما انه فعله فنهي عنه
فقال لم يثبت هذا فلحقه البرص فراى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه فشكى اليه فقال الم تسمع نهيي
عنه فقال لم يصح عندي فقال يكفيك انه سمع ثم مسح بدنه فذهب ما به فتاب عن مخالفة ما سمع
وغسل البراجم ازالة وسخها بالما والبراجم عقد الاصابع من ظهر الكف والرواجب عقدها من بطنها
وهما بالجيم والموحدة • وقال البجاني البراجم مفاصل الاصابع كلها ونتف شعر الابط معلوم ولا باس
بحلقه وحلق العانة وهو ما حول الذكر والفرج واذا قص اظفاره وحلق شعر ابطه وعانته فينبغي
دفن ظفره وشعره لحديث ادفنوا الاظفار والشعر والدم فانه ان القاه فلا باس به ولا باس بترك
السبال وان طال وفي الاحياء اختلف السلف فيما طال من اللحية فقيل يقص ما تحت القبضة
وكرهه الحسن وقتادة لحديث اعفوا اللحا اي اتركوها على حالها واصل خلقتها ورجحه النووي
وما ورد من انه عليه الصلاة والسلام كان ياخذ من طول لحيته وعرضها ضعيف لا يحتج به وان احتج
به بعضهم فهو مكروه واما المراة اذا نبتت لها لحية وشارب وعنفقة فيستحب حلقها وقيل لا ينبغي
تغيير خلقها اقول انه صح في لفظة الانتقاص ثلاث روايات في الحديث الاولى انتقاص بقاف

اختلف فيما طال من اللحية

وضاد

وضاد معجمة والثانية انتفاص بفاء وصاد مهملة والثالثة انتقاض بقاف وضاد معجمة
ومعناه الاستنجا او رش الفرج بالما دفعا للوسواس وروي انتضاح فلا وجه لما في المغرب
وتفصيله في شرح الحديث واما تقليم الاظفار وكيفيته ففيه تفصيل افرده السيوطي بالتاليف
فلا حاجة للتطويل بذكره كما في بعض الشروح ويكره ترك العانة والاظفار اكثر من اربعين يوما
وقال ان كان معطوفا على تتمه فالمعنى قال الله تعالى لرسوله وان كان مستانفا او حالا بتقدير قد
فالمعنى قال النبي صلى الله عليه وسلم ويؤيده انه وقع في نسخة صلى الله عليه وسلم بني
الدين على النظافة النظافة مصدر نظف وهي ضد الدنس وفي قوله بني الدين استعارة
مكنية وتخييلية بتشبيه الدين ببيت قائم على اعمدة او اساس حفظه لاهله وقيل انه تشبيه مضمر
او بمعنى الاداة او المراد النظافة الحسية من الحدث والخبث والدنس والمعنوية كالعقائد الفاسدة
والاخلاق الردية والتهاون بالعبادة والمراد انه مما بني عليه فلا يعارضه بني الاسلام على
خمس وقد ورد هذا الحديث في القوت وفي الاحيا في كتاب العلم وقال الحافظ العراقي في تخريج
احاديث الاحيا لم اجده هكذا وفي الضعفا لابن حبان من حديث عايشة تنظفوا فان الاسلام
نظيف وللطبراني في الاوسط بسند ضعيف عن ابن مسعود النظافة تدعو الى الايمان انتهى
وفي الترمذي ان الله نظيف يحب النظافة وهو بعض من حديث ذكره في كتاب الاستيذان عن
سعد بن مالك احد العشرة وقال انه حديث غريب في سنده خالد بن الياس او اياس وهو ضعيف
وقال السيوطي في تخريجه هنا بعد ما ساق العراقي قلت رواه الترمذي عن سعد بن ابي وقاص
مرفوعا ان الله نظيف يحب النظافة فنظفوا افنيتكم وروى الرافعي في تاريخ قزوين بسنده عن
ابي هريرة مرفوعا تنظفوا بكل ما استطعتم فان الله بنى الاسلام على النظافة ولن يدخل الجنة الا كل نظيف انتهى
وبما ذكرناه من ان الحديث روي من طرق متعددة تجبر ضعفه انه خرج من الضعف الى مرتبة
الحسن ومعناه صحيح موافق للشرع فلا يرد على المصنف ما قيل ان الحديث لا يؤتى فيه بصيغة الجزم
كقال النبي ونحوه لانه يقتضي صحته والجزم به فينخرط في سلك من كذب علي وهو تساهل
قبيح فينبغي ان يقول قيل او روي ونحوه من صيغ التمريض واما اضمار صيغة التمريض او قصد
معناها اعتمادا على القرينة فلا يتاتى مع الجزم وبقية الكلام عليه مستوفاة في اصول الحديث
فلا يلتفت لما ذكره بعض الشراح من الخرافات المزخرفة ثم ان اطلاق النظيف على الله في الحديث
السابق ولم يذكره احد في اسمايه كما قيل للمشاكلة والمتقدمون يسمونها ازدواجا ايضا فلا وجه
للاعتراض عليه لتوهم انه الازدواج المذكور في بديع المفتاح فانه من قصور النظر وقيل انه
لا حاجة للمشاكلة فيه لانه بمعنى القدوس وكفى لثبوته هذا الحديث حدثنا سفيان بن العاصي
سفيان بتثليث السين والعاصي بعين وصاد مهملتين وهو سفيان بن احمد بن العاصي بن سفيان
ابو بحر الاسدي ولد سنة تسع وثلاثين واربعمايه وتوفي بقرطبة في سنة عشرين وخمسمايه
وفيها توفي ابن رشد وغير واحد تنبيه على انه رواه عن غيره ايضا قال حدثنا احمد بن عمر
هو ابو العباس احمد بن عمر بن انس العذري صاحب كتاب الاعلام باعلام النبوة ولد ليلة السبت
لاربع خلون من ذي القعدة سنة ثلاث وتسعين وثلاثمايه وتوفي في سنة ثمان وسبعين واربعمايه
بالمرية قال حدثنا ابو العباس الرازي نسبة الى الران بزيادة زاي معجمة في النسبة على خلاف
القياس كما قالوا مروزي في النسبة لمرو وهو احمد بن الحسين بن بندار الخراساني حدثنا احمد
الجلودي بضم الجيم وفتحها نسبة لجلود اسم قرية ببغداد او الشام او محلة نيسابور او افريقية

اولسبيع الجلود وهو محمد بن عيسى بن عمرويه السيخ الصالح كان على مذهب سفيان الثوري
قال الكلساني ولا وهم فيه كما توهم وفي اسمه ونسبته اختلاف لا حاجة لنا به **حدثنا ابن سفيان**
هو ابو اسحاق ابراهيم بن احمد بن سفيان بن محمد المروزي الفقيه الزاهد توفي سنة ثمان وثلثمايه
وكان زاهدا مجاب الدعوة روى عن مسلم صحيحه قرأة عليه الا ثلاث مواضع رواها اجازة
او وجادة **قال حدثنا مسلم** بن الحجاج القشيري النيسابوري وطنا صاحب الكتاب المشهور الذي
تلقته الامة بالقبول وشهرته تغني عن تفصيل حاله توفي سنة احدى وستين ومايتين **حدثنا**
قتيبة علم منقول من مصغر القتبة وهي الامعا وهو قتيبة بن سعيد بن جميل بن طريف بن عبد الله
الثقفي يكنى ابا رجا سمع من الليث ومالك وابن عيينة وغيرهم وتوفي سنة اربعين ومايتين ۞
وولد ببلخ يوم الجمعة لست مضين من رجب سنة ثمان واربعين ومايه قال **حدثنا جعفر بن سليمان**
البصري الضبعي بالضم لنزوله في بني ضبيعة الزاهد الامي وهو كما في التقريب صدوق
وان كان يتشيع والاصح قبول رواية من تشيع ان لم يكن متعصبا ولا داعيا وهذا الحديث رواه
ممن لا كلام فيه توفي سنة ثلاث وسبعين ومايه **عن ثابت** البناني البصري ابو محمد ابن اسلم الذي
وهو ثقة كان من اعبد اهل زمانه وكان يلبس الثياب الثمينة **عن انس** بن مالك الصحابي السابق
ذكره وترجمته **قال ما شممت عنبرا** شممت بكسر الميم وفتحها من باب علم ونصر والعنبر طيب معروف
طاهر بلا كلام وقال الماوردي اكثر العلما على طهارته وفيه اشعار بان فيه خلافا والاصح انه
شمع عسل ببلاد الهند يجمد وينزل للبحر وتخلط برعاه من الزهور الطيبة فيكتسب طيبة منها
وليس نباتا ولا روث دابة بحرية واجوده الابيض وما قرب الى البياض والاسود منه غير جيد
وفي النسائي ان النبي صلى الله عليه وسلم ما تطيب به **قط** بفتح القاف وتشديد الطا المضمومة
المبنية وفيه لغات ذكرها النحاة واصل معناه ما انقطع من الزمان اي مضى ولذا اختص
بالماضي المنفي في الاشهر وذكر ابن مالك انه اكثري وانه سمع في المثبت في احاديث عدة واما
استعماله في المستقبل فقال في الدرة انه لحن وفيه كلام لنا في شرح الدرة وقيل معناه الدهر
والابد وفيه نظر **ولا مسكا** هو طيب معروف وهو في الاصل دم يتجمد عند سرة بعض الظبا في
زمن معين بناحية من اقصى بلاد الترك تسمى تبت بمثناتين فوقيتين اولاهما مضمومة
بينهما موحدة مشددة بزنة سكر والصحيح انه طاهر وان كان دما لاستحالته كخل الخمر
قيل انه خصهما لانهما اشرف الطيب واشهره وقدم الاعز الاشرف منهما وعمم بقوله **ولا شيئا**
وان علم حال غيرهما منهما بالطريق الاولى يشمل الشيء غيرهما من كل ذي ريح طيبة مفردا كالورد
والنرجس والمركب كالغالية وقد يكون المركب اطيب رائحة والمراد ما شممت رائحة عنبر
مع ان العرب تجعل ذا الريح نفسه مشموما من غير تجوز فيه عرفا وكذا كانت رائحته صلى الله
عليه وسلم مس طيبا اولا حتى انه كان اذا مر في بعض ازقة المدينة علم مروره برائحته وهذا
الحديث رواه مسلم في صحيحه في موضعين احدهما كما ذكره المص فمن قال الذي في مسلم
عن ثابت ما شممت عنبرا ولا مسكا اطيب من ريح رسول الله ولا مسست قط ديباجا ولا حريرا
ولا شيئا الين مسا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فزيادة قط في كلام المص بعد العنبر لحن
في محلها وهو رواية بالمثنى والعنبر بالنون والموحدة وكونه بياء موحدة ومثناة تحتية وهو
اخلاط طيب مخصوصة تصحيف ثم انه قيل انه نزل على حد قوله لا تاخذه سنة ولا نوم ۞
والمعروف ان يبدا بالادنى ثم الاعلى في الاثبات ويعكس في النفي ليكون الكلام مفيدا فيقول

اعطيته

اعطيته درهما ودينارا وما اعطيته دينارا ولا درهما ولو قدم نفي الدرهم على نفي الدينار
بالطريق الاولى الا انه قد يراعى الترتيب الوجودي ۞ **اقول** هذا هو المشهور وهي قاعدة كلية
الا ان التحقيق فيها انه ذكر في الكلام ادنى واعلى وقصد اثباتهما في نفسهما من غير اثبات شيء آخر
لهما فالامر كما ذكر فان اضيف الى ذلك شيء وقيد آخر فالترقي والتدلي بحسبه لا بالنظر لذلك كما في
الآية فان المنفي فيها الاخذ وهو بمعنى الغلبة وغلبة السنة دون غلبة النوم فاذا قيل لا تغلبه
السنة يتوهم ان النوم الاقوى قد يغلبه فنفى غلبته وهذا ترتيب مفيد بقطع النظر عن الترتيب
الوجودي فان لم ينظر لهما بل اريد بنفيهما التعميم فلك البراءة بايهما شئت فتقول لا صغيرا ولا كبيرا
ولا كبيرا ولا صغيرا كما فصله في المثل السائر وبيناه في حواشي القاضي وهذا هو المقصود ۞
هنا فان كان المراد انه لا طيب كطيبه مع ان طيب العنبر دون طيب المسك كما قالوا ليس الطيب
الا المسك وعزته وكونه اغلى منه لا دخل له فيما نحن فيه ثم ان وصفه بلين الملمس لا ينافي ما ورد
من انه كان شثن الكفين والقدمين فان المراد غلظ جلدهما وعظمهما لانه اقوى له ولا ينافي ملاسته
فان فسر بغلظ في خشونته فاما ان يخص بهما ولين الملمس في غير ذلك من جسده الشريف او هذا
بالنسبة لاصل الخلقة وذاك لمزاولة الاعمال والاسفار والاصح الاول **اطيب من ريح رسول**
الله عليه السلام ولا مثله ولا قريب منه كما مر من ان نفي الافضلية يقصد بها نفي المساواة بطريق
الكناية وليس المراد ايضا نفي شمه له بل نفي وجوده فلا يرد ان نفي الشم لا يدل على نفي الاطيبية
وهو المقصود على انه قد يراد بنفي العلم ونفي الوجدان نفي المعلوم والوجود والمراد رائحته
الذاتية المكتسبة لانها مدح فيها بل لا يصح ارادة المكتسبة لا وجدها لان المكتسبة منه مثله
ولا مع رائحته الذاتية لان المركب مثل ريحه صلى الله عليه وسلم فتامل ۞ **تنبيه** قد عرفت
ما اعترض به على المص من انه غير الحديث وجوابه وعلى هذا قيل انه اختصر الحديث وقد اختلف في
جوازه والصحيح جوازه ان لم يكن المذكور يتوقف فهم معناه على ما قبله بحيث يختل المعنى كالشرط
والاستثنا وما فيه ضمير راجع لمعين ولم تكن قرينة لتعيينه واما النقل بالمعنى فممنوع لمن لم
يكن عالما بالعربية ودقايقها فان علم بذلك جاز على الصحيح وفي جامع الاصول له تفصيل ولعل
هذا كله في غير الامثال وما جرى مجراها نحو اخوك البكري ومن اعرى الاول وله تفصيل في ابن
الصلاح وشرحه **وعن جابر بن سمرة** بضم الميم وقد تقدمت ترجمته **انه صلى الله عليه وسلم**
مسح خده هذا الحديث اخرجه مسلم ايضا واقتصر المص على بعضه لمناسبته للفصل هنا على جواز
الاختصار في الحديث كما مر واما مسح الخد بيده فانما ذكره توطية لما بعده وكان من عادته صلى
الله عليه وسلم مسح وجوه الاطفال ايناسا لهم وتطييبا لقلوب والديهم وشفقة عليهم فان
زورهم عنده تيمنا وتبركا به واول الحديث صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم خرج واتبعه
فاستقبله ولدان فجعل يمسح خدي احدهم واحدا واحدا واما انا فمسح خدي **فوجدت ليده بردا**
او ريحا كانما اخرجها من جونة عطار كذا في مسلم او ريحا باو بدل الواو وكثيرا ما يوجد بدونها
ولعله رواية فيه والتقدير او قال جابر **قال** اي جابر فوجدت اي احسست **ليده** اي كفه
وما قاربها **بردا** وفي صحيح البخاري فاذا هي ابرد من الثلج وهذا يدل على ان البرد على حقيقته
وانه ليس لعارض كمس ماء ونحوه وقد قيل انه عند العرب ممدوح لا سيما عند الزمن الحار ولانه
في عدة من خصايصه مع كمال حرارته الغريزية وقيل انه عبارة عن لين كفه ونعومته والاقرب
انه بمعنى الراحة واللذة الطيبة وقد فسر قوله لا اين وقوله فيها بردا براحة لاشتهاره بهذا المعنى

كما قال • تشبهت بالرضى مواعده • فقلت يا برد على كبدي •
وفي النهاية كل محبوب عندهم بارد وبرد الظل طيب العيش والغنيمة الباردة الهنية واللام
للاختصاص والجار والمجرور حال من النكرة التي كانت صفة لها قبل تقدمها لا يقال اذا كانت
البرد بمعنى الراحة يكون من باب وجدت للمرض راحة فيكون ذو الراحة مرة كان المريض كذلك
لانا نقول اللام تعليلية اي وجدت راحة لاجل وضع يده فان كان على ظاهره فهي اختصاصه
وريحا كانما اخرجها اي اليد لانها مؤنثة سماعية **من جونة عطار** الجونة بضم الجيم وسكون
الهمزة ويقال بواو ساكنة تليها نون وهاء تانيث وهي سبد صغير مشبه بادم
وزبيل مستديرة يضع فيها العطار عطره واختلفوا هل الواو اصلية او الهمزة تبدل واوا
لضم ما قبلها كما قالوا في مؤسى شنزيلا لضم ما قبله منزلة ضمه او الهمزة اصل ابدلت واوا
على القياس كما قرئ يؤمنون ويومنون وكان اداة تشبيه وما كافة وهل هي مركبة او
بسيطة خلاف مشهور اي كان ريحها ريح ما اخرج من جونة العطار مضمخا بالعطر والجملة
صفة ريح او مستانفة وعطار للتشبيه لا للمبالغة وهو بائع العطر وهو كل ما طابت
رائحته وفي البخاري عن ابي جحيفة خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهاجرة في البطحاء
فتوضا ثم صلى الظهر ركعتين والعصر ركعتين وبين يديه عنزة يمر المارة من ورائها وقام
فجعل الناس ياخذون فيمسحون بها وجوههم فاخذت بيده فوضعتها على وجهي فاذا هي ابرد
من الثلج واطيب رائحة من المسك وهذا ظاهر في ان البرد حقيقي وانه لمسه الما ان كانت
الواقعتان واحدة او هو مأول كما مر ووضع اليد المذكور من حسن اخلاقه ونواضعه للصغير
والكبير وورد في حديث رواه ابن العماد عن انس ان ظهور نفحات الطيب منه ظهر بعد الاسرا
وهو ظاهر لانه طيب العنصر لكنه لما اتصل بالملا الاعلى والجنان وهبت عليه نفحات
القدس ازداد طيبا وكان له طيب لا يشبه طيب الدنيا فله طيب ذاتي وطيب مكتسب
من العالم الاقدس لا يفارقه وهو اطيب الطيب ولا ينافيه حديث حبب الي من دنياكم الطيب لان الطيبات
للطيبين والزائر قابل للزيادة **وعن غيره** اي روي عن غير جابر بن سمرة وفي نسخة وقال غيره وفي بعضها
قال بدون عاطف وهذا الحديث رواه البيهقي وابو نعيم بسند فيه ضعف وفي لفظه اختلاط فلذا
ابهمه **مسها بطيب ولم يمسها** اللمس والمس متقاربان الا ان المس يقال لمامعه ادراك بحاسة
اللمس واللمس ادراك بظاهر البشرة ويتجوز به عن الطلب ومنه الالتماس وضمير مسها للكف واليد
وفيه قلت اذ الظاهر مسها طيبا واول الحديث فكان كفه كف عطار ولما كان قوله كانما اخرجها من
جونة عطار بمعناه اكتفى به عن سياق الحديث فلا حذف فيه وليس متعلقا بما بعده ولا اختصار فيه
كما توهم وانما هو رواية بالمعنى وهذا اشارة الى ان طيبه ذاتي والقول بان الكلام في الخلقي فلا حاجة
لهذا الكلام **يصافح** اي يمس النبي صلى الله عليه وسلم بصفحة يده **المصافح** مفعوله وهو بفتح
الفا اسم مفعول وهو من يريد مصافحته فانها سنة عند الملاقاة وفي رواية يصافحه المصافح بكسر
الفاء والرفع على انه فاعل والمصافحة مفاعلة بمعنى جعل كل يده على يد الاخر وفي النهاية انها الصاق
صفح الكف بالكف عند الملاقاة وفي معناه قول التلمساني وضع باطن الكف على باطن الكف مع ملازمة
على قدر ما يقع منه من سلام او كلام ان عرض واختطاف اليد وتقبيلها وضربها مكروه وقيل يشد كل
واحد يد صاحبه وقيل لا ينبغي قبله وهي بعد الصلاة بدعة عندنا والاصح انها مباحة لما فيها من
الاشارة الى انه كانه قدم من غيبة لانه كان عند ربه يناجيه فافهم **فيظل يومه** يظل بفتح الظاء

الثالثة مضارع ظللت بكسرها وظللت بفتحها ويقال ظلت بحذف احدى اللامين قال الراغب
يعبر به عما يفعل بالنهار ويجري مجرى صرت قال ثم ظلت عليه عاكفا فهو فعل ناقص لثبوت الخبر
في جميع النهار كما قاله الرضي لانه الوقت فيه ظل الشمس من الصباح للمسا او من الطلوع للغروب فاذا كانت
بمعنى صار عمت النهار وغيره وكن اذا كانت تامة بمعنى الدوام وقوله في القاموس يظل نهاره يفعل كذا
وليله سمع في الشعر لا وجه له ويومه منصوب على الظرفية ولا توكيد فيه ولا تجريد لا استيما دلالته
على الاستغراق **يجد ريحها** اي يجد المصافح من طيب يده والاضافة في ريحها للعهد اي ريحها الطيبة
طيبا خلقيا خصه الله به مكرمة ومعجزة له **ويضع يده على راس الصبي فيعرف من بين الصبيان
بريحها** هذا بعض من حديث طويل رواه ابو نعيم والبيهقي مسندا عن عائشة قالت كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم عبل الذراعين والعضدين طويل الزندين نعم الاطراف سبط العصب شثن الكفين
رحب الواحة سائل الاطراف كان اصابعه قضبان الفضة وكانت كفه الين من الحرير ويضعها
على راس الصبي فيعرف من بين الصبيان انه مسح على راسه والمخرج ظن هذا حديثا مستقلا فبيض
له وليس المراد بالصبي معينا والمراد بريحها رائحتها التي حصلت بمسه والبا السببية والمراد انه
يعرف بان النبي مسه فيتميز من بينهم وفي نسخة لريحها باللام التعليلية والمعنى واحد وفي رواية
من ريحها وذلك اما في يومه كما مر فيؤكد او انه يستمر مدة طويلة والمضارع في موضع الماضي لنكتة المشهورة
ثم انه ذكر بعضا من حديث رواه مسلم واقتصر منه على ما يناسب المقام اختصارا فقال **ونام رسول
الله صلى الله عليه وسلم في** دار انس بن مالك الصحابي السابق ذكره **على نطع** بسط له وكان
النطع لامه قبل الاضافة لادنى ملابسة لان الدار كانت لامه كما في صحيح مسلم ولا خلل فيه لانه كان ساكنا
معها ولانه لو قال دار ام انس احتمل ان تكون كنية لغيرها فلا تعلم الحكاية مع ما في هذا من الدلالة
على ان رواية انس الحديث بغير واسطة **فعرق فجاءت امه** وهي ام سليم بضم السين المهملة والتصغير
واسمها سهلة او غيره قال النووي وهي ام انس بلا خلاف وقول الغزالي وغيره انها جدته غلط بالاتفاق
توفيت في خلافة عثمان رضي الله تعالى عنه وهي اخت ام حرام بنت ملحان الصحابية المدفونة
بجزيرة قبرس سيدة الشهدا وهي التي روت حديث غزاة البحر عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو مشهور
وهذا الحديث في صحيح مسلم عن ثابت عن انس قال دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عندنا
فعرق فجاءت امي بقارورة فجعلت تسلت العرق فاستيقظ النبي فقال ما هذا الذي تصنعين قالت
هذا عرقك نجعله لطيبنا وهو اطيب الطيب وله روايات من وجوه اخر فيها انه كان كثيرا ما يقيل
في بيتها وينام على فراشها وكان كثير العرق فكانت تجمع عرقه من وجهه الشريف ومن نطعها وتعصره
في قارورة لها وفي رواية انها قالت نرجو بركته لصبياننا وكانت تجعله في سك لها وهو بضم
السين وتشديد الكاف طيب معروف مركب مع غيره وكانت تبسط للنبي نطعا من ادم فيقيل عندها
وروي في الوفا انه كان يدخل بيتها فينام على فراشها وليست فيه فاتت فقيل هذا النبي نايم على
فراشك فجاءت وقد عرق واستنقع عرقه على قطعة ادم ففتحت عتيدها وجعلت تنشف ذلك
العرق وتعصره واخذت من عرقه وشعره فجمعته في قارورة فلما حضر انس الوفاة اوصى ان
يجعل في حنوطه من ذلك وقد استشكل ذكر الشعر فيه والواقع في سائر الاحاديث العرق فقط
واجيب بانه ورد انه عليه السلام لما حلق راسه بمنى اخذ ابو طلحة شعره واتى به ام سليم
فجعلته في سكها فالمعنى انها كانت تضيف بعد ذلك ما اخذته من العرق للقارورة التي فيها
الشعر ثم ان نوم النبي صلى الله عليه وسلم عندها وعند اختها ام حرام استشكل بانه نهي عن خلوة

الرجل بغير ذي محرم وهو يقتدى بفعله فلا بد فيه من كونه معصوما واجاب ابن عبد البر وغيره
بانهما كانتا خالتاه من الرضاع فهما محرماه فلذا كان ينام عندهما ويخلو بهما وتفليان راسه
وقيل هذا من خصايصه لملكه اربه وليس هذا قبل نزول آية الحجاب كما توهم وكونه لم يخل لانه
عنده خادم ونحوه غير مسلم **بقارورة تجمع فيها عرقه** تقدم الحديث وان ام سليم لم تكن في بيتها
لما جاء كما يدل عليه قوله فجاءت ووقع فيه بدل القارورة فتحت عتيدتها ولا منافاة بينهما ولا
حاجة للجمع بتعدد القصة لانه كان يعتاد القيلولة عندها لان العتيدة الصندوق الذي فيه القارورة
وهي اناء من زجاج يوضع فيه الطيب ونحوه وقد يطلق على غير الزجاج وجملة تجمع صفة قارورة او
مستانفة لا حال لتكلفه ومن فسر العتيدة بالمحض جنح لتعدد الواقعة ولا بعد فيه **فسالها رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك** كما في صحيح مسلم انه قال لها ما هذا الذي تصنعين وفي رواية
ما هذا وفي اخرى والسؤال ليعلم غرضها وقصدها بفعلها اما حقيقة او ليظهره لغيره **فقالت**
هذا عرقك **نجعله في طيبنا** وفي رواية لطيبنا اي نخلطه كما روي اذوقا اي اخلط وتقدم
رواية نرجو بركته لصبياننا والواقعة متعددة اجيب في كل منهما بجواب فان كانت واحدة فهو
من تصرف الراوي وروايته بالمعنى والمآل واحد وقد قال لها النبي اصبت **وهو اي عرقه من اطيب
الطيب** ووقع في مسلم اطيب بدون من وهي اولى فان كان الضمير للمخلوط من عرقه وغيره فظاهر لانه
خالص عرقه اطيب منه ولا شك في طيبه واطيبيته كما مر ما شممت عنبرا ولا مسكا اطيب فليس خلطه
بالطيب لتطييبه بل للتبرك فقط كما توهم فان قلت اذا كان اطيب فلم خلط بالطيب قلت لان ما
اجتمع من عرقه ليس كثيرا يكفي لطيبهم فخلط بكثير منه ليكون كثيرا **وذكر البخاري** امام اهل السنة
السابق ذكره **في تاريخه الكبير** وهو تاريخ ذكر فيه رواة الحديث واخبارهم واحوالهم وليس كغيره
من التواريخ كما يتوهم بل كتاب من كتب الحديث معنى ورواه ايضا الدارمي والبيهقي بالمعنى **وروى
المزني** بالضم ثم فتح نسبة لمزينة قبيلة مشهورة وهو ابو ابراهيم ابن اسمعيل المزني المصري الزاهد
كان مجاب الدعوة وقال الشافعي لو ناظر الشيطان لغلبه وله تصانيف مشهورة ولد سنة خمس
وسبعين ومائة وتوفي لست بقين من رمضان سنة اربع وستين ومائتين ودفن بالقرافة بالقرب
من قبر الشافعي **والحربي** هو في بعض النسخ وهو ابراهيم بن اسحق الحربي الحنبلي نسبة الى الحربية
محلة من بغداد منسوبة لحرب بن عبد الله مات سنة سبع ومائة **عن جابر بن عبد الله** الصحابي
الجليل الانصاري شهد المشاهد الا بدرا واستغفر له النبي صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين مرة
لما قضى دين الله وهو آخر صحابي مات بالمدينة سنة سبعين وستين وروى الفا وخمسمائة حديث
اردفني النبي صلى الله عليه وسلم اي اركبني خلفه قال البرهان الحلبي جمع الحفاظ ارداف النبي
فبلغوا نيفا وثلاثين ولم يذكر فيهم جابر وقال الشمني جمع بعضهم من اردفه النبي على فرس او غيره
فبلغوا نيفا واربعين وفي الصحاح الردف الراكب خلف غيره يقال اردفه وردفه ويقال اردفه
اعم فعلى ذلك قوله خلفه لدفع توهم المعنى الاعم او تاكيد وما ذكره من التاليف لم نقف عليه • والذي
عد وقع ممن اردفه اسامة بن زيد اردفه في مرجعه من عرفة على اكاف • والصديق في الهجرة • وعثمان
في قدومه من بدر • وعلي في حجة الوداع • وعبد الله بن جعفر واخذ ابن فاطمة خلفه • وقثم • وعبد الله
ابن عباس • واخوه عبيد الله • والفضل في نزوله من مزدلفة • والحسن • والحسين • ومعاوية •
ومعاذ بن جبل على حمار عفير • وابو ذر • وزيد بن حارثة • وثابت الضحاك • والشريد بن سويد •
وسلمة بن الاكوع • وزيد بن سهل • وسهيل بن بيضا • وعلي بن العاص • وعبد الله بن الزبير • وغلام من بني

عبد المطلب • واسامة بن عمرو • وصفية بنت حرام • وابو الدردا • وامية الغفاري • وابو قاسم •
وابو هريرة • وقيس بن سعد • وخوات بن جبير • وجبريل على البراق في الاسرا • والعباس •
وصفية الجهينية • وعقبة بن عامر • وآخرون لعل النوبة تفضي لذكرهم على التفصيل وهذا
مما وقع في بعض النسخ وكانه من الحاقه بالاصل **خلفه** اي وراء ظهره وهو راكب **فالتقمت خاتم
النبوة بفمي** الالتقام اخذ الشيء وجعله في فيه سواء ابتلعه اولا والابتلاع والاستراط
بمعنى ولذا سمي الطريق سراطا ولقما كانه يبتلع السابلة وفي العبارة ما يقتضي ان خاتم النبوة
كان ناتيا مرتفعا حتى يمكن التقامه وهو بين كتفيه وفيه روايات فقيل كان كاثر المحجم وقيل
كبيضة الحمامة او التفاحة او الجمع بضم الجيم وسكون الميم وهو ضم الاصابع للكف يقال ضربه
بجمع كفه وقيل كركبة العنز وقيل كزر الحجلة وعلى هذه الروايات يمكن التقامه وروي عن
الخدري انه بضعة ناشزة هكذا او وضع طرف سبابته على ابهامه مفصل او دونه بقليل واما على رواية
انه شامة خضراء محتفرة في اللحم ان صحت فالتقامه مجاز عن اخفائه بوضع فمه عليه وزر الحجلة
بيضة طاير معروف وقيل ان الحجلة كلة الستر التي تسميها العامة الناموسة وزرها ما يدخل
في عروقها وصححه في الروض الانف وقال تفسير الترمذي له ببيضة الطاير وهم وقال الخطابي
انما هو على هذا رز بتقديم المهملة على المعجمة ومعناه البيض ومنه رز الجراد لبيضه وكان الخطابي
الذي فسره وجده في رواية وتفسير الحجلة ببياض بين عيني الفرس لا وجه له فان كان مجازا
من التحجيل فبعيد جدا قال ووضع هذا الخاتم لصاحبه الفاتح الخاتم هل هو من المراد خلقه او وضع
بعدما ولد وبعدما نبي وروى ابن ابي الدنيا عن ابي ذر مرفوعا انه قال قلت يا رسول الله
كيف علمت انك نبي واستيقنت قال يا ابا ذر اتاني ملكان وانا ببطحاء مكة فوقع احدهما
بالارض والآخر بين السماء والارض فاخرج قلبي فازال منه مغمز الشيطان وعلق الدم فطرحهما
وخاط بطني وجعل الخاتم بين كتفي كما هو الآن وولياعني فكاني اعاين الامر معاينة وفيه بيان
لوقت الوضع وكيفيته الا انه قيل ان قوله ببطحاء مكة وهم من الراوي لانه كان في بني سعد وهو مع
حليمة كما سياتي وقول المصنف انه اثر الشق بين كتفيه موافق لهذا الحديث سواء قرئ اثر بفتحتين
او بكسر فسكون اما على الثاني فظاهر واما على الاول فلانه لما وقع بعده وبسببه جعل اثرا له فقول
النووي انه باطل لان الشق انما كان في صدره وبطنه وكذا قال القرطبي وانه انما كان خطاء
واضحا من صدره الى مراق بطنه كما في الصحيحين ولم يثبت قط انه بلغ بالشق حتى نفذ من وراء
ظهره ولو ثبت كان مستطيلا بين كتفيه في محاذاة صدره قالوا فهذا غفلة منه انتهى غير متجه
وكذا قال ابن حجر في شرح البخاري وذكر انه مروي من طرق اخر فالوهم انما هو في فهم كلامه قال
وهذا اصح مما قيل انه ولد به وظاهر كلامهم انه مختص به وفي كتاب القيافة انه موجود في كل
نبي وانه من علامات النبوة وكان اهل الكتاب يعرفونه به وقال البرهان الحلبي لا استحضر فيه
شيئا والذي يظهر انه من خصايصه لانه اشارة الى انه خاتم النبوة وما رواه ابن حبان في انه
كبيضة النعامة نسب فيه الى الوهم والصواب الحمامة وقيل انه شامة سوداء او خضراء مكتوب
عليها محمد رسول الله او سر فانت المنصور او الله وحده لا شريك له ونحوه فلم يثبت فيه ما
يعتد به وفي رواية كسلعة او غدة او بندقة عند نغض كتفه اليسرى ووقع عند موته
وانما وضع هناك لان الشيطان اذا وسوس وضع خرطومه ثمة وقد رآه بعضهم في صورة ضفدع
له خرطوم كخرطوم البعوضة اذخله في منكبه الايسر الى قلبه ووسوس له فاذا ذكر الله خنس الشيطان

وخاتم بفتح التا وكسرها وسياتي تفصيله وقوله يعني تاكيد له مع توهم المجاز لانه يقال
الفم كفه وركبتيه **فكان ينم على مسكا** اسم كان المستتر ضمير الخاتم وينم من قولهم نمت الريح اذا
جلبت الرايحة قال البرهان الحلبي وهو مشتق من النميمة ومنه سمي الريحان نماما لطيب رايحته
وهي استعارة لطيفة سايغة استعير نمام للريحان ثم للعذار كما قال بعض المولدين ۞

لا افتضاحي في عوارضه • سبب والناس لوام •
كيف يخفى ما اكابده • والذي اهواه نمام •

وروي ينثج بضم المثلثة وتشديد الجيم وكسر الثا لا بالفتح كما قيل وهو متعد ولازم والضمير
فيه للخاتم او الفم اي تندفع رايحته مرة بعد مرة من نثج الماء وهو خروجه مترفقا مسرعة قال البخاري
وفي بعض النسخ بكسر المثلثة والجيم اي يسيل منه المسك فمسكا منصوب تمييزا او مفعولا به ويثم
روي بضم النون وكسرها وهو عن المزي الكسر في اللازم والضم في المتعدي وفي القاموس نم
المسك والمتعدي بمعنى ينقل ويحكي واللازم بمعنى يظهر ومسكا تمييز محول عن الفاعل ومن قال
محول عن المفعول فقد وهم **وذكر البخاري في تاريخه الكبير عن جابر لم يكن النبي صلى الله عليه
وسلم يمر في طريق** في رواية البزار وابو يعلى بسند جيد عن انس كان اذا مر في طريق من طرق
المدينة وجد فيه رايحة المسك فيقال مر النبي صلى الله عليه وسلم من هذه الطريق **فيتبعه**
بالرفع اي ياتي بعد ذهابه منه لا يعني تابعا له والضمير للنبي عليه السلام لا للطريق كما قيل
ان معناه يتبع الطريق ويدل عليه قوله الا عرف انه سلكه وذكر ضمير الطريق وهي مونثة لشرفها
بمروره كما قيل ۞ عليك بارباب الصدور فمن غدا • مضافا لارباب الصدور تصدرا •
والمراد علوق تلك الرايحة بمكان مر فيه وهو توهم لا يساعده اللفظ ولا المعنى ويتبع كيعلم
او بالتشديد ويجوز فيه النصب والمراد انه يمشي بعده بزمان قليل فالفا للتعقيب والقول بانه
لعدم المهلة عرفا وحكما بقرينة الحال لا وجه له **احد** فاعل يتبع على حال من الاحوال **الا على**
حال انه **عرف انه** اي النبي صلى الله عليه وسلم سلكه اي دخله ومر فيه والضمير للطريق
فانه يذكر ويونث فلا حاجة لتاويله كما توهم **من طيبه** اي عرف من طيب الطريق مروره او
من اجل طيب الطريق برايحته الطيبة المخصوصة به الباقية بعده وهذا لا يكون الا منه **وذكر
اسحاق بن راهويه** هو ابو يعقوب المروزي الزاهد الامام الثقة المجتهد امير المومنين في
الحديث كما قاله ابن حنبل وهو الذي احيى السنة ما سمع شيا الا حفظه وما حفظ شيا فنسيه
قال كاني انظر الى مائة الف حديث في كتبي وثلاثين الف حديث اسردها وراهويه لقب
ابيه ابراهيم بن مخلد التميمي الحنظلي لقب به لانه ولد بطريق مكة وراه بالفارسية معناه
الطريق وهو بالهاء والواو المفتوحتين والمثناة التحتية الساكنة والهاء المكسورة في المشهور
ويقال بضم الهاء وسكون الواو وتحتانية مفتوحة كنفطويه وهو احب عند المحدثين اخره
ها والتا خطا فما في بعض النسخ من التاء المفتوحة على انه ممنوع من الصرف خطا **ان تلك
الرايحة التي كانت تشم منه وتبقى في الطريق كانت رايحته** الذاتية المدركة منه **بلا
طيب يمسه** ويتطيب به من خارج **صلى الله عليه وسلم** وقد تقدم ما يدل عليه من الاحاديث
فما قيل انه لم يظهر من رواه والظاهر ثبوته من قلة التتبع ولا ينافيه كونه كان يستعمل الطيب
ويحبه لانه لتكثيره والمبالغة فيه كما مر **وحكى بعض المعتنين باخباره** اي المهتمين بنقل
اخباره واحواله **وشمايله** اخلاقه وصفا تداعتنا بتتبع وعلم واعلام **انه كان اذا اراد ان**

يتغوط اي ياتي الغايط وهو المكان المنخفض من الارض على عادتهم في البراز لانه استتر
قال تع او جا احد منكم من الغايط ثم كني به عما يقع فيه ومنه الغايط للبستان ويقال غيط
للفرق بينه وبين غيره **انشقت الارض فابتلعت غايطه وبوله وفاحت لذلك**
المذكور من البول والغايط رايحة طيبة وهذا الحديث رواه البيهقي عن عايشة وقال انه موضوع
وسنبينه **واسند محمد بن سعد كاتب الواقدي** الامام الكبير الحافظ الثقة وهو ابو عبد
الله محمد مولى بني هاشم صاحب الطبقات مات سنة ثلاث ومايتين والواقدي هو محمد بن عمر
بن واقد قاضي العراق مات في ذي الحجة سنة احدى عشرة ومايتين **في هذا** اي في ان الارض
تبتلع ما يخرج منه وتفوح له رايحة طيبة **خبرا عن عايشة رضي الله عنها انها قالت للنبي
صلى الله عليه وسلم انك تاتي الخلاء** بالمد المكان الخالي البعيد من البيوت لانهم كانوا قبل
وضع المراحيض يا تونه لقضاء الحاجة ثم عبر به بعد ذلك عن محل التغوط مطلقا ثم صار عرفا
اسما للبناء المعد لذلك **فلا نرى منك شيا من الاذى** بالذال والقصر اصله ما يضر ثم اريد
به هنا ما من شانه ان يكره فالمراد به الغايط هنا **فقال لها يا عايشة او ما علمت ان الارض
تبتلع ما يخرج من الانبيا فلا يرى منه شي** تبتلع تفتعل من البلع في النسخة التي عندنا وضبطه
التلمساني تبلع من بلع يبلع كعلم يعلم واصل البلع ادخال الطعام والشراب في الحنجرة والمري فاستعير
لمطلق الاخفا كما في قوله يا ارض ابلعي ماءك وقوله فلا يرى منه شي تفسير للمراد من البلع وتاكيد
او بيان لحكمته فليس بمستدرك كما توهم والاخفاء مع طيبه وعدم استقذاره قيل انه لعدم الانكار
لحله الخارج منه او لتتبرك الارض به والظاهر انه لانه ينبغي ستره لانه من المروة او لانه
يخشى من اخذ الناس له **وهذا الحديث وان لم يكن مشهورا** قال ابن دحية سنده وهو اقوى
ما في هذا الباب فلذا نفي المصنف عنه الشهرة دون الصحة فلا وجه للاعتراض عليه بانه لا يلزم
من نفي الشهرة نفي الصحة **فقد قال قوم بطهارة الحدثين منه صلى الله عليه وسلم وهو قول
بعض اصحاب الشافعي** المراد بالحدثين الخارجين كناية للفرار من ذكر ما يستهجن وظاهره
ان القول بالطهارة مبني على هذين الحديثين فكانه من وصفهما بالطيب واما ابتلاع الارض فلا
يدل عليه بل على خلافه وتحقيقه على ما في الخصايص للخيضري وهو كتاب لم يصنف في بابه مثله
قال الرافعي في كتاب الطهارة لما تكلم على نجاسة الفضلات وهل هي كذلك من رسول الله
وجهان فقيل لا لان ابا طيبة الحجام شرب دمه ولم ينكر عليه وام ايمن شربت بوله ولم ينكر عليها
وقال اذن لا تلج النار بطنك ويروى شرب علي وابن الزبير لدمه وقال معظم الاصحاب
حكمها كحكم غيرها وحمل الاخبار على التداوي وروي انه قال للحجام لا تعد الدم كله حرام وقال
النووي حديث شرب البول صحيح حسن وذلك كاف في الاحتجاج اذ لم ينكر عليها ولا امرها بغسل
فمها ولا نهاها عن العود لمثله وقال القاضي حسين الاصح القول بطهارة الجميع واختاره كثير
من المتاخرين وجواب التداوي يرده لن يجعل الله شفاء امتي فيما حرم عليها والسر فيه غسل
الملكين لجوفه وتطهيره والاخلاف في شعره والاحاديث في هذا الباب كثيرة كشرب ابن الزبير
دمه وشرب ام ايمن بوله الذي كان في قدح يوضع تحت سريره ليبول فيه في الليل فان قلت
ما الحاجة لوضع هذا القدح والارض تبتلعه فلا يرى له اثر قلت لانه كان يكره الخروج ليلا
من بيته وبيته مصلى نافلته ومحل نزول الوحي والملايكة فلا يليق ان يمس باطنه وظاهره شي
من الفضلات ولو كانت طاهرة تعظيما لعبادة ربه وتادبا الا ترى الى قول القايل ۞

من عظم الناس عظموه ● وفاز بالفخر والرياسه
ومن دريهم لو كان مشكا ● لقيل في اصله نجاسه

واما التداوي بالحرام كالخمر فقيل يجوز اذا اخبره به ثقة بنفعه ولم يجد دوا غيره وقيل لا يجوز لحديث لن يجعل الله شفاء امتي فيما حرم عليها وقيل انه لا يباح لانه يكون حلالا له غير محرم عليه وقيل ان الله اذا حرم شيا ابطل نفعه وكونه علي شرب دمه لم يثبت كما اشار اليه الدميري في منظومته في الفقه بقوله هم

غريبة فضلة سيد البشر ● طاهرة علي خلاف انتشر
وابن الزبير بدم الهاشمي البشير ● نال الذي رام كما له اشير
وهو الذي خص بويل الناس ● وهم بويله من الابلاس
في مسند البزار ثم البيهقي ● والطبراني رواه فثق
والدارقطني وقول ابن الصلاح ● ليس له اصل نفي في الاصطلاح
وام ايمن استزادت شرفا ● اذ شربت بول النبي المصطفى
وسقيت اذ هاجرت للسنه ● ما روياه من شراب الجنه
فبعدما مس جوعها ظما ● ولم تذق الى الممات الما
صححه الحاكم والمروي في ● شرب علي دمه لم يعرف
وابن الصلاح قال في شرح ابي ● طيبة انه ضعيف السبب
قال ابن سبع وبنبينا كانت ● تبلعها الارض ومنها ان دانت
ولم تبل من تحته بهيمه ● ولم تزل الدهر به سقيمه

وهذه فايدة تفرد بها وهي ان الدواب لم تبل وهو راكب عليها ولم تسقم دابة ركبها في حياته ثم وقع في فقه الشافعية ايضا ان حكم فضلات جميع الانبيا كذلك الحديث عايشة وفي بعض نسخ الشفا هنا **حكاه الامام ابو نصر ابن الصباغ في شامله** وهو الامام البحر ابو نصر عبد السيد بن محمد بن عبد الواحد بن احمد بن جعفر بن الصباغ الذي انتهت اليه رياسة الشافعية في عصره وكان ورعا تقيا زاهدا وله كتاب الشامل في الفقه لم يولف مثله وهو اول من درس بالمدرسة النظامية التي بناها نظام الملك للشيخ ابي اسحاق فامتنع وابي ان يخرج من مسجده فلما الحوا عليه اذن لابي نصر في التدريس بها وتوفي ابي نصر رابع جمادي الاولي سنة سبع وسبعين واربعماية بعدما كف بصره **وقد حكي القولين عن العلما في ذلك** اي في فضلات النبي والانبيا وحكمها في الطهارة وضدها وقيل قوله العلما شامل للحنفية وغيرهم **ابو بكر بن سابق المالكي** اي العالم المقلد وهو ابو الحسن محمد بن سابق الصقلي المالكي المذهب لا النسب **في كتابه البديع في فروع المالكية وتخريج ما لم يقع لهم علي من هبهم من تفاريع الشافعية** يعني انه الف كتابه المسمي بالبديع في فروع فقهية لم يذكرها علما المالكية فخرجها علي حكم ما ذكره الشافعية فيها لتصريحهم بها وليس هذا تقليدا لهم وانما هو نظر في دليلهم واثبات لذلك الحكم بالدليل فهو اجتهاد من هبي ويقع مثله لغيره من الفقها ايضا والتخريج في اصطلاح الفقها ان ينص صاحب المذهب علي حكمين مختلفين في صورتين متشابهتين لم يظهر فارق بينهما فينقلون نصه في كل صورة الي الاخري كمسئلتي الاجتهاد في الاواني والقبلة اذ منع في الاولي العمل بتغيير الاجتهاد وجوزه في الثانية فنقلوا منعه في تلك لهذه وتجويزه في هذه لتلك فصار في كل قولان منصوص

ومخرج

ويخرج والتخريج عند المحدثين ان يجد حديثا في كتاب فينقله مسندا مبينا حاله في الصحة وضدها او غير مسند **وشاهد هذا** اي دليل القول بالطهارة **انه لم يكن منه شي يكره ولا غير طيب** اي من النجاسة للاستقذار وكراهة التلوث ولم يكن منه شي مكروه عند الطباع السليمة وهذا دليل عقلي مويد لنظر اهل الشرع فلا يرد عليه انه لا يدل علي مدعاه لان من المستقذر ما هو غير نجس ومن النجس ما هو غير مستقذر **ومنه** اي من الشاهد علي انه لم يكن منه شي يكره ولا غير طيب **حديث علي** الذي رواه ابن ماجة وابو داود في مراسيله غسلت النبي بتشديد السين لانه المستعمل في الميت والمخفف في غيره كالثياب **فذهبت انظر ما يكون من الميت فلم اجد شيا** ذهب هنا من افعال المقاربة اي جعلت انظر ومثله كثير في كلامهم فالقول بانه بمعني اردت استعير للذهاب بمعني المرور للارادة بجامع التلازم بينهما تكلف مفسد للمعني لان فلم اجد حج لا وجه لتفريعه وتكون تامة بمعني يوجد وما يوجد من الميت بغير رايحة وهذا من اعلام النبوة وطهارة عنصر طينته وقد مكث بعد موته يومين فلم يتغير منه شي ما وهذا مما يستانس به لان طينته يدل علي ما يحصل منه كقوله وكل اناء بالذي فيه يرشح وليس برهانا عقليا كما يوهمك اليه تعبيره بالشاهد فلا يرد عليه ان عدم وجوده كيف يدل علي ما نحن فيه من طهارة الفضلات والذي غسل النبي علي والعباس وابنه الفضل بعيناه وقثم واسامة وشقران يصبون الما وغسلوه واعينهم معصوبة تادبا ولانه قال لا يري احد عورتي الا طمست عيناه وروت عايشة انهم ترددوا في تجريده للغسل فسمعوا قايلا لم يروا شخصه يقول لا تجردوا نبيكم من ثيابه فغسلوه وعليه قميصه بسبع قرب من بئر غرس ثلاث مرات الاولي قراح ● والثانية بماء وسدر ● والثالثة بماء وكافور ● وانما قال فذهبت انظر بناء علي العادة لتاخير دفنه لانه مات يوم الاثنين ودفن يوم الاربعا لاشتغالهم بامر الخلافة والدفع وهم بعضهم انه لم يمت **فقلت طبت** بفتح تا الخطاب والمخاطب النبي صلي الله عليه وسلم علي عادتهم في مخاطبة الاموات عند التوجع والثنا كما ورد في المراثي او لانه ليس كغيره فليسمع كما يسمع في قبره من يصلي عليه **وسطعت منه ريح طيبة لم يجد وا مثلها قط** اي ظهرت وارتفعت واصل السطوع في النور فاستعمل في مطلق الظهور **ومثله** اي مثل قول علي هذا **قال ابو بكر حين قبل النبي صلي الله عليه وسلم بعد موته** اشارة الي ما في الصحيحين عن عايشة ان ابا بكر لما نعي له رسول الله صلي الله عليه وسلم وهو بمسكنه بالسنح بضم السين المهملة وضم النون ويسكن ثم حا مهملة بعوالي المدينة علي مقدار ميل من المسجد النبوي فدخل المسجد النبوي ولم يكلم احدا حتي دخل بيت عايشة والنبي مسجي ببرد حبرة فكشف عن وجهه واكب عليه يقبله وهو يبكي ويقول بابي انت وامي يا نبي الله لا يجمع الله عليك موتتين اما الموتة التي كتبت عليك فقد متها فسل عمر سيفه وجعل يتوعد من يقول انه مات ويقول انما ارسل اليه كما ارسل الي موسي فلبث اربعين ليلة والله لارجو ان تقطع ايدي رجال وارجلهم ولما كشف عن وجهه بكي وقال بابي انت وامي طبت حيا وميتا والصحابة منهم من خبل ومنهم من اخرس ومنهم من اقعد فلما خرج ابو بكر قال اجلس ايها الحالف علي رسلك فجلس فصعد ابو بكر المنبر فحمد الله واثني عليه وقال الا من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله سبحانه حي لا يموت وقد قال انك ميت وانهم ميتون وقال وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الاية فنشج الناس يبكون ولما قبل وجهه قال طبت حيا وميتا وانقطع لموتك ما لم ينقطع لموت احد من الانبياء

وهو مذكور في هذه الاصول وقد كان عليه الصلاة والسلام قال لما ولدته امه فنظر اليه
هو هو فكفت امه عن رضاعه وقال ارضعيه ولو بماء عينيك كبش بين ذياب وذياب عليها
ثياب ليمنعن البيت او ليقتلن دونه وهذا من معجزاته الاخبار بالمغيبات فانه ياتي لقصته
مع الحجاج فان ابن الزبير بضم الزاي والتصغير استخلف سنة اربع او خمس وستين فحاصره الحجاج
عند البيت العتيق سنة ثلاث وسبعين حتى قتل شهيدا وقصته مشهورة وهو احد العبادلة الامام
الزاهد العابد الشجاع وهو اول مولود ولد للمهاجرين وحنكه النبي بتمرة لاكها بفمه فخالط ريقه
ريقه وله من شرف النسب ما لا يوصل اليه لان امه اسماء ذات النطاقين بنت ابي بكر الصديق
وابوه احد العشرة سيف الله وجدته صفية بنت عبد المطلب وعمته خديجة ام المومنين وخالته
عايشة وجده لامه ابو بكر وكان قواما لا ينام ليله وكان اطلس لا لحية له وقوله **ويل لك**
من الناس وويل للناس منك ويل للتحسر والتألم من الامر قال تعالى فويل لهم مما كتبت ايديهم
وويل لهم مما يكسبون وهو اشارة الى قتله وتعذيبه وتحقيره لقتل الحجاج له ومن عاونه ظلما
له وويل الناس منه لما اصاب الناس من خروجه ومحاصرة مكة بسببه وقتل من قتل ثمة
وما اصاب امه واهله من المصايب وما لحق قاتليه من الاثم العظيم وتخريب البيت وهدمه
بسببه وانما حمله ناشيا من شرب دمه فانه تصعد من الشرب نورانية قلبه حتى زادت شجاعته
وعلت همته عن ان ينقاد لغيره وما قيل من انه اشارة الى ما يلحقه من قدح الجهلة بواسطة شربه
الدم وما يلحقهم من الاثم بذلك القدح مما لا ينبغي ذكره وسقوطه يغني عن رده وسياتي تحقيقه
ودمه صلى الله عليه وسلم ما تفدي فطرته بالارواح ولله در القايل

غري العلا في عرقه جري الندا • في عوده فهو اللباب صفاء
لو يقدر الاحرار حين اراقته • جعلوا الدحت القلوب وعاء
او يوبهوا فطرانه معدودة • اعطوا به مهج النفوس شراء
واستر خصوا في سعرها ان يبذلوا • عن كل واحدة جرت حوباء

وقد شرب دمه ايضا ستة رجال • ابو طيبة دينار اسمه او نافع • وسالم بن ابي الحجام • وهو
الذي قال له لا تعد فان الدم كله حرام على ما فيه وسفينة كما رواه البيهقي • وعلي بن ابي
طالب ذكره الرافعي في الشرح الكبير وقال ابن الملقن انه غريب لم نجده ولم ينكره عليه هذا
هو محط الدليل فان عدم انكاره دليل على جوازه وطهارته • قال السخاوي سيل العلامة بن
حجر عن حديث بن الزبير وما لك بن سنان وقوله للاول ويل لك الخ وقوله لمالك لا تمسك النار
ما الحكمة في تنوع القول مع اتحاد السبب فاجاب بان ابن الزبير شرب دم الحجامة وهو قد يكثر
يحصل به الاعتدا وقوة جذب المحجمة تجلبه من سائر العروق او كثير منها فعلم صلى الله عليه وسلم
انه يسري في جميع جسده فتكتسب جميع اعضائه منه قوى من قوى النبي صلى الله عليه وسلم
فتورثه غاية قوة البدن والقلب وتكسبه نهاية الشهامة والشجاعة فلا ينقاد لمن هو دونه بعد
ضعف العدل وقلة ناصره وتمكن الظلمة وكثرة اعوانهم فيحصل له ما اشار اليه من تلك الحروب
الهايلة تنتهك بها حرمته وحرمة البيت العتيق فقيل ويل له لقتله وانتهاك حرمته وويل
لهم لظلمهم له وتعديهم عليه وتسببه واما مالك فازدرد ما مصه من الجرح الذي في وجهه
وهو اقل من دم الحجامة وكانه علم انه يستشهد في ذلك اليوم فلم يبق له من احوال الدنيا ما يخرج
فاعلمه بالاهم له بما يلقاه من انواع مسرات الجنان انتهى • ولا عطر بعد عروس **وقد روي نحو**

من هذا المذكور في شرب دمه **عنه** صلى الله عليه وسلم **في امراة شربت بوله** سياتي بيان
هذه **فقال لها لن تشتكي وجع بطنك** اي لا يصيب بطنك وجع بعد اليوم لبركة ما دخل في جوفها
فعبر بنفي الشكاية عن نفي لازمه وهو الوجع بطريق الكناية التي هي ابلغ من التصريح **ابدا** وفي
رواية بعدها **ولم يامر واحدا منهم** اي ممن شرب دمه ومن مصه ومن شرب بوله **بغسل فم** ولو كان
نجسا لامر به ونهاه عن عوده لمثله لان اوله لم يكن باذنه فلذا قال **ولا نهاه عن عوده** ضمير
نهاه وكذا ضمير عن عوده المضاف اليه ان كان بالضمير لواحد وليس الضمير للشرب كما توهم وقال
البرهان ان عوده بناء التانيث كذونه فكانه رواية ولو كان نجسا حرم تناوله ووجب تطهير
محله ولم يقر النبي على مثله وكونه للتداوي او العلاج خلاف الظاهر على ما فيه **وحديث هذه**
المراة التي شربت بوله صحيح الزم الدارقطني مسلما والبخاري اخراجه في الصحيح يعني
انه صحيح لشرطهما فهو في اعلى درجات الصحة فكان ينبغي ذكره وليس الالزام على ظاهره والدارقطني
منسوب الى دار القطن محل ببغداد وهو الامام الحافظ الذي لم ير مثله في عصره وهو علي بن عمر بن احمد
بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن يسار بن عبد الله ابو الحسن الذي انتهى اليه علم الاثر ومعرفة الاثر واسماء
الرجال واحوالهم مع الصدق والعدالة والمعرفة بمذاهب الفقها فلذا قيل انه امير المومنين في الحديث
ولد سنة ست وثلثماية وتوفي سنة خمس وثمانين وثلثماية وما ذكره المصنف من ان الدارقطني قال
حديث المراة التي شربت بوله صحيح الا انه قال في علله انه مضطرب جاء عن ابي مالك النخعي وهو ضعيف
وروي عند الحاكم **واسم هذه المراة بركة واختلف في نسبها** قال البلقيني في الخصايص ان
ام ايمن وام يوسف شربتا بوله ولم ينكره وفي تجريد الذهبي ان بركة الحبشية قدمت مع ام حبيبة
وهي غير بركة بنت يسار المهاجرة الى الحبشة مع زوجها قيس بن عبد الله الاسدي وغير بركة ام ايمن
وهي بركة بنت ثعلبة ابن عمرو والدة ايمن بن عبيد وام اسامة بن زيد واسم هذه المراة بركة ولكن
في الصحابيات ممن اسمها بركة عدة نساء فاختلف في التي شربت بوله ايتهن هي والى ذلك اشار بقوله
واختلف في نسبها **فقيل هي ام ايمن** بركة بنت حصن بن ثعلبة بن عمرو بن حفص بن مالك بن سلمة
بن عمرو بن النعمان مولاة رسول الله وحاضنته الحبشية معتقة ابيه سلمة هي وابنها ايمن بن
عبيد الحبشي ثم تزوجها زيد بن حارثة واخرج لها احاديث في كتب السنة وادركت خلافة عثمان
كما في التهذيب وذكره الواقدي ورده بما في مسلم من انها توفيت بعد النبي بخمسة او ستة اشهر
ولم يكن بام ايمن غيرها وقيل التي شربت بوله بركة بنت يسار مولاة ابي سفيان بن حرب المهاجرة
السابقة وكانت ظيرا لام حبيبة فلما تنصر عبد الله بن جحش ثبتت ام حبيبة على الاسلام
وخلف عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجها النجاشي لها واصدقها عنه اربعماية دينار وقيل
له مع شرحبيل بن حسنة فقدمت ومعها بركة تخدمها وكان له قدح تحت سريره يبول فيه ليلا
وهذا مخالف لما قاله البرهان الحلبي من ان القادمة معها غير بركة بنت يسار ولما قاله الذهبي
من انها بركة الحبشية الا ان يريد بالحبشية المهاجرة للحبشة وهو خلاف الظاهر وروي ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال لها لا ييجع بطنك ابدا بفتح اليا الاولى وكسرها وهما لغتان في يوجع
سوى ياجع وعلى الكسر روي قوله • ولا تشكي قرح الفواد فييجعا •
وروي لا تلج النار بطنك **وقيل هي** اي بركة المذكورة **ام ايمن وكانت تخدم النبي صلى الله**
عليه وسلم يتاتى لانها التي شربت بوله ليلا لانها اذا كانت خادمة له تمكنت من الوصول
لذلك في مثل ذلك الوقت وتمكنت من الوقوف على حاله فلذا **قالت وكان لرسول الله صلى الله عليه**

وسلم قدح من عيدان والقدح ليس المراد به ما يشرب به الشراب كما هو عند العامة بل هو الاناء
الذي يشرب منه واصغره الغمر بضم الغين المعجمة وهو الذي لا يروي ثم القعب وهو ما يروي
ثم القدح وهو ما يروي الاثنين والثلاثة ثم العس وهو ما يشرب منه الجماعة ثم الوفد ثم
التبن ثم الجفنة وعيدان جوز فيه التلمساني كسر العين على انه جمع عود والذي عليه الشراح انه بفتح
العين المهملة تليها مثناة تحتية ثم دال مهملة والف ونون ووزنه فيعال او فعلان والعيدان
والعيدانة النخلة الطويلة قال الشاعر

ان الرياح اذا ما اعصفت قصفت • عيدان نجد ولم يعبان بالرتم

ويقال للنخل اذا طال وتناولته غضيد فاذا فات اليد فهي الجبارة فاذا ارتفعت فهي المرقلة
والعيدان فكان للنبي عدة اقداح قدح يسمى الريان وآخر يسمى المغيث وآخر مضبب بسلسلة
من فضة وقدح من زجاج وهذا القدح **يوضع تحت سريره فيبول فيه بالليل** والسرير معروف ومن ظرفية
بمعنى في لا زائدة وقد عد من معانيها الكوفيون وابن مالك وانشدوا

عسى سائل ذو حاجة ان منعته • من اليوم سؤلا ان يناله بعد في غد

وقال تعالى اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة اي فيه **فبال فيه ليلة ثم افتقده** الافتقاد افتعال
من الفقد وهو العدم وليس الافتقاد هنا بمعنى العدم وان ورد بمعناه كما في الصحاح بل الطلب
والتفتيش يقال افتقده وتفقده وتعهده بمعنى الا ان الفرق بينهما كما قاله الراغب ان التفقد
حقيقة تعرف فقدان الشيء والتعهد تعرف العهد المتقدم **فلم ير فيه شيئا** من بوله **فسال بركة عنه
فقالت قمت وانا عطشانة** المذكور في كتب اللغة انه يقال عطشان وعطشى وجمعه عطاش
الا في الفاظ قليلة جاءت على فعلانة ولغة بني اسد في كل فعلان فعلانة فيصرفون فعلان لان
شرط منع صرفه وجود فعلى او فقد فعلانة كما فصله النحاة فما ورد في هذا الحديث اما سماعي على
خلاف القياس او هو على لغة بني اسد فتوقف البرهان فيه لا وجه له وقد كانت قريش تتكلم بغير
لغتها لكثرة وفود القبائل عليهم وحكى صاحب القاموس امراة عطشانة من غير تقييد بلغة وقيل
الظاهر ان من قال عطشى لا يقول عطشانة وفيه نظر وهذا يدل على طهارة بوله اذ لم ينهها عنه
ولم يامرها بغسل فمها ولا اعادة الصلاة اذ كانت صلت ولا ينافيه قولها **فشربته وانا لا
اعلم** لانه لبيان طيبه وانها لم تجد له ريحا وطعما كغيره اي لا اعلم انه بول لما ذكر فلا ينافي قولها
انه كان له قدح يضعه تحت سريره فتامل **وقد روى حديثها** اي بركة ام ايمن المذكورة **ابن
جريج وغيره** هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج بجيمين اولاهما مضمومة وهو امام ثقة
ولد سنة ثمانين وتوفي في سنة خمسين ومائة ويكنى ابا الوليد وهو مولى لآل حبيبة بنت
حيي قيل وهو اول من صنف في الاسلام وكان يقول ما دون العلم احد تدويني وقيل اول
من صنف سعد بن عروبة وقيل الربيع بن صبيح وقد اختلفوا في قوله امراة شربت بوله
وقصة ام ايمن في قدح العيدان هل هما قصتان او قصة واحدة وروى الحاكم والدارقطني
عن ام ايمن انها قالت قام رسول الله من الليل الى فخارة في جانب البيت فبال فيها فقمت وانا
عطشانة فشربت ما فيها وانا لا اشعر فلما اصبح قال يا ام ايمن قومي فاهريقي ما في تلك
الفخارة قلت شربت ما فيها فضحك ثم قال والله لا يتجعن بطنك ابدا ونحوه واخرج عبد
الرزاق عن ابن جريج قال اخبرت انه عليه السلام كان يبول في قدح من عيدان ثم يوضع تحت
سريره فجاء فاذا القدح ليس فيه شيء فقال لامراة يقال لها بركة كانت تخدم ام حبيبة جاءت

معها

معها من الحبشة اين البول الذي كان في القدح قالت شربته فقال لها صحة يا ام يوسف
وكانت تكنى ام يوسف فما مرضت غير مرض موتها واخرج ابو داود وابن حبان عن اميمة بنت رقيقة
انها قالت كان لرسول الله قدح من عيدان الخ قال ابن دحية هما قضيتان لامراتين وبركة ام يوسف
غير بركة ام ايمن وفي قوله صلى الله عليه وسلم صحة ما يدل على ان الدعاء به بعد الشرب سنة لا
بدعة عامية وحكمته ان الاكل والشرب يخشى منه السقم ونحوه فلذا دعا به كما قال

اقول صح

فان الداء اكثر ما تراه • يكون من الطعام او الشراب

وفي بعض النسخ وهو ساقط من الام واكثرها **وروي عن امه آمنة انها قالت ولدته نظيفا
ما به قذر** اي شيء مما يكون على المولود اي نقيا من الوسخ والدرن **وقد كان صلى الله عليه
وسلم ولد مختونا مقطوع السرة** وفي بعض الروايات ولد مختونا مسرورا وفيه تورية
لانه من السرور او من قطع السرة ومثلها في الحسن انه ولد معذورا مسرورا ومعنى معذورا
مختونا يقال عذرته اذا قطعت عذرته وهي القلفة وكونه ولد مختونا مقطوع السرة ورد في
حديث روي عن عبد الله بن عباس وعلى هذا فهو تكريم له صلى الله عليه وسلم حتى لا يرى احد
عورته وقد وقع هذا لكثير من الناس والعرب تسميه ختان القمر واصله ان الطفل اذا ولد
في ليلة مقمرة واتصل به وغشيه ضوء القمر وهي اذ ذاك لم تنضج جلدته اثر فيها حتى تقلصت
وانمحت فان القمر يؤثر ضوؤه في اللحم ويغيره الا انه لا يكون قاطعا لها بالكلية ولذا لم
يتم جوابه قال الشاعر

اني حلفت يمينا غير كاذبة • لانت اقلف الا ما جنى القمر

وقيل انه يشير الى النمو في خلقة الانسان يحصل في زيادة القمر ويحصل النقصان عند
نقصانه كالحدس والحزر فهذا النقصان منسوب لنقصان القمر وقيل ان عبد المطلب لما

رآه

ولد مختونا قال ليكونن لابني هذا شان وسند هذا الحديث ضعيف جدا والذي صححه المحدثون
كما في التمهيد لابن عبد البر ان جده عبد المطلب ختنه يوم سابعه وجعل له مادبة وسماه
محمدا وكانت العرب تختتن لانه سنة توارثوها من اسماعيل وابراهيم وليس ذلك لمجاورة
اليهود وقد ورد هذا في قصة هرقل وواقعته التي قيل له فيها ان ملك اهل الختان قد ظهر
وروي انه ختن يوم شق قلبه وهو عند مرضعته حليمة وقد ذكره ابن القيم في كتاب الهدي
النبوي وهو ارجح الاقوال وطعن في القول الاول من الاقوال الثلاثة وقال انه روي
في حديث لم يصح وذكره ابن الجوزي في الموضوعات ومن الغريب قول الحاكم في المستدرك
ان الاخبار تواترت بان رسول الله ولد مسرورا مختونا وضعفه الذهبي وقال لا نعلم صحة
ما ذكره فكيف يكون متواترا والقول بانه اراد بتواتره شهرته بين الناس لا بما اصطلح عليه
المحدثون بعيد وقد وقع في هذه المسئلة نزاع بين ابن ابي طلحة والكمال بن العديم فالف
ابن العديم في تاييد انه ختن بعد ولادته تاليفا اوضح فيه الدلايل والنقول الا انهم لم يرضوا
قول ابن الجوزي انه موضوع وردوه ومع قوله انه موضوع نقل عن كعب الاحبار ان ثلاثة
عشر نبيا ولدوا مختونين وهم آدم • وشيث • وادريس • ونوح • وسام • ولوط • ويوسف
• وموسى • وشعيب • وسليمان • ويحيى • وعيسى • ومحمد • وزيد حنظلة بن صفوان • قيل
ولا تعارض بين كلاميه ولا يخفى ما فيه • تتمة امه صلى الله عليه وسلم آمنة بنت وهب
بن عبد مناف زوجها عبد المطلب ابنه عبد الله فولدت له النبي عليه السلام • وفي وفاتها

سبعة اقوال فقيل هل هو بعد ست سنين او سبع او ثمان او خمس او اربع او تسع او اثني عشر وتسعة اشهر من ولادته وغير ذلك وماتت بالابواء راجعة من عند بني النجار اخواله وفي زيارة النبي قبرها واحيائها كلام سياتي ثم انه ورد في الحديث ان رجلا ساله ما حقيقة امرك منذ نشات فقال انا دعوة ابراهيم وبشرى اخي عيسى واني كنت بكر امي وانها حملتني كاثقل ما تحمل النسا وجعلت تشتكي لصويحباتها ثقل ما تجد الحديث يعارضه ما رواه الواقدي من ان امه قالت لما حملت به ما شعرت اني حملت به ولا وجدت له ثقلا كما تجد النسا وانما انكرت حيضي وجمع بينهما الحافظ ابو نعيم بان الثقل كان في ابتداء علوقها به والخفة عند استمراره فيكون في الحالين خارجا عن المعتاد المعروف وهذا الجمع لا ينافي مع قولها كما روي اني لما انكرت حيضي اتاني آت وانا بين النائم واليقظان فقال هل شعرت انك حملت بسيد هذه الامة ونبيها فكونها شعرت بالحمل يقتضي ان الثقل لم يكن في ابتدائه والذي ينبغي في التوفيق ان الثقل يكون منفيا وهو الوجع والالم الذي يحصل للحوامل وهو المنفي وحسيا وهو رزانته وزيادة مقداره من غير تالم وتعب لانه صلى الله عليه وسلم وزن بجميع امته فرجحهم وهذا هو المثبت وبقية احواله حمله ومولده مفصلة في كتاب المولد لابن حجر **وعن عايشة رضي الله عنها ما رايت فرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قط** وروي انها قالت ما رايت منه ولا راى مني يعني العورة وحذف المفعول لاستهجان ذكره وقد اختلف في نظر احد الزوجين عورة الاخر فقيل يكره وهو الاصح وقيل يحرم لانه يورث العمى وورد تعليل النهي عنه لذلك ونقل عن علما الشافعية الاختلاف في هذا العمى فقيل عمى الناظر وقيل عمى الولد وقيل عمى القلب وستسمع تفصيله **وعن علي رضي الله عنه اوصاني النبي صلى الله عليه وسلم ان لا يغسله غيري فانه لا يرى احد عورتي الا طمست عيناه** قال المخرج هذا الحديث رواه البزار والبيهقي اي لا يمر يده على جسده غيره لانه من اقرب اقربائه واقدمهم صحبة واما قول الحافظ مغلطاي انه غسله علي والعباس وابنه يعينانه وقثم واسامة وشقران يصبون الماء عليه واعينهم معصوبة من وراء الستر فلا ينافيه اعانتهم بتقليب جثته والثلاثة اعانوه بصب الماء وهو يغسله بنفسه وقوله من وراء الستر يعني وعليه قميصه من غير تجريد منه كما سياتي كستر الموتى لما روي انهم اختلفوا هل يجردونه ام لا فسمعوا مناديا من ناحية البيت يسمعون صوته ولا يرون شخصه يقول غسلوا النبي وعليه ثيابه فلم يجردوه وقوله واعينهم معصوبة اي مربوطة بعصابة حتى لا ينظرون جسده وهو يغسل خيفة ان يبدو من بدنه ما لم يؤذن في النظر اليه وضمير اعينهم للعباس وابنه وقثم واسامة وشقران لا للكل فعلي هنا لم يعصب عينيه لانه المباشر فهو ماذون في ذلك وخص بالاذن لانه كان اقدرهم على الغض وغيره وربما حانت منه لفتة فلتة فتطمس عيناه ولذا ورد انه نودي وهو يغسله ان ارفع طرفك نحو السما خوفا من ان يديم النظر الى جسده فربما يقع منه نظرة دون قصد للمامور احتياطا والعورة الفرج وما لا يحل النظر اليه وطمست بفتح الطا والميم من الطمس وهو ازالة الاثر بالمحو وطمس العين ازالة ضوئها وصورتها وهو لازم قال تعالى ربنا اطمس على اموالهم وقال وطمسنا على اعينهم ومتعدي كقوله من قبل ان نطمس وجوها وكفن صلى الله عليه وسلم في ثلاثة اثواب بيض سحولية والسحولية بضم السين وفتحها نوع من ثياب اليمن قطن وبيان النسبة مفصلة في الفايق وفي هذا دليل على ان الله تعالى صانه عن ان يرى احد محل العورة منه قبل النبوة وبعدها فمن نظر اليها من قصد عمي ولم يرد ما ينافيه اذ لم ينقل ان احدا راها في صغره كامه ومرضعته

واما ما روي من ان قريشا لما بنت الكعبة وكان النبي ينقل الحجارة معهم فكان يضع ازاره على عاتقه ويضع الحجر فاذا دنى من الناس لبسه فلكمه لاكم لكمة شديدة فاستغاث شاخصا بصره للسماء فقيل له ما شانك فقال نهيت ان امشي عريانا وكان اول شي راه من النبوة فليس فيه ان احدا نظر لعورته **وفي حديث عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه** عكرمة علم منقول من العكرمة بمعنى الحمامة هو عكرمة بن عبد الله البربري مولى ابن عباس احد فقهاء المدينة وتابعيها ومن الايمة المقتدى بهم في التفسير والحديث توفي سنة سبع ومائة وقيل غير ذلك وهذا رواه الشيخان وغيرهما وهو حديث صحيح **انه صلى الله عليه وسلم نام حتى سمع له غطيط** الغطيط صوت النائم اذا ارتفع نفسه لانطباق مجراه وضيقه وقيل خطيط بالخاء المعجمة ايضا وهي بدل من الغين كما يقال غن وخن قال التلمساني وثبت به الرواية ايضا **فقام فصلى ولم يتوضا** لانه صلى الله عليه وسلم كان لا ينتقض وضوءه بالنوم مضطجعا بخلاف غيره وهو من خصايصه وحكى الشافعية قولا انه كغيره في الانتقاض والانتقاض بالنوم في المذاهب الاربعة مفصل في كتب الفقه وانما كان ناقضا لانه مظنة خروج ريح ونحوه من النواقض ومذهب الشيعة وبعض السلف انه لا ينقض وفي احد قولي الشافعي انه ينقض مطلقا وليس هذا محل تفصيله والاحاديث الدالة على ان نومه مطلقا لا ينقض وانه تنام عيناه ولا ينام قلبه كثيرة صحيحة منها ما ذكروه وهذا مخصوص به بالنسبة للامة لما صح من حديث انا معاشر الانبيا تنام اعيننا ولا تنام قلوبنا قال ابن عباس لان رؤياهم وحي فيفارقون ساير البشر في نوم القلب ويساووهم في نوم العين فلو سلط النوم على قلوبهم لم تكن رؤياهم مفارقة لرؤيا غيرهم وهذا فضل من الله خصهم به واما ما روي من وضوئه بعد نومه فلم يقل انه لحدث وانما كان احيانا تجديدا للوضوء فانه كان يستحبه او هو ليسنه لامته • فان قلت يشكل على هذا انه نام في الوادي حتى طلعت الشمس ولو كان قلبه غير نايم ما اخرج الصلاة من وقتها • قلت قد اجيب عن هذا باجوبة • منها احدها انه لا مخالفة بينهما فان القلب يقظان فيحس بما يدركه القلب مما يتعلق بالبدن بخلاف ما يدرك بالعين كطلوع الشمس والفجر • ثانيها انه كان له نومان نوم مستغرق تنام فيه عينه وقلبه ونوم غير مستغرق تنام فيه عينه فقط قال في شرح مسلم والمعتمد هو الاول فلعل قلبه كان مستغرقا بالوحي والمشاهدة فلا يلزم وصف قلبه بالنوم كما كان عند نزول الوحي عليه في اليقظة فلاشتغال باطنه بالقدس تعطل عن حقوق الظواهر كما قال الشاعر

• فوالله ما ادري اذا ما ذكرتها • اثنتين صليت العشا ام ثمانيا •

وهذا هو الذي اختاره ابن عبد البر وابن المنير لان ظاهر الحديث عمومه لساير احواله وما خالفه وجهه ما ذكر وحكمة التشريع وهذا جواب ثالث • ورابعها انه يستغرق قلبه وينام ولكن لا يبلغ مرتبة عدم الشعور بالحدث • تنبيه على القول بان المس ينقض الوضوء ذهب بعضهم الى انه لغيره واما هو فلا • ثم اعلم انه اذا كان رؤياه وحيا فهل اوحي اليه في نومه بشي من القران قال الرافعي في اماليه لم يقع ذلك وانما نزل عليه كله يقظة • وما ورد من قراته سورة الكوثر في النوم محمول على انها خطرت على قلبه بعد نزولها يقظة وقوله لم يتوضا بسكون الهمزة لدخول الجازم عليه ويجوز ابدالها الفا لبنية على القياس وحينئذ فيجوز فيه جزمه بحذف الحركة المقدرة وابقاء الالف العارضية ويجوز جزمه بحذف الفه لمعاملته معاملة يخشى فلك ان تقول لم يتوضا ولم يتوض كما ذكره النحاة وجه ما ذكر في بيان **قال عكرمة لانه صلى الله عليه وسلم كان محفوظا**

ليس ناقضا

قيل هذا جواب عن الاشكال السابق حاصله ان النوم غير ناقض بنفسه وانما نقض لانه مظنة الحدث والله تم حفظه عن وقوع ذلك منه ولو وتم بنبهة عليه وهو مع ضعفه مخالف لظاهر الحديث فالظاهر ان المراد ان الله حفظه عن ان ينام قلبه وقد علمت مما مر ان هذه خاصة اضافية بالنسبة للامة او الامم لان ساير الانبيا كذلك وقيل ان سفيان بن عيينة كانه لم يطلع على حديث انا معاشر الانبيا تنام اعيننا ولا تنام قلوبنا او لم يصح عنده فحكم بان الصلاة بعد النوم من غير وضوء من خواصه صلى الله عليه وسلم وتبعه مغلطاي في سيرته واليه ذهب بعض الشافعية ولذا قال ابن الوردي في البهجة هم

وبعض ما اكرمه الله به • منامه بالعين دون قلبه •

اقول لا وجه لما قالوه فان غفلة مثل سفيان او قوله فيما صح من الاحاديث انه غير صحيح مع انه لم يصرح به فالمعول عليه بمثله غير لايق وحمل المؤمن وقوله على الصلاح اولى فنقول انما اراد هؤلاء انه لو سلم ان الانبيا السالفة لو صح انهم كانوا يتوضون لصلاتهم كوضوئنا فلم يسمع من احد ان وضوهم ينتقض بنواقض شرعنا فتكون الصلاة بعد النوم من خواص نبينا على الاطلاق وعدم نوم قلوبهم امر آخر وهذا امر اوضح من الصبح • وما قلته فيما نحن فيه هم •

وعينيك ما قلب النبي غفا ولا • عيون له في بردة الليل راقدة •

ولكنما الاجفان منه تهجدت • وباتت بمحراب الحواجب ساجدة •

فصل في قوة عقله وشدة ادراك حواسه وذكايه وفيه ما يدل على قوة بنيته

واما وفور عقله الوفور بضم الواو والفا مصدر كالقعود وبمعنى التمام لا الكثرة وقيل يحتمل انه جمع وفر بمعنى كثير والعقل قوة وغريزة اودعها الله في الانسان ليتميز عن الحيوان بادراك الامور النظرية وقيل انه نور يقذفه الله في القلب يستنير به لادراك العلوم والامور العقلية وفي حقيقته ومحله خلاف وكلام لا حاجة لتفصيله واشتقاقه من العقل بمعنى المنع ومنه العقال لمنعه الانسان عما لا يليق به ولذا نظر في القايل •

قد عقلنا والعقل اي وثاق • وصبرنا والصبر مر المذاق •

وهذه القوة تتفاوت بالشدة والضعف وتزيد بامور مكتسبة من التجربة ومخالطة العقلاء فلذا قيل العقل عقلان عقل غريزي وعقل مكتسب والمراد بوفور عقله تمامه وكماله لا كثرته حتى يقال ان المصنف وصف العقل بالكثرة باعتبار آثاره الصادرة عنه قال في الصحاح الموفور الشي التام ووفرت الشي وفرا ووفر الشي بنفسه وفورا يعني انه متعد ولازم والوفور لم يذكر انه جمع **وذكاء لبه** الذكا بفتح الذال المعجمة والمد حدة الفواد لسرعة ادراكه وفطنته لانه في الاصل الاشتعال والتوقد ولذا يقال للذكي متوقد الذهن وقال الشاعر ۝ لو لم يحل ماء النيل • فيه لاحرقه ذكاوه •

واللب بضم اللام وتشديد الموحدة التحتية بمعنى العقل ولب كل شي قلبه وخصاله فلو فسر اللب هنا بالقلب جاز ايضا يقال لب يلب اذا صار لبيبا وعلى الاول غاير بين العقل واللب تفننا ولا تكرار في كلامه كما توهم **وقوة حواسه** الخمس الظاهرة وهي اللمس والذوق والشم والسمع والبصر وهذه مما لا كلام في ثبوتها للانسان والحيوان الا ان الحصر فيها لانا لم نعثر على غيرها لا فينا ولا في غيرنا وان امكن كما صرح والده واما الحواس الباطنة كالحس المشترك والخيال والقوة الفكرية والوهم والحافظة ومحالها من الدماغ فلم يثبتها

اهل

اهل الشرع على انهم في اثباتها ونفيين محالها في حيص بيص كما يعرفه من وقف على كلامهم والحاسة بمعنى المدركة من حس بمعنى احس والثاني هو الاعرف والافصح وبه جا القرآن قال تعالى فلما احسوا باسنا فلما احس عيسى منهم الكفر وهو استعارة لجعله لشدة ظهوره كالمحسوس وقوة الحواس مما يتمدح به **وفصاحة لسانه** هذا وما قبله مرفوع بالعطف على وفور وسياتي الكلام على الفصاحة قريبا **واعتدال حركاته** اي حركاته الظاهرة في بدنه واعضايه جارية على نهج الاستقامة والادب فانها عنوان لما في قلبه من الخشوع والخضوع ومراقبة ربه الذي هو دايما في حضرته ولذا قال صلى الله عليه وسلم لما راى رجلا يعبث بلحيته في صلاته لو خشع قلب هذا خشعت جوارحه **وحسن شمايله** جمع شمال بالكسر وهو الطبع والاخلاق والصفات المحمودة **فلا مرية** بكسر الميم وقد تضم وسكون الرا المهملة يليها مثناة تحتية اي لا شك ولا شبهة او لا جدال ولا محاجة وقال الراغب المرية التردد في الامر وهي اخص من الشك قال تعالى فلا تك في مرية من لقايه والامترا والمماراة المحاجة فيما فيه مرية وقال تعالى فلا تمار فيهم الا مرا ظاهرا واصله من مريت الناقة اذا مسحت ضرعها لتحلب **انه كان اعقل الناس واذكاهم** اي اقواهم واشدهم عقلا واكثرهم فطنة وذكا ووضح ذلك وبينه بما هو معلوم لاهل العلم والبصيرة فقال **ومن تامل** في الصحاح تاملته نظرت فيه مستثبتا فكانه ماخوذ من الامل وهو الرجا لان من دقق النظر في شي واعمل الفكر رجا حصوله وانكشاف كنهه **تدبيره امور بواطن الخلق وظواهرهم** اي الوقوف على ظواهر احوالهم وخفياتها حتى يصلحها ويرشدهم للاحسن منها واصل معنى التدبير التفكر في عواقب الامور وادبارها وتدبير مفعول تامل وامور مفعول تدبير لانه بعث داعيا الى الله وهاديا للعباد وهذا انما يكون باصلاح باطنهم وظاهرهم وهو يتوقف على معرفة ذلك **وسياسة العامة والخاصة** منصوب معطوف على تدبيره والسياسة مصدر ساس الناس يسوسهم اذا دبر امورهم وتصرف فيها • قالت حرقة بنت النعمان •

فبينا نسوس الناس والامر امرنا • اذا نحن فيهم سوقة نتنصف •

وقول علامة الروم انه معرب سه سو غلط لا اصل له وقد اخذه من كلام من لا يعتد به والعامة عوام الناس وجعلتهم من ارباب الصنايع والرعية ماخوذ من العموم لان اكثر الناس كذلك والخاصة خلافهم وللمسعودي والجاحظ كلام في وصف العامة منه اتباع لكل جاهل لا يفرقون بين حق وباطل فتراهم مهرعين لقايد دب او ضارب دف متشوقين الى اللهو واللعب مختلفين لمتعبد متخرق وواقفين عند قاص كذاب مجتمعين حول مضروب وواقفين عند مصلوب ينعق بهم فيتبعون ويصاح بهم فلا يرتدعون ولا يرتدعون • اذا اجتمعوا اضروا • واذا تفرقوا نفعوا • وسياسة الخاصة بالدلالة على الخير والنصيحة • وسياسة العامة بالزجر والقهر والضرب والنهر • وسيل العتبي عن قوله تعالى انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور وقوله وانزلنا الحديد فيه باس شديد اي مناسبة بين الحديد والكتاب وما هو الا كالجمع بين الضب والنون فاجاب بان ما لك الملك ارسل رسله لاجراء اوامره ونواهيه بين عباده فهما قسمان عقلاء ذووا بصيرة وارشادهم بالكتب الالهية وما حوته من الادلة القطعية وجهلة عوام ۝ وتسخرهم بالقهر والارهاب بالسيف والسنان فصار المعنى ارسلناهم بضابطي العامة والخاصة واي مناسبة اتم من هذه وان تراءى عدم المناسبة بحسب النظرة الحمقا **مع عجيب شمايله وبديع سيره** جمع سيرة مضاف للضمير وقد تقدم انها نسبة السير ثم خصت بحاله في غزواته

وغوها والعجيب الامر الذي من شانه ان يتعجب منه لكونه لا نظير له وكذا البديع بمعنى
المبدع وغاير بينهما تفننا في العبارة ولم يعطفهما واتى بهم للدلالة على ان انضمام هذا لما قبله
سبب كونه عجيبا بديعا كما تقول فلان يجود مع فقره لان الجود في هذه الحالة اغرب يعني انه مع
سياسته للخاصة والعامة مهذب الاخلاق مرطو الاكناف حسن السيرة وقل ما تنفق السياسة
العظمى الا مع التجبر والتعظم والتحجب كما نراه من الملوك فهذا دليل قوة عقله وفطنته ثم قال
فضلا عما افاضه من العلم اي وزاد على ما ذكر بكثرة العلم الذي علمه الناس وحمل شايعا بينهم
من افاض الحديث اذا اذاعه وقوله من العلم اي من علوم الاولين والاخرين **وقرره من الشرع** اي ما
قرره للناس من الامور الشرعية لمعرفته بشرايع من قبله وبيانه لامور شريعته والكلام على فضلا
وتقديته بمن مفصل في شروح المفتاح والكشاف والافاضة اصلها من فيض الماء ثم شاعت
فيما مر **دون تعلم تسبق** متعلق بافاض وما بعده اي فعل ذلك من غير تعلم من غيره لانه لم يرحل
غير بلده ولم يفارق غير اهل جلدته ولم يكن ثمة من يمكن تعلمه منه **ولا ممارسة تقدمت** منه
والممارسة معالجة ومزاولة بالاعتياد على فعله اي لم يتعلم من غيره ولم يحاوله حتى يتعلم من نفسه
باجتهاده في استخراجه بعقله **ولا مطالعة للكتب منه** اي لم ينظر في شيء من الكتب لانه كان
اميا بين قوم اميين وهذا دليل على شدة ذكائه وفطنته واستقامة طبيعته وفطرته فلذا
قال **لم يمتر** اي لم يشك ولم يرتب **في رجحان عقله** اي في زيادة عقله **وتقوب فهمه**
اي نفوذه وظهوره وهو بالمثلثة من تقوب النار وهو تذكيتها يقال تقبت النار تقوبا اذا اتقدت
لاول بديهة اي لم يمتر ولم يشك في اول النظرة نظرها فان قلت هو تعلم ما ذكر من الوحي المنزل وهو
سفير محض قلت تلقي الوحي من الملك وضبطه وفهمه واجراوه في مجاريه من غير تكلف منه يدل
على ما ذكر وكم من عالم قراء ودرس العلوم اذا اراد تقرير ما علمه لم يجد له قدرة ولا رونقا وبعض
الفقهاء اذا ولي القضا لا يحسن الحكم بين الناس ولك ان تقول المراد بما ذكر امر آخر غير ما قلته من
الامور العرفية التي اكثرها برايه وحسن تدبيره فانه كان ماذونا له في الاجتهاد **وهذا مما**
لا يحتاج الى تقرير وبيانه بما ذكرناه **لتحققه** بالمشاهدة في عصره والتواتر بعد ذلك
بحيث لا يشك فيه مسلم وعاقل وبما قررناه عرفت ان قول بعض الشراح هنا ان قوله ومن تامل
الخ غير واقع موقعه لان العلم بمثل هذا يلحق بالبديهيات وقد استشعر ذلك فقال وتقوب
فهمه لاول بديهة فهذا تطويل غير مفتقر اليه من عدم التدبر **وقال وهب بن منبه** بضم الميم
وفتح النون وكسر الباء المشددة بزنة اسم الفاعل وهو وهب بن منبه بن سيح بسين مهملة مفتوحة
وقيل مكسورة ثم مثناة تحتية ساكنة ثم جيم الانباري اليماني اخوهما م بن منبه وكنيته
وهب ابو عبد الله ويقال له الذماري نسبة الى ذمار بكسر الذال المعجمة وهي قرية بقرب صنعا
تابعي جليل مشهور بكتب المعرفة القديمة سمع من جابر وقيل انه لم يلحقه وروى عن ابن عباس وعبد
الله ابن عمرو بن العاص وابي سعيد الخدري وابي هريرة والنعمان بن بشير وغيرهم واتفقوا على
توثيقه وزهده وعبادته وتوفي سنة اربع عشرة وقيل سنة عشرة ومائة وهو ابن ثمانين
سنة واخرج له اصحاب السنة وله ترجمة طويلة في الميزان **قرات في احد وسبعين كتابا**
من الكتب القديمة النازلة على الانبيا وغيرها وقد تقدم انه كان يعرف الكتب القديمة ويقروها
قال التجاني في كتاب المعارف لابن قتيبة انه قال قرات من كتب الله سبحانه اثنين وسبعين كتابا
فيمكن ان يكون وجد ان رسول الله ارجح الناس عقلا وافضلهم رايا في احد وسبعين كتابا

منها

منها فقط ولم يجد ذلك الكتاب الثاني والسبعين ويمكن ان تكون الروايات مختلفة عنه
بزيادة ونقص والذي قاله وهب من انه صلى الله عليه وسلم منوه بذكره في الكتب المتقدمة
وبعضده قوله تعالى النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التورية والانجيل **فوجدت في**
جميعها ان النبي صلى الله عليه وسلم ارجح الناس عقلا وافضلهم رايا يعني ان عقله
ازيد من عقل جميع ورايه اشد من رايهم جميعا **وفي رواية اخرى** عن وهب ايضا **فوجدت**
في جميعها اي في جميع الكتب التي قراها **ان الله تعالى لم يعط جميع الناس** حتى الانبيا والرسل
من بدء الدنيا الى انقضائها من العقل في جنب عقله صلى الله عليه وسلم اصل معنى الجنب
الجارحة ثم استعير للناحية التي تليها كاستعارة ساير الجوارح لذلك كاليمين والشمال وقوله
في جنب الله اي في امره وحده الذي حده لنا كما قاله الامام الراغب فالمراد بقوله في جنب في
حد ومقدار الذي اعطاه الله له **الا كحبة رمل من بين رمال الدنيا** يعني ان عقله كجميع رمال
الدنيا وعقل جميع الناس كحبة منها وهذا ورد على طريق التمثيل لان عقولهم لا تقاس بعقله كما ضرب
الخضر لموسى مثلا بما فيه منقار عصفور من ماء البحر بالنسبة لسايره فشبه به علم الله وعلم ما
عداه وقد اورد على كونه افضل الناس رايا انه ورد ما يخالفه في كثير من الوقايع الثابتة في الحديث
ورجوعه عن رايه لراي غيره كما في قصة بدر ورجوعه لراي الحباب بن المنذر حيث نزل النبي
بادنى ماء من مياه بدر فقال الحباب له اهذا منزل انزلك الله فلا نتقدمه ولا نتاخر عنه او هو
راي ومكيدة حرب فقال بل هو الراي والمكيدة فقال ليس هذا بمنزل حتى ناتي ادنى ماء من مياه
بدر فننزله ثم نغور ما وراء ذلك ونبني عليه حوضا ونملاه ثم نقاتل ونشرب ولا يشربون فقال
اشرت بالراي ورجع لما قاله وكذا في قصة اسارى بدر والفدا وكذا في قصة تابير النخل
ونحوه مما لا حاجة للتطويل بذكره • واجاب التجاني بان رجحان رايه على ما سواه مخصوص
بما امضاه من سنن الشرع واجتهاداته في امور الدين فلا ينافي رجوعه في آراء الدنيا لغيره كما
صرح به في قصة التابير اذ قال انما انا بشر مثلكم فاذا امرتكم بشيء من دينكم فخذوا به واذا
امرتكم بشيء من رايي فانما انا بشر اخطي واصيب وهذا نص فيما ذكر ورد بان مختار اهل الاصول
ان كان متعبدا فيما لا وحي فيه بانتظار الوحي ثم بالاجتهاد بعد وقت الانتظار وقيل الاجتهاد
مطلقا في الامور الشرعية والدنيوية وهو مذهب مالك واحمد والشافعي والمنقول عن ابي
يوسف وغيره • واختلف في جواز خطابه في اجتهاده فذهب الرازي وغيره انه لا يجوز وفي
التوضيح يجوز لكن لا يقر عليه وعدم الاقرار بالاجماع لوجوب اتباعه المقتضي لعصمته
وجواز الخطا عقلا لا مانع منه بمقتضى البشرية وقوة عقله وكمال حدسه وسداد رايه لا
ينافيه لانه من لوازم الطبيعة البشرية واذا جاز سهوه في صلاته ومناجاته ففي غيرها
بالاولى فقول التجاني ان جميع اموره الدينية صواب خلاف المختار عند علماء الاصول
وحينئذ فمعنى كونه افضل الناس رايا واجتهادا مع جواز الخطا احيانا ان رايه لو خلا
ونفسه من غير معارض مما تقتضيه الطبايع البشرية كان افضل من راي غيره واجتهاده
اذا خلا ونفسه ايضا مع رجحان رايه بعدم التقرير عليه اذا خالف الاولى واراوه كلها
صواب بعد التقرير عليها وقبله لا ما الا على قول من يقول كل مجتهد مصيب والحاصل ان كون
رايه افضل الاراء لا ينافي رجوعه ومشاورته فان العبرة بما وقع عليه القرآن لا بمبادي الراي
فافهم **وقال مجاهد** تقدم الكلام على ترجمته **كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام في**

الصلاة يرى من خلفه كما يرى من بين يديه قال البرهان في الاصل الذي وقفت عليه من بفتح الميم
موصولة وخلفه صلة منصوب على الظرفية وكذا من بين يديه وفي غيره من الجارة وهذا الحديث
رواه البخاري ومسلم عن ابي هريرة قال هل ترون قبلتي هاهنا فوالله ما يخفى علي ركوعكم ولا سجودكم
ولا خشوعكم واني لاراكم من وراء ظهري ورواه مالك واحمد وغيرهما وفي لفظه اختلاف والمعنى
متفق واختلفوا في حال الرؤية هل هي مختصة بحال الصلاة ام لا وهل هي رؤية حقيقية ام
علمية قلبية فقال ابن الصباغ في الشامل ان المراد بها الحس والتحفظ وقيل المراد العلم بان يوحى
الكيفية فعلهم او يلهم ذلك وفيه نظر لانه حينئذ لا معنى لتقييده بقوله من وراء ظهري وقيل
المراد من عن يمينه وشماله وهو تكلف والصواب انه محمول على ظاهره وان الابصار حقيقي خاص
به على خرق العادة ولهذا اخرجه البخاري في علامات النبوة ثم انه يجوز ان تكون برؤية عينه خرقا
للعادة فكان يرى بها من خلفه كما يرى ما يقابله لانه لا يشترط في الرؤية المقابلة ولا العضو
المخصوص عند اهل السنة كما قرروه في رؤية الله وهذه امور عادية يجوز الرؤية مع عدمها عقلا
واذا قلنا الرؤية علمية فمعنى اري من خلفي اراكم وانتم من خلفي وقال الزاهد الحنفي صاحب القنية
في رسالته الناصرية انه كانت له عينان بين كتفيه كسم الخياط يبصر بهما لا تحجبهما ثوب
ولا غيره والظاهر ان مثله لا يقال بالرأي وقيل كانت صورهم تنطبع في حائط قبلته كما تنطبع
في المرآة فيشاهد افعالهم ولا ينافي هذا ما ورد انه وضع شابا من وفد عبد القيس خلفه لئلا
يراه ولا قوله اني لا اعلم ما وراء جداري هذا ان صح ولا قوله في الحديث ايكم الذي ركع دون الصف
وقال ابو بكر انا يا رسول الله فلو كان يرى ما احتاج للسؤال لان الاول للتشريع والثاني المراد
به نفي علمه بالمغيبات مع ان عدم رؤية ما وراء الجدار لا ينافي الرؤية من غير حائل وهذا ان لم
نقل انه مخصوص بالصلاة كما في الاقناع • واجاب ابن عبد البر عن حديث ابي بكر بان هذه القصة
قبل ان فضله الله بهذه الفضيلة فان شؤونه تتزايد دائما وقيل اني لاراكم ان قصدت ذلك ولم
يكن قصد ذلك كما ان الانسان قد لا يستعمل نظره احيانا او انه رآه ولم يعلم عينه او اراد تقريره
لينكر له ما ذكره وارتضاه بعضهم وارتضى غيره انه كان خلفه صفوف كثيرة فلا يرد عدم رؤيته
لانه لم يكن خلفه في الصف الاول فلا حاجة لما تكلفوه من الاجوبة وهو كلام حسن **وبه فسر**
بالبناء للفاعل اي فسر مجاهد ومبني للمجهول اي فسره العلماء او بعض المفسرين **قوله تعالى
وتقلبك في الساجدين** اي نرى تقلب بصرك في المصلين خلفك لتراهم وتعلم ما يفعلون
وهو امتنان بهذه النعم وهذا مؤنس لاختصاصه بالصلاة كما ورد التصريح به في بعض الاحاديث
وفي الموطا بصيغة المفعول المشدد الطا المهموز سمي به لما فيه من احاديث الاحكام الممهدة
للشريعة وسياق هذا الحديث للاستدلال على قوة حواسه فيناسب التفسير بانه يراهم بعينيه حقيقة
كما مر **اني لاراكم من وراء ظهري ونحوه عن انس في الصحيحين وعن عايشة مثله قالت
زاده الله اياها في حجته** وفي نسخة بحجته والاولى اصح **وفي بعض الروايات اني لانظر من
وراء كما انظر الى من بين يدي وفي اخرى** اي في رواية اخرى **اني لابصر من قفاي
كما ابصر من بين يدي** والمراد بحجته الدلائل الدالة على نبوته وصدقه وقيل في حجته على الكفار
لان هذه معجزة من معجزاته خارقة للعادة وقوله زيادة بالرفع اي هذه زيادة ويجوز نصبه
وقول عايشة هنا لاثبات رؤيته من خلفه واكثر المفسرين في هذه الاقوال فمنها ما ذكره المص عن عايشة
هنا ومنها ما مر من ان المراد انتقاله من صلب نبي لنبي وسياتي تتمته وقيل تردده في تصفح

احوال المتهجدين لانه لما نسخ فرض الليل دار على بيوت اصحابه لينظر ما يصنعون حرصا على
طاعتهم فوجدها كبيوت الزنابير من الذكر والتلاوة وقيل معناه نرى تقلبك في جماعة المصلين
اذا اممتهم ومما ذكره المص عن الموطا بعض حديث رواه مالك عن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم هل ترون قبلتي هاهنا فوالله ما يخفى علي خشوعكم ولا ركوعكم واني لاراكم
من وراء ظهري ومما رواه عن الصحيحين بعض حديث فيهما وفي لفظه اختلاف كما اشرنا اليه
واول الحديث قال انس صلى بنا النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم فلما اقبل علينا بوجهه
قال ايها الناس اني امامكم فلا تسبقوني بالركوع ولا بالقيام ولا بالانصراف فاني اراكم امامي
ومن خلفي الى آخر الحديث والكلام عليه مستوفى في شروحه **وحكى بقي ابن مخلد عن عايشة** بقي
بفتح الموحدة وتشديد القاف المكسورة تليها ياء مثناة ومخلد بفتح الميم واللام وخاء معجمة ودال
مهملة هو الامام ابو عبد الرحمن القرطبي الجياني الحافظ الزاهد العابد الثقة صاحب المسند
الكبير والتفسير الجليل الذي قال ابن حزم لم يصنف في التفسير مثله مولده في رمضان سنة احدى
ومايتين وسمع من ناس كثيرين منهم يحيى بن يحيى الليثي القرطبي واخبر عن مصعب الزهري
ويحيى بن بكير وابراهيم بن المنذر الجياني وابن ابي شيبة وطرق الشرق والغرب وشيوخه
مايتان ونيف وثمانون وروى عنه كثيرون كابنه احمد وكان مجتهدا لا يقلد احدا وعد من
اضراب اهل السنن وكان مجاب الدعوة يقال انه كان يختم القرآن كل ليلة في ثلاث عشرة
ركعة ويسرد الصوم وحضر سبعين غزاة وتوفي سنة ست وسبعين ومايتين رحمه الله تعالى
كان النبي صلى الله عليه وسلم يرى في الظلمة كما يرى في الضوء لا شك انه كان كامل الخلقة
قوي الحواس ومثل هذا غير بعيد وقد رواه الثقات كابن بقي فلا وجه لانكاره وقد اخرجه البيهقي
عن عايشة ايضا ونقل ابن دحية في كتاب الايات البينات عن ابن بشكوال انه ضعيف لان في
سنده ضعيفا واخرجه عن ابن عباس بلفظ كان يرى بالليل في الظلمة كما يرى بالنهار في الضوء
ثم قال ليس بالقوي وذكر ابن الجوزي في العلل حديث عايشة وقال لم يصح وقال العقيلي في سنده
من لا يعتمد عليه كما فصله وذكر هذا الحديث الذهبي في ميزانه في ترجمة عبد الله بن محمد بن المغيرة
الكوفي مع جملة احاديث قال انها موضوعة وقال السهيلي في الروض ان النبي صلى الله عليه وسلم
لما ابتنى بام سلمة دخل عليها بيتها في ظلمة فوطئ على زينب فبكت فلما كان من الليلة الاخرى دخل
في ظلمة ايضا فقال انظروا زينبكم لا اطأ عليها وفي هذا الحديث توهين لحديث انه كان يرى
بالليل كما يرى بالنهار انتهى ولا يخفى انه لا معارضة بين الحديثين يقتضي ما ذكره لان زينب
كانت بنتا صغيرة نائمة مغطاة بازار ونحوه في جانب من البيت ومثلها قد لا يرى بالنهار ايضا
وهذا على ما فيه اقرب مما قيل ان عدم رؤيته كان لتغير حصل في بصره لان الاعراض البشرية
كانت تعتريه كما في قصة السحر فكان اذ ذاك كذلك فان مثله لا يقال بالرأي من غير سند
ورواية مجازفة **والاحاديث كثيرة صحيحة في رؤيته صلى الله عليه وسلم الملائكة والشياطين**
هذا مما لا اشتباه فيه وربما ذكره المص دليلا على قوة بصره وانه يرى ما لا يراه غيره اما رؤيته
الملائكة فورد في احاديث كثيرة منها ما في البخاري من انه قال لعايشة هذا جبريل يقرأ عليك
السلام فقالت وعليه السلام ورحمة الله وبركاته انك ترى ما لا نرى والاحاديث في رؤيته
الملائكة حيث لا يراها غيره كثيرة كما في حديث العقبة ورؤيته تلك الحبال المشهورة وفي هذا
دليل على قوته حيث يرى ما لا يراه غيره وليس هذا مخصوص بتشكل الملائكة فانها جواهر مجردة

قابلة للشكل عندنا وعند الحكما لقوله تع فتمثل لها بشرا سويا وليس هذا النقص فيها
او زيادة بل للطافتها تنتشر تارة وتنضم اخرى كما تراه في لهب النار عند تلاعب الرياح
به وكذلك الجن فانه مخلوق من النار الا ان الملايكة من نورها الصافي والجن من النار المختلطة
بالدخان ولذا ذهب بعض الحكما الى انهما جنس واحد وان الاستثنا متصل وفي بعض الشروح
فان قلت فما معنى تشكل الملايكة والجن في صور مختلفة ولا قدرة لمخلوق على تغيير خلقته
قلت قال القاضي ابو يعلى لا قدرة للجن على تغيير خلقتهم ولا على نقل صورتهم الى صورة اخرى
لان ذلك انما يكون بنقض البنية وتفريق الاجزا واذا انتقضت البنية بطلت الحياة واستحال
وقوع النقل من الجملة فكيف تنقل نفسها وانما ذلك باعتبار جواز ان يعلمهم الله كلمات وضروبا
من الافعال اذا فعله او تكلم به نقله من صورة الى صورة فيقال انه قادر على التصوير والتخييل
وحمل عليه تصور جبريل في صورة دحية وتصوره لمريم بشرا سويا ويجوز ان يكون الله تعالى
قد جعل لهم قوة التشكل عند ارادتهم ذلك لانهم ارواح انتهى وفيه كلام آخر ليس هذا محله
واما رويته الجن فقد ثبت في احاديث كثيرة منها ما رواه مسلم عن ابن مسعود انه قال كنا مع النبي صلى
الله عليه وسلم ذات ليلة ففقدناه فالتمسناه في الاودية والشعاب فقلنا اغتيل فبتنا
بشر ليلة فلما اصبحنا اذا هو جاء من قبل حراء فسالناه فقال اتاني داعي الجن فذهبت معه
فقرات عليهم القرآن وسالوه الزاد فقال لكم كل عظم لم يذكر اسم الله عليه فهو طعام لكم وكل بعر
علف لدوابهم وورد احاديث اخر في رويته لهم وايمانهم به مفصلة في كتاب لقط المرجان
في احكام الجان قال بعض اهل عصرنا ظاهر كلام المصنف ان روية الملايكة والشياطين
من خصايص النبي فلا يراهم غير الانبيا وفي حاشية الحلبي في سفره الى الشام في قول الراهب
رايت ملكين يظلانه من الشمس فيه ما يدل على جواز روية الملايكة كالجن وقد صرحوا
به وقوله تع انه يريكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم محمول على الغالب ولو كانت رويتهم محالة
ما قال هممت ان اربطه حتى تنظرون اليه كلكم وقال المصنف روية الجن على صورهم الاصلية
ممتنعة الا للانبياء ومن خرقت له العادة وانما يراهم بنو آدم في غير صورهم ورده النووي
بانه دعوى مجردة لا مستند لها **ورفع النجاشي له حتى صلى عليه** يعني ان الله رفع ميتة
النجاشي وجنازته وهو ببلاد الحبش فراه من المدينة وصلى على جنازته وهذا دليل على قوة بصره
بحيث راه مع ما بينهما من المسافة البعيدة والبحر ورفع مبني للمجهول وتقديره رفعه الله هو
وصلى فاعله ضمير النبي صلى الله عليه وسلم قيل ويجوز ان يكون رفع مصدرا مضاف لمفعوله
مبتدا خبره مقدر اي ثابت او معجز ويجوز ان يجر رفع عطفا على قوله في روية الملايكة
والاول اولى واظهر والنجاشي ملك الحبشة واسمه اصحمة بفتح الهمزة وسكون الصاد المهملة
وفتح الحا والميم والها ابن ابجر بفتح الهمزة وسكون الموحدة بعدها جيم مفتوحة وراء مهملة
وقال مغلطاي ابن بحري • وقيل اسمه صحمة بمهملتين مفتوحة فساكنة وقيل صمحه بتقديم الميم
وقيل بالخا المعجمة كما نقله البرهان الحلبي عن بعض مشايخه • وقيل سلهم بضم السين • وقيل
حازم وقيل مكحول بن صصه بمهملات اولاها مكسورة والادغام والنجاشي بفتح النون وكسرها
وتشديد اليا وتخفيفها • وصوب المحب الطبري التخفيف كما قيل في جني ابن جني لانه معرب
كنبي والنجاشي غلب على المذكور كالنجم للثريا وهو في الاصل لكل من ملك الحبشة كقيصر لكل
من ملك الروم • وكسرى لمن ملك الفرس • وخاقان لمن ملك الترك • وفرعون للقبطي والعزيز

وأصحمة بن بحر ملك الحبشة النجاشي أسلم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] قاموس [illegible] صح

لملك مصر • وتبع لملك حمير • ودهمي وفغفور لملك الهند • وغانة للزنج • وبطليوس
لليونان • وفطيون او مالح لليهود بفتح اللام او شالخ • وللصابية نمرود • وتبع لملك
اليمن • وجالوت من ملك البربر • واخشيد من ملك فرغانة • ونعمان من ملك العرب من قبل
العجم • وشرحبيل من ملك افريقيه • وشهربار من ملك خلاط • وفور من ملك السند • والاصفر
من ملك علوي • ورتبيل من ملك الخزرج • وكابل من ملك النوبة كذا في المقتفي وغيره وفي
سيرة مغلطاي ان من ملك اليمن يسمى تبعا فان لم يكن له الملك سمي قيلا بفتح القاف وسكون المثناة
التحتية وهو الوزير واصله قيل بالتشديد كما خففه اهل اللغة وفرعون من ملك مصر والشام
فان اضيف اليها الاسكندرية فهو العزيز او المقوقس • ومعنى اصحمة عطية او عطية الله هم
واصحمة هذا هو النجاشي وهو ملك جليل القدر آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم وكان بينهم
وبينه مهاداة ومكاتبة الا انه لم يلقه ولم يجتمع به ولذا لم يعد في الصحابة لان شرطها الملاقاة
الا على قول ضعيف ذكره في التقريب انه يكفي فيها المعاصرة مع المعاهدة والايمان لا سيما
من كان له عذر في التخلف وله اخبار حسنة منها انه لما بلغه وقعة بدر بعث لمن قبله من المسلمين
فلما دخلوا عليه وجدوه مسجى وقعد على التراب فقالوا له ما هذا ايها الملك فقال انا نجد
في الانجيل ان الله سبحانه وتعالى اذا انعم على عبده بنعمة وجب عليه ان يحدث له تواضعا
وان الله احدث لنا ولكم نعمة عظيمة وهي ما بلغني ان النبي محمدا صلى الله عليه وسلم التقى هو
واعداؤه بواد يقال له بدر كنت فيه ارعى غنما لسيدي فهزم الله اعداءه ونصر دينه
وروت عايشة انه بعد موته كان يرى على قبره نور • وقوله كنت ارعى الغنم يدل على انه
دخل بلاد العرب • واما ما رواه الثعالبي من انه من بيت الملك وان الحبشة قتلت اباه وملكوا
عمه وكان له مثل ابيه فخافوا انه يملكه بعده فيقتلهم بابيه فقالوا له لا بد من قتله او اخراجه
من ارضنا فباعوه ثم ان الله جعله ملكا عليهم بعد ذلك فلا دلالة له على ما ذكر كما توهمه لان بقية القصة
مذكورة في الروض الانف وفيها ما يدل على خلاف ما ذكره ثم ان ما ذكر من رفع النجاشي للنبي حتى راى
جنازته قال السيوطي في كتابه مناهل الصفا في تخريج احاديث الشفا انه لم يجده في كتب الحديث
وانما الوارد فيها انه رفع اليه معاوية المزني حتى صلى عليه والنبي صلى الله عليه وسلم بتبوك كما اخرجه
ابو يعلى والبيهقي عن انس انتهى • اقول الذي انكره انما هو رفع جنازته اليه فانه روى في
خصايصه الكبرى من طرق متعددة انه نعى لاصحابه النجاشي لما مات وخرج وصلى عليه مع اصحابه
وكبر اربع تكبيرات والصلاة عليه ثابتة في الصحيحين وانما ذكر المصنف قصة الرفع مدرجة في
الحديث بناء على الاختلاف في الصلاة على الغايب فمن جوزها كالشافعية ذكر صلاته عليه من غير
تاويل ومن انكرها تاول الحديث بانه رفع اليه جنازته حتى راها وصلى او هو من خصايصه فلا يدل
على الصلاة على الغايب وصحتها مطلقا كما سياتي وكانت وفاته في السنة التاسعة من الهجرة في
رجب وعن ابي اسحق ان نيزرا او ابا نيزر بنون ومثناة تحتية وزاي معجمة وراء مهملة ابن
النجاشي كان مولى لعلي بن ابي طالب بعد موت ابيه وطلبته الحبشة ليتوجوه فابى وقال لا اريد
الملك بعد ان من الله تعالى علي بالاسلام وكان طويل القامة صبيح الوجه ورؤية النور على قبره
غير مستغرب فانه يرى على قبور بعض الشهدا ويصدقه قوله تع والشهداء لهم اجرهم ونورهم واعلم
ان قصة النجاشي في الصحيحين وهي من اعلام النبوة لاخباره بموته في اليوم الذي مات فيه
مع بعد المسافة ولما صلى عليه قال بعض المنافقين صلى على علج من علوج الحبشة فنزل وان من اهل

الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم الآية واستدل به من قال بالصلاة على الغايب وبه
قال احمد والشافعي وبعض السلف لان الصلاة على الميت دعاء له فكيف لا يدعى له وهو غايب او في
قبره كما يدعى له وهو حاضر وذهب الحنفية والمالكية الى انه لا يشرع ذلك وعن بعضهم يجوز لمن
كان في جهة القبلة بخلاف مستدبرها • واجاب من قال بعدم الصلاة على الغايب عن هذه
القصة بامور منها انه كان بارض لا يصلى بها فتعينت لذلك ولذا قال الخطابي لا يصلى على الغايب
الا اذا مات بارض لا تعرف بها الصلاة على الميت كبلاد اهل الشرك وكذا قال ابو داود فاذا مات بها
وجب على المسلمين ان يقوموا بحقه في الصلاة فلو علم انه صلي عليه لا يصلى عليه من كان غايبا فان
لم يصل عليه لعذر او عايق سن الصلاة عليه ولا يترك لبعد المسافة ومنها ان هذا مخصوص بالنبي
لما روي انه سويت له الارض حتى ابصر النجاشي وقد رد هذا بانه اذا فعل شيا من افعاله الذين كان علينا
اتباعه والتخصيص لا بد له من دليل ونقل ثابت لا بمجرد الاحتمال ولو فتح هذا الباب لم يبق شي يوثق
به ولو كان كذلك توفرت الدواعي بنقله وقولهم احضرت الجنازة بين يديه ورفع له كما اشار اليه المص
قال ابن حجر ان نبينا اهل لذلك والله قادر على ما هو اعظم من ذلك لكنا لا نخترع حديثا ونقوله من
عند انفسنا ومثل هذه الامور الضعاف تلاق بلا تلاف • وقال الكرماني رفع الحجاب ممنوع ولئن سلمنا
فهو غايب في حق الصحابة الذين صلوا مع النبي صلى الله عليه وسلم وقد وقع في حديث مجمع بن جارية
ما يؤيده فان فيه فصففنا خلفه صفين وما نرى شيا كما في سنن ابن ماجة والطبراني واجاب
الحنفية بانه يصير كالميت الذي يصلي عليه الامام وهو يراه والمأموم لا يراه فانه جايز اتفاقا
واورد عليه انه ليس النزاع في الرؤية وعدمها فانه لا يشترط في صحة الصلاة رؤية الميت ولا
سريره وانما النزاع في كون الميت في بلد والمصلي في اخرى وعلى تقدير انه رآه لا يرتفع النزاع
فان قلتم ان سريره رفع ووضع عنده لم يكن غايبا والحاصل ان ههنا ثلاثة امور • احدها ان النبي علم بموته
وهو بالحبشة وصلى عليه بالمدينة هو والصحابة وعلى هذا هو دليل الشافعية الثاني ان يكون رفع
له سريره او روحه وهو في مكانه وازيل الحجاب فهذا ايضا صلاة على الغايب ثم انا نطالب
مدعيه بنقل صحيح • الثالث ان تحمل جثته لحضرة النبي فيصلي عليه وهو صلاة على حاضر ولم يقل
احد انه ورد ولا ثبت فقول الحنفية انه دليل فاسد لا وجه له وكان الاولى استدلال المص على
قوة بصره بحديث معاوية المزني الذي رواه ابن عبد البر في الاستيعاب عن انس بن مالك ان
جبريل نزل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد مات معاوية بن معاوية المزني افتحب ان تصلي
عليه قال نعم فضرب بجناحه الارض فلم يبق شجرة ولا اكمة الا تضعضعت ورفع له سريره حتى نظر
اليه فصلى عليه وخلفه صفان من الملايكة في كل صف سبعون الف ملك فقال النبي صلى الله عليه
وسلم بم نال هذه المنزلة من الله عز وجل قال بحبه قل هو الله احد وقراته اياها جايا وذاهبا وقايما
وقاعدا وهذا حديث صحيح كما في شرح البخاري لابن حجر • اقول بعد صحة هذا وبيان كيفية الصلاة
فيه على الغايب والاحاديث يفسر بعضها بعضا علم ان قصة النجاشي ورفع السرير وازالة الحجاب
امر خارق للعادة لا يتيسر لغير النبي فتبين صحة جواب الحنفية وقوته وسقط الاعتراض عن المص
ايضا وقد اختلف في النجاشي كما في بعض الشروح اهو علم شخص ام علم جنس لكل من ملك الحبشة كفرعون
وقد يجمع بانه علم شخص نقل للعلمية للجنسية ولا وجه لانكار النقل فيه كما مر • تنبيه في حديث
النجاشي امران احدهما انه وقع فيه نعي موت النجاشي وقد ورد في الحديث انه نهى عن النعي ولذا اختلف
في النعي فقيل مكروه وقيل انه مستحسن ولا خلاف بينهما فان معنى النهي الاخبار بالموت فاذا فعل من

تلاوة الاخلاص

غير صراخ واطراء بما لا ينبغي فهو سنة ولو بالنداء في الاسواق لما فيه من الدعا للميت بتكثير
الجماعة والاتعاظ فان كان بخلافه على عادة الجاهلية فمكروه الثاني ان الشافعية قالوا بعد
ما ذكروا دليل الخصم في التاويل قالوا لا دليل فيه فقيل انه فاسد لان الدليل ملزوم ولا يلزم
من نفيه نفي اللازم ودعوى الفساد غير ظاهرة فان مرادهم ان الصلاة على الغايب ثابتة بالاحاديث
الصحيحة فتاويلها من غير مستند لا يكون دليلا اذ لا بد لكل مدع من النقل فالجواب الصحيح ما قلناه
اذ المنع المجرد لا يسمع في مقابلة النص **و** رفع **بيت المقدس حين وصف لقريش** بالرفع معطوف
على النجاشي ويجوز جره كما مر ومقدس كمرجع اسم مكان او مصدر ميمي من القدس وهو الطهر اي
المكان الذي يطهر فيه الله العباد من الذنوب او يطهر من الاصنام وجاء فيه ضم الميم وفتح القاف
والدال المشددة اسم مفعول من التقديس وهو التطهير وجاء بكسر الدال اسم فاعل لانه يقدس
العابدين فيه من الاثام ويقال البيت المقدس بالتوصيف والاشهر فيه الاضافة وقدس بضمتين
وضم فسكون الطهر واسم جبل معروف قال التبريزي يقال انه غير منصرف ولا ممتنع واستشهد
للاول بقول كثير • كالمصرخي غدا فاصبح واقفا • في قدس بين مجامع الاوعال •
انتهى • فانظر دخول الالف واللام عليه ورفع بيت المقدس اشارة الى ما وقع في حديث الاسرا الذي
رواه الشيخان وغيرهما عن جابر بسند متصل صحيح وهو انه صلى الله عليه وسلم لما اسري به واصبح
بمكة اتاه عدو الله ابو جهل فقال له هل كان من شي قال اني اسري بي الليلة الى بيت المقدس
قال ثم اصبحت بين اظهرنا قال نعم قال فان دعوت قومك اتحدثهم بهذا قال نعم فقال يا معشر
بني كعب بن لؤي فانتفضت اليه المجالس حتى جاؤوا فقال حدث قومك فحدثهم فصاروا بين مصفق
وواضع يده على راسه متعجبا فقالوا هل تستطيع ان تنعت لنا بيت المقدس وكم باب فيه فكربت
كربا شديدا لم اكرب مثله قط فجلى الله لي بيت المقدس وكشف الحجب بيني وبينه حتى رايته فنعته
لهم وانا انظر اليه وجاؤوا ابا بكر وقصوا عليه القصة وقالوا له تصدقه فقال نعم اني اصدقه
باخبار السما فسمي لذلك صديقا ولا استحالة فيه فقد احضر عرش بلقيس في طرفة عين وهذا مؤيد
لما ذكره المص من قوة بصره حتى رآه مرفوعا ولم يغب عنه شي منه فما قيل من انه لا يليق درج هذا
فيما له عليه الصلاة والسلام من الكرامات والمعجزات لانه امر زايد على تجلي الذات لا وجه له **والكعبة
حين بنى مسجده** اي رفعت له الكعبة وهو بالمدينة حين بنى مسجده على الوجهين السابقين
في الاعراب قال السيوطي في مناهل الصفا رفع الكعبة له حين بنى مسجده رواه الزبير بن بكار
في اخبار المدينة عن ابن شهاب ونافع بن جبير وابن مطعم مرسلا ثم ما ذكره المص مشكل لانه صلى
الله عليه وسلم لما اتى المدينة نزل بقبا اياما ثم اسس مسجدها وهو اول مسجد اسس على التقوى
ثم خرج منها راكبا ناقته الى دور بني النجار فبركت ناقته في موضع مسجده فبناه على ما فصل
في السير والاحاديث الصحيحة وكانت القبلة بيت المقدس اذ ذاك خمسة عشر شهرا او نحوها
فكيف يصح ان يقال ان الكعبة رفعت له حين بنائه كما وقع في حديث الشفا بنت عبد الرحمن
الانصارية انها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بنى مسجده يؤمه جبريل الى الكعبة
ويقيم له القبلة وهذا كله في غاية الاشكال مع وروده في هذا الحديث وفي الحديث المرسل الذي
نقله السيوطي في تخريجه ولذا قال الحلبي في شرحه انه غريب والمعروف ان جبريل عليه السلام
اعلمه بحقيقة القبلة واراه سمتها الا انه رفع له الكعبة حتى راها ولهذا جاءت الاثار من غير
تعيين وفي العتبية من سماعات مالك انه قال سمعت ان جبريل عليه السلام هو الذي اقام لرسول

الله قبلة مسجد المدينة قال ابن رشد في البيان والتحصيل يعني اراه السمت
اليه وبين له جهتها فالصواب انه ذلك كان حين تحولت القبلة لا حين بناء مسجده وكون جبريل
اراه سمتها لا يقتضي رفعه ومثله لا يقدم عليه من غير رواية وما في حديث الشفا من ان جبريل
حين بني مسجده كان يومئذ الى الكعبة في غاية الاشكال لان القبلة لم تكن اذ ذاك الكعبة بل
بيت المقدس اللهم الا ان يقال ان توجهه اليه لم ينسخ وكان مخيرا بين التوجه لها وللصخرة
وقد وقع في كتاب الناسخ والمنسوخ نحوه واما ما قاله ابن الحنبلي في شرحه من ان معنى قول
الشفا يومئذ اي بصيرة اماما اي متبعا في التوجه الى الكعبة لاجل اقامة القبلة وبيان جهتها
ليريك سمته فمع تكلفه لا يجدي شيا ولما استشعر هذا حاول توجيهه بما ذكره تاج القرا في سبب
نزول قوله تعالى سيقول السفهاء الاية انه صلى الله عليه وسلم كان يحب التوجه للكعبة قبل تحويل
القبلة فلما قوي رجاؤه عليه السلام يمكن ان يكون سال جبريل ان يبين له جهتها عسى ان تكون
قبلة ففعل او سال الله ذلك والامام المتبع في الاقوال والافعال مطلقا كما في عمدة الحفاظ وبه
فسر اني جاعلك للناس اماما وبمجرد هذا الاحتمال لا يندفع الاشكال وفي الشرح هنا كلام طويل
بغير طائل رايت تركه اكثر فائدة من ذكره ثم اني رايت في تذكرة الحافظ العلامة العلائي بخطه
ان الراجح عند العلما ان الكعبة كانت قبلة الانبيا اما انها كانت قبلة ابراهيم فمما لا شك
فيه وفي الاحاديث انه كان يحب ان يتوجه الى قبلة ابيه ابراهيم الكعبة وفي الاثار ما يقتضي
ان توجه اليهود الى بيت المقدس كان عن اجتهاد منهم او عناد وفي كتاب الناسخ والمنسوخ لابي
داود مسندا الى الحسن في قوله تعالى ان اول بيت وضع للناس الاية قال اعلم قبلته فلم يبعث نبيا
الا وقبلته البيت ووقع في قصة ذكرها مع سليمان بن عبد الملك ان خالدا قال قرات التورية
فلم اجد قبلة بيت المقدس فيه ولكن تابوت السكينة كان على الصخرة فلما غضب الله على بني اسرائيل
رفعه فكانت صلاتهم الى بيت الصخرة عن مشاورة منهم وقال ابو داود وخاصم يهودي ابا
العالية في القبلة فقال ان موسى كان يصلي عند الصخرة مستقبل البيت الحرام فقال له
بيني وبينك مسجد النبي صالح فقال اني صليت فيه وقبلته الكعبة فهذه الاثار تدل على ان
الكعبة كانت قبلة الانبيا كلهم انتهى باختصار اقول وكذا قبلة عيسى وانما غيرها المشرف بولص
كما صححوه اذا عرفت هذا علمت ان النبي كانت قبلته قبل الهجرة الكعبة ولكن يجعلها بينه
وبين بيت المقدس لانه كان يوافق اهل الكتاب فيما لم يوح اليه فلما هاجر استمر على ذلك وهو
يعلم ان القبلة الحقيقية الاصلية انما هي الكعبة وهي قبلة ابراهيم وقد امره الله بالاقتدا
به ولم ينص على القبلة فعنده علم بانه سيصرفه اليها ولكنه منتظر لامر الله مراعيا للادب
فلا مانع من ان يسال جبريل ان يريه سمتها حتى اذا وقع ذلك لم يتردد ويتحير فيه وهذا هو الحق
الحقيق بالقبول فاعرفه ثم ذكر ما يدل على قوة حواسه فقال **وقد حكي عنه انه صلى الله عليه
وسلم كان يرى في الثريا احد عشر نجما** قال السيوطي في مناهل الصفا هذا لم يوجد في شيء من
كتب الحديث والثريا مصغر ثروى من الثروة وهي الكثرة وهي منزل من منازل القمر فيه نجوم مجتمعة
جعلت علامة فقول بعض الشراح انها كوكب وهم منه قال في مباهج الفكر هي ستة انجم صغار
طمس ويظنها من لا معرفة له سبعة وهي مجتمعة بينها نجوم صغار كالرشاش وحكي ان الثريا اثني
عشر نجما لم يتحقق الناس منها غير ستة او سبعة ولم ير جميعها غير النبي صلى الله عليه وسلم لقوة
جعلها الله تعالى في بصره والنجم علم لها بالغلبة كالكوكب للزهرة وذكر السهيلي انه صلى الله عليه وسلم

كان يرى

كان يرى فيها اثني عشر نجما وقال القرطبي في كتاب اسما النبي انها لا تزيد على تسعة فيما
يذكرون ونظمه في ارجوزته فقال

وهو الذي يرى النجوم الخافيه • مبينات في السما العاليه •
احدى عشر تعد في الثريا • لناظر سواه ما تهيا •

وفي كتاب التفهيم لابي الريحان البيروني بكسر الموحدة والنون انها ستة كواكب كعنقود عنب
وتظن العوام والشعرا انها سبعة وهو ظن غير مصيب قيل وهو غير مصيب لنقصه عما راه صلى
الله عليه وسلم وقد علمت انه لم يثبت ما نسب للنبي هنا وقال الامام الخيضري في خصائصه
ما ذكره القرطبي والسهيلي لم اقف له على سند ولا اصل يرجع اليه وقال التلمساني انه جاء في
حديث ثابت من طريق العباس ذكره ابن خيثمة **وهذه كلها** من رؤيته النجاشي والكعبة والثريا
وغيرها مما ذكر **محمولة على رؤية العين** اي مفسرة بما ذكر وهو المراد منها والحمل يستعار لذلك في
كلامهم استعارة مشهورة من حمل الاحمال بحمل اللفظ كحمل على ظهر المعنى وكثير منه الاحتمال **وهو
قول احمد بن حنبل وغيره وذهب بعضهم الى ردها الى العلم** اي الى تاويل الرؤية بالعلم
وصرفها عن ظاهرها فتعبيره بالرد توطئة لقوله **والظواهر تخالفه** اي ظاهر العبارة
تخالفه ولا مقتضي لصرفها عن الظاهر **ولا احالة في ذلك** اي ليس في حملها على الرؤية البصرية
امر محال يقتضي العدول لاجله **وهي من خواص الانبيا وخصالهم** اي قوة البصر والحواس
من صفات الانبيا فلا وجه لاستبعادها وتاويل ما يدل عليها ثم ايد ذلك بالنقل فقال **اخبرنا
ابو محمد عبد الله بن احمد العدل من كتابه** قال التلمساني هو التميمي مات بسبتة سنة احدى
وخمس مائة وهو من شيوخ المصنف وقوله من كتابه اشارة الى انه قراه وهو يسمعه من كتابه لا من
حفظه وقد اختلف في من لا يحفظ ويحدث من كتابه فالصحيح انه يجوز روايته ويحتج بها واليه
ذهب ابن الصلاح وقيل لا يحتج الا بما يرويه من حفظه واختلف ايضا فيما اذا لم يتذكر ما في كتابه
وتفصيله في ابن الصلاح وحواشيه **حدثنا ابو الحسن المقري الفرغاني** بالفاء والغين المعجمة
نسبة الى فرغانه بلدة مشهورة بالمشرق ويحتمل نسبته لفرغان بلدة بفارس وباليمن وهو علي
ابن عبد الله المقري نزيل مكة **حدثتنا ام القاسم بنت ابي بكر عن ابيها** هي بنت ابي بكر محمد بن
يعقوب البخاري الزاهد الصوفي المعروف بالخفاف صاحب كتاب الاخبار بفوايد الاخبار
حدثنا الشريف ابو الحسن علي بن محمد الحسني هو الشريف ابو الحسن علي بن محمد بن علي بن موسى
الرضا بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب توفي في خلافة المقتدر بالله لاربع بقين
من جمادى الاخرة سنة اربع وخمسين ومايه وهو ابن اربعين وقيل غير ذلك **حدثنا محمد بن محمد
بن سعيد حدثنا احمد بن سليمان حدثنا محمد بن محمد بن مرزوق حدثنا همام** هو همام بن الحارث
النخعي الكوفي سمع حذيفة وعمارا وروى عنه ابراهيم النخعي وتوفي في خلافة الحجاج بن يوسف
حدثنا الحسن هو الحسن بن جعفر الجفري بضم الجيم والفا نسبة للجفر وهو مكان بالبصرة
عن قتادة بن دعامة التابعي الجليل وقد تقدمت ترجمته **عن يحيى بن وثاب** بفتح الواو وتشديد
المثلثة والف وموحدة وهو يحيى بن وثاب الاسدي مولاهم روى عن ابن عباس وعمر وعلقمة
وروى عنه الاعمش وغيره وهو ثقة محدث مقري توفي سنة ثلاث وخمسين ومايه واخرج
له اصحاب السنن الا ان روايته عن ابي هريرة ليست في الكتب الستة **عن ابي هريرة** تقدم الكلام
في اسمه وترجمته **عن النبي عليه السلام قال لما تجلى الله لموسى كان يبصر النملة على الصفا**

الصفوان والصفا الحجر الصلد الأملس **في الليلة الظلماء مسيرة عشر فراسخ** جمع فرسخ وهو ثلاثة
أميال والميل أربعة آلاف ذراع كل ذراع طوله أربعة وعشرون أصبعا وعرض كل أصبع ست حبات شعير
ملصقة ظهرا لبطن وقيل ثلاثة أميال والميل أربعة آلاف خطوة والخطوة ثلاثة أقدام يوضع قدم أمام
قدم ويلصق به • وشين عشرة ساكنة ومفتوحة ولفظ الفرسخ معرب وقيل عربي معناه السكون
لأنه بقطعه يسكن وقيل معناه الراحة والفرجة وقيل معناه ساعة من ساعات النهار • **والتجلي** قال
الراغب في مفرداته الكشف والظهور وقد يكون بفعله بالذات نحو والنهار إذا تجلى وقد يكون بالأمر
والفعل نحو فلما تجلى ربه للجبل انتهى وإذا كان التجلي بمعنى الذات يشمل الخطاب والكلام فيحمل تجلي الله
لموسى على خطابه وتكليمه وتجليه للجبل أمر آخر فلا يرد على المصنف أنه مخالف للقرآن فإن التجلي فيه
للجبل لا لموسى مع أنه غير مسلم فإن القرطبي نقل في تفسيره قولا بأن موسى رأى ربه ولذا خر صاعقا
وأما تجليه للجبل وإنه كان دكا فأما بمعنى أمره وفعله به ما أراد أو نقول بأن الله خلق فيه إدراكا علم
به تجلي الله فتفتت وانهدم من هيبته ولعل المصنف ارتضى هذا وعليهما فاللام صلة التجلي لأنه يتعدى
بها وقول التجاني في الجواب إن اللام تعليلية بتقدير مضاف فلما تجلى لأجل سؤال موسى رؤيته وإن
هذا لا بد منه في الحديث للتوفيق بينه وبين الآية وقال بعضهم المراد تجلى أمره أو نوره والمقدر هنا
من المعتزلة لإنكارهم الرؤية ومن أهل السنة لاستبعاد أن يكون للجبل إدراك أو روح يدرك
وليس بمستبعد من القدرة • أقول قد ارتضى هذا بعضهم وهو غير ثابت هنا لوجهين الأول أنه ما
ذكره خلاف الظاهر لا يجوز الحمل عليه من غير قرينة • الثاني أنه لا يناسب سياق الحديث ولا كلام المصنف
لأن تجلي الله للجبل حتى صار دكا وخوف موسى حتى خر صاعقا لا يقتضي التأثير في حواسه
حتى يرى النملة المذكورة بل يقتضي خلافه ولا يصح تفسير كلام المصنف به لمنافاته لغرضه فالحق
ما قلناه وتحقيقه أن الله لما قربه حتى سمع كلامه النفسي بناء على ما قاله الأشعري من أنه
يجوز سماعه أو كلاما بغير واسطة يدل عليه أنه لم ينقل بعدم الألفاظ كما ذهب إليه كثير من السلف
حصل له قوة روحانية واتصل به نور إلهي أثر في الروح الحيوانية وزاد في نورها الذي بانتشاره
في البدن يحصل الإدراك على ما حققه الحكماء في الحواس فأدرك بذلك إدراكا خارقا للعادة •
فإذا كانت زرقاء اليمامة ترى من أميال وهي امرأة من الجاهلية فما بالك بهؤلاء • **وفي** تخصيص النملة
والظلمة والصخرة الملساء مبالغة لا تخفى وقيل معنى الحديث أن الله لما خص موسى بمناجاته ظهرت
له أنوار ربانية ساطعة أضاءت بها الأرض إضاءة عجيبة حتى صار يرى الصغير من بعيد كما يرى
الكبير من قريب والمهم المقدم فإن فهمت فهو نور على نور وهذا الحديث رواه الطبراني في مسنده
الصغير وصححه ولما كانت هذه القوة حصلت للكليم بالتجلي فحصولها للنبي بعد الإسراء مع ما
رآه أظهر فلذا قال **ولا يبعد على هذا أن يختص نبينا بما ذكرناه** من رؤيته للملائكة والجن
ورؤيته بالليل كما يرى بالنهار **من هذا الباب** أي من نوع هذه الرواية فإن الباب والبابة وردا
بهذا المعنى بعد الإسراء قيده به لأنه وقع بالمدينة والإسراء كان بمكة ولأنه يكون بعد تجلي الله له
ورؤيته على ما عليه الأكثر فتزيد قوته الروحانية والجسمانية كما سمعته آنفا **والحظوة بما
رأى من آيات ربه الكبرى** الحظوة زيادة القرب مع المحبة وزيادة بضم الحاء وكسرها وأما آيات
ربه الكبرى فسيأتي الكلام عليها في الإسراء **وقد جاءت الأخبار بأنه صرع ركانة أشد أهل
وقته** أشد أعظم قوة بدنية من جميع من كان بالقوة الجسمانية وهذا إثبات لتفوقه على غيره في
قوته البدنية بعد ما أثبت قوة إدراكه وركانة بضم الراء المهملة وكاف مفتوحة تليها ألف

ونون

ونون وهاء قال الحافظ برهان الدين الحلبي في المقتفي هو ركانة بن عبد يزيد بن هاشم
القرشي المطلبي الحجازي المكي ثم المدني أسلم يوم الفتح وهو صارع النبي صلى الله عليه وسلم فصرعه
قال الحافظ عبد الغني المقدسي وهذا مثل ما روي في مصارعته صلى الله عليه وسلم لغيره ورواه
أبو داود والترمذي مرسلا قال الترمذي وليس إسناده بالقائم وأخرجه أبو داود عن قتيبة عن
محمد بن ربيعة عن أبي الحسن العسقلاني عن أبي جعفر محمد بن ركانة عن أبيه أنه صارعه فذكره وأخرجه
الترمذي بهذا السند وزاد المزي ما لفظه هكذا رواه أبو الحسن بن العبد وغير واحد عن أبي داود
مثل رواية الترمذي ورواه البيهقي في المراسيل عن سعيد بن جبير قال البيهقي وهو مرسل جيد
وروي بإسناد آخر متصل إلا أنه ضعيف وأشار إلى ما تقدم وقد رأيت ما نقله في مراسيل أبي داود
في أطراف المزي كما قاله لكن فيه أنه عليه الصلاة والسلام كان بالبطحاء فأتاه يزيد بن ركانة أو
ركانة بن يزيد فذكره بالشك والله أعلم • وتوفي ركانة بالمدينة سنة اثنين وأربعين وقيل في خلافة
عثمان وقال النووي في تهذيبه وقع في المهذب في باب المسابقة أنه عليه الصلاة والسلام
صارع يزيد بن ركانة وهو خطأ والصواب ركانة ابن يزيد انتهى • وقال السهيلي في روضه إن
أبا الأسد بن الجمحي واسمه كلدة بن أسيد بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح وكان بلغ من شدته فيما
زعموا أن يقف على جلد البقرة فيجاذبه عشرة لينتزعوه من تحت قدميه فيتمزق الجلد ولا يتزحزح
عنه وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم إلى المصارعة وقال إن صرعتني آمنت بك فصرعه عليه السلام
مرارا ولم يؤمن انتهى • والحاصل أن الذي صارعه ركانة في أصح الروايات **وكان دعاه إلى الإسلام**
فلم يسلم أولا ثم أسلم بعد ذلك كما تقدم **وصارع أبا ركانة في الجاهلية** أي قبل ظهور الإسلام
بمكة قال البرهان الذي صح أنه ركانة وأما أبو ركانة فلم يصح والصواب ركانة وكذا ما نقل أن أبا
جهل صارعه لم يصح أيضا وذكر السهيلي أن أبا الأسود الجمحي صارعه وكان من أشد الناس وغير هذين
لم يصح والجاهلية منسوبة أي في الأمة الجاهلية أو الفترة والجاهلية تطلق على ما قبل مبعثه عليه
السلام وعلى ما قبل الفتح قيل والمراد هنا الثاني **وكان** أي أبو ركانة **شديدا وعاوده** ثلاث
مرات أي صارعه مرة بعد مرة **كل ذلك يصرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم** كل منصوب بنزع
الخافض أي يصرعه في كل ذلك قاله البرهان وغيره وحديث ركانة الذي رواه البيهقي أنه
قال كنت أنا والنبي في غنيمة لأبي طالب نرعاها فقال لي ذات يوم هل لك أن تصارعني فقلت
له أنت قال أنا فقلت على ماذا قال على شاة من الغنم فصرعني وأخذ مني شاة فجعلت ألتفت هل
يراني إنسان من الرعاة فيجترئ علي وأنا في قومي أشدهم فقال في الثالثة ولك شاة قال
ثم فصارعته فصرعني فقعدت كئيبا حزينا فقال ما لك فقلت ارجع لصاحب الغنم وقد
أعطيت ثلاثا من غنمه وكنت أظن أني أشد الناس فقال هل لك في الرابعة فقلت لا بعد ثلاث
فقال أما الغنم فإني أردها عليك فردها فلما ظهر أمره أتيته وأسلمت وفي رواية راهنه على
غنم وأنه قال له ما هذا الأسحر فإن قلت ما حكم المصارعة شرعا قلت ذهب البغوي
إلى تحريمها لأنه لا منفعة لها في الحرب والأصح أنها تجوز من غير عوض لأنه ربما تدعو إليه الحاجة
وبهذا أفتى شيخنا الرملي وأما أخذ النبي العوض منه فإنما كان بنية رده وليرغب في المصارعة
وليكون ذلك سببا لإسلامه مع أن المروي أن ركانة هو الذي طلب العوض ثم ذكر ما يدل على
قوته فقال **وقال أبو هريرة ما رأيت أحدا أسرع من رسول الله في مشيته** بكسر الميم
وسكون الشين المعجمة والمثناة التحتية تليها تاء تأنيث مضافا للضمير النبي وهي هيئة المشي

وَرُوِيَ مشيه بفتح الميم دون تاء قاله التلمساني وقال الحجازي كثيرًا ما يقع في الشفا وغيره
مكسور الميم والصواب فتحها لان المشية بالكسر هيئة المشي وبالفتح مصدر فاذا فتحت كان
المعنى اسرع من مشي رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا كسرت فالتقدير اسرع من هيئة مشيه
ولا معنى له ورد بان المشي والمشية بمعنى ولم يرد الهيئة والمقصود واحد لان المشية تكون
مصدرًا اذ هو كما تقول جمال زيد اكمل وانت تريد زيد اكمل في جماله فالمعنى اسرع من مشيه في هيئته
المخصوصة ولم يرد تفضيل الهيئة كما في قولك فلان احسن الناس جلسة اي هيئة احسن من
هيئة غيره في الجلوس اقول هذا تكلف نشا من توهمه ان المشية مفضل عليها وليس كذلك
فان المفضل مطلق حركته ومشيه وفي بمعنى مع اي لا يرى اسرع من حركته مع هيئته المخصوصة
في مشيه فليس المقصود تفضيل الهيئة بمعنى انه مع تؤدته واعتدال حركاته تراه تسرع
كانه الماء الجاري من غير اضطراب ولولا هذا ناقض هذا ذكر اعتدال حركاته في اول الفصل
فلذا قال كانما الارض تطوى له فانه يدل على ان مشيه ليس بالجري والهرولة وورد ان
الارض كانت تطوى له ولا منافاة بينهما انما يحمل هذا على غالب احواله وذاك على اسفاره ونحوها
وقيل انهما بمعنى فان احدهما استعارة او تشبيه بليغ وهذا تشبيه صريح كما يقول زيد هو
الاسد انا لنجهد انفسنا وهو غير مكترث نجهد مضارع اما من الجهد بفتح الجيم وهو المشقة
والتعب وبضمها وهو الطاقة والمقدرة اي انا نتعب انفسنا في مساواة مشيه وهو مستريح
لا يرى له مشقة ببذل وسعنا وطاقتنا وهو غير مبال بمشيه ومكترث بالكاف والتا المثناة
وراء مهملة ومثلثة اسم فاعل من الاكتراث وهو المبالاة والاعتنا بالامر قالوا ولا يستعمل
الاكتراث الا في النفي وورد في الاثبات نادرًا في حديث ذكره صاحب النهاية وقد ورد في صفة
مشيه في الحديث عن علي اذا مشى مشى تكفيًا كانما ينحط من صبب واذا وطئ وطئ بقدمه كلها
ذريع المشي اي خطاه متباعدة وكان اصحابه يمشون بين يديه وهو خلفهم ويقول خلوا ظهري
للملائكة وما ذكره المصنف بعض من حديث اوله ما رايت شيًا احسن من رسول الله كان الشمس تجري
في وجهه وما رايت احدًا اسرع الخ رواه صاحب الشمايل والمصنف اختصره وغيره بعض الفاظه
وفي نسخة المصححة مشيته موافق لاصل النسخ من هنا وقد علمت ما ورد عليه وجوابه فلا
حاجة لما قيل ان المشية اعم من المشي لدلالة الاول على الحدث والثاني على الحدث مع الهيئة وكلما
دل على الحدث مع الهيئة دل على الحدث ولا عكس والحدث المطلق اذا اضيف الى من صدر عنه استفيد
منه خصوص الهيئة لان الهيئة التي يدل عليها فعلة المكسورة الفا حالة التي عليها الفاعل
عند تلبسه بالفعل وهو لازم لكل مصدر فكل مشي مشية من غير تكلف وفي صفته ان ضحكه
كان تبسمًا الضحك انبساط الوجه وظهور الاسنان فلذا سمي مقدمها الضواحك والتبسم
ابتداوه والاخذ فيه وقيل هو الضحك من غير قهقهة وفي الحديث كان ضحكه تبسمًا كذا في عمدة
الحفاظ وعلى كل حال فالتبسم بعض الضحك او نوع منه وعليه قول النحاة في قوله تعالى فتبسم
ضاحكًا من قولها ان ضاحكًا حال موكدة وقول الزمخشري اي جاوز حد التبسم الى الضحك لا ينتقض
التفرقة لان المراد بالضحك امر مخصوص فلا اعتراض على النحاة ولا على الزمخشري كما توهم
وقد ورد في بعض الاحاديث ان ضحك النبي لم يكن الا تبسمًا وورد في بعضها انه ضحك حتى بدت
نواجذه وورد في بعضها وصفه بمطلق الضحك وجمع بينهما بان التبسم كان غالب امره وان
غيره وقع منه احيانًا على الندرة فلا منافاة بينهما وقيل المراد بقوله ضحك حتى بدت نواجذه

المبالغة لا حقيقة ولا حاجة اليه فان الانبيا والصحابة كانوا يضحكون اذا راوا عجبًا
او ما يسرهم ولنا فيهم اسوة حسنة وانما المكروه الاكثار كما ورد في الحديث كثرة الضحك
تميت القلب كمن غلبه ذلك من اهل اللهو والبطالة وورد في قوله فتبسم ضاحكًا انه كان فرحًا
بفضل الله عليه ولم يكن بطرًا ولا اشرًا لا سيما ما فيه من تانيس الناس وتعليمهم لحسن العشرة • واما
ما روي عن الحسن من انه ما رئي ضاحكًا ولا متبسمًا الا في اهله ولا وحده ولا مع جماعة فذلك غير
منكر لشدة خوفه من الله ومراقبته له وهو مقام آخر لا يخالف فعل النبي واصحابه فلا وجه
للاعتراض به ولا عليه واذا التفت التفت معًا فلا يسارق النظر ولا يلوي عنقه يمنة ولا
يسرة كما يفعله من به طيش وخفة بل يقبل جميعًا ويدبر جميعًا ويثني قناة جميعه واذا مشى
مشى تقلعًا رواه الترمذي في الشمايل اذا مشى يتقلع وفي رواية اذا زال زال قلعًا
يمشي تكفيًا ويمشي هونًا وفي النهاية الاثيرية ان المراد انه يرفع رجليه من الارض رفعًا
قويًا من غير مقاربة للخطا فانه مشي النسا والخنا ثين وتقلعًا روي بفتح القاف وضمها مصدر
بمعنى الفاعل اي قالعًا رجليه وفي غريب الانباري والتهذيب بفتح القاف وكسر اللام وهو
قريب من قوله كانما ينحط او ينحدر من صبب اي يثبت من غير عجلة ومبادرة شديدة كانما ينحط
من صبب وروي في صبب بفتح الصاد المهملة وفتح اولى الموحدتين وهو الموضع المرتفع او ما
انحدر منه كسفح الجبل فمن على ظاهرها وقيل انها بمعنى الى وينحط بمعنى ينزل وكذا ينحدر
وفي رواية كانما يهوي من صبوب بفتح الصاد وضمها مصدرًا وجمع صب وهو وصف بغاية السرعة
كالنازل من علو

• فصل واما فصاحة لسانه وبلاغة القول •

معنى الفصاحة في اللغة كما في كتاب الصناعتين لابي هلال الاظهار تقول العرب افصح
الفصيح اذا اضاء واللبن اذا تخلت عنه الرغوة وظهر وتمامه بتمام آلة البيان وهي اللسان
قال ولتضمن الفصاحة معنى الآلة يوصف بها اللسان فيقال لسان فصيح ولا يوصف بها
الله فلا يقال فصيح وان وصف به كلامه والبلاغة من بلغت الغاية اذا انتهيت اليها وبلغها
فسميت بلاغة لبلوغها النهاية او لابلاغها المعنى لفهم السامع ومعنى الفصاحة عند اهل
المعاني معلوم في كتبه ويوصف بها اللسان والمفرد والكلام والمتكلم وفي وصف
المفرد بها كلام ليس هذا محله والمراد بالقول هنا جنس اللفظ الموضوع مطلقًا او تعريفه
للاستغراق اي جميع اقواله بليغة واضاف الفصاحة للسان والبلاغة للقول تفننًا او
للدلالة على كمال كلامه وآلة نطقه فان من العرب من كان كلامه بليغًا مع نقص آلته كزياد
الاعجم فانه كان لا يقيم الحروف فيقول للحمار همار ولذا لقب بالاعجم ويحتمل ان يريد باللسان
اللغة كان صلى الله عليه وسلم من ذلك المذكور وهو الفصاحة والبلاغة بالمحل الافضل
والموضع الذي لا يجهل المحل والموضع بمعنى وان تغاير مفهومهما لان الاول مكان الحلول
والثاني مكان الوضع ففي عبارته تفنن فرارًا من التكرار اي كان افصح البشر وابلغهم
بحيث لا يخفى على احد • يكنى عن ذلك بجعله في افضل محل للبلاغة وفي موضع لها لا يجهله احد كما في قوله
• ان الفصاحة والسماحة والندا • في قبة ضربت على ابن الحشرج •
فهو كالاثبات بدليل ومرتبته في ذلك دون مرتبة الاعجاز وهو اقرب اليه من كل بليغ وقوله
بالمحل خبر كان ومن بيانية على القول بجواز تقدمها او قيل تبعيضية والجار والمجرور حال من المحل

والموضع اي كان بالمحلين كاينين بعض ذلك اي بعض مطلق الفصاحة والبلاغة والمرتبة
التي له من ذلك ويؤثر عنه من الكلمات البليغة ما لا يصل اليه القوى البشرية **سلاسة طبع**
وفي نسخة مع سلاسة طبع والسلاسة السهولة اي كانت طبيعته في البلاغة تنقاد له
بسهولة من غير تكلف وسلاسة وقع بالنصب على نزع الخافض وهو مفعول له ولو رفع بتقدير
له سلاسة طبع جاز ومن الغريب ان الشارح الغرضي بعدما اعربه مفعولا له قال انه في جواب
سؤال تقديره هل كانت فصاحته طبيعة او تتبع تراكيب البلغا ووقفوا بينهم **وبراعة منزع**
البراعة بفتح البا والرا المهملة من برع الرجل بضم الرا وفتحها اذا فاق غيره وكثيرا ما يستعمل بمعنى
الفصاحة ولذا فسرها هنا بعض الشراح وليس ببعيد والمنزع من نزع الى اهله اذا اشتاق واراد ه
الرحيل اليه ونزع القوس جذبها والدلو استقى بها فالمنزع ان كان بفتح الميم فاسم مكان او مصدر
ميمي وفسروه هنا بالماخذ وما يرجع اليه الرجل من رايه وامره والظاهر ان المراد اصله ومعنى
يعني انه مع بلاغته الجبلية من قوم وجلدة هم افصح الناس وان كان بكسرها كما عليه التلمساني
فهو اسم آلة كالمفصل وفسره باللسان واصله السهم يقال نزعت في القوس نزعا وابن عف بمنزع
اي سهم وفي المثل عاد السهم الى النزعة اي رجع الحق لاهله **وايجاز مقطع** الايجاز التعبير
عن معان كثيرة بلفظ قليل ويقابله الاطناب والمساواة كما بينه اهل المعاني والمقطع بفتح
الميم اسم مكان او مصدر اي يوجز في محل القطع والفصل للامور فانه محل الايجاز لا كمقام
الخطابة فانه يحمد فيه التطويل فلذا اقتصر عليه لا لانه يعلم من البلاغة كما قيل وجوز فيه كسر
الميم على ان المراد به القول ويفسره بتمام الكلام لظهوره عنده تكلف **ونصاعة لفظ** ه
النصاعة الخلوص والوضوح اي ان لفظه خالص من كل بشاعة ولكنه واضح لكل احد لمخاطبته
كل احد على قدر عقله وبلغته **وجزالة قول** بفتح الجيم والزاي المعجمة وهو القوة والاتقان وضدها
الركاكة **وصحة معان** اي مع فصاحة الفاظه ووضوحها معانيه صحيحة لا فساد فيها
لاجرائها على الاحكام والحكم والحكم الفصل **وقلة تكلف** لانه يتكلم عن روية وسلاسة
طبع من غير تشدق ورعاية سجع ومشقة والمراد انه لا يتكلف فالقلة هنا بمعنى النفي كما اثبته
النحاة واهل اللغة **اوتي جوامع الكلم** اي آتاه الله قوة ناطقة بحيث ينطق بالكلمات
الجامعة للمعاني التي هي بمنزلة الامثال فان من تامل كلامه راى فيه من المعاني مع الوجازة
التي يستخرج الطبع من الغوامض منها جواهر يحار فيها العقول وقيل المراد بها القرآن والحديث
وفيه نظر **وخص ببدائع الحكم** اي خص بنطقه بكل حكمة بديعة لم يسبق اليها والحكمة العلم
النافع المانع لمن وعاه من الزيغ والضلال وقال ابن عرفة الحكمة عند العرب ما يمنع من الجهل
ولذا سمي الحاكم حاكما لمنعه التعدي **وعلم السنة العرب** اي يعلم لغاتهم لان اللسان يطلق
على اللغة وعلم مخفف ماض مبني للفاعل او مشدد مبني للمجهول اي علمه الله او مصدر ه
مجرور معطوف على بدائع الحكم **يخاطب كل امة منها** اي كل قبيلة وجماعة منهم **بلسانها**
اي لغتها لاختلاف لغاتهم **ويحاورها** اي يصاحبها ويراجعها بلغتها **ويباريها في منزع**
بلاغتها المباراة بالراء المهملة غير مهموز والمباراة والمجاراة المعارضة وفعله مثل
فعله **حتى كان كثير من الصحابة** مع انهم فصحاء علماء وهذا غاية لجميع ما قبله اي لقوة ه
فصاحته قد لا يفهموا كلامه لما فيه من المعاني البديعة التي لم يسمعوا بها او لما يليها
من تكلم بجميع الالسنة لان السامع قد لا يعرف لغة غيره **يسالونه في غير موطن** اي في مواطن

كثيرة

كثيرة **عن شرح كلامه وتفسير قوله** لانه لما ارسله الله لجميع الناس علمه جميع اللغات
قال تع وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه وهو مرسل للجميع **من تامل حديثه وسيره** وروي
سبره بسين مفتوحة وباء موحدة كما ذكره البرهان اي تتبعه وتفتيشه واصله سبر الجرح اذا رأى
غوره **علم ذلك وتحققه وليس كلامه مع قريش والانصار واهل الحجاز ونجد** قريش قوم
من ولد النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر سموا بذلك لتقرشهم اي لجمعهم بعدما
كانوا متفرقين في غير الحرم فجمعهم قصي او لانهم كانوا يتقرشون البياعات والامتعة اي يجمعونها
او سموا بالقرش وهو دابة بحرية تخافها دوابه • والانصار جمع ناصر او نصير سموا بذلك في الاسلام
لنصرتهم لرسول الله وهم الاوس والخزرج قبيلتان سموا باسم جدهم كتميم والحجاز مكة والمدينة
والطائف وما يليها سمي به لانه حجز بين تهامة ونجد او بين نجد والسراة او احتجزت بحرار
خمس معروفة ونجد بفتح وسكون ما ارتفع من الارض ويقابله تهامة وهي اعمال اليمامة كما بين في
معجم البلدان وغيره **ككلامه مع ذي المشعار الهمداني** بسكون الميم ودال مهملة يليها الف
ونون وياء نسبة همدان وهي قبيلة عظيمة باليمن واما همذان بهاء وميم مفتوحتين وذال
معجمة فبلدة بخراسان بناها همذان بن الفلوج بن سام بن نوح والمعروف بين العجم اهمال داله
فكان هذا تعريب له وذو المشعار بميم مكسورة ثم شين معجمة ساكنة وقال التلمساني انه بسين
مهملة ومهملة وعين معجمة ومهملة واقتصر في القاموس على الثاني وراء مهملة وفي الروض
الانف انه ابو ثور مالك بن نمط وهو من بني خارف او من يام وكلاهما من همدان وهو صحابي
وفد على النبي صلى الله عليه وسلم بعد مرجعه من تبوك وخارف بخاء معجمة وراء مهملة وفاء
ويام بمثناة تحتية ويقال ايام بهمزة وهو الذي ذكره المصنف وهو همداني خارفي او يامي
ووهم ابن اسحق في قوله في سيرته مالك بن نمط وابو ثور ولك ان تقول انه من عطف الكنية
على الاسم ولا بعد فيه والذي صححه الصغاني في كتاب الذيل والصلة ان المشعار بعين مهملة
وانه بما قبله والمشعار لان المشعار موضع باليمن ينسب اليه وسياتي ما قاله للنبي لما قدم ه
وطهفة النهدي بكسر الطاء المهملة وسكون الهاء والفاء تليها هاء تانيث وهو ابن زهير
ويقال ابن ابي زهير وسماه الذهبي في تجريده طهية بالمثناة التحتية وقال ابن الجوزي طخفة
بالخاء المعجمة وقيل طغية بالغين المعجمة وقيل طقفة بقاف وفاء وقيل قيس بن طخفة وقيل اسمه
نغيش واسم ابيه ابوذر وقال التلمساني انه في بعض الشروح بطاء مثلثة مفتوحة ويقال
بكسرها والنهدي بالنون والدال المهملة منسوب لنهد وهو اسم قبيلة باليمن وهو خطيبها ووافدها
للنبي صلى الله عليه وسلم في سنة تسع لما قدمت عليه وفود العرب ولما قدم قام وقال •
اتيناك يا رسول الله من غوري تهامة • باكوار الميس • ترمي بنا العيس • نستحلب الصبير •
ونستجلب الخبير • ونستعضد البرير • ونستخيل الرهام • ونستحيل الجهام • من ارض غائلة
النطاء • غليظة الموطاء • قد نشف المدهن • ويبس الجعثن • وسقط الاملوج • ومات العسلوج
وهلك الهدي • ومات الودي • برئنا يا رسول الله من الوثن والعنن • وما يحدث الزمن لنا دعوة
السلم • وشريعة الاسلام • ما طما البحر وقام تعار • ولنا نعم اغفال • ما تبض ببلال • ووقير
كثير الرسل • قليل الرسل • اصابتنا سنية حمراء مؤزلة • ليس لها علل ولا نهل • فقال رسول الله
بارك الله لهم في محضها ومخضها ومذقها • وابعث راعيها في الدثر • بيانع الثمر • وافجر له الثمد •
وبارك له في المال والولد • الى كلمات اخر • وهذا ما اشار اليه المصنف **وقطن بن حارثة العليمي**

قطن بفتح القاف والطا المهملة ونون والعليمي بعين مهملة مصغر وحارثة بحا وراء مهملتين
ومثلثة وهو منسوب لبني عليم بن جناب بن كلب فهو كلبي وقيل عليم بن جناب هبل من بني عذرة
من قبايل كلب ايضا وهو صحابي قدم على النبي صلى الله عليه وسلم وسلموا فدا القومه فكتب له كتابا بعد
ما كلمه بكلام فصيح غريب وصورة الكتاب هذا ما كتبه محمد رسول الله لعماير كلب واحلافها
ومن ظاره الاسلام من غيرهم مع قطن بن حارثة العليمي باقام الصلاة لوقتها وايتاء الزكاة
بحقها في شدة عقدها ووفاء عهدها بمحضر من المسلمين سعد بن عبادة وعبد الله بن انيس ودحية
بن خليفة الكلبي عليهم في الهمولة الراعية البساط الظفار في كل خمسين ناقة غير فارض عورا
والهمولة المايلة لاغية وفي الشوي الوري مسنة حامل او حايل وفيما سقى الجدول من
العين المعين العشر من ثمرها وما اخرجت ارضها وفي العذي شطره بقيمة الامين لا تزاد عليهم
ولا يفرق شهد الله ورسوله وكتب ثابت بن قيس بن شماس والاشعث بن قيس بن معدي كرب
ابو محمد وهو من ولد آكل المرار الكندي الشريف الصحابي توفي بالكوفة بعد موت علي باربعين
ليلة وصلى عليه الحسن وكان شريفا مطاعا في قومه وفد على النبي صلى الله عليه وسلم سنة عشر
في ستين راكبا فاسلموا ورجعوا الى اليمن قال في الاستيعاب ثم ارتد بعد وفاة النبي صلى
الله عليه وسلم ثم رجع الى الاسلام بعد ما اتى به ابو بكر اسيرا فجعل يعدد عليه افعاله وهو
في الحديد حتى تم مقالته فقال له الاشعث استبقني وزوجني اختك فراى ابو بكر انه
الراي ففعل وزوجه اخته ام فروه وروي انه لما خرج من عنده استل سيفه فلم يلق ذات
اربع من الانعام الا عقرها فقيل لابي بكر انه قد ارتد ثانية فقال انظروا في شانه فقالوا والناس
اجتمعوا عليه وهو يقول يا قوم هذه وليمتي ولو كنت بارضي اولمت كما يولم مثلي فاغدوا علي
وخذوا اثمان ما عقرت لكم وفي ذلك يقول ابن قيس الخزرجي ۝

لقد اولم الكندي يوم ملاكه • وليمة حمال لثقل الجرايم •
فقل للفتى الكندي اذا ما لقيته • ذهبت باسنى مجد اولاد آدم •

ولقب بالاشعث لانه كان راسه اشعث دايما • وقد اخرج للاشعث اصحاب السنة واحمد في
مسنده وصرحوا بانه صحابي بناء على ان الردة لا تبطل الصحبة اذا رجع للاسلام قبل موته
وهو الاصح وبه صرح الشافعي في الام ونقل عن ابي حنيفة وقيل انها تحبطها مطلقا ولم يذكر
المصنف كلام النبي معه ولا كلامه حين وفد عليه وهو كما في تاريخ ابن عساكر ونقله الذهبي ومن
خطه نقلت عن هشام بن الكلبي ان الاشعث وفد على النبي صلى الله عليه وسلم في سبعين رجلا
من كندة فقال له هل لك من ولد فقال غلام ولد مخرجي اليك ولوددت ان لي به شبع القوم مكانه
وروي لوددت ان لكم به قصعة من خبز ولحم فقال له رسول الله لا تقولن ذا فان فيهم اجرا اذا
قبضوا وانهم لمجبنة ومحزنة وانهم لثمرة القلوب وقرة العين انتهى وهو من بليغ الكلام ومن
الحديث اخذ ابن الضبارية قوله في الصادح والباغم لا خير في الاولاد والاهل والسفاد ۝
وليس فيهم فايده • الا ظنون فاسده • مجبنة ومبخلة محزنة ومفتنة • او لاهم ما دلاه ذو ادب
وقلا **ووايل بن حجر الكندي** نسبة لكندة بكسر الكاف وسكون النون ودال مهملة وهاء
وحجر بضم الحا المهملة وسكون الجيم وراء مهملة ووايل بواو والف يليها همزة لا ياء مثناة
كما في حواشي التلمساني ويقال له ابو هنيدة ويقال له ابو هند بن هانئ بن ربيعة بن نمر الحضرمي
كما قاله ابن عبد البر وفي شرح التجاني انه ابن حجر ابن ربيعة بن وايل ابن نمر الحضرمي وما في الشفا

من انه وايل بن حجر الكندي غلط بغير شبهة والصواب ما تقدم ولعل الكندي كان وصفا للاشعث
بن قيس مقدما على قوله وايل بن حجر فاخره الناسخ سهوا وجعله وصفا لوايل وفيه خلاف ذكره ابن
الجوزي في كتاب الجمان فقال وايل بن حجر بن سعد بن مسروق ابو هنيدة الحضرمي او ابو هند الكندي
الصحابي ووافقه ابن عساكر فقال وايل بن حجر بن سعد بن مسروق بن وايل بن صمعج فيمكن ان
يكون كنديا عند المصنف فليس وصفه به غلطا فيكون كنديا حضرميا وهو قيل من اقيال حضرموت
وابوه ملك من ملوكهم فدعوى انه غلط غلط قال في العباب كندة ابو حي من اليمن وهو لقب له
واسمه ثور بن عفير بن عدي ولقب به لانه كند نعمة ابيه وغوه باخواله فقال له ابوه كندة
ولما وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم بشر به قبل قدومه بثلاثة ايام وقال ياتيكم وايل بن حجر
من ارض بعيدة من حضرموت راغبا في الله ورسوله طايعا وهو بقية من ابناء الملوك فلما دخل
عليه رحب به رسول الله وادناه منه وبسط له رداءه واجلسه عليه وقال اللهم بارك في وايل
بن حجر وولده وولد ولده وفي التهذيب للازهري عن وايل بن حجر انه قال كتب لي رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا جلب ولا جنب ولا شغار ولا وراط ومن اجبى فقد اربى وفسر من اجبى بمن عين
وهو حسن وعن ابي عبيدة الاجبا الحرث قبل ان يبدو اصلاحه انتهى وله قصة مع معاوية
لما ارسله النبي معه وتوفي في زمن معاوية سنة تسع واربعين في ذي الحجة **وغيرهم** اي غير
من ذكر من العرب **من اقيال حضرموت وملوك اليمن** الاقيال جمع قيل بفتح القاف واسكان المثناة
التحتية واللام وهو الملك من ملوك حمير واليمن وقيل الملك مطلقا وقيل من دون الملك الاعظم
كالوزير وفي النهاية الاثيرية انه صلى الله عليه وسلم كتب لوايل بن حجر الى الاقوال العباهلة
وفي رواية الى الاقيال فقيل انه من القيالة وهي الامارة وقيل من القول لنفوذ قوله وامره فاصله
على هذا قيل بتشديد اليا على اعلال ميت ولولا ام لم يكن لقلب الواو ياء وجه والاقوال على الاصل
والاقيال على لفظ قيل كما قيل ريح وارياح والقياس ارواح لكنه لم يرجع لاصله فرقا بينه وبين
جمع روح والعباهلة هم الذين قد ملكهم وبقي متروكا على ما كان عليه من عبهلت الابل اذا تركتها
ترعى متى شاءت واحده عبهل فالتاء لتاكيد الجمعية كقشعم وقشاعمة او جمع عبهول واصله
عباهيل فحذفت اليا وعوض عنها التا كما في فرازنة وفرازين وفي الشاذ الباهلة
بالباء الموحدة هم الذين لا يد عليهم لاحد وبالمثناة التحتية الشبان وكلاهما مدح قال التلمساني
وحضرموت بفتح الحا المهملة واسكان الضاد المعجمة وفتح الميم وقال صاحب المطالع انه بضم الميم
وجعله بعضهم وجها جايزا فيه وهو علم مركب تركيبا مزجيا غير مختوم بويه وفي مثله ثلاثة
اوجه فتح رايه واعرابه اعراب ما لا ينصرف للعلمية والتركيب واجراء الاول على حسب
العوامل واضافته للثاني وبناؤهما بناء خمسة عشر وقال النووي في تهذيبه حضرموت اسم
بلدة باليمن واسم قبيلة واليمن الاقليم المعروف وينسب اليه يمني ويمان بالتخفيف وبالتشديد
وهو شاذ وسمي به لانه عن يمين الكعبة ويجمع يمن على يمنين ويمانون بالتشديد **وانظر**
اي اعرف وقف عليه باي طريق كان من استعمال المقيد في المطلق **في كتابه** اي كتاب النبي
الذي كتبه **الى همدان** بسكون الميم والدال المهملة كتبه لما وفد عليه ذو المشعار الهمداني
فهذا رجوع الى بيان كلامه مع غير اهل الحجاز وتقدم ان همدان قبيلة من بطون خارف
ويام بالتحتية ويقال ايام وكذا نسب اليه اهل الحرث ايامي وقال ابن دريد ان همدان اسم
لابي القبيلة وقيل اسمه اوسله وانه اخبرها بمحمد فقال لهم دان فلقب به وليس هذا مما يلتفت

البلد انتهى كلامه في الجمهرة ولم يذكر فيه مادة مفرد بالاعجان لانه غير عربي عنده وتقدم
الكلام عليه وقصة الكتاب ان ذا المشعار قال لرسول الله لما لاقاه بتبوك يا رسول الله
نصية من همدان من كل حاضر وباد اتوك على قلوص نواج متصلة بحبائل الاسلام لا تاخذهم
في الله لومة لائم من مخلاف خارف ويام وشاكر اهل السود والنود اجابوا دعوة الرسول
وفارقوا المصية الانصاب عندهم لا ينقض ما اقام لعلع وما جرى اليعفور بصلع فكتب
لهم رسول الله كتابا فيه بسم الله الرحمن الرحيم كتاب من رسول الله لمخلاف خارف واهل جناب
الهضب وحقاف الرمل وافدها ذي المشعار ولمالك ابن نمط ومن اسلم من قومه على ان لهم
فراعها ووهاطها ما اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ياكلون علافها ويرعون عافها لهم بذلك
عهد الله ورسوله وشاهدهم المهاجرون والانصار وروي هذا كتاب من محمد رسول الله لمخلاف
خارف ويام عهدهم لا ينقض عن سنة ما حل واهل جناب الهضب وحقاف الرمل مع وافدها ذي
المشعار مالك بن نمط ومن اسلم من قومه على ان لهم فراعها ووهاطها وعزازها ما اقاموا الصلاة
واتوا الزكاة ياكلون علافها ويرعون عافها لنا من دفئهم وصرامهم ما سلموا بالميثاق والامانة
ولهم من الصدقة الثلب والناب والفصيل والفارض والداجن والكبش الحوري وعليهم فيها
الصالغ والقارح فقال في ذلك مالك

ذكرت رسول الله في فحمة الدجا • ونحن باعلى رحرحان وصلدد
وهن بنا خوص طلايح تغتلي • بركبانها في لاحب متمدد
حلفت برب الراقصات الى منى • صوادر بالركبان من هضب قردد
بان رسول الله فينا مصدق • رسول اتى من عند ذي العرش مهتدي
فما حملت من ناقة فوق رحلها • اشد على اعدائه من محمد
واعطى اذا ما طالب العرف جاءه • وامضى بحد المشرفي المهند

والى بعض من هذا اشار بقوله **ان لكم فراعها** بالفا المكسورة وراء وعين مهملتين بينهما الف
وهي ما ارتفع من الارض من مرتفعات البقاع او اعالي الجبال جمع فرعة بفتح فسكون يعني انه
اقطعهم ذلك **ووهاطها** بكسر الواو والها والطا المهملة جمع وهطة كجرعة وهي الوهدة
وما سفل وانخفض والضمير للارض المخصوصة والوهاط والوهاد بمعنى ويحتمل ان احدهما
مبدل من الاخر **وعزازها** بفتح العين المهملة وزاءين معجمتين مخففتين وهو ما اشتد وصلب
من الارض مما لا ملك لاحد عليه فيوطا ويعرس فيصير رخوا ومنه العز لصلابة جانبه **تاكلون
علافها** بكسر العين المهملة واللام والفا قال في النهاية جمع علف وهو ما تاكله الماشية مثل
حمل واحمال وفي قوله مثل حمل الطف لا يخفى الا انه اذا كان علف الماشية فقوله تاكلون بالخطاب
لهولاء القوم غير مناسب هنا الا ان يتجوز بان يقدر تاكله دوابكم او ~~تعلمون~~ او يجعل تاكلون بمعنى
تملكون ولعل العلاف معنى غير هذا في لغة اهل اليمن والشراح لم ينبهوا على هذا **وترعون
عفافها** بفتح العين والفا والمد وفسروه بما ليس لاحد فيه ملك ولا اثر من عفا الشي اذا اندرس
او من عفا يعفو اذا خلص وصفا ومنه الحديث اقطعهم ما كان عفا وقوله خذ العفو وامر بالعرف
وقال التجاني روي عفا بكسر العين جمع عفو كحبل وحبال وهو بمعنى الاول وفي قوله ترعون
ايضا ما مر وجوابه لان الرعي مخصوص باكل البهايم ولذا لما قال بعض الجهلة لبعض الادبا
انت عندي كالاب بتشديد البا قال له فلذا تاكلني قال الدماميني في كتاب نزول الغيث لو قال

فلذا ترعاني كان الطف لما فيه من التورية لاحتمال ان يكون من الرعي او الرعاية كما في الاب من احتمال
معنى الوالد على العدة فيه ومعنى التبن لانه عنى انه لجهله كالانعام **لنا دفئهم وصرامهم** الدف
بكسر الدال المهملة وسكون الفا والهمزة فسروه هنا بالابل والغنم سميت بذلك لانها يتخذ من اصوافها
واوبارها اثاث يتدفا به ويجعل منها البيوت من الشعر ليتدفا بها وقال لكم فيها دفء ومنافع
اي ما يتدفا به من الصوف والوبر وهو في الحديث بمعنى الانعام التي يوخذ منها ذلك **والصرام**
بكسر الصاد المهملة جمع صرمة بكسر فسكون وهي القطعة من النخل ويجوز فتح الصاد لانه يقال
صرمت النخل صراما وما قيل من انه لا يجوز ان يكون جمع صرمة كما توهم لانها القطعة من الابل من
الثلاثين والقطعة من السحاب ولا يصح ساقط الوجهين **ما سلموا بالميثاق والامانة** ما موصولة
مبتدا خبرها مقدم المراد العهد الذي اخذ عليهم والاسلام والمراد بما سلموا بتشديد اللام ما
يعطوه من الزكاة المفروضة والامانة اي كونهم مامونين على اموالهم لان رب المال في الزكاة
يصدق بقوله وقال التلمساني اراد بها الطاعة والغنا والعبادة وهو بعيد اي لا يوخذ شي
قهرا بل عن طيب نفس وغنى من غير تجاوز عما حده الله ولم يبين لمن يسلمون فيجوز انهم يسلمونه
بانفسهم او للسعاة فلا يتكلف له ويقال ان المراد الاول لان النبي علم منهم الرغبة في رضى الله
ورسوله وانهم يؤدون ما يجب عليهم بلا سعاة وانما يجب بعث السعاة اذا لم يتيسر وصول الصدقة
بدونهم **ولهم من الصدقة الثلب** المراد من الصدقة الزكاة والثلب بمثلثة مكسورة ولام ساكنة
وموحدة معناه الجمل المسن الهرم الذي سقطت اسنانه والانثى ثلبة فهو مخصوص بالذكر كما
قاله الهروي **والناب** مثل الثلب معنى الا انه مخصوص بالنوق الاناث لا يقال للجمل ناب
وان اسن وانما سميت نابا لانها اذا هرمت طال نابها **والفصيل** ولد الناقة الصغير الذي
فصل عن رضاع امه والفصيلة انثاه والجمع فصال وفصلان وقيل هو من اولاد البقر المعروف
في اللغة الاول **والفارض والداجن** الفارض البقرة الهرمة المسنة قال تعالى لا فارض ولا بكر
وقال الراغب الفارض المسن من البقر قيل سمي به لكونه فارضا للارض اي قاطعا او فارضا لما
يحمل من الاعمال الشاقة من الفرض وهو القطع وقيل لان فريضة البقر تبيع ومسنة فالتبيع
يجوز في حال دون حال والمسنة يجوز بذلها في كل حال فسميت المسنة فارضا فعلى هذا
يكون اسما اسلاميا انتهى والداجن الشاة التي تكون في البيت لا ترسل للمرعى وكذا الداجن بالدال
كما في الصحاح وعلى هذا فالداجن غير الفارض فينبغي عطفها كغيرها وهو في النسخ بغير عطف
اللهم الا ان يقال ما ذكرناه الحقيقي وهي هنا صفة مجردة عن كونها شاة جعلت وصفا للفارض
قلت ضمير لهم لاصحاب المال ومن يوخذ منهم الصدقة والمعنى ان ما ذكر يترك لهم ولا يوخذ
منهم لمقابلته بقوله لنا والذي يوخذ في الصدقة من وسط مالهم لا اعلاه ولا ادناه كالصغير جدا
والمسن الهرم فالفارض لما كان بمعنى المسن الذي يوخذ في الصدقة والمراد خلافه هنا
وصفه بقوله الداجن بمعنى الذي يربض حول المنازل من شدة الهرم فلا يسرح للمرعى ولا يصلح
للعمل والحمل هذا هو المراد من غير حاجة لتكلف ودعوى تجريد وقيل الفارض المسن من الابل
وفي بعض النسخ والداجن بالعطف ومعناها شاة صغيرة ترتبى في البيت كما وقع في حديث
الافك **والكبش الحوري** الكبش الذكر الكبير من الغنم يقودها غالبا ولذا اطلق على
الرئيس في المدح بخلاف التيس والحوري اختلفوا فيه فقيل انه بحاء مهملة وواو مفتوحتين
وراء مهملة تليها ياء نسبة وفي النهاية الاثيرية انه منسوب الى الحورة وهي جلود تتخذ من

الضان وقيل هو ما دبغ من الجلود بغير القرظ وهو احد ما جاء على اصله ولم يعل اعلال باب
انتهى • وقال ابن رسلان الحوري بفتح الحا وسكون الواو نسبة للحور وهي الجلود المذكورة
والذي في الصحاح ان الحورة جمع الحور بفتح الواو وفيهما واقتصر ارباب الحواشي كالشمني
والحلبي والقسطلاني على ما في النهاية ونقل عن الكاشغري في كتابه مجمع الغرائب ان الحوري
المكوي نسبة الى الحور وهي كبة مدورة يقال حوره اذا كواه وانه على هذا بسكون الواو ولان الحورا
بالمد والقصر الكية ساكنة الواو وقال العجاني الحوري بفتح الواو ضرب من الكباش حمر الجلود
وروي الحواري بزيادة الف ومعناه الابيض لا الاحمر ولذا قيل الحواريين لانصار عيسى
لانهم قصارين يبيضون الثياب ولذا فسر بعض ارباب الحواشي الحوري بغير الف بالابيض
الجيد لما ذكرنا ولان موضع الكية يبيض • اقول الحاصل ان في لفظ الحديث وكلام المصنف
ثلاثة اوجه اشهرها الحوري بفتح الواو والثاني الحوري بسكونها الثالث الحواري بالف
بعد الواو وكلها بمعنى والمراد الكبير من الغنم وهو لا يوخذ في الصدقة انفسها ولانه مما
يحتاج اليه في الضراب فلا يوخذ منه الا اذا اعطاه كما لا يوخذ ما ذكر من الهرم وكل ناقص
كما فسر في كتاب الزكاة وعلى الاول لم ينقل مع تحرك الواو وانفتاح ما قبلها اما على خلاف
القياس كما هو ظاهر كلام النهاية او تبعا لفعله وهو حور كفرح او لئلا يلتبس الواوي باليائي
الذي من مادة الحيرة وقول العجاني انه من الكباش اذ لم ينقله احد من اهل اللغة ففيه نظر لانه
كان ينبغي له ان يقول الكباش التي تتخذ منها الجلود الحمر ولبعضهم هنا كلام طويل بلا طائل
وعليهم فيها الصالغ والقارح الصالغ بصاد مهملة ولام وغين معجمة ويقال سالغ فانه
كل صاد تبدل سينا مع الغين كما فصل في محله وهو من البقر والغنم ما كمل وانتهى سنه في السنة
السادسة وقيل هو من ذوات الاظلاف كلما اكمل ست سنين ودخل في السابعة لان ولد البقرة
في اول سنة عجل • ثم تبيع • ثم جذع ثم ثني • ثم رباع ثم سديس • ثم صالغ وسالغ سنة وسنين
وما وقع هنا في بعض النسخ ضالغ بضاد معجمة وعين مهملة تحريف ونقله عن النهاية وهم
والقارح بقاف وراء وحاء مهملتين بعد الالف وهو الفرس الذي دخل في الخامسة وفي القاموس
القارح من ذي الحافر بمنزلة البازل من الابل وقال العجاني القارح ذوات الحافر ما اكمل خمس
سنين وهو في السنة الاولى حولي بسكون • ثم جذع • ثم ثني • ثم رباع • ثم قارح • وفي هذا
المكتوب زيادة على ما قاله المصنف وروايات اخر منها ما قدمناه ومعنى قوله وعليهم الى اخره
انه اذا وجد عندهم هذا النوع يوخذ منه ما ليس هرما ولا معيبا كما مر وهذا مبني على ان الخيل
تجب فيها الزكاة اذا كانت سائمة وذكورا واناثا لا اصرف ذكورا وان شاء اعطى من كل فرس دينارا
او قومها واعطى زكاتها اذا حال الحول وتم النصاب والشافعي يحمله على ما كان معدا للتجارة
وادلتها مبسوطة في كتب الفقه **وقوله لنهد** لنهد قبيلة من اليمن تقدم الكلام عليها وهذا اشارة
لما قاله لطهفة النهدي السابق ذكره فاللام صلة القول بتنزيل قوله لبعضهم منزلة قوله
لكلهم او لتنزيل حاضره منزلة خطابه او هي للتعليل وقيل ان هذا متعين لان هذا ليس مقولا لهم
والمخاطب بهذا الكلام هو الله عز وجل لما سالوه ان يستسقي لهم فدعا لهم وقال **اللهم** اي يا الله
بارك لهم اي اجعل البركة وزيادة الرزق ونباته مقسوما وفاضلا لهم قال الامام الراغب اصل
البرك صدر البعير وان استعمل في غيره وبرك البعير القى بركه واعتبر فيه معنى اللزوم ومنه
بروكات الحرب لمكان يلزمه الابطال والبركة لمجلس الماء والبركة ثبوت الخير الالهي في الشيء

قال تعالى

قال تعالى لفتحنا عليهم بركات من السما لثبوت خيرها ثبوت الماء في البركة والمبارك ما فيه
ذلك الخير ولما كان الخير الالهي يصدر من حيث لا يحس على وجه لا يحصى ولا يحصر قيل لكل
ما يشاهد منه زيادة غير محسوسة مبارك وفيه بركة والى هذه الزيادة اشير بما روي لا
ينقص مال من صدقة لا الى النقصان المحسوس كما قال بعض الخاسرين حيث قيل له ذلك بيني
وبينك الميزان وقوله تبارك وتعالى تبارك الذي جعل في السما بروجا تنبيه على ما يفيض
علينا بواسطة هذه البروج والنيران المذكورة في هذه الاية وكل موضع ذكر فيه تبارك فهو
تنبيه على اختصاصه تعالى بالخيرات المذكورة مع ذكر تبارك انتهى • وهو تحقيق لا مزيد عليه ومنه
اخذ صاحب الكشف ما قاله في اول سورة الملك وقد تقدم ان طهفة وفد من قومه على النبي
صلى الله عليه وسلم وهم في قحط شديد اصابهم فشكا له ما مسهم في كلام ذكرناه اولا فدعا
لهم وقال اللهم بارك لهم **في محضها ومخضها** متعلق ببارك والمحض بفتح الميم وسكون الحاء
المهملة والضاد والمخض مثله الا ان خاءه معجمة ومعنى الاول الخالص ومادته كلها تدل على
الخلوص والصفا ومنه محض الايمان في الحديث ومحضت له الود وعربي محض ونحوه والمخض
اصله تحريك السقا الذي فيه اللبن حتى تتبين زبدته فيوخذ منه ويسمى اللبن الذي اخذ زبده
مخيضا وهو صفة لا مصدر ميمي كما توهم **ومذقها** بفتح الميم وسكون الذال المعجمة والقاف
واصل معناه الخلط والمزج ثم استعمل في اللبن المخلوط بالماء قال •
جاؤا بمذق هل رايت الذئب قط • والضمير راجع لارضهم او لانعامهم المذكورة
في كلام طهفة السابق الذي شكا محل بلادهم فدعا لهم صلى الله عليه وسلم بان يبارك الله لهم
في البانهم باقسامها ما كان خالصا زبده لم يتميز وما تميز منه زبده وما مزج بالماء ومجموعه
كناية عن خصب ارضهم وسعتها فان الالبان انما تكثر بنبات المرعى وهو انما يكون بالمطر
فكانه قال اللهم اسق بلادهم واجعلها مخصبة ملبنة كما يدل عليه قوله **وابعث راعيها
في الدثر** ابعث بمعنى ارسل يقال بعث الله رسوله للناس اي ارسله والراعي الذي يرعى
الابل وغيرها والدثر بفتح الدال المهملة وسكون المثلثة والراء المهملة وهو الابل الكثيرة
ويقع على الواحد فما فوقه ويجوز فتح ثائه وقيل الدثر والخصب وكثرة النبات لانه من الدثار
وهو الغطا لانه يغطي وجه الارض **وافجر له الثمد** افجر بضم الجيم من فجر يفجر كنصر ينصر
من تفجر الما وهو جعله جاريا متسعا والثمد بفتح المثلثة وفتح الميم وقد يجوز تسكينها واخره
دال مهملة وهو الما القليل والفجر هنا مجاز عن معنى التكثير للزومه له غالبا فالمراد اكثر ما
قل من مائه وضميره للراعي واذا اكثر له كثر لغيره **وبارك لهم في المال والولد** معطوف
على ما قبله او على بارك الاول كما يتحول ويعلك وهو في كلام العرب في الاكثر يختص بالابل ويكون
ارادة كل منهما هنا **من اقام الصلاة كان مسلما** اي مسلما كاملا كقوله المسلم من سلم الناس
من يده ولسانه او المراد انه يحكم باسلامه بحسب الظاهر والمراد الحث على اقامة الصلاة المداومة
والمحافظة عليها كما حقق في الكشاف وشروحه وقيل انه على ظاهره لان من تركها مستحلا لتركها
او لان تاركها كافر في احد قولي احمد وهو في حكم الكافر لانه يقتل كما سياتي بيانه **ومن اتى الزكاة**
بمد اتى اي اعطاها واداها **كان محسنا** اي منعما متفضلا على الفقراء اي اتيا بامر حسن مطلوب
في الدين **ومن شهد ان لا اله الا الله كان مخلصا** اي من اتى بكلمة التوحيد واعلن بها كان مخلصا
في ايمانه لان الظاهر مطابقة قوله لما في قلبه وهذا من باب حمل حال المومن على الصلاح والمراد

بالاخلاص عدم النفاق وقيل المراد من قال كلمة الشهادة وهي لا اله الا الله محمد رسول الله فهو
كما يقال قرات حم والكتاب المبين اي السورة بتمامها وعليه يحمل نظائره الواردة في الحديث لكم يا بني
نهد ودايع الشرك لكم خبر مقدم للاهتمام لا للحصر العقلي بناء على ما سياتي من تفسيره وجملة الندا
معترضة لبيان المخاطب وودايع الشرك المراد بها كما في النهاية العهود والمواثيق التي كانت بينهم
وبين من جاورهم من الكفار في المهادنة يقال توادع الفريقان اذا اعطي كل واحد الاخر منهم عهدا
ان لا يغزوه ويسمي ذلك العهد ودعا بغيرها فيقال اعطيته ودعا اي عهدا والظاهر ان المراد
عهودهم التي وقعت بينهم بعد الحروب بعدم المواخذة بما قتلوا او تحاربوا وقتل بعضهم بعضا وما
اراقوا من الدما كما في الحديث الاخر كل دم في الجاهلية تحت قدمي هذه اي متروك هدرا وقيل
انهم كانوا التزموا لمهادنة بعض الكفار فغير الاسلام ذلك الحكم فلم يبق عليهم الوفا بما التزموه
لامرهم بغزوهم لمن خالف دينهم فاطلقوا من قيود ما التزموه في الشرك من ذلك ولا يخفى بعده
وتكلفه ثم قال في النهاية ويجوز ان يراد ان ما استودعوه من اموال الكفار الذين لم يسلموا احلا
لهم لانها مال اخذ من الكفار من غير ايجاف خيل وقتال وهو في وهكذا احكم ودايع الكفار فهو
ودنيعة باطها على هذا ولا نبا فيه ان النبي لما هاجر خلف عليا ليرد ما كان عنده من الودايع
والامانات لانه كان قبل حل الغنايم له ولانه فر من نسبته للخيانة وذهاب شهامته وامانته
فيطعنوا في الاسلام ويبعدوا من الايمان ووضايع الملك الوضايع جمع وضيعة بمعني
موضوعة والملك بكسر الميم اي ما كان يوضع على الاملاك من الزكاة والصدقة ثابت لكم كساير
المسلمين يلزمكم ما يلزمهم من الوظايف من غير زيادة ولا نقص والملك بضم الميم والمعني ما كانت
ملوك الجاهلية يوظفونه على الرعايا ويستاثرون به من غنايم الحروب لا يوخذ منكم فهو لكم
فلام لكم على ظاهرها بتقدير التفسيرين الاخيرين للودايع والوضايع وبمعني على كما في قوله
تع وان اساتم فلها على التفسيرين الاولين لهما وقيل عليه ان العهد اذا لزم الوفا به يكون على
المعاهد لانه فرض مطلوب منه وعهود مهادنتهم قبل الاسلام بعد الاسلام لا يجب الوفا بها
والقايل ظن وجوب الوفا بها فحمل اللام على ما حمله وليس كذلك كما مر لان امان الكافر لا يعتد به واما
الوضايع بمعني تكاليف الزكاة فهي وان تعلقت على بعضهم لهم باعتبار الاجر عليها وقد علمت ان هذا
مبني على تفسيره وليس بمتعين كما مر مع ما فيه لا تلطط في الزكاة بضم التاء المثناة وسكون
اللام وكسر الطاء المهملة الاولي وجزم المهملة الثانية بلا الناهية وفي الزكاة متعلق به اي لا
تمنعها قال ابن الاعرابي لط الغريم اذا منع حقه واصله من لطت الناقة فرجها بذنبها اذا
ضمته عليه وقد ارادها الفحل • وفي شعر الاعشي الحرماري في امراته وقد نشزت •

اخلفت الوعد ولطت بالذنب • وهو شر غالب لمن غلب •

ولط الغريم اذا اختفي ولا تلحد في الحياة هو مضبوط بضم المثناة اوله ولام ساكنة
تليها حا مكسورة ودال معجمة مهملة من الحد الحاد اذا جار وعدل عن الحق واصله مطلق
العدول ويقال الحد ولحد قليلا والذي في الشفا وهو الذي رواه العتبي بالفعل وخطاب
الواحد والذي رواه غيره ما لم يكن عهد ولا موعد ولا ثقال في الصلاة ولا تلطط في الزكاة مع
ولا تلحد في الحياة بالاسم المصدر ويشد عين الاخيرين وهو الوجه لانه خطاب للجماعة واقع
على ما قبله كذا في النهاية الاثيرية يعني هذه الرواية بلفظ المصدر من التفاعل والتفعل
هو الوجه الواضح لانه كلام خوطب به جماعة في قوله يا بني نهد وهذا جار على سلوبه لتوجه

الخطاب الواحد من بينهم وان كان ما قبله مشتملا على ضمير الجماعة المخاطبين دونه وقد
جا التلطط بمعني الالطاط المتقدم يقال تلطط والطط والطي بابدال الاخيرة يا للتخفيف
وقال ابن رسلان لا تلطط وتلحد بالنون من باب نهي الانسان نفسه لينتهي غيره قيل والاضح
في رواية العتبي ان الخطاب فيها لمن يلقي الكلام له النبي من بين جميع من خوطبوا ابتدا ونظيره
في افصح الكلام ثم عفونا عنكم من بعد ذلك حيث خوطب من يلقي الكلام بلفظة ذلك ولم يقل
ذلكم وتخصيص واحد من الحاضرين بخطاب النهي للتعريض بالباقين والصوب لهم عن توجه
صيغة اليهم رجا الانقياد للامتثال بالطف وجه ويحتمل ان الخطاب لهم برمتهم اولا ثم توجه
لواحد في المجلس خارج عنهم فنهاه تعريضا بهم او نهاهم نهي غيبة لتنزيلهم منزلة الغايبين
عند توجيهه الي غيرهم ولم يقل لا يلطوا ويلحدوا بلفظ جماعة الذكور الغايبين بل لا تلطط
وتلحد اي هي والضمير لبني نهد وبنو وان كان جمع مذكر سالم ومثله لا يعود له ضمير المونث
ولا يلحقه التا فلا يقال الزيدون قامت ولا قامت الزيدون ولا العمرون تقعد بخلاف
قامت الرجال والرجال تقوم بتاء التانيث الا انه لما غير مفرده عند جمعه اشبه جمع التكسير
فاعطي حكمه فجاز الحاق التا بفعله نحو قامت البنون ومنه قال تع امنت به بنو اسرايل فصار
ذلك داعيا الي جواز البنون قامت وتقوم ونحوه بتاء التانيث وذهب بعض النحاة الي انه جمع
تكسير بدليل جواز الحاق التا قال في ضوء الذبالة هذا مذهب غريب وراي غير مصيب
قلت المخطي مخطي وهذه المسئلة مذكورة في شروح كتاب سيبويه والذي قال انه قول
غريب ارتضاه ابن خروف ولولا خوف الملل فصلناه فقيل عليه ان قياس الضمير على حرف الخطاب
المتصل باسم الاشارة لا وجه له للفرق بينهما وما في الحديث يوجه بانه خاطب القوم ولا بقوله
يا بني نهد وعلم ان فيهم واحدا متبعا للهوي نفسه فخصه من بينهم بالخطاب بما يليق به او
جعله تعريضا لباقيهم ليلا يثقل عليهم المواجهة بالنصيحة ونقل عن ابن الباذش ان الخطاب
المفرد بعد الجمع له تاويلان اما تخصيص واحد من بينهم او تاويله بمفرد لفظا مجموع معني
كالفريق وجوز فيه ان يكون التفاتا واتي بما لا يغني ولا يعني من خروج على عادته في التطويل
الممل من غير فايدة • وانا اقول هذا كله مبني على قاعدة ذكرها النحاة كما في شرح الكافية
للرضي وهي انه لا يكون في كلام واحد خطابان لمخاطبين متغايرين من غير عطف ولا جمع وتثنية
وهذه القاعدة ذكرت في باب الاشارة وقد تتبعت كلامهم فرايتها مقيدة باربع قيود • الاول
ان يكون ذلك في جملة واحدة فلو قلت انت يا زيد تضرب انت يا عمرو تشتم لم يمتنع • الثاني
ان لا يتغايرا فلو كان احدهما عين الاخر جاز نحو اذكر اذ قال ربك كما قدره المفسرون في مثله
وغفل عنه بعضهم فاعترض بما لا محصل له • الثالث ان لا يكون احدهما بعض الاخر نحو اتيتكما
كما ذكره النحاة في افعال القلوب وصرح به المرزوقي في قوله • احدوا فوقها لكم حجول
قال حجول اسم وحل حمل اول الكلام خطابا للجماعة ثم خص بالندا واحدا منهم جعله الماموم
بما اراد كقول الهذلي ۞ • احبي ايا كن يا ليلى الاماديح • فقال اياكن ثم قال يا ليلي
انتهي • الرابع ان يبقي الخطاب على حقيقته كما ذكره الرضي في باب التعجب وقد بسطنا
الكلام على هذه المسالة في كتاب طراز المجالس والمعترض والمجيب خبطا هنا خبط عشوا ۞
فان هذا التركيب صحيح من وجهين لكونه بعضا في جملة اخري فاحفظه فانه من نفايس الذخاير
ثم انه ذكر في اعرابه قوله لا توعد كلاما يقضي منه العجب واجاب عنه تلميذه باعجب واعجب

الاان المصنف كفانا مؤنته لانه لم يذكره فلذا اضربنا عنه صفحا فان اردت فانظره وقوله
في الحياة اي لا تلحدوا ما دمت حيا **ولا تتثاقل عن الصلاة** بجزم الاول والكلام فيه
كالذي قبله اي لا تتوانى وتكسل عن الصلاة وتتركها والتثاقل يجعل كناية كان عليه ثقلا
يمنعه عن الحركة اليها **وكتب لهم في الوظيفة** اي امر النبي صلى الله عليه وسلم ان يكتب كتابا
يبين فيه ما يلزمهم بعد الاسلام والوفا باركانه وضمير لهم لبني نهد وهو متعلق بكتب
والوظيفة بالظا المشالة والفاء بزنة سفينة وهي المعين في كل يوم او في زمان معين من الطعام
وغيره من الرزق ويطلق على العهد والشرط وجمعه وظائف ووظف بضمتين كسفن كما قاله اهل اللغة
والمراد الاخير اي كتب في العهد وما شرط عليهم في الزكاة لهم مما يؤخذ منهم من الوظائف المرتبة
عليهم **الفريضة** اي ما فرض عليهم ففريضة بمعنى مفروضة فان كانت الفريضة بمعنى الهرمة
المسنة كالفارض لعرضها سهام اي قطعها الدا او لانقطاعها عن العمل والانقطاع فهي غير مرادة
هنا لانه روى عليكم في الوظيفة اي في كل نصاب ما فرض فيه وهذه الرواية مفسرة للمراد به
ولان قوله **ولكم الفارض** يابا لما بينهما من التدافع غاية ما فيه اطلاق الوظيفة على
النصاب لانه وظيفة لاصحاب الارزاق مقدرا لهم كوظيفة الارض المعينة التي وضعها عمر
رضي الله تعالى عنه كما ذكر في باب الوظائف فلا يجوز فيه كما توهم والفارض بالفاء كما ضبطه البرهان
الحلبي وقد تقدم تفسيرها ويؤيده ما في الحديث الآخر ولكم الفارض والفريض يعني لا يؤخذ
منكم ولا يكون على لا انضا لانه لا تضح به الزكاة وضبطه التجاني بالعين المهملة بدل الفاء
وقال العارض المريضة التي اصابها كسر وهي لا تقبل في الصدقة وهي باقية لاصحابها
وهي من قبل انه وقع في بعض النسخ وفي الغريبين في بعض نسخه الفارض بالفا وقيل بالعين
التي اصابها كسر ولم يتعرض لمرضها يقال عرضت الناقة اذا اصابها آفة او كسر وبنو فلان
اكالون للعوارض اذا لم ينحروا الا ما اصابه مرض او كسر خوفا ان يموت فلا ينتفعون به
والعرب تعير باكله • قلت كانه سقط عن عبارة التجاني لفظ او او عد الكسر مرضا وفي
الشرح خلط هنا لم نسود به وجه الطرس **والفريش** بفتح الفاء وكسر الراء المهملة والمثناة
التحتية والشين المعجمة الحديثة العهد بالنتاج كالنفسا من النسا وحكى انه ما لا يطيق حمل
الاثقال من الابل لصغره لما حكى انه يقال فرش وفريش بمعنى وان كان المشهور فيه الفرش
كما في الآية ومن الانعام حمولة وفرشا وقيل الفرش ما انبسط على وجه الارض من النبات وهو
تعين هنا يعني ان هذه كلها لا تؤخذ في الزكاة اما على الاول فلانها لبوق نفيسة واما على
الثاني فلخستها **وذو العنان الركوب** بكسر العين ونونان بينهما الف والركوب بفتح الراء
هو المركوب الذلول قال تع فمنها ركوبهم ووصفه بذي العنان في محله يعني لا تؤخذ الزكاة
من الفرس المعد لركوب صاحبه فلا يؤخذ في الزكاة وان قلنا بزكاة الخيل وكذا الصغير
لانه ليس من اوسطها والركوب بالرفع صفة ذي وروى بالجر صفة العنان **والفلو** بفتح
الفا وضم اللام وتشديد الواو وروى الفلو بوزن واو والاول اصح المهر الصغير من الخيل
لا يؤخذ في الزكاة وسمي فلوا لانه تفلى من امه اي تقطع بالفطام عنها قال الجوهري يقال
فلوته اذا فطمته وعن ابي زيد اذا فتحت الفا شددت الواو واذا كسرتها خففت فقلت
فلو كجرو • وفي القاموس انه يقال كجرو • وعدو • وسمو • وقال انه الجحش والمهر • وقيل
صغار ذوات الحافر مطلقا **الضبيس** بفتح الضاد المعجمة ووهم من قال المهملة والموحدة

المكسورة والمثناة التحتية والسين المهملة اي المهر العسر الركوب الصعب وهو من
الرجال كذلك وكانه كنى به عن صغيره ولو عطف كان المراد به الحروف الا انه وقع بلا
عاطف **لا يمنع** بالبنا للمفعول **سرحكم** باهمال السين المفتوحة وسكون الراء المهملة والحاء
المهملة وهي الماشية التي تسرح بالغداة للمرعى والمراد ان مطلق الماشية لا تمنع عن مرعاها
يقال سرحت الماشية تسرح اذا خرجت وفعله يتعدى ولا يتعدى فاذا رجعت قيل اراحت
قال تع حين تريحون وحين تسرحون وهذا كما قال في كتاب اكيدر لا تعدل سارحتكم
وفاردتكم من مرعى الا انه عبر بالسارحة لمشاكلة الفاردة كما عبر هنا بالسرح لمشاكلة قوله
ولا يعضد طلحكم تعضد بمعجمة بين مهملتين بمعنى يقطع يقال عضده عضدا اذا قطعه
والطلح بفتح الطا المهملة وسكون اللام والحاء المهملة شجر عظام يقال له العضاة وام
غيلان وكل شجر عظيم له شوك يقال له عضد والطلح في قوله تع وطلح كفعل هو الطلع
وقيل شجر الموز والمراد لا يقطع لكم شجر طلحا كان او غيره وخصه لانه لا ثمر له ولا ينتفع
به فاذا منع قطعه علم منع قطع غيره بالطريق الاولى **ولا يحبس دركم** بفتح الدال وتشديد
الراء المهملتين واصل معناه اللبن والمراد به هنا الانعام ذوات الدر لا تحبس عن المرعى
في مكان تجتمع فيه ليعدها من ياخذ الصدقة لما فيه من ضرر صاحبها بعدم رعيها ومنع
درها عنه وروى لا يحشر دركم اي لا يجمع في مكان عند المصدق وهما بمعنى لما مر من الضرر
وما قيل من ان ما رواه المصنف لا يختص بالحبس عن المرعى لشموله لحبسها عند صاحبها على وجه
يمنعها عن الرعي وحبسها عند المصدق ليعدها عليه مع مخالفته لكلامهم والسياق لا طائل
تحته وكذا ما قيل ان معناه لا يؤخذ الدر نفسه الا ان منحه وكل هذا مناف للغرض وقد
ورد في صلح اهل نجران لا يحشروا ولا يعشروا ومقصوده صلى الله عليه وسلم الرفق بمن تؤخذ
منهم الزكاة فيوفي لمنازلهم من غير سوق لمواشيهم وحبس لها **ما لم تضمروا الرماق**
تضمروا تخفوا وتكتموا والرماق بكسر الراء المهملة وميم والف وقاف هو النفاق يقال
رامقه رماقا وهو النظر الشزر من العدو والمعنى ما لم تضق قلوبكم عن الحق يقال عيش رماق
اي ضيق يمسك الرمق وهو بقية الروح وآخر النفس كما قال ابن الاثير **وتاكلوا الرباق**
بكسر الراء المهملة والموحدة والقاف قال الشمني جمع ربقة وهي حبل فيه عرى يشد به
البهائم وفي الحديث خلع ربقة الاسلام عن عنقه قال ابن الاثير شبه ما يلزم من العهد
بالرباق واستعار الاكل لنقضه فان البهيمة اذا اكلت الربق خلصت من الشدة وما مصدرية
ظرفية وهو اما قيد لما قبله او لجميع ما تقدم والمعنى ان هذا امر مقرر عليكم منا ما لم تنقضوا
العهد وترجعوا عن الاسلام فاذا كان ذلك فعليهم ما على غيرهم من الكفرة وهذا معنى
لا غبار عليه والترتيب في محزه لان المعنى ما لم يضمروا النفاق ثم يظهروا نقض العهد
وقريب منه تفسيره بالغدر والنكث والخيانة فانها اذا اضمرت كانت نفاقا واما تفسير
اضمار الرماق باخفاء فطيم من الغنم يعني عن المصدق فانه خيانة تقتضي تضييق المصدق
بحشر انعامهم درهم وحبسها وبني على هذا المتعلق بقوله لا يحبس دركم وهذا معنى صحيح موافق
للغة لان الرمق الفطيم من الغنم فارسي معرب كما قاله الجوهري الا ان المشهور المأثور في
تفسير الحديث ما تقدم فاعتراض البرهان عليه بانه لم ينظره في غير الصحاح واخشى
ان لا يكون احد قاله قبله مما لا يليق ذكره وكذا القول بان النفاق اضمار الغدر مع اظهار

خلاف فتفسيره غير مستقيم فليس بشيء وكذا تفسير الرباق بالموحدة بالعنق مجازا لعلاقة المجاورة فكله بعيد بمراحل عن المرام وفي الكلام استعارة تمثيلية او تصريحية والمراد بالعهد التزام اوامر الله ورسوله ونواهيه وفي الشرح الجديد قال البرهان عن المعلق اذ الرباق مجاز عن العنق ولا ادري من هذا المعلق وعلى هذا التقدير معناه ما لم ياكلوا العنق ولا معنى لهذه الظرفية ح حينئذ اذ يؤول الى دوان كانكم انكم تاكلوا العنق ومثله سمج لا يليق بحديث الرسول المسوق لبيان فصاحته وفي الحواشي التلمسانية تضمروا الاماق بهمزة مكسورة وميم ساكنة وهمزة ممدودة تليها قاف بزنة الاكرام ومعناها الغدر والبغض يقال اماق يموق رباعيا وقد تخفف همزته هكذا ثبت عند العرفي وفي بعض نسخ الشفا الرماق انتهى وارباب الحواشي متفقون على الرواية الثانية **من اقر فله الوفا بالعهد والذمة** الخ في العهد للعهد فالمراد ما عرف من عهود الاسلام او ما عاهدهم الله ورسوله فيما كتبه لهم والذمة قال البرهان الحلبي بمعنى العهد والامان والضمان والحرمة والحق والمراد الاولان وسميت الذمة ذمة لان تركها يوجب الذم ثم سمي محل الالتزام بها في قول الفقهاء ثبت في ذمته كذا ومن الفقهاء من قال انها معنى يصير به الادمي على الخصوص اهلا لوجوب الحقوق له وعليه كما قاله تاج الشريعة في شرح الهداية قال القرافي في قواعده لم يعرف اكثر الفقهاء معناها المستعملة فيه وحقيقتها حتى ظنوا انها اهلية المعاملة او صحة التصرف وليس كذلك لان كلا منهما يوجد بدون الاخر وهي عبارة عن معنى مقدر في المكلف قابل للالتزام واللزوم مسبب عن اشيا خاصة في الشرع وهي البلوغ والرشد وعدم الحجر وهي من خطاب الوضع انتهى وسمي اهل الذمة بذلك لدخولهم في عهد المسلمين وامانهم والمراد ان من اعترف وصدق بما جاء به الرسول فله الوفا بالعهد والذمة **ومن ابى** اي امتنع من قبول العهد او نقضه بعد قبوله ودخوله فيه من منع الزكاة ح **فعليه الربوة** والربوة بتثليث الراء المهملة وسكون البا الموحدة والواو اهلكا في القاموس فالاقتصار على بعضها تقصير وهي الزيادة ومنه الربا لاخذ زيادة على ما اعطاه وفسرت الربوة بان يوخذ منه زيادة على فريضة الزكاة عقوبة له وروي من اقر بالجزية فعليه الربوة اي من امتنع عن الاسلام لاجل الزكاة كان عليه من الجزية اكثر مما يجب عليه بالزكاة قاله ابن الاثير وقال التجاني عن النبي صلى الله عليه وسلم ان من ابى من اداء الزكاة اخذ منه الفرض وزيد عليه مثله كما في حديث ابي هريرة والصحيح ان رسول الله ندب الناس الى الصدقة فقيل له منعها خالد بن الوليد وفلان وفلان فقال اما خالد فالناس يظلمونه لانه احتبس ادراعه واعتده في سبيل الله واما فلان فلم ينقم منا الا ان كان فقيرا فاغناه الله ورسوله واما فلان فانها عليه ومثلها معها وروي فانها عليه صدقة ومثلها معها وهي رواية البخاري اي عليه صدقة واجبة توخذ منه وليس معناه انه يعطاها ويعطي مثلها معها لان المذكور من اهل البيت لا تحل له الصدقة وذهب ابو عبيد في هذا الحديث الى ان رسول الله انما الزمه اياها ومثلها معها لانه كان قد اخر عنه صدقة العام الماضي ومثله جائز للامام اذا علم حاجته وفقره لكن ظاهر الحديث يخالفه لانه في معرض العقوبة والجزا فلو كان كذلك لم يكن فيه ردع له انتهى وفي رواية البخاري احتمال انها كانت قبل تحريم الصدقة على اهل البيت كما في بعض شروح مسلم واعلم انه لم ينقل الحديث على وجه فانه هكذا في الصحيح عن ابي هريرة بعث رسول الله عمر على الصدقة فقيل منع ابن جميل وخالد بن الوليد والعباس فقال عليه السلام

ما ينقم ابن جميل الا ان كان فقيرا فاغناه الله واما خالد فانكم تظلمونه وقد احتبس ادراعه في سبيل الله واما العباس فهو علي ومثلها اما شعرت ان عم الرجل صنو ابيه وفي رواية البخاري فهي عليه صدقة ومثلها معها وفي رواية لم يقل صدقة ففيه ثلاث روايات ومعنى الاولى انه التزم باخراج ذلك عنه وبين سببه بقوله عم الرجل الخ تشريفا له ويحتمل ان يكون انه تحملها عنه لتعلق الزكاة بالذمة وجمع ابن الجوزي بين رواية علي وعليه فانهما بمعنى وزيد في الثالثة ها السكت في علي وقيل معنى علي انها عندي لاني اخذت منه صدقة عامين وقد ورد مصرحا به في رواية اخرى بناء على جواز تعجيل الزكاة وفي الحديث وجوه اخر في شرح الصحيحين لا حاجة لبيانها هنا ومن هذا علمت ما في قوله ان الحديث يخالفه لانه ورد في معرض العقوبة فانه لا زجر فيه الا لابن جميل لا للمقول في حقه فهي عليه ومثلها كما سمعته آنفا **ومن كتابه لوائل بن حجر** تقدم الكلام عليه **الى الاقيال العباهلة** اي الى الملوك الغالبين وملكهم وقد تقدم تفسيره وبيان لغته وضبطه **الارواع** بهمزة ورا مهملة وعين مهملة وهم السادة الزهر الالوان الحسان الوجوه وقيل انه جمع رائع وهم الذين يروعون الناس اي يخوفونهم بمنظرهم لجمالهم وهيبتهم قاله ابن الاثير والاول اولى وجمع فاعل على افعال نادر جدا اقول ما قاله ابن الاثير هو الذي ارتضاه المبرد في الكامل لما فيه من البلاغة فان الحسن الزائد اذا راه من له ادراك ادهشه وحيره فيشبه بالخائف الفزع ومن وقف على كلام المبرد عرف حسنه وقيل انما كان هذا غير موجه لان الهيبة التي كانت لهم هيبة تجبر وظلم ازالها الاسلام والنبي صلى الله عليه وسلم انما اراد مدحهم بالحلم والرافة وليس بشيء **المشابيب** بفتح الميم والشين المعجمة ثم موحدتين قبلهما الف وبينهما مثناة تحتية جمع مشبوب وهو الحسن الازهر اللون وقال ذو الرمة ح

اذا الاروع المشبوب اضحى كانه • على الرحل مما منه السير احمق

والمراد السيد الطاهر الازهر اللون المنير كانه اوقد في وجهه سراج منه وهو يجمع مع الاروع في كلامهم كما في البيت فان النادم مما يروع ناظره وروي الاشابين الاجلاد جمع شبيب كخليل وقيل الرجال الذين وجوههم بيض وشعورهم سود فهذا كما الحسنا ذات الذوائب السود شعرها يشب لونها اي يظهره ويحسنه وقيل المراد الاذكيا **وفيه** اي في كتابه صلى الله عليه وسلم لوائل **التيعة شاة** التيعة بكسر المثناة الفوقية وسكون المثناة التحتية والعين المهملة الاربعون من الغنم وقيل الخمس من الابل وقيل هي ادنى ما يجب فيه الصدقة من الغنم والابل وهو المقدار المذكور وقيل هي ما ياخذه الساعي من الزكاة وهو غير مناسب هنا وهو من التيع وهو القيء وقد وقع التشبيه به في حديث الراجع في هبته كالراجع في قيئه ويقال اتاع فيه قاع ويقال تاع بمعنى ذهب قيل وجه المناسبة سرعة المبادرة اليها كسرعة القيء او لذهاب الساعي اليها والاحسن ان يقال انها فضلة ووسخ يشترك بدفعها الا ان الصدقة اوساخ الناس كما ورد في الحديث ولذا منع اهل البيت منها لشرفهم **لا مقورة الالياط** مقورة بميم مضمومة وقاف مفتوحة مخففة ورا مهملة مشددة من الاقورار لحمرة من الاحمرار وهي المسترخية الجلد من الهزال فلا توخذ في الصدقة لرداءتها وقيل هي المنتفخة من الهزال ايضا وقيل هي السمينة فهي من الاضداد كما ذكره ح الصاغاني في كتاب الاضداد وهذه لا توخذ لانها اعلى والمامور باخذ الوسط وفي بعض

النسخ مفوروطه قال التلمساني ولا اعلم معناه ولعله مفربطه يقال اقرمط الجلد ابضم بعضه لبعض اومقربيقطة وهو بمعناه والالياط بلام وباء مثناة تحتية وطاء مهملة جمع ليط بكسر اللام وهو قشر العود فاستعير للجلد من لاطه يلوطه اذا الصقه وقيل المقوره المقطوعة والمفنى بها الناقصة فالتفاسير متقاربة **ولا ضناك** بفتح الضاد المعجمة وكسرها قال التجاني ويجوز ضمها وخطي فيه لانه بمعنى الزكام ولا مناسبة له هنا وفي ضبطه نظر لما في العباب للصاغاني الضناك بالفتح قاله الفارابي وقال غيره هو بالكسر وهو الصواب وهي الكثيرة اللحم السمينة فلا توخذ لجودتها **ولا انطوا الثبجة** انطا بمعنى اعطا لغة لاهل اليمن اولبني سعد وروي في الدعا لا مانع لما انطيت وقري شاذا انا انطيناك والثبجة بفتح المثلثة وفتح الموحدة والجيم والها بمعنى الوسط والها للنقل من الاسمية للوصفية وقال التجاني ان البا مكسورة ومنه ثبج البحر لوسطه وفي الحديث خيار امتي اولها واخرها وبين ذلك ثبج والمقصود انه في الزكاة لا على لاضراره برب المال ولا الادنى والمعيب الا ان يكون الكل كذلك لان الجود بالموجود وتفصيله في كتب الفقه قال البرهان في بعض النسخ بكسر وتشديد الجيم وفيه نظر قال التلمساني وروي الثبجة بالثين والجيم من ثبج شاد لشدة واراد اعطا القوي الضعيف فتامله **وفي السيوب الخمس** السيوب بضم السين المهملة والمثناة التحتية وواو وباء موحدة جمع سيب وهو الركاز بمهملة وكاف وزاي معجمة بزنة كتاب بمعنى مركوز وهو المال المدفون الجاهلي من ركز الرمح اذا غرزه في الارض وافره اومن الركز وهو الاخفا قال تعالى تسمع لهم ركزا اي صوتا خفيا وسمي سيبا لانه عطية من الله وقيل هو الذهب والفضة المعدني من تسيب بمعنى تكون من غير صاحب له فكانه سيب والخمس بضمتين وضم فسكون ويقال له خمس ومنه اسم الجيش لانه خمسة اقسام ميمنة وميسرة ومقدمه وساقه وقلب وقوله في الحديث المعدن جبار وفي الركاز الخمس يدل على ان الركاز غير المعدن واتفقوا على وجوب الخمس في الركاز الا الحسن البصري فقال ان وجد في دار الحرب ففيه الخمس وفي غيره الزكاة ولا فرق فيه بين النقدين وغيرهما والقليل والكثير ولا يشترط الحول كالزكاة وعند الشافعي انه ان كان في ملكه فهو له ان ادعاه والا فهو لقطة **ومن زنا مم بكر فاصقعوه مايه** قوله مم بكر وما ياتي من قوله مم ثيب اصله كما في النهاية من بكر ومن ثيب اصل كما في النهاية فقلبت النون ميما لانها اذا سكنت قبل البا تقلب ميما سوا كان من كلمة نحو عنبر او من كلمتين نحو من بكر وتقدم ان لام التعريف تبدل الاما في لغة حمير نحو ليس من امبر امصيام في امسفر فاما ان يكون ما نحن فيه من الثاني فاصله من البكر فحذفت نون من على حد قولهم في بني الحارث بالحارث فيكون بكر حينئذ غير منون واستعمل البكر موضع الابكار والاشبه ان يكون نكرة منونة فابدلت نون من ميما انتهى وقيل عليه ان كون بكر بمعنى ابكار لا اصل من التبعيضية فيقدر بعض من زنا ببكر من الابكار ويجوز ان يكون لبيان الجنس فبكر على اصلها وهو على هذا يحتمل ان يكون بمعنى الابكار لما في من من العموم ثم انه اذا كان قلب النون ميما على نهج الاقلاب النحوي لا يتاتى في قوله مم ثيب فلذا قال في مزيل الخفا انه من باب الازدواج والمشاكلة كما في قولهم ما قدم وحدث بضمهما مع ان حدث بالفتح فاذ قلنا انه انما قيل مم بكر بقلب النون ميما لانها تعاقبها كثيرا كما في قولهم بنان وبنام ودان ودام كما قاله التجاني لم يحتج لما ذكر وقوله فاصقعوه اي فاضربوه ويقال

اسقعوه بالسين ايضا من الصقع وهو الضرب واصله الضرب على الراس وقيل هو الضرب ببطن الكف وضبطه بعض الشراح فاصقفوه بالفا بدل القاف كما نقله التلمساني يقال صفعت فلانا اصفعه اذا ضربت قفاه بجمع كفي فهو صفعاني والعامة تقول لمن سرقت عمامته انه صفع وهي استعارة عامية ركيكة قال ابن نباته

اسفت لشاشي الذي قد مضى • وفاز به سارق حاشه
ووالله ما بي مما جرى • سوى قولهم صفعوا شاشه

وتطفل عليه الصفدي على عادته فقال

قد سرق الشاش بليل وما • قدره الله فما يندفع
الحمد لله الذي لم يكن • شاشي على راسي لما صفع

والمراد هنا حد الجلد والمراد بالبكر غير المحصنات كما بين في الحدود **واستوفضوه عاما** بهمز وصل وسين مهملة ومثناة وفا وضاد معجمة بمعنى انفوه وغربوه من وفضت الابل اذا تفرقت والعام والسنة بمعنى هنا وان كان الامام السهيلي فرق بينهما في الروض الانف باعتبار اصل الوضع فان السنة من دور الشمس الى عودها لمحلها لانها من سنى بمعنى دار ومنه السانية والعام ما اشتمل على الفصول الاربعة بتمامها **ومن زنا مم ثيب** اي محصنة وتقدم ما فيه **فضرجوه بالاضاميم** ضرجوه بضاد معجمة مفتوحة وراء مهملة مكسورة وجيم من التضريج وهو التدمية اي ارجموه حتى يسيل دمه ويقتل قال • ان بني ضرجوني بالدم والاضاميم بفتح الهمزة والضاد المعجمة الحجارة واحدها اضمامة بكسر الهمزة او اضموم بضمها كافقوم وسميت بها لانها يضم بعضها لبعض ويطلق على كل مجتمع من الناس وغيرهم والمراد الرجم الذي هو حد المحصن كما فصل في كتب الفقه واختلفوا في كون التغريب من الحد ام لا مشهور في الفروع شهرته تغني عن ذكره **ولا توصيم في الدين** توصيم تفعيل من الوصم بالصاد المهملة وهو العيب والعار اي لا كبر ولا عيب ولا عار ولا كسل في اقامة حدود الله فلا تحابوا فيها وهذا في معنى قوله تعالى ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله ولذا حرم الفقها الشفاعة في الحدود دون التعزير **ولا غمة في فرايض الله** الغمة بضم الغين المعجمة وتشديد الميم اي لا تخفى وتستر فرايضه بل تظهر ويجهر بها اقامة واظهار الشعاير الدين وهذا يقتضي ان اظهار الفرايض كلها فينبغي اظهار ادا الزكاة دون اخفايها فقوله تعالى ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها وتوتوها الفقرا فهو خير لكم محمول على صدقة التطوع فان الافضل اخفاوها وقيل انه شامل للزكاة وقد يستحب اخفاوها اذا خاف الريا ونحوه وقيل انه يختلف باختلاف الاحوال والزمان ولو قيل ان المراد هنا ان الحرام بين والحلال بين لم يحتج للتقييد وهو معنى قول التجاني الغمة الستر والغطا والمعنى لا اخفاء لفرايض الله ولا التباس فيها ويويده انه روي هنا لا عمة بفتح العين المهملة والميم المخففة والها لا حيرة ولا تردد فيها وروي لا غمد بكسر الغين المعجمة وسكون الميم والدال المهملة ومعناها الا ستر ولا اخفا كتغمدنا الله برحمته اي سترنا بها والبسناها **وكل مسكر حرام** هذا حديث صحيح رواه مسلم وهو انه قال كل مسكر خمر وكل مسكر اي كل ما من شانه الاسكار فهو حرام ولو قطرة منه والخلاف في المثلث بشروطه معلوم ويدخل فيه الحشيش على الاصح وللزركشي فيه تاليف مستقل وانما ذكر هذا لانهم سالوه وقالوا له يا رسول الله ان شرابا يصنع بارضنا يقال له البتع والمزر واهل تلك الديار لهم ولع به فلذا بينه لهم والكلام على الحديث

مفصل في شروح مسلم **ووائل بن حجر** تقدم بيانه **يترفل على الاقيال** يترفل بالرا المهملة ثم الفا واللام والترفل اصله تطويل الردا والثوب ومثله يكون تجبرا وعظمة فاستعير او جعل كناية ثم وهذا اظهر لجعله رئيسا عليهم محكما في اخذ صدقاتهم لان الترفل للتعظيم والرئيس والحاكم عليهم يحمل هذا عبارة عن ان النبي جعله واليا على امورهم وقبض صدقاتهم قال البجاني اي يتامر ويترأس وهذا كقوله في كتاب آخر له وقد وجد معه المهاجر بن ابي امية من محمد رسول الله الى المهاجر بن ابي امية ان وايلا يستشعر ويترفل على الاقيال حيث كانوا من حضرموت اي هو مستعمل على الصدقات واميرا على الاقيال كما قال الشاعر

اذا نحن رفلنا امرا ساد قومه • وان لم يكن من قبل ذلك يذكر •

وقد تقدم معنى الاقيال واصله ومن الترفل هذا الترفيل المذكور في العروض وقوله ابن ابو امية كذا صحت روايته بحكاية اول احواله واشرفها كما يقال علي بن ابو طالب قال البجاني وقريش لا تغير الاب في الكنية فتجعله بالواو في احواله الثلاثة وحكاه ابو زيد عن الاصمعي في نوادره فليس بلحن كما يتوهم كما يقولون يا بن زيد فصرح لغة خاصة لكنها لكونها مخصوصة بالكنية لم يذكروها **اين هذا من كتابه لانس في الصدقة المشهور** اين استفهام عن المكان والمراد ان بينهما بونا وفرقا فان ذاك جا بلغة اهل اليمن وهذا بلغة قريش وتهامة المالوفة بينهم ففيه اشارة الى فصاحته ومعرفته باللغات وخطابه كل احد بلسانه ولغته وهذا اشارة الى الكتاب الذي دفعه ابو بكر لانس حين ارسله في خلافته الى البحرين وامره ان يعمل به وهو من كلام رسول الله عليه السلام وبعضهم وقفه على ابي بكر وبعضهم رفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال انه كان عند ابي بكر يعمل به وهو الذي سلمه لانس ولما دفعه اليه كان عليه خاتم رسول الله وهذا الكتاب ذكره البخاري في صحيحه والنسائي وابو داود والترمذي وغيرهم على اختلاف بينهم في كثير من الفاظه والبخاري ذكره مفرقا في كتابه ولم يخرجه مسلم واختلف في سبب تركه مع صحته وشهرته فقيل للاختلاف في كونه من كلام النبي او من كلام ابي بكر وقيل لاختلاف المحدثين وله طرق مختلفة واوله بسم الله الرحمن الرحيم هذه فريضة الله التي فرضها رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن سالها من المسلمين على وجهها فليعطها ومن سئل فوقها فلا يعطه فيما دون خمس وعشرين من الابل الغنم في كل خمس ذود شاة فاذا بلغت خمسا وعشرين ففيها بنت مخاض وبقية الكتاب مذكور فيه احكام الزكاة وهو مذكور في المطولات ولكن ذكرنا هذا المقدار منه تبركا لان الثمرة تدل على الشجرة وفي مزيل الخفا قيل لم يكتب النبي صلى الله عليه وسلم الى انس وانما ابو بكر هو الذي كتبه اليه واجيب بان الدارقطني ذكر باسناد صحيح روايته هذا الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وذكر ابو داود عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم كتب كتاب الصدقة ولم يخرجه فعمل به ابو بكر رضي الله عنه ثم عمر وعلى هذا ففي كلام المصنف مقدر دل عليه خصوص الواقعة اي في كتابه الذي كتبت نسخته لانس لما في صحيح البخاري ان انسا حدث ان ابا بكر كتب له هذا الكتاب لما وجهه الى البحرين ثم ان المصنف بين وجه التباين فقال **لما كان كلام هؤلاء** الاشارة الى جميع من تقدم من الانصار وقريش واهل نجد والحجاز والهمدانيين والنهديين او الى الاخيرين لقربهم **على هذا الحد** اي على هذه الصفة قال الراغب حد الشيء الوصف المحيط بمعناه المميز له عما عداه **وبلاغتهم على هذا النمط** اي على هذه الطريقة **واكثر استعمالهم هذه الالفاظ استعملها معهم** يعني ان استعمال هذه الالفاظ مع من هي لغتهم لا تخل بالفصاحة

بل هي من اعلى طبقاتها وان كان فيها ما هو غريب ووحشي بالنسبة لغيرهم فان الجاحظ نص في البيان على ان كلام اهل البادية الوحشي بالنسبة لهم فصيح وان كان كلام اهل المعاني قد يوهم خلافه وانه مخل بالفصاحة مطلقا وهذا مما غفلوا عنه وله في هذا فصل من يتيمه من اراغ معنى معنى كريما فليلتمس له لفظا كريما فان حق المعنى الشريف اللفظ الشريف ومن حقهما ان يصونهما عما يفسدهما ويهجنهما ولا تعوذ من اجله ان يكون اسوا حالا منك قبل ان تلتمس اظهارهما فكن في ثلاث منازل اولها ان يكون لفظك رشيقا عذبا وفخما سهلا ويكون معناك ظاهرا مكشوفا وقريبا معروفا اما عند الخاصة ان كنت للخاصة قصدت واما عند العامة بان تكون للعامة اردت والمعنى ليس يشرف بان يكون من معاني الخاصة ولا يتضع بان يكون من معاني العامة وانما مدار الشرف على الصواب واحراز المنفعة مع موافقة الحال وما يجب لكل مقام من المقال الى آخر ما فصله **ليبين للناس ما نزل اليهم وليحدث الناس بما يعلمون** اشارة الى انه لما كان مبعوثا لجميع الناس كان يتكلم بكل لغة مع اهلها لانه ابلغ في الابلاغ وانفع **وكقوله في حديث عطية السعدي** منسوبا لقبيلة بنو سعد بن بكر وفي العرب سعود غيرهم • سعد تميم • وسعد قيس • وسعد هذيل • وسعد بكر هؤلاء وغيرهم وعطية هذا هو ابن عروة السعدي ويقال عطية بن عامر ويكنى ابا محمد روى عنه اهل اليمن والشام وهو جد عروة بن محمد بن عطية روى ابن عبد البر بسنده الى عروة بن محمد بن عطية قال حدثني ابي ان اباه حدثه انه قدم على رسول الله في ناس من بني سعد قال وانا اصغرهم فخلفوني في رحالهم ثم اتوه صلى الله عليه وسلم فقضى حوائجهم ثم قال هل بقي منكم احد قالوا يا رسول الله غلام منا خلفناه في رحالنا وامرهم ان يبعثوا اليه فاتوا الي وقالوا اجب رسول الله فاتيته فلما رآني قال ما اغناك الله فلا تسال الناس شيئا **فان اليد العليا هي المنطية واليد السفلى هي المنطاة** وهذا حديث صحيح رواه الحاكم وصححه من طريق عروة وتمامه كما رواه الواقدي في قصة بمامة وما لك الله مسؤول ومنطا وروى نورك ونبطي وفود السعديين عن ابن النعمان منهم عن ابيه قال قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وافدا في نفر من قومي وقد اوطا رسول الله صلى الله عليه وسلم البلاد الى ان قال ثم انصرفنا الى رحالنا وقد كنا خلفنا عليها اصغرنا فبعث رسول الله في طلبنا فاتي بنا اليه فتقدم صاحبنا فبايعه على الاسلام فقلنا يا رسول الله انه اصغرنا وخادمنا فقال اصغر القوم خادمهم بارك الله عز وجل عليه فكان والله خيرنا واقرانا للقرآن لدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم له ثم امره رسول الله علينا وكان يؤمنا ولما اردنا الانصراف فامر بلالا فاجازنا باواقي فضة لكل رجل منا فرجعنا الى قومنا فرزقهم الله الاسلام وهذا يشعر بانه كان امير القوم واذا كانهم فلذا نصحه النبي صلى الله عليه وسلم بما ذكره المصنف **قال** اي عطية السعدي **فكلمنا رسول الله بلغتنا** ورواه السيوطي في تخريجه فكلمني ولا تخالفه رواية المصنف لانه القى اليه الكلام وتوجه اليه لما تفرس فيه الخير لمخايل نجابته والقوم يسمعون فيصح ان يقال كلمهم فكلمه وقيل اراد بقوله كلمنا نفسه بنون العظمة اظهارا لانعام الله عليه بخطاب النبي له وبعثه اليه وتامره عليهم فقامه يا باه وقوله بلغتنا اي بلغة بني سعد لانهم يقولون انطى ينطي انطاء بمعنى اعطا ولا ينافيه ما قيل انها لغة يمانية لانه يجوز كونها لغة لهم اذ قال الثعالبي قيل لغة حمير انط بمعنى اسكت سنن السنة واليد العليا اليد المعطية والسفلى يد الاخذ السائلة وهي المعطاة وقد جا تفسيره بذلك في حديث آخر وهو انه قال وهو على

المنبر وهو يذكر الصدقة والتعفف عن المسالة اليد العليا خير من اليد السفلى واليد العليا
المنفقة والسفلى السايلة وهو حديث صحيح رواه الشيخان والمنفقة بنون وفا وقاف ويروى
المتعففة بعين وفا بين اي التي لا تسال احدا وقيل المنفقة بتشديد الفا وروي يد الله
فوق يد المعطي ويد المعطي فوق يد المعطى بالفتح فهي اسفل الايدي والايدي ثلاثة وقيل اليد
السفلى الاخذة بسوال ودونه • وما قيل ان هذا لا ينبغي لان الصدقة تقع اولا في يد الله ليس بشي
لان هذا ليس على حقيقته لان المراد انه يقبلها ويدخرها له • وقيل اليد العليا المعطية والسايلة
المانعة وقيل اليد العليا يد الفقير لتحصيلها الثواب لصاحب المال ودفع البلا عنه واختاره
بعض مشايخ الصوفية فيد افضل عند الله قال ابن قتيبة وما ارى هذا الا كلام قوم استحبوا
السوال وحسنوه وكل هذا مضمحل بعد التصريح بتفسيره في الاحاديث الصحيحة فان قيل انه مدح
فيه والخلاف مبني على ان المراد بالعلو المحسوس بناء على الغالب او المعنوي من علو الشرف
كما قال الشاعر • اذا كان باب الذل في جانب الغنى • سموت الى العليا في جانب الفقر •
والتعبير عن المعطي بالمنفق وذي اليد العليا بناء على الغالب المتبادر فلا يقال يد السايل قد تكون
فوق اذا اخذ من كفه وان المنفق قد لا يكون متصدقا وان الاخذ قد لا يكون سايلا بان يعطي ابتدا
والسايل قد لا يكون متصدقا عليه كسايل القرض وغيره ومثل هذا من باب سفساف الامور فلا
حاجة للتطويل بمثله ففي الحديث ثلاثة تفاسير الاول ان معناه يد المعطي ويد السايل بطريق
الكناية الثاني ان معناه المنفق والاخذ • الثالث عكس الاول والاول اصح رواية ودراية
وتوفي عطيه هذا في حدود الثمانين وفي العقد لابن عبد ربه ان هذا العامري هو لقيط
بن عامر بن المنفق وساق له حديثا على وجه آخر **وقوله في حديث العامري حين ساله** نسبة
لعامر اسم قبيلة وتسمى بني عامر لانهم سموا باسم جدهم كنيتهم وكانوا وفدوا على النبي صلى الله
عليه وسلم وفيهم عامر بن الطفيل واربد وكان عامر واربد تواعدا ان يقتلا النبي صلى الله عليه
وسلم غيلة فحماه الله وعصمه فلما رجعا من عنده هلكا في الطريق اما اربد فاصابته صاعقة
اهلكته واما عامر فاصابه طاعون مات منه في بيت امراة سلولية فكان يقول اغدة
وفي بيت سلولية فجرت مثلا لاجتماع امرين حقيرين واربد هو اخو لبيد الشاعر وقد هداه
الله للاسلام بعد موت اخيه وحسن اسلامه • ولم يقل شعرا بعد اسلامه غير قوله •
• الحمد لله اذ لم ياتني اجلي • حتى اكتسبت من الاسلام سربالا •
سل عنك اي سل عم شيت وهي لغة بني عامر وروي عمن شيت والاول اصح رواية
وعنك بفتح العين وسكون النون وكاف الخطاب وهذا الحديث رواه ابو نعيم في الدلايل عن شداد
بن اوس ولم ار من صحح لغة بني عامر هذه وبين وجهها غير اني رايت في شرح ديوان الاعشى
لابن حبيب في قوله • فاذهبي ما اليك ادركني الحلم • عداني عن هيجكم اشغالي •
ان العرب تقول اذهب اليك وسر عنك بزيادة اليك وعنك انتهى والمصنف ثقة واسع الاطلاع
وقف على ان هذه اللغة لغة بني عامر وغالبة فيهم ووجه البلاغة فيها انها جعلت كناية
عن سل كل شي فان كل احد ادرى بنفسه فانا امره بسواله عنها فكانه قال له انا اعلم بك منك
واذا كان كذلك فهو عليم بجميع احواله فصدا يدل على المراد بطريق برهاني بليغ • واما قوله
عم شيت فوقع في بعض النسخ عما بالالف وهي ظاهرة لا موصولة لا يسقط الفها اذا دخل عليها
الجار واما على النسخة المشهورة فقال بعض الشراح انها استفهامية اي عن اي شي ولا يخفى ان

المعنى

المعنى لا يتاتى عليه الا بتكلف مع ما فيه من تاخيرها عن العامل مع ان لها الصدر فالصواب
انها موصولة ويجوز حذف الفها اذا جرت حملا لها على ما الاستفهامية كما بينها لها في اللفظ
قال ابو حيان في شرح التسهيل قال الاخفش في الاوسط وذكر ابو زيد ان كثيرا يقولون سل عم
شيت كانهم حذفوا الفها لكثرة استعمالهم اياها انتهى ولعل المصنف وقف على انها لغة بني عامر
فقصد مجانسة المفسر والمفسر • واما ما قيل من انه لا وجه لهذه النسخة فمن قصور النظر •
واما كلامه المعتاد اي كلام النبي صلى الله عليه وسلم الذي اعتاده مع قومه من قريش واهل
ارضه **وفصاحته المعلومة** لكل احد من كلامه **وجوامع كلمه** لما ورد في الحديث اوتيت
جوامع الكلم والجوامع جمع جامعة اي كلمة فصيحة جامعة لمعان كثيرة والكلم اسم جنس جمع كلمة
لا جمع على الاصح والمراد ان الله من عليه باقداره على التكلم بكلمات بليغة جزلة حاوية لمعان
نافعة من المواعظ ونحوها وقيل المراد القران والاصح الانسب بالمقام الاول وقال الهروي
يعني بجوامع الكلم القرآن جمع الله له فيه معان كثيرة في الفاظ يسيرة وكلامه صلى الله عليه
وسلم كان كذلك وقال ابن شهاب بلغني ان جوامع الكلم جمعه الله له من معاني الكتب التي
كانت قبله في الامر الواحد والامرين ونحوه والحاصل انه عدل وامن فضايله وكما لانه انه كان
يتكلم في محاورته بقليل الالفاظ المحتوية على المعاني التي لا حصر لها ومنه ما روي
انه كان يستحب الجوامع من الدعا وهو ما يجمع الاغراض الصالحة والمقاصد الصحيحة او يجمع
السوال واداب المسالة **وحكمه الماثورة** اسم من الاثر وهو ما يدل على الشي من اثاره وعلم (مانده)
واثرت العلم رويته اثره اثرا واثارة واثرة واصله اثره كما قاله الراغب فالماثورة المنقولة
المروية والحكم جمع حكمة وهي الكلمات النافعة فيشمل المواعظ والامثال فالحكم اعم
من جوامع الكلم **فقد الف الناس فيها الدواوين** الفا في جواب اما والضمير اما للمذكور
كلها والدواوين جمع ديوان بكسر الدال وتفتح على لغة كما في المقتفي وعن ابي عمرو ان الفتح
خطا ولو صح قيل في جمعه دياوين ولم يسمع كما قاله الجواليقي وقال الماوردي في الاحكام
السلطانية الديوان موضوع لحفظ الحقوق والاموال والاعمال ومن يقوم بها من الجيوش
والعمال وفي سبب تسميته وجهان • احدهما ان كسرى اطلع يوما على كتاب ديوانه فراهم
يحسبون مع انفسهم فقال ديوانه اي مجانين فخفف بحذف الهاء والثاني ان الديوان
بالفارسية اسم للشياطين فهو جمع ديو بكسر الدال والالف والنون علامة الجمع بالفارسية
يقال زاهد وزاهدان فسموا باسم لعلو بصرهم وحذقهم واطلاعهم على الخفي والجلي ثم سمي به
مكانهم واول من وضع الديوان عمر فهو فارسي معرب كما في كتاب المعربات للجواليقي
واطلق كالدفتر ثم استعمل في كل كتاب وهو المراد هنا وخص في العرف بما يجمع فيه اشعار شاعر
مخصوص على طريق الاستعارة او المجاز المرسل وشاع حتى صار حقيقة فيه فله معان خمسة
الكتاب • والمحلة • ودفتر الاموال • ومطلق الكتاب • وديوان الشعر • **وجمعت في الفاظها
ومعانيها الكتب** المراد بالاول الكتب التي جمع فيها الاحاديث واطرافها مسندة وغير مسندة
كالكتب الستة والمسانيد وبالثاني شروحها وجمعت مبني للمفعول فلا وجه لما قيل ان
الالفاظ قوالب المعاني فهي ان تجردت عنها كانت مهملة وهو كلام مهمل **ومنها ما لا يوازي
فصاحة** يوازي مبني للمجهول معناه يماثل ويقابل ويساوي من وهي المقابلة والواو مبدلة
من الهمزة يقال آزى الشي يوازيه اذا حاذاه وفي شرح الكرماني للبخاري آزيته ولا يقال

وانثه يعني لا يقال ذلك في ماضيه وأما المضارع فيجوز ابدال الهاء واوا لانضمام ما قبلها فتدبر **ولو يباري ببلاغة** اي لا يعارض فيوتي بمثله وهو مجهول بضم المثناة التحتية والموحدة وراء مهملة بين الفتين والمعنى وان لم يمكن معارضته لقربه من مرتبة الاعجاز ففي تعبيره بالموازاة في الفصاحة وبالمباراة في البلاغة حسن لا يخفى وجهه فلا يرد عليه ان الذي لا يعارض هو الكلام المعجز والاعجاز مختص بالقرآن كما توهم وفصاحة وبلاغة منصوب على التمييز ٥

كقوله صلى الله عليه وسلم المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم التكافؤ التماثل من الكفوء بالهمزة وهو المثل اي متساوون في القصاص والدية فشريفهم ووضيعهم وصغيرهم وكبيرهم وفقيرهم وغنيهم واميرهم وسوقتهم سواء وهذا كقوله تعالى النفس بالنفس خلافا لما كان عليه الجاهلية من قتل الجمع الكثير بواحد كما في قصة كليب وغيرها فجاء الشرع بابطاله وهذا الحديث استدل على ان المسلم لا يقتل بكافر ولا ذو عهد في عهده والقائل بقتل المسلم بالكافر الذمي قال المراد بالكافر هنا الحربي وفي وجه التخصيص كلام للفقهاء والاصوليين وقد افرد هذا الحديث بتحرير مستقل وهذا الحديث اخرجه ابو داود والنسائي عن علي وصححوه والى عدم قصاص المسلم بالكافر ذهب ابو حنيفة خلافا للشافعي وتساوي دمائهم كناية عن تساويهم في القصاص والدية وقوله ويسعى بذمتهم ادناهم المراد بالذمة العهد والامان فانه اذا امن احد من المسلمين الكفار كان ذلك جاريا على جميع المسلمين لا يجوز نقضه لاحد منهم وادناهم اقلهم مقدارا فيشمل كل وضيع بالنص وكل شريف بالفحوى فيدخل فيه الصبي والمراة. واختلف في امان العبد فقيل يقبل وقيل ان كان مقاتلا جاز والا فلا والصبي قيل ان امانه يقبل وقيل ان كان مراهقا قبل والا فلا والمجنون لا يصح امانه بلا خلاف ومنهم من استثنى الاجراء والاسرى في دار الحرب ومعنى يسعى يباشر ويفعل. وقوله وهم يد على من سواهم في النهاية معناه انهم يجتمعون على اعدائهم يعاونون بعضهم بعضا فلا يخذله فجعل ايديهم كانها يد واحدة في الاتفاق ولذا لم يقل ايدي واليد تستعمل في القهر والقهوة والقدرة اي هم متسولون قاهرون لغيرهم من اهل الملل فهو في الاتفاق كاليد الواحدة فهو تشبيه بليغ او استعارة وفي الحديث رد عليهم ايضا وتفصيله مذكور في كتب الحديث **وقوله الناس كاسنان المشط** مناسبة لما قبله ظاهرة والمشط بضم الميم وكسرها وفتحها وشينه معجمة مثلثة ايضا ويقال ممشط كمنبر وهو آلة معروفة يسرح بها الشعر وهذا الحديث اخرجه ابن لال عن سهل بن سعد في مكارم الاخلاق واعترض على هذا التفسير وجعل نظيرا لما قبله بان تفاوت الناس في الاخلاق مقرر فالظاهر ان المراد تساويهم في الاحكام الشرعية والمراد بالناس المسلمون لان غيرهم لا يساويهم في ذلك او الجميع باعتبار غلبة الاحكام او المراد تساويهم في الانساب فانهم كلهم اولاد آدم كما قال تعالى يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى الخ فالمراد نفي ما كان عليه الجاهلية من التفاخر بالنسب فلا شرف الا بالعلم والتقوى كما ورد في الحديث يا ايها الناس ان ربكم واحد وان اباكم واحد لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي الا بالتقوى. وفي معناه ما انشده الثعلبي

الناس في عالم التمثيل اكفاء • ابوهم آدم والام حواء

وقدر كل امرئ ما كان يحسنه • والجاهلون لاهل العلم اعداء

والشعر بتمامه مشهور وليس المراد ان النسب لا يعتبر مطلقا **والمرء مع من احب** رواه

الشيخان

الشيخان عن انس وغيرهما وهو حديث صحيح يروى من طرق منها ما اسند الى ابن مسعود قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كيف تقول في رجل احب قوما ولم يلحق بهم فقال المرء مع من احب فمن احب الابرار فهو مع الابرار ومن احب الفجار فهو مع الفجار وفي الحديث لا يحب الرجل قوما الا حشر معهم وفيه يحشر المرء مع خليله فلينظر من يخالل وروي من يخالل بالتشديد ومصداقه قوله تعالى ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا وامثاله كثيرة لا تحصى والمرء بمعنى الرجل والمراد به هنا مطلق الانسان الشامل للذكر والمراة بطريق التغليب ويحتمل التخصيص لان المراة تحشر مع زوجها ولو احبت غيره والمراد المعية في الحشر ومنازل الآخرة فيتنزل محب منزلة محبوبه بسبب خلوص المحبة قال الغزالي وهذا لمناسبة روحانية باطنية خفية واسباب لا يطلع عليها كما ورد في الحديث لو ان مؤمنا دخل مجلسا فيه مائة منافق ومؤمن واحد لجاء حتى يجلس اليه فالمعية لدنو وقرب رتبي لا في مجرد الاكرام وهذا فضل من الله لا يعلمه الا مؤمن ولذا قال في آخر الآية السابقة ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما وان لم يعمل عمل من احبه ولو كانت المعية في مطلق الاكرام خصه الله بدرجة رفيعة لا يصل اليها وهذا الداعي لمن جعل المعية في مجرد الاكرام يقطع النظر عن خصوص مرتبته قلت هذا ارتضاه بعضهم وقد عرفت ما فيه وقد ارتضى غيره خلافه وقال يدل عليه ما قال السيتم مع كمائبين ولا يلزم مساواته من كل الوجوه وقد اطال في الشرح الجديد هنا بما لا محصل له على عادته ويجوز ان يراد به كونه في الجنة. ولابن حجر رحمه الله

وقائل هل عمل صالح • اعددته ينفع عند الكرب

فقلت حسبي خدمة المصطفى • وحبه فالمرء مع من احب

وقلت انا

وحق المصطفى لي فيه حب • اذا مرض الرجا يكون طبا

ولا ارضى سوى الفردوس ماوى • اذا كان الفتى مع من احبا

ولا خير في صحبة من لا يرى لك ما ترى له هو حديث رواه ابن عدي في الكامل بسند ضعيف كما قال السيوطي في تخريجه واوله كما قاله التلمساني المرء على دين خليله ولا خير في صحبة من لا يرى لك من الخير مثل ما ترى له وروي من لا يرى لك مثل ما يرى لنفسه قال وروي ترى له بالياء والتاء والبناء للفاعل والمفعول والصحبة بضم الصاد وسكون الحاء المهملتين والموحدة مصدر كالرفقة اي يكون عنده من الرغبة والمودة والنفع مثل ما عندك له كما قال ابن الاحنف هـ

اذا كان لا يدنيك الا شفاعة • فلا خير في ود يكون بشافع

والناس معادن رواه الشيخان عن ابي هريرة وتمامه الناس معادن كمعادن الذهب والفضة خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا والارواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف والمعادن جمع معدن بكسر الدال وفتحها خطأ منبت الذهب والفضة ونحوه من عدن بمعنى اقام لاقامة اهله فيه او لانباته فيه ويطلق على مكان كل شيء فيه اصله وعلى كل اصل وعلى بيوت العرب يعني صلى الله عليه وسلم ان بني آدم يختلفون باختلاف اصلهم فمن كان اصله شريفا اعقب مثله وسرى طيب عرقه لفرعه ومن كان دون

ذلك كان عقبه مثله ومن كان خبيثا كان فرعه خبيثا الا ترى ان الشجرة الكريمة تنبت فرعا طيبا وثمرة حسنة وضدها كذلك فهو وق الحنظل لا ينبت الا حنظلا ولو سقيت شهدا ومنبت الذهب لا يتكون فيه الحديد والنحاس لكن خيارهم حسبا لا يصير خيارا في الاسلام الا بالتقوى والعفة والعلم فاذا كان كذلك طاب اصلا وفرعا والا فلا ينفعه حسبه كابي جهل واضرابه وههنا نكتة فانه قال كمعادن الذهب والفضة ولم يذكر معادن غيرهما من الامور الخسيسة كالحديد والملح اشارة الى ان اصل خلقة الانسان وجبلته خلقت على الكرم والشرف كما قال تعالى ولقد كرمنا بني آدم وقوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة وفقهوا بضم القاف من الفقه وبكسرها بمعنى الفهم ويجوز في الاول الكسر ايضا والفقه حذق الرجل بما يعلمه وعلمه فهمه ثم خص بعلم الشريعة مطلقا ولذا قال ابو حنيفة هو معرفة النفس ما لها وما عليها وسمي كتابه في العقائد الفقه الاكبر ونقل لعلم الفروع وتعريفه والكلام عليه مفصل في كتب اصول الفقه وقوله الارواح جنود مجندة يعني انها خلقت قبل الاجساد اقساما مجتمعة فمن وافقت روحه الروح التي هي من قسمتها الفتها كما قال ابو نواس

ان النفوس لارواح مجندة • لله في الارض بالاهواء تاتلف
فما تعارف منها فهو موتلف • وما تناكر منها فهو مختلف

ومن جوامع الكلم قوله صلى الله عليه وسلم **ما هلك امرؤ عرف قدره** قال السيوطي قال السمعاني انه حديث روي مسندا عن علي وفي سنده من لا يعرف حاله وقال البحاثي لا اعرف له سندا صحيحا الى النبي صلى الله عليه وسلم وانما هو من كلام اكثم بن صيفي في وصيته فان ثبت عن النبي فلعله تمثل به واكثم هذا بالمثلثة من بلغاء العرب وعده بعضهم في الصحابة والاكثر على خلافه وفي كتاب جوامع الكلم وبدايع الحكم وهو من كلامه صلى الله عليه وسلم وذكره مسندا يعني ان من عرف مقدار نفسه ونزلها منزلتها نجا في الدنيا والاخرة من الهلاك ومن تعدى طوره فتكبر ورفع نفسه فوق حده هلك وهو ظاهر **والمستشار مؤتمن وهو بالخيار ما لم يتكلم** المستشار اسم مفعول من المشاورة وسينه للطلب اي طلب راي من يشاوره والمشورة بفتح الميم وسكون الشين والافصح فتحها وضم السين وكلاهما جاء بمعنى الشورى من اشار العسل اذا اجتناه لانه بارائه الصواب كانه اطعمه شهدا او من شار الدابة اذا عرضها ومنه المشوار لمكان تعرض فيه الدواب والعامة تطلقها على جريها من اطلاق اسم الحال على المحل فاختر لنفسك ما يحلو فسميت بها لعرض امره على من استشاره ولما كان المستشار مؤتمنا لانه اودعه سره وما خفي من امره وجعل امانة عنده فعليه ان يحفظه ولا يظهره وان ينصحه فيما استشاره فيه وقد امر النبي صلى الله عليه وسلم بالمشاورة وناهيك بعلو مقامه ومعرفته بعواقب الامور حتى قيل انه كان واجبا عليه في الحروب تشريفا للامة وتطيبا لقلوب اصحابه كما قيل

شاور صديقك في الخفي المشكل • واقبل نصيحة ناصح متفضل
فالله قد اوصى بذاك نبيه • في قوله شاورهم وتوكل

وقوله وهو بالخيار الخ معناه انه مخير ان شاء اشار عليه بما شاوره فيه وان شاء سكت ولم يتكلم فاذا تكلم لزمه بيان رايه ونصحه وذكر الصواب عنده وهذا الحديث اخرجه احمد عن ابن مسعود ولفظه المستشار مؤتمن وهو بالخيار ان شاء تكلم وان شاء سكت فان تكلم فليجتهد رايه اي فليجتهد في رايه ويتفكر في الصواب فيه واخرج صدره فقط الاربعة من حديث ابي هريرة والحاكم من حديث

ابن عمر ومن جوامع الكلم النبوية قوله صلى الله عليه وسلم **ورحم الله عبدا قال خيرا فغنم او سكت فسلم** هذا الحديث اخرجه ابو الشيخ عن ابي امامة والديلمي عن انس لكنه رواه رحم الله امرأ بدل عبدا والعسكري رواه عبدا مرفوعا عن انس ايضا وله شواهد وروايات تقويه وتصححه فرواه البيهقي في الشعب والخرائطي في الاخلاق اما كونه اذا قال خيرا كالذكر والعلم والعظة فانه يغنم الاجر والذكر الجميل وربما يحصل الغنم في الدنيا وقوله او سكت عن خلاف الخير فيسلم من وباله وما يندم عليه كما لا يخفى **واسلم تسلم يؤتك الله اجرك مرتين** من حديث رواه الشيخان فمن كتابه الذي كتبه لهرقل ملك الروم وروي اسلم تسلم واسلم يؤتك الله الخ وهو ظاهر وعلى الاول فالثاني بدل مما قبله او جواب بعد جواب او مجزوم بجازم مقدر وفيه من البديع التجنيس والانسجام والايجاز ومعناه تسلم من عذاب الدارين وذل الجزية ويؤتك الله اجرا باتباعك عيسى وايمانك به واجرا اعظم منه بالاسلام واتباع خير النبيين عليه افضل الصلاة والسلام ومرتين منصوب على الظرفية وهذا كما ورد في حديث آخر ثلاثة يؤتون اجرهم مرتين فذكر منهم رجل من اهل الكتاب آمن بنبيه وادرك النبي صلى الله عليه وسلم وآمن به الخ بخلاف المشركين وكتابه كان في سنة ست حين مادّ قريشا وقيل في سنة خمس وصورته

بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى اما بعد فاني ادعوك بدعاية الاسلام اسلم تسلم واسلم يؤتك الله اجرك مرتين الخ وهو مذكور في الصحيحين مشروح في شروحهما والدعاية بكسر الدال مصدر بمعنى الدعوة وكتب الى المقوقس بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله رسول الله الى المقوقس وقال فيهما عظيم الروم عظيم القبط ولم يقل ملك الروم ولا ملك القبط لانه لا يستحق ذلك العنوان الا من كان مسلما ومع ذلك فلم يخل بتعظيمهما تليينا لقلوبهما في اول الدعوة الى الحق وهرقل بكسر الهاء وفتح الراء المهملة وسكون القاف كما قال جرير

وارض هرقل قد قهرت وذاهرا • ويسعى لكم من آل كسرى النواصف

وقيل انه بسكون الراء وكسر القاف ولعلها لغة فيه لتلاعبهم بالاعجمي وهو علم ممنوع من الصرف ولقبه قيصر ويلقب به كل ملك الروم ولم يقل ويؤتك بالعطف لتكرار اسلم لفظا او تعديرا تاكيدا في حثه على الاسلام ومناسبته لكونه اجره مرتين فدعاه مرتين وليكون له اجرين او الامر الاول للدخول في الاسلام والثاني للدوام عليه ايضا ووصل اليه الكتاب مع دحية وهو بحمص في المحرم سنة سبع فلما قرأه كتب الى النبي صلى الله عليه وسلم اني مسلم حتى مغلوب فقال صلى الله عليه وسلم كذب عدو الله على نصرانيته وقيل انه امن قال ابن عبد البر كيف وقد قاتل الصحابة بتبوك وواعد النبي ان يأتيه في العام المقبل فنزل النبي لاجله الى تبوك فلم يجئ ثم اخذت البلاد منه فمكث بالقسطنطينية الى ان هلك على نصرانيته سنة عشرين ولذا لم يلقبه الرسول بالملك مع انه اعترف بانه مغلوب والمتغلب المغلوب معزول عند ابي حنيفة ففي هذا اخبار بالغيب فان قلنا قوله تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين نزلت في اهل الكتاب من التوراة والانجيل وهو في النصارى صحيح اما في اليهود فلا لانهم لا يؤجرون على دينهم بعد نسخه بشريعة عيسى صلى الله عليه وسلم • فان قلت قد ثبت انها نزلت في عبد الله بن سلام واضرابه ممن اسلم من اليهود واستمر على اليهودية ولم يتبع عيسى فقيل انهم لايمانهم بمحمد ودينه يؤجرون عليه وان كان منسوخا واما على القول بانهم لم تبلغهم دعوة عيسى فبعيد

ولانهم امة ولين بانه مبعوث لبني اسرائيل خاصة وهم من العرب لاسيما وهم ينكرون النسخ
واما القول بانها نزلت في كعب الاحبار فغير صحيح لانه ليس له صحبة ولم يسلم في زمن النبي عليه
السلام الا ان يؤول بانها نزلت في امثاله ممن آمن من اهل الكتاب وهو بعيد وقال الكرماني ان
هذا مخصوص بمن آمن به في عصره لان من انتسخ دينه وبلغته دعوة الاسلام وصحح غيره انه عام
لكل من اسلم من اهل الكتاب لما مر وبه افتى الامام البلقيني فلا اشكال **وان احبكم الي
واقربكم مني مجالس يوم القيمة احاسنكم اخلاقا الموطئون اكنافا الذين يالفون
ويولفون** هذا ايضا من جوامع كلمه ونتايج حكمه وهذا الحديث رواه الترمذي عن ابن مسعود
وعن جابر ورواه الطبري وزاد فيه وان ابغضكم الي وابعدكم مني مجلسا يوم القيمة الثرثارون
المتفيهقون المتشدقون وزاد غيره المشاؤن بالنميمة المفرقون الاحبة الملتمسون لكبرا العيب
واقتصر المصنف على بعضه وفيه روايات مختلفة بالزيادة والنقص واحب افعل تفضيل من المبني
للمجهول وفعله ثلاثي لانه يقال حبه بمعنى احبه فهو محبوب وان كان قليلا وصوغه من المجهول
مقصور على السماع في الاصح ومجالس جمع مجلس وهو محل الجلوس منصوب على انه تمييز والتمييز
يجوز افراده وجمعه كما بينه النحاة ونسبة القرب له كناية عن رضاه عنهم وشفاعته لهم
في الموقف واحاسن جمع احسن افعل تفضيل وجمع لمطابقة ما هو له وهو المضاف اليه واستدل
النحويون بهذا الحديث على ان افعل التفضيل اذا اضيف لمعرفة يجوز ان يطابق موصوفه
وان لا يطابقه لافراده احب واقرب وجمع احاسن بخلاف ما اذا اضيف لنكرة فانه يلزمه
الافراد والتذكير ولا حاجة الى القول بانه انسلخ عن معنى التفضيل وصار بمعنى حسن وانه
ورد كثيرا في كلامهم كما قال ابن مالك بناء على ان الاجنبية وكثرة الثواب بحسن الخلق في الجملة
والاخلاق جمع خلق وقد تقدم بيانه والموطئون بضم الميم وفتح الواو والطا المهملة المشددة
بعدها همزة مضمومة جمع موطا اسم مفعول وقال البرهان الحلبي انه في الاصل الذي وقف
عليه بفتح الطا من غير تشديد وهو من فيه لين ورفق وسهولة من التوطئة وهي التمهيد والتذليل
يقال دابة وطئة اي لا تحرك راكبها وفراش وطي لا يوذي جنب النايم عليه وهو في الاصل
على طريق التمثيل والاستعارة كانه يمكن غيره من وطئه باقدامه فاريد به ما مر والاكناف
جمع كنف بفتحتين وهو الناحية والجانب اي من يلين جانبه لغيره والمراد من يلتجا اليه ويعتمد
عليه والاول انسب بما بعده من قوله الذين يالفون ويولفون اي الذين يالفهم الناس ويالفونهم
من الالفة بالضم وهي الاجتماع مع حسن المعاملة والعشرة والثرثار الكثير الكلام فيما لا
يعني مستعار من عين ثرثارة اذا كانت كثيرة الما وكذا المتفيهق وهو تفعيل من الفيهقة
من فهق الغدير يفهق بفتح الها فيهما اذا كثر ماؤه والمتشدق الذين يتكلمون بفتح اشداقهم
كما قيل

تشادق حتى مال بالقول شدقه ● وكل خطيب لا ابالك اشدق ●

وورد في هذا الحديث ان الصحابة قالوا يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون
فما المتفيهقون قال المتكبرون وهو غير مخالف لما تقدم لان المعجب بنفسه وكلامه
تدعوه حاله الى التكبر وفي التقريب الفهق الاتساع وكل شي توسع فهو تفهق وانشد المبرد

تفهق بالعراق ابو المثنى ● وعلم قومه اكل الخبيص ●

وفهق الغدير يفهق فهقا وفم الرجل بالكلام امتلا انتهى ثم عقبه بما يناسبه من جوامع
الكلم فقال **وقوله لعله كان يتكلم بما لا يعنيه ويبخل بما لا يغنيه** هذا حديث صحيح روي

من طرق بعضها موافق لكلام المصنف وفي بعضها ما لا ينقصه وفي بعضها ما لا يضره وضميره
راجع للرجل المذكور في اول الحديث الذي رواه البيهقي عن انس في الشعب ان رجلا من الصحابة
استشهد باحد فقالت امه يا بني ليهنك الشهادة فقال رسول الله لها وما يدريك لعله الخ
واخرج الترمذي من حديث حفصة بنت غياث عن الاعمش عن انس قال توفي رجل من الصحابة
فقالوا ابشر بالجنة فقال اولا تدرون فلعله قد تكلم بما لا يعنيه او بخل بما لا ينقصه واخرجه
البيهقي من هذا الوجه ايضا وقال هذا هو المحفوظ قاله خاتمة الحفاظ الجلال السيوطي ومعناه
انه لا يهنا ويبشر بالجنة الا من لم يصدر عنه مثل هذا فلعله يعاقب عليه ويعنيه بفتح المثناة
التحتية وسكون العين المهملة والنون بمعنى يهمه وينفعه من عناه يعنيه ومنه الحديث
من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه وفيه نهي عن التكلم بما لا يلزم ولو مباحا لما فيه من
تضييع الاوقات وترك الاهم كذكر الله وتلاوة القرآن واذا نهي عن هذا فما بالك بالتكلم بكل
قبيح كالغيبة والنميمة وقوله ويبخل الخ يغنيه بضم المثناة التحتية وسكون الغين المعجمة
وبين يغنيه ويغنيه تجنيس والبخل ترك البذل ومنع العطا اللازم كالزكاة والنفقة على من
تلزمه نفقته والمستحسن مروة كالتصدق على الفقراء وتفريج ضيق الاخوان واطعام
الطعام وتخصيصه بالاول غير ظاهر وكان الظاهر ان يقال بما لا يحتاج اليه كما في الرواية
الاخرى لا يضره ولا ينقصه فعدل عنه لانه ابلغ فهو كناية عما ذكر لانه يعلم منه بالطريق
الاولى او المراد بما لا غنا له عنه والبخل صفة ذميمة لا يعقب الا الخسارة كما ورد بشر
مال البخيل بحارث او وارث ● وقال الشاعر ●

يفني البخيل بجمع المال مدته ● وللحوادث والوراث ما يدع ●
كدودة القز ما تبنيه يهلكها ● وغيرها بالذي تبنيه ينتفع ●

وقوله ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيها هذا حديث رواه ابو داود عن عمار بلفظ ذو
الوجهين ذو لسانين في النار فيقال ذو الوجهين وذو اللسانين ويقال له ذو الاوجه كما
قال الشاعر ● وكم من فتى يعجب الناظرين ● له السن وله اوجه ●
واذا كان ذو الوجهين كذا فذو الاوجه معلوم بطريق الاولى وبين الوجه والوجيه
جناس اشتقاق كقوله فاقم وجهك للدين القيم وفيه لطافة لما فيه من جعل كونه له
حالين متخالفين وكلامين غير متوافقين عند رجلين على وجه الافساد اذا كانا متحابين
او على وجه الاضرار اذا كانا متعاديين بمنزلة من له وجهان ياتي هذا بوجه وهذا باخر كما
قالوا اخرج بوجه واتى بوجه غيره والوجيه الذي له قدر ومنزلة والمراد بكونه لا منزلة
له عند الله انه لا يرضاه ولا يحبه لقباحة فعله اما لو فعل ذلك لاصلاح ذات البين
وازالة ضغاين القلوب ونحو ذلك فهو امر حسن ليس داخلا فيما ذكر ● وقال الجاني ذو الوجهين
هو الذي ياتي كل قوم بما يرضيهم خيرا كان او شرا فيظهر لاهل المنكر انه عنهم راض فيستقبلهم
ببشر منه وترحيب ويظهر لاهل الحق انه عنهم راض فيريد ارضا كل فريق منهم ويظهر انه
معه وان كان ليس كذلك باطنا وروى ابو هريرة عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان
من شر الناس ذا الوجهين الذي ياتي هولاء بوجه وهولاء بوجه خرجه مسلم وعن انس عنه
عليه السلام من كان ذا لسانين في الدنيا جعل الله له لسانين من نار يوم القيمة **ونهيه عن
قيل وقال** هذا حديث صحيح رواه الشيخان عن مغيرة بن شعبة فيه ثلاثة اوجه فقيل والقال

مصدران بمعنى القول وقيل فعلان احدهما مبني للمجهول والثاني غير مجهول وجوز فيه ان يحكى مبنيا على الفتح وان يعرب اعراب الاسما وينون ومنه قيل ان يقل الجمل يجري في غير الاعلام كما صرح به المرزوقي وذكر له نظاير هذا ما يتعلق بلفظه واما معناه فالنهي من كثرة الكلام لما يؤل اليه من الخطا وكونهما بمعنى لا وجه له فقيل انه اشارة الى حكاية كلام الناس ﴿ والاول حكاية عن غير معين والثاني عن معين وقيل الاول عبارة عن السؤال والثاني عن الجواب فالمعنى انه نهي عن كثرة البحث والجدال في الدين وغيره مما لا يلزم وقيل انه نهي وزجر عن كثرة الكلام مبتديا ومجيبا **وكثرة السؤال** اي سؤال الناس ما بايديهم استعطا وهو للقادر على الكسب من غير ضرورة حرام وهو الذي ارتضاه علماؤنا وقيل مكروه اوالسؤال عن اخبار الناس واحوالهم قيل وهذا يغني عنه قوله عن قيل وقال او السؤال عن المشتبهات والبحث عنها والتكلف في تخريجها وتوجيهها وقد ورد النهي عن ذلك او المراد نهيهم عن سؤال الرسول عليه السلام عن امور لما يؤذون في السؤال كما قال تعالى يا ايها الذين امنوا لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم ويرد عليه انه لو اريد هذا قال وعن السؤال من غير ذكر الكثرة واجيب بان كثرته تضمه لما اذن في السؤال عنه وهذا يتضمن النهي عن احدهما لان النهي عن مجموع امرين احدهما هو المنهي عنه في نفس الامر نظرا الى هيئتهما المجموعة تتضمن النهي عن خصوص ذلك المنهي عنه ولا يخفى ما فيه من التكلف لادعاء امر لا يدل عليه اللفظ **واضاعة المال** باي طريق كان سواء كان ما له او مال غيره كالانفاق في الحرام واهمال ماله وعدم تنميته حتى يهلك ودفع ماله للسفيه والاسراف فيما لا فايدة فيه كل ذلك منهي عنه وعد من اضاعته حبسه وعدم صرفه فيما لا يليق كما قيل •

وما ضاع اورث المجد اهله • ولكن اموال البخيل تضيع •

ومن هان عليه المال توجهت اليه الامال • ومن بسط راحته اتسر ساحته • وكما قلت •

وتكرم نفس المرء ان هان ماله • وكل كريم النفس فهو كريم •

وقيل تصدق المديون والمحتاج حرام • وكذا تصدقه بجميع ماله وقال السبكي في فتاواه الضابط في اضاعة المال ان لا يكون لغرض ديني او دنيوي فاذا انتفيا كان اضاعة ومحل حرمته ما لم يصبر ويتوكل على الله حق التوكل لقوله تعالى ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة **ومنع وهات** منع منون مجرور وجوز فيه ان يكون فعلا ماضيا وهو بعيد ﴿ والمراد منع بذل ما يجب او يستحسن او مطلق الامساك وهات بكسر المثناة الفوقية اي طلب ما عند غيره وسؤاله وهو فعل امر اآت فقلبت همزته هاء وهو مذهب الخليل وعليه اكثر النحاة **وعقوق الامهات** العقوق مخالفة الوالدين وايذاؤهم ضد البر من العق وهو القطع ﴿ والامهات جمع امهة وهي الام واصل الام امهة لجمعه على امهات وتصغيره على اميهة وقد جاء اصله من المضاعف لقولهم امات واميمة وقال بعضهم اكثر ما يقال امات في البهايم ونحوها مما لا يعقل وامهات في الانسان وخص الامهات مع ان عقوق الوالدين اكبر حقا من الكباير لانهن اكثر حقا وشفقة على الولد ولذا لما سال سايل رسول الله من احق الناس بحسن صحابتي قال امك قال ثم من قال امك قال ثم من قال امك ثلاثا قال ثم من قال ابوك وهو حديث صحيح وايضا لم يكن للنسا تلك الحرمة عند العرب خصهن ليحثهم على برهن وينبه على ما يجب لهن قيل ويؤخذ منه انه اذا اعطى والديه شيا ينبغي عطية الام على عطية الاب واكثر العقوق يكون لهن • وقال حكمة الثلاث في الحديث مشقة الحمل • والوضع • والرضاع

وذهب الجمهور لتفضيل الام على الاب في البر ونقل عن مالك وبعض الشافعية التسوية بينهما والاصح الاول **ووأد البنات** الوأد بفتح الواو وسكون الهمزة والدال المهملة من صلة الصوت الشديد وهو دفن البنات في حياتها اما انفة وغيرة من النكاح او خوفا من الفقر والمدفونة حالة الدفن تصيح غالبا وما في الشرح الجديد من انها سميت بذلك لما يطرح عليها من التراب فيؤدها اي يثقلها ومنه ولا يؤده حفظهما غلط فاحش لاختلاف مادتيهما فان مادة الاول وأد والثاني أود اختلاف تصنيفهما كما بينه اهل اللغة واداعا العقل لا حاجة اليه وكان هذا في الجاهلية واول من فعله قيس بن عاصم التميمي فتبعه العرب [بعضهم صح] على ذلك وكان يقتل اولاده مطلقا وكان صعصعة بن ناجية جد الفرزدق منع الوأد في الجاهلية كما قال ﴿

وجدي الذي منع الوائدات • واحيى الوئيد فلم يوأد •

وخص البنات لانه الغالب وكانوا على فريقين فمنهم من يحفر حفيرة تلد المرأة عندها فان وضعت ذكرا ابقته وان وضعت انثى القتها في الحفيرة وردم عليها التراب فان لم تفعل ذلك وصارت سداسية ذهب بها لبير ورماها فيها بعد ما طيبتها امها وزينتها وفي الجاهلية من نهى عن ذلك كزيد بن عمرو فلما جاء الشرع ابطل ذلك وقد جعلوا العزل وأدا خفيا وهي الموءودة الصغرى ووجهه ظاهر وهو حرام او مكروه وفيه تفصيل ذكره الفقهاء ثم نهيه صلى الله عليه وسلم عن الثلاثة الاول من هذه الامور الستة نهي كراهة وعن البقية نهي تحريم لكنه ليس بصيغة النهي بل بمقتضى الحديث الآخر الصحيح وهو ان الله حرم عليكم عقوق الامهات الخ وبقي كلام زايد على مقتضى المقام **وقوله اتق الله حيث كنت** وفي نسخة الترجح حيث ما كنت وهذا الحديث رواه الترمذي والحاكم عن ابي ذر ولا فرق بين الروايتين معنى لان ما زايدة والتقوى حفظ النفس عن ارتكاب المعاصي ولها مراتب فصلها القاضي في سورة البقرة وحيث ظرف مكان يضاف للجمل والمراد بها هنا التعميم اي في مكان واي حال وقيل انها هنا ظرف زمان بناء على مجيئها للزمان لان التقوى في جميع الازمنة اعم منها في جميع الامكنة وقيل ان الرواية حيث ما كنت • وقال غيره انه روي بحذفها ايضا والامر لراويه او لكل من يقف عليه ليعم كل مامور وباعتباره افرد الضمير كما في قوله تعالى ولو ترى اذ وقفوا على النار ولنا فيه كلام ليس هذا محله **واتبع السيئة الحسنة تمحها** هذا وما قبله وما بعده حديث واحد رواه الترمذي وقال انه حديث حسن صحيح والمراد باتباعها اياها فعلها بعدها وجعلها تابعة لها اي واقعة بعدها بقرب منها وفي معنى الحديث قوله تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات ونحوها واذهابها بمعنى تكفيرها وعدم مؤاخذة الله بها فكانها لم تكن والمراد بالسيئة الصغيرة لقوله في الحديث الصلاة الى الصلاة كفارة لما بينهما الكباير وقالت المرجئة انه شامل للكباير والصغاير وقال بعض المعتزلة المراد ان الحسنة تكون سببا لترك الذنب ولا تكفر شيا اصلا ويحتمل ان المراد بالمحو حقيقته والمعنى انها تمحى من كتاب اعماله وتمحها مجزوم في جواب الامر وهذا مقيد بغير حقوق العباد كالغيبة فانه لا يمحوها الا الاستحلال بعد بيان جهة الظلامة ان امكن والا فقالوا ينبغي ان يكثر من الاستغفار والدعا له ويكثر من فعل الحسنات لحديث اذا اغتاب احدكم اخاه من خلفه فليستغفر له فان ذلك كفارة ولهذا زيادة بيان وتفصيل في كتاب المكفرات للسيد السمهودي وقوله **وخالق الناس بخلق حسن** خالق امر من خالقه يخالقه بمعنى عاشرهم وخالطهم

وعاملهم بما تحب ان يعاملوك به فليس المقصود المفاعلة بل هو لاصل الفعل او هو على اصله
بجعل المطلوب منهم بمنزلة الواقع والخلق بضمتين وضم فسكون السجية والطبيعة التي
طبعوا عليها وفيه اشارة الى انه يمكن اكتسابه والا لم يكن للامر به فايدة كما ورد يا معاذ حسن
خلقك مع الناس اي عاملهم بطلاقة وجبر الخواطر وكف الاذي فان ذلك يودي لاجتماع القلوب
وانتظام الاحوال وهو جماع الخير وملاك الامر كما قلت

ان رمت ان تحظى بعز وهنا • فاجتنب الناس وكن عنهم غني
وان تخالطهم فكن ذا عفة • وخالق الناس بخلق حسن

وخير الامور اوساطها لما كانت الملكات المحمودة لها طرفا افراط وتفريط مذمومات
والمحمود منها ما بينهما وهو الوسط كالكرم بين التبذير والبخل والشجاعة بين التهور والجبن
جعل الوسط منها مطلوبا على ما بين في علم الاخلاق وبه ورد التصريح في الحديث الذي
رواه العسكري عن الاوزاعي بسنده وهو ما من امر امر الله به الا عارض الشيطان فيه بخصلتين
انهما افعل اصاب الغلو والتقصير • وروي ابو يعلى بسنده عن وهب بن منبه ان لكل شي طرفين
ووسطا فاذا امسك باحد الطرفين مال الاخر واذا امسك بالوسط اعتدل الطرفان
فعليكم بالاوساط من الاشيا ويشهد له قوله تع وكذلك جعلناكم امة وسطا اي بين غلو النصارى
وتفريط اليهود • قال الشاعر

عليك باوساط الامور فانها • نجاة ولا تركب ذلولا ولا صعبا

وقول الحوي • حب التناهي غلط • خير الامور الوسط

وقال • خير الامور عندنا الاوساط • ويكره التفريط والافراط

وليس الوسط بمعنى الخير والحسن مطلقا بل في امور مخصوصة اقتضى توسطها خيريتها
الا ترى الى قولهم اخو الدون الوسط وقولهم الثقل من مغن وسط لا مطرب ولا مضحك كما في الروض
الانف وهذا الحديث اخرجه السمعاني في ذيل تاريخ بغداد عن علي عنه صلى الله عليه وسلم
وابن جرير في تفسيره عن مطرف بن عبد الله ويزيد بن مرة الجعفي وكذا اخرجه البيهقي بلا سند
وذكره الديلمي بلا سند عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم ولفظه دوموا على اداء الفرايض
خير الاعمال اوسطها ويناسبه قوله **وقوله احبب حبيبك هونا ما عسى ان يكون بغيضك
يوما ما** وابغض بغيضك هونا ما عسى ان يكون حبيبك يوما ما • والهون بفتح الهاء وسكون
الواو والنون مصدر كالقول من هان عليه الشي اذا خف وسهل ومنه الهون في المشي وهو الرفق
واللين فارشد صلى الله عليه وسلم المتحابين الي الاقتصاد في المحبة وعدم المبالغة فيها وكذا
المتباغضين اللذين بينهما عداوة لا ينبغي لهما المبالغة في العداوة واظهارها فليكن ذلك على
قدر متوسط فان خير الامور الوسط فقد ينتقل الحب الى البغض والبغض الى الحب فيقبح تفاوت
حالك وتغير اقوالك وافعالك فالهون هنا بمعنى التوسط وعدم الافراط وقد فسره به اهل
اللغة قال في النهاية اي لا تسرف في الحب والبغض فعسى ان يصير الحبيب بغيضا والبغيض
حبيبا فتندم وتستحي فدخل هذا الحديث تحت ما قبله • قال ارسطاطاليس لا تسكنن لا تملان
قلبك بمحبة شي ولا يستولين عليك بغضه واجعلهما قصدا فان القلب كاسمه يتقلب وقال
بعض العرب •

واحبب اذا احببت حبا مقاربا • فانك لا تدري متى انت نازع
وابغض متى ابغضت غير مباين • فانك لا تدري متى انت راجع

وبين

وبين عليه ابن الرومي بقوله

احذر صديقك مرة • واحذر عدوك الف مرة
فلربما انقلب الصديق • فكان اعرف بالمضرة

فان قلت كيف يدل هذا على التوسط وقد قالوا ان ما تدل على التقليل سواء قلنا انها زايدة
او اسما على ما فصله المفسرون في قوله مثلا ما بعوضة وهي هنا للتقليل لقلب النون ميما وادغامها
فيها قلت لان الوسط قليل بالنسبة للاعلى • وقيل انها مشددة تفيد تقليل التوسط • والحب
اذا كان على وجه التوسط القليل كان قليلا ولكن غير خارج عن مراتب التوسط بل عن مرتبة التوسط
الوسطى ومن الجايز ان يكون له مراتب متفاوتة قربا من الطرفين وبعدا منهما وعدم قرب وبعد
منهما وعند عدم البعد والقرب منهما يكون التوسط الكثير ويعني به التوسط التام كما يعني
بالتوسط التقليل التوسط الناقص والحق انه لا تقليل فيه وانما المراد اي هونا ما كان
للتاكيد كما في الاية والتقليل لو سلم يفيد تكثيرا هونا انتهى • وفيه نظر وهذا الحديث كما قاله
السيوطي اخرجه البخاري في الادب والترمذي عن ابي هريرة وقال العجلوني الاكثر على انه من كلام
علي ورواه الحسن بن ابي جعفر مسندا عن علي بن رفعه للنبي صلى الله عليه وسلم باسناد ضعيف
وقال الترمذي الاصح انه موقوف على علي • وذكر الترمذي انه ورد عن محمد بن سيرين عن ابي
هريرة قال واراه رفعه وهو غريب لا نعرفه بهذا الاسناد الا من هذا الوجه وممن رفعه القضاعي
في الشهاب ورواه الماوردي مرفوعا في ادب الدين والدنيا وكذا الغزالي في الاحيا ورواه
في مسند الفردوس **والظلم ظلمات يوم القيمة** الظلم وضع الشي في غير موضعه وقد يكون
بمعنى النقص قال ولم تظلم منه شيا اي لم تنقص منه شيا والارض مظلومة اي لم تمطر فكانها
نقصت عن غيرها والمراد به تعدي الحدود وتجاوز الحقوق سواء كانت في حق نفسه او في
غيره وتعريفه يراد به العموم وافرد وجمع الظلمات اما لانه جمع معنى لاستغراقه فيكون
لمقابلة الجمع بالجمع او اشارة الى ان الظلم الواحد يعقبه ظلمات متعددة لفظا عنه وقال
ابن الجوزي ان من ظلم نفسه او غيره نشا ذلك عن قسوة قلب ثم تعقب ذلك تعذيبه ومبارزة
ربه بمخالفته فلذا تعدد جزاوه وتلك الظلمة اما حقيقية حسية كما ان المومن المطيع له
نور في القيمة قال الله تع يوم ترى المومنين والمومنات يسعى نورهم الاية ومنهم من حمل الظلمات
على الاهوال والشدايد كما فسر به قوله تع قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر اي من شدايدهما
قيل ولا حاجة الى صرفه عن حقيقته مع امكانه وهذا الحديث صحيح اخرجه البخاري وترجم له
واسنده الى ابن عمر ورواه كما رواه المص الظلم ظلمات يوم القيمة واتقوا الشح فان الشح اهلك
من كان قبلكم حملهم على ان سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم وبذلك علم ان ما ذكره من حذف ان
روايته فيه فلا يقال انه اخل بلفظه او وقع على رواية فيه غير مشهورة وحمل على الظلم الظلمات
وجعلها عينه لانه سببها مبالغة **وقوله** اي النبي صلى الله عليه وسلم **في دعايه** اي في بعض
دعواته الماثورة وقد جمع ادعيته في كتب مستقلة من وقف عليها راى فيها من هذا النمط
امورا عجيبة وهذا الحديث رواه الترمذي عن ابن عباس وقال انه غريب قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول ليلة حين فرغ من صلاته **اللهم اني اسالك رحمة من عندك** وفي
رواية عن المص رحمة بدون قوله من عندك والاولى هي المذكورة في الترمذي وعند اذا اضيف
الى الله لها معان منها العلم كقوله وكان عند ربه مرضيا • وتكون بمعنى الحكم نحو وكان عند الله

وبمعنى التفضل والانعام من غير مقابلة عمل نحو قالت هو من عند الله وبهذا فسره البرهان
هنا اي اطلب منك إحسانا بمجرد فضلك لا في مقابلة عمل وقيل بل معناها قرب المنزلة اي
اسالك رحمة تقربني لديك والهداية وغيرها بمحض فضل الله اذ لا يجب عليه شي فقوله من عند
ليس معناه لا في مقابلة طاعة لاشعاره بان ما في مقابلتها ليس بمحض الفضل بل ذلك بنسبة
تشريف وتعظيم وتنزيه وتكريم انتهى وليس بوارد لان ما في مقابلة العمل ليس بطريق الوجوب
بل بمقتضى وعده وحكمه السابق وهو تفضيل مخصوص منه ايضا وقيل معنى العندية عموم نفعها
وجد واها بدون وسايط كونه وهو تكلف لا يساعده اللفظ والرحمة بمعنى الانعام او ارادته
كما حقق في محله **تهدي بها قلبي** اي تدله او توصله الى ما يقربني من حضرة قدسك لانه شاهد
نفحات انسك **وتجمع بها امري** اي تنتظم بها اموري وشاني حتى لا يكون لها تشتت **وتلم بها**
شعثي اي تلم برحمة من عندك وتجمع ما تشتت وتفرق من امري وهو كالتفسير لما قبله قال
الجوهري الشعث انتشار الامر يقال لم الله شعثك اي جمع امرك انتهى واصله انتشار الغبار
في الهوي **وتصلح بها غايبي** بالغين المعجمة والبا الموحدة فسروه بباطني اي ما خفي من اموري
عني وعن غيري وقيل المراد قلبي وصلاحه بصلاح صفاته من الاخلاص والصدق والتوكل ٥
والتوحيد **وترفع بها شاهدي** اي ظاهري من الشهود وهو الحضور والمعاينة وهو مقابل
لقوله غايبي وبينهما صنعة الطباق وقيل اراد بها الدنيا والاخرة ورفعه جعلها غالبة رفيعة
بالاعمال الصالحة والصفات الحسنة وقيل المراد بظاهره جسده ورفعته بسلامته من الآفات
وعصمته من البليات وقدر له صلاح قلبه عليه لان بصلاحه صلاح غيره لقوله ان في الجسد مضغة
اذا صلحت صلح الجسد كله **وتزكي بها عملي** اي برحمة وتفضل منك تجعل عملي كله مباركا مقبولا سالما
مما ينقصه كالريا او هو من تزكية الشهود اي تجعله ممدوحا وهما متقاربان **وتلهمني بها رشدي**
الالهام ايقاع الخير في القلب والرشد والرشاد السداد والاستقامة والرشيد في اسماء الله هو
الذي يرشد عباده لمصالحهم ويدبرهم **وترد بها الفتي** بضم الهمزة وكسرها وسكون اللام
وفتح الفا يليها تا تانيث ويا متكلم مصدر بمعنى المفعول اي ما كنت الفه كالاليف ما عنده
ومن يريد اجتماعه وردها عودها الى ما كانت عليه والمراد عشيرته واقرباؤه واهل بلدته فدعا
الله ان يولفهم ويهديهم للاسلام كما يقال رد الله عليه ضالته اي جمع بينه وبينها وقيل
المراد حالة التي كان عليها في عالم الذر والارواح من حب الله وتعظيمه وخلوصه من الكدورات
الجسمانية وهو بعيد **وتعصمني بها من كل سوء** اصل معنى العصمة المنع والحماية اي تصونني
وتحفظني مما يسوءني والبا في المواضع كلها سببية وزاد البخاري هنا اللهم اعطني ايمانا ويقينا
ليس بعده كفر ورحمة انال بها شرف كرامتك في الدنيا والاخرة **اللهم اني اسالك الفوز في القضا**
وروي في العطا الفوز النجاة والظفر في القضاء والقدر بالفتح والسكون بمعنى في اللغة
ومنهم من يفرق بينهما فيجعل القدر تقدير الله الامور قبل ان تقع والقضا انفاذ ذلك القدر
وخروجه من العدم الى حد الفعل وهو الصحيح لانه قد جا في الحديث انه صلى الله عليه وسلم مر
بكهف مايل للسقوط فاسرع المشي حتى جاوزه فقيل له اتفر من قضاء الله فقال افر من قضاء
الله الى قدره ففرق بين القضا والقدر وبين ان الانسان يجب عليه ان يتوقى قال البطليوسي
فالمعنى انه سال الله النجاة من كل سوء قضاه عليه او عليه معلقا على امر وفقد له **ونزل**
الشهدا النزل بضم النون والزاي وتسكن وهو مصدر جعل اسما لما يعد للضيف اذا نزل

من الغوي والكرامة اراد ما لارواحهم في البرزخ ولهم في الجنان من الاكرام والرزق
والثواب وقد فاز بذلك لما منحه الله من الشهادة مع ما لا عين رات ولا اذن سمعت **وعيش**
الشهدا اما ان يريد بالعيش الحياة الدنيوية بان يكون سعيدا في الدنيا معززا مكرما موفقا
لما يرضاه فايزا بكل شي يتمناه او في الاخرة بان يحييه حياة مخلدة متنعما فيها بما يليق بجنابه
لقوله واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها الآية والاحسن ان يريد مجموعهما والعيش اصل
معناه الحياة والسعدا جمع سعيد ضد الشقي وبعد في الدعا وموافقة الانبيا **والنصر على**
الاعدا اي الانتصار عليهم وغلبتهم والاعدا جمع عدو وضده الصديق وتمامه اللهم انزلت بك
حاجتي يا قاضي الامور ويا شافي الصدور كما من البحور ان تجيرني من عذاب السعير ومن
دعوة الثبور ومن فتنة القبور اللهم وما قصر عنه رايي وضعف عنه عملي ولم تبلغه
نيتي وامنيتي من خير وعدته احدا من عبادك او خير انت معطيه احدا من خلقك فاني ارغب
اليك فيه واسالك يا رب العالمين • اللهم اجعلنا هادين مهديين غير ضالين ولا مضلين حربا
لاعدايك وسلما لاوليايك نحب بحبك الناس ونعادي بعداوتك من خالفك من خلقك اللهم
هذا الدعا وعليك الاجابة وهذا الجهد وعليك البلاغ ولا حول ولا قوة الا بالله اللهم ذا الحبل
الشديد والامر الرشيد اسالك الفوز يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود ٥
الركع السجود والموفين بالعهود فانك رحيم ودود وانت تفعل ما تريد سبحان من تفرد بالعز
وقال به • سبحان الذي لبس المجد وتكرم به • سبحان الذي لا ينبغي التسبيح الا له • سبحان
ذي الفضل والنعم • سبحان ذي القدرة والكرم • سبحان الذي احصى كل شي بعلمه • اللهم اجعل
لي نورا في قلبي ونورا في قبري • ونورا في سمعي ونورا في بصري • ونورا في شعري • ونورا
في بشري • ونورا في لحمي ونورا في دمي ونورا في عظامي • ونورا بين يدي ونورا من خلفي
ونورا عن يميني ونورا عن شمالي • ونورا من فوقي ونورا من تحتي • اللهم اعط لي نورا واجعل
لي نورا • اعط لي باللام لمشاكلة اجعل لي فلا وجه لما قيل صوابه اعطني لانه لا يتعدى باللام
ان صحت الرواية وما وقع في هذا الدعا من السجع لا ينافي ما قيل من انه كان يكرهه لان ما كان
عن تصنع وتكلف ملتزما فاما ما جا من غير تكلف فلا باس به وقد روي عن ابن عباس انه كان
يكره السجع اذا كان عن تعمد لانه من التكلف وهو براء منه كتكلمه بالنظم المنزه عنه اما صدوره
منه احيانا والا لتزم كما هنا فغير مكروه كما ورد في القرآن ولذا قيل انه لا يصح اطلاق السجع
عليه • ثم اشار الى ما ذكره قطرة من بحر فان شيت الوقوف على غيره فاضف ما ذكر **الى ما رويته**
الكافة عن الكافة اي مما رواه كثير من الناس لا يحصون فكافة وان كان بمعنى جميعا لانه اسم
فاعل او مصدر كالعافية والفاتحة في قول من كف اذا جمع اطرافه او من كف بمعنى منع لانه كان
يمنع من الزيادة عليه اريد الكثرة كما روت كل ذلك كثيرا اذا لم يروه جميع الناس ولا جميع المحدثين
لكنه لما شاع وذاع فكانه كذلك ثم ان سيبويه ان كافة تلزم التنكير والنصب على الحالية هم
كافة وقاطبة وطرا ونحوه وزاد غيره انها لا تثنى ولا تجمع ولا تطلق على غير العقلا ولم يرد
ذلك في كلام الله ولا كلام العرب وهو وهم من استعملها على خلاف ذلك كابن نباتة في خطبه
وصاحب الكشاف في كشافه وفي قوله خطبة المفصل محيط بكافة الابواب لاخراجه عن النصب
والتنكير واستعمالها فيما لا يعقل واما قول الجوهري الكافة الجميع من الناس فلا وهم فيه لان
النكرة اذا اريد لفظها يجوز ان تعرف فلا وهم فيه كما توهم صاحب الدرة وتبعه بعض الشراح

فانه ليس مما نحن فيه **اقول** هذا وان اتفقوا عليه لا وجه له دراية ورواية اما الاول فلان العرب اذا استعملت لفظا في معنى وضعت له على وجه مخصوص من الاعراب لم يكن من غيرهم اتباعهم فيه ولو قلنا بذلك لادى الى تضييق على الناس في استعمال الالفاظ العربية وعد هذا ونحوه لحنا كما قاله الحريري لا وجه له واما الثاني فلانه روي عن عمر رضي الله عنه استعماله في كتابه لنبي كالكلام المروي عنه رواية ثابتة وعن علي في ذلك ايضا حيث كتبه بعينه بين جمع من الصحابة وناهيك بهم فصاحة فان اردت تفصيله فانظره في شرحنا لدرة الغواص **من مقاماته ومحاضراته** بيان لما فيما رويته والمقامات بفتح الميم جمع مقامة مفتوحها وهي اسم لمكان القيام وتوسعوا فيها فاستعملوها لمطلق المكان كقوله

وكالمسك ترب مقاماتهم ۞ وترب قبورهم اطيب ۞

ثم كثر فيه فاستعملوه لمن قام فيه كما سموه مجلسا في قوله

واستبّ بعدك يا كليب المجلس ۞

وزادوا في التوسع حتى سموا به الكلام الصادر فيه مقامة كمقامات البديع والحريري ومثله من التجوز كثير ومنه يعلم ان المجاز على المجاز لا يقتصر على مرتبة واحدة كما يوهمه كلامهم فالمراد به الكلام الصادر منه في مجالسه وخطابه امته في حال حكمه وحروبه ولا يختص بالخطب لكونه يخطب قائما لذكره غيره وان المقام مقام خطابة يغتفر فيه الاسهاب ولما اريد به هنا الكلام وقع بيانا لما رويته والمحاضرات جمع محاضرة لا محضرة كما توهم بضم الميم وحاء مهملة وضاد معجمة وراء مهملة اصل معناها كما قال الجوهري من حاضرته اذا جاثيته اي جالسته عند السلطان وهو كالمغالبة والمكاثرة وحاضرته حضارا عدوت معه انتهى يعني انها مفاعلة من الحضور عنده او من الحضر بالضم فمعناها مجاراة الجليس جليسه في الكلام بان يتكلم بما عندك فيما يخطر على بالك ويتكلم هو في ذلك معك فالمراد مصاحبة النبي مع اصحابه احيانا ومصاحبتهم له كالتحدث بامور سلفت ونحوها مباسطة وملاطفة ومنه كتب المحاضرات الادبية كمحاضرات الراغب **وخطبه** جمع خطبة بضم فسكون من خطب الخاطب خطابة بالفتح وخطبة بالضم اذا تكلم في امر مهم بكلام سواء كان قائما على منبر والكلام مسجع ام لا وهي معروفة **وادعيته** جمع دعاء كوعاء واوعية وهي سؤال الله وتوجهه اليه فيما يهمه **ومخاطباته** اي توجيه الخطاب لغيره حسبما اتفق **وعهوده** اي كلامه اذا اخذ العهد والميثاق على غيره من المسلمين كما في كتبه للملوك وغيرهم وقيل المراد وصاياه **مما لا خلاف انه نزل من ذلك مرتبة لا يقاس بها غيره** انه بتقدير في انه لاطراد حذف الجار قبل ان وان كما ذكره النحاة والضمير للنبي اولا وذلك اشارة الى البلاغة والفصاحة لسبقهما او للعلم بهما من سياق كلامه ونزل منزلة ومرتبة اي حل محلا عاليا ووصل الى حد لا يصل اليه غيره والمنزلة تستعمل في الشرف فالتا للنقل وفي بعض النسخ مرقبة بالقاف اي محلا عاليا من شانه ان يرقب فيه ويطلع على احوال غيره وقوله لا يقاس الخ اي لا يساويه غيره وضمير بها للمرتبة وضمير غيره للنبي او للكلام والقياس يتعدى بالبا وعلى يقال قاسه بغيره وعليه كما في القاموس والاساس وفي حواشي العضد للابهري القياس تقدير شي باخر وعدي بعلى لتضمنه معنى البنا وهو مخالف لما في القاموس مع ان تعدي البنا بعلى فيه كلام في حواشي تهذيب المنطق واما تعديته بالى في قول المتنبي ۞

يمن اضرب الامثال ام من اقيسه ۞ اليك واهل الدهر دونك والدهر ۞

فلتضمينه

فلتضمينه معنى الضم والجمع كما قاله الواحدي **وحاز فيها سبقا** حاز بالحاء المهملة والزاي المعجمة بمعنى حوى واشتمل وضمير فيها للمرتبة والسبق بفتح السين وسكون البا والموحدة مصدر سبق واما السبق بفتحهما فما يجعل من المال للمراهنة في المسابقة اي ما يوعد باعطائه لمن سبق غيره وهو اولى هنا فكانه لتحقق سبقه اخذ وفاز بما يعد للسابقين واما السبق في قول صلاح الشريفية حفظته سبقا سبقا فالورد المعين لحفظ الاطفال وهو مولد ماخوذ من هذا **او يعدل** بضم المثناة التحتية وفتح الدال المهملة المخففة مبني للمجهول **قدره** بسكون الدال اي مقداره اي سبق كبير لا يلحقه فيه احد ولا يعرف حقيقته كما في قوله وما قدروا الله حق قدره **وقد جمعت من كلماته التي لم يسبق اليها** ضبطه الدلجي والشارح الجديد بالبنا للمفعول وسكون تاء التانيث والجار والمجرور نايب الفاعل ومن للتبعيض اي جمع الرواة بعض كلمات لم يسبق اليها ولم يتكلم بها غيره او من زائدة وكلماته نايب الفاعل الا ان فيه زيادة من في الاثبات ومدخولها معرفة او نايب الفاعل ضمير للكلمات المعلومة من السياق وهذا كله تكلف حملهم عليه انه روي كذا والفعل المجهول لا يؤنث اذا كان نايب فاعله جارا ومجرورا يؤنث فلا يقال اخذت من هند وعدوه خطا لكن ابن جني قال في اعراب الحماسة انه سمع نادرا وبه قرئ في الشواذ في قوله ثم ان يعف عن طايفة منكم فمن خطا صاحب التلخيص في قوله صوحبت معها لم يصب وسيأتي وجه آخر اظهر من هذا وهو ان نايب الفاعل ما الموصولة في قوله ما يدرك ولو قرئ بالبنا للفاعل وحذف المفعول جاز **ولا يقدر احد ان يفرغ في قالبه عليها** فقد ربا لتخفيف من القدرة ويفرغ بضم المثناة التحتية وسكون الفاء وكسر الراء المهملة والغين المعجمة وهو صب المايعات في ظرف وقالب بفتح اللام اسم آلة كالعالم على خلاف القياس وقد تكسر لامه وقيل انه معرب كالب وقيل انه غير صحيح والقالب ما يصب فيه ما يراد من الجواهر كالفضة لتصاغ ففيه استعارة مكنية تخييلية لجعله الكلام بمنزلة الجواهر واسلوبه بمنزلة هيئة صيغته واثبت له القالب تخييل وعليها بتقدير على هيئتها بان يحاكي وفيه من البلاغة والمبالغة ما لا يخفى وقيل المراد بالقوالب الالفاظ لانها قوالب المعاني قال الجاحظ استعمل النبي صلى الله عليه وسلم المتوسط وهجر الغريب ورغب عن الهجين فلم يات الا بكلام خف وشد بالتأييد جمع الرقة والجزالة فدخل الاذن بغير اذن ليحفظ وينقل عنه **كقوله حمي الوطيس** هذا في حديث مروي عن العباس ورواه مسلم والبيهقي عن جابر بن عبد الله وانه قاله يوم حنين وقيل انه اول ما قاله باوطاس ففي التعبير به مناسبة لفظية منضمة لبلاغته وابداعه اي اشتدت الحرب والوطيس بفتح الواو وكسر الطا المهملة يليها مثناة تحتية وسين مهملة وهو التنور او شي يشبهه ومن فسره بضراب الحرب اراد المعنى المجازي وقيل هو الوط الشديد الذي يطس الارض اي يدقها وقيل هو حجارة مدورة اذا حميت لم يقدر احد ان يطاها قيل ولم يسمع هذا الكلام من احد قبل النبي صلى الله عليه وسلم وهو من بليغ الكلام وفيه استعارة مصرحة مرشحة بقوله حمي اي اتقد وقد حماه اذا سخنه وهي عامية وهو من حديث طويل في مسلم وما هو بحصى فانهم موافق كان الوطيس بمعنى الحجارة ففيه مناسبة **ومات حتف انفه** اي من غير ضرب ولا قتل ولا حرق وغرق ونحوه على فراشه كانه سقط على انفه فمات والحتف الهلاك وقيل كانت العرب تتوهم ان روح المريض تخرج من انفه وروح المجروح من جراحته فكلمهم النبي صلى الله عليه وسلم

على قدر عقولهم وهذا بعض حديث صحيح رواه ابن عتيك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الذي يخرج مجاهدا في سبيل الله ان لسعته دابة او اصابه شيء فهو شهيد ومن مات حتف انفه فقد وقع اجره على الله ومن قتل فقد استوجب المآب قال ابن عتيك فوالله ما سمعت قوله حتف انفه من احد من العرب قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى هذا بنى المصنف كلامه وعدها من كلامه الذي ابتدعه وهو المشهور وذهب بعض اهل اللغة الى ان هذه الكلمة تكلمت بها العرب قبل رسول الله وصححه في المصباح واستدلوا بقول السموأل

وما مات منا سيد حتف انفه • ولا طل منا حيث كان قتيل

واجيب بان هذه القصيدة اختلف في قائلها فقيل هو السموأل وهو شاعر وقيل عبد الملك الحارثي وهو اسلامي وقيل ان الرواية ليست هكذا • وانما هي وما مات منا سيد في فراشه فعلى هذا لا يرد على من عدها من مبدعاته لان الشاعر الجاهلي لم يقلها والاسلامي اخذها من كلامه كقول عبيد بن عمرو التابعي ما مات من السمك حتف انفه فلا تاكله اي ما طفا على الماء من غير سبب ظاهر لموته او انه لم يسبقه احد من اهل زمانه ولم يسمعه من غيره فتامله

ولا يلدغ المؤمن من جحر مرتين هذا حديث رواه ابو هريرة وفي لفظه اختلاف لا يضر ففي بعضها من جحر واحد وفي بعضها تقديم المؤمن وهو من الامثال النبوية وفي كتاب ابن مسكويه المسمى بجاوذان خرد الذي جمع حكم اليونان ان من امثالهم لا يرمى العاقل بحجر مرتين فانظر الفرق بين كلام النبوة وغيرها فان العاقل اذا ادخل يده في جحر فلدغ هل يدخلها مرة اخرى وقد قيل من لسعته الحية من الحبل يخاف يعني المؤمن الفطن لا يخدع مرة بعد مرة ولا يؤتى من جهة الغفلة فيقع في مكروه وهو لا يعلم فينبغي ان يكون متيقظا في امر دنياه وآخرته ويلدغ بالياء المضمومة المثناة التحتية واللام الساكنة والدال المعجمة والغين المعجمة واما بالمهملة فهو احراق النار والجحر بضم الجيم وحاء ساكنة وراء مهملة حفرة في الارض يكون فيها الحيات والحشرات وهذا قاله النبي صلى الله عليه وسلم لابي عزة الشاعر وكان يحرض الناس بشعره على النبي صلى الله عليه وسلم فاسر مرة فقال اني محتاج ذو بنات فمن عليه النبي واطلقه بغير فداء واخذ عليه ان لا يظاهر عليه احدا فقال يمدحه

من مبلغ عني الرسول محمدا • فانك حق والمليك حميد
وانت امرؤ تدعو الى الحق والهدى • عليك من الله العظيم شهيد
وانت امرؤ بوئت فينا مباءة • لها درجات سهلة وصعود
فانك من حاربته لمحارب • شقي ومن سالمته لسعيد

ثم نقض عهده واتى مع الكفار لحربه فاخذ باحد فسال ان يمن عليه على مثل الشرط الاول وقال غلبت فاقلني لم يفعل وقال لا ادعك تمسح عارضيك بمكة تقول خدعت محمدا مرتين وان المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين وامر بضرب عنقه فقتل صبرا ومرتين اريد به التكرار كقوله تعالى فارجع البصر كرتين لكنه اقتصر على الاول لانه انسب بالحزم فكان محاربا شقيا كما قال في شعره والقال موكل بالمنطق ولما فيه من المثل المحكم جرد من نفسه مؤمنا يقظا متيقظا لا ينخدع لغادر متجرد مرة فاسقم ولم يعف فان غضبه لله يا ابي الحكم كما قيل

ولا خير في حلم اذا لم تكن له • بوادر تحمي صفوه ان تكدرا

وان كان يغضي عن امور كثيرة ويتغافل عنها في مقام آخر كما قال ابو فراس

ليس الغبي بسيد في قومه • لكن سيد قومه المتغابي

قال البجاني وما وقع في شعر ابي عزة من مدح النبي والتصريح برسالته ليس له مخرج الا ان يكون قصد به خداعه ولذا لم يعد اسلاما وفيه معجزة له لعلمه انه لم يكن عن صميم قلب وانه سيغدر ويقتل • وفي الحديث اشارة الى ان اللدغ مستعار للخداع **والسعيد من وعظ بغيره** المراد بالسعيد المبارك المرضي عند الله والناس والوعظ ذكر ما يلين القلب من ثواب وعقاب اي من نصحته الحوادث النازلة بغيره وذكرته عواقب الامور من خير وشر فاتعظ بها فقبلها فهو سعيد ومن وعظ به غيره فهو شقي وابلغ من هذا وان كان معنى آخر ما ورد في الحديث اذا اراد الله بعبد خيرا جعل له واعظا من نفسه كما رواه الماوردي في اعلام النبوة وفي معناه قول الشاعر

لا تنتهي الانفس عن غيها • ما لم يكن منها لها زاجر

وفي معناه قلت

الزهد في الدنيا وترك الهوى • عن كل امر ضائر حافظ
ومن يرد خيرا به ربه • كان له من نفسه واعظ

ومما ذكره المصنف بعض حديث طويل رواه مسلم عن ابن مسعود فيه الشقي من شقي في بطن امه والسعيد من اتعظ بغيره والسعيد سعيد في بطن امه واخرجه العسكري مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم فليس من كلام ابن مسعود كما توهم وانما تمثل به كما قاله الحافظ ابن حجر وشيخه العراقي **في اخواتها** جمع اخت اي في الكلمات المشابهة لها بحسب البلاغة يقال هذا اخو هذا لمشابهته مؤاخاته لغلبة المشابهة بين الاخوات فهو استعارة او مجاز مرسل وفي بمعنى مع كقوله ادخلوا في امم او هي على اصلها كان اخواتها لكثرتها محيطة بها احاطة الظرف بالمظروف ففيه استعارة وهي في الحقيقة اكثر من ان تحصى كقوله انما الاعمال بالنيات والمجالس بالامانات والحرب خدعة واياكم وخضراء الدمن وغيره مما لا يحصى وقد افرد بالتاليف وذكر الشارح الجديد منها جانبا فيه وفي شرحه وهو بمعزل عن شرح الكتاب فلذا ضربنا عنه صفحا **ما يدرك الناظر العجب في مضمنها** قيل ما نائب فاعل جمعت المبني للمجهول كما تقدم ضبطه وانث رعاية لمعناه لانه بمعنى الكلمات المجموعة وجملة يدرك بمعنى يلحق والعجب فاعله او الناظر فاعل والعجب مفعول ويدرك من الادراك بمعنى التصور ومضمنها بضم وفتح الضاد المعجمة والنون اسم مفعول اي ما تضمنته من المعاني البديعة والتراكيب الفصيحة اي يتعجب في ذلك كل من راها **وتذهب في ادنى حكمها به الفكر** اي تذهب بالناظر فكره في اقلها واقل ما تضمنته من الحكم فالضمير في به للناظر وادنى جمع ادنى بمعنى اقل عددا او كلما فما بالك بالاكثر ومعمول تذهب محذوف لقصد العموم اي في كل مذهب بمعنى الذهاب به اي يتحير فيها فهو على حد قوله الم تر انهم في كل واد يهيمون ففيه استعارة تمثيلية او كناية **وقد قال له اصحابه ما راينا الذي هو افصح منك** هذا الحديث رواه البيهقي في شعب الايمان مسندا وذكره القالي في اماليه وشرحه وهو انه كان يوما جالسا مع اصحابه فنشات سحابة فقال كيف ترون قواعدها الحديث وستراه قريبا ومثله ما رواه ابو نعيم في الدلائل لما خطب عنده بعض خطباء الوفود فاجابه بكلام عذب فصيح فقال له علي يا رسول الله نحن وانت بنو اب واحد ونشانا في بلد واحد وانك تكلم العرب بلسان ما نفهم اكثره فقال ان الله عز وجل ادبني فاحسن تاديبي ونشات في بني سعد بن بكر والحاصل ان الصحابة اكثر من فصحاء العرب وخلصها وكانوا لا يفهمون

احيانا كلامهم حتى يفسره لهم وقد ورد ايضا ان لغة اسماعيل كانت اندرست فعلمها
جبريل كما علم آدم الاسما قال وما يمنعني وانما انزل القرآن بلسان عربي مبين اي ما يمنعني
من ان اكون افصح الناس او من ان لا اكون افصح مني والكتاب الذي انزل علي بافصح اللغات وفي
اعلى طبقات البلاغة هذا من تتمة الحديث السابق في وصف السحابة وهو حديث صحيح رواه
الثعالبي مسندا عن عباد بن عباد بن حبيب بن المهلب عن موسى بن محمد بن ابراهيم التيمي عن ابيه عن
جده قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم جالسا مع اصحابه اذ نشات سحابة فقالوا
يا رسول الله هذه سحابة فقال كيف ترون قواعدها قالوا ما احسنها واشد تمكنها قالوا وكيف
ترون رحاها قالوا ما احسنها واشد استدارتها قال وكيف ترون بواسقها قالوا ما احسنها
واشد استقامتها قال وكيف ترون برقها اوميضا ام خفيا ام يشق شقا قالوا بل يشق شقا
قال وكيف ترون جونها قالوا ما احسنه واشد سواده فقال عليه السلام الحيا فقالوا يا رسول
الله ما راينا الذي هو افصح منك فقال وما يمنعني من ذلك وانما انزل القرآن بلسان عربي مبين
وقواعد السحابة اسافلها واحدها قاعدة واما القواعد من النسا فواحدها قاعد وهي التي
قعدت عن الولد ورحاها وسطها ومعظمها وكذا رحا الحرب وسطها ومعظمها حيث استدار
القوم وقال الجوهري مستدارها وبواسقها ما علا منها وارتفع وكل شي علا فقد بسق وقال ابن
الاثير ما استطال من فروعها والوميض اللمع الخفي يقال اومض ايماضا واومض بعينه غمز والخفي
بزنة الضرب والاعجام البرق الضعيف كما قاله العالم الجاني التقدير انه ترونه وميضا او ذا
خفي لقول الجوهري خفي البرق يخفو خفوا ويخفي خفيا اذا لمع لمعا ضعيفا معترضا في نواحي
الغيم فان لمع قليلا ثم سكن فهو الوميض فان شق الغمام واستطال فهو العقيقة وجونها اسودها
وهو من الاضداد لانه يكون بمعنى الابيض والحيا بالقصر الغيث وجمعه احيا كما قاله العالي
والعناية بوصف السحاب مشهورة بين فصحا العرب وقال صلى الله عليه وسلم مرة اخرى بيد
اني من قريش ونشات في بني سعد قال السيوطي هذا الحديث اورده اصحاب الغريب ولا
يعرف له اسناد وللطبراني من حديث ابي سعيد الخدري ولفظه انا اعرب العرب ولدت في قريش
ونشات في بني سعد فاني ياتيني اللحن وقال قطلوبغا في تخريجه اخرجه ابو عبيد بلا غاميد
لعله في بيد وتقدم بعضه واخرج الطبراني في الكبير عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب انا اعرب العرب ولدت في قريش
ونشات في بني سعد فاني ياتيني اللحن وفي سنده مقال واما ما اشتهر من انا افصح من نطق
بالضاد بيد اني من قريش فقالوا انه لم يثبت وان ذكر في كتب النحو والاصول وبيد فيها لغتان
اخريان ميد بالميم وبايد كما ورد في الحديث قال في النهاية ولم اقف عليه ولعله بايد اي بقوة
فحرف فسر بغير الاستثنائية وبمن اجل التعليلية وبعلى ان كما يقال هو كثير المال على انه بخيل
وتلزم الاضافة لان المسندة وصلتها وهي في الحديث بمعنى غير والاستثنا منقطع على احد
قوليه هم
ولا عيب فيه غير ان نزيله • يعاب بنسيان الاحبة والوطن •
واستدل ابو عبيد على مجيئها بمعنى من اجل بقوله هم •
عمدا فعلت ذاك بيد اني • اخاف ان هلكت ان ترني •
وقولهم لم نر الذي هو افصح منك عنوا • ولا يساويك كما مر تحقيقه وجوابه بقوله بيد الخ
ان فسر بغير فظاهر لافادته لانه افصح من جميع العرب واما تفسيرها بمن اجل فقد استشكل بان

مفهومه انه من قريش وهم افصح العرب ولا يلزم منه ان يكون افصح العرب بل من افصحهم وهذا
الاشكال اورده بعض الشراح على انه من بنات افكاره وقد سبقه اليه الكوراني في شرح جمع الجوامع
ووجهه ان العلة موجودة في غيره وهو نقض للحكم لوجود علته في غيره واورد عليه ان كثيرا
من الاصوليين كالبيضاوي والهندي ذهبوا الى ان تخلف الحكم ان كان لمانع او فقد شرط لا يقدح
في علية العلة مطلقا سوا كانت منصوصة ام لا والتعدد بوهنا مع كوني نبينا فالتعليل هنا صحيح
نظرا على ما فصل في العضد وغيره ويسمونه خصوص العلة وهذه حيرة لان الحديث بيد اني
من قريش واسترضعت في بني سعد وفي رواية وانزل علي القرآن بلسان عربي مبين والمجموع
هو العلة ولا يوجد في غيره اي اني من قبيلتين هما افصح العرب وقد نشات في الحاضرة والبادية
فجمع لي من الرقة والجزالة ما لم يجتمع لغيري والمعنى اني انزل علي القرآن على اسلوب لا يوجد في غيره
جامع لزبد جميع اللغات فاثر في سلامة طبعي وانتقش في صحف ذهني ما لا يتصور لغيري
واما النبوة فلا دخل لها هنا او نقول كونه افصح من قريش معلوم لان القائلين لهم منهم وهو
بين اظهرهم لا يخفى عليهم حاله واما كونه نشا في بني سعد واسترضعوه فلان حليمة السعدية
ارضعته بعد ثويبة جارية ابي لهب وحليمة بنت ابي ذويب وزوجها الحارث ابوه من الرضاعة
لان الرضاع يؤثر في الطباع ووقع عندها شق صدره وسياتي بيانه وانه وقع مرارا ثم ان الثعالبي
قال اختلف المتكلمون في كلام النبي هل منه ما هو معجز كالقرآن بناء على هذه الاحاديث امر فذهب
بعضهم الى اعجازه وان اعجازه دون اعجاز القرآن وذهب الباقون الى انه مثناه في الفصاحة
ولكن لا يبلغ الى رتبة الاعجاز وهذا هو الصحيح واحتج الاولون بما روي عن ابن مسعود انه اشتبه
عليه كون المعوذتين من القرآن وعد بعض الصحابة القنوت من القرآن وهم فصحا عالمون بمراتب
الاعجاز وان هذا باطل لم يثبت عن ابن مسعود وغيره او متاول بانه لم ينكر كونهما من القرآن ولم يشك
فيه وانما انكر كتابتهما في المصحف لانه لم يبلغه انه امر بكتابتهما وهو محجوج بقراءته وقراءة
الصحابة بهما في الصلاة • فان قلت مما مر من تكلم النبي بالوحشي الغريب مخالف للفصاحة
قلت لا لما مر من ان الوحشي من اهله وممن يتكلم معهم فصيح فلا حاجة الى القول بانه غير غريب
لثبوته في كتب اللغة من غير احتياج لتفسير وتفحص والى ما ذكرناه اشار بقوله فجمع له صلى الله
عليه وسلم بذلك قوة عارضة البادية جمع مبني للمجهول واصله جمع الله فحذف للعلم به
وذلك اشارة لكونه من قريش ونشا في بني سعد وانما نشا فيهم على عادة قريش في دفعهم اولادهم
لمرضعات بالبادية ليتفرغ النسا بهن لان هواها اصح وليكون مع اولاد الاعراب
فيتدرب لترك الترفه وكذا كان عادة ملوك بني امية والعارضة التجلد والقدرة على الكلام
ويقال بعير عرضة للسفر اي قوي عليه واضافة القوة لها بيانية والبادية والبداوة والبداة
خلاف الحاضرة وتبدى اي البادية وتبادى تشبه باهلها وهو خلاف الحاضرة اي الامصار
والمراد بالبادية اهلها او هو بتقدير مضاف وجزالتها بفتح الجيم والزاي المعجمة خلاف الركاكة
اي جزالة كلامها يقال كلام جزل اي قوي شديد ومنه الحطب الجزل الغليظ وليس من الركيك
وهو الضعيف من الالفاظ المحلول التركيب فتكثير السواد به هنا غير مناسب ونصاعة
الفاظ الحاضرة النصاعة كالفصاحة مصدر بمعنى الخلوص والمراد خلوصها من التعقيد
والغرابة الوحشية وصاده وعينه مهملتان من نصع الشي اذا تميز جيده من رديه والحاضرة
خلاف البادية سكان القرى والامصار ورونق كلامها الرونق البها والحسن فان كلام اهل البادية

قوي متين لعدم تصنعهم وكلام اهل الحاضرة رقيق لطيف فجمع كلامه بين هاتين الصنفين مضموما ذلك الى التأييد الالهي الذي مدده الوحي ومدده بمعنى مده لا بمعنى زيادته والتأييد التقوية من الايد وهو القوة وامده بايجاء اليه وانزل عليه كلامه المعجز ولذا صح ان اهل الجنة يتكلمون بلغة محمد ولغة اهل الجنة فلا صحة لما رواه بعضهم ان لسان اهل الجنة الفارسية الدرية وهذا في معنى ما روي من ان عمر قال ما لك افصحنا ولم تخرج من بين اظهرنا فقال كانت لغة اسمعيل قد درست فجاءني بها جبريل فحفظتها الذي لا يحيط بعلمه بشري اي انسان منسوب للبشر وهم الناس والضمير للتأييد الالهي وقالت ام معبد عاتكة بنت خالد بن زمعة احدى نساء بني كعب بن عمرو بن خزاعة وزوجها عبد الملك بن وهب وقيل لا يعرف اسمه توفي في حياة النبي وقيل انه صحابي له رواية وكانت تنزل بين مكة في خباءها فنزل عليها النبي وابو بكر لما هاجر فقرته فلما جاء زوجها اخبرته بذلك ووصفته في حديث ذكره اهل السير افرده الحافظ العلائي بالشرح وفي صفتها له مصدر مضاف لفاعله وضمير له للنبي صلى الله عليه وسلم ويحتمل ان يكون له خبر مقدم والاول اولى حلو المنطق الحلو في المطعومات مستلذ فاستعير لما يعجب السامع ويستلذ بسماعه ذوقا او كالحلو المأكول فصل مصدر بزنة ضرب بفاء وصاد مهملة ولام اي فاصل بين الحق والباطل او بين ظاهر قاطع للشك لا لبس فيه او تفسيره قوله لا نزر ولا هذر كما قاله العلائي او ذو فصل بين اجزائه لقول عائشة ما كان رسول الله يسرد سردكم هذا ولكن كان اذا تكلم بكلام بينه فيحفظه من يجلس اليه كما في المصابيح ونزر بفتح النون وسكون الزاي قليل لا يفهم والهذر بالهاء والذال المعجمة المفتوحتين بليه راء مهملة كذا ضبطه العلائي وهو راو ثقة وتبعه بعض ارباب الحواشي وضبطه ابن الحنبلي بسكون الذال مصدر هذر يهذر في كلامه والاسم الهذر بالتحريك وهو كثرة الكلام بحيث يمل وهذا غير مناف لما ورد في الحديث اوتيت جوامع الكلم واختصر لي الحديث اختصارا لان المنفي الايجاز المخل لا المقبول منه كان منطقه اي ما ينطق به خرزات نظمن اي متناسبة لها رونق كالعقد المنظوم من الجواهر والخرز ما ينظم من الجواهر وليس كما تفهمه العامة من تخصيصه بنوع كما في الصحاح من الخرز وهو الثقب وكان جهير الصوت حسن النغمة العرب تتمدح بعلو الصوت وتذم ضآلته ولذا تمدحوا بسعة الفم وذموا صغره كما قاله الجاحظ في كتاب البيان وقد ورد في وصفه صلى الله عليه وسلم في حديث ابي هالة انه كان يفتتح الكلام ويختتمه باشداقه كما قال لعز السلولي

جهير وممتد العنان منافل • بصير بعورات الكلام خبير •
لو ان الصخور الصم يسمعن صوته • لرحن وفي اعراضهن فطور •

والجهير والجهوري العالي الصوت فليس فيه خفاء ولا تكسر ككلام النساء اقول هذا لا ينافي ما ورد من ذم التفيهق والتشدق في الكلام فان ذلك اذا افرط او كان تصنعا ثم ان المدح بسعة الفم لدلالته على الفصاحة وقوة المقدرة على الكلام بخلاف غيره والمراد ما لم يفرط بحيث يشوه الخلقة لا سيما مع غلظ الشفتين ولا عبرة بمدح شعراء العجم ومن تبعهم من المتاخرين لضيق الفم فانه مقصد فاسد كما قال ابن سنا الملك

كم فم ضيق لم يستطع • ان يخرج اللفظ بتقويم •
ولفظة سكراه من ريقه • فهو لها غير مفهوم •

وقال ايضا

وقال ايضا • بمعجبي افديه من • فصيح لفظة معجمه •
لا يستطيع اللفظ ان • يخرج من ضيق فمه •

وكان صلى الله عليه وسلم اذا قرأ بالليل او خطب يسمع صوته واما حسن نغمه فلما ورد في الحديث عن علي لم يبعث الله نبيا الا حسن الوجه حسن الصوت وكان داود عليه السلام اذا قرأ لم تبق دابة الا انصتت له الا ان قراءة نبينا لم تكن على طريقة الالحان والموسيقى فانه غير ممدوح وحديث ليس منا من لم يتغن بالقرآن والكلام فيه مشهور • غريبة • ذكرها التلمساني هنا قال قال سيدي الحسن كان شيخنا ابو زكريا يحدث عن شيخه منصور بن علي التجاني عن ابيه وغيره من شيوخه ويقول انما كانت المصادمة فيهم بركة لانه وفد منهم رجل وقيل رجلان وقيل بل هم سبعة على النبي صلى الله عليه وسلم حين بعث فلما دخلوا المسجد الحرام لم يعرفوا النبي ولا يعرفون العربية فقال رجل منهم بلغته • من دنور اسراتن • واشر بلغتهم النبي او الرسول اي ايكم رسول الله فلم يفهم الحاضرون قوله فقال النبي • اشكد او رو • معنى اشكد تعال واقبل وهلم وهو بهمزة وشين معجمة ساكنة وكاف مفتوحة ودال مهملة مشددة وواو ومعناه هنا او الينا وجعل رسول الله يجيبه بلغته ولا يفهم القوم فاسلم وبايع وانصرف لقومه وكان النبي اخبرهم بقدومه ولغته قال ابو زكريا كان منصور يحدث بهذا الحديث في هذا الفصل فسبحان من علمه ذلك انه المنعم الكريم • قال وقبورهم موجودة الى الآن

فصل واما شرف نسبه وكرم بلده ومنشائه

الشرف رفعة القدر والكرم يجمع انواع الخير وان خصه العرف بمعنى الجود والمنشا محل نشأ فيه وتربى فمما لا يحتاج الى اقامة دليل عليه لظهوره ولا بيان مشكل ولا خفي منه المراد انه لا خفاء فيه ولا اشكال حتى يحتاج الى البيان على حد قوله • ولا ترى الضب بها ينجحر •
فانه نخبة بني هاشم النخبة بضم وسكون المعجمة وفتح الباء الموحدة المختار من بينهم المنتقى وسلالة قريش وصميمها السلالة بالضم بمعنى النسل المستخرج منهم والصميم الخالص واشرف العرب واعزهم نفرا اي قوما والنفر رهط الانسان وعشيرته وهو اسم جمع لا واحد له يقع على الرجال خاصة من الثلاثة الى العشرة وذكر الكرماني انه يقع على الواحد كما فصلناه في شرح الدرة من قبل ابيه وامه كما هو مبين في السير ومن اهل مكة من اكرم بلاد الله على الله وعلى عباده لتشريفها وجعلها قبلة الانبياء ومقصد الحجيج اذ لم تزل الناس تعظمها في الجاهلية والاسلام وقال التجاني وتبعه بعض الشراح هنا بعد ما ذكر حديث انك لاحب ارض الله الي ولاحب ارض الله الي الله الذي قاله عند ما خرج منها مهاجرا اجمعوا على ان مكة والمدينة افضل البقاع • واما اختلفوا ايهما افضل فذهب المالكية تفضيل المدينة والشافعي وابو حنيفة والاكثر على تفضيل مكة لما لها من المزية بان الله حرمها وحرم صيدها وقيل بتغليظ فيها وانه لا يقام الحد فيها وغير ذلك من الحرمة التي ليست لحرم المدينة والصلاة تولها زيادة على غيرها وهذا في غير البقعة التي فيها النبي وسيأتي ان المصنف فضل عليها المدينة فجعلها اشرف واكمل فكلامه هنا مناف لمذهبه وكلامه الآتي وفيه خلاف عند المالكية ايضا كما سيأتي فلا حاجة لما قيل من ان كلام التجاني يكفي دليلا على فضل مكة في مذهب مالك ولهذا اعترضوا عليه وقال الطبري بيت خديجة يلي المسجد الحرام في الفضيلة • واجيب بانه غير مناقض لما سيأتي لانه لم يقل مكة اكرم واشرف البلاد بل من اكرم البلاد ومن فيه تبعيضية لا بيانية وكون النبي بعض الاشرف لا يقتضي انه اشرف

فان البلاد الثلاث التي تشد لها الرحال شريفة وهذا منها • اقول لو قال اشرفها لم يشكل
ايضا لان الكلام في منشايه ومولده وهو زمن ولادته وقبل هجرته كانت اشرف البقاع على الاطلاق
اذ المدينة انما صارت حرما مكرما بعد هجرته تكريما له وكان المعترض لاحظ ان المراد تفضيل النبي
على جميع خلقه بشرف منشايه فيناسب كونه اكرم من جميع ما عداه فتدبر • ووقع في نسخ بعض
الشراح اكرم بدون من فلعل كلامهم مبني على هذه التسمية حدثنا قاضي القضاة حسين بن محمد
الصدفي نسبة الى الصدف وهو اسم قرية من قرى القيروان ووقع للفقهاء اختلاف في جواز
اطلاق قاضي القضاة فقال بعضهم لا يجوز كملك الملوك وشاه شاه اي سلطان السلاطين
فانه هو الله والحق جوازه كما افتى كثير به من ارباب المذاهب الاربع فان القرينة ظاهرة في ان المراد
قضاة عصره ومملكته فانه يطلق على من يكون قاضيا في تخت الملك ويؤذن له في تولية قضاة
الاطراف ولهذا عدلوا عنه وقالوا قاضي العسكر ولكن قوي بعضهم معناه لورود التصريح
في الحديث والصدفي هو ابو علي وهو امام ثقة ترجمته مشهورة حدثنا القاضي ابو الوليد
سليمان بن خلف هو الامام العلامة الحافظ ابو الوليد الباجي وقد تقدمت ترجمته ايضا
حدثنا ابو ذر عبد بن احمد هو الامام الحافظ ابو ذر الهروي وقد تقدمت ترجمته وعبد اسمه من غير
اضافة حدثنا ابو محمد السرخسي بفتح السين وفتح الراء بلد عظيم بخراسان وهذا هو المعروف
واما قول التلمساني نقلا عن ابن مرزوق انه بكسر السين وفتح الراء وانه يقال بزنة درهم وجعفر
فلا نعرفه وابو اسحاق المستملي واسمه ابراهيم بن احمد بن داود المستملي الامام الثقة وابو الهيثم
محمد بن يوسف هو محمد بن المكي بن ذراع الكشميهني بضم الكاف وسكون الشين المعجمة وكسر الميم
وسكون المثناة التحتية وفتح الهاء وكسر النون وياء النسبة نسبة لقرية من قرى مرو قرية
غريبة وكان نخرج منها جماعة قال ابن الاثير قال التلمساني ويقال الكشماهني حدثنا محمد بن
يوسف هو الفربري وقد تقدمت ترجمته قال حدثنا محمد بن اسمعيل هو حافظ الاسلام
البخاري وقد تقدمت ترجمته قال حدثنا قتيبة بن سعيد تقدمت ترجمته حدثنا يعقوب
بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله القاري منسوب للقارة قبيلة المدني نزيل الاسكندرية وهو
يروي عن زيد بن اسلم وسهيل بن ابي صالح وغيرهما وروى عنه قتيبة ويحيى بن بكير توفي سنة
احدى وثمانين ومايه واخرج له اصحاب السنن ووثقه بن معين عن عمرو بن ابي عمرو ويقال ابن
ابي عمرو مولى المطلب روى عن انس وعكرمة وطايفة وروى عنه مالك والدراوردي ووثقه
وقال النسائي انه ليس بالقوي وقال احمد ليس به باس وقال ابو زرعة انه ثقة واخرج له
الايمة الستة وتوفي في اول خلافة المنصور وله ترجمة في الميزان عن ابي سعيد المقبري
بتثليث الباء سمي به لسكنه بقرب المقابر كذا وقع في بعض النسخ قال البرهان الحلبي وضرب
المصنف على ابي وهو الصواب فانه سعيد بن ابي سعيد المقبري واسم ابي سعيد كيسان وكنية
سعيد ابو سعيد وفيه نظر وهو يروي عن ابيه وابي هريرة وعايشة وغيرهما وروى عنه
الليث ومالك وخلق ووثقه النسائي وابو زرعة وغيرهما وقال احمد ليس به باس توفي سنة
ثلاث وثلاثين وقيل خمس وعشرين ومايه واخرج اصحاب الكتب الستة له عن ابي هريرة تقدمت
ترجمته والكلام في اسمه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعثت من خير قرون بني آدم
هذا حديث صحيح انفرد البخاري باخراجه وعنه روى المصنف وفي القرن اقوال عشرة
فانه مقدار من الزمان ويطلق على معنى القرن فقيل عشرة وعشرون وثلاثون واربعون

وستون وثمانون ومايه وعشرون ومطلق الزمان كما قاله البرهان الحلبي قال وابتداء قرنه
عليه الصلاة والسلام من بعثته او من حين نشا الاسلام وقيل القرن كل عصر فيه نبي او كبار
من العلما فليس زمان الفترة بقرن نقله التلمساني • وقال الحجابي القرن في اللغة كل طبقة
من الناس مقترنين في زمن واحد وربما سمي الوقت قرنا لانه يقرن ناسا بناس واحتج القايلون
بانه مايه سنة بان رسول الله مسح راس غلام وقال عش قرنا فعاش مايه سنة كما ذكره الهروي
والمختار ما قيل ان القرن كل امة هلكت فلم يبق منها احد انتهى وفيه نظر • والظاهر ان المراد بالقرن
في الحديث طايفة وجيل من الناس في عصر واحد وزمان متقارب اشتركوا في امر من الامور
المقصودة وقوله من خير الخ من فيه لابتداء الغاية او بيانية للتبعيض لان المراد قرنه الذي
بعث فيه خير القرون الا انه بعث في بعض القرن بدليل ما روي في الحديث الصحيح خير القرون
قرني والمراد به عصره وعصر صحابته لانهم انقرضوا بعد مايه من انتقاله وكسور اختلف فيها
قيل وهذا الحديث يدل على ان اصحابه افضل هذه الامة وساير الامم غير الانبيا وان ذلك ثابت
لكل واحد منهم لا لمجموعهم واليه ذهب الجمهور لان فضل الصحبة ونورها لا يعدله شي ولا يساويهم
في الفضل وان تفاوتوا بلوازم الصحبة وغيره خلافا لابن عبد البر حيث جوز ان يكون بعض الصحابة
من هو افضل من بعضهم الاين قاتل معه وانفق ماله في سبيله فانه لا يعدله غيره بالاتفاق
واستدل بحديث امتي مثل المطر لا يدري اوله خير ام آخره وهو حديث صحيح واجاب النووي بان
المراد باخره من ادرك عيسى عليه السلام وراى في زمانه من الخير والبركة وانتظام كلمة الاسلام
واضمحلال كلمة الكفر وهو متوق واخره ممن لم يدركه في صدر الاسلام غير الصحابة وسياتي الكلام
عليه مفصلا قرنا فقرنا هذا كقولهم قرات النحو بابا بابا فهو حال بتاويل مرتب ولم يذكره
النحاة معطوفا وكانه الحامل لبعض الشراح على جعله معمولا لحال مقدرة والفاء للترتيب
في الوجود او الفضل نحو خذ الافضل فالاكمل ومنه والصافات صفا فالزاجرات زجرا وهذا
قريب من قول ابن الرومي ه

• • •
وكم من اب قد علا بابن ذوي شرف • كما قد علا برسول الله عدنان •

حتى كنت من القرن الذي كنت فيهم قيل حتى غاية لبعثته اراد به تقلبه في اصلاب
ابائه من ابراهيم ثم من ثابت بن اسماعيل • ثم من النضر بن كنانة • ثم من قريش بن النضر • ثم من عبد
الله بن عبد المطلب • ثم ايد هذا بحديث رواه البيهقي مسندا في دلايله والترمذي وحسنه وهو
مما اشار اليه بقوله وعن العباس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق اي
المخلوقات كلها من انس وملك وجن فجعلني من خيرهم اي وجدني وصيرني من خير جنس منهم
وهم الانس ومن خير نوع وهم العرب ومن خير قرن وهو قرنه وقرن اصحابه فلذا ابدل منه قوله
من خير فرقهم بدل البعض من كل ثم خير القبايل فجعلني من خير قبيلة من العرب وهم قريش و
القبايل الجماعة من اب واحد والقبيل بغير ها بنو آباء مختلفة او هو اعم وقد يكونان بمعنى والقبيلة
تحتوي على جماعات من آباء منتسبة لاب الاول تسمى بيوتا وبطونا لانهم من بطن واحد ويجمعهم
بيت واحد واصل البيت المسكن الذي يبيتون فيه فاطلق على اهله وصار حقيقة فيهم فلذا قال
ثم خير القبايل فجعلني من خير قبيلة البيوت بضم الباء ويجوز كسرها فجعلني من خير
بيوتهم يعني به بني هاشم وقيل المراد بالبيت هنا الشرف اي خير الله جهات الشرف واسبابه
المقتضية له واختار لي اعلاه والاشرف والاول هو الموافق للغة ثم البيت يخص بمن له شرف

فانا خيرهم اي جميع من ذكر نفسا اي ذاتا وروحا وخيرهم بيتا اي حسبا وشرفا واصلا وفيما ذكر اشارة الي الطبقات الست من الناس فان العرب تنقسم الناس لشعب • وقبيلة • وعمارة • وبطن وفخذ • وفصيلة • كل طبقة تجمع ما بعدها وما قيل من انه لا يلزم من كونه من خيرهم بيتا ان يكون هو خير المشاركة اهل البيت له في شرفه • والجواب ان المراد انه خيرهم بالقياس الي غير بيته لا الي غير واحد من اهل بيته ليس بشي لانه لو كان لم يصح تعريفه علي كونه خيرهم نفسا فهذا كقولهم فلان من العلما وهو امدح من قولهم عالم كما قرره اهل المعاني لسوق فضله مساق المعلوم المسلم وبيان عراقته واصالته في ذلك كقوله وكانت من القانتين ولذا ازده المصنف بما يفسره فقال وعن واثلة بن الاسقع في التذكرة في رجال الكتب العشرة لابي المحاسن العلوي واثلة بمثلثة ولام ابن الاسقع بن كعب بن عامر ابو الاسقع ويقال ابو قرصافة الليثي اسلم قبل تبوك وشهدها وكان من اهل الصفة وروي عن النبي النبي صلي الله عليه وسلم وعن ابي مرثد الغنوي وعن ابي هريرة وام سلمة وروي عنه نبانة ومكحول وجماعة قالوا مات سنة ثلاث وثمانين وعمره مائة وخمس سنين وقال البرهان خمس وتسعون سنه وخدم النبي ثلاث سنين وذكر نسبه مخالفا لما ذكرناه فقال ابن عبد العزي بن عبد ياليل بن ناشب بن غيرة بن سعد بن بكر بن عبد مناف بن كنانة وقيل بن عبد الله وقيل غير ذلك والاسقع بفتح الهمزة وسكون السين المهملة وفتح القاف وعين مهملة قال قال رسول الله ان الله اصطفي اي اختار وارتضي من ولد ابراهيم اسمعيل فهو افضل اولاده وكان له غير اسمعيل واسحاق ستة اولاد من قنطورا واصطفي من ولد اسمعيل بني كنانه قال السهيلي ولاسمعيل بنون ذكر اسماهم ابن اسحاق وهم اثني عشر منهم نابت بالنون وهو جد كنانة وبينه وبينه ثلاثة عشر ابا وسمي بكنانة السهام التي تسمي جعبة ولقب به وحكي ابو حاتم عن الاصمعي ان رجلا وقف مع ابنه اسد يسلخان جزورا لهما فقال الرجل ما جلوا الكاسطين فقال له خابية المصارع ومصارع الاقران فقال يا كنانة ويا اسد اطعماني من جزوريكما فاطعماه فكني له الرجل عن كنانة بخابية المصارع يعني السهام لانها تصرع ما اصابته وروي المصادع بالدال نزال المراجع مصدر والنضر من صفات الاسد وجلا بكسر الجيم والمد اي ما اسمهما الذي يكشف اللبس عنهما والكشط بمعني السلخ والولد صفة مشتبهة جري مجري الاسما يشمل الواحد وغيره هم

واصطفي من بني كنانة قريشا ولد كنانة لصلبه النضر وله اربعة اولاد ومن ذريته قريش واول قريش في الاصح فهو بن مالك بن النضر وقيل النضر اول قريش واختلف هل قريش اسمه او لقبه واسمه فهر وبه جزم العراقي في الفية السيرة ويطلق قريش علي بنيه فيصرف ولا يصرفون باعتبار القبيلة كما يقال تميم وربيعة وكذا النضر فمن لم يكن من ولد النضر ليس بقرشي وقال الشعبي النضر بن كنانة هو قريش وانما سمي قريشا لانه كان يتقرش عن ارباب الحاجات ليقضي حوايجهم والتقريش التفتيش وقيل التقرش التجمع فسموا به لتجمعهم فيكون اسم القبيلة ولذا جاز منع صرفه وقيل هو اسم سمكة عظيمة سمي به القبيلة لانه يا كل السمك ويقهرها فسمي به القبيلة او ابوها لسدتهم وتصغيره للتعظيم قال الشاعر •

• وقريش هي التي تسكن البحر وبها سميت قريش قريشا •

واصطفي من قريش بني هاشم واسمه عمرو وهو علم منقول من معان منه العمر بالضم وواحد عمور الاسنان وهو اللحم المطيف بها وهاشم اسم فاعل من هشم بمعني كسر لانه هشم الثريد في سنة مجدبة قال • عمرو العلا هشم الثريد لقومه • ورجال مكة مسنتون عجاف •

او كان يصيبهم للحاج وهذا الشعر لمطرود بن كعب الخزاعي والقافية مرفوعة وتوارد مع عبد الله بن الزهري في قوله هم

• يا ايها الرجل المحول رحله • الا نزلت بآل عبد مناف •
• الخالطين غنيهم بفقيرهم • والقايلين هلم للاضياف •
• عمرو العلا هشم الثريد لقومه • ورجال مكة مسنتين عجاف •

وخلط الرواة في الشعرين فزعموا انه اقوي وليس كذلك واصطفاني من بني هاشم هذا الحديث رواه مسلم والترمذي وما قاله المصنف بلفظه في الترمذي ولفظ مسلم ان الله اصطفي كنانة من ولد اسمعيل واصطفي قريشا من كنانه واصطفي من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم وفيه دليل علي تفاضل العرب فيما بينهم الا انهم اختلفوا في التفاضل بين قريش علي ما فصله الفقها في باب النكاح في احكام الكفاءة وقد يتبرع بذكر بعضه هنا ولا داعي له قال الترمذي هذا حديث صحيح ونقل المزي عنه انه قال انه حديث صحيح غريب وفي حديث ابن عمر رواه الطبراني في الاوسط بسند حسن رواه الطبراني هو الامام الفرد الحافظ بن جرير ابو جعفر احد الاعلام صاحب التصانيف المشهورة من اهل طبرستان كان كثير الطواف والعبادة وسمع بن محمد بن ابي الشوارب والسكوني واسحق بن ابي اسرائيل وغيرهم واخذ القران عن جماعة وروي عنه كثير توفي ودفن ببرازه وولد سنة اربع وعشرين ومائتين وترجمته مشهورة انه عليه السلام قال ان الله عز وجل اختار خلقه اي اراد ان يخلق خلقه ويوجدهم فلما اوجدهم تخيرهم فاختار منهم بني ادم وقيل اختار خلقه بمعني اختار منهم ففيه حذف وايصال وقوله فاختار الخ بيان له وكذا قوله ثم اختار بني ادم فاختار منهم العرب وهم الجيل المعروفون كما تقدم وقيل معناه ثم ... بني ادم ثم دام علي اصطفائه اياهم وكثيرا ما تضمن الافعال معني الدوام نحو يا ايها الذين آمنوا آمنوا او الافلا معني لاصطفائهم واختيارهم مرة بعد اخري وليس العرب كلهم من ولد اسماعيل كما قاله بعضهم فانه قول غير صحيح لشهرته لا حاجة لذكره ثم اختار العرب اي نظر من خيارهم ليزيدهم لطفا فاختار منهم قريشا ثم اختار قريشا فاختار منهم بني هاشم ثم اختار بني هاشم فاختارني منهم فلم ازل خيارا من خيار اي لم ازل من اصل مرضي واصولي الي ان انبأني الله خيارا مخلوقا من خيار وشريفا من شريف الا حرف استفتاح وتنبيه علي ما علم مما قاله وتحقيق لما بعده من احب العرب فبحبي احبهم ومن ابغض العرب فببغضي ابغضهم الظاهر ان البا للسببية اي من احبهم لمحبة النبي لهم ومحبته فان من احب احدا يحب لاجله قومه واصوله وكذا البغض وهو عدم المحبة ولا يكمل ايمان المرء حتى يكون الله ورسوله احب اليه من نفسه ونقل عن بعض المالكية ان من سبهم وجب قتله وهذا ينبغي ان يقيد بالحيثية فانه ملحوظ في كثير من القضايا اي من حيث كون النبي منهم او من حيث انهم عرب لا من ابغضهم او ذمهم لامر آخر كقوله تعالي الاعراب اشد كفرا ونفاقا • ويدل عليه حديث احب العرب لثلاث لاني عربي والقران عربي ولسان اهل الجنة في الجنة عربي والمراد الحث علي محبتهم وقد صنف العراقي في هذا ما سماه نيل القرب في محبة العرب وفي هذا رد علي الشعوبية وهم قوم يفضلون العجم علي العرب ولهم ادلة علي مقالتهم بينوها وما عليها واوردوا احاديث نصرة لهم • منها ان الله اذا تكلم بالرضا تكلم بالفارسية واذا تكلم بالغضب تكلم بالعربية

وفي الشرح الجديد الاحاديث الواردة في فضل اللغة الفارسية كلها موضوعة وفضلهم
في الكرم والشجاعة والحلم والعلم اكثر من ان تحصى وقيل ان ابا عبيدة كان شعوبيا وصنف
كتابا في مثالب العرب وقد قيل انه كذب عليه فان قلت ان تقديم المتعلق اعني بحبي
وببغضي يقتضي الحصر ومحبتهم لشرف نسبهم وحسبهم وما فيهم من الامور المحمودة لا يتوقف
على محبته صلى الله عليه وسلم قلت اذا كانت الباء للآلية لا دعائية كما في نحو نظرت
بعيني وسمعت باذني فلا اشكال لان المعنى من احبهم او ابغضهم فينبغي له ان محبتهم بمثل حبي
وبمثل بغضي وهو الحب في الله والبغض في الله وان كانت للسببية فالمراد انه بسبب حبي
يحبهم لا للعصبية وامور الجاهلية فتدبر قلت ورواه البيهقي عن محمد بن ذكوان عن عمرو
بن دينار عن ابن عمر قال انا لقعود بفناء النبي صلى الله عليه وسلم اذ مرت امراة فقال
بعض القوم هذه ابنة رسول الله فقال ابو سفيان مثل محمد في بني هاشم مثل الريحانة في وسط
النتن فانطلقت المراة واخبرت النبي فجاء يعرف في وجهه الغضب فقال ما بال اقوام
يبلغني ما يبلغني ان الله عز وجل خلق الخلق واختار من الخلق بني آدم واختار من بني آدم
العرب واختار من العرب مضر واختار من مضر قريشا واختار من قريش بني هاشم واختارني
من بني هاشم فانا خيار من خيار الى خيار فمن احب العرب الخ **وعن ابن عباس** قال السيوطي
هذا الحديث رواه ابن ابي عمر العدني في مسنده **ان قريشا** بفتح المشددة والمصدر مستتر اخرج
الجار والمجرور قبله **كانت نورا بين يدي الله تعالى** هو مستعار مما بين الجهتين المسامتين
ليدي الانسان لانهم من الله بمنزلة توجب اجلالهم ومحبتهم تفخيما لشانهم وحثا على محبتهم وقيل
انه كناية عن غاية القرب من محل رضاه كما يقال فلان بين يدي الملك وان كانت الحقيقة
هنا متعذرة فهو مجاز متفرع على الكناية كما في قوله لا ينظر الله الى فلان كما في شرح المفتاح
قبل ان يخلق آدم بالفي عام هو على حقيقته او المراد طول المدة اي اظهره في عالم الشهادة
ثم بين حكمة اظهاره بقوله **يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة اقتداء بتسبيحه**
اي بتقديسه وتنزيهه لله والمراد بكون قريش نورا ارواحها او ان الله مثلها بصفة المثال
وابرز صورها في الملا الاعلى لتسبيحه ليعلم انها بشرية ملكية ولذا قال الله لهم لما قالوا
اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني اعلم ما لا
تعلمون يعني انهم سبحوا قبل ما سبحتم في الازل فهم لم يعملوا بذلك لانهم طبعوا بتلك الانوار
ملكية صرفة وكان نور محمد ايضا اذ ذاك في اصوله من قريش وغيرهم تحملته اصلابه
المسبحة وان لم يشعروا به وان من شيء الا يسبح بحمده **فلما خلق الله ذات وجسم آدم القى
ذلك النور في صلبه** والصلب والصالب عمود الظهر ويقال بضم الصاد وفتحها
فاودعه فيه كما سياتي تحقيقه ثم فصله بقوله **فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاهبطني الله في صلب آدم** اي انزل نوري الذي في صلبه الى الارض **وجعلني
في صلب نوح** اي نقل نوري من صلب آدم الى صلب نوح وقال وقذف بي في صلب
ابراهيم ولم يقل جعلني لما بين نوح وابراهيم من البعد لان القذف الرمي من بعيد واصله
الرمي بالحجارة يقال هم ما بين حاذف وقاذف والحذف رمي الحصا **ثم لم يزل الله ينقلني
من الاصلاب الكريمة** يعني اصلاب اجداده **والارحام الطاهرة** من خبث الزنا وغيره
ووصف الاصلاب بالكريمة والارحام بالطاهرة في غاية الحسن لانها مقر الطمث والدم

والنطف والارحام جمع رحم وهو وعاء الولد ويطلق على القرابة **حتى اخرجني من بين
ابوي** اي ابي وامي على التغليب المشهور واخراجه من بينهما تولده منهما وخلقه من نطفتهما
لم يلتقيا على سفاح قط جملة حالية والسفاح الزنا من سفح الماء ونحوه من المبايعات
اذا اراقه اي لم تلتق نطفة احد من ابويه وآبائه في غير الارحام الطاهرة من الزنا ونكاح
الجاهلية كما مر وقط لتعميم الازمنة الماضية يقال ما رايته قط بفتح القاف وضمها وتشديد
الطاء وبفتح القاف وتخفيف الطاء المضمومة واذا كانت بمعنى حسب فبفتح وسكون **ويشهد
بصحة هذا الخبر شعر العباس** عم النبي صلى الله عليه وسلم فانه اشتمل على معناه **في مدح
النبي صلى الله عليه وسلم** وهو الشعر المشهور الذي اوله

من قبلها طبت في الظلال وفي ۞ مستودع حيث يخصف الورق

الابيات وستاتي بتمامها مع الكلام عليها وقد قيل انها لحسان والصحيح الاول واليه ذهب ابن عساكر
في تاريخه الى الثاني في حديث اخرجه عن ابن عباس الا انه ضعيف جدا ۞

فصل واما ما تدعوه ضرورة الحياة اليه مما فصلناه ۞

فيما تقدم اول الباب وتدعوه بمعنى تقتضيه وتلزمه حتى كانه تطلبه منه فهو استعارة في
الاصل وضرورة الحياة ما لا بد منه فيها مما يضطر الحي اليه **فعلى ثلاثة ضروب** جمع ضرب
وهو القسم والنوع من الشيء وفي بعض النسخ ضروب وفي بعضها اضرب بجمع القلة وهو
انسب بالثلاثة والاولى لان الجمعين يقام كل منهما مقام الآخر كثيرا كقوله ثلاثة قروء
وفيه تفصيل ليس هذا محله **ضرب الفضل في قلته وضرب الفضل في كثرته وضرب
تختلف الاحوال فيه** وافرد لكل منهما فصلا كما سياتي **فاما ما التمدح** اي حسنه بحيث
يستحق المدح به وليس المراد به التكلف كتحلم **والكمال بقلته اتفاقا** شرعا وعادة كما
بينه بقوله **وعلى كل حال عادة وشريعة** والمراد بالعادة ما اعتاده الناس مما يؤدي
اليه العقل اذا خلي ونفسه وطبعه والشريعة ما امر به الشارع ونهى عنه مما تضمنه الوضع
الالهي السابق لذوي العقول باختيارهم الى الامر المحمود **كالغذاء والنوم** بكسر الغين وفتح
الذال المعجمتين هو كل ماكول ومشروب به قوام البدن مطلقا واما بفتح المعجمة ودال مهملة
فما يوكل في اول النهار والنوم معروف **ولم تزل الحكماء** المراد بالحكماء اليونان والهند والفرس
وغيرهم ولذا قابلهم بالعرب وهم يمدحون قلة النوم والسهر بالامزجة عليه قال في هياكل النفوس
الناطقة من جواهر الملكوت وانما يشغلها عن عالمها القوى البدنية ونشاطها وضعف سلطان
القوى البدنية بتقليل الطعام وتكثير السهر فيتخلص احيانا الى عالم القدس ويتلقى منه
المغيبات **والعرب تتمادح بقلتهما وتذم بكثرتهما** تتمادح كتفاخر لفظا والمقصود الكثير
لا التفاعل وخص العرب لانهم اكثر الناس مدحا لهذين بخلاف غيرهم كالروم والعجم فانهم يفتخرون
بكثرة الاطعمة وتنافسها ولهم حرص عليهما وذكر الحكماء منهم ومن غيرهم لاعتنائهم بالرياضة
وقلة التنعم في ماكل ومشرب مع سداد عقولهم وصفاء اذهانهم واعتنائهم بمهمات امورهم
وعباداتهم وهو ظاهر وورد في الحديث ابغضكم الى الله كل اكول نؤوم وقال عيسى للحواريين
اجيعوا بطونكم لعلكم ترون ربكم بقلوبكم وقال البطنة تذهب الفطنة والاحاديث في هذا
اكثر من ان تحصى وقال تعالى الذين كفروا يتمتعون وياكلون كما تاكل الانعام **لان كثرة الاكل**

النوم صح

والشرب دليل على النهم بفتح النون والهاء وهو الافراط في شهوة الطعام ومنه الحديث
منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب مال والشرب مثلث الشين والحرص والشره
اي الحرص على الاكل والشره بفتح الشين المعجمة والراء المهملة والهاء زيادة فيه ترقي وغلبة
الشهوة المراد غلبة شهوته كالطعام على تحمله وصبره وعقله فيما فيه صلاحه فليس في
ما فيه صلاحه فليس في كلامه تكرار وهذه كلها صفات مذمومة كما ورد في الحديث الحرص والشره
داء عضال والحريص اسير شهوته وعبد بطنته والحرص قوام الجسد وهو هادم الجسد والحرص
والحرص قد يكون محمودا اذا كان في محل قال حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم وانما يمدح قلة
الغذاء والنوم اذا لم يفرط حتى يؤدي لضرر بلا ضرورة كما قال

واخش الدسائس من جوع ومن شبع • فرب مخمصة شر من التخم

ثم ان ترك من ابتلي بذلك اذا عسر عليه ينبغي قطعه بالتدريج كما في منظومة ابن سينا

وكل عادة تضر اهلها • فاقطع بتدريج الزمان اصلها

مسبب لمضار الدنيا والآخرة خبر بعد خبر لان وهو بكسر الباء المشددة اسم فاعل لم يقل
سبب مع انه اخف واظهر لانه امر مباح لا ضرر فيه دنيوي ولا اخروي بل ربما يترتب عليه
نفعهما كراحة البدن والقيام بعده للعبادة كمن لو لم ينم اول الليل لم يدرك صلاة الصبح
فحيث انه ترتب نفع تارة وضر اخرى علم انه ليس سببا بل قد يكون عنده سبب ضررهما فهو
مسبب لا سبب فان النوم يكون منه ترك الصلاة وهو سبب لضرر الآخرة والاكل يكون منه
الامتلاء وهو سبب للكسل والنوم وشرب بعد النوم يورث الامراض وقيل انه بمعنى السبب
هنا المفضي الى المسبب بالفتح والفصل للمتقدم فمعنى مسبب موجد الاسباب وهذه الشهوة
والحرص عليها يؤدي الى جلب المال وكراهة الدعة والراحة هـ

وانك ان اعطيت بطنك همه • وفرجك نالا منتهى الذم اجمعا

ويقع في بعض النسخ وغلبة الشهوة مسبب برفعهما على انه مبتدأ وخبر وليس بشيء لان
غلبة الشهوة ليس سببا للمضار وانما سببه الاكل والشرب كما قاله الانطاكي ثم اشار الى
ذلك على طريق اللف والنشر فقال جامع لادواء جمع داء الجسد اي امراضه
واسقامه فان الداء اكثر ما تراه يكون من الطعام او الشراب فهذا راجع لكثرة الاكل والشرب
اذ بهما تمتلئ المعدة والعروق بالدم وتزيد الاخلاط فتتولد منها الامراض واجتمع اربعة
اطباء • هندي • ورومي • وعراقي • وسوداي عند الرشيد فقال لهم ليصف كل واحد منكم
الدواء الذي لا داء معه فقال الهندي هو الاهليلج الاسود • وقال الرومي حب الرشاد
الابيض • وقال العراقي الماء الحار • فقال السوداني وكان اعلمهم الاهليلج يقبض المعدة
وهذا داء • وحب الرشاد يضعفها وهذا داء • قالوا فما هو قال ان لا تاكل الطعام حتى
تشتهيه وفي الطب النبوي في معناه احاديث كثيرة نحو صوموا تصحوا وخثارة النفس
بفتح الخاء المعجمة والمثلثة والراء المهملة عند ابن رسلان وبضم الخاء عند البرهان الحلبي
والاول هو الظاهر لموافقته القياس كالكفالة والضلالة قال ابن الاثير هو ثقل النفس
وعدم نشاطها والظاهر انه راجع لكثرة النوم فانه يورث   لا سيما بالنهار ضعف
البدن ووقع في بعض النسخ خسارة بالسين وهو تصحيف وتحريف من الكاتب وهو مجرور
ومعطوف على ادواء وكذا قوله وامتلاء الدماغ بابخرة رطبة تتصاعد عند النوم تزجي عنها

الدماغ وتضعفه وتذهب صفاء الذهن وتورث البلادة وقلة الحفظ ويصح رجوع
هذا وما قبله للجميع لكن يأباه ما بعده من قوله وقلته دليل على القناعة بالنصب
عطفا على كثرة الاكل ويجوز رفعه على الابتداء لان من اعتاد قلة الاكل قنع باليسير فاستراح
واستغنى عن الناس فعز وتخلى للعبادة وكان من رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله
وملك النفس معطوف على القناعة اي ملك نفسه الامارة فلا تعصيه لانه اذا شبع
عصته نفسه وتحركت شهوته كما قال ذو النون ما شبعت الا هممت بمعصية والجوع
يقمع الشهوات وقمع الشهوة معطوف على القناعة والقمع القهر اي قهر شهوته وغلبها
واضعفها حتى لا تخالفه وما بعده خبر مبتدأ مقدر والظاهر انه مبتدأ خبره مسبب للصحة
او هو خبر ثان لقلته اي موجد لاسباب الصحة من الامراض والكلام فيه كالاول وصفاء
الخاطر وحدة الذهن الخاطر يطلق على ما يخطر على القلب من الافكار ويطلق على القلب نفسه
وصفاؤه من الكدورة بحسن فهمه والذهن قوة الفهم وحدته سرعته وهذا يكون عند الجوع اقوى
واصفى وبه تصل للمعارف الربانية وتلتذ بالمناجاة والاذكار والعبادة وقال الجنيد
يجعل احدكم بينه وبين قلبه مخلاة من الطعام ويريد ان يجد حلاوة المناجاة وهذا كله راجع
للاكل وما بعده لما بعده والحدة القوة كقصد كما ان كثرة النوم دليل على الفسولة بضم
الفاء والسين المهملة واللام وهي الرذالة وعدم الهمة في امور الدنيا والآخرة هـ

فيا نائم الليل هنيته • فقبل الممات سكنت القبور

لانه يميت القلب ويورث الكسل ولا يصح اعجامه وان كان بمعنى الحسن لعدم مجيء مصدره
على فعوله والضعف اي ضعف القوى والادراك وعدم الذكاء والفطنة هما متقاربان
او الفطنة الفهم والذكاء سرعته فقدم نفي الاخص على نفي الاعم ليفيد المبالغة على قاعدتهم
في الترقي فيه وعدم الذكاء مرفوع مبتدأ وخبره مسبب كما في الاصول والاظهر جره عطفا
على ما قبله فمسبب خبر بعد خبر كما مر مسبب للكسل وممارسته وعادة العجز وتضييع
العمر في غير نفع اما كون كثرة النوم مسبب للتواني عن نيل المهم فلتعطل الحواس فيه وارتخائها
بعده فاذا الف ذلك عجز وضاع عمره بلا فائدة هـ

اليس من الخسران ان لياليا • تمر بلا نفع وتحسب من عمري

فمثله لا يعد عمرا لانه ما عمر الانسان الا احد دارية هـ

اذا كان راس المال عمرك فاحترس • عليه من الانفاق في غير واجب

وقساوة القلب وغفلته وموته لعدم قبول الموعظة بسبب غفلته به عن ما يهمه وموته
بعدم ادراكه لانه صفة تبطل الحس والارادة كالموت واليه الاشارة بقوله الله يتوفى الانفس
حين موتها الآية فالنوم اخو الموت والشاهد على هذا اي الدليل عليه ولا نهما يوردان ما ذكر
يعلم ضرورة اي يعلمه كل احد علما بديهيا ضروريا ويوجد مشاهدة منه ومن امثاله
وينقل متواترا بحسب المعنى من كلام الامم المتقدمة والحكماء السالفين المتقدمين على ملة
الاسلام من حكماء الهند والعجم واليونان والعرب وغيرهم كقول الحارث بن كلدة حكيم العرب
افضل الدواء الازم اي قلة الاكل وقال داودا اياك وكثرة النوم فانه يفقرك اذا احتاج
الناس لاعمالهم واشعار العرب واخبارها كقوله

فيا رب قد ربيتك اذ اكلت • وان شربت وان عشيتا

وانا الكفيل لك الحياة • وان تما فا ما حييتا •

وقال قيصر لقس بن ساعدة ما افضل الاكل قال ترك الاكثار **وصحيح الحديث** النبوي نقل ابغضكم الى الله كل نؤوم اكول شروب وغيره **وآثار من سلف وخلف** الاثر ما اثرته اي نقلته عن غيرك فيشمل الحديث ويطلق ويراد به ما يقابل الحديث والمراد بمن سلف من تقدم عصر النبي وبمن خلف ما عداهم كالصحابة والتابعين **مما لا يحتاج الى الاستشهاد عليه** اي طلب شاهد ودليل عليه وبين وجه ترك الاستشهاد بقوله **اختصارا واقتصارا على اشتهار العلم به** المغني عن التطويل بذكره والاختصار عند اهل العربية الحذف لدليل والاقتصار حذف بلا دليل وعند المحدثين ان يكون للحديث طرق فيكتفي باحدها والمراد هنا عدم التطويل اكتفاء بشهرة العلة **فكان عليه السلام قد اخذ من هذين الفنين** اي النوعين وهما الاكل والنوم **باوفر** عداه بالباء وان كان متعديا بنفسه لتضمينه معنى التمسك او الاتصاف اي لازم اقل قليل منهما لما فيه من الكمال والملكة المرضية واتى باسم الاشارة القريب تحقيرا لهما نحو ما هذه الحياة الدنيا وتبعيدا لهما عن ساحة الاعتبار لعدم المبالاة بهما وما قيل من انه كان ينبغي للمصنف ان يقتصر على كلامه صلى الله عليه وسلم فانه معه لا يحتاج لغيره من شعر وحكمة ليس بشيء فان مراده ان صفاته مما اتفق العقلاء وجميع الامم على حسنها وكونها مرضية محمودة وان كلامه زبدة حكم الامم وان لم يرهم ولم يقرا كتبهم وكفاك قصص القرآن نظير الصنيعة **هذا** اي ما ذكر من قلة الاكل والنوم **مما لا يدفع** اي لا ينكر ولا ينازع فيه **من سيرته** اي من طريقته وصفته وهو بيان لما حال من ضمير يدفع اي لشهرته وتواتره لا ينازع فيه احد **وهو الذي امر به** امته دون ضده وضمير به لهذا او للاول **وحض عليه** بحاء مهملة وضاد معجمة اي حث الناس ورغبهم في التعلق به لما علم من شرفه وكماله **لا سيما بارتباط احدهما بالآخر** لا سيما بمعنى لا مثل والكلام عليها مفصل في العربية وتذكر مع ما هو اولى بالحكم نحو اكرم الناس لا سيما العلماء الا ان في كونها هنا كذلك خفاء لم يتعرضوا له غير ان بعضهم قال المعنى لا سيما الامر بالاخذ بالاقل والحض عليه مع ارتباط احدهما بالآخر لانه اذا شبع نام كثيرا ففاته خير كثير يعقبه ندم كثير وهو لا يجدي نفعا والبيان الشافي ان كل واحد منهما ينبغي مع انفراده ينبغي الحث على تركه فكيف اذا اجتمعا وهما كذلك غالبا للزوم احدهما للآخر فان النوم يلزم الاكل والبا بمعنى مع فما قيل ان لا سيما ليست على وفق استعمالها ليس بشيء وهو توطئة للحديث المتضمن لملازمتهما فلذا قال ومن هنا قال ان المصنف استعمل لا سيما على خلاف ما جاء في قوله • ولا سيما يوم بدارة جلجل • وقد قال ثعلب من استعملها على خلاف ما جاء فهو مخطي وحذف الواو والمستثنى منه وتقديره لا سيما اخص بارتباط الخ **حدثنا ابو علي الصدفي** هو الحافظ ابن سكرة تقدم بيانه **بقراءتي عليه** بين طريق روايته عنه بانه قرا على شيخه يسمع الا ان قراءة الشيخ والسماع منه اعلى رتبة في الرواية لكن صار المعروف اليوم القراءة على الشيخ ولذا قيل انها ارفع وقيل انهما سواء **حدثنا ابو الفضل الاصفهاني** بفتح الهمزة وكسرها والبا والفا وهي بلدة عظيمة وهو احمد بن خيرون وقد تقدم ومعنى اصفهان معرب الفرسان لان اصب بمعنى فرس فيل وهي لا تخلوا ابدا من ثلاثين يستجاب دعاؤهم لان نمرود حمل منهم ثلاثين رجلا لحرب الخليل فلما راوه آمنوا به فدعا لهم بذلك ان يستجاب دعوتهم كما اجابوا دعوته **قال حدثنا ابو نعيم** بالتصغير وهو حافظ عصره ومحدثهم احمد بن عبد الله

بن احمد بن اسحاق بن موسى بن مهران الاصبهاني الصوفي سبط الزاهد محمد بن يوسف البنا ولد سنة ست وثلاثين وثلاثمائة وتوفي في المحرم سنة ثلاثين واربعمائة وعمره اربع وتسعون سنة وسمع من كثير وسمع منه الحفاظ وله ترجمة في الميزان وتصانيفه مشهورة **قال حدثنا سليمان بن احمد** بن ايوب بن مطر الشامي مسند الدنيا الامام الجليل ولد بعكا في صفر سنة ستين ومائتين واعتنى به ابوه فرحل به في حداثته وسمع في سنة ثلاث وسبعين وبعدها بمدائن الشام والحرمين ومصر وبغداد والكوفة واصبهان والبصرة والجزيرة وغيرها وحدث عن اكثر من الف شيخ وصنف المعجم الكبير ولم يذكر مسند ابي هريرة فانه افرده بمصنف والمعجم الاوسط وهو كتاب جليل تعب فيه وكان يقول هو روحي والمعجم الصغير ومصنفات اخر جليلة وتوفي لليلتين من ذي القعدة من سنة ستين وثلاثمائة وله مائة سنة وعشرة اشهر تقريبا وترجمته في الميزان **قال حدثنا ابو بكر بن سهل** ابو محمد مولى بني هاشم بن عبد الله بن يوسف الدمياطي روى عنه الطحاوي والطبراني وغيرهما توفي سنة تسع وثمانين ومائتين عن نيف وتسعين سنة وهو مقارب الحال وقيل ضعيف كما في الميزان **قال حدثنا عبد الله بن صالح** هو ابو صالح الجهني مولاهم كاتب الليث روى عن معاوية بن صالح وموسى بن علي وغيرهما وروى له البخاري واصحاب السنن وهو زاهد حسن الحديث توفي سنة مائتين وثلاث وعشرين وعمره ست وثمانون سنة وله ترجمة مطولة في الميزان **قال حدثني معاوية بن صالح** الحضرمي قاضي الاندلس وهو امام صدوق وتوفي سنة ثمان وخمسين ومائة وله ترجمة في الميزان **ان يحيى بن جابر حدثه عن المقدام بن معدي كرب** هو يحيى بن جابر الطائي قاضي حمص مات سنة مائة وستة وعشرين واخرج له اصحاب السنن والمقدام بن معدي كرب بن عمرو الكندي صحابي نزل حمص وترجمته مشهورة وتوفي سنة سبع وثمانين واخرج له اصحاب السنن واحمد قال السهيلي معنى معدي كرب وجه الفلاح وفيه لغات اسكان يا معدي ولو في النصب مع فتح باء كرب بلا تنوين لبنائه واعرابها بالاضافة مع الصرف وعدمه **ان رسول الله عليه السلام قال ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه** وهذا الحديث رواه الترمذي والنسائي وابن ماجة وابن حبان واخرجه المصنف عن الطبراني ولم يروه عن الترمذي لان سند معجم الطبراني اعلى من غيره لان بينه وبين المقدام ثمانية في رواية الطبراني وبينه وبينه في الترمذي من احد طريقيه احد عشر ومن الاخرى عشرة والحديث صحيح وفي الرواة اختلاف يسير وفي الترمذي بدل ابن آدم آدمي وبلفظ بطن بلا اضافة وبجر بالبا الجارة والوعاء ظرف الطعام والمراد انه لا وعاء اشر منه ولا يساويه في الشر فجعله بطنه كاوعية البيت تحقيرا له ثم جعله شر الاوعية زيادة في تحقيره لان امتلاءه يورث البلادة ويحرك شهوته فيرتكب المعاصي ويحصل له من الامراض ما يضره ويؤدي الى هلاكه ولا شر اعظم من هذا فحسبه منه ما يقيم صلبه ويعينه على عبادة ربه ونظام امور دنياه فلذا قال **حسب ابن آدم اكلات يقمن صلبه** حسب بسكون السين اسم بمعنى كافي يقال اعطيت الرجل ما حسبه اي اعطيته عطاء يكفيه وهو مبتدا خبره الكلات بضم الهمزة والكاف معا والرواية به ويجوز فتح الكاف وتسكينها جمع اكلة بضم الهمزة وسكون الكاف اسم لما يوكل ويقمن بمعنى يقوّمن من اقام بمعنى دام وثبت وصلبه

بضم الصاد وفتحها عظام سلسلة ظهره لانه عموده وفيه النخاع الذي يمد العصب
الممسك فاذا افرط جوعه ضعف واغني صلبه وفي القاموس ما يخالف ما قاله الشراح
لانه جوز في الكلمة الفتح والضم واقتصر في جمعه على فتح ثانيه كصرد وقال البرهان
الاكلات بضم الهمزة جمع اكلة بفتحها وهي اللقمة **فثلث** من بطنه **لطعامه وثلث لشرابه
وثلث لنفسه** بفتحتين وهو الهواء الخارج من الجوف وروى الدلجي طعامك وشرابك
ونفسك بكاف الخطاب على الالتفات من الغيبة للخطاب اعتناء بشان من ارشده فيما
ارشده اليه وانه لا ينبغي تجاوزه وفي الاول حث على الاقلية وفيما بعده تجويز لما
فوقه من غير افراط والشراب هنا بمعنى الماء **ولان كثرة النوم من كثرة الاكل
والشرب** هذا من كلام المص لا من الحديث الا ان الشراح لم يبينوا وجه ارتباطه بما
قبله ولا على م عطف والظاهر انه عطف على قوله بارتباط احدهما بالاخر لان السبب
والعلة في معنى واحد فالمراد بارتباطهما ان احدهما يستدعي الاخر فان الاكل يقتضي
الشرب ثم بين انهما وكثرتهما يقتضيان كثرة النوم لما يصعد منهما **قال سفيان
الثوري** بكسر السين وضمها وهو سفيان بن سعيد بن مسروق ابو عبد الله الثوري نسبة
لثور بن مناه وقيل من ثور همدان وهما قبيلتان الكوفي عالم عصره الزاهد المحدث
توفي سنة احدى وستين ومايه وعمره اربع وستون وهو ثقة ولا عبرة بمن يتكلم
فيه وهو من اقران مالك **يملك سهر الليل** يملك بضم اليا وفتح اللام مبني للمفعول
وسهر مرفوع نايب فاعله اي يقوى ويقدر عليه من غير مشقة فشبه قدرته بملكه له
فهو استعارة لان النفس تقهر بقلة الطعام بعد ان كانت قاهرة **وقال بعض السلف
لا تاكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا** زاد الغزالي في الاحيا فتخسروا كثيرا
وزاد غيره فتندموا عند الموت لقلة الزاد لانه اكل زاده فضيعه في غير وقته هـ
وقد روي عنه اي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال السيوطي رواه ابو يعلى عن انس
وجابر بسند جيد ولفظه كما قال الشيخ قاسم في تخريجه انه لم يجتمع له غداء وعشاء وخبز
ولحم الا على ضفف وسنده جيد واخرج ابو عبيد في الغريب انه لم يشبع من خبز ولحم
الا على ضفف واخرج الترمذي في الشمايل عن مالك بن دينار قال ما شبع رسول الله هـ
عليه السلام من الخبز قط ولا من لحم الا على ضفف قال مالك سالت رجلا من اهل البادية
ما الضفف قال ما تناول مع الناس واخرج الطبراني عن جابر عن النبي احب الطعام
الى الله ما كثرت عليه الايدي انتهى **انه كان احب الطعام اليه ما كان على ضفف
اي كثرة الايدي** لما فيه من السخا بالطعام وقلة الاكل والبركة والضفف بفتح الضاد
المعجمة والفاءين اولاهما مفتوحة فسرها المص بما ذكره اهل اللغة وتفسيره ما نور كما
سمعته آنفا وهو من قولهم بير ضفوف اذا كثر الناس عليها وقال يحيى بن احمد الضفف
ان تكون الاكلة اكثر من الطعام والجفف بالجيم ان يكون بمقداره وقيل الضفف الضيق والشدة
اي لم يكن صلى الله عليه وسلم محبا للترفه في ماكله ولا متنطعا فيه وفي رواية لم يشبع
رسول الله من طعام الا ضفف وروي على شفف اي ضيق وشدة والضفف والشفف
رويا بمعنى الضيق والحاصل انه كان يحب الاكل مع الجماعة وان قل طعامه وضاقت معيشته
والاحاديث في معناه كثيرة كطعام الواحد يكفي الاثنين وطعام الاثنين يكفي الاربعة وطعام

الاربعة يكفي الثمانية وهو حديث صحيح وقيل الضفف كثرة العيال وقيل قلة
الطعام وكثرة الاكلين ويقال ضف بالادغام وقال ابن السكيت الضف الاكل باليد
ففيه لغتان وله معان **وعن عايشة رضي الله عنها لم يمتلي جوف النبي عليه السلام
شبعا قط** وروي عنها ايضا ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة ايام تباعا
من خبز بر حتى مضى لسبيله وهذا يقتضي بمفهومه انه شبع في بعض الايام دون
الثلاثة وهو معارض للاول وكلاهما صحيح ويجمع بينهما بان دلالة المفهوم لا تعارض
المنطوق عند من قال به ومن لم يقل به كابي حنيفة لا تعارض بينهما بالطريق الاولى
او يقال الامتلا شبعا صفة زايدة على الشبع فالشبع الاعم كان يقع منه احيانا واما
الامتلا من الشبع فلم يقع اصلا والشبع مباح والزيادة عليه محرمة الا للتقوي على صوم
الغد او لمؤانسة الضيف حتى لا يستحي من الاكل كما قاله الحنفية وعند الشافعية يحرمه
من مال الغير اذا لم يعلم رضاه ومن مال نفسه مكروه مع ان ما ذكر من تعارض الحديثين غير مسلم
لان ما ذكره المص ذكره في الاحيا وتمامه وربما بكيت رحمة له لما ارى به من الجوع وامسح بطنه
بيدي واقول نفسي لك الفدا لو تبلغت من الدنيا بقدر ما يقوتك منها ويمنعك من الجوع
فيقول يا عايشة اخواني من اولي العزم من الرسل قد صبروا على ما هو اشد من هذا فمضوا على
حالهم فقدموا على ربهم عز وجل فاكرمهم فاجزل ثوابهم واجدني استحي ان ترفهت في معيشتي
ان يقصر بي دونهم فاصبر اياما يسيرة احب الي من ان ينقص حظي غدا في الاخرة وما من
شي احب الي من اللحوق باخواني وخلاني قالت فوالله ما استكمل بعد جمعة حتى قبضه الله
وقد ذكر المص صدره فقط وقال العراقي في تخريج احاديث الاحيا لم اجد هذا الحديث فلعله
رضيه وشبعا تمييز او مفعول له او مفعول مطلق وشينه مفتوحة وتكسر وتفتح البا وتسكن
وصواب بن مكي كسر الشين وسكون البا كما قاله التلمساني ثم انه ورد في الاحاديث الصحيحة
انه كان يشبع ويجوع وفي البخاري ما شبع آل محمد قط وهذا محمول على غالب احواله فان الغالب
ينزل منزلة الكل كثيرا وهذا لم يكن من احتياج حقيقي لما رواه الترمذي عن ابي امامة عرض
على ربي ان يجعل لي بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يا رب اشبع يوما واجوع يوما فاذا جعت
تضرعت اليك واذا شبعت شكرتك كما قال الابوصيري رح

وراودته الجبال الشم من ذهب • عن نفسه فاراها ايما شمم •

فجوعه كان فضلا ولكنه يظهر انه احتياج تطييبا لقلوب الفقرا وتنزها عن الربا وتبريا
من رياضة اهل الكتاب والحكما كما قال لا رهبانية في الدين وهذا مما ينبغي التنبيه له ويجب
اعتقاده والتاسي به فيه فافهم **زاد** معطوف على ما قبله من قوله انه كان احب للخ
وقوله **في اهله** اي اهل بيته وعايلته وهو حال من فاعل يسال او خبر وجملة **لا يسالهم
طعاما** حال منه وعدم سواله لعدم اهتمامه به والتفاته لما هو اهم منه **ولا يتشهاه**
مضارع تشهى بتشديد الهاء تفعل من الشهوة وهي الميل الى ما يستلذ وقيل هي ادراك الملايم
من حيث هو ملايم وقيل الشهوة لا تحد والفرق بينها وبين الارادة ان الانسان قد يريد ما لا
يشتهيه ويشتهي ما لا يريده كالمريض المحتمي عما يشتهيه والارادة قد تتعلق بنفسها بخلاف
الشهوة فانها لا تتعلق بنفسها بل تتعلق بالذات المغايرة لها فاذا ذكرت متعلقة بنفسها
كانت مجازا عن الارادة كما قال المريض ما تشتهي فقال اشتهي اذا شتهي وفرق بينه وبين الحبة

ايضا فانك تقول احب الله ورسوله ولا تقول اشتهيهما فالمحبة اعم والشهوة في الاصل
تكون وجدانية غير اختيارية بخلاف المحبة ولذا فرق النحاة بين قوله احب الي واشهي
الي فجعلوا الي في الاول للتبيين وفي الثاني بمعنى عند وفيه كلام لنا في نكت المغني من
باب الهمزة فان اردته فراجعه ثم بين ما ذكر بقوله **ان اطعموه اكل وما اطعموه قبل وما
سقوه شرب** يعني انه ياكل ما قدم له اهله ونحوهم من الطعام ويقبله من غير ان يجيبه
وكذا كل ما قدم له من الما وهذا كان غالب حاله فلا ينافي ما وقع نادرا على خلاف مقتضى طبعه
كما في مسلم عن عايشة انها قالت قال لي رسول الله ذات يوم يا عايشة هل عندكم شي فقلت
يا رسول الله ما عندنا شي قال فاني صايم الحديث وسقي واسقي بمعنى وزاد الدلجي فقط بعد
قوله لا يسالهم طعاما **ولا يعترض على هذا** بينا المجهول **بحديث بريرة** اي على هذا المذكور
من عدم سواله وبريرة بفتح الموحدة وراين مفتوحتين اولاهما مكسورة بينهما مثناة تحتية
من البر بمعنى برورة او بارة هي بنت صفوان وهي قبطية وحبشية عند الذهبي مولاة عايشة
اشترتها من عتبة بن ابي لهب وقيل من بني كاهل وقيل كانت لناس من الانصار وحديثها اخرجه
مالك في الموطا عن القاسم بن محمد عن عايشة ورواه الشيخان وهو قالت عايشة كان في بريرة
ثلاث سنين وكانت احدى السنن انها اعتقت فخيرت في زوجها وقال فيها رسول الله
الولاء لمن اعتق • ودخل صلى الله عليه وسلم والبرمة تفور باللحم فقربت اليه خبزا وادما
من ادام البيت فقال الم ار البرمة فيها لحم فقالوا بلى يا رسول الله ولكن هو لحم تصدق به
على بريرة وانت لا تاكل الصدقة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو لها صدقة ولنا هدية
فاخبرهم صلى الله عليه وسلم ان هذا اللحم باهدايها اياه انتقل من حكم الصدقة الى حكم الهبة
وانما حرم عليه ما تصدق عليه بنفسه وجعل محلا لقبوله ولو كان ما تصدق به مرة يثبت
له حكم الصدقة لما جاز للفقير اذا تصدق عليه بشي ان يبيعه من غني فقد سالهم الطعام
واجاب عنه المصنف بقوله بيانا بان سواله المقتضي والمنفي السوال بغير مقتض **وقوله الم
ار البرمة** بضم الموحدة وسكون المهملة والميم وهي عند العرب قدر تنحت من الحجارة وقيل
اعم من ذلك فيشمل النحاس والحديد وغيرهما **فيها لحم** الضمير للبرمة لانها مؤنثة كالقدر
الا ان تانيث الثانية سماعي واللحم بسكون الحا المهملة وتفتح وقد قيل انه لغة مطردة
في كل ما ثانيه حرف حلق كالبحر والنهر والبعل والنعل والنخل وانكره البصريون **اذ لعل
سبب سواله عليه السلام ظنه عليه السلام اعتقادهم** اي اعتقاد عايشة الخادم
وغيرها من الناس من كره تعليلا **انه** اي بسبب انه صدقة في الاصل **لا يحل له** صلى الله عليه
وسلم كالصدقة عليه بالذات **فاراد بيان سنته** اي طريقته المشروعة له وهي جواز
اكل الصدقة وان كانت صدقة على من اهداها لو اراد بالسنة المستحب لانه يستحب له الاكل
منها وقبولها تطييبا لقلب مهديها **اذ راهم لم يقدموه** اي اللحم **اليه مع علمه انهم لا
يستاثرون عليه به** اي لا يخصون انفسهم ويقدمونها على النبي في شي من الطعام وغيره
فصدق بتخفيف داله ويجوز تشديدها **عليهم ظنه** بالنصب اي صدق في ظنه جهلهم
بذلك فهو متعد بنفسه او على الحذف والايصال كما في صدق وعده او بالرفع على انه فاعل
اي تحقق ظنه او وجد صادقا في جهلهم ذلك **وبين لهم ما جهلوه من امره بقوله
هو لها صدقة ولنا هدية** وهذا جواب استحسنوه فان الرجل اذا راى طعاما اهدي له

فسال عنه وطلب اذ يوتى به لا يذم وانما لا يسال عما عهده من طعامه ويحث عنه
واتى بلعل التي للترجي لانه لم يجزم به وتقدم جواب آخر وهذا الحديث يدل على ان الصدقة
حرام عليه لشرف قدره وعلو منصبه وغناه حقيقة وسوا فيه صدقة التطوع والفرض
كالزكاة وفي حل التطوع قول الشافعي وكذا اهل بيته وقيل لا يحرم عليه الصدقة العامة كماء
السبيل والابار المسبلة وهل ذا التحريم على ساير الانبيا ام خاص به فيه خلاف والاصح
اختصاصه به وفي الاحاديث ما يدل عليه ونقل عن ابي حنيفة جواز الصدقة على اهل البيت مطلقا
وقيل اذا حرموا سهمهم من بيت المال كما نقله الطحاوي وهو وجه عن الشافعي ومالك وهم بنو
هاشم وكذا بنو المطلب بخلاف غيرهم من قريش وازواجه **وفي حكمة لقمان** بن عنقا بن سيرون
واسم ابنه ثاران وقيل غير ذلك وقيل انه ابن اخت داود وعنه اخذ وقيل كان قاضيا في بني
اسرائيل والاصح انه حكيم وقد جمعت حكمه في كتاب مستقل بسند المراد بالحكمة الموعظة الحسنة
لفظا ومعنى ولقمان هو المذكور في القرآن وكانت تجري على لسانه لما آتاه الله من العلم والنفس
القدسية وهو ولي عند الاكثر ونبي عند بعضهم وكان عبدا حبشيا نجارا بالراء وقيل
نجادا بالدال او خياطا او راعيا وقيل نوبي وقيل انه تلمذ لالف نبي وتلمذ له الف نبي
وهو غريب وهو من اهل ايلة وقيل انعم وقيل اشكم وقيل ماثان وقيل انه ابن اخت ايوب او ابن
خالته وقيل انه كان في زمن داود وقيل انه بعد ابراهيم والاصح الاول وقيل بعد عيسى والقول
بانه عاش الف سنة قيل انه غلط من لقمان بن عاد **يا بني** بالتصغير والاضافة واسمه مشكم
بكسر الميم وسكون المعجمة وميم على الاصح وقيل غيره كما مر **اذا امتلات المعدة نامت الفكرة**
المعدة بفتح الميم وكسر العين وبكسر الميم مع سكون العين مقر الطعام وهي للانسان كالكرش
للبهايم والحوصلة للطير والفكرة والفكر قوة تدرك في الدماغ عند من يثبت الحواس الباطنة
في بطون الدماغ كما فصل في كتب الحكمة ومن لم يثبتها يقول هي القوة للنفس تدرك بها الامور
الدقيقة فعلى الاول نومها استعارة تبعية لبطلان عملها او شبهت الفكرة بشخص واثبت
له النوم على طريق المكنية والتخييلية وكذا على الثاني او المراد نام صاحبها والنوم مبطل للحس
والادراك والمراد على كل غلبة الغفلة والذهول والبلادة على من يشغله بطنه عن مهماته
ومثله ما ورد في الحديث لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فان القلب كالزرع يموت
اذا كثر عليه الماء فيذبر عما يهمه من العلم النافع والعبادة والجهل يستعار له الموت كما قيل

لا يعجبن الجهول بزته • فذاك ميت وثوبه كفنه •

وخرست الحكمة هو كالذي قبله في الاستعارة ونحوها اي خرس اللسان التي تجري عليه
والحكمة النطق بما فيه كمال النفس والاقتباس والعثور العلوم النظرية والملكات التامة
والافعال الفاضلة اي تركت ذكرها واكتسابها **وقعدت الاعضاء عن العبادة** اي
كسل صاحبها فلم يستعملها في عبادة الله بان تعطل بدنه عن القيام لها واللسان عن ذكرها
والقلب عن فكرها ويمكن ابقاؤه تركه بالقعود او استعماله في لازمه ونحوه مما مر فقسه على
ما قبله **وقال سحنون** الفقيه المالكي وهذا لقبه واسمه عبد السلام بن سعيد التنوخي قاضي
افريقية وكنيته ابو سعيد وهو بضم السين وصوب القاضي فتحه وقال ان الضم زعمه بعض
الفقها وعليه ابن الحاجب في الشافية حيث قال سحنون ان صح الفتح ففعلون كحمدون وهو
مختص بالعلم النادر وفعلول وهو صعفوق وخرنوب ضعيف وقال غيره انه صحيح على انه فعلون

بالنون وهو اولى لكثرته في الاعلام كحمدون وزرقون وزيدون خصوصا بالمغرب وهو اسم طائر كثير الحركة في الاصل وقيل هو البلبل وادرك مالكا ولم يقرا عليه وقرا على ابن القاسم واشهب وهو واضع كتاب المدونة وانتهت اليه رياسة العلم بالمغرب وحصل له ما لم ينله غيره وولد في رمضان اول سنة ستين ومايتين ومات لتسع خلون من رجب سنة اربعين ومايتين وقيل الظاهر ان سحنون فعلول من السحنة وهي الهيئة الحسنة وهو ممنوع من الصرف للعلمية وشبه العجمة وهو مضموم وفاوان كان فعلولا وقال التلمساني وقع في نسخة العو في هنا ذو النون بدل سحنون وهو العابد الزاهد المشهور واسمه ثوبان وقيل الفيض بن ابراهيم المصري فيمكن ان يكون احدهما روي عن الاخر لانهما في عصر واحد **لا يصلح العلم لمن ياكل حتى يشبع** لفيد الاستمرار التجددي اي من يكون دابه كثرة الشبع يكثر نومه ويصير بليدا بطالا فلا يحصل العلم ولا يليق به طلبه فان البطنة تذهب الفطنة ولانه يشتغل باصلاح ماكله وكسب ماله يحصله فيفوته العلم وكل خير **وفي صحيح الحديث** الذي رواه البخاري ويجوز ان يريد المص بصحيح الحديث كتاب البخاري لان الصحيح غلب عليه **اما انا فلا آكل متكيا** هذا الحديث في الصحيحين مروي بروايات منها ما ذكره المص ومنها اني لا آكل متكيا ومنها لا آكل وانا متكي قال الكرماني هذا ابلغ في الاثبات والاول ابلغ في النفي فقيل المراد انه اكثر مبالغة لا بلاغة ووجهه ان متكيا اسم فاعل فيه ضمير مستتر فاسند الاتكا اليه مع اسناده معه الى انا فهو ابلغ في اثبات الاتكا لتكرار اسناده وان لم يكن متكيا مع فاعله جملة بخلاف لا اكل متكيا فانه لم يتكرر فيه الاسناد فهو في النفي ابلغ وعندي ان الثاني ابلغ لنفي القيد والمقيد انتهى **اقول** هذا كلام لا محصل له مع عدم استقامته والظاهر ان مراد الكرماني بالنفي والاثبات نفي الاكل في حال الاتكا واثبات الاكل في حال عدم الاتكا الذي يقتضيه مفهومه بناء على الفرق بين الحال المفردة والجملة فان النفي في الاولى ينصرف الى القيد والمقيد فيقتضي نفيهما والثانية لا تقتضي ذلك نحو وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم فانه يقتضي انهم يعذبون بعده كما يقتضي هذا انه ياكل اذا زال الاتكا وفيه بحث ليس هذا محله وسبب هذا الحديث ما اخرجه ابن ماجة بسند حسن وهو ان اعرابيا اهدى للنبي صلى الله عليه وسلم شاة فجثى على ركبتيه ياكل فقال له الاعرابي ما هذه الجلسة فقال ان الله جعلني عبدا كريما ولم يجعلني جبارا عنيدا **والاتكاء هو التمكن للاكل والتقعدد** التقعدد تفعلل من القعود ومعناه التثبت والتمكن من القعود الا انه قيل انه لم يوجد من هذه المادة تفعلل والمص ثقة ما يقوله بمنزلة ما يرويه وللجلوس انواع بينها الثعالبي في فقه اللغة **في الجلوس له** اي لاجل الاكل **كالتربع وشبهه من تمكن الجلسات التي يعتمد فيها الجالس على ما تحته** من ارض وفراش ونحوه التربع يكون بمعنى التردد في الربيع وجعل الشي رباعيا ونوع من الجلوس ماخوذ من الاخير لبسط اربعة من اعضايه الساقين والوركين مع انضمامهما على هيئة معلومة وقوله من تمكن الخ بيان للتربع وشبهه والتمكن تفعل من المكان اي تثبته في المكان والاعتماد بمعنى الاتكا كما في الصحاح وهذا اشارة الى ما ارتضاه في تفسير الاتكا فان اهل اللغة اختلفوا فيه فذهب بعضهم الى انه الميل الى احد جانبيه مع اعتماده على شي كالمخدة والوسادة وهو المشهور وذهب الخطابي وتبعه المص الى انه الاعتماد على ما تحته من غير ميل كما بينه هنا وسياتي تحقيقه ثم اشار الى وجه كون الاتكا بهذا المعنى في حال الاكل لم كان غير محمود فقال **والجالس على هذه**

الهيئة يستدعي الاكل اي يطلب الاكل ويرغب فيه ويقتضي تناوله **ويستكثر منه** اي يكثر منه كثرة مفرطة متجاوزة حد الاعتدال حتى كانه يطلبه من نفسه لاقباله عليه وفوة شهوته لغلبة حيوانيته **والنبي صلى الله عليه وسلم** لاعراضه عن مثله وتناوله منه مقدارا ضروريا بسرعة **انما كان جلوسه للاكل جلوس المستوفز مقعيا** المستوفز الذي لا يكون مطمينا بل مستعجلا للقيام ومنه نحن على اوفاز اي على سفر كما قلت في الفصول القصار

من كان في الدنيا على اوفاز ● استراح لتهنيه بعيشة اوفاز

والاقعا بقاف وعين مهملة ممدود له تفاسير والمعروف منه اثنان احدهما ان يلصق اليتيه بالارض وينصب ساقيه وفخذيه ويلصقهما بصدره وربما يكون مع وضع يديه على الارض مع انخناس يسير مثل جلوس البدوي المصطلي والثاني ان ينصب قدميه واضعا على عقبيه اليتيه ضاما ساقيه وفخذيه واضعا ركبتيه على الارض وهذا استحبه الشافعي اذا رفع راسه من السجود الاول وبه ورد الحديث وقال الشافعية انه عليه العبادلة وكرهه الحنفية واما الاول فمكروه بلا خلاف في الصلاة واما اقعاوه صلى الله عليه وسلم للاكل ففسر بالصاق مقعده بالارض ناصبا ساقيه وهو الاحتفاز والاستيفاز وقول الحجازي ان قول المصنف ان جلوس النبي صلى الله عليه وسلم لاكله مستوفزا مقعيا ظاهره انه كان عادة له في كل احواله والذي ورد في الحديث انه اكل مرة هكذا كما قال انس رايته اكل مرة مقعيا لا وجه له لان ما قاله هو المصرح به في عامة الكتب ورويه انس مرة لا تصلح سندا للنفي في غير تلك المرة وانما امتنع الاتكا في اكله لانه من الكبر والترفه الذي تنزه طبعه عن الميل له ولانه يضر اذا مال ويستدعي كثرة الاكل اذا تربع وهل كان الاكل متكيا مكروها في حقه كسائر الامة او حراما عليه وان ذلك من خصايصه ذهب الى الثاني بعض الشافعية والاصح الاول واختياره غيره دايما لا يدل على حرمته **ويقول انما انا عبد** لله لا ملك لاختياره العبودية التي هي اشرف الصفات وهذا من حديث رواه البخاري عن عمر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تطروني كما اطرت النصارى عيسى بن مريم انما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله والاطرا المبالغة في المدح والى هذا اشار الابوصيري بقوله

دع ما ادعته النصارى في نبيهم ● واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم

وهذا من تاكيد المدح بنفيه **آكل كما ياكل العبد واجلس كما يجلس العبد** في حال الاكل وغيره تواضعا لله فلا يمد حينئذ رجليه عند جلسائه تكريما وتعظيما لعباد الله وارشادا لمن لا ينبغي ترفع ذوي الوجاهة والتكبر من الملوك وغيرهم به اقتدى خلفاوه رضي الله تعالى عنهم لان الله رقيب عليهم وهو معهم فادبهم انما هو معه وقد ضيف بعض الاكابر بعض الامرا وهيا له محلا ينام فيه فلما دخله وجد فيه مصحفا فلم يزل قايما على قدميه الى الصباح فلما اتاه رب المنزل رآه قايما فقال له لم لا تجلس فقال اجلس وانام في محل فيه كلام الله فقال له من عظم الله عظمه فلم يمض زمن حتى صار سلطانا واستمر الملك في عقبه الى الآن فلما طغوا وتكبروا حتى طلب بعضهم سجود الناس له قصمه الله وصار ملكهم على شرف الزوال وما لك الملك يوتيه من يشاء **وليس معنى الحديث في الاتكاء** المذكور سابقا **الميل الى شق عند المحققين** من اهل اللغة والحديث بل هو ما مر وهو احد قولين لهم واعلم ان الصاغاني قال في المجمع رجل متكاه مثل تودة كثير الاتكا واصله

وكاه والمتكاء ايضا ما يتكاء عليه وهو المتكا قال تعالى واعتدت لهن متكاء قال الاخفش هو في معنى مجلس وطعنه حتى اتكاه اي القاه على هيئة المتكي واوكات فلانا نصبت له متكاء وفي نوادر ابي عبيد اوكات عليه اي توكات انتهى وكذا قاله غيره فهو واوي من الوكا واصل معناه الشد والمعتمد على شي يتقوى ويشتد به فالاعتماد حالة الجلوس على الارض او غيرها متكي والمائل على احد شقيه المستند الى الارض او الوسادة متكي ايضا فكلا التفسيرين صحيح والمراد به في الحديث صالح لكل منهما ومن فسره بالميل جنح الى انه عادة المتكبرين المترفهين او المشهور في الاستعمال فحيث طابق الوضع كان اظهر فرد المصنف لم يصادف محزه واكثرهم على خلافه الا الخطابي والحق احق بالاتباع فالحاصل ان حقيقته انما هي الاعتماد الحقيقي فالمتربع معتمد والمائل معتمد على احد شقيه فلا خطا في كلا التفسيرين عند من له معرفة باللغة والتحقيق خلاف ما ادعاه المصنف من التحقيق وانما جعل النبي هذه حالة العبد لانه لاشتغاله بالخدمة والمهنة لا يستقر ويطمين فيكون مستوفزا مستعجلا والمعنى اني لست مخلوقا للدنيا وترفهها ونظري انما هو لعبادة الله وتبليغ اوامره فلا التفت اليها وانما اتناول منها بسرعة مقدار ما يسير لدفع الجوع كالعبد الموكل بخدمة سيده وثمة نكتة اخرى تدرك بالذوق اي انه لا ياكل ويشرب كالبهائم **وكذلك** اي كقلة اكله وشربه وعدم ترفهه فيهما **نومه صلى الله عليه وسلم كان قليلا** بيان لوجه الشبه **شهدت بذلك** اي قلة نومه دلت عليه **الاثار الصحيحة** اي الاحاديث الصحيحة المسندة في كتب الحديث التي اغنت شهرتها عن ذكرها كما مر وهذا كان اكثر حالاته وربما خالف هذا احيانا اذ قد ورد ما يوذن بان نومه زاد على يقظته او ساواها كحديث النسائي عن انس قال ما كنا نشاء ان نرى رسول الله بالليل مصليا الا رايناه ولا نشاء ان نراه نايما الا رايناه **ومع ذلك** اي مع قلة نومه غالبا **فقد قال ان عيني تنامان ولا ينام قلبي** فنومه ليس كنومنا بل هو يقظة فكانه لا نوم له اصلا بحسب الحقيقة فقلبه مستيقظ دايما مدرك ما لا يدركه غيره في يقظته ولذا كانت رؤياه قسما من الوحي لاتصاله بعالم الملكوت في نومه وكذلك ساير الانبيا تنام عيونهم ولا تنام قلوبهم فهذه خصوصية اضافية بالنسبة لامته وهذا ايضا باعتبار غالب احواله فانه صلى الله عليه وسلم نام مرة هو واصحابه حتى فاتتهم صلاة الصبح وادركهم حر الشمس وقد اجيب عنه ايضا بان القلب وان كان يقظان لا يدرك ما تدركه العيون النايمة وانما يدرك ما يتعلق به من الحدث والالم ولذا ذهب بعض الفقها الى ان نومه لا ينقض وضوءه وبانه شغل الله قلبه بمشاهدة ملكوته مع نوم عينه فلم يدرك خروج الوقت للتشريع لامته **وكان** صلى الله عليه وسلم **نومه على جانبه الايمن استظهارا على قلة النوم** اي استعانة فان الاستظهار استفعال من الظهر بمعنى التقوية والاستعانة لان قوة البدن واستمساكه بظهره فكان من عادته اذا نام ينام على شقه الايمن وحكمته ان القلب مايل الى جانب اليسار فاذا نام المرء على يساره يستقر القلب فيزيد نومه لراحة قلبه فاذا نام على يمينه تعلق رائعا ولم يسترح فيخف نومه ويكثر سرعة يقظته من نومه وانما كان مقتضى الحكمة كون القلب في جانب اليسار ليعادل الكبد الذي في جهة اليمين غالبا ولموافقته لما كان يحبه من التيامن في اموره لما فيه من اليمن لفظا ومعنى وما قيل من انه حالة امتهان لا اتكائه

على الجانب الذي ينام عليه لا وجه له فان النوم راحة تعين على العبادة والاتكاء عليه كالاتكاء على اعضاء السجود وكذا ما قيل انه مع قوة رواحه ويقظة قلبه غالب لنومه غير محتاج لما يشطها عليه وانما هو للتيمن والتشريع فان القوي اذا تقوى كان شديد القوة والنوم امر طبيعي في جميع الخلق غالب وقد عرفت ان يقظة قلبه كانت هي الحالة الغالبة فالتقوي احترازا عما يعرض نادرا **والنوم** اي النوم **على الجانب الايسر اهنا** افعل تفضيل مهموز الاخر من الهني اي اسهل والذ والهني ما اتاك من غير مشقة فالنوم على الايسر ايسر وفعله هنو بالضم ويكسر هاه قيل وانما الطايف البيت عن يساره لتوجه قلبه اليه بدعوة واجمل فيه من من الناس بتفويض اليهم فجعل جانب القلب واهناه واعلاه محاذيا له وقيل لان اليسار محل الوسوسة وكاتب السيئات واليمين محل الرحمة كما ان البيت محل الرحمة فجعل اليسار بين رحمتين لتغلب ضده وقال ابن عبد السلام الحكمة فيه ان القادم يستقبل البيت بثنية كداء من ناحية باب بني شيبة فيبقى ركن البيت الذي على يمينك يساره ويسارك يمينه والذي يليك فيك من البيت وجهه وهو الباب لان باب كل بيت وجهه والادب ان يوتى الكبير من قبل وجهه ولهذا ابتدئ بثنية كداء والافضل في القربة التيمن فلو ابتدي بالحجر وجعل البيت على يسار فكان قد ابتدي بالوجه واليمين معا فيجمع بين فاضلين ولو ابتدا بالحجر وجعل البيت على يمينه ترك الادب ويمين البيت الحايط الذي من ركن الحجر الى الطرف الاخر وغيره ما يقابله وهو معنى حسن كما قاله ابن مرزوق **لهدو القلب** تعليل لكونه اهنا اي لراحته واستراحته لسكونه والهدو بزنة السكون ومعناه مهموز الاخر وتبدل همزته واوا وتدغم وتسهل ايضا وهو قريب من الهدو ولاممها همزة في الاصل **وما يتعلق به** اي والهدو مثلا قد الذي يتعلق به ونياطه وكلاهما **من الاعضاء الباطنة** اي الموجودة في داخل الانسان **حينئذ** اي حين نومه على جانبه الايسر **لميلها الى الجانب الايسر فيستدعي** ذلك اي يقتضي ذلك الهدو ويسلن من عكس الطبع **الاستثقال فيه** اي يثقل بدنه في نومه وغلبة النوم حتى يستغرق فيه وهو جواب اذا او مسبب عما قبله **والطول** اي طول نومه وطول زمان بطالته **واذا نام النايم على جانبه الايمن تعلق القلب وقلق** اي لم يستقر ويطمين **فاسرع الافاقة** اي التيقظ من نومه **ولم يغمره** بفتح اليا وسكون الغين المعجمة وضم الميم وجزم الرا المهملة الاستغراق في النوم وهو انقطاع احساسه انقطاعا تاما طويلا وغمره له تغطيته وشدة استيلايه عليه من غمر الما اذا علاه فهو استعارة كما استعيرت الغمرة للشدة فبينه وبين الاستغراق مناسبة لطيفة لانه من الغرق وذلك لان القلب مايل طرفه الاسفل الى اليسار لتتوفر الحرارة منه عليه فيعتدل الجسم فان الحرارة كلها في الايمن لكون الكبد فيه والله اعلم

فصل والضرب الثاني

مما تدعو ضرورة الحياة وهو الفصل التاسع وعقبه بما قبله لانه ضده اذ فيما قبله يتمدح بقلته وبضدها تتميز الاشيا وهو **ما يتفق التمدح بكثرته** يتفق امام قولهم اتفق كذا او وقع اتفاقا اي وقع من غير قصد لصاحبه او من الاتفاق وهو اجتماع الكلمة فالاصل ما يتفق الناس على التمدح اي كثرة المدح وقوته والمراد الاول لان صاحبه لم يقصد ولم يقصد مدح الناس له بسببه او كان قد يقصد ذلك **والفخر بوفوره** اي الافتخار بكثرته

دون قلته ووجوده فانه موجود في كثير مما لا يعتد به وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احظ منه بالحظ الاوفى الاوفر **كالنكاح** اي الجماع فانه يطلق عليه وعلى العقد والمراد الاول **والجاه** وهو علو القدر عند الناس والمهابة ونفوذ الكلمة والاشتهار بذلك وهو من الوجاهة والمواجهة واصله وجه فقلب واعل **اما النكاح فمتفق فيه** اي في مدحه وشانه اتفق العلما واصحاب النظر والتمييز شرعا كما سياتي بيانه **وعادة** اي فيما اعتاده الناس وتفاخروا به كما لا يخفى ونصب شرعا وما بعده على التمييز او المصدرية ثم بين ذلك على اللف والنشر المشوش فقال **فانه** اي النكاح **دليل الكمال** في الخلقة والجسم بقوته واعتداله **وصحة الذكورة** الظاهر انها مصدر كالصعوبة والانوثة والمشهور انها جمع ذكر خلاف الانثى ويصح ارادته ايضا الا ان الاول اولى وصحة الذكورية بمعنى قوتها وسلامتها من الضعف والافة **ولم يزل التفاخر بكثرته عادة** للناس **معروفة** بينهم لا تنكر **والتمادح به سيرة** اي طريقة **ماضية** اي قديمة او نافذة مقررة من مضى الامر اذا قضي وقرر **واما الشرع فسنة ماثورة** اي في الشرع مسنون منقول في آثار السلف والاحاديث الصحيحة اي المراد انه طريقة مشهورة قال الراغب سنة النبي طريقته التي كان يتحراها **وقد قال ابن عباس** وهو حديث صحيح رواه البخاري **افضل هذه الامة اكثرها نساء مشيرا اليه صلى الله عليه وسلم** يعني ان المراد بالافضل في كلامه هو النبي عليه السلام فانه ابيح له جمع ما فوق الاربعة وهو من خصائصه دون امته فدلت الاكثرية على تعيينه بصلة الافضلية ولذا عبر عنه بالاشارة فانها تطلق على مقابل الصريح وهو وان كان افضل من امته اجل واعلى من ان يقال انه افضل مع انه لا فائدة فيه في بادي الراي الا انه رضي الله عنه قصد الحض على النكاح والاكثار منه ولذا كان مفيدا وهذا الكلام قاله لسعيد بن جبير لانه ساله الك زوجة فقال لا فقال له تزوج فان خير هذه الامة من كان اكثرها نساء كما في صحيح البخاري ولا بد من حمل النبي داخلا في الامة لان افعل التفضيل في الاصل انما يضاف لما هو بعضه وان جاز يوسف احسن اخوته على ما ارتضاه بعض النحاة على تفصيل فيه شهرته تغني عن ذكره وهذه الكثرة باعتبار ما ابيح له بعد التزوج بمن شاء ان يجمع ووقف واحد عنده لا يجوز لا بمجرد الدخول والعقد فانه ثابت لغيره ايضا وكان اللاتي تزوج بهن باجماع اهل السير احدى عشر امراة ستة من قريش واربع من سائر العرب وواحدة من بني اسرائيل من نسا هارون وهي صفية واما التي اختلف فيهن ممن فارقها او عقد عليها ولم يدخل بها او خطبها ولم يقع العقد فاختلف فيهن وفي سبب فراقهن والذي ذكره بعضهم انهن سوى من تقدم سبع فالجميع ثمان عشرة امراة غير السراري ويمكن ان يكون المراد بالامة ما يشمله وامته ولا بعد فيه كما قيل والتمدح به لما فيه من الفوائد كالولد وكسر الشهوة وتدبير المنزل وترك ما لا يشغل عن القيام باوامر الله مع امتثال امر الله كقوله خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وذلك سبب للالفة والمودة واتصال القرابة ولان فيه تبليغ الاحكام التي لا يطلع عليها الا النسا ولما فيه من معجزته لقوة قدرته على الجماع مع قلة الاكل وتنعمه والمعتاد خلافه ومع ذلك لم يشغله ذلك عن تقيده بامر الجهاد والتبليغ الى غير ذلك مما لا يحصى وقد عد من النسك والعبادة بل قيل انه افضل منها احيانا وهو من اخلاق الانبيا

وتركه للقادر عليه مكروه الا ان يتوجه لكسب ما لا يقدر عليه وارتكاب محظور كما في آخر الزمان ولذا ورد خيركم الخفيف الحاذ الذي لا زوجة له ولا ولد وانما قيد بهذه الامة ليخرج كسليمان وداود فانهما كانا اكثر منه نساء وفيه تامل **وقد قال عليه السلام تناكحوا تناسلوا فاني اباهي بكم الامم يوم القيمة** ووقع في بعض النسخ تناكحوا فاني مباه بكم الى آخره بدون تناسلوا والتناكح تفاعل من النكاح بمعنى التزوج كما ورد بهذا اللفظ والمفاعلة على ظاهرها بان يراد لينكح احدكم بنت غيره وينكح الغير بنته وهو عبارة عن مصاهرة المسلمين بعضهم من بعض والتناسل كثرة النسل وهم الاولاد والذراري او المراد بالتفاعل لازم معناه وهو كثرة النكاح وهذا انسب بالمقام وبما بعده وتناسلوا اصله تتناسلوا بتائين في اول المضارع وحذفت على القياس في كل ما في اوله تاءان وهو امر بدل مما قبله او بتقدير العاطف والاول اولى لان التناسل ليس باختيارهم وانما هو فضل الله فيحتاج الى تاويل باطلبوا التناسل واحرصوا عليه بان تنكحوا غير العقيم والآيسة من الولد بان يعلم ذلك منها ان كانت ثيبا او يكون الظاهر ذلك منها لشبابها ففيه نهي عن نكاح العجائز من غير داع واشارة الى انه ينبغي ان يكون المقصد من النكاح مع دفع الشهوة وجود ذرية تعبد الله ويحصل بها كثرة الامة والمباهاة المفاخرة وهي على ظاهرها بان تقع منه المفاخرة حقيقة او تجعل مسرته بهم ورؤية غيرهم لهم كالمفاخرة ويؤيده ما روي عن ابي هريرة انه قال في يوم القيمة يهل السيل فيحطم الناس فتقول الملائكة لم جاء مع محمد اكثر مما جاء مع الامم والانبيا وهو صلى الله عليه وسلم اكثر الناس امة لعموم بعثته وبقائها وكثرة اتباعه وجنده المؤيدين لدين الله فيه فخر عظيم وهذا الحديث اخرجه ابن مردويه في تفسيره بسند ضعيف الا انه حسن لكثرة متابعيه لفظا ومعنى فانه رواه الطبراني في الاوسط من حديث سهل بن حنيف تزوجوا فاني مكاثر بكم الامم وعن معقل بن يسار تزوجوا الولود الودود فاني مكاثر بكم الامم يوم القيمة **ونهى** صلى الله عليه وسلم **عن التبتل** كما رواه الشيخان عن سعد بن ابي وقاص والحديث صحيح قال فيه رد رسول الله صلى الله عليه وسلم على عثمان بن مظعون التبتل ولو اذن لنا لاختصينا فهذا النهي الذي كان استاذنه في التبتل فرده ونهاه عنه وروي ان جماعة من الصحابة منهم علي لما راوا عبادة النبي وقد غفر له ما تقدم وما تاخر قالوا نلزم الصوم والعبادة ونترك نسانا ونطلقهن وننقطع للعبادة فنهاهم عن ذلك والاختصا الشق على الانثيين وانتزاعهما وهو التبتل من البتل وهو القطع والمراد الانقطاع عن النكاح بالكلية ويقال رجل بتول وامراة بتول اذا انقطعت عن الرجال ولذا قيل لمريم البتول واما فاطمة الزهرا فسميت بتولا لانقطاعها عن الدنيا وزهدها او لانقطاعها لعبادة الله او لانقطا[عها] عن نساء زمانها فضلا ودينا وحسنا واما قوله تعالى وتبتل اليه تبتيلا فليس منافيا للحديث لانه بمعنى آخر اي انقطع في الليل لعبادة الله والتهجد واخلص واقرا القران والنهي عنه مخالفتهم للنصارى وما كانوا عليه من الرهبانية واما قوله لو اذن لنا لاختصينا فلا يدل على جواز الاختصا ان كان على حقيقته فانه قد يستعمل بمعنى آخر كما سمي الصوم وجاء وهو جائز في البهائم في صغرها لغرض كتسمين الماكول وهو في الادميين حرام لانه مثلة ويكره استخدام الخصي ويمنع من دخوله على النساء ثم ان النهي عن ترك النكاح للقادر عليه يفيد كراهته لانه مستحب وعند المالكية واجب فالنهي على ظاهره قال الخفاجي

المتأخرون من المالكية يجعلونه في حق بعض الناس واجبا وفي حق بعضهم مندوبا اليه وفي حق بعضهم مباحا التفاتا للمصلحة وهذا نوع من القياس يسمى القياس المرسل وهو الذي ليس له اصل يستند اليه وانما هو لاقتضاء المصلحة وقد انكره كثير من العلما والظاهر من مذهب اصحاب مالك القول به انتهى **مع ما فيه** اي في النكاح او في التبتل وقيل الاول متعين بقرينة ما يأتي **من قمع الشهوة** اي قهرها والغلبة واصله ضرب الراس ومنه مقامع من حديد والمراد بالشهوة شهوة النكاح والنسا **وغض البصر** اي خفض البصر وتخفيضه عن النظر عما يحرم وجعل غض البصر كانه فيه مبالغة لانه حامل عليه وقيل انه مجاز لان من لم يتشوف لامر يغض عنه عينه فكانه لا يبصره ويجوز جعله حقيقة او كناية **اللذين نبه عليهما** صفة لقمع الشهوة وغض البصر **بقوله صلى الله عليه وسلم** في الحديث الذي رواه ابن ماجة عن عايشة الا ان في سنده مقالا وفي الصحيحين عن ابن مسعود انه عليه السلام قال يا معشر الشباب من استطاع منكم الباه فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج واخرجه الطبراني بلفظ المصنف بدون فانه الخ **من كان ذا طول** بفتح الطا المهملة وسكون الواو واللام وهو سعة الرزق والمال بحيث يكون له قدرة على نفقة زوجه واهله بحيث لا ينظر الى مال امراته وغيرها فانه ورد في الحديث ايضا لا تنكح المراة لمالها فلعل مالها ان يطغيها ولا لجمالها فلعل جمالها ان يرديها وعليكم بذات الدين فانهن في النسا مثل الغراب الاعصم قال ابن رشد وهذا نهي ارشاد لا تحريم وورد في الحديث استوصوا بالنساء خيرا فانهن خلقن من ضلع وان اعلاه اعوج فاذا ردت تقيمه كسرته وقد نظمه القايل

هي الضلع العوجاء لست تقيمها • الا ان تقويم الضلوع انكسارها •
أتجمع ضعفا واقتدارا على الفتى • اليس عجيبا ضعفها واقتدارها •

ومنه اخذ الشهاب المنصور قوله •

اذا تممت عرس وانت تحبها • فدع عنك زهوا ولا تثر الموجا •
ولا تطمعن الدهر في ان تقيمها • فقد خلقت في الاصل من ضلع عوجا •

فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج اي فان التزوج اكثر حملا على غض البصر وكفه عن النظر لما يحرك الشهوة واكثر تحصينا اي حفظا للفرج عن الزنا والمفضل عليه التبتل وتحصين الفرج بقمع الشهوة ففيه تنبيه على الامرين المذكورين ثم لما كان في التبتل زهد ظاهر ربما يتوهم انه افضل من التزوج دفعه بقوله **حتى لم يره** اي التزوج والنكاح **العلما** بالدين والشرع **مما يقدح** القدح والطعن في الشي ذكر عيوبه اي ليس مما ينقص الزهد حتى يعيبه الناس فاسند القدح اليه مبالغة **في الزهد** اي ترك الدنيا ولذاتها لانه من جملة التلذذ لان القصد به التعفف والنسل وهذا مروي عن عمر فانه قال ليس في النساء سرف ولا في تركهن عبادة وزهد كما في تحفة العروس للتجاني **قال سهل بن عبد الله** التستري وقد تقدمت ترجمته **قد حبب** بالبنا للمجهول والتشديد اي خلق الله فيه محبتهن والضمير للنساء **الى سيد المرسلين فكيف يزهد فيهن** اي اذا كان الله جعل حبهن مركوزا في جبلة من هو ازهد الخلق فكيف يدعي احد ان تركهن زهد وفي سراج المريدين في قوله تعالى والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين واجعلنا للمتقين اماما ان هذه الاية تدل على فضل التزوج على العزوبية لبقاء الذرية ودعائها الذي هو

عمل

عمل لا ينقطع بموته قلت ويدل على انه الافضل في حق من يقتدي به الناس **ونحوه** اي مثل المروي عن التستري مروي **عن ابن عيينة** علم منقول من تصغير العين وهو سفيان بن عيينة بن عمران الكوفي احد الايمة الاعلام الامام الحافظ روى عن كثير كالزهري وابن دينار واحمد والزعفراني روى عنه خلق كثير وخرج له اصحاب الكتب الستة وكان يسكن مكة وتوفي في رجب سنة ثمان وتسعين ومائة ومولده سنة سبع ومائة وكان اعور وترجمته مشهورة وهو من تبع التابعين ادرك منهم ستة وثمانين نفسا **وقد كان زهاد الصحابة كثيري الزوجات والسراري كثيري النكاح** كثيري النكاح بيايين اصله كثيرين بصيغة الجمع فحذفت نونه للاضافة يعني كانوا يكثرون من النساء حراير واماء او انهم كانوا يطلقون كثيرا فتكثر زوجاتهم بهذا الاعتبار كما قاله التجاني وكان عنه علي اربع نسوة وتسع عشرة وليدة الا انه لم يتزوج غير فاطمة حتى ماتت وولد منها الحسن والحسين ومحسنا وتوفي صغيرا في حياة رسول الله وهو الذي سماه محسنا كما ذكره الدارقطني والحسن كان من اشد الناس حبا للنسا وكان مطلاقا قيل انه ارخى سترة على مائتي حرة والسراري بتشديد الياء وتخفيفها جمع سرية بالتشديد وكل ما كان مفرده مشددا كما بينه واماء يجوز في جمعه التخفيف والتشديد والسرية هي الامة المنكوحة ولو مرة فلا تسمى سرية قبل الوطء حتى ان من حلف بعد زوجته عتق كل سرية له لم يكن لها عتق التي لم يطاها وهي منسوبة الى السر الذي هو الجماع او الاخفا لانه كثيرا ما يخفيها عن زوجته فضم سينها من تغييرات النسب كما قيل في النسبة للدهر دهري بالضم وقيل انها مشتقة من السرور لانه يسر بها فابدلت احدى راءيها كما قالوا فظننت ولظننت بوضم سينها لازم ولذا قيل عليك بضم صاد السرية والتسري سنة وقد قال النبي عليه السلام عليكم بالسراري فانهن مباركات الارحام وقد تسرى الانبيا والصحابة **وحكي** بالبنا للمجهول **في ذلك** المذكور من التزوج والتسري وكثرته **عن علي والحسن** ابنه كما مر لانه المنقول عنه ذلك ولذا قدمه والحسن البصري فانه لم ينقل عنه تبتله **وابن عمر وغيرهم** من الصحابة **غير شي** هذا هو نايب فاعل اي حكي عنهم اشياء كثيرة في ذلك الاشياء واجمله وابهمه لكثرته كما في قوله **وقد كره غير واحد** من السلف الصالحين **ان يلقى الله** اي يموت لان لقاء الله يكنى به عن الموت كما جاء في الحديث من احب لقاء الله احب الله لقاءه وقال الراغب لقاء الله عبارة عن القيمة وعن المصير اليه قال تعالى الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم واللقاء الملاقاة واصل معناه مقابلة الشي ومصادفته معا وقد يعبر به عن كل واحد منهما **عزبا** بفتح العين المهملة والزاي المعجمة والباء الموحدة هو الذي لا امراة له من عزب بمعنى تباعد يقال رجل عزب وامراة عزبة وعزب عنه علمه اذا غاب عنه ولم يعلمه وهذا مروي عن ابن مسعود فقد حكي عنه انه كان يقول لو لم يبق من عمري الا عشرة ايام لاحببت ان اتزوج لئلا القى الله عزبا • وماتت امرأتان لمعاذ بن جبل في الطاعون وكان هو مطعونا ايضا فقال زوجوني فاني اكره ان القى الله عزبا اي بعيدا عن النساء وقال في الدرة الغزب يقال للذكر والانثى وقد يقال للمراة عزبة ولا يقال للرجل اعزب بالهمزة او هي لغة قليلة وفي التقريب قال ابو حاتم لا يقال اعزب قال النووي هو في جميع نسخ بلادنا بالالف وهي لغة مشهورة وما وقع في بعض النسخ تقييد عزب بسكون الزاي بالقلم كما قاله البرهان لا وجه له فانه خلاف المنقول في كتب اللغة **فان قلت كيف**

يكون النكاح وكثرته من الفضائل وهذا يحيى بن زكريا جعلها الشهوة نهمتها وشهوة اتصافهما بما
ذكر بمنزلة المحسوس المشاهد ويحيى وزكريا بلغاته اعجميان وقيل انه عربي مشتق من الحياة لا
كالمفازة لان الله احيا قلبه بانوار النبوة الذاتية المقتبسة منه فقال انا نبشرك بغلام اسمه
يحيى لم نجعل له من قبل سميا قال قتادة والكلبي لم يسم احد قبل يحيى بذلك فاحيا الله به دين عيسى
واشتق له من اسمه الحي اسما كما اشتق اسم سيدنا ونبينا محمد من اسمه المحمود كما قيل وكان عيسى ابني خالة
وكانت امه تقول لمريم اني اجد الذي في بطني يسجد للذي في بطنك ويحيى اكبر من عيسى وفي
عمره اختلاف فقيل مائة وعشرين سنة وقيل ثمانية وتسعين وقيل اثنين وسبعين ۞ واما زكريا فمن
ذرية سليمان وكان اخر من بعث من بني اسرائيل قبل عيسى ولما اراد بنو اسرائيل قتله فر منهم
فانفلقت له شجرة فدخلها فاخذ الشيطان بهدب ثوبه فلما راوه نشروا الشجرة حتى قطعوه في
جوفها ۞ واما يحيى فقتل بسبب امراة اراد ملكهم تزوجها فقال له يحيى انها لا تحل لك لانها بنت
امراته فتوصلت لقتله قيل ان يرفع عيسى فكان دمه يفور حتى قتل منهم بخت نصر سبعين
الفا وهذا قصاص الانبياء كما ان قصاص الملوك خمسة وثلاثين الفا كما قاله ابن عباس وقد قيل
ان الموت بعد استقرار اهل النار في النار واهل الجنة في الجنة يؤتى به بصورة كبش املح فيذبحه
يحيى وقيل الذي يذبحه جبريل والثاني روي في بعض التفاسير واما الاول فلا مستند له
وان ذكره بعض الصوفية قد اثنى الله تعالى عليه انه كان حصورا في قوله وسيدا وحصورا
والسيد الرئيس الشريف وفيه تفاسير ستاتي واما الحصور فمن الحصر وهو المنع ولذا اشتهر تفسيره
بمن انحصر عن النساء بحيث لا ياتيهن واخرج ابن جرير عن ابن عمر وعمرو بن العاص ان رسول الله صلعم
عليه السلام قال ما من عبد يلقى الله الا ذا ذنب الا يحيى بن زكريا فان الله عز وجل يقول وسيدا
وسيدا وحصورا قال وانما كان ذكره مثل هدبة الثوب واشار بانملته وبه فسر ابن عباس
واورد شاهدا له من كلام العرب وعلى هذا بنى المصنف السؤال كذا في الشرح الجديد اقول
هذا الحديث لم يثبت وسئل النووي عن حديث ما منا الا من عصى الا يحيى بن زكريا واجاب في
فتاويه انه حديث ضعيف لا يحتج به رواه ابو يعلى في مسنده عن زهير عن عفان عن حماد
بن سلمة عن علي بن زيد بن جدعان بضم الجيم واسكان الدال المهملة عن يوسف بن مهران عن
ابن عباس قال ما احد من ولد ادم الا قد اخطى او هم بخطيئة ليس يحيى بن زكريا واسناده
ضعيف لان ابن جدعان ضعيف ويوسف بن مهران مختلف في جرحه فكيف يثني الله عليه
في القرآن بالعجز عما نعده فضيلة وهو النكاح وكثرته وهذا عيسى بن مريم تبتل
من النساء اي انقطع عنهن بالكلية ولم يتزوج ولو كان كما قررته اذ النكاح بل كثرته فضيلة
ممدوحة لنكح اي لتزوج ليحوز هذه الفضيلة فاجاب بقوله فاعلم ان ثناء الله على يحيى
بانه كان حصورا ليس معناه كما قال بعضهم كما مر انه كان هيوبا اصل معنى الهيوب
الجبان من الهيبة وهي المخافة والهيبة ويأتي بمعنى من يخافه الناس وليس مرادا هنا بل المراد
انه كان جبانا عن النكاح او لا ذكر له الذكر بفتحتين معروف لم يرد ظاهره وانما اراد انه
صغير جدا او لا حركة له اصلا لما ورد في بعض الاحاديث الضعيفة ان النبي اخذ نواة او قذاة
وقال ذكره مثل هذه وفي اخرى مثل هدبة الثوب وقال ابن المنذر كان عنينا وقد يطلق الحصور
على المجبوب الذكر والانثيين في حديث القبطي الذي امر النبي عليا بقتله قال فرفعت الريح
ثوبه فاذا هو حصور بل قد انكر هذا حذاق المفسرين ونقاد العلماء حذاق جمع حاذق

بمعنى ما هو في علم التفسير والنقاد جمع ناقد وهو الذي يميز جيد النقد من رديه واصل
معناه الوزن وخلاف النسيئة ولم يذكر الاول القاموس وهو المراد هنا وقالوا هذه نقيصة
وعيب ولا تليق بالانبياء اي لا تصلح ولا تناسبهم من لاق الدواة يليقها اذا اصلحها
وانما معناه انه كان معصوما من الذنوب والعصمة عندنا ان لا يخلق الله تع فيهم ذنبا
وعند الفلاسفة ملكة تمنع الفجور وسياتي الكلام على تفصيل عصمة الانبياء اي لا ياتيها
كانه حصر عنها اي منع عنها فحصور بمعنى محصور قال البجائي هذا الجواب ضعيف لما ورد
في حديث بشر بن عطية قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من تحصر في الاسلام وقال
لا حصور الا يحيى بن زكريا كما حرره الماوردي وغيره وفيه نظر سياتي وقيل مانعا نفسه
من الشهوات وقيل ليست له شهوة في النساء يعني ان له قدرة على الجماع ولكنه يمنع نفسه
عنها باشتغاله بغيرها من العبادة او له قدرة ولكن لا تتوق نفسه له ولا تريده فانهم عرفوا
الشهوة بانها توقان النفس الى الامور المستلذة وفرقوا بينها وبين الارادة بان الارادة اعم فان
الارادة قد تتعلق بما لا يشتهى كارادة شرب الدواء والاشتهاء ميل طبيعي غير مقدور ولذا
يعاقب بارادة المعاصي عند بعض ولا يعاقب باشتهائها فالمعنى ان الله عصمه بان لم يخلق
فيه ميلا للمشتهيات ولو لم تفسر بما ذكر لما صح تعقيبه بقوله فقد بان لك من هذا ان عدم
القدرة على النكاح نقص وانما الفضل في كونها موجودة ثم قمعها وهذا معنى ما
قاله البسيلي في تفسيره ان الظاهر ان كونه حصورا كان عن اختيار منه لان خلافه نقص في
الخلقة وعيب تنزه عنه الانبياء وما ذكره ابن حزم في الملل والنحل من ذمه انما يتمشى فيما كان
لمجرد الشهوة البهيمية اما ما كان لتكثير النسل في الاسلام فلا ذم فيه وقال ابن العربي
قول من قال الحصور هو الذي يكف عن النساء عن قدرة هو الصحيح لوجهين احدهما انه اثنى
به عليه ومثله انما يكون على المكتسب لا الجبلي الثاني ان حصورا فعول من صيغ المبالغة وهو
انما يكون في الافعال الاختيارية فهو كف عن قدرة وهو في شرعه مطلوب بخلاف شرع نبينا
لنهيه عن التبتل انتهى فاندفع ما قيل ان قوله لا شهوة له في النساء لا وجه لذكره هنا لانه في
مقام الجواب عما اورده وهذا مقول لا يراد لا جواب عنه وما ذكر في هذا المقام هو وجه تفضيل
البشر على الملك ۞ فان قلت فما تقول فيما ورد في الحديث على فرض صحته من انه عنين او
ما له كقذاة او نواة او هدب ثوب ۞ قلت اجيب عنه بانه لغلبة خوف الله عليه وشدة الرياضة
التي كانت مشروعة له وبليت اعضاؤه واضمحلت حتى صار كانه مثل ما ذكر لا انه لنقص في
خلقته فهو على طريق التشبيه والتمثيل اما بمجاهدة متعلق بقمع والمراد يعني ان الله خلق
الانبياء على احسن تقويم فلهم قوة على الجماع زائدة على غيرهم الا ان منهم من قهر شهوته وغلبها
حتى اضعفها وذلك اما بمجاهدة كافراط الرياضة بجوع وسهر وخلوة عنهن للعبادة وهو
المراد بالمشاهدة لانه يجاهد نفسه يمنعها عما تريد من الشهوات وهو الجهاد الاكبر كعيسى
عليه الصلاة والسلام او بقهرها بعدم مطاوعتها على ما تريد لان الله خلقه وجعل فيه
ملكة تعينه على ترك الشهوات من غير مجاهدة وهو المراد بقوله او بكفاية من الله كيحيى عليه
السلام فان الله صرفه عن شهوة الجماع قيل والاليق ان يكون له قدرة قمعها بالمجاهدة كعيسى
ولذا فسر البيضاوي حصورا بمبالغ في حبس نفسه عن الشهوات والملاهي والتبتل في حق
المعصوم امر مطلوب وفي غيره منهي عنه وكان مشروعا في دينهم كما مر فترك التزوج عبادة

عندهم لمن قدر على صون نفسه عن الشهوات وكان يحيى عليه الصلاة والسلام شديد الخوف
من الله حتى قيل انه وضع وجهه على الارض وبكى حتى ذهب لحم خديه وبدت اضراسه
للناظرين **فضيلة زائدة** مرفوع خبر للمبتدا وهو قمعها في قوله ثم قمعها اي ترك الشهوة
والجماع بعد القدرة والقوة عليه فضيلة محمودة وصفة حميدة زائدة في الخلقة على اصلها
لكونها شاغلة وفي نسخة مشغلة قال التلمساني مفعلة من الشغل وروي مشغلة اسم فاعل
من اشغل وهو قليل وروي شاغلة انتهى قلت الاخير هو الصحيح رواية ودراية لان الاشغال
لغة رديئة ولذا وقع الصاحب على رقعة فيها الاشغال من قال اشغالي لا يصلح لاشغالي
وهو لم يقع في النسخة المعتمدة ولذا **في كثير من الاوقات** اي لكون الشهوات تشغل الانسان كثيرا
عن العبادة والمهمات **حاطة الى الدنيا** اسم فاعل من الحط وهو الانزال من علو الى اسفل وهو
منصوب خبر بعد خبر لكون اي تنزل الانسان الى شهوات الدنية لمن لم يعصمه الله عن التخلي
لها ويمنعه عن اشتغال قلبه بها **ثم هي** اي الشهوة لا الفضيلة الزائدة في الجماع **في حق
من اقدر عليها** بالبنا للمفعول اي من اقدره الله على شهوته فلم تغلبه **وملكها** اي تصرف
فيها كما يريد منعا وفعلا وهو بفتح الميم واللام المخففة مبني للفاعل وبضم الميم وكسر اللام
المشددة والبنا للمجهول وقال التلمساني هو اولى ليكون على نسق اقدر والحق هنا بمعنى الشان
والحال كما يقال الغني في حق الكريم حسن **وقام بالواجب فيها** معطوف على ملكها اي من
ملك شهوته ولم تمنعه من القيام بما يجب عليه من مهمات دينه ودنياه لان ما يمنع عن ذلك
ينبغي تركه وفيها متعلق بقام اي قام بما يجب عليه وهو ملتبس بها **ولم تشغله عن ربه**
شغل يشغل كسال يسال وقوله **درجة عليا** مرفوع خبر هي اي مرتبة رفيعة عند الله وعليا
بفتح العين والمد وهي في الاصل كل مكان مشرف اي مرتفع واريد به علو المنزلة **وهي
درجة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم** اي هذه الدرجة العليا عند الله التي وصل اليها في
الدنيا مع انها غير شاغلة له عن التقرب الى الله بفعل ما يجب عليه من العبادة ودعوة الخلق
الذي لم يشغله صفة لمحمد صلى الله عليه وسلم مبينة لما قلناه **كثرتهن** اي النسا **عن
عبادة ربه بل زاده ذلك عبادة** على عبادته المعروفة من الصلاة والصوم وقيام الليل
لتحصينهن اي جعلهن محصنات متعففات بنكاحه لهن **وقيامه بحقوقهن** من النفقة
والكسوة وغير ذلك فان فيه اجرا ايضا **واكتسابه لهن** فان الكسب الحلال للعيال عبادة
وارشاد للخلق وان كان الله لو ساله ذلك اوصله له من غير كسب لكنه ملتزم لمقام العبودية
وهدايته اياهن بتعليم الدين بعد خلوص الايمان بالله ورسوله ثم ترقى لمرتبة اعلى من هذه
بين وقته ان حظوظه الدنيوية ليست ناشئة عن ميل قلب وتوجه فكر حتى يشغله عن ربه فاضرب
عما يوهم ذلك فقال **بل صرح بانها ليست من حظوظ دنياه** هو جمع حظ كالحاظ واحظ وهو
النصيب المقدر بما يسر به ويقال حنظ بالنون وهي لغة يمانية **وان كانت من حظوظ دنيا
غيره** من الناس فانهم يسرون بها ويعدونها لذة عظيمة واضافة الدنيا ومحبتها فان قلنا
امتلا بمحبة الله لا يدخله محبة غيره كما قيل ﴿شعر﴾

تملك بعض حبك كل قلبي • فان ترد الزيادة هات قلبا •

ثم فسر تصريحه بانها ليست من حظوظه بالحديث فقال **حبب الي** بالبنا للمجهول **من دنياكم**
النسا والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة قال السيوطي هذا الحديث رواه الحاكم والنسائي

عن انس

عن انس • بدون لفظ ثلاث الا ان احمد رواه عن عايشة ولفظه كان يعجب رسول الله
صلى الله عليه وسلم من الدنيا ثلاثة اشيا النسا والطيب والطعام فاصاب اثنتين ولم
يصب واحدة اصاب النسا والطيب واسناده صحيح الا ان فيه رجلا لم يسم وقد روي
هذا الحديث من طرق اخر يقوي بعضها بعضا فهو صحيح الا ان اكثر الحفاظ على انه ليس فيه
لفظ ثلاث كابن حجر العراقي وابن القيم وانها مدرجة في الحديث ومن رواها فيه فقد وهم
وخالفهم في ذلك ابن فورك وقال انها مروية في الحديث والف جزا مستقلا صحح فيه روايتها
ولم اقف عليه وتبعه في اثباتها الزمخشري في سورة آل عمران والراغب وابن عربي في الفصوص
وغيرهم ومن وهمهم قال الصلاة ليست من امور الدنيا فلا يصح عدها منها فجعلوه وهما لفظا
ومعنى ومن اثبتها افترقوا فرقتين فرقة قالت ان المراد بامور الدنيا ما وقع في الدار الدنيا
لذة كان او عبادة فالصلاة من امورها على هذا وفي لفظ ثلاث تغليب المونث على المذكر عكس
القاعدة المشهورة لنكتة وغير الاسلوب في الثالث فعبر عنه بالفعل اشارة لمغايرته لما
قبله وفيه عطف الفعل على الاسم الجامد والمعروف عطفه على المشتق • كما قال ابن مالك

واعطف على اسم شبه فعل فعلا • وعكسا استعمل تجده سهلا •

فليست زيادة مخلة بالمعنى كما توهم وفرقة ذهبت الى انه نوع من البديع يسمونه الطي وهو
ان يذكر جمعا بريد تفصيله فيذكر بعضا منه ويترك بعضا فالثالث يطوي ذكره في الحديث
لنكتة كايهامه على السامع لعدم ارادته ووقوف السامع عليه لنكتة فان كان هنا الطعام
كما ورد التصريح به في رواية احمد فطيه لخسته عندهم واستشهد والده بقوله هم

ان الاحامرة الثلاثة اهلكت • مالي وكنت بهن قدما مولعا •
الخمر واللحم الغراض والطلا • بالزعفران فلا ازال مولعا •

وقوله

كانت حنيفة اثلاثا فثلثهم • من العبيد وثلث من مواليها •

وفيه مع النكتة المذكورة تقليل اللفظ مع تكثير المعنى وقد يقال لا شاهد فيما ذكر اما الاول
فالثالث قوله والطلا الخ على نهج ما تقدم في الحديث واما الثاني فلانه ذكر قبيلة حنيفة هم
وجعلها اثلاثا عبيدا وموالي وحلفا فنفي نفس القبيلة وضمها وهي مذكورة اولا وقال حبب
بالبنا للمجهول ودنياكم بالاضافة اليهم ولم يقل احببت من دنياي اشارة الى ان محبته ليست
باختياره لشهوات نفسه بل بفعل الله فحبه انما هو لله وذاته لما اراده ورضيه له لانه بشري
الظاهر ملكوتي الباطن لا يتخلى باحوال البشر الا اذا امره بها ليتاسى به امته ويتشرف
بما رضيه له فعده من البشر كعد الياقوت من الاحجار وكان اذا دخل في الصلاة اشتغل ظاهره
وباطنه عن الخلق لوقوفه بين يدي خالقه وبزداد قربا ومشاهدة فيتصل نور بصره بنور
بصيرته فلذا جعلها قرة عينه ولذا شرع السلام لعوده الى من عنده من معراجه ولذا كان
بعض الناس يصافح من عنده فافهم وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم جلس مع اصحابه الاربعة
فقال حبب الي من دنياكم ثلاث الطيب والنسا وجعلت قرة عيني في الصلاة فقال ابو
بكر وانا يا رسول الله حبب الي من الدنيا ثلاث الجلوس بين يديك والنظر اليك وانفاق
جميع مالي عليك • وقال عمر وانا يا رسول الله حبب الي من الدنيا ثلاث الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر وحفظ الحدود • وقال عثمان وانا يا رسول الله حبب الي من الدنيا ثلاث افشا السلام
واطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام • وقال علي وانا يا رسول الله حبب الي

من الدنيا ثلاث إقراء الضيف والصوم بالصيف والضرب بين يديك بالسيف • فنزل
جبريل وقال وانا يا رسول الله حبب الي من دنياكم ثلاث حب المساكين وتبليغ الرسالة للمسلمين
واداء الامانة • واذا نداء من قبل الله وهو يقول ان الله يحب من دنياكم ثلاث بدن صابر
ولسان ذاكر وقلب شاكر فالخطاب على هذا للخلفاء الاربعة ويجوز ان يكون لجميع الناس والاحر
فدل على ان حبه لما ذكر من النساء والطيب الذي من دنيا غيره اي دل ما ذكر من بناء حبب
للمجهول واضافة الدنيا لغيره واستعماله لذلك بالنصب عطفا على اسم ان والمراد باستعماله
مباشرته للجماع وتطييبه وتضمخه بالطيب ليس لدنياه والتلذذ فيها بل للاخرة اي
استعمالها بنية العبادة التي هي من امور الاخرة للفوايد التي ذكرناها في التزويج من
تحصينهن وقيامه بحقوقهن واكتسابه وهدايته لهن وللقاء الملايكة في الطيب
اي استعماله لاجل محبة الملايكة وهولاء فيهم كثيرا ولذا ترى اصحاب العزايم والهياكل
يلازمون البخور لمحبة الروحانية له ولانه اي الطيب مما يحض على الجماع ويعين عليه اي
مما يحرك داعية الجماع ويقويها لانتعاش الروح ويحرك اسبابه اي يهيج مقدماته كالشهوة
والقبلة او المراد آلته فكنى عنها تادبا واحتشاما وهو تفسير حسن وكان حبه لهاتين
الخصلتين الجماع والطيب لاجل غيره اي الزوجات والملايكة ودفع شهوته لا لمجرد التلذذ
والتنعم كغيره وان كان قادرا على ذلك ولذا كان لا يرد الطيب اذا اهدي اليه وفي الحديث
من عرض عليه طيب فلا يرده فانه طيب الريح خفيف المحمل واذا اعطي احدكم ريحانا فلا يرده والمراد
الريحان المعروف او كل ذي رايحة طيبة وكان حبه الحقيقي المختص بذاته لا لامر آخر عرضي
يرجع بالاخرة الى الدين والثواب في مشاهدة جبروت مولاه ومناجاته الجبروت فعلوت
كالرهبوت والملكوت والمراد عظمة الله سيده ومولاه والمناجاة المسارة بتلقي وحيه ودعائه
وقراءة القرآن وقال الدواني في شرح هياكل النور الجبروت يراد به عالم العقول اي الملايكة
ويسمى ايضا بالملكوت الاعلى والاعظم قيل انما سمي بالجبروت لانها مجبورة على كمالاتها الفطرية
او لانه جبر نقصها الامكاني بحصول ما يمكن لانها بالفعل انتهى ولذا ميز بين الحبين اي
حب ما هو من امور الدنيا ظاهرا وبين حب ما هو حقيقة لله وفصل بين الحالين اي حال
المحبتين لتغير العبارة والاسلوب كما هو فقال وجعلت قرة عيني في الصلاة فاوردها
جملة فعلية معطوفة على اسم قبلها تعظيما لشانها وتفخيما لامرها لكونها محبوبة لذاتها فليست
معطوفة على حبب عطف الفعلية على الفعلية كما ذهب اليه من جعل الثالث مطويا كما عرفته وقرة
العين ما يسر من ينظر من قر يقر بالفتح اذا برد لانه كما قيل دمعة السرور باردة او من القرار
والسكون لسكونها اذا نظرت من تحب او ينومها لان الحزين لا يسهر وقد قيل عيني تقر بكم
عند تقربكم ولو لم يغير الاسلوب قال والصلاة التي بها قرة عيني او وقرة عيني في الصلاة
فلا يحصل التمييز بين ما حبه عرضي وبين ما حبه ذاتي وحقيقي وبهذا العدول علم انها ليست
من دنياهم وهذا انما يتوهم اذا كان الحديث بما لفظ والمصح ممن لا يقول بصحته كما سياتي في فصل
وقادح والمراد بالصلاة الصلاة المعروفة لما يشاهد فيها كما مر وقيل المراد صلاة الله وملايكته
عليه قال ابن قرقول والاول اظهر وقد ساوى يحيى وعيسى في كفاية فتنتهن
يعني ان يحيى وعيسى تبتلا وتركا التزوج مع القوة والقدرة خوفا من فتنة النسا وهي
تمكن حبهن في قلبه والاشتغال بهن عن العبادة في مشاهدة عالم الملكوت وهن لم يشغلنه ولم

يمنعه

يمنعه في حال من الاحوال فسواهما عدم الاشتغال حتى كان الوحي ينزل عليه وهو في فراش
زوجاته واعانة خديجة في مبتداء امره فلا يقال انه حال مضاجعتهن مشغول عن عبادته
الا ان يعد جماعه عبادة وزاد فضيلة عليهما بالقيام بهن اي له فضيلة بقيامه على
زوجاته وكسبه لهن وهدايته لهن مع عدم غفلته طرفة عين عن الله فكان صلى الله عليه وسلم
ممن اقدر بالبناء للمجهول اي ممن اقدره الله على القوة في هذا اي امر النكاح مع القيام بحقه
وحق الله وليس في هذا دلالة على ان غيره اقدر منه كما توهم ولهذا ابيح له من الحراير جمع حرة
على خلاف القياس لكونه بمعنى عقيلة فجمع جمع فعيلة • كما قال النابغة

حذارا على ان لا تنال مقادتي • ولا نسوتي حتى يمتن حرايرا •

ما لم يبح لغيره من جمع ما فوق الاربعة وهو من خصايصه بالنسبة لامته فابيح له ان ينكح من
النساء ما شاء في اول امره ثم حرم عليه بعد ذلك ان يزيد على ما في عصمته من ازواجه فقال لا
يحل لك النساء من بعد ولا ان تبدل بهن من ازواج ولو اعجبك حسنهن الا ما ملكت يمينك قاله
اليماني وقال مغلطاي له في خصايص جمة منها اباحة تسعة نسوة والصحيح ان له الزيادة
وقد روينا عن انس قال السيوطي هذا الحديث عزاه المصنف للنسائي قال بعض الشراح من
قال لا تزيد على التسعة استدل بقوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع وهو
خطاء بالاجماع لانه ليس معنى الاية وليست الاية في حقه وانما هي في حق الاربعة والزيادة
على الاربعة لهم ممنوعة بالاجماع الدال على معنى حديث غيلان ولم يخالفه مستدلا بهذه الاية
الا بعض الروافض والزيادة كما فصله ابن حزم في كتاب النحل وهو عند البخاري وروينا بفتح الراء
والواو المخففة وقال الشمني من انه بضم الراء وكسر الواو والمشددة لا وجه له انه كان صلى
الله عليه وسلم يدور على نسائه اي يجامعهن من دار على كذا وطاف به اذا مشى حوله
فجعل كناية عما ذكر في الساعة من الليل والنهار اي في مقدار ساعة منهما فقدرته على ذلك
مع ما كان عليه من قلة الاكل والشرب معجزة في حقه قيل والتبتل في حق يحيى وعيسى ع
تشبيها بالملايكة كان افضل في زمانهم ودوره عليهن كان برضاهن فلا ينافي القسم وهن
احدى عشرة اي نساؤه اللاتي دار عليهن كذلك عدتهن قال البرهان كذا في صحيح البخاري
من حديث انس وقال ابن خزيمة لم يقل احد من اصحاب قتادة بانهن احدى عشرة الا معاذ بن هشام
عن ابيه وعن انس رواية اخرى في البخاري انهن تسع وجمع بينهما بان ازواجه كن تسعا في
ذلك الوقت كما في رواية سعيد وسريتاه مارية وريحانة عند من قال ان ريحانة كانت
امة وبعضهم قال انها زوجة وروى ابو عبيدة انه كان مع ريحانة فاطمة بنت شريح وقال
ابن حبان كان هذا اول ما قدم المدينة فكانت تسعا لان جمع نسائه لم يقع مرة واحدة ولا
يستقيم الا في آخر امره حيث اجتمع عنده تسع نسوة وجاريتان ولا يعلم اجتماع احدى عشرة
امراة اولاهن خديجة ولم يتزوج عليها حتى ماتت انتهى ما ذكره البرهان وكلام ابن خزيمة يدل
على ان رواية الاحدى عشرة مرجوحة والتسع راجحة وجمع بينهما بان مع التسع فاطمة بنت
شريح وريحانة على القول بانها زوجة فصدر الجمع منه مرة تسعا ومرة احدى عشرة وايضا
قيل الاولى محمولة على الحقيقة والاخرى على تغليب الزوجات على السريتين وهما ريحانة
ومارية فان قيل الرواية بلفظ النسا وهن حقيقة في غير الرجال فلا حاجة الى التغليب
قيل لا يقال انه حقيقة في ذلك الا اذا لم يضف للازواج الاماء كما في الحديث وقوله تعالى

والذين يظاهرون من نسائهم فان اضيف لم يتناول الاماء حقيقة ولذا احتج علماؤنا بهذه
الآية على عدم ظهار الاماء خلافا لمالك وقد تبعه البجاني اذ جمع بين روايتي انس بانهن تسع
حرائر واخرى عشرة منكوحة وسريتان لدخول السراري في النساء كالآية والنساء والنسوة
والنسوان جمع المراة من غير لفظها كالقوم في جمع المرء وقد مر ان طوافه على نسائه في ساعة واحدة
لا ينافي القسم ان قلنا بوجوبه عليه ولم يقل انه من خصائصه اذ لا يجب عليه القسم وقد ذهب
الى هذا الزيلعي من ائمتنا وبعض المحدثين فقسمه انما كان تطييبا لخاطرهن تفضلا منه وتعليما
لامته ولذا كان يقرع بينهن اذا اراد السفر مع ان القسم انما يجب عليه في الحضر او نقول هذا برضاهن
مع ان هذا لا يفوت القسم لمساواتهن فيه والاختيار في القسم للزوج ويدل على عدم الوجوب
انه روي انه كان يقسم لثمان ويترك واحدة منهن قيل انها صفية بنت حيي كما في مسلم وعليه قوله
ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء وقال المنذري كان ممن يؤوي عائشة
وام سلمة وزينب وحفصة ومن ارجاه سودة وجويرية وام حبيبة وصفية وميمونة انتهى
واستدل القائل بالوجوب بحديث الترمذي انه كان يقسم بين نسائه فيعدل ويقول اللهم
هذا قسمي فيما املك فلا تؤاخذني فيما تملك ولا املك وقد يقال هذا قبل اعلامه بعدم الوجوب
عليه او لعدوله عن الافضل في حقه والكلام على زوجاته مفصل في السير والواو في
قوله من الليل والنهار بمعنى او **قال انس وكنا نتحدث انه اعطي قوة ثلاثين رجلا** في الجماع
وهذا تتمة الحديث قبله **خرجه** اي رواه مسندا **النسائي** وقد تقدم ان البخاري رواه ايضا
وروي بالبناء للفاعل والمفعول لان هذا الحديث مروي عن ابي رافع ايضا في سنن ابي داود
والبيهقي والنسائي ولفظه طاف على نسائه في يوم او ليلة واحدة وكان يغتسل عند هذه
وهذه ولذا قال **نحوه** لاختلاف لفظه وزيادته وابو رافع مولى النبي صلى الله عليه وسلم
وهو قبطي واسمه ابراهيم وقيل اسلم وقيل ثابت وقيل هرمز وقيل صالح وقوله قوة ثلاثين قال
البرهان الحلبي في الصحيح الاسماعيلي عن معاذ اعطي قوة اربعين رجلا وفي حلية ابو نعيم عن
مجاهد قوة اربعين رجلا من رجال الجنة وفي الترمذي ان قوة كل رجل من رجال الجنة قوة
سبعين رجلا يعني من اهل الدنيا وصححه وفيه قوة مائة رجل وقال انه صحيح غريب وقال
ابن حبان قوة كل رجل في الجنة قوة مائة رجل والنسائي هو الامام الحافظ الحجة ابو عبد الرحمن
احمد بن شعيب بن علي صاحب السنن سمع من قتيبة وطبقته واصحاب مالك وحماد بن زيد وانتهى
اليه علم الحديث وروى عنه كثيرون وتوفي سنة ثلاث وثلثمائة ومولده قيل انه سنة خمس
عشرة ومائتين ولم يبق من اصحاب الكتب الستة بعد الثلاثمائة غيره فعلى هذا قوته قوة الوف
ووقع في بعض النسخ هنا برواية اللخمي عن المصنف وعن طاوس اعطي عليه السلام قوة اربعين
رجلا وقد تقدم من رواه وما فيه وطاوس هو الامام عبد الرحمن بن كيسان وهو من ابناء الفرس
وقيل من النمر بن قاسط وقيل اسمه ذكوان ولقب بطاوس لانه كان طاوس القراء وروى عن
عائشة وابي هريرة وابن عباس وغيرهم وروى عنه الزهري والتيمي وابنه وغيرهم وتوفي بمكة
سنة ست ومائة واخرج له اصحاب السنن وغيرهم وعن صفوان بن سليم بالتصغير وهو امام
عابد قيل انه لم يضع جنبه على الارض اربعين سنة حتى ثقبت جبهته من السجود وتوفي في
سنة اثنين وثلاثين ومائة وهو تابعي روى عنه اصحاب السنن وقالت سلمى مولاته بفتح السين
بلا خلاف وغلط من ضمها كما قاله النووي والضمير للنبي لا خادمه ونقل انها مولاة صفية عمته.

وهي زوج ابي رافع داية فاطمة الزهراء وروى عنها ابن ابنها عبيد الله وهو الحديث الصحيح
رواه ابو داود كما قاله السيوطي طاف النبي عليه السلام على نسائه التسع وتطهر من كل واحدة
اي من جماع كل واحدة منهن قبل ان يأتي الاخرى وقال هذا اي الغسل من كل جماع اطهر واطيب وروي
ازكى واطيب اما كونه اطهر فظاهر واما كونه اطيب فلانه يقوي البدن بانعاشه وقيل الطيب
للباطن والطهر للظاهر وهذا الحديث لان سلمى روته عن زوجها ابي رافع وفيه دليل
على ان الغسل على الفور لا لكل جماع وقيل ان لم يغتسل يستحب له الوضوء وضوء الصلاة وروي
عنه عمر انه لازم وورد في الصحيح انه كان يطوف على نسائه بغسل واحد لبيان الجواز وحمل بعضهم
الوضوء في قوله اذا اتى احدكم اهله فليتوضأ على الوضوء اللغوي اي فليغسل فرجه وهذا بناء
على ان الوضوء لا يستحب كما قاله ابو يوسف وذهب بعضهم الى انه انشط كما ورد في الحديث **وقال
سليمان عليه السلام لاطوفن الليلة على مائة امراة او تسع وتسعين وانه فعل ذلك**
الطواف عليهن وجامعهن كما قاله في صحيح مسلم عن ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال قال سليمان
بن داود لاطوفن الليلة على سبعين امراة كلهن تأتي بغلام يقاتل في سبيل الله فقال له صاحبه
او الملك قل ان شاء الله فلم يقل ونسي فلم تأت واحدة منهن بولد ولا واحدة جاءت بشق غلام فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قال ان شاء الله لم يحنث وكان له دركا لحاجته وفي رواية على ستين
امراة وفي رواية على سبعين وفي اخرى على تسعة وتسعين وسيأتي الزيادة وما فيها قالوا
ولا تعارض بين الروايات لان اثبات القليل لا ينفي الكثير والعدد لا مفهوم له ثم ان هذه النساء
ان كانت اماء او بعضها حرائر وبعضها اماء فلا اشكال وان كن حرائر فلان الحصر في الاربع
لم يكن شرعا لمن قبلنا وانما صار شرعا لنا لضعف الابدان وقلة الاعمار ويقال طاف به اذا
دار حوله وقد قدمنا انه كناية عن الجماع وعلى اختلاف اللفظين جاءت روايتان لاطوفن ولاطيفن
وفي الحديث جواز القسم والتعليق بالمشيئة واما كون سليمان لم يقله وانه نسيه فسيذكره
المصنف في اول القسم الثالث وقوله في الحديث لم يحنث بمعنى لم يأثم ويخطئ لانه فعله وليس المقسم
عليه الولد لانه ليس في قدرته ومثله لا يخفى عليه والدرك بفتح الراء بمعنى الادراك
والتحصيل وفي البخاري كان ادرك لحاجته وسليمان نبي الله امره ونسبه مفصل في القصص
والتواريخ **قال ابن عباس كان في ظهر سليمان ماء مائة رجل** المراد بالماء المني ومنبعه
من الرجال صلب الرجال كما ذكروه في قوله يخرج من بين الصلب والترائب والمراد ان قوله
مائة رجل في الجماع **وكانت له ثلثمائة امراة وثلثمائة سرية وحكى النقاش** تقدمت
ترجمته **انه كان له سبعمائة امراة وثلثمائة سرية** وروي ان له الف امراة وتسعمائة
سرية وهذا الحديث فيما تقدم من العدد وقد تقدم ما اجابوا به عنه الا ان بعضهم ضعفه
وجمع بين الروايات بان بعضها محمول على الحرائر وبعضها محمول على الحرائر والسراري ولا يخفى
ما فيه ولو قيل ان الاختلاف لاختلاف احواله باعتبار الزمان فكانت تزيد وتنقص بهذا
الاعتبار وفي تفسير النسفي عكس ما حكى المصنف عن النقاش فقال كان لسليمان ثلثمائة حرة
وسبعمائة سرية وكذا في الكشاف والله اعلم بالصواب **وقد كان لداود وأكله من عمل
يده** لان الله الان له الحديد فكان يصنع منه الدروع ويبيعها ويأكل هو واهله من ثمنها
مع ما آتاه الله من الملك وافضل ما انفق المرء ما كان من كسب كالصنعة والتجارة والزراعة
واختلفوا في الافضل منها وفضلوها بما لا مزيد عليه ولا حاجة لنا به **تسع وتسعون امراة**

كما ذكره القشيري في تفسيره **وتمت بزوج اوريا ماية** يقال للكل فرد بين من ذكر وانثى
زوج وزوجة رديئة واوريا علم الرجل من بني اسرائيل عبراني واختلفوا في ضبطه بعد
الاتفاق على انه بهمزة وواو وراء مهملة ومثناة فقيل ممدود وقيل مقصور وهمزته مضمومة وواوه
ساكنة وراوه مكسورة وياؤه مفتوحة بعدها الف وقيل همزته مفتوحة وهو اوريا بن حنان
وقال ابو الفرج الاصبهاني في كتاب النسا هو اوريا السعدي وزوجته هي ام سليمان النبي
صلى الله عليه وسلم وقصته هي المذكورة في القرآن في قوله تعالى ان هذا اخي له تسع وتسعون
نعجة وقصتها ستاتي وما فيها في القسم الثالث من هذا الكتاب ولكنا نوردها هنا تبعا لما في
بعض الشروح ان داود كان في ملاء من بني اسرائيل فاعجب بعلمه وانه لا يخاف الفتنة ويقال
انه قال للملكين الحافظين له اني لا اقع في مكروه غبتما او حضرتما فانفرد في محرابه يوما
فوقع بين يديه طاير حسن الهيئة يقال انه ابليس فمد يده لياخذه فزال من موضعه غير بعيد
فتبعه فخرج من مدخله فاطلع داود منه فراى امراة جميلة تغتسل فاعجبته فلما شعرت به
ارسلت شعرها وايديها لتسترها فزاده ذلك عجبا وميلا لها فانصرف وسال عنها فقالوا انها
امراة رجل من جنده يسمى اوريا وكان مع جيش له يقاتل العدو فارسل الامير ان يجعله مع التابوت
في المقدمة وهو معترك الحرب واشده فقدمه فاستشهد فلما جا خبر استشهاده كان كلما اخبر
برجل منهم توجع فلما اخبر به قال الموت على كل نفس وخطب امراته وتزوجها فولدت له سليمان
فبعث الله له خصمين ليعلمه بحكمه ان ما فعله ظلم وهو اشد عليه فتسورا حايطه ودخلا
عليه ففزع منهما لخوف انهما من اهل مملكته بغاه لان التسور في العادة كذلك لانه كان ليلا
بلا استيذان ففهما منه الخوف وقالا لا تخف وقصا امرهما وقالا له احكم ولا تجر كما قصه
الله وقدرا كلامهما على لسان اوريا وقوله ثم اكفلنيها اي اجعلها في كفالتي او كفلي يعني
زوجنيها والنعجة كناية عن المراة وقوله عزني اي غلبني لقوته وقهرني فقال داود لخصمه
ما تقول فاقر فزجره وامره بالرجوع للحق وقال لقد ظلمك فتبسما وذهبا وقيل ارتفعا للسما
فشعر بما ارادا وقيل بينا له ما فعل وعرفاه ان ما لاقاه تمثيل له فخر ساجدا واناب فغفر الله
له فقال يا رب ما اصنع اذا طالبني بريه فقال استرضه فسر بذلك قالوا وهذه القصة مما
افتراه القصاص واهل الكتاب حتى روي عن علي من حدث بقصة داود جلدته ماية وستين
وهو حد قذف الانبيا عنده والمعتمد ان داود راى امراته فاعجبته فساله تطليقها فطلقها
بطيب خاطره فتزوجها ومثله في شرعهم جايز وقد كان مثله في صدر الاسلام مع المهاجرين ○
وسياتي بقية الكلام على هذا **وقد نبه الله على ذلك في الكتاب العزيز بقوله تعالى ان هذا
اخي الآية** حكاه عن الخصمين اللذين نزلا نفسهما منزلة اوريا ونزل احدهما الاخر منزلة الاخ
لان الصحبة كالاخوة كما قال ○

صحبة يوم نسب قريب • وفي بها يعرفها اللبيب

تسد بين الظلمة والعرب تكني عن المراة بالنعجة وهي في الاصل الانثى من الضان وتاؤها
لتاكيد التانيث لان مذكرها لفظ مخصوص هو خروف وتطلق على البقرة الوحشية ايضا
فاستعيرت للمراة كما استعير لها الشاة في قوله ○

ما شاة ما قنص لمن حلت له • حرمت علي وليتها لم تحرم

وفي مصحف ابن مسعود نعجة انثى لمزيد تاكيد التانيث او لبيان المراد لحديث لا اولى وجل ذكر

وقيل

وقيل انثى بمعنى امراة مؤنثة ليستانس بها زوجها وضدها امراة مذكرة وهي التي لا
تلين لزوجها ولا يانس بها ووصفها بواحدة تشنيع على ظلم صاحبه بانه مع كثرة نعاجه حسده
مع قلة ما عنده **وفي حديث انس عنه عليه الصلاة والسلام** رواه الطبراني في الاوسط
بسند جيد كما قاله السيوطي **فضلت** بالتشديد والبنا للمجهول **على الناس باربع السخا
والشجاعة وكثرة الجماع وقوة البطش** البطش هو قوة السطوة والاخذ بعنف وعطف على
كثرة الجماع لما فيه من اذهاب القوة لانه ماء الحياة يصب في الارحام وهو نور العين ومخ العظم
اشارة الى انه لم يضعف قوته وانه من ادامه وسياتي معنى السخا والشجاعة **واما الجاه** وهي
كونه وجيها عند الناس بتسخير القلوب وطاعتها ومحبتها وانقيادها له بحيث يقدر على استعمال
اربابها في مقاصده وهي لا تنقاد الا باعتقاد الكمال التام عندها حتى يستعبدهم كما يستعبد
الارقا **محمود عند العقلا عادة** منصوب على الظرفية او الحالية اي جرت عادة العقلا
بحمده ويجوز جعله تمييزا وعند متعلق بمحمود ظرف لغو وقيل انه حال وكونه محمودا عقلا يقتضي
انه محمود شرعا بحسب ذاته واصله وان كان قد يذم شرعا بحسب ما يعرض له عند بعض الناس
وهو اعظم نفعا من المال يكتسب به ولا يخشى عليه ما يخشى على المال **ويقدر جاهه** اي الانسان
يعظم في القلوب بمقدار عظمة جاهه وقيل المراد جاه النبي صلى الله عليه وسلم في الدنيا
بالنبوة وفي الاخرة بلواء الحمد والشفاعة يكون **عظمه** بكسر العين وفتح الظاء المشالة وفي
آخرها الضمير كما قاله البرهان الحلبي **في القلوب** لان الجاه كما تقدم متفرع على اعتقاد
الكمال والقدرة وكلما ازداد اعتقاده زادت عظمة شانه في قلوب الناس وقد كان صلى الله
عليه وسلم مهيبا معظما حتى عند اعدا الله ثم ايد كونه محمودا بقوله **وقد قال الله تعالى
في صفة عيسى عليه السلام وجيها في الدنيا والاخرة** اي عظيما ذا جاه عند الله
في الدارين وفيه دليل على ان الجاه من الوجاهة فعلت وكان اصله وجه فوزنه عفل
ووجيها منصوب على انه حال مقدرة من كاف قوله ان الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله
ووجاهته في الدنيا بالنبوة وفي الاخرة بعلو رتبته ثم استدرك على كونه محمودا بدفع
ما يتوهم من انه مذموم لما فيه من العلو فقال **لكن آفاته كثيرة** جمع آفة وهي العاهة
والمفسدة اي يعرض له ما يفسده ويجعله مذموما كثيرا **فهو مضر لبعض الناس** باعتبار
ما يعرض له **لعقبى الاخرة** باعتبار ما يعقبه ويترتب عليه في الاخرة فاللام لتقييد
التاقيت والتخصيص بالوقت كما قيل ويجوز ان تكون تعليلية **فلذلك** اي لضرره في
العاقبة **ذمه من ذمه ومدح ضده** وهو الخمول وعدم الشهرة بين الناس اي انما ذمه
من ذمه لهذا لا لانه في نفسه امر مذموم كما ورد في الحديث الصحيح ما ذيبان جايعان
ارسلا في غنم بافسد لها من حب المال والجاه لدين المومن وقد فصله في الاحيا فقال
طلب رفعة المنزلة في القلوب باعتقاد صفة ليست فيه كالعلم والزهد حرام لانه كذب
وتلبيس وطلبها بما فيه ليجعلها وسيلة لنفع الناس ونفعه في الاخرة جايز ممدوح كقول
يوسف اجعلني على خزاين الارض اني حفيظ عليم وقد تضمن هذا قوله صلى الله عليه وسلم
حسب امرئ من الشر الا من عصمه الله ان يشير الناس اليه بالاصابع في دينه او دنياه
رواه البيهقي **وورد في الشرع مدح الخمول وذم العلو في الارض** معطوف على قوله
ذمه وهذا كما في الحديث ان الله يحب الاتقيا الاخفيا الذين اذا غابوا لم يفتقدوا

واذا حضروا لم يعرفوا وقال تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الارض ولا فساداً وان كان العلو في الآية مقيداً بصفة زائدة عليه من ظلم او غيره والخمول بضم الخاء المعجمة وفتحها خطأ ضد الظهور وكون الخمول فضيلة محمودة لا يضر مقام الانبيا الذين لم يرضوه والخلفا الراشدون والائمة العلما فان المذموم هو طلب الشهرة فاما وجودها من الله من غير تكلف من العبد فليس بمذموم بل افضل من الخمول في حق من قدر على نفع الناس مع خلوص نيته وسلامة طويته ولذا قال الله يريدون علوا دون يعلون ومن لم يقدر ويصبر فالخمول في حقه احسن كما اشار اليه في الاحيا والى الاشارة في حديث المال والجاه ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل ولذا قال الشاعر • من اراد العز والراحة في الدهر الطويل • فليكن فرداً من الناس ويرضى بالخمول • ويرى ان قليلا كافيا غير قليل • **وكان صلى الله عليه وسلم قد رزق من الحشمة** اراد بالحشمة المهابة والعظمة في اعين الناس ولذا عطف عليه **والمكانة** وهي المنزلة الرفيعة رفعة معنوية كالعطف التفسيري وتبع في هذا الاستعمال المشهور لانها وردت في كلام الناس بمعنى الاستحيا فاريد به لازم معناه وهو المهابة وتحقيقه كما في شرح ادب الكاتب لابن السيد ان الحشمة تضعها الناس موضع الاستحيا وعليه قول المتنبي • ضيف الم براسي غير محتشم • وليس كذلك انما هي الغضب يقال هذا مما يحشمه اي يغضبه وهذا قول الاصمعي وهو المشهور وذكر غيره انها بمعنى الاستحيا وروي عن ابن عباس انه قال طاعم حشمه وقال الطرماح •

• ورايت الشريف في اعين النا • س وضيعا وقل منه احتشامي •

في القلوب والعظمة معطوف على الحشمة **قبل النبوة عند الجاهلية** اي عند اهل الجاهلية والمراد بالجاهلية ما بين المولد والمبعث ويطلق على ما كان قبل البعثة ومنه ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى وبه جزم النووي في شرح مسلم فان اضيف للشخص اريد ما قبل اسلامه وقد يراد بها ما قبل فتح مكة **وبعدها** اي بعد النبوة **وهم يكذبونه ويؤذون اصحابه ويقصدون اذاه في نفسه خفية** بضم الخاء وكسرها كما قاله البرهان لانه لمهابته عندهم وعظمته في قلوبهم لا يواجهونه بما يؤذيه وهو منصوب مفعول مطلق لمذكور او مقدر او حال **حتى اذا واجههم اعظموا امره وقضوا حاجته واخباره في ذلك معروفة وسياتي بعضها** وهذا بالنسبة لما في نفس الامر واكثر الاحوال كما روي عن ابي جهل انه ساوم رجلا من بني زبيد ثلاثة ابعرة هي خيار ابله بثلث ثمنها فامتنع الناس من الزيادة لاجله فاخبر رسول الله بذلك فزاده حتى رضي فاشتراها منه ثم باع منها بعيرين بالثمن ثم باع الثالث واعطى ثمنه ارامل بني عبد المطلب وابو جهل مخزي ينظره ولا يتكلم ثم قال صلى الله عليه وسلم له اياك ان تعود لما صنعت بهذا الاعرابي فترى مني ما تكره فقال لا اعود يا محمد فقال له امية بن خلف ذللت في يد محمد فقال ان الذي رايتم مني لما رايت رجالا يمينا ويسارا يشرعون رماحهم الي لو خالفته لكانت ايا ها اي لاهلكوني في وقايع اخرى مثلها وهذا لا ينافي انهم في بعض الاحيان قد آذوه جهرة كوضعهم الجزور على ظهره وهو ساجد وتكذيبهم له في قصة الاسرا وقول ابي جهل لابي طالب عند موته لا تطعه انرغب عن ملة عبد المطلب وتحمل رسول الله احيانا لذلك لحكمة يظهرها غيرة الله وامره بمقاتلتهم **وقد كان يبهت** ثلاثي مبني للفاعل او المفعول بمعنى يتحير ويدهش كما في قوله فبهت الذي كفر **ويفرق لرؤيته** بالبنا للفاعل من باب علم اي يخاف **من لم يره** فاعله **كما روي**

عن قيلة بفتح القاف وسكون المثناة التحتية ولام وهاء وفي الصحابيات من يقال لها قيلة ثلاث قيلة ام بني انمار ويقال اخت بني انمار • وقيلة الخزاعية ام سباع • وقيلة بنت مخرمة العنوية بفتح العين المعجمة والنون كما قاله البرهان والمراد قيلة بنت مخرمة وحديثها المذكور في شمايل الترمذي وفي سنن ابي داود واخرجه ابن سعد بتمامه كما قاله السيوطي وهي انها رأته في المسجد وهو قاعد القرفصا قالت فلما رأيته متخشعا في الجلسة ارعدت من الفرق وهذا هو المراد وان اختلفت بعض لفظه وقال الحجاني هي ابنة مخرمة العنوية او العنبرية ويقال التميمية ولا تنافي بين الاخير وغيره لان العنبرية نسبة لبني العنبر والعنبر ابو حي من تميم كما ان العنزة حي من ربيعة بن نزار ومثل هذه القصة وقعت لعمر رضي الله عنه وكان مهيبا **انها لما ارعدت** بضم الهمزة وكسر العين وفتح الدال المهملة مبني للمجهول اي لحقتها رعدة من الخوف **من الفرق** بفتحتين وهو شدة الخوف وفي نسخة ارتعدت **فقال يا مسكينة عليك السكينة** وصفها بالمسكنة ترحما لها والسكينة هنا بمعنى الطمانينة اي الزمي الاطمينان وعدم الخوف والسكينة ثبت في النسخ المعتمدة بالرفع على انها مبتدا وخبر والجملة خبرية مراد بها الامر اي اسكني وبالنصب اي الزمي السكينة لكونه اغرا وعليك اسم فعل بمعنى الزمي ولم يثبت هنا ما قيل انا ابن امراة تاكل القديد وبين سكينة ومسكينة تجنيس ومسكين بكسر الميم على الافصح وبفتح وحق مسكينة ان لا يلحقها الها لان باب تفعيل تفعال مما لفة لا تلحقه التا لكنه حمل على فقيرة ومسكينة بالفتح والتشديد مع الكسر وتفتح وتسكن وهو قليل جدا **وفي حديث ابي مسعود** هو عقبة بن عمرو بن ثعلبة الخزرجي البدري كما في البخاري وقال ابن عبد البر انه لم يصح انه شهد بدرا وانما شهد العقبة الثانية وعليه الاكثر ورواه احمد واصحاب السنن ومات سنة اربعين او احدى او اثنتين واربعين وهذا الحديث رواه البيهقي من طريق قيس عنه موصولا وعن قيس مرسلا وقال هو المحفوظ واخرج الحاكم مثله وصححه **ان رجلا قام بين يديه فارعد** بضم الهمزة وكسر العين المهملة اي اخذته رعدة من خوفه وفي رواية اتى رسول الله رجل فكلمه فجعلت ترعد فرايصه بالفاء والصاد المهملة كالغرايض بالمعجمة وهي لحمة بين الجنب والكتفين ترعد من الخوف **فقال هون عليك فاني لست بملك الحديث** وانما انا ابن امراة من قريش تاكل القديد وهون بتشديد الواو المكسورة امر من الهون وهو الامر الهين السهل والعرب تقول هون عليك بمعنى لا تعنف قال •

• فهون عليك فان الامو • ر بكف الاله مقاديرها •

ولا وجه لتفسيره باقتصد في المحبة ولا تبالغ في التعظيم وملك بفتح الميم وكسر اللام ويجوز تسكينها بمعنى السلطان يعني لست من الملوك الجبابرة حتى تخاف مني لان جبريل جاءه من الله وخيره بين ان يكون ملكا نبيا او عبدا نبيا فاختار ان يكون عبدا نبيا ولم يرض بوصفه بالملك وكذا الخلفاء الاربعة واول ملك في الاسلام معاوية فلا وجه لقول بعضهم هنا ان هذا لا ينافي انه ظهر ملكه ولان كان ملكه نبوة فانه لم يرد الا نفي انه ملك كسائر الملوك عند المخاطب انتهى وهذا الرجل لم يسمه احد من شراح الحديث **فاما عظيم قدره بالنبوة** وصف قدر نبوته بالعظم لان النبوة مقربة له من الله وفيه من التعظيم ما لا يخفى **وشريف منزلته بالرسالة** جعل منزلة رسالته شريفة لانها واسطة بين الله وخلقه وفي تاهله لذلك دون غيره شرف له على من عداه وجعلها منزلة لنزوله اليهم بتبليغه عن اتصاله بالملا الاعلى

والتخفيف

وانافة رتبته بالاصطفا الانافة بالنون والفا بمعني الاعلاء والاشراف على ما تحته والمراد بالاصطفا والابتة وهي اقرب مقاماته من الله لتمحضها للطرف الاعلي ولذا جعلها مرتبة لانها من الرتوب وهو العلو والمرتبة كالمرقبة اعلي الجبل كما في الصحاح فتفطن لتعبيره اولا بالعلو وثانيا بالمنزلة وثالثا بالرتبة ومصادفة ذلك للمخبره وفي نسخة بدل انافة انابة بالنون والموحدة والكرامة في الدنيا لانها محل ظهور امره وفي الاخرة مما لا شبهة فيه كما سيذكره فاما هو مبلغ النهاية اي ليس فوقه مرتبة اخري تكون نهاية اي هو نهاية النهاية ثم هو في الاخرة سيد ولد آدم عطف بثم لتراخيه زمانا ومعني ورتبة وهذا بعض من حديث البخاري وهو انا سيد ولد آدم ولا فخر وقوله ولا فخر سقط من نسخ الشفا وثبت في بعضها وهو الاكثر الاولي لانه من كلام المصنف لا من كلام النبي كما قاله التلمساني والمراد انا اشرف هذا النوع آدم وولده لما ورد ان آدم ومن دونه تحت لوائي ومعني قوله ولا فخر انه لم يذكره افتخارا ومدح نفسه بل لبيان الواقع تحدثا بنعمة الله والمراد به اني لا افتخر بهذا فان لي ما هو اعظم منه من المنزلة عند ربي ولا حاجة للاستدلال عليه بكنتم خير امة لانه يلزم من تفضيل امته على الامم تفضيل نبيهم لان اجر اعمالهم له وعلى معني هذا الفصل المشتمل على اوصاف يتمدح بكثرتها ويتميز باشتهاره بها نظمنا هذا القسم الاول من الكتاب اي جعلناه موضوعا لبيانه وهو المقصود منه بالذات فجمع ما فيه كالعقد المحتوي على اللآلي والفرائد كناية واثبت له النظم تخييلا كما قيل ولك ان تقول المراد بالفصل المشار اليه ما تضمنه قوله فاما عظيم قدره الخ باسره اي جميعه واصل الاسر شد الاسير بما يربط به ويطلق على ما يربط به فاذا قيل اخذ الاسير برباطه فالمراد اخذه بجميع ماله ثم تجوز به عن معني الجميع

فصل واما الضرب الثالث فهو ما تختلف الحالات

جمع حالة والحال يذكر ويونث والغالب عليها التانيث في التمدح به هو تفعل الكثرة او بمعني التجرد لا للتكلف والتفاخر بسببه بين الناس والتفضيل من الناس لصاحبه لاجله غاير بين العبارة تفننا وهربا من التكرار في مقام اسهاب الخطابة ككثرة المال ثم بين اختلاف الناس فيه فقال فصاحبه على الجملة هذا كما يقال في الجملة والمال انه اجمالا لا في كل حال معظم عند العامة اي عوام الناس واكثر الناس الناظرين للدنيا ووجه تعظيمه لاعتقادها توصله به الى حاجاته وتمكن اغراضه مجرور معطوف على حاجاته بسببه اي المال والا اي وان لم يكن ذلك او ان يعتقد فيه ذلك وجواب الشرط محذوف تقديره فلا يعظمه احد واقيم سببه مقامه وهو قوله فليس له فضيلة في نفسه ثم فسر ما اجمله فقال فمتي كان المال بهذه الصورة اي مصروفا في هذه المصارف وصاحبه منفقا له في مهماته ومهمات من اعتراه بمهملتين بينهما مثناة فوقية اي من ورد عليه وقصده من الضيوف والاخوان وارباب الحاجات من عراه اذا غشيه ودخل عليه كما قيل

بالمصف قلبي على ما الاجود به	على المقلين ارباب المروات

وامله اي رجاه ورجا احسانه واكرامه ولو قرئ امه بمعني قصده صح ولكن لا يساعده الرسم كما قيل

من امه لديه نال ما امله	

وتصريفه في مواضعه تصريفه مرفوع معطوف على المال اي كان تصريفه في مواضعه اي وتصريفه واقع موقعه ويصح عطفه

على قوله صاحبه وهما سواء معني ويجوز جره على مهماته ولذا ضبط بالقلم في بعض النسخ اي صاحبه منفقا له في مهماته ومتفقا له في تصريفه في موضعه لكن الاظهر على هذا ان يقول صرفه بدل تصريفه وتصريفه مضاف للفاعل او الي ضمير صاحب اي للمفعول اي ضمير ماله والاول اولي لقوله مشتريا به المعالي والثنا الحسن فانه حال منه اي حال كونه مشتريا بماله وتصريفه معالي الامور وثنا الناس عليه والمراد بالمعالي جمع معلاة وهي الجاه والرتب العالية والثنا الذكر الجميل وذلك انما يكون بصرفه واعطائه لطالبه فجعل تحصيل ذلك وخرجه بمنزلة اشتراء امر نفيس كما في قوله تعالى هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم ومثل هذه الاستعارة شايع في الكلام القديم وغيره وقوله الحسن صفة موكدة والمنزلة من القلوب اي كونه له مهابة وعظمة في قلوب الناس لانها جبلت على حب من احسن اليها وهو منصوب معطوف على المعالي مفعول الحال كان فضيلة في صاحبه عند اهل الدنيا جواب متي المسبب عنه وقيده بقوله عند اهل الدنيا لان نظرهم لهذا فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون لا لانه ليس فضيلة عند الله كما توهم لانه اذا قرنت بنية صالحة كان فضيلة عند الله ايضا واذا صرفه في وجوه البر اي اذا صرف المال في انواع الاحسان كالصدقة والصلة والهدية والوجوه بمعني الجهات او هو مستعار لما ذكر استعارة تصريحية او مكنية وانفقه في سبيل الخير اي في طريقه كالحج والجهاد وصلة الرحم وقصد بذلك المذكور من الصرف والانفاق او المصروف والمنفق الله والدار الاخرة اي قصد ان يكون ذلك لله وثوابا للاخرة كان فضيلة اي امرا فاضلا محمودا عند الكل اي كل الناس من اهل الدنيا وغيرهم العامة والخاصة وادخال ال على كل وبعض منعه بعض النحاة ولم يسمع من العرب الا ان القياس لا ياباه بكل حال اي سواء اكتسب به المعالي والثنا ام لا ومتي كان صاحبه ممسكا له اي لا يصرفه بل يخزنه لشحه به ومحبته له غير موجهه وجوهه اي غير صارف له في مصارفه من مهماته ووجوه الخير حريصا على جمعه عاد اي رجع كثره كالعدم الكثر كالكثير معني وهو بضم الكاف وكسرها وظاهر كلام اهل اللغة جواز فتحها فهو مثلث ومثلثه ساكنة وهو المال الكثير يقال ما له قل ولا كثر ومقابلته بالعدم ابلغ من مقابلته بالقليل ولذا عدل عنه فان كانت القلة تكون بمعني العدم ايضا وانما كان كالعدم لعدم انتفاعه فانه خازن لغيره حارس لنعمته يستعجل الفقر الذي هرب منه ويفوته الغني الذي طلبه فيعيش عيش الفقرا ويحاسب حساب الاغنيا كما قيل

يعني البخيل بجمع المال مدته	وللحوادث والوراث ما يدع
كدودة القز ما تبنيه يهلكها	وغيرها بالذي تبنيه ينتفع

وكان منقصة في صاحبه لذم الناس له ووصفه بالبخل والرذالة وقبحه عقلا وشرعا ولم يقف على جدد السلامة اي لم يحصل ما يسلم به من النقص والوبال والذم والجدد بفتح الجيم والدالين مهملتين اولاهما مفتوحة وهي الارض الصلبة وفي المثل من سلك الجدد امن من العثار فالمراد به الطريق المسلوكة وهكذا هو مضبوط في النسخ وارتضاه البرهان من قال انه وهم فقد وهم وانما ضبط بعضهم له بضم الجيم والدال على انه جمع جادة فلا وجه له وفي بعض الحواشي انه بضم الجيم وفتح الدال على انه جمع جدة كمدة ومدد اي طرق ومنه قوله تعالى ومن الجبال جدد بيض اي طرق وهو صحيح ايضا ومنه ركب فلان جدة في الامر اي رأيه

فيه رايا ظاهرا اي لم يقف في امر يوصله للسلامة وهو عدم الجمع او صرف ما جمعه في مصارفه فعدل عن طريق السلامة فضلك كما اشار اليه بقوله **بل اوقعه** ماله الذي جمعه فبخل به **في هوة** بضم الهاء وتشديد الواو وهي والاهوية للحفرة العميقة وهو مضاف لقوله **رذيلة البخل** اي اوقعه في وهدة دناءته وخسته التي حفرها لنفسه وفيه استعارة مكنية وتخييلية كالذي قبله فشبه السماحة بطريق يسلم سالكها ويامن من كل عثرة وشبه ضده بحفرة يقع فيها من اتاها **ومذمة النذالة** هي الرذالة والخسة وهو معطوف على رذيلة ففيها الاستعارة السالفة او على هوة وهدة من آفات المال المقابلة لمحاسنه السالفة الدال على انه في نفسه ليس ممدوحا وانما يمدح بما يكتسب به كما بينه بقوله **فاذن التمدح بالمال وفضيلته عند مفضله** اي عند من مدحه ومدح صاحبه ومفضله بكسر الضاد المشددة وفتحها **ليست لنفسه** من حيث هي **وانما هو** التمدح به **بالتوصل به الى غيره** من الثناء الجميل والاجر الجزيل وهو انما يكون ببذله **وتصريفه في منصرف فائدته** وفي الحديث يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما تصدقت فابقيت او اكلت فافنيت او لبست فابليت فمن لم يتوصل بماله لما ذكر ولم ينتفع فهو كمن لا مال له قال ابو العتاهية هـ

اذا المرء لم يعتق من المال نفسه • تملكه المال الذي هو مالكه
الا انما مالي الذي هو منفق • وليس لي المال الذي انا تاركه

فجامعه اذا لم يضعه مواضعه بصرفه في مهماته ومهمات من امله **ولا وجهه وجهه** من انواع البر وسبل الخير ويحتمل التعميم في كل منهما **غير ملي** اي غير غني يقال ملؤ ملاءة هـ بالمد اذا استغنى **بالحقيقة** اي في نفس الامر لان الغني هو المغني لصاحبه عما سواه وهو محتاج لماله ولغيره في اكتسابه وقد قال الحكما الغني هو الذي لا يحتاج في ذاته وكماله **ولا غني بالمعنى** المقصود منه وهو كفاية المهمات واكتساب المحمدات فكانه فقير **ولا متمدح به** بفتح الدال **عند احد من العقلاء** بالجر معطوف على ملي اي من كمل عقله لا يمدح بمثله **بل هو فقير ابدا غير واصل الى غرض من اغراضه** وهو كما قيل هـ

ومن ينفق الساعات في جمع ماله • مخافة فقر فالذي فعل الفقر

وكونه لم يصل لغرضه لعدم انفاقه وكسبه به ما يريد كما اشار اليه بقوله **اذ ما بيده** اي في ملكه وتصرفه **من المال الموصل لها** بكسر الصاد وتخففه وتشدده اي اغراضه **لم يسلط عليه** بالتشديد والبنا للمجهول اي لم يرزقه الله ويقدر له الانفاق منه في اغراضه **فاشبه خازن مال غيره** في حراسة المال وعدم قدرته على الانفاق منه **ولا مال له جملة خالية من خازن فكانه** اي صاحب المال **ليس في يده شي منه** كما قيل

اذا كنت جماعا للمال ممسكا • فانت عليه خازن وامين
تؤديه مذموما الى غير حامد • فياكله عفوا وانت دفين

ولمحمود الوراق

تمتع بمالك قبل الممات • والا فلا مال ان انت متا
شقيت به ثم خلفته • لغيرك بعدا وسحقا ومقتا
فجادوا عليك بزور البكا • وجدت عليهم بما قد جمعتا
وارهنتهم كلما في يديك • وخلوك رهنا بما قد كسبتا

والمنفق ملي غني فالممسك كما انه فقير بالقوة فكذا المنفق غني بالقوة لان له خلفا من الله بمنزلة الحاصل عنده كما قيل هـ

واني لا ارجو الله حتى كانني • ارى بجميل الظن ما الله صانع

بتحصيله فوايد المال **وان لم يبق في يده من المال شي** وهذا كله توطية لبيان امر النبي بالنسبة للمال عدما ووجودا كما قال **فانظر سيرة نبينا** اي طريقته وهديه **وخلقه** بضمتين او ضم فسكون **في المال** اي في شان المال وما له بالنسبة اليه **نجده قد اوتي خزاين الارض ومفاتيح البلاد** اي آتاه الله ذلك كما ورد في الحديث الصحيح بينا انا نايم اوتيت مفاتيح خزاين الارض فوضعت في يدي وفي كتاب الوفا عن جابر مسندا قال سمعت رسول الله عليه السلام يقول اتيت بمقاليد الدنيا على فرس ابلق عليه قطيفة من سندس واليه اشار الصرصري بقوله هـ

بعثت مقاليد الكنوز جميعها • تهدى اليه على سراة حصان
جعلت عليه قطيفة من سندس • فله استقام الزهد عن امكان

ومثله ثابت من طرق عديدة وهذا يدل على ان الله اعطاه ذلك حقيقة وخزاين الارض دفاينها ومعادنها بان يطلعه الله عليها ويجعل الملايكة الموكلين بها طوع يده فان السلطان خزينته بيد خازنها حاضر مطيع لديه فهذا معنى كونها في يده عرفا واما المفاتيح فان كانت بمعنى الخزاين فكذلك وان كانت جمع مفتح او مفتاح بمعنى آلة الفتح فاعطاوها ارسالها مع خزانها كما هو ظاهر الحديث السابق وقيل انه كناية عن فتح البلاد على امته وجباية اموالها لمصالحهم والمفاتح روي في الصحيح بدون ياء جمع مفتح وروي بياء كما في كلام المصنف جمع مفتاح والاول اصح كما قيل **واحلت له الغنايم ولم تحل لنبي قبله** الغنيمة ما يوخذ من الكفار وكذا الفيء وفرق الفقهاء بينهما بان الفيء ما يحصل بلا قتال ولا ايجاف خيل ولا ركاب كسرقة وهبة ونحوه والغنيمة ما حصل بقتال ولو قبله او بعده وقد يستعمل كل منهما لما يعم الاخر كما فيما نحن فيه وكان قبل ذلك ما يحصل من اهل الحرب كما يقرب من الذبايح تنزل نار من السما فتحرقه ان قبل فان قيل كيف هذا وقد كان لسليمان وداود سراري ولا شك انها تحصل من اهل الحرب غنيمة حتى تملك **قلت** قالوا ان الذي كانت تاكله النار سهام الانبيا دون سهام الامة وفرق بينهم فكانت تحل لهم فاذا اشترى النبي من امته شيا منها كان له كما ذكره ابن الجوزي في الوفا **وفتح عليه في حياته بلاد الحجاز** بمعنى الحاجز وسميت بها لانها تحجز بين نجد وتهامة او بين اليمن والشام وهي مكة والمدينة والطايف واليمامة وقراها وخيبر وطرقها الممتدة بينها وقيل غير ذلك وقيل المدينة نصفها حجازي ونصفها تهامي **واليمن** وهو معروف وسمي به لانه عن يمين الكعبة او ليمنه او لانه عن يمين الشمس **وجميع جزيرة العرب** الجزيرة فعيلة من جزر الماء وهو انكشافه ورجوعه ضد المد وجزيرة العرب ما بين اقصى عدن الى ريف العراق طولا ومن جدة وما والاها الى اطراف الشام عرضا عند الاصمعي ومن حفر ابي موسى الى اقصى اليمن طولا ومن رمل تبرين الى منقطع السماوة عند ابي عبيدة وقال مالك هي الحجاز واليمن واليمامة وما لم يبلغه ملك فارس والروم مع اقوال اخر • وسميت جزيرة لان بحر فارس وبحر الحبشة ودجلة والفرات احاطت بها **وما داني ذلك** اي قرب منه او من

جزيرة العرب فتذكيره باعتبار المكان ونحوه **من الشام والعراق** الشام بهمزة وتبدل
ألفا وقد تمد همزته فيقال شآم وبعضهم أبى هذه وتذكر وتؤنث كغيره من أسماء البلدان
وينسب إليه شامي بهمزة وألف وشآمي بالتخفيف والتشديد كيمان فيقال امرأة شامية
وشآمية مخففا ووجه تسميتها أنها على شمال الكعبة أو لأنه تشاءم بها قوم أو باسم صاحبها
وهو سام بن نوح فعربت بإبدال سينها شينا معجمة وأنكر بعضهم هذا وقال لم ينزلها سام قط
وإنما سميت بها لأن في أرضها شامات حمر وسود وبيض وحده من العريش إلى الفرات أو إلى
بالس طولا وعرضه من جبل أجا وسلمى إلى بحر الروم وما تشاءمه وقد دخله النبي صلى الله عليه
وسلم إلا أنه لم يدخل دمشق والعراق إقليم معروف وهو عراق العرب وفيه مدن عظيمة
وقرى وطوله من تكريت إلى عبادان وهي قرية ولذا قيل في المثل ما وراء عبادان قرية وعرضه
من القادسية إلى حلوان ودجلة حد جانبها الأيمن إلى العراق واليسار لفارس وأما عراق
العجم فهو إقليم خراسان ولفظ العراق عربي وقيل إنه معرب ايراق وفيه كلام ليس هذا
محله واليمن فتحها علي في سنة عشر من الهجرة والشام فتح منها دومة الجندل فتحها عبد
الرحمن والعراق فتح منها البحرين وقدم أهلها عليه صلى الله عليه وسلم على ما فصل في السير
والتواريخ ومن لم يقف على هذا قال إنها إنما فتحت في زمن أبي بكر لكنه أوتي مفاتيحها ووعد
بفتحها **وجلبت** بالبناء للمفعول نائب فاعله ما لا يجبى وأنثه باعتبار المعنى وهو الأموال
من أخماسها أي غنائمها لأن الغنائم تجعل خمسة أجزاء خمس للإمام وأربعة أخماس للجند أو
المراد نفس الخمس لأنه الذي يختص به **وجزيتها** بكسر فسكون وهو ما يؤخذ من الكفار من الخراج
على الرؤوس سميت بها لأنها تجزئ أو هي من المجازاة أو من الإجزاء بمعنى الكفاية وقيل إنها فارسية معربة
كزيت وأحكامها مفصلة في كتب الفقه **وصدقاتها** المراد ما كان يؤخذ من الزكاة لبيت
المال لأنه يسمى صدقة **ما لا يجبى** أي يجمع يقال جباه إذا جمعه **للملوك إلا بعضه وهاداه**
أي أهدت إليه وليس المراد المفاعلة **ملوك الأقاليم** المتقدمون قسموا الأرض سبعة
أقسام سموا كل قسم منها إقليما كما يعلم من علم مساحة الأرض المسمى جغرافيا وحد كل إقليم
وما فيه من البلدان مفصل في كتب الهيئة والمساحة قيل المصنف أراد بالأقاليم النواحي
والبلدان وإن كانت من إقليم واحد أو إقليمين من السبعة بطريق المجاز وهو بهذا المعنى
مستعمل أيضا كما يقال أقاليم مصر فسموا كل ناحية منها إقليما والهدية ما يبعث بلا عوض إلى
المهدى إليه إكراما قال السبكي الإكرام ليس شرطا فيها وإنما الشرط كونها من المنقولات فلا يقال
للعقار هدية وهي أخص من الهبة أو الظاهر أن قيد الإكرام بناء على الظاهر فرقا بينها وبين
الصدقة وممن هاداه المقوقس ملك القبط أهدى له جاريتين وكسوة وبغلة بيضاء وهي الدلدل
وهاداه فروة بن عمرو الجذامي عامل قيصر بعدما تبرع بالإسلام وأهدى له بغلة بيضاء بسمر
فضة وفرسا وأثوابا وقباء من سندس ولما بلغ ذلك قيصر حبسه مدة طويلة ثم أرسل له
ارجع لدينك أطلقك وأعيد لك ملكك فأبى وقال لا أفارق دينه وإنك لتعلم أنه حق
ولكن ضننت بملكك فقال فقد صدق والإنجيل ومنهم أكيدر دومة الجندل كما في البخاري
والنجاشي وأما هدايا غير الملوك التي كانت تصل مع الوفود فكثيرة لا تحصى كما يعلم من السير وأهدى
له الرهبان أيضا كأهل نجران ولا منافاة بين قبوله هدية من لم يسلم منهم كالمقوقس والنجراني
ورده بعض هدايا المشركين وقوله إنا لا نقبل زبد المشركين أي عطيتهم لأنه كان يقبل من يرجو

إسلامه

إسلامه استيلافا له لما فيه من المصلحة للمسلمين ويرد غيرها أو ذلك خاص بالمشركين ومن
قبل منه من أهل الكتاب فيقبل كما تؤكل أطعمتهم وتؤدى جزيتهم وقيل إن عدم القبول منسوخ بأحاديث
القبول لا العكس على الأرجح ثم إن قبول النبي صلى الله عليه وسلم الهدية مع أنه لا يجوز لغيره
من الحكام من خصائصه لانتفاء التهمة في حقه وقيل إنه رد ما أهدي إليه خاصة دون ما أهدي
الصحابة **فما استأثر بشيء منه** أي ما اختص به دون أصحابه لرؤيته أنه أحق به كما تفعله
الملوك فيما يليق بها وهو استفعال من الأثرة وهي المكرمة والخصوصية كما قال تعالى ويؤثرون
على أنفسهم **ولا أمسك منه درهما** أي لم يبق لنفسه منه شيئا ولم يجعله عنده أو في يده
بل صرفه في مصارفه بإعطائه لمن يستحقه وفي وجوه الخيرات **وأغنى به غيره** من الجند
والمؤلفة قلوبهم فكان يعطي عطاء من لا يخاف الفقر **وقوى به المسلمين** بصرفه في مهماتهم
وفيما ينصرهم على أعدائهم **وقال** أي النبي صلى الله عليه وسلم في حديث صحيح رواه الشيخان مسندا
عن أبي هريرة رضي الله عنه **ما يسرني** أي يجعلني في سرور وفرح **أن لي أحدا** أي مثل أحد ونفس
أحد يكون ملكا لي وهو ذهب حقيقة **ذهبا** تمييز أي من ذهب وأحد بضمتين وقد تسكن حاؤه
اسم جبل معروف قريب من المدينة سمي به لتوحده وانقطاعه عما هناك من الجبال وقال فيه جبل
يحبنا ونحبه **يبيت عندي منه دينار إلا دينارا أرصده لدين** وقد روي هذا الحديث
بروايات مختلفة اللفظ متقاربة المعنى ففي الصحيح تأتي علي ثالثة وعندي منه دينار
أو أمسي ثالثة وعندي منه دينار وروي قوله ذهبا ويصير ذهبا وإلا دينارا روي
بالرفع والنصب وأرصده بفتح الهمزة وضم الصاد ويجوز ضم الهمزة وكسر الصاد المهملة لأنه
يقال رصدته وأرصدته بمعنى أي أعددته للخير أو الشر وقيل رصدته بمعنى راقبته
وأرصدته بمعنى أعددته وهو المشهور وقوله لدين بفتح الدال المهملة وسكون المثناة
التحتية والنون وإرصاده للدين إما لأن صاحبه غائب أو لأنه لم يحل أجله وفيه دليل على
جواز الاستقراض وأنه لا ينبغي أن يكون المراد مستغرقا في الدين حتى لا يجد له وفاء وبقية
الحديث في الصحيحين وشروحهما فإن أردته فانظره وفي بعض النسخ هنا زيادة من إلحاق
المصنف **وهي** وأتته دنانير مرة فقسمها وبقيت منها ستة فدفعها لبعض نسائه فلم يأخذه
نوم حتى قام وقسمها وقال الآن استرحت انتهى وقوله دفعها روي رفعها بالراء قال السيوطي
هذا الحديث روته ابنة سعد عن عائشة بهذا اللفظ وفي الشرح لم أقف عليه إلا أن له
نظائر أوردها وكانت هذه الدنانير من الصدقات وإنما لم يأخذه النوم لخوفه أن يفجأه
الأجل قبل تفرقتها فانظر هذا مع أنه غفر الله له ما تقدم وما تأخر بعد ما عصمه مع استغناء
الزمان وصرفهم بيت المال في هوى أنفسهم قاتلهم الله **ومات ودرعه مرهونة في نفقة
عياله** جمع عيل وهو من يلزم مؤنته والدرع مؤنثة وهي الزردية وكان له عدة أدراع ذات
الفضول سميت بها لطولها أهداها له سعد بن عبادة لما خرج لبدر وذات الحواشي ودرعان
أصابهما من بني قينقاع السغدية وفضة ويقال إن السغدية كانت درع داود التي لبسها
لقتال جالوت والبتراء والخرنق فهذه سبع وقال ابن الأثير في مادة س ب غ درع النبي
ذات السبوغ لتمامها وسعتها فيحتمل واحدة مما ذكر أو غيرها فتكون ثمانية وقال ابن الجوزي
إن التي رهنها هي ذات الفضول ورهنها عند يهودي يسمى أبا الشحم ووقع في فقه الشافعية
تسميته بأبي شحمة والمعروف الأول والسغدية لم يتعرضوا لتحريك سينها المهملة ويجوز فتحها

صحيح

وضمها والمشهور الثاني وهي بغين معجمة منسوبة للسغد وهو جبل معروف وقال مغلطاي
انها بعين مهملة وفي معرب الجواليقي انه بالسين والصاد لانه ما من كل سين معها حرف
استعلاء قال شقيق الاسدي • وخافت من جبال السغد نفسي • وذكر مغلطاي
ايضا انه كان له مغفر يسمى السبوغ والحديث المذكور في حديث مسلم مسندا عن عايشة انه
اشترى من يهودي طعاما نسيئة فاعطاه درعا رهنا وفي رواية فرهنه درعا له من
حديد ورواه البخاري ايضا بزيادة ثلاثين صاعا من شعير ومنه علم جواز معاملة الكفار مع
ان كسبهم لا يخلو من خبث وجواز الرهن بالمسلم فيه وادخار القوت خلافا للزهد في الاول
وقال المصنف في شرح مسلم انه مكروه عند مالك واحمد واجمعوا انه يجوز معاملة اهل الذمة
وغيرهم الا في آلات الحرب وما يستعان به عليه وقال الحنفية يكره بيع السلاح والكراع من
اهل الحرب وتجهيزه اليهم قبل الموادعة وبعدها واما رهنه فان خشي التقوي به فهو كالبيع
فما فعله النبي اما لانه لم يكن من اهل الحرب او لانه كان بين اظهر المسلمين فلا يخشى تقويه به
وفي رواية انها رهن في عشرين صاعا وفي اخرى اربعين وفي رواية وسق شعير والاجل
سنة فحل الاجل قبل الاجل وجمع بين الروايات بتعدد الواقعة وكان موسرا وقد تعسر لانفاقه
جميع ما عنده ولا يعلم اصحابه لك اذ لو علم الصحابة ذلك واسوه بجميع مالهم كما كانوا يواسوا
له بارواحهم لانه بكتمه يصير متلذذا بالرضى بما قسم وفي قوله في نفقة للتعليل **واقتصر
من نفقته وملبسه ومسكنه على ما تدعو ضرورته اليه وزهد** بصيغة الماضي
معطوف على اقتصر **فيما سواه** اي ما سوى مقدار الضرورة ووقع في بعض النسخ زهده
بصيغة المصدر المضاف للضمير وهو مرفوع على ضرورته او مجرور بالعطف على مجرور الى من
غير اعادة الجار والنسخة الاولى اوضح **فكان يلبس ما وجد** حاضرا عنده من غير تكلف
فيلبس **في الغالب الشملة** هي كساء يشتمل به وقيل مختص بالمهدب وقال ابن دريد هو كساء
يؤتزر به وهي البردة واما تسمية العوام ما يلف على الراس شملة فلا اصل له **والكساء الخشن**
اي الكسوة الملبوسة والكساء قريب من البرد وخشن بزنة حسن ضد اللين والرقيق **والبرد
الغليظ** البرد بضم اوله ثوب له خطوط ومطلق الثوب ثم اشار الى ان هذا اللبس من عجزه عن
فاخر الالبسة بل العدم مثله لها بقوله **ويقسم** ما عنده من الغنايم والهدايا **على من حضره
اقبية الديباج المخوصة بالذهب** الاقبية جمع قبا وهو المحيط من اللباس والديباج نوع
من اقبية الحرير معرب ديبا بالدال المهملة فيهما بكسر داله وقد تفتح والمخوصة بضم الميم وفتح
الخاء المعجمة وتشديد الواو ويليها صاد مهملة وهاء اي منسوجة باعلام من ذهب كالخوص وفعل
ياتي للتشبيه كثيرا فلا وجه لانكارهم شرح بمعنى كالسراج في كتب المعاني وقيل هو المكفوف
بالذهب او المطوق او المزرر به اما نفقته في ماكله فكان التمر والماء وحده فكان يمضي
عليه الشهر لا يوقد في بيته نار وهو يقول اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا او كفافا واما ملبسه
في الاكثر الكسية الصوف الغليظة الخلقة مع انه لبس ثياب الكتان والقطن ايضا خشنها
اتفق له وكان له حلة حمرا وبرد احمر يلبسه في العيدين وعند قدوم الوفود عليه وكانت
له جبة رومية ضيقة الكمين وكان احب اللباس اليه القميص القصير الكمين فوق الكعبين
مساو كمه لاطراف اصابعه وكانت عمامته قصيرة صغيرة كما بيناه في الغمامة في صفة
العمامة وله قلنسوة وتسمية ما ذكر مروية في البخاري وهذا اما ان يكون قبل تحريم الحرير

والذهب

والذهب او كان يقسمه ليباع او يعطى للنساء والصغار **ويرفع لمن لم يحضر** اي يرفعها
من مجلسه حتى يعطيها لمن لم يحضر القسمة وهو اشارة لقصة مخرمة التي رواها الشيخان عن
مسور بن مخرمة قال قال لي ابي بلغني انه صلى الله عليه وسلم جاءته اقبية فاذهب بنا اليه
فذهبنا فوجدناه في منزله فقال ادعه لي فاعظمت ذلك فقال يا بني انه ليس بجبار فدعوته
فخرج ومعه قباء من ديباج مزرر بالذهب فقال يا مخرمة خبات لك هذا فجعل يزنه بحاشيته
ثم اعطاه له فنظر اليه وقد رضي وكان فيه شدة واستنفار **اذ المباهاة** اي اظهار الفخر
باللباس والتجمل به والتزين واصل معنى المباهاة المفاخرة فنزل ذلك بمنزلتها **في الملابس**
جمع ملبس وهو واللباس بمعنى **والتزين بها** اي اظهار الزينة بالملابس **ليست من خصال
الشرف والجلالة** اي المغالاة في ذلك واظهاره ليس مما يعد شرفا ولا مما يقصده الاشراف
وقال الفقهاء رضي الله عنهم لبس الثوب الجميل للتزين مباح في الجمع والاعياد ومجامع الناس وما
يستر العورة ويدفع الحر والبرد واجب وما فيه جمال لصاحبه مستحب بشرط ان لا ينوي به العظمة
والزينة بل اظهار نعمة الله وتعظيم من يجتمع لملاقاته وقد كان صلى الله عليه وسلم يفعله وقلت
في ذلك ۞ نصيحة لطيفة قالتها الاكياس • كل ما اشتهيت والبس ما يشتهيه الناس •
وهي من صفات النسا اي المباهاة والتزين انما يقصده النساء ومن في حكمهم كالاطفال واكثر
ما رايناه ذلك في محدثي النعم ومن لا قدر له **والمحمود منها** اي المحمود عند الله وعند الناس من
صفات الملابس **نقاوة الثوب** بفتح النون وضمها اي كونه نقيا من الوسخ والنجاسة وهو مصدر
ونحوه فيقال نقاه بمعنى نقاوة وفي البستان يستحب للرجل الذي له مروءة وعلم ان يكون ثيابه
نقية من غير كبر ورأى النبي صلى الله عليه وسلم رجلا وسخة ثيابه فقال اما وجد هذا شيئا ينقي
ثيابه وقال ايضا ما على الرجل حرج ان يتخذ ثوبين سوى ثوبي مهنته وفي المثل المروءة
الظاهرة في الثياب الطاهرة وقال البرهان النقاوة بضم النون والقاف والظاهر هنا فتحها
وهي النظافة كالنقابة بزنة السحاب **والتوسط في جنسه** اي المحمود في اللباس استعمال الوسط
منه فلا يكون نفيسا جدا ولا خسيسا **وكونه لبس مثله** بضم اللام اي كونه مما يلبسه امثاله من
جنسه فينبغي ان يوافق اقرانه في لباسهم فلا يخالفهم فيوقع الناس في الغيبة ونهى النبي صلى
الله عليه وسلم عن الشهرتين في اللباس المرتفعة جدا والمنخفضة جدا وقال مبارك الموصلي
اكثر الناس في مدح الملابس وذمها واللازم ان يلبس كل احد على قدر حاله فلا يلبس الغني ما هو
دون حاله ولا الفقير ما هو فوق حاله ولا يتزين العالم بزي الجاهل ولا الجاهل بزي العالم
وعنه صلى الله عليه وسلم لا يشبه الزي بالزي حتى يشبه القلب بالقلب واليه اشار بقوله
غير مسقط لمروءة جنسه اي مما يعد مسقطا لمروءة امثاله **مما لا يؤدي الى الشهرة في الطرفين**
اي غاية التعظيم وغاية الخسة فتكون بين بين وخير الامور اوسطها والشهرة اسم من الاشتهار
وهو الظهور بين الناس لامتداد النظر لما لا يعهد وقال النووي كانوا يكرهون الشهرتين الثياب
الجياد والثياب الرذلة اذ الابصار تمتد لهما جميعا وبهذا ورد الحديث فلبس المرقعات امر
مكروه شرعا وربما يكون حراما اذا قصد اظهار الزهد للطلب كما تراه اليوم وما نهى الشرع عنه
كالحرير خارج عما نحن فيه واما توسيع الاكمام كما يفعله الفقهاء فمخالف للسنة كتكبير العمائم وقد
قال ابن الحاج انه مكروه وبدعة قبيحة وسرف وتضييع للمال الا ان ابن عبد السلام والسبكي
قالا اذا كان شعارا للعلماء يندب ليعرفوا فيسالوا ويطاعوا فاذا كان كذلك في نفس الامر

لا يسقط المروة وقال السبكي استنبط من الآية في نساء النبي يدنين عليهن من جلابيبهن
ذلك ادنى ان يعرفن فلا يوذين ومثله لباس الخضرة للاشراف فاختار علماء الشافعية انه سنة
وليس من الشهرة المنهي عنها لاهله ولبس ثياب الفقراء مع القدرة على غيره ليروج حاله عند الظلمة ويجلب
مكسبا له منهي عنه وفي الحديث من لبس ثوب شهرة في الدنيا البسه الله ثوب مذلة يوم القيمة **وقد**
ذم الشرع ذلك كما عرفته وذلك اشارة الى المباهاة في الملابس والتزين بها **وغاية الفخر فيه**
عند الناس انما يعود الى الفخر بكثرة الموجود ووفور الحال غير ان كثرة المال والملابس عند
العقلاء غير محمودة لانها مذمومة شرعا غير مقصودة لذاتها واما العوام فيفتخرون بكثرتها وتعددها
حتى راينا بعض الحمقى يلبس في المجلس الواحد الوانا من الثياب والغاية النهاية واصلها غيية بيائين
اعلت او لاها النحس الناشئة بتاء التانيث وكثرة الموجود المراد به ما عنده من المال ونحوه ووفور
الحال المراد به قوة حاله وقدرته على ما لا يقدر عليه غيره فالوفور على ظاهره او بمعنى القوة **وكذلك**
التباهي اي مثل التفاخر بما ذكر التفاخر **بجودة المسكن** والجودة بفتح الجيم وجوز ضمها ابن رشد
وهو كذلك في القاموس اي حسنه بحسن بنائه وزخرفته وعلوه **وسعة المنزل** لانه مما يتمدح
اهل الدنيا به وقد قالوا خير المنازل ما يسافر فيه النظر وقالوا الدار الضيقة العمى الاصغر ثم
اتبع ذلك بما تبعه فقال **وتكثير آلاته** آلات جمع آلة والآلة ما يصنع به الاعمال كالقدوم للنجار
والابرة للخياط والمراد هنا لوازمه كالفراش واوانيه **وخدمه** جمع خادم وفعل بفتحتين لسمع
منه الفاظ معدودة **ومركوباته** كالخيول والبغال وغيرها واضافتها للمنزل لادنى ملابسة
او لانها فيه فمثل هذه الامور لا يفتخر بكثرتها الا غير ذوي العقول ومن له حرص على حطام الدنيا
ثم بين ان النبي صلى الله عليه وسلم حاير للفضيلة المالية ايضا وواصل منها الى ما لم يصل اليه غيره ولذا
قالوا لا يجوز ان يقال في حق النبي انه فقير فقال **ومن ملك الارض** بتمليك الله اياها له
فلو اراد ملكها من المشرق للمغرب يسره الله في طرفة عين وقد خيره الله بين الملك والعبودية فاختار
العبودية **وجبي اليه ما فيها** اي جمع له ما فيها من الغنايم وجزيتها وصدقاتها مما فتح في زمانه
فترك ذلك اي المال المجبي **زهدا وتنزها** اي لاجل الزهد والتنزه عن قبوله والزهد هو
الترك لاجل الله فالزهد اخص من الترك وكلاهما مفعول لاجله ويجوز جعلهما تمييزا والزهد لغة
عن الدنيا مع القدرة عليها رغبة في الآخرة ولا يتصور ممن لا مال له ولا جاه وقيل لابن المبارك
يا زاهد فقال الزاهد عمر بن عبد العزيز اذ جاءته الدنيا راغمة فتركها اما انا ففيم زهدت
حجة وهو من اعلى المقامات وفي الحديث ازهد في الدنيا يحبك الله ويقال زهد فيه وعنه **فهو حايز**
جواب من او خبرها وحايز بالحاء المهملة والزاي المعجمة اي جامع ومحصل **لفضيلة المالية** اي
من كان كذلك حاز فضيلة المال التي يفتخر بها اهل الدنيا وقادر على التنعم والتلذذ بها الا انه
لا يريد ذلك **وما لك الفخر بهذه الخصلة** المالية الا انه لا يفعله كاهل الدنيا وقيل المراد
خصلة الزهد والتنزه وهذا هو الذي يلتئم مع قوله **ان كانت فضيلة زايدة عليها** ان كانت
بفتح الهمزة مفسرة بمعنى اي كما قاله التلمساني وهو تحقيق واثبات للفضيلة التي حازها من الزهد
والتنزه عن الدنيا الفانية وكان تامة او ناقصة والتقدير كانت تلك فضيلة زايدة على فضيلة
المال ولكن الظاهر ان قوله زايدة وزايد على هذا منصوب صفة وقيل ان صح نصبه فهو حال
من فاعل حايز وقال بعض الشراح فيه دليل على عدم الجزم بكونها فضيلة وفيه نظر اذ لا يتحقق
الكرم بدونها قطعا انتهى وهذا مبني على ان ان شرطية مكسورة الهمزة وهو مبني على ان المراد بالخصلة

المالية لا الزهد وفي الشرح الجديد ما ذكر من نصب زايدا على الحالية ان صحت روايته في
بعض النسخ مرفوع ومعرق مرفوع في جميع النسخ وعندي ان يفسر زايدا على انه حال من فاعل مالك
لا حايز اي هو مالك للفخر بهذه الخصلة حال كونه زايدا عليها في الفخر لعدم التفاته لها واكتراثه
بها فهو في ملكها غير مساو لغيره ممن ملكها وفخر بهذه الفضيلة على تقدير كونها فضيلة ليس مساو
لفخر من افتخر بها فقد ملكها حال كونه زايدا عليها في الفخر على سائر ملاكها باعراضه عنها فزايدا
وصف له صلى الله عليه وسلم والاولى انه صفة مصدر هو مفعول مطلق لمالك اي مالك ملكا زايدا
على هذه الفضيلة باعراضه عنها انتهى وهذا محصل ما في جميع الشروح وقوله **في الفخر** متعلق
بقوله زايدة واقول لا يخفى ان هذا كله كلام مظلم لم يتنور به كلامه وتحقيقه ان يقال هو
مبتدا حايز خبره وما لك معطوف عليه وان مكسورة شرطية وكانت ناقصة اسمها ضمير للفضيلة
او للمالية وفضيلة منصوب خبرها وقوله زايد خبر ثالث والخبر اذا تعدد يجوز عطف الجميع وترك
عطفها وعطف بعضها دون بعض كالصفات وترك العطف فيه لانه ليس من جنس ما قبله لان
الفضيلة الدنيوية ليست من جنس ما يزاد عليها في الفخر والفضيلة لان الاول امر دنيوي لا
فخر فيه باعتبار ذاته بل باعتبار ما يترتب عليه اذا صرف في وجوه الخيرات من الثواب ونصرة
الدين ولذلك اتى فيه بان الشرطية لانه لكونه ذا وجهين اذ لا افضلية له بحسب ذاته يتراءى
انه لا فضيلة له اصلا فان نظر لما يترتب عليه فانه فضيلة لكنها لكونها غير ذاتية كانها غير
محققة اي هو زايد على تلك الفضيلة المالية في فخره بالامور الدنيوية لو اراد اما الزيادة
ما ياتيه لو بقي على ما عند غيره او يكون مكسبه طيبا ومصرفه في محله وفيه من الفوايد ما لا
يتيسر لغيره فحاصل المعنى انه صلى الله عليه وسلم حاز من الغنى وفضل المال والفخر به وان لم
يعبا به ما لم يحز بعضه غيره ولذا قال بعض العرب ان محمدا يعطي عطاء من لا يخاف الفقر وزاد
غناه على غنى غيره فوايد لا تتيسر لغيره ويجوز نصب زايدا على انه حال من ضميره صلى الله عليه
وسلم وما مر ممن لا يتحقق الكرم بدونه فكيف لا يكون فضيلة ليس بشي فان المراد انه ليس
فضيلة ذاتية وما ذكره لا ينافيه كما لا يخفى **ومعرق** بضم وسكون العين المهملة وكسر الرا
المهملة المخففة وفتحها مع التخفيف والتشديد والاول هو القياس من اعرق الرجل والشجر
اذا اشتدت وامتدت عروقه المعنى انه اصيل في الكرم والحسب قال

محمد يا خير ضن كريمة • في قومها والفحل فحل معرق

وقد يقال في اللوم تهكما وعرق الثري ادم قال امرؤ القيس

الى عرق الثرى وشجت عروقي • وهو مرفوع معطوف على قوله زايد فان

نصب نصب يعني ان الناس تتمدح بالمال بكثرة جمعه وكذلك النبي جمع له ما جمع لاهل الدنيا
وهو زايد عليهم وذلك اصيل في المدح بذلك لانها لا قيمة لها عنده كما اشار اليه بقوله **باضرابه**
عنها اي بسبب اعراضه عن الحصة المالية **وزهده في فائتها** بالفاء ومثناة تحتية ثم
فوقية اي يزهد فيما هو فائت منها اي ذاهب كما قال تعالى لا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما
اتاكم وفي بعض النسخ فايتها بنون بعد الالف **وبذلها** بموحدة وذال معجمة اي اعطايها
في مضانها من الضنة بالضاد المعجمة والنون اي يجود في محال تبخل فيها الناس كذا ضبطه
وفسره التلمساني وهو في غاية الحسن والظهور وضبطه البرهان الحلبي بالظا المشالة وعليه
الرواية في اكثر النسخ جمع مظنة بالكسر وهي الموضع الذي يظن كونها فيه فالمعنى انه

يبذلها في محلها الذي ترجى فيه كحاتم البر والصدقة هـ

فصل واما الخصال المكتسبة

اي الصفات الحميدة التي ليست ضرورية لا طبيعية من الاخلاق الحميدة من هنا تبعيضية او بيانية والاداب الشريفة جمع ادب وهو الافعال المستحسنة في معاملة الناس ومخالطتهم التي اتفق جميع العقلاء على تفضيل صاحبها اي من قامت به واتصف بها بالخلق الواحد منها اي يمدح بكل واحد منها منفردا فضلا عما فوقه اي عما زاد على الواحد منها وفضلا يفيد ان ما بعده اولى بالحكم مما قبله كقولهم فلان لا يملك درهما فضلا عن دينار ولابن هشام فيه رسالة مستقلة في بيان اعرابه ومعناه وهي مشهورة الا انهم قالوا انها تلزم الوقوع بعد نفي صريح او مؤول كقوله هـ

قلما يبقى على هذا القلق • صخرة صماء فضلا عن رمق

لان قل ورد بمعنى النفي لان القلة اخت العدم ولا يختص هذا بكونها مكفوفة بما كما قاله ابن هشام والمصنف استعملها في الاثبات لان معنى الواحد الذي لا يتعدد فلا اشكال في كلامه واثنى الشرع على جميعها وامر بها فيدل الثناء عليها على حسنها والامر بها على انها مكتسبة والا لم يكن للامر بها فائدة وفيه دليل على جواز تغير الطباع وتبدلها وقوله والطبع في الانسان لا يتغير مؤول او اكثري ووعد السعادة الدائمة منصوب بنزع الخافض اي وعد بالسعادة وهو مضمن معنى اعطى للمتخلق بها اي الذي اتخذها خلقا واتصف بها اذا قصد بذلك وجه الله وليس المراد المتكلف المتصنع باظهار ما ليس فيه فانه مذموم كما قيل

يا ايها المتحلي غير شيمته • ان التخلق ياتي دونه الخلق

ووصف بعضها بانه من اجزاء النبوة كما ورد في الحديث السمت الحسن والتؤدة والاقتصاد جزء من اربع وعشرين جزءا من النبوة وورد في حديث آخر ان الهدي الصالح والسمت الصالح جزء من خمس وعشرين جزءا من النبوة وهذا هو الذي اشار اليه المصنف اي هذه الخصال من شمائل الانبياء وفضائلهم وليس معناه ان النبوة تتجزا او تكتسب بجمع هذه الخصال لانها كرامة يخص الله بها من شاء من عباده وهي المسماة بحسن الخلق قيل اطلق عليها خلقا لكونها ناشئة عنها والا فحسن الخلق هيئة للنفس باعثة على الافعال الحسنة والشيم الشريفة وهنا اربعة امور صدور الفعل الحسن والقدرة عليه ومعرفته والهيئة الحاملة للنفس على صدور ذلك عنها وليس حسن الخلق عبارة عن الاول لان ذلك قد يصدر عنه تكلفا او رياء ونحوه ولا عن الثاني لان تعلق القدرة بالشيء والحسن على السوية ولا عن الثالث لذلك فتعين الرابع انتهى وقيل ان المصنف جعل الخصال الحميدة حسن خلق وجعلها مكتسبة فانها كسبية في اول امرها ثم تصير سجية وطبيعة وهو مبني على الاصح من ان الاخلاق مكتسبة قابلة للتغير كما عليه المحققون والخلق هيئة راسخة في النفس تصدر عنها الافعال بسهولة ثم اطال بما لا طائل تحته والثمرة تدل على الشجرة فكن على بصيرة وهو اي حسن الخلق الاعتدال في قوى النفس واوصافها قوى جمع قوة وليست الشدة وضد الضعف كما توهم بل الامور المركوزة في الخلق كما تسمى المتخيلة قوة ونحوها من سائر القوى النفسية واعتدال القوى ان لا تخرج الى الافراط والتفريط واعتدال قوة العقل يعبر عنه بالفطنة والكياسة فان مالت الى الافراط تسمى مكرا وخداعا وان مالت الى التفريط تسمى بلها وحمقا وكذا اعتدال قوة الغضب شجاعة فان افرطت فهي تهور وان

مالت الى التفريط تسمى جبنا فطرفا كل قوة مذموم والاعتدال هو الوسط المحمود وهو المعبر عنه بحسن الخلق كما اشار اليه بقوله والتوسط فيها دون الميل الى منحرف اطرافها منحرف بكسر الراء من اضافة الصفة الى موصوفها اي اطرافها المنحرفة والمنحرف بمعنى المائل والمراد بالاطراف ما بيناه ويجوز فتح رائه على انه مصدر ميمي بمعنى الانحراف والاول اولى فجميعها اي جميع الخصال المحمودة قد كانت خلق نبينا عليه السلام انث ضميره لاكتسابه التانيث من المضاف اليه على الانتهاء في كمالها حال من ضميره كانت مستقرة تلك الاخلاق الحسنة على انتهاء الكمال شبه تمكنها واستقرارها بتمكن الراكب على مركوبه كما تقرر في قوله على هدى من ربهم والاعتدال الى غايتها معطوف على كمالها اي وصلت الى غاية الاعتدال والسداد حتى غاية للغاية اثنى الله عليه بذلك فقال وانك لعلى خلق عظيم اي مستقر ثابت على خلق يستعظمه كل واقف عليه لحسن مداراته وتحمله اذى قومه وملاطفته لهم كما تضمنه قوله خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين قالت عائشة كان خلقه القرآن يرضى برضاه ويسخط بسخطه اي كان متمسكا باوامره ونواهيه وما يشتمل عليه من مكارم الاخلاق ومحاسن الاداب لا يتعداها يرضى بكل ما يرضي الله ويسخط بكل ما لا يرضاه كل ذلك لله لا لحظ نفسه وقال السهروردي قدس الله روحه في عوارف المعارف في كلام الصديقة بنت الصديق سر غامض وذلك ان النفوس البشرية مجبولة على صفات وطبائع شيطانية وبهيمية وسبعية والى الاولى اشار بقوله خلق الانسان من صلصال كالفخار لدخول النار في الفخار وخلق الجان من مارج من نار والله بعظيم عنايته نزع حظ الشيطان منه كما ورد في حديث شق صدره فبقيت نفسه الزكية على حد النفوس البشرية مبقاة فيها امهات تلك الصفات الا انها غير ممتزجة بظلمة الطباع لتفاوت حاله عن حالهم فتنزل الايات لقمعها تاديبا من الله لنبيه رحمة خاصة به وعامة موزعة على الاوقات عند ظهور الصفات كما قال كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا فتثبت فؤاده بها عند ظهور بعض الصفات لارتباطه بنفسه فعند كل اضطراب تنزل آية لمصالح سنية كما وقع في احد اذ شج فقال كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى ربهم فانزل عليه ليس لك من الامر شيء فلبس قلبه لباس الاصطبار ووفا بعد الاضطراب الى القرار فلما توزعت الايات على تلك الصفات بحسب الاوقات صفت الاخلاق النبوية بالقرآن وفي ابقاء امهات تلك الصفات تهذيب للامة وتاديب لنفوسهم ولا يبعد ان يقال في كلامها رمز ولما خفي الى الاخلاق الربانية فاحتشمت ان تقول كان متخلقا باخلاق الله وعبرت بقولها كان خلقه القرآن استحياء من سبحات الجلال وسترا للحال بلطيف المقال لوفور علمها وكمال ادبها انتهى ولا يخفى ان خلقه في كلامها اسم كان والقرآن خبرها وما قيل من انه على العكس بضبط النسخ الصحيحة ويجوز بحسب العربية عكسه لانهما معرفتان لا وجه له فان خلقه معلوم والذي قصد اثباته انما هو بيان حاله وما تخلق به وهذا مما اتفق عليه النحاة واهل المعاني فالوجه هو الاول وهذا الحديث رواه البيهقي في دلائل النبوة بتمامه والسخط ضد الرضى وقد يقال الرضى بالاكراه فله معنيان وعليه مبنى الخلاف في رضى الله بالكفر وعدمه كما فصلناه في حواشي البيضاوي وقوله وقال عليه الصلاة والسلام بعثت لاتمم مكارم الاخلاق حديث صحيح رواه احمد عن معاذ والبزار عن ابي هريرة بهذا اللفظ ورواه مالك في الموطا وغيره بغير هذا اللفظ ومكارم الاخلاق كانت موجودة قبله لا سيما في العرب فتممها صلى الله عليه وسلم

بلغ

بشريعته السمحة وزاد فيهما ما لم يسبق اليه وجمع ما تفرق منهما فيه وفي امته فهذا على
حقيقته وليس من قبيل قولهم ضيق فم الركية كما لا يخفى قال انس كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم احسن الناس خلقا وهو حديث صحيح رواه الشيخان وقال الحليمي وصف خلق
عظيم والآية والغالب وصفه باحسن كما في هذا الحديث لان حسن الخلق وكرمه يراد به
اللين والسماحة ولم يكن خلقه مقصورا على ذلك بل كان رحيما رؤفا بالمومنين عسيرا على
الكفار مهيبا في صدورهم فكان وصفه خلقه بالعظم اولى ليشمل الانعام والانتقام ولذا
اورده المصنف بحديث انس خادم النبي صلى الله عليه وسلم وفي مسلم عنه خدمت النبي صلى الله عليه
وسلم عشر سنين والله ما قال لي اف قط وعن علي بن ابي طالب مثله اي وروي عن علي مثل ما قاله
انس لفظا كما ذكره ابو عبيد في الغريب وكان صلى الله عليه وسلم فيما ذكره المحققون مجبولا
اي مخلوقا مطبوعا عليها اي على مكارم الاخلاق وفي اصل خلقته واول فطرته التي فطره
الله عليها من غير تكلف ولا تعلم لم يحصل باكتساب ولا برياضة الا بجود الهي وخصوصية
بفتح الخاء وضمها ربانية منسوب للرب على خلاف القياس وهكذا اي مثل هذا من جمع مكارم
الاخلاق وفطرة ثبت لسائر الانبيا اي لبا فيهم او جميعهم انهم مجبولون على كرم الاخلاق
وحسنها واما غيرهم فبعضها فيهم فطرة وجبلة وبعضها مكتسب واما الخلاف في الاخلاق هل هي
جبلية او كسبية فليس هذا محله كما ذكره بعضهم والحق ان بعضها جبلي وبعضها مكتسب والجبلي
يقبل التغير والزوال كما سبق تفصيله وفي قوله فيما ذكره المحققون اشعار بان خلافهم ذهب
الى انها كسبية في الانبيا فيعلم حال غيرهم بالطريق الاولى ولذا اعترض عليه بانا لا نعلم خلافا
في ذلك وخلط بعض الشراح هنا فادخل نفس النبوة في كلامه وجعل هذا اشارة الى مذهب الحكما
في ان النبوة تحصل بالرياضة والتصفية ولا حاجة لمثله من التكلف فان مراده الاشارة الى
الخلاف في مطلق الاخلاق والفضائل النفسية كما ذكر في كتب الاخلاق وهو اشهر من ان يذكر
ومن طالع سيرهم منذ صباهم الى مبعثهم حقق ذلك اي كونها خلقية جبلية وانما قيده بقوله
الى مبعثهم لان بعد البعثة ونزول الوحي لا يظهر كونه جبليا لتعليم الله له ذلك مما يكتسبه فلا
تقوم الحجة على من يقول انه جبلي ح اما قبله فامره ظاهر لا يشتبه كما عرف من حال موسى
وعيسى ويحيى وسليمان وغيرهم عليهم السلام قيل انما خص هؤلاء بالتمثيل لما اشتمل عليه
موسى بن سليمان من الشهامة ويحيى وعيسى من الانقطاع عن الخلق والسياحة ولذا قدم موسى
على عيسى وهو قبله ويحيى على سليمان اولذكر اخبار هؤلاء في الطفولية وهذا الثاني هو الحق
فان هؤلاء وقع منهم امور في طفوليتهم وامور الطفولية جبلية من غير شبهة عندنا كما اشار
اليه بقوله بل غرزت فيهم الاخلاق في الجبلة واودعوا العلم والحكمة في الفطرة
غرزت بالبنا للمجهول واصل معنى الغرز ادخال شي في شي فكان الطبيعة ادخلت فيهم ومنه
الغريزة وهي الطبيعة وقال البرهان معنى غرزت خلقت والفطرة الخلقة وفاطر السموات
بمعنى خالقها واودعوا مجهول تضامن الوديعة ففيه استعارة مكنية وتخييلية وما ذكره
من الترتيب في النسخ عندنا ما يخالفه وسياتي من المصنف ما يبين ما قلناه قال تعالى وآتيناه
الحكم صبيا الحكمة والحكم من الحكم وهو المنع ومنه الحكمة بفتحتين سمي به لمنعه من الفساد
وكل ما لا ينبغي واختلف في تفسيرها هنا قال المفسرون اعطي يحيى العلم بكتاب الله
يعني التوراة في حال صباه اشارة الى ان قوله صبيا في الآية حال وهذا احد التفاسير فيها

وقيل هو الفهم والعلم وقيل هو النبوة وعن ابن عباس كل من قرأ القرآن قبل ان يحتلم
فقد اوتي الحكم صبيا وعلى تفسيره بالنبوة فالمراد انه بظهور آثارها كانه اوتيها فهو مجاز
بناء على ان الله لم ينبئ صبيا قط وكذا اول قول عيسى وهو طفل اني عبد الله آتاني الكتاب
وجعلني نبيا وقيل الحكم مع العلم العمل وقال معمر كان اي يحيى ابن سنتين او ثلاث في
بعض النسخ معمر بدون ابن ومعمر بميمين مفتوحتين بينهما عين مهملة ساكنة وراء مهملة وهو
معمر بن راشد ابو عروة الازدي مولاهم عالم اليمن روى عن الزهري وغيره وروى عنه واخرج
له الائمة الستة وهو ثقة الا ان له اوهاما تحتمل في جنب سعة علمه توفي سنة ثلاث وخمسين
ومائة باليمن وله ترجمة في الميزان ابن سنتين او ثلاث قيل هذا غريب في الرواية والاصح انه كان
ابن ثمان وقيل لا غرابة فيه فانه منقول عن قتادة ومقاتل من طرق والغريب ما انفرد به رواته
فكيف يكون غريبا فقال له الصبيان لم لا تلعب فقال اللعب خلقت قال السيوطي رواه
الديلمي عن معاذ بن جبل ولم يسنده والحاكم في التاريخ عن ابن عباس مرفوعا وسنده واه واخرجه
احمد في الزهد وابن ابي حاتم في تفسيره عن معمر قال بلغني فذكره والاستفهام انكاري
في معنى النفي ولذا روي لم اخلق للعب والمشهور انه لم يبعث الله نبيا طفلا بل روي انه لم
يبعث الله نبيا قبل الاربعين فقيل هو المطرد وهذا نادر لا يرد نقضا ومن الغريب ما قيل ان
الله خلق عيسى بالغا عاقلا وان كان في صورة طفل كما خلق آدم حتى قيل الهم التوراة في
بطن امه وروي عن الحسن فلا حاجة الى تاويل ما ورد فيه بالتاويل المشهورة وقيل في قوله بكلمة
من الله صدق يحيى بعيسى هذا بنا على ان المراد بالكلمة عيسى لانه بدون اب فشابه ما
ابدع من عالم الامر كما قاله البيضاوي او لكونه وجد بكلمة كن او لاهتدا الناس به كما يهتدون
بكلام الله كما سمي النبي ذكرا ورسولا قاله الراغب وقال الصدر القونوي في نفحاته لصورة كل شي
في عرصة العلم الالهي الازلي مرتبة الحرفية فاذا صبغه الحق بنور الوجود الذاتي
وذلك بحركة معقولة معنوية يقتضيها شان من الشؤون الالهية المعبر عنها بالكتابة تسمى
صورة معلومية الشي المراد بكونيته كلمة وبهذا الاعتبار سمى الله الموجودات كلمات وسمي
عيسى كلمة وقال اليه يصعد الكلم الطيب اي الارواح الطاهرة انتهى وهذا يحتاج لذوق
شهودي فافهم ولا حاجة لحمل من زائدة على هذا كما قيل وهو اي يحيى ابن ثلاث سنين فشهد
له انه كلمة الله وروحه قد بينا معنى كون كلمة الله وكان يحيى وعيسى ابني خالة كما مر ويحيى
اكبر سنا منه واطلاق روح الله عليه اما لان جبريل المسمى بالروح نفخ في روع امه فيكون
من نفخته فاضافته الى الله اضافة ملك وتشريف ولانه خلقه من غير واسطة بشر ولذا اوقع
النصارى فيما وقعوا فيه وعن كعب ان الله خلق ارواح بني آدم قبل اجسادهم لما اخذ عليهم
الميثاق فامسك روح عيسى فلما اراد خلقه ارسلها لمريم فلذا كان روحا نبيا وقيل الاضافة
للتشريف كبيت الله وقيل معنى روح الله نعمة الله لان الروح تطلق على النعمة وفي صحيح البخاري
مسندا عن النبي صلى الله عليه وسلم من شهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده
ورسوله وان عيسى عبد الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق
ادخله الجنة وقيل سجد له يحيى وهو في بطن امه فكانت ام يحيى تقول لمريم اني اجد ما
في بطني يسجد لما في بطنك تحية له منصوب مفعول له اي سجوده له سجود تحية وتعظيم
لا سجود عبادة وكان السجود مما يعظم به المخلوق قبل الاسلام وهذا الحديث رواه احمد وابن

جرير عن مجاهد من طرق متعددة فهو حديث صحيح الا انهم لم يرفعوه للنبي ومثله لا يقال من قبل الرأي فهو في حكم المرفوع قالوا وهذا هو المراد بقوله مصدقا بكلمة من الله وهذا يقتضي ان حمل مريم بعيسى طالت مدته وفي تلك المدة اختلاف وقيل انها ولدته في ساعة نفخ الروح وقد نص الله على كلام عيسى لامه عند ولادتها اياه بقوله لها لا تحزني وهذا احد من تكلم في المهد وفي عدتهم خلاف وفي الصحيحين عن ابي هريرة لم يتكلم في المهد الا ثلاثة عيسى بن مريم وصاحب جريج وغلام كان يرضع في حجر امه ومر راكب فقال اللهم اجعل ابني مثله فظاهره الحصر اذ لم يذكر معهم الصبي المذكور في حديث الساحر الذي قال لامه اصبري فانك على الحق وهو في صحيح مسلم واجيب بانه لم يكن في المهد وان كان صغيرا لم يبلغ حد التكلم وورد بان ابن قتيبة حكى انه كان ابن سبعة اشهر فلعله صلى الله عليه وسلم انما اطلع اولا على ثلاثة ثم اطلعه الله بعد ذلك على غيرهم لثبوته في صحيح مسلم وقالوا تكلم في المهد ابراهيم كما ذكره البغوي والقاضي في التفسير • وروي ان نبينا صلى الله عليه وسلم تكلم في المهد عند حليمة واول كلمة تكلم بها الله اكبر وحكي عن الواقدي وشاهد يوسف كما حكاه القرطبي وقيل انه كان رجلا وابن ماشطة فرعون كما في مسند احمد وفيه زيادة لقوله ابن ماشطة ابنة فرعون وروى الضحاك تكلم يحيى في المهد ايضا ومبارك اليمامة الذي كلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في الدلائل فهم عشرة كما فصله البرهان الحلبي ونظمهم القائل بقوله •

• اذا رمت سرد الناطقين بمهدهم •	فمنهم رسول الله احمد ذو المجد •
• خليل وعيسى ويحيى وطفل من •	دعته لابنها فورا كذي شارة فرد •
• فقال الا لا تجعلني مثله •	ورد عليها قولها افصح الرد •
• كذاك الذي قد قال بن جريجنا •	بري فلا تؤموه بعد بما يردي •
• ومنهم نجيب كان يدعى مباركا •	وقال رسول الله قد جا بالرشد •
• وماشطة كانت لفرعون تنتمي •	وكان لها طفل تكلم في المهد •
• كذا شاهد في شان يوسف منهم •	فدونك جمعا زان بالحسن في العد •

وقوله بقوله الخ يعني انها لما حملت بلا زوج فرت وهي حامل لمكان بعيد خوفا من اهلها فلما وضعته قال لها لا تحزني على قراءة من قرأ من تحتها بفتح الميم على ان من موصولة وتحتها بنصب الناظر فصلته وقد اورد على المصنف هنا امران الاول ان تخصيصه دلالة الآية على ان المتكلم عيسى في المهد بهذه القراءة لا وجه له فان القراءتين على حد سوا في احتمال ان يكون المنادي عيسى او جبريل وبعض الملائكة وكيف لا ومعنى النظم على القراءتين واحد فان المعنى ناداها مناد من تحتها قائلا لا تحزني فان قيل لو كان جبريل كان فوقها لا تحتها لاتيانه من الأفق قيل ان جبريل كان منها مكان القابلة وقيل انها كانت على اكمة هو تحتها واذا كان عيسى قال الخفري معنى كونه تحتها انه كان تحت ثيابها الثاني انه قيل ان كلام المصنف في حسن الاخلاق وانها جبلية وكلام من في المهد ليس من هذا القبيل بل من قبيل خوارق العادة كنطق الجوارح يوم القيمة وتسبيح الحصى ونطق الشجر وهو لم يدم فانه ينقطع ويعود في زمنه ولم يقولوا باستمراره ولو استمر كان مناسبا لما ذكر والجواب ان ما ذكره بحسب الظاهر لانه لو كان جبريل وقد ذكره هنا بقوله انما انا رسول ربك كان الظاهر ان يقول فناداها كما في القراءة الجارية بين فلما عبر عنه بالاسم الظاهر وعدل اليه في محل الاضمار علم انه غيره وليس ثمة احد فعلم انه عيسى

ومعنى

ومعنى كونه تحتها ان المرأة في حال الوضع ترتفع عن الارض فيقع الولد تحتها فلا حاجة لما قاله الجعبري واما السؤال الثاني فساقط لانه وان كان خارقا للعادة يدل على انه يأتي بعده من جنسه امر جبلي وقراءة الكسر بمن الجارة والفتح بمن الموصولة كلاهما متواترة من السبعة وعلى قول من قال ان المنادي بكسر الدال عيسى لا الملك ونص على كلامه في المهد المهد كالمهاد بمعنى الفراش الممهد ثم خص بما يبسط فيه الطفل لنومه وقراره فيه فقال اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا فلم تكلم علموا براءة مريم ثم سكت حتى بلغ مدة التكلم لامثاله وجعل اول تكلمه الاقرار بالعبودية ابطالا لقول النصارى انه ابن الله لان الولد لا يكون عبدا ولو ملكه عتق عليه والكتاب الانجيل ويجوز ان يريد التوراة لعمله بها والاعم وتعبيره بالماضي باعتبار ما قدره الله له او جعله بمنزلة الواقع لتحققه وقيل انه نبي في صغره حقيقة كما روي عن الحسن وقال الله ثم فهمناها سليمان وكلا اي من سليمان وداود آتيناه حكما وعلما اشارة الى قصة سليمان اذ اوتي الحكم صبيا وعمره اذ ذاك احد عشر سنة في التي نفشت في الحرث اي رعته ليلا وافسدته والنفش الرعي بالليل بلا راع فان كان بالنهار فهو همل وكان يجلس على الباب الذي يخرج منه الخصوم الداخلين عليه من باب آخر فتخاصم رجلان لاحدهما حرث وهو زرع وقيل كرم والحرث يطلق عليهما وللآخر غنم دخلت حرثه فافسدته فحكم داود بدفع الغنم لصاحب الحرث على ان يبقى الحرث بيده وقيل بدفع الغنم لصاحب الحرث ودفع الحرث لصاحب الغنم فداود رأى على القول الاول ان الغنم تقاوم الغلة الفاسدة وعلى الثاني رأى انها تقاوم الحرث والغلة معا فلما خرجا على سليمان سألهما عما حكم به فرجع لابيه وقال الي رأيت ما هو اوفق بالجميع وهو ان يأخذ صاحب الغنم الحرث فيقوم عليه حتى يعود لما كان ويأخذ صاحب الحرث الغنم فينتفع بنسلها وريعها فاذا عاد الحرث لحاله صرف مال كل صاحب له فقال اصبت وحكم بما قاله قال العلامة بن القيم في كتابه معالم الموقعين حكم داود بقيمة المتلف فاعتبر الغنم فوجدها بقدر القيمة فدفعها لصاحب الحرث اما لانه لم يكن له دراهم وتعذر بيعها ورضوا بدفعها واخذها عدلا عن القيمة وسليمان قضى بالضمان على اصحاب الغنم وان يضمنوا ذلك بالمثل بان يعمروا البستان حتى يعود كما كان فلم يضيع عليهم شيئا من حين الاتلاف الى حين العود فاعطى اصحاب البستان الماشية لياخذوا من نمائها بقدر نماء البستان فيستوفوا من نماء الغنم بقدر ما فاتهم من نماء حرثهم وقد اعتبر النمائين فوجدهما سواء وهذا علم خصه الله به واثنى عليه بادراكه وقد تنازع العلما في ضمان النفش وفي المثل وهو الحق وهو احد القولين ومذهب احمد والشافعي ومالك والمشهور خلافه والقول الثاني موافقته في ضمان النفش دون التضمين بالمثل وهو المشهور عن احمد ومالك والشافعي والثالث موافقته في التضمين بالمثل دون النفش كما اذا رعاها صاحبه باختياره دون ما اذا انفلتت ماشيته ولم يشعر بها وهو قول داود ومن وافقه والقول الرابع ان النفش لا يوجب الضمان بحال وما وجب من ضمان الرعي بغير النفش فانه يضمن بالقيمة لا بالمثل وهو مذهب ابي حنيفة وما حكم به سليمان اقرب الى العدل والقياس وقد حكم رسول الله ان على اهل الحوائط حفظها بالنهار وما افسدت المواشي بالليل ضمان على اهلها فصح بحكم ضمان النفش وصح بالنصوص السابقة والقياس والصحيح وجوب الضمان بالمثل وصح بنص الكتاب الثنا على سليمان بتفهيم هذا الحكم فصح انه الصواب انتهى وقال النجاني اختلف في حكمهما

اي القصة الآتية صح

في هذه القضية هل كان بوحي فالثاني ناسخ للاول او باجتهاد بناء على ان كل مجتهد مصيب
وكونه فتيا يرده ان فتيا الانبيا حكم مع انه يأباه قوله اذ يحكمان وكذا لحكمهم قيل ويؤيد انه
اجتهاد قول سليمان اني رايت ما هو ارفق بالجميع وهو مبني على جواز خطاء الانبيا في اجتهادهم
وان لم يقروا عليه وفي التلويح هنا كلام يلوح عليه اثر الضعف على ان شريعة من قبلنا ليست
شريعة لنا مطلقا وقد ورد في الحديث ما يخالفه كما سمعته آنفا وقول ابي السعود ان راي
سليمان استحسان وراي داود قياس قيل انه غير سديد لان الاستحسان اما دليل ينقدح في
نفس المجتهد والهام الانبيا لا يكون الا صوابا او هو العدول عن قياس الى قياس اقوى منه وحينئذ
كل منهما قياس واجتهاد او هو العدول عن الدليل الى العادة لمصلحة ومثله من الانبياء جائز
ولا يخفى ما فيه وفي الكشاف ان حكم داود لان الضرر وقع بسبب الغنم فسلمت بجنايتها الى المجني
عليه كما قال ابو حنيفة في العبد اذا جنى جناية على نفس فيدفعه سيده او يفديه وعند الشافعي
يبيعه بذلك او يفديه ولعل قيمة الغنم كانت قدر النقصان في الحرث وسليمان جعل الانتفاع
بالغنم بازاء ما فات واوجب على صاحب الغنم ان يعمل في الحرث ما يزيل ضرره كما لو غصب عبدا
فابق في يده فان قيمته تدفع لسيده ينتفع بها فاذا ظهر ترد وفي هذا المقام كلام طويل لا حاجة
لنا به فان اردته فارجع اليه **وقد ذكر من حكم سليمان وهو صبي يلعب في قصة هم**
المرجومة وفي قصة الصبي ما اقتدى به ابوه داود كما اقتدى به في قصة الحرث وذلك
كان في صباه واول امره فهذا واشباهه مما يدل على انها امور جبلية غير كسبية وقصة المرجومة
كما حكاه التلمساني ان امراة كانت بارعة الجمال وهي من اهل الدين ولها حق فرفعت امرها لاحد
قضاة بني اسرائيل فلما راها افتتن بها وراودها عن نفسها فامتنعت ثم ذهبت لثان وثالث
ورابع فكل راودها عن نفسه واتت لداود نبي الله فحجبت عنه فاجمع الاربعة ان يقولوا لداود
ان لها كلبا تمكنه من نفسها وزنى بها ففعلوا وامر برجمها فرجمت فبينما داود يوما في علية له
مشرفا على صبيان يلعبون مع سليمان وفيهم صبي جميل فجعلوا سليمان قاضيا والصبي كمراة
ذات حق واربعة منهم قضاة وفعلوا مثل تلك القصة بتمامها من المراودة والتهمة ونحو ذلك بمرأى
من داود كما في قصة المرجومة ففرقهم سليمان وقال لاحدهم ما لونه فذكر لونا وكذا كلا
بانفراده فذكر كل لونا مخالفا للآخر فامر الصبيان فضربوهم فقتلوا وهكذا نقله غيره من الشراح
عن ابن عساكر مسندا وكذا نقله السيوطي في تخريج هذا الكتاب ولم يتعقبه فقول ابن رسلان
المراد المرجومة التي اريد رجمها لان داود اراد ان يرجمها ثم لما راى صنيع سليمان درا عنها
الحد فسماها المصنف مرجومة باعتبار ما يؤول او لانه اريد رجمها وتبع فيه غيره ولا يخفى انه
مخالف للظاهر فلا وجه لكلامه ولا لمن تبعه فيه ثم انه قيل ان هذا يقتضي انه كان في شرعهم
ان المراة الممكنة من نفسها حيوانا ترجم وان شاهد الزور يقتل وفي الشريعة المحمدية ان حكمها
التعزير وقصته هي ما رواه الشيخان عن ابي هريرة قال بينما امراتان معهما ابنان لهما فاخذ
ذيب احدهما فتحاكمتا الى داود فقضى به للكبرى فدعاهما سليمان وقال هاتوا سكينا اشقه بينهما
فقالت الصغرى رحمك الله هو ابنها لا تشقه فقضى به لها لشفقتها عليه ورضى الاخرى
بشقه ليتشاركا في المصيبة قال التجاني هذا مما لا شبهة في صحته واما الحديث الاول فالله
اعلم بصحته وقد ورد في الاسرائيليات على غير رواية ابن عساكر وان داود لم يرجمها وانما امر
برجمها فردوها على سليمان فاوقفها واحضر الشهود وفرق بينهم كما مر فرجع سليمان عن حكمه وعلى

هذا معنى ما مر من ان المرجومة هنا مجاز عمن اريد رجمها وفيه قول بين منها انه اذا تجوز
بالفعل عن ارادته لا يلزم وقوعه ومنها ان ابا هريرة قال والله ان سمعت بالسكين الا
ذلك اليوم ومنها ان داود يحتمل انه قضى به للكبرى لشبه بينهما وانه كان في شريعته يجوز
الالحاق بالشبه او لكونه في يدها والترجيح باليد شريعة واما سليمان فتوصل بلطف لمعرفة
باطن القضية فاوهمهما ارادة شقه ليسوي بينهما ومثله يفعله حذاق الحكام فيقضون
بامور لو جرت لم يقض بها شرعا ولعل الكبرى اقرت بانه ليس ولدها فرده باقرارها لا بمجرد
الشفقة فلذا نقض داود حكمه او ان في شرعهم انه يجوز للمجتهد نقض حكم المجتهد كما مر في
مزيل الخفا ومنها انه وقع في مسلم ان الصغرى قالت لسليمان لا يرحمك الله ويرحمك
الله جملة مستانفة دعائية لكنها موهمة للدعاء عليه وفي الاكمال ان السلف كرهوا مثله
لما فيه من الايهام بدليل ما روى عن ابي بكر الصديق قال لمن قال له مثله لا تقل هذا وقل
لا وروى بعضهم لا ويرحمك الله اقول يعني ان الواو تزاد لدفع الايهام كما تحذف له في
نحو قوله هم

وتظن سلمى انني ابغي بها • بدلا اراها في الضلال تهيم •

فانه لو قال واراها ربما ظن انه معطوف على ابغي وليس مراده ذلك وسال الرشيد رجلا عن
شيء فقال له لا وايد الله الخليفة فاستحسنه منه فلما سمعه قال هذه الواو احسن من واوات
الاصداغ في خدود الملاح وهذه الواو اما زائدة او اعتراضية او لعطف الانشاء على الخبر وكذلك
قصة فرعون واخذه بلحيته وهو طفل فرعون لقب لكل من ملك القبط وهذا هو مصعب
ابو الوليد بن ريان كان من القبط العمالقة عمر من الزمن اربعمائة سنة وسن موسى اذ اخذ بلحيته
ابن عامين وكان فرعون استعبد بني اسرائيل واستخدمهم وضرب عليهم الجزية فراى في منامه
او اخبره الكهنة ان زوال ملكه على غلام من بني اسرائيل فامر بقتل كل مولود يولد منهم فراى
اهل مملكته ان في ذلك ضررا عليهم لانهم خدمهم ويكفونهم المؤنة فعزموا على قتلهم عاما بعد
عام قيل وهو بعيد لاحتمال انه يولد عام استحيائهم واتفاق العقلاء على مثله غير ظاهر فتامل
ذا عام ولادته زوجا او فردا او غير نوع وولد هارون في عام الاستحياء وولد موسى في
العام الرابع من ولادته وكان عام قتل فخافت امه عليه فاوحى الله اليها على لسان ملك
او رات في منامها والقول الاول اما لان من لا يكون نبيا قد يرى الملك وقد جوزه جماعة من
السلف او لان امه كانت نبية والمشهور ان النبي لا يكون الا ذكرا قال التجاني وقد ذهب علما
قرطبة الى صحة نبوة المراة وصححه ابن السيد ونسبه ابن الهمام الى بعض اهل الظاهر فاوحى
الله اليها ان تتخذ تابوتا تضعه فيه وتقذفه في النيل ففعلت وكان النيل يدخل منزل
فرعون فبينما هو جالس دخل التابوت به عنده فاخذه آل فرعون ففتحته آسية امراة
فرعون فلما راته رحمته وسالت من فرعون ان تتخذه ابنا فاجابها لذلك فكانت تدخل عليه
به فاحبه وحمله يوما في حجره فمد يده للحيته وجذبها جذبا شديدا فغضب وقال
هذا عدو لي فامر بذبحه فناشدته الله وقالت انه لا يعقل فقال بل يعقل فقالت جربه
فجعل بين يديه تمرة وجمرة وقيل درة وجمرة وقال ان اخذ التمرة او الدرة فهو يعقل والا عذر
فلما مد يده للتمرة ضرب يده جبريل فاخذ الجمرة فاحرقت لسانه ومنها كان في لسانه عقدة
تمنعه ابانة بعض الحروف وهي التي ازالها الله بدعائه فعذره فلم يزل في حجره الى ان
كان من امره ما كان وموسى وقصصه ونسبه مذكور في محله والطفل يكون للواحد وغيره وقد

يختص بالواحد فيجمع على اطفال ● فائدة قيل كل مولود ذكرا او انثى يزيد كل سنة اربع اصابع
باصابع نفسه وكل احد طوله اربعة اذرع مقبوضة الاصابع بذراع نفسه والقوة تزيد الى
اربعين وتقف الى ستين وتنقص بعد ذلك وفرعون هذا غير فرعون موسى وقيل انه هو وانه
اسلم ثم ارتد وقيل ان موسى قال يا رب امهلت فرعون مع كفره فقال انه كان سهل الحجاب فكافاته
على ذلك في الدنيا **وقال ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل اي هديناه صغيرا قاله مجاهد
وغيره** هذا اصل التفاسير في العلم السابق وقيل المراد قبل موسى وهارون ● والرشد الاهتداء
لوجوه الصلاح ويقال رشد ورشد وبهما قرئ قال في الكشاف معنى اضافة الرشد له انه
رشد ثابت له ورد بان هذا المعنى حاصل بدون الاضافة لو قيل آتيناه رشدا له افاد ذلك
مع التعظيم ولم تفهم مراده اذ مراده انا اتيناه رشدا معلوما من حاله لايقا به وبامثاله من الرسل
لا كرشد غيره **وقال ابن عطا اصطفاه قبل ابتداء خلقه** اي اختاره رسولا وخليلا لا في علمه
فانه لا يختص به بل المراد انه حين اراد خلقه في بطن امه امر الملائكة ان تكتب اصطفاه
وخلقه تنويها به وتعظيما للقدرة بخلاف غيره فانه انما يكتب حاله بعد خلقه والظاهر ان المعنى
انه اصطفى روحه في عالم الذر قبل خلق جسده كما في حديث كنت نبيا وآدم الخ ● وفي نسخة
قبل ابداء خلقه قيل لما كان من قبل هذا المعنى قبل خلقه ولا معنى لهدايته قبل خلقه اوله
باصطفاه اللازم له لصحة اصطفاه المقدوم ● وقال بعضهم لما ولد ابراهيم بعث الله اليه
ملكا يامره عن الله ان يعرفه بقلبه ويذكره بلسانه فقال قد فعلت ولم يقل افعل فذلك
رشده يعني عبر بالماضي الدال على وقوعه قبل امره فيكون المعنى آتيناه رشده قبل امره فيدل
ذلك على ان الايمان وامتثاله بذكر ربه امر جبلي مجبول عليه او امر عرفه به في عالم الذر
والارواح فيكون بمعنى ما قاله عطا او المراد انه عبر بالماضي لسرعة امتثاله حتى كانه وقع
منه فمعنى من قبل على هذا من قبل امره لا من قبل بلوغه كما قيل **وقيل ان القاء ابراهيم في النار ومحنته**
التي وقعت له مع نمرود فانه كما رواه ابو صالح عن ابن عباس ولد في زمنه وكان له كهنة فقالوا
له يولد في هذه من يفسد الارض ويدعوهم الى غير دينهم وهلاك اهل بيتك على يديه فعزل
النساء عن الرجال ودخل آزر الى بيته فوقع على زوجته فحملت فقال له الكهنة ان الغلام قد
حمل به الليلة فقال اقتلوا كل غلام ولد فلما اخذ ام ابراهيم المخاض خرجت هاربة فوضعته في
نهر يابس ولفته في خرقة ووضعته في حلفا واخبرت به اباه فاتاه وحفر له سربا وسد عليه
بصخرة فكانت امه تختلف اليه فترضعه حتى شب وتكلم فقال لامه من ربي فقالت انا فقال
من ربك فقالت ابوك قال فمن رب ابي فقالت له اسكت فسكت فرجعت الى زوجها فقالت
له الغلام الذي يتحدث انه يغير دين اهل الارض ابنك فاتاه فقال له مثل ذلك **كانت وهو
ابن ستة عشر سنة** قال اليماني المعروف انه ابن ست وعشرين كذا في الكشاف والذي اشار
باحراقه رجل من اعراب العجم وهو الكرد ولما هموا باحراقه حبسوه وبنوا حظيرة وجمعوا الحطب
الكبار الصلاب شهرا حتى كان من مرض ينذر بجمع الحطب له ثم اشعلوا نارا عظيمة اذا مرت بها
الطير احترقت لشدتها ثم وضعوه في منجنيق مقيدا مغلولا ورموه فيها فناداه جبريل يا نار
كوني بردا وسلاما على ابراهيم فلم يحترق غير وثاقه فقال له حين ألقي الك حاجة فقال اما اليك
فلا حسبي من سؤالي علمه بحالي وقيل نجا بقوله حسبي الله ونعم الوكيل واشرف عليه نمرود من
صرحه فاذا هو في روضة معه جليس من الملائكة فقال اني مقرب الى الهك فقرب اربعة الاف

بقرة

بقرة وكف عنه وقصته مذكورة في القرآن مفصلة في التفسير ● واعلم ان نمروذ
كما قاله السهيلي بضم النون وذال معجمة وقد تهمل انتهى قيل لما ارادوا رميه لم يقدروا على
القرب منه فعلمهم ابليس صنعة المنجنيق فلما ارادوا رميه لم يقدروا على القرب منه ولم
يتم لمنع الملائكة له فامرهم ابليس بان يحضروا نساء مكشوفة الفروج فصعدت الملائكة
وان ابتلاء اسحاق بالذبح وهو ابن سبع سنين وقيل ثلاث عشر سنة وهذا بناء على ان
الذبيح اسحاق كما عليه اهل الكتاب وكثير من المفسرين والمحدثين حتى صنف السيوطي في تصحيحه
رسالة مستقلة والمشهور وهو مذهب الجمهور انه اسمعيل وهو قول اكثر الصحابة كابن عباس
وابن عمر ومغاربة وهو الظاهر فان سارة زوجة ابراهيم كانت لا ولد لها وهاجر جاريته قد
ولدت اسمعيل فغارت منها وكرهت مقامها معها فنقلها الى مكة ومعها اسمعيل وكان بناؤها فلما
كبرت سارة وشاخ ابراهيم بشرتهما الملائكة باسحاق فقالت االد وانا عجوز الآية كان الذبيح
اسحاق ناقض ذلك اخبار الله بانه سيولد له يعقوب ولا يصح انه امر بذبحه بعد ما ولد له
يعقوب للاجماع على انه في صغره كما مر ولقوله فلما بلغ معه السعي ولانه في الصافات ذكر
بشره باسحاق بعد قصة الذبح وبهذا احتج مالك وغيره وورد في الحديث انا ابن الذبيحين
يريد عبد الله واسمعيل وفي تفسير الطبري عن ابن عباس تزعم اليهود ان اسحاق هو الذبيح
وكذبوا وقال بعض من اسلم من احبارهم انهم يحسدونكم معشر العرب ان تكون هذه الفضيلة فيكم
وقال الاصمعي سالت ابا عمرو عن الذبيح فقال اعزب عنك عقلك الم تر الموضع الذي اضطجع
فيه الذبيح بمكة ومنى ومتى دخل اسحاق مكة وقال ابن الجوزي هو الصواب والقول بانه اسحق
باطل باكثر من عشرين وجها واطال فيها ابن القيم في الهدي وقال المحب الطبري الاكثر على انه
اسحاق ورجحه هو وغيره والصحيح ما مر ويدل له حديث انا ابن الذبيحين وقصة ذبح ابيه عبد
الله مشهورة لان عبد المطلب نذر ان بلغ بنوه عشرة ان يذبح واحدا منهم تقربا الى الله فلما كملوا
اتى بهم البيت وضرب عليهم القداح فخرج قدح عبد الله ففداه كما هو مشهور والقول بان المراد
عبد الله وهابيل بناء على ان الذبيح اسحاق كما نقله مغلطاي مع غرابته لا يعلم له وجه لانه لم
يتعين انه من ولده وهابيل الا ان يحمل العم منزلة الاب ولا يخفى ما فيه من التعسف **وان استدلال
ابراهيم بالكوكب والقمر والشمس كان وهو ابن خمسة عشر شهرا** ووجه الاستدلال ان
الاجرام السماوية آفلة وكل آفل فهو متغير وكل متغير حادث ولا شيء من الحادثات بصانع فلا شيء
من هذه الاجرام بصانع وتلك الاصنام كهذه الاجرام في التغير فلا شيء منها بصانع بل هي دونها
فيثبت لها ذلك بالطريق الاولى فالصانع المغاير لها موجود اذ لابد للعالم من صانع فثبت
المطلوب بدليل مؤلف من قضايا تستلزم لذاته قولا آخر هو النتيجة والدليل ما يدل بالقوة وان
كان مفردا وهو المعرف بما يمكن التوصل بصحيح النظر فيه الى العلم بمطلوب خبري كالعالم المستدل به على
وجود الصانع والاجرام المذكورة وكان ابراهيم لما اختفته امه في غار خوفا عليه كما مر مكث في
الغار عشرة اعوام كما في عيون المعاني او خمسة عشر شهرا كما حكاه المصنف فلما عقل سال امه من
ربي كما مر فقالت انا فقال من ربك قالت ابوك فقال من رب ابي فقالت الملك فعرف جهلها
ونظر ما يستدل به عليها فراى النجم فقال هذا ربي الى آخر ما قصه الله والاقوال بناء على ان هذا
قبل بلوغه في الغار وقيل انه بعد بلوغه او بعد بلوغه في الغار وخروجه منه وقد بعثه الله
نبيا وعمره اكثر مما ذكر وهو الذي يقتضيه ظاهر القرآن لانه حكى عنه انه قال لابيه اتتخذ اصناما الخ

ثم عقبه بقوله وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات الخ ثم ربط به قوله فلما جن عليه الليل
الخ فدلت الفا على كونه بعد هذا كله وقوله وتلك حجتنا الخ يدل على مناظرته مع قومه لترشدهم
للايمان بالصانع لا لنفسه ويبينه قوله ياقوم اني بريء مما تشركون ولو كان في الغار نظرا
لنفسه قال اني بريء من الاشراك فاذا ثبت هذا وانه موحد جازم بعدم ربوبية الكواكب
فقوله هذا ربي اما لانه اتى في المناظرة بما قالوه ليكر عليه بالابطال لانه مسلم عنده او
قوله هذا ربي على تقدير الاستفهام والاستفهام انكاري او هو على تقدير اي يقولون هذا
ربي وتقدير قالوا هو البحر حذفت عنه ولا حرج وهو في القرآن كثير وانه عرف بعدم طباعهم
عن قبول الحق لو صرح به ابتداء فاتى بما يستدرجهم الى استماع حجته بان اسمعهم ما يوهم موافقته
لهم فاذا اصاخوا له اورد الدليل المبطل لما يعتقدونه بما هو اتم وانفع وهذا قريب من
الاول وان فرق بينهما بما في هذا من الايهام وعدم اظهار الانكار وسيأتي في القسم الثالث ما
يتعلق بهذا وقول المصنف استدلاله وهو ابن خمسة عشر شهرا ان كان قصد به دفع ما قيل ان
الانبياء موحدون لا يصدر منهم شك في الله وحدانيته فكيف صدر هذا من الخليل بانه صدر
منه قبل سن التمييز وهو غير مكلف فليس بكفر ولا جهل بالله فغير مناسب فانه يجب ان يعتقد
انهم اعرف الناس وانهم مجبولون على فطرة سليمة موحدون فالاولى ما قدمناه من التاويل
وقد تقدم ان الاصح انه صدر منه بعد بلوغه بل وبعثته فان سياق الآية ناطق به كما قررناه
اولا وهو ما ارتضاه القرطبي وفي تفسيره وقيل انه قاله في طفوليته من غير اعتقاد ولا
قصد كذب والقول بانه بعد البعثة فاسد وقوله وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات
والارض قصة اخرى لانه قصد النظر لنفسه والفا ليست للتعقيب كلامه هذا على ما
قاله لا بنيه وانما هو من قبيل المعاريض تعريضا بجهل عبدة الاصنام وتضليل قومه والقول
به على تقدير مضاف اي هذا مخلوق ربي ولا يخفى بعده وقيل اوحى الله الى يوسف وهو صبي
هذا الوحي يحتمل ان يكون برسول من الملائكة ارسله الله اليه وهو طفل ان لم يقل انه لم يبعث
نبي الا بعد الاربعين وهو وان اشتهر فقد روى المحدثون والمفسرون ما يخالفه ويحتمل
انه بالهام او رؤيا منام وقد ذهب الى كل من هذه الاقوال طائفة وفي الكشاف ان يوسف
كان اذ ذاك مدركا وعمره سبع عشرة سنة وهو مخالف لما قاله المصنف من انه كان صبيا عند
ما همّ اخوته بكسر الهمزة وضمها جمع اخ بالقائه في الجب بضم الجيم وتشديد البا وهو البئر
غير مطوية بالحجارة وسميت بالجب من الجب وهو القطع والجب ببيت المقدس وقيل بالاردن
على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب وقصة القائه مشهورة غنية عن البيان وسيأتي
ذكر اخوته وقصتهم بقوله تعالى فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه في غيابت الجب واوحينا
اليه لتنبئنهم اي لتخبرن يا يوسف اخوتك بامرهم هذا وهم لا يشعرون وهذه جملة حالية
اما متعارضة بقوله اوحينا او بقوله لتنبئنهم وذلك لانه كان صغيرا كما قاله المصنف وقيل
بل كان ابن اثنتي عشرة سنة او ثمانية عشر فعلى الاول هو ممن نبئ واوحي اليه في صباه كيحيى
وعيسى فالوحي في الآية على ظاهره كما ذهب اليه المصنف وقوله همّ هو معنى قوله اجمعوا امرهم
لان معنى اجمع عزم وهمّ كانه جعل رايه جمعا بعد ما تفرق وهو يقتضي ان الوحي وقع له حين
همّوا بالقائه وفي الآية ما يقتضي انه وقع بعد القائه قال القاضي انهم اتوا بيوسف الى البئر
ودلوه فتعلق بشفيرها وربطوا يديه ونزعوا قميصه ليلطخوه بالدم حيلة منهم فقال ردوا

فيضي

فيضي اتواري به فقالوا ادع الاحد عشر كوكبا يلبسوك ويؤنسوك فلما بلغ نصفها القوه
فيها وفيها ماء فاوى الى صخرة بها وقام عليها يبكي فجاءه جبريل بالوحي كما قال الله انتهى وهذا
يقتضي ان الوحي بعد الالقاء تطييبا لقلبه وهم يظنون انه معذب مذلل وهم لا يشعرون
ان الله اراد به ما بشره به من نصره فالحال من ضمير اوحينا والاولى جعله حالا من قوله
لتنبئنهم اي لتحدثنهم بما فعلوا وهم لا يشعرون انك يوسف لبعد العهد وتغير حالك فهو
اشارة لما وقع لهم لما اتوا ممتارين ليعلم ان المحنة تنقلب منحة الآية اي اذكر الآية التي
فيها ما ضاهاها الى غيره ذلك ومن اخبارهم اي اخبار الانبياء الدالة على انهم مجبولون
على الكمال من ابتداء امرهم في صغرهم وقد حكى اهل السير ما يدل على ذلك ان امنة بنت
وهب ام النبي صلى الله عليه وسلم اخبرت ان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم حين ولد
اي خرج من بطنها حين اراد الله اخراجه منها فلا صعوبة فيه وقيل حين ظرف متعلق بباسطا
وهو حال من الضمير المستكن في ولد الاول والظرف موكد لدفع ان الحال مقدرة باسطا يديه
الى الارض رافعا راسه الى السما رواه ابن الجوزي في الوفا عن ابي الحسين ابن اسيد من سلا
قال قالت امنة ولدته جاثيا على ركبتيه ينظر الى السماء ثم قبض قبضة من الارض واهوى ساجدا
وولد وقد قطعت سرته وكنت وضعت عليه اناء فوجدته قد تفلق الاناء عنه وهو يمص
ابهامه يشخب لبنا انتهى وروى الطبراني انه لما وقع الى الارض وقع مقبوضة اصابع يده
مشيرا بالسبابة كالمسبح بها وله نظائر ذكرها ابن حجر في كتاب المولد قيل ولا منافاة بين
قبض اصابعه في هذا الحديث من قبض اصابعه وبين ما في سيرة ابن اسحاق من انه ولد واضعا
يديه في الارض رافعا بصره وانه كان مسبحا اقول اما التسبيح فلا دلالة في الحديث
عليه واما عدم المنافاة لما في سيرة ابن اسحاق فمسلم لكنه مناف لما ذكره المصنف الا بتاويل
بعيد ولله در الابوصيري في قوله

رافعا راسه السماء وفي الرفـ • ـع الى كل سودد ايماء

وقال في حديثه صلى الله عليه وسلم لما نشأت اي صرت شابا وهذا الحديث رواه ابو نعيم
في الدلائل عن شداد بن اوس بغضت بالبنا للمجهول اي بغضها الله الي الاوثان جمع وثن
وهو حجارة كانت تعبد من اوثنته اذا اجزلت عطيته واوثنت كذا اكثرت منه قاله
الراغب وقيل الوثن ما له جثة مما يعبد والصنم الصورة بلا جثة ومنهم من سوى بينهما
ويطلق على الصليب وكل ما يشغل عن الله وبغض الي الشعر اي استماعه والتلفظ به
ولم اهمّ بشيء مما كانت الجاهلية تفعله الا مرتين فعصمني الله منهما ثم لم اعد
وكونه بغض اليه الشعر لا ينافي قوله ان من الشعر لحكمة لان منه ما يحمد كالحكم والمواعظ ومدح
النبي وهجا الكفار كما قال تعالى وانهم يقولون ما لا يفعلون الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات
وقد استمعه صلى الله عليه وسلم واجاز قائله وقال لقائله لا يفضض الله فاك لان الامر
المذموم قد يحمل لعارض او يقال تعريف الشعر للعهد وقوله اهمّ بفتح الهمزة وضم الهاء
كما قاله البرهان الحلبي وفسر بمعنى لم ارد واقصد وهذا اشارة الى حديث صحيح رواه م
البزار مسندا عن علي بلفظه ما هممت بشيء مما كان اهل الجاهلية يعملون به غير مرتين كل ذلك
يحول الله بيني وبين ما اريد ثم ما هممت بعدها بشيء حتى اكرمني الله برسالته ورواه
في المستدرك بلفظ آخر قلت ليلة لفتى من قريش كان بأعلى مكة يرعى غنما ابصر لي غنمي

حتى استمر هذه الليلة بمكة كما يسمي الصبيان فجئت ادنى دار من دور مكة فسمعت غناء وصوت دفوف ومزامير فقلت ما هذا فقيل فلان تزوج فلانة فلهوت بذلك الغناء وذلك الصوت حتى غلبتني عيني فما ايقظه الا حر الشمس ثم رجعت الى صاحبي فقال لي ما فعلت فاخبرته ثم فعلت الليلة الاخرى والله ما هممت بغيرهما مما يفعله الجاهلية وروى ان الله القى عليه النوم في المرتين صيانة له وليس في هذا ارتكابه لمحرم لانه قبل تحريم السماع ه
ولان ضرب الدف في العرس غير ممنوع واما النهي عن سمر الليل فليس نهي تحريم مطلقا وكان مباحا اذ ذاك مع انه شرعا قد يكون افضل من النوم كمذاكرة العلم وانما يحرم او يكره لعارض كما ذكره الفقها وقوله فعصمني الله اي حفظني من ذلك لما غلب عليه من النوم حتى لم يسمع وما وقع في بعض الشروح من كلامه اشارة الى انه كان لقريش صنم يسمى بوانه يجتمع عنده في كل عام فقالوا له انك لا تجتمع مع قومك ولا تكثر لهم جمعا فذهب ثم عاد مرعوبا لرؤية رجل طويل حال بينه وبينها تغير مناسب هنا مع ان في روايته كلاما للسهيلي ليس هذا محله والمراد بالجاهلية ما كان قبل البعثة في زمن الفترة كما تقدم **ثم يتمكن الامر لهم وتترادف نفحات الله عليهم** الضمير للانبيا والظاهر انه معطوف على غرزت بقوله بل غرزت فيهم الاخلاق الخ وعطفه بثم نبيه او زمانه باعتبار الابتدا او الانتها وتتمكن بمعنى تقر وتثبت لا بمعنى تزداد لانه تفعل من المكان والمراد بالامر ما اودع ه
فيهم من الكمال والعلوم والحكم وتترادف تفاعل من الردف وهو الركوب خلف غيره والمراد تتوالى فيأتي بعضها عقب بعض ونفحات بفتحتين جمع نفحة بالسكون وهي في الاصل رائحة تاتي مع هبة من النسيم طيبة وهي هنا بمعنى الهبة والعطية قال

لما اتيت ارجو افضل نائلكم ... نفحتني نفحة طابت لها العرب

والمراد هنا امداد الله لهم بوحي وغيره واطلاق النفحة على ما يصيب من الشر مجاز تهكم كقوله تع مستهم نفحة من عذاب ربك وفي الحديث ان لربكم نفحات الا فتعرضوا لها **وتشرق انوار المعارف في قلوبهم** تشرق بمعنى تضيء يقال اشرقت الشمس اذا اضاءت وشرقت اذا طلعت والمعارف العلوم الربانية **حتى يصلوا الغاية** اي غاية الكمال في التخلق باخلاق الله **ويبلغوا باصطفاء الله تعالى لهم** اي بجعلهم من صفوة خلقه الذين اختارهم بالنبوة متعلق بيبلغوا او باصطفاء **في تحصيل هذه الخصال الشريفة النهاية** التي لا يصل اليها غيرهم والغاية والنهاية واحد **لكنه تفنن في العبارة دون ممارسة** اي من غير تكرار عمل ومزاولته **ولا رياضة** اي تمرين على العمل باعتباره من رضت الدابة روضها اذا عودتها السير والجري **قال الله تعالى ولما بلغ اشده** اي موسى بلغ نهاية قوته وتمام عقله وهو من ثلاثين الى اربعين اي ما بين ثماني عشرة الى ثلاثين وهو مفرد او جمع لا واحد له او واحده شدة او شد بالفتح او الكسر وقيل خمسا وعشرين لما روي عن عمر انه قال منتهى لب الرجل اذا بلغ خمسا وعشرين قيل هذا الانبا في ما مر لما ذكره الفقها من ان رشد البالغ بلوغ هذا السن لانه حال كمال لبه كما مر عن عمر **واستوى** ذكر الاستوا في قصة موسى ولم يذكره في قصة يوسف قال التلمساني لان الاستوا كمال العقل ووقت الرسالة وموسى ارسل في ذلك الوقت ويوسف لم يرسل حينئذ ونقل ابن مرزوق عن ابن عرفة انه قال قال ابن جماعة من استوى في خمسين سنة فقد بلغ انتهاء الكهولة وهو مجتمع

الاشد

الاشد ومن بلغ اربعين فقد بلغ حد الاستوا ومنتهى الكمال انتهى **آتيناه حكما** اي نبوة **وعلما** بالدين وسياسة الامة وكذلك نجزي المحسنين علق وقوع الجزاء بالاحسان والتنبيه على انه انما جازاهم لكونهم محسنين اي مخلصين مراقبين لله في افعالهم وهل جزاء الاحسان الا الاحسان واستشهد المصنف بهذه الآية لانه تع اخبر فيها بكمالهم وترادف نفحات الله عليهم حتى ارتقوا الى اقصى الدرجات من غير سبق ممارسة ورياضة **وقد يخلق غيرهم** اي غير الانبيا **بطبع** اي يخلق مجبولا **على بعض هذه الاخلاق الشريفة دون جميعها** وفي نسخة دون بعضها **ويولد عليها** موجودة فيه وجودا متاصلا وهذا كالتفسير لما قبله **فيسهل عليه اكتساب تمامها عناية من الله عز وجل** منصوب بنزع الخافض اي بعناية الله ولطفه اذ جبله على اصولها **كما يشاهد من خلقة** بكسر الخاء المعجمة وسكون اللام وها تانيث او بفتحها مضافا لضمير الله والاول اولى وعليه اقتصر ابن رسلان **بعض الصبيان على حسن السمت** السمت الطريق وهيئة اهل الخير يقال ما احسن سمته اي هديه وسيرته وقد ورد في الحديث بهذا المعنى **او الشهامة** اي او خلقه على الشهامة بفتح الشين المعجمة والهاء والميم اي حدة الفؤاد والذكاء والجراءة والنفاذ في الامور يقال رجل شهم اذا كان ستيرا نجيبا نشيطا في اكتساب المعالي وعدم الالتفات للملاحات والخصومة وفي الحديث من لاحى الرجال سقطت مروءته وذهبت كرامته وما زال جبريل ينهاني عن ملاحات الرجال كما ينهاني عن عبادة الاوثان **او صدق اللسان او السماحة** كان الظاهر عطفها بالواو ولكنها لما اتى بها بيانا لبعضها اتى او الفاصل انسب **وكما نجد بعضهم على ضدها** اي ضد هذه المذكورة كالكذب والبخل وعبر بعلى لانه متمكن منها تمكن الراكب من مركوبه كما في قوله على هدى **فبالاكتساب يكمل ناقصها** فان قلت لم عبر هنا بالكمال وقبل بالتمام وهل هو تفنن في التعبير او بينهما فرق . قلت قال العتبي بينهما فرق الا انه لم يفصح عنه وقال ابن ابي الاصبع في كتاب التوكيد الفرق بينهما ان التمام الاتيان بما نقص من الناقص والكمال الزيادة على التمام . فاذا قلت رجل تام الخلق لم يفهم منه السامع غير ذلك كان او غيره الا انه تام الخلق ليس في اعضائه نقص فاذا قلت انه كامل فهم وصفه بمعنى زائد على التمام كالحسن والفضيلة الذاتية او العرضية وهذا هو المتداول بينهم فالكمال تمام وزيادة فهو اخص منه وقد يطلق كل منهما على الآخر تجوزا وعليه قوله تع اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي انتهى . وما ذكره المصنف يمشي على الآخر حيث جعل ما في حق الانبيا تماما وفي حق غيرهم كمالا ولو عكس كان احسن **وبالرياضة والمجاهدة يستجلب** بالجيم والبنا للمجهول اي يكتسب ويحصل من لم يطبع على شيء منها وطبع على ضدها وان لم يكن الطبع كالنطع وهذا قسم آخر غير ما تقدم فان الاول وهو مرتبة الانبيا ان يطبع على جميعها والثاني ان يطبع على بعضها ويكتسب البعض وهذا ان يطبع على عدمها ويكونه ناقصا لم يتعرض له اولا فسقط ما قيل ان الرياضة والمجاهدة طريق الاكتساب وقد قرر انه يطبع على بعض هذه وبالاكتساب يكون كمالها الى كمال البعض الخلقي الا انه بعينه استجلاب المعدوم بالنسبة لذلك البعض **معدومها ويعتدل منحرفها** المراد بمنحرفها المائل عن الاعتدال المحمود لانه هو الطريق فمن فرط او افرط فقد مال عنه وهذا بناء على القول الاصح ان الطباع

يمكن تغييرها والالصاق المواعظ والنصايح وكان الانسان دون البهايم التي برياضتها
قد يتعلم ما ليس في طباعها وقد قال تع وعظهم وقل لهم في انفسهم قولا بليغا وقول الشاعر
• تكرم لتعتاد الجميل فلم ترى • اخا كرم الا بان يتكرما •
كما فصل في علم الاخلاق وباختلاف هذين الحالين الجبلي والكسبي تتفاوت
الناس فيها اي في الصفات المحمودة قلة وكثرة وقوة وضعفا وكل ميسر لما خلق له
هذا من الامثال النبوية وجوامع الكلم وهو بعض من حديث واوله اعملوا فكل ميسر لما
خلق له فمن خلق سعيدا يعمل عمل اهل السعادة والتوفيق خلق قدرة الطاعة والخذلان خلق
قدرة المعصية وقال تع فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى واما
من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى وللهذا اي التفاوت بين الناس
فيها ما قد اختلف السلف فيها ما في اكثر النسخ وهي موصول اسمي او حرفي او زايدة
ولذا سقطت من بعض النسخ وهو الاظهر والمراد بالسلف من تقدم من العلما هل هذا
الخلق الحسن الذي يحمد به الناس جبلة او مكتسبة الجبلة والغريزة والطبيعة
والسليقة بمعنى هي بكسر الجيم والبا وتشديد اللام وتخفيفها فحكي الامام المفسر
محمد بن جرير الطبري عن بعض السلف الخلق الحسن الذي يجمع اكثر الطبايع المحمودة
جبلة وغريزة خلقها الله في العبد وتعبيره بالعبد ايماء الى تخلقه باخلاق الله سيده
وحكاه عن عبد الله بن مسعود والحسن البصري وبه قال هو اي ابن جرير صرح
به لانه لا يلزمه من حكايته اعتقاده له والصواب ما اصلناه اي قدمناه وجعلناه
اصلا وقاعدة فيما مر من ان منها ما هو جبلة غير مكتسبة ومنها ما هو مكتسب بالتعلم
والرياضة وقد تقدم الكلام عليه وقد روي سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه عن
النبي صلى الله عليه وسلم كل الخلال بكسر الخا المعجمة بوزن رجال جمع خلة بالفتح
وتشديد اللام وهي الخصلة والصفة يطبع عليها المؤمن الا الخيانة والكذب وهو
حديث صحيح رواه احمد في مسنده والبيهقي في شعب الايمان وابن ابي شيبة في المصنف
عن ابي امامة ورواه ابن ابي الدنيا عن سعد مرفوعا وموقوفا وقال الدارقطني في العلل
الموقوف اشبه وعنه صلى الله عليه وسلم كما رواه الذهبي يطبع المؤمن على كل شي الا الخيانة
والكذب والخيانة ضد الامانة وهي تشمل امورا كالسرقة وانكار الوديعة وخيانة غيره
بالنظر لزوجته ونحو ذلك والكذب معروف يعني ان هذين لا تكون طبيعة مخلوقة في
المؤمن مطلقا لان المؤمن جبلته وفطرته سليمة وهاتين الخصلتين في غاية القبح فلا
يعتاد اتصافه بهما وان كانت هذه الخصلة لا تقتضي كفرا او المراد المؤمن الكامل وقال
عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال السيوطي رواه عنه سعيد بن منصور في سننه وابن
جرير وابن ابي حاتم في حديثه والجراة بوزن الجرعة وقد تنقل حركة الهمزة للام وتحذف
وهي الشجاعة او اعم منها ومقابله ما اشار اليه بقوله والجبن بضم الجيم والبا وتخفيف
النون وقد تسكن باوه وهو عدم الاقدام للخوف وضد الشجاعة واما الجبن الماكول
فبتثقيل البا والنون وقد تخفف فيكون كهذا ولذا تملح القايل ❊
• يقولون لي هلا اجترات لدى الوغى • وكنت شديد الباس في الضرب والطعن •
• فقلت دعوني فانما بسلامتي • فاني ممن ياكل الخبز بالجبن •

غرايز يضعها الله حيث يشاء وفي هذا وما قبله دليل لما صوبه فانه فيما قبله
جعل الخيانة غير مطبوعة وفي حديث عمر جعل الخيانة والجراة غريزتان فدل لا على ما ادعاه
من ان منها ما هو طبيعي ومنها ما هو غير طبيعي وهذه الاخلاق المحمودة والخصال الشريفة
كثيرة لا يمكن استيفاء اقسامها تفصيلا ولكنا نذكر اصولها التي تتضمن باقيها اجمالا
ونشير الى جميعها اشارة لا تصريحا وتحقق وصفه صلى الله عليه وسلم بها ان شاء الله
تعالى اي المقصود من ذكرها ❊

• فصل اما اصل فروعها •

هذا الفصل معقود لبيان اصول الاخلاق وفرعها والاشارة الى جميعها تلويحا لتحقق وصفه
صلى الله عليه وسلم بها وضمير فروعها للاخلاق المذكورة قبله وعنصرها هو بضم الصاد
وفتحها والاول اشهر والثاني افصح ومعناه الاصل والمادة والعناصر اذا اطلقت يراد بها
التراب والما والهوا والنار لتركب جميع الاجسام منها والينابيع في قوله ينابيعها جمع
ينبوع وهو ما ينبع منه الما كالعين وكل ما ينفجر منه الماء ونقطة دايرتها والنقطة جزو
من الخط والسطح مركب من خطوط مسطحة فاذا كان السطح مستديرا يكون في حاق وسطه نقطة
جميع الخطوط الخارجة منها الى الخط المستدير الذي يحيط بالسطح متساوية فتلك النقطة
تسمى مركزا وذلك السطح يسمى دايرة وكذا الخط المحيط به ويصح ارادة كل منهما هنا فشبه
العقل الذي مبنى الاخلاق عليه بشجرة اصلها العقل وفروعها الاخلاق ونورها وثمرتها
ما يظهر منها وينتفع به غيره منها ثم شبهه بنقطة في الوسط المعتدل بتساوي جميع جوانبها
والاخلاق كسطح او خط يحيط بها فقال فالعقل وهو مشتق اي ماخوذ من عقله اذا شده
فمنعه من الحركة لانه يمنع صاحبه مما لا يليق او من المعقل وهو الملجا لالتجاء صاحبه اليه
وهو كما قال الراغب يقال للقوى المتهيئة لقبول العلم ويطلق على العلم المستفاد منه
ولذا قال علي رضي الله عنه العقل عقلان مطبوع ومسموع ولا ينفع مطبوع اذا لم مسموع
كما لا ينفع ضوء الشمس وضوء العين ممتنع وفي الحديث ما كسب احد شيا افضل من عقل يهديه
الى هدى او يرده عن ردا • وقال بعض الحكما هو جوهر • وقال آخرون جسم شفاف
محله الدماغ او القلب والصحيح انه قوة نفسية وهي منشا الادراك وليس المراد به هنا
العقل المعاش المسمى بالعقل الكفاف كما قيل لان اهل الشرع لا يقولون بمثله وقوله الذي
ينبعث منه اي ينشا ويخرج وهذا ناظر لكونه ينبوعا وقوله العلم والمعرفة بمعنى يطلق
للادراك وبمعنى ادراك الكليات والمعرفة ادراك الجزئيات وقيل انها ما سبق بالجهل
وقال البيضاوي انها تكون بمعنى العلم كما ان العلم يكون بمعنى المعرفة كما في قوله تع وآخرين
من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم اي الله يعرفهم والعلم بمعنى المعرفة قال الفاضل المحشي
معترضا عليه صرحوا بان العلم بمعنى المعرفة لا يطلق على الله لاقتضايه سبق الجهل وتبعه
فيه السيد في شرح المواقف في قوله علم الله لا يسمى معرفة لا اصطلاحا ولا لغة اجماعا
وخطاه فيه الحافظ العراقي في نكتة على المنهاج فقال ان امام الحرمين فسر العلم به
واطلاق المعرفة على علم الله ورد في الحديث وكلام الصحابة واهل اللغة والمتكلمون انتهى
فاي اجماع مخالف هنا ومثله عجيب من الشريف ويتفرع اي ينبني ويظهر ناظر لكونه اصلا
عن هذا عداه بعن لتضمينه معنى ينشا والمعروف تعديته بعلى وهذا اشارة للاصل

الذي هو العقل نقوب الراي اي نفاذ رايه فيما يفكر فيه ويدرك منه عواقب الامور
ومنه كوكب ثاقب اي مضئ فقوله وجودة الفطنة وهي الحذق وسرعة الانتقال
والاصابة اي موافقة الصواب فيه تفسير لنقوب الراي وصدق الظن اي موافقته
للواقع كاليقين كما قال

الالمعي الذي يظن بك الظن • كان قد راي وان سمعا •

والنظر للعواقب اي كانه ينظر عواقب الامور ويشاهدها كما قال

واني لارجو الله حتى كانما • ارى بجميل الظن ما الله صانع •

ومصالح النفس بجرو معطوف على العواقب او مرفوع معطوف على نقوب الراي اي ما
فيه صلاح وخيرها ومجاهدة الشهوة اي مدافعتها ومنعها عما تريده فانه جهاد اكبر
واعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك وحسن السياسة لغيره بامره من ساسه
اذا حكم عليه وهو لفظ عربي لقوله

وكنا نسوس الناس والامر امرنا •

وليس معربا كما توهمه ابن كمال في رسالة التعريب والتدبير النظر في ادبار الامور
وعواقبها وهو عطف تفسير لما قبله ايضا واقتناء الفضايل اي اكتسابها والتحلي بها
وتجنب الرذايل اي ترك كل ما يذم وينقص به الانسان كالكذب والخيانة وقد اشرنا
اي ذكرنا فيما تقدم مما اوردناه في صفاته والاشارة وان كانت تطلق على ما يقابل العبارة
قد يراد بها العبارة ايضا لنكتة الى مكانه منه عليه الصلاة والسلام الضمير الاول له
صلى الله عليه والثاني للعقل والمكان المرتبة المعنوية في الفضايل يقولون فلان بمكان من
الفضل يريدون علو رتبته فيه وقيل المراد مكانه من العقل بمعنى انه حاير له وما لك لامره
على طريقة التجريد مبالغة في تمكنه منه ولا يخفى ما فيه من التكلف من غير داع له ومن
العلم الغاية التي لا يبلغها بشر سواه كما سنبينه واذ حلاه له محله من ذلك قيل الظرف
متعلق بقوله حارت العقول التي في آخر الفصل اي حارت العقول وقت حلوله الخ واذ تعليلية
اي حارت العقول لاجل الخ • وقيل انه علة للاشارة الى مكانه منه وبلوغه غايته اي من اجل
ان حلاه له محله الخ واذ تعليلية كما في قوله تعالى ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم • وقيل المعنى
من اجل ان حلاه له محله تحقق بحسب اعتقاد ذلك ويجوز ان يكون لمجرد التحقق ولا يخفى ما في
هذا كله من التكلف والذي ظهر لي انه معطوف على ما قبله لانه يعلم من اشارته الى مكانه منه
لم يبلغه غيره علو ظاهر فيه فكانه قال اذ علو قدره فيه محسوس مشاهد واذ حلاه له محله
امر متحقق بالدليل القاطع فاستدل عليه بالحس والعقل ومثله يسمى العطف على المعنى وهو
من القرآن وكلام العرب متداول • قال ناظر الجيش في شرح التسهيل في قوله

ارانى لن ترا نعليات • ولا بيران ناحية زمولا •
ولا متدارك والليل طفل • ببعض نواشع الوادي حمولا •

متدارك بالجر لان المعنى لست براء ولا متدارك وجعله ابو حيان من العطف على التوهم كقوله

مشايم ليسوا مصلحين عشيرة • ولا ناعب الا ببين غرابها •

والاولى انه من العطف على المعنى وفرق بينه وبين العطف على التوهم وفيه كلام وقد
بيناه في نكت المغني وذلك اشارة للاصل ولو سلمنا صحة تعلقه بقوله حارت كان
معطوفا على ما قبله ولا وجه له ومما تفرع منه من الاخلاق الشريفة وثمراتها متحقق لا

فيه لتواتره بحسب المعنى عند من تتبع اي علم فعبر بالسبب عن مسببه كما قالوه في تتبع
خواص التراكيب مجاري احواله جمع مجرى بالفتح او مجرى بالضم واصله مسيل الماء والمراد
ما جرت عليه عادته ولا يخفى لطفه مع ملاحظة قوله اولا ينابيعها فانه جار على مجراها
ومتحدرا لها واطراد سيره الاطراد افتعال من الطرد وهو الجري خلف شيء من عبد او غيره
ومنه مطاردة الفرسان في الميدان ومناسبته للسير وان كان المراد بها مطلق الصفات
لا تختص بالغزوات وقيل المراد بمحال اطراده ها ليوافق قوله مجاري احواله اي محال
جريانها والاطراد مصدر اطرد الشيء تبع بعضه بعضا فجرى والانهار تطرد اي تجري
ومنه الاطراد البديعي كسرد اسماء الممدوح وابائه مرتبة والمعنى جري سيره في جداول
الكتب منسجمة فهو استعارة وجه الشبه فيها الكثرة ولا يخفى ما فيه من البعد وطالع جوامع
كلامه اما جمع جامع والمراد الكتب الجامعة للحديث الشريف او كلماته الجامعة للحكم التي
تتحير فيها عقول البلغاء والحكماء وحسن شمائله بالجر معطوف على كلامه وهي جمع شمال
بمعنى الخلق والصفة قال

فما لومي اخي من شماليا •

اي من خلقي
وعادتي وبدايع سيره اي سيره البديعة وينبغي ان يراد بها كتب السير حتى لا يكون
مكررا مع ما مر وحكم حديثه بكسر الحاء وفتح الكاف وهي القول المصيب غرض الحق
والحديث معروف وعلمه بما في التوراة والانجيل والكتب المنزلة بالتشديد والتخفيف
على الانبياء عليهم السلام كالزبور والصحف اي علم علمه بذلك والتوراة اجل الكتب
المنزلة قبل القرآن واصلها وورية ابدلت الواو تاء ووزنها تفعله بفتح العين وكسرها
وقيل وزنها فوعله • والانجيل بالكسر وقد تفتح من النجل وهذا امر تقديري لتجري عليه
احكام الالفاظ العربية اذ الاشتقاق لا يجري في غير كلام العرب وحكم الحكماء جمع حكمة
اي ما لهم من الحكم في كلامهم فانهم كان لهم اعتناء بذلك وقد جمعها ابن مسكويه في كتاب كبير
سماه جاويدان خرد وقد طالعته فرايت اكثره ورد في الاحاديث الشريفة ولكن اين
الثريا من الثرى فان رونق الالفاظ النبوية لا يمكن مضاهاته وسير الامم الخالية
اي ما وقع في زمنهم من الاحوال كما كان صلى الله عليه وسلم يحدث عن بني اسرائيل وما
كان من عجايبهم وايامها اي وقايعها في حروبها ومجاولتها فان الايام شاعت بهذا المعنى
كما يقال يوم حليمة ويوم بعاث وهو اطلاق شايع صار حقيقة ومما قلت في هذا

تمنيت من دهري زمان مسائي • زمان به طيف السرور كاحلامي •
فجاء بايام على اثر ما مضى • ولكن حروب قد تسمت بايامي •

وضرب الامثال الامثال جمع مثل وهو كلام شبه مضربه بمورده الذي وقع فيه
اولا مستعار من ضرب الخاتم او اللبن كما حققه اهل المعاني والتفسير وهو مما يعتني به البلغاء
لكشف المعنى الممثل له وابرازه في صورة المشاهد الى غير ذلك والامثال النبوية افردت
بالتاليف وسياسات الانام السياسة ضبط امور العامة باللسان والسنان وتدبير
احوالهم وليس المراد حسن المداراة كما قاله التلمساني وتقرير الشرايع اي بيان ما يتعلق
باحكام الشرع في المعاملات وغيرها وتاصيل الاداب النفيسة اي بيان اصول الاداب
التي يتداولها الناس في مجالسهم ومحاوراتهم كقوله • اكرموا عزيز كل قوم • ونهيه
عن الملاحاة والمجادلة • وقوله تهادوا تحابوا • وسماها نفيسة لانها مما يتنافس فيها

المتنافسون والشيم الحميدة جمع شيمة وهي العادة قالوا الانصاف من شيم الاشراف
اي عاداتهم والحميدة بمعنى المحمودة مضموما ما ذكر الى فنون العلوم التي كانت في الامم
السالفة كالطب وغيره مما لم ينه الشرع عنه التي اتخذ اهلها كلامه فيها قدوة اقتدوا
به فيها واستدلوا به عليها واشاراته في اثنا كلامه بها حجة دليلا عليها كالعبارة بفتح
العين بمعنى تفسير الرويا وهو علم فيه تفنن في الرويا الصحيحة لانها على ثلاثة اقسام رويا
باطلة من الشيطان ومن عوارض بدن الانسان كمن غلبت عليه الحرارة فراى نارا توقد
عنده او البرودة فراى ما وبحرا او اكل ماكلا غليظة سوداوية كالباذنجان فراى سوادا
وتسمى اضغاث احلام ولا تاويل لها وكذا من غلب تفكره في شي فراه كما قال المعري •

الى الله اشكو انني كل ليلة • اذا نمت لم اعدم خواطر اوهامي •
وان كان شرا فهو لا بد واقع • وان كان خيرا فهو اضغاث احلامي •

ورويا من الله بتنبيه الملك الرويا عند اهل الشرع او بتذكيرها الروح اذا انقطعت عنها
علايق البدن واتصلت بالملا الاعلى فيلقيها الى القوة المتخيلة فترتسم في الحافظة
وتبقى مشاهدة فيها حتى يستيقظ فان كانت النفس قدسية والقوى قوية وقع ما راته
بعينه ولم يحتج للتاويل وهو الاكثر في رويا الانبيا ومن كان على نسقهم ولذا اراد الخليل
ذبح ابنه ولم ياول رؤياه بالفدا حتى امره الله به والا فيأول بما يناسبه معنى او لفظا
او يحاكيه صورة وفعلها عبر بالتخفيف يعبر بالضم عبارة بالفتح كعلاقة وطلاقة
او عبارة كرسالة وقد يشدد فيقال عبر تعبيرا قال في الكشاف في سورة يوسف رايتهم
ينكرون عبرت بالتشديد والتعبير والمعبر • وقد عثرت على بيت انشده المبرد في
الكامل يدل عليه وهو رايت رويا ثم عبرتها • وكنت للاحلام عبارا •
انتهى • هذا ما ذكره من يوثق به في اللغة كالجوهري وصاحب القاموس وغيره وقال
في عمدة الحفاظ العبارة بكسر العين تختص بالكلام لقبول الهوا من لسان المتكلم يسمع السامع
ولا يستعمل في تفسير الرويا انتهى • يعني انها مفتوحة لا غير فتوهم بعض الشراح انها بكسر العين
لا غير وانه انكر هذا اللفظ مطلقا واسا سمعا فاسا اجابة ثم جاسر بعده فضاربه مضاربة
العميان فقال انه كلام ضعيف مردود به فلم يقف على المراد ولم يات بما يليق من الايراد فاخطا
في المعنى والعبارة واما تحقيق معنى الرويا فليس هذا محله ولعل النوبة تفضي اليه
في بحث النبوة وقد افردنا له تعليقة والطب مثلث الطا الا انه لم يستعمل فيما عرفته
الا بالكسر وهو في اللغة الحذق والمداواة والعادة والمراد به علم يتعلق ببدن
الانسان من حيث الصحة والمرض وهو من علوم الاوايل وللعرب به اعتنا وقد افرد الطب
النبوي بالتاليف والحساب بكسر الحا مصدر حسب بمعنى عد ثم صار علما لعلم تعرف به
احوال المقادير وهو من العلوم الرياضية القديمة والفرايض ذكره بعد الحساب
لتوقفه عليه وهو علم يعرف به احوال المواريث وهو جمع فريضة بمعنى مفروضة لان الله
فرضه وهو من العلوم الاسلامية واطلاق هذا اللفظ عليه بعد نزول القرآن ومعناه
ظاهر والنسب اي معرفة انساب الناس من آدم الى كل عصر وهو من علم التاريخ وكانت
العرب تعتني به وهو اعلم الناس به واعلم الناس به بعد النبي صلى الله عليه وسلم الصديق
وهو من نسب الرجل اذا عرفه لابيه ومناسبته للفرايض ظاهرة وهذه العلوم كلها شرعية

وفرض كفاية لاسيما الفرايض وكذا الانساب فان النبي امر بالمحافظة عليها ولعن
من انتسب بغير نسب فقال من خرج من نسبه وانتمى لغير قبيلته فعليه لعنة الله
والملايكة والناس اجمعين كما نقله التلمساني وغير ذلك مما سنبينه في معجزاته
دون تعليم من احد من البشر والظرف متعلق بقوله علم السابق ولا مدارسة من درس
الكتاب اذا قراه وحفظه لشي من العلوم عن غيره ولا مطالعة كتب يقال طالعت
الشي اذا اطلعت عليه اي لم يطلع على شي من الكتب بقراتها او سماعها لانه كان اميا بين
قوم اميين لم يره احد قرا ولا تعلم من قرا والاستعمال المطالعة بمعنى القراة وهو مجاز
مشهور قريب من معناه اللغوي من تقدم ككتب الانبيا والحكما ولا الجلوس الى علمائهم
اي لم يعرف احد انه جلس عند احد ممن يعلم كتب من تقدم لياخذها عنه والضمير لمن
باعتبار المعنى وكل ذلك انما هو علم لدني غير مكتسب من البشر • واما قوله ولقد نعلم انهم
يقولون انما يعلمه بشر فكذب محض يشهد العيان ببطلانه وقد تولى تكذيبهم في ذلك
كما هو مبسوط في التفسير بل نبي امي لم يعرف بشي من ذلك التعلم والمدارسة والمطا لعة
والمجالسة اي منبي عن الله او منبيا عنه لا عن مخلوق والامي منسوب الى الام لانه
كيوم ولدته امه او الى ام القرى او امة العرب لان القراة والكتابة كانت عزيزة فيهم
والامي الذي لا يكتب ولا يقرا الكتب وقيل هو الذي لا يكتب وبما شرحناه علمت مناسبة
ذكر النبي هنا • وفي الحديث انا امة امية لا نحسب ولا نكتب اي على جبلتنا لم نتعلم
ولا كتابة فلا ينافي ما مر من علمه بالحساب حتى شرح الله صدره اي وسعه ونوره بالعلم
والحكمة وهداه لكل خفي من العلوم وابان امره اي اظهر امره في العلم للناس باياته
الظاهرة ومعجزاته الباهرة واقامته الحجج المتواترة وعلمه من لدنه العلوم المعهودة
وغيرها واقراه اي اقدره على القراة نحو ما القاه او بما اوحاه اليه بواسطة الملك
فالاسناد مجازي او التجوز في الظرف كقوله سنقريك فلا تنسى يعلم بالبنا للمجهول
ذلك اي ما بلغه من العقل والعلم من غير تعلم بالمطالعة اي بالاطلاع على سيره
وشمايله من كتب الحديث والبحث عن حاله وفي نسخة من حاله والظاهر الاول لتعديه
بعن وهو بمعنى التفتيش عنه بالسوال وغيره ضرورة منصوب بنزع خافض متعلق
بيعلم اي من وقف على احواله علم ذلك بمجرد التفات الذهن اليه من غير احتياج
الى دليل وبالبرهان القاطع على نبوته نظرا اي ويعلم ذلك ايضا بالبراهين
القاطعة الدالة على نبوته لمن نظر فيها فقوله بالبرهان معطوف على قوله ضرورة
وعلى نبوته حال من البرهان ونظرا تمييز والنظر اصله تقلب البصر للادراك
ثم استعمل في التامل والفحص والمعرفة الحاصلة منه والاستدلال وهو المراد هنا
اي من نظر في دلايل نبوته علم قوة عقله وانه احاط بعلوم لا نهاية لها فلا نطول
بسرد الاقاصيص السرد تعداد امور من القصص ونحوها متتابعة متوالية ماخوذ
من سرد حلق الدرع وخيوط النسج والاقاصيص جمع اقصوصة كاعجوبة بمعنى قصة
او جمع قصص على خلاف القياس كما قاله التلمساني يقال قص واقتص بمعنى اخبر والقصص
اسم مصدر وقيل انه يحتمل ان يكون جمع اقصاص جمع قصص كانعام واناعيم في جمع جمع
نعم الا انهم تركوا استعمال اقاصيص فانه لم يسمع وفيه تكلف لا يخفى واحاد القضا

احاد بمد الهمزة جمع احد بمعنى مفردا تها وفي العباب سئل ابو العباس عن الآحاد
اي جمع الاحد فقال معاذ الله ليس للاحد جمع ولكن ان جعلها جمع الواحد فهو محتمل
كشاهد واشهاد وليس للواحد تثنية ولا للاثنين واحد من جنسه انتهى والقضايا
جمع قضية وهي الجملة من الكلام الدالة على معنى من الاحكام وهي قريبة من قول اهل الميزان
القول المحتمل للصدق والكذب كالخبر فهي اخص من الكلام ووزنها فعالى عند الكوفيين
وفعايل عند البصريين اذ مجموعها اي جمع قصصه وقضاياه ما اوياخذ حصر اصل
معنى الاخذ حوز الشيء وتحصيله ثم استعمل بمعنى الغلبة والقهر كقوله لا تاخذه سنة
ولا نوم وهذا هو المراد هنا وجعل مجازا او كناية على انه لا يمكن حصره وكذا قوله ولا
يحيط به حفظ اي لا يحفظ والاحاطة الاخذ بجوانب الشيء واريد به ما ذكر وبحسب
عقله قال البرهان هو في الاصل بسكون السين وينبغي ان تفتح اي بقدر عقله وادراكه
وقد جوز فيه السكون لكنه ضرورة والذي في القاموس هذا بحسب ذا اي بقدره وقد
تسكن ولم يخصه بالضرورة كانت معارفه عليه السلام جمع معرفة اي علومه
الى سائر ما علمه الله واطلعه عليه من علم ما يكون وما كان اي مضمومة الى جميع او
باقي ما اطلعه الله عليه مما تقدم في الكون من احوال الامم الخالية وكتبهم وشرايعهم
وما اطلعه الله من المغيبات التي ستاتي • ولما كانت جلالة قدره بواسطة علمه بما يكون
اقوى منها بواسطة علمه بما كان قدم ما يكون في المستقبل على ما كان الماضي مع سبقه
اهتماما بشانه ومقتضى الترتيب العكس وعجايب قدرته وعظيم ملكوته مجرور
معطوف على علم المراد ما اطلعه الله عليه في الاسرا من خلق الملايكة والسموات واقداره
على ذلك في برهة من الزمن والملكوت مبالغة في الملك كالرحموت والجبروت ويطلق
ويراد به عالم الامر ويقابله الملك قال الله تعالى وما يضرونك من شيء وانزل الله
عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما اي علمك
ما لم يكن من شانك وفي قدرتك علمه كالمغيبات والاطلاع على احوال الملكوت ولذا امتن
عليه بانه فضل عظيم فضله به على خلق فانه لانه كقولهم ما يكون لك ان تفعل كذا
اي لا ينبغي ولا يليق اي لا يصح ولا يمكن ولذا ختم الآية بهذه المنة دون قوله علم الانسان
ما لم يعلم الا انه يبقى السوال حينئذ على الآية الثانية بانه اي فايدة في ذكر هذا المفعول
والتعليم معلوم انه لا يكون الا لغير المعلوم وقال في عروس الافراح بعد ما ذكر ان لم
النافية يجوز فيها اتصال النفي وانفصاله وانهما اجتمعا في قوله وعلمكم ما لم تكونوا تعلمون
انتم ولا اباؤكم وفايدة ذكر المفعول في قوله علمك ما لم تكن تعلم فان كان الانسان لا يعلم
الا ما لا يعلم التصريح بذكر حالة الجهل التي انتقلوا عنها فانه اوضح في الامتنان انتهى
وفي حاشية السيرافي على المطول ان الشارح قال في بعض دروسه الاولى ان يقول
اي صاحب التلخيص ما لم يكن يعلم كما في قوله وعلمك ما لم تكن تعلم اذ لا فايدة في ذكر المفعول
اذ التعليم انما يكون لما لم يعلم لم يكن فيه اشعار بانه لو لم يعلم لم يحصل بها العلم لخفائه على
غير علام الغيوب وهو مفيد اذ ربما يتوهم حصوله من غير تعليمه نعم ورد بانه كقوله نعم علم
الانسان ما لم يعلم الآية فالاولى ان يحمل ذكره على افادة العموم لئلا يتوهم اختصاصه
ببعض الافراد كقوله وما من دابة في الارض ولا طاير يطير بجناحيه فتركت للتاكيد

لكن قوله من للبيان يأباه ويحتمل انه ذكر للتسجيع انتهى • اقول هذا كله كلام سطحي
والذي ظهر لي في الآية ان جملة علم الانسان مفسرة للصلة وما الموصولة عبارة
عن الكتابة والقراءة فانه لما قال له اقرأ فقال ما انا بقارئ سواء اريد النفي او الاستفهام
قال له كيف لا تقرأ وان ربك اكرم تفضل على عباده بنعم من اجلها ان كل انسان كان
اميا مثلك في ابتداء امره فعلمه الكتابة وقراءتها بالهامه فكيف لا يعلمك وانت اعزهم
عليه واقواهم بصيرة فاي فايدة اتم من هذه وكل فعل متعد يدل على فاعل ومفعول لما التزاما
ولذا لم يعد ضرب ضارب وضرب المضروب فان اريد عموم او خصوص افادهنا علم انه
لو قال ما لم يكن يعلم او عقبه بما عقب به تلك الآية لم يصادف محزه وما قيل من انه
لم يذكر الكون في هذه الآية وذكره ثمة لانه ورد في مقام خال عن اعتبار القوة والاجتهاد
فلا يناسبه ذكر الكون المؤذن بهما بخلاف تلك ويؤيده قول الكرماني في قوله تعالى وما كان
الله ليضيع ايمانكم ان كان ذكرت للتاكيد لان معناه كما في الكشاف ما صح ويعني به نفي امكان
الاضاعة وهو ابلغ من نفي الاضاعة نفسها ومنه يعلم السر في انه اردف قوله وعلمك
ما لم تكن تعلم بقوله وكان فضل الله عليك عظيما ولم يردف هذه به لما في الاول من المبالغة
والتاكيد انتهى وانت تعلم ما فيه مما تقدم وقوله حارت العقول في تقدير فضله
عليه المذكور في الآية لانه لا يمكن الوقوف عليه ولذا وصفه بانه عظيم ونكره وما يكون
عظيما عنده كيف يعلمه سواه وخرست الالسن دون وصف يحيط بذلك الفضل ما
لا يدرك كيف يوصف وفي قوله خرست دون سكتت وصمتت مبالغة لانه يقتضي
سلب القوة الناطقة ثم ترقى فقال او ينتهي اليه اي كيف يحيط بما لم تصل اليه ه

فصل واما الحلم

اي حلمه صلى الله عليه وسلم وهو ضبط النفس والطبع عن هيجان الغضب وعدم
اظهاره والاحتمال هو افتعال من الحمل وهو يكون على الظهر وفي البطن ففرق بينهما لفظا
ثم استعمل في التكليف كقوله لا تحملنا ما لا طاقة لنا به والصبر على المكاره مع خفائها
وعدم التاثر منها كما في الماء لا يحمل الخبث وهو المراد هنا والعفو عدم المواخذة بالذنب
ونحوه وهو قريب من المعدة وبينهما فرق مع القدرة وفي نسخة المقدرة بفتح الدال وضمها
وميم مفتوحة مصدر ميمي بمعنى القدرة ومن كلامهم المقدرة تذهب الحفيظة اي الغضب
والحمية والصبر على ما يكره وكان له صلى الله عليه وسلم من هذا بمرتبة لا تدرك وبين
هذه الالقاب اي بين مسمياتها فرق يتميز بها عن غيره واحتاجت الى الفرق لتقارب
معانيها والمراد باللقب اللفظ الجامد الدال على صفة لا ما اصطلح عليه النحاة وهو كما
قال الراغب اسم يسمى به الانسان غير اسمه الاول ويراعى فيه المعنى بخلاف الاعلام ه
فان الحلم حالة توقر بفتح المثناة وضم القاف اي اظهار الوقار وهو السكون يقال
هو وقور ووقار ومتوقر اي ساكن غير مضطرب وثبات عند الاسباب المحركات
كالغضب قيل ولا بد من اعتبار كون هذا بسهولة حتى يخرج التحلم وان كان بعد الاعتياد
يصير كذلك والاحتمال حبس النفس عند ورود ما يعتريها من الآلام بمد الهمزة
جمع الم وهو ما يولم وهو والمؤذيات بالهمز والواو جمع موذية والاذى كل ما يتاذى

به والمراد بحبس النفس ضبطها حتى تخضع لسلطان العقل وتطمئن لما يأمرها وفي
نسخة الضرر وانه كما قاله التلمساني المرديات بالراء والدال المهملتين من الردي بمعنى
الهلاك **ومثلها** قيل المراد مثل المذكورات وقيل المراد مثل الاحتمال وانث ضميره باعتبار
انه حالة ولو قال ومثله كان احسن واسلم من التكلف **الصبر** فان معناه لغة الحبس ومنه
قتله صبرا اذا اهلكه ليقتله في غير قتال وهذا يؤيد ارجاع الضمير للاحتمال **ومعانيها
متقاربة** قال الراغب الصبر الامساك في ضيق وحبس النفس عما يقتضيه العقل او
الشرع او عما يقتضيان حبسها عنه فالصبر لفظ عام وربما خولف بين اسمائه بسبب
اختلاف مواقعه فان كان حبس النفس لمصيبة سمي صبرا لا غير ويضاده الجزع وان كان
في محاربة سمي شجاعة ويضاده الجبن وان كان في نائبة مضجرة سمي رحب الصدر
ويضاده الضجر وان كان في الكلام سمي كتمانا ويضاده الذل انتهى • ومنه يعلم انه معنى
خاص وعام فلو حمله المص على الخاص غاير اخويه وهو الاولى **واما العفو فهو ترك
المؤاخذة** بالهمز وبالواو غير فصيحة وهي الجزا على ما فعله غيره قيل وفي تعبيره بالترك
اشعار بانه لا يكون الا عن قدرة الناس لا يقدر عادم لا تارك فتقييده به اولا للتاكيد
كنظر بعينه كقوله

• وان في الحلم ذلا انت عارفه • والحلم عن قدرة فضل من الكرم •

لانه ان لم يكن عن مقدرة فعجز • وما احسن قول ابن زيدون

• اري الدهر ان يبطش فنحن يمينه • وان تبسم الدنيا فانت لها ثغر •
• عطاء ولا من وحكم ولا هوى • وحلم ولا عجز وعز ولا كبر •

وهذا كله مما ادب الله به نبيه اي اداب ومحاسن علمها الله تعالى لنبيه وارشده
بعد ما خلق فيه استعدادا تاما لها كما قال ادبني ربي فاحسن تاديبي وهو احد الحكم في
كونه يتيما حتى يعلم ان ربه يربيه من غير حاجة لامه وابيه **فقال خذ العفو وامر
بالعرف الآية** وتمامها واعرض عن الجاهلين وهذه الآية جامعة لمكارم الاخلاق اي
تعاط العفو عن الناس وترك مؤاخذتهم وفي عدوله عن اعف الاظهر الاخصر نكتة يعرفها
من له المام بالادب كما ان في قوله وامر بالعرف دون اعمل اشارة الى انه متصف به مركوز
في جبلته ومن تامل مثله استخرج منه فوائد لا تحصى ومنهم من فسر العفو بالمساهلة
وترك المؤاخذة والبحث عن مرام الاخلاق فامره باخذ ما سهل من اخلاق الناس وافعالهم
من غير كلفة وطلب لما يشق واعترض عليه بانه غير مناسب لقوله **وروي ان النبي صلى
الله عليه وسلم لما نزلت عليه هذه الآية** وهذا الحديث كما قاله السيوطي رواه ابن جرير
وابن ابي حاتم وابو الشيخ في تفاسيرهم وابن ابي الدنيا في مكارم الاخلاق ووصله ابن مردويه
من حديث جابر وقال الشيخ قاسم للبخاري عن عبد الله ابن الزبير في قوله خذ العفو الى اخره
انه قال ما انزل الله هذه الآية الا في اخلاق الناس وله في رواية اخرى تعليقا عن عبد الله
قال امر الله نبيه ان ياخذ العفو من اقوال الناس او من اخلاق الناس واما قوله واعرض
عن الجاهلين اي عن معاتبتهم ولا تمارهم فان كان شاملا لمداراة الكفار فهو منسوخ بآية
السيف فان كان امرا بمكارم الاخلاق وعدم مقابلة من سفه فليست منسوخة قيل ويعين
هذا ما رواه البخاري من ان عيينة ابن حصن استاذن له الحر بن قيس من عمر فدخل عليه
وقال له يا ابن الخطاب ما تعطينا الجزل وتحكم بيننا بالعدل فغضب عمر فقال له الحر

يا امير المؤمنين ان الله قال لنبيه خذ العفو الاية وان هذا من الجاهلين فما جاوزها
عمر وكان وقافا عند كتاب الله فهذا يدل على انها منسوخة وليس كما قال فانه يجوز ان يكون
استشهد بها لشمولها غير الكفار لا ان هذا هو معناها فقط **سال النبي عليه السلام عن
تاويلها** اي تفسيرها وبيان المراد منها فانه احد معنيي التاويل **فقال له حتى اسال العالم**
يعني الله عز وجل كالعليم من اسماء الله ويوصف بهما غيره تعالى اما الاول فظاهر واما الثاني
في حق الله فظاهر ولا مثل في غيره فكقوله

• فان تسالوني بالنساء فانني • عليم بادواء النساء طبيب •

والثاني في حق الله اشهر وقيل المراد بالعالم الكامل في العلم كما في قوله ذلك الكتاب
يختص بالله فانه مسا وليس المعنى للعليم واما العليم فاطلاقه على غير الله لم يسمع والشعر
المذكور لابن الوردي وهو من المتاخرين لا استدلال به وهذا الحديث يكفي شاهدا لاطلاق
العالم على الله فهو كاف في ثبوته اقول هذا عجيب من مثله وفيه من الخلط ما لا يخفى
اما قوله ان الشعر لابن الوردي فافتراء عليه لانه شعر فصيح لبعض العرب وهو مذكور في
الشواهد واما استدلاله على العالم بالحديث وهو مذكور في القرآن كقوله عالم الغيب
والشهادة فمما يقضي منه العجب واما قول جبريل اسال العالم دون اسال الله فكانه تادب
منه لايهام انه لا يسال الله بالذات فكان بينه وبينه واسطة او هو عالم بالتفسير وفيه
ارشاد لمن سئل عن شي لا سيما القرآن فينبغي ان يتثبت فيه وفي جبريل تسع لغات جبريل
بالكسر وجبريل بالفتح مهموزا مشدد اللام وجبرائل بهمزة بعد الالف وجبرئل بهمزة مفتوحة
بلا الف وبا وجبريل وجبرين بنون وفتح الجيم وكسرها وفيه لغات اخر وقال الجوهري
والازهري وكثير من المفسرين في جبرائيل ان جبر وميك معناهما عبد وايل وال
اسم الله وقال ابو علي الفارسي هذا خطا لان ال لم يذكر احد انه من اسماء الله ولانه لو كان
كذلك كعبد الله يلزم اخره حالة واحدة ولا يعرب بحسب العوامل قال النووي وهو الصواب
ولا يخفى ما فيه فان ال اذا كان اسما لله فهو سرياني ولا يا باه عدم معرفة العرب له
واما اعرابه فانه لما اعرب غير عما كان عليه وجعل اسما واحدا ولذا ارجعوه لاوزانهم
والعرف هو الخصال المحمودة لا العرف الشرعي كما توهم **فاتاه** الفا فصيحة اي انفصل
عنه وفارقه ثم اتاه **فقال يا محمد ان الله يامرك ان تصل من قطعك** الظاهر ان المراد
به صلة الرحم والرحم بمعنى القرابة وصلتهم بالاحسان اليهم وفعل الجميل وقوله كالهدية
والزيادة وارسال السلام ونحو ذلك وضده قطع الرحم ويحتمل التعميم لتعليم الخلق وترك
التهاجر المنهي عنه كما في قوله **وتعطي من حرمك** يقال حرمه واحرمه بمعنى اي احسن
الى من لم يحسن اليك وهذا ارشاد له ولامته وان كان لا يرجوا غير الله واحسانه **وتعفو
عمن ظلمك** هذا معنى قوله خذ العفو وما قبله يعني امر بالمعروف ولم يتعرض لقوله
واعرض عن الجاهلين اما لظهوره اولاشارة الى انه في معرض النسخ او لان المراد بالجاهلين
من قطع وظلم وهذه اشارة الى اصول الاخلاق واعظمها واحبها الى الله فتدبر **وقال
له واصبر على ما اصابك الآية** وهذه الآية من وصية لقمان لابنه اذ قال له يا بني
اقم الصلاة وامر بالمعروف وانه عن المنكر كما قصه الله في كتابه الكريم وكل ما قصه الله
من قصص الانبيا فهو ارشاد لنبينا صلى الله عليه وسلم ولامته فكانه مما امر به ابتداء فلا

اى من ج

يتوهم انها ليست في حقه اذا امرت بمعروف ونهيت عن منكر واصابك بسبب ذلك مكروه
فاصبر له **وقال فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل** قال العز ابن عبد السلام اولوا العزم
اولوا الجد والجهد والصبر وهم المامورون بالجهاد او الرسل من العرب وقيل من لم تصبه
فتنة وقيل من اصابه بلاء بغير ذنب وهم نوح • وابراهيم • ومحمد • وقيل ابراهيم • وموسى •
وداود • وسليمان • وعيسى • ومحمد • وقيل هم المذكورون في الانعام اولئك الذين هدى
الله فبهداهم اقتده • الا يونس لقصة الحوت انتهى ولا ينبغي عد محمد صلى الله عليه وسلم هنا
لقوله كما صبر وهم كلهم من الرسل وقد اختلف فيهم فقال مجاهد هم خمسة وهم اصحاب الشرائع
وقيل ثلاثة وقيل ستة وقيل جميع الرسل اولوا عزم وقيل كل الانبيا اولوا عزم الا يونس
لعجلته والفا في قوله فاصبر فصيحة لان قبلها ويوم يعرض الذين كفروا على النار اي
اذا كان عاقبة الكفرة ما ذكرنا فاصبر وقد صبر مثل صبرهم وزاد عليهم ومن في من الرسل
بيانية او تبعيضية والخلاف دائر على تفسير العزم بالصبر كما هو ظاهر الاية او الجد
والاجتهاد او الجهاد **وقال وليعفوا وليصفحوا الاية** الا تحبون ان يغفر الله لكم
عدم المواخذة بالذنب والصفح الاعراض عنه وعن ذكره لان من اعرض عن شي ولاه صفحة
عنقه وهذه الاية وان نزلت في الافك وفي حق ابي بكر اذ كان ينفق على مسطح لقرابته
منه فلما خاض في الافك آلى ان لا ينفق عليه فقال الله تعالى ولا ياتل اولوا الفضل منكم
والسعة ان يوتوا اولي القربى والمساكين الخ فقال ابو بكر بلى والله اني لاحب ان يغفر
الله لي وعاد الى انفاقه عليه فالنبي داخل في عمومها كما في سائر الخطابات فلا يرد على المصنف
ان هذه الاية ليست في حقه صلى الله عليه وسلم **وقال ولمن صبر وغفر ان ذلك
لمن عزم الامور** اي من اهم الامور التي ينبغي التصميم والعزم عليها واللام موطئة للقسم
ان قلنا ان من شرطية او لام ابتداء ان قلنا انها موصولة كما فصله المعربون وهذه الاية
مع ما قبلها نزلت في ابي بكر وقد سبه بعض الانصار واستشهد بها المصنف لانه صلى الله عليه
وسلم كان آخذا بذلك معتمدا عليه **ولو خفا مما يوثر من حلمه واحتماله** الا بمعنى في
ويوثر بمعنى ينقل ويروى من حلمه وتحمل الاذى فانه شائع غير خفي على احد **وان كل
حليم** اي ولا خفاء ان كل حليم غيره **قد عرفت منه زلة** بفتح الزاي المعجمة وهي الخطيئة
والسقطة قال الشاعر

فمن لا تزل حذلة ليس بعدها • خنوف ولات النساء كثير •

وحفظت عنه هفوة بفتح الها وسكون الفاء وهي قريبة من الزلة معنى وقال التلمساني
هي بالفاء وهو اكثر وبالقاف وهي السقطة وهو غريب منه وهي من هفى بمعنى زل
وسقط او تحرك واسرع وهو صلى الله عليه وسلم لا يزيد مع كثرة الاذى الا صبرا وعلى اسراف
الجاهل الا حلما جملة حالية اي مع انه لا بد من الزلة والهفوة في الغضب والمكاره فهو لا
يزداد مع ذلك الا صبرا وحلما والمراد بالجاهل ليس ضد العالم وان كان اشهر معنييه بل هو
السيء الخلق المجازف في اموره قال الشاعر •

• الا لا يجهلن احد علينا • فنجهل فوق جهل الجاهلينا •

فالجهل بهذا المعنى خلاف الحلم ويتعدى بعلى وقد تترك تعديته كقول الحماسي •
وبعض الحلم عند الجهل للذلة اذعان • وقال بعض الحكما لا يحملنك
الجهول لك وجراة السفيه عليك على اجابته له وفوته عليك بحلم يعني صبرك خير من سفه

يشفي وهو مما يدل على مغايرة الحلم للصبر وان كان مقارنا له كما مر وهذا هو المعروف
عند العرب في الجهل والاسراف بمعنى الزيادة وتجاوز الحد **حدثنا القاضي ابو عبد الله
محمد بن علي التغلبي وغيره** هو محمد بن علي ابن محمد بن عبد العزيز بن احمد بن بونة غلبون
التغلبي بفتح المثناة الفوقية وسكون الغين المعجمة منسوب لتغلب سميت باسم ابيهم كهم
ولامه مكسورة تفتح في النسبة استحسانا من توالي كسرتين وبا ولد سنة تسع وثلاثين
واربع مائة ومات يوم الخميس لثلاث بقين من المحرم سنة ثمان وخمس مائة وكان فقيها ثقة
تولى القضا في ايام المرابطين ولاه يوسف بن تاشفين فسار ناحية بن سيرة وبقي مدة عمره
وسمع من شيوخ الاندلس واخذ عنه المصنف في رحلته لقرطبة **قالوا حدثنا محمد بن عتاب**
بفتح العين وتشديد المثناة الفوقية والف موحدة وهو ابن محسن الجذامي المحدث الفاضل
توفي ليلة الثلاثا العشر بقين من صفر سنة اثنين واربعمائة **حدثنا ابو بكر بن وافد وغيره**
هو يحيى ابن عبد الرحمن بن وافد بالفاء والدال المهملة علم منقول من الوافد بمعنى القادم
قال ابن سهل في احكامه كان ابن وافد متقدما في اصحاب ابن زرب ثم سقط بعد موته
والوهرداره ثم اعاده المنصور بن سليمان الى مرتبته وجعل اماما بجامع الزهرا ثم
وقعت له امور اقتضت موته في الحبس ودفن بمقبرة الربض سنة خمس واربعمائة وانتقم
الله من قاتله بعض ايام وفي بعض الحواشي انه وقع هنا في اصل السماع وافد بالفاء وفيما
سياتي في كيفية الصلاة على النبي واقد بالقاف وهو الصواب والاول هو الذي صححه
البرهان الحلبي والتلمساني **حدثنا ابو عيسى** هو الليثي واسمه يحيى بن عبد الله
بن ابي عيسى يروي عن ابيه عبيد بن يحيى توفي لعشر بن مضين من رمضان سنة ثلاث
وثلاثين ومايتين **حدثنا عبد الله** قال البرهان الحلبي هو يحيى بن كثير الليثي مولاهم
البربري المصمودي القرطبي الفقيه ابو محمد عالم الاندلس لم يخرج له في الكتب الستة
شي والموطا مشهور به وموطاوه اصح وقد سمعته بحلب وقراته بالاسكندرية اما الذي
له في البخاري ومسلم والترمذي والنسائي فهو يحيى بن يحيى بن بكر بن عبد الرحمن بن
يحيى بن حماد التميمي ابو زكريا النيسابوري احد الاعلام انتهى **حدثنا مالك** بن انس بن
مالك بن ابي عامر الاصبحي امام دار الهجرة ومن اليه الرحلة بها صاحب المذهب الجليل واختلف
فيه هل هو تابعي او من تبع التابعين ولد سنة ثلاث وتسعين وتوفي في ربيع الاول سنة تسع
وسبعين ومائة ومات وهو ابن اربع وثمانين واختلف في جده ابي عامر له صحبة ام لا **عن ابن
شهاب** هو محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري توفي سنة اربع وعشرين ومائة
وقيل غير ذلك **عن عروة** بن الزبير بن العوام اخو عبد الله بن الزبير احد فقهاء المدينة السبعة
روى عن ابويه الزبير واسما بنت ابي بكر وخالته عائشة وغيرهم وتوفي سنة اربع او
خمس وتسعين بعد الهجرة وولد سنة اثنين وعشرين وهذا حديث صحيح في الصحيحين
والموطا واختار المصنف طريق الموطا فقال **عن عائشة** ام المومنين قرينة الصديق وبنته
الدهر **ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين امرين الا اختار ايسرهما** قال البرهان
هذا ما اخرجه المصنف من موطا يحيى بن يحيى وقد اخرجه البخاري ومسلم واصحاب السنن ولم
يرو المصنف من غير هذه الطريق لانه امام مذهبه ولاهل الغرب اعتبار به وترجيح على غيره
من كتب السنة • ولان سنده فيه من هذه الطريق اعلى من سنده في غيره لان بينه وبين مالك

في هذه الطريق سمعة بالسماع وبينه وبينه في رواية الصحيحين سبعة وفي ابي داود
ستة الا انه بالاجازة فلهذا اختار هذه الطريق على غيرها لما لها من الشان عنده وفي هذا
الحديث الاخذ بالاسهل والارفق ما لم يكن حراما او مكروها ونقل النووي عن المصنف انه يحتمل
ان يكون تخييره هنا من الله فيخيره فيما فيه عقوبتان او فيما بينه وبين الكفار من القتال واخذ
الجزية او في حق امته في المجاهدة في العبادة والاقتصاد فيها فيختار الايسر واما قوله
ما لم يكن اثما فيتصور اذا خيره الكفار والمنافقون اما اذا كان التخيير من الله او من المسلمين
يكون الاستثنا منقطعا انتهى قال بعض الشراح ان من فهم من قوله ما لم يكن الخ اي موجب
اثم من حرام او مكروه ما يفهم من الاستثنا فسماه استثناء وجعله منقطعا لاستحالة ان يخيره
الله او خلص المومنين بين امرين احدهما اثم وهو مبني على ان ما في معنى الاستثنا له حكم الاستثنا
الا ترى الى قول النحاة لا الزمنك او تقضيني حقي بمعنى الا ان تقضيني حقي فكانه قال هنا
الا ان يكون اثما فان قلت هذا مناف لما ورد ان افضل العبادة احمزها اي اشقها على
البدن فكيف يختار غير الافضل قلت انما كان يوثر الايسر لامته تخفيفا عليهم لا في
حق نفسه لانه ارسل بالحنيفية السمحة ولذا كان يقوم حتى تتورم قدماه ويوثر ما في
نفس الامر قوله في عجز الحديث انه ما انتقم لنفسه يعني ان التخيير بين الاثم وغيره من العباد
متصور واما من الله فلا فاذا اول بما يوجب الاثم او يفضي اليه في حق غيره صح او المراد
بالاثم ما لا يليق به لعصمته كما اذا خير بين ملك كنوز الارض وعيش الكفاف ويدل على
انه في حقه قوله **فان كان اثما كان ابعد الناس منه** اقول قال العز بن عبد
السلام وتبعه الزركشي في قواعده ان قولهم الاجر على قدر المشقة وما ورد في حديث عايشة
اجرك على قدر نصبك كما في مسلم ليس على اطلاقه انما هو اذا اتحد العملان في الشرف
والشرايط والسنن وكان احدهما شاقا فيثاب على تحمل المشقة وذلك كالغسل في الصيف
والشتاء اما اذا لم يتساويا فلا فان الايمان افضل من الاعمال مع خفته والمختار ان افضل
الاعمال انما هو بالمصالح الناشية عنها فتصدق البخيل افضل من قيامه بالليل وانقاذ
الحاكم مظلوما بكلمة افضل من قيام الليل وصيام النافلة انتهى وهذا هو الحق الذي لا محيد
عنه فلا حاجة لما اطالوا به من غير طايل **وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه**
اي لا يعاقب احدا بتقصير وقع منه في خدمته بحيث يكون فاعله لم يخالف امر الله فيما فعله
لانه بري من الحظوظ النفسانية والاعتبارات الدنيوية **الا ان تنتهك حرمة الله
فينتقم لله بها** اي بسبب حرمة الله وانتهاكها وحرمة الله ما حرمه الله او جعله محترما
ممنوعا وانتهاكه التعدي والتجاوز فيه من نهكت الثوب اذا لبسته اي اخلقته ويقال
نهكته الحمى اذا اضعفته واضنته فانتهاكها تناولها بما لا يحل وانتهك فلان محارم
الله اي فعل ما حرم الله فعله عليه لما فيه من ضعف الدين وابتذال حكمه وليس الانتهاك
المبالغة في اتيان ما حرمه الله كما توهم حتى يرد انه لا يغضب لمجرد فعل محرم او صغيرة
مرة واحدة ويحتاج الى الجواب بانه من فعل ذلك فقد بالغ في الجراة على الرب العظيم او
يقال انه كان يغضب عند الصغاير ويغضب اذا فعلت الكباير فان هذا مما لا ينبغي فانه
كيف يخطر بالبال انه يغضي عن الصغاير من غير نظر لفاعلها ولا حاجة ايضا الى حمل هذا
على ما يتعلق بالمال فانه اقتص من نال من عرضه كما امر بقتل ابن خطل الاخطل وان حرمة الله

تعظيم

اعظم من حرمة نبيه ومن اذاه فقد اذى الله وان المراد ما كان يقع من بعض جفاة الاعراب
كالاعرابي الذي امسك برد ايه وجذبه حتى اثر في جسده وقول بعضهم اعدل في القسمة
فانك لا تعطي من مالك ابيك ونحو ذلك ما صدر منهم لغلظة طباعهم مما لا يفضي الى ارتكاب
محرم فمن ارتكب شيا من محارم الله التي من جملتها احترامه انتصر وعاقبه لله لا لحق نفسه
فان تعلق بها انتقام كان لدين الله ورسوله **وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما كسرت
رباعيته** رباعية بوزن ثمانية سن بين الثنية والناب من اليمين واخرى من اليسار
ويقابلهما مثلهما من فوق فالرباعيات اربع **وشج وجهه يوم احد** الشجة جراحة في الوجه
او الراس **شق ذلك** الكسر والشج على اصحابه شقا اي حصل من ذلك في نفوسهم مشقة
وامر شديد عظيم **وقالوا لو دعوت عليهم** اي على الكفار بان يهلكهم الله ويستاصلهم
باشد العذاب **فقال اني لم ابعث** بالبنا للمجهول اي لم يبعثني الله **لعانا** اي داعيا على
الناس بالطرد والبعد من رحمة الله **ولكني بعثت داعيا** للناس الى الله **ورحمة** للناس
اجمعين باخراجهم من الكفر للايمان وبتاخير العذاب عمن كفر لا لطردهم عن رحمة الله وابعادهم
عنه ثم قال داعيا **اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون** دعا لهم ان يهديهم الله للاسلام
فانهم لا يعلمون طريق الحق ولا معرفة قدر نبيه وما يريد بهم من الخير ولو علموا ذلك لم يصدر
منهم ما صدر وفي سيرة ابن هشام وغيره ان عتبة بن ابي وقاص رماه صلى الله عليه وسلم
فكسر رباعيته اليمنى والسفلى وجرح شفته السفلى وان عبد الله بن شهاب الزهري
شجه في وجهه وان ابن قمية جرح وجنته فدخلت حلقتان من المغفر وشقت شفته
السفلى وصرح بن قمية ان محمدا قد قتل وقد اختلف في اسلام عتبة بن ابي وقاص اخي سعد
والصحيح انه لم يسلم وابن شهاب اسلم واما ابن قمية فنطحه تيس فتردى فهلك ولكل شي
افة من جنسه ويقال ان حاطبا تبع عتبة فقتله ولم يولد احد من نسل عتبة الا المراهم
فسري خزيه لعقبه فتحول اولاده لفساد حالهم وقد قالوا ان رباعيته عليه السلام لم
تنكسر من اصلها وانما شظيت وذهبت منها فلقة وكانت فاطمة تغسل دمه وعلي يصب الماء
بالمجن فلما رات فاطمة ان الماء يزيد الدم كثرة اخذت قطعة من حصير واحرقتها وذرتها
فامسكت الدم وكسرت البيضة التي على راسه وقال الامام الخيضري في خصايصه
ان هذا كان قبل نزول قوله والله يعصمك من الناس والمراد عصمته من القتل لا من مطلق
الاذية وما احسن قول ابن الفارض في الاشارة الى ذلك

عيني جرحت وجنته بالنظر	من رقتها فانظر لحسن الاثر
لم اجن وقد جنيت ورد الخفر	الا ترى كيف انشقاق القمر

وهو كقول ابن عطية البلنسي

وما شق وجنته عابثا	ولكنه اية للبشر
جلاها لنا الله كيما نرى	بها كيف كان انشقاق القمر

وبقية قصة احد وما فيها مفصل مشهور فلا نكثر السواد به كما في الشرع الجديد تنبيه
قال الامام السمرقندي في تفسير قوله تعالى ويقتلون النبيين بغير حق ظن الملحدة
لعنهم الله ان الله اخبر ان الكفار قتلوا الانبيا وقد قال الله انا لننصر رسلنا وقال
انهم لهم المنصورون وما في معناه من الايات ومن كان الله ناصره فهو منصور ابدا فاما الحر

فتلوا فهو تناقض واجيب بوجهين الاول انه لم يثبت في الكتاب ولا خبر متواتر قتل رسول
من الرسل الذي اخبر بنصرهم وان ثبت قتل الانبيا لان الرسل الذين اوتوا المعجزات لاظهار
الدين الحق ودعوة الخلق فكان عصمتهم عن القتل من آياتهم الحسية الدالة على صدق دعواهم
الرسالة وولاية القتل مما توهن دعوتهم بخلاف الانبيا اذ ليس لهم دعوة وشريعة • والثاني ان
المراد النصرة بالحجة لا بالعصمة انتهى **وعن عمر** قال السيوطي انه لا يعرف عن عمر في
شيء من كتب الحديث وبيض له الشيخ قاسم في تخريجه لاحاديث هذا الكتاب فكانه لم يقف له
على اصل ايضا **في بعض كلامه** اي في كلام قاله لما رآى ما اصابه من كسر رباعيته وشجه
في غزوة احد **بابي انت وامي** هذا الجار والمجرور متعلق بمحذوف تقديره افديك وتسمى
هذه الباء باء التفدية ومعناه اني اجعل ابوي فداء دونك واتركهما في حمايتك بقوله الرجل
لمن هو اعز عليه من نفسه واهله وماله لانهم كانوا يبذلون الانفس في صيانة اهلهم وقد تكلم
بهذا النبي صلى الله عليه وسلم وهذه الكلمة جارية مجرى المثل في ذلك وقد يظهرون
متعلق الجار والمجرور والفدا بكسر الفاء والمد وفتحها مع القصر فكاك الاسير يقال فداه يفديه
فداء وفدى وفاداه اذا بذل فداءه وفداه بالتشديد اذا قال جعلت فداك وهي كلمة تقال
في التعظيم وتدخل الباء على المبذول المفدى به وقد يعكس كما في قوله

فديت بنفسه نفسي ومالي • وما آلوك الا ما اطيق

وجعله في المغني من المقلوب كعرضت الناقة على الحوض وقد جرى عمر في هذا على ما تداوله
العرب والا فهو حقيق بان يفدى بالنفوس فضلا عن الآباء والامهات فلهذا قال الآخر

نفسي الفداء لقبر انت ساكنه • فيه العفاف وفيه الجود والكرم

فانظر قصة علي كرم الله وجهه اذ فداه بنفسه ونام مكانه لما هموا بقتله وهو اول من
اشترى نفسه من الله ومقامه دون عمر كما هو معلوم **لقد دعا نوح على قومه فقال
رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا** ولما قال هذا لان مشربه كان مشرب نوح كما
ان مشرب الصديق مشرب ابراهيم الخليل وتذر كتدع بمعنى تترك وديارا بمعنى احد
وهو مختص بالنفي فيقال ما في الدار ديار وروي اي احدا واصله ديوار فاعل اعلال
سيد وصيت وان عم والفا عاطفة للمفصل على المجمل **ولو دعوت علينا** اي على الناس
كلهم **مثلها** اي مثل دعوة نوح **لهلكنا من عند آخرنا** هذا التركيب وقع في كلام العرب
والمراد به من اولنا الى آخرنا اي جميعنا ولشراح الكشاف فيه كلام فقيل تقديره من اولنا
الى آخرنا وعند مقحمة وقيل من بمعنى الى وقيل انه كناية عن هلاك الجميع لانه لا يكون الهلاك
عند آخرهم الا اذا شملهم جميعا فان اردت تحقيقه فانظر شروح الكشاف في اول سورة
البقرة **ولقد وطئ ظهرك** الوطء الدوس بالقدم وفي الشرح الجديد انه لم ينقل ان احدا
من المشركين وطئ ظهر رسول الله بقدمه ولعله عبارة عما روي في الصحيح من انه صلى الله عليه
وسلم كان يصلي عند البيت وثمة قريش ذبيحة فيها اقذورات فقال ابو جهل الا رجل يقوم الى
هذا القذر فيلقيه على محمد وهو ساجد فانبعث لها اشقاها وهو عقبة بن ابي معيط فالقاه
عليه فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف وكان ابو جهل
وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وعقبة بن ابي معيط وامية بن خلف
وعمارة بن الوليد وهم المستهزؤن فاهلكهم الله جميعا فاما ان يكون سمي هذا وطيا لما فيه من

وطائك

الاهانة

الاهانة الشديدة كما يسمى الغزو وطيا او وقع هذا في قصة لم نقف عليها **وادميت
وجهك** اي جرح في وقعة احد يقال ادميته اذا جرحته فاسلت دمه والذي فعل
ذلك به عتبة بن ابي وقاص اخو سعد وفيه يقول حسان

اذا الله جازى معشرا بفعالهم • ونصرهم الرحمن رب المشارق
واخزاك ربي يا عتيب بن مالك • ولقاك قبل الموت احدى الصواعق
بسطت يمينا للنبي تعمدا • وادميت فاه قطعت بالبوارق
فهلا ذكرت الله والمنزل الذي • تصير اليه عند احدى البوائق

وشج وجهك وقع في نسخة التلمساني زيادة هنا وقد شجت وجنته وجبهته
باحد فدخل في وجنته حلقتا الدرع فنزعهما بفيه ابو عبيدة بن الجراح حتى سقطت
ثنيته والذي جرحه عبد الله بن قمئة فقيل نطحه تيس وتردى من شاهق فمات وقيل
قتله عتبة بن ابي وقاص فادركه حاطب فقتله فجا بفرسه **وكسرت رباعيتك** تقدم
بيانه وما فيه وعليه **فابيت ان تقول الا خيرا** اي لم تدع عليهم كما دعا نوح على قومه
ثم فسر الخير بقوله **فقلت اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون** الحق ولا يهتدون
الى الصواب وفي النسخ المروية هنا اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون وهي مفسرة للرواية
الاولى على ان المراد بالمغفرة سببها وهو الهداية او التقدير اللهم اهدهم واغفر لهم فلا
يرد عليه ما قيل ان الدعا المذكور صدر منه باحد وكانت على احد وثلاثين شهرا من الهجرة
فكيف يسال لهم المغفرة وهم كفار وقد نزل ان الله لا يغفر ان يشرك به الآية ولو قلنا ان
مغفرة الشرك جائزة عند بعض المتكلمين فانه ممنوع شرعا فما وجه وقوعه في كلام الشارع
ولا حاجة الى الجواب بان هذه من سورة النسا وهي مدنية يحتمل تاخرها او هذه الآية مخصوصة بها
فيجوز ان دعاه كان قبل نزولها وعلمه بمنع الدعا لهم بالمغفرة لجوازه سوآء قلنا المدني
ما نزل بالمدينة او بعد الهجرة او المراد مغفرة ما وقع منهم من كسر الرباعية ونحوه لا مغفرة
الشرك وقيل ان هذا انما صدر من النبي على سبيل الحكاية عن نبي كان قبله كما رواه مسلم في
صحيحه قال عبد الله بن عباس كاني انظر الى النبي صلى الله عليه وسلم يحكي عن نبي من الانبيا
ضربه قومه وشجوه فكان يمسح الدم عن وجهه ويقول رب اغفر لقومي فانهم لا يعلمون
ومثله في البخاري والمراد بهذا النبي نوح بانه كان يضرب ثم يلف في لبد ويلقى في بيته
يرون انه قد مات ثم يخرج ويدعوهم الى الله فلما ايس منهم دعا عليهم فالنبي لما وقع به ما
وقع حكى ذلك عنه تسلية له وللمؤمنين وقوله لقومي ذكر نسبته لهم تعطفا عليهم وبيانا
لسبب ذلك درجا لرحمة الله بهدايتهم واضافهم اليه موافقة لما في نفس الامر وان قيل
انه ليس من اهله كما لا يخفى وقوله فانهم لا يعلمون اعتذار لهم بالجهل الحقيقي وانما هو
في حكمه لعدم جريهم على مقتضى علمهم كما تقول لتارك الصلاة الصلاة واجبة والجهل وان
لم يكن بعد مشاهدة الآيات الباهرة عذرا شرعا وليس ينجي من العذاب وقد اختلف فيما
قبل البعثة ايضا كما هو معلوم في كتب الاصول لكنه جرى فيه على حكم الظاهر تضرعا
الى الله ان لا يعجل عذابهم ويمهلهم حتى يكون منهم مؤمنون او من ذرياتهم وقد حقق الله رجاه
لانه جعل ذلك عن رأى حقيقتها لهم فلا يرد هنا شي كما توهمه بعضهم **قال المصنف انظر
ما في هذا القول** المذكور في كلام عمر وفي الحديث الذي قبله **من جماع الفضل** الجاع

بكسر الجيم ما يجمع كل الشر كالخمر جماع الإثم ومظنته ودرجات الإحسان بالجر معطوف
على الفضل أي ما يجمع مراتب الإحسان وكذا قوله وحسن الخلق وكرم النفس وغاية الصبر
والحلم فنبه بما يدل على نهاية هذه الصفات إذ لم يقتصر على السكوت عنهم مع ما فعلوه
معه مما لا يحتمل بعضه أحد فضلاء عن أعز الناس نفسا وأشرفهم وأعلاهم حسبا ونسبا وجرح
ذوي القربى أشد مضاضة على النفس من وقع الحسام المهند حتى عفا عنهم مع عظيم جرمهم
في حقه إذ قال إني لم أبعث لعانا ثم أشفق عليهم أي أبدى شفقته ورحمته لهم ورحمهم
ودعا وشفع لهم فقال اغفر واهد كما مر بيانه مفصلا ثم أظهر الشفقة بقوله لقومي
فإن الطبع البشري يقتضي الحنو على الأهل والأقارب بأي حال كانوا ثم اعتذر عنهم
بجهلهم فقال فإنهم لا يعلمون وقد تقدم بيانه ونسبتهم إلى الجهل ليبلغهم ذلك فتنشرح
صدورهم لأجلها فيختاروا الإيمان على الكفر ولئن لم يعبئوا بالجهل لعدم العلم تغشيا لهم
للعبارة ليجذبهم بزمام لطفه إلى الإيمان ويدخلوا حرم الأمان وإن كان جهلهم لا يعتد به
بعد اتضاح برهان التوحيد وقيام الحجة الباهرة بالمشاهدة والتواتر إلا أنه اعتذر ظاهرا
اعتبره سعيا في تسخير قلوبهم وإلا فهم عالمون جاحدون مكابرون وليس لهم عذر يقبل شرعا
كما مر تفصيله ولما قال له الرجل هو ذو الخويصرة التميمي ويقال له حرقوص بن زهير رأس
الخوارج قال البرهان قتل يوم النهر وإن كان في تجريد الذهبي وفي صحيح البخاري عبد بن ذي
الخويصرة التميمي قال في المقتفي ولعلهما اثنان والصواب أن والده هو القائل والنهر
وان بفتح والراء اسم موضع فارسي معرب قال الطرماح

قل في شط نهروان اغتماضي • ودعاني هوى العيون المراض

وحكى الجواليقي أنه سمع من العرب ضمها وكان حرقوص مع علي في حروبه ثم اتبع الخوارج وزعم
أنه ذو الثدية وليس كذلك ومقول القول اعدل فإن هذه قسمة ما أريد بها وجه الله
أي عادلا فيما قسمته فإن هذه القسمة ليست عادلة موافقة لأمر الله ولرضاه والمقسوم
كان من غنائم خيبر أو تمرا أرسله علي بن أبي طالب من اليمن وهذا الحديث رواه مسلم عن جابر
ونحوه في صحيح البخاري وأخرجه البيهقي وهو حديث صحيح وفي ألفاظه اختلاف والحال واحد
لم يزد النبي صلى الله عليه وسلم في جوابه أن بين ما جهله أي لم يزد على أن يبين
له ما جهله من عدله في قسمته حيث قال من يعدل إن لم أعدل ووعظ نفسه وذكرها
التذكير والوعظ بمعنى فعدل عن وعظ القائل إلى وعظ نفسه وهو نهاية الحلم منه لما قال
ويحك ويح كلمة ترحم وتوجع لمن وقع فيما لا يرضى وقيل إنها كلمة مدح وتعجب وهي منصوبة
على المصدرية مضافة وقد ترفع فتترك إضافتها فترحم له لما خالف رضى الله أو تعجب من
صدور ذلك من مسلم ووقع في رواية ويلك فمن يعدل إن لم أعدل وفي مسلم أولست أحق
أهل الأرض أن يطيع الله عز وجل وغضب حتى احمرت وجنتاه خبت وخسرت إن لم أعدل
روي بفتح التاء فيهما على الخطاب وضمهما على التكلم واقتصر بعضهم على الفتح أي خبت وخسرت
أيها القائل إن لم أعدل أنا لأتباعك واقتدائك بغير عادل وعلى الضم اقتصر الشمني لأنه معلوم
بعدم العدل الذي عصمه الله عنه وهو المناسب لقوله وعظ نفسه وذكرها ونقل النووي
في شرح مسلم الوجهين وفسره بما تقدم وقال الفتح أشهر وقيل المعنى على الفتح إن لم أعدل
خبت لأني أقتلك لنفاقك ونطقك بما ينافي الإسلام لكني عدلت نظرا للظاهر إسلامك

النون صح

وأن ما وقع من سؤالك حصل منك بغير تخلل بمقامي ونهى من أراد من أصحابه قتله وهو
عمر بن الخطاب كما في البخاري قال ائذن لي أضرب عنقه فقال معاذ الله أن يتحدث
أني أقتل أصحابي وفي مسلم أن القائل خالد بن الوليد وجمع بينهما بأن كلا منهما أراد ذلك
وقد صرح به في مسلم وأن عمر لما قال ذلك فقال دعه وأدبر فقام إليه خالد بن الوليد
فهذا نص على أن كلا منهما قال ذلك وقال المصنف في شرح مسلم من سب النبي كفر وقتل وهذا
الرجل لم يقتل وقال الماوردي يحتمل أنه لم يفهم منه الطعن في النبوة وإنما نسبه لترك العدل
بناء على تجويز صدور المعاصي من الأنبياء عند القائل وأنه لم يصب وأنه لم يسمعه منه وإنما
نقل له ولم يثبت عنده لأن المخبر له واحد ومثله لا يراق به الدماء وهذا تأويل باطل فإن
المروي يا محمد اتق الله بخطاب المواجهة بحضرة الصحابة حتى استأذنوه في قتله وإنما الوجه
أنه سلك به مسلك غيره من المنافقين استبقاء لانقيادهم وتأليفا للقلوب غيرهم لئلا
يتحدث الناس بأنه يقتل أصحابه فينفروا ويرتدوا فاختار أهون الشرين حكمة والحديث
مصرح بهذا ولما تصدى له غورث بن الحارث تصدى بالتاء المفتوحة والصاد
المهملة والدال المشددة والألف أي أتاه وتعرض له وغورث بغين معجمة مفتوحة وتضم أيضا
وواو ساكنة وراء مفتوحة وثاء مثلثة وقال بعضهم يجوز إهمال عينه كما نقله البرهان
الحلبي قال وعند بعضهم مصغر يعني غويرث كغويرك ونويرك فإنه تصغير بالفارسية
ولم يرد أنه كتصغير العرب غويرث وقال التلمساني إنه غويرث أيضا وفي بعض الروايات
تسميته دعثور وأنه أسلم لكن قيل إنهما روايتان ليفتك به الفتك مثلث الفاء ساكن
التاء هو أن يأتي رجل آخر وهو غافل فيهجم عليه فيقتله وقد فتك به بالفتح يفتك بالكسر
والضم وهذه القصة كانت في غزوة ذات الرقاع في السنة الرابعة من الهجرة ورسول
الله منتبذ تحت شجرة بضم الميم وسكون النون وفتح المثناة الفوقية وكسر الموحدة
وذال معجمة أي جالس في ناحية منعزل وحده بقرب من الناس ليستريح بظلها وتلك
شجرة عضاه وهي التي تسمى أم غيلان وهي شجرة عظيمة ذات شوك وكان ذلك دأبه في
سفره قائلا حال أي مستريحا في وقت القيلولة وهي وسط النهار إذا اشتد الحر وإن لم
ينم والناس قائلون أي كل منهم في قيلولة منفردا عن أصحابه في غزاة تقدم ذكرها
والاختلاف في زمنها ووجه تسميتها مفصل في السير والغزاة اسم مصدر بمعنى الغزو
فلم ينتبه أي لم يتنبه النبي أو لم ينتبه من نومه وهو استثناء من أعم الأحوال
فضمير هو لغورث قائم والسيف صلتا بفتح الصاد المهملة أو ضمها ولام ساكنة ومثناة
فوقية أي مسلولا مجردا من غمده ويجوز في السيف رفعه على أنه مبتدأ ونصبه على أنه مفعول
معه وصلتا حال على كل حال في يده فقال غورث له صلى الله عليه وسلم من يمنعك مني
لأنه وحده خاليا ليس معه أحد ولا سلاح وهو جالس وغورث قائم عليه بسيفه المجرد
وفي رواية أنه كرر مواجهته ثلاث مرات فقال الله أي الله الذي عصمني من الناس
فسقط السيف من يده لما أرعبه من قوله الله وفي رواية أن جبريل دفعه فسقط
وفي رواية فشام سيفه أي أغمده وهو من الأضداد وكان غورث من أشجع الناس تواعد
أن يقتل رسول الله فقيل له أمكنك محمد فاختار سيفا من سيوفه وأقبل حتى قام على رأسه
فأخذه أي السيف الذي سقط منه فقال من يمنعك مني أي من أن أقتلك والسيف بيدي

فقال كن خير آخذ بالمد اي خير رجل آخذ خصمه وتمكن منه فتركه وعفا عنه مع القدرة
عليه وقيل الاخذ الاسر والاخيذ الاسير كما في النهاية وهو غير تقييد ايضا وفي البخاري مسندا
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قفل الغزوة ذات الرقاع ونحن معه فادركتنا القايلة في واد
كثير العضاه فتفرق الناس يستظلون بالشجر ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة علق
بها سيفه فنمنا فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعونا فجئناه فاذا عنده اعرابي جالس ه
فقال ان هذا اخترط سيفي وانا نايم فاستيقظت وهو في يده صلتا فقال من يمنعك مني
قلت الله فها هو ذا جالس ثم لم يعاقبه قالوا ولما راى كرمه وحلمه اسلم وهو من غطفان فانزل
الله يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمت الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم الاية وجاء
قومه وفي نسخة فجاء قومه وقال جئتكم من عند خير الناس حلما وكرما ومن عظيم حلمه
صلى الله عليه وسلم في العفو عفوه عن المراة اليهودية وهي زينب بنت الحارث بن سلام
وقيل امراة سلام بن مشكم اخت مرحب اليهودي كما ورد في الحديث الصحيح الذي اخرجه الشيخان
عن انس التي سمته اي جعلت له السم في الشاة المشوية من الغنم بعد اعترافها بوضع
السم له في الشاة على الصحيح من الرواية متعلق بقوله عفوه لا باعترافها لعدم اختلاف
الرواة فيه ولذا قيل كان الاحسن ان يقدم هذا على قوله بعد اعترافها لانها اهدت شاة مصلية
اي مشوية بخيبر فقال ما هذه فقالت هدية لك ولم تقل صدقة لانه لا ياكل منها فاكل هو ه
واصحابه ثم قال امسكوا وقال لها هل سممت هذه الشاة قالت من اخبرك بهذا قال هذا العظم
لساق بيده قالت نعم قال لم قالت اردت ان كنت كاذبا ان يستريح منك الناس وان
كنت نبيا لم يضرك فاحتجم صلى الله عليه وسلم ثلاثا على كاهله لقربه من القلب وقد اختلف
فيها فقال عفا عنها • وروى ابو داود انه قتلها وصلبها ونقل البرهان عن كتابه شرف المصطفى
ذلك وجمع بين الروايتين بانه صفح عنها لحق نفسه لانه كان لا ينتقم لنفسه كما مر فلما مات
بشر بن البراء من اكله منها قتلها قصاصا به لانه لم يزل معتلا الى الحول حتى مات وقيل انه مات
في الحال وروى معمر في جامعه عن الزهري انها اسلمت فتركها وغيره يقول انه قتلها ولم
تسلم وفي جامع معمر ايضا ان ام بشر بن البراء قالت له في مرض موته اني لا اتهم لبشر يعني الها
الا الاكلة فقال وانا لا اتهم بنفسي الا ذلك وهو ظاهر في ان المرض الذي مات منه كان من
تلك الاكلة على سبيل الظن لا القطع لكن ذكر صاحب المواهب في الطب النبوي انه احتجم
من السم فخرجت المادة السمية مع الدم لا خروجا كليا بل بقي اثرها مع ضعفه فاثر فيه لما
يريد الله من تكميل مراتب الفضل بالشهادة زاده الله فضلا وشرفا وفي الرواية اختلاف فيما
مر ان الذي قدم له ساق وفي اخرى انه كتف او ذراع لانها سالت عن احب اللحم اليه فقالوا
الذراع فاكثرت فيه السم وانه لاك منها مضغة ولم يسغها واساغ بشر لقمته وهذا يؤيد
عدم القطع بتاثيره فيه لكن يؤيد ما في المواهب ما ورد في الحديث انه قال في مرض موته
ما زالت اكلة خيبر تعاودني حتى قطعت ابهري فانظر في التوفيق بين الروايتين في
الاكل وعدمه • واعلم ان في هذه المسئلة اختلافا للفقها فيمن وضع طعاما مسموما لغيره
فاكل منه ومات هل عليه قصاص ام لا وهو مبني على انه اذا اجتمع السبب والمباشرة فالاكثر
على تقديم المباشرة وقولهم انها اسلمت فتركها على بعض الروايات فيه ان الاسلام لا يسقط
حقوق العباد الا ان يكون هذا من خصايصه صلى الله عليه وسلم وفيه نظر وانه لم يؤاخذ

لبيد بن الاعصم اعصم بزنة احمر بمهملات ويقال له اعصم بدون الف ولام وهو
رجل من بني زريق وهم بطن من الانصار وكان بينهم وبين اليهود حلف قبل الاسلام فلما
جاء الاسلام برئوا منه واختلف في لبيد هذا ففي الصحيحين انه يهودي وهو المشهور ه
وقيل انه منافق كان محالفا لليهود وسياتي عن المصنف انه حكم باسلامه وقال البرهان لا اعلم
احدا عده من المنافقين فلعل المراد بالنفاق معناه العرفي كما ورد في الحديث ان المنافق
اذا حدث كذب واذا اؤتمن خان وقد يطلق النفاق على الكفر ايضا اذ سحره وقد اعلم به
واوحي اليه بشرح اي بيانه مفصلا امره في سحره وما فعله ولا عتب عليه فضلا
عن معاقبته وذلك كما رواه النسائي والبيهقي في الدلايل عن زيد بن ارقم قال سحر
النبي رجل من اليهود فاشتكى لذلك اياما فجاءه جبريل فقال ان رجلا من اليهود سحرك
عقد لك عقدا في بير كذا فبعث فاستخرجها فجاءه بها فحلها فقام كانما نشط من عقال ه
فما ذكر ذلك لليهودي حتى مات وكانت له امراة يهودية تسمى زينب تفعل ذلك قال
التلمساني وهو من افعال النساء في الاكثر ولذا قال تعالى من شر النفاثات في العقد دون النفاثين
تغليبا وقال الواقدي لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية في ذي الحجة
سنة ست جاء اليهود الى لبيد بن الاعصم وقالوا له انت اسحرنا وقد سحرنا محمدا فاصنع
له سحرا ونجعل لك جعلا فصنع ما سياتي فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعين يوما
وقيل ستة اشهر يخيل انه فعل الشي وما فعل فبينما هو ذات يوم قال لعايشة ان الله
افتاني فيما استفتيته اتاني رجلان فقعد احدهما عند راسي والاخر عند رجلي فقال
احدهما ما وجع الرجل قال مطبوب اي مسحور قال من طبه قال لبيد بن اعصم قال في
اي شي قال في مشط ومشاطة وجف طلع نخلة ذكر في بير ذروان او ذي اروان فاتاها
رسول الله مع بعض الصحابة وماوها كنقاعة الحناء ونخلها كانه رؤس الشياطين وقيل انه
ارسل عليا والزبير وعمارا فنزحوا ماءها واستخرجوا السحر من تحت صخرة وفيها مشاطة
من راسه واسنان مشطه ووتر عقد فيه احدى عشرة عقدة قيل وتمثال له من شمع مغروز
فيه ابر فنزل عليه المعوذتان فكان كلما قرا اية انحلت عقدة واخرجت ابرة حتى زال
المه والرجلان الذي راهما في منامه جبريل وميكائيل وما كان يخيل له من انه فعل
ولم يفعل من امور الدنيا وجماع زوجاته لا مما يتعلق بالنبوة والوحي فانه معصوم فيه • واعلم
انهم اختلفوا في السحر هل هو امر حقيقي او محض تخييل لا اصل له والصحيح انه حقيقي
بفعل الله بواسطة فان كان بمجرد توجه النفس فهو سحر وان كان باستعانة بخواص سفلية
فعلم الخواص وان كان ببعض الكواكب ودعوتها فدعوة الكواكب وان كان باستخراج القوى
السفلية والعلوية فالطلسمات فان اعتقد تاثيرها بالذات فكفر والا فحرام وفاعله
لاضرار الناس يقتل شرعا على تفصيل فيه ذكره الفقها ليس هذا محله وكذلك لم يؤاخذ
عبد الله بن ابي هو عبد الله بن ابي بن سلول بن مالك بن الحارث بن عبيد بن مالك بن سالم
بن غنم بن عوف بن الخزرج كان قبل هجرة النبي للمدينة راس الانصار مرشحا ان يكون
حاكما عليهم فلما هاجر النبي اسلم فكان كما حاذهم وفيه حمية الجاهلية وغلبه حب الرياسة
فكان بسبب ذلك راس المنافقين يصدر عنهم امور يكرهها الله ورسوله وكان يبلغ النبي
صلى الله عليه وسلم ذلك فيغضي عنه لانه يراعي المؤلفة قلوبهم بامر من الله لئلا يتحدث

الناس بانه يقتل اصحابه وكان ابنه من كبار الصحابة وخلص المؤمنين فكان يكرمه
لاجله وسلول علم لام ابي ممنوع من الصرف فابي منون وابن بعده يرسم بالالف لانه لم يقع
بين علم ابن وعلم اب على الاصح وهو راس المنافقين هلك في السنة التاسعة بعد مقدمه عليه
الصلاة والسلام من تبوك مرض في شوال عشرين ليلة وهلك في ذي القعدة فصلى عليه
النبي صلى الله عليه وسلم وكفنه في قميصه قبل نزول النهي عن الصلاة على المنافقين كرامة
لابنه **واشباهه** جمع شبه بمعنى شبيه اي لم يؤاخذه ويؤاخذ من يشبهه **من المنافقين
بعظيم ما نقل** بالبناء للمجهول **في حقه** اي في حق النبي صلى الله عليه وسلم وفي حق المؤمنين
قولا وفعلا كقوله ليخرجن الاعز منها الاذل يعني بالاعز نفسه وبالاذل نبي الله قال ابن
عباس رضي الله عنه كان المنافقون من الرجال ثلثمائة ومن النساء مائة وسبعين كما فصله البرهان
الحلبي في شرح سيرة ابن سيد الناس وشرحه للبخاري في تفسير سورة المنافقين **بل قال
لمن اشار بقتل بعضهم** وهو عمر رضي الله عنه لما هزم بنو المصطلق فبلغه قول ابن ابي
وقد لطم حليفا له وكان من فقراء المهاجرين وساعده لاخير لعمر ما صحبنا محمد الا لنلطم والله ما
مثلنا ومثلهم الا كما قيل سمن كلبك ياكلك اما والله لئن رجعنا ليخرجن الآية ثم قال لقومه
والله لئن امسكتم عن جعال وذويه فضل طعامكم لم يركبوا رقابكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا
من حول محمد فقال له زيد بن ارقم انت والله الذليل القليل المبغض في قومك ومحمد في عز
من الرحمن وقوم من المسلمين ثم اخبره به فقال عمر يا رسول الله دعني اضرب عنقه فقال له رسول
الله لا آذن لك في ذلك **يتحدث الناس** من قبائل العرب **ان محمدا يقتل اصحابه** علة لتركه
رعاية للظاهر من اسلامه وصحبته وفي اكثر النسخ يتحدث بدون ذكر الناس مبني للمفعول
ولا لبس لنفي التحدث اذ هو مستانف معلل لما قبله وهذا الحديث رواه الشيخان عن جابر
وروى الطبراني ان ابنه لما بلغه مقالة ابيه قال لرسول الله دعني اقتله وآتيك براسه
فقال لا يقتل اباك وفي الكشاف فان قلت كيف جاز له تكرمة المنافق وتكفينه
في قميصه قلت كان ذلك مكافاة له على صنيع له لان عمه العباس لما اسر ببدر لم يجدوا
له قميصا وكان رجلا طوالا فكساه ابن سلول قميصه وكان جاريا على عادة العرب في المكافاة
وروي ان ابنه قال لرسول الله لما مات ابوه اسالك تكفينه ببعض قمصانك وان تقوم على
قبره ولا تشمت به الاعداء • ففعل ذلك فقيل له لم فعلت ذلك وهو كافر فقال ان قميصي لن يغني
عنه من الله شيئا واني لارجو ان يدخل في الاسلام كثير بهذا السبب فقيل انه اسلم الف
من الخزرج بسبب ذلك **وعن انس كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم** قال السيوطي
هذا الحديث رواه الشيخان الى قوله من مال الله الذي عندك قال فضحك وامر له بعطا
واخرجه بلفظ المصنف البيهقي في الادب من حديث ابي هريرة ولفظ مسلم كنت امشي مع النبي
صلى الله عليه وسلم وعليه برد نجراني غليظ الحاشية فادركه اعرابي فجبذه جبذة
شديدة الخ **وعليه برد غليظ الحاشية** البرد والبردة كساء كانت العرب تلتحف به
والحاشية جانب الثوب وفي رواية الاوزاعي غليظ الصنيفة بفتح الصاد المهملة وكسر
النون والفاء وهي طرف الثوب ايضا **فجبذه اعرابي** جبذ لغة في جذب او مقلوب منه وهما
بمعنى **بردائه جبذة شديدة** وهذا يقتضي انه كان عليه رداء فوقه وان الجذب وقع بهما
حتى اثرت بتشديد المثلثة مبني للفاعل اي اظهرت اثرا وعلامة **حاشية البرد في**

صحيح

صفحة عاتقه الصفحة الجانب او العرض والعاتق ما بين العنق والكتف او موضع
الرداء من المنكب وهو يؤنث ويذكر وفي رواية ان البرد انشق **ثم قال** الاعرابي يا محمد قيل
مشافهته بهذا يقتضي انه لم يكن مسلما والسياق يقتضي خلافه وليس فيه ما ينافيه غير
ندائه باسمه فلعله كان قبل تحريمه والنهي عنه بقوله لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم الخ او الاعرابي
قريب عهد بالاسلام في طبعه غلظة وجفاء فهو معذور وطلبه عطاء الرسول واخذه من
الزكاة يدل على انه من المسلمين المؤلفة قلوبهم وفي كتاب الامتاع من خواصه صلى الله عليه
وسلم انه لا يجوز لاحد ان يناديه باسمه فيقول يا احمد يا محمد ولكن يقول يا نبي الله يا رسول
الله قال تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول الخ وقال تعالى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض
اي لا تدعوه باسمه فان قيل ثبت عن انس ان رجلا من اهل البادية جاء فقال يا محمد الخ اجيب
بانه يحتمل ان ذلك صدر منه قبل اسلامه او في حال اسلامه قبل النهي او قبل بلوغه فلو ناداه
بالكنية هل يحرم ام لا فيه نظر انتهى • اقول الظاهر ان هذا في حياته مواجهة اما في غير
ذلك فلا يحرم الا ذكره بما لا يشعر بتعظيم فلا يرد انه وقع كثيرا في المدائح النبوية وغيرها
كقول حسان •

هجوت محمدا واجبت عنه • وعند الله في ذاك الجزاء •
فان ابي ووالده وعرضي • لعرض محمد منكم وقاء •

فلا حاجة الى ان يقال انه مخصوص بغير الشعر لانه قد يقتضيه الوزن ومما قيل هنا ايضا
ان الرسول ورسول بدون اضافة لله كاسمه حتى اعترض على ابن مالك في قوله •

مصليا على الرسول المصطفى • ولا وجه له **مر احملني** قال التلمساني
همزته همزة قطع رباعي اي اعني على الحمل ويجوز احمل لي اي اعطني ما احمل والاول اولى
لوجود المحمول انتهى وبتعدد بعض المحشين فيجوز فيه الوصل ايضا الا ان فيما رجح الاول
نظرا **على بعيري** بالتحتية مضافا **فالى** الياء المتكلم **هذين من مال الله الذي عندك
فانك لا تحمل لي** بضم التاء وفتحها على ما مر وروي لا تحملني اي لا تعطيني **من مالك ولا
من مال ابيك** وقيل انه اسند الحمل اليه لانه سبب امر به فهو مجاز عقلي فعلى هذا همزته
همزة وصل ايضا ورد على من قال ان همزته مقطوعة بانه ظن انه من احمل احمالا اي جعل
البعير حاملا فلم يستبعد اسناده له وهو مجاز مشهور وليس بشيء لان ما ذكره معنى آخر
حقيقي صرح به الجوهري وكان الرواية عليه **ثم سكت رسول الله ثم قال المال مال الله
وانا عبده** المتصرف باذنه واعطي من يامرني باعطائه فرد عليه بالطف وجه **ثم قال
ويقاد منك** بالبناء للمجهول وتقدير همزة الاستفهام اي اويقاد منك من القود وهو
القصاص وهو هنا مجاز عن مطلق المجازاة اي اتجازى على ترك ادبك ولم يقل اقتد
نفسي منك كراهة ان لو ن يذكر ما يشعر بانتصاره لنفسه **ولو مستفهما** وقيل انما بناه
للمجهول للتعميم فيمن يتولى القود اهو الله ام غيره من المسلمين وقوله **يا اعرابي** اشارة لانه
معذور لما فيه من غلظة الاعرابية وهم اهل البادية **ما فعلت بي** من جذب بردي بان يفعل
به مثله او يعزر بما يليق به وسياتي تحقيقه في القصاص باللطمة **قال لا قال لم لا يقاد
منك قال لانك لا تكافي** بهمزة من المكافاة وهي المجازاة او بالياء اصلية او مبدلة
منها **بالسيئة السيئة** فيه مشاكلة لان الجزاء ليس بسيئة او استعارة لانها مثلها
بحسب الصورة **فضحك النبي عليه السلام** سرورا بما رآه من حسن ظنه به وانه لم يفعل

ذلك بقصد التفتيش منه وتطبينا لقلبه اذ ابدى المسترة بمقالته ثم امر ان يحمل له
على بعير شعيرا وعلى الآخر تمرا وفيه من حلمه صلى الله عليه وسلم وتحمله الاذى وعدم
الفضيحة ما لا يخفى وهو ارشاد لامته لا سيما من يتولى امور المسلمين ثم اتى بما يدل على ما في هذا
الحديث من خلقه العظيم فقال قالت عايشة في حديث اخرجه الشيخان واحمد والترمذي
في الشمايل مع مخالفة يسيرة في لفظه ما رايت رسول الله راي بصرية او علمية منتصرا
اي منتقما وناصرا لنفسه على غيره من مظلمة اي من ظلم وهو بفتح الميم وكسر اللام وفتحها واقتصر
في التقريب على الاول ظلمها مبني للمفعول وهو موكد او رفع كون الظلم لغيره قط لاستغراق
ما مضى ما لم يكن حرم من محارم الله اي ما لم تكن المظلمة بارتكاب امر حرمه الله وليس بصرف
حق له ولا يرد عليه انه قتل ابن خطل والقينتان اللتان كانتا تغنيان بهجو رسول الله فانه
حق لله فان ابن خطل ارتد وهجو رسول الله وسبه كفر كاذيته بخلاف الاعرابي فانه مسلم
حمله على ما فعله غلظة طبعه وظهر من جوابه انه لم يقصد بذلك الاهانة ثم ما فيه من حكم
خصه كاستعطاف قلوب اهل البادية ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك وما
ضرب بيده شيا قط من دابة وانسان وغيره الا ان يجاهد في سبيل الله كما في ضربه
ابن خلف باحد وما ضرب خادما له ولا امراة من نسائه وفيه دليل على جواز تاديب
الرجل امراته وضربها ولولا ذلك لم يمدح به وجي اليه برجل هذا الحديث اخرجه احمد
والطبراني بسند صحيح ولم يسميا الرجل فقيل له هذا اراد ان يقتلك فقال له صلى الله
عليه وسلم لن تراع لن تراع اي لا تخف مني وكرره ليطمين قلبه والروع الخوف والفزع
ولن هنا بمعنى لا اي لا خوف عليك لا مني ولا من غيري ولو اردت هذا لم تسلط علي
لان الله عصمني فلن ينالني ما اردته انت ولا غيرك فان قلت قوله لو اردت يقتضي
انه لم يرده مع انه اراد ذلك لقولهم اراد قتلك قلت المراد بالارادة مشيتها وهي ما شاء
ما هو به اي لو مددت يدك الي لم تصل لذلك وجاءه زيد بن سعنة بفتح السين المهملة وسكون
العين المهملة وفتح النون وقيل انها مضمومة وهو غريب وهو حبر من احبار اليهود كما في الاكمال
وفي التهذيب هو صحابي من احبار اليهود الذين اسلموا وهو من اكثرهم مالا وعلما حسن
اسلامه وشهد المشاهد وتوفي مرجعه من تبوك ويقال انه انه سعيد بالياء التحتية حكاه
ابن عبد البر وقال النووي اشهر فيه وعليه اقتصر الجمهور وقال الدماميني انه اصح واما اسيد
بن سعية بالتحتية فيه اصح واسيد بفتح الهمزة او مصغر وهو حديث طويل رواه البيهقي
مفصلا عن ابن سلام ووصله ابن حبان والطبراني وابو نعيم عن عبد الله بن سلام وسنده صحيح
كما قاله السيوطي قبل اسلامه يتقاضاه دينا عليه اي يطلب منه دينا كان له عليه والتقاضي
بمعنى المطالبة من كلام العرب قال الحماسي

لحى الله دهرا شره قبل خيره • تقاضى فلم يحسن الينا التقاضيا

قال الشراح اي طالبنا ومثله كثير في كلامهم وكلام اهل اللغة فقول شيخنا المقدسي في الرمز
التقاضي معناه لغة القبض لانه تفاعل من قضى يقال تقاضيت ديني واقتضيته بمعنى اخذته
وفي العرف الطلب انتهى لا وجه له والذي غره قصور كلام القاموس فظنه غير لغوي بل معنى
عرفي وهو غريب منه قال كنت اريد ان اعلم حال النبي لتطابق ما في التوراة من حلمه فخرج
يوما ومعه علي فجاءه رجل كالبدوي فقال يا رسول الله ان قرية بني فلان اسلموا واعلمهم انهم

ان اسلموا اتاهم ارزاقهم رغدا وقد اصابهم سنة وشدة واني مشفق عليهم ان
يخرجوا من الاسلام فان رايت ان ترسل اليهم بشي يعينهم فقال زيد بن سعنة انا ابتاع
منك بكذا وكذا وسقا فاعطيته ثمانين دينارا فدفعها الى الرجل وقال اعجل عليهم بها
واغثهم فلما كان قبل المحل بيوم او يومين او ثلاث خرج رسول الله الى جنازة في نفر
من اصحابه فلقيته وتقاضاه فجبذ ثوبه عن منكبه واخذ بمجامع ثيابه ضمنه معنى
ازاله فعداه بعن ومنكب بكسر الكاف بمجمع الكتف والعضد والمجامع جمع مجمع وهو
اطرافه وحواشيه وقيل هو التلبيب اي اخذ بطوقه وما تحت لبته ونحوه وهذا هو
الصحيح المعروف لما قيل انه ما بين الكتفين فان الثياب كلها كالرداء او القميص يجتمع هناك
واغلظ له اي قال له كلاما غليظا فاحشا خشنا مع تعبس وتجهم وجه ثم قال انكم
يا بني عبد المطلب مطل بضم الميم والطاء جمع ماطل والمطل التطويل في تاخير الحق
او خلف الوعد فيه مرارا من مطل الحديد الحداد اذا مده وفي القاموس المطل التسويف
بالعدة والدين فانتهره عمر بالراء المهملة افتعال من النهر وهو الزجر ونهره وانتهره
بمعنى وقال ابن فورك الانتهار الاغلاظ في القول مع صياح وقيل النهي عن الشي
بغلاظة وشدد له في القول قال له اي عدو الله اتقول هذا لرسول الله وتصنع ما
ارى وتقول ما اسمع فوالذي بعثه بالحق لولا ما اخاف فوته لسبقني راسك والنبي
صلى الله عليه وسلم يتبسم من مقالتهما لشدة حلمه ولعله كشفا بمراد ابن سعنة وانه
عمرو لو كشف له انعطالم بضعف عليه ذلك فقال رسول الله انا وهو اي ابن سعنة
صاحب الحق كنا الى غير هذا المقال الذي قلته منك احوج يا عمر اي اكثر حاجة
وهو افعل تفضيل من حاج بمعنى احتاج وليس من احتاج على حذف الزوايد شذوذا كما
توهم فان ثلاثيه مسموع والمفضل عليه محذوف وهو خبر انا وما عطف عليه ثم بين
الغير الذي هما احوج اليه من هذا التشديد بقوله تامرني بحسن القضا اي وفاء
ما له علي وتامره بحسن التقاضي والطلب بلطف ثم قال صلى الله عليه وسلم دفعا
لما عسى يتوهم انه وقع مطل او تاخير منه لقد بقي من اجله اي من تاجيله دينه ثلاث
اي ثلاثة ايام فلذا لم يحسن تقاضيه بخلاف قضاء النبي فانه وقع على احسن وجه فانه
فعل وعده وزياده وامر عمر يقضيه ماله ويزيده على حقه عشرين صاعا من تمر لما
روعه تامصد رية اي لاجل ترويع عمر له اذ هم بقتله وقال له ما مر فكان فعل النبي
صلى الله عليه وسلم سبب اسلامه لانه كان عالما بالتوراة وراى فيها ذكره وعلامته
فحقق تلك العلامات كلها غير علامتين لشدة حلمه فلما راهما تيقن امره وزالت شبهته
فحسن اسلامه واراد الله سعادته وذلك انه كان يقول لمن عنده من اليهود ما بقي
من علامات النبوة اي علامات نبوة محمد المذكورة في التوراة التي قراها وعرفها شي
الا وقد عرفته اي شاهدته فيه وفي نسخة الا وقد عرفتها باعتبار ان الشي بمعنى
العلامة الا علامتين اثنتين لم اخبرهما اي لم اعرفهما وهو بضم الباء يقال خبرته اخبره
خبرا اذا اختبرته فصدق الخبر الخبر ثم فسر الشيين اللتين لم يعرفهما بقوله يسبق
حلمه جهله تقدم ان الجهل في كلام العرب قد يا بمعنى المبادرة للغضب ومقتضاه بالايقاع
بمن يغضبه وهو مقابل للحلم لا للعلم كقوله هم

ع

• ألا لا يجهلن احد علينا • فنجهل فوق جهل الجاهلينا •

لان النبي كان يغضب احيانا لله وينتقم فلا يتوهم من لا يعرف كلام العرب هنا ما لا يليق
بصفاته صلى الله عليه وسلم فالمراد ان حلمه يغلب حدته كما في قوله سبقت رحمتي غضبي
اذ السبق على ظاهره فمن قال النبي يغلب حلمه على جهله لو كان له جهل كقوله فتبارك الله احسن
الخالقين وليس المراد انه له جهل يسبقه حلمه لانه لقبحه لا يصلح الا ان يعد من علامات
النبوة وحينئذ فليس من قبيل سبقت رحمتي والجهل هنا وفيما بعده مصدر جهل عليه لانه اشتهر
لم ينصب مع ما في كلامه من التناقض ولا تزيده شدة الجهل الا حلما هذه العلامة الثانية
اي جهل غيره بمعنى اذيته وسفاهته كلما ازدادت واشتدت عليه ازداد حلمه وصبره ما لم
يتجاوز حدود الله وتنتهك حرماته فانه حينئذ يغضب لله لا لنفسه وهذا من صفاته الخارقة
للعادة كما عرفته في هذه القصة مع زيد ولذا قال زيد لعمر رضي الله عنه لما اقتضاه
وزاده اشهد ان لا اله الا الله وانه رسول الله وما حملني على ما رأيتني صنعت يا عمر الا اني
كنت رأيت صفاته التي في التوراة كلها الا الحلم فاختبرت حلمه اليوم فوجدته على ما وصف
في التوراة واني اشهدك ان هذا التمر وشطر مالي في فقراء المسلمين واسلم اهل بيته كلهم
الا شيخا غلبت عليه الشقوة والى هذا اشار المصنف بقوله فاختبره بهذا فوجده كما وصف
والحديث اي الاخبار المستفيضة بين الناس ليس المراد المصطلح ولذا عداه بعن فقال
عن حلمه وصبره وعفوه عند المقدرة قيده به لانه هو المحمود كما مر اكثر من ان يأتي
عليه يقال اتى على الكتاب قراءة والمال انفاقا اذا استوعبه كله وهذا التركيب كقولهم
اكثر من ان تحصى والكلام عليه مشهور فالمعنى انه لا يمكن استيعابه واستقصاؤه وحسبك
ما ذكرناه مما في الصحيح والمصنفات الثابتة اي يكفيك ما تقدم مما ثبت بنقل
الثقات فان ما لا يدرك كله لا يترك كله فيكفي هذا منضما الى ما بلغ لك وعندك
متواتر تواترا معنويا من مجموعها مبلغ اليقين اي وصل بالتواتر مرتبة اليقين الذي
لا يشك فيه احد ولو قال مبلغ الضروري كان اولى والقول بانه ارادة لا يخفى ما فيه
ثم بين ذلك بقوله من صبره على مقاساة قريش المقاساة تعاني امور صعبة شاقة
بحيث لا يحتمل مثلها وهذا في اول بعثته كما تعرفه من طالع السير واذى الجاهلية
اي تحمله اذى الجاهلية اي اهل الجاهلية وهم الكفار ومصابرته الشدائد
الصعبة معهم في الحروب الواقعة بينه وبينهم وهي وان كانت سجالا الا انه
صب العذاب عليهم فالمصابرة مفاعلة من الصبر على شدائد الحرب وهم صناديد كان لهم
صبر على اصطلاء نارها لكنه صلى الله عليه وسلم صابرهم وزاد عليهم على الظفر والنصر
الى ان اظفره الله عليهم وحكمه فيهم اي جعله قاهرا غالبا وهم في قبضة تصرفه
يحكم فيهم بما يريد من قتل واسر وعفو ان شاء وهم لا يشكون في استئصال شافتهم
الاستئصال قطع الشيء من اصله وازالته بالكلية والشافة بشين معجمة مفتوحة وهمزة ساكنة
وفاء تليها هاء تانيث وتبدل الهمزة الفا وهي قرحة تخرج في اصل القدم فتكوى فتذهب
وان قطعت مات صاحبها يضرب مثلا وقد يدعى به والمراد ازالة الشيء من اصله بحيث
لا يبقى له عين ولا اثر ولا اصل ولا فرع وفيه اشارة الى جهلهم وانهم كقرح في البدن خبيثة
مهلك لصاحبه شبه هلاكهم اجمعين بقطع تلك القرحة وفيه بلاغة لا تخفى وابادة

خضرائهم

خضرائهم الابادة بالدال المهملة بمعنى الاهلاك وهذا مثل كالذي قبله والخضراء كالسواد
يطلق على الناس والقوم فمعنى ان الله سواده وخضرائهم هلاكهم قال في النهاية في الحديث
ابيدت خضراء قريش اي دهماؤهم وسوادهم والمراد الجماعة وذهب بعض اهل اللغة الى ان
صوابه غضراءهم بغين معجمة وهي عضارتهم وخيرهم وحصنيتهم او طبيعتهم التي خلقوا عليها
والمراد على كل حال استئصالهم والصواب ما تقدم رواية ودراية والمعنى انه ظفر بهم
في حال يتيقنوا اهلاكهم باسرهم بحيث لا تبقى منهم باقية فلما زاد صلى الله عليه وسلم على ان عفا
وصفح اي مع شدة اذاهم وتمكنه عليهم بحيث صاروا في قبضة تصرفه وقد احاط بهم
الهلاك من كل جانب ما زاد ما كان عليه من حال الا العفو والصفح لا اشفاء النفس بالانتقام
وفعل ما يستحقون بحيث لو فعل لم يلم والعفو والصفح متقاربان عدم المؤاخذة بالذنب
وقال تلويحا للطفه بهم مستنبطا منهم ما في ضميرهم مفوضا ذلك اليهم تكرما منه ما
تقولون ما استفهامية والقول بمعناها بمعنى الظن كما صرح به النحاة فقوله اني فاعل
بكم بفتح همزة اني وهي وما معها سادة مسد مفعولين وهذا متعين وحمل القول على اصله
بناء على انه سألهم عما قالوه في انفسهم او فيما بينهم تكلف مخالف للاستعمال الفصيح قالوا
خيرا منصوب بمقدر يدل عليه ما قبله اي تفعل خيرا او انت فاعل خيرا اخ كريم اي
انت اخ كريم وهي جملة مستأنفة لبيان انه يفعل الخير وابن اخ كريم هذا على عادة العرب
في تسمية القريب اخا قال تع والى عاد اخاهم هودا والكريم الجامع للخير والفضائل كما في
الحديث الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف الخ فقال اقول كما قال اخي يوسف فيه بلاغة
وطي بديع ابلغ من قوله هم

• نهبت من الاعمار ما لو حويته • لهنئت الدنيا بانك خالد •

لما فيه من الايماء الى شقهم عصا القرابة بينهم وحسدهم له وكذبهم عليه وقطع رحمه
مع ما لهم من الشرف القادح فانه الكريم ابن الكريم وان حسدهم وبغيهم كان سببا لعلو مقامه
وتملكه لنواصيهم وذلتهم له معترفين بقصورهم لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم
وهو ارحم الراحمين التثريب التعيير والتوبيخ اي لا اوبخكم او اعيركم بما تحملكم ويحتمل
ان المراد لا عتب عليكم لعدم ما لا يليق بكم من الثرب وهو الشحم الذي يغشي الكرشين ومعناه
ازالة الثرب كما ان التجليد ازالة الجلد لانه اذا ذهب كان غاية الهزال فضرب مثلا للتقريع
الذي يمزق العرض ويذهب ماء الوجه وفيه جواز الاقتباس من القران ولو مع تغيير
ما في المعنى وقد جوز المصنف على قوله عليكم والظرف متعلق بيغفر وفيه المسارعة بالمغفرة

الوقوف صح

في وقت يرجى فيه خلافه واليوم بمعنى مطلق الوقت ويجوز ان يوقف على اليوم اي لا اعيركم
اليوم لان المعذرة تذهب الحفيظة اذ ابدل الله من العسر يسرا ومن الحزن سرورا ومن
الفرقة الفة ومن الغربة ملكا وبسطة فلا تثريب في زمان فيه مثل هذا الخبر وبهذا الوقف
قرأ القراء ويغفر جملة دعائية او خبرية مفسرة لهم بذلك اذهبوا فانتم الطلقاء بالمد جمع طليق وهو
الاسير يطلق ويخلى سبيله قيل وهو مخصوص بمن كان من قريش ومن ثقيف يقال لهم العتقاء
تمييزا بينهم وهذا بعض حديث طويل وهو انه لما نزل بمكة واطمأن الناس جاء البيت وطاف به
سبعا على راحلته يستلم الركن بمحجنه فلما قضى طوافه دعا عثمان بن طلحة فاخذ منه مفتاح
الكعبة ففتحت له فدخلها ثم وقف على بابها وقال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده

وعلا ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده • ثم قال يا معشر قريش ما ترون اني فاعل بكم فخرجوا كانما
نشروا من القبور **وقال انس هبط ثمانون رجلا من التنعيم صلاة الصبح** منصوب
على الظرفية اي وقت صلاة الصبح ليقتلوا رسول الله الهبوط النزول من علو لسفل وهو يتعدى
ولا يتعدى قال العباس • ثم هبطت البلاد لا بشر • وبابه منصوبة في الماضي مكسورة
في المضارع وضمها لغة شاذة وقال ابن عطية ان الضم لغة شاذة كثير في غير المتعدي وقيل
عليه انه لا توجد المغايرة بين المتعدي وغيره يعني بحركة عند المضارع وحدها والتنعيم بفتح التاء
اسم موضع عن يمينه جبل يقال له نعيم وعن يساره جبل يقال له ناعم والوادي هو نعمان فقيل فيه
التنعيم لذلك وقالت امرأة تذكرهم • • •

• ايا جبلي نعمان بالله خليا • نسيم الصبا يخلص الي نسيمها •

وهو على اربعة اميال من مكة وهو طرف الحرم من جهة المدينة **فاخذوا فاعتقهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم فانزل الله** في هذه القصة **وهو الذي كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم
ببطن مكة من بعد ان اظفركم** اي اظهركم ونصركم **عليهم** فهزمهم حتى ادخلهم بطنها وحديث
انس المذكور رواه مسلم والترمذي وابو داود والمراد ببطن مكة الحديبية وضمير الخطاب
للنبي ومن معه وكان ذلك وهو في اصل الشجرة فبينما هو كذلك اذ خرج ثلاثون رجلا وقال
ابن هشام سبعون او ثمانون واخذوا اسرى والسفرة يمشون بالصلح فاطلقهم وهم العتقاء وقيل
ان رسول الله اخبر ان عكرمة بن ابي جهل خرج اليه في خمسمائة فارس فقال رسول الله لخالد هذا
ابن عمك خرج في خمسمائة فارس فقال انا سيف الله وبذلك سمي يومئذ فقام اليه في خيل فهزمه
الى حوائط مكة وقيل انه كان يوم مكة وبه استدل بعض الحنفية على انها فتحت عنوة • ورد بان
الآية نزلت قبل الفتح وان الكف يناسب الصلح وهو بصيغة الماضي والآية نزلت بالحديبية
قيل ومن العجب على قول ابي السعود ان الآية نزلت لما خرج عكرمة ابن ابي جهل في خمسمائة فارس
الى الحديبية فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد بجنده فهزمهم حتى ادخلهم
حيطان مكة يوم الفتح انتهى وهو كلام متناقض لان الحديبية سنة ست في ذي القعدة وفتح
مكة في رمضان سنة ثمان وقصة خالد كانت يوم الفتح • اقول من قال المراد فتح مكة فهو ضعيف
فان السورة مدنية نزلت قبل الفتح والحمل على ان الماضي اعني كف للتحقيق بمعنى المضارع بعيد جدا
وايضا ما ذكر ان عكرمة ابن ابي جهل خرج في عسكر فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن
الوليد من الحديبية فهزمهم حتى ادخلهم حيطان مكة غلط فان خالد بن الوليد لم يكن اسلم يومئذ
بل كان طليعة للمشركين كما في البخاري ولا حاجة لتاويل كلامه بانه اراد بالفتح قصة الحديبية
لانها سميت في القرآن فتحا مع انه تابع في هذا الغلط لغيره وعهدته على من قاله اولا وليس
ما نقله ايضا مطابقا لما قاله في تفسيره وفي فتح مكة خلاف في كتب الفقه وفي الكشاف
كف ايديهم قضى بينكم وبينهم بالمكافة والمحاجزة وهي نزغة اعتزالية ولذا تركه القاضي
وقال صلى الله عليه وسلم **لابي سفيان** صخر بن حرب بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف
وقد سيق اليه جملة حالية اي قال له القول الآتي وسيق مبني للمجهول ساقه اي به وقاده
والسائق هو العباس عم رسول الله لما سار النبي لفتح مكة ونزل مر الظهران عشاء واوقدوا عشرة
الاف نار وجعل على الحرس عمر واراد دخولها قهرا لقتل الكفار فرقت نفس العباس لاهله
فخرج على بغلة النبي حتى اتى الاراك فقال لعلي اجد ذا حاجة ياتي مكة فيخبرهم برسول الله هم

حتى يخرجوا ويستامنوه قبل ان يدخلها عنوة فسمعت صوت ابي سفيان يقول لبديل ما رايت
كالليلة نيرانا ولا عسكرا فقلت يا حنظلة فقال الفضل قلت نعم قال ما لك فداك ابي
وامي قلت هذا رسول الله في الناس واصباح قريش قال الحيلة قلت والله لئن ظفر بك
ليضربن عنقك فاركب عجز هذه البغلة حتى آتي بك رسول الله فاستامنه لك فركب خلفي
فكنت كلما مررت باحد قال بغلة رسول الله عليها عمه حتى مررت بعمر فلما رآه قال ابو سفيان عدو
الله الحمد لله الذي امكن منك بلا عقد ولا عهد وخرج يشتد نحو رسول الله فركضت البغلة
ودخلت عليه وعمر معه فقال هذا ابو سفيان دعني اضرب عنقه فقلت اني قد اجرته فلما
فلما اكثر عمر في شانه قال مهلا يا عمر اذهب به يا عباس الى رحلك فاذا اصبح فاتني به فغدوت
به صباحا فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم علم انه جاء ليسلم منقادا **فعفى عنه** ما سبق
منه في كفره لان الاسلام يجب ما قبله **والطف في القول** اذ خاطبه بقوله **ويحك
يا ابا سفيان** اي التعجب لك من عقلك وذهابك وظهور حقية الاسلام وعبر بفاعل للتلطف
كل منهما في مقاله واللطف الرفق والبر ويكون بمعنى الدقة والصغر **الم يان لك** اي الم
يأن وقت علمك يقال انى يانى اذا حان وقته وجاء زمانه **ان تعلم ان لا اله الا الله** اي
توحد الله وتصدق به فتسلم اسلاما صحيحا **فقال** ابو سفيان **بابي انت وامي ما احلمك
واكرمك واوصلك** لرحمك اذ خاطبتني بلطف وهديتني الى الحق ثم ما واسيته بني
ثم اجابه مصدقا فقال لقد ظننت ان لو كان مع الله الها آخر غيره لقد اغنى شيئا بعد فقال له
رسول الله ويحك يا ابا سفيان الم يان لك ان تعلم اني رسول الله فقال بابي وامي انت اما هذه
ففي النفس منها شيء فقال له العباس ويحك اسلم واشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
قبل ان يضرب عنقك فشهد شهادة الحق واسلم والحديث مذكور بتمامه في السنن واسلام ابي
سفيان رضي الله عنه مشهور وفي بعض النسخ بدل ما احلمك ما اجملك من الجمال ويحتمل انه
من التجمل وهو صيغة تعجب وكل هذا جاء في تاريخ قزوين للامام القزويني روى علي بن
احمد بن صالح قال حدثنا ابو العباس العبدي القزويني حدثنا الحسين بن الفضل حدثنا
محمد بن غزوان البغدادي حدثنا الاصمعي حدثنا مالك بن مغول عن الشعبي عن ابن عباس
قال لطم ابو جهل فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكت الى ابيها فقال ائتي ابا
سفيان فاتته فاخبرته فاخذ بيدها حتى وقف على ابي جهل وقال لها الطميه وقال
اللهم لا تنسها اي لابي سفيان وقال ابن عباس ما شككت ان كان اسلامه الا لدعوة النبي
صلى الله عليه وسلم انتهى نقله السيوطي في كتاب تحفة الاديب ومن خطه نقلت **بعد
ان جلب اليه الاحزاب** جلب بالجيم والموحدة بمعنى ساق وجمع واصله من الجلبة وهي
اصوات المحاربين والاحزاب جمع حزب وهي الناس المجتمعة من قبائل شتى للحرب
ويقال تحزبوا اجتمعوا او تجمعوا وهذه غزوة الخندق التي كانت في سنة خمس واسناد
جلب الاحزاب اليه لانه كان قائد خندق التي كانت في سنة خمس جيشهم وصاحب رايتهم
والا فسبب التحزيب انما كان جماعة من اليهود دعوا القبائل وحركوا قريشا لذلك كما فصل
في السير **وقتل عمه** حمزة سيد الشهداء **واصحابه** اي اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
وعود الضمير لعمه وان صح بعيد **ومثل بهم** بالتشديد اي شوهت خلقهم بقطع
الاطراف وشق البطن واخراج القلب ونحوه وهو من المثلة بضم وهي العقوبة الشديدة

ح اللطمة فلطمت فجاءت الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرته فرفع يديه

ومنه وقد خلت من قبلهم المثلات ويقال مثل بالتخفيف ايضا ونسب قتل حمزة والتمثيل به وقتل اصحاب النبي له مع ان قاتل حمزة وحشي ابن حرب واسلم بعد ذلك ولم يباشره هو ابو سفيان الا انه هو الباعث والسبب لذلك القتال والمهيج له ولكونه قتل حمزة مشهورا انه باحد لا يقال ان عبارة المصنف توهم انه بالاحزاب والمراد بالاصحاب من قتل باحد وكانوا اكثر من سبعين ولذلك نسب التمثيل له مع المثلة زوجته هند لان فعل اهل الرجل كفعله لا سيما النساء وقد مثل بجماعة غيره ايضا كما اشار اليه المصنف بقوله فمن مثل به انس بن النضر وعبد الله بن جحش كما فصل في السير **وكان رسول الله عليه السلام ابعد الناس غضبا واسرعهم رضى** اي غضبه بعيد لا يكون منه الا بعد امور كثيرة بخلاف رضاه فانه يرضى باقل شي لكرمه وحلمه وهذا لانه متخلق باخلاق الله وهو رحمة من الله ورحمته قد سبقت غضبه وفي الحديث المؤمن بطي الغضب سريع الرضا وهذا في غير حقوق الله وفي غيره يودي الى عدم الحمية والمروة فلا ينافي هذا قوله من استغضب فلم يغضب فهو حمار ومن استرضي فلم يرض فهو شيطان ۝

فصل واما الجود والكرم والسخا والسماحة

جواب اما قوله فكان صلى الله عليه وسلم لا يوازي الخ وما بينهما جمل معترضة ومعانيها متقاربة بعضها قريب من بعض حتى توهم بعضهم انها مترادفة وقد فرق بعضهم بينهما بفروق واهل اللغة يفرقون الفرق في امثاله بمقابلها واضدادها كما قيل وبضدها تتبين الاشيا ولابن هلال كتاب في الفروق مفيد جدا وفرق بتخفيف الرا وتشديدها بمعنى الا ان بعضهم قال الاكثر في التفريق استعماله في الاجسام والفرق في المعاني وهذا لا ينكر استعمال احدهما مكان الاخر فهو كلام قليل الجدوى وجمع فروق باعتبار وقوعه بين كل واحد وغيره والا فهو في الحقيقة فرق وبدا المصنف بالجود اولا وفي التعريف اخره لانه عنده بمعنى السخا ولذا قيل كان الاولى تركها وعطفه على السخا وتاخيره فجعلوا الكرم الانفاق بطيب النفس فيما يعظم بعظم بضم العين فيهما جل مقداره وخطره بفتحتين وقد يسكن قدره ووقعه **ونفعه** لمن يعطى له وذلك انما يكون بكثرته وهذا يختلف باختلاف المعطي والاخذ وكان هذا معنى في عرف اللغة والا فالكرم بمعنى الشرف والمجد وهو لا يختص باعطا ولذا قال **وسموه ايضا حرية** بضم الحاء المهملة وكسر الرا المهملة المشددة ويليها يا نسبة يا المصدرية وهي اذا الحقت الاسما الجامدة والصفات تصيرها مصدرا ولا بد في اخرها من ها تانيث ولم يفصل النحاة حال هذه الا انها شايعة في الاستعمال وما وقع في بعض النسخ هنا من انه جراة بجيم مضمومة ورا ساكنة تليها همزة وها كما في حواشي ابن رسلان فهو من تحريف الكتاب وانه لا مناسبة هنا وان كانت الجراة والكرم اخوان لا يفترقان لا سيما في زمان فيه غاض الكرام وفاض اللئام واما تسمية الكرم حرية فلان الحر خلاف العبد فالحرية الخلاص من رق الناس فاذا طوقهم منته خلصت له الحرية لان الانسان عبد الاحسان وهذا من كلام الصوفية فانهم قالوا الحرية صفة يتولد عنها الايثار ونهاية السخا لانه بذل ما له اليه حاجة وهو نهاية السخا واعلا منه قول بعضهم الحرية ان لا يكون العبد بقلبه تحت رق شي من المخلوقات ولا من اعراض الدنيا والاخرة ويكون فردا لم تسترقه دنياه ولا هواه ولا حظ بتمناه من كتاب المنتقي في التصوف **وقال القرطبي** الحرية

المحضة الخروج من ملك او سلطان الشهوة والغضب والقهر وهو ضد النذالة بفتح النون والذال المعجمة واللام والخسة والحقارة وهي من لوازم البخل المقابل للكرم كما قيل وفيه اشارة الى انه ليس مقابلا له حقيقة **والسماحة** والسماح التجافي تفاعل من الجفا وهو غلظة الطبع وحقيقته التباعد والترفع يقال جفا السرج عن ظهر الدابة اذا تباعد عنه كما قال الله عز وجل تتجافى جنوبهم عن المضاجع اي لا يكرهون النوم عما يستحقه المرء عند غيره بطيب نفس **وهو ضد الشكاسة** بشين معجمة وكاف وسين مهملة بينهما الف وهي كما قاله التلمساني سوء الخلق وفي القاموس انها البخل والاول انسب بتفسير السماحة بالجود كما قاله ابن القوطية **والسخا سهولة الانفاق وتجنب اكتساب ما لا يحمد من الصنايع** المذمومة كالحجامة واخذ ما لا يحل له **وهو الجود** وفرق بعضهم بينهما قال ابن عصفور في الممتع السخا ماخوذ من الارض السخاوية وهي الرخوة ولذا وصف الله بجواد دون سخي لانه اوسع في معنى العطا وادخل في صفة العلا انتهى فعلى هذا هو اخص منه وقال ابن مالك في الكفاية السخي هو الجواد فهو موافق لما قاله المصنف وقال سقراط الجواد هو الذي يعطي بلا مسئلة صيانة للاخذ من ذل السوال وقال الشاعر ۝

وما الجود من يعطي اذا ما سالته • ولكن من يعطي بغير سوال •

وهو ضد التقتير المعروف في اللغة ان الجود ضد البخل والتقتير التضييق في الانفاق وهو ضد الاسراف والتبذير وهما بمعنى وفرق بينهما صاحب الكشاف في سورة الاسرا يقال قترت الشي واقترته اي ضيقت الانفاق فيه وقال تعالى والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما والبخل والتقتير متلازمان لا مترادفان حتى يكون كل منهما ضدا للسخاء • واعلم ان كلام المصنف هنا غير موافق للغة ولا للعرف ولا ادري من اين اخذه ولكن الامر في مثله سهل وهو محتاج للتهذيب وسنكره عليه مرة اخرى **فكان صلى الله عليه وسلم لا يوازي** بالهمز مبني للمفعول اي لا يساوي ولا يقابل ولا يماثل يقال فلان يوازي فلانا اي يقاربه ويساويه وقال الكرماني كالجوهري يقال آزيته ولا يقال وازيته والذي عندنا في النسخ يوازيه بالواو المبدلة من الهمزة وقد اجازه بعضهم بقلب الهمزة واوا اذا انفتحت وانضم ما قبلها نحو جوني وجزم البرهان الحلبي بانه في كلام المصنف بالواو ويحتمل انه في كلام المصنف بالهمزة ورسمت واوا على قاعدة الرسم في مثله اي هو صلى الله عليه وسلم لا يساويه احد **في هذه الاخلاق الكريمة** والاوصاف الحسنة من الجود والسخا والكرم والسماحة كقوله •

فاق النبيين في خلق وفي خلق • ولم يدانوه في حلم ولا كرم •

ولا يباري بالبنا للمجهول وهو بالموحدة والرا المهملة ومعناه يعارض والمعارضة ان يفعل مثله وهما عبارتان **بهذا وصفه كل من عرفه** بالمشاهدة او بما اشتهر عنه شهرة لا يبقى معها ريب ولا شبهة **حدثنا القاضي الشهيد ابو علي الصدفي** هو الحافظ ابو علي بن سكرة وقد تقدمت ترجمته وهو منسوب لصدف بفتح الصاد والدال وهي قبيلة بعرب القيروان **حدثنا القاضي ابو الوليد الباجي** تقدمت ترجمته **حدثنا ابو ذر الهروي** تقدم ايضا **حدثنا ابو الهيثم الكشميهني** قال البرهان الحلبي هو بضم الكاف وسكون الشين المعجمة وكسر الميم وسكون المثناة التحتية وفتح الهاء بعدها نون كما في لباب الانساب لابن الاثير وضبطه بالقلم الحافظ عبد الهادي ۝

في طبقاته بفتح الكاف وكذا صح في نسخ الشفا والصواب ما ذكرته والنسبة لقرية من قرى
مرو قديمة خرج منها جماعة وقد خربت انتهى وفي آخره ياء نسبة لم يصرح بها لانه معلوم
من السياق فما في بعض الشروح انه لا ياء في آخره لم يصرح به لانه معلوم وان النسبة فيه
على خلاف القياس مما يقضي منه العجب **وابو محمد السرخسي** نسبة لسرخس بلدة عظيمة
بخراسان وقد تقدمت ترجمته **وابو اسحق** البلخي ابراهيم بن احمد بن ابراهيم بن احمد بن
داود المستملي الامام المشهور كما تقدم منسوب لبلخ بلدة عظيمة فيما وراء النهر **قالوا حدثنا**
ابو عبد الله الفربري تقدمت ترجمته وان فربر بلدة بخارى **حدثنا البخاري**
تقدم وشهرته تغني عن ذكره **حدثنا محمد بن كثير** بلفظ كثير ضد القليل العبدي البصري
الحافظ روى عنه اصحاب السنن وتوفي في سنة اثنين وعشرين ومائتين وله ترجمة
في الميزان فيها كلام لابن معين وقال الذهبي انما هو ابن كثير الفهري وفيه تعقب لكلام
المزي لانه قال العبدي **حدثنا سفيان** هو ابن سعيد الثوري كما تقدم وهذا الحديث
رواه ايضا سفيان بن عيينة عن ابن المنكدر عن جابر واخرجه مسلم والبخاري والترمذي
في الشمائل وهو حديث صحيح **عن ابن المنكدر** وهو محمد بن المنكدر بن عبد الله التيمي
المدني الحافظ عن ابيه وعن عائشة وابي هريرة واخرج له اصحاب السنن **قال**
سمعت جابر بن عبد الله يقول ما سئل النبي عليه السلام شيئا فقال لا وهذا
حديث اخرجه الترمذي في الشمائل وغيره وفي معناه قول حسان

ما قال لا قط الا في تشهده • لولا التشهد لم تسمع له لا لا

ومعنى الحديث انه اذا اتاه مستحق يطلب عطاء لا يخيبه ويقول له قط بل ينيل اوله
حتى اذا لم يجد شيئا اقترض او قال ابتغي غدا ونحوه وهذا هو الذي عناه حسان وهو
باعتبار الغالب فان النادر كالعدم فهو مبالغة معروفة مألوفة ولم يرد انه لم يتلفظ
بلا اصلا حتى يرد عليه انه لا احاديث المصدرة بلا نحو لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين لا يحصى
كثرة كما قيل ويجاب عنه بما لا حاجة لذكره قال واما قوله في البردة

نبينا الآمر الناهي فلا احد • ابر في قول لا منه ولا نعم

فهو انما يقتضي صدورها عنه مطلقا وذا لا ينافي انها لم تكن لتصدر عنه اذا سئل عن شيء
من متاع الدنيا لجواز صدورها منه في غير تلك الحالة • اقول قد عرفت ما فيه اولا
بقي هنا في البيت اشكال كان يحوك في الصدر قديما وهو ان الامر والنهي انشاء لا ايجاب
بلا ونعم فالتفريع بالفاء لا يصادف محله هنا ولم يحم حول هذا احد من الشراح مع ظهوره
وقد ظهر لي ولله الحمد وجهه فمعنى نبينا الآمر الخ انه لا حاكم سواه فهو حاكم غير محكوم
عليه فاذا قال في امر لا او نعم وهو لا يقول الا صوابا ما فقال الرضي الله فحينئذ لا يعارضه
الا نفس فاسر وليس غيره حاكم يمنعه عما حكم به ويرد احكامه وهو اصدق القائلين
واصدق الناس فيما يقوله **وقال ابن عباس كان النبي عليه السلام اجود الناس بالخير**
اي بما فيه نفع الناس **واجود ما كان في شهر رمضان** رمضان اسم للشهر ويقال رمضان
وشهر رمضان وكون العلم المضاف اوهام كلام لا حاجة لذكره ولا يكره ان يقال رمضان
وما روي من حديث لا تقولوا رمضان فان رمضان اسم من اسماء الله عز وجل ولكن قولوا شهر
رمضان ضعيف لا يعمل به لصحة ما يخالفه كما فصله شراح البخاري وهذا الحديث

رواه البخاري وروي اجود ما يكون ووقع في بعض النسخ هنا واجود الثاني يجوز
رفعه مبتدا او نصبه عطفا على خبر كان وعلى الاول خبره محذوف وجوبا كما قرره النحاة
في نحو اخطب ما يكون قائما والكلام عليه في الذيل ليس هذا محله وما مصدرية وكان تامة
وليقتص من القلادة على ما احاط بالعنق ولما اراد جوده في رمضان لحاجة الصائمين
ولانه موسم الخيرات الذي تفضل فيه الله بما لم يتفضل في غيره فاتبع سنة الله في عباده
وتخلق باخلاقه **وكان اذا لقيه جبريل اجود** لانه يسر بملاقاته والمدد له بالبركة
والكرامة فيحسن كما احسن الله اليه وكان اكثر مجيئه له في رمضان ليتدارسه القرآن
ويعارضه به يقرأه كل منهما على صاحبه بالتجويد ووجوه القراآت **بالخير من الريح المرسلة**
قال الكرماني الجود اعطاء ما ينبغي لمن ينبغي والخير شامل لجميع انواعه مما يقرب العبد
الى الله وارسال الرياح اطلاقها باذن الله فترسل بالرحمة والمطر قال تعالى وهو الذي يرسل
الرياح بشرا بين يدي رحمته وقال والمرسلات اي الرياح المرسلة بالمعروف على احد
التفاسير وهو من التشبيه البليغ على سبيل الترقي فجعله اجود الناس ثم ذكر ان جوده
في رمضان وعند ملاقاة جبريل ازيد منه في غيره والمراد بالمرسلة خلاف العقيم قيل
وفي قوله اجود من الريح جمع بين الحقيقة والمجاز وفيه بحث يعلم من كلام اهل المعاني في
تحقيق وجه الشبه في قولهم كلامه احلى من العسل وتقديم قوله بالخير اهتماما به وللدلالة
على تعديه مثله فيما بعده او استواكهما فيه لا لدفع توهم تعلقه بالمرسلة وليس من الاكتفا
وفي تشبيهه بالريح اشارة الى سرعة مبادرته له والمراد بالريح المرسلة التي ترسل
بالغيث لا مطلقا لانها في القرآن مخصوصة بها • فان قلت ذكر الريح وقد قيل انها اذا كانت
مفردة تكون في العذاب والشر واذا جمعت ففي النفع والخير • قلت هذا قيل انه مخصوص
بما وقع في القرآن بالاستعمال لا مطلقا فلذا بنا فيه ما وقع في هذا الحديث وغيره ويؤيده ما
اخرجه ابن ابي حاتم عن ابي بن كعب انه قال كل شيء في القرآن من الرياح فهو رحمة وكل شيء فيه
من الريح فهو عذاب وما ورد في الحديث كما رواه البيهقي عن ابن عباس انه ما هبت ريح
الا جثا النبي صلى الله عليه وسلم على ركبتيه وقال اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذابا
اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا لا يدل على عدم اختصاصه بما وقع اتفاقا في القرآن
لانه قيل انه صلى الله عليه وسلم اراد اللهم اجعلها من جملة رياح القرآن ولا تجعلها من ريحه
اي مما ذكر بهذه العبارة فلا دليل فيما ذكر كما قيل • الا ترى الى قوله ارسلنا عليهم الريح العقيم
وريحا صرصرا ونحوه وقوله وارسلنا الرياح لواقح وارسلنا الرياح مبشرات وقد
قرئ في بعض ايات الرحمة بالافراد والجمع وورد مفرده في ذلك فكانه اغلبي واما تاويل
ما جاء في الحديث بما جاز فيه الجمع فضعيف وقيل يحتمل انه صلى الله عليه وسلم انما قال ذلك
لان ما هبت ان كان ريحا واحدة لم يلقح السحاب وتنزل المطر غالبا وان كان رياحا فهو خلافه
ويحتمل ان يكون معناه لا تهلكنا بريح واحدة لا تهب بعدها ريح اخرى وطول اعمارنا حتى
تهب علينا رياح كثيرة **وعن انس** كما رواه مسلم في صحيحه **ان رجلا** هو صفوان
بن امية كما في سيرة ابن سيد الناس وغيرها **سأله فاعطاه غنما** كثيرة كانت **بين جبلين**
اي مالئة واديا بين جبلين كما يفهم منه ذلك بحسب العرف وان كان يقال ذلك للغنم السارحة
بينهما قليلة او كثيرة ذلك فان كان اسلم قبل سؤاله فهو ظاهر وقوله **فرجع الى قومه** وهم

قريش لانه من اهل مكة وفي نسخة الى بلده **وقال اسلموا** لا ينافيه وان كان قبل
اسلامه سوال الله فاما انه كان في صدر الاسلام يجوز اعطا المولفة قلوبهم من الكفار من الزكاة
او من بيت المال ثم نسخ وقول الصرصري

وآتاه اعرابي التمس البذل • اعطاه شاء ضمها جبلان

لعله قصة اخرى فانه من اكابر قريش ورؤسه قوله **وان محمدا يعطي عطا من لا يخشى فاقة**
فان قريشا كانوا يعلمون كرم خيمه وجزل عطائه فانه لا يخشى فاقة وما بارى احد له في الجود
الا فاقه والفاقة الفقر او اشده وهكذا اولياء امته وفي الحديث دعا من امتي عصايب اليمن
واربعون رجلا بالشام كلما مات رجل منهم ابدل الله مكانه آخر اما انهم لم يبلغوا ذلك بكثرة صلاة
ولا صيام ولكن بسخا الانفس وسلامة الصدر والنصيحة للمسلمين **واعطى غير واحد
مائة من الابل** الابل اسم جنس جمعي لا واحد له من لفظه كخيل وغنم والذين اعطاهم مائة ناس كثير
منهم ابو سفيان وابنه معاوية والحارث ابن هشام وقد عدهم البرهان الحلبي وقال انهم يبلغون
ستين من المولفة قلوبهم وكذلك الشيخ قاسم في تخريج احاديث هذا الكتاب **واعطى صفوان
بن امية مائة ثم مائة ثم مائة** وصفوان بن امية بن خلف بن وهب بن خزاعة بن جمح قرشي
له صحبة وكنيته ابو وهب اسلم بعد الفتح وشهد حنينا والطايف وهو مشرك فلما اعطاه رسول
الله صلى الله عليه وسلم من الفيء قال اشهد بالله ما طابت بهذا الا نفس نبي فاسلم وروى
له اصحاب الكتب الستة وتوفي في خلافة معاوية سنة ثنتين واربعين بمكة وعلى هذا
فاعطاه مرارا غنما وابلا فلا منافاة بينه وبين ما سبق وعطاؤه له كان من غنايم حنين وهذا
الحديث رواه مسلم **وهذه** اي الخصلة والسجية في الكرم والعطا **كانت حاله صلى الله عليه
وسلم قبل ان يبعث** اي نبيا او يرسل **وقد قال له ورقة بن نوفل** ورقة بواو وراء مهملة
مفتوحتين وهو ورقة بن نوفل بن اسد ابن عبد العزى كان من اعقل اهل زمانه واعلمهم شاعر
بليغ متاله كان يقرا القرآن ويكتب الكتب القديمة بالعبرانية والعربية ويتاله ويتعبد وقد
سمي القس وتهود في اول امره ثم تنصر وهو عم خديجة ام المومنين وله اشعار كثيرة في التوحيد
ولتوحيده لم يكن عقب وورد في الحديث لا تسبوا ورقة فان له جنة او جنتين لما ورد من
طريق آخر انه رآه في منامه وعليه حلة بيضا او خضرا او نحوهما كثياب من حرير وحلة من سندس
وكان حيا في بدء الوحي الى ان تنبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم واجتمع بالنبي صلى الله
عليه وسلم وآمن به كما في اول البخاري وقال ليتني ادركت زمانك لانصرنك نصرا موزرا
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم نبيا ولم يومر بالدعوة ومات ورقة بعد نبوته وقبل رسالته
ولذا قالوا انه اول من آمن بالنبي من الرجال وهو ثان بالنسبة لخديجة وصحابي ولذا عرفوه
بانه من اجتمع بالنبي مومنا به ولم يقولوا بالرسول وهذا مما ينبغي التنبيه له • وفي نظم
السيرة للعراقي

فهو الذي آمن بعد ثانيا • وكان برا صادقا مواتيا •
والصادق المصدوق قال انه • رآى له تخططا في الجنة •

وهذا هو الصحيح من انه صحابي وقيل انه ليس بصحابي لانه لم ير النبي ولم يومن به بعد
بعثته وقول المص وقد قال له ان كانت الجملة معطوفة على ما قبلها فهو صادق على القولين
وان كانت حالا من الضمير في قوله قبل ان يبعث يكون على القول الثاني وهو مومن على كل
حال ولذا رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجنة والاكثر على انه صحابي **انك تحمل**

مات ورقة بعد النبوة وقبل الرسالة

الكل هذا بعض من حديث رواه الشيخان قال السيوطي في تخريجه القايل له هذا انما هو
خديجة في قصة مكالمتها لورقة في شان النبي صلى الله عليه وسلم لما رآى جبريل وخاف
على نفسه وكذا اعترض عليه الشيخ قاسم في تخريجه فقال لا اعلم هذا من قول ورقة والذي
في صحيح البخاري وغيره انه من قول خديجة رضي الله عنها وما قيل من ان القاضي جليل القدر
لا يخفى عليه مثله ولا يبعد صدوره منه ايضا لا يجدي نفعا مع نقل الصحيحين خلافه
وليس مثله محل بحث ولكل صارم نبوة ولكل جواد كبوة والكل بفتح الكاف وتشديد اللام مصدر
بمعنى الكلال وهو الاعيا وفسر بالثقل فقيل انه لازم معناه وهو المناسب للحمل لانه لا
يقال حمل الاعيا والذي في البخاري من قولها ايضا حين قال لها لما رآى جبريل لقد
خشيت على نفسي فقالت كلا والله ما يخزيك الله ابدا انك لتصل الرحم وتحمل الكل **وتكسب
المعدوم** وتقري الضيف وتعين على نوايب الحق والحديث في اول البخاري والكلام عليه
مفصل في شرحه وحمله الكل هو كما تقول العرب حمال اثقال في المدح اي تحمل ثقل غيرك من
الضعفا والعيال واعانة الخلق بالانفاق عليهم واطعامهم واعطايهم كل ما يحتاجون
اليه وكفالة الايتام وغيره من وجوه البر وهو استعارة شاع في هذا المعنى وتكسب
قال ابن قرقول بفتح التا وكسر السين المهملة في اكثر الروايات واصحها اي تكسب لنفسك
بتحصيل ما يهمك وقيل تكسب غيرك اي تعطيه لان كسب جاء لازما ومتعديا وانكر الفرا
وغيره اكسبه في المتعدي وصوبه ابن الاعرابي وانشد • اكسبني مالا واكسبته حمدا
فيتعدى بالهمز لمفعولين وكسب يتعدى لمفعول وقيل يتعدى لمفعولين ولمفعول وقيل
يتعدى لمفعولين ككسب والمعدوم الشيء الذي لا وجود له واما الفقير فيقال له معدوم
تهكما كما قال الشاعر

قالت بنات العم يا سلمى وان • كان فقيرا معدما قالت وان •

قيل ويطلق عليه معدوم ايضا لانه كالمفقود لفقره فاحد المفعولين محذوف وان بني
للمفعول • ومذكور ان بني للمجهول والمراد على الوجهين انك تعطي الناس الفقراء مالا
يجدونه عند غيرك لما فيك من مكارم الاخلاق وقول الخطابي صوابه المعدم من يريد
انك تعطي السايل الفقير الذي لا يجد شيئا خطا لان هذه الرواية صحيحة مشهورة عند
رواة الحديث وفيما خشيه على نفسه وجوه واصحها انه خشي الهلاك فارادت خديجة
لا تخف فانك لا يصيبك مكروه لما فيك من جميل الصفات ثم ذكر قصة هوازن وهي
صحيحة رواها البخاري وغيره فقال **ورد على هوازن سباياها وكانوا ستة
آلاف** نفس من النسا والذرية غير الاموال التي من غنايمهم لما غزاهم وكانت اربعة وعشرين
الفا من الابل واكثر من اربعين الف شاة من الغنم واربعة آلاف اوقية من الفضة والاوقية
اربعون درهما **وعن ابن فارس انه قوم ما وهبه لهوازن فكان خمسماية
الف الف** وقيل الف الف وهوازن اسم قبيلة منسوبة لهوازن بن اسم وكان يسكن حنينا
وهو موضع سمي بحنين بن قانية بن مهلايل وغزوته لهم تسمى غزوة حنين وغزوة هوازن
وكانت في شوال او رمضان وامرها معروف مفصل في السير ولما غزاهم وحاز غنايمهم
قدم وفدهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم اربعة عشر رجلا رئيسهم زهير بن صرد
وفيهم ابو برقان عم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاع فسالوه ان يمن عليهم بما اخذ منهم

لما بينهم وبينه من مناسبة الرضاعة فقال ابناوكم ونساوكم احب اليكم ام اموالكم قالوا
ما كنا نعدل بالاحساب شيا فقال اما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم وما للناس
يسال منهم فقال المهاجرون والانصار ما كان لنا فهو لرسول الله وقال جماعة من المولفين
اما ما لنا فلا فاخذ منهم قرضا على ان يعوضهم عنه من اول ما يجي فسلموهم جميعا وكان صلى
الله عليه وسلم كساهم وانما فعل ذلك لانه كان بعد القسم وليس للامام ان يمن بعده والسبايا
جمع سبية بمعنى مسبية قال التلمساني ولا يكون السبي الا في النسا **واعطى العباس**
ابن عبد المطلب عم رسول الله كما رواه البخاري عن انس تعليقا **من الذهب ما لم يطق حمله**
وقد اتي بمال من البحرين وكان اكثر مال اتي فنثر في المسجد فاتاه العباس وقال اعطني
فاني فاديت نفسي وعقيلا فقال خذ فحثى في ثوبه ثم ذهب يقله فلم يستطع فقال مر
يرفعه فقال لا فقال فارفعه انت علي فقال لا فنثر منه ثم ذهب ليقله فلم يقدر فقال
له كالاول فنثر منه ثم احتمله على كاهله وانطلق فاتبعه بصره تعجبا منه ولم يقم حتى فرقه
ولم يبق منه درهم وانما اعطاه لانه خرج لبدر مكرها وكان يخفي اسلامه ثم فدى نفسه
وعقيلا كما فصلوه **وحمل اليه تسعون الف درهم فوضعت على حصير ثم قام اليها**
يقسمها فما رد سايلا حتى فرغ منها رواه ابو الحسين ابن الضحاك في شمايله مرسلا
الا انه قال ثمانون الفا واخرجه ابن الجوزي في الوفا وقال تسعون الفا كما قال الشيخ
قاسم في تخريج احاديث الشفا والسيوطي في تخريجه بلفظ سبعين بتقديم السين
على الموحدة وبوافقه قول الصرصري في تخريجه •
• سبعون الفا فضها من مجلس • لم يبق منها عنده فلسان •
قوله حتى الخ غاية لقوله قسمها وقيل لرده سايلا وليس المراد انه يرد بعد الفراغ فهو
على حد قوله ان الله لا يمل حتى تملوا **وجاءه رجل فساله** عطا شي يحسن به له **فقال ما**
عندي شي ولم يقصد منعه بذلك حتى يناني ما مر من انه ما قال لسايل قط لا لان المراد
انه لم يمنعه ما سئل من متاع الدنيا وانما مراده اخباره بعذره في عدم التعجيل له بدليل
قوله **ولكن ابتع علي** بموحدة ساكنة بعد همزة الوصل ومثناة فوقية مفتوحة وعين مهملة
افتعال من البيع بمعنى الشرا فانه يطلق عليهما وفي القاموس ابتاعه اشتراه اي اشتر بثمن
يكون ذلك الثمن علي وفي ذمتي كذا ثبت في الحديث وفي شرح الدلجي بتقديم المثناة ثم
على الموحدة اي اشتر واستلف ما تختار انتهى وليس هذا ضمانا بل وعد منه الا ان وعده
كان ملتزم الوفا لان وعد الكريم دين ولذا صح انه لما نودي في نادي ابو بكر من كان له عند
رسول الله عدة او دين فليأتنا فجاءه جابر وقال ان رسول الله كان وعدني كذا فاعطاه
له **فاذا جانا شي** مما من الله به من الغنايم او غيرها وفي قوله جانا يعني معاشر
المسلمين اشارة الى انه مال لعباده لا له وحده **قضيناه** ويحتمل ان الضمير هنا
وفيما قبله للتعظيم اي قضيته قضا انا اهل للتعظيم منه تعالى واختاره بعضهم ولذا
لم يقل جاني وقضيته مع قوله علي فتامل والقضا يشعر بانه لزم ذمته كالدين **فقال**
له عمر ما كلفك الله ما لا تقدر عليه فكره عليه السلام ذلك اي بان في وجهه
اثر عدم رضاه به لان فيه كسر خاطر السايل ولان مثله لا يعد تكليفا لما قدره لما عوده
الله من فيض نعمه عليه فقال رجل من الانصار كان حاضرا لما راى من رسول الله صلى الله عليه

وسلم قال البرهان هذا الرجل لا اعرفه وفي حفظي ان القايل بلال لكنه مهاجري
لا انصاري فيكون قد قال ذلك بلال والانصاري فان الذي فيه ذكر بلال قصة
اخرى المامور فيها بالانفاق بلال وهو ما رواه الطبراني والبزار مسندا عن ابن مسعود
قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على بلال وعنده صبرة من تمر فقال ما هذا يا بلال قال
ادخرته لك ولضيفانك فقال اما
تخشى ان يقذف بها في نار جهنم **انفق بلالا ولا تخش من ذي العرش اقلالا** ومن العجب ايراده
هنا اذ لا مناسبة لما نحن فيه ووقع في بعض كتب الحديث انفق بلال ولا وجه له وتوجيه
منها ان اصله بلالي بالاضافة لياء المتكلم وحذف حرف الندا وابدال الياء الفا كما غلط
وقيل بلالا هنا ليس علما بل فعال من البلل اي انفاقا وطيا تبتل به قلبي كلمته ولو قيل
انه رد لاصله من النصب واطلق لمشاكلة اقلالا لم يبعد وقد اخرجه العسكري في الامثال
مرفوعا ومعنى اقلالا ان يقل الله الرزق ويجعله قليلا لان لكل منفق خلفا وقوله لا تخش
الخ نصف بيت وقع اتفاقا وقيل بلالا كلمتان اي بغير لا وباباه رواية يا بلال بحرف
الندا والذي رواه المص ولا تخف دون لا تخش **فتبسم صلى الله عليه وسلم** وعرف
البشر في وجهه بانبساطه وتهلل اساريره **وقال بهذا امرت** اي بالانفاق من غير مخافة
فقر والتبسم انفتاح الفم من غير قهقهة وهو مبادي الضحك وقول بعض الشراح الصواب
لا تخش ليصير موزونا غير صواب من وجهين وقد استشكل هذا بان الله امره بقوله ولا تجعل
يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط قال صاحب الكشاف اي ملوما لان الاسراف
غير محمود وكان صلى الله عليه وسلم ينفق جميع ما عنده ويجوع حتى يربط الحجر على بطنه
فاجاب القاضي ابو يعلى بان المراد بهذا الخطاب غيره صلى الله عليه وسلم وغير خلص المومنين
الذين كانوا ينفقون جميع ما عندهم عن طيب قلب لتوكلهم وتيقنهم بما عند الله اما من كان
ليس كذلك يتحسر على ما ذهب منه فهم المحمودون منهم التوسط وهم الذين اذا انفقوا لم يسرفوا
ولم يقتروا لانهم لا صبر لهم على الفاقة ولذا صعب عليه كلام عمر لما راى حظا هو الحال
وامره بصيانة المال شفقة على النبي صلى الله عليه وسلم لعلمه بكثرة السايلين له ورد
عليه ولكل مقام مقال والانصاري راعى حاله صلى الله عليه وسلم فلذا سر بكلامه وقوله
بهذا امرت اشارة الى انه امر خاص به وبمن مشى على قدمه **ذكره الترمذي** اشارة الى
من روى هذا الحديث **وذكر عن معوذ بن عفرا** ذكر بالبنا للمجهول قال السيوطي ذكر هذا
الحديث الترمذي في الشمايل والطبراني عن الربيع بنت معوذ وسنده حسن يعني ان
المذكور انما هو الربيع بنت معوذ بضم الرا المهملة والتصغير مشدد اليا التحتية اسم امراة
منقول من مصغر الربيع وكذا قال البرهان وقال لعله سقط من النسخ لفظ الربيع او وقف
عليه القاضي عن معوذ الا ان معوذا لا اعلم له رواية ووقع في نسخة على الصواب ومعوذ
بضم الميم وفتح العين المهملة وكسر الواو المشددة • وحكي ابن قرقول فتحها وغيره لا يميز
وكذا ضبطناه عن الصدفي ثم ذال معجمة وقال التلمساني قيل ان الدال مهملة مع الفتح والكسر
والاولى اولى وعفرا بعين مهملة مفتوحة وفا ساكنة وراء مهملة وهمزة ممدودة اسم
امه وهي عفرا بنت عبيد بن ثعلبة وشهر بذلك واسم ابيه الحارث بن رفاعة ابن الحارث

فهم

ابن سواد ومعوذ استشهد ببدر قتله ابو مسافع وقيل انه هو الذي قتل ابا جهل وفيه
كلام في السير **قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم بقناع** بقاف مكسورة ومضمومة
فنون والف فعين مهملة ويقال قنع بفتح القاف وقيل قناع جمع قنع وظاهر قوله **من رطب**
ثريد طبقا على انه مفرد وكذا قوله في حديث آخر تصدي لنا القناع فيه كعب حيث افرده
واجز زغب بفتح الهمزة وسكون الجيم وكسر الرا واصله اجري فسقطت ياوه كادل في جمع دلو
وهو جمع جرو بكسر الجيم بوزن علم وهو صغير القثا وزعم ابن فرقول ان جروا جمعه اجرا على افعال
وهو جمع جرو وزغب بضم الزاي المعجمة وسكون الغين المعجمة وبوحدة جمع ازغب وهو ما عليه
زغب والزغب صغار الريش والشعر فشبه به ما يكون على الفاكهة ونحوها من الزئبر
وقوله **يريد قثا** بكسر القاف وضمها وتشديد المثلثة والمد وهي معروفة وهي ضرب من الخيار
والفه للتانيث او للالحاق وهو اسم جنس يطلق على الواحد وغيره فلذا فسر به الجمع فلا
حاجة لتقدير من جنس هذه وعلى كل حال فلا يقال ان زغب هنا كالدينار الصفر كما توهم
وهو تفسير لقوله اجر وروى الهروي اجن بالنون بدل اجر وهو جمع جنا وهو الغض الرطب
والمشهور الاول وكان صلى الله عليه وسلم يحب القثا **فاعطاني ملء كفه حليا وذهبا**
بالواو العاطفة وفي الترمذي او قال ذهبا مما كان عنده مما جاءه من البحرين وهذا مما يدل
على الوهم في رواية معوذ فانه قتل ببدر ومال البحرين انما اتاه بعد ظهور الاسلام ٥
والحلي بفتح الحا المهملة واللام بزنة ضرب وجمعه حلي بضم الحا اللام ووزنه فعول
وهو كل مصاغ من الذهب والفضة وضبطه التلمساني بالمفرد هنا فان كانت الرواية به
والا يجوز قراءته بالوجهين **وعن انس كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخر شيا لغد**
اخرجه الترمذي وشيا اعم من المال والقوت وهذا بالنسبة لاغلب احواله وقد وقع خلافه
تعليما وتطييبا لقلوب اهله وهو لا ينافي التوكل كما لا يخفى **والخبر بجوده** اي في بيان
جوده **وكرمه صلى الله عليه وسلم كثير وعن ابي هريرة ان رجلا اتى النبي** هذا الرجل لم يتبين والحديث
لم يخرجه السيوطي ولا غيره **يتقاضاه فاستسلف له رسول الله صلى الله عليه وسلم** اي اقترض
والسلف والقرض بمعنى **نصف وسق** بفتح الواو وكسرها وهو ستون صاعا وعند اهل الحجاز
ثلثماية وعشرون رطلا واربعماية وثمانون رطلا عند اهل العراق على اختلافهم في مقدار الصاع
والمد كما قاله البرهان الحلبي والوسق ايضا مصدر بمعنى ضم الشي **فجاء الرجل** الذي اقترض
منه **يتقاضاه** يطلب منه كما مر **فاعطاه وسقا** ضعف ما اخذ منه **وقال رسول**
الله له **نصفه قضاء** لما اخذ منك **ونصفه نائل** اي عطا وهبة لك ووقع في بعض النسخ
زيادة سقطت من اكثر النسخ وهي وقد قال ابو علي الدقاق من شيوخ المتصوفة المشاهير ٥
وعلمائهم النحارير وتكلم في الفتوة وهي غاية الكرم والايثار على رايهم واصطلاحهم في
الفاظهم ان هذا الخلق لا يكون الا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فان كل احد في القيامة يقول
نفسي نفسي ويقول هو صلى الله عليه وسلم امتي امتي انتهى ما زيد هنا واثبتها محمد بن مرزوق
في شرحه وتبعه التلمساني وشرحها فلنتمم الفايدة ببعض فوايدها وبيان ما فيها فاعلم
ان الدقاق هو ابو علي الحسن بن علي شيخ القشيري تفقه في اول امره على القفال وغيره ثم
انقطع حتى صار رشيدا او فقيها والمتصوفة والصوفية واحده صوفي ويقال تصوف اذا

انقطع الى الله كما يقال تقيس اذا انتسب لقيس وهذا لفظ مولد واصطلاح حدث بعد
القرن الاول فقال بعضهم الصوفي هو المنقطع بهمته الى ربه وهم متقدون باهل الصفة
وهي سقيفة اتخذها ضعفاء الصحابة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وكان قبل الاسلام
حتى يقال لهم صوفة يخدمون الكعبة فقيل الصوفي نسبة لهم وقيل لانهم يتجمعون كما تتجمع
الصوفة وقيل لانهم لخشوعهم كصوفة مطروحة على الارض وهم منسوبون لصوفة للينهم
وسهولة اخلاقهم او للبسهم الصوف لاختيارهم الفقر وهذا اظهر الاقوال لفظا ومعنى
وقيل منسوب للصفة فالاصل صفي فابدل احد حرفي التضعيف ليتا وقيل انه من الصفا
ومنه قلت • وصحح هذا بعضهم بقول البستي •

• تخالف الناس في الصوفي واختلفوا • جهلا فظنوه مشتقا من الصوف •
• ولست انحل هذا الاسم غير فتى • صافي فصوفي حتى سمي الصوفي •

ولا شاهد فيه لانه على مذهب الشعرا وقد بين المصنف معنى الفتوة بقوله •

فصل واما الشجاعة والنجدة فالشجاعة فضيلة قوة الغضب وانقيادها للعقل

هذا معنى ما قاله الحكما في علم الاخلاق ان الله ركب في الانسان قوة هي مبدا الاقدام على
الاهوال والمهالك لتصوره ان من خاطر بنفسه ملك النفس وانه لا يغني حذر من قدر ٥
وهي القوة الغضبية والشجاعة انقياد هذه القوة لسلطان العقل والنفس الناطقة
ليكون اقدامه على حسب الروية من غير اضطراب حتى يكون فعلها جميلا محمودا وافراطها التهور
وهو الاقدام حيث لا ينبغي وتفريطها الجبن وبهذا عرفت معنى الشجاعة والجراة اعم
منها وهذه تختص بالانسان وفسرها ابن القوطية بالاقدام وهو تفسير لفظي بالاعم ٥
والنجدة بفتح النون وسكون الجيم ودال مهملة كما في النهاية وهي شدة الباس ويقال هم انجاد
مجاد اي اشدا شجعان والواحد نجد ككتف واكتاف وقيل انه جمع الجمع جمع نجد على نجاد ونجاد
على انجاد وفسرها اهل اللغة بالشجاعة على عادتهم في التسامح فلا ينافي تغايرهما كما توهم
ويؤيده ما في الحديث ما رايت اشجع ولا انجد ولا ارضى من رسول الله صلى الله عليه وسلم
واشتهرت النجدة في معنى المساعدة ايضا **ثقة النفس** في بعض الشروح وثق الشي بالضم
وثاقة صلب واشتد ومنه الوثاق ووثقت به بالكسر اثق ثقة اعتمدت عليه وايتمنته
كما في التقريب والمصنف استعمل الثقة موضع الوثاقة ولم اظفر به قلت ـــ هذا عجيب
منه فانه بمعنى اعتماد النفس على ربها واعتماده على نفسه **عند استرسالها** اي انطلاقها
واخذها فيما يودي **الى الموت** او استيناسها وطمانينتها بلا خوف كما ورد في الحديث ايما مسلم
استرسل الى مسلم فغبنه وحديث غبن المسترسل ربا **حيث يحمد فعلها دون خوف**
قيل ومنشاوه قوة النفس وشدتها وليست غير الشجاعة ففسر الشرح بما ينبي عنها
انتهى وكلامه ماش على تغايرهما والشراح لم يفرقوا بينهما والفرق مثل الصبح ظاهر فان
الشجاعة جراة واقدام يخوض به المهالك كما ينبغي والنجدة ثباته على ذلك مطمئنا ٥
من غير خوف من ان يقع على الموت او يقع الموت عليه حتى يقضي الله باحدى الحسنيين ٥
الظفر او الشهادة فيحيى سعيدا او يموت شهيدا فتلك مقدمة وهذه نتيجتها ولذا اخرها
المصنف في الذكر **وكان صلى الله عليه وسلم منهما** اي من الشجاعة والنجدة **بالمكان الذي**

لا يجهل اي كان متصفا بهما على اعظم وجه ومشتهرا بذلك اشتهارا لا يخفى على احد
وعدم جهل المكان لعلوه وسرعة بيانه كالجبل والقصر فكنى بذلك عن علو قدره وشهرته
على حد قوله • ان الشجاعة والسماحة والندى • في قبة ضربت على ابن الحشرج •
قد حضر المواقف الصعبة اي مواضع القتال الشديد ومصافها فجعلها نفسها صعبة
لصعوبة ما فيها **وفر الكماة والابطال عنه غير مرة** الفر اي الرجوع بسرعة والكماة بزنة
قضاه جمع كمي على خلاف القياس لانه مخصوص بفاعل المعتل وهو جمع كام بمعنى كمي والاسم
وهو من تكمى اذا تستر واصله الشجاع اللابس للدرع والبيضة ثم استعمل في مطلق الشجاع
كالشعر فان قيل انه سمي به لانه يستر شجاعته ووقايته كان الثاني حقيقة ايضا لكن المعروف
هو الاول والابطال جمع بطل كحسن هو الشجاع المعروف بالشجاعة سمي به لانه يبطل عنده دم
الاقران وغير مرة بمعنى مرات والحرب تحمل غير مرة بمعنى مرات مع صدقه على مرتين للابهام
ونحوه من الفوائد **وهو ثابت لا يبرح** اي لا يفارق مكانه كقوله فلن ابرح الارض اي لا ازالزم
ومقبل لا يدبر ولا يتزحزح اي لا يزول عن مقره قال تعالى فمن زحزح عن النار وهذه حالة
تدل على ثباته اي تارة يقبل على الحرب وتارة يثبت كالجبل الراسي فلا يتحرك فان اريد باقباله
مجرد توجهه بوجهه وبعدم ادباره التفاته لغيرها فهما حالة واحدة واصل معنى التزحزح
التباعد والتنحي عن المكان قال الزبيدي زحزحه اذا دفعه وكذلك زحزح عنه وقيل هو
من زاحه يزيح او من الزوح وهو السوق الشديد ويقال زحزحته فتزحزح والتزاح اذا
تباعد ومنه المزاح والصحيح الاول اذ عطفه على الادبار من عطف الخاص على العام وكان
من خصائصه انه يجب عليه مصابرة العدو وان كثر وزاد على ضعف عسكره واما الان
فان زاد على العدو وعلى ضعف المسلمين جاز انصرافهم عن القتال والا فلا يجوز الا بالتحيز
الى فيئة فان الفرار من الزحف كبيرة كما فصله الفقهاء والمفسرون **وما شجاع الا وقد
احصيت له فرة** احصيت بالبناء للمجهول من الاحصاء وهو العد والحفظ والفرة المرة من
الفرار وهو الهزيمة والفار الهارب **وحفظت عنه جولة سواه** الجولة بفتح الجيم وسكون
الواو واللام المرة من الجولان في المكان وقيل هي الانكشاف والزوال عن الموقف من غير تقييد
بالمرة وفي النهاية جال واجتال اذا ذهب وجا ومنه الجولان في الحرب والجائل الزائل عن
مكانه وقول الصديق للباطل نزوة وللحق جولة يريد به غلبة من جال على قرنه يجول انتهى
والجولة هنا صفة ذم بمعنى فرة لا غلبة وفي الحديث للباطل جولة وتضمحل والحاصل ان
الجولة تكون بمعنى الفرار وبمعنى الذهاب ليعود والتردد في المكان ويصح ارادة كل منها هنا
ويكون صفة ذم ومدح ثم ذكر ما يدل على ما ذكره فقال **حدثنا القاضي ابو علي الجياني فيما
كتب لي** هو الامام الحافظ ابو علي الغساني الجياني بفتح الجيم وتشديد المثناة التحتية
ثم الف ونون وياء نسبة لبلدة منها ابن مالك وابو حيان وغيرهما من الائمة وقوله وكتب لي
دون الي يشعر بانه وقع له ذلك مع ملاقاته بدليل قوله حدثنا فان الكتابة تكون للغائب
والحاضر وتتضمن الاجازة وابن الصلاح لم يفرق بين كتب له واليه اذ قال كثيرا ما يوجد
في مسانيدهم ومصنفاتهم كتب الي فلان وهو معمول به عندهم معدود في المسند الموصول
وفيه اشعار قوي بمعنى الاجازة وان لم يقترن بها وعند السمعاني وامام الحرمين انه اقوى من
الاجازة المجردة **حدثنا القاضي سراج** بكسر السين كالسراج المنير وهو سراج بن عبد

الملك

الملك ابن محمد بن سراج الاموي توفي لست بقين من جمادي الاولى سنة ثمان وخمسمائة
والذي روى عنه الجياني هو جد سراج بن عبد الملك كما قاله التلمساني **حدثنا ابو محمد
الاصيلي** هو ابو محمد عبد الله بن ابراهيم بن محمد بن عبد الله بن جعفر الاصيلي ويقال الازيلي
بالزاي والسين ايضا نسبة لاصيلة بلدة بالمغرب معروفة كما قاله ابن قرقول وقال الصاغاني
في الذيل واصيلة كقبيلة بلد من اعمال الاندلس **حدثنا ابو زيد الفقيه** هو ابو زيد المروزي
وقد تقدمت ترجمته **حدثنا محمد بن يوسف** هو الفربري وقد تقدمت ترجمته ايضا **حدثنا
محمد بن اسمعيل** هو الامام البخاري وقد تقدمت ترجمته **حدثنا ابن بشار** الامام الحافظ ابو
بكر محمد بن بشار بفتح الموحدة التحتية وتشديد الشين المعجمة والف وراء مهملة المعروف ببندار
روى عنه اصحاب الكتب الستة عاش ثمانين سنة ومات سنة اثنين وخمسين ومائتين وقيل
اخرى وخمسين وترجمته مفصلة في الميزان **حدثنا غندر** بضم الغين المعجمة وسكون النون
وفتح الدال المهملة وتضم وراء مهملة وهو محمد بن جعفر الهذلي مولاهم البصري الحافظ
روى له اصحاب الكتب الستة وتوفي سنة ثلاث وتسعين ومائة وترجمته في الميزان
حدثنا شعبة ابن الحجاج العتكي امير المؤمنين في الحديث ولد بواسط وسكن البصرة روى
له اصحاب الكتب الستة وروي عنه نحو الفي حديث ومات في اول سنة ستين ومائة
وهو ثبت حجة وترجمته في الميزان ايضا **عن ابي اسحق** عمرو بن عبد الله السبيعي الهمداني
الكوفي احد اعلام الحديث عد من الصحابة وعدة امم من التابعين وروى عنه خلق كثير
وله نحو ثلثمائة شيخ وهو يشبه الزهري في الكثرة وكان صواما قواما غازيا مات
سنة سبع وعشرين ومائة وله خمس وتسعون سنة واخرج له الستة وله ترجمة في الميزان
سمع البرا ابن عازب الصحابي المشهور **وقد ساله رجل** وهذا الحديث اخرجه القاضي كما
ترى في الجهاد ورواه مسلم في المغازي والنسائي في السير **افررتم** معاشر الصحابة
يوم حنين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وحنين بن قاسد بن مهلائيل وبه سمي
الموضع المعروف وسميت غزوة حنين او اوطاس باسم الموضع الذي كانت فيه الوقعة سنة
ثمان من الهجرة في شوال ووقع في البخاري انه صلى الله عليه وسلم خرج الى حنين في رمضان
والمعروف انه في شوال وما ذكره المصنف ورد في بعض طرق الحديث وفي بعضها افررتم ولم
يذكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي رواية مسلم وعلى هذه الرواية قال النووي
جواب البراء من بديع الادب لان تقديره افررتم كلكم فيقتضي انه صلى الله عليه وسلم وافقهم
في ذلك فقال البراء لا والله ما فر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن جماعة من اصحابه
جرى لهم كذا وكذا انتهى وهذا الجواب لا يتاتى الا على الرواية الثانية وكان ينبغي للشيخ
ان يجيب بجواب غير هذا لان هذا الوهم احترز عنه السائل بقوله عن رسول الله ولم يجي انه
صلى الله عليه وسلم انهزم قط ولم ينقله احد وقد نقل الاجماع على انه لا يجوز ان يعتقد
انه انهزم ولا يجوز ذلك عليه بل كان العباس وابو سفيان اخذ بن بلجام بغلته يكفانها
عن اسراع التقدم الى العدو وقد صرح به البراء في حديثه كذا قال البرهان وقيل عليه انه
يتاتى الجواب على ما رواه المصنف ايضا لان قول السائل عن رسول الله وان دفع وهم انه فر
معهم لا يدفع انه فر بعد فرارهم فكان نافيا فيما طواه البراء في الجواب الذي تقديره فر من
فر عن رسول الله الذي دفعه بقوله **لكن رسول الله لم يفر** لانه استدراك لدفع توهم من الكلام

السابق وان لم يصرح به وما قيل من انه يمكن ان يقال قصد البرا ان يبين ان فرارهم لم يكن بالكلية وانما تحولنا عن وجه العدو وتخلفنا حوله ثم عدنا وكيف نرع رسول الله وهو عز من انفسنا او هو من الاسلوب الحكيم فكانه لما سأله عن فرارهم قال له هذا لا يهمك شانه وانما الذي ينبغي ان تعتقده انه صلى الله عليه وسلم لم يفر تكلف ليس في الكلام ما يدل عليه ثم قال لقد رايته على بغلته البيضا لشهبا يقال لها فضة اهداها له فروة بن نفاثة كما في مسلم وقال البعض ركب في حنين بغلة تسمى دلدل قال النووي في شرح مسلم والمعروف الاول ان ودلدل اهداها له المقوقس وكبرت وبقيت الى زمن معاوية وقيل انه وهبها لابي بكر وكان له ست بغلات او خمس كما ذكره الحفاظ وذكروا من اهداها له وابو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب بن عم النبي صلى الله عليه وسلم واسمه المغيرة او اسمه كنيته وكان اخاه من الرضاع والف الناس به قبل النبوة وكان يشبهه ايضا وكان شاعرا مطبوعا فلما ظهر الاسلام اظهر العداوة وهجا النبي واجابه حسان بما هو مذكور في السير ثم اسلم وحسن اسلامه وابلى بلاء حسنا يوم حنين وتوفي سنة عشرين وصلى عليه عمر وهو احد من ثبت يوم حنين وهم عشرة او اكثر كما فصله اصحاب السير اخذ بلجامها اي ممسك عنان بغلته من جانب والعباس من الجانب الاخر فالتفت رسول الله لسفيان وقال له من انت قال اخوك ابو سفيان بن الحارث فداك ابي وامي فقال نعم اخي ناولني حصى من الارض فناولته فرمى به فاصاب اعينهم كلهم وانهزموا وانما امسكا باللجام لئلا يسرع للاتصال بالعدو لما راوه من اقدامه ومسارعته فاشفقا عليه بمقتضى المحبة الاسلامية والرحم وان علما عصمته وحماية الله له والنبي صلى الله عليه وسلم يقول انا النبي لا كذب ❊ انا ابن عبد المطلب هذه الرواية المشهورة بسكون البا للوقف وروي بتحريك البا فيهما وروي بلا كذب على هاتين الروايتين لا اشكال وعلى الرواية المشهورة اشكال مشهور وهو انه يكون موزونا من بحر الرجز والنبي صلى الله عليه وسلم لا يصدر منه الشعر لقوله تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغي له فكيف يصدر عنه هذا ونحوه كقوله ❊ هل انت الا اصبع دميت ❊ وفي سبيل الله ما لقيت ❊

ووقع مثله في كتاب الله واجيب عنه بان الرجز ليس من الشعر كما ذهب اليه بعضهم ويسمى قائله راجزا لا شاعرا وبان المراد من الشعر المنزه عنه ان يكون بنظم انواعه فيكون تسمية ما وقع نادرا لا يبعد قائله شاعرا ونظيره ما قاله الباقلاني في كتاب الاعجاز ان القرآن يقع فيه ذلك حتى يكون جامعا لانواع الكلام وبمثله لا يكون القرآن شعرا كالبيت او المصراع اذا وقع في اثنا رسالة او خطبة والجواب المشهور ان الشعر هو الكلام الموزون المقفى بالقصد وما وقع في الحديث كهذا وفي القرآن كقوله يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره لم يقصد وزنه فلا يسمى شعرا وهذا في الحديث الصحيح واما في القرآن فلا لانا اذا سلمنا وقوعه فيه لا بد ان يكون بالقصد والارادة لانه لا يمكن ان يقع شي في الخارج بغير ارادته وقد ذكرت هذا لبعض مشايخي ثم رايته في بعض شروح المفتاح وقد اجبنا عنه في كتابنا طراز المجالس وكان ابن قدامة في كتاب التكملة لحظ هذا فذهب الى انه ليس في القرآن موزون لانه لا يجوز ان نقراه على هذه الطريقة بل نصل الكلام ولا نقف على ما يشبه العروض والضرب وحينئذ لا يكون موزونا وهو كلام حسن وقوله لا كذب اذا حرك يلزمه الوقف على متحرك وهو لحن لا يصدر عمن هو افصح الناس وفيه نظر ونفيه الكذب عنه

لانه

٢٢٥

لانه مصون عنه مطلقا اذ معناه لا كذب في الظفر والنصر وما وعد نبي الله او لا الكذب في دعوى النبوة لظهور آياته ووضوح برهان معجزاته والمقصود تثبيتهم حتى لا يفر احد منهم ❊ وقوله انا ابن عبد المطلب كما يقول المحارب انا فلان اشارة الى شجاعته وصولته وانما انتسب لجده دون ابيه لاشتهاره بذلك لان اباه مات شابا في حياة جده وهو طفل ثم كفله وكانوا يقولون له ابن عبد المطلب لعلو مقامه وكونه سيد اهل مكة وخصه بالذكر وقد انهزموا عنه تثبيتا لنبوته وازالة للشك فيها لما عرف من رؤياه المبشرة بذلك كما انبت بذلك الاحبار والكهان فكانه يقول انا ذلك الموعود به فلا بد مما وعدت به لئلا ينزلوا ويظنوا انه مقتول او مغلوب وكان عبد المطلب راى في منامه ان سلسلة من فضة خرجت من ظهره لها طرف في السماء وطرف في الارض وطرف بالمشرق وطرف بالمغرب ثم عادت كانها شجرة على كل ورقة منها نور فاذا اهل المشرق والمغرب كانوا يتعلقون بها فقصها فعبرت بمولود له من صلبه يتبعه اهل المشرق والمغرب ويحمده اهل السماء والارض فلذلك سماه محمدا كما قاله حين قيل له لم سميته بهذا وليس لاحد من آبائك ولا قومك مثله فقال رجوت ان يحمده اهل الارض وقيل ان امه لما حملت به قيل لها انك حملت بسيد هذه الامة فسميه محمدا وقوله انا النبي الخ ليس من كلام الافتخار المنهي عنه لانه جائز في الجهاد لارتياب العدو وكان ينصر بالرعب وهذا جار على عادتهم كقوله ❊

اقول له والرمح يأطر متنه ❊ تأمل خفافا انني انا ذلكا ❊

قيل فما رئي يومئذ احد كان اشد منه اي لم ير في حرب هوازن اقوى واشجع من النبي صلى الله عليه وسلم وقد ركب بغلته وقد ظاهر عليه درعا ومغفرا وطاف على الصفوف يحضهم على القتال ويبشرهم بالفتح ان صدقوا وصبروا وكانوا بريدون القتال في كتائب لم ير المسلمون مثلها عدة وعددا وحملوا حملة واحدة وكانوا ارمى الناس بالسهام واعرفهم بالثقاف فانهزم الناس والنبي ثابت يلتفت يمنة ويسرة لمن فر منهم وهو يقول يا انصار الله وانصار رسوله انا عبد الله ورسوله ثم تقدم بحربته امام الناس فلم يمض قليل حتى هزمهم الله وانما قال المصنف قيل لان هذه اللفظة بعينها لم تثبت عنده بطريق صحيح واما كونه اشد من حضر تلك الوقعة واشجعهم فهو مما لا شبهة فيه ولا يمكن احدا انكاره وقال غيره اي غير البخاري الذي الحديث من روايته لكنه لم يذكر فيه انه نزل عن بغلته فانه في رواية مسلم رواه سلمة بن الاكوع قال لما غشوا رسول الله عليه السلام نزل عن البغلة ثم قبض قبضة من تراب من الارض ثم استقبل بها وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق احد حتى امتلات عيناه من تلك القبضة ترابا وهزمهم الله ولا شك ان النزول في وقت المحاربة فيه من الشجاعة ما لا يخفى وتسميته العرب نزالا فلما التقى المسلمون والكفار وولى المسلمون مدبرين هذه حال مؤكدة وهي قد تكون موافقة لعاملها معنى كهذه الآية وقد تكون موافقة له لفظا كقوله ❊

اضحى مصيحا لمن ابدى نصيحته ❊ والاول اقوى لما فيه من ترك التكرار بحسب الظاهر وفي قولهم وولى المسلمون ان اريد جميعهم مجاز بجعل الاكثر بمنزلة الجميع والا فلا تجوز فيه فالمراد بعضهم وقد ثبت جماعة من المسلمين اختلف في عددهم كما فصل في السير وكتب الحديث وذكر مسلم في صحيحه رواية عن العباس عم النبي

صلى الله عليه وسلم قال فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين فطفق
اي جعل وشرع في فعل ذلك يركض بغلته نحو الكفار اي يسوقها ويسرع بها والركض الضرب
بالرجل فمتى نسب الى الراكب فهو اعنات مركوبه نحو ركضت الفرس ومتى نسب الى الماشي
فهو وطي الارض نحو قوله اركض برجلك ونحو منصوب على الظرفية اي في جهتهم وانا آخذ
بلجامها اي ممسكه اكفها اي امنعها من السرعة ارادة ان لا تسرع اي لاجل ارادة
ان لا تسرع نحو العدو وتقتحم به وابو سفيان بن الحارث ابن عمه آخذ بركابه هذه رواية
وفي اخرى ان ابا سفيان كان يقود بغلته آخذا بلجامها من احد جانبيها فلعله تارة كان
يفعل كذا وتارة كان يفعل كذا فلا تعارض بين الروايات ثم نادى اي العباس رضي الله عنه
وكان جهوري الصوت يا للمسلمين بفتح اللام الاولى لدخولها على المستغاث به كسرت
نحو يا لله للمسلمين وكان نداؤه بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قال له يا عباس ناد
اصحاب السمرة فناداهم فعطفوا وقاتلوا حتى هزمهم الله اعداء الدين وقال رسول الله حمي
الوطيس وهذا الحديث نقله المصنف عن مسلم بالمعنى اذ ليس فيه نداء العباس وخص العباس
لانه كان صيتا يسمع صوته من ثمانية اميال واصحاب السمرة هم اصحاب الشجرة وانما خصهم
بالنداء لانهم لما بايعوا تحتها بايعوا على الموت وان لا يفروا فذكرهم بذلك وفي خصائص
الخيضري كان يجب عليه صلى الله عليه وسلم مصابرة العدو وان كثر ولا امته انما يلزمهم
الثبات ان لم يزد عدد الكفار على الضعف كذا قالوه من غير دليل لكن ذكر الماوردي ان من
خصائصه انه اذا بارز رجلا لم ينكف عنه وانه لا يفر من الزحف وخوفه من القتل غير جائز
لان الله عصمه انتهى وقيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غضب ولم يغضب
الا لله لم يقم لغضبه شي اي لمهابته كل احد له وخوفه منه لا يتحرك احد عنده وقال شي
دون احد مبالغة كان العاقل وغيره سواء في ذلك ففي هذا اشارة الى انه كان يعتريه الغضب
والحدة احيانا ولكن ذلك الغيرة على حدود الله لا لنفسه ومناسبة هذا لما نحن بصدده
من ذكر شجاعته ان الغضب مقتض للبطش والاقدام وهو من غطها وهو بعض من حديث صحيح
في شمائل الترمذي وقال ابن عمر من حديث صحيح رواه الدارمي مسندا ما رايت اشجع
ولا انجد ولا اجود تقدم الفرق بين الشجاعة والنجدة فليس عطفه عليه عطف
تفسيري كما توهم ونفي الافضل هنا يفيد نفي المساوي بطريق الكناية تقول ما في البلد
اعلم من زيد كما تقدم تحقيقه ولا ارضى من رسول الله اي اكثر رضى منه لانه كان
يرضى بكل شي من ملبوس وماكول وغيره ويحتمل ان المراد بالرضى عدم الغضب اي كان
اكثر حاله عدم الغضب لان الرضى يكون مقابلا للسخط ويكون بمعنى الارادة وعدم الكره
ويحل منهما فسر الرضى اذا كان صفة لله وعلى ذلك مبنى اختلاف الاشاعرة والماتريدية
في رضى الله للكفر في قوله ولا يرضى لعباده الكفر والظاهر ان هذا مراد المصنف لانه
المناسب لما قبله وهذا الحديث رواه احمد والنسائي والطبراني والبيهقي قيل عطفه
اجود على انجد لما بينهما من المناسبة فان الجواد لا يخاف الفقر والشجاع لا يخاف الموت
كقوله • ان الذي جمع السماحة والنجدة والبر والتقى جمعا •
لان الاول بذل للنفس والثاني بذل المال والجود بالنفس اقصى غاية الجود وقال علي
رضي الله عنه كنا اذا حمي الباس بالموحدة وهمزة او الف وهو الشدة والمراد به

الخوف او الحرب وحمي بزنة علم اوقد ففيه استعارة مصرحة او مكنية اي اشتد
القتال وهذا معنى ما وقع في الرواية الاخرى حمي الوطيس فان الوطيس التنور وتلك
ابلغ مع نكتة لانه قال في غزوة اوطاس ويروى اشتد الباس وهذه الرواية
مفسرة للاولى واحمرت الحدق جمع حدقة وهي ما تحت الاجفان واحمرارها يكون عند
الغضب لان الدم يهيج فيه وفي الحديث الغضب جمرة تتوقد في قلب ابن آدم اما ترى
انتفاخ اوداجه واحمرار عينيه وفسر بشدة الغضب وهو غير مناسب هنا وان كان
كل عدو غضبان على عدوه ولذا فسر بكثرة الموت والظاهر انه كناية عن زيادة هيجانها
لانه يقال اشتعلت واوقدت ومن قرب من النار ولازمها تحمر عينه فالمعنى اشتد القتال
ودام مدة اتقينا برسول الله اي جعلناه وقاية لنا من العدو بان يتقدم علينا فيرد
العدو ونحن خلفه كما يستتر الشيء فوالله فما يكون احد اقرب الى العدو منه ولذا امسكوا
بغلته يوم حنين ولم ينكر عليهم وقد صارت هذه سنة في الملوك بوقت القتال حتى ان
آل عثمان يفتدون فرسه ولقد رايتني بضم التاء وهذا من خصائص افعال القلوب
وما الحق بها من راي البصرية والحلمية ان يكون فاعلها ومفعولها ضميرين متصلين
بشيء واحد ورآى هذه بصرية كما في قولهم •
• ولقد اراني للرماح دريئة • من عن يميني تارة وامامي •
وقد اختلف في تعليل هذا كما فصل في كتب النحو وكان الظاهر لقوله بعده يوم بدر
ونحن نلوذ بالنبي عليه السلام ان يقول رايتنا فكانه عدل عنه اشارة الى ان كل
احد مشغول بنفسه لا براي غيره ومعنى نلوذ نستتر ونلتجي اليه قال عز وجل قد يعلم الله
الذين يتسللون منكم لواذا وهو اقربنا الى العدو ومناسبة شجاعته والمراد بالعدو
وكان من اشد الناس يومئذ باسا اي نكاية في العدو كقوله تعالى والله اشد باسا كما
قاله الراغب وهذا الحديث اخرجه احمد والنسائي والطبراني والبيهقي في الدلايل
من طرق عنه واخرج مسلم بعضه من حديث البراء ابن عازب كما قاله السيوطي في مناهل الصفا
وقيل كان الشجاع هو الذي يقرب منه صلى الله عليه وسلم اذا دنى العدو اي قرب
من المسلمين وقت المقاتلة لقربه اي النبي منه اي العدو وهذا من كلام البراء ابن عازب
الذي رواه مسلم في صحيحه ولذا قيل ان قول المصنف قيل ليس في محله لايهامه ضعفه وعن
انس هذا حديث صحيح اتفق عليه الشيخان كان النبي صلى الله عليه وسلم احسن
الناس كلهم خلقا وخلقا واجود الناس اي اكثر عطا واحسانا واشجع الناس
افعل تفضيل ولا وجه لما قيل انه للتعجب ثم ذكر ما يدل على شدة شجاعته فقال لقد
فزع اهل المدينة اللام في جواب قسم مقدر والمدينة مدينة الرسول علم لها
بالغلبة والفزع انقباض ونفار يعتري المرء مما يخاف وهو قريب من الجزع ولذا يقال
خفت الله ولا يقال فزعت من الله كما قاله الراغب قال تعالى ولا يحزنهم الفزع الاكبر
اي من دخول النار ويكون الفزع بمعنى الاستغاثة قال كنا اذا ما اتانا صارخ فزع ليلة
منصوب على الظرفية اي في ليلة فانطلق ناس اي خرجوا من المدينة قبل بكسر
القاف وفتح الباء بمعنى الجانب والجهة ظرف اي نحوه يقال ذهب قبل السوق قال تعالى
فمال الذين كفروا قبلك مهطعين وتكون بمعنى عند يقال لي قبله حق ويستعار للوسع

والطاقة تحول بينهم بجنود لا قبل لهم بها الصوت الذي سمعوه وخرجوا ليعرفوا
خبره لظنهم انهم عدوا غار على من هناك وكان رسول الله خرج قبلهم وحده لذلك
فعرف ذلك ورجع فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حال كونه راجعا من
جانب سمع الصوت منه قد سبقهم الى الصوت اي المكان الذي سمع من جهته وقد
استبرا الخبر بمهملة ومثناة وموحدة وهمزة وقد تبدل الفا اي وقف على حقيقته وفي
الاساس استبرات الشي طلبت آخره لاقطع الشبهة عني واستبراء الارض قطعها انتهى
راكبا على فرس لابي طلحة زيد بن سهل بن الاسود بن حرام الانصاري الصحابي وكان
ذلك الفرس يسمى المندوب اي المطلوب ولانه كان فيه ندب اي اثر جرح عري بضم العين
وسكون الراء المهملتين مجرور صفة فرس ويقال في الآدمي عريان اذا لم يكن له لباس
ولغيره عري • وقيل انه عري بفتح العين وكسر الراء وتشديد المثناة التحتية بمعنى عري
وليس في اللغة ما يساعده اي ليس على ظهره شي من سرج او غيره والسيف في عنقه
اي حمايله معلقة في عنقه متقلدا به واعلم ان هذا هو السنة في حمل السيف كما قاله ابن
الجوزي لا شده في الوسط كما هو المعروف الآن وهو يقول لمن لقيه من اهل الفزع لن تراعوا
لن هنا بمعنى لم ونفي الروع بفتح الراء بمعنى الخوف والمراد نفي سببه اي ليس هناك شي
تخافونه واستدل بهذا الحديث على طهارة عرق الخيل وهذا اصل صحيح في الصحيحين
وقال عمران بن حصين بكسر العين المهملة وسكون الميم وراء مهملة وحصين بمهملتين
تصغير حصن وهو صحابي خزاعي كان من فقهاء الصحابة وفضلائهم ما لقي رسول الله
صلى الله عليه وسلم كتيبة بفتح الكاف وكسر التاء المثناة التحتية وباء موحدة هي
الجيش المجتمع وقيل جماعة الخيل الكثيرة من تكتبوا اجتمعوا بمعنى مجموع ومنه الكتاب لجمعه الحروف
الا كان اول من يضرب بسيفه ويقاتل وهو من قصر الصفة على الموصوف وهذا الحديث
رواه ابو الشيخ في الاخلاق وفيه راو مجهول ولما رآه ابي بن خلف يوم احد ابي بن خلف
بن وهب بن حذافة بن جمح الكافر المشهور الذي طعنه رسول الله بحربته في وقعة احد فوقع
عن فرسه ولم يخرج منه دم وكسر ضلعه فهلك عدو الله وقول المزي في تهذيبه انه صلى
الله عليه وسلم اخبر بانه يقتل ابي بن خلف فخدشه يوم بدر واحد فمات ذكره بالغرد بدل
يوم بدر واحد ولا وجه له ويوم احد ظرف لرؤيته وهو يقول حال من ابي اين محمد
سؤال عن المكان فان قلت كيف يسال عن مكانه وهو قال انه رآه قلت اذ قلنا
ان السؤال ليس على حقيقته بل مجاز عن ممكنه منه وظفره به او التقدير اي اين يذهب
محمد او الظرف ممتد ووقع جميع ذلك فيه ونزل في وقت واحد وان تقدم وتاخر لا نجوت
ان نجا دعا على نفسه بالهلاك ان نجا الله حبيبه ورسوله وقد اجاب الله دعاه فاهلكه
ونجا رسوله والبلا موكل بالمنطق وقد كان ابي يقول حين افتدي يوم بدر قيل
يوم بدل من حين وافتدي مبني للفاعل ومفعوله محذوف اي اسيره وهو ابنه عبد الله
والافتدا اعطاء الفدية لافتكاك الاسير فالمراد بحين الافتدا يوم بدر بتمامه لان
الزمان الضيق الذي وقع الافتدا يوم بدر فيه لان الظاهر انه لم يقل وعيده له صلى الله
عليه وسلم الا قبل ان يفتدي لا حين الافتدا وقيل يوم بدر ظرف لمحذوف بدل عليه
افتدي اي افتدي اسيره يوم بدر فهو متعلق باسيره اي من اسر يوم بدر وهو ابنه

ولا يستقيم كونه لا من حين لان الافتدا وقع بعد وقعة بدر بالمدينة وابي قال
ما قال حين افتدي لا بعده وكان من قال ان ذلك وقع قبل ان يفتدي ظن ان الكفار
لم يكونوا يدخلون المدينة بالامكان فالاسر وقع ببدر والافتدا بالمدينة فلا تنافي البداية
فتامل عندي فرس الفرس يقع على الذكر والانثى واسمها هنا لانها كانت انثى وقد ورد
في الحديث تذكيرها وتانيثها بحسب المراد والقرائن وقال التلمساني اعلفها هو الصواب
وفي السير اعلفه بضمير المذكر واصل الفرس الانثى وقد يقال الان نعي فرسه وتصغير
على فريس وان اردت الانثى خاصة لم تقل الا فريسة بالهاء عن ابي بكر بن السراج انتهى فلا
وجه لقوله الصواب واسم فرسه العود بوزن الضرب وعينه وداله مهملتان والعلف
ماكول الحيوان كل يوم فرقا بفتح الفاء وفتح الراء ويجوز تسكينها وقيل لا يجوز وهو مكيال
يسع ستة عشر رطلا وتحريكه وتسكينه بمعنى وقيل المسكن مائة وعشرون رطلا والمحرك
ستة عشر رطلا ذرة بيان للفرق بضم الذال المعجمة وفتح الراء المهملة المخففة وهي نوع
من الحبوب معروف وغزوة احد كانت في شوال سنة ثلاث وقيل الظاهر ان المراد هنا الفرق
بالتحريك لان الفرس لا يعلف ذلك المقدار كما لا يخفى اقتلك عليها صفة بعد صفة او
هي جملة مستانفة في جواب سؤال مقدر وقيل انها حال وهو بعيد وان صح ان يكون حالا
منتظرة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انا اقتلك ان شاء الله تحقيقا او علما
وكان انما علف فرسه لشوقه لهلاكه كالحافر بظلفه على حتفه ولكل باغ مصرع فلما
رآه اي راى ابي النبي صلى الله عليه وسلم يوم احد اليوم على ظاهره او بمعنى مطلق الزمان
او المراد به الوقعة على حد قولهم ايام العرب شد ابي بن خلف الشقي اي علا واسرع
قال الراغب يقال شد فلان واشتد اذا اسرع ويجوز ان يكون من قولهم اشتدت الريح
واصل معنى الشدة القوة على فرسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم الجاران
متعلقان بشد وان كان لا يجوز تعلق شيئين بحرف جر بمعنى متعلق واحد اما لانه قيد الشد
والعدو بانه على فرسه لا على رجليه ثم قيده به بعد تقييده بالاول فيتغاير المتعلق معنى
لان الاول يتقيد به وهو مطلق والثاني تعلق بالمقيد كما حققه صاحب الكشاف
في قوله تعالى كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا ان الاول مستقر حال اي راكبا على فرسه والثاني
لغو وشد جواب لما الثانية والاعلى جواب الاولى فاعترضه رجال من المسلمين
اي حالوا بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ليمنعوه ويصدوه عنه وقصدوا
نحوه وجهته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا اي تنحوا ولا تحولوا وتعرضوا
بيني وبينه فهكذا هنا اسم فعل امر بمعنى اتركوا سبيله قال السهيلي فلا يعمل فيه ما قبله
كما اذا قلت جلس هكذا اي على هذه الحالة او يقدر له عامل تقديره ارجعوا هكذا ثم استغني
عنه وقام هكذا مقامه واصله مركب من ها التنبيه وكاف التشبيه وذا اسم اشارة ثم
والى كونه انسلخ عن معناه اشار بقوله اي خلوا طريقه اي اجعلوا حالته من حايل بيني
وبينه وتناول اي اخذ بيده الحربة بوزن الضربة وهي واحدة الحراب بوزن رحاب
وهي قناة صغيرة سميت بها لانها من آلات الحرب وقيل ان هذه الحربة كانت للنبي صلى الله
عليه وسلم لانه كان لا يرى مشاركة في جهاده وسفره في سبيل الله ولذا اشترى من ابي
بكر راحلته التي هاجر بها والاظهر انها كانت للحارث وربما استعار بعيرا من اصحابه من الحارث

بن الصمة بكسر الصاد المهملة وفتح الميم المشددة وها تانيث ومعناه الشجاع المصمم في اموره ثم نقل علما وهو الحارث بن الصمة بن عمرو بن عتيك الانصاري الصحابي ه
شهد مع رسول الله بدرا وغيرها من المشاهد وقتل ببير معونة وذكر ابن الاثير ان الذي ناول رسول الله الحربة كعب بن مالك وبين الروايتين مخالفة وجمع بينهما بانه تناولها من احدهما فسقطت منه فناولها له الآخر او ان احدهما وهو الذي معه الحربة كان بعيدا منه فناولها آخر قريبا فسلمها له بيده ولابد من التوفيق فان الروايتان صحيحتان والقصة واحدة فانتفض بها انتفاضة اصل معنى النفض بالنون والفا والضاد المعجمة ازالة الغبار ونحوه عن ثوب او شجر قال ابو ذويب ه

تنفض مهده وتذود عنه • وما تغني التمايم والعكوف •

ويقال نفض وانتفض اذا اهتز ونفض الصبغ اذا اثر لونه في غيره وذكر نصيب بن نباتة فقال • نفضت عليهن من لوني • فقلت في اول قصيدة هـ •

نفضت على صباغها ايامي • نفض البياض بها قليل مقلم •

وهو هنا استعارة اي قام بها قومة سريعة وضربها للحربة وما قيل من انه مستعار من انتفاض الطائر قال • كما انتفض العصفور بلله القطر • غير مناسب هنا الا ان يقال بانه للتعدية والمعنى انه هزها وقيل معناه تحرك وحركها والابلغ الاحسن ان يقال انه استعارة تمثيلية بلزومه تشبيهم بالغنم كالذباب المودي الواقع المتهافت فيفيد هجومهم عليه وشبه نهوضه لهم بها بفحل اهتز لينزل ذبابا وقع عليه بقوله تطايروا عنه تطاير الشعرا عن ظهر البعير اذا انتفض وتطايروا بمعنى تفرقوا فارين بسرعة كالطيور والشعرا بفتح الشين المعجمة وسكون العين المهملة وراء مهملة بعدها همزة ممدودة ذبابة لها ابرة وفي نسخة البرهان بفتح العين الا انه لم يثبت وقال القتبي الشعر جمع شعرا وهي ذباب بحمر يوذي الدواب وقيل زرق وقيل كبيرة الشعر وفي رواية تطاير الشعارير وهي جمع بمعنى الشعر وقياس واحده شعرور وقيل هي ذباب يجتمع على دبرة البعير وفي الروض الانف الشعرا ذباب صغير له لذع وفي المثل قيل للذيب ما تقول في غنيمة تحرسها جويرية قال شعر في خلفي • قيل فما تقول في غنيمة يحرسها غليم قال شعرا في ابطي اخشى خطواته وهي سهام تتعلم الغلمان بها الرمي وروى القتبي هنا الشعر جمع شعرا ذباب صغار وروي فرجل بالحربة اي رمى بها انتهى • قيل رواية الشعرا انسب لان الواحد لا لا يتطاير • اقول هذا من القيل والقال وما انكر من فتح العين لا وجه له فان تحريك حرف الحلق لغة قال بعض النحاة منطرد فيقولون في بحر وشعر بحر وشعر والشعرا ليس مفردا بل اسم جمع كالطرفا فلا وجه لما قيل ان الانسب الشعر وقول بعضهم الشعرا جمع شعر كانه تحريف ثم استقبله اي قام النبي ومشى اليه بالحربة واعلم ان ضمير تطايروا للكفار الذين كانوا هجموا مع ابي وقيل انه للصحابة وتطايرهم عنه باذنه ليكشفوا له عن ابي ولا يخفى انه لا يناسب هنا بوجه تشبيههم بالشعرا ولا تطايرهم كما لا يخفى فطعنه في عنقه طعنة تدادا منها عن فرسه مرارا تدادا بمثناة فوقية ودالين مهملتين وهمزتين اي تدحرج وسقط وقيل مال وضمير منها للطعنة هـ ومثله تدهده وقيل الهاء بدل من الهمزة وفي رواية تردى اي وقع وقيل لم يطعنه في

٢٠٨

عنقه بل كسر ضلعا بكسر الضاد المعجمة وفتح اللام ويجوز تسكينها مع كسر الضاد وفتحها عظم معروف وقال الاخفش في الجنب الايمن تسع اضلاع وفي الايسر ثمان وما نقص منه تام في النسا وهو الذي خلقت منه حوى ولذا روي عن ابي حنيفة في الخنثى المشكل انه يحكم فيه بتمام اضلاعه وعكسه من اضلاعه قال التلمساني رواية طعنه اقوى لان المعروف الطعن بالرمح وفيه نظر وقيل انه طعنه فوقع عن فرسه فكسر ضلعه وفيه جمع ه بين الروايتين وهو حسن فرجع الى قريش يقول قتلني محمد جملة يقول حالية اي قايلا وعبر بالماضي لتحققه الموت وهم يقولون لا باس بك الباس بهمزة ساكنة وتبدل الفا وهو اسم لا يبنى على الفتح والباس الشدة والموت والالم وهذا هو المناسب ولا يقال لا باس عليك ولا باس بك للتسلية او الدعا له بان لا يصيبه شي من الباس وفي نسخة عليك بدل بك وهما بمعنى فقال لو كان ما بي من الالم والشدة التي اجدها في نفسي موزعا وحالا بجميع الناس لقتلهم فكيف احمل انا وحدي هذا واسلم منه اليس قد قال صلى الله عليه وسلم حين توعده انا اقتلك قيل اصله اقتلك انا فقدم المسند اليه للحصر اي انا لا غيري اقتلك وحدي لا يشاركني احد ونيا عدني في قتلك الا الله حتى قيل ان قوله تعالى وما رميت اذ رميت نزلت فيه فالقصر قصر افراد والظاهر انه قصر قلب وهو المناسب الكرد عليه اي انا اقتلك لا انت تقتلني فتدبر والله لو بصق علي لقتلني البصق رمي ماء الفم ويقال بالصاد والسين والزاي وانما قاله لتحقق صدق فيما قاله فمات من تلك الطعنة بسرف بسين مهملة مفتوحة وراء مهملة مكسورة وفاء اسم موضع وقيل اسم جبل قريب من مكة على ستة اميال او سبعة او اثني عشر على اختلاف فيه واسم مكان موته مناسب لانه كان مسرفا على نفسه كما قيل ه •

اختبر الارض باسمايها • واختبر الصاحب بالصاحب •

في قفولهم الى مكة اي مات وقد رجعوا من احد الى مكة والقفول معناه الرجوع وتسميتهم القافلة تفاولا برجوعها تفاولا كما يسمى المرزوع سليمان فانكار الحريري وتغليطه فيه لا وجه لها وهذا الحديث صحيح رواه البيهقي في الدلايل عن عروة ابن الزبير وسعيد ابن المسيب مرسلا وعبد الرزاق في مصنفه والواقدي في مغازيه وابن سعد في طبقاته وقيل انه قال هذه المقالة بمكة لما خلص ابنه من الاسر ورجع به وكان ابن عمر يقول انه مات ببطن رابغ وان اسيرا من المسلمين مر وهو اسير براىغ راى هدوا من الليل نارا وهاجها فلما دنا منها خرج رجل في سلسلة يصيح العطش ومعه رجل يقول لا تسقه فانه ابي بن خلف قتيل رسول الله فقلت سحقا له هـ

فصل واما الحيا والاغضا

الحيا ممدود وهو في اللغة ضد الوقاحة وفعله استحيا يستحيي بيايين وتحذف احداهما تخفيفا والاغضا اصل معناه ارخا الجفون قريبا من الانطباق وهما متغايران لغة وعرفا ويدل عليه قول الفرزدق ه

يغضي حياء ويغضى من مهابته • فما يكلم الا حين يبتسم •

فالحيا رقة الرقة ضد الغلظ ورقة القلب ان لا يكون فيه قسوة وجفا قال الراغب الرقة كالدقة لكن الدقة يقال باعتبار جوانب الشي والرقة باعتبار عمقه وهي في الجسم

عند الصفاقة وفي النفس يضادها الجفوة والقسوة **تعتري** اي تعرض وتحدث في **وجه الانسان** فيكون فيه ما يدل عليه كحمرته عند الخجل **عند فعل ما يتوقع كراهته** لم يفعل ما يكره لان من يراه قد لا يكرهه والمراد ما من شانه ان يكره **او ما يكون تركه خيرا من فعله** وان لم يكره وقال الراغب الحيا انقباض النفس عن القبايح وتركها وفي الحديث ان الله يستحيي من ذي الشيبة المسلم ان يعذبه ليس المراد به انقباض النفس لتنزه الله عنه وانما المراد به ترك تعذيبه ٭ وقال النووي هو خلق يمنع من القبيح والتقصير في الحقوق وقال الزمخشري هو تغير وانكسار يلحق من فعل او ترك ما يذم به وله تفصيل في تفسير البيضاوي كما بيناه في حواشيه فانظره **والاغضا** في عرف اللغة **التغافل** اي اظهار الغفلة ممن ليست فيه والمراد التجاوز **عما يكره الانسان بطبيعته** وان لم يكره شرعا **وكان النبي صلى الله عليه وسلم اشد الناس حيا واكثرهم عن العورات** جمع عورة وهي كل ما يقبح اظهاره ولذا كني عن سوءة الانسان وعن المراة بالعورة وهي ماخوذة من العار **اغضاء** اي سكوتا وتجاوزا والاغضا يتعدى بعن وعلي وعبر في جانب الحيا بالاشدية وفي الاغضا بالاكثرية لان الحيا كيفية نفسانية تنشا عنها كيفية حسية تقبل الشدة والضعف والاغضا فعل من الافعال يكثر ولا تتغير كيفيته من حيث هو وقيل لان الاغضا نوع احتمال وحلم وعفو عمن وقع في مكروه وهو تسبب عن الحيا والسبب اقوى باعتبار انه منسوب للمسبب عنه وفيه نظر ٭ ثم استدل على ان هذه الصفة الحميدة موجودة فيه صلى الله عليه وسلم فقال **قال الله سبحانه ان ذلكم كان** اي مكثهم في بيت النبي مستانسين بحديث بعضهم لبعض **يؤذي النبي فيستحيي منكم الاية** والله لا يستحيي من الحق وكان صلى الله عليه وسلم بنى بزينب ابنة جحش واولم بشاة وتمر وسويق وامر انسا بدعوة الصحابة فدعاهم فجعلوا يجيئون وياكلون ويخرجون ويجي اخرون الى ان بقي ثلاثة نفر فاطالوا المكث يتحدثون فتاذى رسول الله بذلك وكان شديد الحيا فنزلت الاية في حقهم اي ان ذلكم اللبث كان يؤذي النبي لضيق منزله فيستحيي منكم ان يامركم بالخروج منه وهذا من الاداب الشرعية فيستحب لمن زار احدا ولو بدعوة ان ينظر القيام والذهاب ثم يذهب ما لم يقل له امكث عندي وقد قال السلف رحم الله من زار وخفف ٭ وقيل لبعضهم هل نزل في الثقلاء قرآن فقال نعم نزل فاذا طعمتم فانتشروا وللسيوطي تاليف لطيف في هذا **حدثنا ابو محمد بن عتاب بقراتي عليه** تقدمت ترجمته وقيد روايته عنه بقراته عليه وهو يسمع وهو العرض والصحيح صحة ذلك الا انه اختلف في كونها دون قراءة الشيخ او مثلها او فوقها على ثلاثة اقوال وتفصيله في كتاب ابن الصلاح **حدثنا ابو القاسم حاتم بن محمد** بن عبد الرحمن بن حاتم المعروف بابن الطرابلسي وتكنيته بابي القاسم غير مكروهة لاختصاصه بحياته اولانه انما يكره الجمع بين الاسم والكنية والخلاف فيه مشهور **حدثنا ابو القاسم القابسي** بن محمد بن خلف الامام الحافظ منسوب لقابس بلدة بالمغرب وتقدمت ترجمته **حدثنا ابو زيد المروزي** بفتح الميم وسكون الرا المهملة وفتح الواو والزاي تقدم الكلام فيه وفي نسبته **حدثنا محمد بن يوسف** هو الفربري وقد تقدم **حدثنا محمد بن اسمعيل** هو البخاري وقد روى هذا الحديث مسندا في صفته صلى الله عليه وسلم وكذا اخرجه مسلم في فضايله **حدثنا عبدان** بفتح العين المهملة وسكون الموحدة والدال المهملة

والف ونون

والف ونون وهو عبد الله بن عثمان بن جبلة العتكي الحافظ توفي سنة احدى وعشرين ومايتين وخرج له اصحاب الكتب الستة **اخبرنا عبد الله** بن المبارك بن واضح الحنظلي التميمي الزاهد شيخ خراسان وسيدها له مناقب مشهورة روى عنه اصحاب الكتب الستة وغيرهم وتوفي سنة احدى وثمانين ومائة وولد سنة ثمانية عشر ومائة وقبره مشهور يزار **اخبرنا شعبة** تقدمت ترجمته **عن قتادة** تقدم ايضا **قال سمعت عبد الله مولى انس** هو ابن عتبة مولى انس وقيل اسمه عبيد الله مصغرا وذكره ابن حبان في الثقات مكبرا وهو يروي عن انس وعايشة وروى عنه كثير واخرج له اصحاب الكتب الستة وهو بصري صدوق ثقة **يحدث عن ابي سعيد الخدري** ابن مالك بن سنان وقد تقدم الكلام عليه وان الخدري بدال مهملة **كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشد حياء من العذراء في خدرها** وهذا الحديث صحيح اخرجه الشيخان والترمذي وابن ماجة والمصنف اخرجه من طريق البخاري حياء ممدود وتقدم معناه وبالقصر المطر وهو منصوب على التمييز المحول عن الفاعل والعذرا بعين مهملة وذال معجمة ورا مهملة ومد البكر الباقية بعذرتها وهي جلدة يلتحم بها الفرج فاذا جومعت زالت فيقال افتضها وازال عذرتها ٭ والخدر بالخا المعجمة المكسورة وسكون الدال المهملة ورا مهملة هو البيت او ستر في جانبه للبنت او قبة تضرب لها فان قلت البكر في خيامها بين اهلها وابويها وهي لا تحتجب عنهم ولا تستحيي منهم كما تستحيي من الاجانب فكان الظاهر ان يقال العذرا في غير خدرها لانه ابلغ في المبالغة ٭ قلت المراد بكونها في خدرها انه ما لم تخرج بسبب تزوج ونحوه لانها اذا خرجت بذلك قل حياؤها وزال حجابها ٭ وقيل المراد التعميم وان العذرا في خدرها اشد حياء لكنه مظنة للاجتماع بها والظاهر ان المراد تقييده بما اذا دخل عليها في خدرها لانها حينئذ تكون منفردة فالحاصل حجر ولا يخفى ما فيه فانه لا دلالة في اللفظ على ما قالوه فالحق ما سمعته اولا **وكان اذا كره شيئا عرفناه في وجهه** كتغيره وغض بصره ونحوه والمراد انه اذا لم يكن في حدود الله وحقوقه فلا يواجه احدا بما يكره كما قال الصرصري ٭

فاق العذارى في الخدور حياؤه ٭ لاجبه فيه لصاحب او شاني ٭

وكان صلى الله عليه وسلم لطيف البشرة البشرة بفتح البا الموحدة والشين المعجمة والراء المهملة هي ظاهر جلد الوجه والجسد كله ومنه البشارة لظهور آثار الفرح بها في الوجه وهذا كالعلة لمعرفة ذلك في وجهه لانه للطف بشرته تظهر فيها ذلك وكذا قوله **رقيق الظاهر** اي ما يظهر من بدنه رقيق يظهر فيه لسرعة آثار الانفعالات النفسية ولا وجه لتفسيرها بانه يستحيي كما قاله التلمساني **لا يشافه احدا** اي لا يكلم احدا ولا يواجهه **بما يكرهه حياء وكرم نفس** منصوب مفعول له اي يترك ذلك تكرما منه لا خوفا ومداراة **وعن عائشة** هذا حديث رواه ابو داود في سننه مسندا **كان رسول الله عليه السلام اذا بلغه عن احد ما يكرهه لم يقل ما بال فلان يقول كذا** البال هو الحال والشان وما استفهامية مبتدا او خبر عن بال وجملة يقول حال او مفسرة للبال **ولكن يقول ما بال اقوام يصنعون او يقولون كذا** اشارة وكناية عما يكره فلا يعين الصانع او القائل وفلان وفلانة كناية عن اسماء الادميين والفلان والفلانة كناية عن اسماء غيرهم **ينهى عنه ولا يسمي فاعله** بصريح اسمه بل يكني عنه ونهيه عما انكره ماخوذ من

الاستفهام الانكاري وسياق الكلام في قوله ما بال فلو يقال انه ليس في الكلام نهي وروى
انس هذا الحديث رواه ابو داود والترمذي والنسائي قالوا انه دخل عليه رجل به اثر
صفرة الصفرة اللون المعروف والمراد بها لون الورس والزعفران يعني انه كان خضب بذلك
فبقي بقية منها ولم يسم هذا الرجل فلم يقل له شيئا من نهيه عن ذلك ونحوه مما يكرهه كما اشار اليه
بقوله وكان لا يواجه احدا بما يكره اي لا يخاطبه شفاها ويقول في وجهه شيئا يكرهه وان
قاله احيانا في غيبته فلما خرج ذلك الرجل من مجلسه قال لو قلتم له يغسل هذا اي اثر
الصفرة والخضاب او ينزعها بفتح الزاي المعجمة يقال نزعه كسأله يسأله اذا ازاله والضمير
للصفرة والشك من الراوي وهما بمعنى ولو شرطية جوابها محذوف لتذهب النفس كل مذهب
وتقديره اصبتم ونحوه وقيل انها مصدرية اي وددت قولكم هذا وخضاب هذا الرجل ان كان
في لحيته دل على منع خضاب اللحية بالحنا ونحوها ولا يعضده ما في البخاري عن قتادة انه سأل
انسا هل خضب النبي عليه السلام قال لا انما كان شيء في صدغيه اي شيء قليل من الشيب
لا يحتاج للخضاب لانه لا يدل على تركه لانه منهي عنه شرعا لعدم الحاجة اليه وكذا ما روي عنه
انه لم يخضب قط اي لعدم الحاجة اليه الا انه روي عن انس انه رأى شعر رسول الله مخضوبا
يعني بعد موته كما نقله ابن الجوزي فاختلف فيه الروايات روى جماعة انه كان يخضب بالصفرة
والورس والزعفران وكان عمر يفعله وجمع الكرماني بين الروايات بانه صبغ في وقت وتركه
في معظم الاوقات فاخبر كل بما رأى وقد امر بالخضاب بالصفرة وحث عليه ونقله وتبعه على
ذلك اكابر الصحابة فهو سنة من تركها فقد ترك سنة وانما ترك بعضهم لما فيه وهو احب
للنساء وارهب للعدو وكذا الخضاب بالسواد وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الخضاب
بالسواد وحمل على ما اذا كان فيه تدليس على النساء فما في هذا الحديث محمول على غير خضاب
اللحية بان يحني يديه ورجليه او يجعل الصفرة في ثوبه فانه منهي عنه • وفي فتاوى ابن حجر
الهيثمي انه من غير حاجة كجرب ونحوه حرام لما فيه من التشبه بالنساء وصنف فيه رسالة
مستقلة وقوله يغسله او ينزعها دليل على انه كان في ثوبه ولو لم يحمله على هذا اشكل الحديث
والشراح لم يتعرضوا له قالت عائشة في الصحيح اي في الحديث الصحيح المروي عنها
كما اخرجه الترمذي لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا الفحش كل امر
قبيح او شديد القبح قولا او فعلا والفاحش من يصدر عنه ذلك والمتفحش من يتعمده ويبالغ
فيه والظاهر ان المراد به بذاءة اللسان هنا ويؤيده قوله ولا صخابا في الاسواق صخاب
بفتح فتشديد صيغة مبالغة من الصخب وهو رفع الصوت بما لا فائدة فيه وهو بالصاد والسين
وهكذا كل ما كان معه حرف حلق يجوز ابداله قياسا مطردا وخص الاسواق لانه فيها اقبح
ولانها محله واما في المنزل ونحوه فلا حاجة اليه ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن
يعفو ويصفح يعني انه كثير العفو فيما لا يكون من الحدود وحقوق الله والعفو ترك المؤاخذة
بالذنب والصفح الاعراض عن المسيء بحيث لا يخجله وقد تقدم شرحه وهذا الحديث مروي
في الصحيحين بطريق آخر عن عمرو بن العاص عن عطاء بن يسار انه قال له اخبرني عن صفة
رسول الله في التوراة فساقه له في حديث طويل واليه اشار بقوله وقد حكي بالبناء للمجهول
مثل هذا الكلام الذي قالته عائشة عن التوراة من رواية عبد الله بن سلام بفتحتين
مخفف اللام وهو الصحابي المشهور وعبد الله بن عمرو بن العاص وهو وان كان قرشيا

لكنه قرأ الكتابين وكان عالما بما فيهما ولذا سألوه عن صفة النبي فيها • وقد اختلف في
تحريف اهل الكتاب كتبهم هل كان بتغيير عباراتها بنقص وزيادة او انه انما كان بمجرد التأويل
وصرف ما فيها عن ظاهره والصحيح ان كلا منهما واقع واذا كان كذلك علم وجه المنع من قراءتها وانه
حرام ولا يرد عليه ان بعضهم كان يقرأها لانهم تعلموها قبل اسلامهم وهم لا يخفى عليهم ما غير منها
والظاهر انه لا يمنع منه من عرف ذلك وقصد الرد عليهم وروي عنه اي عن النبي صلى الله
عليه وسلم هذا ذكره الامام الغزالي في الاحيا وقال الحافظ انه لم يجده في كتب الحديث
ولذا قال السيوطي انه كان من حيائه لا يثبت بصره في وجه احد ثبات البصر بمعنى اطالة
النظر من غير تخلل اغماض جفن ونحوه حتى كانه صار بصره قارا في المرئي كما قال المتنبي

وخصر تثبت الابصار فيه • كان عليه من حدق نطاقا •

فتخيل حقيقة الثبات فيه ثم بني عليه جعله كالنطاق وان كان فيه للادباء كلام وانه
كان يكني عما اضطره الكلام اليه مما يكره اي يورد المعنى القبيح عادة بطريق الكناية
لشدة حيائه كقوله حتى تذوقي عسيلته لان الجماع وذكره للمرأة تستحيي منه وذكره في الحديث
كثير وعن عائشة رضي الله عنها ما رأيت فرج رسول الله قط مع انه يجوز رؤية كل
احد من الزوجين فرج الاخر وفي حديث رواه ابن حبان النظر الى الفرج يورث الطمس اي العمى
فقيل عمى الناظر وقيل عمى اولاده وقيل المراد عمى القلب والمعنى انه لشدة حيائه لم يكشف
عورته عند احد قط كما ورد من كرامتي على الله انه لم يطلع لي على عورة احد فاذكر ينطبق على
ما سيق له الكلام فان عائشة رضي الله عنها زوجته واقرب الناس واحبهم اليه وكان يضاجعها
وينام عندها فاذا لم تر ذلك لزم عدم كشفه عندها واذا لم يكشف عندها فبالطريق الاولى
عند غيرها وانما كنت عن ذلك ولم تصفه فتأولها فلله درها فهو كقولهم لا ارينك هنا
فلا يرفع الثياب الا وقد لاصقها فيكون سترة له حينئذ وهذا معنى قوله هن لباس لكم فلا
يتوهم ان عدم رؤيتها لغض بصرها حياء منه لا انه لم يكشف عندها فافهم •

فصل واما حسن عشرتهم

بكسر العين المهملة وسكون الشين المعجمة اختلاط المرء مع اهله واصحابه ومعاملتهم
وادبه بالرفع معطوف على حسن ويجوز جره ورجحه بعض الشارحين فلما ورد عليه ان
الادب لا يكون الا حسنا دفعه بان منه ما لا يحسن كادب اهل الزمان كما ادبهم وهو انسب
بقوله ادبني ربي فاحسن تاديبي والادب استعمال ما يجمل قولا وفعلا والاخذ بمكارم
الاخلاق من المادبة وهي الطعام الذي يدعى له الناس وبسط خلقه تقدم معنى الخلق
وانه بضمتين او ضم فسكون والبسط نشر الشيء وتوسيعه ومنه البساط وورد البسط بمعنى
المسرة وعليه استعمالهم • وورد في الحديث فاطمة يبسطني ما يبسطها فليس من كلام المولدين
كما توهم ومن امثال العامة البسط صرف والمعنى هنا سعة خلقه ويجوز رفعه وجره ايضا
والاول اولى وليس بمتعين كما توهم ومعنى بسط الخلق هنا سعته لانه نال من الاخلاق الحسنة
اقصاها وغايتها مع اصناف الخلق تنازع فيه الالفاظ الثلاثة فهو قيد الجميع لا لاخيره
فبحيث انتشرت اي كثرت واشتهرت وهو جواب اما وهو خبر مبتدأ مقدر اي فهو بحيث
اي بمحل معلوم لكل احد به الاخبار الصحيحة قال علي في وصفه عليه الصلاة والسلام

في الحديث الصحيح الذي رواه الترمذي في شمائله كان أوسع الناس صدرا المراد
بسعة صدره كمال المشاق وكرم تحمله ليفهم قال تعالى فلا يكن في صدرك حرج أي ضيق وأصدق
الناس لهجة في الصحاح اللهجة اللسان وقد تحرك وأطلق وأريد به الكلام مجازا مرسلا من
اطلاق المحل على الحال ووضع فيه الظاهر مقام الضمير لأن كلا منهما صفة مستقلة ولا ينافيه
حديث ما من ذي لهجة أصدق من أبي ذر لأن المراد تفضيله على أمثاله والصدق ضد الكذب
وهو معنى وفيه أن في التفضيل في الصدق سؤالا وهو أن الصدق هو المطابقة للواقع فما
طابق فهو صدق وما لم يطابق فهو كذب فكيف يتصور التفاوت فيه حتى يكون هذا أصدق
وذاك صادق وهذا إنما يرد لو كان التفضيل في كلام واحد أو أنواع منه محصورة أما لو أريد
كل كلام صدر عن متكلم فلا يرد ما ذكر وألينهم عريكة أي أسهل الناس طبعا فهو دائم سلس مطاوع
منقاد قليل المخالفة لا نفور فيه وأصل العريكة السنام فهو في الأصل مجاز شاع حتى صار
حقيقة فيما ذكر وأكرمهم عشرة أي يعامل الناس في معاشرته ومخالطته بكريم الأخلاق
فيعظم من يستحق التعظيم ويتلطف مع من دونهم حدثنا أبو الحسن محمد بن مشرفة بضم الميم
وفتح الشين المعجمة وفتح الراء المشددة وفاء واسمه علي وله ترجمة في الميزان وسمع منه السلفي
وفيه كلام الأنماطي جمع نمط وهو ثوب من صوف يطرح على الهودج والنسبة إلى الجمع على رأي
أو لأنه ملحق بالعلم كالأنصاري لأن المراد به صنعة مخصوصة وقيل إنه على خلاف القياس
فيما أجازنيه وقرأته على غيره فيه بيان لطريق التحمل وأنه رواه عن غيره فانجبر الطعن
فيه وهذا الحديث رواه أبو داود والنسائي قال حدثنا أبو إسحاق الحبال بفتح الحاء المهملة
وتشديد الباء الموحدة وألف ولام وهو الإمام الحافظ المتقن محدث مصر أبو
إسحاق إبراهيم بن سعيد بن عبد الله النعماني التجيبي الفراء الوراق المصري ولد سنة إحدى
وتسعين وثلاثمائة وسمع من أحمد بن عبد العزيز بن صاحب المحامل وغيره وتوفي في سنة اثنتين
وثمانين وأربعمائة وله إحدى وتسعون سنة وترجمته مشهورة حدثنا أبو محمد بن النحاس
بحاء مهملة مشددة وهو الإمام أبو محمد عبد الرحمن بن عمر بن محمد بن سعيد بن إسحاق المصري
البزاز سمع أبا سعيد بن الأعرابي وسليمان بن داود العسكري وجماعة كثيرين وكان ثقة
كما قاله ابن ماكولا حدثنا ابن الأعرابي هو الإمام أبو سعيد الذي تروى سنن أبي داود
عنه حدثنا أبو داود سليمان بن الأشعث صاحب السنن الأربعة المشهورة حدثنا هشام
أبو مروان ومحمد بن المثنى قالا هشام بن خالد بن يزيد بن مروان الأزرق الدمشقي الثقة
الثبت توفي سنة تسع وأربعين ومائتين وترجمته في الميزان ومحمد بن المثنى أبو موسى
العنزي الحافظ توفي سنة اثنتين وخمسين ومائتين حدثنا الوليد بن مسلم الحافظ أحد
الأعلام أخرج له الجماعة إلا أنه رمي بالتدليس حدثنا الأوزاعي هو عبد الرحمن بن عمرو
بن محمد نسبة للأوزاع وهي قبيلة من حمير أو اسم قرية وهو عالم فقيه زاهد روى عن عطاء
ومكحول وروى عنه كثيرون وأخرج له أصحاب الكتب الستة وهو ثقة وله ترجمة مشهورة
سمعت يحيى بن أبي كثير بزنة كبير ضد القليل وهو من العباد وأئمة الحديث توفي سنة
تسع وعشرين ومائة وأخرج له الستة وترجمته في الميزان حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن
أسعد بن زرارة بضم الزاي المعجمة وهو محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سعد
والي المدينة وهو ثقة أخرج له الستة وتوفي سنة أربع وعشرين ومائة عن قيس بن سعد

بن عبادة بن دليم الخزرجي سيد الخزرج وصاحب شرطة رسول الله صلى الله عليه
وسلم أخرج له الستة وأحمد وكان من الدهاة ذوي الرأي طويل القامة جميلا جوادا
توفي بالمدينة في آخر خلافة معاوية رضي الله عنه قال زارنا رسول الله على عادته
في تفقد أصحابه وكان عبادة دعاه رجل ليلا فخرج له فضربه بسيف فأشواه فجاءه
رسول الله يعوده وذكر قصة هي ما وقع له مع أبي بن سلول إذ مر به وهو جالس مع
أخلاط من المسلمين وغيرهم فغشي المجلس غبار دابته فخمر أبي بن سلول أنفه بردائه
وقال لا تغبروا علينا ارجع إلى رحلك فمن جاءك منا فاقصص عليه فاستب المسلمون
مع المشركين حتى هموا أن يتواثبوا فنهاهم رسول الله ثم ركب دابته حتى دخل على سعد
وذكر له ذلك فقال اعف عنه واصفح فلقد اتفق أهل هذه البحيرة على أن يعصبوه
فلما رد الله ذلك بالحق الذي جئت به شرق بذلك فعفا عنه في آخرها أي آخر
القصة فلما أراد الانصراف قرب له سعد حمارا ليركبه ووطأ عليه بقطيفة
هي كساء له وبر وضعه على ظهر الحمار وطاء لمن يركب عليه وطاء بتشديد الطاء وهمز
فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال سعد لابنه يا قيس اصحب
رسول الله أي كن معه في خدمته وفي هذا الحديث أنه لما جاء كان على حمار مردفا
خلفه أسامة بن زيد فسعد إنما أعطاه حمارا ليركبه وحده ويبقى أسامة على الحمار الذي
جاء به ووهب سعد له ذلك الحمار فقال قيس فقال لي رسول الله اركب معي على
الحمار فأبيت الركوب معه تأدبا وفوزا بالمشي في خدمته فقال إما أن تركب وإما أن تنصرف
أي ترجع ولا تمشي معي فانصرفت امتثالا لأمره وفي رواية اركب أمامي فصاحب
الدابة أحق بصدرها وهذا وقع هنا في بعض النسخ والمراد بصدرها مقدمها وفيه
دليل على جواز الإرداف ولو صاروا ثلاثة إذا لم تكن الدابة ضعيفة لا تطيق ذلك
وقيل ما فوق الاثنين مكروه وقوله صاحب الدابة باعتبار ما كان أو هو لم يعلم بأنه وهبها
له وكان صلى الله عليه وسلم يؤلفهم أي يؤلف المسلمين بإيناسهم ومداراتهم
ليزداد من كان في بيعته بالإسلام وليحسن من كان مخلصا بجبر خاطره والتودد إليه
ولا ينفرهم أي لا يتلقاهم بما يصير سببا لنفورهم وذهاب من كان قريب عهد من
المؤلفة قلوبهم ويكرم كريم كل قوم برعايته بما يليق به كما فعل مع عدي بن حاتم وغيره
مما ثبت في السير ويوليه عليهم أي يجعل شريف القوم واليا عليهم إذا رجعوا الديار
كما ولى على وفد همدان مالك بن نمط ويحذر الناس ويحترس منهم لأنه من الحزم
أن لا يركن لكل أحد حتى يجربه من غير أن يطوي عن أحد منهم بشره مع احتراسه
منهم يلقاهم ببشره وبشاشته ولا يغير حاله معهم فبشره بشره وانبساطه بساط
ممهد لهم فلا يطوى عنهم ما داموا عنده كما قال الشاعر

إنما المجلس النبوي بساط ... فإذا ما مضى طوينا بساطه

ولا خلقه المعهود منه يتفقد أصحابه أي من فقده من أصحابه يسأل عنه أو
يزوره أو يرسل إليه من يتعهده قال الراغب الفقد أخص من العدم لأنه العدم بعد
الوجود والتفقد التعهد لكن حقيقة التفقد تعرف فقدان الشيء والتعهد تعرف
العهد المتقدم ويعطي كل جلسائه نصيبه أي يعطي كلا منهم ما يليق به ومما

بشره ولا يحسب جليسه ان احدا اكرم عليه منه اي لما يراه من لطفه به يظن
ان رسول الله يحبه اكثر من غيره من جالسه جلس عنده في ناديه او قاربه لحاجة
اي كان معه حال مشيه او مسيره صابره اي صبر على سؤاله وذكر حوائجه حتى يكون
هو المنصرف عنه اي الراجع عن مفارقته ومجالسته ومن ساله حاجة لم يرده الا بها
اي اعطاه حاجته التي سالها منه او بميسور من القول كوعد او تسليته واو للتنويع
الخلق قال تعالى وقل لهم قولا ميسورا قد وسع الناس بسطه وخلقه بسطه مصدر بزنة
ضرب مضاف لضمير عائد له صلى الله عليه وسلم وهو مرفوع فاعل وسع بزنة علم وكذا خلقه
المعطوف عليه وقد تقدم معنى الخلق والجبلة فجعل بسطه بمعنى توسعته على الناس وبمعنى
بشره كالمكان الرحب وكذا خلقه الحسن جعله لبرّ لهم كالمكان الرحب الذي تمكنوا فيه
فصار لهم ابا اي صار لجميع امته بمنزلة الاب في التلطف بهم والشفقة عليهم وهو لا ينافي
قوله ما كان محمد ابا احد من رجالكم لان المنفي الابوة الحقيقية الا ان بعض علماء الشافعية
ذهب الى انه لا يجوز ان يقال له ابو المؤمنين كما يقال لنسائه امهات المؤمنين عملا بظاهر
هذه الاية وانما يقال انه كالاب ونص الشافعي على جوازه وهو الحق وكذا كل نبي اب
لامته ذكورا واناثا وكونه ليس ابا حقيقيا معلوم بالبداهة وانما نفاه في الاية ردا على
من انكر تزوجه بابنة زيد الذي تبناها وصاروا عنده في الحق سواء لان الله عصمه
من الاغراض النفسية الحاملة على الميل مع الهوى وكذا وصفه به ابن ابي هالة ربيبه
في الحديث الصحيح المروي عنه كما اشار اليه المصنف بقوله بهذا وصفه ابن ابي هالة
ابن خديجة ام المؤمنين بنت خويلد واسمه هند وابوه ابو هالة حليف عبد الدار
اختلف في اسمه فقيل نباش بن زرارة وقيل مالك بن النباش بن زرارة وكان تزوج خديجة
قبل النبي فولدت له هندا وهندا ولد يسمى هندا ايضا عده ابن منده وابو نعيم في الصحابة
وابوه هند من كبار الصحابة قتل مع علي في وقعة الجمل قال اي ابن ابي هالة في وصفه
صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث وكان دائم البشر بكسر الباء وسكون المعجمة
اي طلاقة الوجه وبشاشته لا يعبس في وجه احد سهل الخلق لا صعبا ولا حزنا
لين الجانب استعارة مصرحة شبه وصول كل احد له ولما يريد منه بشيء لين ياخذ منه
من جانبه ما يطلبه وقيل شبهه بجانب لين من الارض ليس بحزن ليس بفظ ولا غليظ الغليظ
الكريه الخلق مستعار من الفظ اي ما الكرش وهو مكروه لا يتناول الا في شدة الضرورة
كما قاله الراغب والغلظ ضد الرقة واصله في الاجسام فاستعير للمعاني كما تقدم ولا صخاب
ولا عياب ولا فحاش اي لا ينطق بالفحشاء كالشتم ولا يعيب احدا اي يذكر عيوبه
ولا مزاح لاحد بما يؤدي الى اضطرابه ولا لنفسه وهذه كلها صيغ مبالغة والمقصود
بها النسبة كتمار ولبان او المبالغة راجعة للنفي كما قالوه في قوله تعالى وما ربك بظلام
للعبيد وقيل المقصود به اصل الفعل وقول انس لعمر انت افظ واغلظ من رسول الله يقتضي
ثبوت ذلك له فقيل المقصود وجود اصل الغلظ فيه ونفيه عنه صلى الله عليه وسلم لا
حقيقة التفضيل والمراد اثبات ذلك على المشركين كما في قوله وليجدوا فيكم غلظة
كما ان المدح قد يستحسن في مقام دون مقام اذا كان في محله بخلاف ما اذا كان كذبا
ولذا قال احثوا التراب في وجوه المداحين على اصل الوجوه فيه يتغافل عما يشتهيه

يشتهي

فعله اذا راى شيئا لا يرضاه تغافل عنه حتى يظن انه ما رآه اذا كان ذلك مما لا يترتب
عليه اثم ولا يؤيس منه مبني للمفعول وضمير منه له صلى الله عليه وسلم اي والحال
الهمزة التي كانت مفتوحة ومفعوله محذوف لقصد التعميم اي لا يؤيس احدا منه اي يجعله
ذا الياس بحيث لا يرجوه فالضمير لما تغافل عنه وعلى هذا اقتصر بعض ارباب الحواشي
وقال تعالى فبما رحمة من الله الاية ما زائدة للتاكيد وقيل نكرة موصوفة ورحمة
بدل منه وقيل استفهامية تعجبية اي باي رحمة عظيمة لنت لهم ورده في المغني بثبوت
الفاء وقال ان ما قبله ايضا لا يتجه كما فصله شراحه وليس هذا محل تفصيله والمعنى
انك لو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا عنك اي تفرقوا ولم يجتمعوا عليك ولكنك بلين
جانبك لهم وشفقتك عليهم تؤلف قلوبهم وتزيد محبتهم وهذا امتنان عليه بما جبله الله
عليه من الاخلاق الحسنة وقد تقدم الكلام عليه وقال ادفع بالتي هي احسن الاية
التي هي احسن الصفح والتجاوز والاحسان في مقابلة السيئة ولا حاجة لتقييدها بما
لم يكن فيه وهن في الدين لانه لا يكون دفعا بالاحسن فان المراد به الاحسن عند الله
وقيل التي هي احسن كلمة التوحيد والسيئة الشرك وقيل الامر بالمعروف والسيئة المنكر
وقدم الجار والمجرور على المفعول الصريح للاهتمام وقصد الحصر اي ادفع بهذا لا
بغيره وكان يجيب من دعاه لطعامه او لمنزله جبرا للخاطر وتعليما وتشريفا لامته سواء
كان المدعو اليه وليمة عرس او غيرها وفي الحديث اذا دعا احدكم اخاه فليجب وما قيل من
ان اجابة دعوة العرس واجبة لورود الامر بها في الاحاديث الصحيحة فلا يكون ذلك
للتفضيل ومكارم الاخلاق غير وارد لان المختار عدم الوجوب عند الشافعية
ايضا كما صرح به السبكي ولو سلم فهذا محمول على الاعم من الولائم وغيرها وليس في العبارة
ما يقتضي التخصيص ويقبل الهدية لا الصدقة ولو كانت كراعا لانه مقتض للتحابب
وكراع بضم الكاف وفتح الراء المهملة المخففة والعين المهملة وهي ما تحت الركبة الى الخف
والحافر والظلف ولو وصلية هنا تفيد التعليل كاتقوا النار ولو بشق تمرة وقيل الكراع
ما دون الكعب من الدواب وقيل كراع كل شيء طرفه وفي الترمذي عن انس بن مالك قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو اهدي الي كراع لقبلت ولو دعيت الى كراع لاجبت
وكراع الثاني اسم مكان وهو كراع الغميم موضع بين مكة والمدينة والصحيح انه بالمعنى
السابق والمقصود المبالغة في ذلك اي اقبل الهدية ولو كانت حقيرة واجيب الدعوة
ولو كانت الى مكان بعيد ويطلق الكراع على الشاة نفسها وفي الحديث اذا دعي احدكم
فليجب فان كان مفطرا اكل وان كان صائما دعا بالبركة ويكافئ عليها بالهمزة اي يجازي
على الهدية بشيء مثلها او اكثر لان المكافاة اصل معناها المساواة والمماثلة ومنه المسلمون
تتكافأ دماؤهم اي تتساوى في القصاص وفي البخاري كان يقبل الهدية ويثيب
عليها واستدل به بعض المالكية على وجوب عوض الهدية اذا اطلق الواهب وكان ممن
يرجو الثواب كالفقير الذي يهدي للغني ولم يوافق عليه وقال انس وهو خادم النبي
صلى الله عليه وسلم خدمت النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين وفي رواية
مسلم تسع سنين ولا منافاة بينهما لانه خدمه تسع سنين واشهرا فالغى الكسور مرة وجبرها
سنة وتارة الغاها وكان عند ابي طلحة فانطلق به الى رسول الله وقال ان انسا

غلام كيس فليخدمك فما قال لي أف قط هي كلمة تقال لما يكره ويتضجر منه وهي اسم فعل فيه لغات نحو الاربعين اشهرها ضم الهمزة وكسر الفاء المشددة قال الراغب اصل الأف كل مستقذر من وسخ وقلامة ظفر وما يجري مجراهما ويقال لكل مستقذر ويستخف به وأففت لكذا اذا قلت له اف وهمزته مثلثة وكذا فاؤه مع التنوين وعدمه وقد فصل لغاتها في البحر ومن لطائف السراج الوراق في مدح ابنه هو

بني افديك بالكتاب العزيز • فزدت سرورا وزاد ابتهاجا •
وما قال لي اف في عمره • لكوني ابا ولكوني سراجا •

اي لم يتضجر من امر غير مرضي وقع مني وفيه دليل على زيادة حلمه وما قال لشيء صنعته لم صنعته ولا لشيء تركته لم تركته وهذا الحديث رواه الشيخان وللسيوطي في نظم لغات اف ابيات مشهورة وعن عائشة رضي الله عنها ما كان احد احسن خلقا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بينت بعض ذلك بانه ما دعاه احد اي ناداه فقال يا رسول الله من اصحابه ولا اهل بيته خصهم لان العادة جارية بالمسامحة معهم الا قال لبيك قال السيوطي رواه ابو نعيم في دلائل النبوة بسند واه ولبيك كلمة يجاب بها المنادي والتلبية اجابة المنادي ممن دعاه من لب والب اذا اقام بمكان لم يفارقه فكانه يقول انا ثابت على اجابتك ولا يستعمل الا بلفظ التثنية كانه قال اجابة بعد اجابة والمراد التكثير كقوله فارجع البصر كرتين وهو منصوب على المصدرية بعامل لا يظهر وتلزم اضافته لضمير المخاطب وقد يضاف لغيره كما فصله النحاة ولا يجاب به الا من يعتني باجابته ويعظمه ولذا يقول الحاج ففي اجابة الرسول اتباعه بذلك رعاية مقامهم وتعظيمهم وهو من خلقه العظيم كما كان يخاطب القادم بمرحبا كقوله مرحبا بام هانئ وقال جرير بن عبد الله بن جابر بن مالك البجلي سيد قومه قدم على النبي صلى الله عليه وسلم سنة عشر من الهجرة على الصحيح لا قبل موته باربعين يوما كما قيل ولما قدم قال يطلع عليكم خير ذي يمن وكان جميلا حتى قال عمر انه يوسف هذه الامة وارسله النبي لذي الخلصة وهي الكعبة اليمنية وكان فيها صنم فخربه وقد قتل من عنده ما حجبني رسول الله منذ اسلمت قط اي ما منعني من الدخول عليه في بيته وقد استاذنته لا مطلقا حتى يقال كيف يدخل على غير محرم حتى يجاب بان المراد في مجلس يختص بالرجال والمراد ما منعني مسالته واسلامه كان في رمضان سنة عشر ولا رآني الا تبسم وفي رواية الا ابتسم في وجهي وهذا الحديث رواه الشيخان والتبسم مبادي الضحك بحيث يبدو مقدم الاسنان فان زاد بلا صوت فضحك فان كان بصوت فهو قهقهة وضحكه صلى الله عليه وسلم في اغلب احواله التبسم وربما زاد على ذلك كما ورد انه ضحك حتى بدت نواجذه وقيل انه اريد به مجرد المبالغة لا الحقيقة بناء على انه لم يقع منه ذلك والاصح الاول وكثرة الضحك تذهب الوقار وهو مكروه لحديث كثرة الضحك تميت القلب فان لزمه استهزاء باحد وسخرية فحرام وكان يمازح اصحابه الممازحة تكون بالكلام والفعل ملاطفة وكثرتها انما تحمد من الكبار احيانا بحيث لا تؤدي الى اذية صاحبه والمداعبة قريبة منها ولكن بينهما فرق وكان صلى الله عليه وسلم يمزح احيانا ولا يقول الا حقا ولكنه يوري في كلامه كما قال لبعض العجائز انه لا تدخل الجنة عجوز لانهم يعودون في سن الشباب ولله در القائل

افد طبعك المكدود بالهم راحة • بانس وعلله بشيء من المزح •
ولكن اذا اعطيته المزح فليكن • بمقدار ما يعطى الطعام من الملح •

والمزاح بضم الميم اسم وبكسرها مصدر كالمزح وكثرته مذمومة كما قال

فاياك اياك المزاح فانه • يجري عليك الطفل والرجل النذلا •
ويذهب ماء الوجه من كل سيد • ويورثه من بعد عزته ذلا •

والصحيح انه جائز وقيل انه مكروه والاصح الاول بشروط وكان كبار السلف يمزحون وقد قيل الناس في سجن ما لم يتمازحوا وورد في الحديث انه كان افكه الناس وكان مزاحا ولا يقول الا حقا ويخالطهم ويحادثهم تانيسا لهم وجبرا لقلوبهم ويداعب صبيانهم يداعب بالدال المهملة والمداعبة الممازحة مع لعب ولذا خصه بالصبيان كما قال محمود بن الربيع الخزرجي عقلت مجة مجها في وجهي النبي صلى الله عليه وسلم وانا ابن خمس سنين ويجلسهم في حجره كما فعل مع ام قيس اذ اتته بابن لها صغير لم ياكل الطعام فاجلسه في حجره فبال على ثوبه فدعا بماء فنضحه ولم يغسله وحجر بكسر الحاء المهملة وفتحها معروف وهو ما كان من ثوبه على فخذيه وهو جالس ويجيب دعوة بفتح الدال المهملة العبد والحر والامة والمسكين قال السيوطي اجابته دعوة العبد رواها البزار عن جابر والترمذي وابن ماجه عن انس فلا وجه لما قيل اني لم اقف عليه الا في صحيح البخاري من انه اتى غلاما خياطا فاتاه بقصعة فيها دباء فجعل يتتبعه وكان صلى الله عليه وسلم يعلم طيب انفسهم بما يملكونه لهم فلا يقال كيف اكل ما في يد العبد وهو وما يملكه لسيده او يقال كان مكاتبا او المراد بالعبد من مسه الرق ولو قبل دعوته وقدم العبد اهتماما لبيان انه كان يجيب دعوته مع حقارته بالنسبة للحر واخرج الترمذي بسنده عن انس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعود المرضى ويشهد الجنائز ويركب الحمار ويجيب دعوة العبد وروى البيهقي دعوة المملوك في اقصى المدينة اي في ابعد مكان منها وعيادة المريض سنة موكدة لا سيما ممن يتبرك بعيادته لما فيه من التسلية وتاليف القلوب وقيل انها فرض كفاية ولا تختص بمرض وقيل ثلاثة لا عيادة فيها رمد العين ووجعها ووجع الضرس وانه لا يعاد المريض الا بعد ثلاثة ايام وورد ذلك في حديث ضعيف واختلف في عيادة الذمي فقيل تجوز اذا كان يرجى اسلامه او تضمن مصلحة ويقبل عذر المعتذر المعتذر كل من ابدى عذرا سواء كان له حقيقة ام لا وسواء كان من شانه ان يقبل ام لا ولذا لم يقل المعذور لان من له عذر وعدم قبوله منه من لؤم وقبول اعتذاره عفو عن جنايته وعدم مؤاخذته بها لانه من تمام المروة وهذا كما قبل عذر من تخلف عن تبوك ووكل سرائرهم الى الله وكقبوله عذر حاطب بن ابي بلتعة لما كتب لاهل مكة يخبرهم بمسيره صلى الله عليه وسلم لاهل مكة وقبل صلى الله عليه وسلم اعتذار المنافقين حتى كذبهم الله وقال انس قال السيوطي هذا الى قوله بين يدي جليس له رواه ابو داود والترمذي والبيهقي في الدلائل واخرجه البزار عن ابي هريرة وابن عمر ما التقم احد اذن رسول الله عليه الصلاة والسلام اي ما جعل احد اذنه مقابلة لفمه ليحادثه وقال الشمني ما حاذيته احد عند اذنه فجعله استعادة ولم يحمله على حقيقته وانه فعله للتبرك كما وقع لجابر في التقامه خاتم النبوة لانه لفظه مشعر بكثرة ذلك ووقوع مثله كثيرا مستبعد جدا وقصة جابر لما اردفه وامكنه ذلك بسهولة وانضافي مثله

سوء ادب ومنافاة لخضوعه فانه اذا ادخل اذنه في فيه لم يمكنه ادارة لسانه ومناجاته
وفي النهاية في الحديث ان رجلا القم عينه خصاصة الباب اي جعل الشق الذي في الباب
محاذي عينه فجعله للعين كاللقمة في الفم انتهى فجعله استعارة كما هنا وهذا لا ينافي ما
في الصحيح عن ابن مسعود انه قال والله لاتين النبي فاتيته وهو في ملاء فساررته
فغضب حتى احمر وجهه وقال رحم الله موسى لقد اوذي باكثر من هذا فصبر لانه لم يغضب
من المسارة بل مما كلمه به والاذن بضم الهمزة وضم الذال المعجمة وقد تسكن فينحي راسه
عنه اي يبعدها ويجعلها في ناحية منه حتى يكون الرجل هو الذي ينحي راسه اي حتى
يفارقه او ينفصل منه قليلا وما اخذ احد بيده اي امسكها فيرسلها بيده اي يطلقها
ويفكها من يده وهو مجاز من ارسل الرسالة اذا بعثها وظاهر كلام ابن القوطية انه معنى حقيقي
ان كانت اليد الثانية يد الآخذ فليس من وضع الظاهر موضع الضمير والا فهو منه حتى
يرسلها الآخذ غاية لترك ارسالها اي الى ان يرسلها الآخذ بالمد اسم فاعل من الاخذ
وفي البخاري ان كانت الامة لتاخذ بيد رسول الله فتنطلق به حيث شاءت وعن احمد فما
ينزع يده من يدها وهو عبارة عن الانقياد لشدة تواضعه وتنزهه من التكبر وقوله ولم
ير مقدما ركبتيه بين يدي جليس له من جملة حديث انس ففي المصابيح انه كان اذا
صافح الرجل لم ينزع يده من يده حتى يكون هو الذي ينزع يده ولا يصرف وجهه عن وجهه
حتى يكون هو الذي يصرف وجهه او هو رواية اخرى وهو الظاهر لما بينهما من المخالفة
في معنى لم ير مقدما الخ ان يخفض ركبتيه تعظيما لجلسائه وقيل المراد بالركبتين الرجلين
اي كان لا يمد رجليه في مجلسه لما روي في حديث آخر انه لم ير قط مادا رجليه بين اصحابه
كما سياتي يعني انه كان يساوي جلسته ولا يتقدم عليهم بركبتيه حتى كان الغريب يجي
فلا يعرفه ويسال عنه وكان يبدا اي يبتدي من لقيه بالسلام من تعميم العموم
اي كل احد لقيه صغيرا او كبيرا الا في موضع لا يستحب السلام فيها واما الكفرة فلا يسلم
عليهم وجوز بعضهم ابتداهم بالسلام ايضا ويبدا اصحابه بالمصافحة مفاعلة
من الصفح اي يجعل صفحة يده على صفحة يدهم وفي الحديث تمام تحيتكم بينكم المصافحة وهي
سنة عند التلاقي وكانت الصحابة تفعله واذا قدموا من سفر لقيا نعولوا وكانت الصحابة
تفعل مرة ايضا وهي مستحبة ايضا للكبير وكرهها مالك اما اذا كان على وجه التكبر فيكره
وقال النووي انه يستحب لاهل الشرف والصلاح واما لاهل الدنيا فمكروه وقال فقهاؤنا
لا باس بالمصافحة لانها سنة متوارثة لما ورد في الحديث تصافحوا وقيل انه من الصفح
والعفو اي ليصفح احدكم عن غيره ولاينا قسمه والمشهور الاول واما بعد صلاة الجمعة
والعيد فقالوا انه بدعة وهو من فعل المشايخ كانهم كانوا في الصلاة غائبين عمن حضرهم
ومن كان هذا حاله لا يكره منه لم ير قط مادا رجليه بين اصحابه حتى يضيق بهما
على احد هذا اشارة الى انه كان ذلك في مجلس يكثر فيه الناس اما اذا كان وحده او في
قليل من خواصه فكان قد يتكي وقد يضع رجله على الاخرى كما ورد في بعض الاحاديث
يكرم من يدخل عليه بالقيام له وملاطفته كقيامه لسعد بن معاذ ولما قدم قال
قوموا لسيدكم وكره بعضهم القيام مطلقا لحديث من احب ان يتمثل الناس له قياما وجبت
له النار وحمل هذا على عادة الاعاجم في وقوف الناس بين ايديهم اما القيام للعلماء والصلحاء

فيستحب وكان النبي اذا جاء قام له الصحابة وممن ذهب للكراهة ابن حجر وقال قوله
قوموا لسيدكم انما كان لانه قدم على حمار وكان مريضا وفي رواية قوموا الى سيدكم فانزلوه
ورد بانه لو كان كذلك لم يامر جميع الناس بالقيام له ولذا استدل النووي به وفيه نظر
وربما بسط له اي لمن يدخل عليه ثوبه تعظيما له كما فعل ذلك لعدي بن حاتم ولاخته من
الرضاعة لما اتته ويؤثره بالوسادة الايثار تقديم غيره بالوسادة على نفسه في بعض
الامور والوسادة ما يتوسد اي يوضع تحت الراس وهي التي تسمى مخدة ويقال اسادة بالهمز
ووساد بدون هاء وقضية قوله التي تحته كما في البخاري انها فراش يجلس عليه وكانت
محشوة بالليف وقال عدي بن حاتم دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم فقال من الرجل فقلت
عدي بن حاتم فقام وانطلق بي الى بيته فوالله لعامد بي اذ لقيته امراة ضعيفة كبيرة
فاستوقفته فوقف لها طويلا تكلمه في حاجتها فقلت في نفسي والله ما هذا بملك ثم
مضى حتى دخل بيته فتناول وسادة من ادم محشوة ليفا فقذفها وقال لي اجلس على هذه
فقلت بل انت فاجلس عليها فجلس على الارض وصارت الوسادة بيني وبينه فانظر لمكارم
هذه الاخلاق فقلت والله ما هذا بملك وهذا يدل على ان الوسادة فراش لا مخدة ولا عبرة
بتفسير الجوهري لها بالمخدة فقط ويعزم عليه بالجلوس اي يقسم عليه ان يجلس
على وسادة بان يقول بالله اجلس انت قال في التهذيب يقال عزمت عليك لتفعلن كذا
اي اقسمت انتهى وهو ماخوذ من العزم وهو التصميم في الامر عليها اي على الوسادة
ان ابى اي امتنع من الجلوس حياء من رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكني اصحابه
اي يضع لهم كنية كابي فلان او يدعوهم بالكنية تكريما ويدعوهم اي يناديهم باحب
اسمائهم تكرمة لهم اي يفعل ذلك لاجل اكرامهم وتعظيمهم تلطفا وتاديبا معهم فان
نداء المرء بكنيته تعظيم ولذا كان يكني من لا كنية له كما قال للطفل الذي كان معه طائر
يسمى نغيرا يا ابا عمير ما فعل النغير وفيه دليل على جواز تكنية من لا ولد له على عادة
العرب تفاولا بان يعيش ويرزق اولادا خلافا لمن منع ذلك وقال انه خلاف الواقع فهو
كذب واخرج الطبراني عن ابن مسعود قال كناني النبي صلى الله عليه وسلم ابا عبد الرحمن
قبل ان يولد لي وسنده صحيح وعن بعض السلف بادروا ابناكم بالكنى قبل ان تغلب
عليهم الالقاب وكره بعضهم تكنية المرء نفسه الا لقصد التعريف وقال النووي يجوز
تكنية الكافر بشرطين الاول ان لا يعرف الا بكنيته الثاني ان يخاف من ذكر اسمه فتنة فالاول
كابي طالب والثاني كابي الحباب لابن سلول وفيه نظر وقد تكون لامر آخر كابي لهب فانه
اشارة الى انه جهنمي وفعل به ذلك لحسن وجهه ولا يقطع على احد حديثه اي من يحدث
عنده يصغي اليه ولا يقطع حديثه بتكلمه بكلام آخر او قيامه او نهيه عن الكلام فان
مثله يؤذي المتكلم حتى يجوز بياء وتاء مفتوحتين وواو مشددة وزاي معجمة غاية
لترك قطع حديثه اي حتى يكثر فيتجاوز الحد او يخرج الى ما لا يليق من الكلام فهو من التجاوز
لا من الجواز فيقطعه بنهي عن الكلام او قيام من مجلسه اعراضا عنه وهو مفيد لنهيه
عنه ويروى بانتهاء او قيام والنهي بمعنى الانتهاء اذ الروايات يفسر بعضها بعضا وهنا
وقع في بعض النسخ فالمعنى حتى يجوزه ذلك في حديثه فيقطع حديثه نفسه اما بسبب انه
انتهى ولم يبق منه شي او لقيامه عن المجالس والتجوز على هذا بمعنى التخفيف والتقليل منه

وقيل معناه ينطق بما هو غير حقيقي كان يتكلم بما يليق **ويروى انه كان لا يجلس اليه احد** اي لا يجلس متوجها اليه وهو المراد بلا يجلس عنه **وهو يصلي الا خفف صلاته** اي اسرع فيها فقطعها والتخفيف ضد التطويل **وسأله عن حاجته واذا فرغ** من كلامه وبيان حاجته **عاد** صلى الله عليه وسلم **الى صلاته** التي كان فيها وقال البرهان الحلبي هذا الحديث منكر وقد ذكره في الاحيا في آداب المعيشة وقال العراقي في تخريج احاديث الاحيا لم اجد له اصلا انتهى ولذا قيل لو اورد حديث الصحيحين اني لاقوم الى الصلاة اريد ان اطول فيها فاسمع بكاء الصبي فاتجوز في صلاتي كراهة ان اشق على امتي فانه متفق عليه وهو في معنى حديث الاحيا **وكان اكثر الناس تبسما واطيبهم نفسا** وقد تقدم معنى التبسم وما يتعلق به اي لم يكن مغتاظا وعبوسا في مجلسه لطيب نفسه وهذا وما بعده حديث رواه احمد والترمذي بسند حسن **ما لم ينزل عليه قرآن او يعظ او يخطب** قال الشيخ قاسم ابن قطلوبغا في تخريج احاديث هذا الكتاب عن عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي قال ما رأيت اكثر تبسما من رسول الله رواه الترمذي وقال غريب وقد تقدم وعن علي والزبير كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان حديث عظة عبس ولم يتبسم ضاحكا حتى يرتفع عنه اخرجه احمد وابو يعلى في حديث الزبير من غير شك وعن جابر بن عبد الله كان اذا خطب النبي صلى الله عليه وسلم اذا نزل الوحي عليه قلت نذير قوم فاذا سري عنه فاكثر الناس ضحكا اخرجه الطبراني في وفيه ابن ابي ليلى سيئ الحفظ وعن علي والزبير كان رسول الله يخطب فيذكرنا بايام الله حتى يعرف ذلك في وجهه فكانه نذير قوم يصبحهم الامر غدوة اخرجه احمد وابو يعلى في حديث الزبير من غير شك وعن جابر بن عبد الله كان اذا خطب احمرت وجنتاه واشتد غضبه انتهى وكونه لا يتبسم في هذه الحالات لتوجهه عند نزول الوحي وتأدبه معه وفيما بعده لانه مقام انذار وخوف وتخويف **قال عبد الله بن الحارث** بن جزء بن عبد الله بن معدي كرب بن عمرو الزبيدي الصحابي سكن مصر ومات بها سنة خمس او سبع وثمانين وهو آخر من مات بها ببلدة تسمى سفط قريبة من سمنود بالغربية وقيل مات باليمامة حكاه ابن منده عن ابن يونس وقال انه شهد بدرا ولا يصح فيه كلام **ما رأيت احدا اكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم** لان طلاقة الوجه من مكارم الاخلاق وفي الحديث تبسمك في وجه اخيك صدقة **وعن انس كان خدم المدينة** خدم بفتحتين بزنة حسن جمع خادم وفعل جمع فاعل جاء في الفاظ محصورة نظمها ابن مالك وقيل انه اسم جمع وهو بالتاء كثير نحو كملة جمع كامل والمراد بالخدم العبيد والجواري وهذا الحديث رواه مسلم وهو حديث صحيح **يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صلى الغداة** اي الصبح بآنيتهم فيها الماء جمع اناء ككساء واكسية وهو ما يوضع فيه الشي والاواني جمع الجمع وكثير من الناس يظن الآنية مفردا وظاهر قوله **فما يؤتى بآنية الا غمس يده فيها** يوهم ذلك **وربما كان ذلك** اي اتيانهم بالاواني وغمس يده فيها **في الغداة الباردة** والغدوة والغداة اول النهار ووقع في القرآن الغدو وبالآصال والغداة بالعشي ووصفها بالبرد اشارة لما فيه من زيادة تحمله المشاق لاجل التلطف مع الناس وانما فعلوا ذلك تبركا بآثاره وما مسته يده الشريفة **يريدون التبرك به** يحتمل انه من كلام المصنف فان البغوي رواه في مصابيحه بدون هذه الزيادة وفيه ارشاد للتبرك بآثار العلما والصلحاء والله اعلم •

فصل واما الشفقة

• فصل واما الشفقة والرأفة والرحمة لجميع الخلق •

والفرق بين هذه الثلاث ان الشفقة رحمة ورقة قلب وخوف من نزول مكروه بمن يشفق عليه كما في الاساس والرأفة التلطف بمن يريد اكرامه بالبشر والايناس كما قال قيس الرقيات

مكلة رأفة ليس فيه • جبروت يرى ولا كبرياء •

فقابلها بالجبروت صريح فيه وليست اشد الرحمة كما توهمه وان استعملته بهذا المعنى كما مر تحقيقه فما قيل انها ارق من الرحمة ولا تكاد تقع في الكراهة كالرحمة وقوله لجميع الخلق يعني انها لا تختص باحد كرحمة غيره لقوله وما ارسلناك الا رحمة للعالمين **فقد قال الله تعالى عنه** اي في حقه وصفته **عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم** عزيز من عز بمعنى اشتد وصعب والعنت المشقة اي يصعب عليه مشقتكم وما يؤلمكم لرأفته ورحمته وقد تقدم الكلام على هذه الآية وقوله بالمؤمنين لا يناسب قوله لجميع الخلق فالانسب ان يقتصر على قوله **وما ارسلناك الا رحمة للعالمين** وقد اشار المصنف لدفع هذا في الفصل الاول من ان صدر الآية عام والرحمة المخصوصة بالمؤمنين لا ينافي العموم فكانه يسوق عليه لعموم رحمته كلما يقع بهم لحرصه على هدايتهم وارشادهم فهي مطابقة لهذه الآية كما يعلم من كلامه هناك وقد تقدم ما ذكر لانه اسم وذكره هنا لغرض آخر كالآيات المكررة في القرآن فلا وجه لما قيل انه تكرار لا فائدة فيه لزيادة على المقصود ولو نبه على ما قلنا كان اولى به لكنه حريص على العنت كما لا يخفى **قال بعضهم من فضله عليه السلام ان الله اعطاه اسمين من اسمائه فقال بالمؤمنين رؤوف رحيم** تقدم الكلام على هذا واعاده هنا لمعنى آخر فلا تكرار فيه • فائدة قال السيوطي ظاهر كلام المفسرين ان الرحيم يوصف به غير الله بخلاف الرحمن لكن اخرج ابن ابي حاتم الرحيم لا يستطيع الناس ينتحلونه ويظهر لي ان مراده المعرف باللام دون المنكر والمضاف انتهى **وحكى نحوه الامام ابو بكر بن فورك** تقدم الكلام عليه وعلى اسمه واسم ابيه وهو امام جليل بالعنت تصانيفه اكثر من مائة مصنف جليل توفي سنة ست واربعمائة **حدثنا الفقيه ابو محمد بن محمد الخشني بقرائتي عليه** وهو عبد الله بن ابي بكر بن ابي جعفر بن محمد الخشني بضم الخاء وفتح الشين المعجمتين ونون نسبة لخشينة مصغرا اسم قبيلة ولد سنة سبع واربعين واربعمائة ومات بمرسية من بلاد المغرب سنة ست وعشرين وخمسمائة وتقدم الكلام على قوله بقرائتي عليه **حدثنا امام الحرمين ابو علي الطبري** هو الامام ابو عبد الله ويقال ابو الحسين بن علي شيخ الحرمين ومحدثهما بمكة والطبري منسوب لطبرستان او لطبرية والاول اصح **حدثنا عبد الغافر الفارسي** الامام الزاهد العدل ابو محمد عبد الغافر بن محمد الفارسي احد رواة مسلم المشهور بالرواية عن الجلودي ولد سنة احدى وخمسين واربعمائة وتوفي سنة سبع وعشرين وعمره ثمان وسبعون سنة **حدثنا ابو احمد الجلودي** تقدم الكلام عليه وعلى نسبته وانه يجوز فيه فتح الجيم وضمها وقد قيل هنا ان عبد الغافر لم ير الجلودي ولا روى عنه صحيح مسلم وانما الراوي جده ابو امه واسمه عبد الغافر ايضا كجده لكنهما اختلفا كنية واسما فان كنية الاول ابو الحسين مصغرا واسم ابي الاول محمد وهذا اسماعيل وتاريخ موتهما مختلف وهذا لم يدرك الجلودي وقال السبكي في طبقاته بين هذا وبين الجلودي اثنان وهذا مما لم

بينه علية البرهان مع اطلاعه وهو مما ينبغي التنبه له حدثنا ابراهيم بن سفيان
تقدم ايضا وبين سفيان مثلثة حدثنا مسلم بن الحجاج الامام المشهور صاحب الصحيح
وقد تقدمت ترجمته قال حدثنا ابو الطاهر احمد بن عمرو بن عبد الله بن عمرو بن سرح بمهملات
بن نضر الاموي مولاهم المصري روى عنه اصحاب السنن وغيرهم ووثقه النسائي
وقال ابو حاتم لا باس به وكان فقيها صالحا ثبتا توفي في ذي القعدة سنة خمسين ومايتين
انا ابن وهب ابو محمد عبد الله الفهري احد الاعلام روى عنه الستة الا وتوفي في سنة
سبع وتسعين ومائة اخبرنا يونس بن يزيد الايلي بفتح الهمزة وسكون المثناة التحتية
واللام وبا النسبة احد الاثبات روى له اصحاب الستة وهو ثقة ثبت توفي سنة تسع
وخمسين ومائة وله ترجمة في الميزان وفي يونس ست لغات تثليث النون مع الواو والهمز
عن ابن شهاب الامام ابو بكر بن مسلم الزهري وقد تقدم قال غزا رسول الله غزوة
وذكر حنين تقدم الكلام على حنين قال البرهان الحلبي الراوي اذا قدم الحديث على السند
كان يقول كان رسول الله كذا اخبرني به فلان ويذكر سنده او قدم بعض الاسناد مع المتن
كما نحن فيه قال بعد هذا قال ابن شهاب حدثنا سعيد بن المسيب ان صفوان بن امية الخ فهو اسناد
متصل ولا يمنع ذلك الحكم باتصاله كما لو ذكر الاسناد بتمامه اولا وقال ابن الصلاح ينبغي
ان يكون فيه خلاف كتقديم بعض المتن على بعض وحكى الخطيب المنع من ذلك على القول بان
الرواية بالمعنى لا تجوز والجواز على القول بانها تجوز ولا فرق بينهما في ذلك انتهى وفي جعله
كالرواية بالمعنى خفا قال فاعطى رسول الله صفوان بن امية بن وهب بن
حذافة بن جمح القرشي الجمحي الصحابي وكنيته ابو وهب اسلم بعد الفتح وشهد مع رسول الله
حنينا والطايف وهو مشرك ثم اسلم وحسن اسلامه بعد ما كان من المولفة قلوبهم
وكان رئيس بني جمح وكان يعادي النبي ويوذيه اذية زايدة مع ما بينهما من الرحم
فجازاه على اساته بالاحسان الزايد اليه مائة من النعم ثم مائة ثم مائة والنعم
اسم جمع للابل ولا واحد له من لفظه وجمعه انعام وقال الهروي هو الابل والبقر
والغنم قال ابن شهاب حدثني سعيد بن المسيب ان صفوان قال والله لقد اعطاني
ما اعطاني وانه لابغض الخلق الي فما زال يعطيني حتى انه لاحب الخلق الي
بعد ما كان اشد الناس عداوة لنبي الله يوم بدر ولما شهد وهو كافر حنينا ثم رجع
رسول الله الى الجعرانة فبينما هو يسير في الغنايم ينظر اليها ومعه صفوان جعل صفوان
ينظر الى شعب ملئ نعما وشاء وادام النظر اليها ورسول الله يرمقه فقال له ابا وهب
يعجبك هذا الشعب قال نعم قال هو لك وما فيه فقال صفوان ما طابت نفس بهذا الا نفس
نبي اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله واسلم وكانت زوجته اسلمت
قبله واقر النبي صلى الله عليه وسلم نكاحه عليها واختلف فيما كان يعطيه للمولفة هل
هو من خمس الخمس الذي هو حقه او من الخمس او من الغنايم واما اعطا مولفة الكفار
فكان جايزا في صدر الاسلام وهل هو من الزكاة او من بيت المال ثم منعوا منه في
خلافة الصديق او في خلافة عمر فان قلت ما مناسبة هذا الحديث لما نحن
فيه قلت لانه اعطى صفوان فيما بينه وبينه من الرحم خوفا عليه ان يستمر على عداوته
وكفره فيهلك فاحسن اليه حتى يحسن اسلامه شفقة عليه من ان يحل به النقمة

والعذا

والعذاب وقد تقدم اعطاوه اكثر من ذلك ويروى ان اعرابيا جا يطلب من النبي
شيا فاعطاه هذا الحديث رواه البزار عن ابي هريرة بسند ضعيف وابن حبان ولم
يسموا الاعرابي ثم قال احسنت اليك قال الاعرابي لا ولا اجملت الذي في
النسخ احسنت بهمزة واحدة فهمزة الاستفهام مقدرة كقوله
ثم قالوا تحبها قلت بهرا • عدد الرمل والحصى والتراب
ومثله كثير مقيس والاستفهام استفهام تقريري وقوله لا رد لقوله احسنت واجملت
بمعنى فعلت فعلا جميلا محمودا وقال معناه ما اعتدلت في الاخذ والعطا وما اكثرت
وهذا اولى والالفة لا اتساعه وانما حمله عليه الهرب من التكرار ولا تكرار فيه لانه من
ذكر العام بعد الخاص ومثله لا يعد تكرارا لما فيه من المبالغة وفي هذا غلظة وسو ادب
فغضب المسلمون من كلامه وجراته عليه صلى الله عليه وسلم وقاموا اليه
ليضربوه ويجازوه بما يستحقه فاشار اليهم ان كفوا اي اشار بيده اليهم اشارة
يفهم منها الامر بكفهم اي تركهم ما ارادوه وان تفسيرية او مصدرية على الخلاف
المشهور عند اهل العربية وهذا من جملة رافته وشفقته تالفا لحسن اسلامه ثم
قام من مجلسه ودخل منزله وارسل اليه عطية وزاده اي زاد على ما اعطاه هو
اولا ثم قال احسنت اليك فيه مقدر وهو خرج وقال له ذلك قال نعم
احسنت الي فجزاك الله على احسانك ولطفك بي من اهل وعشيرة خيرا مقول
جزاك وما بينهما اعتراض والفا تفريعية وسببية لما تضمنه وقيل انها فصيحة
في جواب شرط مقدر او عاطفة على مقدر اي احسنت واجملت فجزاك الخ ومن في من
اهل قيل انها بدلية مثلها في قوله جعلنا منكم ملايكة في الارض اي بدلكم فالمعنى بدلا
من اهلي وعشيرتي الذين لم يحسنوا الي وقيل ليس هذا مراده بل مراده انه صار اهلا
له وعشيرة اي قبيلة اما الفعل فعل العشيرة وهذا كما يقولون للقادم اهلا وسهلا
او لما تقدم من ان له في كل قبيلة قرابة وعرقا فمن اما تعليلية كما في قوله فويل للقاسية
قلوبهم من ذكر الله اي لاجل ذكر الله واما كونها للفصل والتمييز كما في قوله اتاتون
الذكران من العالمين اي ممتازين من بين العالمين بهذا الفعل القبيح فبعيد جدا
ثم انه صلى الله عليه وسلم زاد لطفا فارشده بقوله انك قلت ما قلت في جوابك
وردك علي وفي انفس اصحابي من ذلك شي تنكيره اما للتحقير اي شي حقير لا
يعتد به عندي او للتعظيم اي امر عظيم عندهم لاذيته النبي صلى الله عليه وسلم
ووضع اسم الاشارة موضع الضمير لجعله كالمشاهد المحسوس لاستحضاره فيذكرهم
بما وقع منه من الامر العجيب فان احببت فقل بين ايديهم ما قلت بين يدي
على قوله على محبته واراد به لطفا منه واي لطف مع انه ذنب عظيم ينبغي التنصل
منه وفيه من الشفقة بالامة ما لا يخفى وبين الايدي كناية عن حضوره وتمثله لهم
وليس المراد البينية الحقيقية بل المقابلة مع القرب وقد يعبر به عن المستقبل نحو يعلم
ما بين ايديهم وما خلفهم حتى يذهب ما في صدورهم عليك اي الغضب والالم الذي
في قلوبهم بسبب ما قلته اولا قال نعم اي اقول لهم ما قلت لك فلما كان الغد
والعشي المراد بالغد صبيحة اليوم الذي بعد اليوم الذي كلمه فيه النبي والغداة

من طلوع الفجر إلى الزوال والعشي ما بعد الزوال والشك من الراوي هنا **جاء** أي
الأعرابي إلى مجلس النبي صلى الله عليه وسلم **فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم**
لأصحابه الحاضرين عنده **إن هذا الأعرابي قال ما قال** أي أولا ما ذا أساء أدبه
لغلظ طبعه ولذا وصفه بالأعرابي لما عرف من حال الأعرابي **فزدناه** على عطائه الأول
فزعم أنه رضي بجملة ما أعطيناه له والزعم هنا بمعنى القول الحق وهو يستعمل بهذا المعنى
كثيرا كقول الشاعر • هلكنا ولكن إن هلكت فإنما • على الله أرزاق العباد كما زعم •
ويكون بمعنى القول الباطل كقوله هذا لله بزعمهم ولذا قالوا الزعم مطية الكذب وفي التعبير
إيماء إلى ما في نفسه من الحرص والطمع ثم التفت إلى الأعرابي وقال له **أكذلك** فالاستفهام
متوجه منه صلى الله عليه وسلم للأعرابي أي الأمر كذلك من أنك رضيت وإن كان ما قبله
كلاما منه متوجها لأصحابه رضي الله عنهم فالجار والمجرور خبر مبتدأ مقدر أي الأمر
كذلك قال نعم **فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا** تقدم معناه **فقال النبي صلى
الله عليه وسلم مثلي ومثل هذا** الأعرابي المثل يكون بمعنى القصة وبمعنى الكلام
المشبه مورده بمضربه ويكون استعارة تمثيلية أو تشبيها تمثيليا مركبا كقوله تعالى
مثلهم كمثل الذي استوقد نارا الآية ويكون ذلك لزيادة التوضيح والتقرير فإنه أوقع
في النفس لأنه يريك المتخيل محققا والمعقول محسوسا لما فيه من إبراز الغريب وهو في
الآي والأحاديث النبوية كثيرة **مثل رجل له ناقة شردت عليه** أي نفرت منه
وذهبت في الأرض يقال شردت الدابة والإنسان إذا نفر وجرى جريا شديدا لا يلحق
شرودا أو شرادا وأصل الشراد الفرار خوفا قال تعالى فشرد بهم من خلفهم قال ابن عرفة
أي افعل بهم فعلا يخيف من وراءهم فيشردهم **فاتبعها الناس** افتعال من الاتباع
أي مضوا وجروا خلفها ليمسكوها **فلم يزيدوها إلا نفورا** أي لم يحصل باتباع الناس
إلا زيادة هربها ونفورها لخوفها منهم **فناداهم صاحبها** أي الناقة **خلوا بيني
وبين ناقتي** أي وقال لهم خلوا الخ فهو مفعول نادى لتضمنه معنى القول أو مقول قول
مقدر كما عرف في مثاله أي لا تتبعوها واتركوها واتركوني أحتال في إمساكها **فإني**
وفي نسخة فأنا **أرفق بها منكم وأعلم** أي أنا أشفق عليها وأعلم بحالها منكم **فتوجه
لها بين يديها** أي جاءها من أمامها **فأخذ لها من قمام الأرض** القمام جمع قمامة
ككناسة لفظا ومعنى والمراد بها النبات الذي ترعاه الدواب شبهه به لخسته ولأنه
مما يطرح كالقمامة فاستعير لذلك **فردها حتى جاءت** فيه مقدر أي قربت منه لتأكل
ما في يده من الحشيش فأمسكها وردها حتى أتت محله **واستناخت** أي بركت وتمكنت
عنده من ناخ الجمل وتنوخه إذا بركه **وشد عليها رحلها** الرحل للإبل كالسرج للفرس وهو
معروف **واستوى عليها** أي على ظهرها وركبها يقال استوى على الدابة إذا علا ظهرها
وركبها **وإني لو تركتكم** أي لم أكفكم عنه وأمنعكم **حيث قال الرجل ما قال** أي حين
قال لي الرجل مقالته السيئة **فقتلتموه دخل النار** عقوبة له بإساءته على النبي
صلى الله عليه وسلم شبه المال الخسيس الدنيا عنده بالقمامة وشبه نفسه بالرجل وشبه
الأعرابي بدابة شاردة عن ربها وشبه الصحابة لما غضبوا وقاموا له بالناس التابعين
لها الذين نفروها عن ربها وشبه قوله كفوا عنه بقوله خلوا بيني وبين ناقتي ۝

وفي قوله

وفي قوله فإني أرفق بها منكم بيان لأنه أعظمهم رفقا وأقواهم شفقة على خلق الله وهو تشبيه
في أعلى طبقات البلاغة لتضمنه هذه المعاني اللطيفة قيل ويحتمل أن الرجل إنما قال أولا
ما قال ليطلع على حلمه صلى الله عليه وسلم لأنه سمع صفاته من أهل الكتاب والنبي علم بذلك
وقيل أن حزمه بدخول النار لكفره بما قاله لرسول الله صلى الله عليه وسلم والنبي تلطف به حتى
آمن ونجا من النار رفقا منه وهذا الحديث رواه البزار وأبو الشيخ بسند ضعيف عن أبي هريرة
وابن حبان في صحيحه وابن الجوزي في الوفا **وروي عنه** بالبناء للمجهول وضمير عنه
للنبي صلى الله عليه وسلم والراوي له أبو داود والترمذي عن ابن مسعود **لا يبلغني أحد
منكم عن أحد من أصحابي شيئا** هذا نهي عام عن الغيبة والنميمة ونقل ما يكره نقله من
قول أو فعل أو ترك **فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر** سلامة الصدر
كناية عن كونه ليس في قلبه بغض لأحد ولا غضب على أحد ومثله يقال له سليم القلب قال
الله تعالى إلا من أتى الله بقلب سليم أي بريء من الكفر والنفاق وهذا معنى آخر وقد صح عن أنس
فيما رواه ابن مسعود قال قسم رسول الله قسمة فقال رجل من الأنصار والله ما أراد محمد بهذا
وجه الله فأتيت النبي فأخبرته فتمعر وجهه وقال رحم الله موسى لقد أوذي بأكثر من
هذا فصبر رواه البخاري والمراد سلامة صدره للمنقول عنه أو الناقل كما قيل سبك من
بلغك والأولى إبقاؤه على إطلاقه ليشمله وغيره والنميمة والغيبة حرام إلا في أماكن
استثناها الفقهاء وقد نظمها الجوجري من فقهاء الشافعية في قوله •

• بست غيبة جازت فخذها • منظمة كأمثال الجواهر •
• تظلم واستغث واستفت حذر • وعرف واذكرن فسق المجاهر •

ومن شفقته على أمته عليه السلام تخفيفه عنهم التكاليف الشاقة التي كانت
في الأمم ومراجعته من ربه أن يجعل الصلاة خمسا بعد ما كانت خمسين **وتسهيله** في أمورهم
كقوله لبدنك عليك حق ولزوجك عليك حق لمن أراد قيام الليل كله **وكراهته أشياء
مخافة أن تفرض عليهم** الكراهة والكراهية من المكروه ضد المحبوب والكره ضد الطوع
والمخافة بمعنى الخوف منصوب على أنه مفعول له ثم بين ذلك بقوله **كقوله لولا أن أشق
على أمتي** أي لولا مخافة المشقة على أمتي **لأمرتهم بالسواك** أي أمر إيجاب وإلا فأمر
الاستحباب ورد في الحديث كقوله عليكم بالسواك واستاكوا حتى تمسك بهذا الحديث
بعضهم فجعله واجبا ورد بهذا الحديث فهو سنة ومحل سنيته فقيل حال المضمضة وقيل
قبل الوضوء وقيل مطلقا من غير تعيين وقت له وهو من سنن الدين لا من سنن الوضوء كما
اختاره الزيلعي • والسواك مصدر بمعنى الاستياك واسم العود نفسه والمراد هنا الأول
والثاني بتقدير مضاف أي استعماله وهو مذكر وجوز بعض أهل اللغة تأنيثه **مع كل
وضوء** وفي مسلم عند كل صلاة وهذا الحديث رواه أصحاب الكتب الستة والوضوء بضم
الواو مصدر وبفتحها ما يتوضأ به كالطهور وأجاز بعضهم في المصدر الفتح وقد جاء في
المصادر الفتح أيضا وقال أبو شامة في كتاب السواك السواك مأخوذ من قولهم تساوكت
الإبل إذا اضطربت من الهزال فتمايلت من الضعف لما فيه من الحركة وقوله مع كل وضوء أو
مع كل صلاة وعند كل صلاة وهل هو عام لكل صلاة فرضا أو نفلا أو للصلوات الخمس ذهب إلى
كل جماعة وقال الشافعي أحب السواك للصلاة عند كل حالة تغير فيها الفم كالاستيقاظ ۝

من النوم وهو يشمل الصائم وفيه كلام للفقهاء ورواية الموطا مع الوضوء قال ابو شامة يحتمل معنيين لامرتهم بالسواك مصاحبا للوضوء او لامرتهم به كما امرتهم بالوضوء ولهم فيه كلام طويل **وخبر صلاة الليل** هو ما قال الشيخ قاسم ابن قطلوبغا في تخريجه لاحاديث الشفا ومن خطه نقلت عن زيد بن ثابت قال احتجر رسول الله صلى الله عليه وسلم حجيرة لخصفة او حصير في المسجد في رمضان فخرج فصلى فيها قال فتتبع رجال وجاؤا يصلون بصلاته قال ثم جاؤا فحضروا فابطا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يخرج اليهم فرفعوا اصواتهم وحصبوا الباب فخرج اليهم مغضبا فقال لهم ما زال بكم صنيعكم حتى ظننت انه سيكتب عليكم فعليكم بالصلاة في بيوتكم فان خير صلاة المرء في بيته الا المكتوبة اخرجه الشيخان وفي رواية خشيت ان تفرض عليكم فتعجزوا عنها انتهى وهذا هو المناسب للمقام ولما قبله واليه اشار السيوطي في مناهل الصفا في تخريج احاديث الشفا لا ما قيل انه اراد به حديث صلاة الليل مثنى مثنى وبه استدل على ان الافضل في النفل ليلا ان يكون ركعتين ركعتين وعند ابي حنيفة الافضل ليلا او نهارا الاربع لدليل لاح له والاول هو المناسب هنا ويناسبه ما روي خذوا من العمل ما تطيقون اذا نعس احدكم وهو يصلي فليرقد حتى يذهب عنه النوم وهذا هو الذي قاله التلمساني في حواشيه ايضا فان قلت كيف يخشى افتراضه بعد فرض الصلوات في الاسرا وقول الله لا يبدل القول لدي قلت قيل انه يحتمل ان الله اوحى اليه انك ان واظبت على هذه الصلاة بجماعة افترضتها عليهم او انه وقع في نفسه ذلك والمعنى اني خشيت ان يظنوها فرضا اذا داوم عليها ولا يخفى بعده وان قيل ان ما في الاسرا هي وظيفة كل يوم وهذه مخصوصة برمضان او انه لما كان قيام الليل فرضا عليه خشي ان تسوى به غيره من الامة وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا واظب على شي من اعمال البر واقتدى الناس به يفترض وفيه انه صلى الله عليه وسلم واظب على اشيا كثيرة ولم تفترض كرواتب الفرايض والسنن المؤكدة وقيل المراد بالفرض فرض الكفاية وقول الكرماني ان قوله لا يبدل القول لدي معناه نفي النقص لا الزيادة بعيد جدا وهذا لا يقبل النسخ لانه خبر واحتمال انهم لرغبتهم في العبادة يفرضون ذلك على انفسهم كالنذر فيشق على من بعدهم بعيد جدا ايضا وعلى كل حال فالمقام لا يخلو من الاشكال **ونهيهم** مصدر مضاف لمفعوله اي نهي النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة **عن الوصال وكراهيته** لهم والوصال في الصوم هو ان يصوم يومين فاكثر من غير اكل وشرب بينهما ونهيه عن الوصال ثابت في الصحيحين فانه لما واصل واصل الناس وشق ذلك عليهم فلما بلغه ذلك نهاهم عنه فقالوا له انك تواصل فقال انكم لستم مثلي اني ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني فمن خواصه انه يجوز له الوصال ويمنع منه غيره واختلف فيه هل كراهته تحريمية او تنزيهية او يفرق بين من يطيق ومن لا يطيق وعلم من الحديث وجه اختصاصه ومعنى كون الله يطعمه ويسقيه انه يعطيه قوة روحانية ويغذيه بانوار ربانية بحيث لا يضعف بدنه بترك الطعام والشراب بل يزداد قوة وذلك باتصال روحانيته بعالم الغيب حتى يحصل له مدد بدل ما يتحلل بحيث لا يشعر وليس هذا حاصلا له في كل الاوقات الا ترى ان المريض يمكث مدة طويلة لا ياكل ولا يشرب ولو فعل ذلك في حال صحته لم يطقه لاشتغاله بما وجد عنه وقد اتفق على هذا علماء الشرع والحكما كما فصله ابن سينا في مقامات العارفين فلا يرد عليه انه كان في بعض الاحيان يجوع جوعا شديدا حتى يشد الحجر على بطنه والترمذي الحكيم لما لم يقف على هذا انكره لتوهم ان بين الحديثين

تنافيا حتى ادعى انه تصحيف وتحريف من رواته وانما هو الحجز بضم الحاء المهملة وفتح الجيم والزاي المعجمة حجزة وهي من شد الحزام فقال ما يعني شد الحجز ولم يدر انه يثقله ويرده بجمع الامعاء وبين زها ويقيم الصلب وانكاره للحديث الصحيح وحمله على غير ظاهره كما قيل بان يغذيه حقيقة من طعام الجنة ياباه المقام لانه لو كان كذلك لم يكن وصالا **وكراهته دخول الكعبة** اي من شفقته على امته كراهته دخول الكعبة في الحديث الذي رواه ابو داود والترمذي عن عائشة وصححاه وكذا رواه ابن خزيمة والحاكم عنها ايضا مصححا وهو انه خرج من عندها وهو قرير العين ثم رجع وهو كئيب اي محزون فسالته عن ذلك فقال حسبت اني اكون شققت على امتي وكان ذلك في حجة الوداع وكانت عائشة معه وبه جزم البيهقي والطبري وفي بعض شروح البخاري يحتمل ان يكون دخوله الكعبة وقع مرتين صلى في احدهما ولم يصل في الاخرى وكونه دخل الكعبة متفق عليه قال ابن عمر دخل رسول الله البيت هو واسامة بن زيد وبلال وعثمان بن طلحة واغلقوا عليهم الباب فلما فتحوه كنت اول من ولج فسالت بلالا هل صلى رسول الله فيها قال نعم بين العمودين اليمانيين فكان ابن عمر اذا دخل يستقبل الوجه ويجعل الباب قبل ظهره حتى يكون بينه وبين الجدار قريب من ثلاثة اذرع فيصلي يتوخى المكان الذي صلى فيه رسول الله ولا باس على احد ان يصلي في اي جهة شاء وهذه الرواية مرجحة على رواية اسامة بن زيد انه دعا ولم يصل لان المثبت مقدم على النافي لزيادة علمه وكان قدم مكة بعد الهجرة مرات الاولى في عمرة القضا ولم يدخل فيها الكعبة لما فيها من الاصنام والكفر باق بها والثانية في فتح مكة وفيها دخل الكعبة وامر باغلاق بابها فلبث فيها مليا ثم فتح الباب قال عبد الله بن عمر فلقيت رسول الله خارجا وبلال على اثره فقلت له هل صلى رسول الله فقال نعم قلت اين قال بين العمودين تلقاء وجهه ونسيت ان اساله كم صلى والثالثة في حجة الوداع واختلف في انه دخل الكعبة فيها ام لا وانما كره دخولها في حجة لئلا يجعلها الناس من المناسك اقتداء به وقد لا يتيسر لهم ذلك وقد اختلفوا في كونها من المناسك والصحيح انها ليست منها عملا بهذا الحديث **لئلا تعنت امته** بتاءين مفتوحتين وعين مهملة مفتوحة ونون مشددة ومثناة فوقية تفعل من العنت كما قاله التلمساني وامته فاعل عليهما وروي تعنت بضم التحتية وسكون العين وكسر النون من اعنته بمعنى عنته فامته منصوب مفعول وبالتحتية والتشديد ايضا ونصب امته فعنيه وجوه مروية **ورغبته** اي طلبه صلى الله عليه وسلم **لربه ان يجعل سبه لهم** اي لامته اي لاحد منهم **رحمة بهم** والسب والشتم بمعنى واصله من المسبة وهي مخرج النجو من الدبر فنقل لما ذكر وسياتي بيان هذا **وانه كان يسمع بكا الصبي** وهو في صلاته **فيتجوز في صلاته** التجوز تفعل من الجواز والمراد به هنا ان يخففها ويسرع فيها مستعار من تجوز عن ذنبه اذا لم يواخذ به كتجاوز او هو من الجواز في السير والصبي المراد به الطفل الرضيع وهذا رواه السني في حديث صحيح عن انس كما قاله السيوطي ورواه الشيخان عن انس انه صلى الله عليه وسلم قال اني لادخل في الصلاة وانا اريد اطالتها فاسمع بكاء الصبي فاتجوز في صلاتي مما اعلم من شدة وجد امه من بكائه ولا دليل فيه على جواز دخول الصبي والنسا المسجد لاحتمال ان يكون من بيوت مجاورة له ولا دليل فيه ايضا على جواز تطويل الصلاة لاجل من يلحق الجماعة كما قيل والمراد بالتخفيف ما لا يؤدي الى عدم تعديل الاركان والاخلال بالواجبات كما لا يخفى **ومن شفقته صلى الله عليه وسلم** على امته ورحمته لهم

ان دعا ربه وعاهده هذا مفسر لما مر ولو اقتصر على هذا كان اخصر واظهر
والمراد بالمعاهدة الزام ما لا يلزمه شرعا كالنذور كما قاله الراغب اي دعا بذلك ونذر
قصده ما ذكر فقال ايما رجل سببته او لعنته تفسير لما دعا به وعاهد الله واللعن
اصل معناه الطرد والابعاد ثم خص بالبعد من رحمة الله فاجعل ذلك السب واللعن زكاة
اي تطهيرا له مما ارتكبه ما اقتضاه وصلاة ورحمة وطهورا اي تطهيرا له من ذنوبه
وقربة تقربه بها اليك يوم القيمة كذا رواه الشيخان عن ابي هريرة وروي هذا الحديث
من طرق اخر فيها ايما رجل من المسلمين ومن المومنين وروي اوجلدته ومعلوم انه كان لا يغضب
لنفسه وانما يغضب لله فاذا راي احدا من المومنين وقع منه ما يخالف امر الله ربما حصلت
له غيرة لامر الله فبادر زجره وشتمه او ضربه ثم انه رجا من الله ان يكون ذلك مكفرا لما
صدر منه ورحمة عظيمة مقربة له من الله لان المومن اذا راي غضب النبي عليه حصل له
خوف شديد يفتت قلبه فتكون شدة خوفه جزاء عمله وزجر النبي زيادة في حسناته تقربه
من ربه وهذا لا ينافي ما ورد في حديث آخر اني لم ابعث لعانا ولكني بعثت داعيا ورحمة
اما لان المنفي هناك المبالغة والكثرة ان لم نقل بالمبالغة في النفي فان قلنا بها فالمعنى انه
ليس هذا مقصود ابن بعثته فلا ينافيه وقوع ما يخالفه للتاديب نادرا واما حمل ما صدر منه
على ما قبل البعثة فينافيه قوله من المومنين او المسلمين وسياق الحديث وقوله جلدته يا باه
او انه لما رجا من الله ان يكون ذلك رحمة لهم لم يكن لعنا حقيقيا بل رحمة فلا لعن منه لاحد
من امته اصلا وبالجملة فهو رحمة واذيته نعمة لا نقمة بخلاف غيره من الانبيا فان دعاءهم
نقمة عاجلة على اممهم وفي المصابيح ان الله اجاركم ان لا يدعو عليكم نبيكم فتهلكوا وسياتي
تتمة لهذا في القسم الثالث فصار دعاؤه عليهم دعاء لهم على حد قولهم قاتله الله وتربت
يداه وفي هذا نهاية الشفقة • واول الحديث اللهم انما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر واني
اتخذت عندك عهدا لن تخلفه فايما رجل الخ وهذا المار لا ينافي دعاءه على بعض الكفرة
والمنافقين ومن عظيم شفقته ما اشار اليه بقوله ولما كذبه قومه اتاه جبريل فقال
ان الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك الى قوله ولا يشرك به شيا هذا الحديث
رواه الشيخان واصحاب السير وكان ذلك لما مات ابو طالب ونالت قريش منه صلى الله عليه
وسلم ما لم تنله في حياته فخرج للطائف ومعه زيد بن حارثة يلتمس النصرة منهم والمنعة
فعمد الى نفر من روسائهم فجلس اليهم وكلمهم ودعاهم الى الاسلام فكذبوه وسلطوا عليه سفهاءهم
وعبيدهم فجعلوا يسبونه ويصيحون به ويرضخونه بالحجارة حتى ادموا رجليه وهم
يضحكون وزيد يقيه بنفسه حتى انتهى الى حائط استظل بكرمة من كرومه وهو مكروب
موجع فاذا بقرب الحائط عتبة وشيبة ابنا ربيعة فلما اتاهما كره ذلك لما يعلم من عداوتهما
له وجاه ودعوا غلاما لهما يقال له عداس وقالا له خذ قطفا من هذا العنب ودعه في طبق
واذهب به له ليا كل منه فلما وضعه قال بسم الله ثم اكل فقال ان هذا الكلام لا يقوله
اهل هذه البلاد فقال له من اي البلاد انت وما دينك قال نصراني من اهل نينوي فقال من
قرية الرجل الصالح يونس بن متى فقال ما يدريك ما يونس قال ذاك اخي من انبياء الله فاكب
يقبل راسه ورجليه فلما رجع قالا له ما لك قبلت رجليه قال ما في الارض خير من هذا لقد
اعلمني بامر لا يعلمه الا نبي قالا ويحك يا عداس لا يصرفنك عن دينك وقد قال صلى الله عليه وسلم

ان هذا من اشد ما لقيته والقصة مفصلة في السير • وقوله ردوا عليك اي ما اجابوك
به اوردوا قولك وخالفوك وكذبوك وقوله فناداه اي قال له يا رسول الله السلام عليك
وقوله اطبق بضم الهمزة وسكون الطا المهملة وكسر الموحدة مخففة ومشددة وقاف
اي ضمهما واجمعهما حتى يهلكوا بجبتهما وملك الجبال هو الملك الموكل بها بامر الله والاخشبين
تثنية اخشب بخاوشين معجمتين وموحدة بزنة افعل جبلان بضا فان تارة لمكة وتارة
لمنى فيقال اخشبا مكة واخشبا منى وهما ابو قبيس وقيقعان بالتصغير ويسميان الجبجبا
وهما تحت العقبة التي بمنى فوق المسجد كما قاله البرهان الحلبي وقعيقعان هو الجبل المشرق
الاحمر ولهم قعيقعان ايضا بالبصرة وسميا اخشبان لغلظ احجارهما وخشونتهما
واصلاب جمع صلب الظهر والمراد بالخروج منها ان يخلق لهم نسل وذرية وقد حقق
الله رجاه وعن ابن المنكدر هو محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير بن عبد العزى
المدني توفي في سنة ثلاثين او احدى وثلاثين ومائة وهم ثلاثة اخوة وكان يدخل
على عائشة رضي الله عنها وهو تابعي وقد تقدم فقوله ان جبريل عليه السلام قال
للنبي عليه الصلاة والسلام باسقاط الصحابي فهو مرسل قال البرهان وانما يكون
مرسلا اذا قلنا ان الصحابي اذا قال قولا لا مجال للاجتهاد فيه يكون مرفوعا كما
ذكره الشافعي فيكون ما قاله التابعي مرسلا وفي بعض الشروح نعم هو مرسل الا ان
ارساله لا يمنع من قبوله اذ مرسل اصحاب القرون الثلاثة مقبول عندنا وعند مالك
بل هو فوق المسند لبرهان قام عليه عنده وعند الشافعي فمرسل الصحابي مقبول
دون المسند وفي التنقيح الاصولي حكاية قبول مرسل الصحابي بالاجماع وفيه نظر
لمخالفة انعقاد الاجماع في المقصد الاول ومثله لا يضر وفيه نظر ولنا في اطلاق
هذه المسئلة بحث ذكرناه في حواشي النخبة ان الله امر السما والارض ان تطيعك
المراد باطاعة السماء له ان اراد ان تحصبوا عقها على من عصاه فتهلكهم كان ذلك
والارض ان اراد خسفها بهم وانطباق جبالها عليهم كان ذلك من غير مهلة ووحد ضمير
تطيعك مع عوده على شيئين معطوفين بالواو لجعلهما كشيء واحد لتاويلهما بالعالم
او الدنيا وكان الظاهر تطيعاك وفي بعض النسخ والجبال وعلى هذا لا حاجة للتاويل
لان الجمع يجوز عود ضمير المفرد المونث عليه وفيه مراعاة النظير وحسن الترتيب
اي بان تطيعك في كل ما تريد فقال صلى الله عليه وسلم لا آمرهما بشي فيه هلاكهم
او خر عن امتي ايقاع ما يهلكهم لعل الله ان يتوب عليهم رجاء انهم يتوبون عن مخالفتي
ويوفقهم الله للايمان فيتوبون ويقبل الله منهم ذلك او يكون منهم من يعبد الله ولا
يشرك به واصل معنى التوبة الرجوع فهي من العباد الرجوع عن المعاصي ومن الله
قبول ذلك او الرجوع عن الغضب عليهم والعقوبة لهم ولا منافاة بين هذا وبين قوله
وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم ولا بين ما وقع منه في غزواته من القتل والسبي كما
توهم لانه عذاب مخصوص لان التاخير لا ينافي ما وقع بعده كما لا يخفى والاحسن ان
جوابه معلوم من قوله ما لم يكن اثما تقديرا قالت عائشة رضي الله عنها ما خير
رسول الله بين امرين الا اختار ايسرهما تقدم هذا الحديث وانما اعاده هنا تاييدا لما

قبله وايسرهما اي اسهلهما واهونهما على الامة شفقة ورحمة منه على الامة وبقية الحديث ما لم يكن اثما فان كان اثما كان ابعد الناس منه كما رواه الشيخان وتقدم الكلام عليه **وقال ابن مسعود** في حديث رواه الشيخان **كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة** بفتح المثناة التحتية وفتح التا الفوقية والخا المعجمة واللام والضمير للصحابة اي يتعهدنا يقال فلان خائل مال وهو الذي يصلحه ويقوم عليه ومنه الخولي الراعي للغنم والمواشي وقيل الصواب يتحولنا بالحاء المهملة اي يطلب الحال التي ينشط فيها للاستماع موعظة فيتعظ فيها ولا يكثر **مخافة السآمة علينا** اي لئلا نمل ونسأم وقيل انه يتخوننا بنونين اي يتعهدنا كما يتعهد الضيوف بالخوان والمائدة والرواية الصحيحة بالاعجام مع اللام والنون وكان فعل ماض اذا اخبر عنه بالمضارع الدال على الاستمرار التجددي دل على التكرار عرفا والموعظة مصدر ميمي بمعنى الوعظ وهو التذكير والتخويف من سوء العاقبة ومخافة منصوب مفعول له وهو مصدر بمعنى الخوف والسآمة بالمد وعلينا متعلق بمخافة وتعلقه بالسآمة بتضمين السآمة تكلف وان جاز وقيل انه حال من السآمة وهو الارجح او صفة لانه في معنى النكرة كقوله كمثل الحمار يحمل اسفارا وفي افادة كان التكرار كلام مفصل في كتب الاصول **وعن عائشة انها ركبت بعيرا وفيه صعوبة** اي شدة بحيث لا ينقاد لراكبه اذا وقفه واذا سيره **فجعلت تردده** اي تمشي به وترجع واصل التردد عدم البقاء على حاله ومنه تردد الانسان في الاماكن لحاجة تعرض له ومنه التردد في الخواطر وانما فعلت ذلك لترده حتى ينقاد لها **فقال صلى الله عليه وسلم لعائشة عليك بالرفق** اي استمسك بالرفق في امورك ولا تتعبي الدابة بركض ففيه دلالة على شفقته على خلق الله حتى الحيوانات وعليك بكسر الكاف اسم فعل يتعدى بنفسه وبالباء كما ذكره النحاة والبعير بفتح اوله ويكسر وكذا كل فعيل ثانيه حرف حلق ويطلق على الجمل والناقة وقيل هو الجمل البازل وهو الموافق للاستعمال وهذا الحديث اخرجه البيهقي في سننه عن المقدام عن ابيه عن عائشة انها كانت على جمل فجعلت تضربه فقال يا عائشة عليك بالرفق فانه لم يكن في شي الا زانه ولا نزع من شي الا شانه وختم بهذا الحديث لما فيه من العموم كالعنوان لكنه لهذا الفصل والله اعلم

فصل واما خلقه صلى الله عليه وسلم في الوفا

هو ضد الغدر ونقض العهد **وحسن العهد** اي ما عاهد عليه والتزمه وهو عطف تفسير لما قبله **وصلة الرحم** هو الاحسان الى الاقارب والاصهار والرفق بهم وغفر زلاتهم ونصحهم والتودد اليهم وضده قطع الرحم وهذا اذا لم يكونوا كفارا اعدا الله كابي لهب وابي جهل والرحم اصله مقر الولد ثم استعمل بمعنى القرابة بعيدة او قريبة بواسطة ودونها **حدثنا القاضي ابو عامر محمد بن احمد بن اسمعيل** بن ابراهيم الامام المحدث الطليطلي ولد سنة ست وخمسين واربعمايه ومات بقرطبة في ربيع الاول سنة ثلاث وعشرين وخمسمايه **حدثنا ابو بكر محمد بن محمد** تقدم **حدثنا ابو اسحاق الحبال** بفتح الحاء وتشديد الموحدة وهو ابراهيم بن سعيد بن عبد الله المهدي الثقة المشهور وقد تقدم

حدثنا

٢٥٠

حدثنا محمد بن يحيى بن عبد الله بن خالد بن فارس النيسابوري الامام الحافظ الجليل القدر توفي سنة ثمان وخمسين ومايتين اخرج له اصحاب السنن وغيرهم **حدثنا محمد بن سنان** بكسر السين ونونين بينهما الف العوقي بفتح العين المهملة والواو وتسكن وبالقاف نسبة للعوق بطن من عبد القيس غير مشهور **حدثنا ابراهيم بن طهمان** بفتح الطا المهملة وسكون الها وهو الامام ابو سعيد الخراساني المشهور روى عنه اصحاب الستة توفي في بضع وستين ومايه وترجمته مبسوطة في الميزان **عن بديل** بضم البا الموحدة وفتح الدال المهملة وسكون اليا المثناة التحتية غلام ابن ميسرة الفضلي **عن عبد الكريم بن عبد الله بن شقيق** العقيلي الامام الثقة **عن ابيه** عبد الله بن شقيق الامام المعروف توفي في زمن الحجاج **عن عبد الله بن ابي الحمسا** بحا مهملة مفتوحة وميم ساكنة وسين مهملة ومدة العامري الصحابي وفي المقتفي الاصح انه عن ابي الجدعا وسيا لحديثه في انتظاره عليه الصلاة والسلام الى يوم ثالث وشقيق والد عبد الله اخرج له ابو داود فقط قاله المزي بعد ان بين طرقه من عند ابي داود وليس هو عند غيره وذكر كلام ابي داود الذي نقله عن محمد بن يحيى شيخه وذكر زيادة على ما في نسخة عندي من السنن والظاهر انه من بعض النساخ وليس هو من كلام ابي داود وما لفظه كذا وهو من زوائده ورواه عثمان بن حرزاد عن محمد بن سنان هكذا وقال قال عبد الرحمن بن مهدي ما اظن ابراهيم بن طهمان الا اخطا وعبد الكريم وانما هو عبد الكريم بن عبد الله بن شقيق عن ابيه عن ابن ابي الحمسا ورواه ابو عون الزيادي عن ابراهيم بن طهمان فلم يذكر عبد الكريم في اسناده وقال عن بشر بن السري رواه عن عبد الكريم بن عبد الله بن شقيق وقال البزار اظن فيه غلطا من الناقل لان شقيقا والد عبد الله جاهلي لا اعلم له اسلاما انما عبد الكريم بن شقيق عن ابيه قال اذ لا نعلم انه روى عبد الله بن ابي الحمسا الا هذا الحديث انتهى • ووقع في الشفا نسختان احديهما الخنسا بمعجمة ونون والاخرى وعن ابي الحمسا باسقاط عبد الله بن والاولى تصحيف والثانية خطا لان ابا الحمسا لا اسلام له ولا رواية وانما الرواية لولده عبد الله بن ابي الحمسا انتهى **قال بايعت النبي صلى الله عليه وسلم ببيع** اي باع مبيعا للنبي صلى الله عليه وسلم **قبل ان يبعث وبقيت له** اي لذلك المبيع **بقية** لم تسلم له **فوعدته ان آتيه بها في مكانه** اي في مكان وقع فيه البيع **فنسيت** الوعد الذي جرى بيننا ثم **ذكرت بعد ثلاث** اي ثلاثة ايام ولم يقل ثلاثة لان المعدود اذا حذف يجوز تذكيره مع المذكر وتانيثه مع المونث كما قالوه في قوله واتبعه بستا من شوال وانما يلزمه تانيث العدد اذا ذكر المعدود **فجئت فاذا هو في مكانه** اي مستقر في مكانه لم يفارقه **فقال يا فتى لقد شققت علي انا هنا منذ ثلاث انتظرك** وفي هذا الحديث دليل على وفايه بعهده ووعده وهذا الحديث رواه ابو داود وهو من افراده واخرجه ايضا ابن منده في المعرفة والخرايطي في مكارم الاخلاق **وعن انس كان اذا اتي بهدية** اتي مبني للمجهول اي اتاه احد بهدية **قال اذهبوا الى بيت فلانة** لم يسمها الرواة لعدم تعلق غرض بتعيينها **فانها كانت صديقة لخديجة** وفي رواية انها كانت تحب خديجة وهذا الحديث رواه البخاري في الادب المفرد **عن عايشة رضي الله عنها قالت ما غرت على احد** اي من نسايه صلى الله عليه وسلم يقال غار الرجل والمراة اذا غضب من فعل يقتضي امرا لا يرضاه وغيرتها كانت من رسول الله محبتها له وارادتها لصرف محبته

لها دون غيرها وهذا امر طبيعي لا لوم فيه واما كون الغيرة من خديجة فلا وجه له لبعد
موتها **لما كنت اسمعه يذكرها** تعليل للغيرة وما مصدرية اي لسماعي ذكرها ولو شددت
وجعلت لما بمعنى حين جاز ولكن النسخ متفقة على الاول وعلى على اصلها وقيل انها بمعنى البا كما في قوله
اكب على اسم الله وقال في الاكمال مغاضبة عائشة لرسول الله من الغيرة التي عفي عنها للنساء
حتى ذهب مالك الى اسقاط الحد عن المراة اذا قذفت زوجها غيرة منها ولولا هذا لكان على عائشة
في مغاضبتها النبي اعظم الحرج لانه كبيرة عظيمة وقد صرحوا بانها مغفرة عند الله وفي الشرع
وان كان بكسر الهمزة وسكون النون وهي مخففة من الثقيلة **ليذبح الشاة** ليس المراد انه
يذبحها بنفسه **فيهديها** بضم اليا الاولى لانه في الحديث فيهدي ما يسعهن او يشبعهن **الى**
خلايلها بالخا المعجمة جمع خليلة بمعنى الصاحبة والصديقة **واستاذنت عليه** اي طلبت
الاذن في الدخول له **اختها** اي اخت خديجة وهي هالة بنت خويلد بن اسد وهي ام ابن
القاضي ابن الربيع الصحابية المشهورة رضي الله عنها **فارتاح اليها** اي حصلت له راحة اذ
دخلت واظهر البشر والمسرة برؤياها وهذا الحديث في البخاري وفيه رواية ارتاع بالعين
بدل ارتاح بمعنى مال اليها او عجبه مجيئها مجازا **ودخلت عليه امراة فهش لها** اي
تبسم قليلا واظهر المسرة بدخولها كما يفعل الناس باصدقائهم ومن يحبونه يقال هش بش
اذا فعل ذلك استيناسا وهو هش بش اذا كان طلق المحيا غير عبوس شامخ الانف كما يفعله
المتكبرون **واحسن السوال عنها** فيه مضاف مقدر بقرينة المقام وال في السوال للعهد
او بدل من المضاف اي احسن اليها سوالها عن حالها وما هي عليه كما تقول لمن يزورك ما حالك
وما انت عليه تلطفا به واعتناء بشانه كما هو عادة الناس بمن يحبونه ووقع في الحديث انه
قال لها كيف حالكم كيف انتم فقالت بخير وهو مفسر لما هنا فلما خرجت من عنده وذهبت من
مجلسه قالت بيانا لسبب معاملته معها وهي امراة اجنبية **انها كانت تاتينا ايام خديجة**
اي انها كانت في حياة زوجته خديجة تدخل منزله لانها من معارفها واصدقائها **فان حسن**
العهد اي رعاية العهود القديمة ورعاية من يحبك ويحب من يحبك **من الايمان** اي من
شعب الايمان ومقتضياته لان من كمال الايمان مودة عباد الله ومحبتهم كما انه من تعظيم السيد
اكرام عبيده ومناسبة هذا لما عقد له الفصل ظاهرة **ووصف بعضهم فقال** اي وصف
بعض الصحابة النبي صلى الله عليه وسلم **كان يصل ذوي رحمه** اي من صفته التي كانت منه
دائمة وكان يدل على التكرار والدوام كثيرا وان لم تكن موضوعة لذلك نحو كان حاتم يقري
الضيف وكان الله غفورا رحيما كما فصل في الاصول اي يحسن اليهم ويوادهم ولما كان هذا
يوهم الاختصاص بهم احترز عنه فقال **من غير ان يوثرهم** اي يخصهم ويقدمهم **على من هو**
افضل منهم من سائر الناس وهذا ايضا من حسن العهد **فقال صلى الله عليه وسلم ان آل ابي**
فلان ليسوا لي باوليا الآل بمعنى الاهل والاتباع وفلان كناية عن الاعلام التي للعقلا والمراد
به هنا كما مر ابو العاص بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف والكناية من الراوي لا من كلامه صلى
الله عليه وسلم وابو العاص هو ابو الحكم ابن ابي العاص كان منافقا في اول امره ثم حسن اسلامه وهو عم
عثمان بن عفان رضي الله عنه وما ذكر كذا في نسخة البرهان الحلبي قال ابن فورك وفي الحديث
المشهور ان آل ابي فلان بالكناية عمن ذكر وفي بعض الروايات اسقاط آل والاوليا جمع ولي وهو
القريب ومن يتولى امره اي لا يتولاهم ولا احسبهم من اوليائي لما علمت منهم والمراد به القدح لقوله

تعالى

تعالى ذلك بان الله مولى الذين امنوا وان الكافرين لا مولى لهم اي ولي لهم ولا ناصر **غير**
ان لهم رحما اي قرابة **سابلها ببلالها** لان ابا العاص احد بني امية وهم قرشيون منافقون
وولد امية العاص وابو العاص والعيص وابو العيص وهم الاعياص وحرب وحريب وابو حرب
وسفيان وابو سفيان واسمه عنبسة وعمرو وابو عمرو وابو سفيان هذا هو صخر بن حرب بن
امية وهو غير ابي معاوية رضي الله عنه وقوله سابلها اي ساصل رحمها بصلتها اللائقة بها
والبلال بكسر البا الموحدة مصدر كالقتال او جمع بلل كجمل وجمال وهو الافصح والاصح رواية
وروي بفتح البا ايضا والمعنى واحد وهو الرطوبة والنداوة لجمع الاشيا وكلما يبل الحلق من المايعات
كالما واللبن فاستعير للصلة والاحسان كما استعير اليبس للقطيعة والشح وفي الحديث بلوا
ارحامكم ولو بالسلام لان الرطوبة والنداوة تجمع الاشيا واليبوسة تفرقها وايضا ان بل
الارض يجعلها منبتة فاستعيرت لما ذكر لتاليفها للقلوب وتنميته المودة كما قال

كيف اصبحت كيف امسيت مما • ينبت الود في قلوب الرجال

ففيه استعارة مصرحة او مكنية وتخييلية **وقد صلى صلى الله عليه وسلم** اي دخل في
الصلاة بامامة بضم الهمزة وميمين علم **ابنة ابنته زينب** اكبر بناته توفيت سنة ثمان
من الهجرة وتزوجها ابو العاص بن الربيع لا ابن ابي ربيعة كما في البخاري فانه غلط مشهور وولد
له منها امامة وكان صلى الله عليه وسلم يحبها وتزوجها علي بعد فاطمة ثم تزوجها بعده المغيرة
بن نوفل فماتت عنده قال البرهان الحلبي ليس لزينب بنت رسول الله ولا لرقية ولا ام كلثوم
عقب وانما العقب لفاطمة رضي الله عنها ولذا سادت جميع بناته وامهاتها خديجة وهي سيدة نساء
اهل الجنة الا مريم وقال السهيلي فضلت على اخواتها لانها بضعة منه وزوجة خليفته وام ريحانتيه
ولانها اصيبت برزء لا يساويه رزء وهو موت ابيها في حياتها فصبرت واحتسبت ومن ذريتها
المهدي وهذا الحديث رواه البخاري في صحيحه كغيره وفيه انه كان اذا سجد وضعها واذا قام
رفعها وقد اشكل هذا على الفقها لان هذه اعمال كثيرة مبطلة للصلاة فقيل انه من خصايصه
وقيل انه منسوخ وقيل انه لا عمل له لانها لمحبتها له كانت تتعلق به وتعلق عليه من غير عمل وقوله
رفعها ووضعها اياه وقيل انه كان في النافلة ضرورة لانه لم يكن ثمة من يكفيه امرها وقيل انه
كله باطل لانه وقع قبل الهجرة وتحريم الاعمال بعدها وكان في صلاة الصبح وهو يوم الناس
كما ورد التصريح به والصواب انه عمل قليل لا يبطل الصلاة وكانت طاهرة مطهرة ليس معها
ما يبطل الصلاة قيل وانما فعل ذلك ارغاما للعرب في عدم محبتهم البنات **يحملها على عاتقه**
اي كتفه وعلى متعلق بيحمل لا حال من امامة او من ضميره كما قيل **فاذا سجد وضعها** على
الارض **واذا قام حملها** بيانا للجواز وقال الخطابي اسناد وضعها وحملها مجاز فانها كانت
تالفه فاذا سجد جلست على عاتقه فلا يدفعها فتبقى محمولة حتى يركع فيرسلها فاذا سجد
فعلت كذلك وتقدم ما فيه **وعن ابي قتادة** الصحابي الانصاري فارس رسول الله ﷺ واختلف
في اسمه فقيل الحارث بن ربعي بكسر الرا ابن عمرو وقيل النعمان توفي بالمدينة سنة اربع وخمسين
وقيل ثمان وثلاثين وهو ابن سبعين سنة وروى احمد واصحاب السنن له **وقد وفد**
للنجاشي وفد بمعنى قدم وخص بقدوم الرسول ووفد بسكون الفا اسم جمع بمعنى
الوافدين والنجاشي بفتح النون وكسرها وتشديد اليا وتخفيفها • واسمه اصحمة وقيل صحمة
بفتح الصاد وسكون الحا المهملتين • وقيل صحمة بتقديم الميم • وقيل خاوه معجمة • وقيل اسمه

مكحول بن صيصة • وقيل سليم • وقيل خازم وهو اسم لكل من ملك الحبشة وكان رضي الله عنه
ممن اعان المسلمين لما هاجروا اليه وكاتب النبي صلى الله عليه وسلم واهدى له الهدايا
وتزوجه بام حبيبة وكتب له النبي صلى الله عليه وسلم كتابا يدعوه للاسلام فاسلم على يد جعفر
بن ابي طالب سنة ست وكان بينه وبينه صلى الله عليه وسلم محبة عظيمة فلما توفي في رجب
سنة تسع قام النبي صلى الله عليه وسلم وصلى على جنازته وبه استدل الشافعي على الصلاة على
الغايب وقصته مشهورة ولما توفي خلفه نجاشي آخر دعاه النبي للاسلام فابى ومات كافرا
فقام النبي عليه السلام يخدمهم بنفسه تواضعا منه وارشادا الغيره **فقال له اصحابه**
اي النبي **نكفيك** اي نحن نخدمهم ونكفيك من تعاطي خدمتهم فابى **فقال انهم كانوا**
لاصحابنا الذين هاجروا لارضهم **مكرمين واني احب ان اكافيهم** اي اجازيهم على اكرامهم
لاصحابنا باكرامهم ولا اكرام اعظم من تعاطيه امورهم بنفسه وهذا الحديث رواه البيهقي في
دلايله مسندا **ولما جي** مبني للمفعول اي جا الصحابة **باخته من الرضاعة** بفتح الراء
وكسرها بمعنى الرضاع **الشيما** بفتح المعجمة وسكون المثناة التحتية والميم وهمزة ممدودة
ويقال لها الشما بتشديد الميم بدون ياء كما قاله الطبري ويحتمل ان تكون الشما اصلها شيما
فابدلت احدى الميمين ياء كما قيل في اما ايما فتكون صفة بمعنى ذات شيم ثم نقل وجعل علما
لها وهي بنت حليمة التي ارضعت النبي وقيل اختها وزوج حليمة هو الحارث بن عبد العزى
وحليمة اسلمت وعدت من الصحابة واسمها جدامة بجيم مضمومة ودال مهملة وقيل حذافة
بحا مهملة وذال معجمة وفاء وقيل خذامة بمعجمتين واختلف في زوجها ابو النبي من الرضاعة
فلم يذكر اهل السير اسلامه وذكر يونس بن بكير في روايته فقال حدثنا ابن اسحق عن ابيه
عن بعض بني سعد بن بكر ان الحارث بن عبد العزى ابو رسول الله من الرضاع قدم عليه بمكة
بعد بعثته فقال له قريش يا حار ما يقول ابنك هذا فقال ما يقول قالوا يزعم ان الله يبعث
بعد الموت وان لله دارين دار يعذب فيها من عصاه ودار يكرم فيها من اطاعه وقد شتت
امرنا وفرق جماعتنا فاتاه وقال يا بني ما لك ولقومك يشكونك ويزعمون انك تقول ان
الناس يبعثون بعد الموت ثم يصيرون الى جنة ونار فقال نعم ولو كان ذلك اليوم يا ابة اخذت
بيدك حتى اعرفك حديثك اليوم فاسلم وحسن اسلامه وكان يقول حين اسلم لو ياخذ ابني
بيدي فعرفني ما قال لم يرسلني ان شا الله حتى يدخلني الجنة انتهى **في سبايا هوازن**
السبايا جمع سبية بمعنى مسبية اي ماسورة وهوازن اسم قبيلة من بني سعد بن بكر سميت
باسم الاب الاعلى كتميم وهو هوازن بن نصر بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن غيلان بن نصر والمراد
بكونها فيهم انها كانت مسبية معهم ايضا **وتعرفت له** يقال تعرف اذا اعلمه باسمه وشانه
فهي اعلمته بانها اخته رضاعا فقال لها ما علامة ذلك فقالت عضة كنت عضضتها في
ظهري فعرفت ذلك رسول الله وصدقها **بسط لها رداءه** اي فرشه لها لتجلس عليه اكراما
لها **وقال لها** بعدما جلست عنده **ان احببت اقمت عندي** مفعول احببت مقدر
تقديره احببت الاقامة عندي وهذا يدل على انها اسلمت كما تقدم **مكرمة محببة** بالنصب
على الحالية فيهما ومكرمة بضم اوله وسكون ثانيه وتخفيف رائه اسم مفعول اكرامه اذا
فعل به ما يحبه من احسان قولا وفعلا وكذا محببة فانه اسم مفعول من احبه ويقال حبه واحبه
بمعنى والاكثر والافصح في اسم المفعول اذ يكون من الثلاثي فيكثر فيه محبوب ويقل محب

لكن

لكنه هنا احسن لاقترانه بمكرم وغلبة الاستعمال كقول عنترة هـ
• واذا نزلت فلا تظني غيره • مني بمنزلة المحب المكرم •
وقولها جارية حدثته • مكرمة محببة • وجبروا ذلك فصاغوا اسم الفاعل من المزيد فقالوا
محب ولم يقولوا حاب **او متعتك ورجعت الى قومك فاختارت قومها فمتعها**
ورجعت لقومها وتفصيله ما قاله اصحاب السير انه لما قدمت اخته الشيما بنت الحارث بن عبد
العزى وعرفته بنفسها فعرفها وبسط لها رداءه واجلسها عليه وخيرها فاختارت الرجوع
لقومها وارضها واذ يمتعها بالاحسان اليها فاعطاها عبدا وجارية وقال ابن عبد البر انها
اسلمت فاعطاها ثلاثة اعبد وجارية ونعما وشاء وهذا منه صلى الله عليه وسلم صلة لرحمه
لان الرضاع له حكم النسب والقرابة واللبن كما للابوين **وقال ابو الطفيل** بضم الطاء
المهملة وفتح الفا منقول من مصغر الطفل جعل علما لعامر بن واثلة بالثا المثلثة الكناني
الصحابي وهو آخر من مات من الصحابة ووقع في بعض النسخ ابن ابي الطفيل وليس بصحيح كما
قاله البرهان الحلبي **رايت النبي صلى الله عليه وسلم وانا غلام** الغلام كما في كفاية
المتحفظ عن بعض اهل اللغة الصبي اذا فطم الى سبع سنين ثم يصير يافعا الى عشر سنين
حجج وقد يطلق الغلام على الشاب التام الرجولية والمراد هنا الاول **اذ اقبلت امراة حتى**
دنت منه اي قربت من مكانه الجالس فيه وفي بعض النسخ تاخير قوله وانا غلام عن
قوله اذ اقبلت الخ وهذا الحديث رواه ابو داود في سننه بسند حسن فقال حدثنا
ابن المثنى قال حدثنا ابو عاصم قال حدثني جعفر بن عمارة قال اخبرنا عمارة بن ثوبان
ان ابا الطفيل اخبره قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم يقسم لحما بالجعرانة وانا يومئذ
غلام احمل عظم الجزور اذ اقبلت امراة وساقه وقوله اذ يحتمل ان يكون ظرفا لرايت اي
رايته وقت اقبال المراة ويحتمل ان تكون للمفاجاة بتقدير بينا اي رايته يقسم لحما
وبينا هو كذلك اذ اقبلت الى آخره او هي بمعنى قد والوجه هو الاول وفي هذا دليل
على قبول رواية الصغير وفيه كلام مفصل في مصطلح الحديث قالوا هذه المراة هي حليمة
امه صلى الله عليه وسلم من الرضاع ومجيئها له كما في الاستيعاب كان يوم حنين وقال
الحافظ الدمياطي لا نعرف لها صحبة ولا اسلاما وما قاله ابن عبد البر من انها اتته
يوم حنين وبسط لها رداءه وروت عنه وروى عنها عبد الله بن جعفر لم يصح وابن جعفر
لم يدركها والتي جاءته انما هي بنتها الشيما واما حليمة فانما جاءته بمكة قبل النبوة في
زمان خديجة فاعطاها اربعين شاة وجملا ثم انصرفت لاهلها وما هنا يقتضي مجيئها
له بعد النبوة بالجعرانة بعد انقضاء حرب هوازن ومجي وفدهم وليس كذلك انما هي
ابنته وجوز الذهبي ان تكون المراة التي جاءته ثويبة مولاة ابي لهب وبرده ايضا
ماتت سنة سبع قبل هوازن ولما فتح مكة سال عنها مسروحا فاخبره بموتها وصحح بعضهم
خلافه وذكره ابن الجوزي في الوفا وصنف الحافظ مغلطاي جزوا في اسلامها سماه
التحفة الجسيمة في اثبات اسلام حليمة وايده وارتضاه علما عصره وممن انكره ابو حيان **وعن**
عمرو بن السايب عمرو بفتح العين والرا وهو ابن واش المصري وقيل انه عمر بالضم وحذف
الواو وقال الحلبي والفتح غلط وصوابه الضم كما ذكره ابن حبان وقال انه من الثقات
وروى عنه اسامة بن زيد وجماعة وروى عنه جماعة واخرج له ابو داود فقط

كذا قاله التلمساني في حواشيه وهو من اجلة التابعين وهذا الحديث رواه ابو
داود بلاغا كما قاله السيوطي في تخريجه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا
يوما قيل ظاهره ان عمر شاهد هذه القضية وهو تابعي فالحديث مرسل زيد كما في سنن
ابي داود وقال عن احمد بن سعيد الهمداني قال حدثنا ابن وهب قال حدثني عمرو بن الحارث
ان عمرو بن السائب حدثه انه بلغه ان رسول الله كان جالسا الى اخره فلو ذكره المصنف
كما قاله ابو داود كان اولى فاقبل ابوه من الرضاعة وهو الحارث بن عبد العزى
وقد تقدم الكلام فيه وفي اسلامه وكون زوج المرضعة يسمى ابا ويثبت بارضاع زوجته
له بمعنى له حكم النسب كما ان المرضعة امه لان الفحل يحرم وان لم يكن له حكم النسب من كل
وجه وله ذهب الفقهاء كافة غير الظاهرية والكلام عليه مفصل في كتب الفروع فوضع
له بعض ثوبه وفرشه له في الارض ليجلس عليه فقعد عليه ثم اقبلت امه وهي
حليمة كما مر فوضع لها شق ثوبه من جانبه الاخر فجلست عليه ثم اقبل اخوه من الرضاعة
فقام رسول الله فاجلسه بين يديه يعني انه اجلس اباه عن يمينه وفرش له جانبا
من ثوبه واجلس امه حليمة عن يساره وفرش تحتها جانبا من ثوبه اكراما لهما فلما قدم اخوه
وهو عبد الله بن الحارث بن عبد العزى لم يبق جانب من ثوبه يفرشه فقام له لئلا يقصر
في توقيره عن ابويه وفيه دليل على انه يجوز القيام تعظيما لمن يستحق التعظيم خلافا
لمن قال انه مكروه ولكنه صلى الله عليه وسلم عدة مرضعات منهن حليمة هذه
وثويبة مولاة ابي لهب وخولة بنت المنذر بن زيد بن لبيد وام ايمن وثلاث نسوة من
سليم تسمى كل واحدة منهن عاتكة وهو احد القولين في قوله انا ابن العواتك وقيل انهن
جدات له ومعنى عاتكة متضمخة بالطيب وكان يبعث الى ثويبة علم منقول من
تصغير الثوب وهي مولاة ابي لهب اي جارية معتقة له وابو لهب كنيته واسمه عبد
العزى وكنى بذلك لتوقد لونه وذكر بهذه الكنية في القرآن للاشارة الى انه جهنمي
بصلة اي عطية يحسن بها لها وكسوة بضم الكاف وكسرها اي ثياب تلبسها فلما ماتت
بمكة بعد هجرته سال من بقي من قرابتها اي عمن بقي فهو منصوب بنزع الخافض وتقديره
وقال من بقي فمن اما موصولة او استفهامية والقرابة مصدر بمعنى قرب النسب وسمع
اسم جمع بمعنى الاقربا كما ذكره ابن مالك وغيره خلافا للجوهري اذ انكره وقال لا يقال
للاقربا قرابة كما قال الشاعر

يبكي عليه غريب ليس يعرفه • وذو قرابته في الحي مسرور •

فقيل لا احد اي لا احد من قرابتها باق واحد مرفوع بفعل مقدر اي لم يبق احد
او مرفوع اسم لا العاملة عمل ليس او مفتوح اسمها والخبر مقدر عليهما وقوله وكان
الى هنا سقط من بعض النسخ وما ذكر من حسن الوفا وصلة الرحم فيه من مكارم اخلاقه وحسن
عهده ما لا يخفى وهذا الحديث رواه الواقدي وغيره • واما ارضاع ثويبة فثابت في
الصحيحين وهي اول من ارضعته مع ابنها مسروح اياما قبل حليمة فارضعت قبله
حمزة وابا سلمة واختلف في اسلامها فاثبته بعضهم وعدها في الصحابة وانكره
ابو نعيم وكان ابو لهب اعتقها لما بشرته بولادة النبي صلى الله عليه وسلم ورئي
في المنام وهو يقول خفف عني العذاب باعتاقي ثويبة لما بشرتني به وفي السير انه

اعتقها قبل ولادته بدهر طويل وهو المروي في السير وفي المواهب ما يخالفه والذي
راه في المنام بشر حيبه بفتح الحا المهملة او بكسرها وياء مثناة تحتية وباء موحدة وقيل انه
بخاء معجمة وقيل بجيم وهو تصحيف اي بسوء حال فهو من الحوبة وهي المسكنة والحاجة قالوا
وانقلبت يا لانكسار ما قبلها او على خلاف القياس وتخفيف عذابه لا يعارض قوله تعالى في اعمال
الكفرة جعلناه هباء منثورا لانه بعد الحشر ولانه لما لم ينجهم من النار فكانه لم يفدهم اصلا
وتفصيله في حواشينا على القاضي وفي حديث خديجة رضي الله عنها الذي رواه
الشيخان عن عائشة بسند صحيح انها قالت له في ابتداء امره لما راى جبريل فحصل له
رعب شديد ابشر امر بفتح الهمزة وهي همزة قطع يقال ابشر وبشر بمعنى ويجوز وصلا
وفتح الشين من بشر يبشر كعلم يعلم وهو امر المقصود منه تعجيل المسرة بالبشرى التي بعده
وهو انشاء اريد به الخبر السار الذي يظهر اثره في البشرة وهذا الحديث تقدم وشرحه في
فصل الجود والكرم فوالله لا يخزيك الله ابدا مر ان في يخزيك روايتين ضم اليا واعجام
الخا من الخزي وهو النكال والفضيحة وبه روي لفظ المصنف هنا كما ذكره البرهان الحلبي
واهمال الحاء من حزن واحزن وهي دون الاولى فلذا تركها المصنف وروي لا يحزنك الله ابدا
عن الزهري بزيادة ابدا انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتقري الضيف وتكسب
المعدوم وتعين على نوائب الحق •

فصل واما تواضعه صلى الله عليه وسلم

التواضع بضم الضاد اظهار انه وضيع وهو اشرف الناس فالصيغة للتكليف في الاصل
على علو منصبه قد قدمنا لك ان المنصب في كلام العرب بمعنى الاصل والحسب كما في قول
ابي تمام • ومنصب نماه • ووالد سما به • وان استعماله في تولي الاعمال السلطا
كقول ابن الوردي • نصب المنصب اوهى جلدي • وعنائي من مداراة السفل •
مولد لم يسمع من العرب ولذا عطف عليه قوله ورفعة رتبته فهو كالتفسير له والرتبة
كالمنزلة ورفعة القدر كالمنزلة فكان صلى الله عليه وسلم اعظم الناس تواضعا منصوب
على التمييز واقلهم كبرا وفي نسخة واعدمهم كبرا افعل تفضيل من العدم وهذه انسب
بمقامه لان اللائق به عدم الكبر لا قلته ووجه هذه البرهان بان القلة بمعنى التفرقة
وقال ابو حيان في قوله تعالى فقليلا ما تومنون ان القليل يرد بمعنى النفي المحض كما في
قولهم اقل رجل يكون ذلك وقلما يقوم زيد وقليل من الرجال يقول ذلك وقال الحافظ
السخاوي في كتابه جواهر الدرر في مناقب ابن حجر ان ابن حجر سئل عن هذه العبارة
فان بعضهم شنع على المصنف فيها ومحاها من النسخ فاجاب بان الاعتراض باطل لانهم تكلموا
على الحديث الذي رواه النسائي عن عبد الله بن ابي اوفى قال كان رسول الله يكثر الذكر ويقل
اللغو فقالوا يقل اللغو بمعنى لا يلغو اصلا قال ابن الاثير في النهاية لان قل يستعمل في
النفي كما في الاية السابقة فمعنى هذه النسخة انه لا يقع منه كبر اصلا كما في ذلك الحديث
وليس افعل فيه للتفضيل فانه قد يخرج عنه كما في قوله اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا
ومثله اقط واغلظ فانه بمعنى فظ غليظ وقال المصنف في شرح مسلم يصح حمله على المفاضلة
والقدر الذي فيه منه اغلاظه على الكفرة والمنافقين كقوله تعالى جاهد الكفار والمنافقين

يقول

واغلظ عليهم لانه كان يغلظ عليهم ويغضب عند انتهاك حرمات الله انتهى • فقوله اقلهم
كبرا بمعنى انتفا الكبر عنه لبتة او يحمل على شدته على الكفار والمنافقين كما في الذي قبله
لان تواضعه ورافته كانت بالمومنين روف رحيم • وقوله في التورية ليس بفظ ولا غليظ
اي بالمومنين ونظيره اشدا على الكفار رحما بينهم بمعنى اذلة على المومنين عاطفين عليهم
اعزة على الكافرين متكبرين عليهم بقاد وبهم فلا معنى لحمل النسخ واتلافه انتهى • واستدرك
عليه عز الدين الحنبلي بان تاويله الشدة والغلظ لكونه على الكفار والمنافقين فيه ان شدته
وغلظه على هولا كانت اشد من عمر بلا شك انتهى • اقول الجواب هو الثاني لانه كان متخلقا
باخلاق الله ومنها المتكبر فاتصافه بهذه الصفة في محلها مدح ولذا قيل التكبر على المتكبر
صدقة فالتكبر على الكفرة والمنافقين احيانا في محله ممدوح وليس مثل قوله فقليلا ما يومنون
والما تاويل التفضيل فابقى وخلع المفاضلة منه فمجاز على مجاز وصنعت على بابه والما
اعتراض الحنبلي فلا وجه له ولبعض الشراح والمحشين هنا كلام ركيك تركه خير منه وحسبك
اي يكفيك في اثبات ما ذكر انه خير بين ان يكون خير مبني للمجهول اي خيره الله على لسان
ملك يكنه في الحديث المشهور بين ان يكون نبيا ملكا بكسر اللام اي سلطانا او نبيا عبدا
فاختار ان يكون نبيا عبدا فخيره الله بعد تفضيله بالرسالة ان تكون شونه كالملوك
في اتخاذ الجنود والحجاب والخيول والخدم والقصور فاختار مع الرسالة العامة مقام العبودية
والخدمة بنفسه في مهنة اهله تواضعا منه وزهدا في الدنيا ولذا وصفه الله بالعبودية
في عظيم مقاماته كقوله سبحانه سبحان الذي اسرى بعبده وهذا من صحيح رواه احمد عن
ابي هريرة والبيهقي عن ابن عباس فقال له اسرافيل عند ذلك اي حين اختار العبودية
على الملك فان الله قد اعطاك هذه الفا فصيحة عاطفة على مقدر اي اصبت وجزاك الله
خيرا مما تركته بما تواضعت له البا سببية ما مصدرية اي بسبب تواضعك له انك
سيد ولد آدم بفتح همزة انك وهي وما بعدها مفعول اعطى والسيد من يفوق غيره في الشرف
وهو يطلق على الله وعلى غيره في اصح الاقوال الثلاثة المشهورة وخصه بقوله يوم القيمة لانه
لا اعلى من هذه السيادة حيث يسود فيه على الرسل وساير البشر وفيه نكتة لتبين اضمحلال كل
ملك لفنايه حيث يقول الله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار في مملكة لساير مخلوقاته فتدبر
واول من تنشق عنه الارض معطوف على سيد خبران وانشقاق الارض لتخرج الموتى من قبورهم
للبعث فلا يتقدمه احد حينئذ واما حديث فان الناس يصعقون اي يغشاهم غشية كالموت
يوم القيمة فاصعق معهم فاكون اول من يفيق فاذا موسى باطش بجانب العرش فلا ادري اكان
ممن صعق او كان ممن استثنى الله بقوله الا من شا الله فلا ينافيه لان هذه الصعقة كما قاله التوربشتي
فزع بعد البعث ويويده قوله يوم القيمة واول شافع يوم القيمة او في الجنة لرفع درجات
الناس لان مقام الشفاعة متعدد وفي قوله اول اشارة الى ان غيره من الملايكة وغيرهم يشفعون
بعد ذلك • واعلم ان سفير الوحي بين الله وبين نبينا صلى الله عليه وسلم جبريل وعن الشعبي
ان اسرافيل كان ياتيه بالوحي في اول بعثته ويترايا له ثلاث سنين وياتيه بالكلمة والشي
ثم وكل به جبريل قال ابن عبد البر في الاستيعاب انزلت عليه النبوة وهو ابن اربعين سنة
فقرن بنبوته اسرافيل عليه السلام ثلاث سنين فكان يعلمه الكلمة والشي ولم ينزل عليه
القران على لسانه فلما مضت ثلاث سنين قرن به جبريل فنزل بالقران عليه عشرين سنة

وفي شرح

وفي شرح البخاري لابن التين ميكائيل بدل اسرافيل ونقل البرهان عن ابن الملقن ان
المشهور ان الذي ابتداه بالوحي جبريل وانكر الواقدي ان يكون غير جبريل وكل به وقال السيوطي
في كتاب الحبائك لم اقف على ان جبريل افضل او اسرافيل ثم نقل احاديث متعارضة في ذلك
وفيه ايضا ان اسرافيل نزل عليه باية ذكرها حدثنا الفقيه ابو الوليد بن العواد بفتح
العين المهملة وتشديد الواو والف ودال مهملة وهو هشام بن احمد القرطبي وقد تقدمت
ترجمته بقراتي عليه في منزله بقرطبة سنة سبع وخمسمائة وفي هذه السنة توفي
رحمه الله حدثنا ابو علي الحافظ الغساني وقد تقدم والحافظ اذا اطلق يراد به حافظ
الحديث بالرواية حدثنا ابو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي الامام
الجليل صاحب التاليف المشهورة كما تقدم حدثنا ابن عبد المومن ابو محمد عبد الله بن محمد
بن عبد المومن كما تقدم حدثنا ابن داسة ابو بكر محمد بن بكر وقد تقدم وان داسة بدال مهملة
وسين مهملة مفتوحة بينهما الف حدثنا ابو داود صاحب السنن المتقدم حدثنا ابو بكر
بن شيبة عبد الله بن محمد بن ابي شيبة العبسي احفظ اهل عصره له ترجمة في الميزان
مفصلة واخرج له الايمة الستة حدثنا عبد الله بن نمير بالنون مصغر الهمداني
ابو هشام بن هشام بن عروة الاعمش الحافظ اخرج له اصحاب الستة وتوفي سنة تسع
وتسعين ومايه عن مسعر بكسر الميم وسكون السين المهملة وفتح العين وراء مهملة هو
ومعناه موقد النار يقال هو مسعر حرب للشجاع وهو مسعر بن كدام ابو سلمة الهلالي
الكوفي المسمى بالمصحف لاتقانه وحفظه وممن اخرج له الستة وتوفي سنة خمس وخمسين
ومايه وله الف حديث عن ابي العنبس بفتح العين وسكون النون وفتح البا الموحدة وسين
مهملة وهو الحارث بن عبيد بن كعب العدوي الكوفي لم يخرج له غير ابي داود وذكره في الميزان
ولم يذكر فيه شيا عن ابي العدبس بفتح العين والدال المهملتين وتشديد البا الموحدة
المفتوحة وسين مهملة وهو تبيع بن سليمان وتبيع بضم المثناة الفوقية ثم باء موحدة ثم
عين مهملة بزنة المصغر كما في الميزان وتهذيب الذهبي والاكمال لان ابا خليل الحافظ
كتب في حواشيه ان هذا وهم منه وانما هو منيع بالميم بدل المثناة كما قاله البرهان الحلبي
عن ابي مرزوق التجيبي واسمه كنيته وله ترجمة في الميزان قال فيها ان ابن حبان قال
انه لا يحتج بما انفرد به عن ابي غالب الراسبي واسمه حزور وقيل سعيد بن حزور وقيل
نافع وروى عنه اصحاب السنن واختلفوا في ضعف روايته ومنهم من وثقه عن ابي
امامة الباهلي او السهمي وهو صدي بن عجلان بن وهب توفي سنة احدى او ست وثمانين نين
واخرج له الستة وهو من بقايا الصحابة بحمص وهذا الحديث رواه ابو داود وابن ماجة
مسندا قال خرج علينا رسول الله متوكيا بكاف مشددة وهمزة اي معتمدا متحاملا وهو
منصوب على الحال على عصا وقال ابن عباس التوكؤ على العصا من سنن الانبيا وكان له صلى
الله عليه وسلم عصا فيها قضيب ومخصرة قصيرة ومحجن وكانت في يده اذا خطب وكانت
عند الخلفا • وقال الصرصري

وعصاه لما مستها بيمينه • فضلت عصا صارت الى ثعبان

فقمنا له تعظيما واجلالا فقال لا تقوموا كما تقوم الاعاجم يعظم بعضهم بعضا
هذه الجملة بدل مما قبلها او مستانفة استينافا بيانيا والاعاجم جمع اعجم او اعجمي اذا عجم

على خلاف القياس او جمع اعجام جمع جمع وهم من عدا العرب وقد يخص بفارس وقد اختلف
العلما في القيام للتعظيم المعتاد هل هو مكروه ام لا فقيل مكروه استدلالا بنص الحديث
وبحديث من احب ان يتمثل له الناس قياما وجبت له النار ونحوه حتى ذهب بعضهم الى حرمته
والاحسن ما قاله القاضي زكريا في شرح الروض انه يستحب لاهل العلم والصلاح والحكام
العدول بل قد يجب اذا اخشي من تركه ضررا لجبابرة الملوك ويستحب لمن قدم من سفر ولذوي
الارحام تكريما وبرا بهم ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم للانصار لما قدم عليهم سعد
قوموا لسيدكم والمنهي عنه انما هو ما كان على سبيل الريا والتكبر وحمل حديث سعد على انه
كان مريضا وقدم راكبا فامرهم بالقيام ليعينوه في النزول عن دابته خلاف الظاهر وقد
فعله صلى الله عليه وسلم وكان يقوم لفاطمة اذا جاته وانما نهاهم لئلا يظنوه سنة ويتخذوه
عادة **وقال** صلى الله عليه وسلم **انما انا عبد** الحصر فيه اضافي اي لست بسلطان ثم انه
ان اريد بالعبد معناه العرفي وهو الرقيق المملوك للناس فهو استعارة فشبه نفسه تواضعا
لله بالرقيق لتعاطيه خدمة نفسه وبيته فانه كان يخصف نعله ويرقع ثوبه ويكنس بيته
ويلبس الغليظ فقوله **اكل كما ياكل العبد واجلس كما يجلس العبد** بيان لوجه الشبه
وان اراد عبد الله وكل الناس عبيد الله الملوك وغيرهم سواء في ذلك فالمراد انه متمحض
لهذه العبودية لا يشوبها بشي من امور الدنيا ولا يتخلق بشي من اخلاق اهلها في لباسهم
وما كلهم ومشربهم وفرشهم فانه كان يجلس على الارض ولا ياكل على خوان ولا يغلق عليه
باب ولا يتخذ حجابا **وكان يركب الحمار** وكثير من الاغنيا يانف ركوبه وكان له حمار يسمى عفير
واخر يسمى يعفور وهو ماخوذ من العفرة وهي التراب لشبه لونه له وليسا اسمين لحمار
واحد كما توهم فان عفيرا اهداه له المقوقس ويعفور اهداه له فروة بن عمرو وقيل بالعكس
ومات يعفور بعرفة من حجة الوداع وقيل القى نفسه في ابن التيهان يوم موته وقيل انه كان
من جنس من الحمير لم يركبه الا نبي وانه كان يرسله للرجل فياتي بابه ويقرعه براسه فيعلم
انه يطلبه **ويردف خلفه** ويردف بضم المثناة يعني يحمله رديفا له اي راكبا خلفه
على دابته التي ركبها ويقال ردفه واردفه واصله الركوب على الردف وربما جعل غيره قدامه
ايضا ولم يذكر من اردفه اشارة لعمومه فيشمل الذكر والانثى والصغار والكبار • وقد
ذكروا ان من اردفه بلغ الاربعين في سفر وحضر وهذا من تواضعه • وهم اسامة بن
زيد رجعه من عرفة • والصديق في الهجرة • وعثمان راجعا من بدر • وعلي في حجة الوداع •
وعبد الله بن جعفر بين يديه • وسبطه مع غلام من بني هاشم • واولاد عباس الثلاثة في بزوله
من المزدلفة • والحسن والحسين • ومعاوية • ومعاذ بن جبل على عفير • وابو ذر على حمار •
وزيد بن حارثة • وثابت بن الضحاك • والشريد بن سويد • وسلمة بن الاكوع • وزيد بن
سهل • وابو طلحة الانصاري • وسهيل بن بيضا • وعلي ابن بنته زينب • وعبد الله بن الزبير
وغلام مطلبي • واسامة بن عمير • وصفية بنت حيي مقدمه من خيبر • وابو الدردا • وامية
بنت ابي الصلت • وابو اياس • وابو هريرة • وقيس بن سعد • وخوات بن جبير • وجبريل على
البراق في الاسرا • وام حبيبة الجهنية • وزيد بن ارقم • وجابر بن عبد الله • وزاد ابن سيد
غير هولا • ونظمهم ابو ذر بن موفق الدين فقال •

وَاردا فهم عفير فمنهم • علي وعثمان شريد وجبريل •

واولاده فوزوا الرشد والتقي • اسامة والدوسي وهو نبيل •
معاوية قيس بن سعد صفية • وسبطاه ماذا عنهم شا قول •
معاذ ابو الدردا سويد وعقبة • وامنة ان قام ثم دليل •
كذلك خوات ظريف وسبطه • علي ووجه النقل فيه جميل •
اسامة والصديق ثم ابن جعفر • وزيد وعبد الله ثم سهيل •
كذا بنت قيس خولة وابن اكوع • وقد رهم في العالمين جليل •
كذلك زيد صابر ثم ثابت • فمن جنبهم والله لست احول •
ثلاثة غلمان وزدهم اباكا • اياس وحسبي الله وهو وكيل •

ويعود المساكين ويجالس الفقرا الفرق بين المسكين والفقير مشهور في كتب الزكاة
الا ان كلا منهما يطلق على الاخر من غير فرق في العرف • والعيادة سنة للغني والفقير
وانما خصهما هنا لانه يعلم منه غيره بالطريق الاولى والمسكين بكسر الميم وفتحها ماخوذ
من السكون ويكون بمعنى المتذلل الخاضع ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم احيني
مسكينا وامتني مسكينا ولا يجوز ان يطلق على النبي صلى الله عليه وسلم انه فقير او مسكين
وان اطلقه على نفسه **ويجيب دعوة العبد** اذا علم انه يكون له طعام غيره لكونه
ماذونا ونحوه **ويجلس مع اصحابه مختلطا بهم** فلا يختار مكانا رفيعا ولا يتقدم عليهم
قال ابو هريرة حتى كان الغريب اذا اتى ناديه لا يعرفه حتى يسال عنه ثم ان الصحابة
سالوه ان يجعل له مكانا مخصوصا حتى اذا اتاه الغريب عرفه وسال له فجعلوه من طين
تارة يجلس عليه وتارة يجلس بجنبه **حيث ما انتهى به المجلس جلس** حيثما يفيد العموم
اي اي مكان وجده خاليا وفيه محبة يجلس فيه صدرا او غير صدر وكل هذا تواضعه
وارشاد امته **وفي حديث عمر عنه** صلى الله عليه وسلم وهذا الحديث رواه البخاري
لا تطروني مضارع اطراه اذا بالغ في مدحه وتجاوز الحد فيه قال

لا يلحق الواصف المطري مدايحه • وان يكن محسنا في كل ما وصفا •

وهو ماخوذ من الطراوة يقال طراه واطراه ومدحه صلى الله عليه وسلم مطلوب من
كل احد والنهي انما هو عما لا يليق به ولذا قال **كما اطرت النصارى** جمع نصراني
منسوب لناصرة او نصرة او نصور به على خلاف القياس وتلك القرية كان فيها اول
امره **ابن مريم** فانهم قالوا فيه انه ابن الله وغيره مما هو مشهور وهذا كقول الابي

دع ما ادعته النصارى في نبيهم • واحكم بما شيت مدحا فيه واحتكم •

ومنه اخذ الحلي قوله في بديعيته

دع ما تقول النصارى في نبيهم • من التغالي وقل ما شيت واحتكم •

وما احسن قول ابن الفارض

وعلى تفنن واصفيه بحسنه • يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف •

انما انا عبد الله فقولوا عبد الله ورسوله ولا تقولوا ما قاله اهل الكتاب ونحوهم
فالحصر اضافي **وعن انس** رواه مسلم **ان امراة** من الصحابة تسمى ام زفر وهي
ماشطة خديجة ام المومنين وتردد البرهان فيها هل هي هذه او غيرها وجزم به غيره
كان في عقلها شي من الجنون ولم يصرح به اشارة لخفته وانها لم تستغرق فيه فان

لفظشي يشعر بالقلة جاءته فقالت إن لي إليك حاجة اي لي حاجة اريد ان
انهيها اليك واعلمك بها قال لها اجلسي يا ام فلان الابهام من الراوي لانه
لم يحضره اسمها في اي طرق المدينة شئت اجلس اليك بجزوم في جواب الامر والي
بمعنى عند عبر به تلميحا كله حتى اقضي حاجتك فجلست فجلس اليها حتى فرغت من
حاجتها التي اعلمته بها تواضعا منه وملاطفة وفيه استحباب الملاطفة بمثلها الا ان
كان فيه جنون مطبق وكانت جارية سوداء تصرع احيانا فشكت ذلك للنبي صلى الله
عليه وسلم وقالت اني اصرع واتكشف فادع الله لي فقال ان شئت فاصبري ولك
الجنة وان شئت دعوت الله ان يعافيك فقالت اصبر ولكن ادع الله ان لا اتكشف
فدعا لها فكان ابن عباس يقول الا اريكم امراة من اهل الجنة فيشير اليها وقيل ان التي كانت
تصرع سعيرة الاسدية وقال انس في حديث رواه بتمامه ابو داود والبيهقي وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يركب الحمار ويجيب دعوة العبد كما تقدم بيانه
وكان صلى الله عليه وسلم يوم بني قريظة يوم واحد الايام وال اليوم بمعنى الوقعة
والغزوة شائعة يجب اذا اطلقوه انما يفهم منه هذا وبنو قريظة بصيغة التصغير
والقاف والراء المهملة والظاء المشالة ثم هاء قوم من اليهود بقرب المدينة غزاهم النبي
صلى الله عليه وسلم قبل غزوة الخندق كما فصل في السير راكبا على حمار وهو صاحب
الرياسة والرسالة العظمى تواضعا ومن هو من اقل عبيده يركب الحمار في مثله
ويجتنب اظهار الشوكة وعظمته بذاته لا العرض الدنيا الذي لا يستقر وما
في بعض الشروح نقلا عن بعض الحواشي من انه بفتح الياء التحتية والهمزة المضمومة
الموسومة واو والميم المشددة بمعنى يقصد تحريف لا وجه له مخطوم بحبل من ليف
اسم مفعول من الخطام بخاء معجمة فطاء مهملة وهو ما تقاد به الدابة كالرسن والليف
بكسر اللام والفاء شيء يتخذ من النخل ويفتل حبالا وعليه اي على الحمار اكاف بكسر الهمزة
وكاف والف وفاء بزنة كتاب ويضم كغراب ويقال وكاف بالواو وهو رحل يوضع على ظهر
الحمار المركوب يحمله وهو البرذعة وهذا من حديث رواه ابو داود والبيهقي قال
اي انس بن مالك وكان يدعي الى خبز الشعير والاهالة السنخة الاهالة بكسر
وتخفيف الهاء ولام وهو كل ما يؤتدم به من الدهن او ما يذاب من الالية او الدسم الجامد
والسنخة بفتح السين المهملة وكسر النون وفتح الخاء المعجمة وهاء بمعنى متغيرة الرائحة
يقال سنخ الدهن وزنخ اذا تغير فيجيب دعوة من دعاه وهذا الحديث رواه الترمذي
في شمائله وابن ماجة في سننه قال انس ايضا وحج صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة
في حجة الوداع كما في البخاري يدل عليه قوله وقد فتحت الارض عليه على رحل رث
الرحل للجمل كالسرج للفرس فيختص به ورث بفتح الراء المهملة وتشديد المثلثة بمعنى بال
خلق وعليه قطيفة اي كساء من صوف له خمل ما تساوي اربعة دراهم اي لو قومت
لم تكن قيمتها اربعة دراهم ويقال هذا يساوي ويسوى كذا القيمة والحج من اعظم شعائر
التواضع واظهار الافتقار الى الله ومنع النفس من التلذذات والملابس ولذا شرع الاحرام
فيه والتجرد في الموقف المقتضي والعرض على الله وهذا من محاسن التشريع والارشاد
للاخلاص ولذا تمم فقال اللهم اجعله اي اجعل حجي هذا حجا لا رياء فيه ولا سمعة

بالخالص

بل خالصا لوجهك الكريم والرياء مشتق من الروية وهو ما يفعل من عبادة ونحوها لاجل ان يراه
الناس فيمدحوا صاحبه به والسمعة بضم فسكون ما يفعل ليشيع ويسمع الناس به وهما
بمعنى بحسب الماصدق وان اختلف مفهوماهما ومنهم من فرق بينهما بان عبد السلطان اذا
عمل عملا ليراه سيده وحده رياء لا سمعة ومن اشاع امرا لم يره سمعة لا رياء فيه وقال القرافي
في قواعده الرياء موجب للاثم والبطلان عند كثير لظاهر قوله وما امروا الناس فقط ويسمى
رياء الاخلاص وهو لاغراض شتى والتشريك كمن جاهد طاعة لله مع قصد الغنيمة وهذا
يضر بنقص الثواب ولا يحرم بالاجماع بخلاف من فعل ليقال انه شجاع او ليحظى عند الامام
او يكثر عطاؤه وهو محرم ليس كقصد الغنيمة من العدو ومن حج وشرك مع الحج المتجر لا يأثم
ولا يقدح ذلك في صحة حجه ولو كان جل قصده او كله التجارة كمن صام ليصح بدنه ويحمي
نفسه لا يقدح في فعله لان الشارع امر به في حديث يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة
فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء اي قاطع للشهوة فامر بالصوم
لغرض اخر غير العبادة ولو كان قادحا لم يامر به كمن توضا للتبريد والتنظيف فان فيه
اغراضا ليس فيها تعظيم غير الله بفعله فانه هو المضر انتهى والنبي صلى الله عليه وسلم
معصوم من الرياء والسمعة ولما دعا بذلك تعظيما للامة وتواضعا كقول يوسف وما
ابرئ نفسي لان التقشف قد يدخله الرياء باظهار الزهد هذا اي فعله هذا واختياره رث
اللباس والمركب ليس عن عجز وقد فتحت عليه الارض فتح يتعدى بعلى لما فيه من الاستعلاء وهو
من الله كانه افاضه عليه وفتح الارض ان اريد به بعضها كالحجاز فظاهر وان اريد
جميعها فقد يحمل تمكينه منها بمنزلة وقوعه وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم انه قال
اتيت بمقاليد الدنيا على فرس ابلق عليه قطيفة سندس وفي رواية بمفاتيح خزائن
الارض فوضعت بين يدي وهو محمول على ظاهره وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو
او هو كناية عن ان الله مكنه من ذلك ولو اراده صرفه بالفعل فيها وقاد جميع اهلها وما
فيها له واهدى في حجه ذلك مائة بدنة اهدى بمعنى بعث الهدية بوزن الرمي
مخففا لياء وقد تشدد فتكسر داله وهو ما يرسل للبيت الحرام لينحر فيه ويتصدق به
من الابل والبقر وكذا البدنة تطلق على الجمل والناقة والبقرة واكثر ما يطلق على
الابل وقد تسمى الابل مطلقا هديا وسميت بدنة لكبر بدنها وفي البخاري لما حج
النبي حجة الوداع اهدى مائة بدنة نحرها وقسم لحمها وجلودها وجلالها ونحر
بيده منها ثم امر عليا بنحر باقيها واختلف فيما نحر بيده اهو ثلاث وثلاثون ام ستون ولما
فتحت مكة ودخلها بجيوش من المسلمين وذلك في شهر رمضان ثالث عشره او سادس
عشر او ثامن عشره وصحح النووي انه تاسع عشره واختلف في الجيش ايضا فقيل اثني
عشر وقيل عشرة الاف وقيل ثمانية طاطا على راحلته راسه حتى كاد يمس قادمة
الرحل له مقدم ومؤخر مرتفع عن محل الراكب وفيهما لغات قادم وقادمة ومقدم ومقدمه
بكسر الدال المخففة وفتحها مشددة وكذا اخرة الرحل تواضعا لله تعالى ومن تواضعه
انه ركب الجمل دون الفرس وعلى راسه مغفر فوقه عمامة سوداء واردف خلفه اسامة
ومن تواضعه قوله لا تفضلوني على يونس بن متى قال شيخ مشايخنا الجلال
السيوطي لم اقف عليه بهذا اللفظ والذي في البخاري عن ابن مسعود لا يقولن احدكم

ه
له
دس

اني خير من يونس بن متى وفي سنن ابي داود ما ينبغي لنبي ان يقول انا افضل من يونس
بن متى وفي الصحيحين لعبد بدل النبي وفي رواية لا اقول ان احدا افضل الخ انه سبح الله
في الظلمات وفي البخاري ونسبه لابيه وفيه اشارة الى ان متى بفتح الميم وتشديد التاء مقصور
اسم ابيه وقيل معناه انه ذكر اسم ابيه بدل متى اسم امه وهذا هو المشهور وانه لم ينسب لامه
الا يونس وعيسى واختلف في المراد منه فقيل انه قاله تواضعا منه وان كان هو افضل
من جميع الرسل بالاتفاق وكلام المصنف يميل لهذا فان الافضل قد لا يطلب تفضيل احد له وقيل
انه كان قبل ان يعلم بتفضيله والاذن فيه لقوله تع تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض وخص
يونس لئلا يتوهم احد تنقيصه اذا سمع قصته وقوله ولا تكن كصاحب الحوت وقصته مفصلة
في التفسير **و** قوله **لا تفضلوا بين الانبيا** لاينا في هذه الاية لان المنهي عنه تفضيل
يودي الى التنقيص والخصومة والنزاع او التفضيل من ساير الوجوه لانه قد يكون في المفضو
ما ليس في الفاضل او التفضيل في نفس النبوة لا في الخصايص وعموم الرسالة والا فيجب
علينا اعتقاد افضليته لقوله انا سيد ولد آدم وقوله ان الله اختارني على جميع العالمين
من الانبيا والمرسلين **ولا تخيروني على موسى** اي لا تقولوا اني خير منه وافضل وخصه
لئلا يظن احد تنقيصه لقوله فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان والقول
الظاهر لا تفضلوا تفضيلا يودي للنزاع والمخاصمة فان هذا من بعض حديث في الصحيحين
ان رجلا من المسلمين استب مع يهودي فقال اليهودي والذي فضل موسى على العالمين
فلطمه فاشتكى للنبي فقال ذلك وسياتي الكلام على هذا **ونحن احق بالشك من ابراهيم**
اذ قال رب ارني كيف تحيي الموتى وحمله بعضهم على ظاهره وانه كان قبل البعثة في سن
الطفولية ومن قال بعصمة الانبيا مطلقا قال انه نفي للشك لا اثبات له وانما قاله
على سبيل التواضع اي نحن احق بالشك منه لو شك ولكنه لم يشك فكانه قال انا لا
اشك فكيف ابراهيم وقيل انما قاله جوابا لمن قال شك ابراهيم ولم يشك نبينا والا نافي
بين القولين وسيشير اليه المصنف في القسم الثالث وقيل يصح ان يكون المراد انه احق
بالشك منه اولم تومن قال بلى الخ وتسميته شكا بالنظر للظاهر لاقتضايه عدم الاطمينان
وهو ينافي عدم التردد والشك ولذا احتيج لتاويله بان الخليل قطع بالقدرة على احيا الموتى
بدليل قطعي لكنه اشتاق لمشاهدة كيفية هذا الامر العجيب الذي جزم بثبوته فنفسه
لا تطمين حتى يشاهده قال ابن ابي شريف وهذا التاويل يشير الى ان المطلوب بقوله ولكن
ليطمين قلبي سكون قلبه عن المنازعة الى روية الكيفية المطلوبة التي تمناها ليحصل له
العلم البديهي بعد العلم النظري ولما كان هذا الشك ظاهرا جايزا على الانبيا قال صلى
الله عليه وسلم ما قاله كناية عن انه جايز منه الا انه اورده بهذه الصورة تادبا مع الله
وان لم يكن احق بذلك الشك منه وكيف يتصور جوازه عليه وعلي يقول لو كشف الغطا
ما ازددت يقينا الا ان في هذا اشكالا اورده ابن العماد لاقتضايه تساوي علمه البديهي
والنظري فيتجاوز المقام الخليلي وقد اجاب عنه في كتاب كشف الاسرار فقال قال العز
بن عبد السلام المراد ما ازددت يقينا بالايمان وان كان اذا راها ابصر من التفاصيل والهيئا
ما لم يحط به قبل ذلك علما وكذلك ابراهيم لما راى كيفية لم يزدد يقينا بالايمان بقدرته
تع على الاحيا وان وقف بمشاهدة كيفية الاحيا على ما لم يقف عليه من الايمان كمن راى

بنا عجيبا وعرف متابعة علم قدرته وصنعه وتحققه وان لم يعرف كيفية بنايه وصنعه عمله
فاذا طلب مشاهدة عمله وراه لم يزد علمه بقدرته وصنعته وهيئته بذلك لكن اطمان قلبه بحصول
ما طلبه من كيفية صنعه وقال السبكي سيل الغزالي عن هذا فقال اليقين يتصور عليه الجحود
كما قال تع وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم والطمانينة لا يتصور عليها الجحود وهو جواب حسن
في الفرق بين اليقين والجحود انتهى وفيه نظر وقول ابن عباس هذه الاية ارجى اية في القران معناه
ان سواله الاحيا في الدنيا يدل على انا نحيى وننعم في الاخرة او ان الايمان بالغيب اجمالا كاف لنا **ولو
لبثت ما لبث يوسف في السجن لاجبت الداعي** لبث في السجن بضع سنين اي لبث
خمسا ثم سبعا بعد رويا الفتيين اللذين دخلا معه في السجن وقيل غير ذلك وورد في الحديث رحم
الله اخي يوسف لو لم يقل اذكرني عند ربك ما لبث في السجن سبعا بعد خمس اي لو لم يستعن بغير الله
ما طالت المدة والمراد باجابة الداعي اجابة رسول الملك الذي دعاه للخروج منه قال الكرماني
وصفه بالصبر حيث لم يبادر الى الخروج وقال ذلك تواضعا الا انه كان فيه مبادرة وعجلة لو
كان مكان يوسف والتواضع لا يصغر كبيرا بل يزيد قدره اجلالا وذلك منه صلى الله عليه وسلم
اشارة الى مقام التفويض وتلقي كل ما ياتي من الله بالقبول ورفض الوسايط والمعنى لو كنت مكانه
تلقيت دعوة الداعي مستعينا به تع مفوضا امري له وقد كان يوسف عبر رويا الفتيين ثم
رويا الملك فطلبه فلما جاءه الرسول ليخرجه من السجن لم يبادر للخروج وطلب الكشف عن امره
حتى يعلم انه مظلوم وقال القرطبي الوجه عندي في ذلك انه صلى الله عليه وسلم اخذ لنفسه
وجها اخر من الراي وهو ان يفعل امرا ليقتدى به فيه وهو ان يخرج سريعا ثم يبري ساحته
بالتنزيه من غير الحاح وهو الحزم ويوسف سلك مسلكا اخر وهو الصبر وقيل انه صلى الله عليه
وسلم لم يلتفت لما التفت له من براءة الساحة اكتفاء بعلم الله واعتقاده لانه يبري ساحته من
غير طلب منه في هذا المقام ولكنه قال ما قال تواضعا وفي يوسف ست لغات تثليث السين ثم
الهمزة وعدمه **وقال للذي قال له يا خير البرية ذاك ابراهيم** وهذا من تواضعه ايضا
والا فهو خير البرية من غير شك وليس فيه اخبار بغير الواقع اذ المعنى لا اقول ذلك الخبر النفسي
والبرية الخلق من برا بمعنى خلق لكن همزته منسية كما في الذرية والنبي والخابية وهذا
الحديث رواه مسلم في صحيحه وغيره وخص ابراهيم لان الله امره باتباع ملته في قوله واتبع
ملة ابراهيم **وعن عايشة والحسن وابي سعيد وغيرهم في صفته وبعضهم يزيد
على بعض** قدم عايشة لانها ادرى بحاله في بيته ولذا عقبها بالحسن بن علي لانه من اهل
البيت ايضا وابو سعيد الخدري كان يخدمه فلذا خص هولا ورتبهم الاقرب فالاقرب **كان
في بيته في مهنة اهله** خبر بعد خبر او بدل مما قبله بدل اشتمال والمهنة بكسر الميم وفتحها
الخدمة ماخوذة واختلف في ايهما الافصح والاكثر على انه الفتح والاشهر انه الكسر ليوافق الخدمة
لفظا ومعنى وانكر بعضهم الكسر والاصح انه لغة وانه ثابت بالوجهين **يفلي ثوبه** بيان
هو وما بعده لما قبله لان هذا ما ينبغي ان يفعله اهله ويفلي بفتح المثناة التحتية وسكون الفا
يقال فلاه يفليه كرماه يرميه اذا فتش ما فيه من قمل وغيره هذا اصله وهو يقتضي ان يكون
في ثوبه قمل وقد قالوا انه يكون تكرمة له ولانه يتولد من العفونة والعرق وجسده وعرقه
طيب لا يكون فيه عفونة والقول بان فيه قملا تنقيص لا ينبغي ان يقال الا ان نقل انه لم يكن

الذباب تعلق عليه وان القمل لا يؤذي بدنه تعظيما له وتكريما فقيل المراد بنفي اذيته
نفسه لانه من لوازمه وقيل انه كان فيه ولكن لا يؤذيه والاول مناف لحديث المتن ولما روى
ان ام حرام كانت تفلي راسه واللفظ شاهد لخلافه نعم نفي اذاه مستلزم لنفيه لان اذيته
بتغذيه من البدن فاذا امتنع غذاؤه لم يعش وحينئذ لم يكن في وجوده الا قذارته والاحتياج
لتفليه ولذا قيل المراد بتفليه تفتيشه لخرق فيه او لتعلق شي به من شوك ونحوه وكل ذلك
للتشريع واظهار التواضع واحتمال ان يكون القمل جاءه من غيره لكثرة مجالسته الفقرا لا ياباه
فلي ام حرام لراسه كما قيل على انه يحتمل انها كانت تفحص عن هذا وانها لم تجده **ويحلب شاته**
ويرقع ثوبه بفتح اليا وسكون الرا المهملة وفتح القاف المخففة ويجوز الضم والتشديد
الا ان الضبط بالاول لمناسبة ما معه ويرقع الثوب اي يضع فيما انخرق رقعة من غيره يسلكها
ويخصف نعله اي يخرزها وفي النهاية انه تطبيق بعض جلود النعل على بعض وهو في
قوله تع يخصفان عليهما من ورق الجنة استعارة من هذا واصل معنى الخصف الضم والجمع **ويقم**
البيت اي يكنسه ويزيل قمامته من قم يقم بضم القاف اذا كنس **ويعقل البعير** اي يربطه
من رجله بالعقال ويعقل بوزن يضرب **ويعلف ناضحه** بنون وضاد معجمة وحا مهملة وهو
البعير الذي يستقي عليه من النضح **ويخدم نفسه** اي يفعل ذلك كثيرا الا دايما مع كثرة
عبيده وخدمه وتشوق الناس لخدمته لكنه يحب فعل ذلك تواضعا وتشريعا **ويأكل مع**
الخادم الخادم من يتعاطى الخدمة ذكرا او انثى حرا او عبدا واكل الانسان مع خادمه سنة
قال القاضي زكريا في شرح الروض ان السنة ان يجلسه معه ويلبسه من لباسه فان ابى فليناوله
من ماكله ومن الغريب ما نقل عن الشافعي انه واجب للامر به في الحديث وفيه نظر **ويعجن**
معهم الضمير للخادم لانه يطلق على الانثى كامرئ والعجين من عمل النسا **ويحمل بضاعته**
بكسر الموحدة وهي ما يشتريه **من السوق** وفيه دلالة على انه كان يدخل السوق قالوا وهو
عادة الانبيا قال تع وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام ويمشون في
الاسواق ولذا كان داب الصحابة لا ينافيه احب البقاع الى الله المساجد وابغضها اليه الاسواق
لان المراد بعض ما فيها او النهي عن الجلوس فيها من غير حاجة **وعن انس** بن مالك خادم النبي صلى
الله عليه وسلم وهذا الحديث رواه البخاري تعليقا ووصله ابن ماجة **ان كانت الامة من اماء**
المدينة بكسر همزة ان المخففة من الثقيلة كقوله وان كانت لكبيرة وهي مهملة او اسمها ضمير شان
مقدر **لتاخذ بيد رسول الله لتنطلق به حيث شاءت** اي تمسك يده وتذهب معه الى اي
محل تريد لاجل حاجتها **حتى تقضي حاجتها** وليس فيه افراط في التواضع المذموم لان
قضاء حاجة المسلمين امر محمود ودخل عليه رجل فاصابته رعدة بكسر فسكون لخوفه من مهابته
اذ كان لم يره قبلها واعاد هذا الحديث لما فيه من الزيادة والرعدة ان يرجف ويضطرب **فقال**
له هون عليك امر من التهوين اي عد ما رايته امرا هينا غير صعب تخشى منه اي لا تخف
ولا تفزع **فاني لست بملك من الملوك** الجبابرة التي تخشى بوادرهم **انما انا ابن امراة**
تاكل القديد هو اللحم الذي يقطع ويجعل في الشمس حتى ييبس وكانت عادة العرب اكله
وهكذا عادة فقرائهم فكانه كنى به عن عدم تكبره وتجبره وترفعه **وعن ابي هريرة**
قال السيوطي هذا الحديث رواه الطبراني في الاوسط بسند ضعيف قال **دخلت السوق**

مع النبي

مع النبي صلى الله عليه وسلم فاشترى سراويل في حواشي الشمني ذكر المصنف اشتراءه
للسراويل الا انهم قالوا انه لم يثبت انه لبسها ولكنه اشتراها ولم يلبسها وقال ابن القيم في
الهدي انه لبسها فقالوا انه سبق قلم وقال السيوطي في فتاواه قد رايت الحديث الذي ذكره
المصنف في معجم الطبراني الاوسط ومسند ابي يعلى وفيه انه لبسها ولفظه عن ابي هريرة قال
دخلت يوما السوق مع رسول الله فجلس الى البزازين واشترى سراويل باربعة دراهم وكان لاهل
السوق وزان فقال له زن وارجح واخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم السراويل فذهبت لاحملها عنه
فقال صاحب الشي احق بشيه ان يحمله الا ان يكون ضعيفا فيعجز عنه فيعينه اخوه المسلم يا رسول
الله وانك لتلبس السراويل قال اجل في السفر والحضر وبالليل والنهار فاني امرت بالستر فلم
اجد شيا استر منه اخرجه من طريق ابن زياد الواسطي واخرجه احمد وفي سنده ابن زياد وهو
وشيخه ضعيفان انتهى • اقول يجبر ضعفه بمتابعته ومنه يعلم ان تخطية ابن القيم لا وجه
لها وكون الثمن اربعة دراهم هو المروي لا ما في الاحيا انه بثلاثة وكونه اشتراها ولم يلبسها
بعيد جدا وقد لبسها عثمان وهو محاصر فضلا رشيدة والسراويل يذكر ويؤنث ولم يعرف فيه
الاصمعي الا التانيث وجمعه سراويلات وهي مصروفة في النكرة عند سيبويه فان سمي
بها رجل لم تنصرف وكذا ان صغرت بعد التسمية لانها مونثة على اكثر من ثلاثة احرف كعنيق فان
صغرت من غير علمية صرفت وقال الجوهري من النحويين من لا يصرفه في النكرة ايضا لانه
عنده جمع سروالة وانشد • عليه من اللوم سروالة • ويقول ابن مقبل
فتى فارسي في سراويل رامح • والعمل على الاول والثاني اقوى انتهى ومن رد قول
من قال انه ممنوع من الصرف بالاتفاق وقول الحديثي انه لم يصح انه جمع في الاصل لمحضا
للضبع فتعتبر فيه الجمعية الاصلية قال ولذا اضطربوا فيه فقيل انه اعجمي معرب سروال
حمل على موازنه في العربية كمصابيح وقيل عربي جمع سروالة تقديرا وهي لغة في سراويل ويقوي
عجمته لانه لا نظير له في العربية وعلى هذا اقتصر الجواليقي في معرباته الا انه قيل انه معرب
شلوار بالمعجمة والاشهر انه معرب سراويل اي ببدل الرا نونا لان سر معناه الراس وواو
معناه مثلي **وقال للوزان** الذي يزن الدراهم وينقدها وهو الصيرفي **زن وارجح**
اي زن لصاحب السراويل ثمنها وزد عليه حتى ترجح الميزان بزيادة الكفة التي فيها الدراهم
وبهذا استدل الامام مالك على جواز هبة المجهول وفيه نظر لانه من حسن القضا وكلام
ابي حنيفة في الهبة المحضة والرجحان نزول كفة الميزان لزيادة ما فيها **وذكر القصة**
كما سمعتها آنفا **قال** اي ابو هريرة راوي هذا الحديث فقال الوزان هذه كلمة ما سمعتها
من احد فقال له ابو هريرة كفى بك من الوهن والجفا في دينك انك لا تعرف نبيك **فطرح**
الميزان ووثب اي قام بسرعة **الى يد النبي صلى الله عليه وسلم يقبلها** اي قام ليقبل
يده لما راى منه ولمعرفته انه رسول الله **فجذب** اي نزع صلى الله عليه وسلم **يده** من يده
وقال هذا اي تقبيل اليد امر **يفعله الاعاجم بملوكها ولست بملك انما انا رجل منكم**
معاشر العرب او الناس وهذا من تواضعه صلى الله عليه وسلم او لانه علم انه انما قبل يده لامر
دنيوي فتقبيل يد الرجل لعلمه او صلاحه او شرفه سنة مستحبة وقد كان الصحابة يقبلون
يده ويد الخلفا وقيل لبعض المشايخ اتقبل يد المشايخ فقال انهم رياحين الله فشموها بالتقبيل
ثم اخذ رسول الله بيده السراويل ليحملها بنفسه **فذهبت لاحمله** اي شرعت في حمله عنه

يقال ذهب يفعل كذا وقام يفعله اذا شرع في الفعل ولذلك عدت من افعال المقاربة
فليس المراد بالذهاب معناه المشهور وضمير لاحمله للسراويل لانه يجوز تذكيره وتانيثه
فقال اي النبي صلى الله عليه وسلم لابي هريرة **صاحب الشي احق بشيه ان يحمله** بدل
من شيه اي احق بحمله من غيره وهذا من تواضعه صلى الله عليه وسلم واقتدي به الصحابة
فكان الخلفا منهم يحملون امتعتهم في السوق كما فصله الغزالي في الاحياء

فصل واما عدله صلى الله عليه وسلم

العدل مصدر معناه العدول عن الظلم والجور ويكون بمعنى العادل فيستوي فيه الواحد والمذكر
وغيره ويجمع على عدول **وامانته** في كل شي يحفظه قولا كان او فعلا او غير ذلك مما يجعل عنده
وكونه موثوقا به في اموال الناس واحوالهم **وعفته** في نفسه بترك كل قبيح وترك السوال
والنزاهة عن كل شي **وصدق لهجته** اللهجة اللسان والكلام ويقال لهج بكذا اذا اولع به ولا
يخفى تقارب معاني ما ذكر ولذا جمعها في فصل فان في العدل عفة عن الظلم وفي الصدق امانة
على ما يسمع وعفة عن الكذب وهذا ظاهر لمن له بصيرة **فكان صلى الله عليه وسلم آمن الناس**
آمن بمد الهمزة بمعنى اكثرهم واشدهم امانة **واعدل الناس واعف الناس واصدقهم لهجة**
منذ كان اي من ابتدا خلقته الى نهايتها وكان تامة بمعنى وجد **اعترف له بذلك محادوه**
جمع محاد بتشديد الدال المهملة بمعنى المعادي والمخالف له الذي في حاد وجانب عنه ويكون
بمعنى المحارب قال ومن يحادد الله ورسوله **وعداه** بكسر العين جمع عدو او اسم جمع وهو في
الصفات وقد تضم عينه **قال ابن اسحق** محمد بن اسحاق بن يسار صاحب السير كما تقدم وهذا
حديث صحيح رواه احمد في مسنده والحاكم والطبراني عن علي **كان** في ابتدا امره قبل نبوته
يسمي الامين لامانته وصدق قوله في جميع احواله **بما جمع الله له من الاخلاق الصالحة**
اي بسبب ما جمعه الله فيه من الاخلاق الصالحة الذي ابتغته الله او الباء بمعنى مع اي مع ما
جمعه الله له من الصالحات التي عرف بها عندهم **وقال تع مطاع ثم امين اكثر المفسرين**
على انه اي المطاع الامين في هذه الاية **محمد عليه السلام** وكثير منهم على انه جبريل كما يشهد
به سياق النظم ولذا ارتضاه المحققون وكونه عليه الاكثر فيه نظر **ولما اختلفت قريش**
وتحازبت بالحا المهملة والزاي المعجمة والموحدة اي صارت احزابا وفرقا لاختلاف
آرايهم ولو قيل تحاربت بالرا المهملة كما في السير انهم تخالفوا حتى اعتدوا للقتال ثم بدا
لهم فتشاوروا صح الا انه بعيد والنسخ مضبوطة خطا بخلافه **عند بناء الكعبة**
قال السهيلي كان بناوها خمس مرات • الاولى حين بناها شيث بن آدم • والثانية حين
بناها ابراهيم على القواعد الاولى • والثالثة حين بنتها قريش قبل الاسلام بخمسة
اعوام • والرابعة حين احترقت في عهد ابن الزبير بشرارة طارت من ابي قبيس او بشرارة طارت
من مجمر امراة ارادت ان تجمرها فتعلق باستارها فحرقها فشاوروا من حضرها في هدمها
فهابوه وقالوا يصلح ما انهدم منها فقال لو احترق بيت احدكم لم يرض له الا بكمال صلاحه ولا
يكمل صلاحها الا بنقضها فهدمها حتى افضى الى قواعد ابراهيم فامرهم ان يزيدوا في الحفر
فحركوا حجرا منها فراوا تحته نارا افزعتهم فامرهم ان يقروا القواعد وان يبنوها من حيث
انتهى الحفر الى ان قام عبد الملك بن مروان فهدمها وبناها • فهذه المرة الخامسة ولا منافاة

بينه وبين ما في التواريخ من ان الخامسة بناء الحجاج لانه كان بامر عبد الملك
لانه اميره وكان ارسله لمحاربة ابن الزبير وقيل غير ذلك والكلام مفصل في تاريخ
مكة **فيمن يضع الحجر** الاسود في موضعه ويرفعه لما في مباشرة ذلك من الشرف والجار
والمجرور متعلق باختلفت **حكموا** بفتح الحاء وتشديد الكاف اي ارتضوا بان يكون الحاكم في
ذلك **اول داخل عليهم** وحكموا جواب لما **فاذا بالنبي صلى الله عليه وسلم** اذا فجائية اي
فاجاهم دخوله بغتة من غير طلب وميعاد منهم **داخل وذلك قبل نبوته** وهو ابن خمس
وثلاثين سنة وقيل خمس وعشرين سنة او حين بلغ الحلم ولا شك في ان هذا كان قبل
النبوة والاول اصح **فقالوا هذا محمد الامين قد رضينا به** حكما في هذه القضية فلما
انتهى اليهم ذكروا ذلك له فقال ابتوا بثوب وضعوا فيه الحجر وارفعوه جملتكم من كل بيت
رجل فلما فعلوا وضعه بيده ثم بنى عليه فكان شرف الوضع له وكان مع العباس ينقلون
الحجارة فقال له العباس اجعل ازارك على رقبتك ليقيك الم الحجارة فلما فعل انكشف
منه ما لا بد من ستره فخر مغشيا عليه وطمح عيناه الى السما فقال ازاري فشد عليه
ازاره لانه نودي يا محمد غط عورتك فلم تر له عورة بعده ولا قبله وروي انه وقع
مثله وهو يلعب صغيرا **وعن الربيع بن خثيم** بضم الخا المعجمة وفتح المثلثة وسكون
اليا المثناة التحتية والميم وهو الربيع بن خثيم بن عايذ بن عبد الله بن موهب ابو يزيد
الثوري ينسب الى ثور بن عبد مناه بن اد بن طابخة بن الياس بن مضر وينسب الثه
سفيان وغيره والربيع يروي عن ابن مسعود وابي ايوب وروي عنه خلق كثير وكان
ثقة عابدا زاهدا واخرج له اصحاب الكتب الستة وتوفي في سنة وستين **كان**
يتحاكم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجاهلية فسر الجاهلية بقوله **قبل الاسلام**
لانها تطلق بهذا المعنى في الاكثر وهذا شاهد له والمراد قبل بعثته وتطلق الجا
كما في النهاية على صفاتهم وان كانت في الاسلام كقوله في الحديث انك فيك جاهلية
وحقيقتها الاولى وهذا معنى مجازي اللهم الا ان يراد بها المعنى اللغوي وهو النسبة
الى الجهل مطلقا فيكون حقيقة وهذا نظر ابن حجر في شرح البخاري ويتحاكم بضم المثناة
مجهول اي يتحاكم اليه قريش او العرب وقول الربيع هذا رواه ابن سعد وله حكم الرفع وتحا
كمهم اليه يدل على عدله وانصافه **وقال صلى الله عليه وسلم والله اني لامين في السما امين**
في الارض يعني انه مشهور بذلك بين الملا الاعلى وبين اهل الارض لانه لم يتهم
قط بكذب وجور في احكامه وهذا الحديث رواه ابن ابي شيبة في مسنده عن ابي رافع
وفيه دليل على جواز مدح الانسان نفسه موكدا بالقسم واعاد امينا لاختلاف الاما
نتين **حدثنا ابن سكرة ابو علي الصدفي بقراتي عليه** تقدمت ترجمته وحكمه **حدثنا ابو**
الفضل بن خيرون تقدم انه احمد بن الحسن بن احمد بن خيرون الحافظ وان خيرون
ممنوع من الصرف **حدثنا ابو يعلى بن زوج الحرة** تقدمت ترجمته **حدثنا ابو علي السنجي**
تقدم ضبطه وترجمته **حدثنا محمد بن محبوب المروزي** محمد بن احمد بن محبوب راوي
جامع الترمذي كما تقدم **حدثنا ابو كريب** بضم الكاف وفتح الراء المهملة ويا تصغير وبا
موحدة وهو الامام الحافظ محمد بن العلا الهمداني اخرج له الستة ووثقه النسائي
وغيره توفي سنة ثمان واربعين ومايتين **حدثنا معاوية بن هشام القصار الكوفي**

هلية

كهم

نتين

الثقة وقال ابن معين صالح وليس بذاك توفي سنة خمس وعشرين ومائة **عن سفيان**
الثوري فيما يظهر الا ان المزي والذهبي لم يقيداه **عن ابي اسحاق** عمرو بن عبد الله الهمداني
السبيعي احد الاعلام **عن ناجية** بنون وجيم **بن كعب** العنزي او الاسدي الثقة وتوقف
ابن حبان في توثيقه وله ترجمة في الميزان **عن علي** بن ابي طالب رضي الله عنه وهذا الحديث
رواه الترمذي كما ذكره المصنف وانفرد باخراجه من طريقين احدهما ما ذكره المصنف والثانية
عن اسحاق بن منصور عن ابي مهدي عن سفيان عن ابي اسحاق عن ناجية قال وهذا
اصح وكذا رواه عبد العزيز ابن ابي عثمان **ان ابا جهل** بن هشام فرعون هذه الامة
قال للنبي صلى الله عليه وسلم انا لا نكذبك ولكن نكذب ما جئت به فانزل الله فيما
قاله وهو سبب نزول هذه الاية **فانهم لا يكذبونك الاية** ولكن الظالمين بايات
الله يجحدون وروى ابو ميسرة انه صلى الله عليه وسلم مر بابي جهل واصحابه فقالوا والله
يا محمد ما نكذبك وانك عندنا لصادق ولكنا نكذب ما جئت به فنزلت هذه الاية وقرئ
يكذبونك مخففا ومشددا فقيل معناهما واحد لانه يقال كذبته واكذبته كحزنته واحزنته
واختار ابو عبيدة قراءة التخفيف وهي مروية عن علي وقيل معنى يكذبونك بالتشديد اي
ينسبونك الى الكذب ويردون ما قلته ومعناه بالتخفيف يجدونك كاذبا كما تقول بخلته
اذا وجدته بخيلا والمعنى على التشديد لا يكذبونك بحجة وبرهان قيل في كلام المصنف اشارة
الى دفع التناقض في الاية فانه قال اولا انهم لا يكذبونه ثم اخبر انهم يجحدون ما جاء
به من الايات وجاحد كلامه مكذب له ويجحدون مضمن معنى يكذبون ولذا عداه
بالباء وهو متعد بنفسه ويدل على انهم كذبوه قوله بعد ولقد كذبت رسل من قبلك فليس المراد
لا يكذبونك نفي تكذيبه مطلقا فاما ان يقال في دفع توهم التناقض ان معنى لا يكذبونك
بالتشديد لا يحملون عليك بان ينسبوك الكذب لانك موصوف بالصدق عندهم في جميع
شؤونك ما عدا قولك الذي جئت به من عند الله وهو الايات فانهم يجحدونه وهذا مراد
المصنف في استشهاده بهذه الاية او يقال المراد انهم لا يكذبونك في الحقيقة ونفس الامر
وفي نفوسهم اذا خلوا ولكنهم يظهرون التكذيب حسدا وبغيا او انهم لا يكذبونك
اذا امعنوا النظر وتدبروا ولكنهم عموا عن نور الهداية انتهى وفي الاية كلام فصلناه
في حواشي البيضاوي **وروى غيره** اي روى غير الترمذي او الصدف في هذا الحديث زيادة
وزيادة الثقة مقبولة **لا نكذبك وما انت فينا بمكذب** اي معروف بالكذب في
غير هذا **وقيل ان الاخنس بن شريق** بن ثعلبة الثقفي الصحابي واسمه ابي وهو بهمزة
وخاء معجمة ونون وسين مهملة بزنة افعل التفضيل وشريق بفتح الشين المهملة وقاف
على وزن فعيل وهو قديم الوفاة كذا قاله البرهان الحلبي وقال التلمساني انه حليف
قريش قتل يوم بدر كافرا يعني به شريقا او الاخنس وهذا الحديث رواه ابو اسحاق
والبيهقي عن الزهري واخرجه ابن جرير عن السدي **لقي ابا جهل يوم بدر** وكان يوم
الجمعة سنة اثنين من الهجرة في تاسع عشر رمضان **فقال له يا ابا الحكم** بفتحتين
وهذه كنيته القديمة ثم غلب على كنيته بابي جهل **ليس هنا غيري وغيرك يسمع كلامنا**
تخبرني عن محمد جملة خبرية والمراد اخبرني عنه **صادق ام كاذب** يعني اصادق
ام فحذف الهمزة تخفيفا والاستفهام حقيقي او تقريري **فقال ابو جهل والله ان محمدا**

المعجمة وكسر الراء صح

لصادق وما كذب محمد قط هذا يدل على انهم لا يعتقدون كذبه **وسال هرقل عنه**
بكسر الهاء وفتح الراء وسكون القاف ويقال باسكان الراء بين كسرتين وهو علم غير منصرف
قال البرهان هلك على كفره وفي الاستيعاب انه صحابي قيل وهو ما اول **ابا سفيان**
صخر بن حرب بن امية القرشي الاموي اسلم يوم الفتح فكان من المؤلفة ثم حسن اسلامه وكان
رئيس قريش واكثرهم مالا وقصة ابي سفيان مع هرقل مشهورة مروية في الصحيحين
مفصلة في اول باب في البخاري وكان النبي صلى الله عليه وسلم كاتبه في سنة ست
فلقيه رسول الله بحمص فلما قراه الكتاب امر مناديا ينادي الا ان قيصر قد اسلم واتبع محمدا
وترك النصرانية فهاج جنده وتسلحوا فامر مناديا ينادي الا ان قيصر راض بدينه وهو
راض عنكم ثم قال لرسول الله اني مغلوب على مملكتي وكتب الى رسول الله اني مسلم وبعث
له دنانير فقال كذب عدو الله لانه علم انه ليس قوله عن صميم قلبه ولو سلم فداواه بانه
راض رده فلذا قالوا ان القول باسلامه بناء على ظاهر قوله واه وقد قاتل المسلمين يوم
موته وواعدهم ان ياتيهم في العام المقبل فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم لاجله الى
تبوك فلم يجئ واخذت منه البلاد وهلك سنة عشرين بالقسطنطينية على نصرانيته
وقوله **فقال** اي ابو سفيان **هل تتهمونه** اي وقع في قلوبكم انه صدر منه كذب في اقواله
قال في الاساس وهمت الشيء اهمه وهما وتوهمته وقع في خلدي وشيء توهم ومتوهم انتهى
وانما سالهم عن توهم الكذب ولم يقل هل علمتم وتحققتم لانه يعلم من انتفاء التوهم انتفاء غيره
بالطريق الاولى **بالكذب قبل ان قال ما قال قال لا** فقال هرقل قد عرفت انه لم يكن ليدع
الكذب على الله وانما لم يقل انه يكذب لئلا يانس الناس عليه الكذب وهو عار عند العرب او يقول
ما لا يقبل منه ثم قال ابو سفيان الا اخبرك عنه صدوق العرب عنه قال ما هو قال انه يزعم انه
خرج في ليلة من الحرم الى مسجد ايليا ثم رجع فيها قبل الصباح وعنده بطريق ايليا فقال صدق
اني كنت لا انام حتى اغلق ابواب المسجد فلما كانت تلك الليلة اغلقت ابوابها غير باب منها
غلبني فاستعنت بمن حضرني فلم يمكنهم تحريكه وقالوا انه سقط عليه البنا فلما اصبحت غدوت
عليه فاذا الحجر في زاويته منقوب فيه اثر ربط دابة فقلت ما حبس هذا الباب الليلة الا
على نبي فقد صلى في مسجدنا فقال قيصر يا معشر الروم الم تعلموا ان بعد عيسى نبيا بشركم
به وكنا نرجو ان يكون فينا فجعله في غيرنا وهو رحمة من الله يضعها حيث شاء ولم يعتد ولم
يتصدق هذا حتى يكون مؤمنا لتلبسه بما يخالفه قولا وفعلا قلت وبهذا علم ان مراد ربط
البراق بالمسجد الاقصى صحيح وسئل ابا سفيان عنه اسئلة اخرى مذكورة في البخاري
وقال النضر بنون مفتوحة وضاد معجمة ساكنة وراء مهملة **ابن الحارث** في حديث
رواه ابن اسحاق والبيهقي عن ابن عباس والنضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بفتح
الكاف بن عبد مناف القرشي وكان شديد الاذية للمسلمين فظفر به النبي صلى الله عليه وسلم
ببدر صبرا فرثته اخته قتيلة بابيات مشهورة اولها

يا راكبا ان الاثيل مظنة … من صبح خامسة وانت موفق

وقيل انها مصنوعة وقتيلة بالمثناة الفوقية مصغرة اختلف في اسلامها وكونها صحابية
قد كان محمد فيكم غلاما حدثا بفتحتين قال الجوهري فان ذكرت السن من الحدوث
لقرب عهده بالوجود والغلام الذي لم يبلغ **ارضاكم فيكم** اي اكثركم رضى وصبرا وافعالا

مرضية **واصدقكم حديثا واعظمكم امانة** منصوب هو وما قبله على التمييز وهذه شهادة
العدو وفابالك بغيره **حتى اذا رايتم في صدغيه الشيب** الصدغ ما بين لحظ العين والاذن
والشعر الذي فيه من اعلى العذار وجانب الراس كبيرا ما بين والشيب فيه قبل غيره فكنى بذلك
على انه تمت رجوليته وكمل عقله بمجاوزته سن الشباب وهذا اشد في الانكار عليهم **قلتم ساحر**
اي قلتم انه ساحر فهو خبر مبتدا مقدر اي هو ساحر بدليل قوله **والله ما هو بساحر** وهذا منه
غاية الانصاف ولكن غلب عليه الشقا فقتل صبرا بالصفرا كما في منصرف بدر بالصفرا
كما ذكره الشيخان عن عائشة وهذا الحديث رواه ابن اسحاق والبيهقي عن ابن عباس والذي قال
انه ساحر الوليد بن المغيرة وسبب قول النضر ان ابا جهل لما اراد ان يرضخ راس رسول الله
صلى الله عليه وسلم بحجر فتمثل له جبريل في صورة فحل فمنعها رتبا ويبست يده على الحجر كما ياتي
فلما سمع ذلك النضر قال يا معشر قريش والله قد نزل فيكم امر ما انتم فيه بحيلة بعد قد كان فيكم
محمد الى قوله ما هو بساحر وقد راينا السحرة نفثهم وعقدهم وقلتم كاهن والله ما هو بكاهن وقد
راينا الكهنة وسمعنا سجعهم وقلتم شاعر والله ما هو بشاعر وقد راينا الشعر وسمعنا اصنافه
من هزجه ورجزه وقلتم مجنون والله ما هو بمجنون فما هو بخنقه ولا تخليطه ولا وسوسته فانظروا
في شانكم فانه والله قد نزل بكم امر عظيم والنضر بن الحارث كان من شياطين قريش وهو الذي
جا بقصة رستم واسفنديار وكان يجلس يحدث بها ويقول ما جا به محمد ليس باحسن مما جيت به
ان هو الا اساطير الاولين فنزل فيه واذا تتلى عليهم اياتنا قال اساطير الاولين في ايات اخر
وفي الحديث ما مست يده يد امراة قط لا يملك رقها وهذا من عفته وهذا الحديث رواه
الشيخان عن عائشة وسكت عن زوجاته لان جواز مسهن معلوم وانما يحرم مس الاجنبية التي
ليست بمحرم فيعلم جواز مس الرقيق بالطريق الاولى وقيل انه داخل في ملك الرق لتملكه البضع
وقد سمي بذلك في قوله انما التزويج رق المراة فلينظر ان يضع رقها ولا ينافي هذا ما مر من ان
الامة من اما المدينة تاخذ بيده فلا ينزع يده من يدها حتى تقضي حاجتها لانه كان بحايل بن كمه
او كمها وكلام هذا ورد في مبايعته للنسا فان بعضهم توهم انها كمبايعة الرجال باليد من غير
حايل فقالت رضي الله عنها انما كان يقول لمن هاجر من المومنات مما امر الله به في قوله يا ايها النبي
اذا جاك المومنات يبايعنك الى قوله غفور رحيم فبايعهن على ذلك فمن اقر به قال قد بايعتك
كلاما من غير مس ومما ورد في المبايعة من امساك ايديهن فان كان بيد من غير مصافحة فهو والا
فهو بحايل لانه ورد انه اتي بثوب ووضعه على يده وقال لا اصافح النسا وروي انهن كن ياخذن
بيده من فوق ثوب وفي المغازي عن ابان بن صالح انه كان في المبايعة يغمس يده في ماء في
اناء تغمس من بايعته يدها فيه وقيل انه بايع النسا بواسطة عمر بن الخطاب وكلام عائشة يقتضي
انه لم يبايعهن الا بالكلام فلعله تعدد **وفي حديث علي في وصفه اصدق الناس لهجة**
رواه الترمذي في شمايله وتقدم بيانه لعصمته عن الكذب ولو سهوا المنافاته للابلاغ ووجوب
تصديقه في كل ما يقول كما سياتي **وقال في الصحيح** اي في الحديث الصحيح او في صحيح
البخاري لانه حيث اطلق الصحيح ايده وهذا اولى **ويحك فمن يعدل ان لم اعدل خبت
وخسرت ان لم اعدل** وتقدم ضبطه على الخطاب والتكلم والكلام عليه الا ان الذي في البخاري
في باب الادب ويلك وقدم وقد فرق ابنهما فقال ويل كلمة زجر وتوبيخ وويح كلمة ترحم
وفي ويس ترحم دون ترحم وهو معنى قول الاصمعي انه تصغيرها وقيل اصل ويل وي زيدت فيها

اللوم وقد تقدم انه قال له لمن قال له ليس لمثلك يعدل وانه اختلف في اسمه وانه
عبد الله بن ذي الخويصرة التميمي او حرقوص بن زهير الخارجي او ذو الثدية وقد مر
الكلام فيه مفصلا فتذكره **قالت عائشة رضي الله عنها ما خير رسول الله صلى الله
عليه وسلم في امرين الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما كان ابعد
الناس منه** اعاد المصنف هذا الحديث وقد تقدم بعينه لما فيه من عدله وعفته فلا وجه
للاعتراض عليه والامران من امور الدنيا والخيران كان للناس فلا اشكال فيه وان كان الله
وهو الظاهر فالمراد بالاثم ما يودي الى وقوع امته فيه لان الله لا يخيره بين امر وغيره
كاختياره الرزق الكفاف على فتح الكنوز له ولامته فان الدنيا تشغلهم عن العبادة وتوقعهم
في المهالك وقد تقدم تفصيله **قال ابو العباس المبرد** وهو محمد بن يزيد بن عبد الاكبر امام
العربية وترجمته مشهورة في التواريخ وما نقله عنه انما ذكره ليعلم بذلك جلالة قدره
صلى الله عليه وسلم ومباينة حاله لحال اهل الدنيا وما هم عليه من اللهو فلا يرد عليه ما قيل
انه لا فائدة فيه **قسم كسرى** بكسر الكاف وقد تفتح وهو اسم لكل من ملك الفرس معرب خسرو
الا انه غلب على كسرى انوشروان الذي ولد في زمنه النبي صلى الله عليه وسلم لانه اشهرهم
واعظمهم **اياممه فقال يصلح يوم الريح للنوم** والتغطي حتى يسلم من مس الريح الشديد
المصدع **ويوم الغيم للصيد** الذي كان يتقيد به الملوك لعدم ما ذيه الشمس وحرها
ويقال له يوم فاختي وسنبلي **ويوم المطر للشرب واللهو** لقلة المصالح فيه والسلامة
من البلل والنظافة من الوحل والمراد باللهو سماع الغنا ومنادمة الندما **ويوم الشمس
للحوايج** وروي يوم الصحو اي خلو الجو من الغيم والمطر والمراد بالحوايج مصالح الناس
وهو جمع حاجة على خلاف القياس او جمع حايجة وانكره بعض اهل اللغة وقد رده الجوا
فانه ورد في كلام الفصحا كثيرا وفي الحديث اطلبوا الحوايج عند حسان الوجوه فلا وجه
لانكاره كما فصلناه في شرح الدرة وانما اختير للحوايج لعدم المانع فيه ومما اشتهر من انه
صلى الله عليه وسلم قال ولدت في زمن الملك العادل كسرى فقد قال الحافظ السخاوي
والصغاني انه لا اصل له فهو موضوع ولو صح لم يكن في وصفه بالعادل باس كما توهم
فانه كان لا يجوز على احد من رعيته ولا يظلمهم في حقوق الدنيا فعدله بالنسبة لابنا جنسه
كفره وظلمه لنفسه لجهله ومحبته للدنيا وقيل انه وصف بذلك لشهرته ادعاء منهم
لا انه شهد له بالعدل له حقيقة وذكر قصة طويلة لعدله **قال ابن خالويه** بفتح اللام
والواو وسكون المثناة التحتية والمحدثون يضمون اللام مع سكون الواو وفتح اليا
وهو الحسين بن محمد بن خالويه النحوي اللغوي الاديب الهمذاني دخل بغداد ثم انتقل الشام
وصحب سيف الدولة لتاديب اولاده واخذ العربية عن ابي بكر بن الانباري والسيرافي
وتصدر للافادة وله تاليف جليلة وشعر ومات سنة سبعين وثلثماية **وما كان اعرفهم**
اي الفرس الدال عليهم ذكر كسرى **بسياسة دنياهم** اي تدبير امورها لان هذا معنى
السياسة لغة قال ● فبينا نسوس الناس والامر امرنا ● اذا نحن فيهم سوقة نتنصف
وقول ابن كمال في رسالة التعريب انه معرب خطا **يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا
وهم عن الاخرة غافلون** يعني انهم عرفوا امر معاشهم وما يلايمهم وحركتهم وتقيدوا بذلك
وغفلوا عن المعاد وما يليق به وهذا مراده فيما اقتبسه كما قال الشاعر ●

حسن وما صح

م

مة

لبقي

ومن البلية ان ترى لك صاحبا • في صورة الرجل السميع المبصر •
فطن بكل مصيبة في ماله • واذا يصاب بدينه لم يشعر •

ويقرب منه ما قاله المفسرون نقلا عن ابن عباس انهم يعلمون امر معايشهم ودنياهم متى يزرعون ومتى يحصدون وكيف يغرسون ويبنون **ولكن نحتنا جزاء نهاره ثلاثة اجزاء** يعني انهم قسموا ايامهم والنبي قسم اوقاته وهو اكثر مما العدم ضياع جزء من عمره فيما لا يعنيه وشتان بين القسمين والمقسمين وفي نسخة لكن بدون واو **جزء الله** اي لعبادته وتلقي الوحي **وجزء الاهله** اي لمصالح اهله وبيته **وجزء النفسه** مخصوصا باكله وشربه ونحو ذلك من اموره الدنيوية وجزاء في المواضع الثلاثة يجوز نصبه ورفعه وكذا روي **ثم جزء جزؤه بينه وبين الناس** اي جعله قسمين قسم لخاصة نفسه وقسم الخاص به قسم له في نفسه وقسم ينظر فيه امور الناس وحوايجهم **فكان** صلى الله عليه وسلم **يستعين بالخاصة** من اصحابه وهم خلفاؤه ووزراؤه ومن تقرب منهم **على العامة من المسلمين ويقول** للخاصة **ابلغوا حاجة من لا يستطيع ابلاغي** اي اخبروني وقولوا الي ما يطلبه العوام ممن لا يقدر ان يبلغني حاجته اما لعدم الجراة على كلامه لهيبته او لعجزه عن الوصول اليه ثم رغب في ذلك فقال **فانه من ابلغ حاجة من لا يستطيع آمنه الله يوم الفزع الاكبر** وهو يوم البعث والحشر وحين يكون الناس كلهم في فزع اي خوف من العذاب وقيل هو يوم النفخة او يوم الانصراف الى النار وهذا من حديث هند بن ابي هالة آمنه بالمد بمعنى يجعله في امن من اهوال القيمة **وعن الحسن** بن علي كما رواه ابو داود في مراسيله **كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأخذ احدا بقرف احد** الاخذ مجاز عن العقوبة من اخذه السلطان اذا حبسه وجازاه على ما صدر منه والقرف بفتح القاف وسكون الراء المهملة والفاء التهمة واسناد الذنب وقال البرهان الحلبي يقال قرفت الرجل عبته واتهمته فهو مقروف وفي نسخة بقذفه بذال معجمة بدل الراء وكتب عليها **ولا يصدق احدا على احد** اي لا يحكم بصدق مقالة صدرت من احد في حق احد غيره باسناده اليه امرا يقتضي عقوبة او حقا من الحقوق بمجرد قوله من غير اثبات لمقالته وهذا من عدله صلى الله عليه وسلم وهذا ليس على عمومه فانه ربما كان المخبر ممن يعلم صدقه ويعتمد على خبره ويكشف بنور النبوة عليه الحال له **وذكر ابو جعفر الطبري** هو الامام محمد بن جرير الطبري المشهور وقد تقدمت ترجمته وهذا الحديث رواه البزار الى قوله برسالته واخرجه ابن راهويه بتمامه في مسنده والبيهقي في الدلايل كما في مناهل الصفا للسيوطي **عن علي ما هممت بشيء** وقد تقدم هذا الحديث والكلام فيه وانما اعاده المصنف لغرض آخر وهو بيان عفته عن اللهو وان الله عصمه عن ذلك من اول امره وقيل انما اعاده لزيادة فيه لم تذكر اولا وهي قوله **غير مرتين** الخ **مما كان اهل الجاهلية يعملون به** كما تقدم بيانه **كل ذلك يحول الله بيني وبين ما اريد من ذلك** استعار الحايل الحاجز بين شيء وشيء مانع كما في قوله تعالى يحول بين المرء وقلبه قال ابو عبيد اي يملك غلبة قلبه فيصرفه كيف يشاء وذلك الثاني اشارة لما كان عليه اهل الجاهلية والمعنى انه عصمه عنه **ثم ما هممت بسوء** اي صرف الله قلبي عن ان يهم بسوء اي بقبيح شرعا كاللهو حتى اكرمني الله برسالته اي ختم الله علي بالبعثة وجعلني نبيا رسولا ثم بين ما هم به في المرتين فقال **قلت لغلام كان يرعى معي** يعني انه صلى الله عليه وسلم كان يرعى غنما لبعض قريش في صغره وهكذا كان الانبياء يرعون لغيرهم ايضا والغلام

كان ا

كان اجيرا ايضا يرعى معه ويوافقه في البادية وفي هذا كسب حلال وتدريب لرعاية الخلق كما ورد كلكم راع ومسؤول عن رعيته مع ما فيه من الانس بالوحدة والخلوة وفي الحديث ما من نبي الا وقد رعى الغنم قيل ولا انت يا رسول الله قال نعم كنت ارعاها على قراريط بمكة وقيل حكمته اي رعي الغنم صعبة السياسة فكان ذلك ليانس سياسة الخلق والقراريط جمع قيراط وهو سدس درهم وقيل انه اسم جبل بمكة وانكروه لانه لم يسمع به تمثيل في الحديث ستفتح عليكم مصر فاستوصوا باهلها خيرا الحديث والقراريط فيه قيل انه لفظ المعنى وقيل انه تساب بينهم وقيل غير ذلك وعندي انه بمعنى مقدار الارض المعروف بينهم في المساحة لانه مخصوص بها واما غيره فلا اختصاص له بها وفي هذا معجزة له لاخباره بالغيب **لو ابصرت لي غنمي** اي لو حرستها وحفظتها لان البصر والنظر يستعار لذلك **حتى ادخل مكة فاسمر بها** سمر يسمر كقتل يقتل والسمر التحدث بالليل واصل معناه ضوء القمر من السمرة وهي السواد القليل فسمي به حديثهم لئلا يغلوا تسهم به فيه قال

كان لم يكن بين الحجون الى الصفا • انيس ولم يسمر بمكة سامر •

كما يسمر الشباب والشباب بفتح الشين مصدر شب بمعنى صار شابا او اسم جمع له كالعقود والشاب حديث السن كالفتى **فخرجت** من البادية التي فيها الغنم **حتى جئت اول دار من مكة** غاية لمجيئه من المرعى **سمعت فيها عزفا** بعين مهملة وزاي معجمة وفاء بزنة ضرب وهو ما يلهي الانسان وفي مختصر العين العزف اللعب بالمعازف وهي الملاهي وواحدها عزف على خلاف القياس او معزف والمعزف الطنبور والدف وقيل كل لعب عزف **فجلست انظر** ما يلعبون به والذين يلعبون **بالدفوف** بضم اوله وفتحه وتشديد الفاء وهو الذي تضرب به النساء وهو معروف ويسمى عند العامة دراجا وطارا وفيه شبه الجلاجل قال

كان في الدف الذي بفضله • دنما رد ق تغني بجلجله •

واختلف فيه فجوزه بعض الشافعية وكرهه مالك **والمزامير لعرس بعضهم فضرب على اذني فنمت** بكسر النون واذن بضمتين وضم فسكون تخفيفا وضرب الله على اذنه انامه النوم واصله منع السمع لان من نام لا يسمع وهو مستعار من ضرب الخيمة المطنبة لمن تحتها فكانه اذا نام تحت غطاء محجوب به عن السمع قال الراغب ضربت عليهم الذلة التحفتهم التحاف الخيمة لمن ضربت عليه ومنه استعير فضربنا على اذانهم في الكهف وفيه لطف هنا لانه ذهب ليسمع ضرب الدف فضرب على اذنه صيانة من الله له **فما ايقظني الا مس الشمس** اي حرها فكانها مسته على وجنته حتى نبهته ففيه استعارة ولطف كما في قول ابن المعتز

والريح تجذب اطراف الغصون كما • افضى الشفيق الى تنبيه وسنان •

وكما قيل
نمت تحت اذيال النسيم حتى • التفت على الشمس ردآها •

فرجعت من المكان الذي ضرب فيه الدفوف **ولم اقض شيئا** من قضى وطره اذا كان ما يريده يعني انه جلس قبل تعاطيهم اللهو فغلبه النوم حتى لم يسمع شيئا من ذلك لعصمة الله له ومحو همه بذلك واراد به لا حرج فيه والغاشاهرة لعدم سماعه على انه لم يكن حرم عليه شيء من ذلك وكونه محرما في شرع من قبلنا وهو متشرع به غير مسلم واعلم ان المعازف حرام في ملتنا للنهي عنها في الاحاديث المشهورة كقوله ليكونن في امتي اقوام يستحلون الخمر والمعازف واختلف في بعضها فمنهم من جوز الدف في العرس ومنهم من جوز ضرب العود لتسلية الاحزان

كالماوردي وكان الاستاذ محمد البكري يقول عطروا مجلسنا بالعود الماوردي لكنه قول ضعيف وفي منظومة الدميري

ونغمات العود في الالحان • قالوا تزيل اثر الاحزان
فاجزم على التحريم اي جزم • والجزم ان لا تتبع بن حزم
فقد ابحت عنده الاوتار • والعود والطنبور والمزمار

ثم عرا بي اي طرا علي وعرض لي وغشيني مرة اخرى في وقت آخر مثل ذلك من الهم بالسماع والذهاب له ثم لم اهم قال الشمني هو بضم الهاء وعليه اقتصر الجوهري بعد ذلك بسوء اي بما فيه اثم فسماه سوءا لانه يكرهه ويلومه

فصل وانا وقاره

اي سكونه وطمانينته ورزانته يقال وقر يقر وقرا ووقارا وفسروه هنا بالحلم وهو غير مناسب هنا كما لا يخفى ويجيء الوقار بمعنى العظمة كما في قوله ما لكم لا ترجون لله وقارا واصله من الوقر وهو الثقل وصمته اي سكوته وهو من الوقار وتؤدته بضم التاء الفوقية وفتح الهمزة والدال المعجمة وهي التاني يقال اتاد في فعله اذا ثبت ولم يعجل وتاؤه منقلبة عن واو وحسن هديه بوزن ضربه بمعني سيرته وطريقته وسمته في سلوكه فحدثنا ابو علي الجياني بالمد وقد تقدم ضبطه وترجمته الحافظ اجازة قال ابن فارس في مجمله هو من جواز الماء الذي تسقاه الماشية يقال منه استجزت فلانا فاجازني اذا اسقاك ماء لارضك وماشيتك قال القطامي

وقالوا فلان قيم الماء فاستجز • عبادة ان المستجيز على قتر

اي على ناحية وجزت الموضع سرت فيه واجزته خلفته وقطعته واجزته نفذته قال امرؤ القيس

فلما اجزنا ساحة الحي وانتحى بنا • بطن خبت ذي قفاف عقنقل

وقوله

حتى يقال اجيزوا آل صوفانا •

يمدحهم بانهم يجيزون الحاج انتهى قال ابن الصلاح قلت والمجيز على هذا ان يقول اجزت فلانا مسموعاتي ومروياتي فيعديه بغير حرف جر من غير حاجة الى ذكر الرواية او نحو ذلك ويحتاج الى ذلك من يجعل الاجازة بمعنى التسويغ والاذن والاباحة وذلك هو المعروف فيقول اجزت لفلان رواية مسموعاتي ومن يقول منهم اجزت له مسموعاتي فعلى سبيل الحذف الذي لا يخفى نظيره انتهى اقول اعلم ان اصل الاجازة في كلام العرب قديما كما ذكره اهل اللغة الاذن في الانصراف ولما كان من ياخذ عن شيخه ينصرف عنه اذا اخذ عنه كما يقتضيه الاستعمال وكلام اهل اللغة قاطبة لانها من جاز المكان اذا تجاوزه ومر عليه ثم عدي بالهمزة للمفعول الثاني وقد يقتصر على احد مفعوليه لانه من باب كسا ومعني اجازه اذن له في الجواز والمرور ثم استعمل في مطلق الاذن وشاع حتى صار حقيقة فيه بمعني اجازة الشيخ اذنه في الرواية عنه وهذه لفظة قديمة كما سمعته وكذا الجائزة بمعني العطية ليست محدثة كما قاله الحافظ ابن حجر الا انه يحتمل انها من هذا لان المعطي لها كانه ياذن لمن اعطاه في الانصراف عنه ولا يختص بالماء كما يوهمه كلام المجمل وهو الذي غر ابن الصلاح فقوله ماخوذة من جواز الماء لا وجه له بل من اجازه اذا جعله جائزا او نقل لمعنى اذن له وكذا قوله وقد تبين ان يجوز به عن معنى لفظ اخر وبينهما مخالفة في التعدية يجوز عمله عمل حقيقته وعمل مجازه فلك حينئذ ان تعديه لمفعولين ولك ان تعديه لواحد بحرف وبدونه فيعمل عمل اذن واجاز من غير تكلف وعارضت بكتابه

لعله المهملة

اي قابلت نسختي بنسخته حال القراءة لانه يقال عارضه اذا قابله والكلام على هذا مبين في مصطلح الحديث فالمعنى انه حدثه به قراءة منه وهو مقابل له وفي يده كتابه قال حدثنا ابو العباس الدلائي بكسر الدال المهملة وتخفيف اللام المفتوحة ثم الف ممدودة وياء نسبة مشددة نسبة الى دلاء جمع دلو وقال البرهان الحلبي لامه مشددة ووجد في بعض النسخ مضمومة الهمزة والظاهر انها مكسورة بعدها ياء نسبة انتهى والظاهر انه مفتوح الدال وهو صانع الدلو وهو ابو العباس احمد بن انس العذري المعروف بابن الدلائي من مدينة بالمرية اخبرنا ابو ذر الهروي تقدمت ترجمته وهو عبد الله بن احمد بن محمد الهروي اخبرنا ابو عبد الله الوراق ابو الحسن عبد الله محمد بن علي الانطاكي المعروف بابن الغنوي الوراق حدثنا اللؤلؤي ابو علي محمد بن احمد بن عمرو المشهور برواية السنن عن ابي داود حدثنا ابو داود سليمان بن الاشعث صاحب السنن الامام الحافظ المشهور حدثنا عبد الرحمن بن سلام بفتح السين المهملة وتشديد اللام وهو جد عبد الرحمن نسب اليه وابوه محمد بن سلام البغدادي الثقة روى عنه ابو داود والنسائي وقال لا باس به قال حدثنا حجاج بن محمد بن عبد الرحمن بن ابي الزناد هو الاعور المصيصي الحافظ الثقة اخرج له اصحاب السنن الستة قال ابن حزم توفي سنة اربع وستين ومائة عن عمر بن عبد العزيز بن وهيب ويقال له اهيب بالهمزة وهو مدني قبائي وهو انصاري مولى لزيد بن ثابت وهو يروي عن خارجة واخرج له ابو داود في المراسيل هذا الحديث وقال الذهبي لا يعرف من هذا كما في الميزان سمعت خارجة بن زيد يقول هو خارجة بن زيد بن ثابت الانصاري المدني التابعي احد فقهاء المدينة السبعة وهم سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير والقاسم بن محمد وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود وخارجة بن زيد وسليمان بن يسار وفي السابع اقوال فقيل هو سالم بن عبد الله بن عمر وقيل ابو سلمة بن عبد الرحمن وقيل ابو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام وانما خصوا لان الفقهاء بالمدينة وان كانوا اكثر انما خص هؤلاء لاجماع الناس على ولايتهم وانقيادهم لفتواهم لمعرفتهم بالفضل والصلاح حتى كان لا يقضي في امر حتى يرفع اليهم وكان الناس يتبركون بهم حتى قيل ان اسماءهم اذا علقت على محموم برئ واذا وضعت في البر لم يدخله سوس ولم يفسد وقد نظمهم القائل

الا ان من لم يقتدي بائمة • فقسمته ضيزى عن الحق خارجة
فخذهم عبيد الله عروة قاسم • سعيد ابو بكر سليمان خارجة

وهذا الحديث من المراسيل يقول كان النبي صلى الله عليه وسلم يعني ان هذا كانت عادته ودابه بحيث لا يصدر عنه خلافه وكان وان كان بحسب الاصل فعلا ماضيا لكنها قد تستعمل للاستمرار نحو وكان الله غفورا رحيما وللتكرار نحو كان حاتم يقري الضيف لقريه وهو استعمال مشهور ولكثرته عده بعض الاصوليين معنى لها ولم يحققه احد كابن جني في كتاب الخصائص فان اردته فانظره اوقر الناس في مجلسه اي اعظمهم وقارا اذا برز للناس وجلس معهم بخلاف ما اذا خلا مع اهله او مع خاصته فانه ينبسط معهم ويلاطفهم لا يكاد يخرج شيء من اطرافه اي اطراف بدنه كرجليه ولا يكاد يخرج فيه لمبالغة اي لا يخرج ولا يقرب من الخروج ولذا عدل عن لا يخرج وهو اخصر ويخرج

بع

وقد تقدم صح

بفتح اوله مضارع خرج يخرج كقتل يقتل او بضمه مضارع اخرج الا ان النسخ على الاول وروي ابو سعيد الخدري هو سفيان بن مالك بن سنان الخدري كان صلى الله عليه وسلم اذا جلس في المجلس احتبى بيديه والاحتباء بالحاء المهملة ان يجمع ظهره وساقيه بيديه او عمامته ونحوه والحبوة بضم الحاء وكسرها ويقال حبوه وحبيه ايضا ويقال الاحتباء حيطان العرب لانهم اهل براري لا حيطان لهم يستندون لها فالاحتباء قايم مقامها وليس هذا معارضا لما ورد في الحديث من انه نهى عن الاحتباء في ثوب واحد اذ النهي لم يرد على الاحتباء وانما ورد على كونه في ثوب واحد لانه ربما تحرك فيزول الثوب وتنكشف عورته واما قوله •

وإذا احتبى قربوسه بعنانه • علك الشكيم الى انصراف الزائر •

فاستعارة ونهى عن الاحتباء يوم الجمعة والخطيب يخطب لانه يؤدي للنوم وهذا الحديث رواه ابو داود والترمذي في شمائله وعن جابر بن سمرة رواه مسلم وابو داود انه تربع اي جلس متربعا وهو ان يقعد الرجل على وركيه ويميل ركبته اليمنى الى جانب يمينه وقدمه اليسرى الى جانب يمينه وهذا في خارج الصلاة كما ورد في الحديث كان اذا صلى الفجر جلس متربعا حتى تطلع الشمس وهو في الصلاة كما صرح به الفقهاء مكروه واما خارجها فلا يكره وقيل انه سنة وقول بعض فقهائنا انها جلسة الجبابرة مع فعله صلى الله عليه وسلم لها فيه نظر وانما جلس القرفصاء بضم القاف والفاء ويجوز كسرهما ويمد ويقصر وهو جلوس على اليتيه كجلوس المحتبي بيديه من غير احتباء كما يدل عليه ما بعده وقال الفراء اذا ضممت مددت واذا قصرت كسرت وهو اي جلوس القرفصاء ورد في حديث قيلة بفتح القاف وسكون الياء التحتية ولام بنت مخرمة العنبرية كما في المقتفي وقال السمني العدوية وقيل العتوية وهو الصحيح وفي حديثها انها رأت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد وهو قاعد القرفصاء فلما رأت رسول الله المتخشع في الجلسة ارعدت من الفرق وليس هذا في رواية الترمذي ومسلم التي ذكرها المصنف وفي كلامه اشارة الى انه زيادة عليها والمتخشع ان كان صفة فالرؤية بصرية وان كان مفعولا ثانيا فهي علمية وارعدت من مهابته لا من تخشعه وكان كثير السكوت لا يتكلم من غير حاجة يدعو للكلام ولم يكن يسرد الحديث بعجلة ليفهم عنه وهذا مروي عن عائشة يعرض عمن تكلم بغير جميل لا يرضاه فيعلم باعراضه عنه انه غير مرضي له وهذا من وقاره ايضا وليس المراد به ان يكون حراما كما قيل لانه لا يقر على مثله وكان ضحكه تبسما بدون قهقهة لشرفه ووقاره والضحك انبساط الوجه حتى يظهر منه السرور وبين النشأتين فقط واما ما ورد من انه ضحك حتى بدت نواجذه فمحمول على المبالغة لزيادة فيه على ما عهد منه او هو نادر لا يعتد به وكلامه فصل بفاء وصاد مهملة اي فاصل بين الحق والباطل او مفصل لتمهله فيه وقال تع انه لقول فصل وما هو بالهزل لا فضول مصدر اي لا زيادة فيه وقيل انه في الاصل جمع فضل بمعنى الزيادة فخص بما ذكر ولذا قيل في النسبة له فضولي ويسب للجمع ولا تقصير فيه حتى يخل بفهم السامع وكان ضحك اصحابه عنده التبسم توقيرا له واقتداء به لتخلقهم باخلاقه وتأدبهم بادابه مجلسه مجلس حلم بكسر الحاء وسكون اللام وفي نسخة حكم بضمها مع الكاف وحيا منه ومن اصحابه وخير لاحسانه ولطفه وتعليمه وامانة يأمن المتكلمون فيه على اسرارهم فلا ينقل منه ما لا يحبون افشاءه كما ورد في الحديث المجالس بالامانة لا ترفع فيه اي في مجلسه الاصوات لادبهم وتوقيرهم له وكان ذلك محرما عليهم لقوله تع يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي واما كونه وقع

مثله

مثله بحضرته في قصة الافك فنادر لا يعتد به ولا تؤبن فيه الحرم بضم المثناة الفوقية وهمزة ساكنة وتبدل واوا وتوبن من ابنه يابنه اذا عابه ورماه بقبيح فاصله الابنة وجمعها ابن العقد في العصي تفسدها وتعابها ووقع في بعض الحواشي توبن براء بدل النون وفسره بما ذكر على انه ماخوذ من المابر التي واحدها ميبرة او من ابرته العقرب اذا لدغته بابرتها وهي آخر عقدة ذنبها وهو تصحيف كانه وجده في بعض النسخ فاتبعه والمذكور في كتب اللغة كالنهاية والجوهري وغيره هو الاول وصحح ابن فارس في المجمل بان الحديث يروى هكذا والحرم جمع حرمة وهو كل ما يحرم هتكه وانما استعماله بمعنى المرأة فعامية وان كان لها وجه وقيل انها صحيحة مراد به هنا النساء لانه ورد في الحديث نهيه صلى الله عليه وسلم عن شعر يؤبن فيه النساء وفي حديث الافك اشيروا علي في اناس ابنوا اهلي انهم يعني انه محفوظ من الرفث ولغو القول من وقاره ايضا كقوله اذا تكلم اطرق جلساؤه اي طاطؤا رؤوسهم توقيرا له منصتين لكلامه كان على رؤوسهم الطير وصفهم بالسكون وعدم الخفة والطيش لان الطير لا يكاد يقع الا على شيء ساكن ولك ان تقول انه شبههم بغصون مغروسة في رياض مجالسه كما قال في البردة هم

كانهم في ظهور الخيل نبت ربى • من شدة الحزم لا من شدة الحزم •

وقلت في المقصورة هم

كانما الطير على رؤوسهم • من كل غصن في ربا المجد سما •

والطير جمع او اسم لطائر وهو معروف وفي صفته صلى الله عليه وسلم في قسمه وهو خبر مقدم وقوله يخطو تكفؤا مبتدأ لانه اريد به لفظه فهو كقوله لا حول ولا قوة الا بالله كنز من كنوز الجنة اي قيل في وصفه في هذا ويخطو مضارع خطا الماشي اذا امد رجله ومشى والخطوة بالضم ما بين القدمين وبالفتح المرة وتكفؤا بفتح المثناة والكاف وفاء مضمومة مشددة بعدها همزة مصدر كتقدم تقدما بمعنى مال الى قدام والاصل فيه الهمز وبه روي فان اعتل كسرت الفاء وكان بالياء كتسمى تسميا وقال شمر معناه مال يمينا وشمالا كمشي المختال والصواب لا تمايل فانه غير مناسب وقد ورد في حديث ابن ابي هالة انه ذريع المشي اذا مشى مشى تقلعا اي يرتفع من الارض بجملته وروي قلعا بفتح القاف وكسر اللام وهو دال على التثبت والشجاعة وهكذا كان اولو العزم ويمشي هونا بفتح الهاء وسكون الواو اي برفق ولين من غير تمايل مع الترفق والتثبت قال تع يمشون على الارض هونا قال مجاهد بالسكينة والوقار كانما ينحط من صبب بفتحتين اي ينزل من صبب وهو الموضع المنحدر وفي رواية كانما هو من صبوب بالضم والفتح وهو ما يصب من ماء ونحوه اي لم يكن يستعجل واما قول ابي هريرة ما رايت احدا اسرع مشيا من رسول الله كنا نجهد انفسنا وهو غير مكترث فانما السعة خطوته حتى لا يلحق مع تثبته وتمهله وفي الحديث الاخر اذا مشى مشى مجتمعا اي بكل اعضائه كلها دفعة واحدة من غير تحريك لراسه ويديه فهو في مشيه قوي غير مسترخ يعرف في مشيته بكسر الميم وفتحها انه غير غرض بفتح الغين المعجمة وكسر الراء المهملة والضاد المعجمة اي غير قلوق ولا ضجر ولا ملل ولا وكل بفتحتين وهو البليد والجبان والعاجز الذي يكل امره لغيره وحكي شمر فيه كسر الكاف كما قال التلمساني والدلجي وهو انسب هنا لموازنته لما قبله وفسره بكسلان وقوله اي غير ضجر ولا كسلان يعني فان ظاهره انه تفسير لما قبله على اللف والنشر المرتب وضجر كحذر من الضجر وهو القلوق والكسلان من الكسل وهو الفتور وعدم النشاط من الغم ويكون بمعنى سوء الخلق ويكون غرض بمعنى سابق كقوله

الى صحبة الى تناصف وجهها • غرض المحب الى الحبيب الغائب •

وليس مرادا هنا وقال ابن مسعود رواه البخاري واصحاب السنن ان احسن الهدي هدي

محمد صلى الله عليه وسلم الهدي بدال المهملة بوزن الرمي السمت والسيرة والطريقة والحالة
التي يكون عليها وهذا الحديث وان كان موقوفا على ابن مسعود فله حكم المرفوع وكذا سائر الاحاديث
المتعلقة بالشمائل فان مثلها لا يقال من قبل الراي وقد روي مرفوعا ايضا وكان ابن مسعود
اشبه الناس هديا بهدي رسول الله وكذا عمر وابنه فلذا كان اصحابه يتشبهون به في هديهم
وبقية الحديث وشر الامور محدثاتها وهو حديث طويل قال ابن قرقول وروي بضم الهاء وفتح
الدال ضد الضلال وعن جابر بن عبد الله اخرجه ابو داود والامام احمد في الزهد كان في
كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ترتيل او ترسيل كذا في النسخ باو اشارة الى انه روي
بكل منهما على حدة وفي المصابيح بالواو ولتقارب معناه فالعطف تفسيري فلا منافاة بينهما كما
قيل اي تبيين الكلام من غير عجلة وغموض حتى يسبق فهم السامع اليه وقيل الترتيل التبيين والترسيل
التؤدة والترتيل من قولهم ثغر مرتل وهو المفلج كالاقحوان قال ابن ابي هالة المتقدم ترجمته
كان سكونه صلى الله عليه وسلم على اربع اي يقع على اربع خصال فيه على الحلم اي يسكت
تارة لحلمه على من تكلم عنده بما يقتضي المواخذة والحذر اي الاحتراس من كلام ربما اذى لامر
يخشى منه والتقدير اي يتدبر في نفسه وسكوته ما يليق به وبغيره والتفكر في مصنوعات
الله ونحو ذلك قالت عائشة كما رواه الشيخان عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يحدث حديثا لو عده العاد احصاه اي لو اراد عده عده لسهولته او لو عد حصره بحيث
لا يفوت منه شي لقلته وتثبته وعدم سرعته فيه وكان صلى الله عليه وسلم يحب الطيب
والرائحة الحسنة الطيب كل ما يتطيب به من بخور ومسك وزعفران ونحوه والرائحة الحسنة
تشمل رائحته وغيره كالريحان وسائر الزهور العطرة ولذا كان لا يرد هديتها ويستعملها كثيرا
اي في اكثر اوقاته لملاقاة الملك فانها تقوي الحواس والملائكة تحبها وتكره الرائحة الخبيثة
بعكس الشياطين ويحض عليهما بضمير التثنية للطيب والرائحة وفي نسخة عليها والضمير لها
لانها هي المقصودة من الطيب لا لانها اعم كما قيل لتغايرهما اي يحث الناس ويحضهم على استعمال
ذلك لما لهم فيه من الفوائد ولحضور الملائكة الحفظة والكتبة عندهم والملك فانهم له بما يحبه ومن
مروة الانسان نظافته وطيب رائحته ويقول حبب الي من دنياكم النساء والطيب وجعل
قرة عيني في الصلاة وقد تقدم هذا الحديث وان لفظ ثلاث الموجودة في التفاسير غير ثابتة
عند اكثر المحدثين وما في عطف جملت فان محبة النساء من هدي الانبيا كداود وسليمان وكان
فيه من قوة الجماع ما ليس في غيره وقال فضلت على الناس باربع هن السماحة والشجاعة وقوة الجماع
وشدة البطش وكان فيه قوة اربعين رجلا من رجال الجنة وكل رجل منهم فيه قوة مائة رجل من رجال
الدنيا وهذا مع قلة اكله وشربه وهذا الحديث اخرجه اصحاب الكتب الستة وكان اكثر طيبه الذريرة
وهو طيب يجي من الهند معروف مركب وتقدم انه قال حبب بالبناء للمجهول لان تلك المحبة جعلها
الله فيه طبيعة لا شهوانية وعلى تسليم رواية ثلاث اما ان يكون اكتفى باثنين منها وحذف
الثالث لتذهب نفس السامع كل مذهب والعرب تفعله كقوله

كانت حنيفة اثلاثا فثلثهم   من العبيد وثلث من مواليها

او الثالث الصلاة وقرة عينه فيها وجعلها من الدنيا لوقوعها فيها ويكون نفس العبارة اشارة
لمغايرتها لما قبلها وانها ليست من جنسها ووقع في بعض النسخ هنا زيادة لفظ ثلاث بعد قوله من
دنياكم وتقدم الكلام فيها وانها ليست ثابتة وان اثبتها الزمخشري والغزالي في الاحيا والمصنف تبعا لهم

وقد اوردنا هذا الحديث بتعليقة مستقلة والحديث رواه النسائي والحاكم في مستدركه بسند
جيد وقال العقيلي انه ضعيف ومن مروته صلى الله عليه وسلم نهيه عن النفخ في الطعام والشراب
المروة من المرء وهو الانسان فهي بمعنى الانسانية ومعناه التلبس بما يليق بالرجال وترك ما يخل
به فارتكاب ما يكرهه الصاحب مخل بالمروة والنفخ اما للتبريد او لازالة قذى على وجهه وقد يخرج
معه ريق المرء فيكره تناوله او يكون النفس متغيرا فيتورع فيه ولو توهما والغرض منه يحصل بالصبر
وباماطة ما عليه باراقته وخلال ونحوه ولذا نهي عن التنفس في الاناء حال الشرب واما ما ورد من
انه صلى الله عليه وسلم كان يتنفس اذا شرب مرتين ونحوه فليس معناه ذلك بل انه يقطع الشرب
وينحي الاناء ويتنفس خارجه فانه يستحب عدم العب والقطع في الشرب وقد ورد ان النفخ يذهب
البركة منه كما ورد ابردوا بالطعام فان الحار غير ذي بركة وليس المراد بابراده نفخه حتى يبرد
بل اكله باردا بان يصبر حتى يبرد فلا منافاة بينهما كما توهم وقلة بركته لانه يلتذ بعضه ويلحقه
او انه لشدة حرارته للهضم سريعا فلا يشبع شبع غيره ومن مروته الامر بالاكل مما يلي
كل احد من الطعام لحديث عمر بن ابي سلمة ربيب رسول الله قال كنت غلاما في حجر رسول الله
صلى الله عليه وسلم لان امه ام سلمة زوجته وكانت يدي تطيش في الصحفة فقال رسول الله سم
الله وكل بيمينك وكل مما يليك اي لا من الوسط ولا مما يلي غيره فضلا عما بعد منه وورد مثله في احاديث
اخر وقال ايضا تنزل البركة في وسط الطعام فكلوا من حافته او من حاشيته وهذا امر ندب
وذهب بعض الشافعية الى انه للوجوب ولعله اذا علم عدم رضى صاحبه وجليسه قيل وهذا اذا
لم يكن الاكل بقصد التبرك بتسريه وعليه حمل ما في حديث الدبا انه جعل يتتبعها وهو ايضا في
غير الفاكهة فان له الاكل والاخذ من جانب قال بعض المحققين واليه الاشارة بقوله وفاكهة
مما يتخيرون وفيه لطف خفي والامر بالسواك امر ندب وشذ بعض الشافعية فاوجبه للصلاة
والسواك اسم للعود يستاك به وللفعل وهو الاستياك والمراد الثاني او الاول بتقدير مضاف
اي استعمال السواك وعده من المروة لما فيه من المروة النظافة وطيب رائحة الفم وانقاء
بكسر الهمزة وسكون النون وقاف بعدها مده من انقاه اذا نظفه كنقاه البراجم بباء موحدة
وراء مهملة والف وجيم وميم جمع برجم او برجمة بضم الباء والجيم وهي مفاصل الاصابع التي بينها
والسلاميات من ظهر الكف التي ترتفع اذا قبض الانسان كفه فهي المفاصل الظاهرة والرواجب الباطنة
وقيل هي مفاصل الكف كلها والاشاجع جمع اشجع وهي اصول الاصابع المتصلة بالكف والرواجب
براء مهملة وواو والف وجيم وباء موحدة جمع راجبة على القياس جمع رجبة بضم فسكون على
خلافه وهي المفاصل التي تلي الانامل وقيل هي مفاصل اصول الاصابع وقيل قصب الاصابع
وقيل السلاميات وقيل ما بين البراجم والسلاميات وقيل ظهور السلاميات وقيل مفاصل
الاصابع وواحد السلاميات سلامى بضم السين وفتح الميم مقصور وتفصيله في كتاب خلق
الانسان وجزم البرهان الحلبي بان البراجم العقد المتشنجة في ظهور الاصابع قال وهي
مفاصلها ونقل عن ابي عبيد ان البراجم والرواجب جميعا مفاصل الاصابع كلها وهو الاوفق
بكلام المصنف لا على ما في الصحاح من ان البراجم مفاصل الاصابع التي بين الاشاجع والرواجب
والاصابع واحدة الرواجب وهي المفاصل التي تلي الانامل ثم البراجم ثم الاشاجع التي تلي
الكف انتهى لئلا تكون المفاصل التي تلي الكف خارجة اذ هي على ما فيه غيرهما وعند ابي عبيد
داخلة فيهما مع ان الظاهر انها تنقى كما تنقى التي تلي الانامل والتي بينهما كما قيل واستعمال الخلال

وقيل صح

الفطرة الخمس فيما رواه الشيخان الختان والاستحداد اي حلق العانة بالحديد وقص
الشارب وتقليم الاظفار ونتف الابط وزاد مسلم المضمضة واعفاء اللحية والاستنجا وابو
داود الانتضاح وزاد غيره عن ابن عباس فرق الراس كما تقدم تفصيله المغني عن اعادته والفطرة
بكسر الفا معناها الخلقة كما قال تعالى فطرت الله التي فطر الناس عليها والمراد السنة التي امر بها
النبي صلى الله عليه وسلم كما مر

فصل واما زهده في الدنيا

الزهد معناه ترك الدنيا ولذاتها رغبة فيما عند الله وهو ثلاثة اقسام ترك الحرام وهو
زهد العوام وترك فضول الحلال وهو زهد الخواص وترك كل ما يشغل عن الله وهو زهد العارفين
واما من لم يرض وصف اوليا الله فضلا عن انبيائه بالزهد لان الدنيا لا تساوي عند المتخلقين
باخلاق الله جناح بعوضة وما ينال اعظم ملوكها بعض منها بل اقل قليل من باقيها فعنده معنى
الزهد ترك ما ترغب نفسه فيه فمن لا رغبة له في شي منها لا يسمى زاهدا وغيره يعرفه بترك
الدنيا مطلقا او بترك ما من شانه ان يرغب فيه والى هذا اشار الغزالي في الاحيا فمن وصفه
باعلى طبقات الزهد نظر الى الاول وجنح الى انه من مقامات الكاملين فله منه الحظ الاوفى ومن
نفاه عنه ولا يرضى وصفه به نظر الى الثاني واما طلبه للدنيا الضرورية في المعاش فليس
لرغبته فيها بل لدفع ضعف بدنه المانع عن ادا حق العبودية فلا ينافي الزهد ايضا واليه
يشير صاحب البردة بقوله هـ

وأكدت زهده فيها ضرورته • ان الضرورة لا تعدو على العصم

ومن شرط الزهد ايضا القدرة وقال ابن المبارك لما قيل له يا زاهد قال الزاهد عمر بن عبد
العزيز اذ جاءته الدنيا راغمة فتركها وقد تقدم من الاخبار التي في صفاته في اول الباب
في اثناء اي في خلاله وما بينه جمع ثنا مقصور كما قاله ابن هشام اللخمي في شرح المقصورة
ومعناه ما انثنا ودخل بعضه في بعض هذه السيرة اي هذا الكتاب المتضمن لسيرته وطريقته
او المراد صبغة النبي وصفاته ما يكفي طالب سيرته يغني عن اعادته هنا وحسبك من
تقلله اي يكفيك في معرفة تقلله اي تبلغه بالقليل منها اي من الدنيا لزهده فيها واكتفائه
في ضرورياته بالامر الزهيد القليل وهذا لا ينافي زهده واعراضه عن زهرتها اصل معنى
الزهرة النضارة والزينة مستعار من الزهر بفتحتين وهو نور النبات ويكنى اي تركه ما
يرغب الناس من زخرف الحياة الدنيا ومما قلته في الرباعيات

من حرصك بالغنائم تشتغل • والعمر مضى فما يفيد الامل
ما زهرة هذه الحياة الدنيا • للغرك بامل المنايا عجل

وقد سيقت اليه اي ساقها الله اليه مستعار من سوق البهيمة للتسخير والتمكين منها
بحذافيرها اي بجملتها وكليتها من جميع نواحيها يقال ملك كذا بحذافيره اي جميعه بحيث
لم يبق منه شي جمع حذفور وحذفار وهو الناحية وفي النهاية الحذافير الجوانب وقيل الاعالي
فكنى به عما ذكر وهو اشارة لما تقدم من ان زهده ليس لعجزه عن تحصيلها بل هو مع غاية القدرة
عليها والتمكن منها وهذا هو الزهد المحمود كما تقدم وترادفت عليه فتوحها اي تتابعت
وتوالت فاتته الدنيا راغمة بما يسر الله له من الغنائم والاموال والارزاق الواسعة الطيبة
بحيث لو اراد التوسع فيها واقتطف زهرتها فلم يرضها واكتفى باقل قليل منها والجملة حاليتان

او مفترضتان بين المبتدا وخبره افادتا كمال زهده لان من كان هذا حاله وزهد فزهده
ابلغ زهد واتم عفاف وحسبك اي كافيك مما ذكرنا لحصول ما ذكر ان توفي بالبنا
للمجهول اي وفاته ودرعه مرهونة عند يهودي اي والحال هذه والدرع معروفة تذكر
وتؤنث والاكثر تانيثها واليهودي كان يسمى ابا الشحم من ظفر من موالي الانصار وهذا
الحديث صحيح رواه الشيخان عن عائشة وانما عامله ولم يطلب من الصحابة لانه لم يحضره
اذ ذاك منهم من يقترض منه ولانه لو طلب منهم واعلمهم بضرورته وهو ذلك ولم يرضوا
باقراضه منهم فاخفى حاله مع ما فيه من بيان جواز معاملة الكفرة واهل الذمة في نفقة
عياله في التقليل كقوله ان امراة دخلت النار في هرة حبستها والعيال اهل البيت ومن
تلزمه نفقته والذي اقترضه ثلاثون صاعا وروي عشرون صاعا من الشعير وكان
في حال اقتراضه وهو يدعو ويقول كما رواه الشيخان اللهم اجعل رزق آل محمد
قوتا القوت كل ما يتقوت به الانسان من الطعام اي اجعله بقدر ما يسد الرمق من
غير زيادة وقد استشكل كل هذا بانه مات وله حصون وارض وعنده مما افاء الله عليه ارض
خيبر وفدك وغيرهما فكيف مع ذلك يكون به فاقة تحوجه الى رهن درعه على اصوع شعير
واجاب عنه ابن الصلاح في فتاواه بانها كانت معدة لنوائبه موقوفة ولذا لم تورث
عنه وقال انا لا نورث ما تركناه صدقة فلا يقدح فيه ما كان في ملكه وقد اعد لمصالح
المسلمين واخراجه ما يحصل منها في ذلك والفقراء يدخلون الجنة قبل الاغنيا بخمسمائة
عام فاختار الفقر ولم يتصرف فيما عنده لنفسه وعياله ولذا لا يجوز ان يقال في حقه
انه فقير واقول هنا دقيقة وهي ان رياضة النفس بالجوع تصفي الذهن وتقوي
الروح وتجعل النفس قدسية ملكية وقد كان اهل الملل يتعبدون ولما لم يكن في الدين
المحمدي لما فيها من الحرج فعل ذلك واختاره لنفسه خاصة ولم يره بصورة الفقر لئلا يقتدي
به امته فيه والمحبة لذلك طلبه من الله له ولاهله فافهمه فانه دقيق جدا حدثنا سفيان
بن العاصي هذا الحديث رواه مسلم والبخاري وسفيان هذا هو ابن سكرة لان المصنف
سمع منه صحيح مسلم وليس هو الغساني لانه لم يسمع منه وانما روى عنه بالاجازة والحسين
بن محمد الحافظ بن عيسى قاضي سبتة شيخ المصنف احد الاعلام وقد اكثر المصنف الرواية
عنه توفي في جمادى الاخرة سنة خمس وخمسمائة والقاضي ابو عبد الله التميمي قالوا
حدثنا احمد بن عمر قد تقدمت ترجمتهما قالوا حدثنا ابو العباس الرازي قال حدثنا
ابو احمد الجلودي بفتح الجيم نسبة لقرية بافريقية وقيل بالشام وقيل انه بضم الجيم
وقد تقدم حدثنا ابن سفيان حدثنا ابو الحسين بن الحجاج مسلم صاحب الصحيح وقد
تقدم هو ومن قبله حدثنا ابو بكر بن ابي شيبة تقدمت ترجمته حدثنا معاوية محمد بن
خازم بمعجمتين الضرير الحافظ احد الائمة الاعلام الا انه كان مرجيا روى له الستة
وتوفي سنة خمس واربع وتسعين ومائة وترجمته مفصلة في الميزان عن الاعمش
ابو محمد سليمان بن مهران الكاهلي احد الاعلام روى عن انس وابن ابي اوفى وغيرهما
وروى عنه شعبة ووكيع وكثيرون نحو الف وثلاثمائة حديث وعاش ثمانيا وثمانين
سنة ومات في ربيع الاول سنة ثمان واربعين ومائة واخرج له الستة وترجمته في الميزان
عن ابراهيم بن يزيد بن قيس بن الاسود بن عمرو بن ربيعة النخعي الكوفي الفقيه

الزاهد راس عصره رأى عائشة اخرج له الستة وتوفي سنة ست وتسعين عن الاسود
بن يزيد النخعي العابد حج ثمانين مرة وصام حتى اخضر جلده وكان يختم في كل ليلتين وتوفي سنة
اربع او خمس وسبعين وهو ثقة اخرج له الستة عن عائشة قالت ما شبع رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثلاثة ايام تباعا اي متتابعة متوالية من خبز برّ كان او شعير حتى
مضى لسبيله اي حتى توفي لان الموت طريق يسلكه كل احد واول من لزمه الغير وفي رواية
اخرى رواها البخاري من خبز شعير يومين متواليين ولو شاء الدنيا وترفهها ونعيمها
لاعطاه الله عز وجل ما لا يخطر ببال البال القلب والعقل والفكر وخطر يخطر بضم الطا وكسرها
خطورا اذا ذكر وتصور اي يعطيه منها كل امر نفيس لم يتصوره احد من الناس لجلالته وعظمه
وكونه لم يعهد مثله حتى يعرف وفي رواية اخرى رواها مسلم ما ترك اي ما خلف تركة
رسول الله صلى الله عليه وسلم دينارا ولا شاة ولا بعيرا وفي رواية ولا شيئا قال عبد الله بن ابي
اوفى ما اوصى رسول الله عند موته لانه لا مال عنده يوصي به وانما اوصى بكتاب الله وادعاء
الشيعة انه اوصى وان عليا اوصى لا اصل له ولم يثبت وفي رواية في الصحيحين ما شبع
رسول الله صلى الله عليه وسلم من خبز بر حتى لقي الله عز وجل وفي البخاري ما شبع آل محمد
منذ قدم المدينة من طعام بر ثلاث ليال حتى قبض وهو المراد بلقاء الله وفيه روايات كثيرة متقاربة
المعنى وانه ما جمع بين غداء وعشاء وفي رواية من خبز وزيت وفي رواية ما اكل الكلتين في يوم
قيل وهذا مشكل بما ثبت انه كان يرفع لاهله قوت سنة وانه ساق مائة بدنة ووهب قطيعا من
الغنم والف بعير ونحوه كما مر وان اصحابه كابي بكر وعمر وعثمان وطلحة كانت لهم اموال كثيرة وهم يبذلون
له اموالهم وانفسهم واجيب بان ذلك كان في حالة دون حالة وان ذلك للارشاد وكراهة
الشبع لا لضيق اليد وعن عائشة من حدثكم انا كنا نشبع من التمر فقد كذبكم فلما فتحت قريظة اصبنا
شيئا من التمر والودك وروي لما فتحت خيبر قلنا الآن نشبع من التمر والحق ان كثيرا منهم كانوا في ضيق
قبل الهجرة وبعدها وواساهم الانصار بالمنائح فلما فتحت النضير وما بعدها ردوها عليهم اقول
هذا ينافيه ما مر من انه مات ودرعه مرهونة فكيف يكون العسرة زالت بعد الهجرة فالحق الاحق بالاتباع
ما قاله ابن الصلاح وما قاله لا يسمن ولا يغني من جوع وفي حديث عمرو بن الحارث الذي
رواه البخاري ما ترك اي ما خلف تركة لاهله الا سلاحه وبغلته وارضا جعلها صدقة
هذا حديث اوله ما ترك رسول الله عند موته دينارا ولا درهما ولا عبدا ولا امة ولا شيئا الا بغلته البيضا
وسلاحه وارضا جعلها صدقة وتفصيله في السير فانهم قالوا كان له تسعة اسياف لكل منها اسم
وسبع دروع وست قسي وثلاثة اتراس وخمسة رماح وقال مغلطاي اربعة ومغفران
وراية سوداء يقال لها العقاب مربعة وراية بيضاء او صفراء وكان مكتوبا على راياته لا اله الا الله
محمد رسول الله وفي الميزان انها لم تكن الا بيضا ولم يبين ما وجد منها عند موته واما بغلته فهي
الدلدل التي اهداها له المقوقس وعاشت بعده حتى ذهبت اسنانها وكان يجش لها الشعير ثم
ماتت بالينبع وقيل انها بقيت لخلافة معاوية وان عليا قاتل عليها واما بغلته فضة فوهبها
لابي بكر والارض المذكورة فدك والنضير وارض بخيبر وهي مفصلة ومعنى كونها صدقة انه وقفها
لمصالح المسلمين والوقف يسمى صدقة وكان ياخذ منها نفقته ونفقة عياله بقدر الحاجة ويصرف
باقيها فكل ما عنده كان موصى او لا ملك فلذا لم يورث كسائر الانبيا وقوله يرثني ويرث من
آل يعقوب المراد انه يرث علمه وحكمته وشرفه كما صرحوا به وضمير جعلها للارض والجملة صفة

او مشتا نفقة استثنيا فابيا نيا والضمير للمذكورة وقالت عائشة في حديث رواه الشيخان
ولقد مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وما في بيتي شيء ياكله ذو كبد وهو كناية عن كل
حيوان انسانا او غيره والكبد معروفة وهي احد الاعضاء الرئيسة وخصه لان منه يصل الغذاء الى
الجسد كله وهذا مناف لقولها ما ترك درهما ولا دينارا ولا شيئا ووفق بينهما بان المنفي هنا ما كان
مختصا بها من بقية نفقتها الا شطر شعير او المراد بالشيء وان كان عاما ما كان من جنس المال والمتاع
او هو لعدم الاعتداد بما ذكر لقلته والشطر النصف كالشطير او البعض مطلقا وفي النهاية اراد به نصف
مكوك او نصف وسق والمكوك المد وقيل الصاع في رف لي بفتح الراء المهملة وتشديد الفاء شبه
الطاق في الحائط ويطلق على خشبة عريضة ترفع عن الارض تغرز لوضع ما يراد حفظه وهو
الرفوف ايضا والاول اقرب لان الخشبة لا تحتمل وضع هذا المقدار عليها وتتمة الحديث فاكلت
منه حتى طال علي فكلته ففني وفيه اشارة الى ان الكيل كالعد يذهب البركة وقد وردت له نظائر كما في
مسلم عن جابر ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم يستطعمه فاطعمه شطر وسق شعير فما زال هو
وامرأته وضيفه ياكل منه حتى كاله فاتى النبي صلى الله عليه فاتى النبي صلى الله عليه وسلم واخبره
فقال لو لم يكله لم ينفد قيل لما فيه من الحرص وعدم التوكل والتمسك بالاسباب المعتادة واما ما ورد
في حديث المقدام كيلوا طعامكم يبارك لكم فيه فاجيب عنه بانه عند البايع لحق المشتري فتأمل
وقال اي النبي صلى الله عليه وسلم لي اي لعائشة وفي شرح ابن قرقس قال الي بدل اللام اي
ادن واقرب الي فطلبه دنوها منه ليسارها وقال حكاية لحالة ماضية ان عرض علي بالبناء للمجهول
وفي رواية عرض علي ربي يقال عرض له وعليه اذا اظهره له واراه اياه والمراد اعلمه بالوحي ان
يجعل لي بطحاء مكة ذهبا البطحا والابطح واد يسيل ويجري فيه السيول وبطن واد فيه رمل وحصى
او مكان لا ينبت لانه مسيل وهو ما غلب عليه الاسمية والمراد بجعله ذهبا ان يملاه وان تقلب حصاه
ورماله ذهبا وقلب الاعيان كانشائها من العدم غير مستحيل الوقوع والله قادر على كل شيء فقلت لا
يا رب اي لا اريد جعل البطحا ذهبا اجوع يوما واشبع يوما استئناف كانه قيل له ماذا تريد فقال
اريد الفاقة وان اكون تارة جائعا وتارة شبعان لزوما لمقام العبودية والافتقار الى الله ثم بين ما
يكون عليه فقال فاما اليوم الذي اجوع فيه فاتضرع اليك فيه والتضرع الدعاء بتذلل
وانكسار من الضراعة وهي الذلة والالتجا فادعوك اي اطلب منك وفي الدعاء مناجاة والتحاور معه ملة
مع الله وان كان نعما لما بذلك واما اليوم الذي اشبع فيه فاحمدك واثني عليك لما انعمت به
علي ولا وجه لما قيل هنا انه تعليم لفقراء امته والا فلو جعلت له الدنيا ذهبا لم يشغله ذلك عن الله
طرفة عين الى غير ذلك مما طال فيه بغير طائل على عادته وهذا الحديث رواه الترمذي عن ابي
امامة بلفظ فاذا جعت تضرعت اليك وذكرتك واذا شبعت شكرتك وحمدتك وفي حديث
آخر قال السيوطي لم اجده هكذا ولكن البيهقي اخرجه في الزهد من طريق عطا عن ابن عباس ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال يوما ما امسى لآل محمد كف سويق ولا سفة دقيق فاتاه اسرافيل فقال
ان الله سمع ما ذكرت فبعثني اليك بمفاتيح الارض وامرني ان اعرض عليك ان احببت ان اسير معك
جبال تهامة زمردا وياقوتا ذهبا وفضة فقلت الى آخره واخرج ابن سعد وابن عساكر في تاريخه
من حديث عائشة لو شئت لسارت معي جبال الذهب ولاحمد في الزهد عنها والله لو شئت لاجرى الله
معي جبال الذهب والفضة وللطبراني نحوه وفي حديث الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له
قد يجمعها من لا عقل له مختصرا عن عائشة قلت فما ذكره المصنف رواية بالمعنى من عدة احاديث

ان جبرئيل قال له ان ربك يقرئك السلام اي يسلم عليك ويحييك تحية اكرام قال
في الاكمال اقرأته السلام وهو يقرئك السلام بضم اليا من المزيد فاذا قيل يقرئ عليك السلام فعلي
فيفتح اليا لاغير وقيل هما لغتان وهو مهموز لامه ويجوز ابدال الهمزة واوا ويا ومعني اقراه
حمله علي ان يقرا عليه سلامه اي يبلغه اياه فهو مجاز مرسل لمطلق التبليغ ماخوذ من القراة ومعني
قراه عليه ذكره ويقول لك اتحب ان اجعل لك هذه الجبال ذهبا وتكون معك حيث ما
كنت اي تسير معك وتتوجه الي توجهت فاطرق ساعة اي طاطا راسه يتفكر فيما يجيبه
به ثم قال يا جبرئيل ان الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له الدنيا تقابل الاخرة
لانها فعلي من الدنو وهو القرب وتطلق علي هذا العالم المشاهد وكل ما فيه من المال وغيره وعلي
الارض التي هي مقر العالمين وبهذا الاعتبار تسمي دارا وقوله لا دار له لانها فانية لا يقيم فيها
احد ولذا شبهت بالخان الذي ينزله المسافرون وبالقنطرة بل بالسفينة كما قال

وانا لفي الدنيا كركب سفينة • نظن وقوفا والزمان بنا يسري

وقوله مال الخ اي ان ما يملكه المرء فيها سلسلة منها فهو عارية او وديعة فصاحبه لا يملك
له حقيقة فكل غني فيها فقير وليس هذا من قبيل فرط من لا فرط له وذكر من لا ذخر له ولها يجمعها
من لا عقل له قد للتحقيق لان من جمع الدنيا كثيرا وهي لتقليل جمعه وحيازته لها فانه يجمعها
بعد بلوغه ورشده لمونه ثم يعتدها الي ما لا نهاية له او لتقليل الفعل فان متاع الدنيا بالنسبة لغيره
قليل وعلي هذا حمل قوله قد يعلم ما انتم عليه فان ما هم عليه بالنسبة لبقيته معلوماته اقل قليل او هي
مستعارة تهكما للتكثير كقوله قد اترك القرن مصفرا انامله • وان كان في البيت
نزاع ليس هذا محله وجعله لا عقل له لتنزيل وجود عقله منزلة العدم اذ لم يصرفه فيما يتعلق بالاخرة
ويصرفه الي الاكتفا من الدنيا بزاد المسافر الذي يبلغه منزله فان العاقل من كان كذلك ولذا قال
الفقها لو اوصي لاعقل الناس صرف للزهاد وقال الشاعر

ان لله عبادا فطنا • طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلما علموا • انها ليست لحي وطنا
جعلوها لجة واتخذوا • صالح الاعمال فيها سفنا

فقال له جبرئيل ثبتك الله يا محمد بالقول الثابت المراد بالقول الثابت الحق لانه دايم لا يزول
او المراد به حق مخصوص بمقالته وهو اما دعا له او اخبار بان الله امتن عليه فانه بمحض فضل الله
ولطفه فانه الذي ثبته علي هذا وعن عايشة في حديث صحيح رواه الشيخان ان كنا آل محمد
المراد بآله اهل بيته وله معان اخر مشهورة وان مخففة من الثقيلة لنمكث شهرا ما نستوقد
نارا اي ما نوقد نارا فالسين للتاكيد او المراد ما نطلب من احد نارا نوقدها وهذا كناية عن انه
ليس لهم ما يطبخ ان هو الا التمر والما وان نافية وهو ضمير الطعام والماكول اي ما عندنا
ما يوكل ويتغذي به الا التمر والما وروي وانما هو الاسودان التمر والما قيل هذا كان في بعض
الاحوال وعن عبد الرحمن بن عوف الصحابي المشهور وهذا الحديث رواه الترمذي والبزار
بسند جيد وغيرهما هلك رسول الله صلي الله عليه وسلم اي توفي والهلاك بمعني الموت مطلقا
يستعمل في حق النبي وغيره قال الله تعالي كل شي هالك الا وجهه واما اختصاصه بميتة السو
كالقتل فمر فطار ولذا اكثر استعماله في الاعدا فيقال هلك عدو الله وقد ورد في الحديث والا
انما يفهم منه ذكر العدو ونحوه قلت فلا يجوز لنا الآن اطلاقه علي من كرهه والصحابة ويقتضي

فيه علي ما ورد منه من غير نكير كما قيل في حق يوسف حتي اذا هلك وكذا ورد في غيره من الانبيا
فلا يختص بمن استحق العذاب الابدية ولم يشبع هو واهل بيته من خبز الشعير واول
الحديث عن نوفل بن اياس الهذلي كان عبد الرحمن بن عوف جليسا لي وكان نعم الجليس وانه انقلب
بنا ذات يوم حتي اذا دخلنا بيته دخل فاغتسل ثم خرج واتانا بصحفة فيها خبز ولحم فلما وضعت
بكي عبد الرحمن بن عوف فقلت يا ابا محمد ما يبكيك قال هلك رسول الله صلي الله عليه وسلم ولم يشبع
هو واهل بيته من خبز الشعير فلا ارانا اخرنا لما هو خير لنا وقد تقدم انه ورد في معناه احاديث
كثيرة متقاربة المعني وتقدم ما فيه من الاشكال وجوابه الي هذا اشار بقوله وعن عايشة رضي
الله عنها وابي امامة وابن عباس نحوه اما في حديث عايشة فما في الصحيحين عنها انها قالت
ما شبع رسول الله صلي الله عليه وسلم من خبز شعير يومين حتي قبض وحديث ابي امامة في الترمذي
بهذا اللفظ ايضا وحديث ابن عباس مما ذكره المصنف عنه عقب هذا بقوله كان النبي الخ كما قاله السيوطي
وسياق كلامه يا باه ولو كان مراده هذا اكتفي بذكره والاحسن ما في الصحيحين ايضا عن ابن عباس
ان عمر حدثه انه دخل عليه وقد اعتزل نساه فاذا هو مضطجع علي حصير قد اثر بجنبه فقلبت عيني
في خزانته فاذا هي ليس فيها شي غير قبضتين من شعير وقبضة من تمر فابتدرت عيناي فقال ما
يبكيك يا ابن الخطاب فقلت ما لي لا ابكي وانت صفوة الله من خلقه وهذه الاعاجم والبطارق
والانهار وانت هكذا فقال يا ابن الخطاب اما ترضي ان تكون لنا الاخرة ولهم الدنيا قلت بلي يا رسول
الله قال فاحمد الله عز وجل قال ابن عباس كان النبي صلي الله عليه وسلم يبيت هو واهله
الليالي المتتابعة طاويا حال من ضميره صلي الله عليه وسلم ولم يقل طاوين لان المقصود
حاله وحال اهله يعلم من حاله لانهم يتبعونه في كل حال وطاويا بمعني جايعا لان الطوي الجوع
كما ذكره الجوهري والليالي منصوب علي الظرفية وقوله لا يجدون عشا بفتح العين والمد
الطعام الذي يقابل الغدا وخصه لقوله يبيت والمراد به مطلق الطعام وهذا الحديث اخرجه
الترمذي وابن ماجه وعن انس في حديث رواه البخاري قال ما اكل رسول الله علي خوان بكسر
الخا المعجمة وضمها فارسي معرب ويقال اخوان بزنة اكرام وهو والمايدة والمنبر بمعني وان
فرق بينهما في الاصل بان الخوان ما يوضع عليه الطعام قبل وضعه وبعده يسمي مايدة والا
عليه عادة المتكبرين حتي لا يحتاجون لكونهم اذا اكلوا وقيل انه عربي من التخون وهو التنقص
ويجمع علي اخونة وخون واما السفرة بالضم فالطعام المعد للسفر وتكون بمعني ما يوضع عليه
الطعام من الاديم ايضا ولا في سكرجة قال الجواليقي هي بضم السين المهملة وضم الكاف وفتح
الرا المهملة المشددة وجيم وها وهي اعجمية معربة وقيل الصواب اسكرجة بهمزة مضمومة
وقد جا في الحديث الصحيح بدون همزة ومعناها معرب الخل ولذا قيل معناها قصعة صغيرة
يوضع فيها الكوامخ والجوارشات في جوانب المايدة فيها ما يعين علي الهضم وقيل قصعة مدهونة
وقيل انها مايدة صغيرة وعلي كل فهي مما يصنعه العجم والمقلدون لهم من المتكبرين والجيم والها
علامة التصغير عندهم وقيل فيها ايضا سكيرجة ولا خبز له مرقق بالبنا للمجهول ومرقق
بوزن معظم رقيق الخبز كالرقاق وقيل هو المنبسط الرقيق وقيل هو الحواري والسميد
بدال مهملة او معجمة وفي رواية مرققا بالنصب تمييز او مفعول ثان لخبز لتضمنه معني
الجعل والمراد ان خبزهم لم يجعل من بياض الدقيق لانهم لم يكن لهم مناخل ولا راي شاة سميطا
قط سميط فعيل بمعني مفعول اي لم يطبخ له شاة بتمامها بعد سمطها اي غليها في الما الحار

كل

نه

حتى يذهب شعرها ثم تشوى وظاهر كلامهم انها لم تسلخ وانما ذكر في الجلد لانه الصغير وعن
عائشة في حديث رواه الشيخان انما كان فراشه الذي ينام عليه ادما بفتح الهمزة والدال
المهملة وميم اسم جمع لاديم وهو الجلد المدبوغ اللين وقيل انه مخصوص بالاسود وحشوه ليف
والليف ما يكون من النخل وهو معروف وعن حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ام المؤمنين
وحديث حفصة رواه الترمذي في الشمائل منقطعا وحديث حفصة لا ينافي حديث عائشة
المتقدم لجواز كون ان كلا منهما ذكرت فراشه الذي كان عندها كان فراش رسول الله في
بيته مسحا بكسر الميم وسكون السين المهملة وبعدها حاء مهملة وهو ثوب مشتمل للفرش شبه
الكسا ويقال له حنبل وقيل هو ثوب اسود من شعر يلبسه الزهاد وهو ثوب من الشعر والوبر
والصوف يلبس ويجلس عليه وجمعه مسوح وعلى كل حال فهو شي غليظ يتنزه عن مثله اصحاب
الترفه نثنيه ثنيتين فينام عليه الثني بكسر فسكون والمثنى ما يثنى بعضه على بعض
وعطف اي يجمع بعضه على بعض مرتين حتى يكون اغلظ واوطا للنوم عليه وثنيته ثنتان
وجمعه اثنا وروي ثنتين بمثناة فوقية مكان اليا المثناة التحتية والمعنى واحد والنسخة
الاولى اصح واشهر فثنيناه له ليلة باربع طاقات ليكون الين منها ومن الثنتين فلما
اصبح قال ما فرشتم لي الليلة فذكرنا ذلك له وهو انهم جعلوا فراشه اربع طاقات
فقال ردوه بحالته الاول وهو الثنتين فان وطاته بفتح الواو والطا المهملة والمد وتا
تانيث مضاف لضمير الفراش فوزنه فعالة او فعلة بفتح فسكون وهمزة غير ممدودة على وزن
فعلة اي لينه وتحت جنبي كثرة طاقاته وتضعيفها منعتني الليلة صلاتي اي انه للينه
لذ له النوم فنام اكثر من معتاده لان فراشه مهد لم يؤذه حتى ينبهه فانقطع عن بعض القيام
لتهجده لتلك الزيادة نومه وكان ينام احيانا على سرير مرمول ونومه الاول على فراش
على الارض ومرمول براء مهملة وميمين بمعنى منسوج بشريط او غيره والشريط بشين معجمة
وراء وطا مهملتين بينهما يا مثناة تحتية حبل مفتول من خوص النخل او سعفه مع حبالة
واحدة شريطة حتى تؤثر حبال شريطه في جنبه لكونه بغير فراش يحول بينه وبينه وهذه
من حديث طويل رواه الشيخان والترمذي وفيه وتحت راسه وسادة من ادم حشوها ليف
وفي معناه احاديث اخر وعن عائشة قالت لم يمتلي جوف النبي صلى الله عليه وسلم
شبعا قط قال التلمساني فيه اربع لغات فتح السين المعجمة وكسرها مع سكون الموحدة وفتحها
وقال البرهان هو بفتح الموحدة نقيض الجوع وبسكونها ما يشبع والظاهر هو الاول وقيل عليه ان
كان ظهوره بحسب الرواية فسلم واما بحسب الدراية فالظاهر الثاني لانه اسم عين وعلى
الاول اسم معنى والامتلاء منه مجازي كامتلا غضبا وقيل عليه ان المجاز ابلغ من الحقيقة
فهو اولى رواية ودراية فالبرهان مع البرهان وفيه نظر وهذا يقتضي انه كان يشبع ولكنه
لا يملي جوفه بتمامه منه فان المطلوب تقليل الطعام والاقتصار على ما يقوم به الاود ثم
يملا ثلث بطنه • فان ثلثا للزاد • وثلثا للما • وثلثا للنفس فان زاد فنصفها وما زاد
على ذلك حرص وبطنة غير محمودة وقد يجر الى وصل الضرر والتخمة فصار كما ان
اول مراتبه واجب ولم يبث شكوى الى احد بفتح اليا التحتية وضم البا الموحدة وتشديد
المثلثة بمعنى يذكر ويظهر يقال بث الخبر وابثه اذا نشره ويقال ايضا انبثه بالنون وبهما
روي قيس •   اذا جاوز الاثنين سر فانه • يبث وتكثير الحديث قمين •

والشكوى

والشكوى مذمومة فالذي يليق بمقام العارفين الصبر وكتم ما به لا سيما والنبي
صلى الله عليه وسلم كان يبش لكل ما ياتيه من الله ولا يعده مولما بل يتلذذ به فكيف
يتصور شكواه والى هذا اشار بقوله وكانت الفاقة وهي الحاجة والفقر احب اليه من الغنى
قيل هذا يقتضي ان الفقر افضل من الغنى وقد اختلف فيه على قولين ولكل منهما ادلة كقوله ووجدك
عائلا فاغنى حيث امتن عليه بالغنى ولا دليل فيه لانه امتن عليه بقضاء حاجته والمفضول
قد يكون في مقام له فيه مزية على الفاضل ولا في قوله ان الانسان ليطغى ان راه استغنى فانه
لم يذم الغنى بل ما قد يترتب عليه وكذا كون حساب الفقراء اخف والمختلف فيه هل الغني الشاكر
او الفقير الصابر فذهب الى كل منهما قوم من العلماء الحديث ذهب اهل الدثور بالاجور وحديث ان
الفقراء يدخلون الجنة قبل الاغنيا بنصف يوم من ايام القيمة وهو خمسمائة عام الى غير ذلك
من الاحاديث الواردة في الجانبين وقال الغزالي قد انكشف ان الفقر هو الافضل لكافة الخلق
الا في موضعين غنى يستوي فيه الوجود والعدم ويستفاد به دعاء المساكين وقضاء حوائجهم
كغنى بعض الصحابة وفقر يكون مع الضرورة حتى يكون كفرا فالاول خير محض وهذا الاخير
فيه بوجه من الوجوه والممدوح غنى النفس لا غنى المال من حيث هو والفضل كله في الكفاف
والاقتصار على مقدار الحاجة ولذا طلبه صلى الله عليه وسلم له ولاله وان كان ليظل جائعا
ان مخففة من ان المكسورة الهمزة المثقلة والجملة حالية ويظل بفتح المثناة من اخوات كان
واصل معنى ظل فعل نهارا لانه زمان يبين وفيه الظل ثم استعمل لدوام الفعل ليلا ونهارا وهو
المراد يلتوي طول الليلة من الجوع بتقديم اللام على التا الفوقية وواو مخففة مكسورة
وفي نسخة يتلوى بيا مثناة مفتوحة وفوقية مفتوحة ولام وواو مشددة مفتوحة
تليها الف ومعناه يتقلب على فراشه من الم الجوع من لواه يلويه ليا اذا صرفه عن جانب
لاخر قالت لو وروينهم وهذا لزهده في الدنيا وصبره على مشاقها ليقمع شهوته ونفسه
ويقهرها ويرشد امته لذلك كما بينه بقوله فلا يمنعه صيام يومه بالنصب بيمنع او بنزع
الخافض اي عن صيام يومه يقال منعت الرجل عن الشي فامتنع بقوله ولو شاء صلى الله
عليه وسلم الغنى او الشبع وشاء كثيرا ما يحذف مفعولها بعد لو كذا لان جوابها عليه جميع كنوز
الارض وثمارها ورغد عيشها ما بعد الكنوز يجوز جره عطفا عليه ونصبه عطفا على
جميع والكنوز جمع كنز وهو معروف والثمار جمع ثمرة وهي ما يحصل من الاشجار ونحوها
وقد يراد به كل ما يستفاد من غيره كما يقال ثمرة العلم العمل ويجوز ارادة هذا هنا ورغد
بفتحتين وقد يسكن ثانيه ويقال فيه رغيد والرغد والعيش بمعنى المعيشة والمراد ما
يتعيش به واصل معنى الرغد الواسع يقال ارغد فلان اذا اصاب رغدا اي سعة وخصبا
وعزة ولقد كنت ابكي رحمة له مما اراه به وفي نسخة مما اري به اي مما اشاهده به
او مما اعلم به وامسح بيدي على بطنه كانه بمسحه يستريح بذلك كما كان يضع الحجر عليه ليقوي
ويشد صلبه وهذا للشفقة مما به من الجوع اي من الم به ثم تبين ان ذلك شفقة بقولها
واقول نفسي لك الفدا تقدم ان الفدا بالكسر والفتح والقصر والمد وهو ما يفدى به
الاسير ونحوه فيجعل عوضا عنه ويقال فديته بنفسي بامي وابي ومالي وقد يقال بنفسي
من غير ذكر للفدا ويسمى البا با التفدية وهذا جائز بل مستحب لصدوره منه صلى الله عليه
وسلم فيقال لمن له شرف كالحكام والعلما والصلحا والاعزة الاخوان قصدا للتوقير

واستعطافه ولو كان محظورا كما قيل ما قاله ولنهى عنه من قال له وقد قال له ابو بكر
فديناك باباينا وامهاتنا وقال صلى الله عليه وسلم ارم فداك ابي وامي وسمعه قوم الحديث
مالك بن فضالة ان الزبير دخل عليه وهو شاك فقال كيف تجدك جعلني الله فداك فقال
له ما زلت على نصرانيتك بعد قيل ولا حجة فيه لما ادعوه لان هذا الحديث الواحد لا يقاوم
الاحاديث الصحيحة الواردة بخلافه ولاحتمال انه انما نهاه عنه لوروده في غير محله لانه لا ينبغي
ان يقال للمريض بل يتوجع له ويقال لا باس عليك وعافاك الله وشفاك ونحوه ولكل مقام مقال
لا لان القائل له كان ابواه مشركين ولا لانه من خصوصياته لان من قابلية من ليس كذلك
والاصل عدم الخصوصية **لو تبلغت من الدنيا بما يقوتك** التبليغ مفعل من البلاغ وهو بقدر
الكفاية يقال تزود من دنياك بالبلاغ ماخوذ من الزاد الذي يبلغ به المسافر منزله وضمنه
هنا معنى اكتفيت منها بالكفاف من القوت من غير ضرورة ومخمصة ولو للتمني **فيقول يا عائشة
ما لي وللدنيا** قيل ما نافية اي ليس لي الفة ومحبة مع الدنيا حتى ارغب فيها او استفهامية
اي اي الفة ومحبة ورغبة لي في الدنيا وهذا من اشارة الزهد واظهاره لغنى القلب ومحبة
تركه لها ثم بين انه مقام عظيم سبقه به الرسل فيجري على طريقتهم فقال **اخواني من اولي العزم
من الرسل** تقدم انهم نوح وابراهيم وموسى وعيسى على خلاف فيهم وفي وجه تسميتهم بذلك
صبروا على ما هو اشد من هذا كالحبس والعرض على القتل وغير ذلك مما علم من التفاسير **فمضوا
على حالهم** اي استمروا او اصبن بعضا الله لهم الى ان ماتوا **فقدموا على ربهم** اي لا قوه هم
وشاهد واما الكشف لهم من احوال الاخرة في البرزخ **فاكرم مآبهم** اي اكرمهم في مرجعهم اليه
يقال آب يؤوب اذا رجع فهو اسم مكان او مصدر ميمي **واجزل ثوابهم** اي كثر لهم العطا والجزا
في دار المقامة **فاستحي من الله** عند لقائه **ان ترفهت في معيشتي** اي ان تنعمت وتوسعت
في العيش والترفه تفعل من الرفاهة والرفاهية وهي كالرغد السعة وقد كان الله خيره قبل
موته بين الخلد في الدنيا ولقائه فاختار لقاءه كما قال ابن العربي وان شرطية ويجوز فتحها
على المصدرية بتقدير لام قبلها اي لترفهي ووقع في نسخة في معيشتهم اي في جنس معيشتهم
والاصح الاول **ان يقصر بي غدا** يقصر مبني للمجهول مع التشديد اي ان يقع المقصر او
المقصر بالكسر حاله وعمله **دونهم** اي فيكون مقامي دون مقامهم لتنزل مرتبتي عن مرتبتهم والمعيشة
مفعلة وجمعه معايش بلا همز وقد تهمز قليلا كما بينه النحاة وهي ما يتعيش به وغدا بالمعجمة اليوم
الذي بعد يومك والمراد به الاخرة جعل الدنيا بمنزلة اليوم الحاضر والاخرة لكونها بعدها بمنزلة
غد استعارة **وما من شيء هو احب الي من اللحوق باخواني واخلائي** بالمد مضاف لياء
المتكلم جمع خليل وهو قياس في المضاعف والمراد بالاخوان والاخلاء الانبيا السابق ذكرهم
والرفيق الاعلى وعن عايشة عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لم يقبض نبي قط حتى يرى مقعده
من الجنة ويخير بذلك فلما حضرته الوفاة شخص بصره وهو يقول اللهم اغفر لي والحقني
بالرفيق الاعلى كما في البخاري وفي النهاية الرفيق الاعلى جماعة النبيين الذين يسكنون اعلى عليين
او المراد به الله عز وجل فالرفيق بمعنى الرؤوف وهو من اسماء الله كالاعلى واللحوق بهم بمعنى كونه معهم
وقالت عائشة فما اقام بعد بالبناء على الضم اي بعد مقالته هذه **الا شهرا حتى توفي صلى الله
عليه وسلم** اي انتقل للاخرة •
واستوفى ايام عمره •

فصل واما خوفه ربه

لما كان الزهد ترك الدنيا باختياره وحبسه نفسه عن الشهوات وذلك انما يكون بعد تحقق
الخوف والرجا عقب الزهد بالخوف من الله وربه منصوب مفعول المصدر • واعلم انهم اختلفوا في
خوف النبي صلى الله عليه وسلم من عقاب الله تع قال الامام ابو الحسن الاشعري في كتاب الايجاز كان
النبي صلى الله عليه وسلم يخاف الله تع بلا خلاف الا ان خوفه كان لماذا فقال اهل الحق كان خوفه قبل
ان آمنه الله من عقابه وبعده كان من عقابه ولومه في الدنيا كما قيل له لما اعرض عن ابن ام مكتوم
عبس وتولى الاية فاما بعد ان آمنه الله من عقابه فلا يجوز ان يخاف عقابه مع علمه بانه آمنه منه
فاخبره بانه لا يخاف عقابه خلافا للرافضة والقدرية حيث زعموا انه وساير المكلفين ما داموا
مكلفين في الدنيا لا بد ان يخافوا عقابه سواء آمنهم ام لا ودليلنا ان الخوف لا يجوز الا مع تجويز
نزوله به واما مع القطع بانه لا يحصل ابدا فمحال حصول الخوف منه لا يجوز عندنا قال فلو قلنا
انه صلى الله عليه وسلم كان يخاف عقاب الله مع تامين الله له من ذلك يؤدي الى كونه شاكا في
خبره وانه صدق او كذب في اخباره بانه لا يتعلق به عقاب ولما بطل هذا بالاتفاق علم ان الخوف
لا يصح مع القطع بانه لا يعاقب اصلا انتهى • وسئل ابن حجر الهيتمي عن الانبيا والملايكة والعشرة
المبشرين هل كانوا يخافون عقاب الله بعد اخبار الله لهم بانهم لا يعذبون • فاجاب بان نفي
الخوف واثبات الامن لمن ذكر مطلقا باطل مصادم للنصوص من وجوه احدها ان حقيقة الخوف كما في
الاحيا الم القلب لتوقع مكروه في المستقبل وهو اقسام منها خوف ضعف القوة عن الوفا بحقوق الله
على ما ينبغي والخوف بهذا المعنى محقق في جميع الانبيا وبلزم عدم الامن من مكر الله ولا يامنه احد
الا ان المامون منه الانسلاخ عن النبوة والملايكة والايمان في العشرة على انه قيل بوقوعه
لبعضهم والرجا والخوف متلازمان واشتراط الرجا والخوف بما هو مشكوك فيه لا تايس فيه لانهم
لا يخافون لانهم على بينة ويقين من ربهم كما قيل بل هو حجة عليه لما مر من معنى الخوف فالكمل على
يقين من اصل الكمال وقد يوهم عدم استشعار قدرة الله واستغنايه عن خلقه وانه لا يسال عما
يفعل ولا يجب عليه شي وقد يشترط ما اخبرهم به بما انطوى عن علمهم فيوجب الخوف حتى من سلب
اصل الكمال الثاني ان الشافعي صرح بان الملايكة داخلون في قوله لا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون
لما اخرج ابن ابي حاتم من ان الله تع قال لهم ما هذا الخوف الذي بلغ بكم هذا وقد انزلتكم منزلة لم
ينزلها غيركم فقالوا ربنا لا يامن مكرك الا الخ • الثالث ما في الاحيا من ان الانبيا يخافون المكر
لما روي ان النبي وجبريل بكيا خوفا من ان يكون تامينهم امتحانا ومكرا وهذا هو الذي قطع قلوب
العارفين فلا شبهة في ذلك لقوله لا ادري ما يفعل بي ولا بكم • فان قلت يرده ما روي عن
الحسن انه لما نزلت هذه الاية خاف زمانا فلما نزل انا فتحنا الخ جد في العبادة وقال افلا اكون
عبدا شكورا وروي انه قال في الاية اما في الاخرة فمعاذ الله لانه اخبر بانه في الجنة فالمعنى
ما ادري ما يفعل في الدنيا فاخبره بنصره واظهار دينه • قلت المراد خوفه من امور الدنيا
واستيصال امته فآمنه الله منه واما الخوف من الله فلا يامنه احد • الرابع انه ورد في ادعية
كثيرة ما يدل عليه نحو اللهم اني اعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وبك منك
وقوله اللهم اني اعوذ بك من عذاب النار وفتنة المحيا والممات وليس هذا لتشريف الامة ان يقولوه
لانه لم ينقل قولوا ولا قرينة على تقديره انتهى • وقد اختلف الفقها في الامن من مكر الله والياس
من رحمته فقال الشافعية انهما من الكباير وقال الحنفية انهما كفر لقوله تع انه لا يياس من روح
الله الا القوم الكافرون ولا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون وتمسك الشافعية لعدهما من الكباير

بما ورد في حديث ابن مسعود وقال ابن ابي شريف ان اريد باليأس انكار سعة الرحمة لكثرة
الذنوب وبالامن انه لا مكر فهو كفر وفاقا لانه رد للقرآن وان اريد استعظام الذنوب واستبعاد
العفو عنها استبعادا يدخل في حد اليأس وغلبة الرجا المدخل له في حد الامن فهو كبيرة لا كفر فان
ورد اطلاقه عليه فللتغليظ او اراده كفران النعمة انتهى وبهذا وفق بينهما ابن نجيم في رسائله
وعلى ما مر عن الاشعري يخص الامن بغير من مر وعلى غيره هو باق على عمومه هذا جملة ما قاله الفقها
والاصوليون في هذه المسئلة وههنا بحث فيما قالوه وهو ان الاشعري امام اهل السنة وقد
جزم بانهم عموما ذهبوا الى امنهم من العقاب دون العقاب وقوله افلا اكون عبدا شكورا يؤيده وما
ذكر من الخوف والادعية فالظاهر الذي يقتضيه النظر الدقيق ان مكر الله ليس بمعنى عقابه بل بمعنى
ان يقدر عليهم امرا يقتضيه اذا صدر منهم لانه وان كان له ان يعذب كل احد لكن عدله وحكمته
تقتضي ان لا يقع ذلك منه بل يجوز جوازا عقليا ومن علم هذا ونظر لعظمته واستغنائه عن جميع
مخلوقاته خاف منه وخشي منه وهذا مقام الكاملين ولذا قال انما يخشى الله من عباده العلماء وهذا
الخوف لا بد منه لكل احد واما خوف العقاب بدون هذا ما دام على حالة العصمة والتقوى فلا
يجوز عليهم فانه يلزمه عدم الوثوق بخبره وعلى هذا يحمل كلام الاشعري وهو مناسب ما قاله ابن
حجر وله ان تقول انه لشدة خوفه من الله تعالى قد يذهل عن تأمين الله له لا سيما مع ما مر ونظيره
ما قاله السيوطي في اجوبة الاسئلة المذكورة في قول يوسف توفني مسلما وهو يعلم ان كل نبي
لا يموت الا مسلما انه دعا بذلك في حالة غلبة الخوف عليه حتى اذهلته عن علمه ساعة الدعا او
ذلك اظهارا للعبودية والافتقار وشدة الرغبة في طلب سعادة الخاتمة وتعليما للامة انتهى
ثم رايت ما قلناه صرح به ابن عربي في سراج المريدين فالحمد لله على الوفاق اذا عرفت هذا فقوله
في شرح جمع الجوامع الامن من مكر الله معناه الاسترسال في المعاصي اتكالا على العفو ليس بسديد
وليس محلا للخلاف • ثم اقول الحق ما قاله الاشعري والذي ندين الله به انا نعتقد ان العقاب
لا يقع وان الانبيا خصوصا نبينا بعد عصمته ومغفرة ما تقدم وما تاخر له لا يخشى احد عليه العقاب
ولا يجوزونه عليه انما هو لعظمة الله ومهابته عنده وعلمه بانه غني عن خلقه له ان يفعل بهم ما
اراد ليخافه خوفا شديدا ويستعيذ من عقابه وان لم يجوزه عن وفي قوله تعالى لا خوف عليهم ولا
هم يحزنون ايماء لذلك دقيق وما قاله ابن حجر لا دليل له فيه وكلام الغزالي لا حجة له فيه والآية
التي ذكرها مخصوصة بالدنيا او منسوخة كما في الكشاف وانما اطلنا الكلام في هذا المقام لانه
من مزال الاقدام فعليك باعادة النظر فان مورده لم يصف من الكدر **وطاعته له وشدة**
عبادته قرنهما مع الخوف لتلازمهما معه **فعلى قدر علمه بربه** قال القشيري العلم والمعرفة
عند العلما بمعنى وعند القوم معرفة الحق باسمائه وصفاته ومن عرفه صدق في معاملاته
وتنقى من رديء اخلاقه وآفاته ومن امارات المعرفة حصول الهيبة والهيبة الخوف مع الاجلال
والى هذا اشار المصنف فان من قدر الله حق قدره اشتد خوفه واطاعه وعبده على قدر طاقته وانما
يعصي الله من جهل ربه ونفسه فان الايمان محبة الله ومن احبه اطاعه وبعث الرغوة اللبن الصريح
حدثني ابو محمد بن عتاب قراءة مني عليه تقدم ترجمته **حدثنا ابو القاسم الطرابلسي** خاتم
بن محمد بن عبد الرحمن التميمي المعروف بابن الطرابلسي كما تقدم عن البرهان فالنسبة اليه طرابلسي
والطرابلسي بن يادة في اوله وهي مدينة بالشام وبالمغرب والمشهور فيها ترك السين بالتا وهو صحيح
ايضا لانه اعجمي عرب بابدال التا طا فلك حكاية اصله والنطق بمعربه **حدثنا ابو الحسن**

القابسي علي ابن محمد بن خالد المعافري الامام الحافظ الفقيه وقد تقدم **حدثنا ابو زيد**
المروزي تقدم ايضا **حدثنا ابو عبد الله الفربري** تقدم ضبطه وترجمته **حدثنا محمد بن**
اسمعيل الامام البخاري صاحب الصحيح وقد تقدم **حدثنا يحيى ابن بكير** المخزومي الحافظ
ابو زكريا المصري روى عنه البخاري وغيره وهو ثقة وان ضعفه بعضهم توفي في سنة احدى
وثلاثين وثلثمائة **عن الليث** بن سعد بن عبد الرحمن بن حمزة عالم مصر واصله من اصفهان
وكان نظير الامام مالك وكان اسخى الناس فقيل انه كان دخله في كل يوم الف دينار ولم تجب عليه
زكاة توفي في يوم الجمعة نصف رمضان سنة خمس وسبعين ومائة وقيل غير ذلك وادرك ناسا
من التابعين **عن عقيل** مصغر وهو عقيل بن خالد الحافظ اخرج له الائمة الستة وله ترجمة في
الميزان توفي في سنة احدى واربعين ومائة **عن ابن شهاب** تقدم انه ابو بكر بن محمد الامام المشهور
بالزهري **عن سعيد بن المسيب** تقدم ضبطه والكلام عليه **ان ابا هريرة** تقدم ايضا **كان**
يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم من عظمة الله تعالى وجلاله وكبريائه
هذا هو المناسب بالترجمة او ما اعلم من احوال الآخرة واهوالها وما سيلقاه الانسان وفي الآية
طبا قان او ثلاثة بين القلة والبكا والعلم وبين الكثرة والضحك وعدم العلم فتدبر **لضحكتم**
قليلا ولبكيتم كثيرا وهذا الحديث رواه المصنف عن صحيح البخاري وله فيه رواية اخرى عن الترمذي
اشار اليها بقوله **زاد في رواية عن ابي عيسى الترمذي رفعه الى ابي ذر** بصيغة الماضي
اي زاد هذا الكلام او مصدر هو مفعول اي زاد يعني ان رواية البخاري السابقة رواية ابي
هريرة وهذه رواية عن ابي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد خالف المصنف في عبارته ما اصطلح
عليه المحدثون فان المرفوع عندهم ما اتصل بالنبي صلى الله عليه وسلم بان يحكي صحابيه قال
النبي كذا فيقال رفعه الى النبي لا الى الصحابي وقيل الجار والمجرور متعلق بحال مقدرة
تقديره عازيا الى ابي ذر فلا مخالفة فيه لاصطلاحهم وسيأتي تتمته **اني ارى ما لا ترون**
واسمع ما لا تسمعون المراد بما الموصولة مغيبات وامور في الملا الاعلى اطلعه الله عليها
وغيره لا يراها كرؤية الملائكة والجنة والنار وعذاب القبر والاطلاع على الموتى واحوال
البرزخ وسماعه لاصوات المعذبين في القبور ولاطيط السما المشار اليه بقوله **اطت**
السما اصل معنى الاطيط صوت الابل اذا حنت والقتب اذا ضغطته ثقل ما عليه ونحو ذلك
اي ان السما لكثرة ما عليها من الملائكة اذا تحركوا يسمع لها صوت سمعه النبي صلى الله عليه وسلم
وحق لها بالبنا للمجهول وهو مصدر مرفوع خبر مقدم لقوله **ان تئط** اي تصوت ويسمع
لها صرير لثقل ما عليها وعلى الاول هو نائب الفاعل وقد قيل ان صريرها يسمع منه الحان
متناسبة مطربة منها اخذ الحان الموسيقى ولذا تطرب الارواح لسماعه لتذكرها معاهدها
وقيل انه انين من خشية الله وقال التلمساني هذا ايذان بكثرة ما في السما من الملائكة وان لم
يكن ثمة اطيط والمراد تقرير عظمة الله ثم استانف ما يبين سبب اطيطها فقال **ما فيها**
موضع اربع اصابع الا وملك واضع جبهته ساجد لله اي ليس فيها مكان خال
منهم ومن هنا علم ان الملائكة اكثر المخلوقات **والله لو تعلمون ما اعلم** من احوال الدنيا
والآخرة الدالة على عظمة الله وقدرته **لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا** اي لضحكتم ضحكا
قليلا اذا سررتم برجا عفو الله ونظر ما انعم به عليكم وبكيتم للخوف منه حتى يشغلكم ذلك
عن التنعم والتفكه بلذائذ الدنيا **وما تلذذتم بالنساء على الفرش** بضمتين جمع فراش وكني

بذلك عن مضاجعة النسا **ولخرجتم الى الصعدات** بضم الصاد المهملة وضم العين المهملة وفتح الدال المهملة جمع مؤنث سالم الصعد بضمتين جمع صعيد كطريق وطرق لفظا ومعنى اي لخرجتم من دوركم للطريق وممر الناس وقيل جمع صعدة كظلمة وهي فناء الدار **تجارون** اي تضجون وتصيحون من الجوار بضم الجيم وفتح الهمزة والف ورا مهملة وهو الصياح ورفع الصوت اي تستغيثون الله وتتركون اهلكم ومساكنكم **لوددت اني شجرة تعضد** اي تقطع من اصلها يقال عضدت الخشب والنبات اذا قطعته واللام في جواب قسم مقدر ووددت بزنة علمت بمعنى تمنيت والعرب تقول وددت وبودي اذا تمنيت قال البحتري ۞

• وبودي لو استطعت لخففت • بصر عن سيدي حين ملّا •

وهو مستعار من المودة المعروفة قال الراغب الود محبة الشيء وتمني كونه ويستعمل في كل واحد من المعنيين على ان التمني يتضمن معنى الود لان التمني يتمنى حصول ما يوده انتهى ۞ والمراد تمنيه ان يكون غير ذي روح فلا يبعث ولا يسال وعضد الشجر موته واخر المهد به **وروي هذا الكلام** يعني قوله لوددت اني شجرة تعضد فهو بدل من الكلام مبين له **من قول ابي ذر نفسه** لا من الحديث وكلام النبي صلى الله عليه **وهو** اي كونه قول ابي ذر **اصح** وفي نسخة واضح والصحيح اصح اي من كونه من الحديث مرفوعا له صلى الله عليه وسلم وهو اليق بحالة وانسب لكلامه بخلاف ما قبله فانه من الحديث بلا خلاف والى هذا اشار بقوله سابقا زاد في رواية عن ابي عيسى الترمذي رفعه الى ابي ذر واذا كان من كلام ابي ذر فهو مدرج في الحديث اذ لم يميز لفظه عن لفظه فاعتراض البرهان الحلبي عليه بانه كان ينبغي له ان يقول انه مدرج لا وجه له نعم في عبارته السابقة كدر لا يخفى قيل وكونه صلى الله عليه وسلم تمنى ما ذكر مشكل لانه مقطوع له بانه آمن من كل سوء موفق بالدرجات العلى وخوفه انما هو خوف اجلال وهيبة لا خوفا من غضب الله وسوء الخاتمة وقول بعض الصحابة المبشرين بالجنة ليتني طائر وليتني لم اخلق بشرا او كبشا اذبح ونحو ذلك لحمه ليس لعدم الوثوق بالوعد ولم يكن الاخوفا من مخالفة امره فانهم يجلونه ويخافون من مخالفته وان لم يعاقبهم وهذا من مخالفة امره فانهم يجلونه كلام من لم يحقق المقام وقد تقدم في هذا الفصل ما فيه كفاية **وفي حديث المغيرة** المتفق عليه في رواية الشيخين والمغيرة بضم اوله وبكسر اتباعا ابن ابي شعبة من الصحابة وهو احد دهاة العرب **صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم** اي صلاة التطوع والتهجد لان الزيادة المذكورة انما تاتي فيها **حتى انتفخت قدماه** وفي رواية ساقاه وروي تورمت وتزلعت بزاي وعين مهملة اي تشققت **فقيل له اتكلف هذا** بهمزة استفهام وفتح التا الفوقية واصله اتتكلف بحذف احدى التائين تخفيفا اي تحمل مشقته وكلفته **وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر** جملة حالية معترضة بين الاستفهام وما ياتي بما في اضافة الذنب له مع انه معصوم من الصغائر والكبائر على الاصح بان المراد لو صدر منك او ما يعد من الذنوب بالنسبة لتنزهك وعلو مقامك وستسمع تفصيله في محله **قال افلا اكون عبدا شكورا** لما انعم الله به علي من جلائل النعم التي لا تحصى ومن اجلها عصمته لي ومغفرته لمن بني قبل وقوعه والاستفهام انكاري والفا سببية اي اترك الصلاة لمغفرته وهي سبب موجب للعبادة لا لتركها وقوله شكورا لان النعم جليلة تستوجب مزيد شكره وقوله عبدا تلويح لغاية اكرامه له بتقريبه ونسبته لسيده وكل يقتضي اجلال الشكر وهو العبادة **ونحوه عن ابي سلمة** واسمه عبد الله او اسمعيل واسمه كنيته

ابن عبد الرحمن ابن عوف الزهري التابعي احد الفقها السبعة المشهورة بروايته عن ابي هريرة وغيره وفي الصحابة ابو سلمة عبد الله بن عبد الملك المخزومي مات في حياة النبي ولا يعرف له الاحديث اخر واخوان غير مشهورين ولا الرواية عنهم مشهورة **وابي هريرة** قال البرهان هكذا في النسخ قال المحشي وانا اخشى ان يكون هذا غلطا والصواب فيه عن ابي سلمة عن ابي هريرة فانه وقع هكذا في الشمائل في باب عبادة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان ذكر حديث المغيرة الذي ذكره المص هنا فقال بعده حدثنا الفضل بن موسى عن محمد بن عمرو عن ابي سلمة عن ابي هريرة كان يصلي الخ ولكنه عطف احدهما على الاخر وهو بعيد ايضا **وقالت عائشة** كما رواه الشيخان **كان عمل رسول الله ديمة** بكسر الدال وسكون اليا المنقلبة عن الواو لانه من الدوام ومعناه الدائم واصل معناه المطر الدائم في سكون وهدو وفي الحديث احب الاعمال ما دووم عليه وان قل لان ترك الشيء بعد فعله كالاعراض بعد الاقبال ولذا وقع الوعيد لمن حفظ القرآن ثم نسيه **وايكم يطيق ما كان يطيق** اي ايكم يقدر ان يعبد الله كما عبده كما وكيفا **وقالت عائشة كان يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم** روي نقول بالنون والتا الفوقية وبرفع نقول ونصبه كما قرر في قوله وزلزلوا حتى يقول الرسول اي انه كان في بعض الازمنة يوالي الصوم حتى يتوهم انه صائم الدهر ونادرة يكثر الفطر حتى يظن انه لا يصوم نافلة وقيل المراد انه كان يصوم من اول الشهر ووسطه واخره حتى يتوهم من صادف ايام صومه انه دائم الصوم ومن صادف افطاره كذلك وهو بعيد وهذا لا ينافي كون عمله ديمة لانه بالنسبة لما كان راتبا كصوم ثلاثة من كل شهر وهذا بالنسبة لغيره ولك ان تقول الاول في صلاته وقيامه وهذا في صيامه ويؤيده لفظ العمل لكن يا باه قوله **ونحوه عن ابن عباس وام سلمة** واسم ام سلمة هند على الصحيح وقيل رملة والاحاديث الذي رواها هؤلا بمعنى ما تقدم مع اختلاف في بعض الفاظها وكلها صحيحة مروية في الصحيحين وابن حبان وقد ذكرها بعض الشراح ولكن لا حاجة لايرادها هنا كما في الشرح الجديد **وقال عوف بن مالك** هو ابو عبد الرحمن الاشجعي الصحابي الجليل العدد سكن الشام وتوفي به في ايام عبد الملك سنة ثلاث وسبعين وهذا الحديث رواه ابو داود والنسائي **كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فاستاك ثم توضا ثم قام يصلي فقمت معه** اي لتهجد واقتدي به وفيه دليل على الاقتدا في صلاة النافلة من غير نزاع واليه ذهب الشافعي وبعض الحنفية **فبدا الصلاة** وفي نسخة فبدا الصلاة بالفا اي شرع في الصلاة **فاستفتح البقرة** اي شرع في قراتها وفيه دليل على انه يقال البقرة وسورة البقرة من غير كراهة كما ورد في حديث لا يحصى واسماء السور توقيفية على الاصح خلافا لمن قال انه يكره وانما يقال السورة التي تذكر فيها البقرة السورة التي تذكر فيها النساء وهكذا لما روى الطبراني والبيهقي عن انس مرفوعا لا تقولوا سورة البقرة ولا سورة آل عمران ولا سورة النسا ولكن قولوا السورة التي تذكر فيها البقرة وهكذا وهو ضعيف بل قال ابن الجوزي انه موضوع والاحاديث المعارضة له صحيحة فهي ارجح عليه العمل او نقول ان هذا كان في اول الاسلام ثم نسخ لان المشركين كان يستهزؤن بهم اذا قالوا سورة العنكبوت ونحوه فلما كفاه الله المستهزئين وكف السيف ايديهم والسنتهم قيل ذلك من غير حرج **فلا يمر على اية رحمة الا وقف فسال ولا يمر باية عذاب الا وقف وتعوذ** وهذا الحديث اخرجه ابو داود والنسائي ويؤخذ منه انه ينبغي لمن قرا القرآن ان يتدبره ويتفكر في معانيه

وان الدعا بما يناسبه مستحب ومستجاب فيدعو بما يناسب واذا ذكر الايمان بالله يستحب ان يقول امنت بالله ونحوه ونحو هذا ما ورد ان من قرا سورة تبارك فبلغ فمن ياتيكم بماء معين فليقل الله رب العالمين واذا قرا سورة التين فبلغ اليس الله باحكم الحاكمين فليقل بلى وانا على ذلك من الشاهدين واذا قرا لا اقسم وبلغ قوله اليس بقادر على ان يحيي الموتى فليقل بلى واذا قرا المرسلات وبلغ فباي حديث بعده يومنون فليقل امنا بالله واذا قرا سبح اسم ربك فليقل سبحان ربي الاعلى واذا قرا سورة الرحمن فليقل عند كل فباي الاء ربكما تكذبان ولا بشي من نعمك ربنا نكذب وكل ذلك في الاحاديث الصحيحة وهذا نظير بجود التلاوة الا ان من الناس من فعل امورا زايدة على ما ورد كالدعا بين الجلالتين في سورة الانعام وقد قال البقاعي انه بدعة لم ترد في اثر ولا حديث **ثم ركع فمكث** بضم الكاف وهي لغة القران وبفتح في لغة ومعناه انتظر وتوقف **بقدر قيامه يقول سبحان ذي الجبروت والملكوت والعظمة** هذه الصيغة صيغة مبالغة كالرهبوت والرحموت والرغبوت وهي مصادر في الاكثر ووردت في الاسماء ايضا كجالوت والجبروت مبالغة في الجبر وهو القهر والملكوت الملك العظيم وعقبهما بالعظمة لانهما كالدليل عليها ولانها اعم ويكون كرر ذلك مرارا كثيرة حتى يكون بمقدار قيامه كما لا يخفى **ثم سجد فقال مثل ذلك ثم قرا ال عمران** اي السورة التي ذكر فيها قصة ال عمران وقد تقدم جوازه وما فيه **ثم سورة سورة** اي ثم قرا في صلاته في كل ركعة سورة بعد سورة وهما منصوبان على الحالية كما قرره النحاة في قولهم قرات النحو بابا بابا وجعله التلمساني منصوبا مفعولا لقرا المقدر وفيه نظر والسورة مهموزة من السور وهو بقية الشي الباقي في الاناء وتبدل همزته واوا لسكونها وانضمام ما قبلها وقيل ان واوه اصلية على انه من السور لاحاطتها بالايات ومن التسور لرفعتها والسورة مقدار من القران مشتمل على ايات اقلها ثلاثة مسماة باسم ولا يرد عليه اية الكرسي لذكر الاية **يفعل مثل ذلك** المذكور من القراة والتسبيح **وعن حذيفة** ابن اليمان الصحابي المشهور وهذا الحديث رواه عنه مسلم **مثله** اي مثل الحديث السابق **وقال** حذيفة **سجد نحوا من قيامه وجلس بين السجدتين نحوا منه** اصل معنى النحو القصد ومنه علم النحو ويقال هذا نحو هذا اي مثله او قريب منه فان قلت ذكر الفقها ان الجلوس بين السجدتين ركن قصير غير مقصود لذاته بل للفصل بين السجدتين حتى قال بعض الشافعية ان تطويله قصدا مبطل للصلاة ومخل بالموالاة وحديث حذيفة صحيح رواه مسلم وهو مناف لما ذكر قلت قالوا انه انما يضر اذا طوله بسكوت او ذكر غير مشروع فلو طوله بغير ذلك كما في صلاة التسبيح فلا يضر وقد يستحب كما ذهب اليه النووي تبعا لامام الحرمين استدلالا بحديث حذيفة **حتى قرا البقرة وال عمران والنسا والمايدة** اي قرا في كل ركعة بسورة من هذه السور **وعن عايشة** في حديث صحيح اخرجه احمد والنساي عن ابي ذر **في قولها قام رسول الله صلى الله عليه وسلم باية من القران** اي برددها والاية التي ذكرت طول ليلة ويكررها في كل ركعة وهي كما صرح به ان تعذبهم فانهم عبادك الاية في سورة المايدة وانما كثر ترددها للتدبر والتفكر فيها فان القران له بطون ففي كل قراة يظهر له ما لم يظهر قبل والله تعالى يتجلى لخلص عباده في كلامه ولكن لا يبصرون كما روي عن جعفر الصادق ففي كل قراة يتجلى له الله في مراة كلامه ومثل هذا لا نفي به العبارة اللهم نور مشكاة قلوبنا حتى تنطبع فيها صور الحقايق **وعن عبد الله بن الشخير** بكسر الشين المعجمة وكسر الخا المعجمة المشددة ومثناة تحتية ساكنة وراء مهملة وهو ابن عوف بن كعب المعافري الصحابي البصري المخضرم الذي ادرك

الجاهلية

الجاهلية والاسلام وروي له اصحاب الكتب الستة وهذا الحديث رواه ابو داود والترمذي والنساي **اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ولجوفه ازيز كازيز المرجل** جوف كل شي باطنه والمراد به ما تحت باطنه واضلاعه والازيز بهمزة مفتوحة وزاءين معجمتين بينهما ياء مثناة تحتية وهو صوت الغليان اذا اشتد وهو النشيش والمراد انه لشدة خوفه وخشيته من الله يسمع حركة قلبه اذا دق صدره وقيل صوت الحنين من البكا والمرجل بكسر الميم وسكون الراء المهملة وفتح الجيم واللام القدر مطلقا وقيل من نحاس **قال ابن ابي هالة الصحابي المتقدم كان صلى الله عليه وسلم متواصل الاحزان** اي حزينا حزنا يتصل بعضه ببعض بحيث لا ينفصل بينهما فرح ومسرة وهذا يقتضي الدوام ولذا فسره بقوله **دايم الفكرة** اي تفكره دايم في امره وامر امته ومن كان هكذا **ليست له راحة** لاستغراق اوقاته في الذي كلفه من اعباء الرسالة وتبليغ الاحكام وتدبير الحروب والوقايع ومن نيط به امور جميع الخلايق كيف يفضي من الهم فان الهموم بقدر الهمم والظاهر ان هذا حاله اذا لم يكن متكلما مع الناس في مصاحبته لهم وحكمه بينهم وملاقاة من يقدم عليه من الوفود وعرض الناس عليه امورهم وفي عشرة اهله وانما ذلك حال سكوته وهو بين الناس وفي خلوته بنفسه ومشيه وتعبده اما في غير ذلك فكان طلق المحيا متبسما متهللا بالبشر ودوام كل شي بحسب زمانه فاقسم لكل زمان ما يليق به فان للزمن حليا ليس للعنق فسقط ما قيل انه وصف في غير هذا الحديث بانه دايم البشر وهذا مما فضله وقد ورد عليه ايضا ان الحزن فضلا عن رويته غير محمود وقد نهى عنه الله ثم فقال ولا تهنوا ولا تحزنوا وقال لا تحزن ان الله معنا وقال انما النجوى من الشيطان ليحزن الذين امنوا واستعاذ منه فقال اللهم اني اعوذ بك من الهم والحزن والفرق بينهما ان الهم لما يقع في المستقبل والحزن لما مضى وكلاهما مفتر للعزم مضعف للقلب غير معدود من مقامات العارفين ولذا قال اهل الجنة الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن وقوله صلى الله عليه وسلم ما يصيب المومن من هم ولا نصب ولا حزن الا كفر الله به من خطاياه يدل على انه مصيبة يوجر المرء عليها والحديث الذي ذكره المصنف رواه الطبراني والقضاعي وقال ابن القيم انه لم يثبت وفي سنده من لا يعرف ولا اعلم صحته وفي التوراة اذا احب الله عبدا جعل في قلبه نايحة واذا ابغضه جعل في قلبه مزمارا قال ابن القيم اجمع اهل السلوك على ان الحزن ليس من مقامات السايرين الى الله ابو عثمان الحيري فانه قال الحزن فضيلة زيادة كال المومن ما لم يكن على معصية لانه ان لم يوجب تخصيصا اوجب تمحيصا فهو بلاء ومحنة كالمرض لا مقام كما قاله الحلبي وحزنه صلى الله عليه وسلم لما اودعه الله من الرحم ورقة القلب فكان يحب هداية الامة فاذا راى ما هم عليه من عنادهم وتخلفهم حزن لذلك وخاف من ان ينسب اليه قصور في دعوتهم وبما قررناه ظهر انه ليس فيما ذكر اشكال بوجه من الوجوه ولا حاجة لتفسيره دوام الفكرة بانها في ذات الله وصفاته حتى يرد عليه انه منهي فيجاب بان المنهي عنه الكل كما قيل **وقال عليه الصلاة والسلام اني لاستغفر الله في اليوم مائة مرة وروي سبعين مرة** هذا حديث صحيح وسياتي الكلام عليه وقوله استغفر بمعنى اطلب منه المغفرة اذا ذكر هذا اللفظ بعينه والسبعون عدد معلوم وقد يراد به مجرد التكثير وعلى هذا تكون الرواية بمعنى وطلب المغفرة وان اقتضى الذنب وهو معصوم من الكباير والصغاير مطلقا على الاصح المراد به انه لما كان يشهد في نفسه قصورا نزل له منزلة الذنب فاستغفر له او على اشتغاله بما ابيح له كالاكل واشتغاله بامور الناس ذنبا لعلو قدره عن الشهود او تشريع لامته او كان

استغفاره لذنوبهم وان لم يزل مترقيا في المقامات فكلما ترقي لمرتبة راي ما دونها نقصا فاستغفر منه وسيأتي تتمته **وعن علي سألت رسول الله صلي الله عليه وسلم عن سنته** اي سيرته وطريقته التي هو عليها وهذا الحديث ذكره في الاحيا وقال الحافظ العراقي لا اصل له وقال السيوطي انه موضوع وآثار الوضع لايخفا عليه وهو يشبه كلام الصوفية **فقال المعرفة اصل مالي** راس المال هو المال المعد للتجارة وما يكتسب به هو الفائدة والمراد بالمعرفة معرفة الله وصفاته والوقوف علي غوامض الامور مما لم يكن تعلمه وهي تختص بالعلم المسبوق بالعدم او بالجزئيات ولذا قيل ان علم الا يسمي معرفة ولا يقال لله عارف الا اذا جاءت بمعني العلم ايضا والمراد هنا الاول لمقابلتها بالعلم وهذا تشبيه بليغ كما قيل

اذا كان راس المال عمرك فاحترس • عليه من الانفاق في غير واجب

والعقل اصل ديني والعقل قوة غريزية في الانسان يستعد بها لادراك العلوم اي دينه وشرعه او ما تعبد به وتدين قبل البعثة او قبلها وبعدها مبني علي ما او دعه الله فيه من كمال عقله الذي هداه الي النظر في مصنوعات الله الدالة علي وحدانيته وعظمته فانه هو الحقيق بالعبادة وفي الحديث ان عايشة قالت يا رسول الله بم تتفاضل الناس قال بالعقل في الدنيا والآخرة فقالت اليس يجزون باعمالهم فقال يا عايشة هل يعمل الا من له عقل فبقدر عقولهم يعملون وبقدر ما عملوا يجزون وقد اتفقوا علي ان ما اعطي الناس من بدء الدنيا الي اخرها من العقل بالنسبة لعقله صلي الله عليه وسلم كنسبة ذرة من الرمل الي رمال الدنيا كلها **والحب اساسي** اي محبة الله بعد معرفته لان من لم يعرف لا يحب اساسي اي يبني عليه اموري في اتباع اوامر الله ونواهيه كما انه موجب لاتباع الناس لي كما قال تعالي قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ولا يكمل ايمان احد حتي يكون الله احب اليه من نفسه واهله وماله وجميع هذه الامور في نسق لان راس المال والاس والاصل من واد واحد وتغاير العبارة انما هو لتكوين الخطاب **والشوق مركبي** اي شوقي الي المطالب العالية والي لقاء الله هو الذي حركني حتي وصلت لمرادي كما قيل

وقالوا اذا اتيت لهم سريعا • مجدا في سبيلي السلاقي

ركبت علي البراق فقلت كلا • ولكني ركبت علي اشتياقي

والشوق اعلي من المحبة لانه ينشا عنها فانه انجذاب النفس لقوة ميلها الي لقاء من تشتاقه **وذكر الله انيسي** وفي نسخة انسي يعني انه يانس في خلوته وجلوته بذكر الله لانه اذا اكثر ذكره صار نصب عينه حتي كانه معه ومن كان الله معه انس به واستوحش مما عداه ومن كان له ورد في الصباح والمسا كان من الذاكرين الله وانظر قوله فاذكروني اذكركم وقال بعضهم حقيقة الذكر ان تنسي ما سواه وتستغرق الاذهان فيه

لا لاني انساك اكثر ذكرا • ك ولكن بذكراك يجري لساني

والثقة بكسر المثلثة مصدر كالسعة بمعني الوثوق بما عند الله ومما يطلب منه **كنزي** الكنز المال المدفون وفيه بلاغة ونكتة بديعة لامن له مما يدفنون لا يراه ولكنه انفع مما يراه فكذا ما نرجوه من الله قبل حصوله انفع من الحاصل عند الثقة كما قيل

واني لارجو الله حتي كانني • اري بجميل الظن ما الله صانع

وعلامة الثقة بالله بذل الموجود وترك طلب المفقود **والحزن رفيقي** اي لا يفارقني وذكره مع الانيس لان الرفيق انيس وهذا بمعني ما تقدم من قوله متواصل الاحزان وقد علمت ما فيه **والعلم**

سلاحي اي علمي بالله وبما علمني من لدنه واوحاه الي ادفع من عاداني وخاصمني وادفع الشيطان ووساوسه كما يدفع العدو بالسلاح والالات **والصبر** في المكاره وتحمل المشاق وعدم العجلة في الامور **ردائي** الرداء ما يكون فوق اللباس وبه يتجمل ظاهر المرء ولما كان الصبر فيه سكون وتحمل وحلم ووقار يشاهده الناس شبهه بالرداء لتجمله به ودفعه ضرر البرد فما قيل من انه لو شبهه بالدرع والمجان صح كما قيل

تدرعت صبري والتحفت صبوره • وقلت لنفسي الصبر اوفا هلكي اسي

ليس بشيء **والرضا** بالقصر مصدر وبالمد اسم كما في الصحاح والذي في النسخ بالمد **غنيمتي** جعله غنيمة لانه يقهر به عدوه ونفسه اللوامة وياسرها اذ الراضي بما قسمه الله لا يتمني ما لم يكن فيحصل له غني القلب والراحة كما قيل

هل هي الا مدة وتنقضي • ما يغلب الايام الا من رضي

ولا شك ان الرضي بما قدره الله واجب وقوله في الشرح المجد اختلف العلما في الرضا هل هو واجب او مستحب فقيل هو مستحب لانه لم يرد الامر به وانما ورد الثنا علي المتصف به والي هذا ذهب محققوا العلما مما لا ينبغي ذكره **والفقر فخري** وفي نسخة البرهان وغيره والعجز بدل الفقر اي اظهار انه عاجز ضعيف وان القدرة والقوة لله وهو مقتضي مقام العبودية كما قال تعالي خلق الانسان ضعيفا والعجز المذموم الذي استعاذ منه الرسول صلي الله عليه وسلم في قوله اللهم اني اعوذ بك من العجز والكسل بمعني آخر وهو التثاقل عن العبادة والتواني كما قيل

اذا ما التواني انكح العجز بنته • فساق اليها حين اصدقها مهرا

فراشا وطاء ثم قال لها اتكي • فصار اهما لا شك ان تلد الفقرا

وقال ابن تيمية الفقر فخري ليس بحديث ومن قال انه حديث فقد كذب وقيل الظاهر ان المراد بالعجز بفتح فسكون هو العجز عن طلب الدنيا والتمكن في الثروة والشوكة وارتبه لازمه وهو الفقر لا وجه له فانه ليس بعاجز عما ذكر وانما تركه واعرض عنه باختياره كما في حديث لا يدخل علي الا عجزة الناس اي ضعفاؤهم وفي آخر اهل الجنة كل ضعيف متضعف وفي حديث هم ضعفاء الناس اتباع الرسل وفي حديث لا تسألا امتك اضعف الامم وهم اكثر اهل الجنة قيل فقوله الفقر فخري قد يقال انه رواية بالمعني فليس بكذب وفيه نظر وقال الحافظ ابن حجر انه باطل موضوع وان ورد مدح الفقر في الحديث كحديث تحفة المؤمن في الدنيا الفقر وقد يروي بسند لا باس به ولاثبات الفخر له وقد نفاه في قوله لا فخر لانه ليس من شانه لان المراد به الخصلة الحسنة التي من شانها الافتخار بها او المراد فخري لو كنت ذا فخر كما قيل في قراءة انما يخشي الله من عباده العلما برفع الجلالة اي انما يخشاهم لو كان يخشي غيره وان كان المشهور ان المراد بالخشية لازمه وهو التوقير والتعظيم والفقر مع الصبر صفة محمودة فان الغني هو الله كما قال تعالي يا ايها الذين امنوا انتم الفقرا الي الله والله هو الغني الحميد **والزهد حرفتي** الحرفة بكسر الحا وسكون الرا المهملتين والفاهي الصناعة التي يرتزق منها الانسان والزهد ترك ما يرغب فيه من الدنيا وقال الجنيد الزهد خلو الايدي من الاملاك والقلوب من التتبع وليس الزهد عدم ملك فان سليمان كان ازهد الناس مع ان الدنيا كلها في قبضته والتعبير بالحرفة ليس في محله فانه يوهم انه جعلها مكسبا وفيه شاهد للوضع ومما قلته في مشايخ زماننا

قد قام في سوق الريا تاجرا • وباع للسوقة ارشاده

غنية

قل

حرفته الزهد وذكانه ... يبيع فيه الكذب بجاده

واليقين قوتي اليقين الاعتقاد الجازم وهو قوت القلب من قام به لاطمئنانه وعدم خوفه من غير الله وهذا شامل لحق اليقين وعين اليقين والفرق بينهما مشهور في النفير وكتب الكلام والصدق شفيعي الصدق بمعنى مطابقة للخبر والمراد به ما اصطلح عليه المشايخ من انه استواء السر والعلانية والوفاء لله عز وجل بكل ما عهد اليه ويصح ارادة المعنى الاول والمراد بكونه شفيعه انه سبب مصالحه عند الله او المراد تعليم امته والطاعة حسبي بفتحتين هو ما يعده المرء من مفاخر ابائه اي طاعة الله في السر والعلانية هي التي افتخر به والا عدها ثروة لا ما يفتخر به الناس او هو بسكون السين اي الطاعة تكفيني والجهاد في سبيل الله او مجاهدة النفس بمخالفتها خلقي اي طبعت على محبته وقرة بضم القاف وتشديد الراء المهملة عيني الباصرة اي مسرتها وفرحها في الصلاة لما اشاهد فيها من التجليات الالهية فانها المعراج الاصغر والقرة ماخوذة من القر وهو البرد لان دمعة السرور باردة او من القرار لان بلوغ الامنية بروية ما يسر يسكن به العين فلا يستشرف لغيره وقد تقدم ما فيه وفي حديث آخر لم يذكره المخرجون لاحاديث هذا الكتاب وثمرة فؤادي في ذكره الفؤاد القلب او داخله وهو محل العقل على الاشهر فجعله كشجرة مثمرة وجعل ذكر الله المقصود منه وغمي لاجل امتي لخوفي عليهم في الدنيا والاخرة وشوقي الى لقاء ربي ومناجاته والتوجه اليه

فصل اعلم وفقنا الله واياك

تقدم الكلام عليه ان صفات الانبياء والرسل من عطف الخاص على العام اعتناء بشأنهم وبيانا لشرفهم صلوات الله وسلامه عليهم سيأتي تفصيله من كمال الخلق وحسن الصورة الخلق بفتح فسكون والمراد خلق مادة جسمه واعضائه والصورة هيئة بدنه وتناسب اعضائه ومقاديرها ولون بشرته وشرف النسب اي شرف ابائه وامهاته واجداده وجداته الى ان ينتهي الى آدم فليس فيهم خسيس ولا وضيع وحسن الخلق بضمتين او ضم فسكون وقد تقدم بيانه وجميع المحاسن في هذه الصفة كذا في بعض النسخ وفي غيرها وعليه الشراح هي بالضمير بدل في الجار وقال القسطلاني هذه الصفة خبر ان ووقع بين اسم ان وخبرها ضمير الفصل لقصر الصفة على الموصوف كان زيدا هو المنطلق اي لا غيره واتى بها على لفظ الافراد ليغاير بين المبتدا والخبر فان الاتحاد غير جائز وعرفها بالالف واللام ليشعر بان المراد استغراق ما ذكره من كمال الصفات المذكورة انتهى وتبعه بعض الشراح ولم يبينه غيرهم وجميع المحاسن على هذا معطوف على اسم ان فهو منصوب فالمعنى ان كمال الخلق وحسن الصورة وشرف النسب وحسن الخلق صفات جامعة لجميع المحاسن وهي صفة الرسل وهي على الوجه الاتم الاكمل لا تجتمع في غيرهم ومن بيانية مبينة لصفات جميع الانبياء والرسل والصفة بمعنى الصفات المذكورة ولا يخفى ما فيه من القلاقة والخفاء وان قوله هذه الصفات هذه الصفة ركيك جدا ولو قيل ان قوله من كمال الخلق الخ وجميع المحاسن مجموعة فيها كان اظهر واحسن لانها صفات الكمال اي هذه الصفات بها يكمل البشر والكمال والتمام البشري تقدم الفرق بين الكمال والتمام والفضل الجميع

مبتدا وكان الاحسن ان يقول والفضل جميعه لهم خبره اي ثابت للانبياء اذ رتبتهم اشرف الرتب ودرجاتهم ارفع الدرجات فيه اشارة الى تفضيلهم على الملائكة كما سيأتي ولكن فضل الله بعضهم على بعض استدراك لدفع ما عسى يتوهم من تساويهم رتبة ثم اشار على طريق اللف والنشر المشوش الى الدليل اي الى عدم تساويهم بقوله تلك الرسل المذكورين في سورة البقرة فالتعريف عهدي او جميع الرسل الذي يعلمهم فهو استغراقي فضلنا بعضهم على بعض بمواهب سنية ومراتب علية غير اصل النبوة والرسالة ه منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وهو محمد او ابراهيم واشار بتفضيلهم على من غيرهم بقوله وقال ولقد اخترناهم على علم منا باحوالهم على العالمين وهذا من المصنف يعني عن الانبياء مطلقا والمراد بالعالمين جميع العالمين لا على من اختاروهم من انه لبني اسرائيل والعالمين عالمي زمانهم لكثرة الانبياء فيهم وقال عليه الصلاة والسلام في حديث رواه الشيخان عن ابي هريرة ان اول زمرة اي طائفة وجماعة يدخلون الجنة على صورة القمر اي وجوههم مشرقة مضيئة وليس المراد انها مثله في الاستدارة وغيرها لذلك ولذا قال ليلة البدر وهي ليلة اربعة عشر وهو اضوا ما يكون فيها ويسمى بدرا لامتلائه بالنور او لمبادرته مغيب الشمس بالطلوع وهو يسمى هلالا في اول الشهر ثم يسمى بدرا اذا تم كما قال ه

ان الهلال اذا رأيت نموه ... ايقنت ان سيعود بدرا كاملا

والقمر يطلق عليه دائما كما بينه اهل اللغة وتمام الحديث ثم الذين يلونهم كاشد كوكب دري في السماء اضاءة قلوبهم على قلب رجل واحد لا اختلاف بينهم ولا تباغض لكل امرئ منهم زوجتان من الحور العين يرى مخ سوقهن من وراء العظم واللحم يسبحون الله بكرة وعشيا لا يسقمون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يتفلون ولا يتمخطون آنيتهم الذهب والفضة وامشاطهم الذهب ووقود مجامرهم الالوة ورشحهم المسك على خلق رجل واحد على صورة آدم والى بقية الحديث اشار بقوله على صورة ابيهم آدم عليه السلام طوله ستون ذراعا في السماء والمراد بهذه الزمرة الانبياء وبالذين يلونهم الاولياء والعلماء الراسخون وقيل المراد بهم الانبياء والاولياء وبالذين يلونهم بقية المؤمنين الاتقياء وقوله آنيتهم الذهب والفضة اما على اللف والنشر فآنية الغرفة الاولى من الذهب والثانية من الفضة او هما لهما بقرينة جعل امشاطهم كلها من الذهب ويحتمل ان يكون اكتفاء اي من الذهب والفضة ورجح بعضهم ان تكون هؤلاء من امة محمد صلى الله عليه وسلم لحديث الصحيحين يدخل الجنة من امتي سبعون الفا تضيء وجوههم اضاءة القمر ليلة البدر ويعلم منه حال الانبياء بالطريق الاولى او هم مسكوت عنهم وعلمهم عند الله وجعلهم على صورة آدم لانه كان اجمل الناس واتمهم خلقا والستون ذراعا بذراعه نفسه او بذراع معهود عند المخاطبين والاول اظهر وورد ان عرضه سبعة اذرع والحديث يدل على تبدل الوانهم فمن كان اسود او اشقر صار ابيض بياضا معتدلا وقوله في السماء يحتمل ارادة الحقيقة منه اي كان ابتداء خلقه وصورته اذ كان في السماء او المراد جهة العلو اي طوله ذلك اذا كان منتصبا قائما وفي حديث ابي هريرة الذي رواه الشيخان ايضا رأيت موسى ليلة الاسراء عيانا لا مناما لان الانبياء احياء لا تبلى اجسادهم فاذا رجل ضرب اذا فجائية اي فاذا هو

رجل ضرب بفتح الضاد المعجمة وسكون الراء المهملة والموحدة ورجل هنا بفتح وضم بمعناه
المشهور وهو الذكر من بني آدم ومعنى ضرب بالسكون ان جسمه بين المهزول والسمين وقال
الخليل انه القليل اللحم ووقع في رواية الاصيلي بسكون الراء وكسرها والاول اصح وروي
مضطرب وهو الطويل غير الشديد الطويل وفي مسلم عن ابن عمر انه جسيم سبط وحمل هذا على رواية
مضطرب لا على كثير اللحم كما وقع في صفة الدجال فهو من الاضداد رَجِلٌ بفتح المهملة وكسر الجيم
وجاء فتحها في لغة قليلة اي شعره متكسر قليلا وليس بسبط لا تكسر فيه ولا جعد متكسر قليلا
اقنى بقاف ونون من القنى بالفتح والقصر وهو طول الانف ودقة ارنبته فقال رجل اقنى
وامراة قنوا وقيل القنا احديداب في الانف فمعناه محدودب وليس بعيب في الناس وفي النهاية
القنا في الانف طوله ودقة ارنبته مع حدب في وسطه واما قول كعب ه

• قنوا في حرتيها للبصير بها • عتق مبين وفي خديه تسهيل •

فمعنى آخر لا حاجة لنا به هنا كانه من رجال شنوءة بفتح الشين المعجمة وضم النون وواو
ساكنة وهمزة وقد تبدل الهمزة واوا وتدغم وهاء على وزن فعولة وهو اسم قبيلة ويقال لها
ازد شنوءة واسد شنوءة وهي باليمن مشهورة وهي من الشنأ وهي التباعد لما بينهم يقال رجل
شنوءة اذا كان طاهر النسب ذا مروءة سميت بذلك لعلو نسبهم وحسن سيرتهم وافعالهم وهذا
الحديث متفق عليه وفي رواية البخاري كانه من رجال الزط وهم نوع من السودان اذ الصنود
طوال الاجسام مع نحافة وهذا هو وجه الشبه اي انه طويل غير جسيم ورايت عيسى ليلة
الاسرا كما سياتي فاذا هو رجل ربعة بفتح الراء المهملة وسكون الباء الموحدة وفتحها اي بين الطول
والقصر معتدل القامة كثير خيلان الوجه بكسر الخاء المعجمة والمثناة التحتية جمع خال وهو الشامة
السوداء المعروفة وما قيل من ان كثرة الخيلان مذمومة غير مسلم وفي رواية واختلفت الرواية في
لونه فروي انه ادم اي اسمر وروي احمر كانما خرج من ديماس بكسر الدال المهملة والمثناة التحتية
وميم اصله والف وسين مهملة وهو الحمام والكن واصله السرب في الارض والمراد صفاء لونه
مع حمرة فيه فرواية ادم بمعنى شديد الحمرة لا تنافي هذه وفي حديث آخر لم نعرف رواية مبطن
بالتشديد والطاء المهملة اي ضامر البطن كما يفسره قوله مثل السيف اي في استوائه ودقته
وقد تعددت الرواية برؤيته للانبيا يقظة في السماء والارض لانهم احياء وصنف البيهقي في هذا
جزءا مستقلا قال وما اشبه ولد ابراهيم به فحليته ولونه كحليته ولونه فهو اكثر شبها
به من سائر الانبيا والناس كلهم وقال في حديث آخر في صفة موسى رواه البخاري في صحيحه
كاحسن ما انت راء من ادم الرجال ما موصولة والعائد محذوف اي الذي انت رائيه وادم من
الادمة وهي سمرة اللون قيل وهي في الاصل بمعنى البياض وفي الظبا سمرة الظهر وبياض البطن ومنه
ادما وادم هنا بضم الهمزة وسكون الدال المشددة والميم جمع ادم كاسمر وسمر وهي السمرة مطلقا
او الشديدة وقيل انها البياض والاول اصح واستدل عليه بقوله تخرج بيضاء من غير سوء اي عيب كالبرص
وانما يكون هذا اذا كان اسمر وخالف لونها لونه ويحتمل انها خالفه لشدة بياضها كما قيل انها كانت شعاعا كشعاع
الشمس وفي حديث ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم رواه ابو يعلى وابن جرير من طرق واخرجه سعيد
بن منصور في سننه عن ابن عباس موقوفا ما بعث الله من بعد لوط نبيا وهو لوط بن هاران بن اخي
ابراهيم وخص عما ذكر بما بعده لانه من الشام فبعثه الله الى اهل قرية يقال لها سدوم ليست من بلاده
وليست موطنا لقومه ومن بعده من الانبيا لم يبعثوا الا في ذروة من قومه ويروى ثروة اي كثرة والذ

ما يوافق صح

وهو صح

بكسر الذال المعجمة وضمها وسكون الراء المهملة اعلى كل شيء اي بين قومه ذوي جاه وسعة
وشرف لا غربا ولا من قوم ليسوا كذلك واشار بهذا الحديث الى ان الانبيا كلهم شاركوا نبينا صلى
الله عليه وسلم في علو النسب وشرف القوم والثروة بمعنى الكثرة مطلقا وقد تختص بالمال وقيل
الذروة المكان المرتفع وهي مثلثة الذال ومنعة بفتح الحروف وميم ونون وعين جمع مانع كخدمة
جمع خادم ويجوز تسكين نونه او هو اسم مصدر في الاصل كصدقة اي قوم يمنعونه ويحمونه وقصة
لوط مفصلة في كتب التفسير وفي قوله لو ان لي بكم قوة او آوي الى ركن شديد اشارة الى ما ذكر من
انه لم يبعث في قومه الذين ينصرونه ويحمونه فان قلت كيف يكون في منعة وثروة وقد قال
في بعضهم وما آمن معه الا قليل وقد عاداهم قومهم وقتل بعضهم وما مناسبة ما ذكر لما عقد له
الفصل من محاسن الخلق والخلق من الصفات الذاتية قلت قد توهم بعضهم ورود ما ذكر وليس كذلك
لان ما ذكر من شرف القوم والاصالة يدل على المحاسن الذاتية لاستماله لها وكونهم كثيرون لا ينافي
عداوتهم واما المنعة فباعتبار من اتبعه منهم ولذا ورد رحم الله لوطا لقد آوى الى ركن شديد
وهو لا ينافي الآية لان المراد الملائكة وما امده الله به وحكى الترمذي عن قتادة ورواه الدا
رقطني من حديث قتادة عن انس تقدم ترجمة الترمذي وقتادة والدارقطني منسوب لدار قطن وهي
محلة ببغداد كان يسكنها وهو الحافظ الامام الجليل المشهور امام عصره في الحديث والفقه والقراءات
وغيرها من العلوم الشرعية والحديث المذكور في الشمايل وغيرها مرسلا ما بعث الله نبيا الا وقد
خلقه حسن الوجه حسن الصوت وكان نبيكم من ابتداء وجوده وخلقته احسنهم اي الانبيا
وجها واحسنهم صوتا لان حسن الصورة يدل على كمال الخلق والخلق اذ الظاهر عنوان الباطن

كما قيل ه • يدل على معروفه حسن وجهه • وما زال حسن الوجه احدى الدلايل •
وقال • يدل على قبح الطوية ما ترى • بصاحبها من قبح بعض ملامحه •

وحسن الصوت بكونه جهوريا يسمع من بعيد مع لطف فيه يدرك بالذوق ولا يلزم كونه على رسم
الموسيقي وهذا يدل على انه كان اجمل من يوسف واحسن صوتا من داود وكانت قراءته ليلا في بيته
يسمع عند الكعبة وفيما بعد من منازل المدينة وما ورد في حديث الطبري في يوسف فاذا انا برجل
احسن ما خلق الله قد فضل الناس بالحسن فالمراد تفضيله على من عداه ان قلنا ان المتكلم لا يدخل في
عموم كلامه كما ذهب اليه بعض الاصوليين ويدل عليه ما ورد انه اعطي الحسن كله واوتي يوسف
شطره اي نصفه اي ان الحسن كله جمع له صلى الله عليه وسلم من تناسب وصفاء لون وغيره مما
يدرك ولا يوصف ويوسف اعطي من جنس الحسن الكامل فيه نصفا وجميع الخلق وزع بينهم ما يعدل
نصفه الآخر فدل ذلك على انه احسن الناس كلهم كما صرح به في الحديث نحن فيه وما قاله السخاوي
في كتاب الامتنان من ان الجلال المحلي سئل عن حديث اعطي جميع الحسن ويوسف شطره فقيل كيف
يكون الشيء الواحد جميعه في شيء ونصفه في آخر فقال لم يظهر لي جوابه وكذا قال ابن حجر وقد
تاملت قوله في البردة هم • منزه عن شريك في محاسنه • فجوهر الحسن فيه غير منقسم •
فبان لي منه جوابه وهو ان حسن النبي غير منقسم بينهم وبين يوسف انتهى وهذه مغالطة
وذهول لا تحتمل الغوث ومنشاؤه عدم الفرق بين تقسيم بعينه وتقسيم افراد نوع من الانواع
فتدبر وفي حديث هرقل الاضافة لادنى ملابسة لذكره في الحديث كما يقال حديث الشفا
والاصل اضافته لراويه الصحابي او التابعي او من خرجه كالبخاري ومسلم وهذا الحديث رواه
الشيخان عن ابن عباس وابن عباس نقله عن ابي سفيان حين ارسل اليه هرقل وهو بالشام للتجارة

رقطني

ي

عة

في ركب من قريش في مدة دعا رسول الله كفار قريش فاتوه بايليا فدعاهم وحوله عظماء قريش فسالهم عن احوال النبي صلى الله عليه وسلم فكان اول ما ساله عنه ان قال كيف نسبه فيكم فقال هو فينا ذو نسب الخ فقال له وسالتك عن نسبه فذكرت انه ذو نسب فيكم اي نسب عظيم فالتنكير للتعظيم لشرف اصوله وانه ليس في امهاته سفاح ونكاح الجاهلية كامر ونقلته في الاصلاب الطاهرة من الانبيا وقبيلته اشرف القبايل وبيته اشرف بيوتهم وكذلك الرسل تبعث في انساب قومها اي كل نبي له نسب عال في قومه لان من اختاره الله لنبوته مختار له عنصرا مناسبا ولم يتخذ وليا من الذل فشبه اتصاله به باتصال الظرف بمظروفه وقال تع في ايوب صلى الله عليه وسلم وكان ببلاد حوران وقبره مشهور عندهم بقرب قرية قرب نوى وعليه مسجد وقربه موقوفة على مصالحه وعنده عين جارية فيها اثر قدم في حجر يقال انه اثر قدمه والناس يشربون من عينه ويغتسلون فيها للتبرك ويقولون انها المذكورة في القرآن انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب كثير الرجوع لربه بمراجعة دعائه وامتثال اوامره ونواهيه واستشهد بهذه الآية على حسن خلق الانبيا فان الصبر امر عظيم وخلق كل كريم حليم ولذا اثنى عليه بقوله نعم الخ ووصفه بالعبودية المناسبة للصبر وقد صبر على ما ابتلاه الله به كما صبر يعقوب وغيره من الرسل ونبينا صبر على قومه وما قاساه منهم وقصته ونسبه مذكور في التفسير واختلف في زمن نبوته فقيل كان قبل موسى فانه من بني اسرائيل ومدة بلائه ثلاثة عشر سنة او ثلاث سنين وامراته اسمها ليا وقيل رحمة بنت يوسف وقال تعالى يا يحيى خذ الكتاب بقوة الى اخره وقوله ان الله يبشرك بيحيى الآية واستشهد المصنف بما ذكر على محاسن الانبيا واخلاقهم اذ تلقى الكتاب التوراة او غيرها بقوة فهم وعزيمة على العمل بما فيها وقد آتاه الله الحكم صبيا وهو يدل على سلامة فطرته وخلقته وكان تحنانا في طبعه الرحمة وانه كان تقيا برا بوالديه مطهرا من النقايص وانه سلمه الله من يوم ولد الى مماته وقال ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين الآيتين استشهد بهاتين الآيتين على ما حواه الانبيا من الصفات الجليلة ومكارم الاخلاق وانه جعلهم صفوة خلقه فآل ابراهيم اسحاق واسمعيل واولادهما وآل عمران عيسى ومريم بنت عمران ذرية بعضها من بعض على سنن واحد وقال في نوح انه كان عبدا شكورا لانه كان لا يفعل شيا الا قال بسم الله والحمد لله وقال ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح الآية استشهد بهذه الآية على ما لعيسى صلى الله عليه وسلم من النعوت السنية والمحاسن الجلية اي وصفه الله من انه وجيه اي شريف قدره في الدارين وانه تكلم في مهده وقد تقدم ذكر من تكلم في المهد غيره والكهل الشاب وقيل من وخطه الشيب او من جاوز الثلاثين الى خمس وخمسين وكونه رفع ابن ثلاث وثلاثين وان جزم به القاضي في تفسيره غير متفق عليه فقد ذكر ابن حجر في الاصابة اقوالا اخر منها انه بلغ المائة او زاد عليها وقد تقدم معنى كونه كلمة الله وقال اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا قيل انه نبي وهو صبي والهم حفظ التوراة والانجيل ووصف نفسه بالعبودية ردا لما اعتقده فيه النصارى وكان نطقه تبرئة لامه وقال يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى الآية وذلك لانهم عابوه لشدة تستره حياء منه بان في بدنه برصا او به ادرة فبراه الله من ذلك وبين انه كامل الخلق والخلق ولذلك ساق المصنف الآية وقال قال النبي صلى الله عليه وسلم كان موسى رجلا حييا بحاء مهملة ويائين ثانيتهما مشددة بزنة صبي اي كثير الحيا ستيرا بكسر السين المهملة وكسر

التا المثناة المشددة بزنة سكيت اي شديد الستر لبدنه وقد اشار الى تفسيره بقوله ما يرى من جسده شي استحياء وهذا يدل على عفته وحيائه وهو خلق حميد وقال البرهان انه بفتح السين وكسر التاء المخففة فعيل بمعنى فاعل والذي احفظه انه بكسرها وتشديد التاء الفوقية كسكيت وسكير وكذا ضبط في بعض نسخ البخاري انتهى ومن كان يستحي من كشف عورته وبدنه فهو اشد حياء من كشف غيره الحديث بالنصب اي اقرا الحديث الذي رواه البخاري عن ابي هريرة او تذكره وتتمته انه لما كان يكثر التستر ويغتسل وحده قالوا انما يفعل هذا لبرص او ادرة به فذهب مرة ليغتسل ووضع ثوبه على حجر فلما اراد ليلبسه فر الحجر وجرى خلفه يقول ثوبي حجر حتى مر على بني اسرائيل فراوه اكمل الناس واصحهم بدنا فبرى مما سموه واذوه به وقال تعالى عنه ضمنه معنى حكى فعداه بعن اي عن موسى ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما الآية اي علما ونبوة وفراره لما قتل القبطي وذهب بحكمة الله كما هو مشهور وقال في وصف جماعة منهم اي من الانبيا اني لكم رسول امين وقع هذا من نوح وصالح ولوط وشعيب حكاه الله عنهم على وجه الرضى والتصديق فلا يتوهم انه مدح لانفسهم فليس مما نحن فيه وقال موسى لشعيب ان خير من استاجرت القوي الامين وقصته معه انه لما فر من القبط اذ خافهم لقتل رجل منهم ومر بابنتي شعيب جالستان تنتظران فراغ الناس لتستقي غنمهما لما قال لهما لم تاخرتما فقالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء فقال اما عندكم بير غير هذه فقالتا عندنا بير انطبق عليها حجر لا نطيق رفعه وكان لا يرفعه الا نحو عشرة من اشد الرجال فقال اذهبا فارياها فرفعه وحده وسقى لهما فقالتا له اذهب معنا ليجزيك ابونا على ما فعلت فقال ارسلا ابي الطريق وامشيا خلفي لاني رجل من ذرية ابراهيم لا احب ان ارى منكما ما لا يحل لي فاخبرتا اباهما بقصته وقوته في رفعه ذلك الحجر وامانته لامتناعه من النظر لهما فاستاجره على ما قصه الله تعالى عنه قال البيضاوي الجملة معللة لما قبله وللمبالغة جعل خير اسم ان معرفتين يعني لم يقل ان من استاجرته قوي امين بل اتى بالجملة معرفة الطرفين لحصر الخيرية فيه فتدبر وقال فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل فوصفهم بالصبر وهو من احسن الاخلاق والعزم التصميم على نفاذ الامر والحزم في الشدايد وقد اختلف في اولي العزم كما مر وقال ووهبنا له اسحاق ويعقوب الى قوله اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقد وقع في هذه بحث ذكره الطوفي في تفسيره وهو انه استدل بهذه الآية على ان محمدا صلى الله عليه وسلم افضل من جميع الانبيا لان الله امره بالاقتدا بهديهم جميعا ولا شك في امتثاله واقتدائه واذا اتى به جميعا مع ما خص به كان افضل من كل فرد فرد بلا شبهة ومن المجموع ونقل عن العز ابن عبد السلام انه قال انه افضل من كل واحد منهم لا من المجموع ولا دلالة في الآية عليه قال ولما نقل عنه هذا قام عليه الناس ونسبوه في هذه المقالة الى ما وصل للتكفير وانا اقول ابي بريء من نسبة مثله للعز والقايل بهذا توهم انه مثل ما لو قسم عشرة دنانير على خمسة رجال واعطى اربعة منهم دينارا دينارا واعطى ستة لخامس فهو يزيد على كل واحد منهم لا على المجموع فلا يلزم من زيادته على كل واحد من الجماعة زيادته على الجميع فالآية لا دليل فيها لما ادعوه وهذا انما يتم لو لم يثبت له غير ما لجميعهم وهو امر ظاهر وقد بسطنا الكلام على هذا في غير هذا المحل والهاء في اقتده هاء السكت تثبت وقفا على القياس ووصلا اجراء له مجرى الوقف وحذفها حمزة وصلا وكسرها هشام اختلاسا وصلا ووصلها ابن ذكوان تشبيها لها بها

الضمير وقيل هذا لا يصح وانما هي ضمير المصدر كقوله   هذا سراقة للقرآن يدرسه
فوصفهم باوصاف جمة اي كثيرة من الصلاح ليس المراد بالصلاح المعنى المشهور في قولهم رجل
صالح حتى يقال انه ليس بمدح للانبيا ومن توهمه قال المراد مدح الصفة لا الموصوف كما حقق
في شروح الكشاف بل الصلاح صفة جامعة لكل خير فهي ابلغ من غيرها كما فصله السبكي في فتاواه
والهدى والاجتبا وهو الاصطفا والاختيار للرسالة والحكم والنبوة اي الحكمة وفصل الامر
على مقتضى الحق فقال وبشرناه بغلام عليم وحليم وهو اسحاق فوصفه بالعلم والحلم وهما امران
عظيمان قال الانطاكي كذا في النسخ والذي في القرآن فبشرناه بغلام حليم وانا بشرناه بغلام
عليم ولو قدم حليم وعطف عليه عليم هان الامر وقال ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم
رسول كريم الى قوله امين والمراد بالفتنة الاختبار والامتحان يقال فتنت الفضة اذا دخلها
النار فتنة اي فوهم باتباعه بمعاملة المحسن او المراد انه ابتلاهم كما ابتلى العرب بنبينا صلى الله
عليه وسلم فوصفهم الله في هذه الآية بصفات حميدة من الكرم والامانة وغيرهما وقال الحكاية
عن الذبيح ستجدني ان شا الله من الصابرين على الذبح مسلما لله ولذا سلمه الله وفداه هو
وقال في اسمعيل انه كان صادق الوعد الاثنين صرح باسمعيل مع ان المذكور قبله في حقه
اشارة لا خلاف فيه فانه قيل انه اسحاق وقيل انه اسماعيل بن حزقيل وهو نبي بعثه الله لقومه
فسلخوا راسه فخيره الله بين تعذيبهم وعفوه فاختار العفو والرضا بثوابه والجمهور على انه
اسمعيل الذبيح ابن ابراهيم وهو رسول نبي وصدق وعده لانه وعد اباه بالصبر على الذبح فوفى
بوعده وقدم الرسالة هنا على النبوة لانها اشرف على قول وقال في موسى انه كان مخلصا في
طاعته لا يقصد الا وجه الله والتقرب اليه وفي سليمان نعم العبد انه اواب اي مسبح او
رجاع اليه بالتوبة وقيل الاواب المطيع وقيل الرحيم او كثير الصلاة وقال واذكر عبادنا
ابراهيم واسحاق ويعقوب وهو اسرائيل ابو الانبيا بني اسرائيل اولي الايدي والابصار
الايدي جمع يد بمعنى القوة والابصار جمع بصر بمعنى بصيرة فانه يطلق على الحاسة الظاهرة
وقوتها على القوة الباطنة المدركة ولا يقال للجارحة بصيرة كما في عمدة الحفاظ ومعنى اخلصناهم
بخالصة ذكرى الدار جعلناهم خالصين فانهم لا يذكرون الا الدار الآخرة واطلق الدار اشارة
الى ان الدنيا ليست دارا بل   ومعبر وعند هنا للقرب والاخيار جمع خير او خير المشددة بعد
التخفيف وفي داود انه اواب تقدم تفسيره ثم قال في حقه وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة
وفصل الخطاب اي قويناه لان بني اسرائيل لم تجتمع على ملك غيره وكان يحرس محرابه ثلاثون
الف متسلح او قويناه بالعدل والتوفيق له وفصل الخطاب اي الكلام الفاصل بين الحق والباطل
وقيل هو اما بعد وهو اول من قالها وقيل هو البينة على المدعي واليمين على من انكر وقيل غير ذلك
وقال عن يوسف اجعلني على خزاين الارض اني حفيظ عليم قيل الارض هنا ارض مصر
وفي الآية دليل على جواز طلب الحكم لمن وثق بنفسه وتوليته من الكافر وقيل ان فرعون يوسف
اسلم وقصة يوسف اشهر من ان تذكر وفي موسى ستجدني ان شا الله صابرا ولا اعصي لك
امرا وهذه قصته مع الخضر المشهورة وقال عن شعيب ستجدني ان شا الله من الصالحين وقال
ما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه ان اريد الا الاصلاح ما استطعت شعيب من نسل ابراهيم
ارسل الى مدين والايكة وهما امتان وقيل امة واحدة فوصفه الله تعالى بالصلاح والاصلاح
وانه لا يامر الا بما فعله وهو خطيب الانبيا وقال ولوطا آتيناه حكما وعلما ولوط ابن اخي ابراهيم

والحكمة والحكم بمعنى هنا وقال انهم كانوا يسارعون في الخيرات الاية اي شانهم المبادرة الى
فعل انواع الخير وسؤال الله في الرغبة والرهبة وقال سفيان الثوري وابن عيينة في تفسير
هذه الاية هو الحزن الدائم قيل ضميره هو راجع الى الخشوع في قوله ثم كانوا لنا خاشعين وفي الشرح
الجديد يريد ان ما ذكر من الخيرات في الاية هو الحزن الدائم الذي ينشا عن خيرات من سلك طريقها
فقد وصل الى مقامه ولا يخفى بعده والظاهر هو الاول في آي جمع آية كثيرة ذكر فيها من خصالهم
ومحاسن اخلاقهم الدالة على كمالهم وهذا ابتدا كلام لا تعلق له بكلام سفيان اي ما ذكر من الانبيا
مندرج في آيات كثيرة دالة على كمالهم وليس ما ذكر محيطا بما فيه بل هو بعض منه وجاء من ذلك
اي وصف كمالهم في غير القرآن في الاحاديث كثير فقوله انما الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم
يوسف بن يعقوب بن اسحاق ابن ابراهيم نبي ابن نبي ابن نبي ابن نبي هذا الحديث في البخاري
بدون انما وقوله نبي بن نبي الخ والكريم ليس بمعنى السخا فانه استعمال طاري وانما هو بمعنى جامع
للخير والشرف ومكارم الاخلاق وقيل وانما اختص لما جمع الله له مع علو النسب جعله رابع اربعة من
الانبيا مع الحسن المفرط والعفة والملك والعلم والحكمة الى غير ذلك مما لم يجتمع لغيره وفيه التكرار
المعدود من المحسنات البديعية كقول ابراهيم يا ابت لم تعبد الاية كرر يا ابت لم تعبد مبالغة في
استعطاف ابيه والاطول وقوله تعالى واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسمعيل ويعقوب والسجع وهو من
المحسنات احيانا وانما انكاره لمن خاطبه به وقوله اسجع كسجع الكهان لانه ليس في محله وهو مقام الحكم
وقيل عليه ان ما ذكر ليس من قبيل التكرير لان كرما ليس معناه واحدا في الحديث وانما ذكر ليس من
قبيل السجع وليس بشي لان الكريم مفهومه متحد وان اختلف ما صدق عليه والسجع ما اتحدت
قافيته وفي حديث انس الذي رواه البخاري وكذلك الانبيا تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم
فهو من خصايص الانبيا والخصايص تنقسم الى اقسام فمنها ما اختص به دون ساير الناس من الانبيا
وغيرهم ومنها ما اختص به دون امته كالجمع بين زوجات فوق الاربع وان جاز لغيره في الشرايع السابقة
ومنها ما اختص به دون الامم كلها وان كان لغيره من الانبيا كما نحن فيه ولذا كان وضوءه لا ينتقض
بالنوم كما صرح به الشافعية ومنها ما اختص به دون الامم السالفة وانبيائهم كالتيمم فان
قلت كيف هذا وقد نام عن صلاة الصبح حتى طلعت عليه الشمس ولا يصح ان يكون هذا تشريعا
لامته لانه لا يفعل ما يمتنع شرعا للتشريع وان لزمه ذلك من غير قصد له قلت اجيب عنه
باجوبة احدها وهو الاصح انه كان له حالان حال لا ينام فيه قلبه وهو الغالب عليه وحال
نادرة فيها ينام قلبه الثاني انه يغيب عنه في نومه ما يحس بالبصر لا ما يدرك بالقلب كالحدث
والالم ونحوهما ورجح بعضهم هذا الثالث ان قلبه لا يستغرق حتى يتعطل احساسه وقد
يستغرق لاشتغاله بوحي كما كان يشاهد منه اذا نزل عليه الوحي في اليقظة وقيل ان المراد
انه لا يستغرق قلبه حتى لا يدرك الحدث قال ابن دقيق العيد وهو بعيد قال ابن حجر ومن الاجوبة
الضعيفة ان قلبه كان يقظان وعلم بخروج الوقت ولكن فعله تشريعا للامة وفي هذا اشارة
الى يقظة قلبه وانه لا يغفل وهذا من جملة الكمال فناسب الترجمة مناسبة تامة وروي رواه
الطبراني عن ابي هريرة ان سليمان كان مع ما اعطي من الملك لا يرفع بصره الى السما تخشعا
وتواضعا لله وذلك لتعظيم ملكوت الله وملايكته استصغارا لنفسه لا لان الله في جهة
وحيز كما يتوهم وكذا كان ابو داود كما ذكره الغزالي في الاحيا حياء من الله اي حياء من ملايكة
الله لقصور علمه عن اعمالهم التي لا يفترون عنها طرفة عين ولا ينافي هذا قوله افلا ينظرون

الى الابل كيف خلقت والى السما كيف رفعت لانه مقام آخر **وكان يطعم الناس لذايذ الاطعمة ويأكل خبز الشعير** جمع لذيذ وهو ما يشتهي ويميل له الطبع من الماكولات **واوحى الله اليه ياراس العابدين** اي اعلاهم ورئيسهم **وابن محجة الزاهدين** اصل المحجة الطريق المسلوك فاستعير لمجمعهم ومقصدهم او مقتداهم الذين ياتسون بسنته ومسلكه وفي نسخة محجة وزهده لا ينافي ملكه وقدرته بل حقيقة الزهد انما تتم بذلك **وكانت العجوز** خصها لحقارتها **تعترضه** اي تجيء له وتقف مقابلته وهو راكب **على الريح في جنوده** وعزة سلطانه **فيامر الريح فتقف فينظر في حاجتها ويمضي** لقصده **وقيل ليوسف ما لك تجوع وانت على خزاين الارض فقال اخاف ان اشبع فانسى الجايع** المراد بخزاين الارض المخزون من الاموال والارزاق **وروى ابو هريرة عنه صلى الله عليه وسلم** رواه البخاري عنه **خفف على داود القرآن** هو مصدر بمعنى القراءة كالغفران والمراد قراءة كتابه وهو الزبور والمغزو وقيل ان اطلاقه هنا مع انه علم لما انزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويطلق على المعنى القايم بذاته تم اشتراكا او مجازا على طريق الاستعارة او المجاز المرسل والمراد بتخفيفه سرعة قراءته في زمن يسير **فكان يامر بدوابه فتسرج** وروي بدابته والمراد الجنس المختص به **فيقرا القرآن قبل ان تسرج** قالوا هذا من بسط الزمان او من البركة في الزمن اليسير حتى يقع فيه العمل الكثير قال النووي وبلغنا ان من الناس من قرا اربع ختمات بالليل واربعا بالنهار **ولا ياكل الا من عمل يده** مع انه ملك خزاين الارض بيده وكان آدم حراثا ونوح نجارا وادريس خياطا وموسى راعيا وفيه دليل على فضل الكسب الحلال وانه لا ينافي توكل الخزاين ثم بين عمله بقوله **قال الله تعالى والنا له الحديد** فكان اذا مسه بيده كالشمع والعجين من غير نار وضرب **ان اعمل سابغات** اي دروعا طويلة تامة من السبغ وهو السعة **وقدر في السرد** وسرده نسجه اي عمله واصل معناه التتابع ومنه سرد الكلام ومعنى تقديره جعل تقويمها في الحلق وقيل ان دروعه كانت بلا مسامير لا لنيامها لليسها وان في قوله ان اعمل تفسيرية او مصدرية بتقدير الجار قيل كان يكتسب لانه اختفى ودار يسال الناس عن سيرته فيهم فلقي ملكا في صورة رجل فساله عن نفسه فقال له نعم الرجل لو كان لا ياكل من بيت المال واصول المكاسب التجارة والزراعة والصنعة وافضلها التجارة وقيل الزراعة لانها اقرب الى التوكل وقيل صنعة اليد وفوق ذلك الجهاد ومن فضيلة الجهاد والكسب الاشتغال عن البطالة **وكان سال ربه ان يرزقه عملا بيده يغنيه عن بيت مال الله** وسببه ما مر ومن هنا يعلم ان السلطان ينبغي ان يكون له مال يكتسبه لئلا ياكل من بيت المال فانهم ياكل من بيت المال الا بقدر الحاجة فالاسراف منه حرام عليه فالويل كل الويل لسلاطين زماننا الذين يظنون ان بيت المال ليس لاحد فيه حق غيرهم **وقال عليه الصلاة والسلام** في حديث صحيح رواه الشيخان الى قوله يفطر يوما وما بعده سياتي من نقله **احب الصلاة الى الله صلاة داود واحب الصيام الى الله صيام داود** وبين ذلك بقوله **كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه** وقيامه في وقت يتجلى الله فيه ويقول هل من سايل فاعطيه وليس المراد بقوله ينام سدسه انه ينام الى طلوع الشمس بل الى قبيل الفجر فيستقبل الصبح بنشاط الاستراحة وهكذا ينبغي للمتهجد ولم يتعرض احد لصلاة الامم السابقة وصلاته صلى الله عليه وسلم قبل الاسرا وبيان كيفيتها الا ان السيوطي نقل في الخصايص الكبرى انها كانت بغير ركوع ولذا قال تعالى يا ايها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا

يكن له صنعة لا مع

[Margin, written vertically:] على قول من ... كالسابق ... بين ... ولكون البنا ... غير ... فعلى ... ولا غلظ ... الحلق صح

ويصوم

٢٧٩

ويصوم يوما ويفطر يوما وفيه اشارة الى ان صوم الدهر دون هذا وقد ورد النهي عنه مع ان هذا اشق منه لان من اعتاد شيا صار طبيعة لا يضر وهذا آخر الحديث وقوله **وكان** اي داود **يلبس الصوف ويفترش الشعر** اي ما نسج منه لانه خشن يمنعه لذة النوم والاستغراق فيه المانع له عن ورده وهذا شعار الانبيا والصلحا **وياكل خبز الشعير بالملح والرماد** الملح ادام بخلاف الرماد فكانه كان يا تدم به على خلاف المعتاد ويضعه في ادامه لئلا يلتذ به **ويمزج شرابه بالدموع** لكثرة بكائه وعدم خلوه منه **ولم ير ضاحكا بعد الخطيئة** وهي تزوجه بامراة اوريا بعد ما سال الله ان ينزل له عنها ففعل فتزوجها فجاءه ملكان في صورة رجلين يدعيان نعاجا على ما قصه الله وليست هذه خطيئة ولكن علو مقامه وزهده يقتضي خلاف ذلك فلذا عوتب عليه وكان يبكي وقد ذكر الله مدحه وعصمته بما لا مزيد عليه **ولا شاخصا** رافعا وفاتحا **بصره نحو السما** اي جهة العلو **حياء من ربه** كعادة من اذنب فانه يطاطي بصره **ولم يزل باكيا حياته** منصوب على الظرفية اي مدة حياته **وقيل بكى حتى نبت العشب من دموعه** لكثرتها وهذا رواه ابن ابي حاتم عن انس مرفوعا وعن مجاهد وغيره موقوفا **وحتى اتخذت الدموع في خده اخدودا** هو في الاصل الشق المستطيل في الارض استعير لتاثير الدموع في مجراها اثر العلم وبين الخد والاخدود تجنيس اشتقاقي **وقيل كان يخرج** من منزله **متنكرا** اي مستخفيا من معرفة الناس **يتعرف سيرته** جملة مستانفة لبيان سبب تنكره **فيسمع الثنا عليه فيزداد تواضعا** لله لما يتحقق من السيرة الحسنة والذكر الحسن لا كمن يزداد بمدح الناس له غرورا **وقيل لعيسى عليه السلام** كما اخرجه احمد بن حنبل وابن ابي شيبة **عن ثابت لو اتخذت حمارا** تركبه لتستريح من المشي **قال انا اكرم على الله ان يشغلني بحمار** هذا من زهده وستر حاله ايضا اذ لم يقل انا اتواضع بالمشي وشغله يشغله كساله يساله واشغله لغة ردية **وكان يلبس الشعر** اي ما نسج منه زيادة في تقشفه وانما كره ما لبس الصوف لمن يتخذه شعارا له اظهارا للزهد فان اخفاءه افضل لما فيه من الريا **وياكل الشجر** اي اوراقه والمراد به مطلق النبات تجوزا **ولم يكن له بيت** يملكه ويختص به **اينما ادركه** وقت **النوم نام** اي ينام في اي مكان جن عليه الليل فيه **وكان احب الاسما اليه** اي الالفاظ التي ينادي بها **ان يقال له يا مسكين** رغبة في التواضع لعظمة الله عز وجل قيل عليه نحن مامورون بتعظيم الانبيا ومحبتهم وتعظيمهم تعظيم لله فاذا قال احد للنبي يا مسكين كان تحقيرا له وتحقيرهم كفر وتنقيصه فلا ينبغي لنبي ان يرضى به وقد امرنا بتعظيم نبينا وان لا نناديه باسمه بل لا نجهر له بالقول ولا نرفع اصواتنا عنده توقيرا له وحرمته ميتا كحرمته حيا وهذا مما اشترك فيه ساير الانبيا فكان يجب على امة عيسى ان يوقروه ويجب على عيسى ان لا يرضى بعدم توقيره فان قيل انه فرار من العجب قيل مثله لا يطرا عليه عجب ولا يخشاه اجيب بحمل هذا على ما صدر ممن لم يؤمن به فكانوا يقصدون بذلك تنفير الناس عن الايمان به واتباعه كما وقع مثله من المشركين في حق نبينا صلى الله عليه وسلم فكان عيسى اذا بلغه ذلك عنهم احبه واما المؤمنون به فيجب عليهم تعظيمه او ذلك ممن آمن به اذا سالهم عنه اهو ذو مال ام فقير فيقولون مسكين كما كان صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا واحشرني في زمرة

[Margin:] حكا — لك — تنا — نوا

المساكين وكما قال ابو العتاهية

اذا اردت شريف القوم كلهم • فانظر الى ملك في زي مسكين •

والكلام على الفقير والمسكين اشهر من ان يذكر اقول لا وجه للسؤال ولا للجواب اما
الاول فلان عيسى صلى الله عليه وسلم غلب على امته الرهبانية واظهار المسكنة فيكون في شرعهم
يجوز مناداته وخطابه بمثله من مؤمنيهم وخواص حوارييهم وان لم يجز مثله لان اظهار محبته وقوله
يقال وحرف النداء مناد على خلافه وصرح به في عكسه لمن له ادنى فهم • وروي مما من كلمة
تقال لعيسى احب اليه الخ وقيل ان موسى لما ورد ماء مدين هذا الحديث رواه احمد في
الزهد وابو حاتم عن احمد موقوفا وورود ماء مدين لما فر من قبط مصر فلقي ابنتي شعيب على
ذلك الما وبينه وبين مصر ثماني مراحل او اكثر في قصته السالفة المذكورة في القرآن وكان
حافيا من غير زاد وبه جوع شديد حتى كانت ترى امعاؤه كانت ترى خضرة البقل الذي
ياكله اذ لم يجد غيره والبقل ما ليس بشجر من النبات التي لا تبقى عروقه واصوله بعد اخذه وهو
معروف في بطنه من الهزال بضم الهاء وزاي معجمة وهو ضعيف من ذهاب اللحم وقال عليه الصلاة
والسلام رواه الحاكم عن ابي سعيد وصححه ولقد كان الانبياء قبلي تبتلي بالبناء للمفعول ويبتلى
احدهم بالفقر والقمل وكان ذلك الابتلاء احب اليهم من العطاء اليكم لتيقنهم بما اعد الله
لهم في مقابلته وهو ان نعيم الدنيا عندهم والحديث ليس كما ذكره المص وهو ما قال ابو سعيد
الخدري قلت يا رسول الله من اشد الناس بلاء قال الانبياء قلت ثم من قال العلماء قلت
ثم من قال الصالحون كان احدهم يبتلى بالقمل حتى تقتله ويبتلى بالفقر حتى لا يجد الا العباءة يلبسها
ولاحدهم اشد فرحا بالبلاء من احدنا بالعطاء وهو صحيح على شرط مسلم والمراد ما يخطى من
السعة في الدنيا قيل وهو يدل على ان الانبياء يسوق عليهم القمل وتعرض لهم لانه من الاعراض البشرية
الا ان ابن الملقن نقل عن ابن سبع ان القمل لم يكن يؤذيه تكريما له ونقل ابن عبد البر في التمهيد ان
نعيم بن حماد ذكر عن ابن المبارك بن فضالة عن الحسن ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقتل القمل في
الصلاة والظاهر ان جسده الشريف لا يتولد منه القمل لاعتدال مزاجه وانما كان يوجد في ثيابه
من الفقراء المجالسين له وكذا ساير الانبياء ولو قيل ان ضمير يبتلى في حديث الحاكم للصالحين كان
اقرب انتهى وهذا ينافيه ما نقله عن التمهيد وقد تقدم وفيما قاله دليل على صبر الانبياء وعلو
هممهم في النظر للآخرة وقال عيسى عليه السلام لخنزير لقيه المراد به الحيوان المعروف
ويجوز ان يراد به الكافر او العدو او الجاهل وان كان صحيحا غير مناسب هنا اذهب بسلام
اي اذهب مصحوبا بالسلامة فقيل له في شان ذلك القول الذي قاله فانه لا ينبغي فقال
اكره ان اعود لساني المنطق بسوء عملا بنحو قوله ادفع بالتي هي احسن وترغيبا في العمل
به وقال مجاهد كما رواه احمد وابن ابي حاتم كان طعام يحيى الشعب وهو النبت الذي
يخرج بغير زرع وعيشه مضمومة وكان يبكي خشية الله عز وجل والخشية خوف مع تعظيم
حتى اتخذ الدمع مجرى في خده اي جاري محل جريانه متعمقا متميزا عن غيره لتاثيره بدوام
جريانه فيه وكان ياكل مع الوحش اي كان ياكل العشب في القفار الخالية التي يسكنها الوحوش
او ياكل فيها ويكون معهم لئلا يخالط الناس اي يعاشرهم ويختلط بهم فيشغلونه عن العبادة
وذكر الله تعالى وما ذكر رواه احمد في الزهد عن الخولاني وحكى الطبري عن وهب ان موسى
كان يستظل بعريش هو كل ما يستظل به خيمة كان او خبا او بنا ويأكل في نقرة من حجر بوزن

حفرة فلا ياكل في آنية ويضع طعامه في الارض ويكرع فيها اي يضع ما يشرب به في نقرة
يكب عليها او يشرب منها بفيه واصل معنى الكرع شرب الدابة بفمها من ماء في الارض وضمير فيها راجع
للنقرة المذكورة او لغيرها من جنسها كما تقول اعطيته درهما ونصفه وبه فسر قوله تعالى ما يعمر من
معمر ولا ينقص من عمره اذا اراد ان يشرب كما تكرع الدابة اي تشرب بفمها بلا آنية وقيل معنى
كرع دخل النهر وصوب راسه ليشرب تواضعا لله بما اكرمه به من كلامه اذ كلمه بلا واسطة
كما قال تعالى وكلم الله موسى تكليما واخبارهم اي الانبياء في هذا كله من السموات التي تقدمت في هذا
الفصل وغيرها مسطورة في كتب الحديث والتفسير المعول عليها وصفاتهم في الكمال وحسن
الاخلاق كما تقدم من الصبر والقناعة والتواضع وحسن الصورة والشمايل جمع شمال وهي
الخلق والسجية وينبغي ان يراد بالاخلاق القوى الطبيعية وبالشمايل ما ينشا عنها من الآثار
معروفة مشهورة وعبر في الاولى بانها مسطورة وفي هذا بانها مشهورة تفننا في العبارة
او لان الاولى اخبار يحتاج لنقلها من الكتب المعتبرة وهذه كمالات لايقة بهم تدرك بالعقل
وكونها بهم مشهورة غير محتاجة للاعادة ولكن ذكر منها ما ذكر ليعلم قدرهم وفضلهم فلا
نطول بها مع انها معلومة ثم لما كان في بعض الكتب امور متعلقة بالانبياء غير لايقة بهم
حذر منها فقال ولا تلتفت اي لا تنظر وتستقبل واصل الالتفات في العنق او انعطاف
بالجانب لينظر ما يريد معرفته فتجوز به كما ذكر ومنه الالتفات المعاني الى ما تجده وتقف
عليه في كتب بعض جهلة المؤرخين جمع مؤرخ بالهمز وقد تبدل واوا وهو المهتم في التاريخ
وهو فن معروف وهو لفظ عربي اصله من الارخ وهو مستعار للحادث من ولد البقرة او هو معرب
ماه روز وهو بمعنى جليل واول ما حدث في زمن عمر والمفسرين مما يخالف امثال هذا المذكور ۞

• فصل قد آتيناك اكرمك الله •

جملة اعتراضية والخطاب لمن سال تصنيف هذا الكتاب كما مر او لكل من يقف على كتابه وليس فيه
تجريد مخاطب من نفسه كما قيل ومفعول آتيناك مقدر اي بما عرفته وحصلته او بما فيه مقنع بقرينة
ما ياتي من ذكر الاخلاق الحميدة اي المحمودة الحمد ونحوه وهو بيان لمقدر او لما الآتية سابق على
جواز تقدمه والفضائل المجيدة اي الكريمة الشريفة وخصال الكمال العديدة اي الكثيرة المعدودة
وقد تقدم انه قد يفيد الكثرة لانه يقابل لاحتياج للعد وقد يراد به القلة والمراد الاول واريناك
اي اعلمناك او وضحنا لك صحتها له صلى الله عليه وسلم اي كونها صحيحة في حقه لايقة به
وجليناه بفتح الجيم واللام ومثناة تحتية اي اوضحنا وبينا وفي نسخة جلينا بباء موحدة اي
روينا ونقلنا وفي بعض النسخ حكينا بالكاف بدل اللام والمعنى واحد من الآثار جمع اثر وهو
ما يبقى من علامات النبي الدالة عليه ويطلق على الحديث وقد يخص بالموقوف وكلام الصحابة
ويراد به مطلق الخبر الشامل للحديث المرفوع والموقوف وكلام الاكابر وهو المراد هنا ما فيه
مقنع بفتح الميم والنون وقاف ساكنة مصدر ميمي بمعنى القناعة او هو صفة مشبهة بمعنى
ما به القناعة والرضى وفي القاموس يقال شاهد مقنع وقنعان اي رضى ويكتفى بشهادته
وقد قال ابن الحاجب ان مفعلا يكون صفة نحو مركب بمعنى مركوب الا انه نادر وعلى هذا فما
ذكره هو المقنع نفسه فعدل عنه للمبالغة وهو تجريد كقوله تعالى فيها دار الخلد والتجريد يكون بمن
وفي والباء وما قيل من ان المراد به الدليل وهذه الآيات والاخبار تتضمن الدليل تضمن اللفظ للمعنى

بمعنى يكلف مذهب لترونق الكلام والامر اوسع جملة حالية اي شانه عليه الصلاة والسلام ومقامه اعظم مما ذكرناه واكثر فان محاسنه لا تطيق العبارات حصرها
ولي تفنين لواصفيه حسنه • يعني الزمان وفيه ما لم يوصف •
فمجال هذا الباب بفتح الميم والجيم من جال يجول اذا طاف ودار اي محل تجول فيه الافكار
حول نعوته وصفاته وهذا الباب عبارة عن خصاله ومحاسنه في حقه صلى الله عليه وسلم
اي ما يقال للنبي الله لمرو وشانه الذي يحق له ممتد اي واسع فكني عن كثرتها وعظمها بسعة
محلها كما يقال المجلس والمقام العالي عبارة عمن هو فيه ثم بين سعته بقوله ينقطع دون
نفاده الادلا جمع دليل وهو من يتقدم الركب ليهديهم الى الطريق والانقطاع سالك الطريق
ان يعجز ويقف دون بلوغ غايتها ففيه استعارة تمثيلية شبه صفاته بطريق ممتد طويل
وشبه العلما الذين يريدون معرفتها بركب سلكوا طريقها وشبه من يستفيدون منه بها
ويمدهم في الطريق وعجزهم عن الوقوف على كنهها بمن انقطع ووقف فيها لا يهتدي لسبيله
والادلا جمع دليل بمعنى الحجة بل بمعنى هادي القافلة كانبيا جمع نبي واصله ادللاو وقيل انه
جمع اده له جمع دليل فهو جمع الجمع وليس المعنى ان محاسنه وكما لاته لو وشى غاء منها بالادلة
كالايات والاحاديث واقوال الصحابة لم يكن الا ان يراد بيان المقصود منه ونفاد بالدال
المهملة بمعنى الذهاب والفنا قال تعالى ان هذا لرزقنا ما له من نفاد ولا وجه لتفسيره بفواغه
ويحر علم خصايصه واخر من اضافة المشبه به للمشبه كلجين الماء وقد يعكس لكنه قليل
لا تكدره الدلاء جمع دلو وهو ما يوخذ به الماء من الادم وعدم تكدره عبارة عن بلوغ اخره
لانه اذا بلغه حرك طينه فيتكدر ماوه وهو ترشيح للتشبيه فان الترشيح لا يختص بالاستعارة
من الكدرة خلاف الصفو وفيه اشارة لصحته وكثرته لكنا اتيناك فيه بالمعروف المشهور
الذي يعرفه الناس مما اكثره في الصحيح اي الكتب الصحيحة كالكتب الستة واشار بقوله
اكثره الى ان فيه احاديث غير صحيحة اعتمد على شهرتها وذكر بعض المصنفين لها اوردها
لما فيها من الفضايل كما اشار اليه بقوله والمشهور من المصنفات التي لم يلتزم فيها الصحيح
واقتصرنا في ذلك التي اتيناك به واريناه اي اكتفينا بقل من كل وفي نسخة من كثير
والاصح ما ذكرناه والقل بضم القاف وتشديد اللام بمعنى القليل او بمعنى القلة كالذلة بمعنى
الذليل اي ذكرنا امرا قليلا منه لا كثيرا او دون الجميع لانه لا يمكن الاحاطة به وغيض من فيض
الغيض بفتح الغين المعجمة وسكون المثناة التحتية والضاد المعجمة من غاض الماء اذا نقص والفيض
والمراد انه كثير وفيه طباق وافتنان ورايناهو من الراي لا من الرؤية اي خطر له خاطر
ان نختم هذه الفصول اي نجعل خاتمة هذه الفصول التي سبق ذكرها في هذا الباب
بذكر حديث الحسن بن علي بن ابي طالب الذي رواه الترمذي في شمايله واخرجه ابن سعد
والبيهقي والطبراني ورواه المصنف عن مشايخه عن ابن ابي هالة وهو هند بن ابي هالة
الصحابي ربيب رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه ابن خديجة بنت خويلد ام المومنين رضي
الله عنها وقد تقدم الكلام عليه وترجمته لجمعه الضمير للحديث وهو علة لذكره وجملة من
شمايله واوصافه عطف تفسير كثيرا مفعول جمعه المصدر المضاف لفاعله وادماجه
اي اشتماله من ادمج الشي اذا لفه وستره وقيل المراد لاحكامه واتقانه ولانه اولى
جملة كافية من سيره وفضايله مفعول الادماج لما فيه من معنى الادخال قال الجوهري

دمج دموجا اذا دخل واستحكم وفضله بتنبيه لطيف على غريبه ومشكله اي يبين
في التنبيه ما في الحديث من غريب اللغة وما يشكل من تركيبه حدثنا القاضي ابو علي
الحسين بن محمد بقراتي عليه سنة ثمان وخمسمايه هو الحافظ الامام ابو علي ابن سكرة الذي
تقدمت ترجمته حدثنا الامام ابو القاسم التكنية بهذه الكنية جايزة وما ورد في حديث
سموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي محمول على حياته او على الجمع بينهما ابو القاسم اسم عبد الله بن طاهر
بطا مهملة تقدمت ترجمته التميمي منسوب لبني تميم قبيلة مشهورة قال قرات عليه اخبركم الفقيه
الاديب ابو بكر محمد بن الحسين النيسابوري الاديب هو العارف بعلوم الادب الاثني عشر
المشهورة والشيخ الفقيه ابو عبد الله محمد بن احمد بن الحسن المحمدي منسوب للمحمدية قرية من قرى
تونس ويسمى بهذا الاسم قرى اخر بنواحي مصر وبغداد واليمامة والقاضي ابو علي الحسين
بن علي بن جعفر الوخشي بواو مفتوحة وخاء معجمة وشين معجمة نسبة لوخش قرية من قرى
بلخ وقيل بحاء مهملة والصحيح الاول وعليه اقتصر البرهان وهو الحافظ الرحلة الحسن بن علي
ابن محمد بن احمد بن جعفر البلخي روى عن جماعة وحدث عنه الخطيب وهو من اقرانه وسمع منه
الحسن بن علي البلخي سنن ابي داود وهو ثقة ترجمته معروفة الا انه اتهم بالقدر توفي في خامس
ربيع الاول سنة احدى وسبعين واربعماية ببلخ وعمره ست وثمانون سنة قالوا حدثنا ابو
القاسم علي بن احمد بن محمد بن الحسن الخزاعي بضم الخاء نسبة لخزاعة قبيلة معروفة اخبرنا
ابو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي نسبة لشاش بلدة معروفة بما وراء النهر وهو الحافظ
الثقة ابو سعيد الهيثم بن كليب بن شريح بن معقل صاحب المسند محدث ما وراء النهر سمع من
الترمذي وغيره توفي سنة خمس وثلاثين وثلثمايه اخبرنا ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الحا
الامام الترمذي صاحب السنن وسورة بفتح السين المهملة وسكون الواو وراء مهملة كما تقدم
حدثنا سفيان بن وكيع بن الجراح ابو محمد روى عنه اصحاب السنن وله ترجمة في الميزان توفي
سنة سبع واربعين ومايتين حدثنا جميع مصغر جمع ضد المفرد بن عمر بن عبد الرحمن العجلي
الكوفي وعجل اسم قبيلة املاء من كتابه الذي بيده او بيد غيره وهو احد طرق الرواية المقبولة
من الثقة المصحح لكتابه وما روي من منع الرواية من كتابه الصحيح خلافه كما فصلوه قال حدثنا
رجل من بني تميم من ولد ابي هالة زوج خديجة ام المومنين رضي الله عنها يكنى ابا عبد الله
هذا الرجل هو عبد الله بن ابي هالة الذي كان تزوج خديجة قبل النبي صلى الله عليه وسلم وهذا
الرجل اخرج عنه الترمذي في شمايله عن ابن لابي هالة قال الذهبي وتبعه البرهان هذا
الرجل لا يعرف اسمه فهذا الحديث منقطع لان فيه راويا مجهولا وهالة علم منقول من هالة القمر
وهي دارته عن الحسن بن علي بن ابي طالب قال سالت خالي هند بن ابي هالة لانه اخو
فاطمة الزهراء لامها قال القاضي ابو علي بن سكرة المتقدم فروي هذا الحديث من طريقين
وقرات على الشيخ ابي طاهر احمد بن احمد بن خذاداذ الكرجي الباقلاني وخذاداذ بضم الخا
المعجمة وفتح الذال المعجمة والف ودال مهملة والف ثم ذال معجمة والف مقصورة كذا ضبطه
البرهان وهو معرب خداداد بدالات مهملة ومعناه عطية الله والكرجي بفتح الكاف والرا المهملة
ثم جيم منسوب للكرج اسم بلدة نسبة لابي دلف العجلي واسم بلدة بالديبور وبضم فسكون
اسم مملكة معروفة والباقلاني بتشديد اللام قال الجوهري الباقلي اذا شددت اللام
قصرت وان مددت خففت قال ابو علي واجاز لنا الشيخ الاجل ابو الفضل احمد بن الحسن بن خيرون

هو الحافظ المتقدم ترجمته قال اخبرنا ابو الحسن علي بن احمد بن ابراهيم بن الحسن بن محمد بن
شاذان بشين معجمة والف وذال معجمة والف ونون معرب ومعناه بالفارسية السرور بن
حرب كضد السلم بن مهران بكسر الميم الفارسي منسوب لفارس ديار العجم قراءة عليه فاقر به
هو شرط لقبول الرواية عمن قرئ عليه فيقال له اخبركم فلان عن فلان فيقول نعم اخبرني به
فلذا قيده المصنف بهذا اخبرنا ابو محمد الحسن ابن محمد بن يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبد الله بن الحسين بن
علي بن ابي طالب المعروف بابن اخي طاهر العلوي هذا الرجل ترجمه الذهبي في الميزان ونسبه كما
هنا وروى حديث علي وذريته يجتمعون الاوصيا الى يوم هذا الحديث يدل على كذبه ورفضه وهو
متهم بالكذب ولولا هذا لازدحم الناس عليه لانه معمر توفي سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة حدثنا
اسمعيل بن محمد بن اسحاق بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب قال حدثني علي بن
جعفر بن محمد بن علي بن الحسين علي هذا هو جعفر بن محمد الصادق عن ابيه واخيه موسى روى
عنه الترمذي دون اصحاب السنن الا انهم لم يوثقوه وانفرد بالرواية عنه الترمذي موسى بن
جعفر هو موسى بن جعفر بن محمد الكاظم وهو امام ثقة عن جعفر بن محمد هو الصادق وقد تقدم
عن ابيه محمد هو محمد بن علي بن جعفر الباقر عن علي بن الحسين هو ابن زين العابدين الامام المشهور
قال قال الحسن بن علي واللفظ بهذا السند يعني اللفظ المذكور مخصوص بالطريق الثاني والسند
بالنون بمعنى الاسناد وليس السند بمثناة تحتية لانه لم يذكر انه رواه عن علي ابن الحسين زين العابدين
وكذا لم يذكر انه رواه احد مع الحسن وهو ابن علي كما في المقتفي وهذا سند شريف لان رواته كلهم
من اهل البيت ومثله حديث صفة الصلاة حتى نقل التلمساني انه اذا قرئ على مصاب برئ ورجال
سنده كلهم معروفون سالت خالي هند بن ابي هالة عن حلية رسول الله صلى الله عليه وسلم
الحلية بمعنى ما يتحلى به الانسان مما يرى من وجهه الشريف وبدنه وهي بكسر الحاء المهملة وسكون
اللام وكان وصافا اي كان فصيحا له خبرة بوصف الناس لحذقه او كان معروفا بذكر النبي
صلى الله عليه وسلم وانا ارجو جملة حالية اي راجيا ان يصف لي منها اي من حلية النبي صلى الله
عليه وسلم شيئا اي بعضا منها لان جميعها لا يحصى وبعضها لا تفي العبارة به اتعلق به
اي احفظه واتمسك به تبركا قال كان فخما مفخما بفتح الفاء وسكون الخاء المعجمة والمفخم بوزن
مكرم والفخم بمعنى العظيم واصل الفخامة والعظمة في الاجسام ثم شاعت في القدر والشرف
فالمراد ان كان الاول وهو الظاهر فالمعنى ان اعضاءه تامة الخلقة واسعة سعة غير مفرطة
كما تقدم في الباب الثاني انه كان واسع الصدر وعينه نجلا اي وسيعة الشق ووجهه
ممتلئ باللحم وان قامته غير قصيرة والمراد بكونه مفخما انه كذلك في العيون الناظرة اليه ويحتمل
ان يراد بكونه فخما هذا المعنى وان يراد بكونه مفخما ~~هذا المعنى~~ انه له مهابة في العيون والصدور
مع الجمال يتلألأ وجهه اي يضيء ويشرق وهو ماخوذ من اللؤلؤ لصفائه ولمعانه تلالؤ
القمر ليلة البدر اي فيه نور كنور القمر في ليلة البدر وقد تقدم الكلام فيه وتفسيره اطول
من المربوع وهو الذي بين الطويل والقصير كالربعة وقال التلمساني المراد به هنا القصير
الذي تحت الربعة لئلا يناقض ما ورد من وصفه بانه ربعة واصل المربوع الحبل المفتول
على اربع طاقات فاستعير لما ذكر انتهى اقول لا حاجة لما ذكر من صرفه عن ظاهره لان المراد
انه يزيد على الربعة زيادة يسيرة لا تخرجه عن كونه ربعة فهذا امر تحقيقي وربعة امر تقريبي
فلا منافاة بينهما ولذا قال واقصر من المشذب بضم الميم وفتح الشين المعجمة وفتح الذال

المعجمة والبا الموحدة وهو المفرط في الطول كالبائن وهو مستعار من النخلة المشذبة
وهي التي قطع بعض جريدها والتجذيب قطع كالتقليم عظيم الهامة بالهاء وتخفيف الميم
وهي الراس وليس المراد انها مفرطة في الكبر بل كبيرة لان صغرها وافراط كبرها غير ممدوح ادلا
على قلة العقل وقيل الهامة وسط الراس وقيل يخد ولهامعان اخر غير مناسبة هنا رجل
الشعر بكسر الجيم على وزن حذر والشعر معروف ويجوز فتح عينه وسكونها والمراد ان فيه
تجعدا قليلا وهو من الصفات الممدوحة فيه ويقال لضده قطط وهو الشديد الجعودة
والسبط وهو المسترسل ان انفرقت عقيقته فرق انفرق اي صار شعر راسه فرقتين
والعقيقة الشعر على راس المولود الذي يخرج عليه حين يولد من عق اذا قطع لانه يحلق في اليوم
السابع فسمي به شعر النبي صلى الله عليه وسلم على طريق المجاز المرسل لاستعمال المقيد في المطلق
وليس استعارة تحقيقية كما قيل ومعنى فرق ابقاه متفرقا على حاله اذا انفرق بنفسه يقال
فرقه فانفرق والفرق والمفرق البياض الواقع بين شعر الراس وفي رواية عقيصته بالصاد
المهملة بدل عقيقته والا فلا يجاوز شعره شحمة اذنيه وفي رواية اذنيه بالتثنية وهما
بمعنى كما يقال نظرت بعيني اذا نظر بعينيه وهكذا في كل عضو كان كذلك كما تقرر في علم
العربية وشحمة الاذن ما لان منها حيث يعلق القرط وتقدم في هذا الحديث ما رايت من ذي
لمة في حلة حمراء احسن من رسول الله وان اللمة الشعر الذي يجاوز شحمة الاذن فاذا وفر
شعره صار لمة اي ما يلم بالمنكبين واللمة دون الجمة والوفرة دون اللمة والجمة اكثر من الوفرة
وهي ما سقط على المنكبين والوفرة ابلغ منها واللمة ابلغ منهما وفيه كلام تقدم والفرق سنة بخلاف
السدل من قدام او خلف ومعنى قوله والا وان لم يفرق فعلم منه انه اذا فرق جاوز الشحمة ووصل
المنكب فاحواله تختلف في الطول ولذا قيل لمة وجمة اذا هو وفره وفي بعضها بدون ضمير
وفرة والمعروف رواية الاول كما قاله المزي ووفره مخففة ومشددة اي كثره وقد يقال بعد
الحلق وغيره كما عرفته وهذا اولى من حمل اختلاف الروايات على التعريب ازهر اللون
سياتي معنى الازهر ومعناه ابيض مشرب بحمرة وقد ورد انه ليس بالابيض الامهق
ولا بالادم ولهذا ما روي انه كان اسمر ولعله رآه عقب سفر ونحوه اذ لم يحققه
لانه لمهابته لا يحدوا النظر في وجهه وفي رواية انه كان ابيض شديد الوضح والمراد
بالوضح البياض وقد يطلق على البرص ولذا سمي جذيمة الابرش الوضاح ويويده انه ورد
كان عنقه عود فضة وكان ساقه جمارة وكشف ظهره فكانه سبيكة فضة وقيل انه سمي ترجمة
ولذا قيل في الجمع بين الروايات انه كان يميل الى السمرة او البياض لونه وهذا عرض له بعد
ذلك لكثرة اسفاره واسع الجبين في القاموس الجبينان حرفا الجبهة وجانباها عنفقا
الصدغين وبعد الحاجبين والجبهة وسطها وهو جميع ما بين الصدغين فيدخل فيه الجبهة
اذا قص الشعر ازج الحواجب ازج افعل كاحمر والزجج تقوس في الحواجب مع طول في
طرفه وامتداد برقة في طرفيه واراد بالحواجب الحاجبين وجمع لان اقل الجمع اثنان او
لاطلاقه على اجزائه وهما العظمان فوق العينين بلحمهما وشعرهما ويطلق على الشعر وسمي
به لانه يحجب العين عن الشمس وغيرها سوابغ بالسين والصاد جمع سابغ لانه لما لا يعقل
وقيل جمع سابغة وفيه اي طوال كاملة من غير قرن بفتحتين اي اقتران واتصال
لانه غير ممدوح عند العرب وما وقع في حديث ام معبد من وصفه بالقرن فيحتمل انه كان

بينهما شعر دقيق جدا اذا سافر وعلاه غبار السفر ظن قرنا وما قيل انه بطريق الراي
او انه لاخلاف في الرؤية قرنا وبعدا وانه حدث له بعد ذلك بعيد جدا بل لا وجه له **بينهما** اي بين
الحاجبين وهذا يدل على ان الجمع بمعنى المثنى هنا **عرق يدره الغضب** بضم اليا مضارع الادرار
من در الضرع والسحاب اذا كثر دره وهو لبنه وماؤه فحلب والمراد انه يظهر لغليان الدم بالغضب
بعد ما كان خفيا لا انه يحدث بعد ان لم يكن وهذا لا ينافي ما ورد من انه حليم لا يغضب لانه باعتبار
اكثر احواله وانه لا يغضب لنفسه ولا لامر دنيوي ولكنه قد يشتد غضبه لله اذا انتهكت
حرمه وفي حربه للاعدا كما قال الصرصري ٥

بجبينه عرق يدر اذا سطا • غضبا على الاقران يوم طعان •

والغضب يهيج الحرارة الغريزية فيغلي الدم منها ولذا يحمر الوجه وتنتفخ العروق **اقنى العرنين**
القنا في الانف طوله ودقة ارنبته اي طرفه مع ارتفاع يسير في وسطه والعرنين بكسر العين
الانف او ما صلب منه او ما تحت مجمع الحاجبين وهو اوله حيث يكون الشمم والجمع عرانين ويكنى
به عن الاشراف لشموخ انفهم وارتفاعه على اقرانه قال

ان العرانين تلقاها محسدة • ولن ترى للئام الناس حسادا •

له نور يعلوه الضمير له صلى الله عليه وسلم وجوزوا ان يعود للعرنين لانه وان كان وجهه
كله نور لكنه اوله ما يتعلق به ولذا سمي انفا ايضا **يحسبه من لم يتامله اشم** الشمم في الانف
ارتفاع وسط قصبته مع استواء اعلاه واشراف ارنبته قليلا يعني ان وسطه فيه استواء مع
اعلاه واسفله ولكنه لتلالؤه يظن ان فيه ارتفاعا او ان فيه ارتفاعا قليلا جدا لا يعد شمما
والشمم قد يعبر به عن عزة النفس وعدم التنزل للامور وهو مما يمدح به كما قال كعب

شم العرانين ابطال لبوسهم • من نسج داود في الهيجا سرابيل •

والتامل اعادة النظر وتكراره ليتثبت فيه ويقف على كنهه وهو في الاصل تفعل من امل والرجا
لان الانسان لا يمد النظر غالبا الا لما فيه له امل فاطلق على لازمه وشاع حتى صار حقيقة
فيه وقيل الشمم طول الانف مع سيلانه ودقته والاول اصح واشهر **كث اللحية** بفتح الكاف
وتشديد المثلثة والكثة كون اللحية كثيرة الشعر من غير طول ولا دقة شعر وما اشتهر من قوله
من سعادة المرء خفة لحيته لم يثبت انه حديث مع انه قيل انما هو خفة لحيته مثنى وان معناه
كثرة تحريكهما بذكر الله او المراد عدم طولها **ادعج** اي سواد عينيه شديد مع بياضها ويقال
له رجل ادعج اي اسود وليس بمراد وسياتي فيه كلام **سهل الخدين** اي غير مرتفع الوجنة وكثير
اللحم فيهما فانه غير محمود وقيل المراد انه طلق منبسط **ضليع الفم** بضاد مفتوحة معجمة اي
طويل انشقاق الفم وواسعه وهو مما يتمدح به ويعاب ضده لدلالته على الفصاحة وليس المراد به
عظم الاسنان وتراصها كما قاله التلمساني وشعراء المولدين يمدحون صغر الفم وهو خطا منهم
او لمعنى آخر لا يلتفت اليه كما مر **اشنب** بنون بين شين معجمة وباء موحدة اي ذو شنب وهو كما في
النهاية بياض وبريق وصفاء وتحديد في الاسنان وقيل هو رونقها وماؤها وقيل برد وعذوبة
فيها وقيل نقط بيض وتحديد فيها • وسئل روبة عن قول ذي الرمة •

لميا في شفتيها حوة لعس • وفي اللثات وفي انيابها شنب •

فاخذ حبة رمان وقال هذا هو الشنب اي انه صفاء وما فيها كهذا ومن امثال المولدين فاتك
الشنب لمن اراد التشبه بمن لا يشبهه وقال ابن الوكيل ٥

يا بارقا بأعالي الرقمتين بدا • لقد حكيت ولكن فاتك الشنب •

مفلج الاسنان تقدم ان الفلج عدم تلاصق الاسنان وهو لا ينفي للفم وأطيب وفي حديث
على فلج الثنايا وهو المراد بالاسنان او المراد الثنايا والرباعيات لان تباعد الاسنان كلها معيب
وقد تقدم كلام فيه ومفلج مضموم الميم مشدد الاسنان اللام ويشبه به تقارب الدار مع عدم
التلاقي كقوله مالي به عن قرب داري ملتقى • فصل رايت ثغره المفلجا •

دقيق المسربة بميم مفتوحة وسين مهملة ساكنة وراء مهملة مضمومة وموحدة مفتوحة
تليها هاء وهي شعر كالخيط سائل من الصدر الى السرة ووصفه بالدقة لانه غير عريض ولا متكاثف
طويل **كان عنقه جيد دمية** الجيد العنق الا ان السهيلي قال ان العنق يستعمل في غير المدح
والجيد يستعمل في مقام خلافه وان قوله في جيدها حبل من مسد تهكم لجعل الحبل عقدا لها
وما هنا على اصل اللغة لا على نهج الاستعمال فلا اعتراض بضم الدال المهملة وسكون الميم وتخفيف
المثناة التحتية وهي الصورة من رخام او عاج والمراد شدة بياضه وطوله ويؤيده ما روي
من ان عنقه كابريق فضة ويشير اليه بقوله **في صفاء الفضة** اي بياضها الخالص وهذا
يؤيد ما مر من انه ليس باسمر وانما يشبه الدمية لان صانعها يبالغ في تحسينها ولهذا ضرب بها
المثل **معتدل الخلق** بفتح فسكون اي متوسط الخلقة بين الطول والقصر والسمن والهزال
والضخامة والصغر فهو متناسب الاعضاء مستقيم في احسن تقويم **بادنا** اي ضخم البدن
غير دقيق الاعضاء صغيرها واورد فيه بقوله **متماسكا** اي كان اعضاءه ممسك بعضها بعضا
لشدة ارتباطه به ومناسبته له وهو منصوب صفة بادنا وروي بالرفع خبر مبتدا مقدر
سواء البطن والصدر اي متساويهما لم يرتفع احدهما على الآخر **مشيح الصدر** بضم الميم
وكسر الشين المعجمة ومثناة تحتية وحاء مهملة بمعنى عريض متسع مع مساواته لبطنه من
غير تقاعس وانخفاض فيه وروي بفتح الميم وكسر السين المهملة وهو بمعناه **بعيد ما بين
المنكبين** تثنية منكب بفتح الميم وكسر الكاف ونون بينهما وآخره باء موحدة وهو ما بين
الكتف والعنق والمراد ببعدهما سعتهما وهو اقوى للبدن والبطش وعبر عنه بالبعد ونا
بالعظم والكل واحد وما موصولة **ضخم الكراديس** جمع كردوس وهي راس العظم او ملتقى كل
عظمين ضخمين كالمرفقين وضخم بمعنى كبير وكل عظم كثير اللحم كردوس **انور المتجرد** اسم مفعول
بمعنى ما خفي من البدن من التجرد وهو الكشف ورفع الثياب والنور بمعنى نير مشرق او افعل
تفضيل لان ما تحت الثياب من البدن لعدم ملاقاة الهواء والشمس ابيض من الاطراف المكشوفة
وورد في وصفه انه اجرد وهو ضد الاشعر والشعر كان على اماكن مخصوصة من بدنه
كالمسربة والساعدين والساقين وقال الشريف الغرناطي في شرح البردة قال بعض الصحابة
رايت ساق النبي في غرز الركاب كانه جمارة يعني في بياض اللون والطراوة • فان قلت
الوارد في صفته انه ازهر اللون اي مشرب بحمرة وبياض الجمار خالص • قلت يمكن الجمع بان ما
تحت الثياب مما لم يباشره خالص البياض بخلاف غيره انتهى **موصول ما بين اللبة** بفتح
اللام وتشديد الباء الموحدة وهي النحر وقيل الصدر وقيل موضع القلادة وما موصولة
لا زائدة **والسرة** وهي موضع ما يقطع من المولود والمقطوع سر **بشعر** متعلق بموصول **يجري
كالخط** وهو المسربة السالفة وجريانه امتداده كماء جار والخط الطريقة جعل اللبة وهي
النقرة التي فوق الصدر نقطة والسرة نقطة اخرى والشعر الرقيق بينهما خطا **عاري**

الثديين تثنية ثدي بفتح المثلثة وكسرها يذكر ويؤنث وروي الثندوتين بنون وهما بمعنى قال الجوهري الثدي يكون للرجل والمراة ووافقه الصاغاني وفي درة الغواص الثدي خاص بالمراة والذي للرجل ثندوة وهو غير مهموز كعرقوة على فعلوة وهو مغرز الثدي او راسه فان ضممت همزته وهو فعلول وفيه تفصيل بيناه في شرح الدرة وعلى ما قاله الحريري تبعا لبعض اهل اللغة صوب بعضهم رواية الثندوتين وزعم ان غيره خطا لعدم ثبوته في اللغة وما قيل من انه صحيح على الاستعارة غير صحيح ومعنى عاريهما انه لا شعر عليهما وقيل لا لحم عليهما الماسانى من انه اشعر الخ وفيه نظر لانه لم يذكر فيه ان على ثدييه شعرا كما ستسمعه قريبا **ما سوى ذلك** اي ما سوى الشعر الذي بين اللبة والسرة وهو بدل من الثديين وفيه نظر وروي ما سوى دين وهو الظاهر **اشعر** اي كثير الشعر **الذراعين** بكسر الذال المعجمة ما بين المرفق وطرف الاصابع **والمنكبين** تقدم بيانهما **واعالي الصدر طويل الزندين** تثنية زند وهو طرف الذراع المتصل بالكف وطرفاه وهو راس الذراع مما يلي الابهام والكرسوع مما يلي الخنصر وهما العظمان اللذان في ظاهر الساعد والمراد عظم الذراع فسماه باسم بعضه ولذا وصفه بالطول **رحب الراحة** اي واسع الكف والكف والراحة بمعنى والراحة من الروح وهو الاتساع **شثن** بفتح الشين المعجمة وسكون الثاء المثلثة والنون وهو الضخم الممتلي لحما ويؤيده انه ورد في رواية اخرى انه ضخم **الكفين والقدمين** وما في النهاية من تفسيره من انهما يميلان الى الغلظ والقصر غير مناسب لقوله رحب الراحة وقيل هو الذي في انامله غلظ بلا قصر وذلك محمود في الرجال دون النساء لانه اشد للقبض والبطش وقال ابن بطال كانت كفه ممتلية لحما وهي مع ضخامتها لينة وفي حديث انس رضي الله عنه ما مسست حريرا الين من كفه وقول الاصمعي الشثن غلظ مع خشونة لم يوافق عليها ولا حاجة لتاويله بانه لامر عارض في اسفاره وجهاده واستعمال يديه في مهنة بيته فانه مناسب لعده من الحلية وهي الصفات الخلقية فان الذي ارتضاه اهل اللغة انه الضخم ولا ينافيه قوله **سايل الاطراف** وسط الكفين او وسط الكف كما قيل لان المراد بالاطراف الاصابع والكف والقدم معظمها فليست داخلة في معناها ومعنى سايل باللام طويل فكانه شبهها بقضبان سالت من بركة لطولها وصفائها وبياضها ولينها لان راحته نبعت منها الخيرات والمياه كما قلت في قصيدتي الهمزية

• نبع الماء من اصابع كف • بايادي مما غاض فيها الماء •

• لا تقسها على اصابع نيل • كم بكفي من جبرهن وفاء •

او قال سائن الاطراف شك من الراوي في قول ابن ابي هالة انه قال سائن بنون بدلا من اللام كما قالوا في جبريل وجبرين واسماعيل واسماعين **وسائر الاطراف** بالراء المهملة مكان اللام ومعناه باقي او جميع وليس الثاني خطا كما قاله الحريري وتبعه في الشرح الجديد كما فصلناه في شرح الدرة على هذا الاخير وهو مجرور معطوف على القدمين اي ضخم اطرافه كلها وليس شكه لتقارب الحروف الثلاثة في الخط والمخرج كما قيل وقد ضبب في بعض النسخ على قوله سائن بالنون والصواب اثبات الالفاظ الثلاثة لما سياتي في تفسيرها كما قاله في المقتفي وجاء هذا في بعض الروايات من غير شك **سبط العصب** بسكون البا الموحدة وكسرها بمعنى ممتد ليس فيه تعقد ونتو كما في النهاية والعصب

دفع

وقع في اصل البرهان بعين وصاد مهملتين مفتوحتين كما ضبطه ابن الانباري والذي اتفق عليه ابن الاثير كل عظم عريض لوح وكل اجوف فيه مخ قصبة وجمعها قصب ويشهد له ان العرب تتمدح به كما قال ⑤

• فجاءت به سبط العظام كانما • عمامته بين الرجال لواء •

لانه يدل على قوة البدن والشجاعة والعصب بالعين ما يمتد من البدن لربط الاعضاء وتحريكها كما بين في علم التشريح وهو اطناب المفاصل وقيل المراد به هنا عظام الساقين والساعدين مجازا لما بينهما من المجاورة فتتحد الروايتان وهو بعيد جدا **خمصان الاخمصين** خمصان بضم بضم الخا المعجمة وفتحها وسكون الميم لا ضمها كما توهمه عبارة القاموس وتبعه بعضهم هنا وبهما ضبط لفظ الشفا ومعناه الضامر البطن وهو هنا بمعنى المتجافي عن الارض المرتفع والاخمصين مثنى اخمص بوزن احمر وهو ما دخل من باطن القدم ولم يصب الارض لعدم مساواته العقب ومقدم القدم وسمي به لضموره ودخوله ولما كان الاخمص القدم قد يطلق على ما يلي الارض منها مطلقا اتى بقوله خمصان مضافا اليه ليبين انه على ظاهره وهو المحل المرتفع وليس المراد به المبالغة في ارتفاعه كما فسره بعضهم هنا بالتشديد التجافي لهذا فجعله كظل الليل وقد قال ابن الاعرابي اذا كان خميص الاخمص بقدر لم يرتفع جدا ولم يستو اسفله فهو احسن فان استوى او ارتفع جدا فهو مذموم فمعنى خمصان الاخمصين انه مرتفع باعتدال وقال البرهان وسياتي ما ينافي هذا يعني قوله مسيح القدمين قال البارزي في كتاب توثيق عرى الايمان خمصان الاخمصين متجافي اخمص القدم وهو الموضع الذي لا تناله الارض من وسط القدم **مسيح القدمين ينبو عنهما الماء** اي املسهما ولذا قال ينبو عنهما الماء وفي حديث ابي هريرة خلافه فعنه اذا وطئ بقدميه وطئ بكلها ليس له اخمص وهذا يوافق معنى قوله مسيح القدمين وقد قالوا سمي عيسى بن مريم مسيحا لانه لم يكن له اخمص وقيل معنى مسيح لا لحم عليهما وهو يخالف قوله شثن القدمين انتهى وتبعه صاحب المقتفي وفي الشرح الجديد في النهاية معنى مسيح القدمين انهما ملسا وان ليس فيهما تكسر والتواء وانشقاق فاذا اصابه بما في قصيدة الصرصري النونية ليس المسيح باطن القدمين الذي هو محل خلط فيهما وليت شعري ما يقول في حديث ابي هريرة الذي نقله البارزي فالاشكال الذي ذكره البرهان غير مندفع اللهم الا ان يقال ان الخمصة فيه قليلة جدا ومعنى تنبو يرتفع والمراد به مفارقة الماء وانصبابه مجازا وانشد هنا لبعضهم

• يا رب بالقدم التي اوطاتها • من قاب قوسين المحل الاعظما •

• وبحرمة القدم التي جعلت لها • كتف المويد بالرسالة سلما •

• ثبت على متن الصراط تكرما • قدمي وكن لي منقذا ومسلما •

والقدم الاولى قدمه صلى الله عليه وسلم والثانية قدم علي رضي الله عنه لما قال له اصعد لكسر اصنام الكعبة فصعد على كتفه صلى الله عليه وسلم في حديث رواه صاحب الصفوة ومسيح بفتح الميم وكسر السين المهملة ثم ياء وحاء مهملة وفي بعض النسخ مشيح بضم الميم وشين معجمة ولم يفسروها لانه تحريف من النساخ او معناها خفية المشي **اذا زال زال تقلعا** وروي اذا مشى تقلع اي رفع رجليه رفعا قويا بالثبت في مشيه فكانه يقلع رجليه من الارض فيقارب خطاه من غير اختيال واسرع كما ورد كانما ينحط من صبب وروي اذا

زال زالا قلعًا بفتح القاف وسكون اللام وكسرها وروي بالضم ايضا **ويخطو تكفؤا**
اذا مد خطاه يميل الى قدامه كمن يتكفي وتكفؤا الذهن ضمت فاؤه كالمصادر الصحيحة
مثل تقدم تقدما لان الهمزة حرف صحيح فان ابدلت ياء كسر ما قبلها فقيل تكفيا كتسمى
تسميا ونحوه من المصادر المعتلة الاخر **ويمشي هونا** بفتح الهاء اي اذا مشى مشى برفق
ولين ووقار لانه ممدوح قال تعالى يمشون هونا **ذريع المشية** بفتح الذال المعجمة وكسر الميم
والذريع الواسع ما بين قدميه واسع خطوه مع سرعته يساوي مشيه المشي السريع او يفوته
كانما ينحط من صبب اي ينحدر من مكان عالي والمنحدر من عال يكون له سرعة مع سهولة
وانما قال كانما لانه ليس منحدرا على الحقيقة وانما هو كالمنحدر في السرعة وفي رواية كانما
يهوي من صبوب بالفتح والضم فشبهه بالماء السايل من عال المنخفض في السرعة والسهولة
واذا التفت التفت جميعا اي اذا اراد ان يدور لما خلفه او في جانبه لا يلوي عنقه
بل ينصرف بجميع بدنه فيقبل جميعا من غير مسارقة نظر فانه خفة وطيش **خافض الطرف**
الخفض ضد الرفع مصدر بمعنى تحريك الجفنة صار بمعنى تحريك العين وفسر هذا بقوله
نظره في الارض اطول من نظره في السماء يعني ان نظره لجانب السفل اكثر من نظره في
جانب العلو لخشوعه وحيايه ووقاره وليس هذا مخصوصا بالصلاة والدعا فانه مكروه
فيهما ولا ينافي قوله قد نرى تقلب وجهك في السما لان هذا باعتبار الاغلب كما يشعر به قوله
جل نظره الملاحظة جل بضم الجيم بمعنى المعظم والاكثر والملاحظة النظر باللحاظ وهو
طرف العين مما يلي الصدغ ومما يلي الانف موق وماق اي ينظر بطرف العين تادبا وحياء
يسوق اصحابه اي يمشي خلفهم في سافتهم ولا يدع احدا يمشي خلفه كما هو عادة المتكبرين
وكان يقول خلوا ظهري للملايكة وفي قوله يسوق اشارة الى انه هو المحرك لهم فكما قيل من
انه لا يتقدم الصغار الكبار الا اذا سروا ليلا او خاضوا سلايس على وفق السنة **ويبدا
من لقيه بالسلام** لانه من السنة ان يسلم الاكبر على الاصغر والسلام دعا وتحية وهي تحية
اهل الجنة كما ورد في السنة فهو دعا بالسلامة واسم من اسمايه تعالى وجوز ارادته ههنا بمعنى ان
الله معك ويطلع عليك وابتداوه سنة لا واجب بالاجماع وفيه قول ضعيف لا يعتد به
ورده فرض كفاية لا على كل واحد لان السلام معناه الامان فاذا سلم احد ولم يجب توهم الشر
فيجب دفعه كما قاله الحليمي وهذا منه صلى الله عليه وسلم تواضع ولطف مناسب لما عرف
فيه من حسن الخلق • قال الحسن الراوي لهذا الحديث **قلت** لخاله ابن ابي هالة
صف لي منطقه مصدر ميمي اي نطقه وكلامه صلى الله عليه وسلم والنطق هو اللفظ الدال
على معنى وقول سليمان علمنا منطق الطير وقول الشاعر • لقد نطق اليوم الحمام ليطربا
تنزيل له منزلته لفهم سليمان منه معنى ولادعا الشعرا شوقه وطربه كما قاله الهروي
قال كان صلى الله عليه وسلم متواصل الاحزان هذا مشتمل على الجواب وزيادة فالجواب
قوله لا يتكلم في غير حاجة فكانه قال كان كلامه موجزا قليلا وقيل معناه ان كلامه لم يكن بفرح
وبطر بل بحزن واسف وقال ابن امام الجوزية قول ابن ابي هالة متواصل الخ لم يثبت
عنه وفي سنده مجهول كيف وقد صانه الله عن الحزن واسبابه ونهاه عنه بقوله لا تحزن
وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر فلا خوف عليه ولا حزن في الدنيا والاخرة فمن ابن ياتيه
الحزن وقد ورد وصفه بانه كان دايم البشر ضحوك السن وقد استعاذ من الهم والحزن والهم

عينه

لما سياتي والحزن لما مضى وقال ابن تيمية حديث ابن ابي هالة انه كان كثير الصمت
دايم الفكر متواصل الاحزان وليس المراد بالحزن الالم على فوت مطلوبه او حصول مكروه فانه لم
يكن من حاله وانما المراد به التيقظ لما يستقبل من الامور وهو مشترك بين الهم والفكر انتهى
قيل وهو لم ينه عن ذلك لانه ليس باختياره وانما نهى عن تعاطي اسبابه كما قيل

ومن سره ان لا يرى ما يسوءه • فلا يتخذ شيا يخاف له فقدا •

انتهى وقال ابن قيم الجوزية في شرح منازل السايرين ليس الحزن من منازل السالكين وقد
ورد النهي عنه فقال ولا تهنوا ولا تحزنوا وقد استعاذ منه صلى الله عليه وسلم وحزن المؤمن
يسر الشيطان لانه يفتر العزم ولذا قال اهل الجنة الحمد لله الاية وهو من المصايب واما
خبر ان الله يحب كل قلب حزين فلم يثبت اقول هذا تطويل بغير طايل وانكار الحديث لانه ثابت
كما قاله الحافظ ابن تيمية وغيره واما كونه ليس من المقامات فمع كونه غير مسلم كما مر فلا يضر
والمراد انه كان على هيئة الحزين حال سكوته لكثرة افكاره في امور امته واحوالهم كما يدل
عليه قوله **دايم الفكرة ليست له راحة** وكيف لا وقد قاسى في التبليغ ما لا يوصف وانما
وصفه بالبشر والتبسم فهو من حال اخر وهو مخالطته للناس والنظر في امورهم **ولا يتكلم
في غير حاجة** مما لا يعدي نفعا لكثرة افكاره ودوام اذكاره **طويل السكوت يفتتح الكلام
ويختمه باشداقه** جمع شدق بفتح اوله وكسره وسكون داله المهملة وهي جوانب الفم
وذلك لسعة فمه الدال على فصاحته كما مر وهو مما يتمدح به العرب واما قوله ابغضكم
الى الله المتشدقون فمعناه من يتكلف الكلام بلا احتياط فيه فسقط ما قيل انه من سعة
الفم ولا مدخل له في الجواب **ويتكلم بجوامع الكلم** وهي الكلمات الموجزة المشتملة على الحكم
النافعة السايرة مسير الامثال جمع جامعة ويطلق على القران **فصلا** بفتح الفاء وسكون
الصاد المهملة اي كاملا فاصلا للخصومة وفارقا بين الحق والباطل **لا فضول فيه**
اي لا زيادة فيه على اداء المراد وهو اسم مفرد وقيل انه جمع فضل خص بما ذكر ونقل لمعنى
اخر ولذا نسب اليه فقيل فضولي كما في المغرب **ولا تقصير** فيما يريده بتقليل مخل بالفهم
دمثا بفتح الدال المهملة وسكون الميم والثا المثلثة من الدماثة وهي سهولة الخلق
مستعار من الارض الدمثة وهي ذات الرمل المتلبد اي لين الخلق لطيف المعاملة **ليس
بالجافي** اي ليس غليظ الطبع وهو اصل معنى الجفا او لم يكن يجفو اصحابه **ولا المهين**
روي بضم الميم وفتحها والاول من الاهانة والميم زايدة اي لم يكن يهين احدا من الناس
والثاني من المهانة وهي الحقارة والميم اصلية اي لم يكن حقيرا ممتهنا ولا لاحد من الناس
لشرف نفسه وعزه وهذا وصف لذاته ويحتمل ان يكون وصفا لمنطقه **يعظم النعمة وان
دقت** اي يعد كل ما انعم الله به عليه عظيما وان لم يكن كذلك ومعنى دقت صغرت وقلت
لا يذم شيا اي شيا يستحق الذم **لم يكن يذم ذواقا** بفتح الذال المعجمة وفتح الواو
المخففة والف وقاف يقال مصدر ذاق بمعنى ذوق اي مما كول ومشروب مما قدم
له من طعام ونحوه ان اعجبه اكل منه والا كف يده ولا يقول فيه شيا فلا يذمه **ولا يمدحه**
ولا يقام لغضبه من قام اذا ثبت اي لا يثبت له احد او من قام بمعنى قاوم اي لا
يقاوم احد على تحمل غضبه ويقام بضم المثناة التحتية مبني للمجهول وفيه دلالة على انه
كان يغضب لله احيانا وقد ورد ما يدل على ذلك **اذا تعرض للحق بشيء** بضم التا الفو

مزدود صح

س

قية

وكسر العين وكسر الراء المهملة المشددة والضاد المعجمة اذا اعترض احد للحق بما يبطله
او يقتضي خلافه بشيء بالباء واللام وعامله اما يقام او تعرض حتى ينتصر له اي للحق
فيؤيده ويبطل خلافه ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها اي اذا اذاه احد من الاعراب
وغيرهم مما يتعلق بنفسه كالاعرابي الذي امسك بردائه ولببه والذي قال هذه قسمة غير
عادلة ونحو ذلك لكلام بعض المنافقين كابن سلول راس المنافقين وما كان يصدر منه
اذا اشار اشار بكفه كلها اي اذا اشار لشيء خارج الصلاة اشار برفع يده واما في الصلاة
اذا اشار بالتوحيد اشار باصبعه السبابة والمسبحة ليفرق بين الاشارتين وله اشارات
اخر عينها بقوله واذا تعجب قلبها اي قلب كفه وجعل باطنها نحو السماء وظاهرها للارض
وانث الكف لانه مؤنث سماعي وهو اشارة لانقلاب للحال عما يعتاد من عدم اظهار التعجب
والاستغراب لامر وهذا مما يدل على سكونه وعدم خفته وهو امر ممدوح واذا تحدث افصل
بها في شرح الدلجي بهمزة وفاء وصاد مهملة ولام والضمير للكف اي وصل كفه من فصل
علينا اذا خرج من طريق او ظهر من حجاب فاصلا بها اي بكفه ولم يبينه غيره ووقع في بعض
النسخ اتصل بها بمثناة فوقية بدل الفاء وفي حاشية التلمساني والحديث يتصل بها اي لا
يزال يحركها وذلك اثبت لانه قول وفعل انتهى وهذا ان اتصل بها رواية والظاهر ان
المعنى انه صلى الله عليه وسلم يشير بجميع كفه اذا كان مع اصحابه على وجه متعارف
كالاشارة للذهاب والجلوس ونحوه فاذا تحدث وضع ابهامه على راحته وقت حديثه
لتثبت حديثه او انتهائه فاعرفه ففي العبارة ثلاثة وجوه افصل واتصل ويتصل
والمعنى انه فصل حديثه باشارته بيده لجهة من يخاطبه كعادة من يهتم بكلامه في امر
مهم اقول هنا كلام مع غموضه غير محرر مع ما فيه اما ما ذكره من انه افصل بهمزة وفا
فتحريف لانه لم يسمع في هذه المادة مزيد من بنية اكرم فالصواب فصل او اتصل ومعناه
انه فصل كلامه باشارته او وصل احدى يديه بالاخرى ورايت في كتاب النعمة في الصلاة
على شفيع الامة ذكر هذا الحديث وانه اتصل افتعال من الوصل وهو الصحيح وذكر انه صلى
الله عليه وسلم كانت له اشارات مختلفة فيشير بالمسبحة للتوحيد ويجمع كفه لغيره فرق
بينهما فانه كان اذا تحدث وصل حديثه بالاشارة بيده توكيدا له والظاهر ان الفاء في قوله
فضرب تفصيلية كقوله نادى فقال رب الى آخره ولم يبينوا معناه فضرب بابهامه
اليمنى راحته اليسرى كذا في اكثر الروايات وفي بعضها فضرب براحته اليمنى
باطن ابهامه اليسرى والابهام معروف يذكر ويؤنث وجمعه اباهيم واباهم قالوا وهذا
عادة لهم اذا تحدثوا واذا غضب اعرض عمن غضب عليه من غير لوم له لسعة خلقه
واشاح بشين معجمة وحاء مهملة بينهما الف فمعناه صرف وجهه فهو تاكيد لما قبله وقيل
معناه قبض وجهه وزواه من غير لوم وعتاب وهذا من حلمه فلا يقال كيف ادرج هذا
في صفات المدح فيجاب بان الغرض بيان صفاته للسائل لان المقام ياباه وسياتي من
المصنف تفسيره بما يقارب هذا وقيل انه في النهاية ان المشيح الحذر والجاد في الامر والمقبل
عليك المانع لما وراء ظهره وفي حديث سطيح اقبل على جمل مشيح اي جاد مسرع فيجوز ان
يريد احد هذه المعاني اي حذر من موجب غضبه او جد في الامر ليسعى باعراضه عن
موجب غضبه او اقبل عليه ليمنع من وراءه من ضرر المغضوب عليه ولا يخفى انه تكلف مخالف

لما اختاره المصنف مما هو الظاهر هنا واذا فرح لرؤية ما يسره او سماعه غض طرفه اي
ارخاه واطرق تباعدا من الاشر والمرح جل ضحكه التبسم اي اكثره وقد تقدم بيانه وقد
يضحك احيانا حتى تبدو نواجذه والتبسم مبادي الضحك ويفتر بفتح الياء وسكون الفاء
وفتح التاء الفوقية وتشديد الراء المهملة من قولهم افتر ضاحكا اذا ابدى اسنانه قال

يفتر عن لؤلؤ رطب وعن برد • وعن اقاح وعن طلع وعن حبب •

وهو من فررت الدابة اذا كشفت فمها لتعرف سنها من سنها وذلك هو الفرار بالضم عن مثل
حب الغمام متعلق بيفتر والغمام السحاب واحده غمامة كسحابة وحبه هو البرد المعروف لا قطر
المطر كما توهم فانه مع عدم مناسبته لا يسمى حبا لان الحب للجامد دون السائل وتشبيه اسنانه
به لصفائه ولمعانه ورطوبته دون جرمه حتى يقال انه لنوع منه وهو مشهور في كلامهم
كما مر قال الحسن بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهما فكتمتها اي خفيت صفاته صلى الله
عليه وسلم التي سمعتها من ابن ابي هالة الحسين مفعول ثان لكتم زمانا مدة من الزمان
ثم حدثته بما سمعته من صفته فوجدته قد سبقني اليه اي الى الحديث المعلوم من قوله
حدثته اي حفظه قبلي لانه رواه عن ابيه علي رضي الله عنه فسال اباه عن مدخل رسول
الله صلى الله عليه وسلم ومخرجه ومجلسه وفي نسخة وملبسه بدل مجلسه فان كانت الثلاثة
مصادر فظاهر والا فالمراد سالته عن حاله في مخرجه ومدخله والمراد خروجه
للناس ودخوله بيته وجلوسه كما سياتي عندهم وقيل المراد بمجلسه بكسر اللام هيئة جلوسه
وانما ذكر استعير لجميع احواله يعني الحسن انه سمع هذه الصفات من ابن ابي هالة ولم يخبر
اخاه بما سمعه منه والحسين لم يسمعها من خاله فلما حدثه بها وجد عنده علما منها من طريق روايته
عن امير المؤمنين ابيه مع زيادة وانما كتم ذلك عنه مع النهي عن كتمان العلم عن اهله لانه لم
يساله ولم ينحصر علمها فيه ولو كان كذلك لدخل في حديث من كتم علما الجمه الله بلجام من نار
وعنه انما كتم عنه كلام ابي هالة الوصاف البليغ دون معناه لعلم اهل البيت بذلك فان
السمت والحديث لهم وشكله بفتح اوله اي هيئته في ذلك الحال ويفسر بمعنى الهدي والسمت
قاله التلمساني فلم يدع من ذلك شيئا اي لم يترك شيئا من احواله الا بينه لي قال
الحسين سالت ابي رضي الله عنه عن دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كان دخوله
لنفسه اي دخوله منزله ليجتمع باهله لمصالحه وقضاء ماربه وقيلولته ماذونا له
في ذلك من الله اذنا عاما بحيث يدخل اي بيت من بيوته في اي وقت من غير استيذان من
زوجاته لانه لا يجب عليه القسم وقيل المراد دخوله بيوت اصحابه وهو بعيد لقوله فكان
اذا اوى الاصح قصره ويجوز مده الى منزله جزا دخوله اي قسم زمن دخوله البيت
ثلاثة اجزاء جزءا لله اي لعبادته والتفكر في ملكوته وجزءا لاهله يدبر امورهم
ويصلحها ويتلطف بهم وجزءا لنفسه من ماكل ومشرب وراحة وغيرها مما يليق به
لقوله ثم جزا جزءه بينه وبين الناس اي قسم الزمن الذي جعله لنفسه فجعل قسما منه
مخصوصا بذاته واحواله في نفسه وجزءا آخر للناس وسائر الامة وهو في منزله ولا
يلاقيه فيه الا اهله او خواص اصحابه الذين يؤذن لهم في الدخول عليه وغيرهم لا يصل اليه
ثمة فلذا قال فيرد ذلك على العامة بالخاصة يرد بمعنى يوصل ويعطي كانه لما كان لهم
حق في الجملة اخذ منهم ثم رده اليهم وقيل معناه يستعين لانه ورد انه كان يستعين بالخاصة

على العامة وهو بيان لمحصل المعنى وذلك اشارة لما فهم من السياق وهو جز الناس والعامة
ثم عدل الخاصة التي عرفتها فكانت الخاصة تخبر العامة بما سمعته منه اذ لم يكن ينبغي كتمه
عنهم والباء في بالخاصة للسببية وكونها للبدل كقوله فليت لي بهم قوما اذا ركبوا •
لانه ليس المراد انه يجعل وقت العامة بعد الخاصة وبدلا منه وعلى على ظاهرها وقيل بمعنى
الى وروي بذل برد بذل بالمعجمة والمهملة مع ضم اليا المثناة التحتية وفتحها فيهما ولا يدخر
عنهم شيئا اي عن المذكورين من الخاصة والعامة وقيل عن الداخلين عليه والمال واحد
ويدخر بدال معجمة مشددة واصله يذتخر بذال المعجمة وتا افتعال من الذخر فقلبت تاؤه
دالا وادغمت فيه الذال بعد قلبها دالا كما علم من كتب الصرف وكذا ما له من ادكر ويجوز يذخر بذال معجمة
مشددة فكان من سيرته في جزء الامة وهو الجزؤ الذي جعله للناس وافرزه مما كان
لنفسه اي كان دابه وعادته في هذا الجزء ايثار اهل الفضل باذنه الايثار تقديم ما
يؤثره على غيره والمراد باهل الفضل كبار الصحابة كالعباس والخلفاء الراشدين والمراد باذنه ..... أنه يأذن
لهم في الدخول في خلوته وبينته كما مر وما قيل من ان المراد باهل الفضل اغنياء الصحابة والفضل
زيادة ما لهم على حاجتهم والمعنى انه يأذن لهم ان يؤثروا بصدقاتهم اقرباءهم كما وقع لابي
طلحة في بير حا تكلف اوقعه فيه قوله وقسمته على قدر فضلهم في الدين فتوهم ان
المراد تقسيم المال والعطا وانما معناه قسمة جزئه في حديثه معهم واشتغاله باحوالهم
وقوله في الدين لانه اكرمهم عند الله اتقاهم فتفاوتهم عنده بذلك بالنسبة والمال في بعض
النسخ وقسمه بدون تاء ثم بين سبب تفاوتهم بقوله منهم ذو الحاجة الواحدة ومنهم ذو
الحاجتين ومنهم ذو الحوائج الثلاثة فاكثر فيتشاغل بهم اي ببعضاء حوائجهم وارشادهم
لما يصلح معاشهم ومعادهم ويشغلهم بفتح اليا المثناة التحتية مضارع شغل واما اشغل
فلغة رديئة كما مر اي يجعلهم مشغولين بما امرهم به فيما اصلحهم وفي نسخة يصلحهم اي مما
فيه صلاحهم والامة بالنصب اي واصلح الامة بتبليغه لهم ما يليق بهم بعد معرفته
حالهم من مسألته عنهم وهو بيان لما اي سؤاله عن احوالهم وروى مسألتهم اي
الخاصة ذوي الفضل واخبارهم اي اخبار ذوي الفضل بالذي ينبغي لهم اي يليق ويناسب
حال المسؤول عنهم من الامة وهو مطاوع بغى بمعنى طلب قال الراغب اذا قيل ينبغي ان يكون
كذا فهو على وجهين احدهما ما يكون مسخرا للفعل نحو النار ينبغي ان تحرق الثاني الاستهال
نحو فلان ينبغي ان يعطي لكرمه قال تع وما علمناه الشعر وما ينبغي له ويقول لمن حضر
عنده ليبلغ الشاهد امر وهو للوجوب في الامور الشرعية وهو بتخفيف اللام بقرينة ذكر
الابلاغ بعده ويجوز تشديدها والاول اصح هنا والشاهد الحاضر عنده لمقابلته الغائب
وهو من لم يكن حاضرا او موجودا فهو من كبار الصحابة والغائب من صغارهم او هم الصحابة
والتابعون قيل ويحتمل ان المراد العالم والجاهل واهل الحضر والبادية والسامع ومن لم
يسمع والمسلم والكافر وهذه احتمالات عقلية او هي تاويلات وتعميم بمفهوم فقدس وابلغوني
حاجة من لا يستطيع ابلاغها قيل يريد ان من ابلغ سلطانا حوزي بهذا الجزاء العظيم فكيف
بمن بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم والا فهو اجل من ان يكون ملكا او سلطانا وقد قال لست
بملك قلت فيه نظر وقد يقال المراد بالسلطان هنا الامام الاعظم خليفة الله وقد اطلق
الفقهاء ذلك عليه كما بيناه في حكمه بالسلطنة والفتيا والقضا المذكور في القواعد للسبكي

وهذا

وهذا حديث مستقل رواه الاصبهاني وفي بعض الفاظه اختلاف ثبت الله قدميه يوم القيمة
على الصراط يوم تزل الاقدام كما ورد مصرحا به في رواية لابن ابي الدنيا وذلك لانه مشى بقدميه
وسعى لحاجة اخيه فهو جزاء من جنس العمل وهو كناية عن نجاته من اهوال الموقف لا يذكر عنده اي
لا يذكر في مجلسه الا ذلك الاشارة لجميع ما تقدم من ذكر مصالحهم وسؤاله عن الامة والامر
بالتبليغ والحث والترغيب فيه ولا يقبل بالبنا للفاعل والمفعول غيره اي لا يرضى كلاما غير
ما يكون من هذا القبيل وقال اي علي رضي الله عنه في رواية في حديث سفيان بن وكيع بن الجراح
ابو محمد الكوفي وهذا امام حافظ روى عنه الترمذي والدارقطني وغيرهما توفي في سنة سبع ومائتين
ووالده امام جليل حافظ يدخلون اي اصحابه روادا بضم الراء المهملة وتشديد الواو ودال
مهملة جمع رائد واصله من يتقدم القوم المسافرين ليختار منزلا فيه الماء والكلأ فاستعير هنا للطالبين
المحتاجين لحاجتهم وما يرشدهم وقيل يفتحون وقت الوصول اليه وفي حديث علي يدخلون روادا
ويخرجون ادلة اي هداة مرشدين للناس وسياتي مثله وقال التلمساني انه رواد بكسر الراء
وتخفيف الواو مصدر رود وروي لواذا باللام وذال معجمة اي ملتجئين لائذين به ولا يتفرقون من مجلسه
الا عن ذواق بفتح الذال المعجمة وفتح الواو المخففة والف وقاف فعال من الذوق بمعنى المذوق
وهو الماكول فاستعير للعلم الذي يتعلمونه ويحتمل ان يراد حقيقته لانه كان عادته اي يطعم
شيئا ما لمن يدخل بيته وعلى هذا جرت عادة السلف الصالحين وحقيقة الذوق كما قاله الراغب
وجود الطعم بالفم واصله فيما يقل تناوله وفيه تفصيل ذكرناه في كتابنا طراز المجالس اي لا يتفرق
الا عن علم وادب هو غذاء لارواحهم وسبب لبقائهم ويخرجون من عنده ادلة يعني فقهاء
عالمون بامور الدين يهتدي بهم غيرهم فادلة جمع دليل بمعنى هادي او بمعناه المشهور كما يقال فلان
حجة الاسلام والصحابة كلهم مجتهدون خلافا لبعض الحنفية كما في تحرير ابن الهمام قلت
فانتم الحسين لابيه فاخبرني عن مخرجه اي عن حاله بعد خروجه من بيته كيف كان يصنع
فيه بعد خروجه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من وضع الظاهر موضع الضمير للاهتمام
والتلذذ بذكره يخزن لسانه بالخاء وضم الزاي المعجمتين والنون اي يصونه ومنه الخزانة لانه لا
يحب كثرة الكلام وقال اذا المرء لم يخزن عليه لسانه • فليس على شيء سواه بخزان •
ولما فيه من المنع عداه بمن فقال الا فيما يعنيهم وفي نسخة الا بما ويعني بفتح المثناة اي يهمهم ويفيدهم
من جواهر كلمه وزواجر حكمه ويؤلفهم ولا ينفرهم اي يجعلهم مؤتلفين به غير متفرقين عنه لمداراته
ولطفه بهم كما قال تع ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ويجعل بينهم الفة لحثهم على
التحابب والمواخاة بينهم يكرم كريم كل قوم كما قال اكرموا عزيز كل قوم لمعرفته بمقادير الناس
ويوليه عليهم اي يجعله حاكما عليهم فلا يولي احدا من اصحابه غيرهم عليهم ولا يولي صغارهم عليهم
رعاية لاهلية ذوي الولايات وتجنبا لاعلاء الاسافل في الاسلام ويحذر الناس ويحترس
منهم لان من الحزم سوء الظن وعدم الوثوق بكل احد وقال عمر احترزوا بسوء الظن وهو من بديع
حكمه وليس المراد بالناس جميعهم بل عوامهم بخلاف خواصهم والاحراز والاحتراس والحذر الفاظ
متقاربة وقيل الاحتراس التحفظ والاحتراز التعوذ والحذر الخوف من غير ان يطوي اي يخفي
وهو استعارة من طي الثياب عن احد بشره اي طلاقة وجهه والبساطة معه تاليفا له
وتاليفا لقلبه واذهابا للخوف مهابته وخلقه اي حسن خلقه ولم يذكر الحسن اشارة الى انه
مجبول على الحسن فيه ويتفقد اصحابه اي يسأل عمن لا يحضر عنده وفقد من مجلسه وقد يذهب

لمنزله اذا طالت غيبته ويطلبه ويسأل الناس عما في الناس من احوالهم وامورهم
ليعلم امورهم فيتدارك ما ينبغي تداركه وينصح من لم يلزم نصحه وليس هذا من التجسس
والغيبة المنهي عنه بل من سؤال الطبيب ليشفي المريض فاذا اخبروه بحال حسن يحسن الحسن
ويصوبه اي يبين حسنه وكونه صوابا ويمدح فاعله ترغيبا له فيه ويقبح القبيح ويوهنه
بضم اوله وتشديد ثانيه والنون والياء التحتية من الوهي بمعنى الوهن وهو الضعف اي
يقول هو فعل قبيح وضعيف ساقط تنفيرا وتحذيرا وتضعيفا قدما والمراد بالحسن والقبيح
عادة او شرعا وفيه صنعة الطباق معتدل الامر اي اموره كلها معتدلة فلا يبالغ
في تحسين وتقبيح وغيره غير مختلف اي على سنن واحد في جميع اوقاته لا يغفل عن شيء
من احوال الناس مخافة ان يغفلوا عما يصلحهم وهو بضم الفاء فيهما او يملوا اي يحصل
لهم فتور وكسل عن صالح امورهم اذا لم ينبههم عليه ولو ارجع هذا لقوله معتدل الامر لم يبعد
ويجمع هذا قوله ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة لكل حال من احوال الناس
عنده عتاد بعين مهملة مفتوحة ومثناة فوقية ودال مهملة وهو كالعتيد المعد ه
والحاضر المعتد لاصلاحه وتداركه اذا وقع وداله مهملة وهو كالعتيد فهو متعلق بقوله
رقيب عتيد وقيل اصل العتاد عداد لانه من العدة فابدلت داله تاء هربا من التكرار
ولا يقصر عن الحق ولا يجاوزه الى غيره اذا رآه عمله واذا رأى منكرا ازاله من غير تأخير
الذين يلونه من الناس اي يقربون منه في مجلسه ونحوه خيارهم اي افضلهم واشرفهم
وافضلهم عنده اعمهم نصيحة اعم هنا بمعنى اكثر نصيحة واكثر منصوحا بان ينصح في
كل امر كل احد بارشاده لما هو خير له ولذا قال صلى الله عليه وسلم الدين النصيحة لله ه
ورسوله ولكتابه ولائمة المسلمين فنصيحته لله اصلاحه في اعتقاده له بما يليق به من
توحيده وعبادته مخلصا لوجهه ولكتابه فهم معانيه والعمل بما فيه والنصيحة لرسوله
الايمان به واجتناب نواهيه وامتثال الاوامر ولائمة المسلمين طاعتهم وعدم الخروج عليهم
ونصيحة العامة ارشادهم لمصالحهم والنصح ارادة الخير لمن ينصحه باخلاص وهي كلمة
جامعة يقال نصحه ونصح له واعظمهم عنده منزلة اي مرتبة وشرفا احسنهم
مواساة لكل احد لان حذف المتعلق يفيد العموم والمواساة اعطاء من يريد ما يريد وبذله
له يقال اساه وواساه بواو مبدلة من الهمزة اذا جعله اسوة او موازرة اي اعانة لمن
التجأ اليه يقال آزره ووازره اذا اعانه وقواه وساعده من الازر وهو الظهر لان قوة
البدن به او من الوزر وهو الملجأ ومنه الوزير وفي الحديث ما احد عندي اعظم يدا من ابي
بكر واساني بنفسه وماله وهذا يدل على انه افضل الصحابة قال الحسين رضي الله عنه فسألته
يعني عليا والده عن مجلسه اي عن حاله في مجلسه خارج بيته مع الناس ومعاملته
لهم فيه ولذا اردفه بقوله ما كان يصنع فيه فقال كان لا يقوم من مجلسه الا على ذكر
الله يجعله ختام مجلسه فكان اذا قام منه قال سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت
فيجعله لك علامة لا ينصرف عن الصلاة والذكر بالذال المعجمة اذا اطلق اريد به ذكر الله
وان كان عاما وقال التلمساني وقد يهمل داله قليلا فقيل انها لغة وقيل لغة ولا دليل
لقائله في نحو هل من مدكر فانه مغاير لطه ولا يوطن بضم المثناة التحتية وسكون الواو وكسر
الطاء مخففة وفتحها مشددة كما في بعض الشروح وفي بعضها انه بالكسر من اوطنه ووطنه

اذا اتخذ

اذا اتخذه وطنا الاماكن جمع امكن وامكنة جمع مكان فهو جمع الجمع ففي ميمه خلاف هل ميمه
اصلية او زائدة وينهى عن ايطانها اي اتخاذها وطنا والمراد ملازمة محل بخصوصه في غير
بيته مما ليس بملك كالمسجد وغيره من الاماكن المباحة لان لكل احد حقا فيه والنهي الوارد
عنه صلى الله عليه وسلم انما هو في حق المسجد بان يتخذ مصلى يعتاد منه ولذا نص فقهاؤنا
على كراهة ارسال السجادة للجامع وفرشها وفي الحديث نهى النبي صلى الله عليه وسلم ان يوطن الرجل
المكان بالمسجد قيل وهو عام مخصوص بما لم يتضمن مصلحة كمن الف مكانا للافتاء والتدريس
فله ايطانه واقامة غيره منه اذا كان من لا يعرفه يأتي لاستفتائه فيصرفه في مكانه وقوله
ايطانها يؤيد ان يوطن مخفف ولا يعينه كما قيل انه لا يجوز ان يذكر فعل من باب ويذكر له مصدرا
واسم فاعل او مفعول واسم مكان وغيره من باب آخر نحو تبتل اليه تبتيلا وقوله هه

وداع دعا يا من يجيب الى الندا • فلم يستجبه عند ذاك مجيب

ويجوز في نحو اجراه مجراه ضم الميم وفتحها وقد تكون المغايرة ابلغ واكثر معنى وهذا مما ينبغي
التنبه له واذا انتهى مشيه قاصدا الى القوم الذين يريد الجلوس معهم جلس حيث ينتهي
به المجلس اي في اي مكان خال منه من غير تصدر على اصحابه وينتهي من النهاية ويأمر اصحابه
بذلك تشريعا وتاديبا فعلم ان تحري الصدر مكروه شرعا لما فيه من الكبر والترفع على اصحابه به
لا سيما اذا لم تطب انفسهم بذلك فيتأذون به فانه قد يحرم كما يفعله علماء السوء في زماننا
ويعطي كل جلسائه اي كل احد منهم نصيبه اي ما يستحقه من ملاطفته وكان به سؤاله وبشره
له حتى لا يحسب اي يظن جليسه ان احدا اكرم عليه منه اي يظن انه اكرم الناس واجلهم عنده
لما يرى من لطفه به فهو كقولهم ليس في البلد اعلم منه كما مر تحقيقه فهو غاية لذلك الاعطاء من جالسه
او قاومه اي من جالسه او قام مع قيامه لغرض حاجته او لغير ذلك فهي مفاعلة من الجلوس
والقيام صابره اي صبر عليه او صبر مقدار صبره فلا ينصرف عنه حتى ينصرف هو كل ذلك
لاستمالتهم وتطييب قلوبهم فلا يملهم حتى يملوا وحتى يكون هو المنصرف عنه الحصر بتعريف
الطرفين في محزه هنا من سأله حاجة لم يرده الا بها اي رده بقضاء الحاجة غير خائب
او بميسور من القول اي او رده بقول لين سهل لا غلظة فيه كوعد وقد تقدم بيانه قد وسع
الناس بالنصب مفعول وسع بسطه وخلقه باضافته لضميره ورفعه على الفاعلية له اي
عمهم ببسطه اي بسط يده وسماحته اي بشره وطلاقة وجهه وابتداء سروره وحسن خلقه ه
فشبهه بمكان متسع رحب واثبت له السعة والبسط بمعنى المعنى مسموع وليس لغة مولدة كما
يتوهم كما ذكره المصنف في المشارق وفي الحديث فاطمة مني يبسطني ما يبسطها فصار لهم ابا
اي بمنزلة الاب في البر وقصد الخير وفيه دليل على انه يجوز ان يقال ابو المؤمنين كما يقال
لزوجاته امهات المؤمنين ولا ينافيه قوله تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم لان نفي الحقيقة لا
ينافي المجاز وصاروا عنده في الحق متقاربين اي يقرب بعضهم من بعض اذا كانوا على
الحق او في اداء حقوقهم اي في اصل الحق فلا ينافيه قوله متفاضلين فيه بالتقوى اي
بحسب مراتبهم في تقوى الله لآية ان اكرمكم عند الله اتقاكم وقال صلى الله عليه وسلم انزلوا الناس
منازلهم وسيأتي في الرواية الاخرى وصاروا عنده في الحق سواء فلا تنافيه هذه الرواية ية
لان بينهم تفاوتا وتباينا وفي الحديث لا يزال الناس بخير ما تفاضلوا فان تساووا هلكوا او صاروا
كأسنان المشط ليس فيهم فضلاء وتفاوتوا في الفضائل فانكروا فضل بعضهم على بعض

وما عبّر الانسان عن فضل نفسه • كمثل اعتراف الفضل في كل فاضل •

وفي الرواية الاخرى صاروا عنده في الحق سواء كما بيناه مجلسه مجلس حلم وحياء اي
يظهر فيه حلمه عليهم وحلمهم على غيرهم بحيث لا يستفزهم الغضب وهم مظهرون بحياء لا يرفعون
رؤسهم واصواتهم ولا يتكلمون بما لا ينبغي قولا وفعلا قيل ولو قدم هذا وادرجه في جواب السؤال
عن مجلسه كان احسن قلت ما بالعهد من قدم وصبر وامانة لا ترفع فيه الاصوات احتراما
له ولوقارهم وادبهم ولا تؤبن فيه الحرم كالكتب جمع حرمة وهي ما لا يحل والمراد النساء الحرمة النظر
لهن ونحوه اي لا يذكر بسوء من ابنه وابنته اذا ذكرته بما يكره مأخوذ من الابنة والابن وهي
عقد في العصي يعاب بها اي لا يذكر فيه الخنا لانه رفث من القول او لا يذكر فيه ما يحرم كالغيبة
وسيأتي تفسيرها ولا تنثى فلتاته بتاء مثناة مضمومة ونون مفتوحة مقصورة من النثا وهو ذكر
القبيح ضد الثنا بتقديم المثلثة وهذا هو الموافق لما سيأتي وروي ولا يثنى بتقديم المثلثة
على النون اي لا تعاد والفلتات بفتحات جمع فلتة بفتح فسكون ويجوز تسكين لام فلتات وضم
فاء فلتة كما قاله التلمساني وهي ازالة القبيح اي يقع بغتة والمراد انه لا فلتة فيه حتى تذكر في
مجلس آخر فيعاد ذكرها فنفي الشيء ينفي لازمه لانها لو وقعت ذكرت كقوله ولا ترى الضب بها ينجحر
وهذه الكلمة اي قوله لا تنثى فلتاته من غير رواية الحسن عن خاله ورواية للحسين عن ابيه
ويجوز ان يراد ظاهره اي ان الفلتة اذا وقعت لا تذكر بل تستر يتعاطفون بالتقوى اي يعطف
بعضهم على بعض ويشفق عليه ويرحمه بسبب تقوى الله لا سمعة ولا خوفا واتقاء شر فالبا
سببية كقوله رحماء بينهم متواضعين اي يتواضع بعضهم لبعض لا يتكبر احد على احد فيخفض
ويخفض جناحه له يوقرون فيه اي في المجلس الكبير سنا ويرحمون الصغير شفقة عليه
ورأفة وهو مفتوح الضاد ويكسر في لغة رديئة ويرفدون بفتح المثناة التحتية وضمها اي
يعينون ويواسون يقال رفده يرفده بالكسر وارفده بمعنى ذا الحاجة اي كل من كانت له حاجة
وسؤالهم اوله صلى الله عليه وسلم اعانوه بقضائها او بابلاغها او الشفاعة ويجوز ان يراد
به الفقير المحتاج ويرحمون الغريب اي يشفقون عليه ويعطفون تأنيسا له وازالة لوحشة
غربته قال الحسين فسألته عن سيرته صلى الله عليه وسلم في جلسائه فقال كان صلى الله عليه
وسلم دائم البشر اي طلاقة الوجه وبشاشته واظهار السرور في مجالسة العامة وهذا لا ينافي
ما مر من قوله دائم الاحزان كما مر فتذكر سهل الخلق اي خلقه وطبيعته السهولة وعدم الشدة
في اقواله وافعاله وقد جاء السمحة السهلة لين الجانب بتشديد الياء وسكونها اي لا غلظة فيه
ولا جفاء متذللا متواضعا ليس بفظ اي سيئ الخلق ولا غليظ اي شديد متوعد لاحد تمسك
عنه لطفه ورفقه ولا صخاب بالصاد والسين اي لا يرفع صوته جدا في خصومة ونحوها
ولا فحاش اي لا يتكلم بقبيح كالشتم ولا عياب اي ذاكر العيوب الناس ونقائصهم ولا
مداح اي لا يكثر المدح لغيره ونظرته بالمبالغة قوة ما فيه وان كان يذكر الحسن والقبيح بما فيه
كأمر وذكر هذه بصيغة المبالغة اشارة الى انه قد يصدر قليلها احيانا منه لمقتضى الحال
ومثله لا يعاب والمدح انما يذم اذا كان زيادة على ما هو لانه كذب ومداهنة واما مدح من يستحق
المدح بما فيه اذا لم يلزمه محذور فامر حسن الا ترى الى قوله صلى الله عليه وسلم لو وزن ايمان
ابي بكر وايمان العالم لرجح وقوله لعمر لو لم ابعث لبعثت انت يا عمر فاي مدح يزيد على
هذا لكنه صدق ناشئ عن بصيرة ولا يورثهم ذلك اعجابا ولا فتورا وما من شيء الا وهو ممدوح

من وجه

من وجه مذموم من آخر يتغافل عما لا يشتهي اي يتغافل عما ليس بمنكر شرعا لكنه
غير مستحسن عادة او طبعا اذ لو كان منكرا شرعا نهى عنه ولم يقر عليه وهذا من مكارم
الاخلاق كما قال ابو نواس •

ليس الغبي بسيد في قومه • لكن سيد قومه المتغابي •

ولا يؤيس منه قال في المقتفى يؤيس بضم اوله وسكون الواو وهمزة مكسورة وهي بين
ياء ويجوز فتحها على انه مبني للفاعل او المفعول وهو من اليأس ضد الرجاء يعني اذا سئل
عما لا يليق تغافل عنه ولم يرد السائل حتى ييأس او يبين له انه سأل ما لا يليق به فيخجل سائله
وقد ترك نفسه من ثلاث اي نزهها عنها ومنعها وقيل فيه قلت اي ترك ثلاثا من نفسه
الرياء والاكثار وما لا يعنيه بفتح المثناة التحتية اي يهمه وهي بدل من ثلاث مبينة
لها والرياء اظهار ما فيه من الصفات الحميدة والافعال الجميلة للناس حتى يحمدوه ويثنوا
وهو الشرك الاصغر وهو منزه عنه بلا شبهة فان قلت كونه غير ثابت له امر ظاهر لا ينفك
عنه فما الحاجة لذكره قلت كانه ذكر هذه الجملة الحالية لبيان وجه تغافله عما لا يعجبه من غير ان
يقنط راجيه يعني انه لم يقل انا لا احب هذا فلذا لم اجبك عنه حتى يتوهم انه سيفعله لما فيه
من الرياء ولذا قال وترك الناس من ثلاث اي ابعدهم عنها او من ترك ذكر الناس ونحوه من اجل
ثلاث تضمنها قوله كان لا يذم احدا من الناس يستحق الذم كالمنافقين ولا يعيره بعين مهملة
يقال عيره كذا وبكذا اي ذكر ما فيه مما هو عار عليه وعيب فيه قد سلف منه فالفرق بينه وبين
ما قبله انه اخص منه وليس عينه حتى لا يكون امور الناس المتروكة اربعة كما ذكره التلمساني
ولا يطلب عورته اي لا يتجسس عن معايب الناس ويبحث عنها كما كان يفعل مع المؤلفة قلوبهم
واصل العورة الخلل وما يجب ستره كما في حديث ابي داود يا معشر من اسلم بلسانه ولم يفض
الايمان الى قلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم فان من تتبع عورة اخيه
المسلم تتبع الله عورته وهذه كما قيل في المثل من عير ابتلي وهذا اذا لم يلزم اظهاره شرعا
كالمتجاهر بفسقه ونفاقه وقوله ولا يتكلم الا فيما يرجو ثوابه صفة اخرى مرتبطة بما قبله
وليست من الثلاث وهذا كنصيحة الامة وارشادهم وتعليم الخير والتبليغ اذا تكلم اطرق
جلساؤه اي خفضوا رؤوسهم تأدبا وانصاتا كانما على رؤوسهم الطير اي بسكون ووقار
من غير طيش وخفة لان الطير لا يقع الا على ساكن وهذا مثل مشهور واذا تكلموا فلا يقطعون
حديثه بحديثهم تأدبا معه وتوجها لفهم مقاله لحرصهم على حفظه مراعاة لعظيم قدره ثم
لا يتنازعون عنده الحديث اذا كانوا في مجلسه لا يتدارؤن الحديث بينهم فيحدث بعضهم
بعضا كما هو جار بين الناس اذا اجتمعوا في ناد وهذا بيان لقوله تكلموا او ان المراد انهم
يتكلمون مع النبي بسؤال لم له ونحوه من مهماتهم لانهم يتدارؤن الحديث بينهم وهذا هو معنى
تنازع الحديث في كلامهم ومن فسره بالتخاصم لاعتراره بظاهر التنازع لم يصب لعدم مناسبته
للمقام لا يخفى انه لا معنى لقولك تخاصموا الحديث الا بتأويل اي تخاصموا في الحديث وهو
ركيك قال امرؤ القيس •

فلما تنازعنا الحديث واسمحت • بصرت بغصن ذي شماريخ ميال •

وقال ابن السيد في شرح ادب الكاتب تنازعنا الحديث اي تداولناه فحدثتني مرة وحدثتها
اخرى • وههنا بحث وهو ان سيبويه قال في كتابه تفاعلت لا يكون الا وانت تريد فعل اثنين

بلغ

سكت صح

فضاعد ولا يجوز ان يتعدى لمفعول ينصبه وفي تفاعلنا تلفظ بالمعنى الذي في فاعلنه كتضاربنا وتقاتلنا وقد يجي تفاعلت على غير هذا كتقاضيته انتهى فلم يجز تعدي تفاعل المفعول الا اذا كان لواحد لان تفاعل قد تضمن الفاعل والمفعول الذي كان في فاعل الا تراك تقول ضاربني زيد فتاتي بفاعل ومفعول فاذا قلت تضاربنا لا يتعدى لاشتماله على فاعل ومفعول ليس لنا غيره وليس تنازعنا كذلك لان نازع يتعدى لمفعولين تقول نازعته الحديث فاذا قلت تنازعنا لم يكن بد من ذكر المفعول الثاني لان تنازع لم يتضمنه كذا قاله ابن السيد في المقتضب شرح ادب الكاتب اقول في كلام سيبويه قصور لانه كان عليه ان يقول ان باب تفاعل بمعناه الاصلي ينقص عن فاعل مفعولا وان كان متعديا لواحد كان لازما وان كان متعديا لاثنين تعدى كما ذكره بعض النحاة فاطلاقه لا ينبغي وقد نقل ابن السيد هذا في محل آخر عن الكوفيين فقال قال ثعلب فلان يتعهد ضيعته ولا يقال يتعاهدها قال ابن درستويه انما انكرها لانها على وزن يتفاعل وهو عند اصحابه لا يكون الا من الاثنين ولا يكون عندهم متعديا لمفعول مثل تقاتلا وتعاملا وهو غلط لان تفاعل قد يكون لواحد ويكون متعديا كقول امرئ القيس

تجاوزت احراسا واهوال معشر • على حراس لو يسرون مقتلي •

وجا تفاعل لاثنين متعديا كقوله فلما تنازعنا الحديث الخ قال الخليل التعاهد والتعهد الاحتفاظ بالشيء واحداث العهد به وقول سيبويه السابق قول الكوفيين انتهى والتنازع هنا كالتجاذب مجاز بديع كقوله صلى الله عليه وسلم لمن قرأ خلفه ما لي انازع القرآن **من تكلم عنده** اي في مجلسه صلى الله عليه وسلم من الصحابة او غيرهم **انصتوا له حتى يفرغ** من حديثه وفي بعض النسخ من كلامه وانصت يكون لازما بمعنى سكت ومتعديا يقال انصته اذا اسكته **حديثهم حديث اولهم** مبتدا وخبر وحديثهم فاعل يفرغ فجمع الضمير وهو من رعاية المعنى وحديث اولهم بدل منه اي لا يقطع كلام من تقدم بكلام آخر ولا يخاصم لهذا في معنى لا يتنازعون وهو مرتبط بما قبله فان كان مستدلا بدليل رواية من كلامه فهو تشبيه اي حديث كل واحد منهم انما هو حديث من قبله يعني انه لا حديث له تمنعه يقطعه كقوله ذكاة الجنين ذكاة امه وقد خفي هذا على الشراح فانصتوا **يضحك** صلى الله عليه وسلم **مما يضحكون منه** اي الضحك **ويعجب مما يعجبون** وفي نسخة يتعجبون لانه من حسن الصحبة اي يسره ما يسرهم ويرضيه ما يرضيهم وهم على نهج واحد وطباعهم سليمة فلا يضحكون ويعجبون من غير مقتض فلا يقال انه لا يلزم من ضحك احد وتعجبه قبل غيره مثله لانه امر طبيعي وهذا في احيان قليلة فلا ينافي قولهم كان على رؤوسهم الطير **ويصبر للغريب على الجفوة** اي الغلظة وتكلمه بما يولم في المنطق في تكلمه مع النبي صلى الله عليه وسلم كتحليف الاعرابي وقوله الله ارسلك بهذا وانما قيد بالغريب لانه معذور لانه لا يعرف احواله وهذا كله من مكارم اخلاقه ومعاملة كل احد بما يليق به **ويقول لاصحابه اذا رايتم صاحب الحاجة يطلبها فارفدوه** بوصل الهمزة وقطعها من رفده وارفده اذا اعانه واعطاه لان الرفد العطية والارفاد الاعانة وكل منهما قابل هنا **ولا يطلب** بمعنى يقبل كما ورد في رواية فهو مجاز مرسل او استعارة **الثنا** الذكر الحسن والمدح **الا من مكافئ** بالهمزة اختلف في تفسيره اي ممن اثنى جزاء على نعمة واحسان تقدم له منه وقد صرح به في بعض الروايات بقوله عن يد ولا يرد عليه ان النبي صلى الله عليه وسلم رحمة عامة ما من احد الا وله عنده يد لصواب سيره اي غيره متجاوز في المدح نظرا لان القرينة قائمة على ان المراد نعمة حادثة خاصة **ولا يقطع على احد حديثه حتى يتجوزه** اي يخففه

يجاوز

يقال تجوز في الصلاة اذا اسرع وخفف **فيقطعه بانتهاء** اي اتمام لحديثه به ينقطع الكلام **او قيام** من المجلس لانه انقطع كلامه فمضى لشانه هنا انتهى حديث سفيان بن وكيع السابق ذكره **وزاد الآخر** صاحب الرواية الاخرى **قلت** القائل احد السبطين كما مر **كيف كان سكوته قال كان سكوته على اربع على الحلم والحذر والتقدير والتفكر** لما كان الحلم والحذر من جميع الناس معلوما وقد تقدم تفسيره قال **فاما تقديره** اي كم ينظر مقداره اذا صدر منه او من غيره ممن يقتدي به **ففي تسوية النظر** في الامور وما يترتب عليها من المنافع الدنيوية والاخروية **والاستماع** اي استماع الناس به صلى الله عليه وسلم او بامورهم فيما بينهم ومعنى الاستماع الانتفاع وقوله **بين الناس** متعلق بالتسوية وهم جملتهم متساوين وليس المراد تساويهم حقيقة بل ان يكون لكل احد مقدار يليق به **واما تفكره ففيما يبقى ويفنى** اي في امور الدنيا والآخرة الباقية المخلدة • فان قلت كيف يعلم هذا وهو امر مضمر في نفسه لا يطلع عليه الا الله قلت هذا بطريق الاستدلال العقلي والفراسة الصادقة الشاهد لها ما يظهر من آثاره ويتعلق به اذا تكلم فان الظاهر عنوان الباطن **وجمع** بالبناء للمفعول اي جمع الله له وكذا ما ياتي بعده **الحلم** باللام اي جمع له سائر جزئيات الحلم المختص كل حليم ببعض منه وفي بعض النسخ الحكم بالكاف وله وجه **في الصبر** اي مع الصبر على امور الناس والائمة فكان مع علمه صابرا لا يضيق ولا يقلق كما اشار اليه بقوله **فكان لا يغضبه شيء** مما يتعلق به في نفسه وان كان قد يغضب لله **يستفزه** بكسر الفاء وتشديد الزاي المعجمة اي يستخفه بحيث يبدو منه خفة وقلق لامور الدنيا والاعدا **وجمع له في الحذر** اي في حال حذره واحترازه من الناس ومع ذلك **اربع** نائب الفاعل **اخذه بالحسن** وفي بعض النسخ ترك قوله اربع وهو في نائب الفاعل او منصوب مفعول لاجله اي تمسكه بكل امر مستحسن مشروع **ليقتدى به** ويتبعه الناس فيه **واجتهاد الراي** اي اجتهاده فيما يراه رايا **بما اصلح امته** اي فيما يصلحهم اي بسببه **والقيام لهم** اي الامة **بما جمع لهم امر الدنيا والآخرة** في المعاش والمعاد ومعنى القيام التعهد والالتزام والاجتهاد بذل ما في وسعه وطاقته من اصلاحهم وهو بمعناه المصطلح بناء على جواز اجتهاده صلى الله عليه وفيه اختلاف مذكور في كتب الاصول قال الابي في شرح مسلم نقلا عن المصنف لا خلاف في انه صلى الله عليه وسلم كان يجتهد في امور الدنيا ويرجع الى راي غيره في ذلك كما فعل في تلقيح النخل واختلف في انه هل له ان يجتهد في الشرعيات وهل هو معصوم في اجتهاده ام لا والصواب ان له ذلك وانه معصوم وتفصيله في اصول الفقه فلا حاجة للتطويل به هـ

• فصل في تفصيل غريب هذا الحديث ومشكله هـ •

المراد بالغريب ما لم يكن استعماله مشهورا بين العرب بحيث يخفى على غير العرب الا ان يكون جاريا على قوانين اللغة كما قيل المشكل ما لم يكن واضح الدلالة بحيث يحتاج للتاويل المشذب بضم الميم وفتح الشين المعجمة وتشديد الذال المعجمة المفتوحة والموحدة **اي البائن** اي الظاهر احترازه فوق الربعة بتقليل **في نحافة** وهي قلة اللحم وضدها الضخامة وقيل الطويل مطلقا **الممغط** بضم الميم الاولى وفتح الثانية وتشديدها وكسر الغين المعجمة وطاء مهملة واصله منمغط فابدلت النون ميما وادغمت بمعنى الطويل من انمغط النهار اذا امتد ويقال بالعين المهملة بمعناه كما في النهاية وقال التلمساني بالمهملة والمعجمة والميم الثانية مشددة او مخففة وهو الطويل في نحا

فه

او الطول الذي ليس بنا بق فليس بذم **والشعر الرجل** بفتح الراء المهملة وكسر الجيم من الترجيل وهو تسريح الشعر وتمشيطه والمرجل الذي سرح بمشط والرجل الذي بجالسه حلق كما في الاكمال واليه اشار بقوله **الذي كان مشط بالتخفيف والتشديد فينكسر قليلا** والتكسير التثني كانه كسر **ليس بسبط** بفتح الباء وكسرها وهو المرسل الذي فيه تثن كما قاله ابن عبد البر **ولا جعد** بفتح فسكون اي كثير التثني كشعر الزنج وقال المازري شعر رجل ورجل ورجل بفتح فكسر وسكون وبكسر الراء ثلاث لغات بين السبوطة والجعودة وقيل كانه مشط **والعقيقة** وهي في الاصل الشعر الذي يولد به الطفل لانه يعق اي يقطع سريعا ومنه العقيقة للطعام الذي يصنع عنده والشاة التي تذبح **له شعر الراس** واصله شعر المولود اذا اطلق على غيره **اراد** اي ابن ابي هالة في وصفه لرسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله **ان انفرقت من ذات نفسها** وذات مقحمة تاكيد لنفسها اي ان وقع تفرقها من غير صنع **فرقها** بالتخفيف اي تركها متفرقة غير ملتفة **والا تركها معقوصة** اي ان لم تتفرق بنفسها والتفت واجتمعت تركها على حالها والعقص ضفر الشعر على الراس وليه وقيل هو لي الخصلة من الشعر ثم عقدها ثم ارسالها وعقص شعره عقده في قفاه ويروى عقيصته بدل عقيقته وهي الشعر المعقوص اي المضفور من العقص وهو اللي وارخاء اطراف الشعر في اصوله كما في المقتفي والمشهور عقيقته لانه لم يكن يعقص شعره وقيل ان هذا كان في صدر الاسلام لانه كان يحب موافقة اهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه بشيء وكانوا يسدلون شعورهم والمشركون يفرقون فسدل صلى الله عليه وسلم ناصيته ثم فرق بعد وقال النووي المختار جوازهما والفرق افضل **ومن زهرة الحياة الدنيا اي زينتها** من زهر السراج اذا نوره ومما قلته

> من حرصك بالغنا كم تشتغل • والعمر مضى فما يفيد الامل
> ما زهرة هذه الحياة الدنيا • للفوز بانمل المنا تحتمل

والامهق الناصع اي الخالص **البياض** المهق شدة البياض من غير مخالطة حمرة وقيل ما يقرب بياضه من الزرقة ويقال اهمق بتقديم الهاء ايضا وهو من القلب **ابيض مشرب** بالتشديد على زنة اسم المفعول المزيد ويقال مشرب بالتخفيف والتشديد للتكثير والمبالغة والاشراب خلط لون بلون فكانه شربه واكثر ما يقال في الحمرة **والقرن** بفتحتين **ضد البلج** تقدم ما فيه ولا حاجة لقول التلمساني في البلج صباحة الوجه فلا ينافي ما في حديث ام معبد من وصفه بالقرن ورواية مثله عن ابي عبيدة فان المشهور خلافه ويؤيده ان العرب تكرهه **والادعج الشديد سواد الحدقة** في الصحاح الدعج شدة سواد العين مع سعتها وكذا في غيره وهو لا ينافي قوله **في الحديث الآخر اشكل العين واشجر العين** بسين مهملة وجيم **وهي الذي في بياضها حمرة** اي اللون في بياض العين وحمرة بدل منه بناء على جواز ابدال النكرة من المعرفة او الذي صفة لمقدر وحمرة خبر آخر وهو ممدوح لانه في البياض لا في الحدقة وقيل لاشكل طويل شق العين كما في المصابيح الا انه غلط كما مر في الفصل الثاني ومنهم من قال الدعج لغة زرقة في بياض مستدلا بقوله

> يا رب ان العيون السود قد فتكت • فينا وصالت باسياف من الدعج

اذ السيوف زرق اي مخلوقة من الدعج كقولهم انت مما يفعل وخلق الانسان من عجل على قول وقيل لا حجة فيه لاحتمال انه من الدعج بضمتين على انه جمع ادعج وهو جمع ادعج وتشبيهها بالسيوف في فتكها

لا في لونها فانه يقال لها البيض كما يقال للرماح والزرق انما هي السهام قال امرؤ القيس

> اتقتلني والمشرفي مضاجعي • ومسنونة زرق كانياب اغوال

والشنب رونق الاسنان وماؤها الى آخره تقدم ما فيه ومعناها صفاؤها كما يقال الجمال والماء يستعار لمعان فصلها الثعالبي في المضاف والمنسوب وقيل المراد بالماء ريق الفم والمراد بتحزيزها بزائين معجمتين كون اطرافها دقيقة كالشرفات لها **بادن ذو لحم متماسك** اي لا سمين فانه لم يكن كذلك وهو ممدوح **وهو معتدل الخلق** في المقتفي هو اشارة لدفع احتمال السمين وكذا قوله **لم يكن بالمطهم** اي فاحش السمن منتفخ الوجه **ومشيح** بضم الميم والشين المعجمة كما مر **ان صحت هذه اللفظة** في صفته **فيكون من الاقبال** في صدره والمراد به **لم يكن في صدره قعس** بفتحتين وعين وسين مهملتين بعد قاف **وهي نطامن فيه** اي في الصدر وقيل ان هذا مخالف لقول الجوهري القعس خروج الصدر ودخول الظهر ضد الحدر لان التطامن الانخفاض كقول ابن مالك في نظم الكفاية هـ

> والمثل من ارنبة الانف خنس • وعرض انف مع تطامن فطس

وفي الروض لا نف الحدب انحناء في الظهر وقد يكون مستعملا في معنى المخالفة اذا قرن بالقعس كقوله هـ فان حدبوا فاقعس وان هم تقاعسوا • لينتزعوا ما خلف ظهرك فاحدب

قلت وكذا فسره الشراح والظاهر ان مراده عدم الارتفاع بقرينة انه مستوي البطن والصدر وقد صرح به المصنف في قوله **وبه يتضح قوله سواء البطن والصدر اي ليس متقاعس الصدر ولا مفاض البطن** والعجب منه بعد هذا كيف يعترض عليه وكيف يصح تفسيره بغير ما ذكر ومفاض بضم الميم وفتح الفاء وآخره ضاد معجمة ضخم البطن وقيل مسترخي اللحم وقيل عظيم البطن او عظيمها مسترخي اللحم **جليل المشاش والكتد** جليل بفتح الجيم يعني عظيم والمشاش بضم الميم وشينين معجمتين واحده مشاشة وهي رؤوس العظام كالمرفقين والكتفين والركبتين وفي الصحاح رؤوس العظام اللينة التي يمكن مضغها ويقال تمششها والكتد بفتح الكاف وكسر المثناة الفوقية ويجوز فتحها فسره المصنف وسياتي الكلام عليه مفصلا **ابن الانباري** محمد بن قاسم بن بشار اللغوي نسبة للانبار بفتح الهمزة قرية من الفرات ولهم انباري آخر ليس بلغوي ولا محدث وهو محمد بن سليمان والانبار معربة معناها مخزن القمح **يخالف قوله شثن القدمين** اذا فسر بلحمهما واما اذا فسر بميلهما الى غلظ وقصر وبغلظ الاصابع فلا وزعم ابو عبيدة ان شثنهما بمعنى غليظهما مع قصرهما قال في المطالع وقد جاء ضد هذا وهو سائل الاطراف يشير الى رد زعمه قال وليس الشثن بعيب في الرجال بخلاف النساء ورد من زعم انه معيب **على يد** اي نعمة واليد تطلق على الجارحة وعلى النعمة لانها بمنزلة العلة الفاعلية لها لصدورها عنها الا انه خولف بينهما في الجمع فقيل في الجارحة ايد وفي النعمة ايادي ويدي بضم المثناة التحتية وكسر الدال المهملة وتشديد الياء كقوله فان له عندي يديا وانعما والاصح انهما في الجمع سواء كما اثبته اهل اللغة لشواهد فلا حاجة للاطالة بذكره **منهوش العقب** بسين مهملة ومعجمة اي قليل لحم العقبين وقيل بالمعجمة معناه ناتئ العقبين معروقهما قاله ابن قرقول بن مته واول هذين التفسيرين يوافق كلام المصنف والمراد جنس العقب لا عقب واحد كما تقدم مثله وثانيهما يخالفه لانه اعتبر فيه النتو مع قلة اللحم لان معنى المعروف قليل اللحم كما في الصحاح

قرينة صح

اهدب بدال مهملة الاشفار بشين معجمة وفاء وراء مهملة وهي حروف الاجفان التي
ينبت عليها الشعر بالهدب واحدها شفر بضم فسكون كهدب ويكون مطلق الطرف

الباب الثالث فيما ورد من صحيح الاخبار

المراد ما رواه الثقات بسند متصل وسلم من العلة القادحة وقد يطلق على الاعم الشامل له
ولغيره وعلى هذا فالصحيح بمعناه اللغوي وما ثبت صدقه فقوله مشهورها ليس من عطف
الخاص على العام ومن قاله كانه اراد به قسما وهو ما اشتهر بين المحدثين اذا رجع الضمير للصحيح
الاخبار وانثه رعاية لمعناه او لاكتسابه التانيث من المضاف اليه فلا وجه لتخطئته فيه
بعظيم قدره عند ربه متعلق بورد والبا للتعدية او للالصاق ومنزلته عطف تفسير
والقدر والمنزلة والمرتبة والرتبة بمعنى الشرف وما خصه به في الدارين الدنيا والاخرة
علف اطلاقه عليهما من كرامته صلى الله عليه وسلم بيان لما وكرامته جلالته وعزته وضمير
خصه له او لما وكذا به والبا داخلة على المقصور او المقصور عليه وكل منهما جائز بلا خلاف
انما اختلافهم في اصله وحقيقته لا خلاف اي لاحد من المسلمين بل العقلاء لانعقاد الاجماع
عليه ولا يعتد بما زعمه بعض اهل الكتاب انه اكرم البشر والنوع الانساني وتقديره في انه
وحذف الجار في مثله مقيس مطرد وسيد ولد آدم السيد من ساد غيره اي فاقه في الشرف
والكمال وفي اطلاق السيد عليه وعلى الله وعلى غيره اقوال قال البيهقي في كتاب الاسماء والصفات
السيد اسم لله لم يرد في القرآن وورد في الحديث فعن مطرف انطلقت في وفد بني عامر الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقلنا انت سيدنا فقال السيد الله قلنا وافضلنا فضلا واعظمنا طولا
فقال قولوا بقولكم او ببعض قولكم ولا يستجرينكم الشيطان قال الحليمي ومعناه المحتاج اليه بالاطلاق
فان سيد الناس انما هو راسهم الذي يرجعون اليه وبامره يعملون وعن رايه يصدرون
ومن قوله يستمدون الخ فهذا دليل على اطلاقه على الله ودليل اطلاقه على غيره سواء كما بينا كما في
هذا الحديث وغيره كقوله تم والفيا سيدها لدى الباب فهذا يدل على اطلاقه على الله وعلى غيره
مطلقا وهو القول الاصح وحكي عن مالك امتناع اطلاقه على الله وعلى غيره وهو القول الثاني
والثالث انه لا يطلق الا على الله لحديث السيد الله بالحصر والرابع انه اذا عرف بالالف واللام
اختص بالله كما ذكره الدماميني في اول شرح التسهيل وهو اذا اطلق على الله فمعناه المحتاج
اليه في جميع الامور واذا اطلق على غيره فمعناه الرئيس الذي يتبعه قومه كما فصلناه في
شرح اسماء الله الحسنى وقد ورد في الحديث النهي عن تسميته سيدا وهو اما تواضع منه او المراد
نهيه عن سيادة دنيوية فلا منافاة بينه وبين هذا واما في الصلاة عليه فاختلف
في الافضل فيها هل هو صلى الله على سيدنا او على محمد ولابن حجر فيه كلام في الفتاوى سيأتي
في محله والولد يطلق على الواحد الذكر وغيره والمراد سيد آدم وولده ولذا عقبه بقوله
وافضل الناس منزلة عند الله واذا كان افضل الناس علم انه افضل الثقلين ولا حاجة
ان يقال ان الناس يطلق على ما يشمل الجن واذ ذهب اليه بعض اللغويين في قوله تم قل اعوذ
برب الناس وقالوا قوله من الجنة والناس بيان له والعرب تقول ناس من الجن وذهب السبكي
في فتاواه الى انه يطلق على ما يقابل الجن وعلى ما يشملهما وانه على الاول اصله اناس من الانس
وعلى الثاني هو من نوس فالناس الاول غير الثاني وهو كلام حسن واعلاهم درجة

الدرجة واحدة الدرج وهي مواطي السلم لما يعلو وذكره بعد المنزلة فيه لطف لان
علو المراقي يقتضي زيادة علو المنازل واقربهم زلفى اي قربى وهو تحديد له وقيل هو اسم
اقيم مقام المصدر المؤكد فهو في معنى اقربهم تقريبا وليس تمييزا لمنزلة ودرجة واعلم ان
الاحاديث جمع حديث على خلاف القياس ولا يناسب ان يكون جمع احدوثة لانها تختص
بالمضحكات والشرور دبانها تستعمل في الخير ايضا لقوله هم

من الخفرات البيض ود جليسها • اذا ما انقضت احدوثة لو تعيدها

وقول القاضي في سورة المومنين في قوله تم جعلناهم احاديث ان احاديث اسم جمع للحديث
وقد شرطوا فيه ان لا يكون على وزن مختص بالجمع او يغلب فيه وصيغة منتهى الجموع لا تو
في المفردات يدفع بما في الكشف من ان اسم الجمع يطلق بمعنى آخر وهو ما كان على خلاف القياس
كما يقال في ليال انه اسم جمع والحديث ما يضاف للنبي صلى الله عليه وسلم من اقواله
وافعاله وتقريراته وصفاته وساير احواله في منامه ويقظته الواردة في ذلك اي في
عظيم قدره كثيرة جدا بكسر الجيم وتشديد الدال المهملة وهو مفعول مطلق محذوف
وعامله وجوبي لجريه مجرى الامثال وهو مؤكد لما قبله اي متناه في الكثرة واصله من
الجد بمعنى الاجتهاد لان المراد انه اجتهد في كثرته وبولغ فيها وقد اقتصرنا منها اي من
تلك الاحاديث الكثيرة على صحيحها الصالح للاعتماد عليه والاحتجاج به ومشهورها
اي مشهورها وحصرنا من حصر الكل في اجزائه لا الكلي في جزئياته معاني ما ورد
منها في اثني عشر فصلا فيه مسامحة لان الفصول اسم للالفاظ وهي مغايرة للمعاني
فيحتاج لتقدير مضاف في الاول والثاني

الفصل الاول فيما ورد من ذكر مكانته عند ربه

المكانة كالمنزلة علو قدره ويجوز ان يكون من التمكن وهو الثبوت كما يقال له مكنته
وتمكن من السلطان اي قرب والاصطفا اي اختياره على غيره وتقديمه والتفضل وسيادة
ولد آدم كما مر وما خصه به في الدنيا من مزايا الرتب جمع مزية بزنة بريه وهي الفضيلة
التي تقدم على غيره وفي شرح المفتاح انه لا فعل له وخالفه في الاساس من انه يقال
تميزت عليه وفسرها السرخسي بالتمام والكمال وبركة اسمه الطيب اي كونه يتبرك
باسمه المشهور وهو احمد ومحمد والطيب صفة لا بدل لان الطيب ليس من اسمائه المشهورة
وهذا اشارة لما ورد في الحديث كل امر لا يبدأ فيه بحمد الله والصلاة علي فهو ابتر اي ممحوق
البركة ذكره السخاوي في شرح الفية الحديث قال وهو وان كان ضعيفا لكنه يذكر في الفضا
اخبرنا ابو محمد عبد الله بن احمد العدل لقب له وهو امام حافظ تميمي توفي سنة احدى
وخمساية اذنا بلفظه اراد بالاذن الاجازة بروايته عنه وقال بلفظه لانه لم يكن
من كتابه وهو يقرأ تمام وهذا جائز حدثنا ابو الحسين الفرغاني بالفاء والراء المهملة
والغين المعجمة نسبة لفرغانه بلدة بما وراء النهر وهو الامام علي بن عبد الله المقرئ ووقع
في بعض النسخ الحسن والاصح الاول اخبر حاتم وهو ابن عقيل بفتح العين وكسر القاف
وهو ابن المهتدي بن المرادي ابن اللؤلؤي المشهور عن يحيى الحماني بكسر الحاء المهملة وتشديد
الميم والف ونون وياء نسبة وهو يحيى ابن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن ميمون ابو زكريا

الكوفي وهو ثقة وضعفه بعضهم وقال انه كذاب وله ترجمة في الميزان **حدثنا قيس بن الربيع**
ابو محمد الكوفي اختلفوا فيه ايضا فقيل ثقة وقيل ضعيف واخرج له اصحاب السنن توفي سنة خمس
او سبع او ثمان وستين ومائة وترجمته في الميزان **عن الاعمش** سليمان بن مهران تقدمت ترجمته **عن**
عباية الربعي بفتح العين وآخره تاء ويقال عباءة بالهمزة علم منقول من اسم الكساء والربعي بكسر الراء المهملة
وسكون الموحدة وعين مهملة ويآء نسبة من غلاة الشيعة وله ترجمة في الميزان عن ابن عباس وهذا
الحديث رواه الطبراني والبيهقي في الدلائل **قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قسم الخلق قسمين**
قيل هذه تقديرية في علم الله وقيل حقيقية كما بينه في قوله **فجعلني من خيرهم قسما** منصوب على
التمييز اي من القسم الذي هو خير يعني اصحاب اليمين المشار اليهم في قوله **فذلك** التقسيم ما تضمنه
قوله اصحاب اليمين واصحاب الشمال لا العرب كما يوهم لقوله **فانا من اليمين** من تبعيضية او
ابتدائية **وانا خير اصحاب اليمين** اي اكرمهم وافضلهم **ثم جعل القسمين اثلاثا** اي جعل مجموع القسمين
ثلاثة اقسام لا كل قسم منهما كما يتبادر الى الذهن **فجعلني من خيرها قسما** وقيل اصحاب اليمين هم الذين
توخذ ذات اليمين الى الجنة واصحاب الشمال الذين يوخذ بهم ذات الشمال الى النار او هم الذين كانوا
عن يمين آدم والذين كانوا عن شماله في عالم الذر او الذين اخذ وامن شقه الايمن او الايسر او من
اعطي كتابه بيمينه وشماله او الذين رآهم في الاسراء عن يمين آدم وشماله **وذلك** اي التقسيم الثلاثي
ما بينه **قوله اصحاب الميمنة** اي اليمين او اليمن على انه مصدر ميمي وهم بعض السعداء غير السابقين
لئلا تتداخل الاقسام **والمشأمة** هو كالميسرة بمعنى الشمال لان العرب تقول لليد الشمال شومى
ومنه الشام لانه عن شمال الكعبة في قول او الشامة **والسابقون** وفي بعض النسخ والسابقون السابقون
بالتكرير كما في الآية ولابد من تغايرهما ليفيد الحمل فهو اما كقوله انا ابو النجم وشعري شعري •
اي الذين عرفوا بكمال السبق او الاول بمعنى السابقين للايمان والطاعة والثاني بمعنى السابقين الى
الجنة ونعيمها وهو اهل التفاسير وقيل هم الذين اذا اعطوا الحق قبلوه واذا سيلوه بذلوه هم
ويحكمون لغيرهم بما يحكمون به لانفسهم وقيل السابقون للصلوات والتوبة وقيل هم الانبيا **فانا من**
السابقين وانا خير السابقين فهو من اعلى الاقسام لا قسم مستقل حتى تكون القسمة رباعية كما توهم
فمن هذا القسم الانبيا فهو افضل من كل واحد منهم ومن مجموعهم كما تقدم **ثم جعل الاثلاث قبايل** اي جعل
كل ثلث او مجموعها وهذا اظهر والقبايل جمع قبيلة وهم بنو اب واحد والقبيل بدونها الجماعة
مطلقا لا ثلثة فصاعدا **فجعلني من خيرها قبيلة وذلك قوله تعالى وجعلناكم شعوبا وقبايل**
الآية والشعوب جمع شعب بالكسر وقيل انما هو بالفتح والذي بالكسر طريق بين جبلين واختلف في
تقسيم الناس فقيل الشعب اكبر من القبيلة وبعدها الفصيلة ثم العشيرة ثم الذرية ثم العترة ثم الاسرة
وهذا مخصوص بالعرب • وقيل هم ست طبقات شعب وقبيلة وعمارة وبطن وفخذ وفصيلة والشعب
الطبقة الاولى وبعدها القبيلة ثم العمارة بكسر العين المهملة ثم البطن ثم الفخذ ثم الفصيلة بالصاد المهملة
فالشعب يجمع القبايل والقبيلة تجمع العمايم والعمارة تجمع البطون والبطن يجمع الافخاذ والفخذ يجمع
الفصايل فمضر شعب وكنانة قبيلة وقريش وهو النضر بن كنانة عمارة وقصي بطن وهاشم فخذ
وعبد المطلب والعباس فصيلة وقد تطلق القبيلة على ما دونها تجوزا ولما لم يكن في الآية ما يوذن
بشرف الفصيلة في نفسها فان الشرف انما هو بالفضيلة لا بالفصيلة ولكن شرف الاصل يستلزمه غالبا
فانا اتقى ولد آدم واكرمهم على الله تعالى ولا فخر جملة حالية اي لا اقول هذا تفاخرا ومباهاة
وتعظيما وانما هو تحدث بنعم الله وبيان للامة ما يجب عليهم اعتقاده توقيرا واحتراما له وانما نلته

بتكريم ربي وفضله وكل مؤمن تقي كريم على الله وفاجر شقي هين على الله وقال العيسي من سره ان يكون
اكرم الناس فليتق الله ويقال هو اكرم عند الله وعلى الله لكونه بمعنى اعز المتعدي بعلى حملا له على
نظيره **ثم جعل القبايل بيوتا فجعلني من خيرها بيتا** بيوت بضم الموحدة وكسرها جمع بيت وهو المنزل
والمسكن والظاهر ان المراد بالبيوت هنا الفخذ او الفصيلة لا البطن كما قيل والبيت يطلق مجازا
على المجد والشرف كما في قوله

> ان الذي سمك السمآء بنى لنا • بيتا دعايمه اعز واطول •

وعلى الاصول والقارب كما يقال هو من بيت علم اي من قوم علما وفي اضافته للمكان اثبات لمن فيه
بطريق الكناية التي هي ابلغ من التصريح كما في كتب المعاني **وذلك** اي كونه من خير بيت واشرفه
ما دل عليه **قوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا** وهذا يدل
على ما فسرنا به البيت والرجس النجس المستقذر استعير للمعاصي والتطهير ترشيح للمعاصي وما
استعيرت لها لانها تلوث الاعراض واهل البيت والاول الاقربا وقول الشيعة انهم علي وفاطمة والحسنا
وادعاوهم عصمتهم وان اجماعهم حجة استدلالا بهذه الاية ينافيه السياق وفي الاية مبالغة في
شرفهم بليغة لذكر تطهير اغراضهم من دنس المعاصي وهو اصل الاثم وتعريف الرجس بلام الاستغراق
الدال عليه اطلاقه في مقام المدح والتعبير بالاذهاب والازالة بالكلية وحذف مفعول يريد للتعميم
ليذهب النفس كل مذهب ونصب اهل البيت على المدح والندا وتعريف البيت العهدي والتعبير
بالتطبيق الدال على التكثير وتاكيده بالمصدر وسيأتي تتمة لهذا **وعن ابي سلمة** هو ابن عبد الرحمن
بن عوف احد الفقهاء السبعة كما تقدم **عن ابي هريرة** عبد الرحمن بن صخر على الاصح من نحو ثلاثين
قولا كما تقدم وهذا الحديث رواه الترمذي وصححه وقال انه حسن غريب **قالوا** اي بعض الصحابة
متى وجبت لك النبوة اي في اي زمان ثبتت لك اذ لا يجب على الله شي **قال وآدم بين**
الروح والجسد الجسد والبدن والجسم بمعنى وهذه الجملة حالية من الجواب المقدر لمتى الزمانية
اي ثبتت لي في هذه الحالة وفي هذا الحديث روايات متعددة صحيحة منها ابي عند الله لخاتم
النبيين وان آدم لمنجدل في طينته ومنها متى استنبيت قال وآدم بين الروح والجسد وفي
رواية بين الما والطين وقال ابن تيمية والزركشي وغيرهما حديث كنت نبيا وآدم بين الما والطين
وكنت نبيا ولا آدم ولا ما ولا طين لا اصل لهما بهذا اللفظ قلت ليس موضوع كما توهم فانه
رواية بالمعنى وهي جايزة لانه بمعنى الحديث السابق ومعنى منجدل ساقط على الجدالة وهي الارض
وليس المعنى انه كان نبيا في علم الله كما قيل لانه لا يختص به بل ان الله خلق روحه قبل روحه وسا
الارواح وخلع عليها خلعة التشريف بالنبوة اعلاما للملاء الاعلى به واذا كانت النبوة صفة
لروحه علم انه بعد موته نبي رسول ولا يضر انقطاع الاحكام والوحي وقد اكمل دينه وانكار ذلك
جهل فاحفظه فانه نفيس جدا وهذا هو المراد بقوله ان الله خلق نوره قبل ان يخلق آدم باربعة عشر
الف عام كما رواه ابن القطان وفي رواية يسبح ذلك النور وتسبح الملايكة بتسبيحه وهذا يويد
انه مرسل للملايكة كغيرهم فهذا صريح في ان نبوته ظهرت في الوجود العيني قبل نبوة آدم وغيره
وان الملايكة لم تعرف نبيا قبله وانه النبي المطلق وساير الانبيا خلفاوه والشرايع شريعته
ظهرت على لسان كل نبي بقدر استعداد اهل زمانه فهو اول الانبيا وآخرهم ولا يمكن ان يجري على
شريعته قلم نسخ ولا يكتب على نسخة رسالته حواشي زيادة كما قيل ابن احمد نبي ليس بالمنسوخ الا
في الدفاتر وقيل انه سابق على ساير الانبيا روحا ومآ وجسدا لان مادة جسده خلقت قبل

Margin note: لـ

Margin note: ن وهم اهل الكسا صح

Margin note: يـ

سائر المواد لما روى ابن الجوزي في الوفا عن كعب الاحبار انه تعالى لما اراد ان يخلق محمدًا
صلى الله عليه وسلم امر جبريل ان يأتيه بالطينة البيضا فهبط في ملائكة الفردوس وقبض
قبضة من موضع قبره بيضا نيرة فعجنت بماء التسنيم في معين الجنة حتى صارت كالدرة البيضا
لها شعاع عظيم ثم طافت بها الملائكة حول العرش والكرسي والسموات والارض حتى عرفته
الملائكة قبل ان يعرف آدم اي عرفت روحه وعنصره والبينة في هذا الحديث الظاهر اذ المراد
بها عدم الطرفين الروح والجسد اي لا روح ولا جسد كما صرح به في رواية لا آدم ولا ما ولا
طين لانك اذا قلت مسكني بين البصرة والكوفة علم انه ليس بهما فاريد به لازم معناه بطريق
الكناية وليس المراد انه قريب منهما كما يقال لون بين البياض والحمرة ومزاج بين الصحة والمرض
كما قيل وليس معنى بين الما والطين انه لم يكن ماءً صرفا لنبو المقام عنه وعدم ملائمته لما قررناه
وقد حققنا هذا المقام بما لم نسبق اليه ولله الحمد **وعن واثلة بن الاسقع** بمثلثة ولام ⊙
والاسقع بسين مهملة وقاف وعين مهملة الصحابي الجليل القدر من اهل الصفة اسلم ورسول
الله صلى الله عليه وسلم متوجه لتبوك يخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد مشاهد الشام
وتوفي بدمشق سنة خمس او ست وثمانين وله ثمانون سنة ويكنى ابا محمد وفضائله لا تحصى
نفعنا الله ببركاته ورزقنا زيارته وهذا الحديث رواه مسلم وقد تقدم **قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى ابراهيم** اصطفى ابراهيم اختاره من الانبيا **واصطفى
من ولده** اي من اولاده **اسمعيل** فهو افضل من اسحاق **واصطفى** اي اختار لشرفه **من ولد
اسمعيل بني كنانة** وهم اربعة النضر وعبد مناف ومالك وملكان وكنانة علم منقول من كنانة
السهام وجمعها قال الشاعر ⊙

صاح في العاشقين يا لكنانه • رشا في الجفون منه كنانه

واصطفى من بني كنانة قريشا وهو النضر بن كنانة وقيل قريش بن فهر بن مالك بن النضر
بن كنانة وقد تقدم سبب تسميته قريشا **واصطفى من قريش بني هاشم** بن عبد مناف بن قصي
بن كلاب فبنوه مصطفون من قريش **واصطفاني من بني هاشم** ابو عبد المطلب **ومن
حديث انس** بن مالك بن النضر خادم النبي صلى الله عليه وسلم ودعا له واحاديثه والرواية
عنه كثيرة مشهورة وتوفي سنة ثلاث وتسعين وقد جاوز عمره المائة وهذا الحديث والذي بعده
اخرجه الترمذي **انا اكرم ولد آدم** اي اعزهم واشرفهم وولد يطلق على الواحد المذكر وغيره
على ربي ولا فخر تقدم معناه وفي حديث ابن عباس انا اكرم الاولين والآخرين ولا فخر قيل
قال في حديث انس من حديث انس في حديث ابن عباس اشارة الى ان الاول بعض حديث طويل وهذا
حديث مستقل وفيه نظر **وعن عائشة** كما رواه الطبراني وابو نعيم والبيهقي في الدلائل
مسندا **عنه عليه الصلاة والسلام اتاني جبريل** لم يذكر اتاه لاجله لان قوله **فقال
قلبت** بتشديد اللام بمعنى فتشت وليس المراد بها قلبها ظهرا البطن ولم يذكر فيه انه اوحي اليه
بهذا مشارق الارض ومغاربها جمع مشرق وهو الجهة التي تطلع منها الشمس وجمع مغرب
وهو مقابله وجمعهما لكل لان للشمس في كل زمان تشرق تعده من درجة غيره وكذلك المغرب
واذا افرد فباعتبار الجهة واذا ثني فباعتبار المشرق الجنوبي والشمالي ولذا ورد في القرآن
بالوجوه الثلاثة كما بيناه في حواشي البيضاوي واختار الجمع هنا لانه انسب للعموم والمراد انه
فحص عن جميع اهل الارض مشرقا ومغربا ونظر احوالهم كمالا ونقصا **فلم ار رجلا افضل من**

محمد صلى الله عليه وسلم الظاهر ان رأى علمية ونفي الافضلية يدل على نفي المساواة
ايضا كما بيناه سالفا **ولم ير بني اب افضل من بني هاشم** الذين هم عشيرته وبنيه فهو خيار من خيار
وعن انس في الحديث الحسن الذي رواه الترمذي وقد تقدم **ان النبي صلى الله عليه وسلم
اتي بالبراق** مبني للمجهول اي اتاه جبريل به ليركبه للاسرا به وقد مر ان البراق بالضم
على شكل دابة فوق الحمار ودون البغل سمي به للمعانه وبريقه او لسرعته كالبرق الخاطف
ليلة اسري به ظرف اتي وهي ليلة سبع عشرة رمضان او سبع عشري رجب قبل الهجرة وبعد
بعثته بخمس سنين او بخمسة عشر شهرا كما سيأتي **فاستصعب عليه** اي لم ينقد وامتنع لبعد
عهده بركوب الانبيا لطول الفترة او لسبب آخر لقول جبريل له لعلك مسست الصفر اي الذهب
او صنم اصفر فقال انما مررت عليه فقلت تبا لمن يعبدك من دون الله **فقال له** اي للبراق
جبريل ابمحمد تفعل هذا الاستصعاب وقد تعلق بالفعل اي بفعله به دون غيره والاستفهام
انكاري بينه بقوله **فما ركبك احد اكرم على الله منه فارفض عرقا** اي سال عرقه كما مر بيانه
وعن ابن عباس رواه ابن الجوزي في الوفا وابو نعيم في الدلائل قال السيوطي رواه ابن عمرو
العدني في مسنده **لما خلق الله آدم اهبطني في صلبه الى الارض** يعني ان الله خلق نوره
وعنصره الذي عجن بالتسنيم وهو الطف شي واودعه في صلب آدم واهبطه فيه كما مر ثم نقله
منه بوسائط **وجعلني في صلب نوح في السفينة** فكان ببركته وباسم الله مجراها ومرساها
وقذف بي في النار في صلب ابراهيم فكانت بردا وسلاما عليه ببركته وفي المكرر هنا
اما لان الاول يبدل منه او لانه يطلق ويقيد كما قرر في قوله كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا
ينزل ذلك منزلة التغاير فلا يرد عليه انه لا يتعدى عامل بحرفي جر بمعنى **ولم يزل
ينقلني في الاصلاب الكريمة** الشريفة **الى الارحام الطاهرة** من دنس الزنا ونكاح الجا
وفيه كلام تقدم **حتى اخرجني** الى الدنيا اذ خلقني بين ابوي يعني اباه عبد الله الذبيح
وامه آمنة بنت وهب بن عبد مناف واختلف في زمن موتهما فقيل مات ابوه وامه حاملة
به وقيل في المهد وقيل ابن شهرين وقيل ابن سبعة وكان عند اخواله بني النجار وامه وقد بلغ
سنه خمسا او ستا او سبعا او اثني عشر على اختلاف فيه **ولم يلتقيا على سفاح قط** جملة
حالية والمراد بالسفاح نكاح بغير عقد او عقد جاهلي وهذا علمه بالوحي او تعلمه باخبار
الجاهلية لا بالالهام كما توهم **والى هذا** المذكور في الحديث بجملته اشار عمه **العباس
بن عبد المطلب بقوله فيه** يمدحه وهذا الشعر رواه الطبراني وصاحب الغيلانيات
وفي الزاهر لابن قتيبة ان العباس اتى اليه وقال له ائذن لي ان امدحك فانشد هذه الابيات
فقال لا يفضض الله فاك ولا يفضي الله فاك وكان ذلك لما رجع من غزوة تبوك •

• **من قبلها طبت في الظلال وفي** • **مستودع حيث يخصف الورق** •

اي من قبل هذه النشأة او الدنيا وقيل قبل النبوة او قبل الولادة واعاد الضمير على غير مذكور
لعلمه من السياق والجار متعلق بطبت وقدم لافادة ان طيبه ثابت له قبل ظهوره لا بعده
فقط وطبت اي تطهرت من الادناس البشرية لطيب عنصره والظلال جمع ظل وليس المراد
به المتعارف الذي تنسخه الشمس اذ لا شمس في الجنة ولا قمر وقد ورد في الحديث ظل الجنة
سجسج اي لا حر فيه ولا برد بل المراد الكن والمقر او كما في قولهم انا في ظل فلان اي في حمايته

حلية

وَمُستودَع بفتح الدال المهملة وضم الميم قال ابن قتيبة هو المحل الذي كان فيه آدم من الجنة
كانه وداعة فيه وفيه ايماء الى اخراجه منه الى الارض او اراد به الرحم وكان ابو عبيدة يقول
في قوله مُستقر ومُستودع المستقر القلب والمستودع الرحم وخصف الورق الصاق بعضه
ببعض ومنه الخصاف وروى حيث يستتر الورق يعني به الجنة والورق ورق الجنة الذي
كان يستتر به آدم قبل ان يُعلّم الحياكة فلما اهبط الى الهند تغنت الورق الذي عليه قيل ومنه
حصل العود والعنبر وغيره من الطيبات فاوحى الله اليه صنعة النسج واتخاذ الثياب للستر

• ثم هبطت البلاد لا بشر • انت ولا مضغة ولا علق •

اي هبطت في صلب آدم من الجنة الى الدنيا وهي المراد بالهبوط والبلاد كما قال الراغب الانحدار
قهرًا وهو متعد قال تعالى اهبطوا مصرًا ولا يحتاج لتاويله بالدخول كما قيل والبلاد ان اخصت
بالبستان فهو باعتبار الاول هنا ولما كان هبوطه هبوط هوي قال لا بشر وهي جملة حالية اي في
حال كونك غير جسد كاجساد البشر والمضغة قطعة لحم بمقدار لقمة تمضغ غير مخلقة والعلق
بفتحتين جمع علقة وهي دم متجمد من المني ۞

• بل نطفة تركب السفين وقد • الجم نسرًا واهله الغرق •

النطفة الماء الصافي والمني في الاصلاب والسفين جمع سفينة وهي المركب والجم وصل الى
الى الفم وعلا محلا يوضع فيه لجام الفرس والنسر طائر معروف سمي به صنم كان يعبده قوم
نوح وهو المراد هنا واهله قوم نوح والمراد بالغرق الماء المغرق او هو على ظاهره والجم بمعنى
ادرك الانسان اذا عم المآفه والسفين المراد سفينة نوح فان كان مفردًا فهو ظاهر
والا فهو جمع اريد به الواحد تجوزًا فلا اشكال فيه ۞

• تنقل من صالب الى رحم • اذا مضى عالم بدا طبق •

الصالب والصالب والصلب بفتحتين وبضمتين وضم فسكون وفتحتين ففيه لغات
اقلها صالب كما قاله ابن قتيبة وهو فقار الظهر والرحم مقر الولد من المراة والعالم المراد به
هنا قرن من القرون وبدا بمعنى ظهر ووجد وطبق بمعنى قرن ايضا لانه يطبق وجه الارض
اي لا تزال تنظر في عالم بعد عالم وروى هنا بيت هو

• وردت نار الخليل مكتتما • تجول فيها ولست تحترق •

ومعنى مكتتما محفوظا في كنف او يحيط بك نارها ولست تحترق وروى مكتمنا اي مستترا

• حتى احتوى بيتك المهيمن من • خندف علياء تحتها النطق •

احتوى بالحاء المهملة افتعال من حوى بمعنى حاز والبيت بمعنى الشرف والنسب كما مر
والمهيمن بمعنى الشاهد على فضلك او الامين وخندف بكسر الخاء المعجمة وكسر الدال المهملة
ونون وفاء اسم امراة الياس بن مضر وهو من الخندفة وهي المشي السريع والعليا العز
والشرف وتحتها روي دونها والمعنى واحد والنطق بضمتين جمع نطاق وهو ما يشد في
الوسط كالمنطقة استعارته العرب للجبال واسعة فوق بعض وبيتك فاعل احتوى
وهو تمثيل للشرف اي ان شرفك وعلو نسبك واصلك من خندف اشتمل على عليا دونها الجبال
الشامخة وقال ابن قتيبة في هذا البيت اقوال احدها انه اعلا قومه وهم دونه كالنطاق
له والثاني انه يريد العفاف من نطاق المراة الذي تحتها اي تحتها العفاف والحسب والثالث

ان النطق

ان النطق المتكلمون جمع ناطق اي كل خطيب في العرب فهو دونه فلسان قومك من
قوله بل هم قوم خصمون انتهى وروى في هذا الشعر زيادة ذكرها القسطلاني وهي

• وانت لما ولدت اشرقت الا • رض وضاءت بنورك الافق •
• فنحن في ذلك الضياء وفي النو • ر وسبل الرشاد نخترق •
• يا برد نار الخليل يا سببا • لعصمة النار وهي تحترق •

ومعنى نخترق بالخاء المعجمة نقطعها ونجاوزها وضابكون لازما ومتعديا والافق الناحية
وانث هنا لتاويله بها قال العارف بالله ابن عربي ذهب بعضهم الى ان عالم الاجسام من
وقت خلقه لم يزل في سفر الى ما لا نهاية له فاذا لاح له منزل يقول هذا هو الغاية القصوى
فاذا وصلت اليه لم يلبث ان يخرج منه راحلا فكم سافرت في اطوارك الى ان تكونت بين
ابيك وامك اذا اجتمعا من اجلك ثم انتقلت الى نطفة ومن علقة الى مضغة الى عظم كسي
لحما ثم انشئت نشاة اخرى واخرجت الى الدنيا فتنقلت في اطوارك من الطفولية
والصبا والشباب الى الكهولة والشيخوخة الى الهرم ومنه الى البرزخ ثم الى الحشر ثم الى دار القرار
انتهى من كتاب الاسفار له وروى عنه صلى الله عليه وسلم وهذا الحديث مشهور رواه
ابو ذر واخرجه احمد والبزار والبيهقي وابن عمر واخرجه الطبراني وابو نعيم في الدلائل
وابن عباس واحمد والبزار وابن ابي شيبة والبيهقي وابي هريرة واخرجه الشيخان
وجابر وابن عبد الله اخرجه الشيخان ايضا فاخرجوه عن جماعة من الصحابة بين رواياتهم
مغايرة في بعض الالفاظ وقد ساقها كلها وذكر رواية كل واحد منهم على حدة الشيخ قاسم
ابن قطلوبغا في تخريجه لاحاديث هذا الكتاب كما رايته بخطه ولولا خوف الاطالة
اوردت كلامه على حدة والى هذا اشار المصنف بقوله ابوذر وابن عباس وابو هريرة
وجابر بن عبد الله بن عمرو بن حزم الانصاري روى كل واحد منهم لا عنه صلى الله
عليه وسلم انه قال اعطيت خمسا وفي بعضها اي في بعض طرق هذا الحديث المعلومة
بن تعدد رواتها ورواياتها ستا اي ست خصال وخصايص ولذا حذف التاء مع انه غير
لازم اذا لم يذكر المعدود لم يعطهن نبي قبلي ولا رسول لان نفي الاعم يستلزم نفي الاخص
ولا تنافي بين الروايتين اذ قلنا ان مفهوم العدد غير معتبر وان قلنا به فنقول انه اطلع اولا على
بعض خصايصه فاخبر ثم اطلع على باقيه فاخبر به ثانيا وروى احد قبلي اي لم يعط واحد منهن
واحد نصرت بالرعب مسيرة شهر اي نصرني الله على اعداء الدين الكفرة فالرعب بضم الراء المهملة
وهو شدة الخوف الذي القاه في قلوبهم فاذا سمع بي من بيني وبينه مسيرة شهر ارتعد وخاف من
غزوي له وانما خص مسافة شهر وان خافه من هو ابعد منه قيل لانه لم يكن بينه وبين من اظهر
له العداوة له اكثر من ذلك وقد قال ذلك في غزوة تبوك آخر غزواته وانما بعدها كما ذكر بيان
لما وقع له حال تكلمه فلا ينافي الزيادة وهذا من خصايصه حتى لو سار وحده بغير عسكر
ارتعد اعداؤه وقد وقع هذا لبعض خلفائه ومن ابقى من امراء الاسلام لهذه الخاصة بالنسبة
لمن قبله من الامم وعليه يحمل رواية لم يعطهن احد او نقول ان ذلك لا يتيسر لغيره اذ فعل اتباعه
كفعله وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا فايما رجل من امتي ادركته الصلاة فليصل
قال العلامة الزركشي في كتاب احكام المساجد قال القاضي عياض هذه من خصايص هذه الامة
لان من قبلنا كانوا لا يصلون الا في موضع يتيقنوا طهارته ونحن خصصنا بجواز الصلاة في جميع

ارتعب

لامم

الارض الا ما تيقنا نجاسته وقال القرطبي هذا مما خص الله نبيه وكانت الانبيا قبله انما
ابيحت لهم الصلاة في مواضع مخصوصة كالبيع والكنايس وقال المهلب في شرح البخاري
المخصوص به جعل الارض طهورا واما كونها مسجدا فلم يات في اثر انها منعت من غيره وقد كان عيسى
عليه السلام يسيح في الارض ويصلي حيث ادركته الصلاة فكانه قال جعلت لي الارض مسجدا وطهورا
وجعلت لغيري مسجدا ولم تجعل طهورا انتهى اقول حاصله انه لو كان كل منهما مخصوصا به وبامته
لزمه اشكال وهو ان الانبيا السالفة وامهم كانت لهم صلاة مفروضة وكانوا يسافرون فلو لم تجز
لهم الصلاة الا في مساجدهم لزمهم اما ترك الصلاة وعدم صحتها وهو مخالف للظاهر فاجابوا
عنه بالوجوه المذكورة وهو ان الخاص هذه مجموع الامرين لا كل واحد منهما او جعل جميع الارض
مسجدا حتى تتيقن نجاستها وهي لم تحل لهم الصلاة الا فيما تيقن طهارته وعلى هذا قوله ثم واجعلوا
بيوتكم قبلة في بعض التفاسير فقوله فايما رجل الخ معناه على ظاهره او لم تتيقن نجاسته ولك ان
تقول انه مخصوص بغير حال السفر والضرورة لان الضرورات تبيح المحظورات كقصر الصلاة
وبوبه جعله قربان التيمم المخصوص بالضرورة وهذا اقرب ثم ان طهارة التيمم حكمية لا حقيقية
كما بينه الفقها وفي قوله الارض دون التراب نصرة لمن جوز التيمم بجميع اجزا الارض ولم يخصه
بالتراب وهو المناسب بالمقام وان خصه الشافعي بالتراب لرواية وتربتها طهورا والمطلق يحمل
على المقيد وتخصيص الرجل غير مراد لدخول النسا في هذا الحكم ايضا وانما خصوا بالذكر لانهم الاصل
ونقلهم النساء بالطريق الاولى ومعنى ادركته الصلاة ادركه وقتها اذا دخل لا ينافيه ايضا
النهي عن الصلاة في بعض الاماكن لثبوت المنع فيه بدليل آخر والمراد بالارض جميعها لا امكنة وما
حولها ولا امارة انه مسجدا ومحلا للصلاة وقوله فايما الى آخره لدفع توهم انه مخصوص به وحده
واحلت لي الغنايم ولم تحل لنبي قبلي تحل بفتح المثناة الفوقية وكسر الحا المهملة وروي بضم التا
وفتح الحا وكان من قبله من الانبيا منهم من لم يؤذن له في الجهاد فلم تكن له مغانم ومنهم من اذن له
فيه ولم يؤذن له في الاكل منها فكانت الغنايم تجمع في محل فتاتي النار من السما فتحرق ما يقبل منه
وكانت في صدر الاسلام تحل له فقط ثم امر بعد ذلك بتخميسها كما بينه الفقها والغنايم جمع غنيمة
ما يؤخذ من الكفار بقتال ونحوه والفي ما حصل منهم بدون ذلك **وبعثت** بالبنا للمجهول بمعنى
ارسلت وطوى ذكر الفاعل للعلم به اي ارسلني الله **الى الناس كافة** المراد بالناس جميعهم او ما يشمل
الانس والجن كما مر وروي الى الخلق كافة وكافة حال بمعنى جميعا وفي ارساله للملايكة كلام سياتي
وعموم البعثة مخصوص به بالاحاديث الصحيحة ولا يرد عليه ان نوحا كان مبعوثا لاهل الارض
بعد الطوفان لانه لم يبق الا من كان مؤمنا معه وقد كان مرسلا اليهم لان هذا العموم لم يكن في اصل
بعثته وانما اتفق بالحادث اقتضى انحصار الخلق في الموجودين على ان ارساله انما كان لقومه ولم يدل
على عموم رسالته واما دعاؤه على جميع اهل الارض اهلاكهم فلا يدل على ذلك لجواز ان يرسل غيره في
مدته ولم يؤمنوا به فلذا دعا عليهم قال ابن حجر هذا جواب حسن الا انه لم ينقل انه نبي في زمنه غيره
ويحتمل ان خصوصيته ببقا شريعته الى يوم القيمة بحيث لا ينسخها غيرها ويحتمل انه دعا الناس
للتوحيد فاشركوا واستحقوا العقاب والدعوة للتوحيد يجوز ان تعم وان كانت فروع شريعته
غير عامة كما قاله ابن دقيق العيد واشار اليه ابن عطية في سورة هود وانه لم يكن في عهده غير قومه
واولاده كآدم فلا يرد نقضا على هذه الخصوصية ما ذكر **واعطيت الشفاعة** اللام اما للعهد
فالمراد الشفاعة العظمى في فصل القضا لاهل الموقف اجمعين بعد مراجعة ساير الانبيا واظهارهم

المحشر فياتونه فيشفع وتقبل شفاعته وهو المقام المحمود او هي للاستغراق كانت الرحل
اي الشفاعة الكاملة وله شفاعات كثيرة يشاركه في بعضها بعض الانبيا كشفاعته في قوم يدخلون
الجنة بغير حساب وهذه مخصوصة وشفاعته في قوم استحقوا دخول النار فلا يدخلونها وفي
بعض اهل النار فيخرجون منها وفي تخفيف عذاب بعض اهل النار كابي طالب وشفاعته لمن بالمدينة
ومن صبر على لاوايها وشفاعته لمن صلى عليه بعد الاذان وغير ذلك مما ورد في الاحاديث الصحيحة
وفي رواية بدل هذه الكلمة اراد بالكلمة قوله اعطيت الشفاعة وسماها كلمة لانها كلمة لغوية
وهي تطلق على الجمل وفي نسخة الكلمات **وقيل لي سل تعطه** اي قال الله لي حذف الفاعل للعلم
به وقيل انه ذلك لما انحصرت الشفاعة فيه ولم يلتزمها احد من الرسل فقال انا لها وخر تحت العرش
ساجدا فقال له الله ارفع راسك يا محمد وقل تسمع وسل تعطه واشفع تشفع وفيه كمال الادب اذ
لم يسال حتى اذن له في السؤال وامر به وهذا في القيمة ويحتمل انه اشار له في الاسرا كما سياتي
في حديث ابن وهب واصل سل اسال فخفف بنقل حركة الهمزة واسقاطها واسقاط همزة الوصل وفي
حذف المفعول عموم كرم اي سل كلما تريد تعطه اكثر مما تسال وتعط مجزوم في جواب الامر والها للسكت
او ضمير عايد على مقدر **وفي رواية اخرى وعرض** بالبنا للمجهول **علي امتي فلم يخف علي التابع**
من المتبوع اي الشريف والوضيع ويحتمل ان الله عرض عليه بالوحي تفصيل احوالهم وذواتهم وصفاتهم
وساير تصرفاتهم في زمنهم او انه ابرزهم له حقيقة فوجا فوجا متلبسين باعمالهم على وجه لا نقف
على حقيقته وذكر العراقي في شرح المهذب انه صلى الله عليه وسلم عرضت عليه الخلايق من لدن
آدم الى قيام الساعة فعرفهم كلهم كما علم آدم الاسما وروى الطبراني انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله
قد رفع الي الدنيا فانا انظر اليها والى ما هو كاين فيها الى يوم القيمة كانما انظر الى كفي هذه وحديث
حذيفة الطويل المذكور فيه الفتن وما يكون حديث مطول ذكره العراقي قال فيه ما ترك شيئا
الا سماه باسمه واسم ابيه وقبيلته الى يوم القيمة ومنه اخذ الجفر والجامعة الذي رواه جعفر
الصادق عن علي رضي الله عنه وان توقف بعضهم في صحته كما ذكره ابن خلدون في اول تاريخه **وفي**
رواية بعثت الى الاحمر والاسود اي الى جميع الناس او جميع الخلق كما يكنى عن مثله بالعرب
والعجم اي الى كل فرد فرد والمقصود عموم رسالته للجن والانس وفيه رد على من زعم من اهل الكتاب
ان بعثته مخصوصة بالعرب كالعيسوية لانه يعود بالنقض عليهم اذ يقال لهم اذا اعترفتم بنبوته
وجب تصديقه فيما قاله وقد صح عنه انه قال بعموم رسالته واشار المصنف الى معناه بقوله
السود جمع اسود العرب وهذا مذكور في الحديث معنى لان تعريف الاسود ليس للعهد بل للاستغراق
فهي بمعنى السود وبين علته فقال **لان الغالب على الوانهم** اي العرب **الادمة** بضم الهمزة
وسكون الدال المهملة وهي في الآدميين السمرة وفي الظلف بياض يشوبه سمرة **فهم السود**
اي فهم المقصود دون من قوله الاسود الذي بمعنى السود كما عرفته **والحمر** جمع احمر وعبر عن
الاحمر بالحمر لما في العجم اي المراد بهم في الحديث العجم والمراد بهم من عدا العرب وقد يخص باهل
فارس ولم يعلله لقلته اي لقلة كون الحمرة عليهم فالمعتبر الغالب لان النادر لا حكم له لان القلة
اخت العدم ولذا يعبر بها عنه **وقيل البيض** جمع ابيض يعني قيل المراد بالحمر البيض اي بالاحمر
الابيض لان العرب تقول امراة حمرا بمعنى بيضا وقال ثعلب العرب لا تقول ابيض من بياض اللون
فاذا ارادوه قالوا احمر والابيض عندهم بمعنى النقي من العيوب قال ابن الاثير وفيه نظر فانهم قد
استعملوا الابيض في الوان الناس وغيرهم وهو اعتراض وارد وما قيل من ان مراده انه لا يستعمل

في محل اللبس كما هنا فانه لو قال بعثت الى الابيض لتوهم انه اريد به السالم من العيوب لا يجدي
نفعا وكيف يراد المجاز من غير قرينة وقيل الحمر الانس والسود الجن وهذا مبني على ما في مخيلتهم
من انهم سود وفي الحديث الاخر الذي رواه البخاري ومسلم واورده لما فيه من الزيادة على قوله
نصرت بالرعب قوله واوتيت جوامع الكلم اسم جنس جمعي للكلمة لا جمع ولا اسم جمع على الاصح
وهو من اضافة الصفة للموصوف وفسرت بالقرآن لما جمعه من المعاني في الفاظه الموجزة وقيل
المراد به كلماته الموجزة المتضمنة للحكم والمنافع في نسخة وخواتمه فقيل هي بمعنى الجوامع وقيل
التي ختم بها الكلام فلا ياتي بعدها ما يقرب منها لعدم الحاجة له وبينا انا نايم اصله بين فاشبعت
فتحتها حتى صارت الفا وهو ظرف زمان كبينما المتصلة بما المزيدة ويجي بعدها اذ كقوله اذ جي
بالبنا للمجهول اي جاني ملك ارسله الله واذ للمفاجاة وهو جواب لها وقلما يجي بعدها كقوله
استقدر الله خيرا وارضين به • فبينما العسر اذ دارت مياسير •
وقد يخلو عنها كقولك بين انا جالس دخل علي عمرو وهي مضافة لجملة انا نايم وقيل مضاف لمحذوف
تقديره بين اوقات النوم موجود كما فصله اهل العربية بمفاتيح خزاين الارض فوضعت
في يدي بتشديد اليا بمعنى مضافا وبالتخفيف مفرد مفاتيح جمع مفتاح وهو آلة يفتح بها الاقفال
معروفة والخزاين جمع خزينة او خزانة وهو ما يدخر فيه المال والامور النفيسة لتحفظها والمراد
ما في الارض من الكنوز والاموال فاما ان يكون راي في رؤيا نومه تلك الرؤيا وضع في يده
مفاتيح حقيقة وقال له هذه مفاتيح خزاين الارض ارسلها الله اليك ورؤيا الانبيا وحي تقع يقينا
تارة ويعبر بما يحكيه اخرى وهذا تعبير بان امته تملك الارض وتجي لهم اموالها وفي المواهب اللدنية
انها خزاين اجناس العالم بقدر ما يطلبون فان الاسم الالهي لا يعطيه الا محمد الذي بيده مفاتيح الغيب
التي لا يعلمها الا هو فالمراد ان الله خصه بتمكين امته من الارض ويحتمل ان الملك اخبره وقال له
ذلك فيكون استعارة لما مر والقول بان المراد العناصر وما يتولد منها وانه لم يقبل ذلك تعسف وكونه
لم يقبله بايباه عنه خاصية له بل قبله فان عطا الكريم لا يليق رده ولكنه ادخره لامته وفي رواية
لمسلم عنه اي عن ابي هريرة وختم بي النبيون اي جعلني خاتمهم وآخرهم حتى لا يبعث نبيا بعده
نبيا غيره فلا يرد عيسى ومجيئه آخر الزمان لانه يجي على انه من امته ايضا واما الخضر فعلى تقدير
نبوته قبله فلم ينبا بعده وفي هذا الختم تكريم له حيث لا ينسخ شريعته ولا يبطل مكث امته في الدنيا
واشارة الى ان دينه كامل جامع لجميع الكمالات لا يحتاج الى دولة اخرى تتممه وما روي من قوله لا نبوة
بعدي الا ما شا الله الاستثنا لا يقتضي وقوع مشيته على فرض صحته والمنفي النبوة لا النبي
فيحتمل ان الذي تحت المشية الرؤيا الصالحة لانها جزو من اجزا النبوة وعن عقبة بن عامر
وهو ابو اسد او ابو حماد او ابو عمرو الجهني الصحابي الفصيح السيد الجليل توفي في مصر سنة ثمان
وخمسين وهذا الحديث رواه الشيخان وابو داود والنسائي قال عقبة قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم انا فرطكم على الحوض الفرط بفتحتين والفارط الذي يتقدم القوم ليهيي
لهم في منازل اسفارهم الما والكلا ونحوه مما يحتاجون له ويقال رجل فرط وقوم فرط ايضا وفي
الدعا للطفل الميت اللهم اجعله فرطا اي آجرا يتقدمنا حتى نرد عليه والحوض هو حوضه صلى
الله عليه وسلم الذي يسقي منه عطاش امته يوم القيمة وعلى متعلقة بفرط او حال من المضمر فيه
لانه صفة مشبهة وهل الحوض الكوثر او غيره اختلف فيه وعليه اواني كالنجوم وفي الحديث بلاغة
بديعة اذ المراد ان موته قبلهم فيه مصيبة عظيمة هي سبب لدخولهم الجنة واجر عظيم فشبههم

بقوم مسافرين وشبه نفسه بمن تقدمهم لنفعهم والفرط من يسبق للما فذكر الحوض فيه مناسبة
عظيمة وان متاع الدنيا قليل فهم على اثره واردون جميعا جمعنا الله به وسقانا من يده شربة لا نظما
بعدها وانا اشهد عليكم شهيد بمعنى شاهد قال تع ويكون الرسول شهيدا عليكم اي يوم القيمة
فان الله يسال اهل بلغتم فيقولون نعم فيقول لاممهم هل بلغوكم فيقولون ما اتانا من نذير فيقول للرسل
من يشهد لكم فيقولون امة محمد فيشهدون بتبليغهم وهذا هو قوله شهدا على الناس ويشهد لهم
صلى الله عليه وسلم بصدقهم وتزكيتهم وهذه شهادة لكنه عداها بعلى حثا على الطاعة لانه رقيب
عليهم ومهيمن واني والله لانظر الى حوضي الآن اي اشاهده الآن لان الجنة والنار موجودتان
الآن وتاكيده بان والقسم يقتضي انه رؤية بصرية حقيقية لانكشاف الغطا عن بصره الحايل
عن رؤيته وليس بطريق الكشف ونحوه وفي هذا بيان لما مر لانه لما قال انه فرط على الحوض حقق
ذلك بانه مشاهد له لا شبهة فيه والآن مبني على الفتح ولا يستعمل الا بالالف واللام واني قد
اعطيت مفاتيح خزاين الارض تقدم قريبا بيانه واني والله لم اخف عليكم الصحابة او معاشر
الامة ان تشركوا بعدي اي من ان تكفروا بعد موتي فمن مقدرة لانها تحذف هنا وجا مجردا لان من
ذاق حلاوة الايمان لا يرجع عنها ولكني اخاف عليكم ان تنافسوا فيها اي في الدنيا اي اخاف من
رغبتكم في نفايس الدنيا وانهماككم في تحصيلها حتى تؤديكم ذلك الى الهلاك وارتكاب ما يلهيكم
عن الله وهذا تنبيه لهم على ان لا تلهيهم الخزاين عن المعاد وعن عبد الله بن عمرو كما رواه عنه احمد
بسند حسن انا محمد النبي الامي هو الذي لا يقرا ولا يكتب نسب لامه كانه على حالة يوم ولدته
امه او الى ام القرى لان الكتابة كانت عزيزة في اهلها او الى امة العرب وهذه الصفة في حقه من
اجل النعم عليه واعظمها اذ اعطاه علم الاولين والاخرين وحفظه هذا الكتاب الذي لا يماثله كتاب
وهو لا يقرا ولا يكتب ولم يدارس ويتلو في احوال لا يشغل بذلك • تنبيه كون النبي اميا من
معجزاته الشريفة الباهرة كما اشار اليه الابوصيري • كفاك بالعلم في الامي معجزة •
وهذا كان في اول امره الا ان بعضهم ذهب الى انه بعد ذلك قرا وكتب من غير تعلم وهو معجزة
اخرى الا ان الجمهور على خلافه كما ذكره الحافظ ابن حجر في تخريج احاديث الرافعي وقال ابن
عربي في سراج المريدين دخل ابو الوليد الباجي وابعد رحلته فلما عاد اقرا البخاري وقال
في درسه انه صلى الله عليه وسلم في الحديبية محا الكتاب وكتب بيده الا ترى انه قال
فاخذ رسول الله الكتاب وليس يحسن الكتابة فكتب هذا ما قضى اليه اخره فانبرى رجل مغربي
وصاح في المسجد انه زنديق الا ان الامير كان منتبها فرعا الفقها وسالهم فشغبوا وقالوا
انه كفر فاستظهر الباجي بالحجة وقال ان هولاء جهلة فاكتبا الى علما الافاق فكتب الى
علما افريقية وصقلية فجاءت الاجوبة بتصديق الباجي الى آخر ما فصله ورايت في بعض
الكتب ان مما يدل على ذلك قال لكاتبه طول السين وقوله تع ما كنت تتلو من قبله من كتاب
ولا تخطه بيمينك فقوله من قبله يدل على انه بعد ذلك كان يكتب نادرا فاعرفه لا نبي
بعدي تقدم بيانه اوتيت جوامع الكلم وخواتمه تقدم معناه ولفظه وانما كرره هنا
ليتبين انه مع كونه اميا اوتي ما لم يوته احد ممن اوتي علمه في القراة والكتابة وعلمت
خزنة النار جمع خازن ككتبة وكاتب وهم الملايكة الموكلون بها وحملة العرش جمع حامل
وهم الملايكة يعني انه علم ما لم يعلمه غيره بمشاهدته لهم الا ترى ما ورد في الاحاديث
من وصفه لهم وبيانه هيئتهم بما كان له راي عين وحملة العرش اليوم اربعة ويوم القيمة

ثمانية كما نطق به القرآن العظيم وعن ابي هريرة كما رواه احمد بسند حسن بعثت بين يدي
الساعة اي القيمة سميت ساعة لانها قريبة عند الله قليلة تشبيها لها بالساعة التي هي جزء
من اجزاء الزمان وقال الراغب لسرعة الحساب فيها كما قال وهو اسرع الحاسبين او لما نبه عليه
بقوله كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة وقيل الساعات التي هي القيمة ثلاث
ساعات الكبرى وهي بعث الناس للحساب والوسطى وهي موت اهل القرن الواحد والصغرى
وهي موت كل انسان وقد وردت الساعة بهذه المعاني في الحديث والمراد هنا الاولى والمراد
بكونه بين يديها اي قريب منها ففيه استعارة مكنية وفي الحديث بعثت انا والساعة كهاتين
يشير بالوسطى والسبابة وفيه اشارة الى بقاء دينه ولعدم نسخه ولاجل هذا ذكره المصنف ومن
رواية ابن وهب من تبعيضية اتى بها اشارة الى انه بعض من حديث الاسرا الطويل الذي رواه
البيهقي في الدلائل وغيره عن ابي هريرة وابن وهب هو عبد الله ابو محمد بن وهب بن مسلم الفهري
المصري احد الاعلام في الحديث وغيره روى عن مالك والليث وخلق كثير وروى عنه خلق
كثير وكان افقه من ابن القاسم وطلب للقضا فتجنن وانقطع الى ان مات سنة سبع وتسعين ومائة
والجار والمجرور خبر مقدم لقوله انه اي النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى له
صلى الله عليه وسلم حين كلمه بغير واسطة في الاسرا كما يدل عليه سياق الحديث سل يا محمد
حذف احد مفعوليه للتعميم اي كل ما تريد والاخر للعلم به فانه لا مسئول له الا الله قوله فقلت
ما اسال يا رب عليه ورب بكسر البا وضمها ولم يقل اسالك تادبا يعني ان جميع الكمالات
استوعبتها الانبيا قبله فلم يبق ما يختص به حتى يساله ثم فصل بعض ما اجمله فقال اتخذت
ابراهيم خليلا اي اصطفيته وخصصته بالخلة وكرامتها وسياتي تحقيقها واتخذت موسى
كليما اي اصطفيته وفضلته بان كلمته بنفسك بكلامك القديم قبلي فلو يرد انه كلمه ايضا
واصطفيت نوحا اي فضلته على غيره بان جعلته اول رسول اهلك من عصاه كما قال الله
ثم ان الله اصطفى آدم ونوحا ابو البشر واول الرسل واعطيت سليمان ملكا لا ينبغي لاحد
من بعده اي لا يتيسر لغيره من الرسل الملوك كتسخير الجن والانس والريح وملك الدنيا كلها بجعله
البسته اياها من عظمته فقال الله تعالى له صلى الله عليه وسلم ما اعطيتك خير من ذلك
كله وهو مبتدا وخبر بينه بقوله اعطيتك الكوثر فوعل من الكثرة وذكر البيضاوي فيه
سبعة اقوال اشهرها انه نهر في الجنة اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل في وسط الجنة
حصباؤه الدر والياقوت وقيل هو القران وقيل النبوة وقيل غير ذلك وجعلت اسمك مع
اسمي اي مقرونا باسمي في التشهد والاذان وكلمة الشهادة وغير ذلك ولذا قال ينادي
به في جو السما اي تنادي الملائكة به الله وتصلي عليه لامر الله لهم بذلك او لما راوا من
منزلته وقربه من ربه وكتابته على ساق العرش وتفسير السما هنا بالامكنة العالية كمنارة
الاذان كما قيل لا وجه له وجعلت الارض طهورا لك ولامتك لان الله شرفها بك فكانت
طاهرة مطهرة وهذا من خواص هذه الامة تسهيلا لها وما احسن قول ابن رشيق القيرواني

سالت الارض لم كانت مصلى • ولم كانت طهورا وطيبا •
فقالت غير ناطقة لاني • حويت لكل انسان حبيبا •

وقد تقدم هذا الحديث وشرحه وغفرت لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر اي لو صدر
كان مغفورا فلا ينافي هذا عصمته او المراد بالذنب التقصير وان لم يكن صغيرة ولا كبيرة

واعلامه

واعلامه بمغفرة كل متقدم ومؤخر تشريفا وتطمينا لقلبه وقد قال العز بن عبد السلام ان
هذا من خصائصه ولم يعلمه الله لغيره من الانبيا ولذا قالوا في الموقف نفسي نفسي والى
هذا اشار بقوله فانت تمشي في الناس مغفورا لك ولم اصنع ذلك لاحد قبلك فليس
المراد باحد غير الانبيا كما قيل وجعلت قلوب امتك مصاحفها اي مننت عليك بان
جعلت في امتك حفظا لم يكن في غيرهم من الامم السالفة حتى ان من كان يحفظ التورية وغيرها
من الكتب الالهية افراد معدودون في كل عصر وحفظة القرآن والحديث من هذه الامة لا
يحصون في كل عصر والمصحف ما كان جامعا للصحف المكتوبة وجمعه مصاحف ثم خص
بالصحف المكتوب فيها القرآن وقد قيل انه لفظ حدث في الاسلام وكونه معربا من اللغة الحبشية
لا اصل له وهذا تشبيه بليغ اي جعل قلوبهم كالمصاحف التي تحفظ القرآن وقيل انه استعارة
تصريحية وله وجه وفي رواية صدور بدل قلوب وهذا بنا على ان محل الحفظ والادراك
القلوب واضافته للصدور لانها محلها والحكما يقولون ان محل الحفظ الخيال الذي هو خزانة
الحس المشترك في الدماغ واهل الشرع والمتكلمون من اهل الاسلام لم يثبتوا الحواس الباطنة
مع ان كلام الحكما مضطرب فيها وفي محالها كما ذكره الجلال الدواني في شرح هياكل النور وليس
هذا محل تفصيلها وخبات بخاء معجمة مفتوحة موحدة وهمزة اي اخفيتها واخرتها الى يوم القيمة
شفاعتك المراد بها الشفاعة العظمى في فصل القضا ونحوها من الشفاعات الخاصة به
ونحوه كما تقدم ولم اخباها لنبي غيرك وفي نسخة قبلك وان كان لهم شفاعات غير هذه
وفي حديث آخر رواه حذيفة بن اليمان العبسي الصحابي صاحب سر رسول الله صلى الله عليه
وسلم بشرني يعني ربه ولم يذكر الفاعل في اصل رواية هذا الحديث للعلم به كما في قوله حتى
توارت بالحجاب اول من يدخل الجنة مبتدا او جملة يدخل صلته ومعي ظرف متعلق به ومن
امتي حال من عائد من المستتر تحت يدخل سبعون الفا خبره ليس عليهم حساب صفة
سبعون او حال منه اي لا يحاسبون ولا يناقشون بل يؤمر بادخالهم الجنة تكريما لهم مع كل
الف سبعون الفا جعلهم معهم لانهم اتباعهم وذراريهم وليس الخ صفة للالف الثانية
فيعلم منه عدم محاسبة الاولى بالطريق الاولى وفي البخاري انه دخل بيته فخاض الصحابة
في هؤلاء فقيل لعلهم الذين صحبوه وقيل لعلهم الذين ولدوا في الاسلام ولم يشركوا الى غير
ذلك فخرج وسالهم عما خاضوا فيه فاخبروه فقال هم الذين لا يرقون ولا يسترقون وعلى
ربهم يتوكلون فقام عكاشة فقال ادع الله ان يجعلني منهم فقال انت منهم ثم قام آخر
فقال سبقك بها عكاشة وفي الحديث ايضا وعدني ربي ان يدخل الجنة من امتي سبعين الفا
مع كل الف سبعون الفا لا حساب عليهم ولا عذاب وثلاث حثيات من حثيات ربي رواه
ابن ابي شيبة والطبراني وقد حسب ما في الحديث فبلغ اربعمائة الف الف وتسعمائة الف
وفي هذا الحديث كلام ذكره ابن القيم في حادي الارواح واعطاني ان لا تجوع امتي
اي لا تبتلى بالجدب والقحط حتى يهلكوا عن آخرهم ويستاصلوا جميعهم فلا ينافيه ما وقع في
بعض الازمنة في بعض الاقطار بخصوصها اذ لم يعم ولم يستمر ولا تغلب بضم المثناة الفوقية
اي الامة جميعها او يستمر مغلوبيتها وهذا مشروط بطاعته فاذا بدلوا وغيروا وخرجوا
عن اضافة التشريف بقوله وقد شاهدناه في بعض السنين والله الاشارة بقوله ان تنصروا
الله ينصركم واعطاني النصر اي على من يعادي ولو مع قلة العدد في بدء الامر

والعزة اي الغلبة والقوة عليهم والرعب يسعي بين يدي امتي شهرا قبل شهرا
مفعول مطلق لا ظرف اي العدو الذي بينه وبينهم مسافة شهر يخافهم خوفا شديدا وهذا
من خواصه وخواص امته وخص هذه المسافة لانها ابعد مسافة اعدائه الموجودة في زمانه
وبهذا يعلم ان قوله في المواهب في حديث نصرت بالرعب وكون هذا له ولامته غفلة عن
هذا الحديث وفي قوله يسعي تشبيه للرعب بمقابلة يتقدم وفيه مبالغة بليغة كما قلت في
قصيدة هي

ولم يهزم عداه جيوش جند • وجيش الرعب قد هزم القلوبا •
ولو ثبتوا الفرار الهام منهم • وارواح وما عرفوا الهروبا •

وطيب بالتشديد والبنا للمجهول اي احل لقوله تعالى احلت لكم الطيبات لي ولامتي الغنايم
هي شاملة هنا وقد شرحه واحل لنا كثيرا مما شدد فيه علي من قبلنا من الامم السالفة
كقطع الاعضاء والتوبة بقتل النفس وقرض محل النجاسة ووجوب القصاص في العمد والخطا
الي غير ذلك مما ذكروه وتفنن في العبارة ولم يراع التقابل ولو راعاها قال سهل علينا ما شدد
مع انه لو عبر به توهم انه رخصة وليس كذلك علي انه قد يقال لعل فيه طباقا او ايهامه لانحل الذي
هو ضد الشد ولم يجعل علينا في الدين من حرج اي شدة وضيق وقال علينا لانه له ولامته
فوسع لهم بالرخص كترك القتال لمن له عذر واكل الميتة للمضطر وقصر الصلاة والتيمم
وعن ابي هريرة في حديث صحيح رواه الشيخان عنه صلى الله عليه وسلم ما من نبي من الانبيا
زاد من وبينه بقوله من الانبيا للتعميم الا وقد اعطي من الايات ما مثله آمن عليه البشر
اي كل نبي جعل الله له معجزة اظهرها على يديه اطاعه بها الناس كعصا موسى واحياء الموتى
لعيسى الي غير ذلك مما هو مشهور ماثور مناسب لزمانه الا ان تلك الايات انقطعت بانقطاع عصره
ومضت بمضيه بخلاف اعظم معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم فانها باقية غير منقطعة غضة
طرية في كل عصر تتلى وتشاهد بركاتها ويستخرج من جواهر معانيها ما لا يفنى وهي القرآن
كما اشار اليه بقوله وانما كان الذي اوتيت وحيا اوحي الي وما نافية ومن صلة لتاكيد
النفي ونبي مبتدا وسوغ الابتدا به وقوعه بعد النفي ومن الثانية تبعيضية او بيانية
والجار والمجرور صفة نبي وقوله الا وقد اعطي خبر والواو من يدفيه لتاكيد الاتصال
واللصوق والضمير المستتر في اعطي مفعوله الاول وما الموصولة او الموصوفة مفعول
ثان ومثله مبتدا ايضا والجملة بعده خبره او من ضمن معنى غلب ولذا عداه بعلى وهي بمعنى
البا والضمير المجرور بعلي عايد علي ما والجار والمجرور متعلق بآمن او حال منه اي مغلوبا
عليه والمراد بالايات المعجزات ومفعول اوتيت محذوف اي اوتيته والحصر في انما
ادعائي او باعتبار الاعظم او المعظم ووحيا بمعني كلام موحى به او هو قصر افرادي اي
اوتيته انا لا غيري من الانبيا فليس حصرا حقيقيا بمعنى انه لم يعط غيره اذ المعنى انه ما من
معجزة اعطيت لنبي الا اعطيتها وزاد عليها بما هو مخلد في صحايف الدهر يعرف في كل زمان
ولذا رتب عليه قوله فارجو ان اكون اكثرهم اي الانبيا تابعا يوم القيمة وذلك
لان هذه المعجزة لما كانت باقية الي يوم القيمة وهي باهرة ظاهرة يؤمن بها كل من وقف
عليها من الناس لزم كثرة من آمن به واتبعه على من آمن بغيره من الرسل وصدق بمعجزته
المخصوصة بعصره فاذا مات انقطع التحدي بمعجزته وغابت عن الادراك وصارت خبرا
كغيره من الاخبار اذ لم يات احد منهم بمعجزة يدرك بعده اعجازها فاما التوراة وسائر الكتب

السماوية فليست بمعجزة نظمها ولذا وقع فيها التحريف والتبديل وترجمت بلغات
مختلفة وسياتي الكلام علي الاعجاز مفصلا وقد حقق الله رجاوه والي هذا اشار بقوله
ومعنى هذا الحديث عند المحققين بقاء معجزته المذكورة ما بقيت الدنيا
اي مدة بقائها وكون القرآن يرفع في آخر الزمان كما ورد في حديث حذيفة بن اليمان الذي رواه
ابن ماجة ان الاسلام يدرس ويرفع كتاب الله في ليلة حتى لا يبقى منه في الارض آية ويبقى
ناس يقولون ادركنا اباءنا على هذه الكلمة كلمة لا اله الا الله فقال له شخص ما تنفعهم هذه وهم
لا يدرون صلاة وصياما ونسكا فقال تنجيهم من النار لا ينافيه لانه باعتبار الاكثر والظاهر
فانه محقق بقاؤه في نفس الامر لم ينسخ ولم يبدل وقيل انه زمن يسير بقاؤه كالعدم وساير
معجزات الانبيا اي جميعها ذهبت للحين المراد بالحين عقيب وقوعها وانقراض عصره اذ المراد
ذهبت بذهابه ولم تبق بعده وبينه بقوله ولم يشاهدها الا الحاضر لها بخلاف من اتى بعد
ومعجزة القرآن اي القرآن المعجز او المعجزة التي هي القراءة فالاضافة بيانية يقف عليها
اي يعلمها ويحيط بها مجاز لان من وقف على شيء اطلع عليه كما في الاساس قرن فاعل يقف
بعد قرن اي يطلع عليها جميع القرون والناس الذين حدثوا بعد عصر النبوة بخلاف غيرها
عيانا بكسر العين اي مشاهدة لا خبرا اي لا باخبار غيرهم لهم الي يوم القيامة
اي الي آخر الزمان وقيام الناس الي الحشر وهو كناية عن التابيد في البقا في الدنيا وفيه
اي في هذا الحديث ومعناه كلام للعلما يطول هنا نخبته بضم النون وسكون الخاء
المعجمة والبا الموحدة اي مختاره وزبدته قال في الاساس نخب الشيء وانتخبه اذا نزعه
ومنه الانتخاب الاختيار كانك تنزعه من بين الاشيا وهولاء نخبة قومهم اي خيارهم انتهى
وقد بسطنا اي فصلنا من بسط يده اذا مدها وعن علي رضي الله عنه في حديث رواه
ابن ماجة والترمذي وحسنه وهو موقوف على علي له حكم المرفوع لان مثله لا يقال بالراي
وسياتي رواية ابي نعيم له مرفوعا كل نبي اعطي سبعة نجبا جمع نجيب وهو الكريم الحسيب
ويكون بمعنى الرفيق المعين في المهمات والشدايد وهو المراد هنا ونبيكم صلى الله عليه وسلم
اعطي اربعة عشر نجيبا اي رفيقا كاملا شريفا وجعلهم ضعف ما لكل نبي مرتين تكريما
له واشارة لكثرة امته حتى يحتاج زيادة في وزرائه والمراد بهولاء كما رواه ابو نعيم عن
علي ايضا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لم يكن نبي الا وقد اعطي سبعة رفقا
نجبا وزرا واني قد اعطيت اربعة عشر • وهم حمزة • وجعفر • وعلي • وحسن • وحسين •
وابو بكر • وعمر • وعثمان • وعبد الله بن مسعود • وابو ذر • والمقداد • وحذيفة • وعمار •
وسلمان • وفي رواية بلال انتهى • وقد وقع في انفسهم اختلاف اقول وبعد عصره خليفته
القطب ووزراوه النقبا والنجبا والبدلا ومن فسر الاربعة عشر هنا بهولاء يصب رواية ودراية
وقد ورد التصريح بهولاء في احاديث جمعها السيوطي في رسالة مستقلة ومن العجب انه انكر هذا
مع انه متفق عليه بين اهل الشرع والحكما كما قال صاحب حكمة الاشراق في كتابه لا بد لله
من خليفة في ارضه وانه قد يكون متصرفا ظاهرا فقط كالسلاطين او باطنا كالاقطاب
وقد يجمع بين الخلافتين كالخلفا الراشدين كابي بكر وعمر بن عبد العزيز وانكره بعض الجهلة
في زماننا • قال ذو النون النقبا ثلثماية والنجبا سبعون والبدلا اربعون والاخيار سبعة
والعمد اربعة والغوث واحد • وحكى ابو بكر المطوعي عمن لقي الخضر انه قال له لما قبض رسول الله

صلى الله عليه وسلم بكت الارض وقالت الهي وسيدي بقيت لا يمشي علي نبي الى يوم القيمة فقال اجعل على ظهرك من هذه الامة من قلوبهم على قلوب الانبيا لا اخليك منهم فقالت له كم هم قال ثلثمائة وهم الاوليا وسبعون وهم النجبا واربعون وهم الاوتاد وعشرة وهم النقبا وسبعة وهم العرفا وثلاثة وهم المختارون وواحد وهو الغوث فاذا مات جعل واحد من الثلاثة مكانه ونقل من السبعة الى الثلاثة ومن العشرة الى السبعة ومن الاربعين الى العشرة ومن السبعين الى الاربعين ومن الثلثمائة الى السبعين ومن سائر الخلق الى الثلاثمائة هكذا الى ان ينفخ في الصور **منهم ابو بكر وعمر وابن مسعود وعمار** وقد بيناه لك **وقال صلى الله عليه وسلم ان الله قد حبس عن مكة الفيل** وهو حديث مشهور رواه الشيخان عن ابي شريح قاله يوم فتح مكة يوم الجمعة تاسع عشر رمضان سنة تسع من الهجرة ومعنى حبس منع وفي رواية القتل بقاف وتا فوقية وقصة اهل الفيل مشهورة غنية عن البيان **وسلط عليها رسوله** محمدا صلى الله عليه وسلم ولم يقل سلطني اشارة الى انه مامور من الله لاحظ له في ذلك من نفسه لتزاهته عن الحظوظ والاغراض النفسانية **والمومنين** من امته وجنده **وانها** اي مكة **لا تحل لاحد بعدي** وفي نسخة من امتي وفي نسخة لم تحل لا وفيه اشارة الى ان تحريمها سابق في علم الله وفي زمن ابراهيم فانه حرمها وجعلها حرما آمنا وكان ذلك اظهارا لما سبق في علمه وحكمه **وانما احلت لي ساعة من نهار** اي انما اعطاني الله حلها لي وكان حل القتال لي فيها في ساعة من يوم الفتح وكان ذلك من الصبح وجعله ساعة تقليلا لزمانه لا لانه ساعة حقيقة كما قال تع ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام الخ والحرم مثل المسجد في ذلك وهذه الاية محكمة عند ابن عباس ومجاهد تمسكا بهذا الحديث وقوله فيه ثم عادت حراما الى يوم القيمة وروى بمعناه من طريق آخر وقاله صلى الله عليه وسلم بقتل من لجا الى الحرم كابن خطل من خصائصه كما روي عن السلف وقيل عليه ان قوله احلت يدل على تقدم حرمته فيكون نسخا ولو كان نسخا استمر فيكون رخصة لانها اباحة مع المانع وبه قال ابو حنيفة وقال قتادة والضحاك هي منسوخة بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وبآيات اخر في معناها وتمسكوا بفعله صلى الله عليه وسلم ولا دليل فيه لتصريحه بالتخصيص وبه قال الشافعي **وعن العرباض بن سارية** في حديث رواه احمد والبيهقي والحاكم وقال انه صحيح الاسناد والعرباض بكسر العين وسكون الرا المهملتين وموحدة وآخره ضاد معجمة معناه القوي نقل للعلمية وهو من كبار الصحابة اهل الصفة سكن الشام ومات سنة خمس وسبعين **سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول** جملة حالية او مفعول ثان على الخلاف في سمع اذا تعلق بالذوات الغير المسموعة كما يعرفه من يتحر في علم العربية **اني عند الله** وفي رواية اني عبد الله مكتوب **خاتم النبيين** قدم على هذه الكلمات وصفه بالعبودية اشارة الى انها اشرف عنده مما سواه وانه انما نالها بمحض كرم الله وفضله واحترازا ممن نظر فيه ان يتجاوز فيه الحد كما وقع للنصارى في عيسى ولذا قال اني عبد الله آتاني الكتاب الآية **وان آدم لمنجدل في طينته** اي مختلط في تربته او ساقط فيها كما تقدم وخاتم بكسر التا وفتحها آخرهم ومن به كمالهم وفي طينته خبر ثان لا ظرف لمنجدل ثم اخبر بالامر **عن ابراهيم** بكسر العين وتخفيف الدال مصدر بمعنى الوعد كالزنة وفي نسخة دعوة ابي ابراهيم وهي اشهر واظهر لانه اشارة الى قوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم ولثقته بالله انه لا يخيبه جعل ذلك وعدا منه لذريته وجعله نفس الدعوة مبالغة باقامة السبب مقام المسبب لانه دعا ان يجعل من ذريته وذرية اسماعيل رسولا ولم يكن من ذريتهما معا غيره مرسلا فان الانبيا من ذريته كداود وسليمان ليسوا من ذرية اسمعيل فتعين كونه

محمدا صلى الله عليه وسلم **وبشارة عيسى بن مريم** فيما حكاه الله عنه بقوله ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه احمد وجعله نفس البشارة مبالغة وهي بكسر البا مصدر كالبشرى وبضمها ما يعطى للبشير واسم مصدر بمعنى المبشور وتكون في الخير والشر اذا اطلقت ثم خصت بالخير وصارت حقيقة ونحو فبشرهم بعذاب اليم تهكم على هذا وعلى الاولين حقيقة مطلقا واذا قيدت وسميت بشارة لتاثيرها في بشرة الوجه ما يسمى ورد السرور وفي شرح الجامع الصغير الفوعي ان البشارة تختص بالصدق وجهتي المخاطبة والخبر لان ذلك يغير بشرة الوجه للفرح وهي في اللغة خبر يغير بشرة الوجه مطلقا الا انه صار فيما ذكر حقيقة عرفية والاصل ما في الحديث من انه لما قال صلى الله عليه وسلم من اراد ان يقرا القران غضا طريا كما به انزل فليقرا بقراءة ام عبد فابتدر ابو بكر وعمر ليخبراه بذلك فسبق ابو بكر فكان يقول بشرني ابو بكر واخبرني عمر قال العلامة بن كمال فان قلت الخبر الكاذب يغير البشرة ايضا وليس من شرط الحنث بقاء المعلق عليه كما لو قال ان دخلت الدار فانت طالق فدخلت ثم خرج حنث قلت والكاذب لم يتم البشارة فوزانه وزان ما لو حلف على لبس خفيه فلبس احدهما ولم يذكر الصدق في الهداية وفيه قصور ومن ثمة قالوا لو قال لعبيده ايكم بشرني بقدوم زيد فهو حر عتق الاول لانه الذي ظهر السرور بخبره دون الثاني وبشرهم بعذاب تهكم ومن هنا علم ان البشارة مشروطة بجهل المخبر اذ البشرة لا تتغير بما علمه قال وفي هذا الحديث دلالة على ان الانبيا قبل عيسى لم يخبروا باتيان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بخصوصه فقوله في الكشاف في تفسير قوله تع ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ان ابن سلام دعا ابني اخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام وقال قد علمت انه تعالى قال في التورية اني باعث من ولد اسمعيل نبيا اسمه احمد فمن آمن به اهتدى ورشد ومن لم يؤمن به فهو ملعون فيه انه صريح في بشارة موسى بمحمد باسمه الخاص وهو مخالف لنص القرآن والحديث الصحيح لا يقال اليهود حرفوا التورية فمن الحكم تلك البشارة وصح ان عيسى هو المبشر لانا نقول انما كان هذا بعد عيسى لقوله مصدقا لما بين يدي من التوراة فنسبة البشارة لعيسى ظاهرة في عدم البشارة قبله والا لقال بشارة اخي موسى وكذا قولهم في الخطب المبشر بها في التوراة والزبور والانجيل انتهى **اقول** هذا غير وارد بل غير صحيح من وجهين **الاول** كونه مبشرا به قبل الانجيل في الكتب السماوية كلها او جلها مما لا شبهة فيه وقد صنف في ذلك كتابا مستقلا سماه خبر البشر بخير البشر الحافظ بن ظفر ولولا خوف الطول اوردت ما فيه هنا **الثاني** انه مخالف للقران والحديث كلام ناش من عدم تدبر معنى البشارة والفرق بينها وبين الخبر الصادق فان كل بشارة على ما قرره خبر بلا عكس والبشارة خبر سار بما فيه نفع المخبر في زمن ما بعيدا او قريبا كالبشارة بالجنة ولما كان من قبل عيسى بينهم وبين نبينا رسل وامم لم يكن ذلك بشارة لعلمهم بان المخبر لا يدركه بخلاف عيسى فان امته ومؤمنهم ادركوا نبينا كسلمان ونحوه فكان اخباره به بشارة لمن اتبعه منهم وحثا لهم على اتباعه كما اشار قوله من بعدي فلم يخالف النص الا اخت خالته فاعرفه **وعن ابن عباس** في حديث رواه البيهقي والدارمي وابن ابي حاتم **قال ان الله فضل محمدا صلى الله عليه وسلم على اهل السماء** يعني ملايكة السما وهم افضل من ملايكة الارض فيعلم منه تفضيله على جميع الملايكة حتى الخواص منهم ورسلهم خلافا للمعتزلة والحليمي من الشافعية القايلين بتفضيل خواص الملايكة على الانبيا ولم يختلفوا في تفضيلهم على ملايكة الارض كما سياتي **وعلى الانبيا كلهم** فردا فردا وعلى المجموع فلا وجه لتخصيصه بالاول كما تقدم فتذكره **قالوا فما فضله على اهل السماء** اي ما سببه ودليله **قال ان الله قال ومن يقل منهم** اي من اهل السما **اني اله من دونه** اي من يثبت

بجيل

ان قوله صح

منكم الجنة غيره **فذلك القائل نجزيه جهنم** تهديد لمن اشرك منهم وتعظيما لامر الشرك وتعظيما لتوحيده **وقال لمحمد انا فتحنا لك الآية** فجعله مغفورا له غير مؤاخذ بما صدر وما يصدر
واورد عليه انه لا دلالة فيما ذكر على المدعي لانه على سبيل الفرض مع القطع بعصمتهم وقد خاطبه بمثله في قوله لئن اشركت ليحبطن عملك والجواب ان نقول وجه الدلالة انه هددهم على سبيل الفرض
بعذاب جهنم ودخولها ولم يهدده بمثله وهذا يدل على انحطاط رتبتهم عنده عن رتبته فتامل
قالوا فما فضله على الانبياء قال ان الله قال وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم وما ارسلناك الا كافة للناس اي ان هذه الآية تدل على عموم رسالته
وتخصيص رسالة كل رسول بقومه وكافة صفة مفعول مطلق مقدر اي ارسالة كافة اي عامة والناس متعلق به والحاصل ان ابن عباس فهم من هذه الآية العموم والخصوص فاستدل بها فلا يقال انه
لا يلزم من انه لا ينطق الا بلسان قومه انه لم يرسل الا لهم لانه على مقتضى الظاهر فلا يدل على غيره الا بدليل والدليل قائم على خلافه فتامل **وعن خالد بن معدان** هذا الحديث روي من طرق كما اشار اليه
المصنف فاما عن ابن معدان رواه ابن اسحاق مفصلا والدارمي واحمد موصولا عن خالد عن عبد الرحمن السلمي عن عتبة بن عبد السلمي بطوله ومعدان حمصي تابعي من كبار التابعين وزهادهم
ادرك سبعين من الصحابة وتوفي في سنة اربع ومائة **ان نفرا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله اخبرنا عن نفسك** اي عن حالك وشانك من ابتداء امرك
وقد روي نحوه اي نحو ما رواه خالد **عن ابي ذر** الغفاري الصحابي اخرجه الدارمي **وشداد بن اوس** بن ثابت بن المنذر بن حرام وهو ابن اخي حسان ابن ثابت الصحابي نزل بيت المقدس
وتوفي بالشام سنة ثمان وخمسين والرواية عنه اخرجها ابو نعيم في الدلائل **وانس بن مالك** اخرجه ابو نعيم ايضا **فقال** صلى الله عليه وسلم لمن ساله عن نفسه **نعم** جواب ليس لسؤالهم اي
اخبركم بذلك **انا دعوة ابراهيم** بدل من ابي او عطف بيان اي اثر دعوته او عينها مبالغة
ونعته بانه ذات لاطلاقه على الجد ولبيان انه من ذريته الذين دعا لهم **يعني قوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم** فهو المراد بالرسول في دعوته المجابة **وبشرى عيسى** تقدم بيانه **ورات امي** اراد رؤيا امي فغير الاسلوب لانه نوع مغاير لما قبله فهو على نهج قوله وجعلت قرة عيني
في الصلاة كما تقدم حين حملت بي وفي رواية حين وضعتني فالرؤيا وقعت مرتين وهذا يحتمل انه رؤيا منام ورؤية يقظة والمرئي محذوف دل عليه قوله **انه خرج منها نور اضاء له قصور بصرى** بضم الباء والقصر بلدة من اعمال دمشق هنا وهي ايضا اسم بلدة اخرى من قرى
بغداد بقرب عكبرا كما في معجم ياقوت وهي مدينة حوران وقيل قيسارية او حوا رزم وهو غير صحيح لان قوله **من ارض الشام** يأباه فهو غفلة من قائله انها هي والصحيح انها مدينة بين المدينة
ودمشق وهي اول بلاد الشام فتوحا فتحت سنة عشرة والشام الاقليم المعروف بهمز ويجوز ابداله الفا كراس وفيه لغة اخرى شام بالمد قال ابن قرقول باهاء اكبرهم وحده طولا من العريش الى
الفرات وقيل الى نابلس وعرضا من جبل احا وسلمى الى بحر الروم وما سامته ودخله من الصحابة كثيرون ودخله صلى الله عليه وسلم اربع مرات مرة مع عمه ابي طالب لما راه بحيرا ومرة في تجارته
لخديجة مع غلامها ميسرة ومرة حين اسري به ومرة في غزوة تبوك قال ابن عساكر رؤية
آمنة النور بعينها حقيقة حين وضعته واما رؤيتها له حين حملت فكانت في المنام كما
قاله الواقدي ثم حقق الله لها ذلك اذ وضعته لانها كما ورد في الحديث اتيت وقيل لها انك

محمد

حملت بسيد هذه الامة وآية ذلك ان يخرج معه نور يملأ قصور بصرى فحقق الله لها ما راته اولا وهو كلام حسن وتخصيصه لانه اول فتح في الاراضي المقدسة **واسترضعت** بالبناء للمجهول اي طلبت امي اذ اكون رضيعا **في بني سعد بن بكر** ارضعته منهم حليمة
بنت ابي ذؤيب زوجة الحارث بن رفاعة بعد ما ارضعته ثويبة مولاة ابي لهب وله اخوة من الرضاع مذكورون مع قصة ارضاعه في كتب السير **فبينا انا مع اخ لي** من الرضاع لا
من النسب اذ ليس له اخ ولا اخت من النسب وبينا ظرف والفه للاشباع او كافة كبينما والكلام عليها مفصل في كتب العربية **خلف بيوتنا** اضاف البيوت له باعتبار السكنى او
التغليب لان المراد بيوت بني سعد **نرعى بهما** الرعي اكل الحيوانات النبات والذهاب بها للرعي وهو المراد هنا والمراد انه كان مع الرعاة لا راعيا لصغر سنه والبهم بفتح الباء الموحدة
وسكون الهاء وميم وهي جمع بهمة اسم لاولاد الضان واولاد المعز سخال ويطلق على ما يعمهما
قال صغيرين نرعى البهم يا ليت اننا • الى اليوم لم نكبر ولم تكبر البهم
اما اضافتها له معهم لاختلاطه باصحابها لادنى ملابسة **اذ جاءني رجلان** اي ملكان في صورة رجلين فهي مجاز **عليهما ثياب بيض** وفي حديث آخر ثلاث رجال وهم جبرئيل
واسرافيل وميكائيل كما اشار اليه بقوله **وفي رواية اخرى رجال** وجمع بينهما بانه جاءه اثنان اولا لشق صدره والثالث اتى بعد مباشرته **بطست من ذهب ثلجا**
وفي رواية ملكان وفي رواية كوكبان كانهما انقضا عليه كوكبان ثم تمثلا بصورة رجلين والطست بفتح الطاء وسكون السين المهملة ومثناة فوقية وفيه لغة اخرى طس بتشديد
السين وطسة بهاء وفي طائه الفتح والكسر ففيه خمس لغات وهو اناء معروف واستعمال الذهب لم يكن حراما اذ ذاك لا سيما وهو من الجنة لا من جنس ذهبنا فلا حاجة للجواب بانه
يجوز للصغار وانه يجوز عليه لان الطاعة كالمصحف والسيف مع ما فيه وفي رواية انه من زمرد اخضر وانه صب عليه من ابريق فضة واما الطشت بشين معجمة فقيل انه من
غلط العامة وقيل انه لغة فيه ومملوءة بالتانيث لان الطست يذكر ويؤنث او هو لتأويله بآنية ومملوءة مجرور صفة او منصوب حال والمراد انه نقي بالثلج او بمائه ولا حاجة للبحث فيه
هل هو مطهر ام لا لان هذه الامور لا نطلع عليها وروي انه غسل بماء زمزم وهذا كان في حال الطفولية ووقع في رواية انه كان بعد البعثة لما اسري به
فمنهم من قال الروايتان متعارضتان ورد هذا وقال السهيلي لا تعارض بينهما وانه وقع مرتين الاولى لتنقيته من الحظوظ النفسانية والاخرى ليتقدس فيقوى على العروج ومشاهدة
الانوار العلوية وكونه مخلوق من النور لا ينافيه كما توهم وروي ان الطست مملوء حكمة وايمانا وان الثلج لبرد اليقين ايمانا وبلده او تجسم الاعراض وليس ذلك على الله بعزيز والثلج
بسكون اللام وقال التلمساني بفتحها بمعنى اليقين فيكون قرانه بالفتح فتكون هذه الرواية كرواية مملوءة حكمة وايمانا **فاخذاني** اي امسكاه واضجعاه **فشقا بطني قال في غير هذا الحديث من نحري الى مراق بطني** النحر على الصدر ومراق بفتح الميم وتشديد القاف
وهو ما دق ولان من البطن لا واحد له من لفظه والميم زائدة **ثم استخرجا منه** عائد على الجوف المعلوم من السياق او للبطن لتاويله به **قلبي** مفعول استخرجاه **فشقاه** اي
القلب وهذا من المعجزات لان الاطباء اجمعوا ان القلب لا يحتمل جراحة اصلا فكيف يعيش

صاحبه اذا شق **واستخرجا منه علقة سودا فطرحاها** اي رمياها لانها حظ الشيطان ومنزعه
وفيها الحسد والحقد ووسوسة الشيطان والحرص والشهوة المذمومة والعلقة دم متجمد كالعلقة المعروفة
في دود الماء قال السبكي في طبقاته سئل الوالد عن العلقة التي اخرجت من قلبه صلى الله عليه
وسلم حين شق فواده وقول الملك هذا حظ الشيطان منك فقال لان تلك العلقة خلقت في
قلوب البشر قابلة لما يلقيه الشيطان فيه ولم يكن للشيطان فيه حظ وانما الذي نفاه الملك منه امر
في الجبلة البشرية فازيل القابل الذي لا يلزم من حصوله حصول الالقاء في القلب وانما خلقت على
هذا لانها من اجزاء البدن المكملة للخلقة فلا بد منه ثم نزعت بامر رباني طرا بعده وقربت منه قول
الاستاذ محمد البكري في رسالته النافعة نزع العلقة من باطنه المقدس المطهر وقول الملك انها حظ الشيطان
اي لو تعلق الشيطان لمحل منه كان هذا فخلق ابتدا تكملة لاصل الخلقة وتسوية للنشاة الانسانية مع زيادة
اظهار باس الشيطان باخراجها منه وهذا من تقديس الشر وتنزيهه اعلاه واشرفه وقدر لا يرانيه احد
فيه اقول حاصله ان الله خلقه كامل البنية مكملا فاقتضت الحكمة الربانية ان الله لم خلق جسمه
احسن الاجسام وقلبه اقوى القلوب كما ان روحه اعظم الارواح وانورها ولما كان القلب رئيس
الاعضا فقوته بقوي صفاته من الشجاعة والفطنة وغيرها وهذه العلقة جزء سوداوي به يكون القلب
قوي البنية زاهي الثمرة وعليه ينبني كونه كحب العنب والفواكه فبعد نضج ثمرته ينزع عجمه ويرمى
ولكونه سوداوي وردي الاختلاط كان محلا لاقذاء الاوهام والخيال الذي هو كريحان الفكر كالحشيش
النابت بينه يقلعه بقوي فاين فهم انه لم يخلقه الله بدونها حتى يتطهر من دنس الوسوسة وما يقبلها
فلذا لم يشق وقلع وظهر ان كونها حظ الشيطان انها محل حظه لو كان لكنه لم يكن وانما اطلنا هنا لانه سر
من اسرار الله ولله در ابن قرناص الحموي في قوله هم

اما والله لو شقت قلوب • ليعلم ما بها من فرط حب
لارضاك الذي لك في فوادي • وارضاني رضاك بشق قلبي

ثم غسلا قلبي وبطني بذلك الثلج حتى انقياه ولما كان بارض لا ثلج بها غسل بذلك ليعلم
انه من عالم الغيب والجنة ويقال نقاه بالتشديد وانقاه اذا جعله نقيا لطيفا والمشهور الاول
وفي هذا دليل على عصمته قبل النبوة من جميع الآثام والنقائص وكيف يتصور بعد هذا ان يصدر
منه زلة او امر لا يرضي الا سهوا ومثله لا يواخذ به **قال** اي النبي صلى الله عليه وسلم **في حديث آخر**
ثم تناول احدهما اي اخذ من ملك غيره واخرجه من يده واصل المناولة الاخذ من غيره **شيئا فاذا**
بخاتم في يده من نور اي يتلالا ويضي اضاءة زائدة حتى كانه مجسم من النور ففيه مبالغة في
اشراقه كقوله خلق الانسان من عجل وفي رواية انه خيط بخيط وكان يرى في صدره اثر الخياطة
يحار الناظر دونه اي فيما دونه اي اقل منه **بهاء** اي نورا ونفاسة والناظر اما بمعنى الشخص
الذي ينظره ويحتمل ان يراد به العين وانسانها لانه يطلق عليها فعلى الاول المعنى انه يتحير من نوره
من نوره وحسنه في معرفته وعلى الثاني النسبة اليه مجازية والمراد صاحبه او معناه فيبهت
ولا يطرف اخفاه وفيه وفي قوله دونه لانه اذا تحير فيما دونه فكيف به **فختم به قلبي** كما يختم
الكيس والخزانة التي فيها الجواهر وكل نفيس وختمه لئلا يصل اليه ما لا يليق به من الوسوسة
ولئلا يضيع ما فيه وفيه اشارة الى انه خاتم الانبيا وليس هذا ولا اثره خاتم النبوة المذكور في
الحديث حتى يقال انه اختلف فيه هل ولد به او كان حدوثه حين نبي وفي هذا الحديث بيان لانه
كان شق صدره كما توهم والختم حفظ له عن ان يخرج مما احرز شي بغير علمه فلا يرد ما قاله السهيلي

انه ينافي انه يعلم الناس الحكمة وتفجرت من قلبه ينابيع الحكم وفاضت انواره على العالم فامتلا
ايمانا وحكمة وفي تفسيرها اقوال كثيرة والذي صفي منها انه العلم المشتمل على معرفة الله مع البصيرة
وتحقيق الحق والعمل به وفي التعبير بثم هنا خفا لان مقتضى الظاهر ان تقدمه على الختم ولا ترتيبه
عليه فنقول ملاه فامتلا ثم ختمه لانه بعد الختم لا يدخله شي الا ان يأول بانه تبين لي انه امتلا
اللهم الا ان يقال انه دخل فيه نور من الخاتم ملاه بما ذكر ومر ان العلم والحكمة معنى لا يملا غيره فاما
ان يقال انه تجسم او جعل بمنزلته **ثم اعاده مكانه** اي اعاد الخاتم في مكانه الذي كان فيه من
يده او يد غيره وليس الضمير للختم كما توهم حتى يقال انه يشعر بانه كان من اصل خلقته **وامر** بتشديد
الراء المهملة آخره اي مسح والصق بين **الآخر** الملك الآخر **يده على مفرق صدري** بفتح الميم وفتح
الراء وكسرها اي محل الشق والافتراق الذي كان منه فهو بمعناه اللغوي وان اختص عرفا بوسط
الراس وهو مصدر ميمي **فالتام** بهمزة بعد المثناة اي انضم واجتمع حتى لم تبق فرجة من الشق
وفي رواية اخرى ان جبريل قال بعد ما مر **قلب وكيع اي شديد** وفي كتب اللغة تفسيره
بصلب وغليظ والمراد هنا ما ذكره المصنف ومنه نقل العلم **فيه** اي قلبه **عينان تبصران**
واذنان سميعتان لا يخفى ان حمله على ظاهره كما قيل بعيد فالمراد انه شديد الادراك لما يبصر
ويسمع وكون القلب لا يدرك المحسوسات لانه انما يدرك المعقولات لا وجه له فانه يدركها بواسطة
الحواس وفي التعبير عن الاول بالمضارع وعن الثاني بالاسم الدال على الثبوت تفنن وايماء الى ان
الاول لا يكون الا بفعل يحدث منه كالمقابلة وفتح الجفن بخلاف الثاني واسنادهما ليس بمجازي
وهذا كالتعليل لما قبله **ثم قال احدهما** اي الملكين **لصاحبه زنه بعشرة من امته فوزنه**
فوزنتهم الوزن معروف ورجحانه زيادة ما في احدى الكفتين وثقله فينزل الراجح ويعلو
مقابله والمراد بامته من اتبعه وآمن به وهم امة الاجابة او من وجد في عصره وهم امة الدعوة
فمن فسره بالاول يعلم الثاني منه بالطريق الاولى وعدم الاعتداد بغيرهم ويجوز ارادة الثاني
وهذا الوزن الظاهر ان المراد منه مجرد المقابلة بين كماله وكمالاتهم بحسب النظر العلمي ومنهم من
ذهب الى انه على ظاهره وحقيقته وان لم نعرف كيفيته الا انه يحتاج لتاويله لان الامة لم يكونوا
موجودين فقيل المراد منهم ارواحهم فان الله اطلعهم على ذلك ولما ذكروه ليطلع على ذلك ويعلم
منه امته ثم انه وقع في هذا الحديث اختلاف في رواياته ففي رواية ابي ذر ان الوزن قبل الشق
وانه ابتدئ في الوزن بالواحد ثم العشرة واختار المصنف هذه الرواية لان الرجحان بما اودعه الله
فيه بعد اماطة ما لا وزن له عند الله وفيه ايضا انه وضع فيه خاتم النبوة بين كتفيه قال
الشيخ ابن حجر الهيثمي انه وقع في بعض الروايات انه ولد بخاتم النبوة فان الحاكم روى بسند حسن عن
عائشة عن بعض الاخبار انه قال ولد في هذه الليلة يعني ليلة مولده صلى الله عليه وسلم نبي هذه
الامة بين كتفيه علامة فيها شعرات وفيه دليل على انه ولد بخاتم النبوة لكن جاء بسند اصح من هذا
ان الملكين لما شقا صدره ختماه بخاتم النبوة ويمكن الجمع بانهما ختما ذلك المحل الثاني عند الوضع
بعد ختمه اولا اشارة زيادة الاعتنا والتشريف ثم رايت من جمع بينهما بانه في موضعين على الكتف
وبين كتفيه وروي بسند ضعيف انه رفع بعد موته هـ واعلم ان بعض الشراح قال
ان الشق والغسل في ذلك ليس مخصوصا به بل كان لسائر الانبياء لما روي انه كان في تابوت
السكينة الطست الذي غسلت فيه قلوب الانبيا **ثم قال زنه بمائة من امته فوزنني بهم فوزنتهم**
ثم قال زنه بالف من امته فوزنني بهم فوزنتهم ثم قال دعه عنك فلو وزنته بامته لوزنها اي

لعلها في الوزن اي عاد لهم وباب المغالبة معلوم من كتب الصرف وفي هذا الحديث دليل على
انه افضل من جميع الناس واقوام شجاعة وقدرة على الجماع وعلما وفطنة لما اودع في قلبه مما لم يله غيره
قال في الحديث الآخر ثم ضموني الى صدورهم اي عانقوني اظهارا لمحبتهم وتكريمهم وقبلوا راسي
وما بين عيني بتشديد اليا للتثنية وفيه استحباب تقبيل الراس وما بين العينين لمن ينبغي تحيته
واكرامه اظهارا لذلك ثم قالوا يا حبيب بالبنا على الضم واصله يا حبيب الله لن ترع بضم المثناة
الفوقية وفتح الرا المهملة وعين مهملة اي تخف وتحزن وهو مبني للمجهول اي حصل لك من قوة القلب
ما لا يعتريك بمثله خوف من شي والمراد تطمين قلبه بعدما وقع من الشق له ثم استانف جملة مؤيدة لما
قبلها فقال انك لو تدري ما يراد بك من الخير اي ما يريده الله لك من الكمال والخير الدنيوي
والاخروي لقرت عيناك اي لسررت سرورا عظيما وقد مر ان قرة العين الفرح وهو ضد سخنت
فهو بمعنى القر اي البرد لان دمع السرور بارد ودمع الحزن حار او من قر بمعنى ثبت وسكن طرفه لانه
لم يبق له شي فطمح له عينه وينظره وفي بقية هذا الحديث من قولهم اي من قول هولا الملايكة
وهذا موافق لكونهم ثلاثة كما مر ما اكرمك على الله تعجب من رفعته وكرامته عند ربه ان الله معك
وملايكته بعنايته وفضله وليس في قوله من قولهم ما يقتضي انه مشتمل على مقولهم ومقول غيرهم
كما قيل قال في حديث ابي ذر المشهور المذكور اولا وهذا الحديث رواه الدارمي فما هو اي فعلهما
بعد ذلك وما انا فيه وقيل الضمير للشان وهو على حد قولك لم يلبث فلان ان فعل كذا والمراد السرعة
الا ان وليا اي رجعا وانصرفا عني بعد فعلهما ومقالتهما السالفة فكانما ارى الامر
معاينة المراد بالامر هنا ما اكرمه الله به وما سيكرمه به من مقدمات النبوة وارهاصاتها وما
زاد في فطنته وعلمه ولتحققه لذلك جعله كالمحسوس المرئي ببصره وليس المراد به القصة المذكورة
من مشاهدة الملكين وما فعلاه كما توهم وقد اتي بخبط وخلط في تفسيره لا طايل تحته وحكى ابو محمد
مكي وابو الليث السمرقندي وغيرهما تقدمت ترجمتهما والكلام عليهما ان آدم عند معصيته
اي اكله من الشجرة وسياتي الكلام عليه في عصمة الانبيا وهذا الظرف متعلق بقوله قال ومقوله
اللهم بحق محمد اي بما يستحقه عندك من الزلفى والكرامة وهذا الحديث رواه البيهقي والطبراني
عن عمر بسند فيه ضعف وفيه دليل على انه يجوز ان يقول في الدعا بحق الانبيا ونحوه خلافا لمن
افتى من علما العصر انه لا يجوز ان يقال مثله لانه ليس لاحد على الله حق وقد وقع مثله في احاديث كثيرة
ومعناه ما مر اغفر لي خطيئتي وتقبل توبتي فقال الله له من اين عرفت محمدا قال رايت في كل
موضع من الجنة راي هنا بصرية مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله نايب فاعل اسم المفعول
ويروى محمد عبدي ورسولي بدل رسول الله فعلمت بما رايته من كتابته واقتران اسمه باسمك
انه اكرم خلقك اي مخلوقاتك عليك فتاب الله عليه وغفر له ذنبه لتوسله الى الله بحبيبه
وصفيه وبما علمه من ذلك وهذا اي الحديث المذكور عند قايله اي عند من رواه واعتقده وهو مكي
ومن سبق ذكره وليست الاشارة لقول آدم اللهم الخ كما قيل تاويل اي تفسير لان التاويل يرد بمعنى
مطلق التفسير وبمعنى التفسير بمقتضى العربية من غير نقل ما ثور ويكون ايضا بمعنى ما يؤول اليه ويتحقق
به في الواقع وهو اصل معناه قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه وهذا فيه خفا
لان معنى تلقيها من الله اخذها منه بغير واسطة والمذكور انه راها مكتوبة في الجنة فكانه جعل
الهام الله الدعا بها بمنزلة تلقيها عنه وقيل انه على قراة ابن كثير بنصب آدم ورفع كلمات ومعنى تلقيها
استقبالها باخذها والعمل بها حين علمها واشار بقوله عند قايله الى ان فيه اقوالا اخر فقيل الكلمات

2-3

المتلقاة هي ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وقيل اللهم
لا اله الا انت سبحانك وبحمدك اني ظلمت نفسي فاغفر لي انك خير الغافرين اللهم لا اله الا انت
سبحانك وبحمدك اني ظلمت نفسي فتب علي انك انت التواب الرحيم فسقط ما قيل انه ليس فيه على
هذه الرواية تلق من الله والكتابة لا تسمى كلمات الا مجازا ولا قرينة تدل عليه قيل وفيه دلالة
على ان آدم كان يعلم الكتابة وسؤال الله له من اين الخ ليس استفهاما لعلمه به وانما هو تشريف
له بخطابه وليبين له فضيلة محمد عقبه وفي رواية اخرى فقال آدم لما خلقتني رفعت
راسي الى عرشك فاذا فيه مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله فيه خبر مقدم ومكتوب مبتدا
مؤخر صفة شي مقدر ولا اله الى اخره بدل منه او هو مبتدا مكتوب خبره وفي النسخ وفي رواية
الآجري بالمد وضم الجيم وتشديد الرا المهملة ويا النسبة للآجر المعروف وهو الامام القدوة
ابو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله البغدادي مصنف كتاب الشريعة شيخ ابي نعيم سكن مكة وتوفي
بها في المحرم سنة ستين وثلاثماية وفي نسخة رواية اخرى فعلمت انه ليس احد اعظم قدرا
عندك ممن جعلت اسمه مع اسمك ملازما لمقارنته قيل هذا في الرواية الاولى ظاهر اذ
فيها في كل موضع واما هنا فهو في موضع واحد واجيب بانه يحتمل ان الرواية الاولى زيادة
على هذه وتركها ليلا يتكرر ولا يخفى بعده ولا حاجة الى ما فهمه من لزوم المقارنة بل المقارنة
في هذا المحل المعظم تكفي فيما قاله قلت ومن هذا الحديث يؤخذ ان كتابة اسما الله في سقوف
المساجد وغيرها غير مكروه كما توهم فاوحى الله اليه وعزتي وجلالي انه لآخر النبيين
من ذريتك ولولاه ما خلقتك فروحه مخلوقة قبل الارواح والانبيا كلهم خلقوا لاجله وهو
سبب لوجودهم فهو اب معنوي لهم وكلهم ابناعه في الوجود قيل قوله فاوحى الله اليه يقتضي
ان هذا الخطاب وحي لا مشافهة وقوله لما خلقتني قبله يدل على خلافه وقد يقال انه خاطبه
اولا واوحى اليه بعد ذلك مع ان الداعي يخاطب ربه فان لم يخاطبه فلا يدل كلامه الاول
على ان كلام الله معه بدون وحي وكان آدم يكنى بابي محمد وبابي البشر كما رواه البيهقي
عن علي مرفوعا والثاني اشهر تنبيه قوله لولاه خلاف اللغة فانها في الاكثر يليها ضمير رفع
منفصل يحذف خبره وجوبا اذا كان عاما وقد يكون مخصوصا فيذكر على قول ويليها ضمير مجرور
صورة كما هنا قليلا فيقال لولاي ولولاك ومنعه المبرد واجازه غيره فقيل انها حرف جر
وقيل انه نايب عن المرفوع وان اتصل بغير عامله ومنعه سيبويه لمنع النيابة في غير الضماير
المنفصلة وغيره يجيزه مع الحروف والافعال وعليه الزمخشري وروي عن سريج بن يونس
بضم السين المهملة وفتح الرا المهملة ويا تحتية وجيم وصحفه بعضهم بشين معجمة وحا مهملة
وهو غلط وهو ابو الحارث البغدادي امام الحديث توفي سنة خمس وثلاثين وماتين وروى
له مسلم والبخاري انه قال ان كان الضمير للنبي صلى الله عليه وسلم لانه معلوم من السياق
فهو ظاهر وان كان لسريج فهو في حكم المرفوع لان مثله لا يقال بالراي ان لله ملايكة سياحين
من السياحة من ساح الما اذا جرى ثم شاعت في السير الطويل والمشي في الارض والسير
من غير قصد معين للنظر في مصنوعات الله وكونه لك عبادتها اي الملايكة وانثه نظرا
لظاهر لفظه او لتاويله بطايفة وعبادة بيا موحدة ففيه مضاف مقدر اي حفظ كل دار
فيها من اسمه احمد او محمد او دخول كل دار ونحوه وضبط بيا مثناة من تحت والمراد بالعبادة
الزيارة وقدم احمد لانه سمي به قبل محمد ولانه معروف به عند الملايكة او للترقي اكراما منهم

جوده

ي

حين

اي زيادتهم لاجل الاكرام وقال منهم لئلا يتوهم انهم اتوا باكرام من غيرهم وانهم رسل في
ذلك والا فهو حسن واهل المدينة يقولون كل دار فيها من اسمه محمد يوسع الله رزقهم وهو عن
تجربة منهم وقيل هذا لا يختص بهذين الاسمين بل كل من تسمى باسم من اسمائه كذلك وفيه نظر وروي
ابن قانع القاضي بقاف ونون بعد الف وعين مهملة وهو عبد الباقي بن قانع بن مرزوق
الاموي البغدادي صاحب معجم الصحابة وكتاب القوم وترجمته في الميزان وهو ثقة في الرواية
الا انه قيل انه تغير في آخر عمره وتوفي سنة احدى وخمسين وثلثمائة قال البرهان كان على
المصنف ان يذكر بقية السند من ابن قانع الى قوله عن ابي الحمرا حتى نعرفه ونعرف ابا الحمرا واعتذر
بانه لم يلتزم الاسناد في كتابه وانما اشترط ما صح عنده واشتهر والظاهر انه استغنى عنه بروايته
عن ابن قانع لانه ذكره مسندا فيه وقد اسنده الطبري ايضا وفي بعض النسخ ابن نافع بالفا وهو
الفقيه صاحب مالك وهو وهم وتحريف وابو الحمرا بحاء مهملة وميم وراء مهملة ممدود قال
البرهان ولا يعرف من المراد به فان ابا الحمرا الصحابي مولى رسول الله اسمه هلال بن الحارث
او ابن ظفر اخرج له ابن ماجه حديثا غير هذا وكان بحمص وقال يقال له صحبة ولا يصح حديثه ومن
الصحابة ابو الحمرا مولى عفرا البدري ولا تعرف له رواية ولا يعرف في التابعين من اسمه
ابن الحمرا ولا فيمن بعدهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اسري بي الى السما اذا
هي فجائية اي صادفت فجاءة على العرش مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله العرش في اللغة
سرير الملك وعرش الرحمن غير السموات وهو سقف الجنة وهل هو الكرسي او غيره فيه اختلاف
ليس هذا محله وكون اسمه مكتوب مع اسم الله على العرش وفي الجنة ورد في احاديث كثيرة والظاهر
ان النبي عرف تلك الكتابة بالهام من الله او بذكر جبريل لها او غيره من الملائكة قالوا لا هذا
اسمان مكتوب بهما فلك تعالى انه امي لا يقرا ولا يكتب ايدته بعلي في حياته لما له من الصحبة
القديمة والآثار العظيمة وفي غزواته معه والتاييد التقوية والنصر فلا يلزم منه التفضيل
على غيره من الخلفا كابي بكر وعمر ولا ان تاييده له اعظم ولعل لتخصيصه هنا وجه لا يقف عليه الا
الانفس القدسية وفي التفسير اي في كتبه ولم يعين المنقول عنه لوجوده في كثير منها عن ابن عباس
رواه الخطيب عن مالك وورد مرفوعا عن ابي ذر واخرجه البزار موقوفا على علي وعمر والبيهقي
في الشعب في تفسير قوله تعالى وكان تحته اي الجدار الذي اقامه الخضر كنز لهما لليتيمين
قال ابن عباس المراد بالكنز وهو المال المدفون لوح من ذهب فيه مكتوب عجبا منصوب بفعل
محذوف وجوبا اي اعجب عجبا واللوح بفتح قيل وقد يضم صحيفة مبسوطة لمن ايقن بالقدر
اي تيقن قضا الله وقدره وانه لا يكون الا ما قدر وما قدر لا بد ان يكون ولتضمنه معنى امن
عداه بالبا واليقين الاعتقاد الجازم كيف ينصب بفتح اوله وثالثه من النصب بصاد
مهملة وهو التعب والاستفهام للتعجب لا انكاري اي كيف يتعب نفسه في تحصيل رزقه
وما قدر له لا يتخلف عنه مقدار ذرة ولحظة وللقاضي ناصح الدين الارجاني

يا قلب تخل من هموم وشجون • بادر فرص الزمان من قبل يخون
لا تاس فان حملك الهم سجون • ما قدر ان يكون لا بد يكون

عجبا لمن ايقن بالنار كيف يضحك اي من تيقن وجود النار وعلم انه لا يخلو من زلة يعاقب
عليها فكيف لا يخاف منها ويكون ضاحكا مسرورا وهو لا يعلم اشقي هو ام سعيد والموت اقرب
له من حبل الوريد عجبا لمن يرى الدنيا وتقلبها باهلها اي تغير احوالها في كل حين قال

لا تغتر

الراغب التقلب التصرف قال تعالى او ياخذهم في تقلبهم فالبا بمعنى في او مع اي تصرفها
في اهلها او تغيرها وتغيرها كيف يطمئن اليها بعد ما راى منها وشاهد انا الله
لا اله الا انا فله الحكم والامر وبيده كل شيء في قبضة تصرفه محمد عبدي ورسولي ارسلته
للناس كافة وهذا التفسير يشعر بانه حديث قدسي اوحاه لبعض انبيائه وقد ذكره القرطبي
في تفسيره بهذا اللفظ عن ابن عباس انه كان لوحا من ذهب مكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم
عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن عجبت لمن يؤمن بالرزق كيف ينصب عجبت لمن آمن بالموت
كيف يفرح عجبت لمن آمن بالحساب كيف يغفل عجبت لمن عرف الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها
لا اله الا الله محمد رسول الله انتهى وعجب في هذه الرواية مرفوع بالابتدا كسلام عليكم وهذه
رواية عطا عن ابن عباس وقيل الكنز مال وقيل غير ذلك وعن ابن عباس انا الله لا
اله الا انا محمد رسول الله من قالها اي من نطق بكلمة الشهادة مؤمنا مخلصا لا اعذبه
وان ارتكب الذنوب وهذا كقوله لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا وقد
ورد مثله كثيرا في الاحاديث الصحيحة وذكر انه وجد بالبنا للمجهول فيهما ولم يذكر فاعلهما
لعدم وقوفه عليهما ولا ينافي هذا انه ذكر هنا ما صح واشتهر لانه باعتبار الاغلب وكونهما
مبنيين للفاعل والضمير المستتر لابن عباس كما قيل يحتاج لنقل على الحجارة القديمة
اي الموجودة قبل عصر النبوة لان الكتابة لو كانت جديدة بخط هذه الامة لم تكن دالة على
ما نحن فيه مكتوب محمد تقي اي ممتثل الاوامر الله مجتنب لنواهيه مصلح لجميع الناس
بهدايتهم لكل خير وسعادة وللدنيا بعدله وسيد امين على الوحي وغيره كما تقدم وذكر
السمنطاري بسين مهملة مكسورة وميم مكسورة ونون ساكنة وطا مهملة بعدها الف
ورا مهملة ويا نسبة مشددة قال صاحب القاموس في تاريخ المدينة انه نسبة لسمنطار
قرية في جزاير العرب وقيل هو الذهبي بلسان اهل المغرب وهو ابو بكر بن عتيق بن علي
احد عباد الجزيرة وزهادها وله كتاب الرواة في اثني عشر مجلدا كبيرا لم يسبق لمثله ومنه
نقل المصنف هذا الحديث انتهى وقال التلمساني انه من الاجلة وله تآليف في فنون من العلم فمن
قال لم ار له ترجمة ونحن في غنية عما نقل عنه من العربية فقد شهد على نفسه بعدم الاطلاع
انه شاهد في بعض بلاد خراسان هو اقليم معروف قيل وقد تسكن راؤه وتحذف
الفه في الزاهي لابن الانباري انه مطلع الشمس لان خر بالفهلوية معناه الشمس انه شاهد
مولودا ولد اي حين ولادته وخروجه من بطن امه فلا يتوهم ان وصف المولود بانه ولد من
اللغو وعلى احد جنبيه اي شق بدنه وصفحته مكتوب لا اله الا الله وعلى الآخر محمد
رسول الله وذكر الاخباريون المراد بهم المؤرخون الذين لهم اعتبار باخبار الامم السابقة
ولما كان الاخبار جمع خبر وهو عام خص بهذه الامة الطائفة نسب للجمع لمشابهته العلم
كانصاري وانصاري ولولا هذا رد في النسب لمفرده كسائر الجموع المنسوب اليها انه ببلاد
الهند ورد احمر مكتوب عليه بالابيض لا اله الا الله محمد رسول الله اي مكتوب فيه
بلون ابيض عكس المشهور من كتابة الالوان في البياض للدلالة على انه ليس من صنع البشر
وهذا كقول الابي صيري في مطلع قصيدة له هي

كتب المشيب في بابيض في اسود • بغضا للعين الحسان الخرد

وقد ذكر ابن العديم في تاريخه حكايات كثيرة منها انه وجد ببلاد الهند مثله في الثمار والاوراق

لفة

وان الصيادين رأوا مثله في السمك . واعلم ان ما اشتهر من ان الورد الاحمر خلق من عرق
النبي او من عرق جبريل موضوع كما نقله ابن حجر عن النووي والذهبي وابن عساكر وما في
الفردوس من ان الورد الابيض خلق من عرقي ليلة المعراج والورد الاحمر خلق من عرق جبريل
والاصفر خلق من عرق البراق وعن انس مرفوعا قال لما عرج بي الى السماء بكت الارض من بعدي
فنبت اللصف وهو الكبر من نباتها فلما ان رجعت قطر من عرقي على الارض فنبتت وردا
احمرا الا من اراد ان يشم رائحتي فليشم الورد الاحمر والورد كما قاله ابو حنيفة الدينوري
نور كل شجرة وزهر كل نبت ثم خص هذا الورد المعروف فقيل للاحمر الحوجم وللابيضة الوتر
وفي شرح سقط الزند الورد ما يضرب الى الحمرة يقال اسد ورد وعنبر ورد ودم ورد
اي احمر والورد المشموم ليس بعربي في الاصل الا ان العرب تسمي الزهر وردا انتهى وعن
ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم قال اذا كان يوم القيمة ينادي مناد في الموقف الا من
كان اسمه محمد فليدخل الجنة كرامتي وفي رواية يقول الله له عبدي اما تستحي مني اذ
عصيتني واسمك محمد وانا استحي ان اعذبك واسمك اسم حبيبي اذهبوا به الى الجنة
والى هذا اشار في البردة بقوله ه

فان لي ذمة منه بتسميتي • محمدا وهو اوفى الخلق بالذمم •

وروى جعفر بن محمد هو جعفر الصادق وقد تقدمت ترجمته ومحمد هو محمد الباقر وقد
تقدم ايضا **عن ابيه** ابو محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب **اذا كان** هي تامة يعني
وجد **يوم القيمة نادى مناد** من الملائكة يأمر الله بالنداء بقوله **الا ليقم من اسمه
محمد** الا حرف استفتاح وتنبيه والمراد بالقيام الانفصال عمن معه ليمتاز عن غيره
ممن لم يسم بهذا الاسم كما ان من قام عند قوم جالسين يتميز عنهم فهو استعارة او مجاز مرسل
اريد به لازمه او كناية وليس هذا امرا بتحويل الاموات قبل احيائهم اي ليقوموا من قبورهم
او لمن قعد في ارض المحشر لما عرض له من الاهوال وطول القيام فانه بعيد من السياق
ويأباه قوله **فليدخل الجنة** لانه مؤمن شرفه الله بهذا الاسم اذ لم يعهد تسمية احد من الكفار
به بعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم **لكرامة اسمائه عليه الصلاة والسلام** وهذا
من تتمة او من كلام النبي ولم ينقل باسمي الثقات او عن جبريل او هو مدرج فيه من كلام جعفر
وعلى الاول هو من كلام المنادي وليس هذا مما يقال بالرأي فهو حديث له حكم الرفع ولما قيل
من انه يؤدي الى الاتكال وعدم العمل مما لا يلتفت اليه وقد تقدم تحقيقه قريبا **وروى
ابن القاسم** فقيه مصر عبد الرحمن بن القاسم بن خالد بن جنادة صاحب مالك وراوي
الموطا عنه وهو من الثقات توفي سنة احدى وتسعين ومائة **في سماعه** كتاب له
في مسموعاته عن شيوخه **وابن وهب** ابو محمد عبد الله بن وهب تفقه بمالك وروى
عنه وعن غيره كابن دينار والليث بن سعد وصنف الموطا الكبير والموطا الصغير وكان
اسن من ابن القاسم بثلاث سنين وعاش بعده خمس سنين **في جامعه** وهو اسم كتاب له
الفه على الابواب بخلاف ما الفه على الصحابة فانه من المسانيد **عن مالك** محيي السنة
وامام دار الهجرة الامام المشهور **قال سمعت اهل مكة يقولون ما من بيت فيه اسم محمد**
اي مسمى باسمه والمراد ظاهره لانه لا يكون الاسم بدون مسماه **الا نمي** اي زاد ذلك البيت
بكثرة الاولاد والاهل فيه وزادت البركة فيه **ورزقوا** اي زاده الله رزقهم ببركة ذلك الاسم

وفي نسخة

وفي نسخة وقوا من الوقاية اي حفظهم الله من كل سوء واسم محمد يحتمل ان يكون اضافته بيانية
اي اسم هو محمد فيختص بهذا الاسم او لانه اي اسم من اسماء هذه الذات فيشمل جميع اسمائه وفي
نسخة ورزق جيرانهم جمع جار وهو لغة الملاصق وشرعا الى اربعين دارا ويحتمل ارادة هذا
ايضا لان بركته تعم جميع الدنيا **وعنه صلى الله عليه وسلم** في حديث مرفوع مسند كما قاله
السيوطي وذكره بسنده **ما ضر احدكم** ما نافية واحدكم مفعول ضر و**ان يكون في بيته محمد
ومحمدان وثلاثة** في بيته فاعله في محل رفع ولا يصح كونها موصولة ونفي الضرر المراد به
وجود النفع ولكن هذا يستعمل للحث يعني لو لم يكن فيه ضرر كفى سببا لوجوده فكيف وفيه نفع
عظيم واي نفع ويجوز ان تكون استفهامية وان تكون مجرورة بحرف مقدر اي اي شيء حصل
له من الضرر لكونه في بيته وتوهم بعضهم انه لا يصح لان ان تكون فاعله فتبقى الجملة التي
هي خبر عن ما بلا عائد وعندي انه احسن لقول الناس ما ضرك لو صليت لمن ترك الصلاة
وهذا حث عظيم حتى لا يتركه الا لمانع وضرر والاستعمال عليه وكون الضرر باعتبار الاشتراك
في تعدد المسمى باسم واشباهه مما لا يلتفت اليه **وعن عبد الله بن مسعود** في حديث رواه
احمد والبزار والطبراني بسند رجاله ثقات وفي بعض النسخ **وعن علي رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اجتمع قوم في مشورة** بفتح الميم وضم الشين المعجمة
ويجوز سكونها اي في امر يتشاورون فيه **معهم رجل اسمه محمد لم يدخلوه في مشورتهم الا لم
يبارك لهم رواه جماعة منهم ابن عتاب** لان من يسمى به يبارك الله فيه ويلقنه الرأي
السديد ببركته ومن اعرض عنه كان بضد ذلك **وعن عبد الله بن مسعود** هو وان كان
موقوفا له حكم الرفع لان مثله لا يقال من قبل الرأي كما اتفق عليه في مصطلح الحديث اكثر
المحدثين **ان الله نظر الى قلوب العباد** وما فيها من العقل وقيل المراد ارواحهم لان القلوب
تطلق عليها **فاختار منها قلب محمد** اي اصطفاه وارتضاه **فاصطفاه لنفسه** اي جعله
صفيا له مقربا مختصا به لا تعلق له بغير الله في ظاهره وباطنه ولذا جعله محلا لسره ه
ومبلغا لاوامره ونواهيه وهذا كله على طريق التمثيل فهو استعارة اي عامله معاملة عظماء
الملوك الذين ينتخبون من الناس من يكون وزيرا محترما لاسرارهم والمراد انه وجده وقلبه
اشرف مما عداه فلما كان مقربا عنده وخليفة له وفيه اطلاق النفس على الله من غير مشاكلة
كقوله تعالى ويحذركم الله نفسه وادعاء انه مشاكلة تقديرية تكلف فقول اهل المعاني انه لا
يطلق عليه الا مشاكلة كقوله تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك غير صحيح وجمع بين القولين
بعض المحققين فقال النفس لها معنيان الذات وهذا يصح اطلاقه من غير مشاكلة والجسم
وما يلزمه من النفس اللوامة والامارة وهذا لا يطلق عليه الا مشاكلة **وحكى النقاش**
ابو بكر محمد بن الحسن المفسر المشهور وقد تقدمت ترجمته **ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت
آية وما كان لكم** اي لا ينبغي لكم ولا يحل ويجوز **ان تؤذوا رسول الله** باي اذية كانت
ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده اي بعد موته **ابدا** لان حرمتهن مؤبدة وهن امهات المؤمنين
حتى قال الشافعي من استحل ذلك كان كافرا لانه حي لم تزل عصمته عنهن وهن معه في الجنة
وكسوتهن ونفقتهن من بيت المال . وسبب نزول هذه الآية ان بعض المنافقين قال ان
مات تزوجت عائشة وما قيل ان القائل طلحة احد العشرة المبشرة بالجنة وانه ندم وحج ماشيا
واعتق رقبة وحمل على عشرة افراس في سبيل الله كفارة لمقالته فلا يصح لان مثله لا يصدر

عنه مثل ذلك بل من دونه بطبقات **قام خطيبا** على عادته فيما اذا بلغه ما لا يعجبه واراد اعلام الناس **فقال** في خطبته **يا معشر اهل الايمان** المحسن الجاعة **ان الله فضلني عليكم تفضيلا** عظيما تفضل به على الامة **وفضل نسائي على نسائكم الحديث** لانهن افضل من جميع نساء عصره وفي فضل بعضهم على بعض كلام ليس هذا محله واشار به الى عدم كفاءة احد لهن وان كان الله خصه بانه لا يجوز نكاح زوجاته لسائر ○

فصل في تفضيله بما تضمنته كرامة الاسرا

اي ما اشتملت عليه قصة الاسرا ووقع في ضمنها مما فضله الله به على سائر الرسل والمراد ما اكرمه الله من خارق العادة وليس المراد به ما يقابل المعجزة فانه من اعظم معجزاته وقد اعلم به وبما فيه من قصته ولك ان تقول المراد به ظاهره لانه امر لا يطلع على عين وما هو كذلك للتحدي به ولذلك عبر المصنف عنه بالكرامة والبا للتعدية او السببية والاسرا مصدر اسرى ويقال سرى واسرى اذا سار ليلا واختلف فقيل هما بمعنى وقيل بينهما فرق وقيل اسرى سار من اول الليل وسرى سار في آخره وقيل العرب تقول سرى ليلا اذا سار بعضه واسرى ليلة اذا سار جميعها ولا يقال اسرى ليلا الا اذا وقع سيره في اثنائه فاذا وقع في اوله قيل ادلج فمعنى اسرى بعبده ليلا انه في وسطه واسرى متعد ومفعوله محذوف هنا اي اسرى البراق وقيل انه لازم كسرى وانهما متغايران معنى كما مر ولفظا لان سرى من السرى واسرى من السراة وهي الظهر فمعنى اسرى ذهب به في سراة الليل اي ارضه وهي ظهرها كذا في المفردات ويدل على تغايرها اتفاقهم على التعبير بالاسرا هنا دون السرى واتفاقهم على القراءة به فصار معناه سيره الى بيت المقدس فالاسرا غير المعراج كما سيأتي ثم بين تضمنه بقوله **من المناجاة** وهي الكلام سرا لان السر يقال له نجوى وتختص المناجاة في العرف بكلام العبد مع ربه كمناجاة موسى **والرؤية** اي رؤيته لربه بعين بصره او رؤيته لما في الملا الاعلى من العجائب ورأى اذا كانت بصرية مصدرها رؤية واذا كانت حلمية مصدرها رؤيا واذا كانت اعتقادية مصدرها رأي وقال السهيلي الرؤيا تكون بمعنى الرؤية ايضا في كلام العرب وعليه قول المتنبي ○ ورؤياك احلى في العيون من الغمض ○ وله سؤال هل فلا يرد عليه شيء كما توهم وما يقوله بمنزلة ما يرويه **وامامة الانبيا** اي صلاته بالانبياء اماما لهم فانه يدل على تفضيله ولذا استدل على تقديم ابي بكر بتقديم النبي له في الصلاة في مرض موته وقالوا لا نرضى لدنيانا الا من رضيه النبي صلى الله عليه وسلم لديننا **والعروج به الى سدرة المنتهى** العروج بمعنى الصعود في جهة العلو وفعله عرج يعرج كقتل يقتل وفي الحديث عرج بي بفتحتين وقال المصنف الله بفتح العين وكسر الراء ومنه المعراج والمعرج بكسر الميم وهو السلم ذو الدرج وجمعه معارج ومعاريج وللسماء معراج يصعد فيه ارواح الموتى وهو الذي يشخص اليه بصر المحتضر لما يرى من نوره وحسنه فاذا رآه لم يتمالك روحه ان يخرج وبه يصعد الملائكة بالاعمال وبه فسر قوله ذي المعارج والاسرا سيره لبيت المقدس والمعراج صعوده للسما وهو مصدر ميمي او اسم السلم اطلق عليه او فيه مقدر ~~والمعراج صعوده للسماء وهو مصدر~~ وقد يطلق الاسرا على جميع الاسرا والمعراج ويطلق المعراج على ذلك مجازا قيل انه تغليب وفيه نظر والسدرة شجرة معروفة وهي شجرة

النبق

النبق وقيل للتي في الجنة سدرة المنتهى وهذه الشجرة في السما السابعة وقيل انها في السادسة وجمع بينهما ويغشاها نور من الله وفراش من ذهب يسير الراكب في ظلها ماية عام ويخرج من اصلها انهار وقيل لانه ينتهي اليها علم الخلايق فلا يعلم او تنتهي الملائكة فلا تتجاوزها وقيل لان من وصل اليها انتهى لاقصى الكرامة الى غير ذلك من الاقوال **وما راى من آيات ربه الكبرى** ما موصولة عايدها مقدر اي رآه او مصدرية والكبرى مفعول رأى ومن آياته بيان مقدم عليه او هو صفة لآياته ومن تبعيضية او زائدة وآيات الله كل ما رآه مما يدل على عظمته كرؤية جبريل على صورته الاصلية او ما يغشى السدرة من الانوار التي لا يمكن النظر اليها ولا وصفها وقيل هو رفرف اخضر سد السما والرفرف يسمى بالفارسية سماسان وقيل انه بساط **ومن خصايصه صلى الله عليه وسلم** اي ما خصه الله به من دون الانبيا مع ما له من المعجزات التي تساوي معجزات سائر الانبيا كما فصل في محله **قصة الاسرا وما انطوت عليه** اي احتوت عليه وتضمنته **من درجات الرفعة** اي العلو في الرتبة والدرجة المرقاة الحسية فشبه ما اعطيه من المراتب المعنوية بالمراقي الحسية واستعار لها اسمها استعارة مصرحة **مما نبه عليه في كتابه** في سورة الاسرا وسورة النجم **وشرحته** اي كشفته وبينته **صحاح الاخبار** وفي بعض النسخ صحاح الاخبار وكلاهما جمع صحيح قال في القاموس يقال صح يصح فهو صحيح وقوم صحاح بكسر الصاد وصحايح انتهى وصحاح بكسر الصاد بمعنى صحيح او مصدر بمعنى الصحة وهو من اضافة الصفة للموصوف اي الاخبار الصحاح وهي ما رواه الثقات بسند متصل وسلم من الشذوذ والعلة القادحة كما فصل في مصطلح الحديث **قال تعالى سبحان الذي اسرى بعبده الآية** وسبحان منصوب على المصدرية وهو علم جنس لمعنى كفجار وغدوة فاذا اضيف قصد تنكيره فان علم الجنس منكر كعلم الشخص وانكره بعضهم بناء على انه غير معين فلا يتصور تنكيره ~~فان علم الجنس منكر كعلم الشخص~~ وعلى العلمية هو ممنوع من الصرف فاذا نكر صرف وانكر بعض النحاة علميته وخطا من قال به كما ذكره ابو علي في تذكرته والكلام فيه طويل الذيل فسبحان مصدر بمعنى التسبيح والتنزيه او اسم مصدر وابتدا السورة والقصة به لانه لما ذكر الاسرا والرؤية ربما توهم ان الله في جهة فنزهه عن ذلك وهي مع التنزيه تدل على التعجب ولما كان يوم في الاسرا نزه الله عن الكذب وعجب عباده من استبعد لمثله ○ ومما انعم عليه من النعم التي خصه بها قيل ويحتمل ان تكون بمعنى الامر اي سبحوه تسبيحا ○ وقال ليلا اي في مدة قليلة ولذا ذكره ونكره مع ان السرى يختص به ○ وقال بعبده لان صفة العبودية اشرف الصفات واضافه له تشريفا وايماء الى انه محترم لدخول سرادق الفردوس والمسجد الحرام يخص المسجد نفسه ويكون لمطلق الحرم وكل منهما صحيح هنا والاسرا وقع به كان من الحجر وهو نايم به ○ وروي انه كان في بيت ام هاني وجمع بينهما بان جبريل اتاه في بيت ام هاني فايقظه وذهب به الى الحرم ثم تباطا بجبته فنام في الحجر والمسجد الاقصى بيت المقدس سمي به لبعده عن المسجد الحرام وضمير انه هو لله اي هو السميع لما قيل في حقه والبصير المطلع على احواله وقيل انه للنبي صلى الله عليه وسلم اي هو السميع لكلام ربه المشاهد لآياته **وقال والنجم اذا هوى الخ** الواو للقسم والنجم عام لكل نجم او المراد به الثريا لغلبته عليه او المراد به نجوم القرآن المنزلة عليه وهوى بمعنى غرب او انقض او طلع او نزل عليه وقيل واقسم به لوقوع ذلك ليلا وله ان يقسم بما شاء او التقدير ورب النجم والكلام عليه مبسوط في التفاسير اذا علمت ما ذكر من النص **فلا خلاف بين المسلمين في صحة الاسرا به عليه الصلاة والسلام**

بحسب النقل الشاهد له العقل والمسلمون مجمعون عليه وانما اختلفوا في كونه يقظة أو مناما
كما سيأتي **إذ نص القرآن** تعليل لعدم وقوع الخلاف فيه بعد نص القرآن الذي لا يجحده مسلم
وجاءت بتفصيله بعد ما اجمله النص **وشرح عجائبه** الواقعة فيه **وخواص نبينا محمد صلى الله**
عليه وسلم فيها اي ما خصه الله به في الاسرا **احاديث كثيرة منتشرة** وفي نسخة اخبار كثيرة
ومعنى منتشرة انها متفرقة في كتب الاحاديث باسانيد مختلفة **رأينا** من الرأي وهو النظر
والتدبر في الامور المهمة بعد ما رأينا جمعها يطول ويعسر **ان نقدم الحديث الذي هو**
اكملها اي اجمعها لهذه القصة واصحها والمراد بتقديمه اختياره كما في قولهم

فقلت له تبك نعمي اتمهما • ولا تمتنن ان المهم المقدم

وهذا رواه مسلم فلهذا جعله اصح من غيره واما على راي المغاربة من انه اصح من مسلم **ونشير**
الى زيادة من غيره من غير هذا الحديث وقفنا روايتها لغير مسلم وهي مهمة **يجب ذكرها حدثنا**
القاضي الشهيد ابو علي هو الحافظ ابن سكرة وقد تقدمت ترجمته **والفقيه ابو بكر بن العاص**
الامام المشهور **بسماعي عليهما** اي بسماعي ممن يقرا عليهما فان حدثنا يختص بالسماع عند الجمهور
وبعضهم جعلها تشمل السماع وغيره فذكر المصنف هذا الدفع توهم غيره **والقاضي ابو عبد الله**
التميمي وهو محمد ابو عبد الله بن عيسى التميمي استاذ المصنف الذي تفقه عليه والمد اشار بقوله
وغير واحد من شيوخنا والشيخ في الاصل معناه الكبير سنا ثم صار في العرف اسما لمن يقراه
علية الناس وتستفيد منه لانه في الاكثر لا يصل لهذه المرتبة الا من كبر سنه وكان في العصر
الاول يقال لابي بكر وعمر شيخا الاسلام كما ذكره السخاوي **قالوا حدثنا ابو العباس العذري**
بضم العين المهملة وسكون الذال المعجمة والراء المهملة نسبة لبني عذرة قوم من العرب
مشهورون وفي بعض النسخ بواو بدل الراء وهو تحريف من الناسخ **حدثنا ابو العباس الرازي**
تقدمت ترجمته **حدثنا ابو احمد الجلودي** تقدمت ترجمته وانه يجوز فيه ضم الجيم وفتحها
حدثنا ابن سفيان تقدمت ترجمته **حدثنا مسلم بن الحجاج** صاحب الصحيح الامام المشهور
حدثنا شيبان بن فروخ بفتح الفاء وتشديد الراء المهملة المضمومة وواو ساكنة
وخاء معجمة وقال ابن حجر في التبصرة انه بالدال والذي نعرفه في لغة العجم انه بالواو
فان صح ما قاله فلعله تغيير بعد التعريب ومعناه السعيد طالعه وهو علم غير منصرف
للعلمية والعجمة وقول البرهان انه ضبط في بعض النسخ بالتنوين خطا لا ينبغي ذكره وكذا
قول التلمساني انه يصرف ولا يصرف وصرفه اكثر وقال صاحب العين انه اسم لابن ابراهيم
الخليل وهو ابو العجم كما في المطالع ونقله النووي في شرح مسلم وتبعه صاحب القاموس
وهو ابو محمد الحنظلي الابلي روى له اصحاب السنن وهو امام ثقة توفي في سنة خمس وثلاثين
ومايتين وترجمته في الميزان **حدثنا حماد بن سلمة** بن دينار احد اعلام المحدثين وهو ثقة
صدوق لكنه قد يغلط توفي في سنة سبع وعشرين ومائة وترجمته في الميزان **حدثنا ثابت**
البناني بضم البا الموحدة نسبة لحي من العرب يقال لهم بنانة ونونه مخففة وهو ابن
اسلم راس العلماء العابدين في عصره توفي سنة سبع وعشرين ومايه وعمره ستة وثمانون
وهو ثقة ثابت كاسمه اخرج له اصحاب الكتب الستة وله ترجمة في الميزان **عن انس بن مالك**
صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم **ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتيت بالبراق**
بزنة غلام وهو من دواب الجنة سمي به لشدة بريقه ولمعانه او لسرعته كالبرق الخاطف

وهو دابة

وهو دابة اي على صورتها وهي في عرف اللغة ذوات الاربع واصل معناها وضعا كل ما
يدب اي يتحرك ويمشي على وجه الارض من ذوات الارواح وهو يذكر ويؤنث **ابيض طويل فوق**
الحمار ودون البغل في الجثة وابيض خبر بعد خبر لا صفة دابة وطوله باعتبار ما بين
عنقه وذنبه لانه اعون في مد خطوه وليس المراد طول قوائمه وقيل انه بادي البشرة
خده كخد الانسان وعرفه كالفرس وقوائمه كالابل واظلافه وصدره كالبقر وصدره ياقوت
لا يشبه الدواب قال ابن المنير في المقتفى انما اتى له بالبراق تانيسا له وتجربة على العادة مع
ان الله قادر ان يرفعه بغير شيء واظهارا لكرامته فان عادة الملوك اذا دعوا من يحبونه بمقول
له بمركوب في وفادته ولم يكن على شكل الفرس تنبيها على انه حال سلم لا حال حرب واظهارا
في اسراعه للعجب وليس شكله مما يوصف بالسرعة عادة ولذا ركب البغل في حنين اظهارا للثبات
وشجاعته وتساوي الحرب والسلم وبغلته بيضا ايضا كالبراق قال ابن المنير اي شهبا
والاشهب المايل الى البياض والشاة البرقا هي البرقا البيضا ومنه البراق ويجوز الجمع في التسمية
بين البياض واللمعان والسرعة **يضع حافره عند منتهى طرفه** الحافر مجاز كالمشفر
فان الحافر لا يطلق لغير الخيل ونحوها وهذا ظلف كما للبقر لكنه لقربه من البقر سماه حافرا
ومنتهى مصدر بمعنى الانتها والطرف العين والمراد به النظر ولا يلزمه ان يصل الى السما بخطوه
كما توهم **قال** صلى الله عليه وسلم **فركبته حتى اتيت بيت المقدس** بفتح الميم وكسر الدال
المخففة وتقدم انه يجوز ضمها وفتح الدال المشددة وانه من التقديس وهو التطهير واختلف
هل ركب جبريل معه ام لا فقيل ركب معه لانه ورد في بعض طرق هذا الحديث فما زلت على ظهره
انا وجبريل وحينيذ فيحتمل انه كان خلفه ويحتمل انه كان قدامه قال ابن المنير والاظهر اختصا
بالركوب وقد صرح في الحديث بان صعوده كان على البراق ولم يذكر ان هبوطه كان عليه فقال
التميمي ان الله اتى له به دونه اظهارا للقدرته وقيل انه هبط به ايضا ولكن لم يتعرض له
اكتفاء بذكر العروج **فربطه** اي البراق **بالحلقة** بفتح الحاء المهملة وسكون اللام وهي
معروفة واختلف في فتح لامها فجوزه بعض اهل اللغة وجعله بعضهم خطا وقال البي
بالتحريك جمع حالق ككاتب وكتبة **التي يربط بها الانبيا** وروي به في مسلم وفي الشفا
لتاويل الحلقة بشيء ونحوه وقالوا امر التذكير والتانيث سهل وعبر بالمضارع حكاية للحال
الماضية ولم يبين اين كانت الحلقة فقيل كانت بباب المسجد الاقصى والذي في حديث الترمذي
انه صلى الله عليه وسلم حين انتهى الى بيت المقدس اشار جبريل الى الصخرة فخرقها وربط
البراق فيها وهذا هو المعروف ولا اعرف ما قبله ممن نقل ولم يذكر المربوط وظاهر السياق
ان البراق بناء على انها كانت مركبهم وهو الصحيح فان ركبه جميعهم وهو ظاهر ولا افراد بالانبيا
الجنس واثبت للجميع فعل البعض وهو جائز واحتمال ان المعنى يربط دوابهم بعيد وكون البراق
قوي يمكنه قلع الحلقة بجذبه فلا فايدة في الربط لا يضر لانه مسخر لا يخالف فعل النبي وفيه
اشارة الى مباشرة الاسباب وانها لا تمنع التوكل وكفاك شاهدا اعقلها وتوكل **ثم دخلت المسجد**
الاقصى وعطف بثم للتراخي الرتبي وجعل بعد رتبة المسجد عن الارض التي ليست بمسجد بمنزلة
البعد الحقيقي **فصليت فيه ركعتين** تحية المسجد وكان صلى الله عليه وسلم يصلي قبله فرض
الصلاة بالاسرا وفرض عليه صلاة اختلف فيها فقيل صلاة الليل وقيل صلاة بالغداة وصلاة
بالعشي ونقل ابن الملقن وقال ثم فرضت الصلاة الخمس في الاسرا من غير تعيين اوقاتها فكانوا

صح

يصلوها متى ارادوا مجموعة ومفرقة ثم عينت اوقاتها بوحي من الله تعالى ثم خرجت من المسجد
فجاءني جبريل باناء من خمر واناء من لبن وخيرت في ايهما اردت فاخترت اللبن باخذه
وشربه فقال جبريل اخترت الفطرة وروي اخذت الفطرة وقد تقدم ان الفطرة الجبلة
والطبيعة التي فطر الناس عليها وتكون بمعنى الاسلام والاستقامة اي مما اخترته هو الموافق
للخلقة الانسانية التي خلق الله الناس عليها وللطبايع المستقيمة فان اللبن شراب لذيذ
سائغ وطعام نافع موافق للانسان سريع النما ولذا كان غذاء للاطفال دون غيره وفي طريق
آخر هديت وهديت امتك ولو اخترت الخمر لغوت امتك وفي طريق آخر هدى الله بك
او اصاب بك وروي ان الانية كانت ثلاثا ثالثها ما ذكروا اناء فيه ماء وفي رواية اربع هي اناء
فيه عسل والاصح ما رواه المصنف وقال ابن المنير التخيير انما يكون بين واجبين كخصال الكفارة
او مباحين كمجالس العلما او الزهاد او جالس الحسن او ابن سيرين اما بين واجب وممنوع او مباح
وممنوع فلا فالتخيير بين الخمر واللبن سواء اريد اباحتهما والاذن فيهما جميعا او اريد الاذن
في احدهما لا بعينه مشكل فما معنى تخييره حتى اختار احدهما وقول جبريل له اصبت الفطرة
اللبن الذي تنبت الخلقة عليه وبه نبت اللحم ونشز العظم واخترته لانه الحلال الدائم في دين
الاسلام واما الخمر فحرام فيما سيستقر عليه الامر والذي يرفع الاشكال ان يكون المراد تفويض
الامر في التحليل والتحريم الى اجتهاده الذي وافق فيه الصواب بناء على جواز الاجتهاد له فيما لم يوح اليه
فيه شي وانه معصوم في اجتهاده ويخالف غيره انتهى. واجاب غيره بان الخمر لم يحرم اذ ذاك
او انه كان في السماء وليست دار تكليف او هي من خمور الجنة وليست محرمة ويجوز ان يترتب
عليها عن امته كما تترتب القبائح على بعض المباحات قال ابن المنير واللبن في الرؤيا يعبر بالعلم
ففيه اشارة الى انه لما ملئ قلبه ايمانا وحكمة اردف ذلك بالعلم وجعل شرب ذلك اللبن لترادف
العلوم عليه وتحقق قلبه وقالبه بالانوار والاسرار وان كان يقظة الا انه ربما وقع في اليقظة
اشارات على حكم الفال تعبر كما يعبر المنام ولذا كان يحب الفال الحسن وجاء في الحديث انه قدم
له الاناءان قبل العروج وجاء في حديث آخر انه بعده ويجمع بينهما بان تقديمهما له وقع مرتين
وكرر جبريل تصويب فعله تاكيدا للتحذير مما سواه ثم عرج بنا الى السماء بفتح العين والراء
اي عرج جبريل وصعد وضمير بنا له صلى الله عليه وسلم والبراق او هو له ولجبريل وفاعل عرج
البراق والبا للتعدية او المصاحبة وتقدم انه يجوز ضم العين وكسر الراء والسما هي السماء الدنيا
ولم يبينه لظهوره فاستفتح جبريل هو اما بقرع لها او بصوت قيل والظاهر الاول لانهم
يعرفون صوته اي طلب فتحها من الملائكة الموكلين بها فقال الموكل بها من انت ايها المستفتح
فقال المستفتح انا جبريل فجبريل مبتدا مقدر هو انا او المستفتح وفيه اشارة الى ان من دق
الباب ينبغي له ان يسمي نفسه ولا يقتصر على قوله انا وان السما لها ابواب تفتح خلافا للحكما
المانعين للخرق والالتيام عليها قيل ومن معك عطف على مقدر اي جبريل ومن معك قيل انما
استفتح لان معه النبي صلى الله عليه وسلم ولو كان وحده لم يحتج لاستفتاح وقيل انما استفتح تكريما
وتانيسا له وقال ابن المنير استفتاحه لان ابوابها مغلقة ولم تفتح الا لاجله تنويها بقدره ولو
صادفها مفتوحة لم يعلم ذلك قيل وقد بعث اليه اراد الاستفهام فحذف الهمزة للعلم بها واصله
اوقد بعث اليه والنحويون يمنعون حذفها ويحمل كلامهم على انه اذا لم يكن قرينة على الحذف
والا فالحديث حجة عليهم كما قاله ابن المنير في المقتفي ولم يرد بالبعث بعث النبوة والرسالة فانه

كان

كان معلوما لهم وانما المراد انه بعث اليه للمعراج وقول ابن حجر انه يجوز ان يكون استفهاما
عن اصل بعثته بالنبوة والبواب لم يطلع عليها لاشتغاله بشانه لا وجه له لان المراد بسواله
بيان سبب موجب لفتح السماء له ومجرد نبوته ليست تصلح للسببية الا انه يحتمل ان يكون تعجبا
مما انعم الله به واستبشارا بعروجه وهذا مع ما فيه احسن مما قاله ابن حجر وفيما ذكره دلالة
على ان من اذن له في شي يقتضي رفع الموانع مما اذن فيه فمن اذن له بالبيع اذن له في قبض الثمن
والوكيل اذا اذن له في شي اذن له في لوازمه فلذا لم يطلب البواب الاذن له في الفتح ولذا قال قيل
بعث اليه ففتح لنا بالبنا للفاعل والمفعول وفي بعض الطرق ان الخازن قال له مرحبا به
ولنعم المجي جاء قال ابن المنير وفيه دليل على ان الحاشية اذا فهموا منه اكرام وافد ان يبشروه
وان لم يوذن لهم فيه وهذا ليس من افشاء السر لانه تفرس الرضا منه لان استدعاه انما هو لاكرامه
فعجل له بالبشرى ثم افاده فائدة جليلة منقسمة الى متعبد به لا يقوم غيره مقامه فان ادى معناه
كالاحرام بلفظ التكبير والتنبيه والتشهد ومنها ما لا يحجر في لفظه فيقوم مقامه لكن ما ادى
مؤداه كدعاء الجنازة والقنوت وتسبيح الركوع والسجود ونحوه وهذا مما لا يعلم من حملة العرش
اذا علمت هذا فالتحية بالسلام هل تعتدي من القبول الاول او من الثاني فيقوم مقامه ما يودي
معناه كاهلا وسهلا ومرحبا ولذا كان بعض المتورعين لا يرد سلام من يلفظ به ويقول ليس
هذا بسلام يستحق الرد واكثر السلف والخلف على التسمح فيه وهذا الحديث دليل لهم فان الملك
حياه بمرحبا به ونعم المجي جاء وكذا من لقيه من الانبيا ولذا قال المصنف وقوله فاذا انا بادم
صلى الله عليه وسلم فرحب بي ودعا لي بخير اي قال لي مرحبا بك اي جعل الله مكانك رحبا
واسعا وهو كناية عن اكرام نزله وبره واذا هي الفجائية وبدايته بادم لانه اسبقهم وجودا
قال ابن المنير في المقتفي اختلف طرق المتكلمين على حديث الاسرا في ذكر الانبياء وترتيبهم
في السموات فمنهم من لم ير التكلم في سره اصلا ومنهم من تكلم فيه من مشايخ الصوفية وفيه كلام
طويل افردناه برسالة لا يسع المقام تفصيله ثم اختلف هولاء فمنهم من قال انما اختص من اختص
من الانبيا بلقايه صلى الله عليه وسلم على عرف الناس اذا تلقوا الغايب منذ ربي اللقاية فالغالب
ان يسبق بعضهم بعضا ومنهم من يصادفه ومنهم من لا يصادفه وهذه طريقة ابن بطال في شرح
البخاري وذهب بعض شيوخ الاندلس الى ان ذلك تنبيه على الحالات الخاصة بهولاء الانبيا
وتمثيل لما سيقوله صلى الله عليه وسلم كما اتفق لهم بما قصه الله في كتابه قالوا وهذا يرجع الى فن
التعبير فمن راي في منامه نبيا كان ذلك دليلا على حاله فادم عليه السلام تنبيه على الهجرة لخروجه
من الجنة وعداوة ابليس وحيلته كخروجه صلى الله عليه وسلم من مكة باذية قومه له وللمسلمين
وعيسى ويحيى دليل على ما سيلقاه الرسول من اذي الرسول لانهم قتلوا يحيى وراموا قتل عيسى
فرفعه الله اليه وكذلك فعلت اليهود برسول الله اذ داروا حول قتله وسموه في ذراع شاة
كانت سببا للشهادة في قصته المشهورة ويوسف دليل على ما فعل به قومه مما كان سببا لرفعته
وظفره ثم احسانه اليهم وعفوه عنهم كما فعل مع عمه العباس وابن عقيل اذ فداهما وقال يوم فتح مكة
اذ عفا عن قريش واطلق الخلفا القول كما قال اخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم الخ وكما فعل
يوسف وهارون دليل على عداوة قومه وانها تنقلب مودة كما كان هارون محببا عند بني اسرائيل
حتى آثروه على موسى وادريس دليل على كتبه الى الآفاق لانه اول من خط بالقلم مع رفعته وعروجه
وموسى دليل لفتحه مكة وقهر المشركين كما فعل موسى بالجبابرة وابراهيم في اسناد ظهره للبيت

المعمور كحاله في حجه في آخر عمره ولذا لقيه في آخر السموات انتهى وفيه اشارة الى حكمة الترتيب
في منازلهم ولقياهم وهذا مما لا ينبغي تامله فانه مما تفرد به وللمشايخ في ذلك كلام اشار اليه
الشيخ في فتوحاته وقد تقدم ان اليقظة فيها احوال كالمنام والفال ونحوه تعبر كما تعبر الرؤيا
ولعمر في ذلك امور كثيرة كقوله اذ سال رجلا عن اسمه فقال شهاب قال ابن من قال ابن جمرة قال ممن
قال من الحرقة اسم قبيلة فقال ابن مسكنك فقال بالحرة فقال باين منها قال بذات لظى فقال ادرك
قومك فقد احترقوا فذهب فاذا النار مشتعلة في بيوتهم وفي هذا الحديث انه راى رجلا في سماء
الدنيا عن يمينه اسودة وعن شماله اسودة اذا نظر ليمينه ضحك واذا نظر لشماله بكى يعني آدم
وذريته وقد استشكل فانه يعارض قوله تعالى ان الذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم
ابواب السماء والحديث الصحيح ان ارواح الكفار في سجين واسفل سافلين واجيب بانها ارواح
العصاة ومافي الاية والحديث الكفار الجاحدين وهو لا غيرهم وقد نهى ابراهيم عن استغفاره ولكون
النبي وعدها جعله في صورة ضبع بذيح حين القاه في النار لئلا يحزن عليه واجيب ايضا بانه
يجوز ان تمثل الارواح الاشقيا والسعدا او يراهم النبي اذ مثلوا له وان لم يكونوا هناك كما كان يرى
من خلف ظهره وهذا هو الجواب عن الاشكال وهو كيف يرى ارواح السعدا والاشقيا وكثير منهم
لم يموتوا واما كون الاسودة العصاة فغير مستقيم لان المسلمين كلهم من اصحاب اليمين وعلم مما مر
ان آدم انما كان اول في السموات لانه اول الانبيا وليكون اقرب لاولاده فينظر لاسودتهم **ثم عرج بنا
الى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد
بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بابني الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا** وفي بعض الروايات
وقد ارسل اليه وهما بمعنى وقوله ابني الخالة لان مريم ابنة عمران اختها اشاع ام يحيى على ما قاله
السهيلي وهو الموافق للحديث وارتضى غيره ان حنة بنت فاقوذا ويحيى ام ابنه زكريا فاقوذا ايضا
فاتحدا في الجدة فيكونا ابنا خالة لان الخالة اخت الام والجدة يقال لها ام واستدل لهذا بقول
زكريا لما اراد كفالة مريم عندي خالتها وارتضى هذا السعد في شرح الكشاف نقل هذا في كونهما
ابنا خالة تجوز سهل وقال الزهري يقال هما ابنا عم ولا يقال ابنا خال ويقال ابنا خالة ولا يقال
ابنا عمة لان من كان ابن عم انسان كان الآخر ابن عمه ايضا ومن كان ابن خالة انسان كان الآخر ابن
خالته ايضا بخلاف ابن الخال وابن العمة وانما كانا في السماء الثانية لانه رفع الى السماء وسينزل منها
فجعل في مكان قريب الى الدنيا مع يحيى لانه لديه وبينهما من القرابة والمحبة ما لا يوصف ولذا
جعلا في سماء واحد ولم يكن في سماء اثنان من الانبيا غيرهما وقال ابن المنير لما كان عيسى سينزل
كانها معجزة ليحيى وصلة **ثم عرج بنا الى السماء فذكر مثل الاول ففتح لنا فاذا انا بيوسف
واذا هو قد اعطي شطر الحسن** تقدم معناه وان الشطر النصف **فرحب بي ودعا لي بخير** لم يذكر
الدعا والقول بانه هو قوله مرحبا لا وجه له فانه لا يسمى دعاء ولما كان لقاؤه له دليلا على مفارقة
اهله ووطنه على وجه يؤول للغيرة ونصره وهو بعد البعثة والدعوة وبنو الثالث من اطوارها راه
في الثالثة وقد تقدم بسطه **ثم عرج بنا الى السماء الرابعة وذكر مثله فاذا انا بادريس
فرحب بي ودعا لي بخير قال الله تعالى ورفعناه مكانا عليا** ولما ترادف الوحي عليه بعد الهجرة
واظهر المؤمنون شعائر الاسلام وهو طور رابع رأى ادريس في الرابعة لشهرة علمه وكتابته
وفيه عز الاسلام وكذا رفعته وفي تلاوة الاية ايماء الى هذا وادريس اسمه اخنوخ بالعبرية
وهو سبط شيث وجد ابي نوح وهو المثلث بالحكمة لانه اول من نظر في النجوم وخط ودرس

وقال

2-9

وقال له صلى الله عليه وسلم في الرواية المشهورة مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح
وفي اخرى شاذة بالابن الصالح وهو الظاهر وقد استشكل كونه اخا مع انه جد اعلى حتى قال
بعضهم ان ادريس الذي لقيه غير ادريس هذا وهو الياس وروي هذا عن ابن مسعود وعلى هذا
لا اشكال وقيل المراد اخوة النبوة والاسلام واختلف في رفع ادريس الى السماء هل هو بعد موته
كما ترفع سائر الانبيا او في حياته كعيسى ففي قصص الانبيا ان الملائكة احبته لكثرة عبادته
فسال ربه ان يذيقه الموت حتى يهون عليه فاذاقه ثم احيي ثم ساله ان يوريه النار ليزداد
رهبة فاوردها ثم خرج منها فساله ان يدخل الجنة ليزداد رغبة فادخلها فلما قيل له اخرج قال
يا رب اني ذقت الموت ووردت النار ودخلت الجنة وقد وعدت من دخلها ان لا يخرج منها ابدا
فاوحى الله لخازنها دعه فانه في فعل ما فعل فبقي في الجنة في السماء الرابعة نقله ابن المنير
ومنه علم وجه كونه في الرابعة على الاصح وقيل انه في الثانية وقيل في السادسة **ثم عرج بنا
الى السماء الخامسة فذكر مثله فاذا انا بهارون فرحب بي ودعا لي بخير** جعل في الخامسة
لانه كالوزير لموسى لا يفارقه فلذا كان في جواره **ثم عرج بنا الى السماء السادسة فاذا انا
بموسى فرحب بي ودعا لي بخير** لما كان موسى اجل الانبيا بعد ابراهيم وكتابه اعظم الكتب قبل
القرآن وجاهد في الله ظفر بما لم يظفر به غيره فرفعت مرتبته على غيره وتوفي في حظائر
القدس تحت منزلة الخليل فكان في السادسة **ثم عرج بنا الى السماء السابعة فذكر مثله
فاذا انا بابراهيم** لما كان ابراهيم افضل الانبيا قبل نبينا صلى الله عليه وسلم وهو خليل
الرحمن كان ارفعهم منزلة وما ذكرناه في وجه التخصيص والترتيب هو بالنظر للظاهر نظر المناسبته
لحال نبينا وما اشتمل به عليه ولعل هنا مناسبة اخرى بين كل سماء ومن فيها من الرسل
وهذا مما لا نعرفه **مسندا ظهره الى البيت المعمور** وهو بيت يطوف به الملائكة وتحج له العبادة
وهو محاذ للكعبة ويسمى الضراح بضم الضاد المعجمة وراء وحاء مهملتين وسمي معمورا لكثرة
الملائكة فيه قال التلمساني قيل فيه دلالة على ان الافضل في غير الصلاة اسناد الظهر للقبلة
وقيل الافضل استقبالها فعلى هذا لعله اسند ظهره للتوجه للنبي وتخاطبه بما مر وانما
اسند ظهره للبيت لانه الذي بنى الكعبة من الناس اولا **واذا هو يدخله في كل يوم سبعون
الف ملك لا يعودون اليه** لان حجه مرة كفرض الحج علينا او لاشتغال غيرهم وكونه في
السابعة حذاء العرش هو الاصح وقيل انه في الرابعة **فذهب بي الى سدرة المنتهى** لم يقل
عرج لانها في السماء السابعة وتقدم معنى سدرة المنتهى **واذا ورقها كاذان الفيلة** بكسر
الفاء وفتح المثناة التحتية جمع فيل وانما شبهه بها وان لم تكن بارض الحجاز لانها كثيرة
في بلاد الحبش وهم كثيرا ما ياتونها للتجارة ولانها كانت الهجرة الاولى فهم يعرفونها والانسب
بما لا يعرف الفان غير ممنوع **واذا ثمرها كالقلال** جمع قلة وهي الجرة وشبهها بها لمن طلبها
ولطف ورقها وطيب ثمرها وحسن رائحتها وان كان شجر الجنة انما يحكي امور الدنيا صورة
والفرق بعيد **فلما غشيها** اي طرا عليها وغطاها **من امر الله** الظاهر ان المراد بامر
الله وحيه او تجليه لرسوله فانه بذلك اشرق عليها نور الهي فذهب به وحسنت حسنا
لا ينعت ونور لا يمكن ان تقابله الابصار لقوله بعده **ما غشي** اي امر عظيم غشي
فان الابهام بمثله يفيد كقوله الحاقة ما الحاقة وامثاله **تغيرت** اي عن حالها التي
كانت عليه **فما احد من خلق الله يستطيع ان ينعتها من اجل حسنها** الذي طرا عليها

لكونها من اشجار الجنة المعتادة لاشراق تلك الانوار عليها ولو كانت من اشجار الارض احترقت
كما صار الجبل دكا ويدل على ما قلنا قوله **فاوحى الى عبده ما اوحى** وفي هذا الابهام تعظيم
وتكثير بطريق الكناية الابهامية حتى كانه مما لا يمكن ان يدرك فينعت وفي هذا الموصول
وتعريفه اشكال اجبنا عنه في حواشي التسهيل لان ما موصولة تتعرف بالعهد الذي في
الصلة فاذا كانت كذلك كيف تكون الجملة معهودة معرفة وقيل المراد بها الملائكة التي تغشاها
فانه شاهد على كل ورقة منها ملكا وقيل فراش من ذهب وجوابه من نزل عليها او جراد من ذلك
وقال مجاهد رفرف اخضر وقيل طيور خضر ولذا نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قطع السدر
لذلك وفسر ما اوحى بقوله **ففرض علي** وعلى امتي **خمسين صلاة** تكون **في كل يوم وليلة**
وقيل ما اوحاه اليه مبهم لا يعلمه احد وقيل صورة الم نشرح وقيل ان الجنة حرام على الانبيا حتى
تدخلها امته وقال السيوطي في الخصايص فرضت الصلاة خمسين والغسل من الجنابة وغسل
نجاسة الثوب سبعا سبعا والوضوء لكل صلاة **فنزلت الى موسى** قال نزلها لانه كان في السادسة
والوحي في السابعة وتخطى ابراهيم ونزل له ليساوره لانه يعلم ما في شريعته من الاحكام والصلوات
وما رس من ذلك اكثر من ابراهيم لانه لم يفرض على امته ما فرض على امة موسى **فقال ما فرض**
ربك على امتك قال اولا فرض علي وقال هنا على امتك لان ما فرض على النبي فرض على امته
ففيه احتباك وهو من انواع البديع وهو ان يذكر شيئين يحذف من كل منهما ما ذكر في الاخر فحذف
من الاول من وعلى امتي ومن الثاني علي ووقع فرض الصلاة في السماء لانها اعظم العبادات
فعرضت في اجل المواضع وتولى الله فرضها بنفسه من غير واسطة ملك اعتناء بشانها ولذا قيل
يكفر تاركها وذهب الشافعي الى انه يقتل كما سياتي **قلت** فرض **خمسين صلاة** منصوب لانه
تمييز فقال ارجع الى ربك فاساله التخفيف منها برفع بعضها وانما اشار اليه بذلك لمحبته له
وحثه له ما يليق بنفسه وقيل ذلك لانه سال الله ان يكون من امته لما راى في الطور ما لامته
من الكمال فقال يا رب من هولاء قال امة احمد فقال يا رب اجعلني منهم فخشي ان تفرض عليهم
تكاليف شاقة وهو منهم فيقصر فيها وقال السراج البلقيني انما قصد موسى تكرار رؤية
محمد عقب رؤيته لله بعينه كما قيل لعلي اراهم او ارى من براهم وموسى وان كان يرى الله
في الآخرة لكن رؤيته روحية وهي ليست جسدية عينية ولا تتيسر في كل حين قال ابن
حجر يحتاج ما قاله البلقيني الى ثبوت تجدد رؤيته في كل مرة يعني رؤية محمد صلى الله عليه وسلم
لربه وقال مصلح الدين اللاري ما قاله البلقيني ما يتوقف على تجدد الرؤية ويكفي حصول
اصلها **فان امتك لا يطيقون ذلك** خص الامة اشارة الى انه يطيق ذلك لما رزقه الله
من قوته على عبادته ولذا كان يواصل الصوم وقد نهى عنه ومعنى لا يطيقونه انه يشق عليهم
فيقصرون فيه لا انه محال حتى يقال انه مبني على تكليف المحال وهو جائز وفايدته الاخذ
في مقدماته حتى يعلم امتثاله ويطيقون بعضها وله مضارع اطاق **فاني قد بلوت بني**
اسرائيل وخبرتهم عطف تفسير لان الابتلاء بمعنى الاختبار والامتحان يقال خبره يخبره
كعلمه يقتله وفيه مقدر اي خبرتهم مع قوة اجسادهم وطول اعمارهم فلم اجد لهم صبرا على
ذلك فكيف حال امتك وفي نسخة فبلك **فرجعت الى ربي فقلت يا رب خفف عن امتي**
مفعوله محذوف للعلم به اي ما فرضته عليهم من الصلاة ولم يقل وعني حياء منه بسواله لنفسه
فحط عني خمسا منها واصل الحط معناه تنزيل الحمل فشبهه بالحمل تشبيها مكنيا كما قال لا تحملنا

ما لا طاقة لنا به **فرجعت الى موسى فقلت حط عني خمسا** منها **فقال ان امتك لا يطيقون**
ذلك فارجع الى ربك فاساله التخفيف وفي نسخة فسله **قال فلم ازل ارجع بين ربي تعالى**
وبين موسى اي بين موضع مناجاتي له تعالى وملاقاتي لموسى **حتى قال** الله تعالى انتهى التخفيف الى خمس
انهن خمس صلوات كل يوم وليلة استدل به الشافعية على عدم وجوب الوتر وجوابه مسطور في كتب
الفروع الحنفية **بكل صلاة عشر فذلك خمسون** في الثواب والاعتبار لان لبعضها امثالها كما سياتي
امثاله وتحقيقه **ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة** واحدة لنيته عملها **فان عملها كتبت**
له عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئا فان عملها كتبت سيئة واحدة الهم القصد من غير
تصميم فان صمم فهو عزم ومذهب الباقلاني انه ياثم بالعزم المصمم وهذا الحديث محمول على الاول
وانكار بعضهم المواخذة بالعزم مردود بالنصوص الصريحة كقوله ان الذين يحبون ان تشيع
الفاحشة في الذين امنوا لهم عذاب اليم والكاتب الملائكة فيكتب حتى ما في القلب كما قاله الطحاوي
وفي حديث مسلم القدسي كتبها الله عنده عشر حسنات الى سبعمائة الى اضعاف كثيرة وهو صريح
في ان المضاعفة تزيد على العشر ولا تقف على سبعمائة وقول القرطبي انها لا تتجاوزها مردود
بهذا الحديث المجمع على صحته وتحقيقه كما في الاحيا ان اول ما يرد على القلب الخاطر كما لو خطر له
صورة امراة وراء ظهره بحيث لو التفت راها والثاني هيجان الرغبة الى النظر وحركة الشهوة
ومثل الطبع المتولد من الاول المسمى حديث النفس والثالث حكم القلب بان هذا ينبغي ان يفعل
بان ينظر اليها وهو تتبع للخواطر والميل والرابع تصميم العزم على الالتفات وجزم النية ويسمى
هما بالفعل وهذه قد تكون لخاطر حتى طالت محاولته للنفس حتى تجزم النية واذا انجزمت
بفعلها ويتركه وقد يفعل فلا يعمل وربما يعوقه عايق عنه فهي اربعة احوال الخاطر وهو حديث
النفس ثم الميل ثم الاعتقاد ما حدثت به نفوسها فحديث النفس خاطر يجري في النفس لا يتبعه
عزم والثالث هو الاعتقاد وحكم القلب وهو اما اضطراري لا يواخذ به واختياري يواخذ
والرابع وهو الهم بالفعل فان لم يعمل به وتركه خوفا من الله وندما على همه كتب له حسنة لان همه
سيئة وامتناعه منه حسنة لمجاهدته لنفسه وان عاقه عايق عنه غير خوف الله كتبت سيئة
لان همه فعل اختياري له **قال** رسول الله صلى الله عليه وسلم **فنزلت حتى انتهيت الى موسى** اي انتهى
سيري فوصلت له ولم يقل انتهيت قبل هذا وقاله هنا اشارة الى انه تمام المراجعة ولا مراجعة
بعده **فاخبرته** بما قاله الله له **فقال ارجع الى ربك فاساله التخفيف** من الخمس **فقال رسول**
الله صلى الله عليه وسلم فيما قصه من حديث الاسراء **فقلت** لموسى **قد رجعت الى ربي مرارا**
وراجعته في سوال التخفيف **حتى استحييت منه** ان اراجعه في السوال بعد ذلك واعلم انهم
اختلفوا في جواز النسخ قبل التمكن من الفعل والبلاغ وقبل دخول الوقت فذهب اهل السنة الى
جوازه وهو مبني على جواز التكليف بما لا يطاق واستدلوا بانه وقع كما فيما نحن فيه وبقصة الذبح
اذ امره بذبح ولده ثم نسخه قبل تحققه بالفداء ومنعه المعتزلة فمنهم من قال لم يامره لانه منام
ورد بان رويا الانبياء وحي يجب العمل به ولذا باشره ومنهم من قال انما امر بمقدماته من الشد
والتل ونحوه ورد بان قوله اني اذبحك والفداء يابياه وقيل انه فعل ولكن انقلبت السكين
او قلب عنقه حديدا وقيل ذبح والتحم وهو مكابرة وقالوا ان النسخ قبل البلاغ مناقض والجواب
بانه الماموره وقد بلغه ضعيف لانه عام له ولامته لان الفرض عليه فرض عليهم ولذا قال له
موسى ان امتك لا تطيقه وفيه ايضا النسخ قبل البيان لانه لم يبين وقته وعدد ركعاته وهو

جائز واعلم انهم يريدون بالمنسوخ خبر التكليف لا نفس الامر لانه قديم ووقع في بعض طرق هذا الحديث ان موسى قال اسأله التخفيف فاني اعلم بالناس منك فكيف يقول هذا وقد قاسى مع الخضر ما قاسى لما قال انا اعلم الناس وكيف يقوله لرسول الله والجواب ان مراده علم التجربة والرؤية لما يراه ومثله لا يضر وما قيل من انه خبر لا يدخله النسخ مردود بقوله وقيل ان قوله خمسون اولا بيان لما في اللوح المحفوظ والمراد انها بحسب الثواب كذلك فلا نسخ فيه والنبي فهمه على ظاهره فراجع ربه فيه في غاية البعد **قال القاضي** هو شيخه القاضي الشهيد المذكور في اول السند السابق ولذا لم يسمه استغناء باعادة المعرفة معرفة وتعريفه عهدي **جود** بفتح الجيم وتشديد الواو اي حسن من الجودة ضد الرداءة والحسن ضد القبح **ثابت** البناني راوي **هذا الحديث عن انس ما شاء** اي احسن في روايته واتقنها اتقانا محكما لان ما نكرة موصوفة اي تجويدا كثيرا **وقد خلط فيه** خلط بتشديد اللام وضمير فيه للحديث والخلط ادخال شي في شي والمراد انهم دخلوا في حديث الاسرا ما ليس منه كشق الصدر كما سنبينه **لا سيما** اي لا مثل روايته وفسرها الرضي بخصوصا وقال الدماميني انه لا استثنا فيه وسي منصوب وما بعده يجوز رفعه ونصبه وجره وقد عدها النحاة من كلمات الاستثنا وفيه كلام طويل بيناه في غير هذا الكتاب وغيره في تغنيه عنه **رواية شريك بن ابي نمر** بفتح النون وميم مكسورة تليها را مهملة التابعي الصدوق الثقة القاضي التابعي المدني وقد ضعفه ابن حزم لما وقع له في حديث الاسرا من الاوهام الا ربعة التي اشار اليها المصنف وقيل انها ثمانية توفي سنة اربعين ومائة وله ترجمة في الميزان **فقد ذكر في اوله** اي ذكر شريك في اول حديث انس **مجي الملك له** الاوم للتقوية لان جا متعد بنفسه **وشق صدره وغسله بما زمزم** وقد تقدم انه بالثلج وفي رواية بما الكوثر وقد انكروا عليه روايته هذه وقالوا فيه وهم من وجوه تزيد على العشرة منها في سنده فان قتادة رواه عن انس عن مالك بن صعصعة والزهري عن انس عن ابي ذر وشريك جعله عن انس من غير واسطة وخالف سياقهم بالزيادة المنكرة والتقديم والتاخير وقد نبه على ذلك مسلم في صحيحه ومما ذكره المصنف موافق لقدح ابن حزم فيه الا ان الحافظ ابو الفضل بن طاهر انتصر له في جزء مستقل الفه فيه قال تعليل حديثه بتفرده به ودعوى ابن حزم بان الافة من شريك اذلم يسبق اليه لا يقبل فان ايمة الجرح والتعديل وثقوه ورووا عنه وقالوا لا باس به وحدث عنه مالك وغيره من الثقات وحديثه اذا رواه عنه ثقة لا ضعيف لا باس به وقد روى هذا عنه سليمان بن بلال وهو ثقة وتفرده بقوله قبل ان يوحي اليه لا يقتضي طرح حديثه ووهم الثقة في موضع لا يقتضي رد جميع ما روى ولو قيل بهذا لزم رد كثير من السلف ولعله اراد ان بقوله انه اوحي اليه فقال قبله انتهى وقد سبق ابن حزم الى هذا الخطابي وقال النسائي انه يقول ليس بالقوي وكان بعضهم لا يحدث عنه وقال محمد بن سعد وابو داود انه ثقة والحاصل انه اختلف فيه مما انفرد به شاذا منكرا وقد خالف غيره في هذا الحديث في مواضع من هذا الكتاب منها امكنة الانبيا وكون المعراج قبل البعثة وكونه مناما وكون سدرة المنتهى فوق السابعة والمشهور انه فيها او في السادسة وفي نهري النيل والفرات وكون اصلهما في سما الدنيا والمشهور انهما من تحت السدرة وكون شق الصدر عند الاسرا وكون الكوثر في السماء الدنيا وهو في الجنة ونسبة الدنو والتدلي الى الله وهو لجبريل وكون مراجعته في سؤال التخفيف عند الخامسة وفي قوله فعلا به الى الجبار وكونه راجع بعد الخمس فهذه مواضع مخالفته في السند والمتن الذي

قال المصـ

قال المصنف انه خلط فيها وقد اجيب عن بعضها **وهذا** المذكور من الشق والغسل **انما كان وهو صبي** عند مرضعته **وقبل الوحي** واتى بانما ردا لقول شريك انه ليلة الاسرا واجيب عنه بان الشق وقع مرارا مرة وهو طفل صغير يلعب لازالة حظ الشيطان منه كما مر ومرة وهو ابن عشر سنين لازالة الطفولية عنه ومرة عند البعثة ليثبت قلبه للوحي وليلة الاسرا لتقوى عليه وزيد خامسة ضعفها ابن حجر في شرح البخاري وصحح هو والبرهان الحلبي الاربعة الاول **وقد قال شريك في حديثه وذلك قبل ان يوحى اليه** اي شق صدره قبل البعثة **وذكر قصة الاسرا** فقال سمعت انس بن مالك يقول ليلة الاسرا جاه ثلاثة قبل ان يوحى اليه وهو نائم في المسجد لم يرهم حتى اتوه ليلة اخرى الخ وقد اجيب عنه بان قبل متعلق بجاء فيحتمل ان مجيئهم بعد ذلك بسنين لا بليالي فلا خطا فيه **ولا خلاف انها** اي ليلة الاسرا كانت بعد الوحي وقد قال غير واحد انها كانت قبل الهجرة بسنة وقيل هذا اشارة الى الخلاف في سنة الاسرا وزمنها فقيل كانت سبع وعشرين من ربيع الاخر قبل الهجرة بسنة وقيل بعد البعثة بخمس سنين وقيل بعد البعثة بخمسة عشر شهرا وقول شريك انه قبل ان يوحى اليه غلط منه الا ان يقال هذا الاسرا كان مناما غير هذا كالذي روي عن عايشة انه كان بالمدينة فانه منام ايضا قال ابن المنير في المقتفي رجح القاضي عياض انه كان قبل الهجرة بخمس سنين ولا يرد عليه ان خديجة كانت تصلي معه وقد اختلف في مدة وفاتها قبل الهجرة على اقوال اولها انها ثلاث سنين والصلاة لم تفرض الا في الاسرا لان هذه الصلاة غير المفروضة كالتي صلاها في المقدس وصحح ابن المنير الاول لان قول غيره تقدير وقوله تحديد وهو قول الحربي لانه عين ليلة معينة من شهر معين من سنة معينة واذا تعارض خبران احدهما احاط بتفصيل القصة كان اولى لانه يدل على ان روايته احفظ واوعى قلنا كقول الفقها ان الشهادة المؤرخة تقدم وكان تلك الليلة ليلة الاثنين كما قال ابن المنير هي ليلة الاثنين وكان مقدمه المدينة يوم الاثنين من ربيع الاول ثاني عشره قبيل الفجر وقيل عند استواء الشمس واذا كان الثاني عشر الاثنين كان اوله الخميس فاول شهر الاسرا السبت او الاحد او الاثنين لان بين كل يوم متقا من سنتين متواليتين اما ثلاثة ايام او اربعة او خمسة ولذا تكون الوقفة من كل سنة خامس يوم الوقفة التي قبلها او رابعه او سادسه واعدل الاحتمالات الخامس فالجمعة يعقبها الثلاثا والاثنين يعقبها الجمعة وقد يكون الرابع وقد يكون السادس وذلك بحسب تمام الشهور ونقصها فبنا على اقل الاحتمالات لان اول ربيع الاول من سنة الاسرا الاثنين واول الاخر منه الاربعا بفرض ربيع الاول تاما والسابع والعشرون منه يوم الاثنين ليوافق مولده ومبعثه ووفاته فان يوم الاثنين في حقه كيوم الجمعة لادم فانه خلق ونزل الى الارض وتاب الله عليه ومات فيه وقيل انه كان ليلة الجمعة لفضلها ثم ان كونها ليلة سبع وعشرين موافق لليلة القدر فانها ليلة سبع وعشرين من رمضان على الاصح والحاصل انه قيل ان الاسرا قبل الهجرة بسنة وقيل بسنة ونصف وقيل بسنة وكسر وقيل بعد البعثة بخمس سنين وقيل قبل الهجرة بخمس سنين ثم اختلف في شهره فقيل ربيع الاول وقيل الاخر وقيل رجب وقيل رمضان وقيل شوال وقيل بعد نبئه الصحبة وقيل بعد ليلة سبع وعشرين او سبع عشر او اثني عشر ليلة الاثنين او الجمعة وفي الهدي النبوي ان ابن تيمية سئل هل ليلة الاسرا افضل ام ليلة القدر فاجاب بان القايل ان ليلة الاسرا افضل ان اراد انها ونظايرها من كل عام افضل فلا وجه له وان اراد انها بخصوصها افضل لانه حصل له فيها ما يحصل له في غيرها وما لم يحصل لغيره فهو صحيح ان سلم ان ما انعم الله به

عليه افضل من انزل القرآن وهو يحتاج الى علم بحقائق تلك الامور انتهى **وقد روى ثابت عن**
انس من رواية حماد ابن سلمة ايضا اي كما روى عنه قصة الاسرا **مجي جبريل** بالنصب مفعول
الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يلعب مع الغلمان عند ظئره بكسر الظاء المشالة وسكون الهمزة
والراء المهملة والظا وهي المرضعة التي ليست بام وهي حليمة السعدية **وشقه** مصدر منصوب
معطوف على مجي **قلبه** مفعول الشق **تلك القصة** بدل من مجي بدل اشتمال وفي نسخة بتلك اي بتمامها
منفردة من حديث الاسرا وفي نسخة مفردة وهو منصوب على الحال **كما رآه الناس** غير شريك وهم
اكثر الحفاظ المحدثين نحو دهذا الراوي المميز بين القصتين كما اشار اليه بقوله **في القصتين**
اي في قصة الاسرا وقصة شق القلب وهو طفل رضيع فلم يخلط احدهما بالآخر **وفي ان الاسرا الى بيت**
المقدس والى سدرة المنتهى كان قصة واحدة لا قصتان كما في رواية شريك وغيره ممن جعل صعوده
الى السماء معراجا آخر **وانه وصل الى بيت المقدس ثم عرج من هناك** اي صعد به الى السماء من البيت
المقدس لانه ارفع مكان في الارض **فازاح** بزاي معجمة والف وحاء مهملة اي ازال واذهب **كل اشكال**
اوهمه اي اوقعه في ذهن الناس ووهم غيره اي غير ثابت كشريك الذي وقع في روايته الوهم
والتخليط **وقد روى يونس** بن يزيد الايلي القرشي وفي يونس كيوسف لغات تقدمت وهو يروي عن
الزهري ونافع وتوفي بمصر سنة تسع وخمسين ومائة **عن ابن شهاب** محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله
بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن مرة الزهري التابعي لقي عشرة من الصحابة توفي في ليلة الثلا
لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان سنة اربع وعشرين ومائة ودفن بالشام بقرية تعرف بالشغب
واوصى بدفنه على قارعة الطريق ليدعو له المارة وكان احفظ اهل زمانه واحسنهم سياقا لمتون
الاحاديث فقيها فاضلا كاملا **عن انس** بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قدمنا ترجمته
قال كان ابو ذر الصحابي الغفاري **يحدث ان رسول الله قال فرج** بضم الفاء وكسر الراء اي شق
سقفه اورفع جانب منه حتى صار مكشوفا ينزل منه الملك المرسل اليه ولم يأته من الباب
وقد قال ثم ائتوا البيوت من ابوابها قال ابن المنير تنبيها على المبالغة في المفاجاة وان استدعاءه
للكرامة كان بداءة من غير ميعاد وقيل انه ليتحقق كونهم ملائكة اوهو تمهيد لشق الصدر والتيامه
من غير السم لسبق الشق كما تقدم قيل وكان خلفاء بني العباس اذا نصبوا خليفة نقبوا جدار حجرة
منه تنويها بامره وانه لم يكن يطلب منه **سقف بيتي** البيت لام هانئ واضافه اليه لادنى
ملابسة وروي انه كان بالحطيم وروي انه كان ببطحاء مكة فان كان مرادا فظاهر والا احتاج للجمع
فنزل جبريل ففرج صدري بفتح الفاء والراء وقد تقدم ان شق الصدر وقع مرات منها هذه فلا اشكال
فيه **ثم غسله** اي صدره **من ماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب** تقدم بيانه وما فيه **ممتلئ**
حكمة وايمانا تقدم تفسيره وانه بناء على التجوز اي ملئ نورا ايضا عند ما ذكر اوانه قادر على
تجسيم المعاني والاعراض كما قيل في وزن الاعمال وذكر الطست وان كان مؤنثة لتاويلها بالاناء
فان كان قوله **فافرغها** ضمير للطست رعاية للفظه فتقديره افرغ ما فيها يقال افرغت الاناء وفرغته
تفريغا اذا صببت ما فيه ويجوز كون الضمير للحكمة لدخول الايمان اولانه عطف تفسير **ثم اطبقه**
اي الصدر اي اعاده محله اشارة الى ان شقه والتيامه بغير آلة وقيل شق بمنقار الملك وخيط
بخيط لما ورد كنت ارى اثر المخيط في صدره **ثم اخذ بيدي فعرج بي الى السماء فذكر القصة**
بتمامها واخذ يحتمل انه على حقيقته وان يكون كناية عن جعله شارعا في العروج **وروى قتادة**
ابن دعامة ابو الخطاب السدوسي الضرير اعلم الناس بالفقه والقرآن والحديث توفي سنة

سبع عشرة

سبع عشرة ومائة وعمره ست وخمسون بواسط ونسب للتدليس وليس كذلك **الحديث** مفعول
روى **بمثله** اي بمثل الرواية المذكورة **عن انس عن مالك بن صعصعة** الخزرجي المازني وروى
له البخاري واصحاب السنن حديث الاسرا قال وروي عنه خمسة احاديث **وفيها** اي رواية قتادة
المفهومة من قوله روى **تقديم وتاخير وزيادة ونقص** عن غيرها من الروايات **وخلاف في**
ترتيب الانبيا في السموات وحديث ثابت عن انس اتقن واجود اي اكثر اتقانا وجودة
مما في الروايات ولذا اختار المصنف خلافا للنووي اذ رجح رواية قتادة كما عرفت **وقد وقعت**
في حديث الاسرا زيادات من الرواة في بعض طرقه **نذكر منها نكتا مفيدة في غرضنا**
من تاليف هذا الكتاب وايراد حديث الاسرا والمراد بالنكت بضم النون وفتح الكاف والتاء المثناة
جمع نكتة وهي ما ينكت من الارض وما يكون في الكون مما يخالفه كالنقطة فاستعير لكل معنى
دقيق يحصل بالفكر اما لمخالفته لغيره او لكون المفكر يخط في الارض وشاع حتى صار حقيقة
عرفية في ذلك ويجمع على نكات ايضا **منها** اي من النكت المفيدة **في حديث ابن شهاب**
الزهري الذي تقدم آنفا ومنها خبر مقدم وفي حديث الخ صفة مبتدا مقدر وجاز حذف الموصوف
بوصف غير مفرد لانه بعض اسم مجرور عن قبله لان المعنى من النكت نكت الخ ومثله جائز قياسا
مطردا **وفيه** اي في حديث ابن شهاب ولو حذف قوله وفيه كما وقع في بعض النسخ كان احسن
والضمير في فيه راجع لحديث الاسرا **قول كل نبي له مرحبا بالابن الصالح والنبي الصا** لح
فانه ليس كل نبي من اجداده وفي عمود نسبه لكنه جار منهم على سبيل الشفقة والمحبة كما جرت
العادة ان الاقدم والاسن يقول لغيره يا ولدي في غير هذه الرواية منهم من قال له الابن
الصالح ومنهم من قال له الاخ الصالح وقد تقدم انه يشكل قول ادريس له الاخ مع انه جد له
وفي وصفه بالصلاح دون غيره وتكراره وكان الظاهر ان يقال الابن الكريم والنبي العظيم
مثلا الا انه وصف بالصلاح لانه امدح الصفات لانه بمعنى الجامع لكل خير كما قال السبكي
يوصف الابن به بمعنى انه حقيق لمحبة الله ومحبة رسله ووصف النبي به بمعنى المستحق ه
بالذات لا يكون نبيا وان كان في العرف لا يمدح به الكبار لان الصلاحية للنبي لا تقتضي
الاتصاف بالفعل ولذا قال ابن المنير ان الله اطلق على كثير من الانبياء انه كان نبيا من الصا لحين
ولا يصح ان يقال لاحد منهم انه رجل صالح لانه يوهم المساواة بينهم وبين آحاد الامم كما انه
لا يجوز ان يقال لنبينا صلى الله عليه وسلم انه ملك وسلطان لانهما مما للتعظيم والتجبر وان
كان كذلك في نفسه انتهى ولما لم يفهم هذا بعض المفسرين قال ان المراد به مدح الصفة لا
الموصوف كما في شروح الكشاف ومنه يعلم ان الصفة قد تكون مدحا في مقام ومن قايل وذما في
غيره كصالح ومبارك **وفيه من طريق** البخاري المسند عن **ابن عباس ثم عرج بي حتى ظهرت**
اي علوت وصعدت كما في قوله • والشمس في حجرتها لم تظهر • اي لم تعل او بعدت
كما في قوله • وتلك شكاة ظاهر عنك عارها **بمستوى** بضم الميم وفتح الواو والبا
بمعنى في او على وهو اسم مكان متمايل او وسط او واسع منبسط **اسمع فيه** اي المستوى
صريف الاقلام الصريف براء وصاد مهملتين كالصرير وهو صوت حركة الاجرام والمراد
صوت القلم على الورق اي انتهى الى محل يسمع فيه صرير اقلام الملائكة الكتبة وهي تكتب
ما تنقله من اللوح او ما يوحى بكتابته من الوحي وغيره فالاقلام على ظاهرها خلافا لمن تاوله
ونحن نومن بانه على حقيقته ويجب علينا اعتقاده وهذا عبارة عن غاية القرب لان مثله

لا يسمع من بعيد وروي لمنتهى قال التوربشتي يعني انه بلغ من الرفعة لمقام اطلع فيه على التكوين وما يراد ويبرم به من تدبير الله وهذا منتهى لا يرام ولا يتصل اليه الا فهام ولا ينطق فيه غير صرير الاقلام **وعن انس** فيما رواه عنه الشيخان **ثم انطلق** بالبنا للفاعل والضمير فيه لجبريل او بالبنا للمجهول **بي حتى اتيت سدرة المنتهى** تقدم معناه **فغشيها الوان لا ادري ما هي** لكونها ليست مما يشبه الوان غيرها في الحسن او لان شدة نورها تمنع تحقيقها **قال ثم ادخلت الجنة** وهذا يدل على انها موجودة الآن وانها في السماء وهو الذي نعتقده بلا شبهة **وفي حديث مالك بن صعصعة فلما جاوزته** اي فارقته وقدم الجار ثم وفسر ضمير المفعول بقوله **يعني موسى بكا** لحزنه اذ لم ينل هو وامته ما ناله لا منافسة وحسدا لتنزههم عن مثله **فنودي** اي ناداه الله او الملك وقال له **ما يبكيك قال رب** هذا يدل على الاول بحسب الظاهر **هذا غلام** اطلقه عليه هذا وهو اذ ذاك كهل او شيخ لانه في نحو الخمسين اما لانه استصغره او لانه في الزمن الاول يعد مثله غلاما وقال ابن فورك معناه القوي وهو غير قوي **بعثته بعدي يدخل من امته الجنة اكثر مما يدخل من امتي** لما علم عموم دعوته وتأييد رسالته علم كثرة امته وقد ورد انه يراهم في عرض المحشر اضعاف الامم ولو جوز كون بكايه غبطة وهي غير مذمومة كالحسد بل هي ممدوحة لانها من علو الهمة وقيل انه علم من الكرامة امته في الجنة فضيلة على غيره لانه لازم بين واما كونه على امته فليس بشي ۞ **وفي حديث ابي هريرة** في الاسرا الذي رواه البيهقي وغيره **وقد رايتني** بضم التا ضمير المتكلم والرؤية هنا بصرية بنا على الصحيح من ان الاسرا يقظة لا انهم قالوا الا يتعدى عامل الضمير والفاعل ضمير مثله الا في افعال القلوب وما حمل عليها والحيث بانها لمشابهتها الراي العلمية لفظا ومعنى لانها حجة ادراك اجازوا فيها ذلك وقد سمع قول عايشة رضي الله عنها لقد رايتنا مع رسول الله وما لنا طعام الا الاسودان الما والتمر وقول الحماسي ۞

ولقد اراني للرماح دريئة • من عن يميني تارة وامامي •

في جماعة من الانبيا اي بينهم او معهم **فحانت الصلاة** بالحا المهملة اي دخل وقتها وجا حينها لا بمعنى دنت وقربت كما قيل لانه مجاز قامت القرينة على خلافه فهذه الصلاة قيل انها العشا لان الاسرا يكون في اول الليل كما هو الظاهر لانها كانت مفروضة على بعض الانبيا كما رواه المحدثون واختاره النووي قالوا وهذا كان بارواحهم ممثلة او باجسادهم لانهم احيا ثم ان هذا ان كان بعد الاسرا فهي الصلاة المفروضة لان المعراج تعدد كما سيأتي تفصيله والا فهي تنفل وليس المراد بالصلاة الدعا كما قيل لان قوله **فاممتهم** اي صليت معهم جماعة وانا امامهم يأباه ظاهرا **فقال قايل** قيل هو جبريل **يا محمد هذا مالك خازن النار** اي الموكل بها وباهلها **فسلم عليه** مالك اي على القايل او سلم جبريل على مالك وهو الظاهر **فالتفت** اي مالك **فبداني بالسلام** علي والالتفات الانصراف عما كان ينظر اليه لغيره ولو بعنقه وانما بداه بالسلام لانه قادم وليعظمه وليعلمه بامنه منه لتامينه الله له لان السلام امان وسلامة ومالك رئيس خزنة النار وملايكة العذاب وله صورة مهولة جدا وفي الروض الانف انه صلى الله عليه وسلم يلقه احد من الملايكة الا ضاحكا مستبشرا غير مالك فانه لم يضحك لاحد قط وهذا ينافيه ما ورد انه صلى الله عليه وسلم تبسم في صلاة فسيل عن ذلك فقال رايت مالكا راجعا من طلب القوم

وعلى جناحه الغبار فضحك الي فتبسمت واجيب بان المعنى انه لم يضحك منذ خلقت النار الا في هذه المرة وهذه القصة وقعت بعد الخبر الاول وهذه الرؤية يحتمل ان تكون بصورته الاصلية وبغيرها وفي فتاوي النووي هذه الصلاة يحتمل ان تكون قبل صعوده الى السماء ويحتمل ان تكون بعده والظاهر الاول **وفي حديث ابي هريرة ثم سار** اي جبريل **حتى اتى بيت المقدس فربط فرسه الى صخرة** المراد بالفرس هنا البراق لقرب صورته منها لان الفارس يطلق على مقابل الماشي سوا كان راكبا فرسا او حمارا او بغلا وقد ورد في الحديث تسمية البراق فرسا في حديث المعراج في رواية اخرى انه اتي بفرس فحمل عليه واحتمال ان يكون جبريل ركب فرسا معه كما جا في قصة مقاتلة الملايكة معه والمراد بالصخرة صخرة بيت المقدس التي كانت قبلة قال العرفي في غريب الموطا انها من غرايب الدنيا فان جميع المياه تخرج من تحتها وهي صخرة صما في وسط المسجد الاقصى كجبل بين السما والارض معلقة لا يمسكها الا الله وفي اعلاها موضع قدم رسول الله حين ركب البراق ليلة الاسرا فمالت من تلك الجهة من هيبته وفي الجهة الاخرى اثر اصابع الملايكة التي امسكتها اذ مالت ولذا كان بعضها ابعد من الارض من بعض وتحتها غار عليه باب يفتح لمن يدخله للصلاة والدعا وعدى ربط بالي لتضمنه ضم او الى بمعنى البا او عند كقوله •

اشهى الي من الرحيق السلسل •

فصلى اي جبريل وقيل النبي عليه السلام **مع الملايكة** لما وجدهم يصلون ثمة **فلما قضيت الصلاة** اي تمت وفرغوا منها وقضى مبني للمجهول نايب فاعله الصلاة وتاوه ساكنة للتانيث وضبطه في الشرح الجديد بالبنا للفاعل وضم تايه على انه التفات وهو خلاف الظاهر فان استند لرواية فيها ونعمت **قالوا يا جبريل من هذا معك** خبر بعد خبر او حال **قال هذا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين** والرسل لان نفي الاعم يستلزم نفي الاخص وخاتم بكسر التا وفتحها بمعنى آخرهم وقوله في الحديث لا نبوة بعدي الا ما شا الله المستثنى هو المبشرات ان صحت هذه ولا يرد عيسى لانه ينزل على شريعته ولم ينبا بعده كما مر **قالوا وقد ارسل اليه قال نعم** تقدم شرحه **قالوا حياه الله من اخ وخليفة** هي تحية ودعا بالبقا والسلامة فان حيا واحيا بمعنى ومن زايدة او مبينة للضمير وجعله الملايكة اخا لهم والمراد اخوة الايمان وخليفة لانه خليفة الله في ارضه استخلف فيها لعمارتها وسياستها وتكميل النفوس البشرية وتنفيذ الاوامر الالهية لا لاحتياجه سبحانه بل القصور الخلق عن التلقي بغير واسطة وتاوه للمبالغة قال التلمساني لا يقال للسلطان خليفة الله لان الله حي لا يغيب وانما الخليفة لمن يغيب او يعجز وانما يقال خليفة فقط اذا اتبع الشرع والسنة وانما يقال امير **فنعم الاخ ونعم الخليفة ثم لقوا ارواح الانبيا** ببيت المقدس بعد انقضا الصلاة اي بعد العروج في مراتبهم في السما اي لقوا الملايكة ارواح الانبيا وفي هذا دلالة على تشكل الارواح وتمثلها في الملا الاعلى على ما كانوا عليه في الدنيا من الصورة وما تقدم ايضا يحتمل هذا **فاثنوا على ربهم** اي اثنى الملايكة على ربهم اذ لاقوا ارواح الانبيا كما تقول اذا رايت احدا من الصالحين الحمد لله الذي من علينا بلقايك الا ان آخر الحديث يدل على انهم الانبيا بدليل قوله كلكم اثنى على ربه وانا اثني على ربي وقوله **وذكر كلام كل واحد منهم وهم ابراهيم وموسى وعيسى وداود وسليمان ثم ذكر كلام النبي صلى الله عليه وسلم فقال وان محمدا صلى الله عليه وسلم اثنى على ربه فقال**

كلكم اثنى على ربه وانا اثني على ربي فاقول الحمد لله الذي ارسلني رحمة للعالمين
وفيما ذكر مخالفة لما ذكر في اول الحديث من الانبيا وهو من باب الابدال لا الزيادة الا ان يكون
اقتصر هنا على الزيادة وقوله الحمد لله دليل على انه تحدث بنعمة الله لا تمدح والعالمين شامل
للمسلمين ورحمتهم ظاهرة لسعادتهم في الدارين في معاشهم ومعادهم وللكافرين بامنهم من
الخسف والمسخ والاستيصال وكافة للناس بيان لعموم رسالته فهو اما صفة مصدر اي
ارسالة كافة اي عامة كفتهم عن الخروج منها فهو مفعول مطلق لارسلني او اسم فاعل حال من اليا
اي حال كوني كافا للناس فالتا للمبالغة وكونه حالا من الناس مقدما على صاحبها المجرور قول
ضعيف بشيرا ونذيرا اي مبشرا بالخير لمن آمن واتقى ومحذرا لمن كفر وعصى وهو حال مترادفة
او متداخلة حمدا او لا على ما انعم به عليه ثم ثنى بما له من الفوائد والمنافع وانزل علي الفرقان
فيه تبيان كل شيء سمي الفرقان لانه يفرق بين الحق والباطل وهو بحسب اللغة عام خصه
العرف بالغلبة وهو مصدر صار بمعنى الفارق او المفرق اياته او انزاله والتبيان بكسر التاء
كالتلقاء شاذ قياسه الفتح وهو جائز في غير القرآن وكونه مبينا لكل شيء كما قال ما فرطنا
في الكتاب من شيء يحتاج اليه من الامور المهمة الشرعية تفصيلا في بعض واجمالا في بعض واحاله
على الرسول اذ امر باتباعه وعلى الاجماع بقوله ويتبع سبيل المومنين واتباع ايمة الدين وهو شامل
للقياس والاجتهاد كما في الكشاف وغيره من التفاسير وجعل امتي خير امة كما قال كنتم خير
امة اخرجت للناس وفسره تامرون بالمعروف الاية وجعل امتي وسطا اي عدولا خيارا جامعين
بين العلم والعمل وساير الصفات التي هي بين التفريط والافراط استعير من المكان المستوي الجوانب
لما ذكر وجعل امتي هم الاولون والاخرون هم ضمير مبتدا ونفيد الحصر وليس ضمير فصل لانه لو
كان كذلك قال الاولين ومعنى اوليتهم سبقهم الناس في القبور وفي دخول الجنة وفصل
القضا وتاخرهم باعتبار الوجود الخارجي وقد فسره بهذا في حديث البخاري وهو قوله نحن
الاولون السابقون يوم القيمة بيد انهم اوتوا الكتاب قبلنا ونسمي سبق السعادة في الازل كما قيل
وشرح لي صدري اي وسعه بالعلم والايمان والحكمة واليقين بحيث لا احزن على اثر من امور
الدنيا او شقه وملاه بانوار كامر ووضع عني وزري اي طهر قلبي من حظ الشيطان وعصمني
فلا ارتكب ما لا يرضي الله ولذا قال ليغفر لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فسوى بين ما تقدم
وما تاخر لعدم وقوعهما او خفف اعباء النبوة والتبليغ باقامة ادابه علي فالجملتان في غاية
التناسب ورفع لي ذكري اذ جعلني مذكورا في الملاء الاعلى وجعل اسمي طراز الجنان ومقرونا
مع اسمه على كل لسان وعلى المنابر في كل اقامة واذان كما قال حسان

وضم الاله اسم النبي الى اسمه • اذا قال في الخمس المؤذن اشهد •

وجعلني فاتحا للنبوة اذ خلق روحي قبل الارواح ونباها قبل كل نبي وخاتما للنبوة
والرسالة وهو الآن كما كان اذ لا نبي بعده فقال ابراهيم بهذا اي بمجموع ما ذكر لكل واحدة
منها لا بالاول فقط كما قيل قال هذا خطابا للانبيا لما سمع مقاله فضلكم محمد اي زاد فضله
عليكم وقدم المعمول للحصر ثم ذكر انه اي النبي صلى الله عليه وسلم او جبريل بقوله عرج به مبني
للفاعل والمفعول من السما الدنيا ومن سماء الى سماء كما تقدم وفي حديث ابن مسعود
الذي رواه ابن عرفة في جزيه وابو نعيم في الدلايل وانتهى بي اي جبريل وقيل نهاية عروجه
به او هو مبني للمفعول الى سدرة المنتهى وهو في السما السادسة وتقدم ان الاكثر على انها

في السابعة

في السابعة والجمع بينهما بان اصلها في السادسة وفروعها في السابعة الا انه قيل ان خروج ج
النيل والفرات من اصلها يقتضي انها في الارض وورد في حديث آخر ان الانهار اربعة هذان
وسيحان وجيحان ووردانها في الجنة قال ابن المنير فان قلت كيف انصبابها للارض قلت يمكن
ان يكون كالمطر متفرقا ثم يجتمع ويساق كل لمستقره ومجراه ويحتمل ان انصبابها في نواحي من الارض
غايبة عنا شايبت عن برية متصلة بمبادي هذه الانهار فان منها ما لم يقف على مباديه الى الآن
قلت تشهد له قصة النيل وبهذا يجمع بين كونها في السما واعضاها في الارض وقوله اليها
ينتهي ما يعرج به من الارض بالبنا للمفعول اي ما يعرج به الملايكة من امور الارض للعرض
على الله من امور عبيده فيقبض منها بالبنا للمجهول والقاف والضاد المعجمة قبلها باء موحدة
مفتوحة كذا صححوه اي يقبضه الكتبة وتكتبه ومن للابتدا والضمير للسدرة والمراد انه
عندها يرفع اليهم واليها ينتهي ما يهبط من فوقها من العرش بواسطة الملايكة المقربين
فيقبض منها اي يوحي اليهم علمه ولو قيل ضمير منها للملايكة للعلم بهم من السياق كان اظهر قال
اذ يغشى السدرة ما يغشى اي امر عظيم لا يعلم كنهه وظاهر السياق ان المراد بهذا امر
الله ووحيه فكان عليه ان يبينه وقال اي ابن مسعود فراش من ذهب اي ذهب على صورة
فراش وفراش مرفوع عامله مقدر اي غشيها فراش والفراش معلوم وفي رواية ابي هريرة
من طريق الربيع بن انس البكري البصري نزيل خراسان التابعي الثقة يروي عن انس والرواة
عنه مشهورة توفي سنة تسع وثلاثين ومايه فقيل لي هذه سدرة المنتهى التي سمعت
بها والظاهر ان القايل جبريل ووقع في بعض النسخ السدرة المنتهى بتعريفهما دون اضافة اي
السدرة التي هي المنتهى فالمنتهى يبدل منها ينتهي يصل اليها كل احد من امتك خلى بفتح المعجمة
واللام المخففة اي مضى لقوله تلك امة قد خلت على سبيلك اي طريقتك وسنتك اي من
مات من امتك مومنا بك عرج بروحه مع الملايكة اليها فيقال هذا عبدك فلان بن فلان فيوتى
له بصك الامان وبهذا فسر قوله ثم ان كتاب الابرار لفي عليين الاية وهي السدرة المنتهى
يخرج من اصلها اي عروقها الداخلة في الارض انهار من ماء غير اسن اي لا يتغير طعمه
ولونه ورايحته في اصلها وان طال مكثه وعدم جريانه وليس المراد نفي التغير في الحال لان
كثيرا من انهار الدنيا كذلك وهذا مع عذوبته فان المياه العذبة هي القابلة للتغير ولذا كان
البحر المحيط بالدنيا مالحا على ما قرره ارباب الطبايع في علم الحكمة وانهار من لبن لم يتغير
طعمه اي لم يحمض كغيره اذا مكث وانهار من خمر لذة للشاربين اي لذيذة سايغة ليس كخمر
الدنيا المرة المسكرة شربها حتى قالوا انقل من القدح الاول وانهار من عسل مصفى من القذا
والشمع وانه لم تمسه نار لانه ليس رجيع النحل وونيم الذباب وهي شجرة يسير الراكب في ظلها
سبعين عاما وان ورقة منها مظلة للخلق بضم الميم وكسر الظاء المشالة وتشديد اللام
المكسورة اسم فاعل من اظل مضاف للخلق والمراد الجمع الكثير لا ساير الخلق اذ لا يصح هنا وهذا
عبارة عن وسعة ظلها فان قلت قد تقدم انها كاذان الفيلة قلنا اجيب بانه في الشكل
ومن قال انه شبه بالكبر فيه ما فيه فغشيها نور من الانوار الالهية وغشيتها الملايكة
وهم نور مصور قابل للصور قال فهو قوله تعالى اذ يغشى السدرة ما يغشى اي تفسير هذه
الاية على قول كامر فقال تبارك وتعالى ولا يخفى مناسبة هذا التمجيد هنا لان تبارك
تفاعل من البركة وكثرة الخير الفايض منه ولذا لا تسند هذه الصفة لغيره والتعالي العظمة والترفع

في عظمة الربوبية لا المحسوس فانه منزه عنه له اي لمحمد صلى الله عليه وسلم سل اصله اسأل
تخفف وحذف المفعول للعموم اي سل كل ما تريد فقال انك اتخذت ابراهيم خليلا اي اصطفيته
وخصصته بالخلة وسياتي تحقيقها والفرق بينها وبين المحبة واعطيته ملكا عظيما قال ابن المنير
الملك العظيم الذي اوتيه ابراهيم يحتمل انه ما اوتيه ذريته كيوسف وسليمان وداود وغيرهم من
ملوك بني اسرائيل من ذريته كما قال تعالى فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما
وكونه ملك النفس والزهد غير مناسب هنا والمراد قهره لعظماء الملوك في عصره كنمرود اذ القاهر
اعظم من المقهور وجاء في التفسير ان الملك النبوة فان قلت كيف هذا وقد قال النبي للاعرابي
خفف عليك فلست بملك وقال ابو سفيان للعباس اذا وقفه على كتائب الفتح فلم يرضها حتى مرت
الكتيبة الخضراء التي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا يسمونها الخضراء لكثرة الحديد فيها وهو عند
العرب اخضر ولذا قال ابن هاني ؎

وجنبتم ثمر الوقايع يانعا ۞ بالنصر من ورق الحديد الاخضر

وربما سموا السيف بقلة فقال لقد اصبح ملك ابن اخيك عظيما فقال لا تقل ملكا انما هو النبوة فلم
يرض تسميته ملكا قلت المنفي الملك العرفي المذكور في قوله الخلافة بعدي ثلاثون عاما ثم تعود
ملكا واما الملك الحقيقي الديني فليس بمنفي ومع هذا لا يجوز ان يطلق على نبينا وابراهيم انهما ملكان
لان مقام النبوة اشرف وعدمه فيه وفي آبائه من دلائل النبوة ولذا سال هرقل هل كان في آبائه ملك
وخرجت الخلافة عن اهل بيته لئلا يتوهم انه ملك متوارث انتهى وبهذا يندفع ما يرد على الفقهاء في نصب
احكامه الى فتيا وقضاء وسلطنة وكلمت موسى تكليما واعطيت داود ملكا عظيما اي ملكا شرعيا
حقيقيا لا عرفيا وهو الخلافة العظمى حتى سخرت له الطير والجبال وخصصته بكلامك له من
غير واسطة حقيقة كما يشير له التاكيد خلافا لمن انكره من المعتزلة كما بين في الاصول ؎
والنت له الحديد بحيث كان في يده كالعجين يتخذ منه الدروع وسخرت له الجبال فكانت تسبح
معه اذا سبح واعطيت سليمان ملكا عظيما اذ ملكته الدنيا باسرها وسخرت له الجن
والانس فكانت الجن تخدمه في بنائه وغيره فبنت له بيت المقدس بالرخام المزخرف بناء عاليا حتى
كان يضيء في الليلة المظلمة ولم يزل كذلك حتى خربه بخت نصر ونقل ما فيه لمملكته بالعراق وكان
جميع جنده ورعاياه لا يعصونه في شيء والشياطين وهم مردة الجن فهو من عطف الخاص على العام
فكانوا يغوصون البحار ويستخرجون له الدر والجواهر ويعملون له ما يريد والرياح فكانت تجري
بامره كما يشاء وتحمل كرسيه وبساطه مسيرة شهر غدوا ومسيرة شهر رواحا واعطيته ملكا لا ينبغي
لاحد من بعده كان سأله من الله وهو ملك الانس والجن والرياح فملك ما فوق الارض وما تحتها
وقد عرض هذا على نبينا فلم يقبله واختار كونه عبد الله وعلمت عيسى وهو صغير التورية
والانجيل الذي انزل عليه وحفظ التوراة وعمل بها لان الانجيل ليس فيه احكام وانما هو حكم
وحقائق التوحيد وقيل فيه احكام قليلة بالنسبة للتورية وجعلته يبرئ الاكمه الذي
ولد اعمى بدعائه باسمك وقال الثعلبي هو الذي لا يبصر بالليل ويبصر بالنهار قاله البخاري
عن قتادة فلا يعلم هذا في لغة والمعروف ما تقدم والذاهب البصر بعد الابصار والاكمه الذي
سلب عقله بتنزيل البصيرة منزلة البصر والذي اعترته ظلمة فغشيت بصره انتهى وفي كلامه
تناقض فان المعنى الاخير هو عين ما انكره فان كان منقولا عن اللغة صح ما قاله قتادة وهو ثقة
ليس منهما بالمجاز فقد في تفسير القرآن لا سيما وقد تابعه البخاري ومتابعته تعتمد في حديث

الرسول نكيف اللغة والابرص وهو علة مزمنة لا يتيسر علاجها للحكماء بها يبيض لون البدن
ويصير قبيحا وهو اقبح الامراض بعد الجذام ولذا جوز الشافعي فسخ النكاح به واعذته اي حفظته
واجرته وامه مريم من الشيطان الرجيم الرجم كناية عن اللعن والطرد من رحمة الله ولذا
قال اني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم وفي حديث مسلم ما من مولود يولد الا نخسه الشيطان
فيستهل صارخا من نخسته الا ابن مريم وامه وكذا نبينا عليه افضل الصلاة والسلام لان المتكلم
لا يدخل في عموم كلامه ولانه علم بالحديث انه ولد مشيرا الى السماء ناظرا لربه ولم يسلط عليه شيطان
كما جعل بينه وبين مريم وابنها حجابا وهذا غير القرين الذي مع كل احد حتى الانبياء وفي هذا كلام
في الكشاف وشروحه فلم يكن له عليهما سبيل اذ حماها وعصمهما فقال له ربه اي لمحمد صلى الله عليه
وسلم لما سمع مقالهم وان المقامات العلية سبق لها السابقون من الرسل قد اتخذتك حبيبا
هذا في مقابلة الخلة والمحبة اعظم من الخلة كما سياتي ولم يذكر ما يقابل ما بعده لانه معلوم اذ هو لم يرض
الملك وقد خاد عوضه لما هو اعظم من هذا وهو الشفاعة العظمى والقرآن اعظم من التورية
والانجيل وابراء الاكمه ونحوه قد وقع منه مثله كرد عين قتادة وبرء كثير من الامراض بمس يده
وتقدم الكلام على اعاذته من الشيطان فهو مكتوب في التوراة محمد حبيب الرحمن وهذا كلام الراوي
كالشاهد لصحة الزيادة المذكورة وفي السميعات للمحاملي قال اتيت في الحديث انه قال
هممت ليلة المعراج ان اخلع نعلي فسمعت النداء من قبل الله تعالى يا محمد لا تخلع نعليك لتشرف السماء بهما
فقلت يا رب انك قلت لموسى اخلع نعليك انك بالواد المقدس فقال يا ابا القاسم اذ ذاك منى لست
عندي كموسى فان موسى كليمي وانت حبيبي انتهى وارسلتك الى الناس كافة قد تقدم شرحه
وكذا قوله وجعلت امتك هم الاولون وهم الآخرون لسبقهم في دخول الجنة وتاخرهم وجودا
والمنة بهذا عليه لما تضمنه من كثرتهم وقلة مكثهم في القبور وعدم نسخ شريعتهم وجعلت
امتك لا تجوز لهم خطبة هي كلام يقال على رؤوس الاشهاد للاعلام بامر مهم وكان من عادة العرب
اذا اجتمعوا في ناد قام منهم واحد فخطب اذا تفاخروا او تصالحوا او ارادوا وعظا وليس في
سوق عكاظ خطب مشهورة فجاء الشرع على منهجهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا وقع امر
قام بينهم خطيبا فالخطبة مشتقة من الخطب وهو الامر العظيم وبقي ذلك مشروعا في الجمعة
والعيدين والنكاح والاستسقاء لوعظ الناس ونحوه حتى يشهدوا انك عبدي ورسولي
اي لا يعتد بخطبهم الا اذا اتوا فيها بكلمتي الشهادة لما ورد في الحديث كل خطبة ليس فيها تشهد فهي
كاليد الجذماء اي هي ناقصة لا بركة فيها وهذا يقتضي ان التشهد فيها ركن او شرط قيل وهذا
لم يقل به احد من العلماء الفقهاء وائمتهم فان قيل المراد انه لا تصح خطبة من لم تتضمن الشهادة
اي لا يصح الا خطبة المسلم المصدق بك والا فالامة امة الدعوة فهو بعيد واجيب بان الشافعي وغيره
اشترط في الخطبة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وهي تتضمن الشهادة بذلك ولا يخفى
ان هذا غير موافق لظاهر الحديث فالظاهر انه كان واجبا فنسخ وجوبه بالاقتصار على مقدار
تهليلة وتسبيحة وقال ابو يوسف ومحمد لا بد من ذكر طويل يسمى خطبة واقله قدر التشهد الى قوله عبده
ورسوله يثني بها على الله ويصلي على نبيه ويدعو للمسلمين لان الخطبة واجبة وما دون ذلك لا
يسمى خطبة كما قاله الزيلعي والحديث يشهد له وجعلتك اول النبيين خلقا لانه خلق روحه
قبل الارواح ثم خلق الارواح ونباه فهو اولهم خلقا ونبوة وآخرهم بعثا وارسالا كما تقدم بيانه
واعطيتك سبعا من المثاني اي الفاتحة لانها سبع آيات هي تثنى وتكرر في كل ركعة او السبع

الطوال البقرة وآل عمران والنسا والمائدة والانعام والاعراف والتوبة وحدها او مع الانفال بنا على انهما سورة واحدة لعدم البسملة بينهما لتكرار المواعظ والمعنى فيها **ولم اعطها نبيا قبلك** كما تقدم بيانه **واعطيتك خواتيم سورة البقرة من كنز تحت عرشي** الكنز المال المحفوظ فشبه به ما في اللوح المحفوظ مما لم يطلع عليه خلقه فجمل خواتيم سورة البقرة وما فيها من الثواب المعد لمن قراها بالعظيم اخرج من ذلك الكنز الذي هو اللوح وفي الحديث من قراها كفتاه اي عن قيام الليل او من الشيطان وعن ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم قال انزل الله علي ايتين من كنوز الجنة ختم بهما سورة البقرة كتبهما الرحمن بيده قبل ان يخلق الخلق بالفي عام من قراهما بعد العشاء مرتين كفتاه من الشيطان ولا يكون له عليه سلطان قال التوربشتي انه استجيب له مضمون قوله غفرانك ربنا الخ ونصره ولما قراهن صلى الله عليه وسلم قيل له قد فعلت واوثر الاعطا لمناسبة الكنز **لم اعطها نبيا قبلك** اي لم يعط مثلها احد قبله **وجعلتك فاتحا وخاتما** اي فاتحا لكل خير وشريعة فهو اعم من قوله جعلتك اول النبيين خلقا واخرهم بعثا فمن فسره به فقد قصر **وفي الرواية الاخرى** التي رواها مسلم **فاعطي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا** من الفضائل المخصوصة به **الصلوات الخمس** اي لم تجمع لغيره ولغير امته ولا لنبي قبله فان الانبيا قبلهم كانت لهم صلاة موافقة لبعض هذه دون مجموعها وكان صلى الله عليه وسلم يصلي قبل الاسرا ولكن لم يشتهر بيان كيفيتها ونقل السيوطي في اخر الخصايص انها لم يكن فيها ركوع ولذا نزل يا ايها الذين امنوا اركعوا واسجدوا **واعطي خواتيم سورة البقرة** كما تقدم **وغفر لمن لم يشرك بالله شيا من امته المقحمات** بضم النون وقاف وحاء مهملة مكسورة بزنة اسم الفاعل من الاقحام وهو الالقا والمراد الكبائر التي يلقي صاحبها في النار او المهلكات وهذا كقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا اي بتوبة وبدونها خلافا للمعتزلة والكلام فيه مشهور **وقال** اي ابن مسعود في الحديث الذي رواه **ما كذب الفواد ما راى** الى هنا لفظ القران والمقول عن راويه من الزيادة انما هو تفسيره بقوله **راى جبريل في صورته** الاصلية التي خلق عليها له **ستماية جناح** لا في صورة تمثل بها فان الله اعطى الملايكة قوة التشكل باي صورة ارادوها ونقل السمني عن السهيلي في قوله صلى الله عليه وسلم ان الله ابدل جعفرا بيديه جناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء ليس هذا كما يسبق الى الوهم جناح بريش كالطير لان الصورة الادمية اشرف وانما هي عبارة عن قوة ملكية روحانية اعطيها جعفر كما اعطي الملايكة فان اجنحتهم صفات ملكية لا تدرك الا بالمعاينة لان قوله فيهم اولي اجنحة مثنى وثلاث ورباع يدل على ذلك اذ لم يرطاير باكثر من جناحين فكيف بستماية كما في صفة جبريل فدل على انها صفات لا تنضبط كيفيتها بالفكر انتهى واعترض عليه بان هذا اشبه بكلام الفلاسفة والحشوية فاي مانع من ابقايه على ظاهره وكون طيور الدنيا ليس لها غير جناحين غير ضار والاحاديث صريحة في انها اجنحة حقيقية كثيرة من زبرجد وياقوت ملونة كاجنحة الطواويس ولا ينكر هذا الا من ينكر الملايكة وكون جناحي جعفر حقيقيين يؤيده كون ارواح الشهدا في جوف طيور خضر في الجنة فاي حاجة للتاويل ومثله لا يليق بمثل الامام السهيلي **وفي حديث شريك** المتقدم مع ما فيه **انه راى موسى في السابعة** وهو مخالف لما مر من انه في السادسة فان كان الاسرا متعددا فظاهر انه لا منافاة والا فيجمع بينهما بانه راه اولا في السادسة ثم صعد الى السابعة فراه بعد رجوعه فيها **قال** اي النبي صلى الله عليه وسلم او الراوي على انه من كلام شريك وهو مما زج فيه **بتفضيل**

كلام الله

كلام الله اي علوه بتبه وصعوده للسابعة لفضله على غيره لكونه كليم الله فالبا سببية وهو مضاف للفاعل **قال** في الحديث **ثم علا به** اي برسول الله من السابعة **فوق ذلك** الا السما السابعة **بما لا يعلمه الا الله** اي بمقدار لا يعلم محله وحقيقته وقيل انه بينه وهو بدل من فوق والبا للاستعلا كما في قوله تامنه بقنطار او بمعنى الى كما في قوله وقد احسن بي فكان مقامه ارفع من مقام موسى ولذا عقبه بقوله **وقال موسى** اذ راى رفعته **لم اظن ان يرفع علي احد** ومناظنه تفرده بتكلم الله وقد شاركه في ذلك وزاد عليه بما اقتضى رفعته على ساير الانبيا واعترض على هذا بانه كيف يقول موسى هذا وقد علم بتفضيله وهو مذكور في التوراة والا والانبيا التواضع وهذا مما يطعن به في رواية شريك **وقد روي عن انس انه صلى الله عليه وسلم صلى بالانبيا ببيت المقدس** اماما ولا حاجة الى حمله على انه بعد الاسرا الذي فرضت فيه الصلاة وان كان محتملا ايضا كما مر **وعن انس** كما رواه البزار والبيهقي **بينا انا قاعد ذات يوم اذ دخل جبريل** اصله بين فاشبعت الفتحة فتولدت الالف وهو ظرف مضاف للجملة تضمن معنى الشرط والعامل في اذ معنى المفاجاة اي وقت قعودي يوما فاجاني فيه دخول جبريل او وقت دخوله وذات يوم توكيد دفعا لتوهم التجوز عن مطلق الزمان وذات وذو تزاد كثيرا كقوله رجل من ذي يمن اذ دخل جبريل فوكز اي ضربه ضربا حقيقيا كما يفعله من يوقظ غيره بحيث لا يطلع على ايقاظه وقيل الوكز جمع الكف **بين كتفي** وفي رواية بينا انا نايم وجمع بينهما بانه يجوز ان ينام وهو قاعد ولذا وكزه ليستيقظ وهذا من جملة الزيادة وفي بعض الشروح انه كان ببيت المقدس **فقمت معه من محل قعودي الى شجرة فيها مثل وكري الطير** مثنى وكر وهو للطير كالبيت للانسان والجحر للحشرات والكناس للظبا كما بينه اهل اللغة اي بيتين شبيهين بالعش وصفا وهيئة لا مقدارا لانه لا يسع الادمي ولو كان كعفو في الطير كالنسر والعقاب **فقعد** اي جبريل **في واحدة وقعدت في الاخرى** قيل انثه لانه كالعش يذكر ويؤنث والغالب على السنة اهل مكة تانيثه او هو لتاويله بالزاوية والطاقة ونحوهما وما قيل لانه ماوى اناث الطيور غالبا لا وجه له **فنمت** بالنون والضمير للشجرة اي زادت وارتفعت **حتى سدت الخافقين** هما المشرق والمغرب لخفوق الشمس والنجم فيهما اي غيابهما او حركتهما واصل معنى الخفوق الاضطراب والحركة ولذا حسن قوله

> اما والله لولا خوف سخطك ● لهان علي ما القى برهطك
>
> ملكت الخافقين فتهت عجبا ● وليس هما سوى قلبي وقرطك

وروي سمت بالسين من السمو كالعلو لفظا ومعنى **ولو شيت** لعلوها وقربي منها **لمسست السماء وانا اقلب طرفي** بكسر السين وفتحها وروي لمست بسين واحدة من اللمس او هو لخفته وثقل حركته وتقليب طرفه بمعنى نظره في جوانبها لثباته وعدم دهشته وتامله في ايات الله في الافاق **ونظرت جبريل** اذ قلبت طرفي فوقع عليه بحذائي **كانه حلس** بكسر الحاء المهملة وسكون اللام وسين مهملة وهو كسا رقيق يوضع تحت القتب والبرذعة ويبسط في البيت **لاطي** اي لاصق بالارض والمراد به لما قرب من السما غشيته مهابة حتى خضع والتصق بارض العش الذي هو فيه والنبي متثبت لم تمسه روعة كما يمس جبريل ويقال فلان حلس بيته لمن لا يخرج منه قال ابو بكر رضي الله عنه كن حلس بيتك حتى تاتيك يد خاطية او منية قاضية ولاطي بلام وطا مهملة مهموز بمعنى لصق كما في الصحاح وفي بعض

رة
ىق
مل
الطاير

النسخ جلس لاطيا بفتحتين ونصب لاطي وصح روايته ولم نفسره وجملة كانه حال من جبريل
فعرفت فضل علمه بالله علي اي عرفت بما اعتري جبريل من الخشية انه اعرف بالله مني
لانه بقدر العلم يكون الخوف والخشية قيل هذا تواضع منه صلى الله عليه وسلم لانه افضل منه
ورد بانه قد يكون في المفضول ما ليس في الفاضل والملائكة المقربون قد يعرفون من احوال
الملكوت ما لا يحمله غيرهم وان كان افضل والقول بانه قاله قبل العلم بتفضيله عليه لا يناسب
هذا ورايت النور الاعظم قيل هو نور العرش او الله تعالى لانه يسمى نورا كما قال الله نور السموات
والارض والحكما والمتكلمون جوزوه من غير تاويل قال الاشعري نور لا كالانوار وقال الغزالي
النور هو الظاهر بنفسه المظهر لغيره فان فهمت فهو نور على نور وبعد هذا الكلام لا يصح منه
ولطي دوني الحجاب وفي نسخة واذا دوني الحجاب ولطي بضم اللام وتشديد الطا المهملة
مبني للمجهول ويقال لططت الباب اذا اغلقته وكذا اذا سترته يعني انه بعد ما شاهد
النور ارخي بينه وبينه حجاب ستره عنه وسياتي الحجاب وتاويله عن قريب وفرجه بضم
الفا وفتح الرا المهملة والجيم مضافا للضمير الحجاب جمع فرجه بوزن غرفة وهي ما بين الشيئين
من خلاء او بين اجزاء شي مفتوحة اي فرج الحجاب الموحي وطاقاته الذي يخرج منها نوره
الدر والياقوت وهما نوعان من الجواهر معلومان ثم اوحي الله ما شاء ان يوحي بالبنا
للفاعل والمفعول وحديث انس هذا سقط من بعض النسخ وذكر البزار بفتح الموحدة وتشديد
الزاي المعجمة والف وراء مهملة نسبة لعمل البزر وهو بزر الكتان الذي يخرج منه السليط
ويقال لكل بزر يبذر للزراعة وهذا هو احمد بن عمرو بن عبد الخالق البصري صاحب
المسند الكبير المعلل توفي بالرملة سنة اثنين وتسعين ومائتين وترجمته مشهورة وهو
ثقة حافظ عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه لما اراد الله ان يعلم رسوله اي يعرفه الاذان
الذي شرعه له للاعلام بدخول وقت الصلاة جاءه جبريل بالبراق ظاهر سياقه انه هذا
معراج آخر غير الذي كان بمكة قبل الهجرة كما مر وهذا يدل على ان الاذان كان بالمدينة وسياتي
ان هذا المعراج كان المقصود منه تعليم الاذان وسياتي بيانه فذهب يركبها اي شرع في
الركوب وذهب وردت بهذا المعنى كثيرا وليست من الذهاب بمعنى المضي تقول ذهب
يقول كذا اي شرع في مقاله وقوله فاستصعبت الخ تقدم شرحه فلا نكرره وتانيثه لغة
او ما وله بناقة وهذا الحديث رواه بسند متصل بعلي وفي سنده له قال ابن المنذر وقد
قيل فيه انه كذاب والحديث ضعيف وقال السهيلي بصحته وذكر الحجاب وسياتي بيانه فقال
اي الملك الذي خرج من خلف الحجاب ولم يعرفه جبريل الله اكبر الله اكبر الى آخر الاذان واجابه
المؤذن بما يليق برب العزة فلذا شرع لنا بما يناسب حالنا على ما عرف في كتب الفقه والسنة
وذكر الراوي مثل هذا الذي ذكره قولا وجوابا للمؤذن في بقية الاذان الا انه لم يقل
جوابا عن قوله حي على الصلاة حي على الفلاح لانه لا يتصور في حقه معناه ولان
جوابه لا حول ولا قوة الا بالله اي لا يقدرنا على الصلاة والسعي لها واداء حقوقها الا من
هي له وهذا لا يليق الا بالمخلوق بخلاف ما قبله قال اي الراوي ثم اخذ الملك بيد محمد
فقدمه على من كان بحضرته من الانبيا فام اي صار اماما يؤم اهل السما حالة كونهم
فيهم آدم ونوح خصهما بالذكر لانهما ابو الانبيا الجسمانيين كما انه ابوهم الروحاني المتقدم عليهم
تقدما حقيقيا قال ابو جعفر محمد بن الحسين بن ابي علي بن الخطاب وهو ابو جعفر الامام

المشهور

المشهور في آل الرسول واهل بيته • واعلم ان البزار كذا في اكثر النسخ قال البرهان وفي
نسخة بخط الحافظ مغلطاي البزاز وفي صحتها نظر يعني بزاي معجمة آخره والمعروف انه
براء مهملة ومعنى حي اقبل وهلم وهو اسم فعل قال القاضي منذر بن سعيد والعرب تزيد بها
حي سريعا حثيثا الا كما يقول الفقها مطيعا وفي حي لغات مذكورة في كتب العربية واللغة
واصلها حي هلا ثم تفرد حي وقد تفرد هلا والمعنى واحد والفلاح معناه الفوز بالسعادة
يقال افلح الرجل اذا اصاب خيرا او فاز وقيل معناه البقا والمعنى اقبلوا على الجنة راويه اي راوي
هذا الحديث الذي رواه عن ابيه عن جده اكمل الله لمحمد صلى الله عليه وسلم الشرف والعلو على اهل
السموات واهل الارض اما على اهل الارض فلانه اشرف الرسل وامته اشرف الامم واما على اهل السما
فلانه اشرف اهله من سائر الملائكة بدليل انه امهم وتقدم عليهم كما يدل عليه الاحاديث المذكورة يعني
ههنا ان ما ذكر ههنا يدل على ان الاذان شرع ليلة الاسرا قبل الهجرة مع انهم جزموا بانه كان
يصلي بغير اذان منذ فرضت الصلاة الى ان هاجر الى المدينة وفي حديث ابن عمر الصحيح المذكور
في الصحيحين قال كان المسلمون حين قدموا المدينة يجتمعون يتحينون الصلاة ليس ينادي لها
فتكلموا في ذلك يوما فقال بعضهم اتخذوا ناقوسا مثل ناقوس النصارى وقال بعضهم بوقا
مثل بوق اليهود فقال عمر اولا تبعثون رجلا ينادي بالصلاة وفي حديث ابي اسحق زيادة
على ما ذكر فبينما هم على ذلك اذ سمع عبد الله بن زيد بن ثعلبة الخزرجي النداء فاتى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انه قد طاف بي الليلة طائف ومر رجل عليه ثوبان اخضران
يحمل ناقوسا في يده فقلت يا عبد الله اتبيع هذا الناقوس قال وما تصنع به قلت ندعو به
الى الصلاة قال افلا ادلك على خير من ذلك قلت وما هو قال تقول الله اكبر الله اكبر الخ فلما اخبر
به رسول الله قال انها لرؤيا حق فقم الى بلال فالقها عليه فليؤذن بها فانه اندى منك
صوتا فلما اذن بلال سمعه عمر وهو في بيته فخرج يجر رداءه وهو يقول يا نبي الله والذي بعثك
بالحق لقد رايت مثل الذي راي فقال رسول الله الحمد لله وفي وسيط الغزالي انه راي هذه الرؤيا
بضعة عشر رجلا وانكره النووي وابن الصلاح وقال لم يثبت الا رؤيا زيد وعمر فهذا يدل
على ان الاذان انما روي بالمدينة وما ذكر هنا يدل على انه بمكة في الاسرا وهما متعارضان الا ان
الثاني صحيح والاول ضعيف وقال ابن حجر قول القرطبي انه لا يلزم من نفي رؤيته في الاسراء
مشروعيته في حقه وفيه انه يأباه قوله في الحديث لما اراد ان يعلم رسول الله الاذان
وقول الطبري يحمل الاذان في الاسرا على معناه اللغوي يأباه ذكره بالفاظه بعينها وما
قيل من انه رآه في الاسرا ولم يؤمر به لمكة للعجز عن اظهاره بين المشركين واخره الرسول ثم لما
راه اراد ذلك اظهره ليكون مدحه على لسان غيره في غاية الضعف ولو كان كذلك لم يؤخره حين
قدم المدينة اقول هذا كله كلام مضطرب والذي ظهر لي في التوفيق بين الحديثين على
وجه لا كدر فيه ان المذكور في رواية البزار اسرا غير المعروف وانه من وجه او في رؤياه لان
الاسرا تعدد فيكون راي في منامه ذلك ورؤيا الانبيا وحي وعقب ذلك قص عليه الصحابة
رؤياهم فاظهر موافقتهم والعمل بها لتكون الشهادة والمدح من غيره وليسروا بموافقة رايهم وكون
ذلك ما تورعنهم والا فهو فرض كفاية مشروع ومثله لا يثبت برؤيا غيره فيحتاج الى انه اجراه
بما يوافق الرؤيا وهو خلاف وهذا انشا الله من بركاته ولمعان مشكاته ثم ان المصنف استشعر
اعتراضا فيما مر او ذكر فيه الحجاب وهو في حقه تعالى محال لاستلزامه الجهة والتحيز فاراد دفعه

البقاء في ح

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بلال قم فنادي بالصلاة صح

ن

وقال رضي الله عنه ما في الحديث من ذكر الحجاب فهو في حق المخلوق الرائي لا الخالق
فيه ان الفا في خبر الموصول لتضمنه معنى الشرط وهو جايز وكذا ما ورد في الحديث حجابه النور
اذ الحجاب بمعنى المنع والحاجب المانع ومنه حاجب العين وحاجب الامير والحاجب يحيط بالمحجوب
فيقتضي تناهيه وتحيزه تعالى الله عن ذلك ولذا قال ابن عطا الله كيف يتصور ان يحجبه شي
وهو الذي ظهر في كل شي كيف يحجبه شي وهو اظهر من كل شي كيف يتصور ان يحجبه شي وهو
الواحد الذي ليس معه شي فهم اي الخلق المحجوبون والباري جل اسمه منزه عما يحجبه لما
سيأتي ولذا علا علي بالدرة من قال لا والذي احتجب بسبعة الخلائق وقال ويحك يا لكع
ان الله لا يحتجب ثم علل استحالة ذلك في حقه فقال اذ الحجب بضمتين جمع حجاب او بفتح فسكون
مصدر انما تحيط بمقدر محسوس اي بذي مقدار له طول وعرض وعمق في جهة تخص بتوجه
الناظر فيقتضي الجهة وهو منزه عن ذلك ولكن حجبه عن ابصار خلقه وبصايرهم جمع بصيرة وهي
القوة المدركة لغير المحسوس من المعقول ونحوه فلا تحيط به ابصارهم اي لا تدركه ادراك احاطة
بذاته لاقتضائه التحديد والتناهي ونحو مما هو منزه عنه كما فسره به قوله لا تدركه الابصار
كما ذكره البيضاوي ردا على من انكر الرؤية واستدل بهذه الآية وبصايرهم المراد بالادراك
العلم اي لا يعلم كنهه وحقيقته عقولهم ادراكا تاما يقينيا لا تدركه فادراكا تاما اي انواع
العلم والادراك منطاة عن ادراك ذاته فلا يرونه ولا يتصورونه ولا كنهه في غيرنا انما لما
شا وكيف شا ومتى شا متعلق بحجب اي منعهم عن رؤيته وادراك ذاته ومعرفة حقيقته
ليس بحجاب كحجاب البشر بل بسبب ارادة وكيفية لا يدركها في اي زمان وفيه ايماء الى ان
رؤية الله في الدنيا ممكنة وفي الآخرة واقعة وان معرفة حقيقته ممكنة لنا وهو الاصح
بل واقعة للانبياء ومن اسلك مثل حقيقتهم كقوله اي كقول الله في الكفار انهم عن ربهم
اي ان الكفار يومئذ اي يوم القيمة وفي الآخرة اذ يتنعم المومنون برؤيته ورضوانه
لمحجوبون وقال كقوله بالكاف لان المدعي عام وهذا خاص بالكفار ولكن فيه اثبات لمدعاه
اذ جعلهم هم المحجوبون لا الله فان قلت الحجب امر نسبي لكن بين حاجب ومحجوب والحاجب
سبحات الانوار وسنام العظمة والمحجوب مخلوقاته لا هو لانه محجوب عنه لا محجوب فيجوز ان يوصف
بانه محجوب عنه وحاجب ومحتجب خلقا فالمنكر ومثاله حفرة عميقة فيها نمل على رأسها انسان حديد
البصر والنمل محجوب عن رؤيته بالحفرة لا يرى من فوقه وهو يشاهده ويشاهد حركاته والحجاب
للمشهود لا للشاهد فعلى هذا يطلق الحجاب ونحوه عليه لوروده بهذا المعنى مطلقا او مقيدا اذا ابهام
ما سمع من الشارع لا يلتفت اليه كاليد والبصر وغيره فاعرفه فانه امر مهم كثير في القران والحديث
فقوله في هذا الحديث الحجاب بالجر على حكاية الحجاب له والرفع وقوله اذ خرج ملك من الحجاب
اراد ملك الاذان الذي سال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل يحب ان يعلمك في تفسيره
معناه انه حجاب حجب به الله من ورائه من ملايكته عن الاطلاع بكسر الطاء المشددة اي رؤيتهم
متعلق بحجب على ما دونه اي ما خلفه ووراءه من جانب الغيب وباطنه فهو الباطن والظاهر
من سلطانه الظاهر انه اراد به ما يقتضيه قدرته تصرفه مما لا يطلع عليه رسل الملايكة وغيرهم
الا باذنه نادرا وعظمته وعجايب ملكوته وما لا يدرك من ذلك والمراد بالملكوت عالم الغيب
اي ما غيب عن الملايكة وجبروته وهو يطلق على القهر وعلى عظايم الملكوت وغرايبه مما اختفي
عن غيره وهو المراد وجبروته بغير همز قال الحلبي وهو مهموز في بعض النسخ وهو لحن وبدل

غيب صح

عليه

عليه اي يدل على ان الحجاب لغيره لا لذاته قول جبريل له صلى الله عليه وسلم ان هذا الملك ما رأيته
قبل ساعتي هذه فانه صريح في ان الحجاب انما حجب الخلق فان جبريل قد حجبه الله عما في سرادق جلاله
وخلف حيطة عظمته فدل على ان هذا الحجاب المذكور في الحديث لم يختص بالذات اي لم تختص محجوبيته
بذاته تعالى اذ حجب بعض الملايكة ايضا كملك الاذان وبما فسرناه به علمت انه لا يتوهم ان المصنف حقه
ان يقول يختص بغير الذات لان نفي الاختصاص به يقتضي المشاركة كما لا يخفى ويدل عليه اي على عدم
اختصاص الحجاب بالذات كما مر قول كعب الاحبار في تفسير سدرة المنتهى اي في بيان سبب تسميتها
به اليها ينتهي علم الملايكة وعندها يجدون امر الله لا يجاوزونها علمهم فهذا وجه تسميتها ومنه يعلم
ان الحجاب انما هو بالنسبة لغيره لا له وان المحجوب عنهم ذاته وامره وملايكته المقربون وقوله يجدون
معناه يقفون عليه ويعلمونه واما قوله في الحديث الذي يلي الرحمن لما كان ظاهره انه حايل بينه
وبين غيره اشار الى تاويله بقوله فيحمل اي تفسيره بانه على حذف المضاف اي الذي يلي عرش الرحمن
فالمضاف المقدر لفظ عرش او لفظ امر او امر او زيادة ما للعموم او التعظيم او يلي امر الرحمن من عظيم
اياته من بيانية لايضاح ما ابهم اولا وهو اوقع في النفوس لحصوله بعد التشوق اليه او من مبادي
حقايق معارفه اي امرا يكون مبدا لما يتحقق به معرفة الله مما هو اي الله تعالى اعلم به من رسله
وملايكته كما قال تعالى واسئل القرية اي اهلها اشارة الى ان تقدير المضاف لقرينة عقلية
كثير بليغ لان القرية لا تسأل وانما يسأل اهلها وقوله تعالى في حديث الاذان اجابة للملك لما قال
الله اكبر من كل كبير صدق عبدي اي الملك القايل انا اكبر ظاهره انه صلى الله عليه وسلم سمع في
هذا الموطن اي المكان الذي كان قارا به كما يقر الانسان في وطنه كلام الله من غير واسطة كما سمع
موسى صلى الله عليه وسلم ولكن من وراء حجاب حجبه عن رؤية الله تعالى وهو يراه من غير حجاب بالنسبة له
وان كان النبي صلى الله عليه وسلم محجوبا عن رؤيته معاينة ثمه فهو لا يراه ثم استدل على ذلك بقوله
كما قال تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب وهو اي النبي صلى الله عليه وسلم
لا يراه اي لا يرى الله معاينة اذ حجب بصره اي بصر النبي عن رؤيته اي رؤية النبي ربه في هذه
الدنيا ولما كان هذا يوهم امتناع الرؤية مطلقا قال فان صح الحديث والقول بانه رأى
ربه عيانا حين اسري به فيحتمل انه في غير هذا الموطن الذي سمع فيه الاذان بعد هذا الموطن
والمقام او قبله رفع الحجاب عن بصره حتى رآه عيانا في مقام آخر والله اعلم

فصل

في تحقيق الاسرا جميعا يقظة او مناما او بعضه يقظة وبعضه مناما فقيل ان الاسرا كان
مرتين مرة بروحه مناما ومرة بروحه وبدنه يقظة ومنهم من قال بتعدد الاسرا في اليقظة
ايضا بل قيل انه اربع مرات وبعضها كان بالمدينة ووفق ابو شامة بين الروايات بالتعدد وانه
وقع من مكة لبيت المقدس ثابت بنص القران والحديث وقد تقدم الفرق بين الاسرا والمعراج وان
الاول سيره لبيت المقدس والثاني صعوده منه للملا الاعلى وان كلا منهما يطلق على الجميع واما حمل
البدني على انه بطريق الانسلاخ الذي ذهب اليه الصوفية فاخراج الحديث عن ظاهره لمعنى لا ينبغي
التعويل عليه وانما ذكرناه لننبهك عليه لئلا تغتر بكلام بعض جهلة الصوفية والحكما اختلف
السلف والعلما من عطف العام على الخاص والمراد بالسلف الصحابة ومن عاصرهم وبالعلما
من بعدهم هل كان اسراؤه بروحه ام بجسده اسراؤه بالنصب خبر كان اي هل كان الاسرا به اسراء الخ
على ثلاث مقالات اي اختلاف واقع على ثلاثة اقوال للسلف والخلف ثم فصله وفسره بقوله

فذهبت طائفة ممن سيصرح به الى انه اي الاسرا بالروح وانه رؤيا منام عطف تفسيري
لا بدل كما توهمه الدلجي وفي تفسير القاضي اختلف في انه كان في المنام او في اليقظة بروحه
او بجسده مع روحه في اليقظة وليس متعلقا بقوله في اليقظة فقط كما توهم والصحيح الثاني كما
سياتي قال البرهان وهي قولان احدهما انه تعدد فمرة بجسده ومرة او مرات بروحه والثاني
انا نقول بالاسراء ولا نعين كونه يقظة او مناما كما في الهدي النبوي وهو غريب مع اتفاقهم
سلفا وخلفا على ان رؤيا الانبيا حق ووحي لانهم تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم لان الشيطان
لم يسلط عليهم فيتمثل لهم والوحي على انواع منها المنام الا انه على قسمين منه ما يقع بعينه وهو الاكثر
ولذا ذهب الخليل الى ذبح اسمعيل ومنها ما يعبر ويؤول والى هذا ذهب معاوية بن ابي
سفيان ابن حرب بن امية كما رواه عنه ابن جرير وابن اسحاق وهو رضي الله عنه صحابي ابن صحابي
توفي بالشام حاكما بها سنة ستين وعمره ثمان وسبعون او ست وثمانون وكان عنده ازار رسول
الله ورداؤه وشئ من شعره وظفره فكفن بازاره ورداءه وحشي شعره وظفره بفيه ومنخره بوصية
منه رحمه الله وحكي عن الحسن البصري وحكي مبني للمجهول والمشهور عنه اي عن ابي الحسن
خلافه اي له قولان اشهرهما انه كان يقظة واليه اي الى ما ذكر عن الحسن ذهب محمد بن اسحاق
ابن يسار صاحب المغازي وهو وان طعن فيه بعضهم وحجتهم اي دليل القائلين بانه رؤيا منام
قوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس لانكار كثير له وارتداد بعض من
اسلم حين بلغهم ذلك لضعف عقولهم وايمانهم ولا حجة في ذلك لانها لها تفاسير اخر وفي بعض
النسخ هنا وقيل راها عام الحديبية اسم بئر مشهورة وياؤها مخففة وروي مشددة ايضا لانه
راى انه واصحابه دخلوا مكة كما قال تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام
الخ فلما صدوا عن الدخول فتن بعضهم فقيل لم يقل في هذا العام وقيل الاية في قصة بدر
لقوله اذ يريكهم الله في منامك قليلا وقيل المراد بها رؤيا بني امية تنزو على منبره ومما احتجوا
به ما حكي عن عائشة ما فقدت جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي نسخة فقد
بالبنا للمجهول وفي رواية لم يفقد مجهولا ايضا قال التلمساني وهي الاشبه بالصواب فهو اخبار
منها عن غيرها لانها لم تكن حينئذ زوجة بل لم توجد انتهى مع ان له زوجات اخر فلا يلزم من عدم فقدها
فقد غيرها قيل ولا حجة فيه ايضا لاحتمال انه ثم اراد ان يحجب عنها حقيقة ذلك مع ان النفي
لا يقدم على الاثبات ولا يخفى ما فيه من التكلف وقوله صلى الله عليه وسلم في رواية بينا
انا نائم قال ابن المنير في المقتفي جنح هؤلاء الى قضايا ظنوها تحيل الاسرا يقظة من حيث العقل
وذلك غلط بين وانما هو استبعاد عادي ظنوه محالا عقليا فاحتجوا بما ورد في بعض من
التصريح بانه كان نائما فاستيقظ وقوله بين النائم واليقظان ليس بصريح في ان النوم استمر بل
كان مجيء الملك وهو وسن وباول مرة لك يستيقظ النائم المستغرق لا سيما الوسن واحتجوا
على انه استمر ان المنام بما ورد في بعض الطرق فاستيقظت وانا بالمسجد الحرام رد عليهم
بان المراد الافاقة البشرية من الغمرة الملكية وبالجملة فان صح النقل في الطرق وتعارضت
وتعذر التاويل على التعدد وتنزيله على اسراءات بعضها يقظة وبعضها مناما لا يقال لو
كان كذلك لما تكرر فرض الصلاة دفعة قلنا فرضت في اليقظة وجاء المنام بعد ذلك
كالذي في تجديد العهد اذ تقدم المنام كالمقدمة والتعريض بالفرض ربما سيكون ثم
فرضت يقظة وكثيرا ما يرى النائم انه فعل فعلا كان فعله قبل ويقع له انه الفعل المتقدم

لأن

بعينه فيكون ذلك المعنى مما انتهى وقول انس وهو نائم في المسجد الحرام وذكر
القصة الواردة في حديث الاسرا الذي رواه البخاري وهو يدل على انه كان مناما ثم
قال في آخرها فاستيقظت وانا بالمسجد الحرام اي انتبهت من منامي فوجدتني في هذه
الحالة فانتفى كونه حجة وقد علمت ما فيه وذهب السلف والمسلمون عطف العام على الخاص
وفيه اشارة الى ان خلافه لا ينبغي لمسلم اعتقاده الى انه اسراء بالجسد مع الروح وفي اليقظة
المقابلة للنوم وهو بفتح اليا والقاف وتسكينها لحن الا لضرورة شعرية كقول التهامي

فالعيش نوم والمنية يقظة • والمرء بينهما خيال ساري •

وبالتسكين علم كاليقظان وهذا هو الحق الذي يقتضيه الاسلام اذ لا حاجة لصرف النصوص
عن ظاهرها بغير داع ولو كان كذلك لم ينكره احد من العقلاء وهذا قول ابن عباس وجابر وانس
وحذيفة وعمر وابي هريرة عبد الرحمن بن صخر على الاصح من اقوال في اسمه مشهورة ومالك
بن صعصعة الصحابي المدني كما تقدم وابي حبة البدري بفتح الحا المهملة بلا خلاف ثم تا
موحدة مشددة ثم ها واسمه عامر وقيل مالك وقيل عمرو وقيل ثابت بن النعمان كما في الاستيعاب
واختلف في ابي حبة الانصاري وابي حبة البدري هل هما واحد او اثنان على اختلافهم في ضبط
المتقدم وقوله بدري اي شهد بدرا اشارة الى انه من كبار الصحابة وقيل اسمه كنيته وابن مسعود
والضحاك وهو مزاحم البلخي المفسر المكنى بابي القاسم او ابي محمد يروي عن ابن عباس وابي هريرة
وهو ثقة وان ضعفه بعضهم توفي سنة خمس ومائة وقيل سنة ست واخرج له اصحاب السنن
الاربعة دون الشيخين وسعيد بن جبير المشهور وهو الوالبي ابو محمد اخرج له اصحاب الستة
وقتادة المتقدم ترجمته وابن المسيب بفتح اليا وكسرها كما تقدم في ترجمته وابن شهاب
ابو بكر محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري كما تقدم وابن زيد عبد الرحمن بن زيد بن اسلم
وترجمته في الميزان والحسن بن ابي الحسن البصري كما تقدم وابراهيم النخعي المتقدم ذكره
ومسروق بن الاجدع ابو عائشة الهمداني احد الاعلام الذي لم يخرج من همدان مثله صاحب
المناقب الجمة وكان اعلم بالفتيا من شريح توفي ثلاث او اثنتين وستين واخرج له اصحاب
الكتب الستة ولقب بمسروق وهو صغير ثم وجد ومجاهد بن جبير المتقدم ترجمته وعكرمة
بن عبد الله الامام المفسر مولى ابن العباس احد اوعية العلم الثقة وهو اباضي وسياتي بيان
الاباضية وروى له الشيخان وتوفي سنة خمس او ست وسبع ومائة وترجمته مفصلة في
الميزان وابن جريج عبد الملك ابن عبد العزيز وقد تقدمت ترجمته وهو دليل قول عائشة
قيل كيف يكون الاسرا يقظة دليل قول عائشة ما فقدت جسده الدال على انه منام لا يقظة
وهذا عجيب اذ ذكره في المذهبين وجعل ما يبطله دليلا عليه كما سياتي فضلا عما هو منه بلا
رؤية اقول لا شك انه وارد وان كلامه لا يخلو عن اشكال الا ان يقال بانه سقط منه
شيء واصله دليل على عدم صحة قول عائشة وان لم يثبت نقله عنها وقد يقال مراده انه دليل على
قول عائشة قولا موافقا لما عليه اكثر الصحابة وانها قائلة بانه يقظة كالجمهور فالمراد
ابطال ما نقلوه عنها وهذا وان كان مخالفا للظاهر لكنه اسهل من غلط المصنف وهو لا يلتبس
بقوله وهو قول محمد بن جرير الطبري المتقدم ترجمته واحمد بن حنبل وجماعة عظيمة اي كثيرة
والعظمة تطلق بمعنى الكثرة وان كان المعروف خلافه او المراد انهم ايمة مقدارهم جليل
من المسلمين وهو قول اكثر المتاخرين من الفقها والمحدثين والمتكلمين والمفسرين قيل كثرة

نقلته وشهرة الاخبار عنه الصحيحة به لايناسب مخالفة ام المومنين فيه وقالت طائفة
هذا هو القول الثالث كان الاسرا بالجسد يقظة الى بيت المقدس فقط ومنه الى السماء
بالروح يعني مناما ولا يخفى بعده اذ لم ينقل انه نام ثمة وهذه الحالة لاتناسب النوم ثمة وقوله
واحتجوا بقوله سبحانه سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى بيت المقدس
وفي نسخة الى المسجد الاقصى وهي الموافقة للنظم الشريف وهي اصح عندي واعلم انهم فرقوا
العروج الروحاني بالمنام وليس بمتعين لانه قد تفارق البدن بدون وهذا مما اتفق عليه الحكما
واهل التصوف وليس هذا محل تحقيقه فجعل غاية الاسرا تفصيل وتفسير للاحتجاج لانه لما جعله
غاية اقتضى انه لم يتجاوزه الى السما ببدنه ولا حجة فيه لان كونه غاية لمسيره في الارض لاينافي
صعوده لما يحاذيه في جهة العلو وما قيل من انه انما يتم اذا كان الاسرا مرة واحدة وعلى تعدده
يكون غاية لركوبه البراق ثم عرج منه الى السما والحكمة في عدم ذكره لنا بيانه بالسنة دون الكتاب
وهو ابلغ في المدح انتهى ليس بشيء ولو قيل انه هو الذي انكروه وانه اكتفا باقل ما يثبت به معجزته
واقتصارا على ما تفهمه عقولهم القاصرة كان اظهر ونحوه قول المبين في المقتفي وورد الاحتجاج
بان الحكمة في تخصيص المسجد الاقصى ان يسال قريش على سبيل الامتحان عن الاعلام التي عرفوها والصفات
التي شاهدوها في بيت المقدس وقد علموا ان الرسول صلى الله عليه وسلم لم يسافر اليها قط فيجيبهم بما
عاين ويوافق ما يعلمونه فتقوم الحجة عليهم وكذلك وقع ولذا لم يسالوه عما راى في السماء اذ لاعلم
لهم بذلك وهم ارباب المذهب الثالث ولو كان الاسرا الى مكان ارفع زايد على الاقصى لذكره
الله في القرآن حين قص قصة الاسرا فيكون ذكره فيه ابلغ في المدح من عدم ذكره ثم اختلف هذه
الفرقتان الثانية والثالثة في انه صلى الله عليه وسلم هل صلى النبي صلى الله عليه وسلم ببيت
المقدس حين اسرى به ام لا فقيل صلى به وام معادلة قبل نبوته وهو من نوادر العربية سمع في قوله
صلى الله عليه وسلم لجابر هل تزوجت بكرا ام ثيبا وان انكره بعض النحاة ففي حديث انس وغيره ما
تقدم من صلاته بالانبيا فيه اي في بيت المقدس وسياتي رواية اخرى انه صلى بهم في السماء كما
اشار اليه بقوله ثم انكره ذلك اي صلاته بالانبيا فيه حذيفة بن اليمان وقال كما رواه احمد
بن حنبل ما زالا اي جبريل والنبي صلى الله عليه وسلم وزاد هنا نامه اي لم ينفصلا ولم ينزلا عن
ظهر البراق حتى رجعا الى الارض وكان جبريل راكبا معه وروي انه كان ماشيا قال القاضي عياض
رضي الله عنه والحق في الصحيح رواية ان شا الله تعالى قيده بالمشية مع انه امر وقع وانقطع
تبركا وتادبا وللاشارة الى احتمال التعدد فكل رواية لاتنافي الاخرى فلا ينافي قوله ان شا الله
مع كونه حقا صحيحا كما يتوهم وهذا كقوله صلى الله عليه وانا ان شا الله بكم من اللاحقين انه اسرى
بالجسد والروح لا بالروح فقط مناما او يقظة في القصة كلها اي في قصة الاسرا الى المسجد
الاقصى والسموات وعليه اي ما يدل عليه نقلا نص القرآن والآية الدالة على سطوها صريحا
وصحيح الاخبار المشهورة المستفيضة الدالة على عروجه الى السماء والاحاديث الآحاد الدالة على
دخوله الجنة ووصوله الى العرش او طرف العالم كما سياتي وكل ذلك بجسده يقظة والاعتبار
بالرفع معطوف على ما قبله كصحة البرهان والمراد التتبع لاقوال السلف ودقيق الفكر والتاويل
في الاحاديث المروية والقصة يعني انه يدل على ذلك العقل والنقل والحقيقة المتبادرة من لفظ الحديث
الصحيح وليس عطفا تفسيريا كما قيل الى التاويل متعلق بيعدل اي لايصرف عن ظاهره ويأول النصوص
الواردة فيه الا عند الاستحالة اي الا اذا كان ظاهره مستحيلا عقلا وشرعا حتى يتعذر حمله على

ولا يعدل بالبنا للمجهول من العدول
اي لايخالف احد ويرجع ويميل عن
الظاهر الذي يقتضيه العقل والنقل
صح

حقيقته

حقيقته وليس ما نحن فيه كذلك وليس في الاسرا بجسده استحالة تقتضي العدول عن الظاهر
والتاويل وما قيل من ان ما ذكره غير مسلم لانه يكفي في المصير الى التاويل قيام المعارض للظاهر
من الروايات التي اوردها المخالف الذاهب الى انه منام لا يقظة مردود بان هذه الرواية عنده اصح
واقوى لتعدد من رواها وذهب اليه من كبار الصحابة وكثير ممن جا كما صرح به قبل هذا فان قيل
بالتعدد كما تقدم لم تكن معارضة ايضا فتدبر تنبيه الاستحالة المذكورة اي عن الاسرا محال اصلا
من كفار قريش ومن ضعفا المسلمين اذ توهموا ان قطع مثل هذه المسافة ذهابا وايابا في بعض ليلة محال
لانها بعيدة بحيث تقطع في ايام كثيرة ومن بعض ارباب علم الهيئة الذين قالوا ان الافلاك لافرجة
فيها ولا تقبل الخرق والالتيام وكلاهما خطا عقلا ونقلا الا ترى نقل عرش بلقيس من مسافة ابعد من
هذه في طرفة العين وغيره لك ما هو مما لو تم مشهور وقد نطقت النصوص بان السما لها ابواب تفتح
وتغلق فلا عبرة باوهام الفلاسفة وقال البيضاوي تبعا للامام الرازي الاستحالة مدفوعة بما ثبت
في الهندسة ان ما بين طرفي قرص الشمس ضعف ما بين طرفي كرة الارض مائة ونيفا وستين مرة
ثم ان طرفها الاسفل يصل لموضع طرفها الاعلى في اقل من ثمانية والاجسام كلها متساوية في قبول الاعراض
والله قادر على كل الممكنات فيقدر على ان يخلق مثل هذه الحركة السريعة في بدن النبي صلى الله عليه وسلم
او فيما حمله والتعجب من لوازم المعجزات انتهى وقد اورد عليه اعتراضات بسطناها مع جوابها في
حواشينا عليه واعلم ان كلامه مبني على ان الحقيقة تقدم مطلقا عند الشافعي تقدم المجاز
الغالب عليها ثم ان التعجب والعجب اذا اسند الى الله فهو مؤول وكذا صيغة التعجب وفي الحديث
عجب ربكم من شاب ليس له صبوة قال ابن فورك في كتاب الكشف قد ورد مثله في احاديث كثيرة
والتعجب والعجب اصله ان يفجا امر لم يعلمه من فاجاه فيستعظمه وهذا لايليق بالله عز وجل
فالمراد لازمه يعني انه خلقه عظيما بحيث يتعجب منه خلقه او المراد الرضى والقبول لان من اعجبه
شي رضيه وقبله فلا يتعجب مما يكره غالبا فاذا اراد تعظيم شي اخبر عنه بما يقتضي تعظيمه الى آخر
ما فصله وسبحان كثرة استعماله في ذلك اذ لو كان مناما لقليل الصحة كونه يقظة ولعدم الاية
لما كانت فيه آية ولا معجزة ولما استبعده الكفار ولا كذبوه فيه ولا ارتد به ضعفا من اسلم
وافتتنوا به اي وقعوا في فتنة اي بلية عظيمة توقعهم في العذاب لردتهم وتكذيبهم له وانكار
لما اخبر به مما هو خارق للعادة وهو قد اخبر به لانه معجزة تحداهم بها اذ مثل هذا من المنامات
لاينكر تعليل لعدم الاستبعاد والتكذيب فان قلت هذا يقتضي ان رويه الله في المنام جائزة
بلا خلاف وقد قالوا انه اختلف فيها قلت قال الامام الغزالي ان الخلاف فيها غير معتد به وان الحق
مثاله وفرق بين المثال والمثل وقد افرده برسالة فان اردت تحقيقه فراجعها بل لم يكن منهم
ذلك المذكور من الاستبعاد والتكذيب الا الارتداد والافتتان الا وقد علموا ان خبره انما كان
عن اسرائه بجسمه وحال يقظته اخذا مما قاله لهم واما كون رويا الانبيا وحي وحق فهذا انما
يعرفه من صدقه وصدق بخبره فما قيل من انه ممنوع لان رؤياهم حق ولذا قال الله لابراهيم
قد صدقت الرويا واذا كان رؤياهم كذلك استقام كونها معجزة له وسقط الانكار بان رؤياهم
حق كلام في غاية السقوط الى ما ذكر في الحديث المتقدم وذكر مبني للمجهول ويصح بناؤه للفاعل
ايضا والى بمعنى مع كقوله تعالى ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم او للغاية بتقدير من البيت المقدس الى
المذكور في الحديث بقرينة المقام من ذكر صلاته ببيت المقدس او من بيت الله في رواية انس
او في السماء على ما روي غيره كما تقدم بيانه وذكر مجي جبريل له صلى الله عليه وسلم بالبراق

وخبر المعراج بكسر الميم اسم آلة للعروج وهو الصعود في جهة العلو كالسلم وقد تقدم
بيانه واستفتاح السماء اي طلب فتحها له من جبريل فيقال له ومن معك فيقول محمد ولقائه
اي الضمير لمحمد الانبياء فيها اي السماء وخبرهم معه فيما وقع له معهم من المكالمة وترحيبهم
به اي قولهم له مرحبا بالاخ الصالح او الابن الصالح وهو تفعيل من الرحب بضم الراء المهملة وفتحها
ومعناه السعة اي صادفت مكانا رحبا ذا سعة وهو كناية عن وجوده فيه ما يسره ويكرمه
وشانه في فرض الصلاة خمسين عليه وعلى امته ثم تخفيفها وهو مجرور معطوف على محمد والشان
الامر العظيم الذي جرى له في ذلك ومراجعته موسى اي رجوعه له في المشاورة في ذلك
كما مر وفي بعض هذه الاخبار والحديث الذي رواه الشيخان عن انس فاخذ يعني جبريل بيدي
اي امسك يده ليصعد معه فعرج الى السماء اي صعد وانا معه الى قوله ثم عرج بي بالبنا
للفاعل او المفعول وعرج كقعد عرجا ومعرجا ارتقى قال في القاموس اذا كان خلقة فعرج
كفرح او يثلث في غير الخلقة وهو اعرج بين العرج انتهى ولبعض الادبا في اعرج من رسالة
قامت العصا بيده مقام رجله وقلت اعواد الاغصان من اجله • فعرج الى الارض لا الى السما •
وغرس العود بكفه ولكن ما اورق ولا نما • وحمل العصا هو العذاب الاليم • وما افلح من لازمها
بعد موسى الكليم انتهى حتى ظهرت اي صعدت وعلوت وهو كناية لانه يلزم من العلو على مكان عال
ان يظهر ويشاهد من هو به لمستوى اسمع فيه صريف الاقلام بضم اوله مقصور اسم مكان
وقد تقدم الكلام عليه والصريف والصرير بمعنى وهو الصوت الذي يسمع من الاجرام الجامدة
اذا حركت والمراد بالاقلام اقلام الملائكة التي تكتب ما قدره الله وهناك وقع فرض الصلاة اذ
هو قلم واحد لله جمع تعظيما ولكثرة مكتوبه وهو القلم المقارن للوح المحفوظ كما قيل وانه
وصل الى سدرة المنتهى ورأى ما غشيها من الالوان وغيرها كما تقدم وانه ادخل الجنة ورأى
فيها ما ذكره من جنابذ اللؤلؤ وترابها المسك الى آخر ما ذكره قال ابن عباس فيما صح عنه من رواية
البخاري هي رؤيا عين اراها النبي صلى الله عليه وسلم لا رؤيا منام ولا يعارضه ما روي عن عائشة
وغيرها كما قيل لصحة هذا وكثرة طرقه وشهادة ظاهر النصوص له كما مر ولا وجه لما قيل ايضا ان
صوابه رؤيا نائم كما لا يخفى وروى ابو اسحاق وابن جرير مرسلا عن الحسن البصري بينما انا نائم في
الحجر بكسر الحاء المهملة وسكون الجيم ونقل التلمساني عن بعضهم انه هنا بفتح الحاء المهملة وفي القاموس
ان الاول معناه وما حواه الحطيم المدار بالكعبة من جانب الشمال وديار ثمود والانثى من الخيل وبالهاء
لحن اقول ما قاله من انه سبقه اليه غيره ليس بصواب فانه ورد في الحديث وصححه بعض اهل اللغة
كالغزو بنيه في مثلثاته واليه ذهب شيخنا في حواشيه والحجر معروف بجنب البيت لنصف
دائرة عليه جدار قصير وهو من البيت وقيل الذي منه مقدار ستة اذرع او سبع كما افاده البرهان
جاءني جبريل فهمزني بعقبه همزه كضربه وما وقع في بعض النسخ فغمزني من تحريف النساخ اي
مسني بشدة لينبهني والهمز والضغط بمعنى وفي العين همزته غمزته والهمزة في الحروف لانها تهمز
فتنهمز عن مخرجها انتهى وهو يدل على انها صحيحة لغة فلا وجه لما في بعض شروح الكشاف من انها لم
تسمع وانما اسمها الغمز وعقبه بفتح العين المهملة وكسر القاف ثم الموحدة مؤخر الرجل وهذا يدل على انه
تمثل له بصورة رجل حين همزه والضمير لجبريل فقمت اي انتبهت من منامي بدليل قوله فجلست والقيام
بهذا المعنى كثير فلم ار شيئا فعدت لمضجعي اي رجعت لما كنت عليه من هيئة النائم فالمضجع
مصدر ميمي او اسم مكان ذكر ذلك ثلاثا وذكره ثلاثا لانه وقع لانه وقع الهمز ثلاث مرات

فقال في المرة الثالثة فاخذ بعضدي بالاضافة الى ياء المتكلم المخففة والعضد ما فوق
المرفق فخرج بي الى باب المسجد اي اخرجه اليه ناديا منه اذ لم يرها على صورة ذاته لعلنا بينت
الله وقيل الله اعلم بصحة هذا لنزاهة جبريل عن ان يفعل به ذلك وفيه نظر فاذا بدابة وذكر
خبر البراق المتقدم في شكله وهيئته وسرعته وهذا رواه ابن اسحاق وابن جرير والطبراني
وعن ام هاني بهمزة في آخره وتبدل ياء واختلف في اسمها فقيل فاختة وقيل عاتكة وقيل حمامه
وقيل فاطمة وقيل رملة وقيل هند بنت ابي طالب صحابية عظيمة المقدار اخرج لها اصحاب السنة
وكانت اسلمت يوم الفتح وهرب زوجها هبيرة المخزومي فمات بنجران كافرا وخطبها النبي صلى الله عليه
وسلم فاعتذرت بانها مصيبة اي ذات اولاد ما اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو
في بيتي وهو مخالف لانه كان بالحجر او غيره فان قيل بتعدد الاسرا فلا اشكال تلك الليلة
التي اسري به فيها من بيتها صلى العشاء الآخرة والعشاء الاولى المغرب ونام بيننا اي بين اهل
بيتها واولادها وفي رواية شيابين معجمة فلما كان قبيل الفجر بتصغير قبيل تصغير تقريب
وتقليل اهبنا بالهمز اوله اي ايقظنا يقال هب اذا استيقظ واهبه ايقظه من منامه ونبهه منه
فلما صلى الصبح اي صلاة الصبح وصلينا معه قال يا ام هاني لقد صليت معكم العشاء
الآخرة كما رايت بكسر التاء اي كما شاهدت معاينة لها بهذا الوادي اي بمكة وهي واد لاحاطة
الجبال بها وانخفاضها بينها قالوا هذا مشكل من وجوه لانها انما اسلمت عام الفتح فكيف تكون صلت معه
وايضا ان الصلاة انما فرضت في الاسرا واول صلاة صلاها بعد الفرضية الظهر فما معنى صلاته
العشا والصبح ولذا اشار المصنف لتضعيف هذا في الفصل الذي يليه وايضا المغرب لا تسمى عشاء
لغة وشرعا وقولها العشا بين المغرب والعشا تغليب وما قيل من انه كان يصلي قبل الاسرا قبل طلوع
الشمس وغروبها وان المراد بقولها هنا ما له ما يحتاج اليه في صلاته كلام لا يجدي لانه في غاية
الخفا وهو مدرج من كلام غيرها ثم كون المغرب لا تسمى عشاء الاولى غير متجه لانه ورد في الحديث
تسميتها عشاء اولى والمراد العشاء اول الليل وكون ما ورد تغليبا غير مسلم فان الاصل هو الحقيقة
اقول الذي يظهر لي في التوفيق بين الروايات والجواب عما ذكر انا لم نقل بتكرر الاسرا مرارا اذ غاية
الامر ظاهرها انه كان بعض ام هاني ثم خرج الى الحرم للصلاة فنعس ثم نام ثم استيقظ وعرج به
واما قول ام هاني صلينا فيدفع الاشكال المذكور بانها بنت ابي طالب وابو طالب واهله كانوا مجيرين
له صلى الله عليه وسلم مصدقين من صدق ولم يظهروا ذلك لغيرة جاهلية وحكمة خفية ولذا اسلم
علي في صباه وكان معه وقد ذكر ذلك ابو طالب في شعره المشهور في السير فلما خرج من بيتها
تلك الليلة وصلى بالحرم ومعه علي ولا شك انه كان يصلي قبل الاسرا بالغداة والعشي صلاة
غير الخمس المفروضة فقولها صلينا كقولهم بنو فلان قتلوا قتيلا والقاتل واحد منهم لان الفعل
المرضي لجماعة اذا وقع من احدهم ينسب للجميع وهو مجاز بليغ مشهور اي صلى معه بعض آلنا وهو
علي او يقال انها كانت مسلمة سرا كما نقل مثله عن العباس فاندفاع الايراد الذي ظنوه هو
غير متجه ثم ظاهر فلا حاجة لما قيل الصلاة هنا لغوية بمعنى الدعاء ثم جئت بيت المقدس فصليت
فيه ثم صليت الغداة والغد وبمعنى وهو اول النهار وهو بتقدير مضاف اي صلاة الغداة
وهي صلاة الصبح معكم الآن كما ترون وتشاهدون وهذا المذكور برهان ودليل بين بتشديد
الياء المكسورة اي ظاهر واحتج في انه اي الاسرا بجسمه وروحه لا بروحه فقط كما قيل من انما
البين فيه قوله ثم نام وفيه نظر وعن شداد بن اوس بن ثابت بن المنذر ابو يعلى الانصاري

الصحابي نزيل بيت المقدس وليس بدريا كما توهم وقد اخرج له الائمة الستة واحمد في مسنده وهذا الحديث ليس فيه وانما رواه البيهقي وابن مردويه توفي سنة ثمان وخمسين ومائة بفلسطين وهو ابن اخي حسان **عن ابي بكر** الصديق افضل الصحابة وفي اكثر النسخ عن ابي بكر من رواية شداد بن اوس عنه انه **قال للنبي صلى الله عليه وسلم ليلة اسري به** في هذا ما لا يخفى اذ لا يصح ثم قوله **طلبتك البارحة** وهي الليلة الماضية قبل ليلتك ومنه المثل ما اشبه الليلة بالبارحة فيصدق بتقديرين بعد ليلة اسري به ومعنى طلبتك اي تفقدت جسدك **في مضجعك فلم اجدك فيه** وفيه تقديم والتفات اي طلبتك البارحة ليلة اسري بك وهذا كله خلاف الظاهر ولم ينبهوا عليه **فاجابه** رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله **ان جبريل حملني الى المسجد الاقصى** فان بكسر الهمزة او مفتوحة والتقدير بان الخ قيل هذا يحتمل انه كان ببيت عائشة بل لعل السياق لكنه معارض بقول عائشة المتقدم وقوله حملني جبريل يخالف لكونه على البراق الا ان يقال لكونه سببا اسند اليه مجازا وفيه نظر وهذا دليل على انه كان يقظة بجسده ايضا **وعن عمر** كما رواه ابن مردويه من طريق قال **قال صلى الله عليه وسلم صليت ليلة اسري بي في مقدم المسجد** الاقصى **ثم دخلت الصخرة** اي دخلت المسجد الذي تحت الصخرة المعروف الآن بمسجد داود ففيه مضاف مقدر اي تحت **فاذا بملك قائم** لم يسموه **معه آنية ثلاث وذكر الحديث** اي ساقه الى اخره ولذا هنا فجائية اي فاجاني ففيه لقاؤه والآنية بالمد جمع اناء كوعاء وزنا ومعنى واواني جمع الجمع وليس مفردا كما توهم العامة ولذا وصفه بانه ثلاث فهو صفة او بدل منه وقيل خبر هي مقدرة وكان الظاهر ان يقال ثلاثة لان مفرده مذكر فكانه اول بكاس ونحوه يعني اناء من خمر واناء من لبن واناء من ما وانه خير فيه فاختار اللبن وقيل اخترت الفطرة ولو اخترت الخمر غوت امتك وهذا تمام الحديث وقد تقدم واعترض عليه بانه محتمل لكونه مناما ولا مانع في هذه الرواية اصلا فقوله **وهذه التصريحات ظاهرة** في انه كان يقظة **مستحيلة** شرعا وعقلا حتى يقتضي استحالتها التاويل فتحمل على ظاهرها ولا يعدل الى التاويل مع عدم الحاجة اليه **وعن ابي ذر** الصحابي الغفاري في حديث رواه الشيخان **عنه صلى الله عليه وسلم فرج** مبني للمجهول مخففا الراء المهملة ونائب فاعله **سقف بيتي** وفي نسخة عن سقف بيتي والمعنى كشف من السقف جانب حتى انفتحت منه فرجة ولم يبق حائل بينه وبين السماء وانا مقيم بمكة قبل الهجرة هذا مع قوله سابقا بينا انا نائم بالحجر والحطيم وقول ام هاني ما اسري به الا وهو بيتي بينهما من المعارضة ما لا يخفى فان قيل بالتعدد فلا منافاة بين الروايات ولا يكفي هنا كون اضافة البيت له لانه ساكن فيه ولام هاني لكونه ملكها وقد تقدم قول ابن المنير ان فرج السقف وعدم اتيانه من بابه انه مبالغة في المفاجاة تنبيه على ان دعوته وكرامته كانت على غير ميعاد وكان هذا عادة الخلفا العباسيين قلت وليدل على انه امر الهي وكرامة تسر ولا تضر ولو اتى من الباب لتوهم ان احدا عرا له الذي هو بين اظهرهم **فنزل جبريل ففرج صدري** وفي رواية ففرج صدري اي شقه وهي انسب بفرج السقف **ثم غسله بماء زمزم** الخ لانه افضل المياه حتى الكوثر في قول ولانه الفه صغرا وكبرا وشرح الصدر لا ينافي شق القلب لانه مقدم عليه ولا حاجة الى القول بانه تجوز عن القلب بالصدر لعلاقة المجاورة وقد تقدم انه شق قلبه وصدره وهو صغير عند ظئره حليمة فهذه مرة ثانية والاولى لتطهيره من الكدورات البشرية وهذه لتهيئته للرسالة والنبوة وهذه ليقوى على العروج ومشاهدة عجائب الملكوت فهو وقع مكررا في مرة غسل بماء زمزم وفي اخرى بماء الثلج ليثلج صدره ويبصره فلا تعارض بين الروايات قال ابن المنير ولما

لم يقع هذا الكليم لم ينطق في الدنيا الرؤيا ولم يذكر هنا انه كان معه ملكان بطست وماء كما مر بانه وضع عليه خاتم النبوة وسيذكره **ثم اخذ بيدي فعرج بي** بالبنا للفاعل او المفعول كما مر وشرح صدره كما مر بعد نزول جبريل اليه والتعقيب بالفاء عرفي نسبي فلا ينافي قوله **عن انس اتيت** بالبنا للمجهول كما توهم **فانطلق بي** بمجهول ايضا وفي نسخة فانطلقوا بي بصيغة الجمع لان مع جبريل ملكان اخران لمعهما طست من الذهب كما مر ولا منافات بين الروايات كما يتوهمه من لا بصيرة له **الى زمزم فشرح عن صدري** اي شق صدره وقلبه ووضع فيه نور النبوة ليقوى على العروج ومشاهدة الملكوت وعجائبه وروى مسلم **عن ابي هريرة** عبد الرحمن بن صخر **لقد رايتني** جواب قسم مقدر للتاكيد والمثناة الفوقية المضمومة ورأى علمية او بصرية **في الحجر** تقدم ضبطه وما يتعلق به **وقريش تسالني عن مسراي** والمصدر مصدر ميمي او اسم مكان اي تساله كفار قريش عن علاماته بعد ما كذبوه تحقيقا لما زعموه **فسالتني قريش** وتانيثه باعتبار القبيلة **عن اشياء من بيت المقدس** واماراته **لم اثبتها** اي لم اكن اثبت صورتها في ذهني وفكري لاشتغاله بما هو اهم منها من معاينة ما فاته من صلاته مع الانبيا وتهيئته للعروج فعلم سقوط ما قيل من ان هذا يدل على انه كان مناما لان النائم اقل ضبطا لما يراه في منامه من المستيقظ ورؤياه حق وان نامت عيناه لا ينام قلبه **فكربت كربا ما كربت مثله قط** بضم الكاف من الماضي المجهول والكرب الغم والحزن الشديد من الغلق والاضطراب قال الراغب اصله من كرب الارض وهو قلبها بالحفر والحرث فالغم يثير النفس كاثارة ذلك وفي المثل الكراب على البقر وليس ذلك من قولهم الكلاب على البقر في شي **فرفعه الله لي انظر اليه** اي رفع الله له بيت المقدس حتى ينظر اليه ويثبت ما فيه ويخبرهم به على حقيقته فجملة انظر حالية او مستانفة **وقد روي عن عمر** بن الخطاب في حديث الاسرا انه **قال قال** رسول الله صلى الله عليه وسلم **ثم رجعت** من مسراي **الى خديجة** ام المومنين **وما تحولت** اي والحال ان خديجة ما تحولت وتحركت من حالتها التي كانت عليها حين فارقها وهذا يقتضي انه كان في بيت خديجة وقد تقدم انه كان في بيت ام هاني وفي رواية انه كان بالحجر وفي اخرى في الحطيم وهو في الذي يلي الميزاب الذي هو قبلة اهل المغرب وقيل الحطيم ما بين المقام الى الباب وروي عن مالك وعن ابن جريج هو ما بين الركن والمقام عند زمزم قيل والصحيح انه ما يلي الركن الاسود

فصل في ابطال حجج من قال انها نوم

لا يقظة وان الاسرا لم يتكرر مرارا اربعة كما ارتضاه ابو شامة وتانيث ضميرها لان الرؤيا مؤنث سماعي لا باعتبار انها رؤيا منام كما قيل **احتجوا بقوله وما جعلنا الرؤيا الآية فسماها رؤيا** وهذا مبني على ان راى مشترك فيكون بمعنى ابصر يقظة ومصدرها رؤية ومناما ومصدرها رؤيا وراى بمعنى علم وحكم ومصدر الاخير الراي وهذا هو المشهور وقد رده السهيلي في الروض الانف وقال الرؤيا مشتركة ايضا بين البصرية والحلمية واورد لها شواهد من كلام العرب وقيل الرؤيا اذا كانت بصرية تختص بما يرى ليلا **قلنا** جوابا عما احتجوا به **قوله تعالى سبحان الذي اسري بعبده يرده لانه لا يقال في النوم اسري** اذ الاسرا هو السير ليلا وهذا انما يكون يقظة لا سيما وقد ذكر في الحديث ما يستلزمه لزوما بينا من صلاته بالانبيا واستصعاب البراق عليه وغير ذلك مما تقدم واحتمال ان يكون معناه انه راى في منامه انه اسري به بعبده جدا ولذا جعله ابطالا لما قالوه لانه في قوة الخطا فما قيل ان الاولى ان يقول

يخدشه ما ذكر ليس بشيء يعول عليه وقوله فتنة للناس اي بلية ومحنة جرأتهم على تكذيبه
ورده بعضهم يوهي انها رؤيا عين باصرة يقظة واسراء شخص اي سير بجسده حقيقة يقظة
لا تخيلا نوما كما قيل اذ ليس في الحلم بضمتين او ضم فسكون وهو ما يراه النائم واصل معناه الفعل
يقال حلم في نومه يحلم حلما وحلما وقيل حلم بضم ثم فتح كرجع قاله الراغب فتنة ولا يكذب به احد
لان كل احد يرى في منامه مثل ذلك من الكون في ساعة واحدة في اقطار متباينة اقطار جمع
قطر وهو الجانب والمتباين البعيد ومن ثم كان لذلك اذ الولي يرى في مدة قليلة انه وصل لاماكن
بعيدة ولا ينكره عليه احد من العقلاء ثم اشار الى رد دليلهم بوجه آخر فقال على ان المفسرين
قد اختلفوا في هذه الآية التي استدلوا بها على مدعاهم والعلاوة ضم امر لآخر كقوله ٥
على ان قرب الدار خير من البعد ٥ والمراد بالآية وما جعلنا الرؤيا الآية فذهب
بعضهم الى انها نزلت في قضية الحديبية القضية بالضاد المعجمة واحدة القضايا على الاصح
لما سيأتي وروي قصة بالصاد المهملة والحديبية مصغرة بحاء ودال مهملة وباء مخففة وهاء
تانيث وتشدد ياؤه ايضا وعليه اكثر المحدثين وبعض اهل اللغة فهي صحيحة رواية ودراية فلا وجه
لمنعه وسميت بها لشجرة حدباء وقع تحتها بيعة الرضا واسما لبير بها وقرية على مرحلة من مكة عند مسجد الشجرة
وهل هي من الحل او من الحرم او بعضها من الحل وبعضها من الحرم اقوال ذهب الى كل منها بعض العلماء وكان
رسول الله اقام بالمدينة منصرفه من غزوة بني المصطلق في شوال وخرج في ذي القعدة معتمرا
ومعه من الانصار والمهاجرين نحو الف وخمسمائة وساق الهدي معه وهو محرم ليعلم انه لم يخرج لحرب
فلما بلغ قريشا خرج منهم جمع صادين له عن دخول مكة وانه ان قاتلهم قاتلوه وخرج مع الكفار خالد بن
الوليد الى كراع الغميم فلما وصل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الحديبية بركت ناقته فقال حبسها
حابس الفيل لا يدعوننا قريش لخطة فيها صلة رحم الا اعطيتهم اياها ولم يكن ثمة ماء فغرز سهما في بير
ماء ففار ماؤها حتى كفى الجيش ثم جاءت السفراء بين يدي رسول الله والكفار وتنازعوا حتى جاءه
سهيل بن عمرو العامري وقاضاه على ان ينصرف ويأتي في العام القابل وان يكون بينهم صلح عشرة
اعوام يأمن بعضهم بعضا على ان من اتاه مسلما منهم رده لهم ومن اتاهم لم يردوه فعظم ذلك على المسلمين
ووقع ما وقع ولهذا سمي عام القضية قال ابن عبد السلام في قواعده فان قيل لم التزم الصلح وما
شرطوه مع ما فيه من ادخال الضيم على المسلمين والمدينة في الدين قلنا ذلك دفعا لمفاسد عظيمة
وهي قتل المؤمنين والمؤمنات الذين كانوا خاملين بمكة لا يعرفهم اهل الحديبية وفي قتلهم معرة
عظيمة على المؤمنين فاقتضت المصلحة ايقاع الصلح على ما ارادوه وهو اهون من قتل اولئك ثم انه
علم ان في تاخير القتال مصلحة عظيمة وهي اسلام جماعة من الكفار ولذا قال تع ليدخل الله في رحمته
من يشاء اي في ملة الاسلام وقال تع لو تزيلوا الآية والى هذا اشار بقوله وما وقع في نفوس
الناس من ذلك اي من صلح الحديبية حتى راجعه عمر مرارا وقال ما قال واستاذنت خواطرهم قال
ابن المنير لم يكن ذلك شكا وريبة ولكن من فرط الغيرة وقوة الحمية على الحق والغضب لله ورسوله
وكان عند رسول الله من علمه بالعاقبة الحميدة ما ليس عندهم فلما تبين لهم ذلك عادوا الى الرضا والوفاق
وقيل في تفسير الآية وسبب نزولها غير هذا الذي تقدم من ان هذه الرؤيا لم تكن عام الحديبية وانما
كانت قبيل بدر وهي التي في قوله اذ يريكهم الله في منامك قليلا واما قولهم انه قد سماها في الحديث
مناما وفي حديث آخر بين النائم واليقظان كالنعسان جالسا ثم استيقظت وانا بالمسجد الحرام
فلا حجة فيه للقول بانها رؤيا منام كما مر اذ يحتمل ان اول وصول الملك اليه وهو نائم بدليل

قو

قوله في الحديث فهمزني بعقبه السابق مع ما يضاهيه اولا او لحمله على البراق والاسرا به
وهو نائم ولا يخفى بعده مع كونه تنام عيناه ولا ينام قلبه وقيل ايضا انه مخالف للظاهر
فهو مشترك الالزام وليس في الحديث انه كان نائما في القصة كلها الا ما يدل عليه قوله
ثم استيقظت وانا بالمسجد الحرام فانه يقتضي ايضا انه لم يستيقظ قبل وصوله اليه وعوده
وكون استيقظت بمعنى اصبحت له واستيقظت من نوم آخر تكلف لا حاجة اليه وتابيده بانه
لم يستغرق الليل باسرائه فيكون لسرعة سيره ومشقته نام بعده للاستراحة بعد منه
فلذا عبر عنه بقوله فلعل قوله استيقظت بمعنى اصبحت اي دخل في وقت الصباح لان حقيقته
التي هي تقتضي ضعفه على عادة المصنفين في التعبير او استيقظت من نوم آخر غير ما كان
قبله في الحجر في بيت ام هاني او غيره بعد وصوله بيته اي البيت الذي كان فيه فالاضافة
لادنى ملابسة فلا ينافي ما قلناه ويدل عليه ان مسراه لم يكن طول ليلة وانما كان في بعضه
بدليل قوله ليلا في الآية كما ذكره المفسرون وقد يكون قوله استيقظت الخ وعبر بقد اشارة
ايضا لما بكسر اللام وتخفيف الميم من ما المصدرية كان غمره اي عرض له ما يدهشه ويستغرق
لبه وفكره من عجايب ما طالع اي شاهد ورأى من ملكوت السموات والارض اي من الذي لم
يطلع عليه غيره من البشر فاستعار لتلك المشاهدة الغمرة وهو ما يعم من الماء ويغطي فيه استعارة
تصريحية تبعية او مكنية وتخييلية او هو تشبيه بليغ كقوله الخيط الابيض من الخيط الاسود ٥
من الفجر على ان من تجريدية بيانية ولما كانت المطالعة بمعنى المشاهدة بالحواس الظاهرة قدمها
واتبعها بقوله وخامر باطنه بالخاء المعجمة والف وميم وراء مهملة بمعنى مازجه وخالطه لا بمعنى
ستره ومنه الخمر لسترها في بدن صاحبها وان قيل انما سميت بها لسترها العقل والمراد بباطنه قلبه
وحواسه الباطنة من مشاهدة الملاء الاعلى وتعبيره بالمشاهدة يقتضي ما فسرنا به المخامرة
وان اشتهرت بمعنى الستر كما في قول سلمان الفارسي لابي الدرداء حين دعاه الى الارض المقدسة
يا اخي ان بعدت الدار من الدار فان الروح من الروح قريب وطير السماء على ارفه خمر الارض يقع على
حسب يشير وجه الارض يعني ان وطنه ارفه وارقوبه فلا يفارقه والمراد بالملاء الاعلى السموات
وما فيها او الملائكة لان الملاء الجماعة الاشراف وما رآه من آيات ربه الكبرى العظيمة التي تدهش
عظمتها من رآها وما قيل من انه خلاف الظاهر لانه صلى الله عليه وسلم اثبت الرسل قلنا فلا يعروه
لذلك دهشة ليس بشيء لانه لم يرد بها دهشة بمرتبة الذهول وان كان قوله فلم يستفق بتاء
افاق واستفاق بمعنى تنبه واستيقظ من نومه ويرجع الى حالة البشرية الا وهو بالمسجد الحرام
يوهمه اذ المراد به حالة اعترته نسيته عالم الدنيا وكسته خلعة ملكية على انه لو سلم لكان مؤيدا
للمصنف غير وارد عليه وليس المراد انه عرض له النوم في رجوعه كما توهم فانه ينافي قوله ووجه
ثالث يكون نومه واستيقاظه حقيقة على مقتضى ظاهر لفظه وضاد مقتضى يجوز فيها
الفتح والكسر والمراد بلفظه قوله ثم استيقظت وانا بالمسجد الحرام ولكنه اسرى بجسده وعيناه
نايمتان وقلبه حاضر وان غض بصره كالنايم مما فهو مساو لليقظان ورؤيا الانبياء حق
حتى تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم وقد قيل عليه ان كون عينيه نايمة مع الاسرا بجسده مع انه
خلاف المعتاد لا فايدة فيه وما ذكره المصنف من الحكمة من انه نبي لا يشغله المحسوسات عن الله لا يدفع
ما ذكر لان الحكم للروح فلا معنى لرفع الحس وهو حاصل بدونه وقوله لنريه من آياتنا الكبرى
يأباه وقد استدرك عليه المصنف بقوله ولا يصح ان يكون هذا في وقت صلاته الى آخره والجواب

تأمل

بانه لتشاهده الملائكة وتفيض عليهم بركاته لا يجدي نفعاً وقد قال بعض اصحاب
الاشارات يعني بهم مشايخ الصوفية والمراد بالاشارة ما ياخذونه من الحقايق من النصوص
القرآنية وغيرها وهم لا يقصدون بتفاسيرهم انه صريح النص كما ذكره العز بن عبد السلام ومن
لا يعرف ذلك يعترض عليهم بما لا وجه له الى نحو من هذا اي الى قريب مما قاله صاحب هذا الوجه
حيث قال تغميض عينيه لئلا يشغله شي من المحسوسات عن الله قال الزمخشري في شرح
الفصيح قولهم جسم حساس لحن كالحنوا في قولهم محسوسات لان فعال لا يبنى من افعل والحق
ثبوته وثبوت حس بمعنى احس كما قاله الدماميني في شرح التسهيل والنووي في شرح مسلم فعلى
هذا لا لحن في العبارة ولا يصح ان يكون هذا المذكور من ان الاسرا بجسده وهو نايم ليوفق بين
الروايتين انه لم يقل بالتعدد في وقت صلاته بالانبيا لان النايم لا يصلي ولا تصح صلاته
وظاهره انه فيما عداه من امور الاسرا صحيح بلا تردد وانما يا باه لفظ الحديث ولا يخفى ان مناجاة
ربه ومراجعة موسى كذلك فكان ينبغي ان يقول والامور الواقعة في حديث الاسرا لا يصح في
بعضها ان يكون مناما فان قيل يجوز ان يكون راى ذلك في المنام قلنا لو كان يجوز ان يكون راى
في منامه انه صلى بهم ايضا الا ان يفرق بينهما ولعله كان له في هذا الاسرا حالات فكان في
بعضها نايما غاضا بصره تادبا اولئلا يرى سوى ربه وفي بعضها مستيقظا وفي بعضها بين
النايم واليقظان ولهذا يجمع بين الروايات وقيل ان الحديث الذي وقع فيه هذا ملفق من احاديث
وهذا الوجه قيل انه حدس وتخمين ولو تركه المصنف كان احسن لما مر ووجه رابع لتاييد كونه
يقظة وتاويل ما يخالفه وهو ان يعبر بالنوم هنا في هذه الرواية عن هيئة النايم من
الاضطجاع بيان للهيئة والاضطجاع الصاق بدنه ممتدا بالارض غير جالس ولا قايم فهو استعارة
او مجاز مرسل للزومه للنوم غالبا فكان على هذه الهيئة عند وصول الملك اليه وفي بعض النسخ
اذ كثيرا ما يعبر بالنوم عن الاضطجاع ونحوه لما بينهما من المناسبة وفي بعض الشروح هنا تكرار
لا حاجة اليه ولهذا قال انه يتعين كونه مجازا مرسلا وليس بلازم ويقويه اي يقوي هذا
التاويل قوله في رواية عبد بن حميد الامام الحافظ المتقدم ترجمته وعبد غير مضاف هنا
وهو ابو نصر عبد الرحمن بن الكشي ويقال الكجي بشين او جيم عن همام بفتح الها وتشديد الميم
الاولى ابن يحيى العوذي بفتح العين المهملة وسكون الواو وذال معجمة وياء نسبة منسوب
للعوذ بطن من الازد امام ثقة اخرج له الستة وتوفي في سنة ثلاث وستين ومائة بينا انا
نايم وربما قال النبي صلى الله عليه وسلم مضطجع فتعبيره بهذا تارة وبهذا اخرى يشهد بانهما
بمعنى وفي رواية هدبة بضم الها وسكون الدال المهملة والموحدة وبا تانيث ابن خالد
القيسي البصري الحافظ الثقة روى له الشيخان وغيرهما وتوفي في سنة خمس وثلاثين ومائتين
وفي بعض النسخ بدل هدبة معاوية وبما ذكرناه من ان هذا في اول وصول الملك له سقط ما قيل
من ان هذا مما ينبو عنه السمع لان ركوبه البراق وربطه له بالحلقة وصلاته بالانبيا يا باه
واما قوله فاستيقظت وانا بالمسجد الحرام فقد اول ايضا بما مر فلا ينافي هذا فتامله عنه اي عن
همام بينا انا في الحطيم وربما قال في الحجر تقدم الكلام فيه والتوفيق وقوله في الرواية
الاخرى بين النايم واليقظان يؤيد كون المراد بالنايم المضطجع فيكون سمي هيئته
اي هيئة النبي او هيئة النوم بالنوم لما كانت تلك الهيئة هيئة النايم حقيقة غالبا
اي في الغالب وذهب بعضهم الى ان هذه الزيادة من النوم وذكر شق البطن ودنو الرب

اي قربه

اي قربه من النبي صلى الله عليه وسلم الواقعة في رواية هذا الحديث اي حديث الاسرا
انما هي من رواية شريك عن انس وهي منكرة من روايته لا مطلقا والانكار المراد به معناه
اللغوي او مصطلح المحدثين وهو رواية المتهم لسوء حفظه المخالفة للثقات وشريك طعن فيه
ابن حبان وغيره وقالوا ليس بثبت اذ شق البطن اي بطنه وصدره صلى الله عليه وسلم انما كان في
صغره عليه الصلاة والسلام في الاحاديث الصحيحة وهو عند مرضعته حليمة وقبل
النبوة اي قبل ظهورها للناس هذا بيان لوجه انكار هذه الرواية وقد تقدم عن الامام السهيلي وغيره
ان الشق وقع مرتين مرة لتهيئته للنبوة ومرة اخرى بعد مبعثه ليقوى على المعراج ومشاهدة
عجايب الملكوت فلا يرد ما ذكر على هذه الرواية فيقتضي انها منكرة وقيل انه وقع اربع مرات عند
حليمة وبحرا وليلة الاسرا ومرة اخرى في النوم الا ان ابن حجر قال هذه لم تثبت ولانه اي شريك
قال في هذا الحديث الذي رواه عن انس قبل ان يبعث والاسرا بالاجماع من المحدثين كان بعد
المبعث مصدر ميمي بمعنى البعث وقد تقدم الكلام فيه وهذا كله يوهن بتشديد الهاء اي
يضعف او تخفيفها لانه يقال وهنه واوهنه فوهن اي ضعف ما وقع في رواية انس هذه
التي رواها شريك عنه مع ان انسا قد بين من غير طريق اي من طرق متعددة لا من طريق واحد
انه انما رواه عن غيره من الصحابة كمالك بن صعصعة وابي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم
فهو من مرسل الصحابي وفيه ان مرسل الصحابي ان روي من طرق مقبول فهذا لا يضعفه وانه
لم يسمعه من النبي صلى الله عليه وسلم بيان لانه سمعه من غيره فقال مرة عن مالك بن صعصعة
وفي كتاب مسلم لعله عن مالك بن صعصعة على الشك من مسلم فلعل مشعارة من الترجي بجامع عدم
الوقوع فيهما وقال الحاكم مدار حديث المعراج على انس وقد سمع بعضه من مالك بن صعصعة وبعضه
من ابي ذر الا الاسرا السابق عنه صلى الله عليه وسلم واما قول عايشة ما فقد جسده صلى
الله عليه وسلم وهذا الحديث رواه عنها ابن اسحاق وحيث تقدم ان فيه روايتين فقدت بالاسناد
لضميرها والبنا للفاعل وهو في هذه الرواية مبني للمجهول فعايشة لم تحدث عن مشاهدة
له صلى الله عليه وسلم لانه بمكة قبل تزوجها او قبل ولادتها كما اشار اليه بقوله لانها لم تكن
حينيذ اي وقت الاسرا وزمانه زوجة له صلى الله عليه وسلم ولا في سن من يضبط بالتحتية
والفوقية اي لم يكن سنها وعمرها حينيذ سن ضبط واتقان لعدم تمييزها لصغرها فهو مستعار
من الضبط وهو الامساك والحفظ للعلم والتمييز فالرواية عنها ليست مسلمة او هي حدثت عن غيرها
فعلى رواية ما فقد الامر ظاهر وعلى رواية ما فقدت فيه تقدير اي قال فلان او فلانة ما
فقدت الخ وهو في غاية البعد كما قيل ولعلها لم تكن ولدت بالبنا للمجهول بعد مبني على الضم
اي بعد هذه القصة ووقوعها وهي ضد قبل ويستعملان في التقدم والتاخر المتصل والمنفصل
والمراد هنا الاول والمراد زمان وقوعه للمجاورة والتضاد وهو استعمال شايع وحينيذ لا ينبغي
ان ينسب لها هذا القول اذ لم يثبت كما سياتي وكونها حدثت به عن غيرها ياباه سياقه على
الخلاف في زمن الاسرا متى كان فان الاسرا كان في اول الاسلام بمكة قبل الهجرة
على قول محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ومن وافقه بعد المبعث لعام ونصف وكانت عايشة
في وقت الهجرة بنت ثمانية اعوام فعلى هذا لم تكن ولدت في زمن الاسرا وقد قيل كان الاسرا
لخمس قبل الهجرة هذه اللام توقيتية اي وقت هو سنة خمس كما فصله النحاة في باب العدد
وفصل التاريخ وقيل قبل الهجرة بعام والاشبه اي القول الاصح والاولى والاحسن لان مثله

يكون كثير السنه بخلاف النادر الغريب الذي لا نظير له والحجة لذلك تطول وليست من غرضنا
اي ليس مقصودنا في هذا الكتاب بسط الادلة والحجج بل الاكتفا بما صح من اوصافه صلى الله عليه وسلم
او المراد ان مقصوده الاختصار وعدم التطويل وتفصيله كما في المقتفي لابن المنير قال الاقوال
فيه كثيرة اصحها عندي قول ابراهيم الحربي انه كان ليلة سبع وعشرين من ربيع الاخر قبل الهجرة بسنة
وقيل بعد المبعث بخمس سنين وقيل بعده بخمسة عشر شهرا وقال ابن اسحاق اسري به وقد فشا الاسلام
وفي مسلم عن شريك انه قبل ان يوحى اليه ولا يصح هذا بوجه الا على القول بانه قبل الهجرة بخمس سنين
وقول ابن اسحاق انه قبل الهجرة بسنة وضعف هذا بان خديجة صلت معه صلى الله عليه وسلم وهي
ماتت قبل الهجرة بمدة اقل ما قيل فيها ثلاث سنين والصلاة لم تفرض الا في الاسرا وهو غير وارد لانه
كان يصلي قبل الاسرا صلاة غير الخمس على خلاف فيها والحجة لها في ترجيحه ان قول سواه خرج مخرج
التقدير لا التحديد لانه لم يعين فيه الشهر فضلا عن اليوم وقول الحربي عين فيه ليلته بعينها
من شهر بعينه وسنة بعينها فقال الليلة سبع وعشرين من ربيع الاخر قبل الهجرة بسنة واذا تعارض
خبران احدهما احاط راويه بتفصيل في القصة زائد فالمفصل احضره هنا واولى قلنا من اجل
وعلة الفقها في كتاب الشهادة اذا ارخت احدى البينتين واليوم الذي اسفرت عنه ليلة الاسرا
يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الاول ووصوله من مقام كانه قبل ضحى وقبل استواء الشمس واذا كان
الثاني عشر من الشهر يوم الاثنين كان اوله الخميس قطعا فاول ربيع اما السبت او الاحد او الاثنين
لان بين كل يومين متقابلين من سنتين متواليتين اما ثلاثة ايام او اربعة او خمسة ولذا تكون الوقفة
من كل سنة خامس يوم من الوقفة التي قبلها او رابعه او سادسه واغلب الاحتمالات الخامس فالجمعة
يعقبها الثلاثا والاثنين يعقبه الجمعة وقد يكون الرابع وقد يكون السادس وذلك بحسب التمام
والنقص الى اخر ما ذكره فاذا لم تشاهد ذلك المذكور من زمن الاسرا المار ذكره عدم مشاهدتها
على انها حدثت بذلك عن غيرها من الصحابة فحديثها من مرسل الصحابة فهو صحيح ايضا كما عليه المحدثون
الا انه لم يوفق بينه وبين غيره فلم يرجح خبرها على خبر غيرها الظاهر ان نقول فيرجح خبر غيرها
على خبرها لروايتها عن مجهول بل لعدم ثبوته عنها كما سياتي وغيرها يقول خلافه فما وقع نصا اي صريحا
لان النص له معان منها هذا في حديث ام هاني وفي نسخة من حديث ام هاني بيان لما وغيره
كحديث ابي ذر ومالك بن صعصعة وابي هريرة وقد قيل عليه ان حديث ام هاني المذكور في الفصل
الذي قبل هذا غير صريح فيما ذكر ويدفع بانه ظاهر فيه والعدول عن الظاهر لا وجه له وايضا
منصوب على المصدرية مصدر آض بمعنى رجع فليس حديث عائشة اي قولها فقدت جسده
بالثابت عنها عند المحدثين لما في متنه من العلة القادحة وفي سنده ابن اسحاق وقد ضعفه
مالك وغيره والاحاديث الاخر الواردة عن غيرها اثبت اي اكثر ثبوتا واصح من حديثها لسنا
نعني اي لا اريد انا وغيري من المحدثين بقولنا انها اثبت حديث ام هاني وقولها ما اسري به
الا وهو في بيتي وشبهها اي وحديث عن غيرها كحديث عمر الذي ذكرت فيه خديجة لانهما لم يردا
في الصحيح بل احاديث اخر تعارضها غير هذين وايضا فقد روي في حديث عائشة ما فقدت باسناد
النقل المعلوم لغيرها كما روي ما فقد بالمجهول المسند لغيرها كما مر ولم يدخل بها الا بالمدينة
والاسرا كان بمكة وهي صغيرة لبث عنده او لم تولد والجملة حالية وهذا يدل على عدم صحته وتاويله
بما علمت هذا او بكونه حكاية لكلام غيرها في غاية البعد وكل ذلك سابقا ولاحقا ما سبق
وما تاخر عنه يوهنه بالتشديد والتخفيف اي يضعفه بل الذي يدل عليه اي الذي يدل على

ماذكر

٢٢٥

ما ذكر من عدم صحته عنها صحيح قولها اي ما صح عنها من رواية اخرى انه اي الاسرا بجسده
لانكارها رؤياه لربه ليلة الاسرا رؤيا عين فان هذا يدل على انه اسرى بجسده الا انه لم
يره بعينه عيانا ولو كانت الرؤيا في الاسرا عندها مناما لم تنكره لان رؤيا المنام جائزة وانما
الكلام في رؤيا العيان والخلاف فيها فنزاعها في ذلك الاتي يدل على ما ذكر وهذا يدل على ان لها قولا
آخر مرويا عنها يخالف لما اشتهر وهذا معنى قوله فيما سبق دليل قولها فتذكره وليس وصف قولها بانه
صحيح مناقض لما مر من الطعن في حديثها الا ان هذه رواية اخرى فهذا وما قيل من انه مؤيد لكونه
مناما عندها ناش من عدم التدبر فان قيل في رد كونه يقظة قد قال الله تعالى ما كذب الفؤاد ما
رأى فجعل ما رآه للقلب اي اثبت الرؤية للقلب دون البصر وعلقها به وفيه اشارة الى ان
الفؤاد بمعنى القلب وله معان اخر وما مصدرية والجار والمجرور متعلق بجعل او بمقدر اي مستندا
للقلب وهذا للجعل او المذكور يدل على انه رؤيا نوم ووحي بالجر عطفا على نوم لا مشاهدة
عين وحس بصري والعطف تفسيري قلنا في الجواب عنه يقابله اي يعارضه فيسقط عن
مرتبة الاحتجاج وسياتي الاشارة الى انه لا يعارضه ايضا وزاغ بمعنى طغى تجاوز عن الرؤية
المتحققة بل اثبتها وتيقنها فاضاف الامر اي امر الرؤية للبصر ويقابله ايضا ما قال اهل
التفسير في تاويله حتى لا يعارضه وينافيه في تفسير قوله ما كذب الفؤاد ما رأى معناه
لم يوهم القلب العين فهو مفعول القلب والقلب مرفوع فاعله يوهم والعين منصوب مفعوله
وقوله غير الحقيقة مفعول ثان له لانه ينصب مفعولين وغير بغين معجمة ومثناة وراء مهملة
ونقل عن بعض الشروح انه يجوز في كل من العين والقلب الرفع والنصب والمرفوع فاعل تقدم او تاخر
وتوقف في فهمه التلمساني وليس محل توقف لان المراد ان البصر والبصيرة متفقان لم يخالف احدهما
الآخر لوقوفهما على الحقيقة لان العين قد ترى امرا ثم يتبين خلافه وانه غير متحقق وقد يتصور
القلب شيئا فيشاهد خلافه والحاصل ان ما رآه ليس تخيلا كاذبا بل امرا محققا تواطا عليه العين والقلب
وما قيل من ان الامور القدسية يدركها القلب اولا ثم يوردها على البصر ليس بمسلم وقيل في التوفيق
بينهما ورفع التنافي ما انكر قلبه صلى الله عليه وسلم ما راته العين وهذا قريب مما قبله ولتقا
ظاهرا لم يدرجه في حجج ابطال كونه مناما وتقطفه عليه واورده سؤالا وجوابا ولما كان محصل
الجواب انه يدل على ثبوت الرؤيتين سقط ما قيل انه مشترك الالزام والاعتراض بانه لا فرق بين
الجوابين لان المراد انه لم يطرا عليه وسوسة نفس ونزغة شيطان تشككه فيما راه وتوهمه خلاف
ما شاهدته عيناه هـ

رضهما

فصل واما رؤيته صلى الله عليه وسلم لربه عز وجل

بعينه يقظة في اسرائه والرؤية تختص بالبصرية فلذا عبر بها هنا وان اطلقت على غيرها يكون
على خلاف المشهور عكس الرؤيا كما تقدم فاختلف السلف فيه فانكرته عائشة ذكر ضمير الرؤية
لان تانيث المصدر غير معتبر او باعتبار الوقوع كما قيل وانكارها وقع في حديث رواه مسلم وغيره
كما اشار اليه المصنف بقوله عن مسروق وفي بعض النسخ فانكرتها وهي ظاهرة حدثنا ابو الحسين
سراج بكسر السين وفتح الراء المخففة وآخره جيم بن عبد الملك المراد بالملك الله في الاعلام
لكراهة التسمية بعبد فلان حتى بعبد النبي وهو امام حافظ شيخ المصنف وحده وزيره لغوي
جليل القدر الحافظ ثنا ابي عليه تقدم الكلام فيه وابو عبد الله بن عتاب تقدمت ترجمته
ابن مغيث يونس بمثلثة النون وهو يونس بن عبد الله بن محمد بن مغيث بن عبد الله الانصاري المعروف

بابن الصفار ولد في رجب سنة سبع واربعين واربعماية وتوفي بقرطبة سنة اثنين وثلاثين
وخمسماية لثمان من جمادي الاولى قال **حدثنا ابو الفضل الصقلي** بفتح الصاد المهملة والقاف
وتشديد اللام المكسورة نسبة لصقلية بلد بالاندلس ثابت بن قاسم بن ثابت جده ثابت بن حزم
العوفي السرقسطي وابوه ابو محمد قاسم بن ثابت مولف كتاب الدلائل في غريب الحديث يروي عن
ابيه وجده وعم جده حتى قرا وكان ثابت بن قاسم يشتركان في التاليف والشيوخ والرحلة وولد
ابوه سنة خمس وخمسين ومايتين ومات بسرقسطة سنة اثنين وثلثماية **ابن ابي خالد** هو اسمعيل
بن سعيد البجلي الكوفي توفي سنة خمس او ست واربعين وماية واخرج له اصحاب الكتب الستة هـ
ومحمد بن آدم هو المروزي توفي سنة ثمان وخمسين ومايتين **وكيع** بن الجراح بن مليح بن عدي الحافظ
الثقة ولد سنة تسع وعشرين وماية وتوفي سنة ست او سبع وسبعين وماية ووكيع ابن ابي خالد
ضرب عليه المصح وانبت بدله **عن عامر** انه **قال يا ام المومنين هل راي محمد ربه** يعني ليلة
الاسرا بقرينة السوال لانها لاتنكر روية الآخرة ولا روية المنام **فقالت** متعجبة **لقد قف
شعري** القفيف في الشعر معناه قيامه وانتصابه وانما يكون هذا غالبا عند الفزع والخوف
القوي **مما قلت** اي خفت من كلامك ان يهلكك الله من قاله واستمعه لانه امر منكر يقال قف بمعنى
اقشعر واصله ان الجلد ينقبض عند البرد والجزع فيقوم الشعر لذلك والمراد انكارها ما قاله واستعظامه
وما مصدرية او موصولة في قوله مما قلت **ثلاث من حدثك بهن فقد كذب ثم قرات**
مستند له ما قالته **لا تدركه الابصار الآية** بناء على ان الادراك شامل للروية فانه حكم
كلي فان قلنا الادراك بمعنى الاحاطة اي لا تحيط به الابصار ولا تعرف كنهه ورفع الايجاب
الكلي سلب جزئي لم يكن في الاية دليل على ما ذكر وقد استدل بهذه الاية المعتزلة على نفي الروية
مطلقا ورده اهل السنة كما فصل في كتب الاصول وروي في بعض النسخ من حدثك بلا كاف
والثلاث الاولي هذه والثانية قولها من زعم انه صلى الله عليه وسلم كتم شيئا من الوحي ثم قرات
يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك الخ والثالثة من زعم انه صلى الله عليه وسلم يخبر بما يكون
في غد فقد اعظم الفرية ثم قرات ان الله عنده علم الساعة الاية واعلم ان هذا الحديث في البخاري
ومسلم والترمذي والنسائي وهو في البخاري عن يحيى عن وكيع بسند المصنف فهو بدل او موافقة
كما فصله البرهان وذكر حديث مسروق الحديث بتمامه كما سمعته انفا من ذكر الثلاث قال مسروق وكنت
متكيا فجلست وقلت يا ام المومنين انظريني ولا تعجليني الم يقل الله تعالى ولقد رآه بالافق المبين
ولقد رآه نزلة اخرى فقالت انا اول هذه الامة سال عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال انما هو جبريل لم اره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين كما رواه مسلم **وقال جماعة
من المحدثين** والعلماء لا المتكلمين لان خلافهم ليس في روية الاسرا **وهو المشهور عن ابن مسعود
ومثله** اي مثل قول ابن مسعود وعايشة **روي عن ابي هريرة** في تفسير قوله تعالى ولقد رآه
نزلة اخرى **انه** اي ابا هريرة بفتح الهمزة **قال انما راي جبريل** لا ربه كما قيل فاتى بصيغة
الرد على من فسر الاية بما ذكر **واختلف** بالبنا للمجهول **في النقل عنه** اي عن ابي هريرة **فروي عنه
انه قال رآه بعينه كعينيه** وفي رواية اخرى انكره **وقال بانكار هذا** القول المجوز لرويته
ووقوعه **وامتناع رويته سبحانه وتعالى في الدنيا** وجوازه في الآخرة **جماعة من المحدثين**
انكروا صحة نقله عنه صلى الله عليه وسلم **والفقها** ذكروه في مباحث الردة والكفر وان احدا
لو قال رايت الله بعيني في الدنيا هل يكفر ام لا **والمتكلمين** علماء اصول الدين والخلاف بين اهل

الشنة

السنة والمعتزلة في هذه المسئلة وادلتها مشهورة في كتبهم حتى انه افرد بالتاليف **وعن ابن
عباس انه رآه بعينه وروي عطا عنه** اي عن ابن عباس **انه رآه بقلبه** وعطا هو ابن ابي رباح الفقيه
المكي **وعن ابي العالية** وهو رفيع بن مهران الرياحي وقيل هو زياد بن فيروز وقيل اسمه فيروز **عنه**
اي عن ابن عباس **رآه بفواده مرتين وذكر ابن اسحاق** صاحب المغازي عن عبد الله بن ابي سلمة **ان ابن
عمر ارسل الي ابن عباس يساله هل راي محمد ربه فقال نعم** مراده هل رآه يقظة بعينه فقوله
والاشهر عنه اي عن ابن عباس **انه راي ربه بعينه** وفي نسخة بعينيه وهما بمعنى تفسير للرواية
التي قبله وان كانت ظاهرة في انها غيرها لتخالفهما في العبارة **وروي ذلك عنه من طرق** اي باسانيد
مختلفة لفظا لا معنى يقوي بعضها بعضا وهو لا ينافي ما روي عنه انه رآه بفواده فهو كقوله
تعالى ما كذب الفواد ما راي وما زاغ البصر وما طغي كما مر **وقال** ابن عباس فيما رواه عنه الحاكم والنسائي
والطبراني وهو في معني ما قبله في ان الروية فيهما بصرية **ان الله اختص موسي بالكلام** بغير
واسطة لقوله تعالى وكلم الله موسي تكليما **وابراهيم بالخلة** بضم الخاء المعجمة لقوله تعالى واتخذ الله ابراهيم
خليلا **ومحمدا** صلى الله عليه وسلم **بالروية** البصرية لا القلبية لعدم اختصاصها به قيل عليه ان
الخلة والكلام ثبتا لنبينا صلى الله عليه وسلم ايضا فتفريق هذه الخصايص غير ظاهر واجيب عنه
بان مراده ان موسى الكليم اشتهر بذلك وان كان نبينا كلمه الله في الاسرا في مقام اعلى والخلة
ثبتت له مع زيادة المحبة وخليل وحبيب كما اعترف به الخليل في حديث الشفاعة حيث قال انما كنت
خليلا وراء وراء وهذا الجواب لا يجدي نفعا فالاولى ان المراد بالكلام مناجاته تعالى بغير واسطة في
الارض وبالخلة معاملة مخصوصة له مع الله تعالى في هذه الدار ايضا وسياتي بيانه **وحجته** اي
دليله على الروية **قوله تعالى ما كذب الفواد ما راي** اي ما اعتقد قلبه خلاف ما رآه ببصره في
مشاهدة ربه فسماه كذبا تجوزا لاشتراكهما في ان كلا منهما خلاف الواقع اي ما رآه ببصره ليلة
الاسرا لثبوت ذلك بالاحاديث الصحيحة واما انكار عايشة لذلك فقد تقدم ما فيه واستدلالها
بقوله لا تدركه الابصار اجابوا عنه بوجوه منها ان الادراك بالبصر ليس روية مطلقة بل روية
على وجه الاحاطة بجوانب المرئي لان حقيقة الادراك اللحوق والوصول في المكان كقول اصحاب
موسي انا لمدركون او الزمان كما يقال ادرك فلان النبي صلى الله عليه وسلم او الصفة كما يقال
ادرك الغلام اذا بلغ وادركت الثمرة اذا نضجت ثم نقل لابصار النبي المتناهي المحدود بالجهات
لتوهم معني اللحوق فيه لان البصر قطع المسافة التي بينه وبينه حتى بلغه ووصل اليه فابصار
ما ليس في جهة لا يتحقق فيه معني البلوغ فلا يسمى ادراكا فلا يلزم من نفيه وهو روية مخصوصة
نفي المطلقة وهذا تحقيق ما في التفسير وكتب الكلام **افتمارونه على ما يري** اي اتجادلونه
في رويته لما رآه من مريت الضرع اذا مسحته للحلب فاستعير للمجادلة كان كلا من المتجادلين
يمتري ما عند صاحبه لطلبه له **ولقد رآه نزلة اخرى** اي مرة اخرى قال ابن عباس كانت له
في تلك الليلة مرات من العروج ولكل مرة نزلة لسماء اخرى لما راجع في حط الصلوات وهذا
مراده هنا **قال الماوردي** الامام الجليل ابو الحسن علي ابن محمد الشافعي صاحب التاليف الجليلة
كالتفسير الكبير والحاوي وغيرهما وهذا نقل عنه ابن سيد الناس في سيرته **قيل ان الله قسم**
اي جعل **كلامه وروييته** مقسومة **بين موسي ومحمد** صلى الله عليه وسلم **فرآه محمد مرتين**
حيث كان قاب قوسين او ادني وعند سدرة المنتهى مرة وقت ارساله لفرعون
ومرة بعد هلاكه ورجوعه للطور والحق انه كلمه في الدنيا مرارا عنده في مناجاته ولذا خص

بالكليم لانه لم يكلمه في الدنيا بغير واسطة غيره ولا يلزم من هذا شرفه على نبينا صلى الله
عليه وسلم لتكليمه اياه مع قربه منه في حظائر قدسه لكن لكون تكليم موسى مما يعرفه الناس
خص بكونه كليما فاندفع ما مر **وحكى ابو الفتح الرازي** ليس هو الفخر الرازي كما توهم **وابو الليث
السمرقندي** الحنفي وقد قدمنا ترجمته والحكي ما مر عن الماوردي وليست ضعيفة وضمة قيل
ليست للتمريض فانه يفصل بمجرد النقل فان قلت كيف قال قسم الكلام والرؤية والقسمة انما
تكون في امر واحد يوزع بين اثنين فاكثر ولذا قيل ان هذه العبارة مما لا ينبغي قلت هذا وهم
من قائله فان المراد قسم تقريبهما وتعظيمهما قسمين فجعل قسما لهذا وقسما لهذا كقوله قسم الاله الامر بين
عباده • فالضب يرشد والحلي يسبح • **الحكاية** التي ذكرها الماوردي عن كعب **وروي
عبد الله بن الحارث** كما رواه الترمذي وهو عبد الله بن نوفل ابن عبد المطلب البصري مسكنا الوالي
به ما مات لقمان بعد انقضاء فتنة بن الاشعث لما خرج اليها هاربا من الحجاج وولد في زمنه صلى الله
عليه وسلم ومات سنة اربع وثمانين ومن الرواة ايضا عبد الله بن الحارث ابو الوليد البصري
حدث عن ابن عباس وهو زوج اخت محمد بن سيرين وجزم السهمي بانه المذكور هنا وهو الراجح لان
عبد الله الاول وان وافقه في الاسم والنسبة لكن الحارث جده وهذا راوي ابن عباس كما مر
قال اجتمع ابن عباس وكعب الاحبار فقال ابن عباس **اما نحن بنو هاشم فنقول ان محمد
راى ربه مرتين** خص بني هاشم لانهم اقرب اليه واعرف بحاله لا سيما قبل الهجرة وكان
اجتماعهما بعرفة كما ذكره الترمذي وبنو هاشم مرفوع بدل من نحن كما في النسخ ولو نصب على
الاختصاص جاز وليس المراد ببني هاشم ما سوى العباس وظاهره انه راي واجتهاد منهم
وهذا لا ينافي ما مر عن ابن عباس لان عنه روايتين فلا وجه للاعتراض على المصنف فكبر كعب
لسروره بمقابلته الموافقة لما عنده **حتى جاوبته الجبال** اي رفع صوته بالتكبير حتى سمع
صداه من الجبال وجعله جوابا تجوزا ويجوز ان يكون تكبيره تعجبا مما قاله واستغطاما له لقوله
وقال اي كعب **ان الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى فكلمه موسى وراه محمد بقلبه**
فيكون منكرا لرؤيته بعيني راسه او نقول هو موافق لان الرؤية القلبية لا تنافي البصرية
وعليه السؤال وانفراد موسى بكونه كليما ما مر من ان المراد تكليمه مرارا في الارض فلا ينافي
كون نبينا كليما ايضا بغير واسطة كما مر **وروى شريك** تقدم الكلام عليه وعلى روايته
عن ابي ذر في تفسير الاية المذكورة ما كذب الفؤاد ما راى الاية **قال راى النبي صلى الله عليه
وسلم ربه** هذا كلام مجمل متفق عليه وقيل المراد انه راه بقلبه بشهادة اول الاية وفيه نظر
وحكى السمرقندي الحنفي المتقدم **عن محمد بن كعب القرظي** بضم القاف وكسر الظاء المعجمة
نسبة لبني قريظة وهو تابعي واسمه محمد كما تقدم وربيع بن انس التابعي الذي تقدمت ترجمته
فالحديث مرسل كما رواه ابن جرير عن محمد بن كعب عن بعض الصحابة **ان النبي صلى الله عليه وسلم
سئل هل رايت ربك فقال رايته بفؤادي ولم اره بعيني** وهذا يحتمل ان يكون في المرة
الاولى فانه روي عن ابن عباس وغيره انه راه مرتين فلا ينافي ما مر وما قيل من ان المراد نفي
مجرد الرؤية او نفي رؤيته كما يرى الاشياء المرئية تعسف لا ينبغي ذكره هنا وروى مالك
بن يخامر بضم المثناة التحتية وخاء معجمة يليها الف وميم وراء مهملة علم منقول ممنوع من الصرف
وهو سكسكي حمصي يقال ان له صحبة والاصح انه تابعي روى عن معاذ بن جبل وعبد الرحمن
بن عوف وغيرهما ومات سنة سبعين او اثنين وسبعين وروى عنه جماعة **عن معاذ عن النبي**

صلى الله عليه وسلم قال رايت ربي في حديث رواه احمد بن حنبل وغيره وهو حديث صحيح
اوله قال معاذ صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الغداة ثم اقبل علينا فقال اني ساحد
اني قمت من الليل فصليت ما قدر لي ونعست وفي رواية فوضعت جنبي فاذا انا بربي في احسن
صورة فقال يا محمد فيم يختصم الملأ الاعلى قلت انت اعلم اي ربي فوضع كفه وفي رواية بين
كتفي فوجدت بردها بين ثديي فعلمت ما في السموات والارض ثم تلى وكذلك نري ابراهيم ملكوت
السموات والارض الى اخره • ثم قال فيم يختصم الملأ الاعلى يا محمد قلت في الكفارات قال وما هي
قلت المشي على الاقدام الى الجماعات والجلوس في المساجد خلف الصلوات واسباغ الوضوء اماكنه
في المكاره من يفعل ذلك يعش بخير ويمت بخير ويكون من خطيئته كيوم ولدته امه وروي
ويخرج من خطيئته ومن الدرجات اطعام الطعام وبذل السلام وان تقوم بالليل والناس نيام
قال قل اللهم اني اسالك الطيبات وترك المنكرات وحب المساكين وان تغفر لي وترحمني وتتوب
علي واذا اردت فتنة في قوم فتوفني غير مفتون وهذا الحديث اخرجه الترمذي والبغوي في المصابيح
وهو تمثيل لتجلي الله له بلطفه وحسن معاملته وما افاضه عليه من المعارف والمكاشفة لغيبه مع ثلج
صدره ببرد اليقين وشرحه وتحقيقه في شرح المصابيح وشرح الاربعين للصدر القونوي وادراج
بعض الشراح له في المتن غير متجه وذكر كلمة اشارة لما مر وهو اسم جمع لملحق لكلمة مضافا للضمير
الله او الحديث لادني ملابسة **فقال الله فيم يختصم الملأ الاعلى** اي فيم يتباحث الملائكة بعضهم
بعضا عن المراتب المقربة الى الله المكفرة للخطايا ولذا امره بالدعاء تكملها هذه المراتب **الحديث**
بالنصب اي اقرأه او اذكر **وحكى عبد الرزاق** همام بن رافع الصنعاني صاحب التصانيف الجليلة
اخرج له الائمة الستة وتوفي سنة احدى عشرة ومائتين وترجمته مشهورة **ان الحسن** البصري
التابعي ذكره وترجمته **كان يحلف بالله لقد راى محمد ربه** بعيني بصره **وحكاه ابو عمر الطلمنكي
عن عكرمة** بوزن زفر وهو بفتح الطاء المهملة وفتح اللام وفتح الميم وسكون النون وكاف مكسورة
يليها ياء نسبة كما ضبطه الحفاظ وهو الامام الحافظ المقرئ احمد بن عبد الله بن لب بن يحيى
المعافري الاندلسي عالم قرطبة ولد سنة اربعين وثلثمائة وتوفي في ذي الحجة سنة تسع وعشرين
واربعمائة وروى ابن حزم وابن عبد البر وغيرهما من الحفاظ الاعلام **وحكى بعض المتكلمين هذا
المذهب** وهو رؤية الله بعينه **عن ابن مسعود وحكى ابن اسحاق** محمد بن اسحاق بن يسار الامام
الحافظ صاحب المغازي وقد تقدمت ترجمته **ان مروان** بن الحكم بن ابي العاص ابن امية
بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الاموي ولد سنة اثنين ولم يصح له سماع ولا رؤية وانما له رواية
عن عثمان وبسرة وغيرهما وكانت دولته تسعة اشهر واياما وتوفي في سنة خمس وستين في رمضان
ثم تولى الخلافة ابنه عبد الملك وترجمته مفصلة في التواريخ **سال ابا هريرة هل راى محمد ربه
بعينه فقال نعم وحكى النقاش** محمد بن الحسن بن زياد وقد تقدم ترجمته **عن احمد بن حنبل انه
قال انا اقول بحديث ابن عباس بعينه راى ربه** بدل من حديث ولم يزل يكرر ما قاله رافعا به
به بصره **حتى انقطع نفسه** بفتحتين اي عجز عن التكلم واعيا فترك التكلم يعني نفس احمد
بن حنبل راه بقلبه **وجبن** بفتح الجيم وضم الباء وحكى الجوهري فتحها وهو ضعف في القلب
يقتضي عدم الاقدام يريد انه لم يتجرأ تادبا على ان يقول بذلك اي عن القول برؤيته في الدنيا
بالابصار بكسر الهمزة وفتحها جمع بصر تعبيره بالجبن يدل على انها جائزة عقلا عنده وهو الحق
وقال سعيد بن جبير الصحابي المشهور **لا اقول راه ولا لم يره** اي توقف في ذلك ولم يكن

لاحد القولين **وقد اختلف في تاويل الآية** يعني قوله ولقد رآه مرة اخرى عند سدرة المنتهى **في النقل عن ابن عباس وعكرمة والحسن وابن مسعود** فحكي عن ابن عباس وعكرمة رآه بقلبه وعن الحسن وابن مسعود رأى جبريل فالضمير فيها لجبريل كما في مسلم عن ابن مسعود وابي هريرة فرآه بالافق الاعلى وله ستمائة جناح ينثر منها الدر واليواقيت كما قاله المهدوي **وحكى عبد الله بن احمد بن حنبل عن ابيه** وهو كابيه امام في السنة والفقه اخذ عنه الاعلام وتوفي سنة تسعين ومائتين ومات في سن ابيه **انه قال رآه** بعينه لانه المتبادر وقد روي عنه التصريح به ولا ينافي ما مر من انه جبن عن القول بذلك لانه قد يخصه في بعض المجالس لمقتض لذلك **وعن ابن عطا في قوله الم نشرح لك صدرك قال شرح صدره للرؤية وشرح صدر موسى للكلام** اي قوى الله قلبه واذهب رعبه حتى سر مع مشاهدة جلاله وعظمته وسماع كلامه **وقال ابو الحسن علي بن اسماعيل الاشعري** ابن ابي بشر بن اسحاق ابن ابي سالم بن اسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن ابي بردة بن ابي موسى الاشعري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعروف ان ابا الحسن هذا شافعي المذهب وقال التلمساني انه مالكي المذهب ونسبته الى اشعر وهو نابت بن ادد يشجب ابن يعرب بن زيد بن كهلان بن سبا وكان حبرا عظيما وهو امام اهل السنة صاحب التصانيف المشهورة ولد سنة سبعين ومائتين ومات سنة اربع وعشرين وثلثمائة وقيل اربع وثلاثين في ذي الحجة **وجماعة من اصحابه انه رأى الله ببصره وعيني رأسه** تاكيد لكون الرؤية بصرية واضافة العين للراس احتراز عن عين قلبه وظاهره فانها وردت في الحديث وان لم تكن عينا حقيقية **وقال الاشعري كل آية ومعجزة اوتيها نبي** اي اعطاها الله لنبي **من الانبيا فقد اوتي نبينا مثلها** صلى الله عليه وسلم وقد فصله ابن المنير في المقتفي والكلام فيه طويل لا يسعه كتابنا هذا ولا ينافي هذا تخصيص موسى بالكلام كما مر قيل الحقيقة المحمدية صورة الاسم الاعظم الجامع للاسما فله التصرف في العوالم ومنه يستفيض ويشهد ما فيها من جهة حقيقته لا من جهة بشريته فهو الخليفة حقيقة واي معجزة كانت لنبي فهي له اولا وبالذات ثم جاءت منه لغيره والى هذا اشار في البردة بقوله

> وكل آي اتى الرسل الكرام بها ● فانما اتصلت من نوره بهم ●

اقول الحق ان نقول ان الله خلق روحه صلى الله عليه وسلم وخلع عليه خلعة النور والنبوة ثم خلق ارواح البشر وامر ارواح الانبيا بان يؤمنوا به واخذ عليهم الميثاق باتباعه ان ادركوه كما نطق به الكتاب فلما اجابوه اشرق عليهم نوره الروحاني الرباني وصارت في ارواحهم قوى مستورة لاظهار المعجزات كالاوليا امته **وخصه من بينهم** اي اختص عن سائر الانبيا **بتفضيل الرؤية** اي بتفضيله برؤية ربه عيانا في الدنيا فلم يره غيره فيها **ووقف بعض مشايخنا في هذا** اي توقف فيه فلم يعتقد ثبوته ولا نفيه والمشايخ جمع مشيخة او شيخ على خلاف القياس وفيه كلام في شرح ادب الكاتب **وقال ليس عليه** اي على ثبوته **دليل واضح** اي صحيح ظاهر **ولكنه جائز** بحسب العقل **ان يكون** اي ان يصح ويوجد في الدنيا **قال القاضي ابو الفضل** المصنف رضي الله عنه **والحق الذي لا امترا فيه** اي القول الحق الذي لا شك فيه ولا شبهة لان المرية هي الشبهة **ان رؤيته تعالى في الدنيا جائزة عقلا** لانه موجود حقيقة وكل موجود تجوز رؤيته عيانا **وليس في العقل ما يحيلها** اي ما يقتضي انها مستحيلة ثم ذكر دليلا نقليا يؤيد العقل فقال **والدليل على جوازها في الدنيا سؤال موسى لها** بقوله رب ارني انظر اليك وهو نبي اولي العزم لا يسال من الله تعالى ما لا يجوز فلولم يعتقد صحة ذلك لما سال ربه

والاكان

والا كان جهلا منه باحوال الربوبية وهو مبرأ منه وكلامه في تحقيق الرؤية لا في وقوعها فقط كما قيل من انه ليس الكلام في جوازها بل في وقوعها والفرق بينهما ظاهر والقايلون باستناعها لهم ادلة على مقالهم وان كانت مردودة والقايلون بالجواز العقلي ذاهبون لمنع الشرعي ولذا قال النسفي رؤية الله في الدنيا جائزة عقلا ممتنعة شرعا والمصنف تعرض لاثبات الوقوع له صلى الله عليه وسلم وهو امر نقلي لا مجال للعقل فيه فكلامه خارج عن المطلوب الا ان يقال انه استطراد انتهى ليس بشي لانه ان لم يثبت الجواز لا يثبت الوقوع والوقوع امر نقلي قد يثبت اولا ثم حقق ما يتوقف عليه من الجواز عقلا اذا ظهر والكرامات لما اشرق عليهم من نوره وهذا الذي قصده البوصيري فاعرفه وما نقله النسفي مخالف لما ارتضاه المصنف واذا كان هذا نقليا وثبت نقله كيف لا يكون عقليا فما ذكره كلام مموه تركه خير منه وما ذكره المصنف هو دليل اهل السنة على جواز رؤيته تعالى والمعتزلة يقولون لم يساله لجوازه عنده بل لتبكيت القايلين له ارنا الله جهرة **ومحال ان يجهل نبي ما يجوز على الله تعالى وما لا يجوز عليه** تنوين نبي للتنكير والتنويع والتعميم اي نبي كان فكيف بالكليم وقيل انه للتعظيم اي نبي عظيم من اولي العزم كبار الرسل لاستحالته عادة مقررة نقلا وعقلا لانه بعث ليعلم امته الشريعة والعقايد الحقة وهي معرفة ما يجوز على الله ويمتنع فلو جهل ذلك كان امرا له بما لا يعلمه وهو محال لانه اما جهل او عبث والمعتزلة يقولون انما يلزم هذا لو كان سؤالا حقيقيا اما لو كان لالزام غيره وتبكيته لمن سالها من قومه فلا وهذا مردود لان السيا باباه وتفصيله في علم الكلام **بل لم يسال** موسى من الله **الا جائزا** عقلا **غير مستحيل** لان سؤال المحال من مثله محال اولكونه سالها مع علمه باستحالتها ليتاكد الدليل العقلي بالسمع وليطمئن قلبه فان العلم يتفاوت قوة وضعفا مردود بان تفاوته غير مسلم والخليل لم يسال الا لذلك وانما كان علم ان الله يتخذ خليلا يحيي الموتى بدعائه فساله لذلك ليعلم اهو هو ام لا ولو سلم فلا يلزم طلب ما لا يجوز وينافي في الادب عند بعض الطريقة اذ له ان يقول رب بين لي امر ذلك بجواز او استحالة **ولكن وقوعه ومشاهدته من الغيب** اي جوازه معقول ثابت ووقوعه له دون غيره بمشاهدة ربه امر مغيب عن كل احد كسائر المغيبات الجايزة كالحشر وغيرها فالغيب بمعنى المغيب عن البشر **الذي لا يعلمه الا من علمه الله** باخباره واطلاعه على حاله ووقوعه له مطلقا او في بعض الاحوال ولذا اعلمه الله به **وقال له لن تراني** اي الرؤية جائزة ولكنك لم تصل اليها في الدنيا **اي لن تطيق** اي تقدر **ولا تحتمل رؤيتي** اي لا تقوى عليها في هذه الحالة وهذا كله مما يدل على الجواز **ثم ضرب له مثالا** اي اتى له بمثال من المخلوقات لا يطيق على الله عيانا لينكشف له امرها ويعلم حاله من حال غيره **مما هو** وفي بعض النسخ بما متعلقا بضرب **اقوى من بنية موسى واثبت** اي اشد قوة واكثر ثباتا والبنية بكسر البا وسكون النون الخلقة والتركيب **وهو الجبل** في قوله ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني فلما لم يثبت الاقوى علم عدم ثباته بالطريق الاولى والى ذلك اشار بقوله **وكل هذا ليس فيه ما يحيل رؤيته في الدنيا** اي يقتضي استحالتها فيها **بل فيه** ما يقتضي **جوازها على الجملة** كما سمعته آنفا من ان سؤاله وتعليقه بالممكن يقتضي امكانه وقوله على الجملة بمعنى انه بطريق الاجمال لا التفصيل فانه من قبيل اشارة النص والمعروف في كلامهم في الجملة والمعنى واحد لان المراد جوازا اقتضاه على طريق الاجمال **وليس في الشرع دليل قاطع على استحالتها ولا**

دليل قاطع على امتناعها وان لم تكن مستحيلة فلا دليل على امتناع وقوعها مطلقا او في
الدنيا اذ كل موجود في الخارج جوهرا كان او عرضا لا في العلم والذهن كما قيل التصور الممتنع
وهو تعليل للجواز لان ان تاتي للتعليل كما حققه النحاة واهل المعاني والتعليق بالمشتق
يقتضي علية مبدئه فالعلة الوجود لا الحدوث وهو مشترك بين الباري تعالى وسائر
الموجودات فكما يجوز رؤيتها يجوز رؤيته الا انه قيل انه يقتضي صحة رؤية نحو الاصوات
والروايح والطعوم وكيفية الملموس فانها موجودة مع انها غير محسوسة بالبصر الا ان هذا الدليل
منقول عن الاشعري وهو التزم جواز رؤيتها والكلام في الجواز لا الوقوع فرؤيته جايزة غير
مستحيلة تفسير للجواز فانه قد يقابل الحرمة والوجوب ولا حجة مسلمة عند الخصم لمن استدل
على منعها اي الرؤية بقوله تع لا تدركه الابصار لاختلاف التاويلات في هذه الاية
كما حققناه لك فلا افادة في الاعادة واذ ليس معطوف على قوله اذ كل موجود او على قوله
لاختلاف لان معناه لانه ليس يقتضي قول من قال بمنعها في الدنيا الاستحالة مطلقا بل تخصيص
الدنيا يقتضي وقوعه في الاخرة فيدل على الجواز في الدنيا وهذا رد على المعتزلة فان هذه
الاية اعظم ادلتهم على نفي الرؤية في الدنيا والاخرة ثم بالغ في الرد عليهم بان ما استدلوا به
عليهم لا لهم وقد استدل بعضهم بهذه الاية لا تدركه الخ نفسها على جواز الرؤية
وعدم استحالتها على الجملة كما يعلم من ذكره اختلاف التاويل وانما استدل بها لان نفي الشيء
عند البلغا يقتضي جوازه والا كان عبثا فلا يقال للحايط انه لا يعلم له والله تع قد ساق نفي
ادراك الابصار في مقام المدح وانما يتمدح بامر ثبوتي كالحي لا بالعدم الصرف فكل نفي تمدح
به تضمن امرا وجوديا كنفي السنة والنوم المتضمن لكمال القيومية ونفي الموت المتضمن للحياة
السرمدية فلو كان نفي الابصار انه لا يرى اصلا كسائر المعدومات لم يكن فيه تمدح بل المراد لا
يحيط بعظمته وجلاله الابصار وهذا ما فهمه الصحابة ولذا فسره ابن عباس بلا يحيط الابصار
وكذا ذكره غيره فنفي الاحاطة يشير للرؤية بدونها او المراد العموم اي لا تراه جميع الابصار
وان منها ما يحجبه فهي سالبة في قوة موجبة جزوية والى اشار بقوله وقد قيل لا تدركه ابصار
الكفار وقيل لا تدركه لا يحيط به وهو قول ابن عباس لانه كما قيل يحتمل ان يكون رفعا للايجاب
الكلي بان يلاحظ الايجاب الكلي اولا ثم يرد عليه النفي وحينئذ لا احتجاج لهم علينا فانا قايلون
بان الكفار لا يرونه او المنفي ادراك بتقلب الحدقة نحو المرئي فانه المتبادر من اطلاق ادراك
البصر وهو المعتاد وانما يحتاج لهذا اذا كان تعريف الابصار استغراقيا والا تكون القضية
سالبة مهملة وهي في قوة السالبة الجزئية بمعنى لا تدركه بعض الابصار وتخصيص النفي
بالبعض يدل بالمفهوم على الاثبات للبعض فالاية حجة لنا وعلى تقدير تسليم عمومها للاشخاص
لا نسلم عمومها للاوقات لانها سالبة مطلقة وهي اعم من السالبة الدايمة وما ذكر من ان تدركه
الابصار موجبة مطلقة فنقيضها سالبة دايمة لجواز كون الامر بالعكس بل الظاهر عكسه
اقول كونه دالا بالمفهوم على الاثبات للبعض قال بعضهم فيه نظر لان القضية المهملة
والدالة على رفع الايجاب الكلي ليس صريح مفهومها السلب الجزئي والمقرر ان النفي عن البعض
بل السلب الجزئي لازم معناها الصريح المحتمل للسلب الكلي والجزئي مع الايجاب للبعض فيمنع
كون مفهومها مستلزما للسلب الجزئي لا يدل بمفهومه على مفهوم السلب الجزئي فلا حجة لنا
فيه وانما يكون حجة اذا كان صريح مفهوم القضية وقد قيل في بعض التاويلات لا تدركه

الابصار

الابصار نفسه وانما يدركه المبصرون يعني ان الادراك نوع من العلم وهو صفة
الناظر حقيقة لا نفس النظر فانه واسطة وآلة لا يخفى ركاكة هذا التاويل وان كانت عهدته
على قايله وكل هذه التاويلات السابقة لا تقتضي منع الرؤية ولا استحالتها بل جوازها
كما مر فلا حجة فيها وكذلك لا حجة لهم بقوله تعالى لن تراني الاية التي استدل بها بعض المعتزلة
وقالوا لن للنفي المؤبد والمؤكد فاذا نفى عن موسى فغيره يعلم بالطريق الاولى وقد رد بانها للنفي
في المستقبل فقط وكلام الله وغيره دال عليه كما اثبته النحاة مما هو مشهور في كتبهم ونفي الرؤية
عنه لا يدل على نفيها عن غيره لانه نفي مخصوص فلا دليل لهم فيه وقوله تبت اليك من سؤال
الرؤية المقتضي لانه محال وطلب لما لا يليق فهو ذنب وسياتي جوابه لما قدمناه من ادلة
الجواز الصريحة المقتضية لتاويل هذه الاية ولانها اي هذه الاية ليست على العموم بل مخصوصة
بموسى في المستقبل والنفي الخاص لا يدل على عموم ولا استحالة ولان من قال معناها لن تراني
في الدنيا انما هو تاويل فلا دليل على مدعاهم العام ولا على الاستحالة فان القايل بين معنى الاية
ولم يذكر انه تفسير ما نود ولانه برهان على المنع العقلي والعموم فلا حجة فيه وايضا فليس فيه
نص الامتناع اي صريح عموم امتناع الرؤية لكل واحد وانما جات في حق موسى اي اية لن تراني
مخصوصة بموسى فكيف يستدل على امتناع الرؤية مطلقا في الدنيا وغيرها يقظة ومناما كما ذهب
اليه المعتزلة ولا يلزم من نفي الوقوع نفي الجواز الذي نحن بصدد اثباته وحيث تتطرق
التاويلات اي اذا امكن تاويل ما استدلوا وتسلط الاحتمالات اي توجد احتمالات
في الدليل فليس للقطع به سبيل فلا يصلح القطع والجزم بما استدل كما قالوا اذا طرق الاحتمال
سقط الاستدلال وفيما استدلوا به على احتمال الرؤية امور كثيرة ذكرها المفسرون والمتكلمون
كما قدمه المصنف واصل معنى التطرق وجود الطريق وسلوكه فنسبة التاويلات بصاحب مطلب وجد
الطريق اليه على سبيل الاستعارة التبعية او المكنية والتخييلية وكذا في التسلط لانه من
السلاطة وهي القهر والغلبة قال تع ولو شاء الله لسلطهم عليكم ومنه السلطان كما قاله الراغب
وغيره من اهل اللغة وقيل يتطرق من الطرق وهو الخلط او من التطارق وهو التتابع والازدحام
وهو عبارة عن كثرتها وهو قريب من التسلط وقوله سبحانه تبت اليك اي الذي استدلوا به
على انه دال على امتناعه لعده سؤال الرؤية ذنبا لاستحالتها لا دلالة له على مدعاهم
لان له تفسيرا اخر اي من سؤالي ما لم تقدره لي في الدنيا في ذلك الوقت لحكمة خفية لما نابه
من انوار عظمته حتى صعق كما يقول من فعل امرا جايزا اعتراه منه مشقة عظيمة تبت عن مثل
هذا كما قاله ابن نباتة السعدي ؎

وامل ما مولا بغير صدورها • فواخجلتي اني الى المجد تايب

وتقدره بضم المثناة وتشديد الدال وتخفيفها وقد قال ابو بكر الهذلي الامام العلامة
تلميذ ابن القوطية صاحب الافعال كان من الادبا الظرفا وله شعر بديع في تفسير قوله لن
تراني اي ليس لبشر ان يطيق اي يقدر ان يطيق النظر الي في الدنيا وانه من نظر الي فيها
مات قيل هذا ماخوذ من قوله وخر موسى صعقا فانه يدل على ان القوى البشرية لا تطيق
النظر في الدنيا لسبحات جلاله الا من اقدره الله واذا لم يطق ذلك مثل موسى فغيره يموت
فجاة لخوفه او لاحراق سبحات النورية وفي هذا دليل على جواز وقوعه في الدنيا لكنه من وقع
له فيها لا يعيش كما قيل ان من راى الملك في الدنيا نعم كما نقل عن ابن عباس وان قيل انه لم يصح والمراد

غير الانبيا هنا وقد رايت لبعض السلف من المتقدمين ولبعض المتاخرين ان رؤيته تعالى في الدنيا ممتنعة لمانع منها لا لذاتها من حيث هي لما تقرر من جوازها عقلا فامتناعها لعارض لضعف تركيب اهل الدنيا اي لضعف ابدانهم المركبة كما قال تع وخلق الانسان ضعيفا وقواهم جمع قوة وهي امر اودعه الله في البدن به الادراك او المراد به المعنى اللغوي وكونها اي التراكيب والقوى او هو راجع للقوى فقط متغيرة بالازدياد في اول الامر ثم التنزل والنقص بعده وذلك يدل على ضعفها عرضا للآفات هو حال او خبر بعد خبر للكون ولم يعطف لكونه سببا لما قبله وقيل لكمال الاتصال بينهما وفيه ان ذلك مخصوص بالجمل كما حقق في مباحث الفصل والوصل والغرض بالغين والضاد المعجمتين اصله الهدف الذي ينصب لرمي السهام فشبه الجسد بهدف وآفات الدهر ومصايبه كسهام لا تزال ترمى به حتى تفنى كما قال ابو العتاهية

ان الفتى لغرض الالام • يرميه نبل الدهر والايام •
يصيبه رام ويخطي رامي •

ويجوز ان تكون بالعين المهملة اي معرضا لها ولكن الاول اصح رواية ودراية وقال التلمساني روي معترضة بدل قوله متغيرة اي ذات اعراض وهي الاوقات والامراض او من العرضة اي متعرضة للآفات وقيل بعضهم عرضا بفتح العين المهملة اي منصوبا للآفات مقابلا لها كالهدف والآفة والعاهة كل ما يعرض لشي فيفسده والفنا بفتح الفاء والمد وهو الزوال والعدم فلم يكن لهم قوة على الرؤية لضعف ابدانهم وقواهم في الدنيا فاذا كان في الآخرة اي اذا احياهم الله واد خلهم دار البقا وركبوا تركيبا آخر غير تركيبهم الاول ورزقوا قوى ثانية بمثلثة ونون ومثناة تحتية اي قوى غير القوى الاولى الدنيوية وفي بعض النسخ ثابتة بموحدة ومثناة فوقية فقوله باقية تفسير لها اي مخلدة لا تفنى لقوة تركيبها وتمام قواها واتم ابصارهم وقلوبهم اي جعلها كاملة مستعدة للبقاء السرمدي قووا بها على الرؤية جواب اذا والضمير راجع للمذكورات من التركيب والقوى والانوار التي منحها الله لهم في الآخرة فهذا يدل على وقوع الرؤية في الآخرة وجوازها في الدنيا لانه لو رزقهم ذلك في الدنيا صح منهم ايضا ذلك ولذا شق صدر النبي واودع فيه ما قوي به على ذلك وهذا مما اوحى لايوب قال عطا اوحى الله لايوب انك لتنظر الي غدا فقال يا رب بهاتين العينين فقال اجعل لك عينين باقيتين فتنظر الى الباقي بالبقا وروي نحو هذا لمالك بن انس فقال لم ير بضم التحتية ونايب الفاعل عايد على الله لانه باق ولا يرى الباقي بالفاني فاذا كان النظر او الناظر في الآخرة ورزقوا ابصارا باقية روي الباقي بالباقي ظاهره ان البقاء الابدي علة لصحة الرؤية والفنا مانع ولا مدخل للبقا في الرؤية كما ان الفنا والحدوث لا مدخل له في المنع لان الرؤية بخلق الله وليست مشروطة بشي عند اهل السنة فكانه اراد ان البقا يلزمه قوة التركيب والقوى المعدة لصحة النظر فيكون بمعنى ما قبله ولذا قيل ان مراده ان الرائي والمرئي لا بد ان يكون بينهما مناسبة وابصار هذه الدار فانية فاذا اعادت وكساها الله صفة دوام البقا تحملت رؤية الحي القيوم للمناسبة في الجملة وان كان بقاؤه قديم ذاتي وبقاؤها طاري عرضي وهو كلام اقناعي وهذا كلام حسن مليح عنده على ما فيه وليس فيه دليل على الاستحالة والامتناع عقلا بل هو دال على الجواز اذ لا مانع فيه الا من حيث ضعف القدرة البشرية في الدنيا فاذا قوى الله من شاء من عباده بان رزقه قوة تطيق ذلك واقدره على حمل اعباء الرؤية اي جعل له قدرة وطاقة على رؤيته ومشاهدته والاعباء جمع عب بكسر العين المهملة وسكون الموحدة وهمزة وهو الحمل

الثقيل

الثقيل وهو في المحسوسات حقيقة فاستعير للمعاني الشاقة لم تمتنع الرؤية في حقه لتمكنه منها بما منحه من القوة وقد ذكر القاضي ابو بكر محمد بن الطيب امام اهل السنة الباقلاني بالنون نسبة الى الباقلا على خلاف القياس كالصنعاني توفي سنة ثلاث واربعمائة وقيل ثلث وتسعين وثلاث مائة قالوا وليس هو الامام ابو بكر محمد بن العربي شيخ المصنف في اثناء اجوبته عن الآيتين اي في خلال كلامه في الجواب عما استدل به المانعون من الآيتين لا تدركه الابصار ولن تراني ما معناه ما موصولة او موصوفة مفعول ذكر اشارة الى انه رواية عنه بالمعنى دون اللفظ والعبارة ان موسى عليه الصلاة والسلام راى الله فلذلك خر صعقا مغشيا عليه مع صحته لان وقوع مثل هذا بمجرد رؤية الجبل دكا بعيد وان جاز ان يكون للتجلي وظهور انواره لكن هذا مناف لظاهر قوله لن تراني وقوله انظر الى الجبل ولما نقله المصنف اولا من الله قسم الكلام والرؤية بين موسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وان الجبل ايضا راى ربه اي خلق فيه ادراكا وحياة فصار دكا اي انهد حتى صار ترابا من هيبة الله وذلك بادراك خلقه الله له كما نقله الماتريدي عن الاشعري وهذا مما يدل على جواز الرؤية لان الذي اقدر الجماد على ذلك كيف لا يقدر حمل البشر واستنبط اي استخرج ذلك واصل الاستنباط استخراج الماء من البير فاطلق على مطلق الاستخراج او استعارة له وذلك اشارة لرؤية موسى ورؤية الجبل والله اعلم فيه اشارة الى انه لم يصرح به من قوله ولكن انظر الى الجبل الخ ثم قال فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا اي مدكوكا والدك والدق متقاربان وفسر دكه بانه صار رملا او ترابا وقيل غاده قيل استوى بالارض وقيل افترق فرقا قال الواحدي هذا الجبل يسمى زبير ليس هو الطور وخر موسى صعقا اي سقط صايحا مغشيا عليه من هول ما راه من هذا الجبل وتجليه للجبل ظهوره له حتى راه اي شاهد المتجلي ونوره فذاب كما يذوب الحديد من النار فلو لم يخلق الله حياة وادراكا ورؤية لم يخف خوفا هده وفتته على هذا القول اي قول ابي بكر الباقلاني السابق بان موسى والجبل رايا معا وهذا بنا على مذهب اهل السنة في انه يجوز خلق العلم والنظر في اي جرم اراده وليس من شرط البنية والمزاج كما قالت المعتزلة فانه وهم باطل كما قاله ابن عرفة قيل هذا غير ظاهر لان التجلي لموسى لا للجبل وكون موسى خر انما هو لدكه الجبل وشدة وقعه لا من تجلي الله له ورؤيته ومناسبة قوله وقال جعفر الصادق بن محمد المتقدم ترجمته شغله اي بالجبل واصوات دكه حين امره بالنظر اليه حتى تجلى اي ظهر ظهورا تاما لموسى فراه ولولا ذلك اي اشتغاله بالجبل بان ظهر له نور التجلي ابتدا مات صعقا بسكون العين وكسرها وعلى الاول هو تمييز وعلى الثاني حال بلا افاقة من صعقته وغشيه وقوله هذا اي قول جعفر من يدل على ان موسى راه كالجبل لانه معنى التجلي لانه لا يقال تجلى له الا اذا شاهده فما قيل من انه في غاية البعد لان التجلي الواقع في الآية انما هو للجبل لا لموسى غير متجه لان المصنف انما بنى كلامه على ما قاله هؤلاء وفهموه والناقل لا عهدة عليه فان حاصله ان موسى لما سال الرؤية في مناجاته لربه امره بالنظر للجبل ليلتهي به حتى اذا تجلى له ابتداء لم يهلك ويحرقه الانوار ويموت وهذا بنا على انه حين صعق لم يمت وذهب كثير من المفسرين انه مات ثم احياه الله وما قاله هؤلاء مخالف لكلام المفسرين فانهم ذهبوا الى انه انما امر موسى بالنظر للجبل ودكه الا ليعلم انه لا طاقة له على رؤيته تعالى فان ما لا تطيقه الجبال كيف تطيقه بنية الانسان وقد وقع لبعض المفسرين انه قال في الجبل انه راه لحياة وادراك خلقه الله فيه فراه وشاهده وقد نقل الماتريدي عن الاشعري

وهو الظاهر من التجلي وان حملوه على معنى آخر قال في الكشاف في تفسيره فلما ظهر اقتداره
وتصدى له امره وارادته جعله دكا اي مدكوكا والظاهر انه عنده استعارة تمثيلية وقيل انه
على حذف مضاف وفيه مجاز آخر حيث اسند التجلي للاقتدار وليس بشيء **وبرؤية الجبل** لله عز
وجل **اشتد لم قال برؤية نبينا له** قيل الجبل ليس له ادراك ونظر الا انه يجوز ان يخلق الله
فيه ذلك وليس جعله دكا متوقفا على الرؤية ومستلزما لها ولو كان كذلك قال فان راي استقر
فانما دكه ليعلم موسى عدم طاقته لمشاهدة نور الانوار وفي الحقيقة جعله دليلا فيه ما فيه
اللهم الا ان يقال معنى قوله **اذ جعله دليلا على الجواز** انه جعل تعليق الرؤية بامر ممكن في نفسه
دليلا على جوازها فاذا كانت امرا جائزا فلا حاجة لتاويل الاحاديث الواردة بانه صلى الله عليه
وسلم راى ربه **ولا مرية** بكسر الميم وضمها معناها الشك والتردد **في الجواز** اي جواز الرؤية
اذ ليس في الآيات التي استدل بها على عدمها كانه لا تدركه الابصار ولن تراني ونحوها
نص في المنع للرؤية صريح فيه اذ هي مأولة بل مشيرة للجواز كما مر **واما وجوبه لنبينا**
صلى الله عليه وسلم اي وجوب وقوع رؤيته لربه في الاسرا بعيني راسه واعترض عليه بانه
لم يقل احد بالوجوب وانما قيل بالجواز والوقوع والجواب بانه من خصائصه التي يجب اعتقادها
تعسف وليس المراد وجوبه على الله حتى يقال انه لا يجب عليه شيء وكل ذلك محض تفضل منه وقيل
المراد وجوب الجواز لان الجائز عقلا اذا وقع في الخارج انقلب واجبا بالغير وان كان في حد
ذاته ممكنا والمراد وقوع الرؤية انتهى ولا يخفى ما فيه من التعسف والتمحل الذي لا تساعده العبارة
وكون الجائز اذا وقع انقلب واجبا لغيره لا معنى له فالظاهر ان نقول ان الوجوب هنا بمعناه
فانه لو ورد مصرحا في نص قطعي من القرآن او الحديث المتواتر او المشهور وجب علينا اعتقاده
ولا يسع احدا من اهل الملة ان يخالف فيه واليه اشار في آخر الفصل بقوله وجب المصير اليه
الا ترى انه لم يصح انه صلى الله عليه وسلم اخبر بالاسرا وورد في القرآن انه اسرى به من الحرم
للبيت المقدس لا يجوز انكاره سواء كان مناما او يقظة او هو بمعناه اللغوي وهو الوقوع فانه
اصل معناه واطلاق الواجب على اللازم عقلا او شرعا معنى عرفي منقول منه والمراد بالعرف
فيه عرف اللغة وهذا مما صرح به ائمة اللغة والمصنف منهم قال الامام الراغب يقال وجبت
الشمس اذا وقعت ومنه قوله تعالى فاذا وجبت جنوبها وقول الفقهاء الواجب الذي اذا لم يفعل استحق
عليه العقاب وصف له بما هو عارض له فيجري مجرى قولك الانسان اذا مشى مشى برجلين انتهى
والى هذا اشار رفقاؤنا في الفرق بين الفرض والواجب فقوله **والقول بانه راه بعينه ليس الخبر**
من طرف خفي ولا اشكال في كلامه وهذا يقع في مقابلة الجائز بمعنى الممكن بلا وقوع كما صرح
به الراغب ايضا فلا يرد على ما قلناه ان وقوعه في مقابلة الجائز في كلامه يأباه فان ذهب
كله انما جاء من توهم انه اريد بهما ما قاله الفقهاء وقوله بعينه متعلق براه او تاكيد للضمير
ففيه ذوقة ذهنية من البديع وهي حسنة اذا كانت احيانا من غير تكلف لا كما يقصده بعض شعراء
مصر فانه قبيح وهذا كقوله

رايت من اهواه لما ان رنا • فقلت هذا قاتلي بعينه •

فليس فيه قاطع اي دليل قطعي ايضا اي كما ان المنع لم يقم لمدعيه دليل قطعي **ولا نص** اي دليل
صريح فيه من الكتاب والسنة **اذ المعول فيه** اي المعتمد في استدلال الخصم على وقوعه لنبينا صلى
الله عليه وسلم **على آيتي** اي على آيتين **في سورة النجم** ما كذب الفؤاد ما راى وما زاغ البصر

تعالى

وما طغى ولقد رآه نزلة اخرى الاية **والتنازع فيهما ماثور** اي النزاع في المراد منهما
منقول عن سلف المفسرين والمتكلمين كما مر للقول بان الضمير لجبريل والرؤية له بصورته الاصلية
والاحتمال لهما ممكن لعدم صراحتهما وقطعيتهما في المدعي **ولا اثر** اي حديث **قاطع متواتر**
عن النبي صلى الله عليه وسلم بذلك اي بكونه رآه بعيني راسه **وحديث ابن عباس** الموقوف
عليه المتقدم الذي ذكر فيه **انه** رآه بعينه **خبر عن اعتقاده** اي اخبر به عما كان يعتقده
بحسب ما ادى اليه علمه الجازم **ولم يسنده الى النبي صلى الله عليه وسلم** اي لم ينقله عنه ويقول
انه صرح له بذلك حتى يعتبر **فيجب العمل** اي القول به والجزم **باعتقاده مضمنه** بضم الميم
الاولى وفتح الضاد المعجمة والميم المفتوحة المشددة اي ما يتضمنه ودل عليه لفظه من رؤيته
لربه بعينه فسماه عملا لانه من الاعمال القلبية وان اشتهر العمل فيما يكون بالجوارح الظاهرة يعني
ان الرؤية العينية ليس فيها نص قرآني ولا حديث قطعي حتى يجب اعتقاده ويكفر منكره لمخالفة
كثير من الصحابة والعلماء في وقوعها وان كان الراجح عندهم ثبوتها وبه صرح الغزالي والنووي
واليه ذهب المصنف وان قيل انه مال لخلافه في شرح مسلم **ومثله** اي مثل قول ابن عباس في اثبات
الرؤية **حديث ابي ذر** الغفاري الذي رواه مسلم قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رايت
ربك فقال رايت نورا الخ **في تفسير الآية** يعني آية سورة النجم **وحديث معاذ محتمل للتأويل**
بما مر **وهو مضطرب الاسناد** اي الطريق في الرواية **والمتن** هو نفس الحديث وكلام الرسول
الذي رواه لانه المراد منه والمتن اصله الظهر الذي به قوام البدن فشبه به ما يقصد من الكلام
كلفظ الحديث واللفظ المنقول للشروح واضطرابه اختلاله واختلافه افتعال من الضرب
قيل اضطرب سنده لانه رواه تارة عن ابن عباس الحضرمي مرسلا لانه ليس بصحابي وتارة عن
معاذ بن جبل والاضطراب متنه لانه قال فيه رايت ربي في احسن صورة فقال فيم يختصم الملأ
الاعلى الحديث الذي تقدم وفيه لما صلى الغداة فقال صليت الليلة ما قضي لي ثم وصف بجنبي
فاتاني ربي وفي اخرى عنه تحت من الليل فصليت ما قدر لي فنعست في صلاتي حتى استيقظت
فاذا انا بربي واختلافه والسند واحد يوجب الاضطراب وقيل ان الحديث بطوله رواه ابن حنبل
والترمذي وقال انه حسن غريب وقال انه صحيح الاسناد وهو احسن ما يتمسك به في الرؤية وكذا
قال المنذري في الترغيب فما ذكره المصنف من اضطرابه ان اراد معناه اللغوي لاختلاف الفاظه
فهو غير قادح لان الحديث الواحد قد تختلف الفاظه ولا يختلف معناه وان اراد معناه الاصطلاحي
وهو ما اختلف فيه راو وثان فاكثر فرووه بوجوه مختلفة لم يترجح احدها فليس فيه شيء منه ولو كان
كذلك اوجب ضعفه ورواية الحديث صحيحة كما سمعته آنفا وفيه نظر **وحديث ابي ذر الآخر مختلف**
الفاظه المروية ومثله قد يوجب الضعف لدلالته على عدم ضبط الراوي **محتمل** للرؤية العينية
وغيرها **مشكل** من حيث المعنى لحمله ذاته تعالى نورا **فروي** بالبناء للمجهول **نور** منون مرفوع وروي
منصوبا ايضا **انى** بفتح الهمزة وتشديد النون والف بعدها مقصورة بمعنى كيف **اراه** منعني وحجبني
او ظهر نورا او رايت نورا غشيني فكيف ارى ذات الله وقد حال بيني وبينه سبحات النور المانعة
من الرؤية في جاري العادة وروي نوراني بالنسبة للنور على خلاف القياس كصنعاني وقيل هو
تصحيف والصواب الاول وفي المصفى للبرهان يحتمل هذه الرواية ما سبق بان يكون معناه خالق
النور المانع للرؤية فهو من صفات الافعال وقال المصنف لم ار هذه الرواية ومن المستحيل ان تكون
ذاته نورا لانه جسم وهو تعالى منزه عنه باجماع المسلمين ومعنى نور السموات منورها وهادي اهلها

او منور قلبه بمزيد ولهجة وجمال وقال العراقي في تخريج احاديث الاحيا ما رايت لهذا الحديث منكرا وقال ابن خزيمة في القلب من صحة اسناده شيء ورواه احمد في حديث احمد في حديث ابي ذر ورجال اسناده رجال الصحيح انتهى وقيل هذا الحديث لا يشعر برؤيته ولا بعدمها والمتفق على روايته هو الاول وكيف للانكار او التعجب اي كيف يتمكن من رؤيته ويحتمل انه قاله لان عنده من حديث اشلامه مما لا يفهم مراده لانه روي رايت نورا وما ذكره البرهان تكلف فان النور من اسمائه تع اقول هذا كلام مزيج والذي ارتضاه الغزالي ان النور يطلق على الله تع حقيقة فان معناه الظاهر بنفسه المظهر لغيره وهو وان كان منزعا حكميا صوفيا فقد وقع في كلام الاشعري ما يوافقه فانه قال الله نور ليس كالانوار وعلى هذا فالروايتان بمعنى فانه نور النور الخفي بفرط الظهور فان فهمت فهو نور وقوله انه جسم غير مسلم وحكي اي نقل بعض مشايخنا انه اي الحديث بهذا اللفظ نوراني اراه قد عرفت معناه وسمعت ما قاله المصنف في شرح مسلم من ان هذه الرواية لم تثبت وفي حديث اي حديث ابي ذر الآخر اي المروي من طريق اخرى سالته اي النبي صلى الله عليه وسلم فقال له هل رايت ربك فقال رايت نورا هذا يحتمل لان يكون اطلق عليه النور حقيقة كما مر او باعتبار لانه من اسمائه الذي لا يليق حقيقتها به او ان المراد انه لم يره لان حجابه النور والى هذا اشار المصنف بقوله فهو اي النبي قد اخبر انه لم يره وانما راي نورا منعه وحجبه عن رؤية الله تع بنا على ما فهمه ولم يرتضه بعض الشراح والى هذا المعنى وانه لم يره يرجع قوله اني اراه فانه تعجب او انكار لرؤيته اي كيف اراه هذا كقوله كيف تكفرون بالله مع حجاب النور المغشي للبصر اي الساتر له والمانع عن الرؤية كالغشاوة وهذا مثل ما في الحديث الآخر حجابه النور وهذا الحديث رواه مسلم والطيالسي والبخاري عن ابي موسى الاشعري وهو ان الله لا ينام ولا ينبغي له ان ينام ولكنه يخفض القسط ويرفعه ويرفع عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل حجابه النور لو كشفه لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه وهو حديث صحيح وفي الحديث الآخر لم اره بعيني ولكن رايته بقلبي مرتين وتلي ثم دنى فتدلي اي نزل ليقرب من عنده وهذا بنا على ان الضمير فيهما لله لا لجبريل وتدليه من المتشابه كقوله نزل ربنا الى سما الدنيا والكلام فيه مشهور ثم بين معنى الرؤية القلبية فقال والله قادر على خلق الادراك الذي في البصر في القلب بان يدرك بقلبه ما يدرك ببصره حتى يكون مشاهدا محسوسا له واقفا على ذاته لان في القلب نورا هو مبدا الابصار فيقويه الله حتى يرى بلا واسطة العين او كيف شا اي بكيفية اخرى غير خلق الادراك في قلبه اراده ها لمن اراد ان يتجلى له بان يجعل له علما ضروريا يدركه على وجه لا يعلمه الا هو فان ورد حديث نص صريح في ثبوت الرؤية له بحيث لا يحتمل التاويل اعتقد بالبنا للمجهول اي اعتقده كل من وقف وثبت عنده ووجب المصير اليه اي وجب علينا ان نذهب لاعتقاده ولا نعدل عنه اذ لا استحالة فيه اي فيما ذكر من صحة الرؤية ووقوعها وهذا معنى الوجوب الذي قاله اولا كما وعدناك به ولا قاطع نص قطعي يرده فيمنع من اعتقاده ويوجب تاويله والتوقف فيه كسائر المتشابهات والله تعالى الموفق اي الخالق التوفيق المنعم به على عباده وفي الختم بهذا لطف لما فيه من الاشارة الى ان تعارض احاديث الرؤية محتاج للتوفيق لمن رزق التوفيق ولا شبهة فيما قاله وهو لا ينافي ان الاصح الراجح انه راى ربه بعيني راسه حين اسرى كما ذهب اليه اكثر الصحابة الا انه لما ورد ونقل خلافه ايضا ذهب الى انه امر غير قطعي

فالاعتراض

فالاعتراض عليه بانه ان اراد بالقطعي كلام الله او حديث متواتر فمسلم لكنه ليس بلازم فكم من امر علمناه وجزمنا به وهو ليس في القران والحديث المتواتر وان اراد انه ليس فيه خلاف صحيح صريح يعمل به فهو غير مسلم ساقط واه تركه خير منه

فصل واما ما ورد في هذه القصة

اي قصة الاسرا من مناجاته لله اي مخاطبته له ومحادثته لما ارتفع الى المقام الاعلى والمناجاة تكون بمعنى المحادثة وبمعنى المسارة بما يرضاه واصل معناه ان يخلو بمن خاطبه على نجوة اي مكان مرتفع من الارض وقيل هو من النجاة لان سره نجا من ان يطلع عليه غيره ثم شاع في مطلق المخاطبة فلهذا عطف عليه قوله وكلامه معه ليبين المراد به والضمير الاول للرسول كضمير مناجاته او لله كضمير معه او كلامه معه الثابت بقوله فاوحى الى عبده المقرب اليه والى سر اده قاب عظمته والى رسوله المكرم او جبريل وقد مر ان مقام العبودية اشرف المقامات فلذا قال الى عبده ولم يقل رسوله ولا نبيه وما يوحى اي امرا عظيما لا تحيط به العبارة ففي الابهام اشارة الى تفخيمه وتعظيمه وانه محترم لاسرار المعارف لا يطلع على ما اطلعه الله عليه غيره ففي الابهام ولفظ العبد هنا موقع لا يليق به الى ما تضمنه الحديث الآتي والى بمعنى مع او غاية لابتداء مقدر اي ينتهي عن الكلام الى ما تضمنته الاحاديث فاكثر المفسرين جواب اما قيل الاكثر يقابله الكثير فلا يناسب مقابلته بالشاذ النادر منهم فحق العبارة جمهور المفسرين والامر فيه سهل على ان الموحي اسم فاعل اوحى اي الفاعل للايحا في قوله فاوحى في هذه الآية الله الى جبريل وجبريل الى محمد صلى الله عليه وسلم الا شذوذ منهم اي الا جماعة من المفسرين قليلة شاذة خالفوهم فيه فشذوذ اما جمع شاذ كقعود جمع قاعد او مصدر اطلق على الفاعل مبالغة في اتصافهم به حتى كانهم عينه فذكر مبني للمفعول عن جعفر بن محمد الصادق صفة جعفر وقد تقدمت ترجمته انه قال اوحى اليه بلا واسطة اي كلم الله محمدا بلا واسطة ملك او غيره فالمراد بالوحي هنا الكلام وان كان اعم منه فعلى هذا ضمير اوحى لله والمراد بالعبد محمد صلى الله عليه وسلم وهذا بيان لمذهب الشاذ ونحوه اي ومثل ما قاله جعفر نقل عن الواسطي وقد تقدمت ترجمته والى هذا القول المنقول عن جعفر والواسطي ذهب بعض المتكلمين ان محمدا كلمه ربه في الاسرا بفتح همزة ان وهو وما معه بدل من هذا وحكي ببنا المجهول عن الاشعري وحكوه عن ابن مسعود وابن عباس وانكره اي انكر تكليم الله له بلا واسطة قوم آخرون وليس المنكر النقل فقط كما توهم لان السياق يأباه وذكر النقاش السابق ذكره في تفسيره المشهور نقله عن ابن عباس في قصة الاسرا عنه عليه الصلاة والسلام في تفسير قوله فتدلى قال صلى الله عليه وسلم فارقني جبريل اي تخلف عنه في المعراج لان له مقاما لا يتعداه فانقطعت الاصوات عني بعدما فارقته وبعدت عنه فسمعت كلام ربي وهو يقول جملة حالية اي قائلا لي ليهدا روعك يا محمد بلام الامر ويهدا بفتح المثناة التحتية وسكون الها ودال مهملة مفتوحة وهمزة ساكنة لانه مضارع مجزوم بلام الامر فاذا ابدل الها جاز حذفها كالمعتل الآخر والروع بفتح الرا الخوف والهدو معناه السكون والمعنى ليسكن فزعك اي ليذهب فزعك وخوفك ويجوز ضم الرا المهملة والروع بالضم القلب والمراد ليقر قلبك ولا يضطرب من الخوف ويجوز ان يراد بالمفتوح ايضا القلب لانه محله

الاحاديث

فالروايتان بمعنى **ادن ادن** امر من الدنو وهو القرب اي تقدم وادخل الى حظائر القدس
وانما قال له تشريفا له واعلاء لمنزلته وتانيسا لاستيحاشه لما انقطعت عنه الاصوات
ولذا امره باطمينان قلبه اولا وكرر امره تاكيدا او بيانا لزيادة قربه من الله وان كان اقرب اليه
في كل حال لتنزهه عن المكان وانما هذا بالنسبة له فاخباره عنه بقوله دني اشارة الى امتثاله
الامر **وفي حديث انس في الاسراء** السابق ذكره **نحو منه** اي ما يفيد مثله والحاصل ان قوله
فاوحى الآية ان الضمير الاول في اوحى لجبريل وفي عبده لجبريل لله والمراد به محمد وفي اضمار
قبل الذكر لانه معلوم وضمير اوحى الثاني يجوز ان يكون لجبريل وفيه تفخيم وتعظيم للوحي او لله
اي اوحى الله الى محمد ويجوز ان يكون الضمير في اوحى الاول لله وعبده محمد اي اوحى الله الى محمد
ويجوز ان يكون المراد بعبده جبريل اي اوحى الله الى جبريل والضمير في اوحى الثاني لله اي
اوحى الله الى عبده محمد ما اوحاه الله اليه ففيه تفخيم للوحي ايضا ويجوز ان يكون لجبريل اي اوحى
الله لعبده محمد ما اوحى جبريل اليه فاعاده اليه بواسطة وعلى ان المراد بعبده جبريل وضمير
اوحى الثاني لله اي اوحى الله لعبده جبريل ما اوحى الله اليه ففيه تفخيم وعلى ان المراد بعبده جبريل
وضمير اوحى الثاني له اي اوحى الله لعبده جبريل ما اوحى جبريل لمحمد او لكل رسول لانه امين وحيه
وما موصولة او مصدرية والذي اوحاه احكامه او امر الصلاة او اوحى اليه لا يدخل نبي ولا
امة الجنة قبلك وقبل امتك او هو سر في سر كما قيل

بين المحبين سر ليس يعرفه ● قول ولا قلم للخلق يحكيه

وسياتي تفسير بقية الآية وتحقيقه **وقد احتجوا في هذا** اي استدلوا على انه كلمه بلا واسطة
بقوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا الآية ووجه الاحتجاج بينه بقوله
فقالوا هي اي اقسام الكلام المثبتة في هذه الآية على وجه يفيد نفي ما عداها لان معنى
ما كان لا يصح ولا يقع **ثلاثة اقسام** منحصرة فيها الاول منها **الكلام من وراء حجاب**
يحجب من خاطبه وكلمه عن روية ذاته لا يحجب الله فانه يراه ولا يحجبه شي كما مر تفصيله فهو يسمع
كلامه من غير واسطة وهو لا يراه والحجاب سبحات النور وما لا يعلمه الا الله **كتكليم موسى**
اي كتكليمه لموسى في الدنيا وموسى لا يراه فالتشبيه فيما ذكر في انه سمع من الشجرة كلام الله بغير
واسطة ملك وهو لا يرى ذاته والقسم الثاني من الوحي **بارسال الملائكة** الى رسل البشر ليلقوا
كلامه ووحيه الذي اوحاه وهذه الحالة في الوحي **كحال جميع الانبياء واكثر جميع احوال
نبينا صلى الله عليه وسلم** وموسى ايضا في غير ما ذكر من كلامهما بغير واسطة في الدنيا
قيل سواء راوا الملك او لم يروه فان الوحي على اقسام كما كان يسمع كصلصلة الجرس من غير ان يراه
وفيه نظر فان هذا داخل في قوله وحيا وفي قوله ارسال الملائكة اشارة الى انه غير مختص بجبريل
لما روي ان اسرافيل وكل به ثلاث سنين في الاول وقد قسموا الوحي الى نحو بضعة عشر قسما ولكنها
لا تخرج عن هذه الاقسام **الثالث** من اقسام الوحي وكلام الله لرسله **قوله وحيا** امر القاه
في قلبه بالهام ونحوه قال الراغب في مفرداته اصل الوحي الاشارة السريعة ولتضمنه السرعة
قيل امر وحي وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض وقد يكون بصوت مجرد عن التركيب
وباشارة بعض الجوارح وبالكتابة ويقال لما يلقى لانبيائه وحي وهو على اضرب حسبما دل
عليه قوله وما كان لبشر الخ فذلك اما برسول شاهد يرى ذاته ويسمع كلامه كتبليغ جبريل
للنبي صلى الله عليه وسلم في صورة معينة واما بسماع كلام من غير معاينة كسماع موسى كلام الله

واما

واما بالقاء في الروع كما ذكر ان روح القدس نفث في روعي واما بالهام ومنام انتهى
فالاخير هو المراد بالوحي هنا وسياتي بيانه المصنف **ولم يبق من تقسيم صور الكلام الا المشا**فهة
اي الكلام من غير واسطة وهو في الاصل ماخوذ من الشفة فيتجوز به عن هذه المخاطبة
والمكالمة **مع المشاهدة** اي معاينة المخاطب لمن كلمه من غير واسطة ولا حجاب مانع من الرؤ
ية فخص الله من شاء من خلص عباده المقربين كنبينا صلى الله عليه وسلم وقد استدل بهذه الرواية
على نفي الروية لحصر تكليمه البشر في الثلاثة فاذا لم يره من كلمه وقت الكلام لم يره غيره اجماعا
واذا لم يره هو اصلا لم يره غيره ايضا اذ لا قائل بالفصل والجواب انه يحتمل ان يكون المراد حصر
التكليم في الدنيا في هذه الثلاثة او نقول يجوز ان تقع الروية حالة التكليم وحيا اذ الوحي
كلام بسرعة وهو لا ينافي الروية فلا دليل على ما ذكر اصلا كما حققه ابن الخطيب في رسالته المشهورة
يعني ان اعلام احد احدا بامر اما بغير مشافهة وكلام معروف بمشافهة بواسطة او بدونها
والثاني اما مع مشاهدة او بدونها فانحصر في هذه الصور الاربعة والآية استوفت الاقسام
الا ما كان مع الذي خص الله من اراد وقد علمت ان ما ذكره غير متعين ولذا قال بعضهم ان قوله
لم يبق الا المشافهة مع المشاهدة ممنوع الا ان سند منعه غير صحيح ولم يعرج احد منهم على
تحرير كلامه هنا **وقد قيل** القائل هو الراغب وغيره كما سمعته آنفا **الوحي هنا** في هذه **الآية**
ما يلقيه في قلب النبي اي في قلب اي نبي كان من الانبياء الهاما ونحوه **دون واسطة**
اي بغير واسطة ملك يبلغه ما اوحاه الله اليه والالهام كما قال الزركشي ما حرك القلب
بعلم يلقيه الله فيه يدعوه الى العمل به من غير نظر واستدلال بحجة والذي عليه الجمهور انه خيال
لا يجوز العمل به الا عند فقد الحجة وذهب بعضهم الى انه حجة بمنزلة الوحي لقوله تع فالهمها فجورها
وتقواها ونحوه وقال التلمساني انكار اصله لا يجوز انتهى ولا يخفى ان الخلاف في غير الهام
الانبياء ومن كان في حكمهم فانه وحي وعلى هذا ينبغي تقييد ما في شرح جمع الجوامع وقال
الواحدي في تفسيره نقلا عن الواقدي في تفسير قوله تع وما ارسلنا من قبلك من رسول
ولا نبي الا اذا تمنى الآية ان الرسول الذي ارسل الى الخلق باخبار جبريل عيانا وشفاها
والنبي الذي يكون نبوته الهاما او مناما فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا وقال النووي
في تصنيفه ما ظاهره ان النبوة المجردة لا تكون برسالة ملك بذلك وليس كذلك وكلام القرآ
ن الذي استشهد به يرد عليه انتهى **وقد ذكر ابو بكر البزار** بموحدة وزاء معجمة والف وراء
مهملة نسبة لعمل بزر الكتان واستخراج زيته وهي لغة بغدادية وهو الامام الحافظ الذي
تقدمت ترجمته **عن علي في حديث الاسراء** الذي رواه المصنف بتمامه في اول الباب **ما هو اوضح
في سماع النبي صلى الله عليه وسلم لكلام الله من الآية** يعني قوله تع فاوحى الى عبده ما اوحى
لان الآية فيها احتمالات وحديث علي فيه سماعه كلام الله من وراء الحجاب وقوله صدق عبدي
فلا يأباه كون ضمير عبده لجبريل في قول وان خالف فشاذ ولكن كون الوحي في الآية مبهم
وثمة معين ولا ينافيه اختصاص نبينا بالمشافهة مع الروية واختصاص موسى بالتكليم كما تو
هم **فذكر** اي البزار وعلي **فيه فقال الملك الله اكبر الله اكبر فقيل** اي قال الله لملك الاذان
من وراء الحجاب صدق عبدي انا اكبر انا اكبر وقال في سائر كلمات الاذان مثل ذلك
الا قوله حي على الصلاة حي على الفلاح كما مر وكونه منقولا موقوفا لم ينبه عليه ووجه ان المشر
وع لسامع الاذان ان يقول ما يقوله المؤذن كلمة بكلمة تصديقا له باقراره الا قوله حي على الصلاة

الى اخره فانه يقول لا حول ولا قوة الا بالله وهذا لا يليق به تم قلنا المرجبة تنبيه هنا
امور الاول اختلف العلماء في صفة الاذان على اربع صفات مذكورة مشهورة احدها
تثنية التكبير وتربيع الشهادتين وباقيه مثنى وهو مذهب اهل المدينة ومالك وغيره واختار من
من اصحاب مالك الترجيع وهو ان يثني الشهادتين اولا اخفاء مثنيا مرة ثانية مرفوع الصوت
والصفة الثانية اذان المكيين وبه قال الشافعي وهو تربيع التكبير الاول والشهادتين
وتثنية باقي الاذان الثالثة اذان الكوفيين وهو تربيع التكبير الاول وتثنية باقي الاذان
وبه قال ابو حنيفة والصفة الرابعة اذان البصريين وهو تربيع التكبير الاول وتثليث الشهادتين
وحي على الصلاة وحي على الفلاح يبدا باشهد ان لا اله الا الله حتى يصل الى حي على الفلاح ثم يعيد كذلك
مرة ثانية اعني الاربع كلمات شفعا ثم يعيدها ثالثة وبه قال الحسن البصري وابن سيرين كذا قاله
ابن رشد في كفاية المقتصد الثاني ان حديث علي يقتضي ان الاذان شرع ليلة المعراج وحديث
الصحيحين المشهور انه شرع بعد الهجرة لما رآه بعض الصحابة في منامه ولا يخفى ما بين الحديثين
من التعارض ولم يتعرض احد للتوفيق بينهما وان اعترض بانه كيف يثبت التشريع بمنام لغير النبي
واجيب بانه ثبت بوحي لكنه صادف ذلك المنام فاظهر العلامة تطمينا لقلوبهم وجبرا لخواطرهم
والظاهر ان يقال انه ثبت بحديث الاسراء الا انه لم يتبين له زمانه ولم يمكن اعلامه قبل الهجرة
فاخر حتى يستقر ظهور الدين وهذا يتم التوفيق بينهما **ويجيء الكلام في مشكل الحديثين الخ**
وسنذكر ما فيه ثمة **وكلام الله لمحمد ولمن اختصه من انبيائه** اخص ورد لا رخا وسقيا كما هنا
بمعنى خصه **جائز غير ممتنع عقلا** اي ثبت جوازه وعدم امتناعه عقلا وسمعا كما مر فلا يضر
نزاع المعتزلة فيه كما توهم **ولا ورد في الشرع قاطع يمنعه** اي دليل قطعي يمنعه كما لم يرد دليل
قطعي بثبوته ايضا **فان صح في ذلك** اي في الكلام بلا واسطة لغير موسى **اعتمد عليه** في الجزم
بوقوعه ورؤي احتمل وكلاهما مبني للمجهول كما قاله البرهان **وكلامه تعالى لموسى** ورؤي
ومكالمته لموسى **حق مقطوع نص** بالبناء للمجهول على الحذف والايصال كمشترك اي نص عليه
في الكتاب العزيز والقرآن **واكده** الله **بالمصدر دلالة على الحقيقة** اي دلالة على ان الكلام فيه
بمعناه الحقيقي وان اختلف اهل السنة في معناه الحقيقي القديم هل هو الكلام اللفظي او النفسي
كما ذهب اليه الاشعري وتحقيقه في كتب الاصول وهو مبحث طويل الذيل لا يسعه هذا المقام
وهذا يرد على المعتزلة القائلين بان الله لم يكلمه وانما خلق الكلام في جسم آخر كالشجرة فسمعه موسى
منه لانهم نفوا الكلام النفسي وقالوا اللفظي حادث لا يقوم بذاته ودعوى قدمه لا تعقل عندهم
فمعنى متكلم عندهم خالق الكلام وموجده قائما بغيره فان قالوا انه حقيقة لانه الخالق له والفاعل
فباطل لان الفاعل الحقيقي في اللغة من قام به الفعل لا من اوجده فهذا ناشئ من عدم الفرق
بين الفاعل الحقيقي اللغوي والحقيقي في الحقيقة ونفس الامر كما حققه الابهري في حواشي
العضد فيلزمهم اثبات المشتق بدون ماخذ له فان قالوا هو مجاز فالتاكيد بالمصدر في قوله
وكلم الله موسى تكليما يرده لان التاكيد اللفظي والمعنوي يمنع التجوز كما ذكره اهل المعاني وهذا
من قبيل الاول كما اشار اليه المصنف هكذا قرره الاصوليون ورده ابن عبد السلام بان التاكيد بالمصدر
لمنع التجوز في الطرف ودفع الشك في الحديث لا التجوز عنه والاسناد والتاكيد انما هو للفعل
فالكلام وقع حقيقة ولكن ممن صدر والتاكيد لتحقيق وقوعه فقط واجاب ابن عرفة بان تاكيد
المصدر وان كان لازالة الشك في الحديث فلا بد من ملاحظة من صدر عنه فهو لازالة الشك

عن حديث

عن حديث فلان ولذا قال البيانيون في قول هند زوجة روح بن زنباع تهجوه

بكى الخز من روح وانكر جلده * وعجت عجيجا من جذام المطارف

انه ترشيح للمجاز اقول هذا كلام ساقط جدا فانهم ادعوا ان تاكيد المصدر يرفع التجوز
عن الاسناد فيقتضي ان التكليم مسند لفاعله الحقيقي والمعترض يمنعه ويقول انما منع التجوز
في الطرف وهو الكلام لانه مؤكد لفعله كما صرح به واهل المعاني لم يتعرضوا لهذا والبيت وارد
عليهم لان العجيج مجاز وقد اكد فلا يمنع مجاز اصلا وكونه ترشيحا عليه لا له وبهذا عرفت
ما يرد على المصنف **ورفع مكانه** اي مكان موسى الكليم **على ما ورد في الحديث الصحيح** الذي فيه
مقامات الانبياء الذين لقيهم النبي في السموات حين اسري به **انه في السماء السابعة** هذا
بناء على بعض الروايات والذي صححه الحاكم وغيره انه في السماء السادسة وجزم به ابن المنير
وغيره وما ذكره المصنف موافق لما ذكره البخاري في التوحيد وعدل عن المشهور لانه انسب بمراده
فالقول بانه غلط وان الذي في السابعة ابراهيم وهم من قائله **بسبب كلامه** متعلق برفع
اي بسبب رفعته على غيره كونه شرف بكلامه في الدنيا **ورفع محمدا صلى الله عليه وسلم** حين اسري
به **فوق هذا كله** اي فوق هذه المقامات كلها في حياته لهيكله البشري **حتى بلغ مستوى**
وسمع صريف الاقلام تقدم شرحه **فكيف يستحيل او يمتنع عقلا او يبعد** بعد جوازه وثبوت
ما يدل عليه سماع الكلام من الله بغير واسطة **فسبحان** تنزيه لله وتعظيم له وحمد له على ما انعم
به لا تعجب فانه غير مناسب هنا **من اختص من شاء** من رسله وخلص عباده بما شاء من جزيل نعمه
وكرمه **وجعل بعضهم** راجع لمن باعتبار معناه **فوق بعض درجات** كنبينا صلى الله عليه
وسلم اذ فضل على جميع الانبياء وخصه بنعم لم يصل اليها سواه وهذا اقتباس من قوله تلك الرسل
فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات فالمراد ببعضهم هنا محمد صلى الله
عليه وسلم وابهمه تفخيما لشانه واشارة الى تعينه كما قيل

واقول بعض الناس عنك كناية * خوف الوشاة وانت كل الناس

وان اختلف المفسرون في المراد به في الآية ولا يخفى ما في ختم الفصل بهذه الآية من حسن المناسبة
وبراعة المقطع لما فيها من ذكر الكلام ورفع الدرجات المناسب لهذا المقام

فصل وأما ما ورد في حديث الاسراء وظاهر الآية من الدنو والقرب

عطف تفسيري وهو بيان لما وظاهر بالرفع والجر **من قوله ثم دنى فتدلى** الدنو القرب
ولذا عطفه عليه عطفا تفسيريا وهو حسي ومعنوي والتدلي الامتداد من علو الى سفل كما يلقي
الدلو في البئر هذا اصله ثم استعمل في القرب من العلو حسا او معنى فهو اخص مما قبله فلا تقديم
وتاخير فيه في الاصل تدلى فدنا وليسا بمعنى لان العطف بالفاء ياباه والتاسيس خير من التاكيد
وقيل دنى بمعنى قصد القرب منه صلى الله عليه وسلم فتحرك من مكانه نحوه وقيل تدلى من الدلال
كتمطى اصله تمطط والضمير فيهما لجبريل عند الجمهور اي دنى جبريل من النبي بعد استوائه
بالافق الاعلى من الارض فتدلى عليه لانه لما رآه بصورته الاصلية هاله فرده الله لصورته التي
كان يراه عليها وقرب منه وقيل الضمير لله اي دنا من نبيه وهو مجاز عن اجابة دعائه واعطائه
ما تمناه باشراق نور المعرفة ومشاهدة اسرار الغيب لانه منزه عن المكان **فكان قاب قوسين**
او ادنى القاب ما بين مقبض القوس وموضع ربط الوتر من طرفيه ولكل قوس قابان وقيل القاب

حيث الوتر من القوس وقيل معناه قدره والقوس معروفة وقيل هي هنا الذراع لانه يقاس
به فالمعنى قدر ذراعين وروي عن ابن عباس وعلى الاول فيه قلب اي قابي وتر اي بينهما
مسافة مقدار قاب قوسين اي بين النبي وجبريل لان جبريل هو الموصوف بما قبله وهذا رواية
عايشة عن النبي صلى الله عليه وسلم ورجح هذا الوجوه على رواية شريك انه الله وله فيه كلام
كثير وقال الرازي هذا على عادتهم اذا اتفقا قد كبيران او تصالحا جعل كل واحد منهما قوسه بطرف
قوس صاحبه ومن دونهما يضع كفه لكفه او للتحقيق قدر المسافة لا للشك كقوله فارسلناه
الى مائة الف او يزيدون وقيل للشك بالنسبة للرايي وقيل بمعنى بل او الواو وادنى افعل تفضيل
اي اقرب من قاب **فاكثر المفسرين** جواب اما **ان الدنو والتدلي منقسم بين محمد وجبريل**
اي كل منهما ثبت لكل منهما لا ايه اي دنا محمد من جبريل ودنى جبريل من محمد وتدلى كل منهما للآخر
او المراد ان الدنو لمحمد والتدلي لجبريل فالانقسام بمعنى توزيع الوصفين بينهما وهذا لما رآه
بصورته الاصلية **او مختص باحدهما من الآخر** اي مختص لمحمد او بجبريل والمعنى دنى وتدلى
محمد من جبريل او دنى وتدلى جبريل من محمد **او من سدرة المنتهى** اي مختص والدنو من السدرة لا من
الآخر **قال الرازي** فخر الدين المشهور **وقال ابن عباس** كما رواه ابن ابي حاتم عنه هو اي الذي
دنى فتدلى في الآية **محمد دنا فتدلى من ربه** ودنوه منه كناية عن قرب منزلته ومشاهدته
من قدسه ما لم يتيسر لغيره وقيل معنى دنى قرب وتدلى زاد في القرب فهو ترق في تقربه
من ربه قربا معنويا لا حسيا **وقيل هما** اي دنى وتدلى **بمعنى واحد اي قرب** قربا معنويا
بنيله انعامه ولا يخفى ان العطف بالفاء وارد في مثله ولذا ضعفه بعض آخر والتوجيه
بانه للتاكيد وافادة انه اقرب بليغ لا تساعده العبارة **وحكى مكي والماوردي عن ابن عباس**
في رواية ابن جرير عنه **هو** اي من اسند اليه الدنو **الرب دنا من محمد** ليس المراد الدنو المكاني
لتنزه الله ولا العملي لانه لا يختص به حتى يذكر في مقام مدحه وتعظيمه بل قرب المنزلة باعلاء
مقامه واطلاعه على عجائب ملكوته **فتدلى** اي نزل الرب لمحمد وهو على حد قوله نزل ربنا الى السماء
الدنيا في الثلث الاخير اي تجلى له ونظر اليه بلطفه وكرمه وتشريفه بخطابه بقوله **اليه
امره وحكمه** لم يرد به انه فاعل تدلى كما قيل وانما هو ضمير الله ايضا وهو استعارة او كناية عما
ذكر واليه اشار القاضي بقوله المقصود من الآية تمثيل محضه واستبعاد لما توهم البعد بنفي
البعد عنه **وحكى النقاش** في تفسيره **عن الحسن** البصري انه قال دنى الله **من عبده محمد
صلى الله عليه وسلم** دنو مرتبة وقرب معنوي **فتدلى** اي **فقرب منه** لعنايته واختصاصه
والاولى فزاد قربه اليه كما مر **فاراه ما شاء ان يريه من آثار عظمته وقدرته** فاري بصرية
تعدت لمفعولين او علمية مفعولها الثالث مقدر اي اراه عظمته وقدرته مشاهدة معاينة
والاول الظاهر والاقرب **قال** اي النقاش او الحسن **وقال ابن عباس هو مقدم ومؤخر** فاصله
تدلى فدنى اي **فتدلى الرفرف لمحمد ليلة المعراج** وهو البساط مطلقا او البساط الاخضر
وقيل ما كان من الديباج وفي الصحاح الرفرف ثياب خضر تتخذ منه المجالس وكسر الخباء وجوانب
الدرع وما تدلى منه واحده رفرفة فهو من البسط والفرش وفسر بالزرابي والمرافق وقيل الثوب
العريض او حواشيه من رف يرف تحرك ومنه رفرفة الطائر بجناحيه ويطلق على الستارة
وطرف الخيمة وفي الحديث فرفع لنا الرفرف فرأينا وجهه ومنه رفرف الاولياء في الجنة
وهو بساط اذا استقروا عليه طار بهم لاي جهة ارادوها بقدرة الله وورد في المعراج انه

لما بلغ سدرة المنتهى جاءه بالرفرف جبريل فتناوله فطار به الى العرش برفقه وبعضه وجبريل
رافعا صوته بالتحميد فهو مركب له كالبراق وقد فسر قوله متكئين على رفرف خضر ببعض هذه
الوجوه وبانه رياض الجنة وبهذا اشار بقوله **فجلس عليه ثم رفع** اي رفعه الله بقدرته وهو مبني
للمجهول **ودنا** الرفرف او النبي صلى الله عليه وسلم **من ربه** بالمعنى السابق **قال** صلى الله عليه
وسلم بيانا لما هو عليه بعد علو الرفرف **فارقني جبريل وانقطعت عني الاصوات** اي
اصوات الملائكة **فسمعت كلام ربي** من غير واسطة وليس كلاما خلقه الله في بعض الاجرام كما
زعمه المعتزلة وفيه اثبات الكلام اللفظي لله تعالى كما ذهب اليه السلف وتبعهم الشهرستاني في
مقالته المشهورة ومن ينكره يقول الكلام النفسي يسمعه الله بقدرته والبحث بطوله مقرر في
علم الكلام **وعن انس في الصحيح** اي مروي في صحيح البخاري **عرج بي جبريل صاعدا الى
سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة** عطف بيان او بدل والجبار هنا بمعنى العلي الاعلى
من قولهم نخلة جبارة اي طويلة مرتفعة هذا هو المناسب للمقام لانه انسب من تفسيره بالقاهر
لعباده على ما اراده من امر ونهي وان فسر به ايضا والعزة من عز يعز بالفتح اشتد وبالكسر صار
عزيزا وهذا من حديث شريك السابق وقد استغرب به الذهبي وفيه نظر **فتدلى** تقدم تفسيره
حتى كان رب العزة **منه** صلى الله عليه وسلم **قاب قوسين او ادنى فاوحى اليه بما شاء
واوحى اليه خمسين صلاة** كما مر **وذكر حديث الاسراء بتمامه** كما تقدم **وعن محمد بن كعب**
القرظي السابق بيانه **هو** اي الموصوف بانه دنا كما سياتي بيانه **محمد** صلى الله عليه وسلم اي
دنا محمد **من ربه فكان قاب قوسين** في القرب منه **قال** اي محمد بن كعب **وقال جعفر
بن محمد** الصادق وهو الآتي بعده ايضا ادناه ربه حتى كان قاب قوسين **وقال محمد بن جعفر**
المذكور **والدنو من الله لا حد له** اي الدنو من جانب الله ليس دنوا مكانيا محدودا بحيز كالاجسام
بل دنو معنوي **ومن العباد بالحدود** المكانية الحاصرة لهم لا الحد المنطقي المميز للماهية
وقال جعفر ايضا كما قاله السابق **انقطعت الكيفية عن الدنو من جانب الله** اي دنوه
من عباده ليس له كيفية مخصوصة وحالة معروفة لانه امر معنوي غير محسوس والكيفيات
احوال محسوسة وسميت كيفية لانها يسال عنها بكيف وهي لفظة مولدة لم تسمع من العرب
ومخالفة للقياس لان كيف لا ينسب لها ثم وضح ذلك بقوله **الا ترى** الخطاب عام لكل من وقف
عليه كقوله ولو ترى اذ وقفوا على النار والرؤية نظرية اذ عاينه او علمية والا بفتح الهمزة
وتخفيف اللام وما في بعض النسخ الا بصورة الاستثناء وانه سمع منه بعيد **كيف حجب**
بالبناء للفاعل اي منع **جبريل** بالنصب مفعوله ويجوز بناؤه للمجهول ورفعه **عن دنوه** الى ربه
ودنا محمد الى ما موصوفة او موصولة وقوله دنو مصدر منصوب على كيف اي الا ترى كيف
الخ وترى **اودع قلبه** صفة ما او صفة ترى واودع مبني للمجهول وقلبه نائب فاعله
وفي بعض النسخ بالبناء للفاعل ونصب قلبه مفعوله كما قاله البرهان **من المعرفة** الالهية والموالي
الربانية **والايمان** بما لا طريق له الا السمع بعد البعثة وعليه حمل قوله تعالى ما كنت تدري ما
الكتاب ولا الايمان واما الايمان بما يقتضيه العقل كوجود الباري ووحدانيته ومعنى قوله
فتدلى اي نزل عما كان عليه قبل هذا **بسكون قلبه الى ما ادناه** الى ربه لما اطمأن قلبه
وزال عن قلبه الشك والارتياب في انه هل يصل الى حضرة القرب ونيل اضافته بالاكرام
والانعام وبترقيه الى اعلا مقام وانجح الله امنيته وليس المراد الشك فيما يتعلق بالله ومعرفته

علي

جام

هب

فيه

فانه اقوى الناس معرفة وايمانا واثبتهم جاشا وايمانا واشدهم طمانينة وسكونا وبهذا سقط ما قيل انه لم يكن عنده شك لامتلاء قلبه بالمعرفة والايمان وتطهيره من دنس الشك ووسوسة الشيطان وقيل انه لما قال وجبريل حين اختطفه الوفرف خشي ان يكون ذلك الاخذ موديا الى الهلاك وخاف من مكر الله به وشك فيما يول اليه امره فلما خاطبه الله وقال لهذا روعك علم ان الله انما اراد تقريبه والانعام التام عليه فزال شكه وانشرح صدره وثلج قلبه ببرد اليقين وحصول مراتب التمكين والافظاهره لا يليق بمقامه قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه وهو المصنف رحمه اعلم انما وقع بفتح الهمزة وتقدم معنى اعلم من اضافة الدنو والقرب اي من اسناده الى الله او من الله ووصفه به فالاضافة بالمعنى اللغوي لا الاصطلاحي وقوله هنا اي في هذه الاية فليس بدنو مكان هو خبر ان المفتوحة وزيد فيه الفا لان اسمها موصول اي ليس قربا محسوسا بل معنوي ولا قرب مدى بزنة فتى فسر بالغاية والنهاية والظاهر ان معناه المكان الممتد كما يقال مد البصر ومده ولا عبرة بما قيل ان الثاني خطا فانه ورد في الحديث كما ذكره النووي في شرح مسلم بل كما ذكرنا عن جعفر الصادق ليس بدنو حد وانما دنو من ربه وقربه منه ابانة عظم منزلته الابانة بكسر الهمزة بمعنى الاظهار وهو مرفوع خبر دنو المبتدا وتقدم معنى المنزلة والرتبة وانها العلو المعنوي وتشريف رتبته بالجر ويجوز رفعه واشراق انوار معرفته اي اظهار آثار معرفة الله عليه ففيه استعارة مكنية او نسبية وان كان من قبيل الجري الماء ومشاهدة اسرار غيبه وقدرته اي وقوفه على ما في عالم الملكوت مما هو مغيب عن خلقه الا من خصه الله باطلاعه عليه ومن الله له اي انما دنو الله لنبيه ونحوه بعد العلم بتنزهه عن الحيز والقرب الحسي معناه مبرة مفعلة بالفتح بمعنى البر وله معان منها القبول والاحسان وتانيس اي لطف به فذهب استيحاشه لما انقطعت عنه الاصوات وغاب اليفه وهو جبريل وبسط اصل معناه التوسعة قال تع ولو بسط الله الرزق لعباده ومنه البساط ويطلق على المسرة ايضا وليس بمعنى مولد لانه ورد في الحديث فاطمة بضعة مني يبسطني ما يبسطها وذكر ابن فرقول في مطالعه وهو المراد اي تانيسه بما يسره من مخاطبته بما يسره واكرام بتبجيله وتعظيمه ويتاول فيه اي يؤول الدنو الوارد في الحديث ما يتاول في قوله ينزل ربنا الى السماء الدنيا يعني ان الدنو الواقع في الاية كما ورد مثله في بعض الاحاديث ان اولياء الله قريبون من الله ليس على ظاهره قربا حسيا بل معنويا بالطف والاكرام وقد يؤول بعلم الله ببواطنهم وظواهرهم وقدرته على التصرف فيهم وعليه قوله ونحن اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون كما اول النزول المسند الى الله في حديث ابي هريرة المتفق على صحته انه قال صلى الله عليه وسلم ينزل ربنا الى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الاخير يقول من يدعوني فاستجيب له من يسالني فاعطيه من يستغفرني فاغفر له بالاقبال عليهم بانعامه واجابة دعائهم ومغفرة ذنوبهم وافاضة مواهبه عليهم وتاويله بنزول ملائكته بعيد هنا وان ذهب اليه بعضهم ويتاول فيهما مبني للمجهول على احد الوجوه في تاويله من نزوله تع انما هو نزول افضال بتفضله وانعامه واجمال اي فعل جميل بهم على عادتهم وقبول لتوبتهم واستغفارهم واحسان بالجود والتكرم عليهم وليس المراد انه بتقدير مضاف من مجاز الحذف اي ينزل احسانه كما قيل فهو تمثيل لسرعة واجابته وانجاح طلبته ولزيادة لطفه واعتنائه به عن قربه كمن له مقام عال حتى انه قد نزل اليه فهو استعارة تمثيلية او تبعية تصريحية وقال الواسطي المتقدم ترجمته من توهم انه تع وله المثل الاعلى بنفسه دنا دنوا حقيقيا محسوسا

بنانه

بنانه لا دنو لطف واكرام معنوي مجازي فقد جعل ثم بفتح المثلثة وتشديد الميم ويقال ثمة بتاء ايضا كما تكون مرسومة خطا ثابتة لفظا في الوقف ومعناه هناك واصل وضعها للاشارة الى المكان البعيد او قريبا على اختلاف فيها وقد يتجوز بها عن المعنى ونحوه بتشبيهه بالمكان على انه استعارة فيه كما هنا فانه اشارة الى الاية والحديث المذكور فيه الدنو والنزول وقوله مسافة باعتبار مدلوله فان جعلت الاشارة اليه على تقديره انه على حقيقته والمسافة المفازة من السوف وهو شم التراب والبول ومنه قيل للمفازة مسافة لان الدليل يشم ترابها كما حققه الراغب ولا مسافة لاستحالتها عليه تع بل كلما دنا احد من المخلوقات بزعمه بنفسه من الحق اي الله تعالى تدلى نزل من علو الى سفل بعدا اي لبعده عما قصده فهو مفعول له او تمييز من نسبة تدلي يعني الواسطي بقوله هنا تدلى بعدا اي كلما حاول القرب نزل الساحة البعد عن درك حقيقته متعلق بمصدر يعني بعدا وبعدا عن ادراك حقيقته وذاته قال البرهان الحلبي في حاشيته درك بفتح الدال وفتح الراء المهملتين وضبطه بعضهم باسكان الراء والاشهر هنا الفتح ومعناه الادراك واما الدرك ضد الدرج فبالفتح لا غير وحكي فيه الوجهان وفيه نظر اذ لا دنو للحق ولا بعد بالمعنى المكاني لاستحالتهما عليه تع وما ورد مما يوهم مؤول كما عرفته واما علم حقيقته بكنهها ففيه خلاف ليس هذا محله ولا وجه للتعرض له هنا وقوله قاب قوسين او ادنى بالمعنى الذي مر بيانه وهذا جواب سؤال ودفع لما يتوهم من انه يقتضي قربا حقيقيا ومسافة كما اشار اليه بقوله فمن جعل الضمير المقدر في قوله ثم دنى فتدلى عائدا الى الله لا الى جبريل على هذا التاويل السابق انفا كان اي الدنو المذكور عبارة عن نهاية القرب اي معبرا به عن غاية القرب المعنوي من عباده ولطف المحل اللطف عبارة عن الامور الخفية وما لا يدرك بالبصر كما في قوله وهو اللطيف الخبير اي هو عبارة عن دنو معنوي ومنزلة معنوية لا تحس بالابصار واتضاح المعرفة الالهية التي وهبها من العلم اللدني في خطائر قدسه لمن خصه برفعة المنزلة من خلص عباده الذين جعلهم محرم اسراره والاتضاح بالمثناة الفوقية افتعال من الوضوح وفي بعض النسخ بالمثناة التحتية مصدر اوضح ايضاحا والاشراف على الحقيقة اي الاطلاع عليها واصله من اشرف اذا وقف على شرف وهو المكان العالي ثم اريد به لازمه من الوقوف والاطلاع كناية او مجازا من محمد صلى الله عليه وسلم اي كان الدنو بالمعنى المذكور من نبينا صلى الله عليه وسلم وكان الدنو المعنوي عبارة عن اجابة الرغبة اي اجابته لما موله الذي هو غاية مطلوبه ومرغوبه وقضا المطالب اي اعطاه مطلبه الذي طلبه منه ووعده وفي القضا اشارة الى انه كالدين لان عدة الكريم دين واظهار التحفي بحاء مهملة ومثناة تحتية وهو المبالغة في البر وانافة المنزلة بالنون والفاء بمعنى اعلائها ورفعها والمرتبة عطف تفسير من الله متعلق بما قبله اشارة الى انه كله فضل وموهبة منه ويتاول فيه بالبناء للمجهول اي يؤول القرب والدنو بتاويل مثل ما يتاول قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري على طريق التمثيل والاستعارة من اتاني يمشي اي من اطاعني وسعى في اداء امتثال اوامري والمراد انه يمشي مشيا غير بطيء بالهوينا لمقابلته اتيته هرولة وهي المشي والجري بسرعة والمراد اني اعجل له جزائي واوصل اليه احساني سريعا وتفسيره بسبقته بجزائي غير صحيح هنا والتاويل الذي اوليه من تقرب الى اخره وما بعده هو قرب بالاجابة لدعائه وهو مرفوع خبر لمبتدا مقدر والقبول لتوبته والاتيان بالاحسان وتعجيل المامول

اشارة لمعنى الهرولة وهذا بعض حديث قدسي صحيح رواه ابو هريرة اوله قال الله الكبريا ردآي والعظمة ازاري من نازعني في واحد منهما قذفته في النار ومن اقترب مني شبرا اقتربت منه ذراعا ومن اقترب مني ذراعا اقتربت منه باعا ومن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملاء ذكرته في ملاء خير منه واطيب ومن جاني يمشي اتيته هرولة ومن جاني مهرولا جيته سعيا قالوا معناه سرعة العبادة وتفويض اموره وانه يضاعف ثوابه ويزيده بما هو خارج عن القياس وليس في قوله في ملاء خير منه دليل افضلية الملايكة كما سياتي ان شا الله تع وهذا تاييد لما سبق وتوضيح فلا يعترض عليه بانه تكرار من غير فايدة انتهى

فصل في ذكر

ما يدل على **تفضيله** صلى الله عليه وسلم **في القيمة بخصوص الكرامة** اي بما خصه الله به يوم القيمة وفضله به على ساير الانبيا والرسل وذكر ما يدل على ما عقد له بحديث اسنده المصنف من طريق الترمذي فقال **حدثنا القاضي ابو علي** الشهيد المعروف بابن سكرة وقد تقدمت ترجمته **قال حدثنا ابو الفضل** بن خيرون السابق ترجمته ايضا **وابو الحسين** بالتصغير وهو المبارك ابن عبد الجبار هذا هو في اكثر النسخ الصحيحة وفي بعضها ابو الحسن مكبرا والصواب الاول كما ذكره البرهان الحافظ فالحسن ليس بالحسن هنا وهذا الحديث تقدم في اول الكتاب مسندا الى الترمذي بهذا السند قال حدثنا ابو يعلى بفتح اوله وهو احمد بن عبد الواحد بن محمد بن جعفر المعروف بابن زوج الحرة كما تقدم في ترجمته حدثنا السنجي ابو علي الحسن بن محمد بن احمد بن شعبة السابق ذكره وضبطه **حدثنا بن محبوب** ابو العباس المحبوبي راوي جامع الترمذي عنه **حدثنا الحسين بن يزيد الكوفي** المعروف بالطحان اخرج له ابو داود والترمذي وقال ابو حاتم انه لين توفي سنة اربع واربعين وماتين وترجمته في الميزان **حدثنا عبد السلام بن حرب** النهدي روى عنه الستة وترجمته في الميزان **عن ليث** بن سليم بالتصغير القرشي الكوفي العابد الزاهد وفيه ضعف يسير لسوء حفظه توفي سنة ثمان وثلاثين ومايه **عن الربيع بن انس عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اول الناس خروجا اذا بعثوا** وخرجوا من قبورهم الى الحشر لانه راسهم وقايدهم يبعث قبل موسى وساير الرسل كما سياتي وهذا الحديث انفرد به الترمذي وقال انه حسن غريب **وانا خطيبهم اذا وفدوا** اي قدموا على الله وقاموا بين يديه للحساب واصل الوفد الجماعة تقدم الى من لهم فيه رجا وعنده قضا امورهم وعطاياهم ولما كان صلى الله عليه وسلم هو الشفيع المشفع في المحشر الماذون له في التكلم وفصل القضاء كان ثمة كالخطيب في المجمع على عادتهم اذ كان لكل وفد خطيب غالبا وهذا انسب هنا من قوله امامهم لا لانه لا تكليف ثمة كما توهم وفيه دليل على فضيلته وانه لم يدهش لهول المحشر وطول موقفه **اذا ايسوا** من النجاة من شدة ذلك اليوم وهوله اذا ازفت الازفة وبلغت القلوب الحناجر والاياس بتقديم الهمزة القنوط من رحمة الله وروى ييسوا بتقديم اليا على الهمزة وهما لغتان وروايتان **لوا الحمد بيدي** يوم القيمة ليعرف به ويتبعه كل من في الموقف واللوآ معروف وهو لوآ حقيقي سمي لوآ الحمد لانه حمد الله بمحامد لم يحمده بها غيره وحمد الناس كلهم له ويجوز ان يكون كناية عن شهرته وتقدمه كقوله

اذا ما راية رفعت لمجد ... تلقاها عرابة باليمين

فهو اشارة لتقدمه وعظمته وكثرة حمده وامته الحمادون وهو احمد ومحمد واللوآ والعلم والراية

والنس

والبند متقاربة معنى لكن اللوآ اكبرها وروى الطبري ان لواء الحمد يحمله علي بين يديه ولعل الاختلاف باعتبار مواطن الحمل فلا مخالفة بينهما **وانا اكرم ولد آدم على ربي** اي اشرفهم ذاتا وصفة وارفعهم منزلة والكرم صفة تجمع كل خير وان اختصت عرفا بالسخا وهذا تحدث بنعم الله واظهار لما يجب اعتقاده وفي نسخة على ربه والضمير لاكرم او آدم والرواية الصحيحة الاولى والولد صفة مشبهة بمعنى المولود يطلق على الواحد وغيره **ولا فخر** جملة حالية موكدة اي انا لا اذكره للفخر بل للتحدث بنعمة الله ولا افخر بهذا اولي عند الله ما هو اعظم واشرف من هذا مع انه لم ابلغه بسعيي واجتهادي مبني وخبر لا محذوف اي فيه او عندي ونحوه والفخر الافتخار والتبجح بالامر بان يذكره ليظهر على غيره **وفي رواية بن زحر عن الربيع بن انس في لفظ هذا الحديث** وزحر بفتح الزاي المعجمة وسكون الحا المهملة وهو عبد الله بن زحر الافريقي العابد واصل معنى الزحر الصوت والانين ومنه الزحير المرض المعروف في الامعا والعامة تغلط فيه وتقول زحيل باللام وروى عنه اصحاب السنن ولم يترجمه في الميزان واخرج له البخاري في الادب وفي روايته زيادة ومغايرة في اللفظ على الرواية السابقة وهي ظاهرة وفي الاصل بخطه في رواية بن زحر والربيع بن انس وفي رواية الحرفي عنه عن الربيع عن انس وعلى كلا الوجهين المروي عنه انس بن مالك كما قاله التلمساني **انا اول الناس خروجا اذا بعثوا** كما تقدم **وانا قايدهم اذا وفدوا** القايد في الاصل الذي يسوق الدابة بزمام ونحوه ثم صار حقيقة في الرئيس الذي يتبعه الناس ويرتضونه وفي امير الجيوش وجهة قاده وتقدم معنى الوفد وان المراد القادمون للمحشر فالمراد انه مقدم ثمة حسا ومعنى **وانا خطيبهم اذا انصتوا** اي انا المتكلم بين يدي ربي في امرهم والشفاعة لهم وقد سكتوا ولم يطيقوا نطقا لحيرتهم والانصات والسكوت بمعنى **وانا شفيعهم اذا حبسوا** في الموقف واضطربوا وفزعوا للانبيا فقال كل منهم نفسي نفسي فيشفع لهم الشفاعة العظمى في فصل القضا **وانا مبشرهم** بالخلاص من هول الموقف والحبس فيه اذا ابلسوا انقطعت حجتهم وتحيروا وسكتوا ليأسهم من النجاة وقيل الابلاس الحيرة والندم ومنه ابليس **لوآ الكرم بيدي** قريب مما مر لفظا ومعنى **وانا اكرم ولد آدم على ربي ولا فخر ويطوف علي الف خادم في الجنة** من الحور العين **كانهم لولو مكنون** رواه الترمذي وصححه ومكنون بمعنى محفوظ مستور لم تمسسه الايدي فهو كناية عن كونها بكرا اذا بهائها بحيث لم ير مثلها **وعن ابي هريرة** في حديث رواه الترمذي وصححه **واكسى حلة من حلل الجنة** اصل معنى الحلة ثوبان من برود اليمن واحدا فوق واحد ثم اطلق على كل لباس فاخر يغطي رعاية للابسه ففيه دلالة على قربه وكرامته اذ كسي وجميع الناس عراة وحفاة **ثم اقوم عن يمين العرش ليس احد من الخلق يقوم ذلك المقام غيري** ذلك في محل نصب على الظرفية وفي مقامه في جانب اليمين في مقام لم يقم فيه نبي مرسل ولا ملك مقرب من التكريم الدال على غاية القرب وسماع كلامه وقبول رجائه والخلايق جمع خليقة وهو اسم جمع بمعنى جماعة من المخلوقات **وعن ابي سعيد** الخدري في حديث رواه بن ماجة والترمذي وحسنه **انا سيد ولد آدم يوم القيمة** ظرف متعلق بسيد وتقييده به ليس للتخصيص بل لانها سيادة مسلمة له وهي اشرف من سيادة الدنيا والصحيح ان السيد يجوز اطلاقه على الله وعلى غيره والخلاف فيه مشهور على ثلاثة اقوال مشهورة **وبيدي لوآ الحمد ولا فخر** تقدم معناه **وما من نبي آدم فمن سواه** بدل من نبي اي جميع الانبيا **الا تحت لوائي** اي تابع لي في القيمة وليس المراد انه تحته حقيقة وعطف فمن بالفا لانهم بعده من غير فاصلة والمراد التر الرتبي او الحقيقي **وانا اول من تنشق عنه الارض** يوم تبعثر القبور وتنشق بقدرة الله وفيه اكرام له **ولا فخر** تقدم معناه **وعن ابي هريرة** في حديث صحيح رواه مسلم عنه صلى الله عليه وسلم **انا سيد ولد**

آدم يوم القيمة اي انا اشرفهم وافضلهم عند الله في يوم لا يسود فيه غيري كما مر واول من ينشق
عنه القبر اي قبره الشريف واول شافع يشفع للناس في الموقف واول مشفع بفتح الفاء المشددة
اي اول من يؤذن له في الشفاعة وتقبل شفاعته وتفصيله ما في حديث البخاري يحبس المؤمنون يوم
القيمة فيقولون استشفعنا الى ربنا فيريحنا من مكاننا فاستاذن على ربي فيؤذن لي فاذا رايته
وقعت ساجدا فيدعني ما شاء ان يدعني فيقول ارفع محمد وقل تسمع واشفع تشفع وعن ابن عباس
في حديث رواه الترمذي والدارمي انا حامل لواء الحمد يوم القيمة ولا فخر كما مر وانا اول شافع
في ازالة هول الموقف واول مشفع تسمع شفاعته وتقبل ولا فخر لي فخر تكبر وتبجح فيما خصه
الله به وانا اول من يحرك حلق باب الجنة ليفتح لي ولمن يدخلها بعدي وحلق بفتح الحاء المهملة واللام
ويجوز كسر الحاء فيكون بزنة بدر جمع حلقة بسكون اللام وقد تفتح وتكسر وفي القاموس ليس في الكلام
حلقة محركة الا جمع حالق او هي لغة ضعيفة والمراد بباب الجنة باب مخصوص به يسمى باب محمد وباب
الرحمة ولها ابواب غيره وقيل المراد جميع ابوابها وانه الظاهر والظاهر خلافه فيفتح لي بابها فادخلها
وفي رواية فادخلها بالواو فيدخلها معي فقراء المؤمنين ولا فخر ويفتح بالتحتية والبناء للمجهول
والفاعل خزنتها او الفوقية والضمير للجنة والفاء للتعقيب من غير مهلة في الفتح والدخول والمراد
بالفقراء الفقراء الصابرين وهو شامل للمساكين والفرق بينهما مشهور والخلاف معروف وفي هذا
دليل على ان الفقير الصابر افضل من الغني الشاكر وقيل الغني الشاكر افضل والاول اصح ولذا اختار الفقر
كثير من الانبيا والاوليا وانفق ابو بكر ماله في سبيل الله وخل في سلكهم والمحمود منه ما كان مع غنى القلب
والنفس بان الغنى ليس بكثرة العرض وانما هو غنى النفس وهو كما قيل

غنى النفس ما يكفيك عن سد حاجة • فان زاد شيا عاد ذاك الغنا فقرا

وفقر النفس ولو مع المال مذموم ولذا استعاذ النبي منه وكونه اول من يدخل لا ينافي ما ورد في حديث
الترمذي من انه دعا بلالا وقال له يا بلال بم سبقتني الى الجنة فما دخلتها قط الا سمعت خشخشتك
وفي رواية سمعت دق نعليك بين يدي في الجنة فانه كان في رؤيا لا في هذا الدخول وهو كما
قال ابن القيم كان دخوله دخول الخادم والحاجب الذي يتقدم سيده والمطرق في طريق سيده وهو
بيان لفضيلة الاذان وانما ساله وان كان علم به تطييبا لنفسه والمراد بقوله معي ليس المساواة
بل التبعية فلا يقال لا حاجة لقوله معي في الجملة وهي حالية تقتضي المقارنة وانا اكرم الاولين
والآخرين ولا فخر المراد انه اشرف من جميع الخلق وانا اكثر الناس اي الانبيا وكذا روي ايضا
تبعا جمع تابع كخدم جمع خادم يعني ان امته اكثر من سائر الامم ويقتضي هذه الكثرة اجره عليهم وافضليته
على كل واحد منهم وعلى جميعهم ايضا وعن انس كما رواه الشيخان انا سيد الناس واجلهم واعظمهم
يوم القيمة خصه مع انه سيدهم في الدنيا والاخرة لظهوره ثمة واختصاصه به ظاهرا من غير منازع
ومنكر كما وقع في الدنيا من المشركين وسياتي تفصيله وتدرون لم ذلك فيه استفهام مقدر اي
اوتدرون ما سبب السيادة وحذف الاستفهام لقرينة جاز كما صرحوا به يجمع الله الاولين والاخرين
في المحشر وذكر حديث الشفاعة اي ذكر انس هذا الحديث المذكور فيه الشفاعة بتمامه ولم يذكره لانه سياتي
ان شاء الله في الشفاعة واوله اذا كان يوم القيمة ماج الناس بعضهم في بعض فياتون آدم ليشفع لهم
فيقول لست لها الى ان قال فيقول انا لها الخ وعن ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال اطمع
اي ارجو من الله طمعا ورجا حققه له كقوله والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين وتعبيره بالطمع
هضما لنفسه ان اكون اعظم الانبياء اجرا لان امته اكثر الامم واجر اعمالهم له مثله لان من سن سنة

حرا

حسنة له اجرها واجر من عمل بها الى يوم القيمة واعمالهم مضاعفة وله مثلها ومثل اضعافها فيها
وهو اعظمهم مشقة لعموم دعوته وكثرة من عتا وعاند من الكفرة مع تحمله وصبره حتى قيل له لعلك
باخع نفسك اما ترضون معاشر المسلمين ان يكون ابراهيم الخليل وعيسى كلمة الله فيكم اي
محشورا من جملتكم ومحشورا معكم يوم القيمة فيعد انه من امتي وخصهما بالذكر لان ابراهيم اشرف الانبيا
بعده صلى الله عليه وسلم وهو ابو الانبيا وابو اسمعيل الذي كانت العرب تزعم انهم على ملته ولان عيسى
يبعث آخر الزمان على دينه ويغير احكام النصرانية واما اداة استفتاح كالا او مركبة من همزة الاستفهام
وما النافية والمعنى واحد ثم قال انهما في امتي يوم القيمة اي معدودان منهم اما ابراهيم فيقول
له صلى الله عليه وسلم انت دعوتي وذريتي اما دعوته فقوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو
عليهم آياتك الخ فجعله عين الدعوة مبالغة اي انت من جعله الله منهم باجابة دعوتي والذرية النسل
والولد يطلق على الواحد وغيره ولا شبهة في انه من نسل ولده اسمعيل ولم يبعث فيهم نبي سواه فهو المجاب
به دعوته واما عيسى اي كونه تابعا له وفي جملة امته يوم القيمة فالانبيا كلهم اخوة اي
كالاخوة في اتحاد امورهم مع الله ومع الخلق والاخوة اما لاب وام ويقال لهم بنو الاعيان او لاب فقط
وهم بنو العلات او لام وهم بنو الاخياف فلذا قال بنو علات المراد بالعلات الزوجات الضرائر وهو من
العلل وهو من الشرب مرة بعد مرة والشرب الاول يسمونه نهلا فكان الزوجات موارد للزوج وكان الاولاد
مشاربهم مختلفة في الرضاع وهذا اقرب والى هذا اشار بقوله امهاتهم شتى وامهات جمع ام واصلها
امهة ولذا جمع على امهات وصغر على اميهة وقيل انه في الاصل مضاعف لقولهم امات واميمة وقيل اكثر ما
يقال امات في البهائم ونحوها وامهات في الانسان وهو يطلق على الام القريبة والبعيدة وشتى من
الشتات وهو التفرق جمع شتيت كمرضى ومريض اي مختلفة في الذات والنسب فنسبة الدين والعقائد
الحقة التي هي سبب لبقائهم بالاب الواحد لاتحاد اعتقادهم ومعرفة ربهم على طريقة الاستعارة واثبات
لهم الاخوة تخييلا وكونهم بنو علات ترشيح وليست الاستعارة تحقيقية كما توهم وشبه فروع الشرايع والا
بالامهات في حفظهم وتعيشهم فهو استعارة مستقلة تحقيقية او ترشيح بناء على جواز التجوز فيه والحاصل
انهم بعثوا متفقين في اصول التوحيد مختلفين في فروع الشرايع وقيل اراد انهم في ازمان متباينة
والاول اولى وان عيسى اخي بكسر همزة ان واقيم الظاهر فيه مقام الضمير والاخوة بمعنى المشابهة
في الرسالة والصفات الحميدة ليس بيني وبينه نبي لانه لم يبعث في الفترة التي كانت بينهما احد
من الانبيا ولما بينهما من المناسبة والقرب زمانا ومتى كان اولى الناس به وهو افعل تفضيل من الولا
والتوالي وهو عدم الفاصل بين الشيئين ثم صار عبارة عن القرب فيقال اولى بمعنى احق واقرب من
حيث المكان او الزمان او النسب والدين كما ذكره الراغب وهو المراد هنا وهذا من حديث رواه البخاري
ومسلم وهو انا اولى الناس بعيسى بن مريم في الاولى والاخرة الانبيا من علات امهاتهم شتى ودينهم واحد
ليس بيننا نبي وهو حديث صحيح روي من طرق فعلم انما ذكره الراغب والزمخشري وابن عربي في
فصوصه من انه كان بينهما نبي اسمه خالد بن سنان كان هو وقومه بعدن فخرجت نار عظيمة من مغارة
اهلكت الزرع والضرع فالتجا قومه اليه فاخذ خالد يضرب تلك النار بعصاه حتى رجعت هاربة
الى المغارة التي خرجت منها فقال لقومه انا ادخل خلفها المغارة حتى اطفيها وامرهم ان يدعوه ثلاثة
ايام تامة فانهم ان نادوه قبلها يخرج ويموت وان صبروا خرج سالما فلم يصبروا ونادوه في اليوم الثالث
فخرج وقال لهم اضعتموني واضعتم امري وامرهم ان يدفنوه اربعين يوما يصبرون فيها فاذا تمت
اتاهم قطيع غنم يقدمه حمار مقطوع الذنب فاذا حاذى قبره نبشوه فيقوم ويخبرهم باحوال البرزخ

حكام

في

وما عاينه يقينا فلما تم الميعاد وجا القطيع كما قال لهم مؤمنوا قومه ان ينبشوا قبره فابى اولاده
خوف العار وان يقال لهم اولاد المنبوش فمنعتهم الحمية الجاهلية على ان ضيعوه فلما بعث رسول الله صلى
الله عليه وسلم جاءته ابنته فقال لها مرحبا بابنة نبي اضاعه قومه غير صحيح وما قيل من ان المراد
نفي نبي مشرع مبلغ للاحكام يأباه لفظ الحديث فان النبي اعم ولو كان كما قال انه رسول واحسن منه
ان يقال انه كان مستعدا للنبوة ولم يرزق ذلك ولكن لما نقل من انه كان بينه وبينه غيره كلقمان وسفيان
فان مثله لا يعارض حديث الصحيحين كما ذكره الحافظ ابن حجر والبرهان وغيرهما واعلم انه انما خص
هذين بالذكر لان ابراهيم ابو الانبيا واسمعيل كان على شريعته والعرب يزعمون انهم على ملته وعيسى قريب
العهد وسيصير من امته حقيقة وهذا لا ينافي قوله تعالى واوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا كما
توهم لان المامور به اتباعه في التوحيد والعقائد دون غيرها من الاحكام وليس المراد تقليده بل
مراده انه موافق له فتامل وقوله صلى الله عليه وسلم في الاحاديث السابقة **انا سيد الناس يوم
القيمة** جواب من سؤال مقدر وهو لم خصص سيادته بذلك اليوم وهي غير مخصوصة به **وهو سيدهم
في الدنيا ويوم القيمة** بل سيد جميع المخلوقات والجملة حالية ولكن اشار بقوله هذا كما تقدم **لانفراده**
عن غيره **فيه بالسودد وبالشفاعة** العظمى الدالة على عظم قدره عند الله **دون غيره** من الرسل والملائكة
المقربين والسودد بضم السين المهملة وفتح الدال الاولى وقد تضم وبهمز الواو لضم ما قبلها وهي لغة
طي بمعنى السيادة وسيد وزنه فيعل وفيعل والدال الثانية للالحاق **اذ لجا الناس** اي التجاوا
واستندوا للتوسل به وهو تعليل لما قبله **في ذلك** الوقت او ذلك الامر **فلم يجدوا سواه** يشفع لهم
ويخلصهم مما هم فيه من الكرب الذي لا يطيق غيره دفعه **والسيد** معناه لغة **هو الذي يلجو الناس
اليه في حوائجهم** اي يعتمدون عليه اذا قصدوه لقضاء مصالحهم فلذا وقع هنا موقعه اذ المعنى
انا من يقضي حوائج جميع الناس في الموقف ومن هذا ظهر وجه التخصيص بآخر الا ان هذا تفسير
له بلازم معناه لان معناه من يتبعه جماعة قومه وسوادهم والحوائج جمع حاجة على خلاف القياس
او مفرده حاجة مقدرا اونادر وقد ورد في الاحاديث وكلام العرب كثيرا فصيحا فلا وجه لمن انكره
كالحريري وقد شنع عليه ابن بري وانشد له شواهد كثيرة وقد كان صلى الله عليه وسلم يحب قضا الحاجة
وهو دأبه في الدنيا والآخرة ولله در الصرصري في قوله

الا يا رسول الله الذي	هداناه الله في كل بيته
سمعنا حديثا من المسندات	يسر فؤاد النبيل النبيه
وانك قد قلت فيه	اطلبوا الحوائج عند حسان الوجوه
ولم ار احسن من وجهك الـ	كريم فجد لي بما ارتجيه

فكان صلى الله عليه وسلم **حينئذ** اي وقت التجائهم **اليه سيدا منفردا من بين البشر**
اي منفردا عن جميع الناس حتى الانبيا لجعله السيادة **لم يزاحمه احد في ذلك** اي لم يشاركه احد في
كونه ملجأ للناس واصل معنى المزاحمة المدافعة **ولا ادعاه** لانكشاف الامر يوم القيمة حتى لا يمكن
احد ان يدعي ما ليس فيه **كما قال تعالى لمن الملك اليوم** يعني انه تعالى يقول يوم القيمة لمن الملك في
هذا اليوم او ينادي به مناد على رؤس الاشهاد فلا يجيبه احد فيجيب نفسه بقوله **لله الواحد
القهار** اي الملك مخصوص به او يقول اهل الموقف يعني ان قوله انا سيد ولد آدم اليوم كقوله تعالى
لمن الملك اليوم ووجه الشبه انه خص الملك بذلك اليوم كما خص رسوله سيادته به والملك له تعالى في الدنيا
والآخرة **لكن** انما خصه بملكه هذا لانه في الآخرة **انقطعت دعوى المدعين لذلك في الدنيا** متعلق

بالمدعين يعني ان ملوك الدنيا لما تصرفوا فيها تصرف الملاك بتقديره تعالى ذلك لهم وتفضله
عليهم ظنوا ان لهم ملكا حقيقيا فلما قهرهم بالموت وكشف الغطا ظهر انهم عبيد عاجزون ليس لهم
من الامر شي فانقطعت الدعاوي **وكذلك** اي مثل كونه تعالى منفردا بالملك وظهوره حتى انقطعت
الدعاوي تفرد صلى الله عليه وسلم حتى **لجا الى محمد جميع الناس في الشفاعة** العظمى المعهودة **فكان
في الاخرى** اي الآخرة لانه يقال لها اخرى وآخرة وفي نسخة في الآخرة **دون دعوى** احد من اهل
الموقف انه سيد لعدم المنازع والمدافع **وعن انس** في حديث صحيح رواه مسلم **آتي** بالمد والهمزة **باب
الجنة يوم القيمة فاستفتح** اي اطلب الفتح بتحريك الحلقة **فيقول الخازن** اي بواب الجنة الموكل بها والمولى
به رضوان رئيس خزنتها لانه ورد التصريح بان لها خزنة **من انت فيقول انا محمد فيقول بك امرت**
اي بسببك امرت بالفتح اذا قرع الباب وتقديم الجار والمجرور للحصر بالنسبة لاول الفتح كما اشار اليه
بقوله **لا افتح لاحد قبلك** والجملة مستانفة لبيان ما امر به وقيل انه بدل مما قبله اي امرت فلا افتح لاحد
قبلك وانما فتح له قبل كل احد لسبق وجوده للنبوة وسبق ذاته في الاجابة على سائر الذوات وفيه اشارة
الى انه اكثر الناس عملا واعتقادا او افضلهم لقوله تعالى تلك الجنة التي اورثتموها بما كنتم تعملون **وعن عبد الله
بن عمرو** في حديث رواه الشيخان **قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حوضي مسيرة شهر** اي مسافة
كل جانب منه مقدار شهر والحوض مجمع الماء وهو معروف وهذا الحوض العظيم مخصوص به صلى الله عليه وسلم
كما صرح به القرطبي في شرح مسلم وورد في حديث مرفوع رواه الترمذي ان لكل نبي حوضا ترده امته
وروي انه صلى الله عليه وسلم له حوضان احدهما في ارض الموقف والآخر بعد الصراط له ميزابان
من الكوثر وقوله وزوايا سوا يدل على انه مربع **وماؤه ابيض من الورق** وفي نسخة من اللبن وابيض
افعل تفضيل من البياض ضد السواد وقد سمع من العرب وورد في الحديث الا ان صاحب القاموس قال انه
شاذ فلا وجه لاطلاق بعض النحاة انه لا يبنى افعل من الالوان ومن العيوب وانما يقال اشد بياضا
وابلغ ونحوه من الورق بفتح الواو وفتح الراء المهملة وكسرها وسكونها الفضة مطلقا او ما ضرب منها
وريحه اطيب من المسك الريح كالرائحة ما يشم وتطلق على الهوا وهو الاشهر ويجوز ارادته ايضا
لان الهوى اذا تكيف بكيفية طيبة كان طيبا ايضا **كيزانه كنجوم السماء** كثرة واشراقا وكونه
اكثر من النجوم حقيقة لا مانع منه لقوله في الحديث والذي نفسي بيده لآنيته اكثر من عدد نجوم السما
لتاكيده بالقسم وقيل المراد المبالغة والكيزان جمع كوز وهو انا صغير يتناول به الما للشرب والاصل
انه انا ضيق الفم له عروة فان لم يكن له عروة فهو كوب وجمعه اكواب فان كان فيه شراب فهو كاس
من شرب منه شربة لم يظما ابدا وروي لن يظما ولا يظما ولا كلام فيه واما هذه الرواية فاستشكلت
بان لم لنفي الماضي والمراد هنا نفي الظما في المستقبل بدليل قوله ابدا المفيد لاستغراق المستقبل
واجيب بان المراد نفي الماضي كانه لم يذق ظماء في الماضي لشدة اللذة التي انسته ما قبلها واما ابدا
فانها تكون للماضي ايضا كما في التسهيل اقول هذا تعسف فالحق انها لنفي المستقبل بقرينة قوله ابدا وهي
ترد لذلك اذا قرنت للشرط نحو ان لم تحسن لي غدا كان كذا وهو كثير في كلامهم ومن هنا شرطية وفي
معناها وهذا سهو من قائله ويظما مهموز ساكن الهمزة ويجوز ابدالها الفا اي لم يعطش بعده ابدا قيل
ان لذة المشروب انما تكون بالاشتها وهو انما يكون لمن عطش واهل الجنة منعمون في الماكل والمشرب
واجيب بان المراد انه لا يشتد عطشه وليس بشي لانه قد يشرب بدون عطش للتلذذ كما يشاهد في
حمو الدنيا وروي من يشرب مرفوعا على ان من موصولة ومجزوما على انها شرطية **وعن ابي ذر**
جندب بن جنادة **نحوه** اي روي عنه ما هو بمعناه او قريب منه وان لم يكن مثله **وقال** زيادة على ما مر

في روايته **طوله ما بين عمان الى ايلة** اي طول الحوض كطول ما بين هاتين البلدتين وعمان
بضم العين وفتح الميم المخففة وبفتح العين وتشديد الميم وهو المروي في حديث الحوض قرية بالشام
وحكي فيه التخفيف ايضا وهو المراد والتي باليمن بالضم والتخفيف لا غير وقيل انه المراد هنا والرواية ما
بين بصرى وصنعا والمراد زيادة الطول فلا تعارض الروايات وايلة بفتح الهمزة وسكون المثناة التحتية
ولام وها بلدة بالشام بساحل البحرين طيبة ودمشق وقيل غيره ذلك وقيل سميت بعمان بن لوط لانه سكنها وقيل
بعمان بن لبنان من ولد ابراهيم يشخب فيه ميزابان من الجنة بفتح اليا التحتية وسكون الشين المعجمة وضم
الخا المعجمة وفتحها ومعناه انه ينصب مع صوت وروى ابن ماجه ان يثعب بمثلثة وعين مهملة وموحدة
ومعناه ينفجر ماؤه واصل الشخب ما يخرج من الضرع عند الحلب والميزاب بكسر الميم وهمزة ساكنة وتبدل
يا مثل الما **وعن ثوبان مثله** اي مثل حديث ابي ذر وقال اي ثوبان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
احدهما اي احد الميزابان **من ذهب والاخر من ورق** اي فضة **وفي رواية حارثة بن وهب**
الخزاعي الصحابي المعروف واخرج له اصحاب الكتب الستة **كما بين المدينة وصنعا** هي بصاد وعين
مهملتين مدينة باليمن والنسبة اليها صنعاني على خلاف القياس وبينها وبين المدينة مسيرة شهر والمراد
عظمه فالروايات كلها بمعنى وبقرب دمشق قرية تسمى صنعا ايضا **وقال ابن عمر** في حديث رواه الشيخان
كما بين الكوفة مدينة العراق المشهورة **والحجر الاسود** والروايات متحدة كما عرفته فانها تقريبية لا
تحديدية فخاطب كلا بما يعرفه ولا حاجة الى ان يقال انه وقع الخطاب عند الحجر الاسود كما قيل واصل معنى
الكوفة رمل مستدير او حجارة بيض فسميت بها ثم شرع في بيان ان هذا الحديث روي من طرق كثيرة دالة على
صحته وانه على ظاهره ولهذا ذهب المصنف الى انه متواتر فقال وروى حديث الحوض ايضا كالروايات
المتقدمة **انس** بن مالك الانصاري الصحابي خادم النبي صلى الله عليه وسلم رواه عنه مسلم من غير الطرق
المتقدمة فلا يقال انه تقدمت روايته وايضا يقتضي مغايرة ما تقدم **وجابر بن سمرة** بفتح الميم ابن
جنادة الصحابي السوائي وما في بعض النسخ هنا وفي اول الشفا جابر وسمرة قال البرهان صوابه
جابر بن سمرة وكذا هو على الصواب في النسخ مكتوب عليه صح فان صحت الرواية الاخرى فالحديث رواه
جابر بن عبد الله وسمرة الا ان رواية جابر بن عبد الله في مسند احمد واما رواية سمرة فلم اقف عليها
فالثابت رواية ابنه كما في مسلم وغيره **وابن عمر وعقبة** هو ابن عمر بن الخطاب الصحابي احد العبادلة
وعقبة بن عامر الصحابي المشهور الجهني **وحارثة بن وهب الخزاعي** الصحابي المنسوب لخزاعة
قبيلة معروفة **والمستورد** بصيغة اسم الفاعل ابن شداد الفهري نزيل الكوفة ثم مصر الصحابي
وابو برزة الاسلمي نضلة بن عبيد الصحابي الامام الجليل وبرزة بفتح الموحدة وسكون الرا المهملة
وزاي معجمة بعدها ها توفي سنة ستين او اربع وستين وحديثه في الصحيح والترمذي والاسلم
قبيلة معروفة **وحذيفة بن اليمان** العبسي الاشهلي الصحابي صاحب سر رسول الله صلى الله عليه
وحديثه رواه مسلم وابن ماجه **وابو امامة** ابن صدي بن عجلان الباهلي الصحابي وحديثه اخرجه
الطبراني وامامة بضم الهمزة **وزيد بن ارقم** الخزرجي الصحابي المشهور وحديثه اخرجه بن حنبل والحاكم
وصححه **وابن مسعود** الصحابي المشهور وحديثه اخرجه الشيخان **وعبد الله بن زيد** الصحابي الذي
راى الاذان في منامه وحديثه اخرجه الشيخان ايضا **وسهل بن سعد** الصحابي الساعدي منسوب
لساعدة وبنو ساعدة قوم من الخزرج واليه تنسب السقيفة التي كان فيها بيعة ابي بكر الصديق **وسويد
بن جبلة** بفتحات وهو سويد بن جبلة الفزاري قيل لم تصح صحبته فحديثه مرسل وقيل انه صحابي ولم
يرو عنه الا احد واحد وقيل لعله سويد بن غفلة وهم سويد بن عامر وهذا الحديث في سنن البيهقي والاولى

تأخيره

بجي

ضبي

تأخيره لا خلاف في صحبته **وابو سعيد الخدري** الصحابي المشهور وقد تقدم **وعبد الله الصنا[بحي]**
بضم الصاد المهملة وفتح النون والف تليها باء موحدة مكسورة وحاء مهملة ويا نسبة صحابي وقيل نسب
لجده صنابح واسمه عبد الله وقيل ابو عبد الله وقيل ابو عمرو وقيل انه منسوب لصنابح اسم بطن من المغرب
وفي الشرح الجديد لم اقف على من نسب لهذا البطن من الصحابة سوى عسال الصنابحي وان اسمه
صنابح بن الاعسر فلعله نسب لجده وفي التابعين عبد الرحمن بن عسيلة الصنابحي فلعله التبس على القا[ضي]
قيل صوابه الصنابح **وابو هريرة** وحديثه في الصحيحين **والبرا** بن عازب حديثه في الصحيحين ايضا
وجندب بن عبد الله بن سنان البجلي الصحابي وهو بضم الجيم وسكون النون وفتح الدال وضمها وفي
الصحابة من يسمى جندب غيره ولكنه متى اطلق فالمراد هذا **وعائشة** ام المومنين **واسما ابنتا ابي بكر**
الصديق رضي الله عنه والحديث في الصحيحين وفي بعض النسخ **وابو بكر وعمر بن الخطاب وابن بريدة**
مصغر بردة ولبريدة ابنان سليمان وعبد الله قاضي مرو وعالمها وهما تابعيان فلا ينبغي ذكرهما
هنا مع الصحابة وفي مسند احمد رواية حديث الحوض عن عبد الله بن بريدة وقال حدثني به اخي قال
البرهان لعل القاضي اراد بابن بريدة هذا او قال بريدة فزيد عليه ابن ولم ار لبريدة بن الحصيب حديثا
في الحوض في الكتب الستة ومسند احمد ولذا ذكره في مسند البزار **وابو بكرة** وهو نفيع بن الحارث
كناه النبي صلى الله عليه وسلم به لانه تدلى ببكرة من حصن الطائف لما منع من الخروج **وخولة بنت
قيس** بن فهد بن قيس الانصارية النجارية الصحابية زوجة سيد الشهدا حمزة بن عبد المطلب وحديثها
في مسند احمد والطبراني **وغيرهم** من الصحابة وترك المصنف ذكرهم اختصارا فلذا تركناهم اقتداء به
وقد تقدم ان المصنف لكثرة طرق هذا الحديث قال انه متواتر وقيل تواتره معنوي لقول ابن الصلاح
انه لا يكاد يوجد بشروطه هـ

فصل في تفضيله

على غيره من الانبيا **بصفة المحبة والخلة** كما سياتي تحقيقه اي بكونه حبيب الله وخليله **جاءت
بذلك الاثار الصحيحة** معنى ورواية وقد تقدم الكلام على الاثر والحديث وان الاثر يطلق
على الحديث مرفوعا كان او موقوفا او غيرهما واما تخصيص الفقها الاثر بالموقوف فاصطلاح لهم
وما رواه الخطيب في جامعه مرفوعا ما جا عن الله فهو فريضة وما جا عني فهو حديث وما جا عن
اصحابي فهو سنة وما جا عن اتباعهم فهو اثر وما جا عمن دونهم فهو بدعة فهو موضوع كما نص عليه
ابن حجر والسخاوي والمحبة من العبد لله ومن الله لعبده كما قال تعالى يحبهم ويحبونه وهذا مما لا خلاف
فيه الا ان المحبة ميل القلب لما تلتذ به حواسه الباطنة والظاهرة ولا يتوقف هذا على الصورة
الحسنة كمحبة الصلحا والعلما وغيرهم من ربا بالكمال فهي في حقه تعالى ليست بميل قلب ونحوه بل هي
ارتضاؤه له لاتصافه بالكمال وانقياده لطاعة مولاه وحبه له من طريق الفضل لا من طريق الانس
والراحة وهو الذي كمله وحببه ولذا قيل انه عبر عن اللطف بالمحبة ومحبة العبد تعظيمه له بمشاهدة
صفات كماله ومعاينته لانعامه واحسانه فان القلوب مجبولة على حب من احسن اليها والخلة صفة
الخليل وهو مما يستوي فيه المذكر والمونث يقال خل وخليل بين الخلة والخلولة وخليل الله معناه من
اصطفاه وخصه بكرامته لتخلقه باخلاق الله لان الخليل من تخاللك اي توافقك في خلالك
ويسايرك في طريقك من الخل وهو الطريق في الرمل او يسد خللك ومعنى كون الله خليل عبده انه محب
له قايم بامره بحيث لا يحوجه لغيره اصلا **واختص صلى الله عليه وسلم على السنة المسلمين
بحبيب الله** اي جرى على الالسنة تخصيصه بذلك دون خليل الله لاطلاقه على ابراهيم وان كان غيره

من الانبيا محبا لله انصا ثم استدل على الخلة اولا بحديث رواه مسندا من البخاري فقال اخبرنا
ابو القاسم بن ابراهيم الخطيب وغيره الامام المقري خلف بن ابراهيم المعروف بابن النخاس بالخاء
المعجمة المشددة ولد سنة سبع وعشرين واربع مايه ومات بقرطبة سنة احدى وعشرين وخمسمائة
يوم الثلاثا سادس عشر صفر والتكنية بابي القاسم جايزة بعده صلى الله عليه وسلم على الصحيح عن كريمة
بنت احمد وفي نسخة بنت محمد وصححها رواية في بعض الشراح وفي الاكمال انها كريمة بنت احمد بن محمد
ابن حاتم المروزية سمعت صحيح البخاري من الكشميهني وروت الحديث وحدثت به كثيرا وجاورت بمكة
الى ان ماتت قالت حدثنا ابو الهيثم الكشميهني وقد تقدم ضبطه وترجمته وحدثنا حسين بن محمد
بن سكرة الحافظ السابق ذكره وهذا سند وطريق آخر للمصنف في رواية هذا الحديث وفي نسخة ح
وحدثنا الخ وح تكتب عند الانتقال من سند الى آخر اشارة الى التحول كما فصلوه في مصطلح الحديث
الحافظ سماعا عليه فهو احد شيوخه حدثنا القاضي ابو الوليد الباجي الذي بيناه سابقا حدثنا
عبد بن احمد عبد بغير اضافة ابو ذر الهروي السابق ذكره حدثنا ابو الهيثم الكشميهني السابق في
الطريق الاول حدثنا ابو عبد الله محمد بن يوسف الفربري الامام الحافظ راوي البخاري المشهور كما تقدم
حدثنا محمد بن اسماعيل هو الامام البخاري صاحب الصحيح المشهور حدثنا محمد بن عبد الله هو المعروف بالمسندي
والبخاري عن اربعة كل منهم اسمه محمد بن عبد الله والمراد هنا كما ذكره الكلاباذي وهو عبد الله بن محمد
بن عبد الله بن جعفر بن اليمان توفي يوم الخميس لست بقين من ذي القعدة سنة تسع وعشرين ومايتين
حدثنا ابو عامر عبد الملك بن عمرو بن قيس العقدي بفتح العين والقاف وذال مهملة وهو محدث
بصري مشهور اخرج له الايمة الستة توفي سنة خمس ومايتين حدثنا فليح بضم الفا وفتح اللام ومثناة
تحتية وحا مهملة بن سليمان العدوي المدني الثقة راوي انس توفي سنة سبع وعشرين ومائة عن
بسر بن سعيد بضم البا الموحدة وسكون السين المهملة وراء مهملة المدني الزاهد الثقة توفي سنة مائة
عن ابي سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدري السابق ترجمته عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
لو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت ابا بكر هذا حديث صحيح رواه البخاري وغيره من طرق متعددة
ومفعوله الثاني محذوف تقديره خليلا ولو حرف شرط لامتناع ما يليه وهو الشرط فاذا لم يكن للجزا سبب
غيره لزم من امتناعه امتناعه والا فلا يلزم فامتنع اتخاذه خليلا غير ربه فيلزم امتناع اتخاذ ابي بكر
خليلا فالمعنى لا اصل في محبة من الخلق الى مرتبة الخلة فانها مختصة بربي فلو فرض جعلها كان ابو بكر
اليق بها من جميع الخلق لبذله نفسه وماله ووطنه واهله في طاعته وهذا صريح في تفضيله على غيره
وتقدمه عنده فان كان من الخلة بالضم وهي الصداقة والمحبة التي تخلل باطن القلب فالمعنى ان محبته
مقصورة على ربه وان كان من الخلة بالفتح والكسر وهي الحاجة فالمعنى اني ابرا من الاعتماد والافتقار
الى غير ربي وفي هذا الحديث دلالة على ما عقد له الفصل وهو تفضيله بالمحبة والخلة وقد تقدم ما
ما اتفق عليه المسلمون من المحبة وما هنا دال على الخلة وما قيل من انه كان ينبغي للمصنف ان يذكر حديثا صريحا
في اتخاذ الله خليلا وتقدم ما ذكره في آخر الفصل غني عن الرد وفي حديث آخر وان صاحبكم خليل الله
يعني نفسه صلى الله عليه وسلم على طريق التجريد والاحاديث تفيد ان المخاللة من الجانبين اذا كان بمعنى
المحبة لا من الخلة بمعنى الحاجة فان الله غني عن العالمين ومن طريق عبد الله بن مسعود التي رواه البخاري
وغيره وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا كما اتخذ ابراهيم ولا يصح ان يراد بصاحبكم ابا بكر كما توهم وفي هذا
دلالة على انه من جانب الله تعالى دلالته على انه من الجانبين بخلاف ما قبله ولا ينافيه كون ابراهيم خليلا
كما سياتي تحقيقه وعن ابن عباس في رواية الدارمي والترمذي جلس ناس من اصحاب النبي يتنظرونه اي

يتنظرون

يتنظرون خروجه من بيته لمجلس صحابته والجملة حال من ناس لوصفه بالجار والمجرور قال
ابن عباس فخرج النبي حتى اذا دنا قرب منهم سمعهم يتذاكرون اي يذكر بعضهم لبعض
فيتحادثون او يذكر بالتشديد كل منهم لمن عنده ما انسه فسمع النبي صلى الله عليه وسلم حديثهم
وفسر هذا الحديث بقوله عجبا ان الله اتخذ ابراهيم من خلقه اي من دون خلقه واختاره للخلة من
بينهم اي نتعجب عجبا من هذا والعجب يكون من امر فيه غرابة ولا اغرب عند من عرف عظمة الله وغناه
عن مخلوقاته وان كل شيء من فضله واحسانه استغرب اتخاذه خليلا من عبيده وهو ابراهيم صلى الله عليه
وسلم وليس فيما تقدم عن ان نبينا كان خليلا لانه كان مختصا بذلك فلا وجه لما قيل انه يرد اختصاص
ابراهيم بكونه خليلا على ما مر وقال آخر ماذا اي ليس اتخاذ الله ابراهيم خليلا باعجب من كلام موسى
حين ناجاه في الدنيا وكلمه تكليما مع انه في الدنيا لم يكلم انبياءه الا بواسطة ملك الوحي وقال آخر فعيسى
كلمة الله وروحه هذه الفا فصيحة في جواب شرط مقدر اي اذا ذكرتم خليل الله وكليمه وتعجبتم من
ذلك فاذكروا عيسى وكونه كلمة الله وروحه وسمي عيسى كلمة الله لان الله خلقه من دون اب بمجرد قوله
كن او لاهتداء الناس كما اهتدوا بكلامه وقال الصدر القونوي في نفحاته لكل شيء في عرصة العلم
الالهي الازلي مرتبة الحرفية فاذا اصبغه الحق بنوره الذاتي وذلك بحركة معقولة معنوية يقتضيها
شان من الشؤون الالهية المعبر عنها بالكتابة تسمى تلك الصورة كلمة فالموجودات كلماته ثم كما قال
تعالى اليه يصعد الكلم الطيب اي الارواح الطاهرة انتهى ومعنى روحه انه روح منه بدون واسطة
تولد فالاضافة للتشريف وقال آخر ممن كان ثمة وآدم اصطفاه الله اي اختاره وجعله صفيه وهذا
كله مما يتعجب منه من لاحظ عظمة الربوبية وانه غني عن العالمين فخرج عليهم فسلم لما ذكر قوله
فخرج اولا ثم اعاده هنا وهو مكرر ولا يصح كونه تاكيدا فيشكل كرره ليتنبط به غير ما نيط به اولا ويحتمل
ان يكون الخروج الاول من مكانه والثاني من آخر قلت هذا التوهم ان العطف ينافي التاكيد وليس كذلك
فان النحاة ذكروا كما في التسهيل ان التاكيد قد يقترن بالعاطف فالاكثر انه ثم نحو كلا سيعلمون ثم كلا
سيعلمون وقد يكون بالفاء وصرح المفسرون بانه قد يعاد اللفظ اذا طال الكلام تذكيرا به وههنا
بحث نفيس وهو ان ما قاله النحاة ينافي ما اتفق عليه اهل المعاني من ان التاكيد لا يصح عطفه لما بينهما
من شدة الاتصال ولان العطف يقتضي المغايرة والتاكيد عين المؤكد والعجب منهم انهم لم يتعرضوا
لما قاله النحاة والمسئلة من مسايل الكتاب فان لم يقفوا عليه فهو عجيب وان وقفوا عليه واعتقدوا
خلافه فلهو اعجب كما قيل

فان كنت لا تدري فتلك مصيبة • وان كنت تدري فالمصيبة اعظم

وقال صلى الله عليه وسلم قد سمعت كلامكم وعجبكم اي تعجبكم وقولكم عجبا كما مر في اول الحديث
وقد قيل ان سمعت تضمن معنى ادركت او فيه مقدر عامل في الثاني اي وعرفت عجبكم على حد قوله
علفته تبنا وماء باردا اي واعطيته ولا حاجة لما ذكر لما قدمناه لك ان الله اتخذ ابراهيم خليلا
قد صح في النسخ المعتمدة بفتح همزة ان فهو بدل وفي الشرح الجديد يجوز ان يكون جملة مستانفة
كان سائلا سال عما كلامهم وما تعجبوا منه فاجابهم بقوله ان الله الخ وان يكون مقول قول محذوف
وهو يقتضي انه مكسورة الهمزة وهو كذلك اي اتخذه وموسى نجي الله اي كليمه والمناجات
المكالمة واصل معناه ان يخلو بنجوة من الارض ليسار غيره ثم شاع فيما ذكر وقيل اصله من النجاة فمعناه
ان يكلمه بما فيه خلاصه وهو كذلك اي هو نجي الله وكليمه كما ذكروه واقر وعيسى روح الله وهو
كذلك اي هو روح الله كما قلتم وتقدم بيانه وان الاضافة للتشريف او هو بمعنى رحمه الله وآدم

اصطفاه الله وهو كذلك كما قلتم فان الله اصطفاه واختاره للنبوة والخصايص الروحانية وكونه
ابا البشر الا وانا حبيب الله الا بفتح الهمزة وتخفيف اللام حرف استفتاح يؤكد به الكلام المستانف
فيحقق ما بعده نحو الا ان اولياء الله لا خوف عليهم وتدخل على الجملتين ودخولها هنا على العاطف لتحقيق
اختصاصه بكونه حبيب الله واشارة الى ان هذه الصفة اعلى درجة مما قبله اي من عجب مما وصف به
الانبيا قبل فانا موصوف بما هو اعجب واعلى وهو كوني حبيب الله اي محبوب له فانه فعيل بمعنى مفعول
وما قيل من انه فيه القول بالموجب البديعي كقوله تعالى ليخرجن الاعز منها الاذل ولله العزة ولرسوله
فانه سلم لهم اخراج الاذل بمعنى غير الذي ارادوه فانهم ارادوا بالاعز غير المومنين وبالاذل عكسه وهو
على ضربين كما تقرر في كتب المعاني غير صحيح لانهم لم يقصدوا انتقاصهم على نبينا صلى الله عليه وسلم
ولم يقصد الرد عليهم حتى يقال انه من هذا القبيل باعتبار نفي لازمه ولذا قال التلمساني انه قريب من القول
بالموجب لانه قريب او لما ذكروه من فضائلهم بقوله هو كذلك ثم نبه على انه افضل منهم وقوله ولا فخر
الى قوله وانا اكرم الاولين والآخرين ولا فخر تقدم شرحه في حديث آخر فيدخلنيها بضم المثناة
التحتية والضمير الثاني للجنة ويجوز فيه الفصل والوصل خلافا لسيبويه للزومه الفصل عنده كقوله
ان الله ملككم اياه ومعي فقراء المومنين اكراما لهم وفيه اشارة الى ان الفقير الصابر افضل من الغني الشاكر
كما مر والجملة حالية وفي حديث ابي هريرة الذي رواه البيهقي وصححه من قول الله تعالى وفي
نسخة في قول الله تعالى والاصح روايته بلفظ من اني اتخذتك خليلا كما تقدم فهو مكتوب في التوراة
اسب حبيب الرحمن قال التلمساني انه وقع هكذا في النسخ المعتمدة من الشفا بهمزة مفتوحة وسين
مهملة ساكنة وباء موحدة وقال الدلجي ان بعد السين تاء مثناة فوقية وفسره بانت وعن التلمساني بقوله
بعد السين جرة اي من خطيه فلم يعتنها الكاتب فيها وهي هكذا في نسخة المصنف المبيضة المروية عنه
وصححها بعضهم فكتب انت وهي لفظة عبرانية بمعنى انت قيل حاصله انه ثبت لنبينا وصف المحبة من غير
مشاركة فيه والخلة التي شاركه فيها ابراهيم وقد اثبتها لنفسه في آخر خطبة خطبها قبل وفاته بخمسة ايام
فقال بعد حمد الله تعالى والثناء عليه عز اسمه انه كان لي فيكم اخوة واصدقاء واني ابرأ الى الله تعالى ان اتخذ
احدا منكم خليلا اوتيت البارحة مفاتيح خزائن الارض والسما وهو تعريف باعلى مقاماته واكمل حالاته
وبين خلته وخلة ابراهيم فرق لان خلته حقيقية اصلية وخلة ابراهيم مستعارة من خلته الذاتية
ولذا قال ابراهيم في حديث الشفاعة انما كنت خليلا من وراء وراء فالخليل غيري وهو محمد صلى الله عليه
وسلم انتهى فهو مختص بالمحبة وبالخلة الحقيقيتين والافق قال يحبهم ويحبونه ولكل صفة مراتب
فهو مختص باعلاها وسياتي تحقيقه قريبا وقد قال القاضي ابو الفضل هو المصنف اختلف بالبناء
للمجهول اي اختلف العلماء في تفسير الخلة وبيان معناها واصل اشتقاقها بيان لمحل الخلاف
ومنشيه وفي قواعد الطوفي رحمه الله الاشتقاق اقتطاع لفظ من لفظ يوافقه في حروفه الاصول
كضارب من الضرب والاشتقاق الاكبر رد تراكيب المادة الواحدة المختلفة الى معنى واحد مشترك
بينها وقد يكون ظاهرا في بعضها خفيا في البعض فيحتاج في رده الى ذلك المعنى الى تلطف في معرفة
المناسبات انتهى وتفصيل اقسام الاشتقاق وتحقيقه مذكور في كتب ابن جني كالخصايص وغيرها
فقيل الخليل المذكور هنا المنقطع الى الله اي الذي قطع رجاه واعتماده عما عدا الله الذي ليس في
انقطاعه اليه ومحبته له اختلال اي خلل ونقص يحتاج لجبره وتحمل لخلوصه فيه وتقييده الذي
لا يختل اصلا وتحقيقه ما قاله الامام الراغب انه يقال خل الثوب بالخلال والرمية بالسهم اذا دخله فيه
والخلة بالضم الطريق في الرمل وبالفتح الاختلال العارض للنفس لشهوتها او لحاجتها اليه ولذا فسرت

الخلة

الخلة بالحاجة والخصلة والمودة لانها تتخلل النفس اي تتوسطها او تؤثر فيها تاثير السهم في الرمية او
لفرط الحاجة وابراهيم خليل لافتقاره الى الله وقيل من الخلة واستعمالها كاستعمال المحبة وقال ابو القاسم
البلخي هو من الخلة بالفتح لا من الخلة بالضم ومن قاسه بالحبيب فقد اخطا لانه تعالى لا يجوز ان يحب عبده فان
محبته الثنا منه ولا يجوز ان يخاله وهذا منه تشهي فان الخلة من تخلل الود نفسه ومخالطته ولذا يقال
تمازج روحاهما والمحبة بلوغ الود حبة القلب يقال حببته اذا اصبت حبة قلبه فاذا استعمل في الله
اريد مجرد الاحسان وكذا الخلة فيتجوز في احدهما كما يتجوز في الآخر واما ان يراد بالمحبة بلوغ حبة القلب
وبالخلة جبر الخلل فحاشا الله عنه انتهى وفي كلام المصنف دلالة على ان الخلة تستلزم المحبة من تفسيره للخليل
بعلم معنى الخلة التي هي ما حذف فلا يرد ان اول كلامه في الخلة وما ذكره تفسير للخليل فسقط ما قيل من انه
انما يستقيم على ان الخلة بمعنى الخليل يستوي فيه المونث والمذكر لانه مصدر في الاصل وان الكلام في معناه
اللغوي الوضعي الشرعي فتفسيره بالمسكين غير مناسب لانه بيان لحاصل معناه وقيل الخليل معناه
المختص من خاله مطلقا فهو الصديق الذي صار من خلص احبابه واصدقائه وتفسيره بانه اختص بخدمة
الله واختيار ما كلفه من فعل وترك اقتضاء وفيه قصور واختار هذا القول غير واحد من الايمة المحققين
وصححه الشراح وقال بعضهم اصل الخلة بالضم الاستصفا اي كون محبته ومودته صافية اي خالصة
من الكدورات وقيل هو من الصفوة بمعنى الاختيار وهو من لوازم الصداقة ثم فرع على الاقوال قوله
وسمي ابراهيم خليل الله لانه يوالي فيه ويعادي فيه الموالاة المحبة وفي بمعنى اللام كقوله والذين
جاهدوا فينا اي لاجلنا اي لا يحب الا من احبه الله من المومنين اهل الطاعة ولا يبغض الا اهل
المعصية والضلال كقوله لا تجد قوما يومنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولذا قالوا
اذا صافى صديقك من تعادي • فقد عاداك وانفصل الكلام
وخلة الله له اي لابراهيم نصره على عدوه كنمرود هذا جواب سؤال مقدر اي معنى كون ابراهيم
خليل الله فما معنى كون الله خليلا له وجعله اماما لمن بعده لقوله وجاعلك للناس اماما اي
مقتدى متبعا لجميع من بعده لان الانبيا بعده كلهم من ذريته وهذا من تمام نصرته لانه لو لم ينتصر
خالفه من بعده ولذا ذكره معه تاييدا وتاكيدا له وقيل الخليل اصله اي اصل معناه الذي وضع
له الفقير المحتاج صفة كاشفة مفسرة المنقطع اي المنفرد عن الناس لعدم اعوانه واخوانه
ماخوذ من الخلة بفتح الخاء وهي الحاجة لاحتياج صاحبها لغيره لعجزه عما يقوم بامره فسمي بها
اي لقب بما اشتق منها وهو الخليل ابراهيم فالضمير للحاجة او للفظ المفهوم من السياق والاظهر انه
تعديد معنى فاي بسببها ونحوه لانه قصر بفتح القاف والصاد المخففة والقصر كالحصر بمعنى
التخصيص حاجته على ربه اي لم يكن له حاجة الى غير ربه فلا يؤمل نفعا من غيره ولا يقبله وانقطع
اليه بهمه الهم هنا ما يهتم به المرء ويعتني به ويعزم عليه انه كما قصر حاجاته على الله قصر امله
وعزمه على الله وعلى ما يرضيه ولم يجعل له قبل غيره قبل بكسر القاف وفتح الموحدة واللام بمعنى الطاقة
الذي يدرك ويرى فالمراد انه عنده وفي جانبه وانه لم يجعل امله ورجاه في غير الله اي لم يطلب
شيئا من غيره ولم يؤمله اذ جاءه اي جاء ابراهيم جبريل وهو في المنجنيق ليرمى به اي وقد وقع
فيه ليرمى به الى النار التي اوقدت لاحراقه وكان لهبها اشد حتى لم يمكن احدا ان يدنو منها حتى
يرمي بشيء فيها فصنعوا المنجنيق لالقائه من بعيد وهو بفتح الميم وكسرها آلة لرمي العدو
بحجارة كثيرة بان يشد سواري مرتفعة جدا من الخشب يوضع عليها ما يراد رميه ثم يضرب
بسارية توصله لمكان بعيد جدا وكانت هذه الآلة قديمة قبل وضع النصارى للبارود والمدافع

وهو فارسي معرب وفي وزنه ومعناه قبل التعريب كلام طويل لهم واصله منجي نيك اي
اي ما اجودني وهي موثنة كما قال

لقد تركتني منجنيق ابن بحدل • احيد عن العصفور حين احيد

وميمه زايدة ووزنه منفعل وقال سيبويه فعليل والاستدلال عليه مشهور **في النار**
التي اوقدت لاحراقه **فقال له** جبريل **الك حاجة** عندي من سوال ما يحبك ونحوه
قال اما اليك فلا حاجة لي لقصر حاجته على ربه كما مر وهذا رواه ابو نعيم **وقال ابو بكر
بن فورك** بضم الفاء وفتح الرا المهملة وكاف ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة وقال البرهان
انه صح في النسخ بالتنوين والصرف لظن انه علم مرتجل وقيل انه عربي معناه الفار ولا يعرف في
اللغة وانما المذكور فيها انه نوع من الظبا ومن قال معناه الفار لعله اراد انه من عجمة الاندلس
وتعريف عامتهم قلت رايت في كتب التواريخ ان ملك الهند ارسل للملك كنذي رسولا اسمه فورك
وسالت عنه فقيل معناه غلام حقير وهو يقتضي انه اعجمي غير مصروف وعندي انه يجوز فيه
الوجهان وقد مر فيه كلام لنا وما قلناه زبدته **الخلة صفاء المودة** وهي المحبة مع التودد وهي
الموانسة والمساعدة وصفاؤها خلوصها بان يوافق الظاهر الباطن كما قال المعري

والخل كالما يبدي لي ضمائره • مع الصفاء ويخفيها مع الكدر •

التي توجب الاختصاص اي يلزمها اختصاص الواد بمن يوده بان يلازم صحبته واسعافه
بتخلل الاسرار جمع سر وهو ما يخفيه المرء عن غيره وتخللها دخولها في باطنه لاطلاعه عليها
وعلمه بها فلا يخفى عليه شي من احواله والباء سببية وتفسير الاسرار بتجاويف حبات القلوب
وهو بعيد ومعناه رسوخ المودة في قلبه واعلم ان الفرق بين المحبة والمودة والخلة ان المحبة
ميل القلب لما هو حسن عنده سواء كان حسن صورة او كمالا كمحبة العلما والصلحا او انتفاع وانعام
لان القلوب مجبولة على حب من احسن اليها والمودة مواصلة من يحبه والتودد عليه فاذا زادت
المودة وخلصت كانت خلة فان قلت فحينئذ الخلة اخص من المحبة فتكون افضل فلم قيل ان المحبة
افضل قلت المحبة اعم فقد تكون من غير مخالطة وقرب فلا خلة فيها الا ان المحبة قد تصل الى مرتبة
بحيث يكون الحبيب لا يغيب عن فكره وذكره طرفة عين حتى يصل الى الهيام وذهاب العقل وتبذل
لها الارواح فضلا عما سواه وهذه تسمى عشقا والعشق لا يجوز في الشرع اضافته لله فلا يقال
عشقت الله كما ذكره ابن تيمية وغيره وان وقع من بعض الحكما والصوفية فان كان مع هذه المرتبة خلة
وتقريب فليس كهذا المحب محب ولا كحبيبه حبيب وهذه المحبة هي التي اختص بها نبينا صلى الله عليه وسلم
ليلة الاسرا لما راى الله وشاهد من جماله وجلاله ووصل من قربه لمرتبة لم يصل اليها رسول ولا ملك
وتمت له خلة بقربه لم ينلها غيره فلم يحتج لغيره ولا سال سواه وعوض عليه مفاتيح خزاين السموات والارض
واعانه الله ونصره نصرا عزيزا وغفر له ما تقدم وما تاخر مع علمه انه لم يصدر عنه زلة واطلعه على
اسراره وحظاير قدسه واي خلة كهذه فلذا كان مخصوصا بانه خليل الله ايضا وقال الخليل انا
خليل من ورا ورا وكرروه اشارة الى زيادة قرب بينك والارض والسما فلا منافاة بين اختصاص
ووصف ابراهيم وان اشتهر بذلك لانه اجل صفاته واشتهر محمد بالحبيب لانه بهذا المعنى اجل من
الخليل وهذا من جانب العبد واما من الله فمحبته له بمعنى تقريبه له وانعامه وتعليمه ما لم يعلمه غيره
وتفضله على من سواه وخلته له اسعاده بتحليل هذه النعم وتوفيقه لحمله نصب نصره وتبصيرته
حتى كانه معه في كل حين فاعرفه **وقال بعضهم اصل الخلة المحبة** يحتمل ان اصل معناها الوضعي

المحبة

المحبة لانها من تخلله في قلبه وروحه ويحتمل ان المراد ان المحبة اساس الخلة ومنشوها لانها تكون
بعد تحققها **ومعناها** اي معنى الخلة الوضعي بناء على الثاني وهو الارجح وقيل ضميرها راجع للمحبة
المراد منه الخلة **الاسعاف** اي الاعانة والنصرة والامداد لكل ما اراد **والالطاف** اي الانعام
والاحسان قال الزمخشري في شرح مقاماته الالطاف مصدر اي واحدها لطف بفتحتين قال •

كن له عندنا التكريم واللطف • انتهى ويحتمل انه جمع لطف كقفل وهو التوفيق لفعل
كل خير وتسهيله وكونه بكسر الهمزة تحريف **والترفيع** باعلا رتبته بالكمالات الظاهرة والباطنة
والتشفيع باذنه له في الشفاعة وقبولها وله شفاعات فيشفع في فصل القضا ولرفع الدرجات
لقوم في الجنة ولمن مات بالمدينة كما رواه الترمذي ولبعض المومنين في التجاوز عن سياتهم
ولبعض من كان من اهل النار بعد دخولها واخراجه منها ولتخفيف عذاب بعض الكفرة كابي طالب
لجعله في ضحضاح من نار يغلي منه دماغه كما رواه البخاري ولا ينافي قوله ثم لا يخفف
عنهم العذاب كما قيل وقد بيناه في حواشي القاضي ولقبول شفاعة بعض الانبيا والصلحا وقيل
التشفيع بمعنى التاييد والتقوية من الشفع **وقد بين ذلك** اي كون المحبة والخلة تقتضي
الاسعاف وما بعده بطريق المفهوم واللزوم **في كتابه بقوله قالت اليهود والنصارى الاية**
يعذبكم مضارع بمعنى الماضي اي عذبكم في الدنيا بالمسخ والقتل وغير ذلك وهذا برهان
اي لو كنتم ابناه واحباوه ما عذبكم لكنه عذبكم فلستم كذلك او هو على اصله اي لم يعذبكم في
الاخرة فعلم منه ان من كان محبوبا لله لا يعذبه ولا يسوءه لاقتضا المحبة لذلك والمحب
ان هذا مع ظهوره قيل عليه انه لا دليل في الاية لمدعاه وليس فيها على تقدير التسليم الا عدم
مواخذة المحبوب بذنبه على انه ممنوع في احبا الله لان من احبه الله عصمه من الذنوب ويمتحنه
بالمناقشة والابتلا ولا دليل فيها على ان اصل الخلة المحبة وهو مما يقضي منه العجب وقولهم ابنا الله
اي منا ابناوه وهو المسيح وعزير او نحن اتباع بنيه وقيل انهم ادعوا ذلك لانهم راوا في التورية
يا ابنا احبائي فبدلوها يا ابنا ابكاري **فاوجب للمحبوب** اي بطريق اشارة النص فهم
ان كل محبوب وخليل يجب **ان لا يواخذ بذنوبه** اي لا يعاقب عليها ويجازي عليها **قال** ذلك
البعض **هذا** اسم الاشارة يتخلص به من كلام لاخر فيكون خبر مبتدا مقدر اي الامر هذا او مبتدا
خبره مقدر وقد يذكر كما في قوله هذا ذكر او مفعول فعل مقدر اي خذ هذا وقد يقال ها اسم فعل
بمعنى خذ وذا مفعوله لكن الرسم يخالفه **والخلة اقوى من البنوة** بموحدة ونون مصدر بمعنى
كونه ابنا متولدا منه ثم بين ذلك **لان البنوة قد يكون فيها** او فيمن اتصف بها وهو من ظرفية
الصفة للموصوف **العداوة كما قال تعالى ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم** اي منهم من
يظهر العداوة والعقوق كما هو مشاهد فاحذروهم وخافوا شرهم **ولا يصح ان تكون عداوة
مع خلة** لان المحبة مضمنها او داخلة فيه او لازمة له وهي ضد العداوة فلا يجتمعان بخلاف
البنوة فانها وان كانت الفطرة تقتضي المحبة لكن قد تختلف لعارض ويكفي هذا فلا وجه للاعتراض
بان الاصل فيها المحبة والعارض لا يعتد به كما توهم ومن العجب انه ايده بقولهم زيد ابوك عطوفا
وكم مثلها تجاوز الله عنه **فاذن** تفريع على ما قبله **لتسمية ابراهيم** قدم ابراهيم لتقدم زمنه
وشهرته وهو باضافة تسميته وفي نسخة اصله بالضم ومحمد بالخلة اي بما اخذ من الخلة وهو
الخليل او المراد بالتسمية الوصف يجوز **اما لانقطاعهما الى الله** هذا ناظر لان الخلة الحاجة
اي لاعتمادهما عليه واما المنع للخلق فقط **ووقف حوايجهما عليه** اي جعلها موقوفة على انعامه

لاكتفائهم بفضله والانقطاع عمن دونه اي الانقطاع اليه وترك غيره والاضراب
عن الوسائط والاسباب الاضراب بمعنى الاعراض والترك يقال اضرب عن كذا اذا امسك
عنه وتركه او لزيادة الاختصاص منه تعالى لهما معطوف على ما تعلق اما اي بان الله اختصهما
زيادة اختصاص به فاغناهما عما سواه كما يغني الخليل خليله وهذا ناظر الى انه من الخلة بالضم
او خفي الطافه عندهما خفي بالخاء المعجمة لان لطفه يكون من حيث لا يدرى او بالحاء المهملة اي
زيادة مبالغته في اكرامه لهما يقال احفى به وحفي اذا بالغ في اكرامه وهو مجرور معطوف
على زيادة او ما اضيف اليه والطاف بالفتح تقدم تفسيره وقيل انه بكسر الهمزة مصدر وقد مر
او ما خالل اي تخلل ودخل بواطنهما من الاسرار الالهية اشارة الى انه من التخلل كما تقدم
وفي نسخة من اسرار الهيبة بمثناة فوقية ومكنون غيوبه جمع غيب وهو ما لا يدرك
بالحواس الظاهرة او ما سيكون قبل وقوعه وهو من جملة المعجزات ولا يطلع على غيبه الا من
ارتضى من رسول والمكنون بمعنى المستور ومعرفته اي معرفة افاضتها عليهما من علمه اللدني
او معرفة ذاته وصفاته مما لا يطلع عليه كل احد ولاستصفائه لهما اي لاختياره لهما من دون
خلقه وجعلهما صفوة له حتى يستحقا وصف الخلة لانهما خيرة الله من خلقه والمصدر
مضاف لفاعله وقوله واستصفاء قلوبهما مضاف لمفعوله واسم العضو المضاف لمثنى
يجوز افراده وجمعه وتثنيته اي جعل مرآتهما صافية خالصة له صالحة لاسراره ومعرفته
عمن سواه بحيث لا يكون فيها غير معرفته وحبه حتى لم يخالطهما اي يدخل في خلالهما حب
لغيره هو نتيجة الاستصفاء وماله فارتضاهما وصفى قلبهما من كدر السوى الناشئ من
الطبع البشري ولهذا اي لكون معنى الخلة الانقطاع عما سواه والاعراض عن العوارض البشرية
الخليل من لا يتسع قلبه لسواه لامتلائه بمحبته ومشاهدة جلاله بحيث لا يبقى في قلبه سواه
وسوى مراقبته كما قيل في معناه هـ

تملك بعض حبك كل قلبي • فان ترد الزيادة هات قلبا

وهو اي ما ذكر من معنى الخليل ونفسه معنى قوله صلى الله عليه وسلم في حديث البخاري
ان من امن الناس علي في صحبته وماله ابي بكر ولو كنت متخذا خليلا من الناس غير ربي
ارجع اليه في اموري واعتمد عليه فيها بمعنى لاتخذت ابا بكر خليلا لانه اعز اصحابي واقدم
اصدقائي فلو تعلق قلبي باحدكم لم يكن يتعلق بغيره لما اعرفه من ايثاره لي على نفسه واهله
لكن اخوة الاسلام وقدم الصحبة الذي هو بمنزلة القرابة القريبة النسبية كما قيل

صحبة يوم نسب قريب • وذمة يعرفها اللبيب

وهو استدراك على مضمون الجملة الشرطية فنفى الخلة واثبت الاخوة المؤذنة بالمساواة
تفضلا منه فالخلة اعظم من البنوة واخوة بهمزة مضمومة وروي في الاكمال خوة بدون الف
وهي لغة قليلة واختلف ارباب القلوب اي اصحاب القلوب الكاملة الصافية فجعل
غيرهم كانه لا قلب له والمراد به الاولياء وذوي النفوس القدسية وقيل المراد به الباحثين
عن احوال القلوب وقيل المراد بهم اكابر الصوفية وسموا بذلك لنظرهم في العلوم الباطنة دون
ظواهر الالفاظ ايهما اي المحبة والخلة ارفع اي ايهما افضل في نفس الامر وعند الله تعالى
درجة الخلة او درجة المحبة وكنى برفع الدرجة عن رفع ما فيها وافضليته والتقدير اهو
درجة الخ فجعلهما بعضهم سواء اي الدرجتين او المحبة والخلة متساويتين في الفضيلة

لا تتساويان

لا تتفاوت فلا يكون الحبيب الا خليلا ولا الخليل الا حبيبا لا يخفى انما يقتضي تلازمهما
لا تساويهما رتبة ودرجة ثم اشار الى جواب سؤال مقدر وهو انهما اذا استويا وتلازما
فلم خص كل منهما بموصوف فقال لكنه اي الله او الامر والشان خص مبني للفاعل او المفعول
ابراهيم بالخلة ومحمدا بالرفع والنصب بالمحبة بان سمى الاول خليلا والثاني حبيبا وهو
امر اتفاقي لمجرد التمييز بينهما ولا يخفى ضعفه وبعضهم قال درجة الخلة ارفع منزلة
وافضل واعلى درجة ويشهد له ان المحبة ماخوذة في معنى الخلة واخص منها لكنه قيل انه
يرد عليه ما تقدم من قوله في مناجاته حيث قال الرسل تغبط فقال يا رب اتخذت ابراهيم خليلا
وكلمت موسى تكليما فقال له الم اعطك خيرا من هذا واتخذتك حبيبا وما في معناه مما
يقتضي ان درجة المحبة ارفع الا ان قوله لو كنت متخذا الحديث يخالفه فالمقام لا يخلو
من الاشكال والجواب ان يقال انما فضله لمجموع ما ذكر في الحديث واحتج هذا القائل
لمدعاه بقوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه البخاري لو كنت متخذا خليلا غير ربي
فلم يتخذه اي غير الله خليلا وقد اطلق المحبة اي وصف بمحبته غير ربه والجملة حالية
لفاطمة الزهراء ابنته متعلق باطلق وابنيها الحسن والحسين واسامة بن زيد بن حارثة
فانه ذكر انه كان يحبه ويسمى حب رسول الله وغيرهم كابي بكر وعمر وعائشة وقد ورد
هذا كله مصرحا به في احاديث صحيحة وقد قدمنا لك ان محبة الله لعبده بمعنى غير محبة العبد
لله ولغيره وان محبة النبي له بمعنى كونه ليس في قلبه وذكره غيره وانها ماخوذة من حبة
القلب كما قلت

قد تملكت حبة القلب مني • ولذا سمي الحبيب حبيبا

فلا ينافي كونه يحب فلانا لانها لمطلق الميل ولهذا سقط الاحتجاج بما ذكر وينافي ما يؤيده
واكثرهم اي اكثر العلماء وارباب القلوب جعل المحبة ارفع درجة وافضل من الخلة
لان درجة الحبيب نبينا بدل من الحبيب او عطف بيان ارفع من درجة الخليل ابراهيم
فيقتضي ان صفته وهي المحبة افضل من صفته وهي الخلة وفيه انه لا يقتضي ذلك لان
تفضيل الذات على الذات قد يكون لمعنى آخر غير تلك الصفة لا سيما اذا قلنا ان الخلة هي
المحبة او غايتها واصل المحبة الوضعي الحقيقي الميل الى ما يوافق المحب بضم الميم وفتح الحاء
بمعنى المحبوب يقال حبه واحبه بمعنى الا انهم اخذوا اسم الفاعل في اكثر استعمالهم من المزيد
فقالوا محب واسم المفعول من الثلاثي فقالوا محبوب وحبيب وقالوا في غير الاكثر حاب
ومحب بالفتح كقول عنترة في معلقته هـ

مني بمنزلة المحب المكرم •

فيراعوا كلا منهما والمراد بما يوافقه ما يرتضيه ويميل اليه فيحب ما يحبه ويبغضه ويترك
لاجله مراداته والمراد بالميل ميل قلبه ولذا قال ولكن هذا المعنى يكون فيمن يصح الميل
القلبي اي المحب لا المحبوب والعكس جائز وجزم به بعضهم منه والانتفاع بالوفق بفتح
الواو وسكون الفاء قبل القاف اي الموافق فسمي الفاعل بالمصدر او هو على اصله بمعنى
الموافقة بين الشيئين وهذا الاخير خبر وهو درجة المخلوقين وهي راجع الى المحبة بمعنى
الميل القلبي ممن يصح منه او انث باعتبار الخبر فهي جمع للميل والدرجة مجاز عن الصفة واما
الخالق جل جلاله فهو منزه عن الاغراض بغين معجمة وراء مهملة وضاد معجمة والميل بمعنى
ترجيح شيء وتقدمه على غيره لغاية عرض وعلة الفعل لا يجوز على الله ولذا ذهب اكثر
الاصوليين الى ان افعاله لا تعلل بالاغراض لانه يقتضي استكماله بغيره وهو منزه اما بمعنى

الثمرات والفوائد المرتبة على الفعل فلا يضر وخالفهم بعض المحققين وقال النصوص تدل على خلافه والاستكمال عنده غير مسلم وقد بسطنا الكلام عليه في غير هذا الكتاب وفي نسخة الاعراض بعين وليس جمع عرض بمعنى فرص ووزنته كما قيل بل بمعنى الكيفيات النفسانية الحادثة والمثل منها وفي نسخة الاعتراض ولا مناسبة لها هنا الا بتكلف واذا كانت المحبة بهذا المعنى لا تليق برب العزة **فمحبته** اي الله **لعبده تمكينه من سعادته** اي اقداره على ما يفيده سعادة الدارين بتوفيقه لطاعته وعبادته **وعصمته** من ارتكاب الذنوب ويجوز رفعه وجره عطفا على تمكين وسعادة والعصمة معناها الحفظ **وتوفيقه** في اموره بحملها على وفق رضاه ويجوز رفعه وجره ايضا **وتهيئة اسباب القرب** تهيئة بوزن تكرمة بتاء مثناة بعد الهاء وهمزة وها تانيث مصدر هيأته اذا جعلته حاضرا سهل التناول اي تيسر الله له كل سبب يقربه الى ربه من صلاة وجهاد ومعرفة ونحوها **وافاضة رحمته عليه** اي ايصال الخيرات الدنيوية والاخروية ايصالا كثيرا متواليا فشبه الرحمة بالماء واثبت الافاضة بمعنى الصب بكثرة على طريق المكنية والتخييلية **وقصواها** بضم القاف وسكون الصاد فعلى من قصاه اذا ابعده والمراد غايته والضمير للمحبة المفسرة بتمكينه وما بعده وذكر الغاية لان صفاته تع التي لا تليق به توصل باعتبار غاياتها وغاية المحبة **كشف الحجب** بضمتين جمع حجاب اي ازالة الموانع **عن قلبه** كالشواغل الدنيوية **حتى يراه بقلبه** اي يعلمه علما يقينيا كالمشاهدة المحسوسة **وينظر اليه ببصيرته** وهي قوة للقلب كالبصر يدرك بها ما يتوجه اليه **كما قال** اي الله والرسول الناقل له في الحديث الذي رواه البخاري **فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها** وهو حديث قدسي طويل ومعناه اذا اصفا قلبه وتهذبت نفسه احبه الله ومحبة الله تقدم انها عنايته ولطفه به وافاضة نعمه على ظاهره وباطنه فيكون حواسه وادراكها واعضاؤه وحركاتها كلها متوجه لله ولما فيه رضاه من غير تصنع ومشقة فيقربه على ذلك حتى يكون كان افعاله صادرة عن الله والى هذا اشار المص بقوله **ولا ينبغي ان يفهم** بالبنا للمجهول اي لا يفهم احد **من هذا** الحديث والكلام **سوى التجرد الى الله** اي تجريد افعاله واحساسه عما يشغله عن الله **والانقطاع الى الله** بترك غيره واخراجه عن فكره ونظره **والاعراض عن غير الله** حتى يصير مراقبا له في جميع احواله **وصفا القلب له** بحيث لا يكون في فكره غيره فيصفو من كدر الاوهام ودنس الخلق **واخلاص الحركات لله** بان لا يحرك عضوا من اعضائه الا لعبادته او لما يعين عليها **كما قالت عايشة** كما تقدم **كان خلقه القرآن** اي اخلاقه كلها على وفق ما امر به في القرآن فجعلت القرآن عين خلقه مبالغة والى هذا اشير فقولها **يرضاه يرضى** اي يرضى ويحب ما ذكر في القرآن انه فعل مرضي لله من واجب ومندوب ومباح يقصد به ما يصيره قربة **ويسخطه** بفتحتين وضم فسكون **يسخط** اي يكره ما ذكر فيه ان الله يكرهه من كل حرام ومكروه وخلاف الاولى وقدم الجار والمجرور للحصر فلا يرضى الا ما يرضاه ولا يكره الا ما اباه ع والحاصل انه صلى الله عليه وسلم اخلاقه الطبيعية اضمحلت وذهبت لما شق قلبه فلم يبق له ارادة لغير ما يريد الله ولا يرضى لغير ما يرضاه ولا يخفى ارتباط هذا بما قبله من قوله كنت سمعه وبصره فاعرفه ومن هنا اشارة الى ما سبق في اول كلامه من معنى الخلة قبل ذكر الخلاف فيها وما خذ اشتقاقها **عبر بعضهم عن الخلة بقوله**

قد تخللت مسلك الروح مني • وبذا سمي الخليل خليلا
فاذا ما نطقت كنت حديثي • واذا ما سكت كنت الغليلا

وفي رواية

وفي رواية كنت الدخيلا يعني ان الشاعر عبر عن معنى الخلة بناء على انها من التخلل فانها تخللت باطنه وجرت مجرى الروح المجسمة السارية في البدن مسري ماء الورد في الورد بناء على احد الاقوال فيها لا على انها مجردة خارجة عنه ومتصلة او بناء على انها لطيفة نورانية في احد طارقي القلب بها الحياة والاحساس ومسلك منصوب على الظرفية بتخللت المضمن معنى واسند التخلل اليه مبالغة والمراد تخلل محبته ومودته في مسالك روحه او في قلبه الذي هو مقرها بحيث لا يكون فيه سواه كما مر ثم فرع على انه ليس في روحه وقلبه غيره انه اذا تحدث لم يذكر غير محبوبه وخليله واذا سكت لم يكن في فكره وقلبه غيره فالمراد بالغليل بالغين المعجمة ما كان داخل القلب من قولهم تغلغل الماء وتغلل بين النبات اذا جرى تحته مستترا ولكن المراد بالدخيل ما هو داخل القلب والبدن لا الاجنبي كما في قول السكاكي ليس الدخيل كالناشي هذا ما قصده الشاعر واشار اليه المص وان كان ظاهر الشعر على تفضيل الخلة على المحبة فالمراد بالخليل فيه كل متصف بالخلة لا ابراهيم كما قيل فانه لا يصح هنا وليس المراد بالغليل حرارة العطش اي كنت لعدم ذكري لك مضمرا ما حرق قلبي عطشا لعدم ذكرك فان راحة الفم وراحة النفس ذكر الاحبة وما زاده في الشعر والدخيل بالدال مهملة وخا معجمة ومن العجيب قوله في الشرح الجديد ان المعنى اذا سكت كتمت حبك في قلبي كما يكتم الحقد والضغائن فالمراد بالغليل الحقد والضغائن ولا يستقيم الا على الاستعارة فانه تعسف لا ينبغي ذكره **فاذن** تفريع لجواب سؤال متفرع على ما سبق **مزية الخلة** اي فضيلة الخلة وفي شرح العلامة انه لم يبين له فعل ويرده قوله في الاساس تمزيت عليه اذا زدت في الفضل عليه **وخصوصية المحبة** بفتح الخاء وضمها بمعنى اختصاصها عبر في الاول بالمزية اشارة الى ان الخلة وان تشارك فيها النبي والخليل وهي مختصة بنبينا باعتبار معنى زائد فيها لاشتمالها على المحبة المختصة معنى ولفظا فانه لم يطلق على الخليل حبيب الله كما مر وان كانت محبته شاملة لهما بل لغيرهما كما قال تع فسوف ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه الا ان هذا غير المحبة المختصة كما مر تحقيقه وكما ان المحبة من الجانبين فكذلك الخلة فانه يقال حبيب الله والله حبيبه كما يقال خليله خلافا لمن توهم ان الخليل لا يطلق على الله لحديث لو كنت متخذا خليلا غير ربي ولهذا تبين نكتة تعبيره بالمزية والخصوصية **حاصلة لنبينا صلى الله عليه وسلم** وفي نسخة خالصة اي مختصة وكان الظاهر ان يقول حاصلتان لكنه افرد لجعلهما كالشي الواحد **بما دلت عليه الاثار الصحيحة** البا للتعدية متعلقة بحاصلة ويجوز ان تكون سببية ع والمراد بالاثار الاحاديث التي تقدمت كقوله لو كنت متخذا خليلا غير ربي الخ وقوله الا وانا حبيب الله **المنتشرة** الشائعة **المتلقاة بالقبول من الامة** ذكر شهرته والقبول له مؤيدا لاختصا

صح

وزيادته على غيره من الرسل ثم استشهد له بنص القرآن **فقال وكفى بقوله قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله** الاية البا زايدة في فاعل كفى او للتعدية وكفى بمعنى اكتفي كما هو مشهور ووجه الدلالة في هذه الاية انه لما جعل من اتبعه محبوبا لله علم انه محبوب عند الله محبة ليس فوقها محبة ومقربا تقرب لا يدانيه احد فيه فعلم منه خلته ومحبته ولذا قال المص وكفى الخ ومن لم يفهم مراده قال هذا لا يدل على مدعاه لانه علق محبته على اتباعه فيما جاء به من الشرايع وتصديقه وذلك محبوب لله وانما يدل لو علق محبته على محبتهم للرسول فقال ان كنتم تحبون الله فاحبوا الرسول **حكى اهل التفسير ان هذه الاية لما نزلت قال الكفار انما يريد محمد** بقوله لنا اتبعوني يحببكم الله **ان نتخذه حنانا** بفتحتين مخفف النون معناه الرحمة والاشفاق ماخوذ من الحنين وهو ما يكون مع صوت والمراد ان نعطف عليه ونجعله موضع الحنان والرحمة اي نتبرك ونتضرع

به وقد تقدم الكلام فيه كما اتخذت النصارى عيسى بن مريم حنانا ومعبودا يتقربون بعبادته
الى الله فانزل الله غيظا لهم مفعول له اي انزل الله ليغيظهم ويعلمهم بغضبه عليهم فان الغيظ
الغضب على العاجز ورغما على مقالتهم بتثليث الراء المهملة وسكون الغين المعجمة والميم وهو الذل
والخزي والاساءة بما يكره واصله كل مؤذ يصيب الانف ولذا يقال رغم انفه وعلى رغم انفه م
وضمنه معنى التبكيت والتقريع فعداه بعلى والمال الى انه اذلهم بتوبيخهم ورد مقالتهم هذه هذه
الآية مفعول انزل قل اطيعوا الله والرسول ثم بعد ما بين سبب النزول من انكارهم جعل اتباعه
سبب محبة الله لهم وتقربهم به الى الله ذكر الاية وانها ابلغ من الاولى واشمل لان الاولى لا تقتضي
لزوم اتباعه فانه قد يتقرب اليه بالنوافل ويحب فاعلها والامر بطاعته يقتضي الوجوب واقترانها
بطاعته يدل على تاكيده مع تعظيمه وتشريفه كما دل عليه قوله فزاده شرفا بامرهم بطاعته وايجابها
عليهم وقرنها بطاعته اي الرسول صلى الله عليه وسلم زيادة في تشريفه والاتباع وان كان
عين الطاعة او لازمها فليست امرا وايجابا ومن غفل عنه قال هما سواء الا ان هذا فيه التصريح بالطا(عة)
ثم توعدهم على التولي عنه بالاعراض عن طاعته وهو عدمها بقوله فان تولوا فان الله لا يحب
الكافرين كان الظاهر ان يقال فان الله لا يحبهم فوضع الظاهر موضع المضمر وعلقه بالمشتق
الذي هو علة الحكم فكانه قال لا يحبهم لانهم كفروا بالله سواء كان تعريفه للاستغراق او للعهد
فهذه الاية اصرح وادل على وجوب طاعته وعلو مرتبته على غيره من الانبيا كعيسى وقد نقل
الامام ابو بكر بن فورك عن بعض المتكلمين كلاما في الفرق بين المحبة والخلة يطول هذه
الجملة صفة قوله كلاما فاشار الى انه لم ينقله لطوله ثم استانف فقال جملة اشاراته ترجع الى تفضيل
مقام المحبة على الخلة ونحن نذكر منه اي من كلام بن فورك طرفا بفتحتين اي بعضا قليلا يهدي
اي يدل على ما بعده اي باقيه فالتعدية غير مرادة لانه مجاز فمن ذلك قولهم اي قول المتكلمين
الذي نقله بن فورك عنهم الخليل يصل الى من خالله بالواسطة اي بتوسط آخر بينه وبين خليله
كما بينه قوله يصل به الاتي ثم بين ان هذا المعنى ماخوذ من قوله عز وجل وكذلك نري ابراهيم
ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين فوصل لمعرفة ربه بواسطة ما راه من آيات
ملكوته التي وصلته لمعرفته والحبيب يصل لحبيبه به اي هو دله على نفسه بنفسه من غير واسطة
لغيره وهذا ماخوذ من قوله فكان قاب قوسين او ادنى فرآه عين اليقين كما تقدم هذا وان
كان المصنف ناقلا والعهدة فيما نقله على قائله الا ان هذا غير ظاهر لانه ان اراد بالوصول الوصول
الى الله برؤيته وسماع كلامه من غير واسطة فالاية لا مناسبة لها بما ذكر وان اراد الوصول
الى مشاهدة الله ومعرفته فكذلك ثم انه لا يتم الفرق لانه ان بين مفهوم المحبة فما ذكر لا يدل عليه
بل ليس بصحيح وان اراد بين ذاتي من قال فانه لا يفيد شيئا مما نحن فيه ثم انه مبني على القول
بان ابراهيم لم يعرفه قبل هذا الاستدلال بناء على جواز مثله على الانبيا مطلقا وقبل البلوغ مع ان
المحققين على انه ورد على طريق الجدال مع قومه الذين كانوا يعبدون الكواكب وبالجملة فهذا كلام
غير منقح وقيل الخليل الذي تكون مغفرته اي مغفرة الله له ما قد يصدر عنه محتاجا لعفوه
عنه في حد الطمع اي واقعة في حال يطمع صاحبها في التجاوز عنها لان الخليل لا يواخذ
خليله بزلاته واصل معنى الحد الحاجز بين شيئين والمحيط به كحدود الدار فاستعير للحال المميزة
له والمقتضية لتحققه من قوله والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين اي قول ابراهيم
في قصته مع قومه هضما لنفسه وتعليما لامته والا فهو معصوم والحبيب الذي مغفرته في حد اليقين

اي متيقنة

اي متيقنة وهذا ماخوذ من قوله اي قول الله لمحمد حبيبه صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم
من ذنبك وما تاخر اي كل ما صدر عنك وما لم يصدر مما هو بالنسبة لمقامك قد يقتضي وفي الآية
اشارة الى انه لم يصدر منه اذ سوى المتقدم بالمتاخر في عدم الوقوع ولذا سر لما نزلت من جهة من
الحديبية وقال نزلت علي آية احب الي مما على وجه الارض والكلام على الآية مبسوط في التفسير وقد
تقدم طرف منه ايضا ثم ذكر فرقا آخر قريبا من هذا فقال والخليل قال ولا تخزني يوم يبعثون اي لا
تفضحني ولا تعذبني في يوم القيمة وقد قيل انه ورد في الحديث ان ابراهيم اذا راى اباه في الحشر يقول
يا رب وعدتني ان لا تخزني فيمسخ الله آزر ذيخا بذال معجمة ومثناة تحتية وخاء معجمة وهو ضبع منتن
فيقال له انظر لما تحت قدميك فيراه فينكره ويلقى في النار فيحول صورته حتى لا يعرفه الناس حين يلقى
في النار فيفتضح بين امته قيل ومنه يعلم ان ابوي النبي صلى الله عليه وسلم ليسا في النار وفيه ما سياتي
والحبيب اي نبينا صلى الله عليه وسلم يوم لا يخزي الله النبي فابتدي بالبشارة بنفي الخزي عنه
برؤية ما يكره قبل السؤال لذلك كما ساله غيره منهم والخزي ليس هو العذاب كما في قوله ربنا انك
من تدخل النار فقد اخزيته وانما هو الفضاحة بكل مؤلم له او لامته كالعتاب فلا يقال ان الله امنه من
غضبه وعذابه فما فائدة البشارة بعد هذا ثم ذكر فرقا آخر فقال والخليل قال في المحنة هي والامتحان
بمعنى الابتلاء والمراد بذلك قصته مع نمرود حين القاه في النار فكانت عليه بردا وسلاما وقال
حسبي الله اي هو كاف لي في جميع اموري والحبيب وهو نبينا صلى الله عليه وسلم يا ايها النبي حسبك
الله يعني ان النبي قال ذلك طالبا كفاية الله له وهذا قاله الله له فتكون كفايته له محققة مقررة بخلاف
الاول كما ستسمعه قريبا والخليل قال واجعل لي لسان صدق اي ذكرا جميلا صادقا بغير اسم الآلة
عما يصدر منها مجازا في الآخرين اي في الامم الآتين من بعدي الى يوم القيمة فهو طلب ودعا اجابه الله
فما من امة الا وهي تثني عليه وتحبه والحبيب قيل له ورفعنا لك ذكرك اي جعلناه عاليا شريفا
لما تضمنه من الثنا مقرونا باسم الله في الصلاة والخطبة والاذان وغيرها اعطي الحبيب بلا سؤال
منه وهذا بيان لمزية الحبيب كما تنبهك عليه اولا والخليل قال واجنبني وبني ان نعبد الاصنام
اجنبني وجنبني بمعنى بعدني بعدا حسيا ومعنويا بان لا يصدر منهم ذلك وقد اجاب الله دعاءه لان
المراد بنو صلبه وفيهم انبيا عصمهم الله واتباعا حفظهم والحبيب قيل له اي قال الله له انما يريد الله
ليذهب عنكم الرجس هو كل مستقذر حسا او طبعا او عقلا او شرعا اي الله كرمكم بان حفظكم من الذنوب
وما يدنس الاعراض وقال يريد ليذهب ولم يقل اذهب مع انه اخصر اشارة الى انه قضي لهم بذلك في الازل
وفي عالم الارواح والذر اهل البيت منصوب على المدح او النداء والمراد اهل بيت النبوة فيشمل
اولاده وزوجاته واتباعه واقاربه ولا يختص بعلي وفاطمة والحسنين كما زعمه الشيعة وهذا ابلغ مما
في حق ابراهيم بوجوه لاختصاصه بنفي عبادة الاصنام وهذا عام في كل ذنب ونقص وذاك خاص
ببنيه وهذا شامل لكل من شمله بيته كما سمعته آنفا وبالغ في تطهيرهم بقوله ويطهركم تطهيرا ۞
ولا يخفى ان كل ما نقله بن فورك انما يدل على شرف النبي وزيادة علو رتبته على غيره ولا علاقة له [illegible]
المحبة والخلة لاسيما الايات لم يذكر فيها بعنوان لفظ الحبيب وفيما ذكرناه من تفسير الخلة والمحبة واشتقاق
الخلة في انهما ارفع درجة تنبيه على مقصد اصحاب هذا المقال المقصد مصدر ميمي بمعنى القصد
او هو بمعنى المقصود لان مفعل ياتي بمعنى مفعول كمركب وان كان نادرا او هو مجاز من المصدر او من
اسم المكان باستعارته منه استعارة مصرحة اصلية من تفضيل المقامات والاحوال بيان للمقصد
والمقامات جمع مقام وهو محل القيام وبضمها الاقامة وجمعه جمع المؤنث لاطراده فيما لا يعقل كجمادات

فيهما

وسجلات والمراد بالمقام هنا امر يكون عليه العارف بالله من الانبيا والاوليا يتنعم به من
خصيص البشرية في درجات العبودية حتى يرتقي الى المقام الاعلى وما يطرو عليه هو المراد بالاحوال
وليس بمعنى واحد هنا كما قيل وقيل المقام الصفات الثابتة والاحوال الصفات الزايلة وهو قريب
مما قلناه والظاهر ان المراد بقوله ما ذكرناه ما لخصه من كلام بن فورك وهو جواب عما تقدم من ان
هذا لا يدل على بيان الخلة والمحبة الذي هو بصدده فاشار الى انه وان تعلق بذات الحبيب والخليل
فالمقصود بيان تفاوت وصفيهما فيرجع ماله الى بيانهما فان منهم من يسلك مسلك التصريح ومنهم
من يقصد الايما والتلويح **وكل يعمل على شاكلته** بمعنى بجبلته وجبلته وهي كما قال الراغب ماخوذة
من الشكال وهو قيد تقيد به الدابة لانه قيد له وذلك لان سلطان السجية قاهر لصاحبه ومنه
شكل الكتاب يقال شكلت الخط كما يقال قيدته واشار بقوله **فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا**
اي الله اعلم من طريقته اقوم واكثر ايصالا الى الحق وارشادا للصواب يشير الى ان الخلاف السابق
في تفضيل الخلة والمحبة مبني على امور نظر اليها كل من الفريقين فكانه لم يجزم باحدهما لان الخلاف
كاللفظي وقد قيل ان غاية ما ذكره بن فورك تفضيل نبينا صلى الله عليه وسلم على ابراهيم في حد ذاته
من غير نظر لما جعلوه علة من تفضيل الصفة على الصفة والحق تفضيل الخلة كما ذكره ابن قيم الجوزية
وقد علمت ما فيه وقد مثالك ما يغني عنه والله الموفق

فصل في تفضيله

صلى الله عليه وسلم برفعة مقامه على غيره **بالشفاعة** اذ كان تعريفه للعهد والمراد الشفاعة
العظمى في المحشر التي يخلص الله بها اهله من هوله وكربه فقوله **والمقام المحمود** عطف تفسير ولا
هو من عطف الخاص على العام والمقام المحمود كل مقام يتضمن كرامة تحمد ولكنه خص هنا بفرد
معين من افراده اختلف فيه كما قاله البرهان نقلا عن القرطبي على اقوال فقيل هي الشفاعة
العامة السالفة وقيل اعطاه لواء الحمد وهو لا ينافي ما قبله وقيل هو ان يجلس مع الله على الكرسي
وهذا مما نقل فيه حديث طعنوا فيه ومنهم من اوله وقيل هو شفاعته لاخراج بعض اهل النار
منها وقيل هو شفاعته رابع اربعة اذ يقوم روح القدس جبريل عليه السلام ثم يقوم ابراهيم ثم يقوم
موسى او عيسى ثم يقوم صلى الله عليه وسلم فيشفع ولا يشفع احد بعده في اكثر ما شفع وبه
بشرت الامة وقيل هو مقام يكون له اقرب فيه من جبريل والشفاعة ثابتة له بالاجماع الا انها عند اهل
السنة لاصحاب الكبائر لحديث شفاعتي لاهل الكبائر من امتي وعند المعتزلة لزيادة الثواب
لا لدرء العقاب والكلام عليه مفصل في كتب الاصول وكونه محمولا على ظاهره او اسناده مجازي
اي صاحبه محمود **قال الله تبارك وتعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا** استشهد
بالاية على ما قاله وقد علمت ما فسر به ومقاما منصوب على الظرفية بمحذوف اي يقيمك مقاما
او بتضمين يبعث معناه او هو حال بتقدير ذا مقام والوجه الثالث وهو جلوسه مع الله
على الكرسي والعرش قال الواحدي انه قول فاسد مبني على التجسيم وبين فساده بوجوه منها
ان البعث هو الاثارة والاقامة والجلوس ضده فكيف يفسر به وايضا هو يقتضي التحديد والتناهي
المستلزم للحدوث وايضا انه قال مقاما ولو كان كذلك قال مقعدا ومثله لا يدل عليه البعث
ورد هذا بانه رواه احمد من طرق شتى ومثله من المتشابه كقوله الرحمن على العرش استوى وقد
صححه الدارقطني وقال ردا على منكره

حديث الشفاعة عن احمد • الى احمد المصطفى نسنده •
وجا الحديث باقعاده • على العرش ايضا ولا نجحده •

اتق والحديث على وجهه • ولا تدخلوا فيه ما يفسده •
ولا تنكروا انه قاعد • ولا تنكروا انه يقعده •

فجلوسه صلى الله عليه وسلم لا مانع منه واما نسبته ذلك لله وقوله انه معه فليس المراد ظاهره
واشباله لما تؤوله وهي كثيرة مشهورة وعسى للترجي ومعناها وعملها مشهور في كتب النحو
ومعناها الترجي في المحبوب والاشفاق في المكروه والترجي منه صلى الله عليه وسلم ظاهر
ومن الله قالوا انه ايجاب اي جزم بوقوعه اذ الله لا يجب عليه شي كما تقرر في الكلام **حدثنا** وفي
نسخة اخبرنا **الشيخ ابو علي الغساني الجياني** شيخ المصنف وغسان اسم ما في الاصل سمي به
قبيلة من اليمن نزلت عليه وجيان بالجيم المفتوحة وتشديد المثناة التحتية بوزن شداد بلد
بالاندلس منها ابن مالك وابو حيان **فيما كتب الي بخطه** اشارة الى ان هذا الاخبار ليس بالمشافهة
اي اخبارا كائنا في ضمن امور اخر واحاديث كتبها له والكتابة نوع من التحمل والاجازة لها حكم
الاتصال عند كثير من المحدثين واهل الاصول كالسمعاني وصاحب المحصول ووقع في الصحيح
سواء كان كاتبه حاضرا او غائبا بشرط ان يعرف خطه حدثنا سراج بن عبد الله القاضي
السابق ذكره وترجمته **حدثنا ابو محمد الاصيلي** الذي تقدم الكلام عليه وعلى نسبته
قال حدثنا ابو زيد المروزي وقد تقدمت ترجمته وابو احمد محمد بن محمد بن يوسف بن مكي الجرجاني
قال حدثنا محمد بن يوسف السابق ترجمته الفربري **حدثنا محمد بن اسمعيل** هو امام السنة
صاحب الصحيح البخاري وقد تقدم **حدثنا اسمعيل بن ابان** ابو اسحاق الوراق الازدي
الكوفي وابان بفتح الهمزة وتخفيف الباء علم منقول تردد في صرفه وعدم صرفه فمنعه بعضهم
واجاز بعضهم فيه الصرف وعدمه وسبب الخلاف فيه ان منهم من قال وزنه فعال
فيتعين صرفه وقيل انه منقول من ماضي ابان بين وجزم به ابن مالك وصاحب التوضيح
وقال القرافي المحدثون والنحاة على منع صرفه ونقله بن يعيش عن الجمهور وبنا على ان وزنه
افعل بمعنى اوضح فاعل على خلاف القياس وابقي على اصله فاندفع قول الدماميني لو كان كذلك
وجب تصحيحه لان افعل الاجوف الوصفي لا يعل وفي شرح مسلم انه جوز فيه الصرف
وعدمه والصحيح صرفه كما في جامع اللغة وبه جزم ابن السيد اقول عدم صرفه تعسف
وقد تتبعت كلامهم فوجدته مصروفا فيه كقول ابن عطا الخماسي

الفوق مسجد النبي تميم • فوق التل دون بني ابان •

وقول مهلهل

لهف نفسي على عدي ولم • اعرف عديا اذ امكنتني اليدان •
طل من طل في الحروب ولم • اعرف فتيله اباؤه من ابان •

الى غير ذلك مما لا يحصى فلا وجه للتردد فيه ولذا قال بعض ائمة اللغة من لم يصرف ابان فهو اتان
وهو امام ثقة توفي سنة ست عشرة ومايتين وترجمته في الميزان **حدثنا ابو الاحوص** بحاء
وصاد مهملتين واسمه سلام بتشديد اللام ابن سليم بالتصغير الامام الثقة الرواية توفي سنة
مائة وتسعة وسبعين واخرج له اصحاب الستة وقيل اسمه عوف بن مالك بن فضالة والصحيح
الاول **عن ادم بن علي** العجلي الثقة التابعي روى عن ابن عمر وغيره **قال سمعت ابن عمر** الصحابي
المشهور **يقول** حال او مفعول كما بينه النحاة وتقدم بيانه **ان الناس يصيرون يوم القيمة
جثى** هذا الحديث رواه البخاري في التفسير موقوفا على ابن عمر ومثله مما لا مجال للراي فيه
وله حكم المرفوع واحتمال انه سمعه من اهل الكتاب بعيد لا يعول عليه وكونه سمعه من صحابي اخر

هو
فهة
نحي
لك
ي

لا يضر لان مرسل الصحابي مقبول اقال هذا مما قال به اهل الاصول وقبله الايمة في مصطلح
الحديث وفيه بحث لانه يجوز ان يكون الصحابي ممن قرا الكتب القديمة او يكون استنبطه من كتاب
او سنة فينبغي تقييده بما ذكر وجثى بضم الجيم مقصور منون جمع جثوة مثلث الاول وجوز كسر
جيمه ايضا واصله الكوم المجتمع من تراب ونحوه فاستعير لمعنى الجماعة اي يجتمعون جماعات
كل امة جماعة تابعة لنبيها وروى البرهان عن الحافظ العراقي جثا بضم الجيم والمد وانه كذا صحح
في نسخ البخاري وصححه الهروي وابن الاثير وروي جثي بضم الجيم وكسر المثلثة وتشديد اليا
جمع جاث وهو البارك على ركبتيه وقيده بعضهم بان يجلس كذلك للخصومة ولا نشد واقوله

اخاصمهم مرة قائما • واجثو اذا ما جثو للركب •

ولا شاهد فيه وهذا خلاف القياس اذا صحت الرواية فلا يرد عليه ان فاعل لا يجمع على فعل كما قيل
كل امة تتبع نبيها يقولون حال من فاعل يقول اي تكون معه تابعة له بانضمامها اليه يا فلان
اشفع لنا يا فلان اشفع لنا اي تنادي كل امة نبيها باسمه يسالونه ان يشفع لهم عند ربهم في الخلاص
من هول الموقف كما مر فيجيبهم بانه لا يقدر على الشفاعة كما تقدم فيذهبون لغيره من الرسل فيجيبهم مثله
حتى تنتهي الشفاعة الى النبي صلى الله عليه وسلم اي حتى تنتهي الامم وسؤالهم لواحد بعد واحد يكون
غايته ان يلتجئوا له فيجيبهم ويشفع لهم فتقبل شفاعته ففي الحديث طي لجمل علمت من السياق ومن احاديث
اخر صرح فيها بذلك ومعنى تنتهي تبلغ وتصل كما يقال بلغ الامير قصتي وهذه هي الشفاعة العظمى
وقد تقدم ان له شفاعات اخر فذلك اي ما ذكر من الشفاعة وما معها يوم يبعثه الله المقام المحمود
اي كاين في ذلك اليوم بنصب يوم على الظرفية فان رفع يجعل الصفة المختصة به كانها عينه مبالغة
ويجوز اجان وعن ابي هريرة سئل عنها اي عن الاية المذكورة كما اشار اليها بقوله يعني عسى ان يبعثك
ربك مقاما محمودا وضمير يعني راجع لابي هريرة وهذا الحديث رواه احمد والبيهقي فقال اي رسول
الله صلى الله عليه وسلم جوابا عن السؤال هي الشفاعة العظمى الواقعة لفصل القضا وقيل لاخراج
المذنبين من النار والمشهور هو الاول وضمير هي راجع للشفاعة كقوله هي الحياة او للمقام وانث
رعاية للخبر او للاية بالتجوز على ان المعنى المقصود منها وقيل المراد انها هي الشفاعة في اليوم المسمى
بالمقام المحمود وهو تكلف جدا فروي عن كعب بن مالك الانصاري الصحابي احد الثلاثة الذين
تخلفوا عن غزوة تبوك وتاب الله عليهم بنص القران وهذا الحديث رواه احمد بن حنبل مسندا عنه
عليه الصلاة والسلام يحشر الناس يوم القيمة بعد الخروج يجمعون للحساب فاكون انا وامتي
على تل بمثناة فوقية مفتوحة ولام مشددة هو رابية من تراب او رمل ونحوه عالية مرتفعة وجمعه
تلول واتلال نادر وفي القاموس التل من التراب والكوم من الرمل وتفسيره بمكان عال كالجبل بيان
للمقصود او تسامح وفيه اشارة الى علو مقامه ومقام امته واللطف بهم في تخليصهم من زحام
الموقف ومشقته ويكسوني ربي حلة خضرا وفيه استيناس لما يلبسه الاشراف الان من العمامة
الخضرا وان كان ذلك مما حدث في زمن السلطان تمييزا لهم عن غيرهم وانه لم يكن النبي صلى الله عليه
وسلم فعل ذلك كما فصلناه في محله والحلة بضم فتشديد لام من برود اليمن ولا يسمى حلة الا اذا كان
ثوبين احدهما فوق الاخر او ثوب واحد له بطانة وسمي بذلك لان كلا منهما يحل على الاخر او لكونهما جديدين
كما حل طيهما ثم شاع في مطلق الكسوة النفيسة وكسوته صلى الله عليه وسلم بعد كسوة ابراهيم الخليل
في الزمن كما سياتي التصريح به في الحديث وليس فيه تفضيل له لان حلة نبينا اعلى واحسن وانما
قدم جزا لما فعله نمروذ حين عراه ليلقيه في النار ورعاية له بما يسر النبي لانه جده وزمنه اسبق

وسنه ازيد ثم يؤذن لي بالبنا للمجهول من الاذن اي ياذن الله لي بالتكلم بين يديه والشفا
لاهل الحشر اجمعين فيقال له قل واشفع تشفع كما مر فاقول ما شا الله ان اقول من حمد الله بمحامد لايقة
والشفاعة العظمى فذلك المقام المحمود وهذا لا ينافي تفسيره بالشفاعة العظمى كما قاله المحب
الطبري وذلك اشارة الى جميع ما تقدم من اول الحديث الى اخره وعن عمر في حديث سافرة وذكر
حديث الشفاعة معطوف على مقدر وقوله قال فيمشي يعني النبي صلى الله عليه وسلم بدل من قوله
ذكر حتى ياخذ بحلقة باب الجنة والحلقة معروفة بسكون اللام وجوز فتحها وانكره بعض اهل
اللغة كما تقدم والحديث تقدم بتمامه فيومئذ اي يوم اذ يمشي وياخذ بالحلقة واليوم على ظاهره
او بمعنى مطلق الوقت يبعثه الله المقام المحمود الذي وعده به في القران في قوله عسى ان
يبعثك ربك مقاما محمودا وهو مقام يشفع فيه لسائر الخلايق الشفاعة العظمى ويحمده فيه الاولون
والاخرون فلذا سمي بذلك ووعد مبني للمجهول ومفعوله الاول عايد على النبي صلى الله عليه وسلم
مستتر والبارز عايد على المقام ويجوز بناوه للفاعل ايضا وقيل المقام المحمود هنا وقوفه ثمة واخذه
بحلقة باب الجنة وهو مغلق ليفتحه فيدخلها من هو مقيم والحامدون له على هذا المسلمون واهل الجنة
لان من عداهم الباقي في النار فهذا تفسير اخر فتامله وعن ابن مسعود عنه عليه الصلاة والسلام انه
اي المقام المحمود الموعود قيامه عن يمين العرش مقاما لا يقومه غيره ظاهره ان المقام هو القيام نفسه
على انه مصدر وقوله مقاما منصوب على الظرفية وليس كذلك فان المراد ان المقام هو المحل الذي قربه
الله فيه قربا لم يتيسر لغيره وقيل المراد اقامته ومكثه في ذلك المكان فلا ينافي ما مر من ان الله يجلسه على
منبر عن يمين العرش يغبطه فيه الاولون والاخرون اي جميع الامم والناس والغبطة بالغين
المعجمة والموحدة والطا المهملة هي تمني المرء ان يناله مثل ما راه عند غيره من النعم وكل امر محمود من غير ان
يحب زوالها فان احب زوالها فهو الحسد المذموم وقيل الحسد تمني الامر المحمود مطلقا فهو اعم من
الغبطة ومنه ما يذم ويحمد والمشهور الاول يغبط بزنة يضرب وفي نسخة به والباء ظرفية او سببية
والغبطة لا ضرر فيها وقد يكون حسنة وفي الحديث هل يضر الغبط قال لا الا كما يضر العضاة الخبط
انتهى وفي النهاية الاثيرية ان الغبط لا يضر ضرر الحسد وانما يلحق الغابط منه ضرر يسير وانه
ينقص ثوابه كما يلحق العضاة بخبط ورقها والذي يظهر لي انه صلى الله عليه وسلم انما اراد انه لا ضرر
فيه على الغابط في امر محمود تمناه من غير تمني زواله بل ربما ناله منه نفع لجده في تحصيل مثله ولنيله
شيا من صاحبه فهو على حد قوله

• ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم • بهن فلول من قراع الكتائب •

ونحوه اي مثله معنى مروي عن كعب هو كعب الاحبار والحسن البصري وفي رواية هو
اي المقام المحمود المقام الذي اشفع لامتي فيه فتكون هذه الشفاعة غير الشفاعة العظمى لسائر
الناس وهو احد الاقوال في تفسيره كما في الشرح الجديد من عود الضمير لقيامه على يمين العرش
وان المراد بالشفاعة الشفاعة العظمى في فصل القضا وهي وان لم تكن خاصة بامته فهم المقصود
بالذات فيها تعسف لا حاجة اليه وعن ابن مسعود في حديث رواه احمد في مسنده اني لقايم المقام
المحمود بكسر همزة ان لوقوعها في ابتدا كلام مستانف وقيل انه جواب قسم مقدر اي والله
اني لقايم وفيه بيان لانه لا يجوز القسم في القدر المحمود ولذا اكد باني والاسمية وفيه نظر والمقام
منصوب على الظرفية او المصدرية قيل وما هو قيل ذلك يوم ينزل الله تبارك وتعالى على كرسيه
وفي نسخة على كرسيه الحديث اي اذكره وانظر تمامه وهو كما رواه احمد قيل له ما المقام المحمود قال

ذاك يوم ينزل الله على كرسيه فيئط كما يئط الرحل الجديد من تضايقه به وهو كسعة ما بين
السماء والارض ويجاء بكم حفاة عراة غرلا فيكون اول من يكسى ابراهيم فيقول الله اكسوا خليلي
فيؤتى بريطتين بيضاوين من رياط الجنة ثم اكسى على اثره ثم اقوم عن يمين الله مقاما يغبطني
الاولون والآخرون وهذا الحديث من المتشابه لانه تعالى منزه عن صفات الاجسام كالنزول
والجهة قيل ولذا تركه المصنف وهو تمثيل لتجليه لعباده بعظمته وجلاله واقباله عليهم لفصل
القضاء واجراء حكم عدله فيهم كما يتجلى الملك لجنده ورعاياه لينظر في امورهم ويقرب من شانهم
والكرسي غير العرش والحديث في المصابيح والكلام عليه مفصل في شروحه وعن ابي موسى عبد
الله بن قيس الاشعري الصحابي المشهور وهذا الحديث رواه ابن ماجه في سننه رواية عنه صلى
الله عليه وسلم خيرت اي خيرني الله بين احد امرين بين ان يدخل بالبناء للفاعل او المفعول
نصف امتي الجنة اي امة الاجابة لا الدعوة وبين الشفاعة لبعض المذنبين منهم الذين قد
استوجبوا دخول النار وليس المراد بها الشفاعة العظمى في فصل القضاء فاخترت الشفاعة
على دخول نصف امته الجنة بين وجه اختياره بقوله لانها اي الشفاعة اعم اي اشمل واكثر
من النصف وهذه الشفاعة غير الشفاعة فيمن دخل النار وقيل انها شاملة لها وهذه الشفاعة ثابتة
باحاديث كثيرة بلغ مجموع طرقها التواتر ولا يعتد بمن انكرها من الخوارج والمعتزلة تمسكا بقوله
تعالى ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع لان المراد بالظالمين الكفرة فان الشرك ظلم عظيم اترونها
بهمزة الاستفهام وضم المثناة الفوقية والضمير للشفاعة اي اتظنون الشفاعة خاصة للمتقين
جمع متق بكسر القاف اسم فاعل من التقوى وفي نسخة للمؤمنين قال البرهان والاول هو المحفوظ من
مشايخي ورواه واعلى من رواه المنقين بنون مفتوحة ثم قاف مفتوحة مشددة ثم مثناه تحتية ساكنة
جمع منقى اسم مفعول وهو النظيف وكذا في اصلنا لسنن ابن ماجه وهو اصل صحيح وكتب تجاهه على
الهامش ن ق وعليه تصحيح مرتين انتهى ففيه ثلاث روايات والمنقين من النقا قال المزي
وحسن هذه الرواية انه روي ولكنها للمذنبين الخطائين الملوثين فمقابلته بالملوثين تحسنه
وهي اسم مفعول من التلويث بمثناة في اوله ومثلثة في آخره والتلويث التلطخ بالاقذار لان الذنوب
كالنجاسة والخطائين جمع خطاء وهو الكثير الخطا وروى الترمذي شفاعتي لاهل الكبائر
من امتي وقيل المنقي بالنون عام لانه يعم ان يكون من تاب ثم نقي بالتوبة والمتقي اخص وفيه نظر
وعن ابي هريرة في حديث صحيح رواه الحاكم والبيهقي قلت يا رسول الله ماذا رد عليك في الشفاعة
بضم الراء المهملة وتشديد الدال المفتوحة مبني لما لم يسم فاعله كذا رواه البرهان واقتصر عليه
وروي ورد من الورود مبني للفاعل كما ذكره التلمساني وتبعه غيره من الشراح وما اسم استفهام
وذا اسم موصول بمعنى الذي ويجوز ان يكون اسم اشارة والراد الجواب وورد بمعنى جاء اي ما اجابك
به الله او الملك لما سالته الشفاعة في امتك فقال شفاعتي هو فاعل مرفوع تقديره ارجاني
او ورد علي ان اشفع لمن شهد ان لا اله الا الله لمن اقر بوحدانية الله ولم يقل واني رسول الله
اكتفاء باحد جزئي كلمة الشهادة للعلم بانه لا بد من الاتيان بهما في صحة الاسلام مخلصا حال من
الموصول اي غير مشوبة شهادته بشك او شرك فصدق لسانه بالنصب على المفعولية وقوله
قلبه مرفوع فاعله ويجوز عكسه اي يطابق اعتقاده لما نطق به وعن ام حبيبة في حديث
رواه الحاكم والبيهقي وهي ام المؤمنين بنت ابي سفيان بن حرب اخت معاوية واسمها رملة
على الصحيح وقيل هند وهي من السابقين الى الاسلام وترجمتها معروفة توفيت سنة اربع واربعين

قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اريت بضم الهمزة والبناء للمجهول اي اعلمني الله
واخبرني بواسطة الملك مما اطلعت به على ما يئول اليه فراي علمية ما تلقى امتي من بعدي وقيل
انه من باب الكشف عما سيكون بتوقيف من الله له كرامة وليس من الرؤية البصرية وسفك
بعضهم دماء بعض منصوب معطوف على ما تلقى وسفك الدم اراقته وصبه وهو مصدر مضاف
لفاعله قيل اراه ذلك وحيا او مشافهة او الهاما لما يقع بينهم من الحروب والفتن التي يقع فيها
القتل واراقة الدماء وسبق لهم من الله ما سبق للامم قبلهم ماض معطوف على تلقى صلة
الموصول اي رايت واعلمت بما سبق لامتي مما قدره الله عليهم واراده لهم فوقع على وفق ارادته
في الازل وعلمه القديم فسالت الله ان يؤتيني شفاعة فيهم يوم القيمة ففعل اي اعطاه
ما ساله فشفعه في المذنبين منهم وقال حذيفة بالتصغير وهو ابن اليمان الصحابي رضي الله عنه
صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث موقوف عليه رواه البيهقي والنسائي
يجمع الله الناس في صعيد واحد اي في مكان يجتمعون فيه غير متفرقين واصل معنى
الصعيد التراب فاريد به هنا ارض المحشر وقيل هو تربة ليس فيها رمل ولا سبخ يوم تبدل الارض
غير الارض والمراد بالناس الثقلان من الجن والانس او المراد الانس واقتصر على الاشراف فلا يرد
ان الجن والبهائم تحشر معهم ايضا حتى يسمعهم الداعي صوته وينزاه كما قال تعالى ثم اذا دعاكم دعوة
من الارض اذا انتم تخرجون ويسمع بضم التحتية مضارع اسمع وحيث ظرف مكان مبني على الضم
وينفذهم البصر بفتح المثناة التحتية وروي بضمها وكسر الفاء وعلى الاول هي مضمومة والمراد بصر
الرائي اي يراهم دفعة وليس المراد بصر الله كما قاله ابو عبيد وقيل المراد يبلغهم ويتجاوزهم
لانهم في ارض مستوية لا عوج ولا تحرفها وهو بالدال المهملة والمحدثون يروونه بالمعجمة وصحح
ايضا لانه لاحاطته بهم وتجاوزه كانه ينفذهم فلا وجه للرد مع صحة الرواية حفاة عراة منصوبا
على الحالية وحفاة جمع حافي وهو الذي لا نعل له ولا خف وقيل جمع حفي وهو الذي رق جلد قدميه
وعراة جمع عاري وقيل جمع عريان وهو قليل في الاستعمال وهو الذي لا ثوب له ولا لباس يستره
وينافيه ما روي في الحديث الصحيح ان ابا سعيد الخدري لما احتضر دعا بثياب جدد فلبسها
ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الميت يبعث في ثيابه التي يموت فيها وعن
معاذ بن جبل ايضا احسنوا اكفان موتاكم فانهم يحشرون فيها وجمع بينهما بان هذا محمول على الشهداء
وثيابه التي قتل فيها والحديث وارد فيهم وابو سعيد حمله على العموم وقيل ان بعضهم يحشر عاريا
وبعضهم بثيابه وقيل انهم يحشرون باكفانهم ثم تتناثر في المحشر وقيل المراد بثيابهم اعمالهم كقوله
ولباس التقوى ذلك خير ولا يخفى ما في هذا من الضعف فليحرر كما خلقوا اي كائنين على حال
خلقهم الاول من غير نقص شيء من اجزائهم كما ورد غرلا سكوتا جمع ساكت حال من الناس
او من ضمير خلقوا لا تكلم اصله تتكلم فخفف الا باذنه فلا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وهذا
في موقف وقوله هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون في موقف آخر او الثاني مخصوص
بذوي الاعذار الباطلة فلا تعارض بينهما وبهذا يجاب عن قوله واقبل بعضهم على بعض يتلاومون
وقوله يوم تاتي كل نفس تجادل عن نفسها فينادي بالبناء للمجهول محمد بالتنوين نائب
الفاعل او هو غير مبني على الضم والنداء بمعناه الظاهر اي يقال له يا محمد بحذف حرف النداء وعلى
الاول ينادي بمعنى يدعى ويطلب وكلا الوجهين فيقول لبيك وسعديك منصوبان على المصدرية
بفعل لا يظهر في الاستعمال من التلبية وهي اجابة المنادي من لب بالمكان اذا اقام ولا يستعملان

الا بصيغة التلبية فالمراد بها مجرد التكثير ولو مرارا عديدة اي اجبتك اجابة بعد اجابة
واسعدك بطاعتي لك وانا مقيم على ذلك لا انصراف عنه والخير في يديك والشر ليس
اليك اي مقصبك بالعرض وصادر عنك بالتبع لان بعض ما يتضمن الخير الكثير يستلزم شرا
قليلا فكان ترك الخيرات الكثيرة لاجل ذلك الشر القليل شرا لا يصدر عنه وهو المنزه عن الفحشاء
ولا يجري في ملكه الا ما يشاء والى هذا اشار القاضي في تفسيره والمعتزلة قدروا في مثله
والشر ليس منسوبا اليك واستدلوا به على مذهبهم وغيرهم قدره والشر ليس متقربا به اليك كما يتقرب
الى بعض ظلمة الملوك ببعض القبائح قاله القرافي في قواعده والمعنى لا يضاف اليك تادبا وقيل
المعنى لا يصعد اليك فانه انما يصعد اليه الكلم الطيب واليد اسم للجارحة المعروفة واصله
يدي بالسكون لقولهم في جمعه ايد وقيل يدي بالفتح لقولهم في تثنيته يديان واستعير للنعمة
وللملك والتصرف والقدرة والقوة والنصرة واذا اضيف الى الله يراد به المعنى المجازي
لتنزهه عن الجارحة وهي هنا وفي قوله لما خلقت بيدي اشارة الى زيادة تصرفه فيه
واختصاصه به وحمل الخير مستقرا فيهما ترشيحا للاستعارة والاحسن ان يقال انه اشارة
لما مر من ان وجهي تصرفه في الموجودات بالخير والشر خير كله فتدبر والمهدي من هديت
اي الموفق للهداية من خلقته مهديا ووفقته لطاعتك وتعريف الطرفين يفيد الحصر
اي لا مهدي الا من هديته وعبدك بين يديك اراد به نفسه اي انه حاضر لديه واقف في
مقام المذلة والفقر وقيل انه تشبيه لقربه من ربه ومزيد اختصاصه من بين الجهتين المسامتتين
ليدي الانسان واستعير لذلك ولك واليك اي امره كله لك فانه عبدك وامره موكول اليك
لا ملجأ بالهمز والقصر للازدواج اي لا يلتجي ولا يستند لاحد سواك ولا منجا بلا همز اتى به
للازدواج اي لا يخلصه ولا يخلصه احد منك اي هو عبدك ومصيره اليك الا اليك وليس باتباع
ولا لف ولا نشر كما قيل تباركت وتعاليت اي كثر خيرك وزاد عن كل شيء وعلا قدرك في ذاتك
وصفاتك وتنزهت عما لا يليق بك والكلام عليه مفصل في التفسير سبحانك اي تنزهت رب
البيت بالرفع خبر مبتدا مصدر والنصب على النداء اي يا رب البيت والمراد به الكعبة او البيت المعمور
في السما ولما كان البيت قد يشعر بالحلول قدم التنزيه عليه احترازا عن توهمه وقال رب البيت دون
رب العالمين اظهارا لشرفه وشرف الحج اليه المناسب جمع الخلايق فيه بالمحشر وهم عراة حفاة قال
اي النبي صلى الله عليه وسلم لانه معلوم من السياق او جعل نقمة راويه وهو في حكم المرفوع فذلك
اي المقام الذي جمع فيه ووقع فيه هذه المناجاة هو المقام المحمود الذي ذكره الله في القران
في قوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا وقال ابن عباس اذا دخل اهل النار النار قدمه
ترهيبا وترغيبا في تجنب سبب دخولها ولان ذكر النقمة بعد النعمة اوقع في النفس والجنة الجنة
بجر الاول ونصب الثاني اي ودخل اهل الجنة الجنة والمراد غالب اهل النار وغالب اهل الجنة بدليل
قوله فبقي اخر زمرة من الجنة اي من اهل الجنة واخر زمرة من النار اي من اهل النار والزمرة الجماعة
القليلة ومنه شاة زمرة اي قليلة الشعر ورجل زمر قليل المروة او من الزمر وهو الصوت لانها لا
تخلو عنه فتقول زمرة النار اي الزمرة الباقية من اهل النار لزمرة الجنة اي للزمرة الباقية
من اهل الجنة الذين لم يؤذن لهم في دخولها ما نفعكم ايمانكم ما استفهامية انكارية او نافية
خبرية اي لم ينفعكم ولم يغن عنكم شيا لانهم لجهلهم باحوالهم ظنوا انهم لا يدخلون الجنة وانهم
منعوا من دخولها فيدعون ربهم الضمير للزمرة المختلفة من اهل الجنة ويضجون اي يصيحون

ويرفعون

ويرفعون اصواتهم فزعا مما لحقهم من تعيير اهل النار واصل الضجيج بضاد معجمة وجيم الصياح
من الفزع للحوق المكروه والضجة ارتفاع الاصوات المختلفة مطلقا فيسمعهم اهل الجنة اي يسمعون
صياحهم واستغاثتهم بربهم ليأذن لهم في دخول الجنة فيسالون آدم ان يشفع لهم في دخول
الجنة وغيره بعده اي يسالون بعد آدم غيره من الانبيا كنوح وابراهيم وموسى وعيسى في الشفا
لهم فكل يعتذر لهم بانه لا يقدر على الشفاعة ولم يؤذن له فيها كما مر تفصيله حتى ياتوا محمدا صلى
الله عليه وسلم بعد ما يئسوا من شفاعة غيره من الرسل فيشفع لهم فذلك المقام المحمود الذي يحمده
فيه الناس ويظهر فضله على جميع الرسل وهذا الحديث موقوف على ابن عباس وهو في حكم المرفوع
ونحوه اي في معناه حديث مروي عن ابن مسعود ايضا ومجاهد وذكره علي بن الحسين بن علي
بن ابي طالب وهو زين العابدين كما تقدم عن النبي صلى الله عليه وسلم اي مرفوعا وما قبله موقوف
وقال جابر بن عبد الله الصحابي وقد تقدمت ترجمته ليزيد الفقير هو ابن صهيب ولقب بالفقير
لانه اصيب في فقار ظهره وكان يشكو منها وفقار الظهر خرزات العظم التي من عجب الذنب الى نقرة
القفا وهي اثنتان وثلاثون فقرة فهو فعيل بمعنى مفعول وقول عائشة ارتكبوا منه الفقر
الاربع استعارة اي انتهكوا له حرمات اربع الصحبة والصهر والخلافة والبلد وهذا الحديث
رواه مسلم ويزيد هذا امام ثقة روى عنه ابو حنيفة واصحاب الكتب الستة سمعت بفتح تاء
سمعت للخطاب واصله اسمعت فحذف همزة الاستفهام او هل اي اسمعت او هل سمعت بمقام محمد
صلى الله عليه وسلم اي هل رويت فيه شيئا تفسيره يعني الذي يبعثه الله فيه اي جابر اراد
السؤال عن حقيقة المقام المذكور في قوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا وفي قوله
فيه اشارة الى انه منصوب على الظرفية وانه محل القيام حقيقة قال يزيد نعم اي سمعت ما ورد
فيه اجمالا قال اي جابر بن عبد الله البجلي الصحابي المشهور وكان الظاهر ان يقول فقال
فانه مقام محمد المحمود الذي يخرج الله به من يخرج يعني من النار ضمير به للنبي صلى الله عليه
وسلم او للمقام اي يخرج الله بسبب الشفاعة الواقعة فيه فالمراد به مقام آخر فيه شفاعة
غير الشفاعة العظمى لاهل المحشر واليه اشار بقوله وذكر اي جابر حديث الشفاعة في آخر
الجهنميين اي المنسوبين لجهنم لانهم المؤمنون الذين دخلوا النار بمعاصيهم وهذا بعض من
حديث رواه مسلم اقتصر المصنف على محل الشاهد لما هو بصدده ولفظه قال يزيد الفقير كان قد
شغفني رأي من رأي الخوارج فخرجت في عصابة ذوي عدد نريد ان نحج ثم نخرج على الناس قال فمررنا على المدينة فاذا
جابر بن عبد الله جالس الى سارية يحدث الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذا الذي يقولون
والله يقول انك من تدخل النار فقد اخزيته وكلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها فما هذا
الذي يقولون فقال اتقرأ القرآن قلت نعم قال فهل سمعت بمقام محمد المحمود الذي يخرج به
من يخرج ثم نعت وضع الصراط ومر الناس عليه قال واخاف ان لا اكون احفظ ذاك وقال غير
واحد ان قوما يخرجون من النار بعد ان يكونوا فيها كانهم عيدان السماسم فيدخلون نهرا من
انهار الجنة فيغتسلون فيه فيخرجون كانهم القراطيس الى آخر الحديث الذي رواه مسلم والكلام
عليه مبسوط في شروحه فالمعنى ان يزيد امال الى رأي الخوارج في خلود عصاة المسلمين في
النار فلما سمع من جابر ما رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم علم بطلان رأيهم ورجع عنه
وعن انس في حديث رواه احمد في مسنده نحوه اي ما هو في معنى الحديث وقال انس
بعد ما ذكر ما تقدم فهذا المقام الذي وعده بالبنا للمجهول ونائب الفاعل ضمير النبي صلى الله عليه

المحمود صح

وسلم والضمير البارز للمقام وفي رواية انس وابي هريرة وغيرهما في حديث رواه الشيخان دخل حديث بعضهم في حديث بعض اي وافق رواية كل منهم رواية غيره لفظا ومعنى
قال عليه الصلاة والسلام فيجمع الله الاولين والآخرين يوم القيمة في ارض المحشر للحساب وفصل القضا فيهتمون افتعال من الهم بمعنى الحزن او العزم يقال اهتم اي اغتم وحزن واهتم بكذا اذا جعله من همه وليس من الهمهمة وهي الصوت الخفي او قال فيلهمون بالبنا للمجهول من الالهام وهذا شك من الراوي في لفظ الحديث اي يلهمهم الله فيقولون لو استشفعنا الى ربنا اي لو طلبنا من يشفع لنا عند الله في ان يخلصنا من هول هذا الموقف وشدته ولو للتمني هنا وقد ذكره النحاة مفصلا في بابه فنزلوا الشفاعة لخوفهم منزلة الممتنع الذي لا يمكن
وفي طريق عنه عليه الصلاة والسلام اي في رواية اخرى ماج الناس بعضهم في بعض اي دخل بعضهم في بعض واختلطوا لاضطرابهم وعن ابي هريرة في حديث الشفاعة الذي رواه الشيخان وتدنو الشمس اي تقرب من رؤوس اهل الموقف فيبلغ الناس من الغم اي من الكرب وشدة الحر ما لا يطيقون اي ما لا يقدرون على تحمله ولا يحتملون عطف تفسير اي لا يقدرون ولا يستطيعون فيقولون الا تنظرون من يشفع لكم اي يقول بعضهم لبعض هذا الكلام
فيأتون آدم بدأوا به لانه اول الانبياء وابوهم المشفق عليهم كما قال زاد بعضهم فيقولون انت آدم ابو البشر فينبغي لك ان تشفع لهم وترحمهم خلقك الله بيده اي اوجدك من العدم بقدرته من غير واسطة واب ونفخ فيك من روحه اضافة الروح له للتعظيم والاختصاص ونفخ الروح ايجادها متصلة بجسده كما يقال بيت الله واسكنك جنته بعد نفخ الروح فيه وايجاده والمراد الجنة المعروفة على الاصح وقيل المراد بستان في الارض والخلاف فيه مشهور في كتب التفاسير والادلة من الطرفين مفصلة في محلها واسجد لك ملائكته اي امرهم بالسجود لك سجود تحية وتعظيم له وادا لحقه لا سجود عبادة هو كالقبلة له وكان ذلك جائزا شرعا ثم نسخ وعلمك اسماء كل شيء كما ذكره الله في القرآن وهذا كله مما يدل على شرفه وعلو رتبته عند ربه ومزيد قربه المقتضي لقبول شفاعته كما بينه قوله اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا وهو المحشر ويريحنا بمعنى يحصل لنا راحة الا ترى ما نحن فيه من الكرب والهول الذي لا يطاق فيقول لهم آدم ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله اي اظهر شدة غضبه وسخطه على من عصاه من ايقاع العذاب الذي في الآخرة بادخالهم النار وهذا لم يكن قبل يوم القيمة ولا بعده فلذا خاف آدم وقال ونهاني عن الشجرة اي عن الاكل منها والمراد بها العنب الذي في الكرم او الحنطة وسماها شجرة مجازا لان الشجر ما له ساق فعصيت اي خالفت امره بالاكل منها وفي كون هذا معصية كلام سيأتي في عصمة الانبيا نفسي نفسي اعتذار عن تركه الشفاعة لهم لخوفه على نفسه وكررها تأكيدا او بيانا لانه لا يقدر على قضاء مصلحة غيره لاشتغاله بنفسه وذكر الانبيا مرتبا الاول فالاول والاقدم فالاقدم على وجه يظهر به فضل نبينا صلى الله عليه وسلم اذهبوا الى غيري من الرسل يشفع لكم ثم بين من يذهبون اليه فقال اذهبوا الى نوح فانه الاب الثاني لكم بعدي ولم يقل اذهبوا الى محمد ليعلم فضله بانه هو صاحب الشفاعة وانها منحصرة فيه فيقولون انت اول الرسل الى اهل الارض كافة لانحصارهم وانحصار التبليغ فيه وهذا لا ينافي اختصاص عموم الرسالة بنبينا

صلى الله عليه وسلم لان عمومها لا يختص بعصره وقال ابن حجر لانه لم يكن بعد الطوفان الا من كان مؤمنا معه وقد كان مرسلا اليهم والعموم لم يكن في اصل بعثته وانما اتفق بعده بالحادث الذي وقع وهو انحصار الخلق الموجود من بعد هلاك سائر الناس واما نبينا صلى الله عليه وسلم فعموم رسالته من اصل البعثة فثبت اختصاصه بذلك واما كونه اول رسول كما صح في حديث الشفاعة فالمراد به انه اول رسول ارسل الى جميع اهل الارض في حياته فليس المراد عموم بعثته مطلقا بل اثباتا اولية ارساله ولو سلم فهو مخصوص بعد آياته على ان بعثة نوح كانت الى قومه ولم يذكر انه ارسل الى غيرهم واستدل على عموم رسالته بدعائه على جميع من في الارض فاهلكوا غير اهل السفينة ولولاه ما اهلكوا لقوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وقد ثبت انه اول الرسل واجيب بجواز ان يرسل غيره في زمنه وعلمه بانهم لم يؤمنوا فدعا عليهم وهو حسن لو نقل مجي رسول في زمنه غيره او خصوصية نبينا ببقاء شريعته الى يوم القيمة او دعوته الى قومه بتوحيد بلغ الناس عنه فتمادوا واستحقوا العقاب والبه ذهب ابن عطية في سورة هود ويبعد علم بلوغ نبوته القريب والبعيد مع طول مدته وقال ابن دقيق العيد يجوز ان تكون الدعوة للتوحيد عامة في بعض الانبيا وان لم تعم فروع شريعته لان منهم من قاتل غير قومه على الشرك ويحتمل انه لم يكن في عصره غير قومه فبعثته خاصة وان عمت صورة اقول هذا ما قاله ابن حجر في شرح البخاري ولم يبين كون نوح اول الرسل مع من تقدمه من الانبيا وتحقيقه ان آدم صلى الله عليه وسلم كان نبيا رسولا ولكنه ارسل لبنيه ولم يظهر للكفرة في حياته قوة وانتشار فكان كالمعلم الضابط لاهله وخدمه فلذا لم يكن كغيره من الرسل وادريس تنبأ في زمنه وشيث كان وصيه الى ان بعث الله نوحا فاظهر الناس الكفر ومخالفة دعوته حتى احتاج الى اهلاكهم فهو اول رسول بعث لدعوة الناس ومجاهدتهم ومن قبله لم يكن كذلك كما لا يخفى وسماك الله عبدا شكورا في الكتب القديمة لانه كلما اكل او شرب شكر ربه فاشتهر بذلك في الامم السالفة والصحف الموحى بها كما نقله في تفسير قوله تعالى ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا على الاصح من ان الضمير راجع له لا الى موسى كما قيل فانه قول غير مرضي الا ترى ما نحن فيه من شدة الموقف وهوله الا ترى ما بلغنا بسكون الغين المعجمة وفتحها اي ما وقعنا فيه من الكرب او ما وصل الينا منه وقال النووي الاصح المعروف فتح الغين بدليل انه روي الا ترون ما بلغكم ولو كان بالاسكان قال ما بلغتم والوجه ما تقدم الا تشفع لنا الى ربك في الخلاص مما نحن فيه فيقول مثله اي ما تقدم بعينه وفي نسخة التصريح به فيقول ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله نفسي نفسي وقد تقدم شرحه ويذكر خطيئته التي اصاب صفة خطيئة والعائد محذوف اي التي عملها الانبيا معصومون كلهم ولكنهم لشدة تعظيمهم لله وخوفهم منه يعدون ما صدر منهم نسيانا او سهوا وغفلة ذنبا عظيما والمراد بخطيئته ما فسره بقوله سؤاله ربه بغير علم فهو منصوب بدل او عطف بيان من قوله خطيئة مفعول يذكر وقوله بغير علم صفة مصدر محذوف او حال اي سؤالا كائنا بغير علم منه بان ما ساله لا يليق ان يساله وهو قوله رب ان ابني من اهلي وقد وعدتني ووعدك ان تنجي اهلي من الغرق وهو منهم فنجه فقيل له انه ليس من اهلك الذين آمنوا وعملوا الصالحات وانه عمل غير صالح فلا تسأل ما ليس لك به علم وابنه هذا هو كنعان وليس ربيبه وابن زوجته كما زعم اهل الكتاب قيل انما عاقه

هذا عن الشفاعة وزجره وجعل جهلا لانه من سؤال سبق عليه القول من اهله ودلت الحال
على ما يمنعه من السؤال ولكن حب الولد شغله حتى اشتبه عليه الامر وهذا قريب من قول
من قال انه ظنه مؤمنا بدليل قوله اركب معنا ولا تكن مع الكافرين فلا وجه لتخطئته قائله وفي
رواية ابي هريرة في حق نوح وقد كانت لي دعوة دعوتها على قومي اشارة الى ما ورد في
الحديث ان لكل نبي دعوة والمراد ان الله وعد كل نبي بان يجيب له دعوة يدعو بها على جميع امته
فتستجاب او يدعو بها لهم فلا ينافي كون دعا الانبيا مستجابا وهذا اعتذار منه في ترك الشفاعة
ولذا عقبه بقوله اذهبوا الى ابراهيم فانه خليل الله وابو الانبيا ومقتداهم فانه احق بالشفاعة
واقدر عليها مني فياتون ابراهيم فيقولون انت نبي الله وخليله من اهل الارض اي انفردت
من بينهم بالخلة كما تقدم وفيه اشارة الى انه اهل للشفاعة اشفع لنا الى ربك الا ترى الى ما
نحن فيه فيقول ان ربي قد غضب اليوم غضبا فذكر مثله اي مثل ما تقدم ويذكر ثلاث
كلمات كذبهن هو قوله اني سقيم لما دعي الى الاصنام وقوله لزوجته لما طلبها الملك منه
انها اختي وقوله في حق الاصنام فعله كبيرهم هذا وهذا كله مخالف للواقع ولاعتقاده الا ان
ابراهيم على نبينا وعليه افضل الصلاة والسلام لم يقصد به حقيقته وانما قاله بضرب من التاويل
قصده فليس بكذب فانه من المعاريض من وجه منه وانما سماه كذبا نظرا لما يظهر منه للمخاطب
وخاف ان يؤاخذ به لعلو مرتبته وعظمة الربوبية عنده وان مقامه يقتضي ان لا يري
مخلوقا ويخافه وعد منها في مسلم قوله في الكواكب هذا ربي والمشهور خلافه لانه ذكره على طريق
الالزام والجدل ويلزم منه زيادة على الثلاثة وقد صرح بالحصر فيها في بعض الروايات وقيل في
قوله اني سقيم انه كانت به حمى خفيفة لا تعد سقما وفيه نظر والا فهو كسائر الانبيا معصوم من
الكذب وغيره وسياتي تفصيله في محله ان شا الله تعالى وهذا اعتذار في عدم الشفاعة نفسي نفسي
اي انا مشغول بنفسي وتخليصها لست لها اي اهلا للشفاعة لغيري ولكن عليكم بموسى
استدرك لدفع ما لزم من كلامه الاول من خيبة املهم ويأسهم من الشفاعة وعليكم اسم فعل
والباء زائدة اي الزموه فانه اقرب مني واقرب الى الله وهذا تواضع منه ثم بين مرتبته عليه بقوله
فانه كليم الله اي انه كلم الله في الارض شفاها من غير واسطة فهو اقوى على الشفاعة مني وقربه
نجيا اي جعله قريبا منه حال كونه نجيا له اي مناجيا ومخاطبا له والقرب ليس مكانيا بل رتبيا
فانه اتاه الله التورية التي هي اعظم الكتب الالهية قبل القرآن وكلمه بيان لكونه كليما والمراد
اوحى اليه كلامه قال فياتون موسى فيقول لست لها اي لست اهلا للشفاعة لكم ويذكر موسى
خطيئته التي اصاب اي التي وقعت منه وعاتبه الله عليها بقوله ما اعجلك عن قومك يا موسى
كما هو مبين في التفسير وقتله النفس وهو القبطي الذي استغاثه الاسرائيلي عليه فوكزه فمات
ولم يكن عامدا للقتل وانما دفع الصائل ومثله جائز لكنه خشي المؤاخذة ولذا استغفر منه وعده من
عمل الشيطان فلا ينافي هذا عصمته ثم قال كما قال غيره نفسي نفسي ولكن عليكم بعيسى
فانه روح الله وكلمته تقدم بيانه مفصلا فيقول لست لها ولكن عليكم بمحمد عبد بدل
مجرور لا صفة كما قيل لانه نكرة ويجوز رفعه ونصبه غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما
تاخر اي غفر الله له كل ما صدر عنه مما يعاتب عليه وان لم يكن معصية لعصمته ومن كان كذلك
فهو حقيق بقبول الشفاعة فاؤتى بالبنا للمفعول اي فياتيني اهل الموقف لسؤال الشفاعة لهم
فاقول لهم انا لها الفا مضمومة اي فيسالوني ان اشفع لهم فاقول لهم انا اهل للشفاعة [illegible]

لها فاستاذن على ربي اي اطلب منه ان ياذن لي في القرب منه والشفاعة للناس فيؤذن
بالبنا للمجهول اي ياذن الله لي في الدخول الى مكان لا يقف فيه داع الا اجيب وهو موقف
ليس بينه وبين الله حجاب فيه وانما ننتقل من موقف العرض والحساب الى موقف آخر لان الموقف
الاول محل سياسة وخوف والثاني موقف كرامة ولطف ورحمة فهو دال على قبول الشفاعة والطمأنينة
قلب الشفيع فاذا رايته وقعت ساجدا اي اذا رايت ربي عيانا سجدت تعظيما لله وشكرا له على
تعريفه له وفيه دليل على وقوع رؤية الله في الآخرة وفي رواية فآتي تحت العرش اي
آتي انا مكانا تحت العرش قريبا منه فاخر ساجدا اي اقع واسقط في ذلك المكان ساجدا
لله وقال الراغب خر بمعنى سقط سقوطا يسمع منه صوت كصوت خرير الماء والريح وغير
ذلك مما يسقط من علو وقوله تعالى وخروا سجدا استعمال تنبيه على اجتماع امرين السقوط
وحصول الصوت منهم بالتسبيح وقوله وسبحوا بحمد ربهم تنبيه على ان ذلك الخرير كان تسبيحا
بحمد الله لا بشي آخر انتهى وقال العلما في هذا المكان الذي ياتي له يسمى فحصة العرش وهي
دار عظيمة وجنة هي اوسع الجنان واكثرها بساتين يجتمع فيها اهل الجنة لرؤية ربهم في كل يوم
جمعة ولم تعد الا للرؤية واكرام من اكرمه الله برضوانه ومشاهدة عظمة ملكوته مع تنزهه
عن الحلول والمكان وفي المشارق بدل قوله فاوتي فيا توني وفي شرحه للكازروني الله يسمع
بتشديد النون وبه ضبط قال البرهان مقدارها كل سجدة جمعة من جمع الدنيا كما في مسند احمد
وقيل مقدارها سبع سنين فانظره وفي رواية فاقوم بين يديه اي يدي الله وهو تمثيل
لشدة القرب منه وتصويره وقيل الضمير للعرش وهو بعيد ركيك فاحمد بمحامد لا اقدر عليها
اي لا احسنها ولا اعرف كيفيتها في الدنيا الا ان يلهمنيها الله اي الا ان يوقعها الله في قلبي
بالهام منه والهام الانبيا نوع من الوحي وهو في غيرهم ليس بحجة لانه لا ينبني على دليل
وفي رواية فيفتح الله علي من محامده وهو قريب معنى من قوله يلهمني لان الفتح ازالة
الاغلاق الحسي كفتح الباب والقفل ثم شاع في حصول الشي ابتدا من غير عسر وحسن الثنا
عليه هو عطف تفسير لما قبله شيا لم يفتحه على احد قبلي مطلقا او المراد انه لم يتيسر لغيري
من الرسل قبله ولا بعده فتفنه اكتفا فيقال لي وانا ساجد ارفع راسك من السجود وسل ما شئت
من الشفاعة وغيرها وسل تعط واشفع تشفع والفعلان مجزومان في جواب الامر فارفع
راسي فاقول يا رب امتي يا رب امتي اي ارحم او نج امتي وفي رواية امتي امتي بدون قوله
يا رب وهو في معنى الرواية الاولى على الصحيح وقيل انه يحتمل البدل اي يا امتي وناداهم ليا توه
ويكونوا معه ليخلوا مما هم فيه وانما خصهم على ان هذه الشفاعة هي الشفاعة العظمى الشاملة
لسائر الامم اعتنا بهم واشارة الى انهم المقصودون بالذات من بينهم وحذف العامل لضيق
المقام وشدة الاهتمام بتعجيل خلاصهم ولذا كرر فيقول الله له تكرر رفع راسه ادخل من امتك
اي ائذن له في دخول الجنة من لا حساب عليه اي خواص امتك المتقين الذين لا ذنب لهم
يحاسبون بسببه من الباب الايمن من ابواب الجنة الذي هو اشرف ابوابها وهو الباب
الثامن وهو مخصوص بانبيا هذه الامة وهم اي بقية الامة وهم فيما سواه من الابواب وهي
باب الصدقة وباب الصوم ويقال له الريان وباب الجهاد وباب التوبة وباب الكاظمين الغيظ
والعافين وباب الراضين وباب الصلاة كما بينه المصنف في شرح مسلم ولم يذكر في رواية
انس هذا الفصل الذي في رواية ابي هريرة من قوله فيقال يا محمد ارفع راسك الى هنا ثم قال

شركا الناس صح

مكانه وفي نسخة وقال مكانه اي آتي به بدلا منه فاخر ساجدا فيقال لي يا محمد ارفع
راسك وقل يسمع لك واشفع تشفع واسال تعطه اي اذهب من مقام الشفاعة المقرب به
من كان في قلبه مثقال حبة من بر او شعير المثقال بكسر الميم وسكون المثلثة معناه موازن
ومواز لانه يقابله ليعرف مقدار ثقله فيعبر به عن مطلق المقدار وهو من بر الى آخره بيان لحبة
وهي واحد البر المعروف وقوله من ايمان بيان لمثقال اي من كان في قلبه اقل قليل من الايمان
والموزون صحف الاعمال او هي نفسها بنا على جواز تجسيم الاعراض وامور الاخرة لا تقاس بامور
الدنيا فاخرجه بقطع الهمزة امر من الاخراج معطوف على الامر قبله فانطلق فافعل ما امرني
به الله من اخراج من في قلبه اقل قليل من الايمان وهذه الشفاعة ان كانت الشفاعة العظمى فالمراد
باخراجهم تخليصهم من هول الموقف وكربه وان كان المراد ما بعده فالمراد اخراجهم من النار
والانطلاق كان من مكان القرب الذي وقع فيه الشفاعة كما تقدم ولذا قال ثم ارجع الى ربي
فاحمده بتلك المحامد التي الهمنيها كما تقدم وذكر مثل الاول اي مثل الكلام الاول في قوله
فاخر ساجدا الى آخره وقال فيه اي في الحديث الذي رواه مسلم مثقال حبة من خردل
وهو حب معروف في غاية الصغر والمعنى واحد في كونه كناية عن غاية قلة الايمان فافعل
ثم ارجع الى ربي وذكر مثل ما تقدم وقال فيه كما رواه مسلم من كان في قلبه ادنى ادنى
ادنى هو افعل تفضيل من الدنو واصل معناه القرب في المكان او الزمان او المنزلة كقوله تعالى
قنوان دانية ثم عبر به عن الاقل ويقابل بالاكثر وعن الاصغر ويقابل بالاكبر وعن الارذل ويقابل
بالخير كما قال تعالى اتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير وافعل هنا مضاف لما بعدها للمبالغة
اي اقل من الاقل وفي صحيح مسلم من رواية انس تكرير لفظ ادنى ثلاثا وهو كذلك في بعض
نسخ الشفا وفي بعضها كرر مرتين ووقع كذلك في بعض صحيح البخاري من رواية الكشميهني
من مثقال حبة من خردل فافعل بيان لادنى الادنى وقوله فافعل اي اخرج من في قلبه اقل
قليل من الايمان وذكر في المرة الرابعة من رجوعه الى ربه ومراجعته له في الشفاعة فانه وقع
مرارا في رواية البخاري وفيما ذكر دلالة على ان الايمان يزيد وينقص فان قلنا بدخول اعمال
الطاعة فيه مطلقا او الفرض فهو ظاهر وان قلنا انه مجرد التصديق القلبي فاختلف فيه فقيل
لا يقبله فانه لا يقبله الا باحتمال النقيض وهو كفر وذهب العضد وغيره من المحققين الى انه يقبله
ايضا فان اعتقادنا وتصديقنا ليس كتصديق الانبيا وتفاوته باعتبار قبوله التشكيك
وعدمه وتحقيقه في الكتب الكلامية فيقال لي ارفع راسك وقل يسمع اي يجب ويقبل رجاؤك
واشفع تشفع وسل تعطه فاقول يا رب ايذن لي في الشفاعة واخراج من قال لا اله الا الله
اي من نطق بكلمة التوحيد والظاهر انه مع اعتقاده لذلك اعتقادا اما من غير مناقشة له
وتفتيش عن حاله فما قيل من انه ان اعتبر تصديق القلب للسان فهو كمال الايمان فاوجه الترقي
من الادنى المؤكد وان لم يعتبر دخل فيه المنافق وهو مشكل غير متجه فتدبر قال اي الله تعالى
ليس ذلك اليك اي ليس ذلك مفوضا اليك بل الي ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي قسم
دال على تحقق المقسم عليه والعزة الغلبة والقهر والكبرياء بمعنى الترفع عن الانقياد والعظمة
ظهور ذلك وزيادته وهي متقاربة وجبريائي بالمد مضاف لياء المتكلم وجيمه مكسورة وجوز
فتحها وباؤه ساكنة وقيل انه مقصور ومد لمشاكلة الكبريا وورد ما سمع كذلك من غير ازدواج
وهو والجبروت بفتح البا وسكونها بمعنى وتاؤه للمبالغة كالملكوت لاخرجن من النار من قال

لا اله الا الله من غير شفاعة احد واستدل بهذا الكرامية على ان مجرد النطق بكلمة الشهادة
كاف في صحة الايمان ولا حجة لهم فيه وفيه رد على من قال بخلود اصحاب الكبائر من المعتزلة
وما خص النبي باخراجه من اثمر ايمانه مزيد يقين او عمل ما وما اخرجه رب العزة من تحقق ايمانه
على كل شي غيره ويدل له قوله في حديث الشيخين الذي فيه لم يبق الا ارحم الراحمين فيقبض قبضة
من النار يخرج فيها قوما لم يعملوا خيرا قط يعني غير قولهم لا اله الا الله خالصا من قلبه كما ورد في
رواية اخرى وقوله من قلبه للتاكيد كنظرت بعيني وسمعت باذني ومن رواية قتادة عنه
اي عن انس قال اي انس لا النبي صلى الله عليه وسلم كما توهم لان الشك في قوله فلا ادري
في الثالثة او الرابعة انما هو من الراوي فالمراد بالثالثة والرابعة مرات مراجعته ربه
والانطلاق لاخراج المشفوع لهم قيل في هذا الحديث اشكال لان اوله يدل على ان هولاء اهل
الموقف والمحشر وآخره يدل على انهم دخلوا النار فاخرجوا منها بشفاعته واجيب بانهم
صاروا فرقتين فرقة في المحشر شفع لهم فلم يدخلوا وفرقة دخلوها ثم اخرجوا منها بشفاعته ففي
الكلام اختصار وطي فاقول يا رب ما بقي في النار الا من حبسه القرآن اي وجب
عليه الخلود اي لم يبق بعد هولاء الخارجين الا من حكم الله في القرآن بخلوده في العذاب
ولم يؤذن في الشفاعة لهم وهم المنافقون والكفار لقوله تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل
من النار ولن تجد لهم نصيرا اي شفيعا وقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ونحوه من الايات
كقوله ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا وعن ابي بكر وعقبة بن عامر وابي
سعيد الخدري الصحابي المشهور وحذيفة بن اليمان مثله اي مثل الحديث السابق الذي
رواه الشيخان وحديث هولاء رواه احمد واصحاب السنن قال اي قال كل واحد منهم او النبي
صلى الله عليه وسلم الا ان قوله فياتون محمدا اباه ظاهر اذ الظاهر ان يقول ياتوني فياتون
محمدا صلى الله عليه وسلم بعد مراجعة الانبيا وذكرهم العذر في عدم الشفاعة لهم والآتون
هم اشراف اهل المحشر من اتباع الرسل وقال الغزالي في الكشف انهم العلما العاملون يلهمهم الله
طلب ذلك من الانبيا وبين كل اثنين منهم لكل نبي وآخر بعده الف عام قال ابن حجر هذا التمييز
للزمن لم اقف له على اصل وقد اكثر في كتبه من مثله فلا تغتر به انتهى فيؤذن له اي باذن
الله لنبينا صلى الله عليه وسلم في الشفاعة وتاتي الامانة والرحم فيقومان عن جنبتي الصراط
اي ناحيتيه يمنة ويسرة واحد جنبه بفتح النون وسكونها والامانة ضد الخيانة والرحم
القرابة واصلها مفعول الحمل يعني انهما يمثلان او يجسمان بقدرة الله تعالى ليشهدا على الخائن وقاطع
الرحم وعلى وفيهما وقيل المراد بالامانة العظمى التي في قوله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات
والارض والجبال وهي التوحيد والاقرار به في عالم الذر التي فطر الناس عليها والرحم هي المذكورة
في قوله واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام وهذا التعظيم امر الله وشفقته على خلقه
وفي هذا مما بلغ حد التواتر المعنوي رد على المعتزلة المنكرين للصراط كما بين في كتب الكلامية
وذكر في رواية ابي مالك عن حذيفة فياتون محمدا فيشفع لهم في الخلاص من الموقف
وهوله فيضرب الصراط اي يوضع كما ورد في رواية اخرى من ضرب الخيمة اذا نصبها
وعبر بالضرب لما فيه اولا ده واطرافه وتوهم بعضهم ان الضرب بمعنى الجلد فقال ان ضربه
يشعر بمرور الصراط نفسه مع من عليه فان كان المراد مرور من عليه فضربه لاستعجالهم
وتخويفهم وهذا مما يقضي منه العجب وهو ممدود على متن جهنم ادق من الشعرة واحد من السيف

او الموسى كما ورد في الحديث وما قيل انه شعرة من عنق مالك لا اصل له وهو من اكاذيب
الوعاظ واصحاب القصص والصراط بالصاد والسين والزاي كما بين في اللغة وكتب التفسير
وعلم القراءات **فيمرون** اي يمر الناس عليه فمنهم من يقع في النار ومنهم من ينجو وهم فرق
اولهم كالبرق في السرعة من غير مهلة ومشقة **ثم كالريح والطير** في السرعة مع الزمان الممتد
اكثر من الاول **وشد الرجال** بالجيم جمع رجل ضد المراة كما صح في النسخ والشروح وصحح العزفي
تلميذ المصنف روايته عنه كما نقله التلمساني انه الرحال بالحاء المهملة جمع راحلة وهي رواية ابن
ماهان والمراد به هنا البعير فقد ذكر بعضهم ان الرحل ما يوضع على البعير ويعبر به تارة عن البعير
انتهى فما قيل ان روايته بالحاء المهملة خطا خطاء وان كان لا يخلو من التكلف وفي بعض الشروح
هنا ما يتعجب منه ولا حاجة لنا هنا بايراده والشد سرعة الجري وقال الراغب انه مستعار من
قولهم اشتد الريح وقال صلى الله عليه وسلم **ونبيكم** في هذا الحديث يعني به نفسه على طريق
التجريد المعروف في علم البديع **صلى الله عليه وسلم على الصراط** يحتمل انه على ظاهره ويحتمل ان
المراد انه وقف عنده ولكنه لقربه كالواقف عليه **يقول اللهم سلم سلم** جملة حالية تدل على
اعتنائه بهم والدعاء لهم بالسلامة من الوقوع في جهنم **حتى يجتاز الناس** يجتاز افتعال من
الجواز وهو المرور وهو غاية لقوله اي لا يزال يقوله حتى يمروا او علة له اي يقوله حتى يسلموا
فيمروا والناس اعم من امته **وذكر آخرهم جواز الحديث** اي آذكره اي يسلم آخر من يمر على الصراط
قيل هو هناد وقيل جهينة وقيل هما واحد واحدهما اسم والآخر لقب والذي رايناه ان جهينة آخر
من يخرج من النار وعند جهينة الخبر اليقين كما ذكر في كتب الحديث وفي شرح التلمساني قيل
آخر من يخرج من النار هناد ولم يقع اسمه في الصحيح وروي ان الحسن قال يا ليتني كنت هنادا فقيل
انما تمنى هذا لانه علم منه انه قطع له بخاتمة الايمان في الحديث وقيل لان بدخوله الجنة كملت النعمة
على اهلها لانهم كالجسد الواحد انتهى **وفي رواية ابي هريرة فاكون اول من يجيز** هذا مما
رواه الشيخان هو اول من يجيز امته من الرسل وهو يقتضي ان المراد بالناس امته وانهم اول الامم
جوازا على الصراط فله قصب السبق في كل امر فهو اول من نبئ في عالم الارواح والذر واول
من يشفع واول من يفتح باب الجنة واول من يدخلها واول من يجيز امته على الصراط ويجيز مضارع
وليس بمعنى جاز كما قيل **وعن ابن عباس عنه صلى الله عليه وسلم يوضع للانبيا** في ارض المحشر
منابر من نور جمع منبر اي كرسي مرتفع يجلسون عليها والناس وقوف على اقدامهم اكراما لهم
وتمييزا عمن عداهم برفعة مقامهم ليسر المؤمنين ويخزي من كفر **ويبقى منبري** خاليا عني
لا اجلس عليه حال من المضاف وقوله **قائما** حال من فاعل اجلس فهي متداخلة لا حال بعد حال
بين يدي ربي اي قريبا منه قربا معنويا لتنزهه عن الزمان والمكان والجارحة فهو تمثيل
وقيامه مع جلوس غيره من الانبيا فيه زيادة تكريم له لما فيه من الاشارة الى انه من المقربين في
حظاير القدس الناظرين في امور غيرهم عند ربهم ولذا فرع عليه قوله **فيقول الله ما تريد**
ان اصنع بامتك لما فيه من الدلالة على زيادة محبته واكرام اتباعه بما هو في صورة البشارة
له **فاقول يا رب عجل حسابهم** اي قدم النظر في امورهم على غيرهم حتى يخلصوا من هول
الموقف ويدخل الجنة من هو داخلها منهم ويعلم من هو منهم غير داخل في النار فلا منافاة
بين هذا الحديث وحديث من نوقش الحساب عذب ولذا قالت عايشة لا يحاسب احد يوم
القيمة الا دخل الجنة **فيدعى بهم** اي بامته محمد وهو مبني للمجهول كقوله فيحاسبون **فمنهم من يدخل**

الجنة برحمته من غير شفاعة لغلبة حسناته على سيئاته ولطف الله به **ومنهم من يدخل**
الجنة بشفاعتي له وذلك رحمة ايضا **ولا ازال اشفع** في العصاة **حتى اعطى صكاكا**
غاية او علة لاستمرار شفاعته واسترادها وصكاك بالصاد المهملة وكاف جمع صك كصكوك
واصك وهو الورقة التي تكتب للمصالح والعرف خصها بحجة القاضي وهو معرب جك بالجيم
المعجمة **برجال امر بهم الى النار** اي متعلقة بهم فكانها ترسل خلفهم تعود ذهاب ملائكة
العذاب بهم وامر مبني للمجهول اي امر الله باخذهم ليدخلوها او باخراجهم بعد ما دخلوها
حتى ان خازن النار الموكل بها وهو مالك او المراد خزنتها فيشمل مالكا واتباعه
ليقول لما رآه من كثرة انقاذه لمن امر به **يا محمد ما تركت لغضب ربك من نقمة** الغضب
ارادة الانتقام والنقمة بكسر اوله العذاب اي لم تدع احدا ممن استحق العذاب يعذب
وحتى هنا ابتدائية **ومن طريق زياد بن عبد الله** البصري **النميري** بالتصغير نسبة
الى نمير قبيلة سميت باسم ابيها وقد اختلف فيه فقيل انه ثقة وقيل ضعيف لا يحتج به وهذا
الحديث رواه البيهقي وابو نعيم في الحلية **عن انس انه صلى الله عليه وسلم قال انا اول**
من تنفلق الارض اي تنشق والفلق شق الشيء وابانة بعضه من بعض فالق الاصباح
عن جمجمته بضم الجيم الاولى والثانية وهي الراس ومخ الراس وعظمه الذي فيه الدماغ
وخصها لانها اول ما يظهر منه **ولا فخر** اي لا اقول هذا اظهارا للافتخار والتبجح بل بيانا
لما انعم الله به عليه وتحدثا بنعمته ولا ينافي ما ورد في الحديث لا تفضلوني على موسى
فان الناس يصعقون فاكون اول من يفيق فاذا موسى آخذ بساق العرش لانه قاله قبل علمه
بانه سبق عليه في البعث فانه يلزم منه افضلية موسى عليه فتامل **وانا سيد الناس يوم**
القيمة ولا فخر المراد انه سيدهم واشرفهم في الدنيا والآخرة وخص الثاني بالذكر
لعدم اعتزازه كغيره او لانه يعلم منه بالطريق الاولى او لانه مسلم لا ينكر في اخذ الرئيس اللواء
والمراد لواء الرياسة العظمى الذي يحمله ويغبطه به سائر الخلق لتفرده به وهو على حقيقته
او كناية عن تقدمه على غيره **وانا اول من يفتح له الجنة ولا فخر** اي يفتح له بابها ثم بين كيفية
ذلك فقال **فاتي وآخذ بحلقة الجنة** بسكون اللام كما مر اي امسكها واحركها حتى يسمع
خزنتها **فيقال من هذا** الذي دق الباب فاقول انا محمد فيفتح لي لعلمهم بانه اذن له بذلك
فيستقبلني الجبار تعالى اي فاري الله عيانا بعد الفتح وعبر بالجبار دون غيره لانه يوم جزاء
وانتقام كما ان الله غضب في ذلك اليوم غضبا لم يغضبه قبله ولا بعده **فاخر ساجدا** لما رآه
من عظمة الله تع وانعامه عليه وتجليه له برؤيته ورضوانه قال السنوسي في هذا تمثيل بحاله
كمن قدم على ملك عظيم في سلطانه وكرسي مملكته ودار كرامته فاستقبله لما قدم عليه تشريفا
له واظهارا لعظمة مقامه عنده وتطمينا له ولاتباعه ليزداد سروره مع علوه وجبروته
واستغنائه عن خلقه فلا يتوهم ان المقام يناسب ان يقال استقبلني الرحمن لا الجبار وذكر
نحو ما تقدم من حمد بمحامد لم يكن حمده بها قبل **ومن رواية انيس** بالتصغير وفي بعض النسخ
انس مكبر والصحيح الاول وهو صحابي انصاري اشهلي ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب وروى
عنه شهر بن حوشب ولم ينسبه وذكر حديثه هذا الطبراني في الاوسط وقالوا اسناده غير
قوي وقول بعضهم لو بين ضعفه لعلو الشفاعة بما لا يعقل من الشجر والحجر سهو لان معنى
قوله **لاشفعن لاكثر مما في الارض من حجر وشجر** انه يشفع لناس اكثر عددا من عدد الشجر

والحجر لا ما توهمه والعجب ممن اعترض له بانه لا يبعد ان تستغيث به الجمادات فرقا من نار
جهنم وزمهريرها مرفوعة وغير مرفوعة واختلاف الفاظها في شفاعته وتفسير المقام المحمود
الذي وعده الله به تبين لك من مجموعها **ان شفاعته صلى الله عليه وسلم ومقامه المحمود**
بالنصب عطف على اسم ان وخبرها قوله من حين الخ فلا يتوهم انه لاخبر لها مذكور وانه مقدر
وقوله **من اول الشفاعة الى اخرها** بيان لمقامه المحمود وفيه اشارة الى تعدد شفاعاته وقد
قال القرطبي انها اربعة وفي الحديث زيادة عليها وهي شفاعته العظمى في الخلاص من كرب
الموقف لجميع الناس وشفاعته لدخول اهل الجنة الجنة ولمن يشفع في العفو عن ذنوبهم ولمن امر
به الى النار ولمن قال لا اله الا الله ولاخراج من دخل النار منها ولرفع درجات اهل الجنة من حين
يجتمع الناس للحشر هذا ومن ابتدائية **وتضيق بهم الحناجر** هذا كناية عن شدة الهول والكرب
والحشر جمع الناس في المحشر والنشر الخروج من القبور بعد الاحيا والحناجر جمع حنجرة وهي الحلقوم
او طبقتان منه مما يلي الغلصمة او راسه والمراد انها تضيق عن اخراج النفس لكثرته وشدته
لتراكم الغم والهم حتى تبلغها كما قال تعالى اذ القلوب **ويبلغ منهم العرق** بفتحتين وهو معروف
والشمس والوقوف مبلغه اي نهايته التي يمكن بلوغها والوصول لها وفي الحديث يكون عرق
الناس على قدر اعمالهم فمنهم من يكون عرقه لكعبيه ومنهم من يكون لركبتيه ومنهم من يبلغ حتى يلجمه
قالوا وهذا امر خارق للعادة فان الناس اذا كانوا في الماء في مكان مستو تكون تغطية الماء
لهم على السوا ومبلغ الشمس قد رميل وهذا ايضا خارق للعادة فان الشمس ليست في سماء الدنيا كما انهم
عراة ولا يرى احدهم عورة غيره **وذلك قبل الحساب** الاشارة الى اجتماعهم للحشر **فيشفع حينئذ**
لاراحة الناس من الموقف اي حين اذ تضيق الحناجر ويبلغ ذلك مبلغه **ثم يوضع الصراط**
السابق ذكره وليس شعرة من جهنم ما لك كما قيل **كما جا في الحديث** الذي تقدم **عن ابي هريرة**
وحذيفة وهذا الحديث اتقن اي اكثر اتقانا من غيره **فيشفع في تعجيل من لا حساب عليه**
من اتقياء امته ويشفع معلوم او مجهول لكونه معلوما **الى الجنة** متعلق بتعجيل **كما تقدم** من دخولهم
من الباب الايمن **ثم يشفع** شفاعة ثانية **فيمن وجب عليه العذاب** اي تحقق فالوجوب
ليس على ظاهره **ودخل النار منهم كما تقدم حسب ما** بسكون ثانيه وفتحه ونصبه على المصدرية
او الظرفية اي على وفقه ومثله **تقتضيه الاحاديث الصحيحة** السالفة **ثم يشفع فيمن**
قال لا اله الا الله خالصا مخلصا قلبه كما تقدم فان قلت هذا ينافي ما تقدم من قوله
فاقول يا رب ائذن لي فيمن قال لا اله الا الله فيقول ذلك ليس اليك قلت اجيب عنه
بانه ليس فيه الا ان اخراجهم من النار مفوض الى الله لا اليه وهو ينافي اخراجهم بشفاعته وفيه
خفا وقد يقال المذكور شفاعته فقط وقيل المراد من لم يتوحد زيادة طمانينة له والسابق
المفوض لله من تجرد توحيده عما عداه **وليس هذا** اي الشفاعة فيمن قال لا اله الا الله **لسواه** من
الشفعا **وفي الحديث المنتشر** اي الشايع ولا يلزم منه صحته فلذا قال **الصحيح** الذي رواه
الشيخان بدل قوله **واختبات دعوتي شفاعة لامتي يوم القيمة لكل نبي دعوة يدعو بها**
تقدم ان المراد دعوة لجميع امته لا مخصوصة به او ببعض امته والا فللانبيا دعوات كثيرة مستجابة
بل لبعض اممهم واشار المصنف الى جواب اخر بقوله **وقال اهل العلم معناه** اي معنى هذا الحديث
المقصود منه **دعوة اعلم** بضم الهمزة وكسر اللام مبني للمجهول اي اعلمه الله وروي اعلموا
بالبنا للمجهول اي الانبيا وعلى الاول النايب للفاعل ضمير مستتر وقوله انها تستجاب لهم مفعول ثان له

اي يرجون

اي يتيقنون اجابتها **ويبلغ فيها مرغوبهم** بالبنا للمجهول ومرغوبهم اي مطلوبهم الذي
رغبوا في حصوله وفي جعله نايب الفاعل **والا** اي وان لم يقل ان معناه لما ذكر بان يبقى على
ظاهره وانه يستجاب له دعوة فقط كان مخالفا للواقع **فكم لكل نبي منهم من دعوة مستجابة**
اي اجاب الله دعاه بها في الدنيا ولنبينا خصوصا ما لا يعد من الدعوات المشاهد استجابتها
لكن حالهم عند الدعا بها قبل تحقق اجابتها **بين الرجا** لاجابتها **والخوف** من عدم قبولها
وضمنت لهم اجابة دعوة فيما شاوا يدعون بها على يقين من الاجابة اي ضمن الله لهم
قبولها يقينا وهذه هي الدعوة المذكورة في هذا الحديث والجار والمجرور اي متيقنا اجابتها
ثم اشار الى جواب اخر بقوله **وقد قال محمد بن زياد** الجمحي البصري الثقة الذي اخرج له الستة
وابو صالح ذكوان السمان الثقة **عن ابي هريرة في** تاويل **هذا الحديث** وتفسيره **لكل نبي**
دعوة دعا بها في حق امته وشانهم سواء كانت لهم ام عليهم **فاستجيب له وانا اريد ان اوخر**
دعوتي شفاعة بالنصب اي لاجل الشفاعة **لامتي يوم القيمة وفي رواية ابي صالح**
السابق ذكره وهذا مما رواه الشيخان عنه **لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته**
فيه اقامة الظاهر مقام الظاهر لان المقام مقام بشارة يطلب فيه البسط **ونحوه في رواية**
ابي زرعة بن عمرو بن جرير بن عبد الله البجلي الامام الثقة اخرج له اصحاب الستة واختلف
في اسمه فقيل جرير وقيل عبد الله وقيل عبد الرحمن وقيل هرم وقيل هذا وهم وانما هو هارم وقيل
عمرو عن ابي هريرة وعن انس مثل رواية ابن زياد عن ابي هريرة اي هو فقه لها معنى واشار بكثرة
طرقه الى صحته وقوة روايته ثم بين المراد بهذا الجواب وانه غير الجواب السابق بقوله **فتكون**
هذه الدعوة مخصوصة بالامة مضمونة الاجابة والا اي وان لم يفسر الحديث بما ذكر
لزم الخلف **فقد اخبر صلى الله عليه وسلم انه سال لامته اشيا من امور الدين والدنيا**
منع بعضها واعطي بعضها فتعين انها ليست الدعوة الموعودة بها وهذا اشارة لما في الصحيح
من انه قال سالت الله عز وجل ثلاث خصال فاعطاني ثنتين ومنعني واحدة منها سالته
ان لا يهلكنا بما اهلك به الامم فاعطانيها وسالته ان لا يظهر علينا عدوا من غيرنا فاعطانيها
وسالته ان لا يلبسنا شيعا وفي رواية ان يذيق بعضنا باس بعض فمنعنيها وهو المذكور في سورة
الانعام في اية وهو القاهر فوق الخ ومن فسر الدعوة التي ادخرها بهذا فقد اخطا
وغفل عن قوله **وادخر** بالدال المهملة المشددة اي جعلها ذخيرة موخرة لهم **هذه الدعوة ليوم**
الفاقة وهي الفقر وشدة الحاجة والمراد به يوم القيمة لاحتياج الناس فيه الى رحمة الله
وشفاعة سيدهم حيث لا يشفع غيره **وخاتمة المحن** جمع محنة بكسر الميم وهي البلية المحيرة يعني
هول الموقف اذ لا بلية بعده الا النار **وعظيم السول والرغبة** بالجر معطوف على يوم الفاقة
او على الفاقة او جعل اليوم نفسه محنة والرغبة عطف تفسيري لما قبله او هو اخص منه
ولما ذكر ما تفضل به النبي عليه الصلاة والسلام على امته الداخل فيهم دخولا اوليا ختم الفصل
بدعائه له بقوله **جزاه الله ما جزا نبيا عن امته** اي بما جزاه او بمثله **وصلى الله عليه وسلم تسليما**
كثيرا ولبعض الشراح هنا كلام لا طائل تحته تركناه خوف السآمة مما لا فايدة فيه والله اعلم

فصل في تفضيله

صلى الله عليه وسلم على غيره **في الجنة بالوسيلة** اصل الوسيلة امر يكون موصلا لامر يبتغيه

الديلمي

كالمصدرية والتودد ونحوه قال الراغب الوسيلة التوصل الى الشيء برغبة وهي اخص من الوصيلة
لتضمنها معنى الرغبة قال الله تعالى وابتغوا اليه الوسيلة وحقيقة الوسيلة الى الله مراعاة سبيله
بالعلم والعبادة وتحري مكارم الشريعة وهي كالقربة انتهى والمراد بها هنا منزلة عالية في الجنة
كما سياتي فهي مجاز من باب اطلاق السبب على المسبب ومن فسرها بالقرب من الله فقد تسامح في العبارة
قال الزبيدي يقال وسل اذا تقرب لانه المقرب **والدرجة الرفيعة** اي المرتفعة العالية
والدرجة هنا المنزلة واصلها ما يصعد فيه كدرجات السلم وهذا تفسير لما قبله وقال السخاوي
في المقاصد الحسنة لم ترد هذه اللفظة في الدعا الذي يدعى به عقب الاذان كما يفعله من لا خبرة
له بالسنة فذكرها في الدعا لا اصل له **والكوثر** تقدم تفسيره وانه فوعل من الكثرة والمراد به
نهر في الجنة **والفضيلة** فعيلة من الفضل ضد النقص ثم ذكر المصنف شواهد لتفضيله في الجنة
على غيره منها حديث رواه مسلم وابو داود والترمذي واقتصر على ما في الترمذي لقرب سنده
اليه فقال **حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمي** نسبة لتميم قبيلة وقد تقدمت
ترجمته **والفقيه ابو الوليد هشام** تقدم ايضا **بقراءتي عليه** لا بسماعي من لفظه وهذه اعلى من
السماع من شيخه **قالا حدثنا ابو علي الغساني** الجياني السابق ذكره **حدثنا النمري** بفتح النون
والميم وهو الامام ابن عبد البر المتقدم **انا ابن عبد المؤمن حدثنا ابو بكر التمار** بفتح المثناة
الفوقية نسبة الى التمر المعروف وتقدم انه عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن القرطبي وابو بكر التمار
تقدمت ترجمته ايضا **حدثنا ابو داود** الحافظ صاحب السنن وقد تقدم ايضا **حدثنا محمد بن سلمة**
بفتح السين واللام وما في بعض النسخ من انه مسلمة بميم في اوله سهو من الناسخ وهو ابو الحارث
محمد بن سلمة المرادي المصري اخرج له اصحاب الكتب الستة وتوفي في سنة مايتين وثمان واربعين
حدثنا ابن وهب هو عبد الله بن وهب تقدمت ترجمته **عن ابن ابي لهيعة** بفتح اوله وكسر ثانيه
وهو عبد الله الحضرمي ثم المصري الامام الحافظ وهو ثقة خلافا للذهبي اذ ضعفه روى عنه
مالك واصحاب السنن وتوفي في سنة مائة واربعة وسبعين **وحيوه** بفتح الحا المهملة وسكون
المثناة التحتية وواو وهاء وهو ابن شريح الحمصي ثم المصري توفي في سنة مايتين واربعة وعشرين
وروى عنه اصحاب السنن وقياسه حيه بالادغام الا انه لم يغير فرقا بين العلم وغيره **وسعيد
بن ابي ايوب** ابو يحيى ابن مقلاص الخزاعي المصري الثقة اخرج له اصحاب السنن وتوفي في سنة احدى
وستين ومائة **عن كعب بن علقمة** بن عمرو بن زيد بن حشم الانصاري الخزرجي الصحابي البدري
توفي في سنة اربع وثلاثين وسنه سبعون سنة وفي بعض النسخ عن كعب عن علقمة والصواب
الاول **عن عبد الرحمن بن جبير** القرشي مولى نافع الثقة توفي في سنة سبع وتسعين واخرج له الستة
عن عبد الرحمن بن عمرو بن العاص السابق ذكره **انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول**
حال وعبر بالمضارع للحكاية حتى كانه شاهد حاضر **اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول**
من كلمات الاذان غير الحيعلتين وانه يقال عند سماعهما لا حول ولا قوة الا بالله وهذا على سبيل الندب
على الصحيح وفي قول عند الشافعية انه واجب واذا تكرر سماعه يكفي اجابة الاول وفي فتاوى
ابن عبد السلام انه يندب اجابة الكل والاول اصح وكذا في الاقامة عند الشافعي ويقول عند قوله
قد قامت الصلاة اقامها الله وادامها وعند قوله الصلاة خير من النوم صدقت وبررت قيل ولا
بد من سماع جميعه ولا فهمه **ثم صلوا علي** اي قولوا عقب الاجابة اللهم صل وسلم عليه وهذا مندوب
فانه من صلى علي اي مرة بقرينة قوله **صلى الله عليه بها عشرا** اي بصلاته وضمير انه للشان لتضاعف

الحسنات **ثم اسألوا الله لي الوسيلة** اي ادعوا الله لي بان يؤتينها فقولوا اللهم آت
محمدا الوسيلة ثم فسرها فقال **فانها منزلة في الجنة** اي مقام عال فيها اعلى ما عداه **ولا ينبغي**
اي لا يليق اعطاؤها **الا لعبد** عظيم جليل عند الله فالتنوين والتنكير للتعظيم **من عباد الله**
الاشراف المقربين فالاضافة لاختصاصهم بالشرف والقرب من سيدهم قال ابن كثير هي اقرب
منازل الجنة الى العرش واعلاها واشرفها وتقدم ان الوسيلة من التوسل وهو التقرب فان
قلت ما وجه تخصيص الدعا بها بعد الاذان قلت لما كان المؤذن يدعو الناس للصلاة
وهي مقربة الى الله تعالى ومعراج المؤمنين وهذا مما من الله تعالى به علينا بارشاده وهدايته
ناسب ان يجازى ذلك بالدعا له بالقرب من الله ورفعة المنزلة فان الجزاء من جنس العمل
وارجوا ان اكون انا هو ضمير الغيبة للعبد وانا مبتدا وهو خبره والجملة خبر اكون وكون
انا تاكيدا للضمير المستتر وهو خبر استعير ضمير الرفع للمنصوب او وضع موضع الظاهر والاصل
ان اكون انا اياه او ذلك خلاف الظاهر وتعبيره بالرجاء مع تحقق اختصاصه بارفع المنازل
عند ربه تادبا وتشريفا لامته بالدعا له وفيه دليل على جواز دعا المفضول للفاضل
ليفوز بالثواب كما اشار اليه بقوله **فمن سال الله لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة** بالحاء
المهملة وتشديد اللام بمعنى وجبت من حل يحل كضرب يضرب او عينيه ونزلت من حل يحل
كقعد يقعد وروي لم تزل عليه ولا حاجة لجعل اللام بمعنى على لان وجب يتعدى وليس
المراد بالوجوب معناه المشهور بل التحقق والتيقن ولا يستشكل بان الشفاعة للمذنبين وقايلها
ليس بمذنب بل عابد لله لان الشفاعة انواع كما مر كالشفاعة في دخول الجنة من غير حساب وفي
رفع الدرجات وزيادة العطيات ولا يختص هذا بمن قاله مخلصا مستحضرا للاخلاص فيه صلى الله
عليه وسلم بل يكفي فيه قصد مجرد الثواب الا انه ينبغي ان لا يكون غافلا لاهيا واستحباب
هذا لغير المصلي فرضا او نفلا فان قاله فيها لم تبطل صلاته لانه ذكر الا في قوله صدقت فانه
من كلام الناس فتامل **وفي حديث آخر** رواه الترمذي ايضا **عن ابي هريرة الوسيلة اعلى
درجة في الجنة** مخصوصة به صلى الله عليه وسلم وهي اقرب الى العرش من سائر المنازل وليس
هذا معلوما من الحديث السابق الا انه المراد منه **وعن انس** في حديث رواه البخاري **بينا انا
اسير في الجنة** تقدم الكلام على بينا بالالف والظاهر ان سيره هذا كان مناما ويحتمل انه
يقظة في الاسرا **اذ عرض لي نهر** اي فاجاني عروضه اي ظهوره بمروري عليه **حافتاه**
اي جانباه وسطاه وهو بتخفيف الفاء المفتوحة وهو مبتدا خبره **فيهما لؤلؤ مثل القباب**
جمع قبة المعروفة وهي بيت صغير تضربه العرب لتنزل فيه والجملة صفة نهر بسكون الهاء
وفتحها والمراد انه لؤلؤ حقيقي او مثله في الحسن والنضارة **قلت لجبريل ما هذا النهر** لانه
لم يعرفه **قال هذا الكوثر الذي اعطاكه الله** اي وهبه لك في قوله انا اعطيناك الكوثر وهو
فوعل صفة مشبهة من الكثرة لكثرة مائه وآنيته ولذا فسره ابن عباس بالخير الكثير وهو اصل
معناه ثم نقل وجعل علما لهذا النهر ودخلت عليه اللام للمح الاصل ووصل الضميرين المنصوبين
على اللغة الفصحى ولو فصل وقال اعطاك اياه جاز وورد في صفته انه ابيض من اللبن واحلى
من العسل كما سياتي **قال** رسول الله صلى الله عليه وسلم **ثم ضرب** جبريل **بيده الى طينه** بالتنوين
والاضافة الى ضمير النهر وسماه طينا لانه بمنزلته وعلى صورته وضربه بيده مجاز عن ادخالها
فيه **فاستخرج مسكا** اي اخرج من قعره وارضه ليعرفه بفضله وان طينه مسك فليس كانهار

بن

الدنيا **و** روى **عن عايشة وعبد الله بن عمر مثله** اي مثل حديث انس المذكور **قال** اي رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث **ومجراه** بفتح الميم مصدر ميمي اي جري هذا النهر اي مجرى مائه **على الدر والياقوت** الذي فوق طينه الذي هو مسك كما ان الانهار تجري على طين وحصى فهذا طينه المسك وحصاه جواهر فلا منافاة بين كون مجراه على الجوهر وكون طينه مسكا كما مر **وماؤه احلى من العسل وابيض من الثلج** بفتح المثلثة وسكون اللام فلا الجيم وبفتحها مصدر ثلج صدره بكذا اي برد لتيقنه وابيض افعل تفضيل من البياض وقد سمع من العرب على خلاف القياس فلا ينافي قول النحاة ان افعل التفضيل لا يصاغ من الالوان ويجوز ان يكون صفة كاحمر واسود الا انه خلاف الظاهر وفي الحديث ان الله اعطاني نهرا يقال له الكوثر لا يكاد احد من امتي يسمع خريره الا سمعه فقيل يا رسول الله كيف ذلك قال ادخل اصبعيك في اذنيك وسدهما فالذي تسمعه خريره نقله السهيلي وفي رواية ابيض من اللبن وكونه احلى من العسل لا ينافي ان من انهار الجنة نهرا من عسل **وفي رواية عنه فاذا هو** اي الكوثر **يجري** جريا متصلا **ولا يشق شقا** جملة حالية من ضمير يجري اي لا يشق الارض لشدة جريه وكذا سائر انهار الجنة تجري من غير ان تحد اخدودا كما قاله التلمساني ويشق مبنيا للفاعل وقيل انه روى مبنيا للمجهول وقيل المراد انه يجري معترضا لا مستطيلا من قولهم شق البرق اذا لمع مستطيلا وهو بعيد لما ورد في الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال لا تظنون ان انهار الجنة اخدود لا والله انها لسائحة على وجه الارض وقد يرجع ما ذكر اليه فيكون المعنى واحدا **عليه** اي على الكوثر والظاهر انه بجانبه قريب منه كما يقال مررت على زيد اي على مكان قريب منه **حوض** والحوض معروف وقد قيل المراد بكونه عليه انه يمتد منه لان عليه ميزابين يشخبان فيه من الكوثر لا انه بجانبه اذ هو في الجنة والحوض خارجها الحديث ليردن على الحوض اقوام ونعرفهم ثم يحال بيني وبينهم فاقول انهم مني فيقال لا تدري ما احدثوا بعدك فاقول سحقا سحقا لمن غير بعدي فتامل ۞ **ترد عليه امتي** اي ياتونه للشرب منه ولعله بعد الحساب والنجاة من النار **وذكر حديث الحوض** وهذا يدل على انه غير الكوثر وقد جاء في بعض الاحاديث ان الكوثر هو الحوض والحق انه غيره على قول من اقوال عدة ولو قيل بتعدد الحوض لم يبعد **ونحوه عن ابن عباس** اي روى عن ابن عباس ما يوافقه **وعن ابن عباس ايضا** اي في رواية اخرى ذكرها البخاري **قال** في تفسيره **الكوثر الخير الكثير الذي اعطاه الله اياه** تشريفا له وتكريما وهذا بناء على انه فوعل من الكثرة مطلقا ثم خص بالكثير من الخير وبالنهر الذي في الجنة فان اراد ابن عباس بهذا بيان ما وضع له لغة او بيان معنى عام خص في الحديث والاية فلا كلام فيه وان اراد تفسير ما في الاية فالاحاديث الصحيحة وردت بخلافه وفي الاية ستة عشر قولا فقيل انه النهر السابق ذكره وقيل النبوة والكتاب وقيل القرآن وقيل الاسلام وقيل تحقيقات الشريعة وقيل كثرة الامة وقيل رفعة الذكر وقيل نور النبوة المحمدية وقيل كثرة المعجزات وقيل الدعوات المجابة له وقيل كلمة التوحيد لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل الفقه في الدين وقيل الصلوات الخمس التي خصت بها امته وقيل الحوض والاصح انه نهر في الجنة مخصوص **وقال سعيد بن جبير والنهر الذي في الجنة من الخير الذي اعطاه** يعني انه على عمومه وهذا داخل فيه وهو المراد منه ويؤيده ما روي عن حذيفة بن اليمان فيما ذكر صلى الله عليه وسلم عن ربه حيث بينه له في حديث قال فيه واعطاني **الكوثر نهر من الجنة يسيل في حوضي** الذي في الموقف او بعد الصراط تستقي منه امته وفيه اشارة الى ان تفسيره بالحوض لانه ماؤه

منه **وعن ابن عباس** في حديث صحيح رواه بسنده رواه ابن جرير وابن حبان في تفسير قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى اي يعطيك الى ان ترضى بما اعطاه لك وتقر عينك قال من جملة ما اعطاه **الف قصر من لولوء ترابهن المسك** اي هي من لولو وترابها من المسك فالضمير للقصور التي دل عليها قوله الف قصر **وفيه** اي في كل قصر فاعاد الضمير عليه مفردا رعاية للفظه لان كل مفرد من كل **ما يصلحهن** الضمير عائد عليه ايضا رعاية لمعناه وقيل ضمير فيه عائد عليه نظرا للفظه قصرا ولتاويله بما ذكر فيما قيل ان صوابه فيهن لا وجه له والمراد ما يقوم بمصالح تلك القصور من الخدم والزوجات والالات كالاواني كما اشار اليه بقوله وفي رواية **وفيه ما ينبغي له** اي في كل قصر ما يناسبه ويليق به **من الازواج والخدم** بفتحتين جمع خادم وفعل جمع لفاعل ورد في الفاظ ذكرها النحاة وقيل انه اسم جمع والازواج جمع زوج او زوجة وذكر هنا لمناسبته للمنزل والمقام وهذا الحديث رواه المصنف موقوفا على ابن عباس لا النبي وهو الظاهر ورواه الاوزاعي مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال حدثنا اسمعيل بن عبيد الله عن علي بن عبد الله بن عباس عن الله عنه صلى الله عليه وسلم انه اري ما هو مفتوح على امته فسر بذلك فانزل الله عز وجل عليه والضحى والليل اذا سجى الى قوله فترضى فاعطاه عز وجل الف قصر الخ وقيل في الاية انه اعطاه ما هو شامل لكل خير اعطاه ولما ادخر له مما لا يعرف كنهه الا الله وتقدم انها لما نزلت قال اذن والله لا ارضى واحد من امتي في النار وقد تقدم الكلام عليه والله تعالى الموفق ۞

فصل

في بيان شبهة ترد على ما تقدم من انه افضل الرسل واعظمهم عنده وجرد من نفسه سائلا خاطبه بقوله **فان قلت** واتى بالفاء الاستئنافية اشارة الى بنائه مما قبله وترتبه عليه **قد تقرر من دليل القرآن** اي تحقق وثبت واضافة دليل للقرآن بيانية او تخصيصية لامية **وصحيح الاثر** اي الحديث وهو معطوف على القرآن او على دليل **واجماع الامة** المحمدية **كونه اكرم البشر** اي اشرف بني آدم **وافضل الانبيا** والرسل خاصة منهم ولم يقل اكرم الخلق لان قوله اجماع الامة يأباه لما فيه من خلاف المعتزلة في خواص الملايكة وان كان الصحيح خلافه فلا وجه للاعتراض بذلك **فما معنى الاحاديث الواردة بنهيه عن التفضيل** بين الانبيا والنا هية عن تفضيله عليهم **كقوله** صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان ورواه المصنف من طريق مسلم **فيما حدثناه** متعلق بقوله او حال منه **الاسدي** نسبة الى اسد قبيلة **قال حدثنا السمرقندي** تقدمت ترجمته حدثنا الفارسي عبد الغافر تقدمت ترجمته **قال حدثنا الجلودي** تقدم بيانه وبيان نسبته **حدثنا ابن سفيان** ابراهيم بن محمد بن سفيان السابق ترجمته **حدثنا ابن المثنى** محمد ابو موسى البصري توفي في سنة اثنتين وخمسين ومايتين كما تقدم **حدثنا مسلم** الامام صاحب الصحيح المتقدم **حدثنا محمد بن جعفر** ابو عبد الله الهذلي البصري الملقب بغندر بضم الغين المعجمة وسكون النون وضم الدال وفتحها وراء مهملة وقد تقدم انه توفي في ذي القعدة سنة ثلاث او اربع وتسعين ومائة **حدثنا شعبة** ابن الحجاج ابن بسطام كما تقدم **عن قتادة** تقدم بيانه **سمعت ابا العالية** التابعي السابق ترجمته **يقول حدثني ابن عم نبيكم صلى الله عليه وسلم يعني ابن عباس** ابن عبد المطلب المشهور **عن النبي صلى الله عليه وسلم ما ينبغي** اي ما يصح ولا يجوز **لعبد** من عباد الله نبيا كان او غيره **ان يقول انا خير من يونس بن متى** بفتح الميم وتشديد

التا المثناة الفوقية والف مقصورة وهو اسم امه وقيل اسم ابيه وصحح كلا من القولين طائفة
والاول اشهر وهو من ولد بنيامين بن يعقوب وكان بعد سليمان وقيل كان بينهما ايوب وكان
قبل النبوة من عباد بني اسرائيل فهرب ونزل بشاطي دجلة فبعثه الله الى اهل نينوى من ارض
الموصل وهو ابن اربعين سنة فضاق ذرعا بالرسالة فشكى لله ذلك واعلمهم انهم ان لم يستجيبوا له
حل بهم العذاب واجلهم اربعين يوما واعلمهم بالاجل فقالوا ان راينا امارات ذلك آمنا بك وانصرفوا
فلما مضى الميقات خمسة وثلثون يوما غامت السما بغيم اسود له دخان فايقنوا بالعذاب فخرجوا
من القرية باهلهم وفرقوا بين النسا واولادهن وضجوا الى ربهم فرحمهم وقبل توبتهم وساح يونس
في الارض ومر براع سقاه لبنا فقال له اقرا على قومي السلام فقال له يا نبي الله لا استطيع فان
من كذب ضاد قتل فقال له ان كذبوك فشاتك وعصاتك يشهدان لك فاخبرهم فانكروا مقالته
فشهدت له الشاة والعصا فصدقه قومه وملكوه عليهم اربعين سنة وقيل كان ميقاته ثلاثة ايام
فانتظر يونس عذابهم فخاف لانه من كذب ولم يقم بينة قتل في شرعهم فذهب مغاضبا وركب
سفينة فوكضت وغيرها من السفن يسير فسالوه عن سبب ذلك فقال ان عبدا ابق من ربه ولا
لا تسير حتى تلقوه في البحر فقالوا اما انت يا نبي الله فلا نلقيك فقال اقترعوا فاقترعوا ثلاث
مرات يقع سهم القرعة عليه فالقوه والتقمه حوت وغاص به الى قرار الارض فسمع يونس تسبيح الحصا
فنادى في الظلمات ظلمة الليل والبحر وبطن الحوت فنبذ بالعراء وهو سقيم كطير ممعوط
لا ريش له فانبت الله عليه شجرة يقطين استظل بها واصاب منها فيبست فبكى فاوحى الله اليه اتبكى
على شجرة يبست ولا تبكي على مائة الف او يزيدون هلكوا فنادى سبحانك لا اله الا انت اني كنت من
الظالمين واختلف في مكثه في بطن الحوت فقيل بعض يوم وقيل عشرون وقيل سبعة ايام وقيل
اربعون يوما وقيل ثلاثة وانما خص يونس بالذكر خشية من سمع قصته ان يقع في نفسه شي لقلة
صبره وعدم ثباته في السابل بل والمنهى عنه تفضيل يؤدي لتنقيص احد منهم ولذا قيل ان من قال
انا خير من بعض الانبيا يخشى عليه الكفر ان لم يكن فان كان نبيه فلا ينبغي له ذلك وهذا مخصوص
بما اذا لم يكن كذلك وقاله افتخارا ولذا وقع من نبينا صلى الله عليه وسلم تحدثا بنعمة الله **وفي غير
هذا الطريق** المذكورة آنفا **عن ابي هريرة قال يعني الله ما ينبغي لعبد الحديث** اي اذكره
الى آخره كما مر **وفي حديث ابي هريرة** الذي رواه الشيخان في رجل من الانصار تنازع مع يهودي
بالمدينة **في اليهودي** اي في رجل من اليهود لم يذكروا اسمه **الذي قال والذي اصطفى موسى
على البشر** اي اختاره وفضله على سائر بني آدم من الانبيا وغيرهم **فلطمه رجل من الانصار**
لم يذكروا من هو وفي سيرة ابن اسحاق ان اسم اليهودي فنحاص **وقال** اي الرجل الانصاري
تقول ذلك اي تفضيل موسى على البشر **ورسول الله بين اظهرنا** جملة حالية اي مع وجود
النبي الذي هو افضل من موسى وغيره ولفظ اظهر جمع ظهر مقحم اي بيننا **فبلغ ذلك** الذي قاله
اليهودي والرد عليه **النبي** صلى الله عليه وسلم **فقال لا تفضلوا بين الانبيا** بالضاد المعجمة
اي لا تقدموا على الحكم بافضلية بعضهم على بعض وليس هذا على ظاهره كما سياتي وجوز بعضهم
ان يكون بالصاد المهملة اي لا تفرقوا وتميزوا بعضهم من بعض **وفي رواية لا تخيروني
على موسى** وهذه الرواية في الصحيحين وسنن ابي داود والنسائي والنهي عن تفضيل يقع من
غيره مؤد الى نقص او على سبيل العصبية والتفاخر فلا ينافي قوله انا سيد ولد آدم ولا فخر
وسياتي تفصيله **فذكر الحديث وفيه ولا اقول ان احدا افضل من يونس بن متى** وفي هذا

الحديث

الحديث زيادة ذكر موسى وهو من عظما الرسل اولي العزم فالتفضيل عليه اقوى فيما نحن بصدده
فلا وجه لما قيل من انه كان ينبغي تقديم هذا الحديث على الذي قبله **والحديث** المذكور ان استبّ
رجل من المسلمين ورجل من اليهود فقال المسلم مقسما والذي اصطفى محمدا على العالمين فقال اليهودي
والذي اصطفى موسى على العالمين فلطمه المسلم فذهب اليهودي الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره
بما جرى بينهما فقال لا تخيروني على موسى فان الناس يصعقون فاكون اول من يفيق فاذا موسى
باطش بجانب العرش فلا ادري اكان فيمن صعق فافاق او كان ممن استثنى الله عز وجل وفي رواية
فلا ادري احوسب بصعقة الطور او بعث قبلي ولا اقول ان احدا افضل من يونس بن متى وكانت
القصة في عرض سلعة وقال البرهان لا اعرف اسم اليهودي والمسلم اللاطم له وقال غيره اليهودي
اسمه فنحاص واللاطم ابو بكر الا ان قوله في الحديث رجل من الانصار ياباه الا ان يقال الانصار
هنا بمعناه اللغوي وهو خلاف الظاهر وهذه الصعقة هي المذكورة في قوله ونفخ في الصور
فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شا وهذا هو الاستثنا المذكور في الحديث والصعق
الاحيا والاخراج من القبور مجازا لان حقيقته الصراخ مع غشي منه وقيل المراد حقيقتها
وانها في عرصات القيمة يوم الحشر يوم الفزع الاكبر وقال ابن قيم الجوزية في كتاب الروح
نقلا عن تذكرة القرطبي ان هذه الرواية دخل فيها حديث في حديث ولذا اشكل عليهم والذي يزيح
الاشكال ان الموت ليس بعدم محض بل تنقل وانتقال من حال الى حال والانبيا والشهدا احيا لكنهم
غيبوا عنا في مراقدهم فاذا نفخ في الصور فمن مات حيي ومن كان حيا من الانبيا ونحوهم كالمغشي
عليه صعق ثم افاق ولذا ورد في حديث مسلم فاكون اول من يفيق فلذا تردد النبي في انه اول من انشقت
عنه الارض وافاق او سبقه موسى لانه حوسب بصعقة الطور فلم يغش عليه ويصعق وهذه فضيلة
لموسى عظيمة فلذا ذكرها ونهى عن تفضيله عليه وانه لا يلزم كونه افضل منه من سائر الوجوه فلذا خصه
بالذكر وخص يونس لما مر وسئل امام الحرمين عن نفي الجهة ودليلها فقال دليلها قوله لا تفضلوا
على يونس بن متى لانه خاطب الله في قعر البحر والظلمات الثلاث بقوله سبحانك كما خاطبه نبينا
في مقام قربه قاب قوسين على الرفرف فلم يكن ثمة اقرب من يونس وعن ابي هريرة في حديث رواه البخاري
من قال انا خير من يونس بن متى فقد كذب ذكروا فيه احتمالين بان يكون انا عبارة عن النبي
صلى الله عليه وسلم اي من فضلني على يونس فقد كذب وان يكون عبارة عن القائل غيره اي اي احد
من الناس قال انا خير من يونس لتوهمه انه فضله لعلمه وعبادته وغير ذلك من الفضائل لان احدا
لا يبلغ درجة الانبيا وقد قالوا انه كفر وهذا يؤيد ان المراد الاول **وفي حديثه الآخر** اي حديث
ابن مسعود الذي رواه مسلم وابو داود والترمذي **فجاءه** صلى الله عليه وسلم **فقال يا خير
البرية** اي يا افضل الخلق كلهم والبرية بتشديد اليا من برا يبرا مهموز بمعنى خلق من البرا
بمعنى التراب الا انه التزم فيه ابدال الهمزة يا كما في النهاية **فقال ذاك** وفي نسخة ذلك والاشارة
لخير البرية **ابراهيم** الخليل وهو في الحقيقة افضل البرية والرسل بعد نبينا صلى الله عليه وسلم
وقال السيوطي انه متفق عليه **فاعلم** جواب الشرط في قوله فان قلت وهو شروع في تحقيق
المسئلة والجمع بين الاحاديث المتعارضة في التفضيل وعدمه **ان للعلماء في هذه الاحاديث**
الناهية عن التفضيل وما يخالفها **تاويلات** تقدم بعض منها وسياتي تحقيقها **احدها ان نهيه
عن التفضيل كان قبل ان يعلم انه سيد ولد آدم** بالبنا للفاعل او المفعول اي يعلمه الله
هذا دليل على ان قوله انا عبارة عنه صلى الله عليه وسلم **فنهى عن التفضيل اذ يحتاج الى توقيف**

ربنا التقى

ى

ى

ني

ري

رة

ولي

ابن اقبرس

اي اعلامهم به من الله واذن فيه فلا يقدم عليه بالعقل وكون التفضيل في الحديث خاصًّا
بموسى ويونس فيه دلالة عليه في الجملة فلا يرد ما قيل انه لا يقتضي المنع مطلقا فتامله **وان
من فضل بلا علم فقد كذب** لانه لا يطابق ما في نفس الامر عنده اذ لم يعلم وهذا تشديد في
النهي والا فاخباره على غلبة ظنه انه واقع لا يعد كذبا **وكذلك قوله لا اقول ان احدا افضل
منه لا يقتضي تفضيله هو** لانه نفي كقوله وهو لا يدل على انتفائه في نفس الامر وما كل ما يعلم
يقال وضمير تفضيله هو للنبي صلى الله عليه وسلم اي تفضيله على يونس او ليونس صلى الله عليه وعلى
نبينا **وانما هو في الظاهر كف** اي امتناع او منع لغيره **عن التفضيل** بينهم وقد يكون لامر
آخر **الوجه الثاني انه قاله صلى الله عليه وسلم على طريق التواضع ونفي التكبر والعجب**
بضم فسكون اي عجبه وخيلائه بنفسه ومدحه لها فانه لازم له في الغالب والتكبر اظهار عظمة
والعجب استحسانه لنفسه وشانه والتواضع لين الجانب وخفض جناحه لغيره **وهذا الجواب
لا يسلم من الاعتراض** الوارد عليه لانه يعد الاخبار بخلاف الواقع الذي هو كذب ممن يتوهم تواضعا
قيل ولان نفي التكبر والعجب يقتضي ثبوتهما له وانه مع ما علمه من حاله كيف يتوهم فيه ما لا يتوهم
في غيره من صلحا امته ولا يخفى ان الاعتراض ساقط فان التواضع صفة محمودة وهو من شانه صلى
الله عليه وسلم كما تقدم **الوجه الثالث** ان مقصوده بنهيه **ان لا يفضل بينهم تفضيلا يؤدي**
بضم التحتية وفتح الهمزة وتشديد الدال المهملة اي يجر ويوصل **الى تنقص** تفعل من النقص اي
يقتضي وصفهم بما فيه نقص لهم وذم **او الغض منه** بفتح الغين المعجمة والضاد المعجمة المشددة
كالغضاضة هي النقص والعيب واصله من غض الطرف والصوت وهو خفضه فاستعير لما ذكر
وضمير منه للنقص وفي نسخة منهم وبعضهم من هذا حواز ان لم يؤد لما ذكر **لا سيما** اي خصوصا
في جهة يونس عليه السلام اي في حقه ووصفه لان الجهة تطلق على الصفة ومنه موجهات
القضايا ولا سيما عند النحاة من ادوات الاستثنا وليس هذا محل الكلام عليه **اذ اخبر الله عنه بما
اخبر** في قوله ولا تكن كصاحب الحوت الخ **لئلا يقع في نفس من لا يعلم منه** اي لا يعلم من يونس
وما قص من قصته **بذلك** اي بسبب ذلك المذكور وهو متعلق بقوله **غضاضة** اي نقص
وحقارة يتوهمها من لا علم عنده وعطف عليه عطف تفسير قوله **وانحطاط من مرتبته الرفيعة**
استعارة بتنزيل شرفه منزلة امر عال حسا نزل من علو لسفل **اذ قال الله حاكيا اذ ابق الى الفلك
المشحون** اي خرج الى سفينة مملوءة بما فيها من الناس والمتاع والاباق هروب العبد من سيده
حسن اطلاقه عليه اذ خرج بغير اذن ربه **اذ ذهب مغاضبا** لقومه لما لم يجيبوا دعوته كما تقدم
فظن ان لن نقدر عليه اي لن نضيق عليه بالعقوبة ويؤيده انه قرئ مثقلا او تمثيل لحاله بحال
من ظن ان لا نقدر في مراغمة قومه لعدم انتظاره لامرنا روي ان معاوية قال لابن عباس
ايظن نبي ان لن يقدر الله عليه فقال هو من القدر لا القدرة قال ابن عباس اي من الارادة فظن ان
لن نريد عقوبته **فربما تخيل** بالبنا للمجهول ونائب فاعله وقوله حطيطة بذلك وقوله **لمن لا علم
عنده** بمعاني القرآن وما قيل في تاويل هذه الاية متعلق به **حطيطة** اي نقصه ونزول
مقامه عن مقام غيره من الرسل لنظره لظاهر الاية وقد قال المفسرون قبيل معنى ذهب مغاضبا ان
اغضبه من قومه لا من ربه وهذا خلاف الاولى اذ كان حقه الصبر كما وقع لنبينا صلى الله عليه
وسلم في احد وغيرها فلا يذهب بغير امر ولذا قال ولا تكن كصاحب الحوت واما قوله فظن ان
لن نقدر عليه فقد تقدم تاويله وقيل احسن ما قيل فيه ان معناه لن نضيق عليه وقول البيضاوي

انه خطرة شيطانية سبقت الى وهمه سميت ظنا للمبالغة مما لا يليق ان يقال لعصمة
الانبيا عن مثله **الوجه الرابع منع التفضيل** بين الانبيا والرسل الذي افاده النهي الوارد
في الحديث انما هو **في حق النبوة والرسالة** نفسها لا الانبيا والرسل قال السنوسي في شرح
عقايده بعد ما ذكر ما قاله المصنف ومما يدل على عدم التفاضل بين الانبيا في تفسير النبوة وحقيقتها
منع ان يقال ثبت لفلان النبي النصيب الاقل من النبوة ولفلان النصيب الاوفر منها ونحوه من
العبارات التي تقتضي ان النبوة مقولة بالتشكيك ولا شك ان الامتناع من هذه العبارة معلوم
من الدين بالضرورة بين السلف والخلف فدل ذلك على ان حقيقة النبوة من المتواطي المستوي
افراده ولا يلتفت لمن خالف مقتضاه لوضوح فساده انتهى وفي ذكره ذلك في النبوة دون الرسالة
ايما الفرق بينهما في ذلك فتامله قريب منه قوله **فان الانبيا فيها** اي في النبوة من حيث
هي هي **على حد واحد** في رتبتها وقدرها متحد فيهم **اذ هي شي واحد** اي متحد في جميعهم
لا يتفاضل اي لا يزيد بعض على بعض **وانما التفاضل** والتفاوت **في زيادة الاحوال** اي
العوارض الظاهرية عليها **والخصوص** اي ما خص به بعضهم دون بعض **والكرامات** التي
اكرمهم الله بها بعضهم **والرتب** الدنيوية والاخروية **والالطاف** اي العطايا التي اعطاها الله
لبعضهم جمع لطف بفتحتين وهو الهداية كما مر فهو استعارة هنا **واما النبوة نفسها فلا تتفا
وانما التفاضل بامور اخر زايدة عليها** طارية ليس من نفس حقيقتها كما بيناه **ولذلك** اي
لما ذكر من ان التفاضل لامر زايد **كان منهم رسل** غير اولي عزم **واولو عزم من الرسل** والعزم
القوة والشدة والتصميم على تنفيذ ما يراه اولى به وبغيره والرسل جمع رسول وهو صاحب
الرسالة من الله بشريعة المامور بالتبليغ فهو اخص من النبي على المشهور من الرسل بالكسر وهو
تتابع الدر ومنه على رسلك اي تمهل وتثبت وقد اختلف في اولي العزم والحزم منهم فقيل هم
خمسة نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وهم اصحاب الشرايع وقيل
اربعة نوح وهود وابراهيم ومحمد صلى الله عليه وسلم وقيل ستة ابراهيم وموسى وداود وسليمان
وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وقيل هود ونوح وصالح وشعيب ولوط وموسى وهم المذكورون
على نسق في الاعراف والشعرا وقيل هم نوح لصبره على اذى قومه وابراهيم لصبره على النار
واسحاق لصبره على الذبح في قول ويعقوب لصبره على فقد ولده ونور بصره ويوسف لصبره على
السجن وايوب لصبره على الضر وقيل هم المامورون بالجهاد وقيل نحو الرسل المذكورون في
الانعام واختاره الحسن لقوله اولئك الذين هدى الله الخ وهذا مبني على تفسير العزم ثم بين
بعض ما وقع فيه التفاضل **ومنهم من رفع الله مكانا عليا** وهو ادريس سبط شيث وجد نوح
والمه قد يما اخنوخ رفع الى السما او الجنة كما قاله المفسرون وكذا عيسى **ومنهم من اوتي الحكم
صبيا** وهو يحيى اذ احكم الله عقله ونباه واتاه الحكمة وفهم التوراة واكثر الانبيا نبي
بعد الاربعين وقد ذكر مثل هذا في عيسى ايضا **واوتي بعضهم الزبور** وهو داود وفي نسخة
الزبر جمع زبور بمعنى فيشمل موسى وعيسى وادريس وشيث وداود وقيل انه يكون مصدرا كما
في الصحاح لابي علي **وبعضهم البينات** اي المعجزات الظاهرة الباهرة التي لم يؤتها احد قبله من
احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص ونحوه مما فضله الله به وهو عيسى **ومنهم من كلم الله**
من غير واسطة وهو موسى اذ كلمه بالطور ولما راى نارا **ورفع بعضهم درجات** عالية
فضله بها على غيره وهذا اجمال لقضايا لم تذكر والمراد به محمد صلى الله عليه وسلم اذ فضله بها

علي من سواه بوجوه متعددة ومراتب متباعدة كدعوته العامة للعرب والعجم والجن والانس والملائكة ومعجزاته الباقية الى يوم القيمة ومن اجلها القرآن وغيره مما يفوت الحصر قال تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين علي بعض الاية وقال تلك الرسل فضلنا بعضهم علي بعض الآية هذا بيان لما قبله اوناظر لجميعه كما اشرنا اليه وقوله تلك امة باعتبار الجماعة قال بعض اهل العلم بالكتاب والسنة والتفضيل المراد لهم هنا عطف علي مقدر او علي ما تقدم وهنا اشارة لما ذكر قبله في الدنيا متعلق بالتفضيل وذلك بثلاثة احوال وفي نسخة اوجه ان تكون آياته ومعجزاته ابهر اي اقوي واغلب من بهر ضوء القمر الكواكب اذا غلبها واشهر عطف تفسير له كانشقاق القمر والقرآن وانفلاق البحر وانقلاب الفصاحة وتكون بالنصب امته ازكي واكثر اي انقى واكثر من غيرهم كنبينا لقوله كنتم خير امة وجعلنا الناس كافة ويكون بالنصب في ذاته افضل بزيادة علمه وخصاله المحمودة واظهر بالمعجمة اي اشهر وبالمهملة انقى وانفى وفضله في ذاته ونفسه راجع الى ما خصه الله به اي ماله ومعناه من كرامته اي اكرام الله له بما آتي ومناقب عظيمة وهباته واختصاصه بالجر معطوف علي مدخول الى ومن من كلامه بيان لاختصاصه بمعنى ما خصه به بغير واسطة كموسي ونبينا صلى الله عليه وسلم او خلة تقدمت وانها لابراهيم اوله ولنبينا صلى الله عليه وسلم او برؤيته عيانا قبل دخول الجنة كما في المعراج او ما شا الله وارادة لهم غير ما ذكر من الطافه بفتح الهمزة اي عطاياه كما تقدم وفي نسخة الطافه بالاضافة وتحفه ولاينه اي تحفا ولاهالهم واختصاصه مما اختصهم به من قرة اعين لا يعلمها الا الله وقد روي بالبنا للمجهول وهذا رواه ابن ابي حاتم والحاكم في مستدركه عن وهب بن منبه وهذا رجوع الى تنزيه يونس صلى الله عليه وسلم عما ذكر من الاوهام ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان للنبوة اثقالا اي احمالا ثقيلة قال تعالى وتحمل اثقالكم جمع ثقل والثقل كعنب وتسكن مقابل الخفة قال الراغب واصله للاجسام ثم يقال في المعاني كاثقله الغرم والوزر وهو في الانسان ذم في اكثر المتعارف وقد يكون مدحا كقوله ه

تخف الارض اما بنت عنها •	وتبقى ما بقيت بها ثقيلا •
حللت بمستقر الارض منها •	فتمنع جانبيها ان تميلا •

والمراد هنا المشاق التي تكون في تبليغ الرسالة وان يونس تفسخ منها الضمير للاثقال والاحمال وتفسخ بالفاء والسين المهملة المشددة والخا المعجمة تفعل من الفسخ اي تقطعت اعضاؤه وتفككت لعدم طاقته لحملها اثقال تفسخ البعير تحت الحمل الثقيل وفسخ ثيابه اذا ازالها ومنه فسخ العقود عند الفقها تفسخ الربع تفعل مصدر من الفسخ والربع بضم الراء المهملة وفتح البا الموحدة والعين المهملة وهو الفصيل اي ولد الناقة الصغير الذي يولد في الربيع وبعده الهبع الذي يولد وتفسخ منصوب بالمصدرية لتفسخ اي تفسخ كتفسخه اي لم يطق مشاقها ولم يصبر عليها وفي تشبيهه بالربع اشارة الى انه كان في مبتدا امره وفي قوله اثقالا استعارة تصريحية وفي تفسخ استعارة تصريحية تبعية ولا ينافي التشبيه ويجوز ان تكون استعارة تمثيلية وهو احسن ثم بين مراده فقال فحفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم بنهيه عن التفضيل موضع الفتنة اي ما يقع الناس بسببه في فتنة والم محال ورمى بتنقيص الانبيا فجعله كانه موضع لها تعرف فيه مزالة وهام التي يتوهمها من لا علم له وهو متعلق بحفظ اي صانه مما يتوهم او هو بيان لموضع من يسبق اليه بسببها اي المواضع او الاوهام وقيل المراد بسبب اثقالها من سام وضجر وقيل بسبب الفتنة وقيل بسبب قصة يونس جرح في نبوته بفتح الجيم اي ذكر ما لا يليق بمقام النبوة مما يقتضي عدم

العصمة

العصمة او قدح في اصطفائه اي ذم وتنقيص لكونه صفوة مختارا عند ربه مفضلا علي غيره والقدح ذكر المعايب والنقايص وحط من رتبته اي تنزيله من علو مقامه ووهن في عصمته اي عد عصمته فيه ضعف لما توهمه من ظاهر قصته السالفة فلذلك نهاهم عن تفضيله عليه فضلا عن تنقيصه لتساويهم في حقيقة النبوة وان تفاوتت احوالهم وصفا كما سمعته مفصلا شفقة منه بالنصب مفعول له وعلة لحفظه علي امته اي يقع منهم ما لا ينبغي بمقام النبوة فيكون لهم وزر يستحقون به سوء العاقبة بسخط الله وعقابه وقد يتوجه اي يحصل توجيه آخر في الجواب عما مر ويتاتي ويبتني هذا الترتيب اي علي ما رتبناه علي النبوة من الاختصاص بامور اكرمهم الله بها وجه خامس وهو ان يكون لفظ انا في الاحاديث السابقة راجعا الى القايل نفسه المذكور في قوله لا ينبغي لاحد ان يقول فليس المراد بضمير المتكلم النبي صلى الله عليه وسلم كما في الوجوه المتقدمة اي لا يظن احد من الناس غير الانبيا وان بلغ من الزكاء اي انه بلغ من الزكاء بالزاي المعجمة اي الصلاح وزيادة الخير قال التلمساني انه بخط المصنف كذا ورواه العزفي تلميذ المصنف بالذال وهو الفطنة والعصمة اي الحفظ من الذنوب وليس المراد بها ما خص به الانبيا وهي المذكورة في قولهم اسالك العصمة في الحطرات والسكنات ولذا جوز بعضهم الدعاء بها ومنعه بعضهم كما فصله ابن حجر في فتاويه والطهارة اي البراءة من الاوزار ما بلغ اي مثلها عظيما فما مصدرية او موصولة انه خير من يونس بن متى وهو معمول يظن المنفي لاجل ما حكى الله عنه تعليل لظنه اي ما قصه في قصته من لومه علي تضجره وعدم صبره علي قومه لتماديهم في عنتهم وعدم اجابتهم دعوته للايمان وسوق كلامه مؤذن بان القايل من غير الانبيا كما يشهد له قوله فان درجة النبوة ورتبتها العالية افضل واعلى عند الله من درجة غيرهم من الاتقيا وهذا امر فرضي ومبني علي عدم العلم بالنهي عن مثله فلا يرد عليه انه كيف يكون تقيا وقد صدر منه تنقيص لانبيا الذي قيل انه كفر وايضا كيف وصفه بالعصمة وهو غير نبي وان تلك الاقدار جمع قدر بفتح القاف والدال المهملة اي ما قدر الله عليهم لحكمة باهرة وليس بمعجمة وان جاز تاويله بانه بالنسبة لمقامهم ذنب مستقذر فانه غير مناسب لفظا ومعنى لم تحطه عنها اي لم ينزل يونس عن درجته مثقال حبة خردلة التي اصغر الحب والاحسن حبة خردل بدون ها ولا ادنى اي اقل واصغر من خردلة اي لم ينقصه اصلا وسنزيد في القسم الثالث في هذا بيانا ان شا الله بايضاحه وتفصيله فقد بان لك الغرض المقصود الذي قصدناه في هذا الكتاب وسقط بما حررناه اي بما قررناه ولخصناه او كتبناه والتحرير التخليص واظهار الزبدة لان اصله جعل الشي حرا اي خالصا ومنه حر الوجه لاكرم موضع منه والحر المقابل للعبد والتحرير بمعنى الكتابة من الخاص الذي صار عاما واصله كتابة ملخصة او كتابة العتاقة كما في الكشف شبهة المعترض الذي اعترض علي ما تقدم ولو قال من اعترض كان سجعا لكن المصنف لم يقصده ولما كان ما تقدم في ذكر فضايله واسماؤه دالا علي ذلك عقبه بذلك كما اشار اليه بقوله ه

• فصل في اسمائه •

صلى الله عليه وسلم وما تضمنته من فضيلته اي ما هو بعض مدلوله ولازم لمقتضاه حتى كانه ضمنه والاسما جمع اسم والكلام علي كونه من السمة او السمو اغنانا شهرته عن ذكره واما البحث عن كونه عين المسمى او غيره فبحث لا طايل تحته فلا وجه لذكره هنا وقد افردناه بالتاليف والاسم

له معان فيطلق على مقابل الفعل والحرف وعلى مقابل الكنية واللقب وعلى مقابل الصفة
المشتقة ويكون بمعنى العلم والظاهر ان المراد به ما شاع اطلاقه عليه سوا كان علما او صفة
او غيرهما وسواء اختص به وضعا ام لا فهو العلم وما يشبهه وكثرة الاسما تدل على شرف المسمى
ولواده عاقلا بن دكرة اسما الخمر او هو اكثري وهو الظاهر وفي شرح الترمذي ان للنبي صلى
الله عليه وسلم الف اسم كما ان لله الف اسم ونقل مغلطاي انها تبلغ ثلاثمائة وقيل انها تسعة
وتسعون كاسما الله ومنها ما هو بلفظ الفعل والمصدر واكثرها صفات شاهدة كما اشار اليه المصنف
بقوله تضمنت فضيلته ولابن دحية تاليف سهل في اسمايه صلى الله عليه وسلم ثم ان المصنف ذكر
هنا حديثا رواه الشيخان عن محمد بن جبير عن ابيه ليبين متصلا لا ان المصنف رواه عنه مرسلا
لعلو سنده فيه بل رجاله فقال **حدثنا ابو عمران موسى ابن ابي تليد الفقيه** تليد بفتح
المثناة الفوقية واخره دال مهملة بمعنى قديم العهد لولادته معه فناوه مثبت له من واقي
وهو ضد الطارف وقد تقدمت ترجمته **حدثنا ابو عمر الحافظ** ابن عبد البر وقد تقدم ايضا
حدثنا سعيد بن نصر تقدمت ترجمته ايضا **حدثنا قاسم ابن اصبغ** بهمزة مفتوحة وصاد
مهملة وموحدة تحتية وغين معجمة وهو قاسم بن اصبغ بن محمد بن يوسف بن واصح بن عطا الامام
الحافظ محدث الاندلس ابو محمد الاموي مولاهم القرطبي كان صدوقا عالي الاسناد ثقة ولذا
قطع الرواية في آخر عمره خوفا من الغلط ولد سنة سبع واربعين ومايتين وتوفي بقرطبة
في جمادي الاولى سنة اربعين وثلثمائة **حدثنا محمد بن وضاح** ابن وزيغ مولى ملك الاندلس
عبد الرحمن بن معاوية الاموي الحافظ محدث الاندلس ابو عبد الله القرطبي مولده سنة تسع وتسعين
ومائة او سنة مايتين بقرطبة وتوفي في المحرم سنة سبع وثمانين ومايتين قال الذهبي انه
صدوق روى عنه كثير من اهل الاندلس **حدثنا يحيى بن يحيى** الليثي عالم الاندلس وراوي
الموطا وليس له رواية في الكتب الستة الا نادرة وقد تقدم الكلام عليه **عن محمد بن جبير بن
مطعم عن ابيه** ومحمد هو ابو علي وقد روى عنه الزهري وهو روى عن ابيه جبير بن مطعم
بن عدي بن نوفل وهو صحابي اسلم بعد الحديبية وروى عنه ابناه محمد ونافع وروى عنه
ابن المسيب وكان سيدا وقورا توفي سنة تسع وخمسين واخرج له الايمة الستة واحمد في
مسنده وهذا الحديث اخرجه مالك في الموطا والترمذي في الشمائل والبخاري وهو حديث صحيح
مسند **قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لي خمسة اسما** قدم الجار والمجرور للتبرك
والتاكيد او للتخصيص باعتبار انه لم يتسم بها احد قبله او لانه اشتهرها في الامم الماضية فالتخصيص
المستفاد من التقديم اضافي لا حقيقي لزيادتها على ذلك وقال السيوطي في كتاب الرياض
الانيقة في اسما خير الخليقة انه قبل ان يطلعه الله على بقية اسمائه وقال المصنف انها موجودة
في الكتب القديمة عند الامم السالفة ورد بانه فيها اكثر فالحق ان مفهوم العدد غير معتبر فلا
يفيد الحصر وقال ابن عساكر في كتاب المبهمات يحتمل ان لفظ العدد ليس من كلام النبي
او التخصيص لان المراد خمسة اسما فاضلة او معظمة مشهورة انتهى ولا يخفى ما فيه وانه مخالف
للظاهر وقال ابن فارس ان اسماءه الفان وعشرون وقيل المراد خمسة سماني بها ربي وباقيها
اوصاف والاسماء توقيفية فلا يجوز ان يسمى بما لم يسمه به الله او يسمي هو به نفسه او الامة
وجده **انا محمد وانا احمد وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر** اي يزيله حقيقة من جزيرة
العرب وحكما من جميع الارض وقيل يمحو به سيئات من تبعه كقوله قل للذين كفروا ان ينتهوا

بقوله

يغفر لهم ما قد سلف وقوله بي كان الظاهر ان يقول به لكنه راعى فيه المعنى كقوله هم
انا الذي سمتني امي حيدره • والكلام عليه مفصل في كتب العربية **وانا الحاشر الذي
يحشر الناس على قدمي** بتشديد اليا مفتوحة وتخفيفها ساكنة اي يحشرون على اثري وبعد
نبوتي اذ ليس بعده نبي وقد روي انا الحاشر الذي يحشر الناس خلفه وعلى ملته دون ملة غيره
وانا العاقب الآتي عقب الانبيا فلا نبي بعده وعيسى ياتي على شريعته وقال ابن الاعرابي
العاقب من يعقب غيره في الخير ومنه العقب بمعنى الولد وسياتي تفصيل معنى الحديث وقد سماه
الله في كتابه وهو القرآن **محمدا واحمد** في قوله ما كان محمد ابا احد من رجالكم وقوله ياتي من
بعدي اسمه احمد وكونه محكيا عن عيسى لا ينافي كون المسمي الله ولذا قيل ان عيسى انما اطلقه عليه
باعلام الله واذنه له فالمسمي حقيقة هو الله **لمن خصايصه تعالى له** اي الكاينة له اذ قلنا
بجواز حذف الموصول مع بعض الصلة فهو صفة او متعلق به لما فيه من معنى التكريم وقيل انه
مفعوله واللام مزيدة للتقوية والظاهر انه اسم غير موصوف بالتعدي وحده **ان ضمن اسماه**
فاعل ضمن ضمير الله والضمير المضاف اليه للنبي **ثناه** مفعول ضمن وهو مصدر مضاف للفاعل
او للمفعول باعتبار ان الضمير لله او للرسول اي ثناء الله عليه **وطوى اثناء ذكره** بفتح الهمزة
والمد جمع ثني كطفل وهو ما انعطف من الوادي ويقال هو في اثنائه ومثانيه اي داخله ونصبه
على الظرفية وطوى من قوله طوى الثوب اذا عطف بعضه على بعض وهو كناية عن الكتم والاخفا
فالمعنى اخفى داخل ذكر النبي اي في اسمائه التي سماه بها **عظيم شكره** اي شكره العظيم والضمائر
لله او للنبي فان كان ضمير شكره للنبي فاضافته له من اضافة الفاعل او المفعول اي كونه شاكرا او
شكورا شكرا عظيما لان اكثرها اوصاف غلبت عليه او اختصت به اختصاص الرحمن بالله مع بقاء
الوصفية او اعلام منقولة ملموح اصلها فتفيد المدح والاعلام وضعت لتعيين الذات
لكن المنقولة من الصفات تشعر بمعانيها الاصلية ولذا جاز دخول ال عليها ومعظم اعلامه كذلك **فاما
اسمه احمد** فوزنه **افعل مبالغة في وصف الحمد** مبالغة مرفوع خبر بعد خبر او منصوب مفعول
له والجار والمجرور صفته والمبالغة لانه افعل تفضيل حذف المفضل فصار للتفهيم نحو الله
اكبر اي من كل شي ثم نقل ولحظ اصله فلا يرد عليه انه علم فكيف يفيد ما ذكر وما قيل من انه
للتفضيل لا للمبالغة والمبالغة لها صيغ مخصوصة فقد وهم واطال في غير طايل على عادته
وقال السخاوي في سفر السعادة احمد اسم النبي صلى الله عليه وسلم ليس بمنقول من المضارع ولا
من افعل التفضيل فهو كاحمر واصفر وهو ابلغ من محمد وهو كل من تكاملت مناقبه وبلغ النهاية
في الحمد قال الاعشى • اليك ابيت اللعن كان كلالها • الى الماجد الفرع الجواد المحمد •
انتهى وفيه نظر لا يخفى وقدمه المصنف لانه اسمه في الكتب القديمة كالتوراة وقد سما به موسى
وعيسى كما نطق به القرآن وسماه الله به لانه حمد في مقام لم يحمد فيه سواه بمثل محامد كما تقدم
وسياتي تتمته ومحمد مفعل فهو في الاصل اسم مفعول من التفعيل فيبنى عن الكثرة ففيه مبالغة
ايضا ولهذه الصيغة معان اخر مذكورة في كتب التصريف وفي شرح الهادي كانه من تجمل
قال ابن مغلطي وهو غلط وتوجيهه بانه لم يستعمل في غير العلمية يرده بيت الاعشى المذكور
وروى عن ابن عباس بسند متصل كما رواه البيهقي في دلايل النبوة انه لما ولد عق عنه
عبد المطلب بكبش وسماه محمدا فقيل له يا ابا الحارث ما حملك على ان سميته محمدا ولم تسمه
باسم ابائه فقال اردت ان يحمده الله في السما ويحمده الناس في الارض واخرج عنه ابن اسحاق

مُشعراً ان امه آمنة بنت وهب حدثت انها اُتيت حين حملت به فقيل لها انك حملت بسيد هذه الامة فاذا وقع الى الارض فقولي • اعيذه بالواحد • من شر كل حاسد • وكل بر عاهد • وكل عبد زائد • برود غير زائد ورى فانه عند الحميد الماجد • حتى اراه قد اتى المشاهد فاذا وضع فسميه محمدا فان اسمه في التوراة احمد يحمده اهل السماء والارض واسمه في الفرقان محمد فسميته بذلك وقال ابو الربيع بن سالم في سيرته روى ان عبد المطلب انما سماه محمدا لرؤيا رآها كان سلسلة من فضة خرجت من ظهره لها طرف في السما وطرف في الارض وطرف في المشرق وطرف في المغرب ثم عادت كانها شجرة على كل ورقة منها نور واهل المشرق والمغرب يتعلقون بها فقصها فعبرت بمولود من صلبه يتبعه اهل المشرق والمغرب ويحمده اهل السما والارض فلذا سماه محمدا مع ما حدثته به آمنة انتهى فانه صلى الله عليه وسلم اجل من حمد بفتح الحاء وكسر الميم والبنا للفاعل اي اجل الحامدين وافضل من حمد بالبنا للمجهول قيل انه لف ونشر مرتب فالاول راجع لاسم احمد والثاني لمحمد والتفضيل استفيد من محمد لما فيه من التكثير وكون الله لم يسم به غيره فكان افضل من حمد والحمد مصدر محتمل للحامدية والمحمودية وان تعين في محمد الثاني وجوز ابن القيم في احمد ان يكون بمعنى المفعول اي اكثر محمودية والفرق بينه وبين محمد انه لزيادة الكيفية ومحمد لزيادة الكمية وهذا ابلغ في مدحه ولو اريد الفاضل لقيل حماد بدل احمد واعترض عليه بانه تخصيص من غير مخصص وبنا اسم التفضيل من المفعول شاذ كاشغل من ذات النحيين وكونهما ابلغ من احمد كما اقتضاه كلامه لا وجه له اقول هو لم يبين ما قاله وانما ادعى جوازه وانه اولى لسلامته من التكرار والترادف الذي هو خلاف الاصل وترجيح حماد على احمد ليس لابلغيته بل لانه اكثر واقيس واما كون التفضيل من المفعول شاذ فسلم ولكنه سمع من العرب في قولهم العود احمد وانشده الزمخشري واول من قال العود احمد خداش بن حابس التميمي وقول المص واكثر الناس حمدا اي محمودية بدليل قوله فهو احمد المحمودين والاعتراض عليه بما ورد على ابن القيم ساقط لما سمعته آنفا واحمد الحامدين هو وما بعده بيان لوجه التسمية بهما ويصح ارجاعه لكل منهما من غير لف ونشر قيل اسمه احمد قبل محمد في البسائس فانه تعالى لما خلق نوره قبل كل مخلوق حمده بمحامد الهمه اياها لم يحمده بها غيره فكان احمد من دخل تحت كلمة كن في عالم الخلق والامر ولما ظهر للثقلين حمد على السنتهم فاستحق ان يسمى محمدا فاذا كان يوم القيمة كان احمد الخلق فيسمى احمد فلما عمت شفاعته العظمى حمده الخلق فسمي محمدا وفيه من التكلف ما لا يخفى ومعه لواء الحمد يوم القيمة اللواء علم الجيش وهو اكبر من الراية اي انه تحت امره او في يده وهذا يحتمل انه على حقيقته ليعلم الله ان هذه المرتبة بتفوقه على كل مخلوق في كونه حامدا او محمودا ومعنى لواء الحمد انه لواء يتبعه كل حامد ومحمود ويعلم ذلك بالهام الله او بندا الملائكة معه او باعلان الحمد خلفه ونحوه والحاصل حمده حينئذ من ظهر الشفاعة وكلمة الانبيا ويحتمل انه تمثيل لشهرته في اهل الموقف وعدم التاويل اسلم ليتم كمال الحمد مبني للمفعول او الفاعل واختار البرهان الاول واتمام حمده له باشتهاره وتسليم كل احد له من غير تردد كما كان في الدنيا لبعض اهلها كما اشار اليه بقوله واشتهر في تلك العرصات بسكون الراء ويجوز فتحها وعرصة الدار ساحتها وهي البقعة الواسعة التي ليس فيها بنا وجمعها عراص وعرصات وفي التهذيب سميت ساحة الدار عرصة لان الصبيان يعرصون فيها اي يلعبون ويمرحون والمراد هنا ارض الموقف والمحشر بصفة الحمد وهو الثنا على الجميل

عرصي

عُرصي

٢٢٢

الاختياري على جهة التعظيم وقيل حقيقته اظهار الصفات الكمالية باللسان او بغيره وفيه كلام في شرح الزوراء للجلال الدواني ويبعثه ربه هناك اي في العرصات مقاما محمودا كما وعده بقوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا ونصب مقاما على المفعولية بتضمين يبعث معنى يعطي وعلى الظرفية لشبهه بالمبهم او هو حال على ما فصل في الكشاف وشروحه وبين محموديته بقوله يحمده فيه الاولون والاخرون اي جميع الخلق لانهم تحت لوائه وهو مقام الشفاعة العظمى حين اعترف جميع الرسل بالعجز وقيل له اشفع تشفع لشفاعته لهم في فصل القضا كما تقدم ويفتح عليه فيه اي في ذلك المقام من المحامد جمع محمد بمعنى حمد اي يلهمه الله محامد عظيمة يحمده بها وأصل الفتح ضد الغلق فاستعير للاعطاء والالهام وتيسير الامور كما استعير المغلق للصعب ومن بيانية لمقدر اي امرا ونحوه او لما بعده ان قلنا بجوازه كما مر كما قال عليه السلام اشارة الى وروده في الحديث كما تقدم ما لم يعط غيره من الانبيا ويعط مبني للمجهول وغيره بالرفع نائب الفاعل وسمى الله لعلمه من السياق وهو مجهول وهو الاولى امته في كتب انبيائه كالتوراة والانجيل كما ورد في الحديث بالحمادين اي المبالغين في الحمد وروى الدارمي عن كعب انه قال نجد مكتوبا في التوراة محمد رسول الله مولده بمكة وهجرته بطيبة وملكه بالشام وامته الحمادون الخ فحقيق ان يسمى محمدا واحمد اي بان يسمى لانه يتعدى بالباء وقد يتعدى بعلى كما في حقيق على ان لا اقول الا الحق لما فيه من معنى الوجوب كما في الحجة لابي علي وتفريعه على ما قبله لانه اذا حمد بما لم يحمد غيره وحمده الاولون والاخرون وكثر حمد الله كان جديرا بذلك ثم في هذين الاسمين محمد واحمد اي في تسمية الله له بهما قبل وجوده من عجائب خصائصه اي من العجائب التي خصه الله بها ولم يسبق احد لمثلها وبدائع آياته اي غرائب علامته التي اخترعت وتفسيره البديع بالحسن فيه مسامحة فن آخر اي نوع آخر غير ما تقدم وهو ان الله جل اسمه اي عظم في ذاته وفيه مناسبة وايماء لعظمة اسم نبيه اذ قرنه باسمه وخصه به كما اختص باسمائه الحسنى حمى اي منع وصان عن ان يسمى بهما احد قبل زمانه مع ذكرهما في الكتب القديمة والامم السالفة كما بشر نبي باسمه احمد وانما صان اسمه ليعلم اذا سمي بهما انه النبي الموعود به وعد من الخصائص لانه بعد الاعلام باسمه منع من التسمية به مع انها اعلام منقولة فلا يرد ان كثيرا من الاعلام المرتجلة للانبيا وغيرهم لم يسبق تسمية غيرهم بها كآدم وشيث ونوح ويحيى قال تعالى ولم نجعل له من قبل سميا اما اسمه احمد الذي اتى في الكتب الالهية السالفة وبشرت به الانبيا كعيسى وموسى كما قال تعالى ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه احمد وقال تبع الاول كما نقل في السير

نبي لا يرخص في الحرام •	ويملك بعدهم رجل عظيم •
اعمر بعد مخرجه لعام •	يسمى احمدا يا ليت اني •

فمنع الله بحكمته اي بسبب حكمته او ملتبسا بعلمه وحكمته التي استاثر الله بها او اظهرها لبعض خلص عباده ان يسمى به احد غيره ولا يدعى مبني للمجهول بوزن يرمى اي يسمى به مدعو قبله مسمى قال اكثر العلما ان هذا هو الصواب وما نقل من ان الخضر اسمه احمد قول مردود واه كما قاله ابن دحية واما احمد بن عجيان بضم العين المعجمة وسكون الجيم ومثناة تحتية بزنة سفيان او بفتح الجيم وتشديد اليا فلا اصل له وقيل تسمى في الجاهلية قبل الاسلام بزمان طويل احمد بن ثمامة الطائي واحمد بن دومان البجلي واحمد بن زيد بن خراش السكسكي ومن القبائل بنو احمد

مل

ي

به

في همدان وبنو احمد في بجيلة وبنو احمد في طي ولم يكن قريبا من عهده من تسمى به صيانة له واما
بعده فاول من تسمى به احمد بن عمرو بن تميم الفرهودي او الفراهيدي ابو الخليل النحوي الزاهد وبركة
هذا الاسم كان له من العلم والتقوى ما لم يكن لغيره ثم بين حكمة صيانته بقوله حتى لا يدخل على ضعيف
القلب لبس اي التباس واشتباه لعدم تمييزه وضعيف القلب من لا عقل له تام وراي صائب
ونظر يفرق به بين الحق والباطل فضعف القلب كناية عن قلة العقل الذي هو محله وقوته كناية عن
ضده وان اشتهر في الجراة وعدمها او شك معطوف على لبس ويجوز ان يراد به هنا ما يقابل الوهم
والظن ومطلق التردد وعدم الجزم ومن ظن تعينه هنا وتباينهما لا يجدي لبس لشي وكذلك محمد
اي مثل احمد في عدم التسمية به قبل بعثته وجعله مشبها به لانه لم يسم به اصلا على الاصح ايضا مصدر
آض بمعنى عاد ورجع ويراد به في العرف التشبيه فهو تاكيد لقوله كذلك لم يسم به احد من العرب
ولا غيرهم الى ان شاع واشتهر قبيل وجوده صلى الله عليه وسلم قبيل في النسخ مصغر كبعيد تقليل
زمانه وتقريبه وميلاده عطف تفسير على وجوده اي ولادته او زمانها وقيل الميلاد وقت الولادة
والمولد مكانها وحملت به امه آمنة ليلة ولد ليلة في شعب ابي طالب عند الجمرة الوسطى ووافق مولده
يوم عشرين من نيسان سنة اثنين وثمانين وثمانمائة من التاريخ الاسكندري وقيل كان في الساعة
الثامنة لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الاول فكان كما قيل • ربيع في ربيع في ربيع •
وقيل ولد في شعب بني هاشم بعد الفيل بشهر او اربعين او خمسين او تسعة وخمسين يوما وقيل غير ذلك
وسياتي تفصيله ان شاء الله تعالى ان نبيا يبعث اي يرسل من بعث بمعنى ارسل وقد قرب زمان بعثه وسنه
اذ بعث في البشر اسمه محمد فسمى قوم قليل من العرب ابناءهم بذلك الاسم رجاء ان يكون اي لاجل
رجاء ان يكون الولد المسمى به احدهم اي احد ابنائهم المسمين بمحمد هو اي النبي الموعود ببعثته فهو اسم
يكون واحدهم منصوب خبر مقدم او مرفوع اسمها وهو خبرها استعير فيه ضمير الرفع لضمير النصب والاصل
اياه والاولى اولى والله اعلم حيث يجعل رسالاته اقتباس لبيان انه لم يفدهم ذلك اذ ليس كل محمد رسول
ولا كل فاطمة بتول والاية رادة لهم كما يبطل قول من زعم من الحكما ان النبوة والرسالة تكتسب بالمجاهدة
وتصفية الباطن فانها موهبة الهية وان اختصت بمن جد في العبادة والتصفية حتى صار احسن الناس
خلقا وخلقا الى غير ذلك مما يستعد به لتلقي وحيه ومشاهدة ملائكته وحيث ظرف متصرف وهو هنا
مفعول به لفعل مقدر اي يعلم لان افعل لا ينصب المفعول وان صح تعلق الجار والظرف به وليس هنا
ظرفا لان علمه لا يوصف بانه في مكان او زمان لتقدمه وتفصيله في كتب العربية ويجوز افراد رسالته
كما قرئ به وانما سموا ابناءهم به لما بلغهم من الاحبار والكهان وروي في المبشرات وبشروا بقرب
زمانه فكانوا ينتظرونه انتظار المحب لحبيب له سيقدم وهم اي المسمون باسمه قبل ظهوره رجاء
لكونه المبشر به محمد بن احيحة ابن الجلاح الاوسي وقال البلاذري انه محمد بن عقبة بن احيحة
وتردد فيه ابن حجر في الاصابة واحيحة بضم الهمزة وحاء مهملة مفتوحة تليها مثناة تحتية ساكنة ثم حاء
مهملة مفتوحة وهاء والجلاح بضم الجيم وفتح اللام المخففة ثم الف وحاء مهملة والاوسي نسبة للاوس قبيلة
من الانصار ومحمد بن مسلمة الانصاري بن خالد بن عدي بن مجدعة بن حارثة بن الحارث ابن الخزرج
بن عمرو بن مالك بن الاوس الانصاري ووصف هذا بالانصاري دون محمد بن احيحة وهو من قبيلة الانصار
ايضا لانه لم يسلم وانما يقال الانصاري لمن اسلم منهم ولذا قال الذهبي من عد محمد بن احيحة من الصحابة
فقد وهم لانه لم يدرك الاسلام ولما هذا ابو عبد الرحمن الحارثي حليف بني عبد الاشهل المولود قبل
البعثة باثنين وعشرين سنة وهو ممن سمي محمدا في الجاهلية كما في الاصابة عن الواقدي من غير تردد فيه

وهو

وهو صحابي شهد بدرا وكان عمر يعده لكشف المعضلات في خلافته ومات بالمدينة سنة ثلاث
واربعين وقيل غير ذلك وهو من فضلاء الصحابة وقول بعض الشراح ان ذكر المصنف لمحمد بن مسلمة
ليس في محله لانه بصدد ذكر من سمي محمدا قبل مولده وهو ولد بعد مولده بنحو عشرين سنة لا وجه له لما
عرفته من خلاف ما هو مصحح في السير نقلا عن الواقدي وما قاله قول مرجوح وان قاله مغلطاي
في سيرته ومحمد بن براء البكري نسبة لبكر قبيلة مشهورة وبرا بموحدة تحتية مفتوحة وراء مهملة
تليها مدة وهو ابن طريف بن عتوارة بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناف بن كنانة والد اسم ابنه برا رايته
مصححا كذا في حواشي الحلبي وفي غيرها بريا بفتح الموحدة وتشديد الراء المهملة قيل وقد تخفف
وقال البرهان الحلبي ان محمد بن احيحة ومحمد بن مسلمة ومحمد بن برا لم يدركوا الاسلام بل هلكوا في
الجاهلية فعدهم فيمن اسلم امر عجيب فلا يليق بالمصنف وان كانوا ممن سمي محمدا قبل البعثة وكذا
محمد بن سفيان بن مجاشع التميمي فانه لم يدرك الاسلام وقد خطئ ابو نعيم في عده في الصحابة
ومحمد بن حمران الجعفي بضم الجيم نسبة للجعفة وهي معروفة وحمران بضم الحاء المهملة وسكون
المهملة وراء ثم الف ونون وفي بعض نسخ السير عمران بدله وهذا ايضا لم يدرك الاسلام
كما قاله البرهان ومحمد بن خزاعي السلمي بضم السين المهملة وفتح اللام وميم وياء نسبة نسبة
لقبيلة وخزاعي بضم الخاء المعجمة وزاي معجمة والف وعين مهملة نسبة لخزاعة وهو من بني ذكوان
واسم ابنه علقمة وهو لم يدرك الاسلام ايضا كما قاله البرهان الا ان هذا لا يعترض به على المصنف
لانه انما عد من تسمى محمدا قبل الاسلام اسلم ام لا وهم ستة لا سابع لهم وهذا على ما اختاره المص
ومنهم من نقص عددهم كالسهيلي فانهم لم يزدهم على ثلاثة ومنهم من زاد حتى بلغ العشرين كما قاله
ابن حجر مع تكرار في بعضهم وتردد في بعض وسياتي لهم سابع وقد علمت ما طعن به في محمد بن مسلمة
ويقال ان اول من سمي به اي باسم محمد قبله صلى الله عليه وسلم محمد بن سفيان بن مجاشع
التميمي السابق ذكره واليمن اي اهله فهو من اطلاق اسم المحل على الحال فيه تقول لم يسم به
اولا هذا بل سمي اولا محمد ابن اليحمد الازدي نسبة الى الازد من اليمن ابو حي ازد ذي الغوث
ويقال الاسد بالسين ايضا ومن نسله الانصار كلهم والازد شنوءة وعمان والسراة واليحمد قال
البرهان انه في النسخ بفتح الياء وسكون الحاء وضم الميم وقال ابن ماكولا انه بضم الياء وسكون الحاء
المهملة وكسر الميم واصحاب الحديث يضمون الميم وفي شرح مسلم للنووي انه بضم الياء وسكون
الحاء وكسر الميم وكذا في تقييد المهملة للغساني وهو علم منقول من المضارع وال مقارنة لنقله
لا داخلة بعد العلمية فانه شاذ قبلها كقوله • ما انت بالحكم الترضى حكومته •
فكيف به بعدها وقال ان هذا ليس من الستة فيكون سابعا وهو ينافي قوله لا سابع لهم وفي
سيرة مغلطاي زيادة محمد بن عدي بن ربيعة المنقري ومحمد بن عثمان السعدي قال واظنهما
محمد الاسيدي ومحمد بن عتوارة الليثي ومحمد بن جرمان العمري ومحمد بن خولة الهمداني ومحمد بن
يزيد بن ربيعة ومحمد ابن ابراويه بن مالك فزاد تسعة او ثمانية وتوقف المص في واحد منهم
وقد نقل في بعض هؤلاء انه ادرك الاسلام وكلام المص لا ينافيه الا في قوله الانصاري كما تقدم
والامر فيه سهل اذ لا مانع من اطلاقه على من لم يسلم لقرابته منهم تسمحا ثم حمى الله اي صان
ومنع تصرفه البتة كل من تسمى به اي بمحمد قبله صلى الله عليه وسلم ان يدعي النبوة تقديره
من ان يدعي ادعاءها بنفسه بان يقول انا نبي او يدعيها احد له بان يقول هو نبي او يظهر
عليه بفتح الياء التحتية وضمها مبني للفاعل ويجوز بناؤه للمجهول والاول اظهر وضمير عليه لمن

لسبب يشكل احدا في امره اي شي في ذاته يكون سببا موقعا للناس في شك في انه
هو النبي الموعود كبخاسه وصفاته الباهرة كما وقع له صلى الله عليه وسلم من الارهاصات
والاخلاق الباهرة او يجري على يديه ما يشككهم من سحر ومخرقة والعطف باو بمعنى الذي هو
في معنى النفي والنهي يفيد العموم كقوله ولا تطع منهم آثما او كفورا ولو عطف بالواو وهم ان المحي عنه
المجموع وان وقع بعض منها **حتى تحققت** اي ظهرت وثبتت في الخارج **التسميتان** اي الصفتان
اللتان هما المحمدية والاحمدية اللتان هما علامتان لموله فقد اسمه لمسماه وفي بعض النسخ السمتان
بياء بعد السين وهو خطا كما قاله التلمساني وطغيان من القلم **له صلى الله عليه وسلم** متعلق بالفعل
او بالسمتان وهو تسميته بما هو دال على انه المبشر به في الكتب السالفة والامم الماضية فادعى
الرسالة وشهدت له الكائنات بصدق دعواه ولم ينازع فيهما بفتح الزاي المعجمة والبنا للمجهول
اي لم ينازعه احد في التسميتين وانما قوله صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث **وانا الماحي الذي
يمحو الله بي الكفر** بيان لمعناه المراد منه ولذا اتى بقوله بعده **وفسره في الحديث** بالفا التفسيرية
وفسر مبني للمجهول اي فسره النبي صلى الله عليه وسلم بقرينة قوله في الحديث وهو صفة له وقيل علم
منقول منه وال للمح الوصفية ولما تراءى هنا سؤالان احدهما انه تقدم فلا حاجة لاعادته كما قيل
وان المحو معناه الازالة بالكلية والكفر موجود في كثير من الناس والبلاد ان اشار الى دفعهما بقوله
ويكون محو الكفر من مكة بعد الفتح اذ اطهرها الله عليهم ولم يبق بها منه عين ولا اثر **وبلاد العرب**
الظاهر انه وجه آخر والمراد بها جزيرة العرب وساحة الاسلام فانه لم يبق بها منه الا ما لا شي واضمحل
حتى صار كالعدم وقد كانت مملوة بالشرك فاستاصله الله على يد خيرته من خلقه وكذلك قوله
وزوي له من الارض اشارة لما ورد في الحديث زويت لي الارض مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك
امتي ما زوي لي منها واصل الزوي بالزاي المعجمة الجمع ومنه انزوى الجلد بالنار اي انه تعالى جمع
له جميع الارض بيد قدرته وطواها في قبضة قدرته حتى نظرها كلها وبشره بان امته تملكها
كلها حقيقة بعد نزول عيسى بن مريم او قبله ان قلنا انما ملكوه منها اعظمها واشرفها وهو الذي
ارتضاه المصنف لقربه **ووعده** اي الله او النبي لما ورد في الحديث **انه يبلغه** اي يصل اليه ويحوزه
ملك امته بضم الميم ويجوز كسرها اي يملكها وسلطانها على الوجه السالف وقد ورد انه زوي
له جانبا من الارض واخبره بانه يبلغه ملك امته ويمحو ما فيه من الكفر لاضمحلاله حتى يصير ما بقي منه
كالعدم ولما كان محو الكفر بامره وشرعه وبركته نسب المحو له فكانه الماحي حقيقة وقد قيل انه
كله جواب واحد **او يكون المحو عاما** شاملا لجميع الارض وليس المراد بها ارضا مخصوصة **بمعنى
الظهور والغلبة كما قال تعالى ليظهره على الدين كله** جواب ثان فيبقى على عمومه ولا يخص
بما مر فالمراد بالمحو علو الدين وغلبته لغيره من الاديان بنسخها وبيان ما غير وبدل منها وعلو اهله
على جميع من عاداهم بتسلطهم عليهم وقهرهم وايقاع الرعب في قلوبهم كما هو مشاهد قال الله عز وجل
هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ويوضحه ان المحو لغة اذهاب الاثر
وهو قد يكون مع بقاء العين وان ما لا اثر له كالعدم ولذا عبر بالماحي دون المزيل وما قبل هذا
جعله المصنف وجها واحدا وحمل المحو على ازالة يدهم عن تلك الاراضي كالعبيد بضرب الجزية عليهم
وجعلهم بازالة تصرفهم كالموتى وجعل محو آثارهم كمحو ذواتهم ونسخ اديانهم وكتبهم التي
هي بمنزلة ارواحهم وابطال شوكتهم وقهرهم كازالة ذواتهم ومحوها من صحائف الوجود ففيه
مجاز باعتبار وجوه مختلفة **وقد ورد تفسيره** اي الماحي بغير ما مر **في الحديث** والتفسير

المذكور

المذكور انه الذي محيت به سيئات من اتبعه بما انعم الله به على امته من المكفرات بما قبله من شفا
لهم في الدنيا والاخرة والعفو كالمغفرة موافقه للمحو لغة ومعنى وهذا مروي عن المصنف وقد سقط
من بعض النسخ فاسناده للنبي صلى الله عليه وسلم مجاز اذ هو سببه والعافي والغافر حقيقة هو
الله تع وهذا من خصائص امته وقد فسر قوله تع ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر بيغفر
لامتك وقد روي هذا التفسير الذي ذكره المصنف للماحي الحاكم في مستدركه وابو نعيم والبيهقي
قال ابن دحية انه حديث مرسل صحيح الاسناد وقال السيوطي انه مفصل ولفظه واما الماحي فان
الله محى به سيئات من تبعه وقال ابن حجر في شرح الشمائل معناه ان من آمن به محي ذنب كفره
وما فعله فيه قال تع قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وفي الحديث الاسلام يجب
ما قبله او يهدم ما قبله وخص بهذا نبينا صلى الله عليه وسلم لانه لم يمح احد الكفر كما محاه اذ جا على فترة
وقد عم الكفر وعبد الحجر فبلغ مسير النيرين والمراد بكونه من خصائصه ان الله لطف بامته بكثرة
المكفرات كثرة لم تكن قبله فهو مطلق مخصوص لوقوع خلافه في الآيات والآثار كقول نوح لا
استغفروا ربكم انه كان غفارا **وقوله** في هذا الحديث **وانا الحاشر** فسره صلى الله عليه
وسلم بعده بقوله **يحشر الناس** جميعهم مؤمنهم وكافرهم لدخولهم كلهم في شفاعته العظمى لتخليصهم
من هول الموقف والحشر وتعجيل الحساب لانه رحمة للعالمين **على قدمي** بالتخفيف والتشديد
كما مر وروي في السنن الذي يحشر الخ وفي رواية على عقبي ولما كان ظاهره ان يسوق الناس
للمحشر وليس بمراد فسره بقوله **اي على زمني وعهدي** وهما بمعنى لانه يقال هذا كان على عهد
الخلفا في عصرهم ثم قال **اي ليس بعدي نبي كما قال وخاتم النبيين** فهو اما بتقدير مضاف
اي على اثر قدمي من غير فاصل او القدم سواء كان مفردا او مثنى ما يتبعه الناس فيه وهو الشريعة
وقال الكرماني معناه على اثري كما جاء على عقبي او على زماني ووقت قيامي على القدم بظهور علامات
الحشر فيه اذ لا نبي بعده ويحتمل ان يراد اول محشور لانه اول من تنشق عنه الارض كما تقدم والقدم
معروفة وهي مؤنثة لتصغيرها على قديمة ويتجوز بها عن معان اخر كما في الاساس فيقال اجعله
تحت قدمه اذا عفا عنه وله قدم في كذا اي تقدم فلسبب له ذلك لتقدمه فيه وكونه السبب
فيه ثم انهم يجلسون في المحشر حتى يشفع فهو حاشر في هذا الحشر الثاني الى مقرهم من جنة او نار
فيتبعه جميع الخلايق فهو على هذا حاشر حقيقة وهذا هو المراد في رواية من رواه قدمي بالتشديد
مثنى وقول الكرماني ويحتمل الخ سبقه الخطابي وان كان ظاهره انه من بنات افكاره وارتضاه
ابن دحية وما ذكره المصنف وان سبق اليه فيه خفا الا ان يريد ان القدم مجاز عن الاثر كناية او
مجازا الا انه ينكر مع قوله العاقب وقال السيوطي ان الله وصف نفسه بالحشر في قوله ونحشرهم
فيكون هذا من اسمائه التي سماه بها فان سلم ما قاله كان ما قبله كذلك وحشر الناس في وقت
نبوته لبقاء ملته لانها لا تنسخ وليس بعدها شرع آخر فلا يرد عليه ان الساعة تقوم وليس على
وجه الارض من يقول الله وكونه خاتم النبيين آخرهم او من ختموا به على قراءة الفتح لا يابى نزول
عيسى بعده لانه ينزل تابعا له عاملا بشرعه ولذا دفن عنده لانه آخر خلفائه وقيل المراد انه
آخر من بعث وعيسى نبي قبله وان مات بعده كالخضر والياس على قول وقيل سمي حاشرا لانه حشر
بني النضير من حصونهم وخرب ارضهم وهو ضعيف رواية ودراية **وسمي عاقبا لانه عقب
غيره من الانبيا** اي خلفهم في الخير ومنه عقب الرجل لولده وفسره بمن لا نبي بعده ايضا فانه
العاقب الاخر وقد فسر في حديث مروي عن ابن جبير فهو اصح واحسن وقيل العاقب عند العرب

من يكون خلف سيد القوم فمعناه خليفة الله لانه احق بخلافته من جميع الرسل ومن الغريب ما قيل انه اسمه عند اهل النار من امته لان الله ينسيهم اسمه محمد فاذا ذكروه ارتفع عنهم العذاب وهو ضعيف وقيل بمعنى على قدمي انه يحشر الناس بمشاهدتي اي برضائي ومعي بمراي مني لسبقي للناس في القيام من القبر كما قال تعالى لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وهذا بناء على انه من الشهادة بمعنى المشاهدة والمعاينة والجمهور على انه من الشهادة كما ورد في الصحيحين من ان امته تشهد للرسل بالتبليغ وهو يشهد لامته بالصدق وهو معنى جعلهم امة وسطا اي عدولا وخيارا وآخر المصنف هذا وهو متعلق بما قبله من معنى الحاشر اشارة الى انهما بمعنى ومعنى قوله لي خمسة اسما جواب سؤال مقدر تقديره ان اسماءك كثيرة فجعلها خمسة او عشرة ان قلنا بمفهوم العدد مخالف للواقع والا فهو زيادة بغير فايدة قيل انها موجودة في الكتب المتقدمة المنزلة على الانبيا كالتورية والانجيل وعند اولي العلم من الامم السالفة اي السابقة فتخصيصها بالذكر لهذه الفايدة ومر ضده لما سيأتي من ان له اسما اخر في الكتب القديمة ايضا وكون العدد لا مفهوم له لا يدفع السؤال كما توهم وكونه لم يقف على الزيادة حين ذكره بعيد والله اعلم بوجه التخصيص فيما ذكر وقد روي عنه عليه الصلاة والسلام في حديث رواه ابو نعيم في الدلايل وابن مردويه في تفسيره من طريق يحيى التيمي وهو وضاع عن سيف بن وهب وهو ضعيف عن ابي الطفيل لي عشرة اسما وقد تقدم انه لا معارضة بينه وبين غيره من الاحاديث وذكر منها طه ويس كما حكاه مكي تقدمت ترجمته وقد تقدم هذا وانما اتى به ليتبعه بتفسيره الذي ذكره وقال ابو بكر بن العربي في احكام القران اختلف الناس في معناه على اربعة اقوال الاول انه اسم من اسماء الله قاله الامام مالك وروي عنه اشهب قال سالته هل ينبغي لاحد ان يسمى بيس قال ما اراه ينبغي لقوله تع يس والقران الحكيم اي هذا اسمي يس الثاني قال ابن عباس يس يا انسان بالحبشية وباطه يا رجل وروي عنه انه اسم الله كما قال مالك الثالث انه كنى به النبي صلى الله عليه وسلم قيل له يس اي يا سيد الرابع انه من فواتح السور وروي عن ابن عباس انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سماني الله في القرآن بسبعة اسما محمد واحمد وطه ويس والمدثر والمزمل وعبد الله وهذا حديث لم يصح وروى اشهب عن مالك لا يتسمى احد بيس لانه اسم الله وهو كلام بديع وذلك ان العبد يجوز له ان يتسمى باسم الرب اذا كان فيه معنى كعالم او قادر وانما منع مالك من التسمية بهذا الاسم لانه من الاسما التي لا ندري معناها فربما كان معنى ينفرد به الرب فلا ينبغي ان يقدم عليه من لا يعرفه لما فيه من الخطر فاقتضى النظر المنع منه فان قيل فقد قال الله تع سلام على آل يس قلنا ذلك مكتوب بهجائه فيجوز التسمية به وهذا الذي هو متهجى وهو الذي تكلم مالك عليه لما فيه من الاشكال انتهى وهو كلام نفيس الا ان فيه بحثا لان تجويز التسمية بيس من وجه ومنعه من اخر فيه انه عند التلفظ لا يعرف منه الهجا وعدمه الا ان يقال مراده المنع في غير ما ورد في القرآن فتدبر وقد قيل في بعض تفاسير طه انه يا هادي على انه اسم النبي كما رواه السيوطي عن ابي الطفيل وتقدم انه قيل انه من اسماء الله وما ذكره السيوطي مروي عن الواسطي وزاد به ان كل حرف منه بعض من اسم فالطا من طاهر من كل عيب وذنب والها من هادي الخلق الى خير فهو اسم مركب من اسمي حرفين كما في السمرقندي وفي البخاري عن سعيد بن جبير معناه يا رجل بلغة عك وقيل معناه اطمئن وقيل معناه طا الارض والها ضمير الارض وقيل يا رجل بالسريانية فعرب وقيل هو بالنبطية وهي لغة اهل سواد العراق وقيل معناه بلغة عك يا حبيبي وقيل طوبى

لمن هدى وقيل في بعض يس انه يا سيد حكاه السلمي بضم السين وفتح اللام وهو ابو عبد الرحمن كما تقدم في ترجمته عن الواسطي نسبة الى واسط بلدة معروفة وقد تقدمت ترجمته وجعفر بن محمد هو جعفر الصادق الامام المشهور كما تقدم وهذا مروي في اسمائه عن ابن الطفيل ورواه البيهقي في دلائله مسندا وقال السهيلي لو كان من اسمائه لقيل يس بالضم وقال ابن دحية هذا غير لازم مع انه روي عن الكلبي انه قراه بالضم ايضا وقيل معناه يا انسان بلغة طي واصله يا انيسين فاقتصر على بعض منه تخفيفا وقد بسطنا الكلام عليه في حواشي البيضاوي وقيل معناه يا رجل وقيل يا سيد البشر وذكر غيره اي غير الواسطي وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لي عشرة اسما فذكر الخمسة التي في الحديث الاول الذي سمعته آنفا وزاد عليها وقال وانا رسول الرحمة لقوله تع وما ارسلناك الا رحمة للعالمين لانقاذهم من العذاب في الدنيا والاخرة فمن اتبعه نجا في الدنيا من القتل ومن ذلة الكفر والجزية وفي الاخرة من العذاب المخلد والخزي المؤبد واراحهم من التعب فيها فلذا سمي كما قال ورسول الراحة لانه راحة للمؤمنين لما رفع عنهم ما كان في الامم السالفة من الاصر والمشاق بما شرعه من الرخص والتخفيفات وفي الاخرة راحتهم العظمى لانه منهم ونفعهم ورفع التكليف عنهم وراحة للكافرين بترك قتلهم وسبي ذراريهم اذا قبلوا الجزية فنزلوا في حرم الامان آمنين وامنت امته من الخسف والمسخ وستر عليهم معاصيهم وكان من قبلهم اذا عصى اصبح وقد كتب على باب داره فلان فعل كذا وكذا وتسميته بنبي الرحمة رواه ابي والحاكم مسندا عن ابي هريرة وصححوه وورد في بعض طرقه نبي الرحمة وما سبق انسب بالاية ورسول الملاحم جمع ملحمة وهي الحرب والقتال سميت بذلك لالتحام الابطال فيها اي ازدواجهم فيها لانه ارسل بالسيف وامر بالجهاد ولم يقع لنبي ولا امة من الجهاد والقتال ما وقع له ولامته ولا يزالون كذلك حتى يقاتلوا الدجال وينزل عيسى ابن مريم وهذا لا ينافي كونه رحمة لانه رحمة حقيقية اذ في قتاله غنيمة المسلمين وهداية بعض الكفار الى الاسلام وامن دار الاسلام وغير ذلك مما لا يحصى والجواب بانه رحمة لاوليائه حرب لاعدائه مع ما فيه لا يناسب للعالمين وانا المقفي قفيت النبيين كلاهما بالتشديد كما قال تع ثم قفينا على آثارهم وهو اما بمعنى التابع الذي جا على اثرهم لان معنى قفى تبع ومنه القافية وفيه من الفضل انه وقف على احوالهم وشرايعهم فاختار له الله من كل شي احسنه وكان في قصصهم له ولامته عبر وفوايد او المراد انه خاتمهم وآخرهم ووقع في بعض النسخ المقتفي بزيادة التا الفوقية واقتصر عليه بعض الشراح ونقله عن الطيبي ثم قال ان المقفي ذكره الطيبي ولم يرد به نص صريح وفيه نظر وانا قيم بالقاف ومثناة تحتية بزنة سيد فسره المصنف بقوله والقيم الجامع الكامل اي الجامع لمكارم الاخلاق النفيسة الكامل فيها او الجامع ليشمل الناس بما ينفعه بينهم وجمع شتاتهم لان القيم يكون بمعنى السيد لقيامه بامر الناس وامر الدين كما قال ابن الاشرم لما وفد على النبي صلى الله عليه وسلم كما رواه الآمدي

بدلت دينا بعد دين قد تدم • وكنت في الدين كاني في ظلم

يا قيم الدين اقمنا نستقم

وفي الحديث انه قال صلى الله عليه وسلم اتاني ملك فقال وانت قيم وخلقك قيم اي مستقيم حسن وفي النهاية القيم القايم بامور الخلق وتدبير العالم في جميع اموره وهو مرادف للقيوم الذي هو من اسمائه تع ولا بعد ان يسمى النبي صلى الله عليه وسلم بشي من اسماء الله تع كما ورد في الحديث انت قيم

السموات والارض ومن فيهن وقال ابن دحية بمعنى القايم كما نقله السيوطي في الرياض الانيقة
كذا وجد تسميته بالقيم في كتب الحديث **ولم اروه** بطريق من الطرق المعتبرة عند المحدثين الا
اني وجدته فيما رواه غيري وهذا عند المحدثين يسمى الوجادة وله شروط عندهم وهو مما يستانس به
وهذا رواه الديلمي في الفردوس وفي النهاية الاثيرية ايضا كما مر **واري ان صوابه** بحسب الرواية
قثم بالثا المثلثة المفتوحة المخففة وضم القاف فراي انه تصحف عليهم وهو معدول عن قاثم ممنوع
من الصرف كما ذكره ابن فارس وغيره ورواه ابن اسحاق في حديث غريب هو قال رسول الله اتاني ملك
فقال انت قثم وخالقك قثم ونفسك مطمئنة قال ابن دحية في اشتقاقه معنيان احدهما من القثم وهو الاعطا
يقال قثم له من العطا اذا اعطاه فسمي بذلك لعطائه وجوده والثاني من القثم وهو الجمع يقال للرجل
المجموع للخير قثوم وقثم وقد كان جامعا للفضايل وجميع الخير والمناقب وقد علمت ما فيه **كما ذكرناه
بعد** بالبنا على الضم اي فيما سالته **عن الحربي** قال البرهان هو ابو اسحاق الحربي واسحاق بن الحسين
الحربي والثاني ثقة حجة سمع من هوذة وحسين بن محمد وغيرهما ووثقه الدارقطني وصحح عليه في الميزان
وذكر الذهبي انه متهم وهو كشيه بالتفسير يعني انه قريب شبيه بتفسيره الماثور بالجامع وفيه نظر
لان قثم بالمثلثة بمعنى جمع ايضا كما تقدم آنفا وقد كان عبد الله ابو النبي صلى الله عليه وسلم يكنى
بابي محمد وابي قثم وقالوا انه الجامع للخير اوليشمل امته وهذا الاسم معروف في جماعة من اهل البيت
منهم قثم شقيق الحارث عم النبي صلى الله عليه وسلم وابن عبد الملك وبه سميت محلة سمرقند وفرقها
وبها مدرسة قثم ايضا وقثم بن عبد الله بن العباس ثم عاد الى ذكر القيم بالتحتية واشار الى ما يصححه
فقال **ووقع ايضا في كتب الانبيا** المنزلة من السما كصحف ابراهيم وداود **قال داود اللهم
ابعث لنا محمدا المقيم السنة** اي الطريقة الشرعية والدين **بعد الفترة** اي انقطاع الوحي
والرسل وضمير لنا للناس **فقد يكون القيم بمعناه** اي بمعنى المقيم للسنة الماخوذ مما ذكر لا انه
بما دته عليه فيكون اذا سلم انه اسم للنبي بهذا المعنى وقد قالوا انه اسمه في الزبور كما يشير اليه كلام
المصنف وفي التوراة كما نقله السيوطي ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجا بان يقولوا لا اله الا
الله فالسنة سنة الرسل وهي الشريعة والتوحيد والفترة ما بين كل رسولين من الزمان وهو المراد وقد
يخص بما بين عيسى ونبينا واصل معناها الضعف وتسمية ترك العبادة فترة منه وليس معنى اصليا
كما توهم فان كان ضمير لنا ولغوه فجملة ابعث الدعائية لتمني ان يبعث في زمنه وقيل ضمير بمعناه
لقثم بالمثلثة **وروي النقاش** تقدمت ترجمته **عنه عليه الصلاة والسلام لي في القران
سبعة اسما** تقدم المراد بالاسما وانها تشمل الصفات غير الاعلام ثم ذكرها فقال **محمد واحمد ويس
وطه والمدثر والمزمل وعبد الله** تقدم الكلام على بعضها وسياتي تتمته ومحالها من القرآن
معلومة في اوايل السور وغيرها كقوله وانه لما قام عبد الله يدعوه ولم يقتصر على هذه لشهرتها والا فقد
ورد فيه غيرها كالرسول والنبي والخاتم والرؤف والرحيم والصاحب ومفهوم العدد غير معتبر
وقيل انه كان قبل وصف الله له بغيره او المراد مما يختص به كما يشعر به تقديم الخبر والجواب بان رؤف
ورحيم صفتان لا اسمان لتعلق الجار بهما في قوله بالمومنين رؤف رحيم ثم استغنى كونهما اسمين
بعد القرآن غير مسلم لما مر وقوله في القرآن يشير الى ان له اسما اخر ليست فيه وفي الصحيحين
في فترة الوحي بينا انا امشي اذ سمعت صوتا من السما فرفعت بصري فاذا الملك الذي جاني بحرا
على كرسي بين السما والارض فرعبت منه ورجفت فقلت زملوني زملوني وفي رواية دثروني
دثروني فانزل الله يا ايها المدثر قم فانذر والمدثر والمزمل اسمان من الحالة التي كان عليها حين النزول

والمدثر

والمدثر المتلفف في الدثار وهو الثياب والمزمل بمعناه واصله المتدثر والمتزمل فقلب وادغم
كما هو معلوم في علم التصريف وقال ابن الوردي انما نزل يا ايها المدثر عقيب قوله زملوني لان هذا التزمل
اريد به الدثار من برد يعتري المروع كالمحموم كما كان يعتريه عند نزول الوحي فخاطبه بما طلب
من تزمله اي يا ايها المتزمل المتدثر دع الدثار وجد في الانذار تانيسا له من الروع وتنشيطا له على فعل
ما امر به كما تقول لمن ارسلته في امر فتخوف وتثبط عنه يا ايها المتخوف امض لامرك وقال السهيلي فيه
ملاطفة لانه ورد انا النذير العريان فوصفه بالانذار مع الدثار تمليح بالطباق وهو متنوع بديع وكما
تتزمل بقطيفة في بيت خديجة وذكر عايشة بدل خديجة خطا لانه كان بمكة وعايشة انما كانت معه
بالمدينة وقيل معناه المتدثر بالقرآن وقيل معنى المزمل الحامل لاعبا الرسالة من الزاملة وهو استعارة
تصريحية وقول السهيلي ليس المزمل من اسمائه وانما هو مشتق من حالته المتلبس بها حال الخطاب والعرب
تفعله ملاطفة ومعاتبة كقوله صلى الله عليه وسلم لعلي وقد نام على الارض قم يا ابا تراب ملاطفة
لما كان بينه وبين فاطمة وما روي عن عايشة انه كان يصلي لها متزملا بمرط طوله اربعة عشر
ذراعا نصفه عليها وهي نايمة لا اصل له فان نزول يا ايها المزمل بمكة ودخوله على عايشة بالمدينة وعبد
الله سماه الله به في آيات والعبودية اشرف صفاته واصل معناها الخضوع والتذلل وهو الانسان
رقيقا ام لا وقال المشايخ العبودية القيام بحق الطاعات بشرط التوفيق والنظر لما صدر منه
بعين التقصير وفي بعض النسخ **وفي حديث عن ابن مطعم هي ست محمد واحمد وخاتم وحاشر
وعاقب وماحي وفي حديث ابي موسى الاشعري انه صلى الله عليه وسلم كان يسمي لنا
نفسه اسما فيقول انا محمد واحمد والمقفي** وفي رواية المقتفي **والحاشر ونبي التوبة** هذا
الحديث اسنده السيوطي في الرياض الانيقة وقد مر تفسير هذه الاسما غير الاخير ومعناه ان توبة
امته مقبولة من غير حرج عليهم حتى تطلع الشمس من مغربها او يغرغر وكانت الامم السالفة منهم من لا
تقبل توبته بشرط امور شاقة كما لم تقبل توبة من لا تقبل توبته اصلا بني اسرائيل من عبادة العجل الا
بقتل انفسهم وهذه الامة تقبل منهم مطلقا وان تكررت مع تكرر الذنوب وبه فسر ان الله يحب التوابين
بشرط الندم وعدم العزم على العود ورد حقوق العباد او استحلالهم ونحوه كما فصلوه في محله فهو
لا ينافي قبول توبة غير هذه الامة في الجملة **ونبي الملحمة** تقدم تفسيره **ونبي المرحمة والرحمة
وكل صحيح ان شا الله تعالى** رواية ودراية كما تقدم ايضا **ومعنى المقفي معنى العاقب**
كما مر مفصلا والاولى تفسير كل منهما بمعنى هربا من التكرار فمعنى المقفي التابع لهدي النبيين
وسننهم والعاقب الخاتم لباب النبوة والرسالة **وانا نبي الرحمة والتوبة** وقيل معنى نبي التوبة انه
كثير التوبة والاستغفار في نفسه لقوله اني لاستغفر الله في اليوم سبعين مرة **والمرحمة والرحمة**
لان من رحمه الله فقد اراحه من العقاب فاذا اعلمه بذلك اراحه من القلق والضجر **فقد قال تعالى
وما ارسلناك الا رحمة للعالمين** دليل وتفسير لما قبله وقد تقدم انه لا ينافي انه نبي الملحمة والسيف
اي القتال به لما تقدم وفي شرح السنة ان الامم السالفة كان من كفر منهم بعد ظهور المعجزات يعذب
بالاستيصال فامر الله نبيه بالجهاد بسيفه ليرتدعوا عن الكفر فالسيف فيه بقية لهم وتوبيخ نزول
ملك الجبال عليه ليطبقها عليهم واباه ذلك رجا ان يكون من ذريتهم من يعبد الله ورفع عنهم
الاصر واثابهم الكثير على العمل القصير مع قصر اعمارهم وقد اثاب الامم مع كثرة اعمارهم واعمالهم
باقل من ذلك وذلك فضل الله يوتيه من يشا وفي جعله عين الرحمة وتعميم العالمين مبالغة ظاهرة **وكما
وصفه** اي مثل وصفه او الذي وصفه به في هذه الاية من الرحمة وصفه له في غيرها **بانه يزكيهم**

ابن اقبرس

اي يطهرهم من الاخلاق الذميمة والاثام المدنسة لهم بقاله وحاله وضمير بزكيهم للعالمين وقيل
لامته **ويعلمهم الكتاب** اي القرآن **والحكمة** اي العلوم النافعة والعقايد الحقة ومعاني القرآن
وفسرت ايضا باصابة الحق قولا وفعلا ووردت بمعنى القرآن ايضا والحكمة من الله معرفة حقايق الاشيا
وايجادها على غاية الاحكام ومن الناس معرفة الموجودات وفعل الخيرات وهو الذي وصف به لقمان
ويصح ارادته هنا ايضا **ويهديهم الى صراط مستقيم** اي يدلهم على طريق لاعوج فيه بالوحي والشريعة
يوصلهم الى السعادة الدارين **وبالمؤمنين رؤف رحيم** قدم متعلقه للتخصيص وللاهتمام والتشريف
مع رعاية الفاصلة وموافقة نظم القرآن قصد الاقتباس من مشكاته وتقديم الرؤف كامر لانه
الشفقة والتلطف بالمنعم عليه وهو مقدم كامر وما قيل من انه للفاصلة وحقه التاخير بنا على
انه اشد الرحمة تقدم رده **وقد قال** النبي صلى الله عليه وسلم او الله في غير القرآن اذ لم يقع فيه
بهذا اللفظ في صفة امته انها امة مرحومة في الدنيا والاخرة في الحياة والممات والامة امة
الدعوة او الاجابة **وقد قال تعالى فيهم** اي في حقهم وشانهم **وتواصوا بالصبر وتواصوا
بالمرحمة** معطوف على جملة الصلة في قوله الذين امنوا اي اوصى بعضهم بعضا بالصبر على طاعة
الله وعن معاصيه وبالرحمة على خلق الله **فبعثه الله رحمة لامته** متفرع على ما قبله باعتبار
العلم والظهور وهو في الحقيقة سببه ورحمة المختصة بهم ظاهرة ورحمة مفعول له او حال
من الله او من ضمير النبي بمعنى راحما لهم **ورحيما بهم** اي جعله الله عين الرحمة لارشاده لهم ولطفه
بهم وجبله على ذلك فلا تكرار فيه مع **ومترحما ومستغفرا لهم** اي وامرا لهم بالرحمة والمغفرة
لشفقته عليهم ففيه حسن ترتيب ولا تهام التاكيد **وجعل الله امته امة مرحومة ووصفها
بالرحمة** لاجابة دعائه وتحقيق رجائه لهم ويجوز ان يكون لما مر لاعتنائه به وتفضيله **وامرها**
اي الامة **عليه الصلاة والسلام بالتراحم** اي امر امته بان يرحم بعضهم بعضا ثم فسره بقوله
وقال ان الله يحب من عباده الرحما وقال الراحمون يرحمهم الرحمن وهذا خبر لفظا فان معناه
الامر فلذا اردفه بصريحه بقوله **ارحموا من في الارض يرحمكم من في السما** بالرفع والجزم
وحديث ارحموا الخ صحيح مشهور مسلسل بالاولية قيل يوخذ من كونه رحمة انه لا ينبغي ان يدعى له
بالرحمة فيقال اللهم ارحم محمدا ورده العراقي بان كونه رحمة للعالمين من جملة الرحمة فهو دليل لهم
لا عليهم وما ورد في الحديث يتبع وقيل انه مخصوص بالتشهد لعدم وروده في غيره وسياتي
تفصيله في بحث الصلاة **واما رواية نبي الملحمة فاشارة الى ما بعث به من القتال والسيف**
وهي صحيحة متنا وسندا كما ذكره المحدثون وظاهره معنى لانه فرض عليه القتال واحلت له الغنايم
ونصر بالرعب ووقع له من الحروب والجهاد والنصرة ما لم يتفق لغيره من الرسل وبقي ذلك في امته
الى يوم القيمة هم • جمع الشجاعة والخشوع لربه • ما احسن المحراب في المحراب
فلاختصاصه بذلك اضيف له **وروى حذيفة** وفي نسخة عن حذيفة وهذا رواه احمد والترمذي
في الشمايل **مثل حديث ابي موسى** الاشعري السابق اي بمعناه ولفظه **وفيه ونبي الرحمة
ونبي التوبة ونبي الملاحم** بالجمع للكثرة اشارة الى انه انما اختص بكثرتها **وروى الحربي**
تقدم ذكره وانه متعدد ولم يعينه المص ورواه ابو نعيم في الدلايل عن يونس بن ميسرة **في حديثه
عليه الصلاة والسلام** بيان لانه مرفوع **انه قال اتاني ملك فقال انت قثم** بالثاء المثلثة
كامر **اي مجتمع** اي مجموع فيك كل كمال وخير فكني عن ذلك بكونه مجتمع في ذاته ولذا عقبه بقوله
قال والقثوم الجامع للخير كله في ذاته ولغيره **وهذا اسم له** صلى الله عليه وسلم هو في اهل

بيته

عرضي

بيته معلوم فسمي به غيره كما تقدم هو وتفسيره **وقد جات من القابه** وهي اسماؤه المنقولة
واللقب ما اشعر بمدح ولذا قال تعالى ولا تنابزوا بالالقاب فمخصوص بما فيه ذم مود كما ذكره
المفسرون **وسماته** بمعنى صفاته او هو عطف تفسيري والسمة في الاصل الوسم والكي ثم
عم لكل علامة واشتهر بمعنى الصفة او المراد الصفات الواردة في القرآن لان اكثرها فيه صفات
منزلة منزلة الاعلام **عدة كثيرة سوى ما ذكرنا** مما تقدم ذكره ومنها ما هو حقيقة ومنها
ما هو استعارة **كالنور والسراج المنير** كما قال تعالى قد جاءكم من الله نور وقال وسراجا منيرا
وفسر بالنبي صلى الله عليه وسلم فانه نور لا ينطفي ويابى الله الا ان يتم نوره وهذا بنا على
ما اختاره ومنهم من فسره بالقرآن ولكل وجهة والذي حققه المشايخ نور الله مرقدهم كما
في مشكاة الانوار لحجة الاسلام ان حقيقة النور هو الظاهر بنفسه المظهر لغيره والعالم
مشحون بالانوار الظاهرة المحسوسة والباطنة المعقولة التي يفيض بعضها على بعض فالنور
والنور الحقيقي هو الله فهو نور السموات والارض ونور الانوار وقال الاشعري انه نور ليس
كالانوار والروح النبوية القدسية لمعة من نوره والملائكة شرر تلك الانوار وبهذا
صرح في هياكل النور فلذا سمي النبي صلى الله عليه وسلم نورا ولاقتباسه من الانوار الالهية
سمي سراجا منيرا لما فاض عليه من الانوار العلوية فليس الوصف به لغوا ولا مكررا فان فهمت
فنور على نور فهو في الاصل استعارة ثم ان كان سمي به صار حقيقة **والمنذر والنذير**
بمعنى واصل الانذار الاعلام بما فيه تخويف قال تعالى انما انت منذر ولكل قوم هاد وقال اني انا
النذير المبين وفي البخاري انما مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل اتى قوما فقال يا قومي
اني رايت الجيش بعيني واني انا النذير العريان فالنجاة فاطاعه طايفة من قومه فادلجوا
وانطلقوا على مهلهم فنجوا وكذبته طايفة فاصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فاهلكهم واجتاحهم
فذلك مثل من اطاعني واتبع ما جيت به ومثل من عصاني وكذب ما جيت به من الحق والنذير
مبالغة في صدقه وجده في انذاره ووصفه بالعريان لانه ابين في انذاره وقيل كان النذير
يتجرد من ثيابه ويلوح بها مع الصياح تاكيدا لانذاره **والمبشر والبشير** قال تعالى انا ارسلناك
شاهدا ومبشرا ونذيرا ونحوه من الايات وهما من البشارة بكسر الباء وضمها وهو الاخبار بخبر
سار وقوله فبشرهم بعذاب اليم تهكم وسميت به لتغييرها بشرة الوجه اي ظاهره وقيده بعضهم
بالخبر الصادق وبنوا عليه ما لو علق عليه طلاقا او عتاقا كما بين في كتب الفقه والاصول
وقيل انه يعم الخير والشر حقيقة وقال السيوطي انه من اسماء الله تعالى ايضا لقوله تعالى يبشرهم ربهم
برحمة منه ورضوان وفيه نظر **والشاهد والشهيد** قال تعالى انا ارسلناك شاهدا وليكون
الرسول عليكم شهيدا ونحوه والشهادة كما في الصحاح الخبر القاطع واصل معنى الشهادة المعاينة
وسمي به لشهادته على الامم لتبليغ انبيايهم ويشهد على امته بالايمان كما ورد في الحديث
قال السيوطي الشاهد من اسماء الله تعالى ومعناه العالم او الشاهد على عباده يوم القيمة ثم سمي به
النبي صلى الله عليه وسلم **والحق المبين** قال تعالى جاءهم الحق ورسول مبين وقال وقد جاءكم الحق
من ربكم ونحوه وفسرا به صلى الله عليه وسلم والحق والصدق متقاربان وفرق بينهما الامام
بان الصدق نسبة الشي الى الواقع والحق نسبة ما في الواقع الى الشي من حق اذا ثبت وسمي
به لحقية نبوته ورسالته وما جا به وجعل عين الحق مبالغة والمبين من ابان ويكون متعديا
ولازما بمعنى تبين فمعناه الظاهر في نفسه والمظهر لغيره قال لتبين للناس ما نزل اليهم

حصر

ن

والمبين من اسمائه تع لتبيين الوهيته وعظمته ولتبيينه لعباده امور معادهم ومعاشهم ونحو ذلك **وخاتم النبيين** بكسر التا اسم فاعل وبفتحها اسم آلة كطابع كانه ختمهم بنفسه فهو استعارة في الاصل شاع وصار حقيقة قال تع ولكن رسول الله وخاتم النبيين من ختمت الامر اذا تممته ه‍ وبلغت آخره وفي الصحيحين مثلي ومثل الانبيا من قبلي كمثل رجل بنى بيتا فاحسنه واكمله الا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويعجبون ويقولون هلا وضعت تلك اللبنة فانا تلك اللبنة وانا خاتم النبيين وحكمة كونه خاتما ليكون الختم رحمة ولئلا يطول مكث امته تحت الارض ولئلا تطلع الامم على احوال امته ولئلا تنسخ شريعته ولذا نزل عيسى على شريعته كما تقدم **والرؤف الرحيم** تقدم معناهما مفصلا **والامين** فعيل بمعنى مفعول مبالغة ويكون بمعنى فاعل كقوله وهذا البلد الامين وتسميته به مشهورة قبل البعثة ووقع في القرآن في قوله انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين في قول بعض المفسرين ان المراد به النبي وان كان المشهور خلافه وانه جبريل وقال المص انه قول اكثر المفسرين كما نقله السيوطي عنه وقيل انا لم نعلمه في القرآن في غير هذه والراجح خلافه الا انه وقع فيه بطريق الالتزام لانه وصف به فيه من هو دونه كقوله لموسى اني لكم رسول امين وفيه تكلف وقد سمي به وبالمامون في الجاهلية كما قال كعب بن زهير

سقاك بها المامون كاسا روية • فانهلك المامون منها وعلكا •

ولما تشاجرت قريش فيمن يضع الحجر الاسود وقالوا اول من يدخل من هذا الباب يضعه فدخل رسول الله فلما راوه قالوا قد جا الامين فكان مشهورا به قبل البعثة فكانت توضع عنده الودايع والامانات **وقدم الصدق** كما عده كثير من اسمائه وفي البخاري عن زيد بن اسلم في قوله تع وبشر الذين امنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم قال هو محمد صلى الله عليه وسلم وعن علي كما اخرجه ابن مردويه انه قال في تفسيره هو محمد شفيع وفيه اشارة الى وجه التسمية من انه بشر بانه يشفع لهم لان من عادة الشافع تقدمه على من يشفع له فعلى هذا هو سماه الله به وكذا روي عن ابي سعيد الخدري ان معناه شفيع صدق وعن سهل ان معناه سابقة رحمة اودعها الله اي محمد له عم اذ لا ابانة بجعله رحمة لهم ولذا عقبه المص بقوله **ورحمة للعالمين** فهو كالتفسير له والقدم واحد الاقدام ويطلق على التقدم لانه يكون بها ويقال لفلان قدم اي تقدم كما قال ذو الرمة ه‍

لكم قدم لا ينكر الناس انها • مع الحسب العادي طمت على الفخر •

وكونه رحمة لجميع العالمين كما في قوله تع وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وقد مر الكلام عليه **ونعمة الله** فهو نعمة لهم وعن ابن عباس في تفسير قوله تع الذين بدلوا نعمت الله كفرا قال هم كفار قريش ونعمة الله محمد صلى الله عليه وسلم فسمي نعمة كما سمي رحمة وذلك حقيقة لمن اتبعه ولذا قال **والعروة الوثقى** قال ابن دحية وابو عبد الرحمن السلمي في قوله تع فقد استمسك بالعروة الوثقى هو محمد صلى الله عليه وسلم والعروة ما يتمسك به من الحبل والوثقى الوثيقة المتينة ففيه استعارة تمثيلية تصريحية لان من اتبعه لا يقع في هوة الضلال كان من مسك حبلا متينا صعد من حضيض المهالك **و**من اسمائه **الصراط المستقيم** ذكره ابن دحية وقال ابو العالية في قوله تع اهدنا الصراط المستقيم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم واخرجه ابن ابي حاتم وسمي به لانه طريق الى الله موصل له والصراط بالصاد والسين الطريق المستوي او الواضح والمستقيم الذي لا عوج فيه فاستعير له صلى الله عليه وسلم لان التابع له واصل لسعادة الدارين ناج والمنحرف عنه ضال غير مهتد فلذا عقبه بقوله **والنجم الثاقب** اشارة لقوله وبالنجم هم يهتدون وروي

عن السلف

المتينة

عن السلف في قوله تع والنجم الثاقب انه محمد صلى الله عليه وسلم وقيل قلبه وهو بعيد وهوى بمعنى انقطع عن غير الله والثاقب بمعنى المضي المتوهج قال

• اضاءت لهم احسابهم ووجوههم • دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه •

وهو تشبيه بليغ او استعارة من مطلع النجم ومن نجم مخصوص وهو زحل لانه يهتدي به كما يهتدي بالنجم ولانه استنارت به ظلمة الجهل فان خص بزحل فوجهه لشبه الاضاءة مع الرفعة كما قيل **والكريم** المتفضل او العفو او الكثير الخير او العلي وكله صحيح في حقه وسمي به في قوله تع انه لقول رسول كريم بناء على انه المراد به وقيل المراد جبريل والخلاف في تفسيره مشهور ولا حاجة لاثباته في هذه الاية لانتفاء قربه واطلاقه لمعناه في الاحاديث الصحيحة **والنبي الامي** قال تع الذين يتبعون الرسول النبي الامي وهو الذي لا يقرا ولا يكتب وقيل هو الذي يقرا ولا يكتب ورجحه السبكي والسيوطي وفيه اقوال احدها وثانيها هذان وقيل كان يقرا ويكتب وقيل كان لا يقرا ولا يكتب في اول امره ثم لما زالت الشبهة علمه الله ذلك وذهب الى هذا بعض المحدثين من علماء المغرب ومن تبعهم وسياتي تفصيله والامي منسوب الى الام كانه على حالة التي ولدته امه عليها او الى ام القرى وهي مكة او الى امة العرب وكني به عما ذكر لان القراءة والكتابة لم تكن معروفة فيهم وقيل منسوب الى الامة لانه امة بنفسه وامّيته معجزة له وان عدت منقصة لغيره لانه مع ما ظهر منه من العلوم والمعارف اللدنية ومعرفته باخبار الامم السالفة وشرائعهم وهو لا يقرا ولا يكتب ولم يدارس ويتلقى ممن قرا وكتب امر عجيب غريب والمقصود من القراءة والكتابة ذلك لانها آلة وواسطة له غير مقصودة في نفسها فاذا حصلت له الثمرة المطلوبة منهما استغنى عنهما بخلاف مع ما في ذلك من الريبة والاستغنا بكتابته عن مثله كما قال تع وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون وروي انه قال لا اريد الخط لئلا يقع ظل القلم على اسم الله رواه الترمذي ولم يسنده فجازاه الله عن ذلك برفع ظله عن الارض فلا يوطا وان لا ترفع الاصوات على صوته وسياتي زمن وصفه بالامية على وجه يشعر بالتنقيص له حكم الساب **وداعي الله** اي داعي الناس الى توحيد الله وطاعته كما قال تع وداعيا الى الله باذنه واجيبوا داعي الله ونحوه وفي الحديث الصحيح ان ربكم فتح دارا وصنع مادبة فمن اجاب الداعي رضي الله عنه السيد ودخل الدار واكل من المادبة فالسيد هو الله والداعي محمد والدار الاسلام وقال البخاري الجنة وكذا المادبة قال السيوطي وقد وصف الله نفسه بانه داع في قوله والله يدعوا الى دار السلام فهو من جملة اسماء الله التي سماه بها وقال على لسان الجن اجيبوا داعي الله ففيه دليل على انه مبعوث اليهم وقال مقاتل لم يبعث الى الجن نبي قبله وفسر قوله بعثت الى الاسود والاحمر بالانس والجن وهو مشكل بسليمان وقد يوفق بينهما بان الله سخر له الجن مع امره لهم بتوحيد الله لانه لا يرضى الكفر الا انه لم يكلفهم بفروع شريعته والنبي مامور بدعوتهم وتكليفهم بالعمل بشرعه ولم يؤمر باستخدامهم **في اوصاف كثيرة وسمات جليلة** عظيمة مبجلة اي وورد مما ذكر في القرآن والاثار من صفات اخر كثيرة اطلقت عليه كاطلاق الاسم على مسماه فجعل الكثير باشتماله على غيره كالظرف المحتوي على مظروفه وسمات جمع سمة وهي العلامة بالكي تجوز بها على مطلق العلامة كالمرسن للانف وشاع حتى صار كالحقيقة او بمنزلتها ثم تجوز بها عن الصفة وهو المراد هنا وعبر به للتفنن في العبارة اي وقع منها في كتب الله المتقدمة على القرآن كالتوراة وغيرها **وجرى** حقيقته اسرع في المشي وفي المايعات

ث

بمعنى سال كجرى النهر ثم شاع عرفا بمعنى وقع وحدث فيقال جرى الامر على كذا وكذا
ولذا تلطف الشاعر في قوله هـ

وتحدث الماء الزلال مع الصفا • فجرى النسيم عليه يسمع ما جرى •

في كتب انبيائه قيل المراد بها كلمات منقولة فان لهم احاديث دون اخبارهم في زمانهم قبل
نسخ احكامهم ونقلها المسلمون عنهم ودونوها كالاسرائيليات وهذا يعلم من مقابلته لما قبله هـ
واحاديث رسوله الواقع فيها وصفه او تسميته لنفسه او قالها اصحابه بنقل عنه ومن وجه
وهذه كلها تسمى احاديث ايضا **واطلاق الامة** غير الصحابة او المراد الاعم اي تسميتهم له
ووصفهم فان اطلاق اللفظ بمعنى استعماله سواء كان حقيقة ام لا وهو في الاصل من الاطلاق
بمعنى فك الوثاق ثم نقل عرفا لما ذكر والاسماء وان كانت توقيفية عند بعضهم كاسماء الله فانها
منها وتلقي بالقبول في حكم المنقول فان الامة لا تجتمع على الضلالة وقد وقع هذا في كثير من اسمائه
وصفاته **جملة شافية** فاعل جرى من شفا المريض اي شافية من داء الجهل او من شفا الغليل وهو
حر العطش لانه يروي الظما ويثلج الصدر كتسميته بالمصطفى والمجتبى هذا مما اطلقه الامة ولم يرد
في كتاب ولا سنة وهما بمعنى وفي الصحاح اجتباه بمعنى اصطفاه واختاره واصله كما قاله الراغب
واصله من جبيت الماء في الحوض اذا جمعته لجمعه المكارم والصفات الحميدة
كما قال الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب قال السيوطي المصطفى من اشهر اسمائه ومثله المختار
وفي مسند الدارمي ان في التوراة محمد رسول الله عبدي المختار الخ **وابي القاسم** وهذا اشهر كنية له
صلى الله عليه وسلم ومنها ابو ابراهيم وابو المومنين وابو الارامل كما ذكره السيوطي وهذا ورد في الصحيح
ففي مسلم عن جابر انه صلى الله عليه وسلم قال سموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي فاني ابو القاسم اقسم بينكم
ومثله ما في كتاب الذخاير والاعلاق في اداب النفوس ومكارم الاخلاق انه كني به لانه يقسم الجنة
بين اهلها يوم القيمة والذي جزم به اهل السير انه كني بابنه القاسم وهو اول اولاده وآثارهم وفاة
وظاهر النهي فيه تحريم التكني بكنيته مطلقا وهو الاصح من مذهب الشافعي وقيل انه جائز بعد موته
والنهي مخصوص بحياته ورجحه النووي ووجهه ان النهي لئلا يتاذى باجابة دعوة غيره فيجد
المنافقون فرصة لاذاه وهو يزول بوفاته ولذا لم ينه عن اسمه مع منع الله من ندائه به وفي قول يحرم
لمن اسمه محمد دون غيره لما روي مرفوعا عن جابر من تسمى باسمي فلا يتكنى بكنيتي قال السبكي وحيث
حرمناه فالمحرم التكنية وهو وضع الكنية لاحد والتكني وهو قبول المسمى لذلك واما الاطلاق
فامر ثالث الا ان يكون ذلك الشخص لا يعرف الا بها فيكون عذرا او اختلفوا في غيره فقيل سنتا
وقيل غير ذلك **والحبيب** وحبيب الله وهذا ثبت بالحديث الصحيح الذي رواه البيهقي في الشعب
عن ابي هريرة اتخذ الله ابراهيم خليلا وموسى نجيا واتخذني حبيبا وقال وعزتي وجلالي ©
لاوثرن حبيبي على خليلي ونجيي وقد مر الكلام على المحبة والخلة والفرق بينهما والكلام على انها
افضل وهذا الحديث صريح في تفضيل المحبة لان لها معنيين احدهما مطلق وهو في الخلق مطلق
الميل وفي الله ايثاره وتفضيله على غيره وخاص وهو في الناس ايثاره على نفسه وغيره وجعله
نصب عينه بحيث لا يفتر عن ذكره وتمكنه لقلبه بحيث لا يكون فيه محل لسواه والخلة المودة هـ
والمعاونة مع ميل ما ولا شك انها بهذا المعنى افضل واعلى فقول ابن القيم في كتاب الداء والدوا
ما يظنه بعض الغالطين من ان المحبة اكمل من الخلة من جهله فان المحبة عامة والخلة خاصة
فانها نهاية المحبة فانه اخبر بانه لم يتخذ خليلا غير ربه مع اخباره بمحبة عايشة وغيرها لم يصادف

محرزه

229

محرزه **ورسول رب العالمين** لم ينظم هذا في سلك ما وقع في القران لانه وان ورد
فيه كثيرا الا انه لم يقع فيه مضافا لرب العالمين قال الازهري الرسول المبلغ الاخبار من
يبعثه من قولهم جاءت الابل رسلا اي متتابعة والفرق بينه وبين الرسول مشهور **والشفيع
المشفع** اي المقبول شفاعته وسمي شافعا ايضا وقد تقدم ان له شفاعات سبعة كما تقدم
تفصيله **والمتقي** والنقي كما سياتي والاتقى لحديث مسلم انا اتقاكم لله والتقوى لها مراتب
مفصلة في تفسير البيضاوي **والمصلح** للخلق بارشاده وهدايته قال المصنف وحل على بعض الحجا
القديمة محمد نبي مصلح امين لانه الف بين قلوب الناس وازال ما بينهم من الضغاين كما كان بين
العرب والعجم وقبايل العرب كما قال تع واذكروا نعمت الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم ©
والطاهر بالمهملة لطهارته من النقايص والادناس الحسية والمعنوية حتى ذهب الشافعية
الى طهارة فضلاته كما نبه وبوله ودمه ورجحه السبكي والبلقيني وافتوا به وقد شربت ام ايمن بوله
وشرب جماعة من دمه ولم ينكره صلى الله عليه وسلم وطهارته من الذنوب والاخلاق الردية كما تقدم
والمهيمن وهذا سماه به عمه العباس في قوله في شعره المشهور الذي مدحه به وقد تقدم روايته
له وفيه هـ

حتى احتوى بيتك المهيمن من • خندف علياء تحتها النطق •

وميمه الاولى مضمومة والثانية مكسورة وروي فتحها ايضا وهو كما روي انه اسم له صح انه من اسماء
الله ومن اسماء القران قال انا انزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه ومهيمنا عليه
وفسر بالاية لمحمد صلى الله عليه وسلم انه حال من كاف اليك والراجح تفسيره بالقران على انه
حال بعد حال من الكتاب ولذا لم يذكره المصنف في اسمائه الواردة في القران وقال ابن قتيبة
انه من اسماء الله معناه الشاهد وقيل الحفيظ وقيل الرقيب وقيل القايم على خلقه وقيل الامين ©
واصله مؤتمن قلبت همزته هاء وقيل المومن وهو في اسماء النبي بالمعنى الاول او الرابع او الخامس
انتهى وهو عند مصغر مؤمن وتصغيره للتعظيم وقد رد هذا وشنع عليه فيه بان اسماء الله واسماء
النبي والقران بل كل معظم لا يجوز تصغيره ولم يرد مثله ولذا ارتضى ابو علي في الحجة انه اسم مكبر
ورد بهذه الزنة كالمبيقر والمسيطر وفتح ميمه يدل على ما قاله واذا وصف به القران فمعناه
رئيس الكتب لعالي علمه لحفظه من التغيير والتبديل واعجازه ببلاغته ومزاياه وقيل معناه
المصدق ويبعده تعديته بعلى الا ان يقال انه لما فيه من معنى العلو على انه من الامن ظاهر لانه
امنهم من الخوف **والصادق والمصدوق** وسمي بالصدوق ايضا والمصدق اسم فاعل بالتشديد
كما ذكره ابو بكر بن عربي وفي صحيح البخاري حدثنا رسول الله وهو الصادق والمصدوق قاله ابن
مسعود وقد ورد هذا في عدة احاديث رواها السيوطي لانه صدق الانبياء والكتب التي قبله
والمصدوق اسم مفعول من صدق المتعدي كما ورد صدق وعده والصادق من اسماء الله ايضا ورد
في حديث الاسماء كما قاله السيوطي **والهادي** عده جماعة في اسمائه اخذا من قوله وانك لتهدي
الى صراط مستقيم وهو من اسماء الله ايضا والهداية تطلق على خلق الاهتداء او يوصف بها الله خا
وهو المنفي في قوله انك لا تهدي من احببت على قول وعلى البيان والدلالة بلطف وهذه يو
بها الله والنبي وتطلق على الداعي ومنه ولكل قوم هاد ولا تستعمل الا في الخير وقوله واهدوهم
الى صراط الجحيم تهكم وهدايته صلى الله عليه وسلم لما فيه صلاح المعاد والمعاش ظاهرة وقد
اشبعنا الكلام عليه في حواشي القاضي **وسيد ولد آدم** وقد ورد اطلاقه عليه في احاديث
كثيرة صحيحة كما في حديث الشفاعة انطلقوا الى سيد ولد آدم وفي حديث الصحيحين انا سيد

الناس يوم القيمة وهو من اسماء الله ايضا كما اثبته البيهقي في كتاب الصفات فيجوز اطلاقه
على الله وعلى غيره مطلقا وهو احد اقوال اربعة فقيل يختص بالله وقيل يختص به معرفا وقيل
يختص بغيره ولا يجوز اطلاقه عليه واستدل الاول بانه لما قال له وفد بني عامر انت سيدنا
قال السيد الله وهو حديث صحيح وتحقيقه انه على الاطلاق معناه العظيم المحتاج اليه غيره
وهذا مما يوصف به الله وغيره واما تخصيصه بغير الله كما روي عن مالك فلانه لم يثبت عنده اطلاقه
على الله ولان معناه رئيس القوم الذي يفخر ويعتز باتباعه وسيد القوم منهم وهذا لا يليق بالله
ولذا فسر اذا اطلق على الله بما مر واختصاصه بالله فلان معناه المالك المتصرف في امور غيره
وهذا في الحقيقة انما هو لله واما التفصيل فلانه معرفا المعهود المعروف بالعظمة وكونه
ملجأ لكل احد وهذا مختص به تعالى وهذا اضعفها فان قلت اذا صح الاول فما يصنع بالحصر
في حديث السيد الله قلت اذا اثبت وصف لشيء وحده او مع غيره واريد رده فللعرب فيه طرق
اظهرها ان يؤتى بصريح الحصر كقولك لا معبود الا الله قلبا وافرادا او يعرف الطرفان كالمعبود
الله وهو كالذي قبله معنى الا انه قد يختار اما لقطية مخاطبة فهو ابلغ في مقامه او يجعل ما اثبت
له الزاعم الصفة غير من هي له في نفس الامر كما يقال الدهر هو الله اي لا دهر ولا تصرف
لسوى الله فاثبت له التصرف ونفاه عما عداه بطريق برهاني كقوله ان كان للرحمن ولد الخ وهذا
نوع ادق من غيره سماه الشيخ التنويع وذكره سيبويه في باب الاستثناء فقوله السيد الله يحتمل اجراؤه
على ظاهره وان يكون من هذا القبيل فلا دليل فيه على انه من اسماء الله فضلا عن اختصاصه فاعرفه
فانه من نفائس الذخائر المكنونة في دفاتر الخواطر والمراد بولد آدم النوع الانساني وكذا كل جماعة سموا
باسم ابيهم جاز اطلاق الاولاد عليه واطلاقه عليهم كما يقال تميم لولده واولاده وكذا يقال بنو تميم
لما يشمل تميم وهو القبيلة وهذا مجاز شاع حتى صار حقيقة عرفية كما فصله العراقي في كتاب العقد
المنظوم وعده من الفاظ العموم فمن قال الولد للواحد والجمع فان كان مفردا ينبغي ان يكون الاضافة
للاستغراق بقرينة المقام اي انا سيد كل ولد آدم وان كان للجمع فالامر ظاهر ويلزم من كونه
سيد ولد آدم سيادته على آدم اذ فيهم من هو افضل من آدم كابراهيم وموسى فقد تكلف ما لا حاجة
اليه لعدم وقوفه على ما ذكر في الحديث انا سيد ولد آدم يوم القيمة وخص يوم القيمة لانه يظهر
فيه سيادته على سائر الرسل من غير منازع فيه وان كان سيدا في الدارين **وسيد المرسلين** كما
ورد في احاديث صحيحة واذا كان افضل من سائر المرسلين فهو افضل من سائر النبيين لان الرسول
افضل من النبي وان اختلف في الرسالة والنبوة **وامام المتقين وقائد الغر المحجلين** جمعهما المصنف
لورودهما كذلك في حديث رواه البزار انه صلى الله عليه وسلم قال ليلة اسري بي انتهيت الى
قصر من لؤلؤ يتلألأ نورا واعطيت ثلاثا قيل لي انك سيد المرسلين وامام المتقين وقائد الغر
المحجلين وقد ورد تسميته بامام النبيين وامام المتقين وامام الخير كما في الرياض الانيقة والاول
ذكره ابن سيد الناس في سيرته وعن قتادة في قوله يوم ندعو كل اناس بامامهم ان الامام المراد به
النبي والامام في اللغة المقتدى ويطلق على الواحد كقوله اني جاعلك للناس اماما وعلى الجمع
كقوله واجعلنا للمتقين اماما قاله ابن الانباري وسمي امام النبيين لانه امامهم في النبوة الروحانية
ولانه امهم في الاسرا واخرج الترمذي واحمد اذا كان يوم القيمة كنت امام النبيين وخطيبهم
وصاحب شفاعتهم وفي رواية لاحمد كنت امام الناس ومنه اخذ تسميته به وامام المتقين ان اريد
به امته فظاهر وان اريد الاعم فموافقة لرواية امام الناس فلاقتداء الانبيا به وفي بعض الشروح

ان كل

ان كل متق سواء كان من امته او من الامم السالفة مقتد به لانهم في السير الباطني اشرفوا على
المقام المحمدي وآمنوا به واهتدوا بهديه واما الخير فورد في حديث رواه ابن مسعود وقال اذا
صليتم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحسنوا الصلاة عليه فانكم لا تدرون لعل ذلك يعرض
عليه قالوا له فعلمنا قال قولوا اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وامام
المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك امام الخير وقائد الخير ورسول الرحمة اللهم ابعثه المقام
المحمود الذي يغبطه به الاولون والآخرون وقائد اسم فاعل من القود وهو تقدمه على من يتبعه باختياره
وهو يقودهم الى الجنة برضاهم وفي القاموس القود نقيض السوق والغر جمع اغر واصل الغرة بياض
في جبهة الفرس فالمراد به يوم القيمة مطلق بياض الوجه هنا والتحجيل بياض في القوائم وفي الصحيحين
امتي يدعون يوم القيمة غرا محجلين من آثار الوضوء وورد بمعناه من طرق كثيرة وفيه زينهم وقد
جعل ذلك علامة لهم يعرفون بها يوم القيمة بين الامم والتعبير به وبالقود مما هو معروف من صفات
الخيل فيه اشارة الى انهم جياد سابقون على غيرهم ففيه استعارة مكنية وتورية كقوله

• الناس للموت كخيل الطراد • والسابق السابق منها الجواد •

وبهذا استدل على ان الوضوء من خصايص هذه وقيل انه غير مختص بهم وانما اختص بهم الغرة
لحديث هذا وضوئي ووضوء الانبيا من قبلي واجيب بضعفه واحتمال ان يكون الانبيا اختصوا
به دون اممهم على تقدير صحته بعيد وكون بياض الغرة اثر الوضوء لا ينافي كونه من اثر السجود وادعا
انه غيره فيه نظر **وحبيب الله** تقدم بيانه مفصلا **وخليل الرحمن** كما تقدم تحقيقه **وصاحب
الحوض المورود** رواه ابن حبان والحاكم وقال السيوطي حديث الحوض مروي عن اكثر من خمسين صحابيا
وعن ابي برزة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان لي حوضا ما بين ايلة الى صنعا عرضه
كطوله فيه ميزابان من الجنة احدهما من ورق اي فضة والآخر من ذهب احلى من العسل وابرد
من الثلج وابيض من اللبن من شرب منه لم يظمأ حتى يدخل الجنة فيه اباريق عدد نجوم السماء وقال
القرطبي ذهب جماعة الى ان حوضه بعد الصراط والصحيح ان له حوضين احدهما في الموقف
قبل الصراط والثاني في الجنة وكلاهما يسمى كوثرا واختلف هل هو قبل الميزان او بعده والصحيح
انه قبله والمعنى يقتضيه فان الناس يخرجون من قبورهم عطاشا ويزداد عطشهم في السفر
الى المحشر فيردونه قبل الميزان والصراط وورد ايضا تسميته بصاحب الكوثر وسمي به
لاختصاصه به وفي بعض لكل نبي حوض وتسميته به لعظم حوضه وزيادته ومثله
يحتاج لنقل والمورود اسم مفعول من الورد بالكسر وهو الذهاب للماء ويلزمه الشرب عادة فلذا
عبر به عنه وهو وان كان اسم مفعول لا يدل على المبالغة فالمراد به كثرة الواردين عليه ولولاه
كان الوصف به لغوا وقد ورد التصريح به **والشفاعة** اي من اسمائه صاحب الشفاعة
وقد تقدم بيانه **والمقام المحمود** وهو مقام الشفاعة كما مر **وصاحب الوسيلة والفضيلة
والدرجة** الرفيعة الوسيلة السبب الموصل لامر عظيم سمي به لانه سبب لكل خير وفسر في
الحديث بمنزلة مخصوصة كما ورد في حديث مسلم سلوا الله لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا
تنبغي الا لعبد من عباد الله وارجو ان اكون هو واصل الوسيلة كما قال السيوطي القرب من
الله والمنزلة عنده وكونه صاحب فضيلة ودرجة عالية رفيعة حسا ومعنى في الدنيا
والآخرة غني عن البيان **وصاحب التاج** قيل المراد بالتاج هنا العمامة ونقل عن المصنف
والعمائم تيجان العرب لكونها معروفة عندهم دون غيرهم فكني به عن انه من صميم العرب واشرفهم

حسبًا ونسبًا وروي انه لم يلبس العمامة غيره من الانبياء وفي مقدار عمامته وكيفيتها تفصيل
في السير ولنا فيه رسالة مستقلة وكان له عمامة تسمى السحاب يعتمها قبل النبوة ودخل مكة في
الفتح على راسه عمامة سودا او هو لا ينافي رواية انس انه كان على راسه مغفر ولبس عمامة حمرا ايضا
ولم يلبس خضرا اصلا **والمعراج** وهو السلم فهو اسم آلة وقال السيوطي هو عروجه وصعوده
للسماء والاسرا سيره من مكة الى القدس فهو مصدر ميمي فبينهما فرق وان كان كل منهما يطلق على
الآخر وهو تصعد به الارواح والملائكة ولم يصعد عليه في الدنيا بجسده احد غيره فلذا خص
بالتسمية به **وسمي ايضا صاحب اللواء** قال السيوطي المراد لوا الحمد الذي تقدم وقد يحمل على اللوا
الذي كان يعقد للحرب فهو كناية عن القتال قال وهو ما يحمل في الحرب ليعلم به صاحب الجيش
يحمله هو بنفسه وقد يحمله غيره وقريب منه الراية وفرق بينهما وفي الترمذي عن ابن عباس كانت
رايته سودا ولواوه ابيض وقيل كان مكتوبا عليه لا اله الا الله محمد رسول الله واول ما حدث
الرايات في الاسلام يوم خيبر وما كانوا يعرفون قبل ذلك الا الالوية **والقضيب** اي من
اسمايه صاحب القضيب وهو السيف كما قاله السيوطي ووقع مفسرا به في الانجيل قال معه قضيب
من حديد يقاتل به ويحتمل ان يراد به القضيب الممشوق الذي تمسكه الخلفا وفي كتاب البيان
للجاحظ انه كانت له مخصرة وقضيب وعنزة تحمل بين يديه وهكذا كانت عادة عظماء العرب
وخطبايهم فان اريد الاول فهو كناية عن جهاده وكثرة قتاله وان كان الثاني فعبارة عن كونه
من صميم العرب وخطبايهم ومما قيل من ان المراد به القضيب الذي اعطاه لبعض الصحابة فانقلب
سيفا كما هو معروف في معجزاته تكلف ناشي من ضيق العطن **وراكب البراق والناقة والنجيب**
البراق بزنة غراب من المخلوقات العلوية وروي ان وجهه كوجه الانسان وجسده كالفرس وقوايمه
كالثور وذنبه كالغزال وليس بذكر ولا انثى وسمي به لسرعته او لبياضه وصفائه او لمافيه
من سواد من قولهم شاة برقا وركبه صلى الله عليه وسلم لما اسري به واختلف فيه هل ركبه غيره من
الانبيا ام لا وهل ركبه معه جبريل ام لا كما تقدم فان قلنا لم يركبه غيره فوجه التسمية ظاهر
وان قلنا ركبه غيره فوجهه ان ركوبه بهذه السرعة وصعوده به الى السماء مخصوص على ان وجه
التسمية لا يلزم اطراده **والنجيب** الجمل وقد سمي براكب الجمل ايضا في الكتب القديمة كما سمي عيسى راكب
الحمار ولذا قال النجاشي لما جاءه كتابه وآمن به اشهد ان بشارة موسى براكب الحمار كبشارة عيسى
براكب الجمل وفي دلايل النبوة اوحى الله الى عيسى صدقوا بالنبي الامي العربي صاحب الجمل وسمي به
مع ركوبه الفرس والبغل والحمار لانه كناية عن تواضعه او لهجرته عليه او كونه من صميم العرب
وكان له جمال ونوق مذكورة في السير وقيل المراد بالنجيب الناقة وقيل النجيب اسم فرس له اشتراه
من اعرابي وهو الذي شهد له به خزيمة وهو غريب **وصاحب الحجة** وهي الدليل الذي يحج به
الخصم وهو المراد او المراد المعجزة وهي بلغت الفا واعظمها القرآن **والسلطان** بضم السين
وسكون اللام وقد تضم وهو يذكر ويونث وله معان منها البرهان والملك والنبوة والغلبة ويصح
ارادة كل منها هنا وسمي بهذا في كتاب شعيا وبعض الكتب القديمة **والخاتم** اي صاحب الخاتم بالكسر
والفتح وهو خاتم النبوة الذي كان بين كتفيه كزر الحجلة وبيضة الحمامة وقيل انه كان فيه كتابة
الله وحده لا شريك له او محمد رسول الله او توجه حيث شيت فانك منصور وذكره مع السلطان لانه
ورد مقرونا به في كتب شعيا وقيل المراد به الخاتم المعروف لانه لم يعرف في العرب ولا في الانبيا
ختم الكتب سواه وفيه نظر **والعلامة** اي علامة النبوة وهي الخاتم ايضا وقد ورد نعته به في الكتب

المدينة وهو من شواهد نبوته الدالة على ان الانبيا ختموا به كما ورد في حديث ويجوز ان يراد
به مطلق العلامات التي كان اهل الكتاب يعرفونه بها كما يعرفون ابناءهم **وصاحب الهراوة**
بكسر الهاء ثم الف وراء وواو وتا تانيث وهي العصا قال في النهاية لانه كان يمسك به القضيب
ويمشي بالعصا بين يديه وتغرز له ليصلي اليها وقال الجوهري هي العصاة الضخمة وجمعها هراوى
كمطايا وقال المصنف انها العصا الواردة في حديث الحوض انه يذود بها الناس وقال النووي انه
ضعيف او باطل لان المراد وصفه بما يعرفه الناس ويعلم اهل الكتاب انه المبشر به في كتبهم فلا وقع
لتفسيره بامر يكون في الآخرة والصواب ما تقدم ومن سنن الانبيا حمل العصا تواضعا **والنعلين**
اي صاحب النعلين وقد ورد تسميته بهذا في الانجيل وفي كيفية نعليه كلام مفصل افرده اهل
العصر بالتاليف وكان له نعلان سبتيتان بكسر السين اي لا شعر لهما او مدبوغة وما قيل من انه
سمي به لما فيه من مخالفته لاهل الجاهلية من تنعلهم في رجل واحدة وقد ورد النهي عنه في الحديث
الاولى تركه **ومن اسمايه صلى الله عليه وسلم في الكتب** الالهية المنزلة على من قبله من الانبيا
المتوكل هو اسمه في التوراة ونصها انت عبدي ورسولي سميتك المتوكل وهو الذي يتكل
امره الى الله ويعتصم به والتعلق بالله على كل حال وقيل التوكل ترك تدبير النفس والانخلاع من
الحول والقوة وهو فرع التوحيد وكان توكل الانبيا قدرا ما فيه وتوكل العامة مباشرة الاسباب
مع الاعتماد على مسببها والية الاشارة بقوله لو توكلتم على الله حق التوكل لرزقكم كما يرزق الطير
تغدو خماصا وتروح بطانا وتوكل الخواص وهو ترك الاسباب بالكلية **والمختار** اسم مفعول
من الاختيار وهو الاصطفا لانه خيار من خيار وفي التوراة عبدي المختار لا فظ ولا غليظ
ومقيم السنة سمي به في التوراة والزبور في قوله اللهم ابعث لنا محمدا مقيم السنة بعد الفترة
لن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجا والمراد سنة من قبله من الانبيا وطريقتهم باظهار التو
ودعوة الخلق من قامت السوق نفقت ففيه استعارة مكنية يحمل ذلك كالامتعة المرغوب
فيها او معدلها ومسويها **والمقدس** بالتشديد اسم مفعول في الرياض الانيقة معناه المفضل
على غيره وقال ابن دحية معناه المطهر المنقى من دنس الذنوب والنقايص من التقديس وهو التطهير
ومن اسما الله القدوس اي المنزه عن سمات النقص والحدوث وقيل تقديسه الصلاة عليه وروح
القدس بضمتين وضم وسكون وهذا سقط من بعض نسخ الشفا اي الروح المقدسة من النقايص
وروح القدس في القرآن فسر بجبريل والقدس الطهارة او الله واضافة الروح له تشريفا كروح
الله لعيسى وروح الحق والحق هو الله وقال ابن عربي في الفصوص انه اسم الله الاعظم وهو صلى
الله عليه وسلم مظهره **وهو** اي روح القدس وروح الحق **معنى البارقليط في الانجيل** فانه
في الانجيل سمي النبي البارقليط فيه وفسر بما ذكر ورايته مفسرا به في شرح الانجيل للمسيحي
الطبيب الا انه حرفه وقال المراد بروح القدس احد الاقانيم الثلاثة عندهم قاتلهم الله **وقال
ثعلب** امام اهل اللغة المشهور في تفسيره له **البارقليط الذي يفرق بين الحق والباطل**
وهو احمد بن يحيى الشيباني البغدادي امام اللغة والعربية ومولده في حدود المايتين ووفاته
في جمادى الاخرة سنة احدى وتسعين ومايتين قال ابن دحية هو اسمه في الكتب القديمة
وروي عن ابن عباس وروي بالفا الفصيحة وبالبا غير صافية وروي بالقاف وفي المقتفي
للحلبي الذي احفظه بموحدة في اوله والف وراء مكسورة وقاف ساكنة ثم لام مكسورة ثم مثناة
تحتية ساكنة وطاء مهملة وهو الصحيح وفي بعض الحواشي انه روي بفتح الراء وقد تسكن وقاف

تفتح مع السكون وتسكن مع الفتح ومعناه محمد وفي الرياض الانيقة معناه الحامد اي الحماد
والذي عليه اصحاب الانجيل ان معناه المخلص وعبارة الانجيل اني ذاهب الى ابي وابيكم ليبعث
اليكم الفارقليطا وفي شرح هياكل النور للدواني هو بالفاء ثم الف ورا مكسورة وقاف ساكنة
ولام مكسورة ثم طا مهملة والف مقصورة وهو لفظ عبراني معناه الفارق بين الحق والباطل والمراد
مظهر الولاية التي هي باطن النبوة والمراد بابي وابيكم ربي وربكم والاوايل يسمون المبادي بالآبا انتهى
والحاصل انه بباء مشوبة بفاء وآخره الف ثم عرب ببا وفا وحذفت الالف من آخره ففيه ثلاثة اوجه
قالوا حقيقته المخلص وتفسيره بالفارق الخ بيان لحاصل المعنى ومن كذب جهلة النصارى ان
الفارقليط نار تنزل على التلاميذ من السماء يفعلون العجايب وبهذا اتضح لك لفظه ومعناه وهذا
مما انتخبته من كتب عديدة فاحفظه ومن اسمايه في الكتب السالفة ماذ ماذ ومعناه طيب
طيب وروي موذ موذ وميذ ميذ والاول هو الذي صح روايته عند المصنف والثاني ذكره العزفي
وقال انه اسمه في صحف ابراهيم وذكر الثالث وقال انه اسمه في التوراة وهو بميم مفتوحة والف غير مهموزة
وذال معجمة ساكنة كما في المقتفي وقال انه ينبغي ضم ذاله لانه اسم غير منصرف للعلمية والعجمة وتقديره
انت ماذ ماذ او يا ماذ ونقل الشهاب الحجازي الاديب شيخ السيوطي نقلا عن السهيلي ان ميمه مضمومة
والفه مهموزة بين الواو والالف وقال انه سمعه من بعض احبارهم والظاهر انه تكرر للتاكيد والمراد انه
طيب في نفسه وفي دنياه وطيب في صفاته واخرته وكونه اسما واحدا مثل مرمر او مركب خلاف وقيل
ان داله مهملة وفي شرح رسالة الكندي المنسوب للغزالي انه سمع ممن اسلم من احبار اليهود انه في التوراة
اشارة صلى الله عليه وسلم في قوله لابراهيم اني قد استجبت لك في اسماعيل واني اباركه فاعظمه
بماذ ماذ وهو محمد من طريق العدد لان فيه ميمين في مقابله وبا موحدة والفين ودالين باثني عشر
وهو عدد الحا والدال من محمد وهذا يقتضي ان داله مهملة وهذا مما لم يذكره احد من ارباب الحواشي
والشروح وما قاله التلمساني من انه يحتمل ان يكون ماخوذا من الماذي وهو العسل الابيض لحلاوته
في ذاته وصفاته او الماذي بمعنى الدرع اللينة السهلة لانه حصن حصين للعالمين ليس بشي
لانه يقتضي انه عربي ولم يقل به احد قط وحمطايا هذه وما قبله رواه ابو نعيم في الدلايل عن ابن
عباس وضبطه الشمني وحاشيته بفتح الحا المهملة وفتح الميم المشددة وطا مهملة مخففة والفين بينهما
مثناة تحتية وفي الغريبين انه بكسر الحا المهملة وفتح الميم المشددة وميم ساكنة يليها مثناة تحتية
والف ثم طا والف هكذا حمطايا وفي المواهب انه بفتح الحا وسكون الميم ومثناة تحتية والف وطا مهملة
والف بعدها وقال انه بكسر وبا او نون واما معناه فقال ابو عمرو عن بعض الاحبار انه معناه يحمي من
الحرام ويحمي الحرمات يمنع ما كان في الجاهلية من الانكحة وغيرها من المحرمات فالحرم بفتحتين او
بضم ثم فتح وفي الرياض الانيقة معناه حامي الحرم او نبي الحرم والخاتم والخاتم اختلف الشراح
في ضبطه وروايته فقيل ضبطهما بالمعجمة الا ان الاول بفتح التاء والثاني بكسرها او العكس وهو بعيد
لانه تقدم فلا وجه لاعادته وقيل الاول معجم والثاني مهملة وفسر بانه احسن الانبيا خلقا وخلقا
والظاهر انه من الحتم وهو الاحكام وتنفيذ القضا والاحكام ويجمع على حتوم كما قال امية بن ابي
الصلت ● عبادك يخطيون وانت رب ● بكفيك المنايا والحتوم ●
والحاتم القاضي كما في الصحاح ووجه الاول انه جمال الانبيا كالخاتم الذي يتزين به فهذا
ان كان تفسيرا للخاتم بالمعجمة في قوله حكاه كعب الاحبار وقال ثعلب فالخاتم الذي ختم
الانبيا والحاتم احسن الانبيا خلقا وخلقا يكون اشارة الى تفسيره على وجه يسقط التكرار

السهيلي

صح

٢٧٢

وسكت عن الثاني لظهوره وان كان الاول هنا بالمعجمة والثاني بالمهملة كما ضبط في بعض الشروح
والحواشي وهو مروي عن المصنف ففيه مع التكرار ان تفسير الحاتم بالمهملة بما ذكر ليس معروفا في اللغة
وانما معناه ما تقدم حتما اللهم الا ان يتكلف انه من الحتم بمعنى الخالص وقد قالوا فيه انه مقلوب من المحب
ولك انه من الحتامة وهي بقية الطعام كانه آخر ما بقي من نعم الله وقرن بالخاتم وان تكرر لهذه النكتة
والعجب من الشراح اذ لم يتعرضوا لهذا مع ظهوره ويسمى بالسريانية وهي لغة آدم واول اللغات
ومنها تشعب ساير اللغات ثم صار اصول اللغات ثلاث السريانية والعبرانية والعربية الاصلية
وفي بيان معنى نسبتها كلام لا حاجة اليه هنا وهي بضم السين ورا ساكنة او مكسورة وما قيل انه من السر
وهو لان الله علمها لآدم سرا بعيد وقال السيوطي ان سواد العرب بالسريانية مشفح بضم الميم وفتح الشين
وفاء مفتوحة او مكسورة مشددة فيهما وروي بالقاف وحاء مهملة وسمي به في كتاب شعيا المشهور
وقال البرهان لا اعلم صحته ولا معناه ونقل بعض اهل العصر عن ابن فورك ان معناه محمد لانهم
لانهم يقولون شفح لاها اي محمد الله وتبع فيه التلمساني قال البرهان هو بضم الميم ونون ساكنة
ثم حاء مهملة مفتوحة وميم مكسورة ونون مفتوحة مشددة والف مقصورة وقال التلمساني الميم
الثانية مثلثة ومعناه روح القدس وهو بالسريانية محمد وبالرومية البرقليطس ونحو منه في
تذكرة الصفدي وضبطه بعضهم بفتح الميمين ونقله السيوطي عن ابن دحية وقال ابن سيد الناس
في السيرة معناه محمد وهو محتمل لانه اسم له ولكونه بمعناه واسمه في التوراة احيد قال الشمني
هو بضم الهمزة وسكون الحا المهملة وفتح المثناة التحتية وكسرها ودال مهملة وقيل انه بفتح الحا وسكون
اليا التحتية والمحفوظ فتح الهمزة وسكون المهملة وفتح التحتية وهو غير عربي وفي الكامل روايته عن
ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم قال اسمي في القران محمد وفي الانجيل احمد وفي التوراة احيد
وانما سميت احيد لاني احيد امتي عن نار جهنم وكذا اخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق وبه يرد انه
ضبط بكسر الحاء مع فتح الهمزة وضمها فهو عربي من حاد يحيد اذا عدل وقال ان لم يكن من توافق
اللغتين وذكره الماوردي في تفسيره وضبطه بمد الالف وكسر الحا كما في الرياض الانيقة وفي
الشرح الجديد ان الذي في النسخ بضم الهمزة وحاء مهملة مكسورة ومثناة تحتية ساكنة والمشهور
فتح الهمزة وسكون الحا وفتح اليا وفي نسخة بفتحها وكسر الحا وسكون اليا وما قيل انه من الواحد
لانفراده في ذاته وصفاته وفيه ما لا يخفى وروى ذلك ابن سيرين الامام المجتهد الثقة الزاهد
الورع الشايع صيته في الافاق وروى عن الايمة الستة وتوفي بعد مائة وعشر وهو من اعلم
التابعين رضوان الله عليهم اجمعين ثم انه رجع الى تفسير بعض الاسماء الشريفة فقال ومعنى
صاحب القضيب اي السيف كما تقدم ومعنى مبتدا وقع ذلك مفسرا في الانجيل قال اي الله في
الانجيل وكون فاعله ضمير الانجيل تجوز ا تكلف وفي القاموس القضيب السيف القاطع كالقا
سمي به من القضب وهو القطع لانه اقطع من الحديد معه قضيب من حديد يقاتل به وامته
كذلك اي تقاتل بالسيف الاعلى ثم اشار الى معنى آخر فقال وقد يحمل على انه القضيب الممشوق
اي قد يعتبر به وهو مجاز بن الحمل على الظاهر فيحمل التاويل به بحمله عليه استعارة صارت حقيقية
شايعة فيه وقد للتحقيق وقد يحمل للتقليل لقلة تفسيره بالنسبة لما قبله وقضيب فعيل
بمعنى فاعل من قضبه بمعنى قطعه وهو في السيف بمعنى انه بالغ في القطع الى حد لم يصل اليه سواه
فهو عبارة عن شجاعته وكثرة جهاده وكثرة غزواته وفتوحاته وغنايمه فان كان بمعنى العصا
فهو بمعنى مفعول لانه مقطوع من الشجر وقد كان له عصا على عادة العرب في اتخاذ عظمايهم وخطبا

ضب

يهم

عصبا يشيرون بها كما قال الشاعر

في كفه خيزران ريحه عبق ● وكف روع في عرنينه شمم

كما في كتاب العصا للجاحظ وفي القاموس قضيب ممشوق طويل دقيق من المشق وهو جذب جذب الشيء ليطول وكان قضيب يسمي الممشوق ومحجن يسلم به الركن وقال ابن الجوزي كان له صلى الله عليه وسلم قضيب **وهو الذي كان يمسكه وهو الآن عند الخلفا** يمسكونه تبركا به فكانت لهم واصلا بعد واحد **واما الهراوة التي وصف بها** وصفا لغويا في تسميته صاحب الهراوة وتقدم تفسيرها فكان يحملها ويتوكا عليها وهو من سنن الانبيا **واراها والله اعلم** بضم الهمزة او فتحها بمعنى اظنها او اعتقدها وان المراد بها هنا في التسمية **العصا المذكورة في حديث الحوض** الذي قال فيه **اذود الناس عنه بعصاي لاهل اليمن** اذود بمعنى اطرد وامنع وهو بذال معجمة في اوله ومهملة في آخره وهذا الحديث رواه مسلم في المناقب هكذا لاهل اليمن اي لاجلهم فانهم على بعد شقتهم اجابوا دعوته من غير تردد وقتال فاوردهم قبل غيرهم ليرعهم كما اراحوه فالجزاء من جنس العمل وفيه روايات فروي لاهل اليمن ومع صحته معنى قالوا انه من طغيان القلم وقال النووي ان هذا التوجيه ضعيف لان المراد تعريفه بصفة يعرفها الناس ويستدل بها على انه المبشر به في الكتب السالفة التي ترد فيها العنوان فلا وجه لتفسيره بما في الاخرة مما لم يتحققونه ولكن يكفي في ذلك ذكره ما وقع في الكتب الالهية التي لم نقراها وتقول من فسره بهذا انما اراد تفسيره بامر يختص به وبصيرة علماله وقيل الاحسن حمله على العصا التي اعطاها لبعض الصحابة فانقلبت سيفا فانه معجزة كما قال الصرصري يمدحه

وعصاه لما مسها بيمينه ● فضلت عصا صارت الى الثعبان

يعني انها صارت معجزة اقوي من معجزة موسي بعصاه **واما التاج فالمراد به العمامة** كما تقدم **ولم يكن حينئذ** في عصر مبعثه وحياته **الا للعرب والعمايم تيجان العرب** اي قايمة مقام تيجان العجم المعهودة بينهم والتاج ما يوضع على الراس من الذهب المرصع بالجواهر والعمايم جمع عمامة وسياتي الكلام على عمامته صلى الله عليه وسلم ولما تفنن في وصف الحبيب المعظم بما مر قال **واوصافه** اي الاوصاف التي اطلقت عليه **والقابه وسماته** جمع سمة وهي العلامة كما تقدم **في الكتب كثيرة** اراد بها كتب الحديث والسير والكتب الالهية **وفيما ذكرنا مقنع ان شا الله** اي في المقدار الذي ذكره ما يحصل به القناعة عن غيره مما في الكتب وفي المصباح مقنع كجعفر ما يقنع به يعني انه اسم مكان يجوز به عن ما يقنع به وقيل انه مصدر ميمي قنع بمعنى رضي والاول اولى وفي بعض النسخ هنا زيادة من الحاق المصنف وهي **وكانت كنيته المشهورة** والكنية ما صدر باب او ام ونحوه ابا القاسم اشتهر بها لانه اول اولاده كما تقدم **وروي عن انس** رواه احمد في مسنده والبيهقي **لما ولد له** اي للنبي صلى الله عليه وسلم **ولده ابراهيم** من مارية جاريته المشهورة **جاءه جبريل فقال السلام عليك يا ابا ابراهيم** فكناه به كما كناه بالقاسم ومما كني به ابو الارامل وابو المومنين وقري في الشواذ وازواجه امهاتهم وهو اب لهم وقيل ان هذا وامثاله مما لم يضف للابنا الحقيقية لقبا لا كنية كابي تراب والله اعلم

عرضي

فصل في تشريف الله له

اي تعظيمه وتفضيله **بما سماه به** من اسمائه عز وجل والباء سببية او للتعدية **الحسنى** اي الحسنة الجليلة لدلالتها على معان محمودة وقال الراغب الفرق بين الحسن والحسنة والحسنى ان الحسن يقال في الاعيان والاحداث وكذلك الحسنة اذا كانت وصفا لا اسما فاذا كانت اسما فهي متعارفة في الاحداث والحسنى تكون في الاحداث دون الاعيان انتهى **ووصفه به من صفاته العلى** بالضم جمع عليا ككبرى وكبر وفي المصباح العليا كل مكان مشرف ولا وجه لتخصيصه بالمكان وقال الراغب العلى جمع تانيث اعلى بمعنى افضل واشرف والصفتان كاسمين **قال القاضي ابو الفضل** هو المصنف وهو مما عبر به عن نفسه من غير قصد التمدح لاشتهاره او زيادة تلامذته كقوله **وفقه الله** والتوفيق تهيئة الاسباب الموافقة وهي جملة دعائية معترضة **ما احرى** بفتح الهمزة وحا ساكنة مهملة وراء مقصورة بمعنى احق واولى وهي صيغة تعجب من زيادة لياقته **هذا الفصل** قال البرهان الفصل ضبط في الاصل بالرفع والظاهر نصبه لان ما تعجبية كما تقول ما اكرم زيدا كما هو معروف في النحو **بفصول الباب الاول** المعقود لثنا الله عليه واظهار عظيم قدره وهذه التسمية دالة على ذلك كما اشار اليه بقوله **لانخراطه في سلك مضمونه** اي لدخوله فيما تضمنه ودل عليه من المناقب التي خرست عندها السنة الاقلام وفي السلك استعارة تخييلية ومكنية غير انهم فسروا الانخراط بالانتظام وقد تتبعت اللغة وكلام العرب فلم اجد الانخراط بهذا المعنى بل هو متاوله فان اخترط السيف اخراجه من غمده واخترط ورق الشجر ازالته عنه بجمع الكف ومنه خرط القتاد الا انهم استعملوها كثيرا في كلام المصنف الموثوق بهم كالزمخشري والسكاكي ولم يزل هذا يختلج في صدري ولم اجد ما يثلجه حتى وجدت ابن عباد قال في جامع اللغة خرطت الجواهر جمعتها في الخريطة وهي الكيس فعلمت ان هذا منه غير انهم تسمحوا في استعماله فذكروا السلك مكانه لانه مثله في جمع الجواهر فحمدت الله على ذلك **وامتزاجه** اي اختلاطه بحيث لا يتميز احدهما عن الآخر ومنه المزاج **بعذب معينها** وهو بفتح الميم بمعنى الجاري مطلقا او على وجه الارض واصله معيون فاعل كمبيع فهو من عين الماء وميمه زايدة وقيل انه وزنه فعيل ومعناه البعيد مجراه من امعن في سيره والعذب الحلو الذي يتغذي به وفي تفسيره بالغزير مسامحة ووجه الاستعارة فيه ظاهر ثم استدرك الاعتذار عن عدم ذكره في الباب فقال **لكن لم يشرح الله الصدر للهداية الى استنباطه** اي لم يفتح الله به عليه او لاباخراجه في محله واصل الاستنباط اخراج الماء فبينه مع ما قبله مناسبة لطيفة وفي ذكر الحوض بعده لطف بين لك وجهه حسنا اذا ما زدته نظرا ● وقوله **ولا انار** اي دل دلالة واضحة **الفكر** بكسر الفا وسكون الكاف او فتحها جمع فكرة **لاستخراج جوهره والتقاطه** اي استخراجه من بحاره او اخذ لقطته وهذا ناظر لانخراطه في سلكه ففيه استعارة ولف ونشر غير مرتب ففيه درة ودرة **الا عند الخوض في الفصل الذي قبله** اي لم يهده الله للوقوف عليه الا عند الشروع فيما قبله واصل الخوض المشي في الماء فاستعير لمطلق الشروع الا انه كما قال الراغب اكثر ما ورد في القرآن فيما يذم الشروع فيه **فرايناه ان نضيفه اليه** اي الى الفصل الذي قبله بان نذكره عقبه لمناسبته له ومراده ان يجعله كالضيف الذي انزل عنده فقال **وبجمع به شمله** اي نضمه اليه والشمل بمعنى المتفرق اي يجمع ما تشتت منه ويكون بمعنى الجمع فهو من الاضداد **فاعلم** خطاب لكل من يصح توجيه الخطاب له كما مر **ان الله خص كثيرا من الانبياء بكرامة** اي بامر اكرمه وشرفه به **خلعها عليهم من اسمائه** اي اعطاها لهم والبسها اياهم والاصل في الخلعة انها ثوب يلقيه الملك على من يكرمه او يوليه ولاية وشاع في عرف الكتاب تسمية الخلعة تشريفا واليه اشار المصنف بقوله

وع

في اول هذا الفصل في تشريف الله له باسمائه ففيه لطف لم يتنبهوا له وفي نسخة عليه وفي
نسخة جعلها بدل علمها والصحيح الاول لما عرفته وفيه استعارة لطيفة بجعل الاسم خلعة لما
فيهما من الشهرة واظهار التكريم كتسميته اسحاق واسماعيل بعليم وحليم في قوله تع وبشروه
بغلام عليم يعني اسحاق وقوله فبشرناه بغلام حليم يعني اسماعيل وهذا بنا على ان المبشر به
اسحاق وقيل هو اسمعيل قيل ولهذا جمع المص هنا بين اسحاق واسمعيل وابراهيم بحليم في قوله
ان ابراهيم لاواه حليم ونوح بشكور اي كثير الشكر في قوله ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا
شكورا في الاسرا بنا على ان الضمير له لا لموسى ويحيى وعيسى ببر صفة مشبهة من البر والبر
خلاف البحر ولما فيه من السعة توسعوا فيه فاشتقوا منه اي التوسع في فعل الخير وينسب ذلك
تارة الى الله نحو انه هو البر الرحيم والى العبد فيقال بر العبد ربه اي توسع في طاعته فمن الله الثواب
ومن العبد الطاعة وذلك ضربان ضرب في الاعتقاد وضرب في الاعمال وقد اشتمل قوله تع ليس البر
ان تولوا وجوهكم الآية ولذا سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن البر فتلا هذه الآية وبر الوالدين
التوسع في الاحسان اليهما ويستعمل البر في الصدق لكونه بعض الخير المتوسع به قاله الراغب
وموسى بكريم وقوي في قوله تع ولقد جاءهم رسول كريم وقوله ان خير من استاجرت القوي الامين
وفي بعض النسخ بدل كريم كليم والصحيح الاول لانه لم يسم به الله وان كان الكلام من صفاته ويوسف
بحفيظ عليم اي حافظ كثير العلم وهذا في قوله تع اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم وايوب
بصابر في قوله تع انا وجدناه صابرا نعم العبد واسمعيل بصادق الوعد في قوله تع واذكر
في الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد لشهرته به في وفائه ما وعد به من صبره على الذبح ووفائه
به ولا يرد عليه ان فيما ذكر ما هو من كلام الملائكة والانبيا لانه تع حكاه واقره فكان في الحقيقة
وصفا من الله بما ذكر واسمعيل هو ابن ابراهيم لا ابن حزقيل فانه قول غير مشهور وما قيل ان هذه
الصفات يوصف بها كل من قامت به فكل من قام به علم او حلم يقال له عليم وحليم فلا اختصاص لهذه
الاسما بمن ذكر والجواب بالفرق بين ثنا الله وثنا غيره فالاختصاص من حيث ان الله وصفهم بها وفيه
غاية الاختصاص وثنا الله على كثير من المؤمنين بالصبر والصدق ايضا لا ينافي لان الثنا بهذه الصفات
على هؤلاء من حيث ان الله جبلهم عليها وكذا ما قيل من ان عيسى هو الذي وصف نفسه بما ذكر لا الله لما
كان في حال الطفولية والله هو الذي انطقه على خرق العادة فالواصف هو الله في الحقيقة كله تكلفات
نحن في غنية عنها فان المص لم يذكر الاختصاص وانما قال ان من اسماء الله ما سمى به رسله تشريفا لهم
وبيانا لتخلقهم باخلاقه ولا شك ان هذه الصفات اذا اجريت على الله فلها معان لا تليق بغيره ولما
كان سمى ببعض منها بعض رسله دل على انها بمعنى لا يليق بغيرهم ايضا وقد قال ابن القيم في كتاب الفوايد
ان الاسماء التي تطلق على الله وعلى غيره اختلف فيها فقيل انها حقيقة في الله مجاز في غيره وقيل على
العكس وقيل انها مشتركة بينهما وان كان هذا محتاجا للبسط والبيان كما نطق بذلك الكتاب
العزيز اي كما دل عليه القرآن نصا وتصريحا فالنطق مجاز كما في قولهم نطقت الحال والعزيز بمعنى
الغالب لغيره من الكتب باعجازه واشتماله لما ليس في غيره من الكتب من مواضع ذكرهم اي مستفادا
من مواضع ذكرهم فيه وان حكاه عن غيره ففيه اشارة لما تقدم وفضل محمدا نبينا صلى الله عليه
وسلم في القرآن على غيره ممن ذكر بان حلاه منها في كتابه العزيز الباء سببية متعلقة بفضل
وحلاه بفتح الحاء المهملة وتشديد اللام من الحلية وهي الصفة الظاهرة او من الحلي التي يتزين بها
اي بان وصفه او زينه وكرمه بما سماه به في القرآن وعلى السنة انبيائه في الكتب المنزلة عليهم

ابن اقبرس

او فيما نقل لنا عنهم بعدة كثيرة بكسر العين وتشديد الدال اي بعدة اسماء وصفات كثيرة
فتميزه بكثرتها لان كثرة الاسما تدل على شرف المسمى اجتمع لنا منها جملة اي انه جمع منها اسما
متعددة بعد اعمال الفكر مصدر اعمله جعله عاملا فاعلا لما يريد فكانه استخدم افكاره
في النظر فيما يوخذ منه ويدل عليها واحضار الذكر اي استحضارها وتذكرها والذال
معجمة مكسورة وجوز ضمها وتفسير الذكر بالقرآن لا وجه له هنا والحاصل انه اجتهد في جمعها
وبذل فيها جهده وطاقته اذ لم يجد من جمع فيها فوق اسمين قيل هما رءوف رحيم في سورة براءة
ولا من تفرغ فيها للتاليف فصلين الفراغ خلاف الشغل الحسي والمعنوي يقال تفرغ لعمله
اذا اشتغل به وترك غيره واذ تعليل لما قبله وحررنا منها في هذا الفصل نحو ثلاثين اسما
نحو هنا بمعنى قريب اي يقرب من هذا العدد فلا يضر زيادة او نقص قليل كما ان فوق فيما
سبق بمعنى ازيد والتحرير بمعنى الكتابة والتهذيب والتحقيق كما مر ولعل الله اي ارجوا
من الله الذي الهمناها ان يتم ما الهمنا كما الهمنا ما علمنا منها ضمن الهم معنى ارشد
وهدى فعداه بالى فانه يتعدى بها وباللام وعلم بتشديد اللام اي علمنا من هذه الاسما وحققه
اي بين لنا حقيقته او جعله محققا متيقنا واطلعه عليه ويتم هذه النعمة وهي التعليم
والتحقيق بابانة اي اظهار ما لم يظهر لنا حتى نقف عليه والكاف للتشبيه وقدم المشبه
على المشبه به اهتماما به او هي للمبادرة كما في قولهم كما تدخل صل الآن مبني على الفتح والالف
واللام لازمة زايدة اي لم يظهر الى حين تحرير هذا الفصل ويفتح غلقه بفتح الغين المعجمة وفتح
اللام والقاف وهو ما يغلق اي يقفل به كما في المقتفي وفي بعض الشروح انه بضمتين وهو
الباب المغلق ففيه استعارة تصريحية مرشحة ويجوز ان يكون بفتحة ثم كسرة بزنة كتف
من قولهم كلام غلق فالاستعارة تبعية في قوله يفتح غلقه فمن اسمائه تعالى الحميد بمعنى المحمود
فهو فعيل بمعنى مفعول لاستحقاقه الحمد لانه حمد نفسه وحمد عباده بالبنا للفاعل
فيهما وذكر الاول توطية للثاني وبيانا لانه المحمود الحقيقي وحمد غيره له انما هو باقداره عليه
وخلقه لقوة النطق فيه فكانه في الحقيقة ليس الا حمد نفسه وبهذا فسر قوله الحمد لوليه اي لموليه
ومعطيه فليس احد يستحق الحمد سواه ويكون ايضا اي الحميد في اسمائه كما يكون بمعنى المفعول
يكون بمعنى الفاعل بمعنى الحامد لنفسه ولاعمال الطاعات والاعمال الصالحة الصادرة
من عباده وقال الغزالي في شرح الاسماء الحسنى انه يجوز ان يطلق على النبي صلى الله عليه وسلم
الحميد لانه من حمدت جميع اخلاقه وعقايده واعماله الا انه لما لم ينقل لم يذكره المص فاشار
الى انه ورد اطلاق ما هو بمعناه عليه فقال وسمى النبي صلى الله عليه وسلم محمدا واحمد
وهما بمعنى حميد على الوجهين فمحمد بمعنى محمود لان كلا منهما اسم مفعول دال على مبالغة في كونه
محمودا وكذا وقع اسمه صلى الله عليه وسلم اي تسميته بمحمود في زبور داود وفي نسخة
زبر بكسر الزاي وضمها وضم البا وسكونها وهو مصدر او جمع بجعل كل جزء منه زبورا بمعنى
مزبور فلا يرد عليه ان هذا لا دليل عليه على تسميته باسم الله فلا يناسب ما هو بصدده ثم
اشار الى المعنى الثاني بقوله واحمد بمعنى اكبر بالموحدة وحمد بمعنى الفاعل واجل من حمد
بالبنا للمفعول ففيه لف ونشر والى هذا اي كون اسميه بمعنى ما ذكر اشار حسان بن ثابت
الانصاري الصحابي المشهور بقوله في شعر له مدح به النبي صلى الله عليه وسلم

وشق له من اسمه ليجله • فذو العرش محمود وهذا محمد

والشعر هذا بتمامه هـ

الم تر ان الله ارسل احمدا • ببرهانه والله اعلى وامجد
وشق له من اسمه ليجله • فذو العرش محمود وهذا محمد
نبي اتانا بعد ياس وفترة • من الدين والاوثان في الارض تعبد
فارسله ضوا منيرا وهاديا • يلوح كما لاح الصقيل المهند

وشق مبني للفاعل من شق اذا جعله قطعتين اي اشتق له من اسمه اسما اجله وعظمه وهمزته مقطوعة للضرورة وانما قال المصنف نحو ولم ينقل الى هنا لان ما في الشعر انه ماخوذ من محمود والمصنف بصدد انه اخذ من حميد وزيد في هذا

اغر عليه للنبوة خاتم • من الله من نور يلوح ويشهد
وضم الاله اسم النبي الى اسمه • اذا قال في الذكر المؤذن اشهد

وشق الخ • والبيت المذكور رواه البخاري في تاريخه لابي طالب وهو منقول عن علي بن زيد فحسان لو اراد سمعه او ضمنه واستعان به ومن اسمائه تعالى الروف الرحيم وهما بمعنى متقارب لان الرافة نوع من الرحمة وقد تقدم تحقيقه وقد سماه الله في كتابه اي القران بذلك اي الروف الرحيم فقال بالمومنين روف رحيم ومن اسمائه تعالى الحق المبين ومعنى الحق الموجود والمتحقق امره اي المتصف بالوجود الازلي الابدي من ذاته لذاته لانه واجب الوجود والمتحقق بمعنى المتيقن وجوده لثبوته بالبراهين القاطعة وامره بمعنى شانه وما يجب ثبوته من صفاته وافعاله والمتحقق بفتح القاف ويجوز كسرها وللحق معان اخر وكذلك المبين اسم فاعل من ابان اللازم لانه ورد لازما ومتعديا اي البين الظاهر امره والهيته بان وابان بمعنى فيكون متعديا ولازما ولابان يكون بمعنى قطع وفصل ايضا وبنيه على اللزوم وعلى التعدي يكون بمعنى المبين لعباده امر دينهم في الدنيا ومعادهم في الاخرة وسمي النبي بذلك اي الحق المبين في كتابه فقال حتى جاهم الحق ورسول مبين بناء على ان المراد بالحق محمد صلى الله عليه وسلم ومبين بمعنى ظاهر بعظيم اياته ومعجزاته فلا وجه لما قيل ان هذا ليس على وجه التسمية وانما هو وصف للرسالة وقال وقل انا النذير المبين اي المحذر لكم من الله والمبين لكم امور دينكم وقال قد جاكم الحق من ربكم على ان المراد به محمد وقيل المراد به القران وقال فقد كذبوا بالحق لما جاهم من الله قيل محمد اي المراد به في هذه الاية وتكذيبه بتكذيب رسالته وما جاء به وقيل المراد به القران بدليل التكذيب ومعناه اي الحق هنا ضد الباطل من حق بمعنى ثبت والمتحقق امره وصدقه هو تفسير لما قبله او معنى آخر وفي تفسير البيضاوي الحق الثابت الذي لا يسوغ انكاره يعم الاعيان والافعال الصايبة والاقوال الصادقة من قولهم حق الامر اذا ثبت ومنه ثوب محقق محكم النسج وهو بالمعنى الاول ضمير هو راجع الى قوله المتحقق صدقه وامره والمراد بالمعنى الاول كون الحق اسما لمحمد صلى الله عليه وسلم والمبين على هذا التفسير البين الظاهر الذي لا يخفى امره ورسالته وهذا على كونه من ابان اللازم او هو المبين بتشديد المثناة المكسورة هـ عن الله ما بعث به للخلق كافة وعداه لتضمينه معنى المبلغ او هو حال بتقدير ناقلا كما قال لتبين للناس ما نزل اليهم من شرايعه واحكامه وهذا على انه من ابان المتعدي ومن اسمائه تعالى النور وقد قدمنا ما قاله الغزالي انه حقيقة في ذات الله لان معناه الظاهر بنفسه المظهر لغيره واليه ذهب الحكما ويشير اليه قول الاشعري انه نور ليس كالانوار وما قاله

الشهيلي

٢٧٥

السهيلي في الفرق بينه وبين الضيا بانه ذات المنير والضوء والضيا اشعته المنتشرة عنه ولذا جعل الشمس ضياء والقمر نورا لكثرة اشعتها فلا وجه لما يتوهم من ان الظاهر العكس ولا حاجة لتاويله اذا اطلق على الله فان اردت فطالع مشكاة الغزالي والمشهور فيه التاويل كما اشار اليه بقوله ومعناه ذو النور وخالقه عطف تفسير وهذا تاويل له بتقدير مضاف فيه لما مر او منور السموات والارض فعلى الاول هو حقيقة وعلى الثاني هو مجاز كعدل بمعنى عادل لانه المنعم على اهلها بالانوار الفايضة عليها بواسطة الكواكب ونحوها والنور على هذا بمعناه الحقيقي ومنور قلوب المومنين بالهداية ولذا ورد تفسيره بالهادي وهذا على استعارة النور للهداية لما فيهما من الكشف والدلالة ثم استعماله بمعنى المنور اي الهادي ففيه مجاز على مجاز لاستعارته والاول حتى صار كالحقيقة وسماه اي سمى الله نبيه فقال قد جاكم من الله نور وكتاب مبين قيل المراد بالنور في هذه الاية محمد لظهور اياته وقيل القران لازالته ظلمة الجهل والكفر ولا يشكل على الاول افراد الضمير في قوله يهدي به من اتبع رضوانه وعطفهما بالواو دون الفا كما قيل لان الضمير راجع عليهما معا باعتبار المذكور ولانهما كالشي الواحد وهداية احدهما عين هداية الآخر وقد صرح العراقي في تفسيره بجواز مثله جوازا مطردا او به ورد القران في ايات كثيرة كما بيناه في السوانح وانشد عليه شاهدا قوله هـ

رماني بامر كنت منه ووالدي • بريا ومن حول الطوي رماني •

وقال فيه اي وصف النبي وشانه وسراجا منيرا فسماه سراجا كما سماه نورا على نهج الاستعارة او التشبيه البليغ ثم بينه بقوله سماه بذلك اي بالنور والسراج لوضوح امره كالنور الذي لا يخفى وبيان نبوته اي كونها بينة ظاهرة وتنوير قلوب المومنين العارفين به وبما جاء به وهذا ناظر لقوله وتنوير قلوب المومنين بالهداية وفيه تنبيه لاطلاقه على القران ضمنا ومن اسمائه تعالى التي شرف بها نبيه الشهيد من الشهادة وهي المعاينة والاخبار بما عاينه او من الشهود وهو الحضور ومعناه العالم لان من شاهد شيا علمه علما تاما قال تعالى لم تكفرون بايات الله وانتم تشهدون اي تعلمون وفي شرح المواقف الشهيد العالم بالغايب والحاضر ووافقه اطلاق المصنف فلا يرد عليه انه فسر الاخص بالاعم وقول الغزالي اذا اعتبر العلم مطلقا فهو العليم وان اضيف الى الغيب والامور الباطنة فهو الخبير وان اضيف الى الامور الظاهرة فهو الشهيد فتدبر وقيل الشاهد على عباده يوم القيمة اذ يبين لهم ما صدر منهم في حياتهم اذ لا يخفى عليه خافية وسماه اي سمى الله نبيه شهيدا وشاهدا فقال انا ارسلناك شاهدا مقبولا شهادتك على امتك ولهم وهو حال مقدرة وقال وكذلك جعلناكم امة وسطا ويكون الرسول عليكم شهيدا اشارة الى ما رواه مسلم من ان الله يسال الانبيا هل بلغتم فيقولون نعم وتنكر اممهم فيقول من يشهد لكم فيقولون محمد وامته فتشهد امة محمد ويشهد لامته لصدقهم وهذا معنى الاية وهذه الشهادة لهم لا عليهم لكنه ضمن معنى رقيبا وقدم الجار لاختصاصه بهذه الشهادة وفيه فضيلة له ولامته فان الانبيا يحاسبون يوم القيمة وهو لا يحاسب وفضيلة لامته اذ لم ينكروا تبليغه وقد تقدم الكلام على هذه الاية وهو اي الشهيد الذي اطلق عليه صلى الله عليه وسلم بمعنى الاول اي الشاهد او بمعنى الشهيد الاول الذي اطلق على الله والاولية على الوجهين لمطلق التقدم وقيل وصف اسم الشاهد بالاولية مع كونه ثانيا الذكر اسمه قبل آية اسمه الشهيد ومن اسمائه اي من اسماء الله التي سمى بها نبيه الكريم ومعناه كثير الخير وهذا اصل معناه لغة واك

اختص في عرف اللغة والعرف العام بالسخي الكثير العطا واليه اشار المصنف بقوله **وقيل المفضل** بوزن محسن ومعناه ولذا فسر بمن يعطي عفواً بغير وسيلة وسؤال **وقيل العفو** فعول من العفو وهو التجاوز عن سيئات من اساء قيل وهو ابلغ من الغفور من حيث ان الغفر ستر السيئة والعفو محوها وهو في الاصل القصد لتناول الشي فاستعير لقصد ازالة المحو **وقيل العلي** وهو البالغ الى رتبة فوق رتبة فهو العلي في ذاته وصفاته وفسره الغزالي بانه اذا قدر عفا واذا وعد وفا واذا اعطى زاد على منتهى الرجا ولا يبالي لمن كم اعطى ولا لمن اعطى وان رفعت حاجة لغيره لا يرضى واذا جفي عاتب وما استقصى ولا يضيع من لاذ به والتجا فيغنيه عن الوسايل والشفعا فمن اجتمع له جميع ذلك لا بالتكليف فهو الكريم المطلق وذلك هو الله وحده لا يناله غيره الا بالاكتساب والتحمل ومع ذلك لا يستوفي جميع انواعه ولذا جاز اطلاقه على غيره كالنبي صلى الله عليه وسلم **وفي الحديث المروي** الذي رواه ابن ماجة في سننه **في اسمايه** اي في اسماء الله وهو متعلق بالمروي او بمقدر اي عد في اسمائه **الاكرم** اي الزايد على غيره في صفة الكرم وهذا يقتضي مشاركته لغيره في هذه الصفة اذ فسرت بمعنى يوجد فيه وفي غيره فان فسرت بما تقدم عن الغزالي وهو مختص بالله فالتفضيل ليس على بابه بمعنى الكريم او على اصله على طريق التسامح كما في قوله احسن الخالقين قال ابن عبد السلام في اماليه هذا ونحو ارحم الراحمين واحكم الحاكمين مشكل لان افعل يضاف الى جنسه وهذا ليس كذلك لان خلق الله ايجاده وهو من غيره بمعنى الكسب وهما متباينان والرحمة من الله ان حملت على الارادة صح لان المعنى اعظم ارادة من المريدين وان جعل من مجاز التشبيه وهو ان معاملته تشبه معاملة الراحم صح ايضا لانه مشترك بينه وبين عباده وان اريد ايجاد فعل الرحمة مشكل اذ لا موجد غير الله واجاب الآمدي بان معناه اعظم من يسمى بهذا الاسم وانه يشكل بان التفاضل في غير ما وضع له اللفظ ويصح على مذهب المعتزلة لان الفاعلين عندهم كثير ثم انه قيل على المصنف ان اثباته تسمية الله بالاكرم بالحديث غفلة عن تسميته بذلك في القرآن في قوله تعالى اقرأ باسم ربك الاكرم ولك ان تقول ان الذي في الآية على سبيل التوصيف والذي ذكره انه عد في الحديث في سلك الاسما الحسنى وهو دال على مراده **وسماه الله تعالى كريما** اي سمى الله به نبيه **بقوله انه لقول رسول كريم قيل** اي قال بعض المفسرين هو في هذه الآية **محمد وقيل جبريل** وهو قول اكثر المفسرين لانه الظاهر من السياق **وقال صلى الله عليه وسلم انا اكرم ولد آدم** اي اشرف من ساير الخلق الانبيا وغيرهم وقد تقدم مرارا روايته ومعناه ثم اشار بقوله **ومعاني الاسم** اي الكريم والاكرم **صحيحة في حقه** لاتصافه بغاية الكرم الى انه لا اتصافه بمعناه والمراد بالاسما ما يطلق عليه سواء كان اسما او صفة فسقط ما قيل ان تسميته كريما على طريق التوصيف لا على طريق الاسماء الاعلام وقوله اكرم ولد آدم المراد به تفضيله عليهم لا التسمية بهذا الاسم بل ينبغي ان يقال باختصاص الاكرام بالله وهو غفلة عما قررناه بل هو ناشي عن عدم فهم كلام المصنف وفي ذلك اشارة الى تشريفه بكونه كريما واكرم **ومن اسمائه تعالى العظيم** وهو الذي عظم جسما وقدرا ورتبة والمراد الثاني لانه عز وجل هو العظيم على الاطلاق لبلوغه مرتبة من العظمة لا يحيط بتصورها الافهام ولا يتخيلها الاوهام لتنزيهه عن ان تحيط العقول بكنه ذاته وصفاته فلذا قال **ومعناه الجليل الشان** بهمزة او الف مبدلة منها **الذي كل شي دونه** اي قاصر عن بلوغ رتبته اذ لا كمال يدنو من كماله في ذاته وصفاته والعظيم والجليل والكبير معانيها متقاربة

الا انه قيل ان الكبير هو الكامل في ذاته والجليل الكامل في صفاته والعظيم الكامل فيهما **وقال وانك لعلى خلق عظيم** فقد جمع الله له من محاسن الاخلاق ما لا يتصور في احد سواه ثم واذا وصف خلقه بالعظمة فقد وصفه به فكان من اسمائه فلا يرد عليه انه وصف لخلقه لا له فليس دلالة العظمة مختصة بالله او نقول انه توطئة لقوله **ووقع في اول سفر في التوراة** بكسر السين وسكون الفا وراء مهملة وهو الكتاب **عن اسمعيل** نبي الله بن خليل الله وكان الظاهر ان يقول في حق اسماعيل لانه صفة سفر اي سفر فيه ما يصدر عن اسمعيل **وسيلد عظيما لامة عظيمة** وفيه مبالغة في وصفه بالعظمة اذ جعل اتباعه عظما فما بالك به هم

وان اسعر الاله سعيرا • لاناس فانهم سعرا

ومن اسمائه تعالى الجبار وهو صيغة مبالغة على خلاف القياس اذ لم يجي جبر بمعنى جبر فهو مجبر وجبار وجبر متعد ولازم يقال جبرت العظم وجبر جبورا وجبر الفقر ويتصف به من الناس المتكبر العدوان وله معان في كلام العرب القهار والمسلط قال تعالى وما انت عليهم بجبار والقوي العظيم الجسم والمتكبر والقتال والنخلة الطويلة ونخل البنت طال وجبره على كذا اكرهه والجبار خلاف القدرية والجبرية بفتح البا وسكونها وقال ابو عبيد انه مولد والمجبر الذي يجبر العظام المكسورة اي يصلحها يقال اجبرت وجبرت وهو اكثر قال

قد جبر الدين الاله فجبر

ويقال جبرتها ايضا ولما ذكرناه من معناه الحقيقي لغة اختلفوا في تفسيره حيث وقع صفة كما قال المصنف **ومعناه المصلح** للعالم ولامور عباده تفضلا به من جبرت العظم والفقر فهو من صفات الافعال **وقيل القاهر** فيرجع الى صفة القدرة الذاتية فما من مخلوق الا وهو مقهور في قبضة تصرفه يفعل به ما يريد **وقيل العلي** من قولهم نخلة جبارة ونبت جبار اي طويل فاستعير من العلو الحسي للمعنوي ولذا فسره بالعالي فوق خلقه فهو صفة ذاتية وقيل المتكبر المتعظم الذي يرى كل حقير بالاضافة الى ذاته من قولهم فيه جبرية وجبروت اي تكبر وعظمة ولذا كان صلى الله عليه وسلم يقول في سجوده وركوعه سبحان ذي الملك والملكوت سبحان ذي العزة والجبروت **وسمي** بالبنا للمجهول اي سماه الله **في كتاب داود** اي الصحف الالهية المنزلة عليه **بجبار فقال** الله مخاطبا له لتنزيله منزلة الموجود لتحققه في علمه الحضوري عنده **تقلد ايها الجبار سيفك** يقال تقلد السيف اذا جعل حمايله على عاتقه وحمله كالقلادة وفيه اشارة الى انه سيؤمر بالقتال **فان ناموسك** اي الوحي النازل عليك او عظمتك في قلوب الناس وهذا المعنى سايغ بين الناس واصل معناه كما في القاموس صاحب السر المطلع على باطن امرك او صاحب سر الخير وصاحب سر الشر جاسوس وقترة الصايد وهو بيت يختفي فيه الصايد ليأخذ الصيد وفي البيان للجاحظ قال الزبيري الناموس دويبة تلسع الانسان مشتق من نمس الكلام اخفاه وسمي جبريل بالناموس الاكبر لانه يخفي الكلام حين يلقيه الى الرسل انتهى **وشرايعك** يحتمل انه عطف تفسير ولذا وحد الخبر **مقرونة بهيبة يمينك** اي بالخوف من سيفك فكنى بما ذكر عنه او تجوز باليمين عما فيه ولو فسر الجبار في كتاب بالمجاهد القتال الذي هو احد معانيه بقرينة ما بعده كان اولى من قوله **ومعناه في حقه** اي معنى الجبار الذي هو من اسماء الله اذا اطلق في وصف آله يقال كذا ورد في حق كذا اي امره وشانه المتحقق فيه **اما لاصلاحه لامته بالهداية والتعليم** اي ارشادهم لما فيه صلاح معاشهم ومعادهم وتعليمهم امور دينهم فعلى هذا سمي النبي صلى الله عليه وسلم باسم الجبار بمعنى المصلح **او لقهره اعدائه** وفي نسخة لقهره اعداءه وهذا اشارة الى انه مسمى به بالمعنى الثاني الذي مر بيانه **او لعلو منزلته على البشر**

فهو مسمى به باعتبار المعنى الثالث وهو العلى **وعظم خطره** هذا اشارة اما مستعار من العلو
الحسى فينزل الرتبي منزلته ويتخيل فيه انه ارتفع في الحس او علو القدر وهو العظمة وهذان على هذا
الوجه وعلى الاول هو كقول ابي تمام وقد ذكر علو ممدوحه
وتصعد حتى يظن الجهول • بان له حاجة في السما
ولو قال على الخلق كان احسن وقيل انه يفهم من تفضيله على البشر تفضيله على الجن والملك بالطريق
الاولى وفيه نظر واصل الخطر ما يعطى في الرهان ثم ما تقدم ثم استعمل في الشرف فيقال له خطر ورجل
خطير وهو من اضافة الصفة لموصوفها ولله در الغزالي في قوله الجبار من العباد من ارتفع عن الاتباع
ونال درجة الاستتباع وتفرد بعلو رتبته بحيث يجبر الخلق بهيئته وصورته على الاقتداء به
ومتابعته في سمته وسيرته فيفيد الخلق ولا يستفيد ويؤثر ولا يتاثر ويستتبع ولا يتبع لا يشاهده
احد الا ويفنى عن ملاحظة نفسه ويصير مشتوقا في اله به غير ملتفت الى ذاته ولا يطمع احد في
استدراجه واستتباعه وانما حظى بهذا الوصف سيد البشر صلوات الله وسلامه عليه حيث قال
لو كان موسى حيا ما وسعه الا اتباعي وانا سيد ولد آدم ولا فخر وفي كلامه لف ونشر وايجاز لان
اصله معناه في حقه كمعناه في حق الله وان لم يكن يساويه او يقاربه وبدانيه ولما كان المعنى الاخير
لا يصح في حق النبي بوجه من الوجوه وهو المتكبر **قال ونفي عنه تعالى في القرآن جبرية** بفتح
الباء الجبر وجبروت وجبورة كمن وجد **التكبر** كما قاله القرطبي في شرح اسماء الله الحسنى واضاف
الى التكبر احترازا عن الجبرية بمعنى الجبر وهو خلاف القدر وقال القرطبي الجبرية بفتح الباء خلاف
القدرية عن الجوهري وحكى عن الزجاج الجبرية باسكان الباء وهو اصوب وعن ابي عبيد انه مولد
التي لا تليق به لما تقدم من تواضعه صلى الله عليه وسلم ولان الكبرياء والتكبر من صفاته التي
لا تليق بغيره ومعنى تليق تناسب وتصح **فقال وما انت عليهم بجبار** تفسير لقوله نفي وتقدم
انه فسر بمسلط والتكبر هو التعاظم على الغير واستحقاره وهو محرم على كل مخلوق ومما ذكرناه علم ما
في قول القرطبي في شرح الاسماء الحسنى انه يجب على كل مسلم مكلف ان لا يتصف باسم الجبار ولا ينبغي
وانما حظه الاتصاف بنقيضه فان اطلاقه بآباه اطلاقه عليه صلى الله عليه وسلم فينبغي تقييده
ببعض معانيه وقيل تفسيره بالمسلط اولى لانه نزل في حق اهل مكة وانكارهم البعثة فامره بان
ينذرهم ولا يجبرهم على الايمان ويتسلط عليهم حتى يسلموا فالاية منسوخة باية السيف لانها من سورة
قاف وهي مكية وانما امر بالقتال بالمدينة وعلى ما ذكره المصنف تكون غير منسوخة ومن اسمائه تعالى
الخبير وقد ورد في القرآن معرفا ومنكرا الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير من الخبر بالضم
وحقيقته استكشاف باطن المخبور حتى يستوي عنده ظاهره وباطنه ولذا قيل للحارث خابر ويكون
بمعنى المخبر والمختبر والله مختبر لعباده قال ونبلوكم بالشر والخير فتنة فهو من صفات الافعال ويكون
بمعنى العليم من صفات الذات واذا كان بمعنى المخبر رجع الى صفة الكلام فقوله **فمعناه** اذا اطلق
على الله **المطلع بكنه الشيء** اي لو اقف على حقايق الاشيا وكنه الشيء بضم فسكون له معان منها
الحقيقة كما في التهذيب يقال اكتنهه اذا بلغ كنهه فقوله في شرح المفتاح انه مولد لا وجه له وعداه
بالباء وتعديته بعلى لانها بمعنى **العالم بحقيقته** وهي لا غاية كما قيل **وقيل معناه المخبر** والاصل
المجرب والمؤدبه في حقه استدراج عباده حتى يعلم الصابر من غيره فيلزمه الحجة او يعلم سلوكه
المحجة وهو اعلم بهم وفي بعض النسخ المجرب ابتلاه ولرسله بكلامه المنزل عليهم والمخبر عباده يوم القيمة
باعمالهم فانه لا يعزب عن علمه شيء ثم شرع في بيان تسمية الرسول به فقال **وقيل معناه المخبر**

قال تعالى

قال تعالى فاسئل به خبيرا اي عنه او الباء تجريدية والضمير لخلق السموات والارض والاستوا
على العرش المذكور قبله والخبير بمعنى العالم **قال بكر بن العلاء** بفتح الموحدة والعين المهملة وهو بكر
بن محمد بن العلاء بن زياد القشيري من ولد عمران بن الحصين رضي الله عنه توفي ليلة السبت لسبع
بقين من ربيع الاول سنة اربع واربعين وثلثماية **المامور بالسؤال** في الاية **غير النبي** بل كل من
يتاتى منه السؤال لا النبي لانه المخاطب **والمسؤول الخبير هو النبي** لانه العالم بحقيقة ما ذكره
غيره ففيه دليل على تسميته خبيرا **وقال غيره** غير بكر **السائل النبي** لانه المخاطب به **والمسؤول**
الله فالنبي خبير بالوجهين المذكورين اي على التفسيرين فالباء بمعنى على وظرفية اما على الاول
فظاهر لاطلاقه عليه ولانه لو لم يكن خبيرا لم يؤمر بسؤاله واما على الثاني فلان اذنه له في السؤال
دال على اعلامه به وقيل المراد بالوجهين تفسير الخبير بالعالم بالحقيقة وتفسيره بالمخبر **وقيل**
لانه عالم على غاية من العلم بما اعلمه الله من مكنون علمه وعظيم معرفته اي سمي خبيرا لما
اعلمه به من المغيبات والخفيات التي اطلعه عليها بوحيه وما جبله عليه من المعرفة العظيمة **مخبر**
لامته بما اذن له في اعلامهم به دون ما لم يؤذن فيه من الاسرار الالهية وما بعد قبل ناظر
لكونه بمعنى العالم وهذا لكونه بمعنى المخبر والفرق بين هذا وما قبله انه سمي خبيرا باعتبار ما اجابه
به بعد سؤاله والقبل باعتبار انه عالم قبل السؤال فتدبر **ومن اسمائه تعالى الفتاح** قال
الراغب اصل معنى الفتح ازالة الاغلاق والاشكال وهو ضربان احدهما ما يدرك بالبصر كفتح الباب
والقفل والمتاع والثاني ما يدرك بالبصيرة كفتح الهم والمشكل وصفه فتح القضية اذا فصل الحكم فيها
ومنه الفاتح والفتاح للقاضي وفتح الممالك الظفر بها ومنه وفتح الله برزق اذا جاءه من حيث لا يحتسب
ومعناه في حق الله الحاكم بين عباده في فصل القضا وبانصاف المظلوم من الظالم فهو من صفات
الافعال **او فاتح ابواب الرزق والرحمة** بتيسير ازالتهم لهم وتهيئة اسبابها وفتح اقفال موانعها
والرحمة الانعام اي المنعم عليهم الرازق لهم قال تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وهو
استعارة في الاصل صار حقيقة عرفية **والمنغلق من امورهم عليهم** بالجر على ابواب اي فاتح المنغلق
بمعنى ميسر كل صعب ومسهله وعليهم متعلق بفاتح او بالمنغلق **او يفتح قلوبهم وابصارهم**
لمعرفة الحق هو الله وخلاف الباطل اي يزيل اقفال قلوبهم المانعة لهم وغشاوة ابصارهم وبصا
حتى يعرفوه ويصدقوا بصرايته وبفتح مضارع معطوف على فاتح فان الفعل يعطف على الاسم الصفة
لانها بمعنى وفي بعض النسخ بفتح الباء الجارة والظاهر الاول وهذا معطوف على مقدر اي المنغلق
بتيسيره او بفتح الخ **ويكون الفتاح ايضا** كما كان بمعنى الحاكم بمعنى الناصر المعين لان من شان
الحاكم نصرة المظلوم وكفاية استشهد له بقوله **كقوله تعالى ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح**
لانه فسر **ان تستنصروا فقد جاءكم النصر** من عند الله بخذلان اعدا دينه ونصرته للحق
وقيل معناه مبتدي الفتح والنصر لان الفتح جاء بمعنى البدء ومنه فاتحة الكتاب لاوله ومبدي
ومعنى مبتدي النصر انه موجده وميسره وما النصر الا من عند الله وقوله ان تستفتحوا خطاب
من الله لاهل مكة ابي جهل واضرابه ممن قتل ببدر تعلقوا باستار الكعبة عند خروجهم من مكة
وقالوا اللهم انصر اعلى الجندين واهدى الفريقين واكرم الحزبين فجاءهم الله متهكما بهم ان
قد نصرتم **وسمى الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بالفاتح في حديث الاسرا** الطويل الذي
تقدم ذكره **من رواية الربيع بن انس عن ابي العالية وغيره عن ابي هريرة** والفاتح بمعنى
الفتاح والمبالغة التي فيه لا تنافي مشاركته له في اصل معناه له كما توهم ولكن لما قيل من انه

ليس بخاص به ولا على وجه التسمية ونحوه مما لا ينبغي ذكره **وفيه** اي في حديث الاسرا **من قول**
الله تعالى لنبيه فيما خاطبه اذ عرج به **وجعلتك فاتحا وخاتما** اي اول الانبيا وخاتمهم اخرهم
لما مر من انه نبي قبل خلق آدم وقد تقدم بيانه او المراد به ما قاله في شرح قوله **وفيه** اي في حديث
الاسرا **من قول النبي** صلى الله عليه وسلم **في ثنائه على ربه** اذ حمده بمحامد لم يلهمها قبل **ونقديره مراتبه**
اي مقاماته بين يدي ربه **ورفع لي ذكري** اي بجعله قرينا للذكر كما تقدم **وجعلني فاتحا**
وخاتما فيكون الفاتح هنا بمعنى الحاكم وانما خصه بذلك لانه لم يكن لاحد قبله شريعة كشريعته
او الفاتح لابواب الرحمة على امته اذ هداهم الى ما ارشدهم الى سعادة الدارين **او الفاتح لبصائرهم**
لمعرفة الحق والايمان بالله لدعوتهم الى معرفته وتوحيده **او الناصر للحق** والدين القويم بجهاده
في سبيله **او المبتدي بهداية الامة** لتقدمه ذلك على كل مهم له **او المبدا المقدم في الانبيا**
كما بيناه اولا والمبدا بضم الميم وتشديد الدال المهملة وهمزة كما قاله البرهان فالمقدم تفسير له فان
كانت به رواية فبها والا فيجوز فتح الميم وسكون البا الموحدة اولا وتخفيف الدال بمعنى الاول
والخاتم لهم كما قال كنت اول الانبيا في الخلق لخلق نور روحه قبلهم واخذ عليهم الميثاق في
اتباع من ادركه منهم **واخرهم في البعث** باعتبار الزمان **ومن اسمائه** اي اسما الله التي سمى بها نبيه
في الحديث الصحيح الذي رواه الترمذي وغيره عن ابي هريرة في تعداد الاسما الحسنى وبما قررناه
علمت الجواب عما قيل من انه لا اختصاص لما ذكر عن الاخير الا ان يقال انه وقع على اتم وجه بحيث
لا يشاركه فيه غيره ثم ان المصنف لم يقل انه لابد في اسمائه من اختصاص معانيها بها فتدبر **الشكور**
وفي القرآن ان ربنا لغفور شكور والشكور بمعنيان لغوي وعرفي مشهور واما في حقه تعالى
معناه المثيب اي المعطي الثواب الجزيل **على العمل القليل** فهو من صفات الافعال وهو مجاز
لان حقيقته الثنا المقابل للاحسان فاطلق على الانعام المقابل للشكر لان العمل شكر اذ هو لا
يختص باللسان فهو استعارة او من اطلاق السبب على المسبب لقوله لين شكرتم لازيدنكم وهذا قريب
مما قيل انه الذي يجازي على قليل من عمل الطاعة في ايام قليلة ما لا نهاية له من النعيم المخلد كما قال
كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية لان المغايرة بينهما سهلة خلافا لمن توهم ذلك
وقيل المثني على المطيعين وهذا انسب بمعنى الشكر الحقيقي واقرب وقد ذكر عباده الصالحين
كثيرا في القرآن وكتبه المنزلة وهو الذي خلق فيهم القدرة على الطاعة ووفقهم لها كما قال ابن عطا
الله في حكمه من نعمه عليك ان خلق فيك ونسب اليك ومع ذلك يثني باحسانه عليك فهو انما
اثنى في الحقيقة على نفسه ثم ذكر ما يدل على ان اسما الله التي سمى بها رسوله لا يلزم اختصاصه بها
فقد تشرف بها غيره كما مر فقال **ووصف** اي الله نبيه **نوحا عليه السلام بذلك فقال**
انه كان عبدا شكورا قيل ويعلم من وصفه به وصف من هو افضل منه وهو محمد صلى الله عليه
وسلم فلا يناسب ما هو بصدده من ذكر تسمية نبينا باسما الله ولا حاجة مع قوله **وقد وصف**
النبي نفسه بذلك فقال في حديث مشهور تقدم ذكره افلا اكون عبدا شكورا فان الاستفهام
الانكاري يدل على انه وصف مقرر له وما ذكر في حق نوح مبني على ان الضمير راجع له لقربه لا لموسى
كما ذهب اليه بعض المفسرين **اي معترفا بنعم ربي** مقرا بها **عارفا بقدر ذلك** مؤديا لحقه
مثنيا عليه بلساني واركاني **مجهدا** بزنة مفعل اي باذلا جهدي وطاقتي ومتعبا **نفسي**
في الزيادة من ذلك اي من الاعتراف والثنا **عملا بقوله لين شكرتم لازيدنكم** من النعم
التي شكرتموها وعدا ممن لا يخلف الميعاد اذ قال لبني اسرائيل واذ تاذن ربكم لين شكرتم

لأزيدنكم

لأزيدنكم **ومن اسمائه تعالى العليم والعلام وعالم الغيب والشهادة** اي احاط علمه
بكل شي مما غاب وخفي وما حضر وظهر ودق وجل وعلمه تعالى لا يشبه علم غيره وتحقيقه
في علم الكلام **ووصف نبيه صلى الله عليه وسلم بالعلم وخصه بمزية منه** مزية كخفيه
بمعنى فضيلة وقال العلامة في شرح المفتاح لا يبنى منه فعل وتبعه بعضهم هنا وفي الاساس
تمزيته عليه وفسر المزية بقوله **وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما** بما
خصك به من العلم والمعارف الالهية والامور الدينية وفيه اشارة الى ان له مزية في ذلك لم
ينلها غيره ولا ينافيه قوله وقال كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم اياتنا ويزكيكم **ويعلمكم**
الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون مما لا طريق له سوى الوحي غير المتلو ولذا اعاد
الفعل لتغايرهما ولما كان هو المعلم لهم وما علمهم بعض مما علمه الله لم يشاركوه في هذه المزية
وانما ذكر هذه الاية وان كان ظاهرها ليس مما هو بصدده لانها تدل على زيادة علمه وانه
معلم لغيره غير متعلم من غير ربه **ومن اسمائه تعالى الاول والاخر** وقد سمي به في القرآن
والاحاديث الصحيحة ومعناه بحسب اللغة وبحسب الاشتقاق وكون فاوه واوا او همزة
معلوم في العربية ووزنه افعل ويكون اول اسم تفضيل وظرفا وليس هذا محل الكلام وانما الكلام
في معناه في اسما الله فقال ابن العربي للعلما فيه عبارات فقيل الاول الموجود قبل الخلق فكان
ولا شي قبله ولا معه قاله ابن عباس وقيل انه الذي لا ابتدا له وقيل انه الذي له كل شي وبه
كل شي ومنه كل شي كما يقال فلان اول هذا الامر واخره وقيل الاول بصفاته وقيل بمحبته
لاوليائه ويقابله الاخر فقيل هو الموجود بعد المخلوق فلا شي بعده وقيل الذي لا انتها له وقيل
الذي يرجع اليه كل شي وقال الضحاك هو الذي اخر الاول اخراه الذي جعل لكل شي اخرا وقيل
الاخر بعطاياه وقدره وقال الغزالي الاول والاخر متناقضان فالشي الواحد لا يكون اولا واخرا
من وجه واحد فانت اذا نظرت الى ترتيب سلسلة الموجودات فالله تعالى بالاضافة اليها اول
لانها استفادت منه الوجود واما هو فموجود لا انه غير مستفيد لوجوده من غيره فاذا نظرت الى
ترتيب السلوك ومنازل السائرين فيه اليه فهو اخر ما ترتقي اليه درجة العارفين ولما كانت
الاول والاخر مع كونهما كالمتضادين يوهم الانتها من الطرفين فسره بما عرفته والى هذا اشار المصنف
بقوله **ومعناها السابق للاشيا** اي جميع الموجودات **قبل وجودها** لانه الذي
اوجدها وابتدعها **والباقي بعد فنائها** ثم صرح بالمقصود من دفع الايهام فقال
وتحقيقه انه ليس له اول ولا اخر ولا ابتدا ولا انتها فلا سابق عليه ولا باقي بعده
فهو واجب الوجود وجوده عين ذاته لا يتصور انفكاكه عنه فهو من صفات التنزيه وقال القرطبي
انه الاول بوجوده في الازل وقيل الابتدا والاخر بوجوده في الابد وبعد الانتها وعلى هذا
يكون من اسما الذات ويجوز ان يكون من اسما الافعال على معنى اول الاول واخر الاخر في الوجود
ثم اشار الى اطلاقه عليه صلى الله عليه وسلم بقوله **وقال عليه الصلاة والسلام كنت**
اول الانبيا في الخلق يعني انه في عالم الذر والارواح خلقت روحه ونبي قبلهم ولذا عبر
بالانبيا دون الرسل كما تقدم بيانه ولا وجه لتفسيره بانه كان نورا في وجه آدم اذ لا يطابق
قوله **واخرهم في البعث** فهو خاتمهم ونبوته ورسالته لا تنقطع بموته **وفسر هذا** اي تقدم
خلقه وتاخر بعثه قوله تعالى **واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح** الميثاق
هو ان يؤمنوا بالله ويوحدوه **فقدم محمدا صلى الله عليه وسلم في الذكر** لتقدمه في الخلق

بل والبعث وهذا التفسير رواه قتادة عن الحسن عن ابي هريرة قال سئل رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن قوله عز وجل واذ اخذنا الاية فقال كنت اولهم في الخلق وآخرهم في
البعث واما ما روي عن مجاهد من ان هذا في ظهر آدم فتفسير آخر لا وجه لذكره هنا وقد
اشار الى نحو من هذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه في قوله لما بكى على النبي صلى الله عليه وسلم
اذ توفي بابي وامي انت يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله ان بعثك آخر الانبياء
وذكرك اولهم فقال واذ اخذنا من النبيين الاية وانما قال اشار ونحو لانه ليس فيه تصريح
بتقدم خلقه اذ التقدم الذكري ليس صريحا لجواز كونه لشرف رتبته عنده ومنه اي من
قبيل ذكر كونه اولا وآخرا قوله نحن الآخرون اي هو آخر الانبياء بعثة وامته آخر الامم
السابقون اي اول من يقضى ويقضى لهم يوم القيمة قبل الخلائق كما صرح به في حديث مسلم
وقوله كما تقدم انا اول من تنشق عنه الارض في الخروج من القبور للحشر واول من يدخل
الجنة هو وامته كما مر واول شافع واول مشفع اي مأذون له في الشفاعة المقبولة وهذا
بيانه لاطلاق الاول عليه وقوله وهو خاتم النبيين وآخر الرسل صلى الله عليه وسلم
لبيان اطلاق الآخر عليه ايضا فعلم منه كله انه يقال الاول والآخر كما يقال على الله وان
كان اطلاقه على الله بمعنى مختص به كما في اطلاقهما عليه بمعنى آخر فهو بقيد آخر تدل
على تغايرهما فكفاه شرفا تسميته باسم الله ومشاركته في لفظه فسقط ما قيل ليس هذا المعنى
بالمعنى الاول قطعا ولا نسبة بينهما فهو غفلة منه وزلة قدم اذ مثله لا يخفى على مثله
واعلم انه وقع في بعض الحواشي انه سماه بالاول والآخر والظاهر والباطن وفسر الاول
والآخر بما والظاهر بانه الذي لا يخفى على عاقل وجوده او القادر والباطن بالمحجوب
عن عباده في الدنيا او الذي لا يحاط به او الذي لا كيفية له وقيل الظاهر القريب والباطن العليم الحكيم
وروي فيه حديثا وهو ان جبريل نزل عليه وقال السلام عليك يا اول السلام عليك يا آخر السلام
عليك يا ظاهر السلام عليك يا باطن فقال يا جبريل كيف تكون هذه الصفة لمخلوق مثلي وهي صفة
الخالق لا تليق الا به فقال ان الله امرني ان اسلم عليك به وقد خصك به دون الانبياء والمرسلين
وشق لك اسما من اسمه وصفة من صفته وسماك بالاول لانك اول الانبياء خلقا وسماك آخرا لانك خاتم
النبيين وسماك بالباطن لانه عز وجل كتب اسمك مع اسمه بالنور الاحمر على ساق العرش قبل ان يخلق
اباك آدم بالفي عام الى ما لا غاية له ولا نهاية وامرني بالصلاة والسلام عليك فصليت عليك الف
عام حتى بعثك الله بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله وسراجا منيرا وسماك بالظاهر لانه اظهرك في عصرك
واظهر دينك على الدين كله وفضلك على اهل السموات والارض فما منهم احد الا وقد صلى عليك صلى الله
عليك فربك محمود وانت محمد وربك الاول والآخر والظاهر والباطن وانت الاول والآخر والظاهر
والباطن فقال رسول الله الحمد لله الذي فضلني على جميع النبيين حتى في اسمي وصفتي انتهى وهذا مما لم
نر لغيره ومن اسمائه تعالى القوي وذو القوة المتين اي الشديد المحكم قوته فالمتين اخص من القوي
ولذا وصف به والقوي وذو القوة ورد اطلاقهما عليه في القرآن واصله قوي فاعل بالقلب والقوة
خلاف الضعف وهي ما يجد به القادر مستطيعا التقدير المراد وان لم يفعله فهي والقدرة متقاربات
قد يراد بالقوة كثرة الاسباب المعينة كالجند والمال ونحوه ومنه واعدوا لهم ما استطعتم من قوة وقال
الخطابي القوي يكون بمعنى القادر ومن قوي على شيء قدر عليه ويكون معناها التام القوة الذي لا
يستولي عليه العجز بحال من الاحوال فما الا نبينا هي وهي مخصوصة بالله ولذا قال ان القوة لله جميعا

فلا قوة لعبده الا اذا قواه الله ولذا تعبدنا بقول لا حول ولا قوة الا بالله كما قيل
بك اسطو اذا سطوت ولولا ٭ ك لما استمسكت قوى اوصالي
ومعناه القادر وان كان بين القوة والقدرة فرق كما اشرنا اليه ولكنهما متلازمان ولذا فسره
به الخطابي وابداه القرطبي في شرح الاسماء الحسنى الا انه لا خلاف بينهما ولذا وصف اي وصف
الله نبيه بذلك فقال انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين اي ذي مكانة
ورتبة عليه عند الله قيل المراد بذي قوة محمد وقيل جبريل وعليه اكثر المفسرين وبه استدل
المعتزلة على تفضيل جبريل ولا دليل فيه كما سيأتي بيانه ومن اسمائه تعالى التي سمى بها رسوله صلى
الله عليه وسلم الصادق المصدوق كما رواه ابن ماجه والمصدوق بمعنى المصدق فيما جاء به
وقد ورد في اسماء الله الحسنى في الحديث المأثور المروي بسند صحيح ومن اسمائه تعالى الولي كما قال
الله ولي الذين آمنوا اي الذي يتولى امورهم ويقوم بنصرتهم وفي اسمائه ايضا الوالي وهو بمعناه
والمولى كما قال ذلك بان الله مولى الذين آمنوا وان الكافرين لا مولى لهم ومعناهما اي الولي والمولى
الناصر اي الذي ينصرهم على اعدائهم وقد قال تعالى انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا اي
ناصركم ولم يقل اولياؤكم لان نصرتهم واحدة او لان الناصر انما هو الله وغيره بتبعيته واعانته كما
قال وما النصر الا من عند الله وقد قال عليه الصلاة والسلام انا ولي كل مؤمن كما رواه
البخاري عن ابي هريرة ورواه احمد وابو داود انا اولى بكل مؤمن من نفسه وفي البخاري ايضا
انا اولى بالمؤمنين من انفسهم فمن مات وعليه دين ولم يترك وفاء فعلي قضاؤه ومن ترك مالا
فلورثته وكان صلى الله عليه وسلم في اول الاسلام يؤتى بالرجل المتوفى فيسأل هل عليه دين وهل
له وفاء فان قالوا عليه دين وليس له وفاء قال صلوا على صاحبكم ولا يصلي عليه فلما فتح الله بالفتوح
والغنائم قال من عليه دين فعلي قضاؤه فقيل انه كان واجبا عليه وارتضى امام الحرمين والماوردي
انه لم يكن واجبا عليه وانما يفعله تكرما وهل كان يقضيه من الغنائم او من خالص ماله احتمالات
وقد قال تعالى النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم اي احق بهم من انفسهم فانه يتولى صلاحهم
وينصرهم ويقضي ديونهم كما مر ويخلصهم مما يكرهون في الدنيا والآخرة وقال عليه الصلاة والسلام
في حديث رواه الترمذي وحسنه من كنت مولاه فعلي مولاه والمراد ولاء الاسلام ونصرته
كما قاله الشافعي وهذا الحديث ورد في قصة غير مترجم وقيل سببه ان اسامة بن زيد قال لعلي
لست مولاي انما مولاي رسول الله فلما سمعه رسول الله قال من كنت الخ ولا دليل للشيعة فيه
على انه احق بالخلافة لا سيما والمولى من الولاء وله معان كالنصرة والمعتوق وغيره فلا حجة فيه ومن
اسمائه تعالى العفو مبالغة في العفو عن السيئات وهي محوها وازالتها ولذا قيل انه ابلغ من الغفور
وهو الستر واما الصفح فمعناه الاعراض وهو دونهما لكنه يطلق على ذلك ايضا فلذا قاله ومعناه
الصفوح فلا يرد عليه انه لا ينبغي تفسيره به وقد وصف الله نبيه به في القرآن اذ امره
به اذ قال خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين فامره بالتخلق بذلك فكان ممتثلا متخلقا به
فيقتضي الاتصاف على ابلغ وجه واتمه اذ كان جبلة له فلا يرد عليه انه لم يطلق عليه في القرآن
وانما امر به ولو سلم اتصافه به لانه لا يعصي له امرا لا يقتضي كونه على وجه المبالغة التي دل عليها
صيغة فعول والامر لا يقتضي التكرار على الاصح والتورية فقال بيان لما في القرآن خذ العفو
هذا مبني على ان العفو في هذه الاية الصفح ويدل عليه ما روي انها لما نزلت قال لجبريل ما هذا
فقال لا ادري حتى اسأل ربي فسأله ثم رجع فقال ان ربك امرك ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك

وتعفوا عمن ظلمك وتحسن الى من اساء اليك وهذا رواه البغوي والقرطبي ونقل بصيغة التمريض وعليه اعتمد المصنف والذي عليه الاكثر ان العفو المال الفاضل عن نفقة العيال كما في قوله يسئلونك ماذا ينفقون قل العفو ثم نسخت باية الزكاة فلا شاهد فيه على ما نحن بصدده
وقال هذا بيان لما في التوراة والانجيل في الحديث المشهور الذي تقدم عن ابن العاص ليس بفظ ولا غليظ ولكن يعفو ويصفح وقد تقدم شرحه وان قول النساء لعمر في قصة الحجاب لانت افظ من رسول الله ليس التفضيل فيه على اصله او انه فظ على من يستحق الفظاظة كالكفرة ومن اسمائه تعالى الهادي وهو الضمير للهداية التي في ضمن الهادي وذكره لان تانيث المصدر غير معتبر او لانه بمعنى ان يهدي كما في الكشاف بمعنى توفيق الله لمن اراد من عباده اللام زائدة للتقوية لتعدي التوفيق بنفسه واصل معنى الهداية كما قال الراغب الدلالة بلطف لما يوصل او الموصلة على الخلاف المشهور وهي على انواع الاول ما يعم كل مكلف من العقل والعلوم الضرورية والثاني دعاؤه اياهم على السنة رسله والثالث التوفيق الذي يختص به من اهتدى والرابع الهداية في الاخرة التي في قوله الحمد لله الذي هدانا لهذا والاثنان لا يهدي واحد الا بالدعاء ولذا نفيت تارة واثبتت اخرى حتى انتهى الى احد انواعها اشار بقوله وبما ذكر واشار بقوله وبمعنى الدلالة والدعاء اي الدعوة قال الله تعالى والله يدعو الى دار السلام اي الجنة ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم اي يرشدهم الى طريق مستقيم توصلهم الى الجنة بما خلقه فيهم من العقل وارسل من الرسل ووفقهم لاتباعهم والتوفيق خلق قدرة الطاعة في العبد وضده الخذلان ومن فسر المعنى بالهداية والتوفيق فقد ضل عن الطريق وكذا ما بناه عليه من ان تفسير الهداية بما ذكر مبني على مذهب المعتزلة في خلق العباد لافعالهم وان ما ذكره المصنف لا تساعده الاصول الى غير ذلك من الخلط الناشي عن عدم معرفته بقدر المصنف واصل الجميع من معاني الهداية وفيه اشارة الى انها معان مختلفة اصلها لغة الميل فمعناه هداه الى كذا صرفه اليه وامال قلبه لانه من التهادي وهو التمايل وفي الحديث خرج يتهادى بين اثنين اي يتمايل وقيل انها ماخوذة لغة من التقديم ومنه هوادي الوحش لمتقدمها والهادية العنق وهو الذي ارتضاه الراغب ثم شرع في بيان اطلاقه على النبي صلى الله عليه وسلم فقال وقيل في تفسير طه انه يا طاهر يا هادي على طريق الرمز والاكتفا بحرفين من الاسمين بل لان على الباقي كما في قوله • قلت لها قفي فقالت قاف • اي وقفت يعني النبي صلى الله عليه وسلم اي يريد الله بهذين الاسمين نبيه صلى الله عليه وسلم لطهارته من كل دنس وهدايته لخلقه وقال الله تعالى خطابا لرسوله وانك لتهدي الى صراط مستقيم اي تدل وتدعوا الى الاسلام والطريق الموصل الى سعادة الدارين وهذا على قراءته مبنيا للفاعل وهي المشهورة وعلى المجهول هو لله وقال فيه اي في حقه وشانه صلى الله عليه وسلم وداعيا الى الله باذنه اي بتيسيره وارادته والاذن يستعمل مجازا مشهورا في ذلك واصل الاذن معروف الاجازة وعبر في الاولى بقوله لكونه بصيغة الخطاب يقال قال له كذا اذا خاطبه ولما لم يكن في الثانية خطابا قال فيه لانه في حقه ووصفه فلا وجه لما قيل انه لا وجه لتغاير المتعلقين ثم اشار الى ان معاني الهداية منها ما يختص بالله ومنها ما يطلق عليه وعلى غيره فقال والهداية بالمعنى الاول وهو التوفيق بخلق الاهتداء مختص بالله فانه لا يقدر عليه سواه ولذا نفي عن النبي صلى الله عليه وسلم بهذا المعنى فال تعالى انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء ويريد توفيقه وبمعنى الدلالة بكسر الدال المهملة وفتحها وهي اراءة الطريق تطلق

على غيره تعالى كالنبي والمؤمنين العلماء لوقوع الدلالة منهم وقوله انك لا تهدي نزلت في ابي طالب عمه لا في العباس كما قيل وكان حريصا على اسلامه حتى دخل عليه في مرض موته وقال له يا عماه قل لا اله الا الله كلمة احاج لك بها عند الله وعنده ابو جهل وصناديد قريش فقالوا له اترغب عن ملة عبد المطلب وكان آخر ما قال انه على ملة عبد المطلب فنزلت هذه الاية والشيعة تقول انه قالها خفية وشهد بذلك فمات مسلما وقد رده الحافظ وقالوا انه لم يثبت ومن اسمائه تعالى التي سماه صلى الله عليه وسلم بها المؤمن المهيمن قيل هما في اسماء الله بمعنى واحد ولفظهما من مادة واحدة لان الهاء عند هذا القائل مبدلة من همزته فمعنى المؤمن على هذا القول في حقه تعالى المصدق وعده اي ما وعد به عباده في الدنيا من الثواب ونعيم الاخرة والنصر العزيز في الدنيا الى غير ذلك من وعد لا يخلف الميعاد والمصدق قوله اي الذي صدق ما قاله من الحق كما قال فوربك انه لحق والمصدق لعباده المؤمنين ورسله اي يصدق ما قالوه او جاءهم صادق في اقوالهم ملتزمين للصدق في اقوالهم وعهودهم كما قال رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فعلى الاول اللام غير زائدة وعلى الثاني مزيدة للتقوية وتحقيقه ان هذا الاسم سمى الله به نفسه في القران والاحاديث الصحيحة واجمعت عليه الامة وهو من امن يؤمن ايمانا فهو مؤمن اي مصدق فانه كذلك في لغة العرب واستعمالهم وعلى هذا فقيل معناه عباده او الذي لا يخاف ظلما وقيل معناه الذي يامن اولياؤه عذابه كما قال الشاعر •

• والمؤمن العائذات الطير تمسحها • ركبان مكة بين الغيل والسند •

وقال الحاكم معناه اذا وعد صدق وعده وقال الخطابي بعد ما فسره بالمصدق انه يحتمل وجوها احدها انه يصدق عباده وعده ويفي بما ضمنه لهم من رزق الدنيا وثواب الاخرة والاخر انه يصدق ظنون عباده المؤمنين ولا يخيب آمالهم لقوله انا عند ظن عبدي وقيل الموحد لنفسه لقوله شهد الله انه لا اله الا هو وقوله انني انا الله لا اله الا انا فصدق ما نطقت به الكائنات وحكمة البراهين من توحده في الوهيته وهذا كله على انه من الايمان بمعنى التصديق وقوله وقيل المؤمن عباده كلهم مؤمنهم وكافرهم في الدنيا من ظلمه لتنزهه عنه وما ربك بظلام للعبيد والمؤمنين في الاخرة من عذابه معطوف على قوله عباده مفعول مؤمن بوزن منصف بمعنى معطي الامان فعلى هذا هو من الامن ضد الخوف وهو من صفات الافعال وعلى الاول صفة ذات لانه راجع للكلام ثم بعد ما بين المؤمن شرع في بيان معنى المهيمن على انه بمعناه فقال وقيل المهيمن بمعنى الامين فوزنه مفيعل وهمزته مبدلة فيه هاء واصله مامن ومنه الاولى مضمومة زائدة ومعناه الامين وفي بعض النسخ بمعنى الامن وهو من طغيان القلم الا انها من ادائه معنى ما دنا المأخوذ منه وهو من اسمائه الواردة في القران والحديث واجمعت عليه الامة وورد اطلاقه على غيره تعالى كما سياتي في بيت العباس واطلق على ابي بكر ايضا في قول الشاعر •

• الا ان خير الناس بعد نبيه • مهيمنه التاليه في العرف والنكر •

ولم ينكره وقال ابن الحصار لا نعلم احدا سمي به لانه ليس في الشرع ما يمنعه وقوله مصغر منه اي مصغر من الامين وهو قول ابن قتيبة الا انه رد بانه قول مرغوب عنه لان اسماء الله لا يجوز تصغيرها لانه اما للتحقير وان جاء للتعظيم في قوله • دويهية تصفر منها الانامل •
لانه انما جاء فيما يجوز تصغيره فيصغروه تلطفا منهم كما قال •

• ما قلت جبيبي من التحقير • بل يعذب اسم الشخص بالتصغير •

واما اسماؤه واسما انبيائه فلا يجوز ذلك فيها قطعا وانما هو اسم فاعل من هيمن فهو مهيمن والياء فيه
كياء ضيغم وحيدر وليست للتصغير وقد جاء في كلامهم الفاظ على وزنه كمسيطر ومصيطر
ومبيطر وهو البيطار ويقال له بيطر ايضا والمبيقر بالموحدة من الابقار ومحيمر اسم جبل وهذا
البنا من النوادر غير منصرف ولم يرد له فعل فلا يقال هيمن يهيمن هيمنة وحكى الخطابي عن بعض اهل
الهيمنة بمعنى القيام على الشي والرعاية له وذكره ابن الانباري في الزاهر ولعل ابدا اختلفوا
فيه على عشرة اقوال الاول انه بمعنى الامين كما ذكره المص فقلبت الهمزة هاء لانها اخف منها كما قالوا في
اراق هراق وفي اياك هياك وقول المص انه مصغر منه اي من مادته ونوعه فهو من الامن مصغر
مؤمن ويجوز ان يعود ضمير منه الى المؤمن فليس مراده انه مصغر امين كما توهمه عبارته الا انه لظهوره
لم يوضح عبارته فلا يرد عليه ما قيل انه سهو منه لان تصغير امين أمين بضم اوله وتشديد يائه
وجعله شاذا لا داعي اليه واسما الله لا تصغر فيا وزائده للتكثير ثم ذكر اسما اخر من هذه المادة
فقال وقد قيل ان قولهم في الدعا آمين بالمد وقد يقصر اسم فعل كصه وبه قال الحسن معناه استجب
او افعل ولا تخيب وامن اذا قال امين وقائله مجاهد انه اسم من اسمائه تعالى بل من قوله ان قولهم
قيل اصله على هذا امين بالقصر مبني على الفتح فادخلت عليه همزة الندا واثبتت الثانية الفا ورده ابن
فرقول بانه ليس في اسما الله اسم مبني وقال الراغب عن ابي علي ان القائل اراد انه فيه ضمير الله لان معناه
استجب وقيل انه عبراني وقيل سرياني وقيل لا نعلم اصله ومعناه معنى المؤمن اذا كان اسما لله ولهذا
قيل ينبغي تقديمه على هذا والكلام عليه مفصل في القاموس والقول الثاني في المهيمن ما اشار اليه بقوله
وقيل المهيمن بمعنى الشاهد اي العالم او الذي يشهد على كل نفس بما كسبت وقريب الثالث وهو الشهيد
والرابع الحافظ للموجودات عن العدم حتى يرد بل غيره او المحصي لاقوالهم وافعالهم والخامس انه بمعنى
العلي المتعالي والسادس الرقيب وهو قريب مما قبله والسابع المصدق والثامن الولي قاله عكرمة والتاسع
القاضي قاله ابن ابي نجيح والعاشر الرقيب وفيه كلام في شرح الاسماء الحسنى للقرطبي ثم شرع في ذكر
تسمية النبي بذلك فقال والنبي صلى الله عليه وسلم امين ومهيمن ومؤمن اي يسمى بهذه الاسماء
الثلاثة التي سمى الله بها وانه تحقق معانيها من كل الوجوه لشهادة حديث اني امين في الارض امين في السما
وقد كانت قريش تسميه قبل البعثة محمد الامين وسياتي ذكر المهيمن وقد سماه الله تعالى امينا فقال
مطاع ثم امين انه لم يقل المراد به جبريل كما تقدم اي مطاع امره وامين على وحيه واسراره وكان
يعرف بالامين وشهرته قبل النبوة وبعدها بين اهل مكة وطوائف العرب والفضل ما شهدت
به الاعداء وهذا موئد لما قبله لان شهرته بتقدير الله واظهاره فلا يرد عليه انه يصدق تسميته الله
له لا الناس حتى يقال انه لما اقره رضي به ذلك دال على انه باذن الله وسمي بالمامون ايضا في قول
اخي كعب

سقاك بها المامون كاسا روية • فانهلك المامون منها وعلكا •

فلما سمعها قال مامون ان شا الله تعالى انه لم نقل المراد به ابو بكر ثم بين تسميته بالمهيمن بقوله
وسماه العباس بن عبد المطلب عمه في شعره في قوله

ثم احتوى بيتك المهيمن من • خندف علياء تحتها النطق •

وتقدم شرحه فانظره وقيل المراد يا ايها المهيمن ولولا هذا لم يكن اسما ومرضه المص وقال
منه بمرفوع لقائله لانه تكلف ضعيف لان المعرف بال لا ينادى وتقديرها مع حرف الندا لا يوضحه
عربي والنقل من هذا ما قيل ان البيت هنا بمعنى العز والشرف كما في قولهم

ان الذي سمك السماء بنى لنا • بيتا دعائمه اعز واطول •

واذا عزه وشرفه بالمهيمن كان صفة له على ابلغ وجه لان صفة الصفة صفة ومثل هذه الدقة
لا يتحملها الكلام فانه زهرة لا تحتمل الفرك قاله القتبي عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري
البغدادي الامام المشهور ونسبة لقتيبة جده توفي في سنة ست وسبعين ومائتين وتاليفه كثيرة
والامام ابو القاسم القشيري عبد الكريم بن هوازن منسوب لقشير قبيلته وقال تعالى في وصفه
بانه مؤمن اي مصدق يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين اي يصدق لعلمه بخلوصهم واللام لتضمنه معنى
يذعن ويسلم او مزيدة والاية نزلت في حق … لما قالوا في حقه امرا وقالوا اذا بلغه نحلف
ونعتذر فانه اذن اي يصدق كل ما يسمعه فقال تعالى قل هو اذن خير لكم يؤمن الخ وقال انا امنة
لاصحابي هذا من حديث النجوم امنة في السما فاذا ذهبت اتى السما ما توعد وانا امنة لاصحابي فاذا ذهبت
اتى اصحابي ما يوعدون واصحابي امنة لامتي فاذا ذهب اصحابي اتى امتي ما توعدون يعني ان النجوم
اذا رفعت قرب وقت فنائها وانشقاقها ولا كثرة سقوطها عند بعثته اشارة الى قرب الساعة وهو صلى الله
عليه امان لاصحابه من وقوع باسها بينهم ووقوع … فاذا توفاه ابتدا وقوع ذلك كقصة عثمان
وعلي والحسين واصحابه امان للناس من ظهور الفساد في البر والبحر فاذا ذهبوا ظهر ذلك وامنة
بفتح الهمزة وضمها مصدر بمعنى الامان او يريد به المبالغة كرجل عدل فيقع على الواحد وغيره قال الراغب
يقال رجل امنة وامنة يثق بكل احد وامين ويؤمن به امنة ويجوز في الاساس وكونه جمع امين
وهو الحافظ خلاف الظاهر للاخبار به عن الواحد وانما ذكره المص تاييدا لما قبله لانه خارج عما هو
بصدده من ذكر تسميته باسما الله اذ ليس من هذا القبيل ومن اسمائه تعالى التي اطلقت عليه صلى
الله عليه وسلم القدوس مبالغة من القدس وهو الطهارة والنزاهة باتفاق اهل اللغة وهو بضم القاف
في الاشهر وان كان الاقيس فتحها وهو لغة فيه وقرئ بها وكل اسم على فعول مفتوح الاول كتنور وسمور
الا السبوح والقدوس ومنه القدس بفتحتين للسطل والعامة تقول له قادوس وظاهر كلام القرطبي
في شرح الاسماء الحسنى انه سمع والمشهور خلافه ومعناه المنزه عن النقائص المطهر عن سمات
الحدوث اي علاماته واثاره فلا يتصف بشي منها وسمي بيت المقدس اي من هذه المادة بالمعنى
المذكور بيت المقدس مخفف بزنة مرجع اسم مكان او مصدر ميمي من القدس وهو الطهر وجاء فيه ضم
الميم وفتح القاف والدال المشددة من التقديس وهو التطهير وجاء بكسر الدال المشددة اسم
فاعل ويقال البيت المقدس بالتوصيف والاشهر الاضافة قاله الكرماني لانه يتطهر من الذنوب
بزيارته والعبادة فيه وروى النسائي باسناد صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان سليمان بن
داود لما بنى بيت المقدس سال الله تعالى خلالا ثلاثا حكما يصادف حكمه وملكا لا ينبغي لاحد من بعده
وان لا ياتي بيت المقدس احد لا ينهزه الا الصلاة فيه يخرجه من خطيئته كيوم ولدته امه فاعطي
جميع ذلك انتهى ولذا تشد اليه المطي كما تشد الى الكعبة ومسجد النبي ومنه الوادي المقدس
المسمى طوى وهو واد بالشام كلم الله فيه موسى سمي به لان الله قدسه وشرفه بظهور كلامه فيه وهو
من الارض المقدسة ايضا فهو مطهر مبارك وقد فسر المقدس بالمبارك ايضا ومنه روح القدس بضمتين
وضم فسكون وهو جبريل قال تعالى قل نزله روح القدس لتنزيله بما يطهر النفوس من القرآن والحكمة
والفيض الالهي وهذا هو الاصح وبه وجوه اخر ووقع في بعض كتب الانبيا المنزلة من عند
الله عليهم في اسمائه عليه الصلاة والسلام المقدس هذا هو الصحيح وما في بعض النسخ القدوس
من غلط الناسخ قال لا يجوز ان يقال في حق مخلوق القدوس مطلقا اي المطهر من الذنوب
لعصمة الله له من التدنس بها ومعصيتها لو فرض وقوع شي منها يسمى ذنبا بالنسبة له كما قال

تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وقيل المراد ما تقدم من ذنوب امتك وما تاخر منها وخوطب لانه سبب المغفرة او الذي يتطهر من الذنوب ويتنزه ببناء المجهول فيهما او التنزه التبعد ولذا اخره لاشعار التطهير بالوقوع وقوله بالتباعد عنها متعلق بتنزه والبا سببية لان من ابتعد واتبع شرعه المطهر لا يرتكب الذنوب وان ارتكبها غفرت ببركته كما قال الله هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم اياته ويزكيهم يطهرهم من الشرك وخبائث الجاهلية ويعلمهم ما يكفهم عن الاثام وقال ويخرجهم من الظلمات الى النور اي من الكفر والمعاصي الى الايمان وتقوى الله وطاعته بارشادهم وتوفيق الله لهم ببركته ففيه استعارة تصريحية او يكون مقدسا الموصوف به النبي صلى الله عليه وسلم بمعنى مطهر من الاخلاق الذميمة بالمعجمة اي المذمومة والاوصاف الدنية الحقيرة التي لا تليق بجنابه وفي الشرح الجديد هنا ما لا تركه خير له منه ومن اسمائه تعالى العزيز ومعناه الممتنع الذي لا ينال ولا يدرك والعرب تقول حصن عزيز اذا كان لا يوصل اليه قال الهذلي في العقاب

حتى انتهيت الى فراش عزيزة • سوداء روثة انفها كالمخصف •

كذا قاله القرطبي نقلا في اسمائه الحسنى وهذه صفة ذاتية وقوله الغالب القاهر من صفات الافعال فكان ينبغي ان تقول او الغالب لانه معنى آخر كما صرحوا في شرح اسماء الله والجمع بينهما على انه مركب من نعت حقيقي ونعت تنزيهي كما قيل خلط وخبط تعرفه من نظر في شرح القرطبي لاسماء الله الحسنى ثم ان اطلاق الغالب على الله لم يات في عداد الاسماء وورد في قوله والله غالب على امره اي الفعال في مخلوقاته بما يريده احبوا او كرهوا وفي التنزيل كتب الله لاغلبن انا ورسلي وقال الحاكم الغالب والطالب جرت عادتهم باستعمالها في اليمين اي الممتنع عن المهمل فانه يمهل ولا يهمل وهو على الامهال بالغ امره انما نملي لهم ليزدادوا اثما او الذي لا نظير له فهذا معنى آخر قال الخطابي العزة تكون بمعنى نفاسة القدر يقال منه عز يعز بكسر العين فيتناول معنى العزيز على هذا انه لا يعادله شيء وانه لا مثل له انتهى ومما سمعته من تفسير عدم ظهر ان ما قيل ان ما انحصر في فرد كالشمس والقمر داخل فيه فيحتاج لزيادة قيود اخر ليس بشيء او المعز لغيره فهو فعيل بمعنى مفعل وهو عزيز في العربية ولذا اخره المصنف يعني انه لا عزيز الا من اعزه فالعز له وبيده لا بيد غيره وهذا صح الاستشهاد له بقوله وقال تعالى ولله العزة ولرسوله والاية نزلت في حق المنافق ابن سلول حيث قال ليخرجن الاعز منها الاذل يعني بالاعز نفسه وبالاذل المسلمين فرده الله عليه على طريق القول بالموجب ثم نفاها عنه بتقديم الخبر هنا فلا يتوهم اختصاص العزة في الله لا تقتضي انه معز بل معزز بالفتح وقد جوز في الاسم الشريف ان يكون المعز المعظم وقد يقال يكفي في قوله كونه معز اثبات العزة للرسول والمؤمنين وانه محل الاستشهاد وجاء له العزيز معطوف على ما قبله لانه بمعنى العزة عدم النظير وتقديره بزيادة المصنف في المهم لما ذكر انه فهم ما تقدم ايضا وقال الغزالي العزيز من العباد من يحتاج اليه في المهم وهو الحياة الاخروية وهو ما يعز وجوده وهو مرتبة الانبياء والخلفاء وورثتهم من العلماء المرشدين وذوي العدالة من الحكام ثم ذكر اسماء للرسول وصف بها الله لا طريق الاسمية فقال وقد وصف الله نفسه بالبشارة والنذارة الاول بكسر اوله والثاني بفتحه والبشارة الخبر السار سمي به لانه لم يؤثر في بشرة الوجه ولذا لو قال لعبيده من بشرني بقدوم زيد فبشروه على الترتيب عتق الاول ولو قال من اخبرني عتق الجميع والنذارة الاعلام بما فيه وعظ وتخويف وقوله فبشرهم بعذاب اليم تهكم فقال يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وقال ان الله يبشرك بيحيى وبكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم ومن يكتفي بوجود المادة يجوز

ان يسمى الله مبشرا ومنذرا ومثله يكفي في كونه توقيفا والاشعري يقول لا بد من وروده بعينه وسماه الله تعالى مبشرا ونذيرا ونذيرا وبشيرا اي مبشرا لاهل طاعته بما يسرهم في الدنيا والآخرة ونذيرا لاهل معصيته بما يسوؤهم من العقاب ونحوه ومن اسمائه تعالى فيما ذكره بعض المفسرين طه ويس وقد ذكر بعضهم انهما من اسماء محمد صلى الله عليه وسلم وكرم وتقدم الكلام عليه تفصيلا فلا حاجة لاعادته • تنبيه في فتاوي السبكي في قوله تعالى في سورة الاسرا انه هو السميع البصير الضمير في انه يعود على الله تعالى وقد ورد في اربعة مواضع في القرآن وقال بعضهم ان الضمير هنا يعود على النبي صلى الله عليه وسلم فيكون هذان الاسمان من اسمائه صلى الله عليه وسلم ومعنى وصفه بهما انه الكامل في السمع والبصر اللذين يدرك بهما الايات ترد به اياها وهو يتدبر في الانزال وبالعقل واعظم الحواس الموصلة الى العقل السمع والبصر فعلى هذا وصفه بهما لانه لا احد كل منه في الانزال والاستدلال انتهى • اقول يعني ان وصفه بهما هنا وقع على طريق الحصر المستفاد من تعريف الطرفين وسيق للمدح وهو امر عام فيفسر بما يخصصه به ويصيره مدحا له ولا حاجة لهذا مع بعده فانه قد تبين بوجه اظهر وهو السميع لكلام الله من غير واسطة والناظر الى نور جلاله وجماله بعين بصره وهذا مما اختص به هو

فصل قال القاضي ابو الفضل وها هنا نكتة

وفي نسخة وها انا اذكر نكتة وها حرف تنبيه والاكثر وقوع اسم الفاعل الاشارة خبرا عن المبتدا الواقع بعدها نحو ها انا ذا اقول وقد لا يؤتى به كما صرحوا به فمن ظنه لازما واعترض على المصنف لم يصب والنكتة بضم اولها وفتح المثناة الفوقية هي الامر الدقيق المحتاج الى فكر وتامل سميت بها لان صاحبها كثيرا ما يبحث في الارض بقضيب ونحوه وهو معنى النكت لغة اذيل بها هذا الفصل اي اختمه بها واطوله فيكون كذيل الثوب الذي يطول به وفي حديث مصعب بن عمير انه كان في الجاهلية مترفا يدهن بالعنبر ويذيل يمنة اليمن اي يطيل ذيلها واليمنة برد من برود اليمن ففيه استعارة تصريحية تبعية واليه اشار بقوله واختم بها هذا القسم الذي فيه ذكر الاسماء وازيح الاشكال بها فيما تقدم اي ازيل ما يشكل على سامعه عن كل ضعيف الوهم قيل المراد بالوهم الذهن والادراك لا القوة الواهمة المعارضة للعقل فان ضعفها يقوي العقل المزيل للاوهام والاشكال فقوله سقيم الفهم كالتفسير وسقمه بمعنى قلته فهو استعارة وتعبيره في الاول بالضعف وفي هذا بالسقم تفنن حسن والوهم بسكون الهاء وفتحها وتخلصه من مهاوي التشبيه بكسر الواو جمع مهواة وهي كالهاوية الحفرة العميقة التي يقع فيها من يصعب طلوعها وهو من اضافة المشبه للمشبه به كلجين الماء او هو تخييلية ومكنية والمراد بالتشبيه تشبيه الله وصفاته بغيرها لان اطلاق بعض الاسماء على الله وعلى غيره يقتضي ذلك وتزحزحه اي تزيله وتبعده قال الحق زحزح عن النار عن شبه التمويه الشبه بزنة غرف وهو ما يلتبس واصله ما لا يتميز عن غيره لما بينهما من التشابه والتمويه من الماء والمراد به زخرفة الكلام الذي لا حقيقة له وتحسينه حتى يروج على من لا علم عنده وهو استعارة قال في الاساس سرج مموه مطلي بالذهب او الفضة وحديث مموه مزخرف وما احسن موهة وجهه ماؤه ورونقه انتهى وانما سمي تمويها لانه يراب حتى يصير كالماء ويقال موه عليه الخبر اخبره بخلاف ما سال عنه وهو عائد على ما يفهم مما تقدم وهو ما يزيح الاشكال ويزيح الاوهام والعجب من اعادة على ضعيف الوهم سقيم الفهم ان يعتقد ان الله جل اسمه اي عظم وتنزه عن الالحاد في اسمائه بالتاويلات الباطلة ولعدا اصاب قوله هنا جل اسمه محز وطبق مفصله في عظمته وكبريائه

الكبريا الترفع عن الانقياد والعظمة جلالة ذاته في نفسها والظهور الاولي وورد في الحديث
الكبريا ردائي والعظمة ازاري من نازعني في شي منهما قصمته والفرق بينهما فيه تفصيل ليس
هذا محله والجار والمجرور يتعلق بما ياتي من قوله لا تشبه وقيل انه حال لازمة من ضمير اسمه اي
متصفا بهما وبما بعدها وكنى بالظرفية عن تمكنه فيهما بالظرفية من غير تصور ظرفية واستقرار ففيه
استعارة تبعية او هو ظرف مستقر كانه لتمكنه وانفراده باعلى مراتبهما فيهما انتهى وفيه تكلف
وملكوته اي عظم وعز سلطانه وهي صفة مبالغة من الملك كالجبروت وقد يقابل بالملك فيراد
به عالم الغيب وبالملك عالم الشهادة وكلا المعنيين صحيح هنا **وحسنى اسمائه** اي اسمائه الحسنى
ووصفت بالحسنى لدلالتها على احسن المعاني واشرفها وهي صفة كاشفة لا مخصصة ومنها ما يختص
به كالخالق وما يطلق عليه وعلى غيره ولها تقاسيم اخر **وعلى صفاته** بضم العين وفتح اللام مقصور
جمع عليا وهي الشريفة الرفيعة وروي علي بفتح العين وكسر اللام وتشديد الياء وهما بمعنى **لا تشبه**
شيئا من مخلوقاته بالتاء الفوقية اي المذكورات من العظمة وما بعدها وهو خبر ان وما بعدها متعلق
به او حال مما قبله وليس معترضا كما قيل ولا تشبه به مبني للمجهول بضم الفوقية وتشديد الباء ويجوز
ضبطهما بالتحتية اي معاني اسمائه وصفاته لا تشابه غيرها بوجه من الوجوه لقدمها وكونها على
اعظم رتبة لا يصل اليها غيرها وهو جواب عن سؤال وشبهة نشات مما تقدم تقديره ان بعض اسمائه
اطلق على نبيه وغيره فيلزم مشاركته عنده له فيها كما قال **وان ما جاء** من اسمائه **مما اطلقه الشرع**
في القرآن والاحاديث والكتب الالهية **على الخالق وعلى المخلوق** كشكور وحفيظ وغيره مما
تقدم واعاد الجار اشارة الى تغايرهما وان اتحد لفظهما **فلا تشابه بينهما في المعنى الحقيقي**
الذي هو ماخذ الاشتقاق قال العلامة ابن القيم في كتابه بدائع الفوائد اسماؤه تعالى التي تطلق عليه
وعلى غيره كسميع هل هي حقيقة فيه مجاز في غيره او مجاز فيه حقيقة في غيره او حقيقة فيهما اقوال
ثلاثة والاسما الحسنى منها ما هو علم وصفة والوصف فيها لا ينافي العلمية بخلاف العباد فانها مشتركة
انتهى وهو كلام مشكل فان منها ما هو حقيقة قطعا كالاله والخالق ومنها ما هو مجاز كالرحيم فان الرحمة
رقة القلب وقد صرحوا بانه اطلق عليه باعتبار غايته الا ان يقال انه حقيقة شرعية فاذن تغايرها
باعتبار الصفات كالقدم والحدوث لا يستلزم اشتراكهما بل كونها مقولة بالتشكيك فقوله **اذ صفات**
القديم بخلاف صفات المخلوق لا يتم دليلا على مدعاه **فكما ان ذاته لا تشبه الذوات فكذلك**
صفاته لا تشبه صفات المخلوقين وكون ذاته لا تشبه شيئا من الذوات هو الحق الذي ذهب اليه
الاشعري وغيره من المتكلمين خلافا لمن ذهب الى انها تشبه غيرها في الحقيقة وانما امتازت بالوجوب
والالوهية وغيرها وتفصيله في الكتب الكلامية واعلم ان في اطلاق لفظ الذات على الله شرعا ولغة
فقيل انه غير صحيح لانه مؤنث ذو ودخول ال عليه غير صحيح لغة وقال السهيلي ذهب كثير الى اطلاقها
عليه وجواز تعريفها لانها بمعنى النفس والتانيث غير مراد فيقولون ذات الباري بمعنى حقيقته
ويحتجون بما ورد في الحديث الصحيح ثلاث كذبات في ذات الله وقول خبيب

وذلك في ذات الاله وان يشا ۞ يبارك على اوصال شلو ممزع

وقد اثبت ذلك البخاري واحمد في مسنده وقال ابن القيم وابن قدامة ليست هذه اللفظة كما زعموا
في اللغة والشرع بها لا ستقرا ولم ترد الا بحرف في والظرفية غير صحيحة فهي صفة لمؤنث مقدر
ومعناها طاعة الله وشريعته كما قال النابغة هم

محلتهم ذات الاله ودينهم

ومن فسره بغير ذلك فقد وهم فقد تبين **كما ان ذاته تعالى لا تشبه الذوات** اي حقيقته ونفسه

ومن ذهب

ومن ذهب الى ان الذات لم ترد بهذا المعنى ينكر دخول ال عليه لان الظاهر صحته
ويشهد له قولهم الذوين لملوك اليمن وقوله ذواتا افنان **كذلك صفاته لا**
تشبه صفات المخلوقين اذ صفاتهم لا تنفك عن الاعراض والاغراض الاول بعين مهملة
والثاني بغين معجمة او العكس وراء مهملة وضاد معجمة فيهما فالاول جمع عرض بفتحتين وهو ما يقابل
الجوهر اي ما لا يقوم بذاته او بمعنى كالمرض ويكون بمعناه ايضا لان ما يعرض للبدن ان استمر
فهو مرض عند الاطبا والا فعرض ويطلق كل منهما على الآخر والثاني هو الامر الباعث على وجود
الفعل وايجاده وهذا تعليل لكون ذات الله وما يتعلق به لا تشبه شيئا من المخلوقات فان الخلق
وصفاتهم لا تنفك اي لا تفارق الاعراض والله تعالى منزه عن الاعراض المحسوسات والكيفيات
النفسانية لانها تابعة للمزاج المستلزم للتركيب المستلزم للحدوث المنافي لوجوب الوجود الذاتي
خلافا للحكما والكرامية وافعاله سبحانه وتعالى لا تعلل بالاغراض وان كان لها ثمرات وحكم كثيرة
جليلة وهي تسمى غرضا ايضا ولكنه ليس بمحل وذهب النسفي وبعض المحققين الى جوازه والخلاف فيه لفظي
فان الغرض ان كان ما يستكمل به الفاعل ويحتاج اليه فهو منفي عنه والا فيجوز اثباته له خلافا للحكما
وليس هذا محل بسط الكلام فيه وفي كلامه تجنيس **وهو تعالى منزه عن ذلك** فلا يحل به عرض ولا يفعل
لغرض **بل لم يزل موجودا** ازلا وابدا **بصفاته** واسمائه الدالة على ذاته وصفاته فهي قديمة اما صفاته
الذاتية فلا كلام في قدمها ومنها ما هو عينه ومنها ما هو غيره او لا عينه ولا غيره عند الاشعري
واما صفات الافعال كالاحيا والاماتة والخلق فاختلف فيها فقيل انها قديمة والحادث تعلقها
عند الماتريدية والمصنف يتبعهم هنا وقيل انها حادثة اذ هي اضافات تعرض له ولا محذور فيه كما حققه
المتكلمون وصفاته السلبية قديمة ايضا واسماؤه على ما ذكره قديمة ايضا لانه سمى نفسه بها في
كلامه وهذا بنا على قدم الكلام اللفظي وهو مذهب السلف وبعض الخلف كالشهرستاني **ويكفي بهذا**
اي يكفي في اثبات كون ذاته وصفاته واسمائه لا يشبهه شي منها **قوله تعالى ليس كمثله شي** فانه صريح فيه
سواء قلنا ان مثله كناية عن ذاته كقولهم مثلك لا يبخل والكاف غير زائدة او قلنا انها زائدة وقيل
الفرق بين مثله وكمثله ان الاول يدل على المشابهة من سائر الوجوه وكمثله يدل على المشابهة بوجه ما
ولله در من قال من العلما العارفين المحققين الدر بفتح الدال المهملة وتشديد الراء المهملة اصل معناه
اللبن الحليب ويتجوز به عن الخير والعمل الصالح واللام في لله للتعجب وكذا يستعمله فيقال لله دره ثناء
عليه والتعجب من محاسنه ولم يقولوا الله هو لانه ابلغ بحرا ايت لتنجيهم من لبن ارتضعه كما يقال لله
ابوه وبلده واضافوه لله اشارة الى انه لا يقدر عليه سواه واراد بالعارفين مشايخ الصوفية لما
سيحكيه عنهم فان العارف مختص في العرف باولياء الله تعالى **التوحيد اثبات ذات** وهي ذات الله
غير مشبهة للذوات جميعها بوجه من الوجوه **ولا معطلة من الصفات** اصل معنى المعطل فقد الزينة
والشغل والمراد به النفي هنا اي غير منفي عنها الصفات كما نقله المعتزلة هربا من تعدد القدما
والمحذور تعدد ذوات قدما لا ذات ولا صفات وفيه تشبيه للصفات بالزينة **وزاد هذه الكلمة**
وهي معنى التوحيد الذي قاله المشايخ **الواسطي** تقدمت ترجمته **بيانا وهي** اي الزيادة التي
زادها فهو عائد على ما فهم مما قبله **مقصودة** لدلالتها على ما عقد له هذا الفصل فقال ليس كذاته
ذات اي ليس كحقيقته حقيقة فلا تشاركه بوجه من الوجوه اذ لو شاركته لزم امر آخر يميز ذاته
عن ذات والا لاتحد او هذا يستلزم التركيب والحدوث **ولا كاسمه اسم** اي لا يشبه مدلول اسمه
مدلول اسم آخر كما مر **ولا كفعله فعل** لانه في غاية الكمال والاتقان وليس لغرض ولا عوضا كما مر

ولا كفعله فعل لانه في غاية الكمال والاتقان وليس لغرض ولا عوضا كما مر ولا كصفته صفة
لانها عظيمة قديمة وغيرها ليس كذلك الا من جهة موافقة اللفظ اللفظ في بعضها كسميع
وبصير وحي فانه في حقه ليس مثله في غيره وان كان اللفظ متحد المناسبة ما ثم وضحه
فقال جلت الذات القديمة اي عظمت وتعالت وتنزهت عن ان تكون لها صفة حادثة
اي محدثة موجودة بعد العدم لانها اذا كانت صفة كمال لزم خلو الذات عنها قبل وجودها وهو نقص
لا يليق بكماله والا استحال اتصافه بها وهذا مبني على قدم صفات الافعال كما تقدم كما استحال
ان يكون للذات المحدثة صفة قديمة لامتناع وجود صفة قبل موصوفها وهذا مذهب اهل
الحق والسنة والجماعة الماتريدية والجماعة اذا اطلق فالمراد به هؤلاء دون غيرهم من الفرق
الضالة وقد فسر الامام ابو القاسم القشيري تقدمت ترجمته قوله هذا اي قول الواسطي السابق
ليزيده بيانا وايضاحا على ايضاح فقال هذه الحكاية اي المحكي المنقول عن الواسطي تشتمل على
جوامع اي امور جامعة مستوفية من مسايل التوحيد وهو اعتقاد ان الله واحد في ذاته وصفاته
لا مثل له ولا ضد ولا ند ولا شريك في الوهيته واستحقاقه للعبادة وكيف تشبه ذاته ذات
المحدثات بفتح الدال المهملة اي الامور الحادثة وهي بوجودها مستغنية مستقلة غير محتاجة
ومستندة لغيرها لوجوب وجودها وكونه عين ذاتها والا كانت ممكنة وكيف يشبه فعله فعل الخلق
في حقيقته ولوازمه وكماله وهو اي فعله لغير جلب بفتح الجيم وسكون اللام وفتحها وباء موحدة
وهو التحصيل واصل معناه السوق انس اي استيناس ودفع وحشة لاستغنائه عن الانيس
والجليس او دفع نقص حصل اي ليس شيء من افعاله لنفع له بل كله لنفع عباده فانه الغني المطلق ولا
بخواطر واغراض والباء سببية وفي نسخة لخواطر باللام التعليلية واغراض بغين معجمة اي
ليس شيء من افعاله لخاطر يطرا عليه وباعث يدعو لفعله كما تقدم وفي نسخة ولا بجواهر واعراض
بالمهملة والصحيح رواية ومعنى الاول وهذا تحريف من النساخ وان احتمل رجوع الجواهر لذاته
والاعراض لافعاله على ما فيه وجد ماض مبني للمجهول كما قاله البرهان وقع في مقابلة حصل اي
ليس لدفع نقص حاصل ولا لخاطر وعرض موجود وفي بعض الشروح بكسر الجيم وتشديد الدال اي ليس
فعله باجتهاد وجهد منه والذي غره قوله ولا بمباشرة ومعالجة الا ان قوله ظهر ياباه فان
الافعال الثلاثة فيها ضمير عايد على الفعل فان معناه ليس فعله لدفع نقص حصل له او لخاطر وعرض
وجد في نفسه ولا بكن ظهر وقت فعله وقد وقع كل من الافعال الثلاثة في محله فوصف النقص
بحصل لانه طار عليه ووصف الخاطر بانه وجد لنفسه في نفسه كما هو شانه كما ان شان المباشرة كونها
محسوسة فهذا ناش من عدم تامل كلامه والمباشرة فعل الشيء بنفسه ومزاولته بجوارحه والفعل
ضربان بمباشرة وتولد كانه يحس بشرته وظاهر بدنه والمعالجة المباشرة بجهد وقوة يقال اعتلجوا
اذا اقتتلوا اي ليس فعله كفعل غيره بعلاج واعمال وانما هو بارادته من غير شيء من ذلك انما امره اذا
اراد شيئا ان يقول له كن فيكون وفعل الخلق لا يخرج عن هذه الوجوه المذكورة من جلب نفع
ودفع واغراض ومباشرة ومعالجة وقال اخر من مشايخنا الشيخ من كبر سنه وفي العرف من تصدر
للافادة لانه انما يحصل باتفاق العمر وله جموع منها مشايخ على الاصح وقال بعض اهل اللغة انه لا
اصل له ولم يسمع في كلام العرب ورد كما في شرح الفصيح ما توهمتموه باوهامكم اي كل شيء واقع
في اوهام الناس انه حقيقة الباري كما توهموه وادركتموه بعقولكم اي تصورتموه وعلمتموه بعقولكم
فهو محدث مثلكم لان الاوهام والعقول مالوفة بادراك ما تشاهده فتظن ان الله جل وعلا مثله

دبحي

ونقيس الغائب على الشاهد والله اجل من ان يحيط به الادراك المدرك للامور المحدودة المتناهية
وهو منزه عما لا يليق به مما الفته النفس من المدركات وليس المراد انه لا تدرك ذاته وصفاته
بوجه ما فانه معلوم بالنظر الصحيح والبراهين القاطعة فالمراد انه لا يدرك كنه ذاته
وصفاته ومسمى اسمائه بكنهه ولم نكلف بذلك وانما كلفنا بمعرفة ذاته وصفاته ووحدانيته
وانه لا رب ومعبود سواه وقال الامام ابو المعالي الجويني امام الحرمين عبد الملك بن
عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني النيسابوري ابو المعالي امام الايمة عربا وعجما فريد دهره
نخبة الفلك ونكتة عطارد صاحب الفضايل والتآليف الجليلة ولد ثامن عشر المحرم
سنة تسع عشرة واربعمائة وجاور بمكة اربع سنين ثم عاد لنيسابور فتوفي في سنة ثمان
وسبعين واربعمائة في خامس عشرين من ربيع الثاني وجوين بضم الجيم من نواحي نيسابور
وهو شيخ الغزالي ونحوه من اطمأن بطاء مهملة ساكنة وميم وهمزة مفتوحة ونون مشددة بمعنى
سكن بعد انزعاج اي تغير ويتقن عنده بعد الشك والشبهة الى موجود انتهى اليه فكره
يتيقن امرا موجودا على وجه معين ارتسم في ذهنه انه الله فهو مشبه اي معتقد لتشبيه
الله بغيره مما في خزانة فكره وهو خطا لانه ليس كمثله شيء وفكره انما هو مدركاته المشاهدة
فياتيه التشبيه منها واحترز بقوله اطمأن عن الوسوسة فانها ليست للمشبه لعدم ركون النفس
لها ومن اطمأن الى النفي المحض اي الخالص بان نفى ذات الباري حقيقة او حكما كالفلاسفة
القايلون لا يصدر عن الواحد بالذات الا واحد فهو معطل ناف للصانع وهم الدهرية القايلون
بالطبائع الى غير ذلك مما لا يصدر عن عاقل وان قطع اي جزم بموجود اله واجب الوجود
اعترف بالعجز عن دركه حقيقته بسكون الراء وقد تفتح اصل معناه اللحوق ثم صار بمعنى
العلم كالادراك لوصول العقل اليه اي عجز عن علمه كنهه فهو موحد لانه عرف الله ووحده
واعترف بانه لا يقدر على معرفته بكنهه وهو التوحيد الصرف قال الراغب روي عن ابي بكر انه
قال يا من غاية معرفته القصور عن معرفته اذ كان غاية معرفته ان نعرف الاشيا فنعلم انه
ليس شيء يشبهه ولا يماثله بل هو موجد كل ما ادركته انتهى وما احسن قول ذي النون المصري
الزاهد العارف بالله ابو الفيض ويقال له ابو الفياض واسمه ثوبان بن ابراهيم الاخميمي كان ابوه
نوبيا توفي رحمه الله سنة خمس واربعين ومايتين وكان عالما بالعلوم والخطوط القديمة قرا في
خط قديم

تدبر بالنجوم ولست تدري ٭ ورب النجم يفعل ما يشاء ٭

وله ترجمة في الميزان حقيقة التوحيد ان قدرة الله في الاشيا اي في ايجادها وابداعها
بلا علاج اي بلا معالجة ومكابرة واستعمال آلة ونحوها ان صنعه لها بلا مزاج المزاج لغة
كالمزج الخلط وما ركب عليه البدن من الطبايع وعند الاطبا كيفية له من العناصر المتماسة
بحيث يكسر سورة كل منهما سورة الآخر وهو بالمركبات العنصرية والمراد ان ايجاده لها لا يحتاج
الى مادة ومعاونة مركبة منها بل قدرته العلية اوجدته ابتداء من العدم بعد ان لم يكن بمجرد
قوله كن فيكون فلا يحتاج الى شيء من العلل الاربع كما اشار اليه بقوله وعلة كل شيء صنعه بمجرده
ومجرد قدرته ولا علة لصنعه تعينه في ايجاده اذ افعاله لا تعلل بالاغراض وما تصور
وهمك فالله بخلافه فان ذاته لا تشبه الذوات وافعاله لا تشبه افعال غيره فهو منزه عن
ان تتصوره الاوهام وهذا كلام عجيب نفيس من النفاسة وهو الشرف وعلو القدر والفصل
الاخير من كلام ذي النون وهو الفقرة الثالثة اعني قوله وما تصور وهمك فالله بخلافه

تفسير لقوله عز وجل اي لمعنى قوله ليس كمثله شيء فان ما امثل له لا يرتسم في الوهم والثاني اي الفصل الثاني وهو قوله وعلة كل شيء صنعه ولا علة لصنعه تفسير وبيان لمعنى قوله لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون فانه لا علة لفعله حتى يقال له لم فعلت كذا بخلاف غيره من عبيده المكلفين والثالث في العدد وهو الاول اعني قوله حقيقة التوحيد ان تعلم ان قدرة الله في الاشيا بلا علاج وصنعه لها بلا مزاج تفسير لقوله انما امرنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون ففي كلامه لف ونشر غير مرتب وهذا تمثيل لسرعة الايجاد والتسخير ثبتنا الله واياك على التوحيد اي على العقيدة الحقة في اعتقاد وحدانية الله في ذاته وانفراده بجميع شؤنه والاثبات اي اثبات ما يليق بذاته لذاته وبصفاته لصفاته وليس المراد اثبات واجب الوجود المنافي للتعطيل فانه معلوم من التوحيد الا ان يريد مجرد التوكيد والتنزيه بذاته وصفاته عما لا يليق بها وجنبنا اي بعدنا طرق الضلالة والغواية من طرفي التعطيل والتشبيه من بيانية واراد بالضلالة التعطيل وبالغواية ادعاء التشبيه والتجسيم وجعل للاعتقاد الحق طرفين افراط وتفريط والوسط هو الصراط المستقيم والدين القويم وهذا كله اشد لالة على انما اطلق على الله وعلى غيره ليس لاشتراكهما في حقيقة المدلول والمسمى كما ولما كانت هذه التسمية تشريفا وتمييزا لهم عما عداهم اردفه بما يتم به التمييز وهو المعجزات فقال

الباب الرابع

من القسم الاول فيما اظهره الله على يديه ما على اليد ما وضع فوقها فكني به عما كان مشاهدا من المعجزات وهي الامور الخارقة للعادة التي يظهرها الله على يدي انبيائه لالزام من كذبهم اذا عجزوا عن الاتيان بمثلها ولذا سميت معجزة ولا بد فيها من التحدي بالفعل او بالقوة وهو طلب المعارضة وهو الاتيان بالمثل وهذا هو الفرق بينها وبين الكرامة وليس الفرق ان المعجزة للنبي والكرامة للرسول كما قيل فان الكرامة تكون للنبي ايضا كما اشار اليه المصنف بقوله وشرفه به من الخصائص والكرامات اي ما خصه الله به واكرمه مما لم يكن لغيره والفرق بينهما وبين السحر ليس ادعاء النبوة فان الساحر قد يدعيها كاذبا بل لانه امر طبعي ليس بمزاولة العزائم ونحوها من تسخير الكواكب كما يدل عليه قوله اظهره الله وهي دالة على صدقه في دعوى النبوة وما كان قبل البعثة فهو ارهاص اي تاسيس للنبوة وادخلها بعضهم في المعجزة قال الزركشي في البحر اختلف في دلالتها فذهب القشيري الى انها وضعية وما دل وضعا يجوز ان يتبدل واختار الامام في الارشاد والو اسحاق انها عقلية وقال الآمدي في ابكار الافكار الذي ذهب اليه المحققون ان دلالة المعجزة على صدق الرسول ليست دلالة عقلية ولا سمعية اما الاول فلان ما يدل عقلا يدل بنفسه ويرتبط بمدلوله لذاته وقد تقع الخوارق عند تصرم الدنيا مع عدم دلالتها على تصديق مدعي النبوة فانه لا ارسال ولا رسول اذ ذاك واما الثاني فلان الدلالة السمعية تتوقف على صدقه فلو توقف صدق الرسول عليها كان دورا بل دلالتها على صدقه غير خارج عن الدلالات الوضعية النازلة منزلة قول الله صدق انتهى وفيه بحث قال القاضي ابو الفضل حسب المتامل بسكون السين اي يكفيه وكفايته والمتامل هو المفكر الناظر نظرا صحيحا ان كتابنا هذا لم نجمعه اي لم نؤلفه لمنكر نبوة نبينا ممن كفر به ولا لطاعن في معجزاته اي معترض ومعاند معارض في ثبوت بعضها وان كانت نظرا الاسلام كبعض الزنادقة واصل الطعن الرشق بالسنان ونحوه فاستعير لتعييب الناس

في ذمهم

وذمهم يقال طعنه يطعنه بالضم والفتح وقال ابن الاكثر في طعن السلاح ضم عين المضارع وفتحها في القول ونقله بعضهم عن غيره من الايمة فتامله فنحتاج بالرفع على الاستيناف او النصب في جواب النفي بناء على راي من جوزه مستدلا بقوله هم

لم الق بعدهم حيا فاخبرهم • الا يزيدهم حبا اليّ هم •

وقد تبعه بعض نحاة المغرب الى نصب البراهين عليها اي على اثباتها بالادلة القاطعة الملزمة لمن انكرها او طعن فيها ونصبها اقامتها وايضاحها من قولهم نصب رايا اذا اشار اليه بان لا يعدل عنه كما في الاساس وتحصين حوزتها بفتح الحاء المهملة وسكون الواو وفتح الزاي المعجمة وهي الناحية والجانب وتحصينها جعلها حصينة محفوظة كان عليها حصنا يحميها وفيه استعارة تمثيلية تخييلية بجعل المنكر كالعدو القاصد لخراب المملكة ويقال حمى حوزته وبيضته بلده اذا حفظ جوانبه وما يلزمه حفظه حتى لا يتوصل الطاعن اليها جمع مطعن وهو الطعن والرد للاباطيل الفاسدة التي تصدر عن اهل الالحاد وضمير اليها للحوزة او المعجزة والاول اولى وابلغ لان عدم الوصول الى الحوزة يستلزم عدم الوصول اليها ونذكر شروط المعجزة والتحدي بفتح المثناة الفوقية والحاء المهملة وكسر الدال المهملة المشددة وبالتحتية وهو طلب المعارضة واصله تقابل الحاديين في حدا الابل وهو معطوف على نحتاج الداخل في خبر النفي وحده بمعنى تعريفه منصوب كقوله وفساد قول من ابطل نسخ الشرائع وردّه اي لا نذكر فساده ورده معطوف على فساد وما مضى معطوف على ابطل اي لم نجمعه لاجل شيء من ذلك حتى نحتاج الى ذكرها نرفعه ونقيم الحجة على بطلانه كما هو داب المتكلمين ان يذكروا قبل مباحث اثبات النبوة او ذكر المعجزات مبحث ابطال قول المنكر نسخ الاديان لعدم فرقهم بينه وبين البدا وهم اليهود الذين تمسكوا بذلك في ابطال نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم ونبوة عيسى لنقلهم عن التورية ما يدل على تابيد شريعة موسى مع وقوع النسخ فيها على ما فصل في كتب الاصلين بل الفناه لاهل ملته اي انما الفناه لاهل ملة نبينا صلى الله عليه وسلم من المؤمنين به الملبين لدعوته بالباء الموحدة المشددة اي القابلين لها اذا دعاهم للتوحيد والدين الحق لبيك وهو عبارة عن اطاعته وتصديقه ولذا قال المصدقين لنبوته لاقرارهم واعترافهم بكل ما جاء به ولا يقال ان جميع التاليف الاسلامية كذلك فانه ليس بشيء ثم بين الداعي لتاليفه فقال ليكون تاكيدا في محبتهم له دفعا لما عسى يقال ان المؤمنين غير محتاجين له مع اعترافهم واقرارهم بذلك فاجاب بانه مؤكد لمحبتهم له منماة لاعمالهم بالنون من النمو بمعنى الزيادة هو مصدر او اسم محل اي يزيدهم رغبة في اعمالهم الصالحة او يبلغهم الاعمال الى من بعث الحديث اذا انته وليزدادوا ايمانا مع ايمانهم بذلك فانه يزيده او يثبته في قلوبهم وفي تفريعه زيادة الايمان على زيادة الايمان اشارة الى ان زيادته مبنية على دخول الاعمال والقول في قبول الايمان الزيادة مقرر في محله ونيتنا بالنون والمثناة التحتية اي قصدنا وما عزمنا عليه في هذا الباب نثبت في هذا الباب اي نقرر ونكتب وهو بكسر الموحدة مخففة ومشددة رواية من الافعال او التفعيل امهات معجزاته اي كبارها وعظامها جمع ام ومشاهير آياته غاير بينهما تفننا فان الآيات بمعنى المعجزات ايضا والمراد ما اشتهر من كراماته من غير تعرض غيره ليدل ما اثبتناه على عظم قدره عند ربه لما اجراه على يديه من عظيم الآيات واثبتنا منها اي ذكر من تلك المعجزات بالمحقق اي بما اشتهر وشاع حتى لم يبق فيه شبهة والصحيح الاسناد

اي ما صح سنده والاسناد الاتيان بالسند وهو عبارة عن الرجال الذين نقلوا الحديث
منقول من سند الجبل وهو لسنقي ما ارتفع من سفح الجبل وقد يكون الاسناد بمعنى السند وصحة
باستيفاء شروطه المذكورة في كتب ابن الصلاح وغيره **واكثره** اي اكثر ما اثبتنا به **مما بلغ القطع**
بلوغ القطع لشهرته وصحته فهو وان كان ظنيا لكنه قوي صار متيقنا بما حفه من القراين وحذف
معمول كاد شايع في كلام العرب لاسيما في السجع كما هو فيما نحن فيه **واضفنا اليه** اي ضممنا
الى المعجزات المحققة والمقاربة لها **بعض ما وقع في مشاهير كتب الايمة** يعني ايمة الحديث
الذي تلقى الامة كتبهم بالقبول كدلايل النبوة للبيهقي والسنن وبقية الكتب **واذا تامل المتامل**
المنصف ما قدمناه اي من نظر بعين الرضى والانصاف في صفاته التي قدمها المصنف قبل هذا
الباب وهذا تاكيد لما قبله من ان ذكر المعجزات ليس لاثبات نبوته لان من تامل صفاته علم انه غير
محتاج في اثبات نبوته الى برهان بذكر معجزاته وانما ذكرت لمحبتها وتاكيد ذلك كما قال المتنبي

صفاته لم تزده معرفة • لكنها لذة ذكرناها •

من جميل اثره بفتحتين وهو بقية الشي وما يبقى بعده من آثار فعله كالصدقة الجارية والولد
الصالح والعلم النافع مما يرسم في صحايف الانام **وحميد سيره** جمع سيرة كسدرة وسدر وهي
الطريقة والسنة المحمودة وقيل انه جمع اثر من آثره يوثره ايثارا اذا اعطاه ومآثر العرب
مكارمها ومفاخرها التي تروى وتذكر **وبراعة علمه** اي علمه الفايق به على غيره يقال برع براعة
وبروعا اذا فاق في علم اوغيره **ورجاحة عقله** اي عقله الزايد بحيث لو وزن بغيره رجح عليه
وحلمه الراجح ايضا **وجملة كماله** اي جميع كماله الذي لم يجتمع لغيره **وجميع خصاله** جمع خصلة
وهي الصفة الحسنة وهي مجاز من الخصل وهي ما يعطى في الرهان فاستعير لما ذكر في الاساس
وشاهد حاله اي ما حكي عما كان يشاهد من حاله وفي تعبيره بالشاهد لطف لانه ايهام لانه
يشهد لمحاسنه وهي بمعنى الحاضر **وصواب مقاله** اي ما يحكى من كلامه الذي هو صواب الحكمة
وحكم والكل بالجر عطف على جميل **لم يمتر** لم يشك ويشتبه عليه ويقع له تردد **في صحة نبوته**
التي ادعاها واظهرها **وصدق دعوته** اي صدقه في مدعاه اوفيما دعى اليه الخلق من دينه
وتوحيد ربه **وقد كفى هذا غير واحد** هذا فاعل كفى وهذا اشارة لما ذكر من الجميل وما بعده وغير
مفعوله **في اسلامه والايمان به** اي كفاه ما راه من احواله عن طلب برهان واية على نبوته
وصدق رسالته والانقياد لامره فاسلم وآمن به وتبعه كابي بكر فانه كان كلما راه قال ما خلق
هذا الا لامر عظيم فلما دعاه للاسلام قال هذا الذي كنت ارجوا منك **فروينا عن الترمذي**
الامام المشهور صاحب السنن وقد قدمنا ترجمته **وابن قانع** بقاف ونون وعين مهملة بعد الالف
وصحفه بعضهم بنافع بنون وفاء وهو غلط وهو عبد الباقي بن قانع الامام الحافظ وغيرهما
باسانيدهم جمع اسناد جمع وان كان مصدرا لنقله الى الاسمية **ان عبد الله بن سلام** الصحابي
المشهور وهو بتخفيف اللام وغيره مشدد اللام واختلف في بعضها ايضا **قال لما قدم رسول**
الله المدينة في هجرته هو وابو بكر **جيته لانظر اليه** جواب لما يعني انه سمع بقدومه من مكة
وقولهم انه رسول الله اتاه ليعرف امره وهو من علماء اهل الكتاب صاحب فراسة وذكا **فلما استبنت**
وجهه استفعال من البيان وهو الوضوح والظهور والسين للمبالغة **عرفت ان وجهه ليس**
بوجه كذاب اي لاح لي من سيماه ونور النبوة في محياه ان مثله لا يكذب فيما ادعاه فخلق الله فيه
علما ضروريا بصدقه مع ما كان علمه من صفته في التورية والكتب السالفة وقال لليهود يا معشر

يهود اتقوا الله واقبلوا ما جاءكم به فوالله انكم لتعلمون واصدقه ثم شرع في ذكر سنده لما رواه
عن الترمذي ولم يقدمه ليلا يفصل بينه وبين ما استشهد له به فقال **حدثنا** اي بحديث
بن سلام **القاضي الشهيد ابو علي** رحمه الله الحافظ المعروف بابن سكرة كما تقدم **حدثنا ابو الحسين**
الصيرفي بالتصغير ومن قال ابو الحسن فهو مخطي **وابو الفضل بن خيرون** تقدمت ترجمته
عن ابي يعلي البغدادي بفتح التحتية وهو المعروف بابن زوج الحرة كما تقدم **عن ابي علي السنجي**
تقدم مع ضبطه وبيان نسبته **عن ابن محبوب** المعروف بالمحبوبي راوي السنن عن الترمذي كما
تقدم **حدثنا محمد بن بشار** بفتح الموحدة وتشديد المعجمة كما تقدم **حدثنا عبد الوهاب الثقفي**
ابن عبد المجيد بن الصلت بن عبد الله بن الحكم بن ابي العاص الثقفي الحافظ وثقه ابن معين وقيل
انه اختلط في آخر عمره توفي في سنة اربع وتسعين ومايه واخرج له الستة وترجمته في الميزان
ومحمد بن جعفر هو غندر كما تقدم **وابن ابي عدي** محمد بن ابراهيم بن ابي عدي البصري الثقة توفي
سنة اربع وتسعين ومايه وروى له الستة **ويحيى بن سعيد** ابن فروخ ابو سعيد القطان
البصري التميمي الحافظ احد الايمة الاعلام توفي سنة ثمان وتسعين ومايه وترجمته في الميزان
عن عوف بن ابي جميلة بفتح الجيم وكسر الميم الاعرابي سمي به لسكونه بدرب الاعراب قاله
ابن دقيق العيد وهو ثقة ثبت توفي سنة ست واربعين ومايه واخرج له الستة كما في الميزان
عن زرارة بن ابي اوفي وفي نسخة ابن ابي اوفى وهو من خطا الناسخ وزرارة بضم الزاي المعجمة
وراين مهملتين وهو مكنى بابي صاحب قاضي البصرة ثقة عالم تبعي ام في داره وقرا فاذا نقر
في الناقور فشهق شهقة ومات سنة ثلاث وتسعين وروى له الستة عن عبد الله بن سلام
كما تقدم **وعن ابي رمثة التيمي** بكسر الراء وسكون الميم ومثلثة قبل هاء علم منقول من رمث
نوع من النبات واختلف في اسمه فقيل رفاعة وقيل عمارة وقيل غير ذلك التيمي وقيل التميمي
اختلف في نسبه لتيم او تميم وهما قبيلتان مشهورتان وقيل انه بلوي ايضا **اتيت النبي**
صلى الله عليه وسلم ومعي ابن لي حكاية لحاله التي جاءه بها والا فلا دخل له في القصة **فاريته**
اي اراني به وعرفه لي باشارة ونحوها وهو بضم الهمزة مجهول اراه يريه لانه لم يكن راه
قبل ذلك **فلما رايته قلت هذا نبي الله** اي بمجرد تعلق نظره به اعترف بنبوته لما شاهد
من عظمته ونور نبوته فاوقع الله في قلبه علما ضروريا بصدقه **وروى مسلم وغيره ان ضمادا**
بكسر الضاد المعجمة وميم مفتوحة مخففة والف ودال مهملة وهو ضماد بن ثعلبة الازدي
نسبة لازد شنوة قبيلة مشهورة وكان صديقا للنبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة فلما
قدم مكة سمعهم يقولون فيه ما قالوه اتاه وبايعه واسلم في اول الاسلام وكان يتطبب
ومن في ذكره ابن عبد البر في الصحابة وفي الصحابة شخص آخر يسمى ضمادا وله وفادة ولا ثاني
لها **لما وفد عليه** اي لما قدم على النبي صلى الله عليه وسلم وهو بمكة في ابتداء الاسلام والوفود
القدوم على العظما من مكان بعيد قصدا وكان راقيا يرقي الناس في الجاهلية فلما سمعهم يقولون
ان محمدا مجنون وفد عليه وقال يا محمد اني راق فهل بك شي فارقيك **فاجابه صلى الله عليه**
وسلم دفعا لما قاله مما نسب اليه **فقال ان الحمد لله** جوزوا في ان كسر الهمزة وتشديد النون
وفتح الهمزة مع التخفيف وهو ظاهر والحمد وكون جملته انشايية او خبرية مشهور وحسن تاكيده
بسوال له وطلبه ان يرقيه لتوهمه صدقهم فيما قالوه فاجابه صلى الله عليه وسلم وصدر كلامه
بحمد الله اشارة الى ان الله انعم عليه بنبوته ففيه رد لما زعموه على ابلغ وجه ثم قال **نحمده**

لو دع

وَنَستَعِينُه فاردف الجملة الاسمية بفعلية مضارعية لانه قصد بالاولى ان الحمد ثابت ومستحق
له بالاستحقاق بقطع النظر عن الحامدين والجملة محتملة للخبرية والانشائية ثم اردفها بجملة
اخرى لانشاء حمده بنفسه لما انعم الله به عليه من جلائل النعم التي اجلها نعمة النبوة المؤيدة بالمعجزات
الباهرة ولذا قطعها عما قبلها واتى بها مضارعية لتدل على الاستمرار التجددي واسنده لضمير
المتكلم مع الغير اشارة الى انه لا يقدر وحده على وفاء حق حمده فان كان الضمير له وحده فليس
لتعظيم نفسه بل لتعظيم الحمد والمحمود ونستعينه بمعنى نطلب المعونة والمساعدة منه على اداء
حمده او على جميع امورنا التي من جملتها الحمد وفيه اقتداء بما ارشدنا الله من ان الطلب يتقدم عليه حمده
وتعظيمه كما في سورة الفاتحة ولذا اردفه بقوله من يهده الله اشارة الى انه طلب منه الهداية الى
الطريق المستقيم كما في قوله اهدنا الصراط المستقيم ومن شرطية جوابها فلا مضل له اي لا يقدر
احد على اضلاله ومن يضلل فلا هادي له وفيه تعريض بمن تعرض له باسناده له ما لا يليق
له ان الله بيده الهداية والضلال واشهد اي اعلم واذعن واعتقد ان لا اله الا الله اي لا معبود
بحق سوى واجب الوجود والمستحق لجميع المحامد وحده لا شريك له في الوهيته وجميع شؤونه وهو
مؤكد لما قبله لتضمنه للحصر المقدم عليه وان محمدا عبده ورسوله ارسله لهداية خلقه وارشادهم
لتوحيده وفيه دعوة بانه عبده قال له ضما د المذكور لما سمع ما قاله اعد علي كلماتك هؤلاء
المذكورة من قوله الحمد لله الخ وانما طلب اعادتها ليتأملها ويفهم ما اراده وهؤلاء واولئك اشارة
الى جمع المذكر والمؤنث من العقلاء وغيرهم كما قال ⊙

• ذم المنازل بعد منزلة اللوى • والعيش بعد اولئك الايام •

فالمشار اليه هنا الكلمات فلقد بلغن قاموس البحر اي اشتهرت مقالتك هذه في جميع اقطار
الارض شرقا وغربا وقاموس البحر وسطه او لجته او قعره كما في كتب اللغة من قمسه اذا غمسه ووزنه
فاعول وهذا اشهر الروايات واصحها وفيه روايات اخرى فروي ناعوس بالنون ايضا بمثناة فوقية
وعين وسين مهملتين وروي فاعوس بفاء بدل القاف ورواه ابو داود قاموس او قابوس على الشك
في الميم والباء الموحدة وروي ناعوس بالنون ايضا وقيل ان الكل تصحيف ما عدا قاموس وفاعوس
كما قاله ابن فورك يقال قال فلان قولا بلغ قاموس البحر اي سمعه كل ذي روح حتى دواب البحر
وهو مبالغة في شيوعه وروي قاعوس من القعس وهو خروج الصدر وبروزه وقيل انه
تصحيف ممن لم يسمعها ولم يصدق بها من العقلاء مع بلوغها هذا المبلغ هات بكسر التاء اسم فعل بمعنى
اعطني يدك ابايعك بالجزم في جواب الامر ووجه استشهاد المصنف له ان بمجرد رؤيته
وسماع كلامه آمن به من غير تردد وليس في كلامه ما يدل على صدق مدعاه ولكنه لما رأى نور وجهه
وحسن بهجته آمن به وقال جامع بن شداد في حديث رواه عنه البيهقي وهو ابو صخرة الاشعري
الكوفي المحدث روى عن صفوان وغيره واخرج له ابو داود والنسائي وتوفي سنة ثمان او سبع عشرة
او عشرين ومائة كان رجل منا يقال له طارق بن عبد الله المحاربي وهو صحابي كما اشار اليه بقوله
واخبر انه رأى رسول الله بالمدينة كما قاله ابن شداد وغيره وله رواية عنه وقال ابن حبان
انه انما رآه بمكة بذي المجاز وهو سوق بينه وبين عرفة فرسخ وهو مخالف لما قاله المصنف فقال
له النبي صلى الله عليه وسلم ولمن لقي معه هل معكم شيء تبيعونه انما سألهم لانهم اعراب ولما
يقدم مثلهم المدينة للبيع والشرا قلنا هذا البعير قال بكم تبيعونه قلنا بكذا وكذا وسقا
بكسر الواو وفتحها وهو ستون صاعا مما يكال من تمر فاخذ بخطامه بخاء معجمة وطاء مهملة وميم

وهو كالزمام وزنا ومعنى اي رسنه الذي يقاد به والباء من برة اي اخذ ليجره ويذهب به
وسار اي ذهب من عندنا بالبعير فقلنا اي قال بعضنا لبعض بعنا بعيرنا من رجل لا ندري
من هو حتى نطالبه بالثمن والوسق المبهم في الحديث كان ستين صاعا كما ورد التصريح به
في رواية اخرى وقوله من هو مفعول ندري والمعنى لا ندري جواب هذا السؤال وعدى البيع
بمن وهو متعد بنفسه اما بناء على مذهب الاخفش من جواز زيادة من في الاثبات وقال
النووي انه لغة فيه فيتعدى بنفسه وبمن كانكح وزوج فانه يقال انكحه وزوجه وانكح وزوج
منه وقد وقع هذا في كثير من الاحاديث فلا عبرة بقول من عده من لحن الفقهاء وفي مسلم لو بعت من
اخيك وفي البخاري بيعه من الصواغين الى غير ذلك مما لا يحصى • تنبيه قوله وسقا منصوب
لانه تمييز وكذا مركبة من كاف التشبيه واسم الاشارة ثم كني عن ذلك وغيره وتكون مفردة وتكون
بعطف ودونه وذهب البصريون الى ان تمييزها لا يكون الا مفردا منصوبا ومال الكوفيون
الى انه بحسب ما يكنى عنه فكذا عبدا كناية عن ثلاثة الى عشرة وكذا كذا عبد كناية عن مائة فصاعدا
وكذا كذا عبدا كناية عن احد عشر واخواته وكذا وكذا عبدا عن واحد وعشرين الى تسعة وتسعين
وكذا عبدا كناية عن عشرين واخواته وتفصيله في شروح وقد افرده بالتصنيف
ابن هشام وغيره ومعنا ظعينة جملة حالية والمراد بالظعينة المرأة من الظعن وهو الارتحال
ولذا قيل ان حقيقته امرأة في هودج على جمل ثم تجوز به عما ذكر وللهودج بلا امرأة وللجمل نفسه
وهو بظاء معجمة وعين مهملة وسميت المرأة ظعينة لظعنها مع زوجها فقالت اي المرأة لما
سمعت كلامهم انا ضامنة لثمن البعير اي اعطيه لكم من عندي ان لم يجئ لكم منه وانما اراده
انها واثقة بانه لا بد ان يجيء به لما وقع في قلبها من ان مثله لا يكذب ولا يخلف بفراسة منها حين
شاهدته ولذا قالت رأيت وجه رجل مثل القمر ليلة البدر هذا استئناف بيان لوجه ضمانها
لمن لم تعرفه بانها رأت في وجهه نورا وحسن سيما تدل على انه ليس ممن يصدر منه شر وشبهت
وجهه بالقمر عند كماله وزيادة نوره على عادتهم في تشبيه الوجه الحسن به وان لم يكن للبدر
مثل نوره • وحسنه • ولقد اجاد بعض الظرفاء في قوله ⊙

• بلا غيبة للبدر وجهك اجمل • وما انا فيه قلته متجمل •

لكن الشيء بالشيء يذكر كما قيل ⊙

• ظبي اذا ما بدا محياه • اقول ربي وربك الله •

وقد هجا ابن الرومي البدر فقال

• لو اراد الاديب اذ يهجو البدر • رماه بالخطة الشنعاء •
• قال يا بدر انت تغدر بالسا • ري وتغري بزورة الحسناء •
• كلف في شحوب وجهك يحكي • نمشا فوق وجنة برصاء •
• يعتريك المحاق في كل شهر • فترى كالقلامة الحجناء •
• ويليك النقصان في آخر الشهر • فيمحوك من اديم السماء •

لا يخيس بكم اي حسن صورته يدل على حسن سيرته فمثله لا يصدر عنه ما ظننتموه يقال
خاس يخيس ويخوس اذا غدر وكذب فنكث عهده واخلف وغدر وهو بخاء معجمة وسين
مهملة فاصبحنا اي مضى بعد اخذه البعير يوم وليلة ثم دخلنا في صبيحة يوم بعده فجاء
رجل من اتباعه صلى الله عليه وسلم وهذا الرجل لا يعرف اسمه بتمر فقال انا رسول رسول الله

ثم استانف جواب سؤال مقدر او مطوي كانهم قالوا اما فعل وما يقول فقال **يا مركم ان ناكلوا** من التمر الذي جئتم به **وتنحالوا** اي تحملوا منه من التمر **حتى تستوفوا** اي تاخذوا الثمن وافيا كاملا عزما اكلتموه فانه هبة منه وفيه من مكارم الاخلاق وحسن المعاملة ما لا يخفى وفي الحديث خياركم احسنكم قضاء وورد في حديث رواه ابن اسحاق **في خبر الجلندي** وقصته **وهو** اي الجلندي **ملك عمان** وسلطانها في عصر النبي صلى الله عليه وسلم وفي القاموس وجلندي بضم اوله وفتح ثانيه وهو اللام المخففة ممدودا او بضم ثانيه فيقصر وقد ضمه الجوهري فقصره مع فتح ثانيه قال الاعشى

وجلندا في عمان مقيما • ثم قيسا في حضرموت المنيف •

ولا حجة له فيما ذكر لاحتمال انه ضرورة كما قاله تلميذه البرهان الحلبي وفي شرح المفصل لابن الحاجب الاولى ان لا تدخل عليه الالف واللام ومعناه القوي المتحمل من الجلادة كما قاله المعري في رسالة الغفران وعمان بفتح العين المهملة وتشديد الميم مدينة قديمة بالشام وبالضم والتخفيف صقع عند البحرين وفي الشروح نقلا عن الذهبي ان له شعرا يدل على اسلامه وهذا يدل على عدم جزمه والذي نقله النويري في تاريخه الجزم وانه صلى الله عليه وسلم بعث عمرو بن العاص في ذي سنة ثمان من الهجرة الى جيفر وعبد بن الجلندي وهما من الازد والملك منهما جيفر وكتب لهما كتابا فلما قدم عمان عمد الى عبد وكان اعلمهما واحسنهما خلقا فقال اني رسول الله اليك والى اخيك فقال اخي مقدم علي في السن وهو الملك وانا اوصلك اليه فمكثت ببابه اياما ثم اذن لي فدخلت عليه ودفعت اليه الكتاب ففض ختمه وقراه ثم دفعه الى اخيه فقراه فقال دعني يومي هذا وارجع الي غدا فلما رجعت اليه قال اني فكرت فيما دعوتني اليه فاذا انا اضعف العرب ان ملكت رجلا ما في يدي فقلت اني خارج فلما ايقن بخروجي ارسل الي واجاب الى الاسلام هو واخوه وصدقا بالنبي صلى الله عليه وسلم وخليا بيني وبين الصدقة والحكم بينهم فلم ازل مقيما بينهم حتى بلغني وفاة رسول الله انتهى وهذا يدل على ملك عمان بن الجلندي المذكور الان تعالى ان كل من ملك عمان يسمى جلندي واما ما في بعض الشروح من ان في بعض النسخ ملك غسان بتشديد السين كسرا اسم قبيلة ولعل تلك القبيلة سكنت تلك البلدة وكان الجلندي ملكها فمما لا يعول عليه لمخالفته الرواية والنسخ الصحيحة والاول هو الذي صححه التهيلي والشراح كلهم **لما بلغه ان رسول الله يدعوه الى الاسلام** كما سمعته مفصلا **قال الجلندي والله لقد دلني على هذا النبي الامي** الذي لا يقرا ولا يكتب ووصفه به لشهرته في الكتب القديمة ولانه مدح له كما تقدم انه لا يامر بخير الا اذا كان اول اخذ اي اول عامل بما امر به ولا ينهى عن شيء الا اذا كان اول تارك له كما قال اني لاتقاكم لله واخشاكم له وهو كما قيل

لا تنه عن خلق وتاتي مثله • عار عليك اذا فعلت ذميم •

وقوله انه الخ اسم تاويلا وهو فاعل ذلك **وانه يغلب** اعداءه وينتصر عليهم وهو مبني للفاعل **فلا يبطر** اي لا يطغى ويفتخر والبطر الفرح وهو صفة مذمومة وبطر من باب علم **ويغلب** بالبناء للمفعول اي يغلب احيانا فان الحرب سجال كما جرت به عادة الله في انبيائه **فلا يضجر** اي يقلق ويجزع بل يصبر ويتحمل ما اصابه في سبيل الله احتسابا للاجر ورضى بما قدره كما هو عادة الانبياء **ويفي بالعهد** فاذا عاهد احدا لا ينكث عهده كما قال تعالى واوفوا بالعهد **وينجز**

الموعود

اعلمهما واحسنهما

عرضي

الموعود اي يعجل بما وعد به لكرمه فالموعود اسم مفعول ويجوز ان يكون مصدرا فانه جاء على مفعول الا انه نادر **واشهد انه نبي** لما تحققه من اخلاقه وكمال صفاته وهذا شاهد لما عقد له الفصل من ان من تامل صفاته صدق بنبوته وان لم يشاهد معجزاته **وقال نفطويه** ابراهيم بن محمد الامام الجليل بن عرفة بن سليمان الازدي الواسطي النحوي المفسر الاديب وقد تقدمت ترجمته وضبط اسمه بفتح اوله وواوه وسكون يائه وان المحدثين يضمون ما قبل الواو ويسكنونها لما مر **في قوله تعالى** مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كانها كوكب دري توقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية **يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار** **هذا مثل ضربه لنبيه صلى الله عليه وسلم** هذا بناء على الوقف على قوله الله نور السموات والارض وان معنى قوله مثل نوره وان الضمير في قوله مثل نوره لمحمد صلى الله عليه وسلم وان المشكاة هو صدره والمصباح علمه والزجاجة قلبه والزيت نبوته والمعنى قاربت نبوته تظهر وان لم يبد معجزة وبرهانا عليها وقد تقدم ذكر المصنف لهذه الاية وان هذا احد تفاسير الاية وانه بعيد وانما اعادها هنا لما فيها على هذا من الدلالة على المقصود من ان المتامل يشهد ويصدق بنبوته وان لم يقم برهانا عليها فلا تكرار في كلامه كما توهم وهو على هذا تشبيه تمثيل وهو ظاهر **يقول** الله **يكاد منظره** اي ما يتعلق به النظر من ذاته وصفاته **يدل على نبوته وان لم يتل قرآنا** اي وان لم يظهر معجزة وخص القرآن لانه اعظم معجزاته وتلاوة القرآن معلومة وروي ان لم يتل قرانا ثم استشهد له بما يدل على معناه فقال **كما قال ابن رواحة** وهو عبد الله بن رواحة بن ثعلبة الانصاري الصحابي احد شعراء رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن شهد له المشاهد الا الفتح وانه مات شهيدا بموته سنة ثمان من الهجرة وهو احد الامراء الثلاثة بها وهم زيد بن حارثة وجعفر بن ابي طالب ومما روي من مدحه له قوله

لو لم تكن فيه آيات مبينة • لكان منظره ينبيك بالخبر •

ومبينة بكسر الياء المشددة اسم فاعل وبفتحها اسم مفعول ومنظره مرآه وظاهره وهذا على نهج قوله نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه اي مما يترتب الجواب على وجود الشرط وعدمه وهو على فقد الشرط اولى ويجوز ان يبقى على حاله لانه عند ظهور الايات لا يحتاج الى الاستدلال بظاهر الحال فلا اشكال فيه اصلا واصل ينبيك ينبؤك بالهمزة فابدلت ياء وسكنت على حد قراءة باريكم وفي حمل المنظر مخبرا من البلاغة ما لا يخفى **وقد آن ان ناخذ** اي نشرع **في ذكر النبوة والوحي والرسالة** يقال اخذ في القراءة اي شرع فيها واصل الاخذ التناول باليد يتجوز به عن معان منها هذا وآن بمعنى قرب اوانه **وبعدها** اي بعد ذكرها **نشرع في معجزة القرآن وما فيه من برهان ودلالة** اي دليل قاطع على نبوته بفتح الدال وكسرها مصدر ويستعمل بمعنى الدليل

فصل اعلم

امر بالعلم اهتماما بما بعده والخطاب عام لكل من وقف على كتابه او لمن ساله تاليفه كما تقدم **ان الله جل اسمه** اي عظم وعظمت اسماؤه وجلاله اسمه تدل على جلالته بالطريق الاولى **قادر على خلق المعرفة** وهي العلم بالجزئيات وتكون بمعنى مطلق العلم ايضا **والعلم بذاته** علما يقينيا وان لم يكن بالكنه والحقيقة واسمائه وصفاته الذاتية وغيرها وجميع تكليفاته التي الزمهم بها من الامور الشرعية والعبادات **ابتداء** ففسره بقوله **ودون واسطة**

لي

مه

يتوسط بينه وبينهم في اعلامهم وتعليمهم ماذكر كما حكي عن سنته اي عادته وطريقته
في بعض الانبيا اذ عرفهم بعض الامور السابقة بدون واسطة بان اوقع ذلك في قلوبهم
وكشفه لهم او الهمهم او اراهم ذلك في منامهم الصادقة وهذا مما شاع وملا الاسماع وكون كل
علم منقسم الى نظري وضروري المراد به غير علوم الانبيا كما صرحوا به في الكشاف جرت العادة
بان كل علم نظري كسبي ثم في قدرة الله تع احداث علم واحداث القدرة عليه من غير تقدم نظر فقال
بعضهم كعلوم الانبيا التي ليست ضرورية ولا نظرية فيخلق فيهم العلم لا بتقدم نظر لئلا
لئلا يكونوا زمان النظر شاكين وذلك لا يصح عليهم في التوحيد ولو كان ضروريا لم يكن عليه اجر
فجمع بين كونه مقدورا لنا لو الاجر وعدم تقدم النظر لينتفي الريب وهذا هو الذي ارتضاه المحققون
فما نقل عن بعض مشايخ الصوفية ان علوم الانبيا جميعها ضرورية غير مسلم وذكره بعض اهل
التفسير في قوله وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا بنا على ان الوحي يشمل الالهام ونحوه
وليس المراد به ما كان بواسطة الملك فقط وجايز ان يوصل الله معطوف على قوله اولا قادر اليهم
جميع ذلك المذكور من العلوم السابقة بواسطة تبلغهم صفة واسطة بالفوقية او التحتية
اي يوصله بكلام ينزل عليه وتكون تلك الواسطة اما من غير البشر كالملايكة مع الانبيا
سوا راوهم متمثلين بصورة غير صورتهم او على صورتهم الاصلية كما وقع لنبينا صلى الله عليه
وسلم اولم يروهم كما كان ياتيه الوحي احيانا كصلصلة الجرس وليس روية الملك مخصوص بالانبيا
بل قد يراه غيرهم من خلص عباده كرمهم او من جنسهم كالانبيا مع الامم الذين يبلغوهم عن الله ما امرهم
بتبليغه ولا مانع لهذا المذكور بقسميه من دليل العقل اي من دليل هو العقل فالاضافة بيانية
او هي حقيقية يعني انه غير مستحيل خلافا للبراهمة الذين جعلوه مستحيلا لا لزانه فجعلوا ارسال
الرسل كفرا وضلالا عما نطقت به الكتب الالهية ودلت عليه الادلة العقلية كما بين في الكتب الكلامية
كما اشار اليه بقوله واذا جاز هذا ولم يستحل اي عقلا لا عقلا وجاءت الرسل بما دل على صدقهم
من معجزاتهم الظاهرة المحققة وجب تصديقهم في جميع ما اتوا به عن الله وبلغوه لامتهم
لان المعجز مع التحدي اي اظهار النبي معجزة له وطلبه ممن انكر نبوته الاتيان بما يماثلها لان معنى
التحدي هو الطلب المذكور لانه ماخوذ من حدي الابل اذا تغنى لها لينشطها ومن دابهم فيه ان
يتقابل شخصان يتناوبان ذلك فهو من النبي قايم مقام الله الذي امده على ذلك وامره به
صدق عبدي ورسولي فيما ادعاه لما تقدم من البرهان الذي لا يقدر عليه احد من جنسه
فاطيعوه واتبعوه في كل ما يامركم به لانه من عند الله وشاهد على صدقه في كل ما قاله وهو
معطوف على قوله قايم خبران وقد تقدم الكلام على دلالة المعجزة وانها سمعية او وضعية او
عقلية والفرق بينها وبين الكرامة والسحر وهذا الكلام كاف فيما قصدناه والتطويل فيه
خارج عن الغرض الذي صنف الكتاب لاجله فمن اراد تتمته اي الوقوف عليه وجدهم
مستوفي خبر من او حال اي يقف عليه بتمامه وتفصيله في مصنفات ايمتنا وعلماينا وفي
نسخة في كتب ايمتنا والنبوة في لغة من همز اشارة الى ان فيه لغتين الهمز وتركه الا ان الهمز
هو الاصل كما ذهب اليه كثير من اللغويين والنحاة وان كان تركه هو الاكثر ولذا قيل انه لغة
رسول الله وانه انكر على من قال له يا نبيء الله بالهمز ماخوذ من النبا وهو الخبر لانه انبا به
واخبار عن الله وقال الراغب النبا خبر ذو فايدة عظيمة يحصل به علم او غلبة ظن فلا يقال
له نبا حتى يتضمن هذه الاشيا الثلاثة ويكون صادقا فالخبر اعم منه وقد لا تهمز بالتاء الفوقية

والبنا للمجهول اي النبوة ويجوز قراته بالمثناة التحتية باعتبار اللفظ على هذا التاويل
اي تفسيره بالنبا تسهيلا اي تبدل همزته واوا تخفيفا لكثرة الاستعمال فتبدل من جنس الحركة
التي قبلها وهي الضمة والتسهيل عند القرا بمعنى جعل الهمزة بينها وبين الها وليس بمراد هنا
والمعنى اي معنى النبي المفهوم من الكلام على هذا القول ان الله اطلعه على غيبه اي
اعلمه واخبره بمغيباته واعلمه انه نبيه الموحي اليه فيكون نبيا منبيا بصيغة المفعول
مشدد اليا ويجوز تخفيفها اي يكون من اطلعه واعلمه نبيا بمعنى منبيا فهو فعيل بمعنى مفعول
او يكون معناه مخبرا بكسر البا اسم فاعل عما بعثه الله به ومنبيا اسم فاعل بتشديد اليا وتخفيفها
عما اطلعه الله عليه من علمه ومغيباته فهو فعيل بمعنى فاعل على هذا ويكون عند من لم يهمزه
اي يقول بان اصله الهمز من النبا ماخوذا من النبوة مصدر بزنة سلوه في الاصل نقل وشاع
بمعنى المرتفع وهو ذكره باعتبار اللفظ او نظرا للخبر اي ما ارتفع من الارض فهو كالربوة
لفظا ومعنى ثم بين المراد منه بقوله ان له عند الله وفي الواقع عند الله رتبة شريفة
ومكانة نبيهة اي عالية مشهورة والنبيه ضد الخامل لتميزه من نومة الخمول
والمكانة كالرتبة تختص بالمنازل المعنوية فجعل علوه معنى لظهوره كعلوه حسا عند من
ويريد الذي يتولى اموره منيعة عالية لا يصطعد لها سواه وهو على هذا ايضا فعيل بمعنى
مفعول لانه مرفوع على غيره او بمعنى فاعل لانه مرتفع لما له من رفيع الدرجات فالوصفان
اي وصفه بالنبي بمعنى المخبر او بمعنى المرتفع موتلفان اي متوافقان بحسب المعنى لان
من بعثه الله واطلعه على ما لا يطلع عليه غيره له منزلة عالية ومن له مقام عال يطلع على
ذلك او المراد بالوصفين فعيل بمعنى فاعل او مفعول والذي ارتضاه سيبويه انه مهموز
كالذرية والبرية الزم تخفيفه في الاكثر وكلاهما لغة والخلاف انما هو في ايهما اصل ولذا قدم
المصنف المهموز واما الرسول فهو المرسل اسم مفعول من ارسله اذا بعثه لامر وتبليغ رسالة
ولم يات فعول بفتح اوله اسم مفعول من الافعال بمعنى مفعل بضم الميم وفتح العين المهملة
في اللغة اي لغة العرب وكلامهم ويجوز ان يراد به علم اللغة وكتبها الا نادرا اي الا في
الفاظ قليلة قال السمين في الدر المصون فعيل بمعنى مفعول قليل جا منه ركوب وحلوب
بمعنى المركوب والمحلوب والرسول بمعنى المرسل انتهى وكلام المصنف يقتضي ان النادر فعول بمعنى
مفعول من المزيد وكلام المعرب انه قليل بمعنى المفعول مطلقا وان الغالب فيه معنى الفاعل
كضيف وشكور الا انه ان قيل ان الرسول في الاصل مصدر بمعنى الرسالة لم يكن مما نحن فيه بل
مجاز للمبالغة كالدرهم ضرب الامير اي مضروبه لم يكن مما نحن فيه وقد ورد في قول بهذا المعنى
وهو قوله لقد كذب الواشون ما بحت عندهم بسر ولا ارسلتهم برسول
اي برسالة فما قيل ان فيه شيا ليس بشي وارساله امر الله له بالابلاغ الى من ارسل اليه
اي بتبليغهم شريعته ودينه بنفسه او بواسطة واشتقاقه من الارسال بمعنى التتابع
اي التوالي والتكرار لتبليغه فالمناسبة بينهما ظاهرة ومنه قولهم جا الناس ارسالا
بفتح الهمزة جمع رسل بفتحتين اي فرقة بعد فرقة متتابعين يتبع بعضهم بعضا كما بينه بقوله
اذا تبع بعضهم بعضا كما ورد في الحديث انهم صلوا عليه ارسالا يتبع بعضهم بعضا ثم بين
وجه اشتقاقه بقوله فكانه صلى الله عليه وسلم الزم تكرير التبليغ مرة بعد اخرى الى
امته والزمت الامة اتباعه فرقة بعد فرقة وامة بعد امة لعموم رسالته فالتكرار

ابن اقبرس

والتابع اما في نفس تبليغه او باعتبار اتباعه وامته ولو عطفه بالو كان احسن فما
قيل من ان في كلامه بحثا لانه ماخوذ من جهة المعنى والاشتقاق من الالفاظ وان قولهم جا
الناس ارسالا ليس مصدر رسالة لاختلاف المعنى كلام ناش عن عدم فهم كلام المصنف وفيه
خلط وخبط لا يخفى على من له بصيرة واختلف العلما في جواب قولهم هل النبي والرسول
بمعنى واحد فهما مترادفان او بمعنيين فهما متغايران غير مترادفين وفي نسخة ام بمعنيين
ولذا قيل او احسن هنا وفيه كلام في المعنى وشروحه ليس هذا محله فقيل هما سواء اي متساويان
او مترادفان لان الاول التساوي في الماصدق دون المفهوم كالانسان والناطق والثاني
التساوي فيهما فمقاربة شاملة لهما الا ان ما بعده اقرب الى الاول فمعناهما كل من اوحي اليه
بشرع واصله من الانبا وهو الاعلام والارسال فيه اعلام ايضا لانه انما يرسل لذلك فهما متساويان
وان اختلف مفهومهما وترك بيانه للعلم به مما قبله فلا يرد عليه ان الاعلام اعم لانه قد يعلمهم
بما لم يرسل به من نبوته وكذا قوله ان الاية لا تدل على ما ذكر فانه من تلقي الركبان واستدلوا على
تساويهما بقوله وما ارسلنا قبلك من رسول ولا نبي لانه علق فعل الارسال فاذا ارسل
النبي لزم ان يكون الرسول نبيا والنبي رسولا واليه اشار بقوله فقد اثبت لهما معا الارسال
قال المستدل ولا يكون النبي الا رسولا ولا الرسول الا نبيا وقيل عليه ان الاية انما تدل على
ان النبي اعم من الرسول فانه ترقى من ذكر الاخص الى ذكر الاعم والحديث الناطق بزيادة عدد
الانبيا على عدد الرسل ياباه واعادة النفي تقتضي المغايرة فما ذكر ممنوع وقيل مفترقان
من وجه فبينهما عموم وخصوص وجهي فكل رسول نبي وليس كل نبي رسول فما له الى موجبة كلية
وسالبة جزئية كما سياتي بيانه والمشهور انه على هذا من اوحي اليه بامر الهي امر بتبليغه ام لا
والرسول من اوحي اليه بذلك وامر بالتبليغ وقيل انه من كانت له شريعة ناسخة لغيرها وقيل
من انزل عليه كتاب والى هذا اشار اليه بقوله اذ قد اجتمعا اي النبوة والرسالة في النبوة
التي هي الاطلاع بتشديد الطا وسكونها وتخفيفها على الغيب اراد به ما لم يعلمه من اوامر
الله وتشريفه له بما يختص به او به وبغيره والاعلام من الله بخواص النبوة اي بما يختص
بالنبوة الشاملة للرسالة كالعصمة والوحي بواسطة الملك او بدونها كما وقع لموسى اذ كلمه قبل
ارساله او الرفعة بمعرفة ذلك المذكور من الاطلاع والاعلام وفي نسخة لمعرفة باللام
بدل البا السببية وحوز درجتها اي درجة النبوة العلية والحوز بحا مهملة مفتوحة وواو
ساكنة وزاي معجمة وهي حيازتها وتحصيلها وقوله الاطلاع والاعلام اشارة الى انها من
النبا المهموز وما بعده الى انه من النبوة الواوي وهي الرفعة كما تقدم ولا تكلف في شي من
كلامه كما توهم وافترقا اي النبوة والرسالة في زيادة الرسالة اي الامر بالتبليغ المعتبر
في الرسول دون النبي وهو اي الرسالة وذكره مراعاة للخبر وهو الامر بالانذار
والاعلام بما امر بتبليغه وهذا القدر المخصوص هو الذي حصل به الافتراق فيما صدق عليه
النبي فلا مخالفة بينه وبين ما قاله المحققون كما قيل لانهم اعتبروا ذلك فيما صدقا عليه
لا في المفهوم وهذا كلام ناش من قلة التدبر كما قلنا اشارة الى ما قرروا ولا وحجتهم اي دليل
القايلين بان بينهما عموم وخصوص من وجه وليسا مترادفين ماخوذ من الاية نفسها التي
استدل من ذهب الى القول الاول فهي عليهم لا لهم لاجل التفريق بين الاسمين يعني النبي والرسول
فان العطف واعادة النفي يدل على تغايرهما ولو كانا شيا واحدا لما حسن تكرارهما في الكلام

ابن اقبرس

معجب

البليغ

البليغ وليس المقام مقام اطناب ولا تاكيد اذ لو كان كذلك حسن التكرار كقوله كلا سوف
تعلمون ثم كلا سوف تعلمون ونحوه فالواو والمعنى اي معنى الاية على هذا وما ارسلنا قبلك
اي اوحينا واعلمنا من رسول الى امة امر بتبليغهم ما ارسل به وفي بعض النسخ من نبي والاولى
اوفق بالنظم واظهر او نبي ليس بمرسل الى احد فافترقا على هذا التفسير افتراقا ظاهرا وفي
كلامه نوع خفا اراد بعضهم ان يصلحه فافسده وفي الاية ترق لانه في النفي بذكر العام
بعد الخاص وفي الاثبات يوتى به على العكس كما تقول ما في الدار انسان ولا حيوان ولو عكست
كان ذكر الانسان بعده لغوا فان قلت الذي استدل به اولا تعلق ارسلنا بهما فانه يقتضي
ان النبي مرسل ايضا وما ذكره المصنف لا يدفعه قلت وجه دفعه بما ذكره انه لما اقتضى هذا
العطف التغاير لزم تاويل ارسلنا بمعنى يشملهما اي ما ارسلنا ملايكتنا بوحينا لاحد من
نبي ورسول لان ارسل متعد بنفسه او هو من قبيل   وزججنا الحواجب والعيونا
ومن زايدة بعد النفي اي ما ارسلنا ولا انبانا نبيا تامل وقد ذهب بعضهم مجاز من الذهاب
وهو الخروج من مكان الى اخر وقال في الاساس ذهب فلان الى قول ابي حنيفة اذا اخذ به
ولا تخذ من هنا الى ان الرسول من جاء بشرع مبتدا ولم يكن مقررا لشرع غيره فشرعه لم يسبق
اليه ومبتدا بفتح الدال صفة شرع ويجوز كسرها على انه حال من ضمير جا والاول اولى
ومن لم يات به اي بشرع مبتدا لم يسبق اليه نبي غير رسول وان امر بالابلاغ والانذار
فبينهما عموم من وجه اخر والصحيح الذي عليه الجما الغفير بمد الجما وفي نسخة الجم
والمعنى واحد اي الجماعة الكثيرة والجم بفتح الجيم وتشديد الميم والغفير بغين معجمة وفا وفي الصحاح
الجما الغفير جماعة الناس يقال جاوا جما غفيرا بمد وبقصر والجما الغفير بالمد وجم الغفير والجم
الغفير اي جميعا وال زايدة والغفير صفة لازمة للجما لا يفرد بدونه من الغفر وهو الستر كانهم
لكثرتهم ستروا وجه الارض ومعناه جاوا جميعهم بجملتهم شريفهم ووضيعهم وهو اسم ينصب
كالمصدر كجاوا جميعا وقاطبة والجم الكثير ونصبه لانه اسم وضع موضع المصدر وقيل انه مصدر
ولا يلزم نصبه عند الكسايي وعليه يتمشى كلام المصنف لا على من الزمه النصب وليس المراد الجميع
على الاكثر حتى يستشكل ويجاب بانه لم يعتد بغيرهم وصيرهم كالعدم ان كل رسول نبي وليس كل
نبي رسولا وهو صادق بالقولين الاخيرين فبينهما عموم وجهي لانه يشترط في الرسول دون النبي
ان يومر بالتبليغ او ان يكون له شرع جديد او انزل عليه كتاب والاول هو المشهور ولذا قال المحدثون
اذا ورد في الحديث ذكر احدهما او قال قال رسول الله او نبيه لا يجوز ان يبدل له من بروايته وقيل
انه لا يلزم ولكنه اولى وهذا في غير الاذكار فانها توقيفية وورد في حديث انه قال في بعض
الادعية امنت بكتابك الذي انزلت ورسولك الذي ارسلت فقال قل ونبيك الذي ارسلت
كما في شرح مسلم وفيه بحث وقيل الرسول اعم لشموله رسل الملايكة كجبريل لكن الكلام انما هو في
رسل البشر وقال صاحب القاموس في كتاب الصلات والبشر ان النبي من اوحي اليه بامر يختص
به في نفسه حتى لا يجوز لغيره ان يتبعه فان امر بتبليغ ما امر به لامة مخصوصة او لجميع الناس
فهو رسول فان لم يكن له حكم مختص به فهو رسول لا نبي وان كان مع التبليغ له ما يختص به كنبينا
صلى الله عليه وسلم فهو نبي ورسول فعلى هذا بينهما عموم وخصوص مطلق وليس كل رسول نبي وقال
انه الحق الذي لا شك فيه وهو مخالف لكلام المصنف واعلم ان النبي ان كان من النبا فهو مهموز
وان كان من النبوة فغير مهموز وكلاهما جايز وبهما قري في السبعة واما قوله صلى الله عليه وسلم

نقال

لاعرابي قال له يا نبيء الله لست بنبيء الله ولكني نبي الله لانه في لغتهم نبأ بمعنى خرج من ارضه
وطرد فلما مع ذلك منعه وورد ايضا لا تنبزوا باسمي فانما انا نبي الله ومعنى لا تنبزوا لا
تهمزوا وليس في هذا ما يقتضي منعه على الاطلاق كما قاله ابن سيده **واول الرسل آدم واخرهم**
محمد صلى الله عليه وسلم ولا ينافي هذا ما في البخاري في حديث الشفاعة من انهم يقولون لنوح انت
اول الرسل الى اهل الارض لانهم لم يقولوا انه اول الرسل مطلقا بل اول الرسل الى اهل الارض في عصره
ولذا قال لا تذر على الارض من الكافرين ديارا وادم انما ارسل الى بنيه وهم مؤمنون به وادريس
وشيث لم تعم رسالتهم وهذا لا ينافي اختصاص نبينا صلى الله عليه وسلم بعموم الرسالة الى اخر الزمان
فلم يختص بعصر ولا قوم وعمت الانس والجن والملك كما تقدم **وفي حديث ابي ذر** الذي رواه احمد
في مسنده وابن حبان والحاكم في مستدركه **عنه** صلى الله عليه وسلم **ان الانبياء مائة الف**
واربعة وعشرون الف نبي وقد قال الحاكم في مستدركه انه طعن في بعض رواته وقيل انه منكر
وقال القرطبي انه اصح حديث ورد في عدد الانبياء والرسل وقيل ان اصحابه صلى الله عليه وسلم
كانوا بهذه العدة ايضا عند وفاته وعن كعب الاحبار انهم الفي الف ومائتي الف وعن مقاتل انهم الف
الف واربعمائة الف واربعة وعشرون الفا وقد عرفت ان الاول اصح ما في الباب **وذكر ان**
الرسل منهم اي من الانبياء **ثلثمائة وثلاثة عشر اولهم آدم** وقيل اربعة عشر كعدد اصحاب طالوت
والحديث طويل اورده الحاكم في مستدركه ونقل البرهان ما في بعض رواته من الكلام وطويناه
لانه لا ثمرة له هنا **فقد بان لك معنى النبوة والرسالة** على الاقوال الثلاثة من الترادف
والعموم والخصوص من وجه او مطلقا كما فصلناه **وليستا** اي النبوة والرسالة **ذاتا للنبي**
عند المحققين اي ليستا امورا ذاتية في الرسول جبلة طبعه الله عليها كالعقل وغيره من الغرائز
وليست مكتسبة برياضة وتصفية باطن كما ذهب اليه الحكماء وانما هي امر طارئ عليه بارادة الله
وفضله والله اعلم حيث يجعل رسالاته **ولا صفة ذات** اي ليست صفة قائمة بذاته موجودة
فيه قبل الوحي اليه فضولا قالوا انهما امران غير الوحي والامر الله له بتبليغ شريعته فصاحبهما
متصف بهما وان لم يوح اليه اقول ان اراد هؤلاء ان الله خلق له نفسا قدسية زكية واودع فيها
قوى تستعد بها لتلقي الوحي والعلم بربه وان سمي النبوة هذا واذا اطلقوها على ما يترتب عليها
وانه ركب فيه نورا كان يشاهد في ابائه وينتقل في اصلابهم وذلك من نعم الله ايضا كما يجادونا
ابتداء فالامر فيه سهل والا فهو لغو من القول **خلافا للكرامية** بتشديد الراء وتخفيفها على القولين
وفتح الكاف وكسرها على التخفيف قال في المغرب اخبرني صديق يعني الثقة بن حوله ان عبد العزيز
العوجي ذكر في تاريخه هذا الرجل وهو محمد بن كرام الذي نسب اليه الكرامية فقال كرام بوزن
حرام وقطام وقيل انه كرام على لفظ جمع كريم وهو الجاري على السنة اهل سجستان وهي بلدته
كما قال فيه البستي

ان الذين بجهلهم لم يقتدوا • بمحمد بن كرام غير كرام •
الفقه فقه ابي حنيفة وحده • والدين دين محمد بن كرام •

وهو منسوب لمحمد بن كرام بفتح الكاف وتشديد الراء كما قاله السمعاني قال لان والده كان يحفظ [illegible]
يعمل فيه وكذا صححه في الميزان وقال ابن الصلاح انه لا معدل عنه وكذا صححه ابن ماكولا والذهبي
وانكره ابن الهيصم وهو من اهل مذهبه او عنى انه ادرى كأمر عن البستي وانما تخفف الراء مع فتح
الكاف بمعنى كريم او كرام او كسرها على لفظ الجمع وكان صاحب مذهب في العقائد وغيرها وله
رواية في الحديث وكان يجوز الكذب عن النبي صلى الله عليه وسلم في الترغيب والترهيب لانه له

لاعليه

لا عليه فعليه ما عليه ومات بالقدس في صفر سنة خمس وخمسين ومائتين **في تطويل المصر**
في بيان مقالتهم وتأبيدها **وتهويل** اي تخويف وتقريع لمن عدل عن مذهبهم في هذا **ليس عليه**
تعويل اي هو مع ذلك ساقط ضعيف لا يعتمد عليه ولا يلتفت اليه ويجوز ان يريد بالتهويل
تزيين الباطل وزخرفته ففي القاموس التهويل الالوان المختلفة وزينة النصارى وهذا اقرب
لتسمية المصنف **واما الوحي فاصله** اي معناه الحقيقي الذي وضع له اولا **الاسراع** وفي الحديث
اذا اردت امرا فتدبر عاقبته فان كان شرا فانته وان كان خيرا فتوجه • اي اسرع فيه والها للسكت
وقال الاعشى

صبها الساقي اذا قيل توح • مثل ريح المسك ذاك ريحها •

ويقال اوحي بمعنى اوحى او تكلم بكلام خفي **فلما كان النبي يتلقى ما ياتيه من ربه بعجل سمي**
اي ما ياتيه من ربه **وحيا** اي يتلقى بسرعة فاطلق عليه المصدر مبالغة ثم صار حقيقة في كل
ما يوحى اليه **وسميت انواع الالهامات وحيا** كقوله تع واوحى ربك الى النحل **تشبيها بالوحي**
الالهي في سرعة وقوعها في القلب فهو استعارة تحقيقية والالهام القاء امر في الروع باعث
على الفعل والترك **وسمي الخط وحيا** على الاستعارة التحقيقية ايضا او المجاز المرسل **لسرعة يد**
كاتبه هو وجه الشبه بينهما **ووحي الحاجب واللحظ** هو في الاصل مؤخر العين ثم اطلق على النظر
فيقال لحظه بعينه وهو هنا مستعار **لسرعة اشارتهما** اي حركتهما بسرعة للاشارة بهما
ومنه اي من اطلاق الوحي على الاشارة **قوله تعالى فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا اي**
اوما بهمزة في اخره وقد استعمل منقوصا ايضا بالالف كاوحى لفظا ومعنى **ورمز** بتخفيف الميم
اي اشار بالعين او الشفة **وقيل** معناه هنا **كتب** لان الوحي يكون بمعنى الكتابة كما تقدم **ومنه قو**
اي قول العرب **الوحا الوحا** بفتح الواو والمد والقصر ويقال الوحاك بكاف الخطاب ايضا كما
في الاساس وهو منصوب بفعل مقدر للاغراء **اي السرعة** والعجلة **وقيل اصل الوحي لغة السر**
والاخفا ومنه اي من كونه بمعنى الاخفا **سمي الالهام وحيا** لخفائه وهو اظهر مما تقدم من
ان معناه السرعة **ومنه** اي من هذا القبيل **قوله تعالى وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم**
اي من تولوهم ويصادقوهم من المشركين **اي يوسوسون في صدورهم** اي يلقون في قلوبهم
والمراد بالشياطين مردة الجن والمراد باوليائهم كفرة قريش او مردة الانس من مجوس وفارس
والوسوسة كالالهام الالقا في القلب الا ان الاول يختص بالخير وهذا بغيره ولذا اتبعه بقوله
ومنه قوله تعالى واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه **اي القي** ببنا المجهول **في قلبها** مناما او
الهاما وقيل انه وحي حقيقي كالوحي للانبيا وبذلك قيل ذلك التفسير السابق **في قوله تعالى وما**
كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا اي ما يلقيه في قلبه دون واسطة والذي رجحوه في هذه
الاية ان المراد بالوحي في الاية المشافهة بكلام الله تع لنبينا صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج
وكلامه لموسى وحديث ابي ذر هو هذا قال دخلت المسجد فاذا رسول الله جالس فجلست اليه فقلت
بابي انت وامي امرتني بالصلاة فاي الصلاة قال خير موضوع استكثر منه او استقل قال فقلت
فاي الاعمال افضل قال ايمان بالله وجهاد في سبيل الله فقلت اي المؤمنين اكمل ايمانا قال احسنهم
خلقا فقلت اي المسلمين اسلم قال من سلم المسلمون من يده ولسانه فقلت اي الهجرة افضل قال هجر
السيئات فقلت اي الصلاة افضل قال طول القنوت قلت اي الليل افضل قال جوف الليل الغابر
قلت فاي الصيام افضل قال فرض مجزئ عند الله وعند الله اضعاف كثيرة قلت اي الصدقة افضل
قال جهد من مقل يسر الى فقير قلت فاي الرقاب افضل قال اعلاها ثمنا وانفسها عند اهلها قلت

لهم

فاي الجهاد افضل قال من هرق دمه وعقر جواده قلت فاي شي اعظم مما انزل الله قال اية
الكرسي يا اباذر ما السموات السبع والارضون السبع في الكرسي الا كحلقة ملقاة في فلاة من الارض
وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على الحلقة قلت بابي انت وامي يا رسول الله فكم الانبيا
قال مائة الف واربعة وعشرون الفا قلت فكم الرسل من ذلك قال ثلثمائة وثلاثة عشر جم غفير
قلت فمن كان اولهم قال آدم قلت بني مرسل قال نعم خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه ثم سواه
يا اباذر اربعة سريانيون آدم وشيث وخنوخ وهو ادريس وهو اول من خط بالقلم ونوح واربعة
من العرب هود وصالح وشعيب ونبيك يعني نفسه وابراهيم وسائرهم من بني اسرائيل فاول الانبيا
آدم وآخرهم انا واول بني اسرائيل موسى وآخرهم عيسى قلت فكم كتابا انزله الله قال مائة كتاب
واربعة كتب انزل على شيث بن آدم خمسين صحيفة وانزل على خنوخ ثلاثين صحيفة وانزل على
ابراهيم عشر صحائف وروي عشرون وانزل على موسى قبل التورية عشر صحائف وانزل التورية والانجيل
والزبور والفرقان قلت فما كان في صحف ابراهيم قال كانت امثالا كلها منها يا ايها الملك المغرور
المسلط اني لم ابعثك لتجمع الدنيا بعضها الى بعض ولكن لترد عني دعوة المظلوم فاني لا اردها
وفيها على العاقل ما لم يكن مغلوبا على عقله ان لا يكون ظاعنا الا في ثلاث تزود لمعاد وحرفة لمعاش
ولذة في غير محرم

فصل

اعلم ان معنى تسميتنا ما جاءت به الانبيا معجزة هو ان الخلق عجزوا عن الاتيان بمثلها العجز
عند العرب ان لا يقدر على ما يريده يقال عجز بفتح الجيم يعجز بكسرها ويقال ايضا بكسر الجيم في
الماضي وفتحها في المضارع كما حكاه الاصمعي وغيره ويقال اعجزه كذا اذا فاته وقيل المعجز في
الحقيقة هو الله خالق العجز فيمن تحدى فلم يقدر على المثل فان خرجت عن مقدورهم لا يتصور
فيهم العجز لعدم قدرتهم وما لم عليه قدرة لا يتصور عجزهم عنه ايضا فان العجز يضاد المعجوز
عنه فلو عجزوا وجدت المعارضة منهم ولم توجد فالمعنى مجاز امتناع المعارضة وانتفاء القدرة
وتحقيقه ان الاعجاز اثبات عجز المرسل اليهم فاستعير لاظهار العجز واسند لسببه الذي هو
اظهار الخوارق وجعله اسما له فالتا للنقل من الوصفية الى الاسمية او للمبالغة كما علامة وفيه
بحث لا يخفى **وهي** اي المعجزة **على ضربين** اي هي اسم شامل لنوعين مقدور وغير مقدور **وضرب
هو من نوع قدرة البشر** اي مقدور الذي يمكنهم الاتيان بما يماثله من نوعه **فعجزوا عنه**
الفا فصيحة اي فطلب منهم فعجزوا عنه **فتعجيزهم عنه** اي جعلهم عاجزين والمصدر مضاف
لمفعوله اي يعجز الله اياهم **فعل الله دل على صدق نبيه** اي خلق العجز فيهم ومنعهم عما من شانهم القدرة
عليه في قوة قول الله صدق عبدي فيما ادعاه والعادة جارية بان يعقبه علم ضروري
بصدقه **كصرفهم عن تمني الموت** اي منع اليهود عن تمني الموت لما قالوا نحن ابناء الله واحباؤه
وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا فكذبهم الله والزمهم بقوله قل ان كانت لكم الدار الآخرة
عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين اي قل لهم يا محمد اذا كنتم احباب
الله والجنة مختصة بكم فاطلبوا الموت فان من احب الله احب لقاءه ومن كانت دار الخلد يبادر
لدخولها فلم يتمنه احد منهم ولو بلسانه لصرف الله لهم عن ذلك ولذا ورد لو تمنوه لم يبق على
وجه الارض يهودي وهذا اعظم حجة على صدقه صلى الله عليه وسلم كما قاله المفسرون وهذا وان كان
تركا وعدما متضمن لمعنى وجودي وهو السكوت والخوف ونحوه فسقط ما قيل ان المعجزة فعل خارق

ابن فيرس

وليس هذا من قبيل الافعال **وتعجيزهم عن الاتيان بمثل القرآن على راي بعضهم** القائل
بان اعجازه **بالصرفة** اي بصرف العرب الفصحاء عن معارضته مع تحديه لهم وتقريعهم بذلك
على رؤوس الاشهاد حتى عدلوا عن مجادلة اللسان الى السيوف كما هو مشهور معروف وهذا مذهب النظام
وبعض المعتزلة والشيعة فقيل صرفهم بان لم يكن دواعي وبواعث لذلك وقيل سلبهم المعارف
المركوزة في طباعهم من معرفة فنون البلاغة واساليبها على القولين المشهورين في الصرفة
والذي عليه الجمهور المحققون ان اعجازه انما هو بما تضمنه من الفصاحة والبلاغة وغرابة الاسا
وبلاغة التراكيب وجزالتها وانواع البديع ومطابقة المقامات وبدائع الفواتح والمقاطع
وروائع الاستعارات الى غير ذلك مما خرج عن طريق البشر وبلغ الى ذروة لا يصل اليها خطر
والانكار رغم حلاوته وطلاوته ويقين السامع الى غير ذلك مما قرروه وقيل اعجازه بما فيه من المغيبات
وقيل بجميع ذلك والاقوال المعروفة مقررة في الاصول والمعاني وغيرها من كتب السلف
ونحوه مما نوعه مقدور لهم **وضرب** من المعجزة **هو خارج** عن قدرتهم اذ تحداهم به **فلم يقدروا
على الاتيان بمثله كاحياء الموتى** الذي وقع لابراهيم ولعيسى فما قيل انما كان من عادة
عيسى معجزة له انما كان من الله لا منه لنسبته ذلك واحيي الموتى باذن الله وتخرج الموتى باذني لا وجه
له وهذا ايضا مما وقع لنبينا صلى الله عليه وسلم فيما وقع لابويه على الصحيح **وقلب العصا
حية** لتسعى معجزة لموسى صلى الله عليه وعلى نبينا وسلم وسياتي انه ما من معجزة لنبي من الانبيا
الا ولنبينا صلى الله عليه وسلم مثلها وزيادة **واخراج ناقة من صخرة** بلا واسطة واسباب معتادة
معجزة لصالح لما اقترح عليه جندع بن عمرو سيد قومه ان يخرج لهم من صخرة اسمها كاتبة ناقة عشرا
فصلى ودعا ربه فتمخضت تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء وهم ينظرون ثم نتجت
مثلها في العظم فآمن جندع في جمع من قومهم وتمادى غيرهم في الكفر حتى عقروا الناقة فاخذتهم
الرجفة **وكلام الشجرة** وفي نسخة الشجر وهذا مما وقع لنبينا ومثله حنين الجذع المشهور **ونبع الماء
من الاصابع** من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم وهذا مما وقع له صلى الله عليه وسلم كما سياتي ولله
در الابوصيري في قوله في قصيدته عارضة بانت سعاد هو

ومنبع الماء عذبا من اصابعه • وذاك صنع به فنا جرى النيل

وانشقاق القمر معجزة له صلى الله عليه وسلم حتى صار فلقتين يشاهده الناس وبه فسر قوله
تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر ولعل النوبة تقتضي تفصيله وهذا النوع كله وامثاله **مما لا يمكن
ان يفعله احد الا الله** عز وجل **فيكون اجراء ذلك على يد النبي** اي وقوعه من نبي من انبيائه
بحسب الظاهر فعله وهو في الحقيقة **من فعل الله تعالى الذي** اظهره على يد بقدرته **وتحديه**
بتشديد الدال مصدر مضاف للفاعل وهو ضمير النبي ويجوز عوده على الله لامره به وهو طلب
المعارضة والاتيان بمثله كما تقدم وهو مبتدا وقوله **من يكذبه** مفعوله وقوله **ان ياتي بمثله**
بتقدير الجار اي لان ياتي بمثله او بدل من تحديه او خبر وقوله **تعجيز له** خبر بعد خبر اي يظهر عجزه
عن ذلك **واعلم ان المعجزات التي ظهرت على يد نبينا** وصدرت منه **ودلائل نبوته وبراهين
صدقه** عطف تفسير له كانشقاق القمر ونحوه مما تقدم وسياتي مما لا يحصى **من هذين النوعين**
خبران اي بعضها مقدور وبعضها غير مقدور كالقرآن ونحوه **وهو** اي نبينا صلى الله عليه وسلم
اكثر الانبيا معجزة منصوب على التمييز اي معجزاته اكثر من معجزات سائر الانبيا **وابهرهم آية** تمييز
والآية المعجزة لانها علامة للنبوة وابهر افعل تفضيل من بهر بمعنى ظهر او غلب يقال بهر القمر وقمر باهر

اذا ملأ الارض وفي قول عمر بن ابي ربيعة

ثم قالوا تحبها قلت بهرا • عدد الرمل والحصا والتراب •

وجوه ذكرها الادبا فالمعنى ان معجزاته اكثر واظهر واقوى **واظهرهم برهانا** هذا اعم مما تقدم لان البرهان وهو الدليل القاطع اعم من المعجزة ويجوز ان يريد به المعجزة ايضا كما سنبينه في آخر هذا الباب وفي قوله اكثر واظهر ما يدل على ان سائر الانبيا انت بدلايل ومعجزات وبراهين ومعجزات نبينا وبراهينه اقوى واكثر واظهر وانها تسمى بذلك كما تسمى به ايات نبينا وقد اطلق عليها اية وبرهان الا انه لم يطلق عليها في القرآن معجزة قبل ولا في السنة والمعجزة مخصوصة بالانبيا وخوارق الاوليا تسمى كرامة وقد يطلق عليها واطلق عليها المعجزة ايضا الامام احمد بن حنبل وابآه غيره **وهي** اي معجزاته **لا يحيط بها ضبط** اي لا يحيط بها حصر وعدد او حفظ لان الناس يطلقونه على هذا تجوزا من الضبط بمعنى الاخذ باليد والحفظ بمعنى الصيانة واما اطلاقهم الضابط على القاعدة الكلية فمولد من كلام المصنف ووجه التجوز فيه احاطته بافراده ففي كلامه استعارة مكنية وتخيلية ولم يتعرض له في الاساس ثم بين ذلك بقوله **فان واحدا منها** اي معجزة واحدة من جملة معجزاته **وهو القرآن** فانه بجملته معجزة وكذا اياته وسوره قال الامام مجد الدين في نهاية العقول التحدي وقع مرة بالقرآن كقوله على ان يأتوا بمثل هذا القرآن ومرة بعشر سور كقوله بعشر سور ومرة بسورة كقوله فأتوا بسورة من مثله ومرة باية كقوله فليأتوا بحديث مثله وذلك نهاية التحدي وهو كقول الرجل لمن يفاخره هات قوما كقومي هات كبعضهم هات كريمهم هات كواحد منهم انتهى والى هذا اشار المصنف بقوله **لا يحصى** اي لا تعد وتضبط وكانوا يعدون ما كثر بالحصى ثم استعمل في مطلق العد ولذا قال الاعشى

ولست بالاكثر منهم حصى • وانما العزة للكاثر •

عدد معجزاته اي معجزات القرآن **بالف ولا الفين** لما في كل اية من الاعجاز ولا اكثر من ذلك لما في الفاظه من البلاغة وفنونها كالتوكيد والتلميح والتشبيه والاستعارة والايجاز وحسن الفواتح والخواتم والفواصل الى غير ذلك مما لا يحصى **لانه صلى الله عليه وسلم قد تحدى** اي طلب مثلها من بلغاء قريش **بسورة منه فعجز عنها** فاعل عجز من تحداه المعلوم مما قبله او هو مبني للمجهول وهذا اولى قال اهل العلم بالقرآن وبلاغته واقصر سورة من القرآن وهو منون او هو جمع مضاف لضميره **انا اعطيناك الكوثر** سميت بجزئها هذا كما تسمى سورة الكوثر لذكره فيها لانها ثلاث ايات وسورة قل هو الله احد كذلك وسورة النصر الا ان حروف هذه اقل منهما **فكل اية** طويلة من القرآن بعدد حروفها ومقدارها **او ايات منه** اي القرآن **بعددها** بعدد الكوثر ايات وحروفا وكلمات **معجزة** للبلغاء عن معارضتها لما فيها من البلاغة وهذا بيان اقل مراتب الاعجاز فيه ومنه تعلم كثرته **ثم فيها نفسها** اي في سورة الكوثر **معجزات** كثيرة **على ما سنفصله** نبينه تفصيلا فيما انطوى اي اشتمل القرآن **عليه من المعجزات** التي لا تحصى ولا تحصر **ثم معجزاته صلى الله عليه وسلم على قسمين** اي علم واستقر انقسامها انقسام الكلي الى جزئياته فثبت استقرارها باعتبار الراكب على مركوبه لانها اما ان تعلم علما يقينيا قطعيا اولا فالاول **قسم منها علم قطعا ونقل الينا تواترا كالقرآن فلا مرية** بكسر الميم وضمها وسكون الراء المهملة ومثناة تحتية وهي الشك والتردد كما تقدم بيانه **ولا خلاف بمجي النبي به** الباء الاولى بمعنى في والثانية صلة المجرد ولا خلاف ولا مرية في ظهوره من قبله بكسر

القاف

القاف وفتح الباء الموحدة ومعناه جهته وجانبه كما سيأتي في قوله من قبل الله على ما فيه **واستدلاله** اي استدلال النبي على صدقه ونبوته **بحجته** الاضافة بيانية اي بحجة هي القرآن **وان انكر هذا** المذكور الذي لا مرية فيه **معاند جاحد** اي منكر له عنادا مع علمه به **فهو كانكاره وجود محمد في الدنيا** وهو سفسطة وانكار للمحسوسات التي لا تسمع ولا تصدر من عاقل **وانما جاء اعتراض الجاحدين** اشارة الى ان انكارهم لما علموا اخلاف في الحجة به اي الاحتجاج به وانه كلام الله كقول المشركين هذا سحر مبين واساطير الاولين وما انزل الله على بشر من شيء الى غير ذلك **فهو** اي القرآن في نفسه اي في كلامه المفرد **وجميع ما تضمنه** واشتمل عليه **من معجز** اي من كل امر معجز كالبلاغة والاخبار عن المغيبات **معلوم ضرورة** علما ضروريا لمن كان من اهل البلاغة ولذا قال الوليد بن المغيرة لما سمعه ان له حلاوة وان عليه طلاوة واسفله مغدق واعلاه مثمر وما هو من كلام البشر والفضل ما شهدت به الاعداء **ووجه اعجازه معلوم ضرورة** عند اهل اللسان لا عند كل احد لما فيه من فنون البلاغة **ونظرا** اي استدلالا لا عند غيرهم او لافتقار بعض وجوهه اليه **كما سنشرحه** ونبينه قريبا **قال بعض ائمتنا** اي علما الحديث والتفسير لا المالكية اذ لا اختصاص لما ذكر بمذهب **ويجري هذا المجرى** بفتح الميم اسم مكان او مصدر ميمي اي يقارب ما تقدم ويشبهه لان ما جرى في مجرى شيء سواه **على الجملة** اي اجمالا من غير تفصيل لوجه المشابهة وفاعل يجري **انه قد جرى على يديه** اي صدر منه **ايات وخوارق عادات** عطف تفسيري او من عطف الخاص على العام والاول اولى **ان لم يبلغ** اي يصل **واحد منها معينا** اسم مفعول حال من النكرة لوصفها ولو رفع كان اولى **القطع** فالجزم مفعول يبلغ **فيبلغه جميعها** اي مجموعها وهذا يسمى التواتر المعنوي كشجاعة علي وزهد الحسن البصري فان كل حال من احوال هؤلاء لم يبلغ مبلغ التواتر ومجموعها اجمالا يبلغ ذلك بحيث لم تبق شبهة فيه كمنن لبثه الجبابرة كما شاع من خوارق عاداته وانقياد الملوك وغير ذلك **فلا مرية في جريان معانيها على يديه** مشهورة ناطقة بتصديقه شاهدة برسالته **ولا يختلف مؤمن ولا كافر** من الامم السالفة **انه** اي بينهم **قد جرت على يديه عجائب** اي امور خارقة للعادة حيرت ابصارهم والبابهم حتى تعجب المعجب منها **وانما خلاف المعاند في كونها** اي تلك العجائب **صادرة من قبل الله** تعالى بكسر القاف وفتح الباء اي من المبدي لفياض المبدع البدائع وقد قدمنا اولا بيان كونها من قبل الله **وان ذلك بمثابة قوله** اي الله عز وجل لرسوله **صدقت** في نبوتك وما ادعيته ومعنى مثابة منزلته وفي حكمه مفعلة من ثاب اليه كذا اذا عوضه ومنه الثواب بالثاء المثلثة لجزاء الطاعة والجاحد المعاند يزعم تارة انه سحر وكهانة واذا ما سمع من كلام الشجر والحجارة كلام جن سخرها الى غير ذلك من الخرافات التي صاروا بها سخرة اذا عرفت هذا فقد علم وقوع مثل هذا الذي وقع للانبيا والامم السالفة مما علمه كل مؤمن وكافر وبر وفاجر **ايضا** كما وقع لاولئك **من نبينا** محمد صلى الله عليه وسلم **ضرورة** اي علم علما ضروريا متواترا تواترا معنويا **لاتفاق معانيها** اي لتوافقها كلها في معنى واحد **كما يعلم ضرورة جودة حاتم** الطائي وشهرته تغني عن ذكره واخباره في الجود مشهورة ايضا وكان في الجاهلية قريبا من مبعثه صلى الله عليه وسلم وادرك ابنه عدي الاسلام وصار من كبار الصحابة **وشجاعة عنترة** بالهاء ويقال له عنتر ايضا وهو عنترة ابن معاوية بن شداد العبسي وهو علم منقول من عنتر وهو

نوع من الذباب ازرق وبوبه اختلف في زيادتها وهو من فرسان العرب وفصحائها المشهورين
وحلم احنف بن قيس التميمي ادرك الاسلام واسلم وله كلمات من الحكم مشهورة في كتب وعنه
في الحلم حكايات عجيبة وكان من المخضرمين لكنه لم ير النبي صلى الله عليه وسلم وهو من كبار
التابعين والاحنف بفتح الهمزة وسكون الحاء المهملة معناه مائل الرجل ثم وضح ذلك على طريق
اللف والنشر المرتب فقال لاتفاق الاخبار الواردة اي المروية عن كل واحد منهم ثم ابدل
من قوله عن كل واحد قوله على كرم هذا يعني حاتما وشجاعة هذا يعني عنترة وحلم هذا يعني احنف
واشار بهذا لقرب ذكرهم وحضورهم في الذهن وان كان كل خبر من اخبار هؤلاء الثلاثة بنفسه
اي وحده لا يوجب العلم القطعي ولا يقطع بصحته لعدم تواتره بانفراده وانما المتواتر ما
يحصل من مجموعها كالكرم والشجاعة والحلم والحاصل ان ما جرى على يديه تواترا معنويا لا لفظيا
والمعنوي هو حصول العلم القطعي من مجموع امور جزئية واخبار واردة مستفيضة كما اذا اخبر واحد
بان حاتما اعطاه دينارا واخر بانه وهبه غنما واخر بانه كساه واخر بانه ذبح له فرسه فقد اتفقوا
كلهم على مطلق الاعطاء والتواتر الحقيقي اذ يخبر جماعة عن جماعة الى يؤمن تواطؤهم على الكذب
في خبر واحد متفق اللفظ والمعنى وكلاهما يفيد علما ضروريا عند سماعه من غير حاجة الى نظر واستدلال
بشروط مقررة في الاصول خلافا لامام الحرمين والرازي فانه عندهما يفيد علما نظريا لتوقفه على
مقدمات اخر ولا يشترط فيه عدد مخصوص ولا اسلام والقسم الثاني من المعجزات جمع معجزة
وقيل جمع معجز لانه لما لا يعقل ما لم يبلغ مبلغ الضرورة والقطع عطف تفسيري اي لم يصل
الى مرتبته وهو على نوعين نوع مشتهر منتشر اي له شهرة وشيوع بين الناس ويسميه المحدثين
مشهورا ومستفيضا رواه العدد الكثير وشاع الخبر به عند المحدثين الحفاظ الذين رووه
وهو لا يبلغ رتبة المتواتر المفيد للعلم الضروري ولا النظري وذهب بعض الاصوليين الى انه
يفيد العلم القطعي وقيل انه يفيد العلم النظري والمشهور انه يفيد الظن فلا بد ان يكون شهرته
عن اصل ورواته فان اشتهر لا عن اصل وهو المسمى بالمشهور على السنة لا يعتد به المحدثون ما لم
يعلم اصله فاذا علم ذلك تقوى بشهرته في الجملة والرواة ونقلة السير جمع ناقل بفتحتين ككاتب
وكتبة والسير جمع سيرة وهي اخبار المغازي والاخبار عطف تفسيري كنبع الماء من بين اصابعه
صلى الله عليه وسلم وتكثير الطعام الذي رواه انس وغيره كحنين الجذع وكلام الضب والذراع
الذي رواه الشيخان وغيرهما ونوع منه لم يشتهر ويستثني اختص به رواته الواحد والاثنان
ورواه العدد اليسير اي القليل ولم يشتهر اشتهار غيره كالقسم الاول والنوع الاول من القسم
الثاني ويسمى غريبا وهو لا يفيد العلم الا بقرينة كما في جمع الجوامع وقيل لا يفيده مطلقا وقال
احمد انه يفيد العلم مع عدالة رواته لوجوب العمل به ولو لم يفده لم يجب العمل به وله ادلة مذكورة مع
الجواب عنها في الاصول لكنه اذا جمع الى مثله من احاديث المعجزات اتفقا في المعنى من اصل
الاعجاز وثبوته كما اشار اليه بقوله على الاتيان اي اتيان النبي بالمعجزة كما قدمناه من جريانها
على يديه وانضمام بعضها الى بعض المقوي له قال المصنف وانا اقول صدعا بالحق تقديم المسند
لافادة التقوية ويجوز ارادة انفراده بعبارته المخصوصة ومجموع ما قاله وقوله صدعا اي صادعا
فهو حال او مفعول لاظنه او مطلق لمقدر او لاقول لانه بمعناه كقوله فاصدع بما تؤمر مستعار من صدع
الزجاج ونحوه من الاجرام الصلبة لاظهار الحق والجهر به كانه يصدع قلبه اذ يصدع شبهته ويبطلها
او من انصداع الفجر لظهوره ويقال للفجر صديع لهذا ان كثيرا من هذه الايات والمعجزات المأثورة عنه

اي المروية عن النبي صلى الله عليه وسلم معلومة بالقطع للتواتر حقيقة او معنى اما
انشقاق القمر اي اما معجزاته فانشقاق القمر له بمكة حين ساله كفار قريش غير ما جاء به اولا
فاراهم ذلك فنظروه باهرة والقرآن نص بوقوعه اي صرح به في قوله تع اقتربت الساعة
وانشق القمر وتضمينه معنى صرح عداه بالباء والا فهو متعد بعلى فقد تواتر ذلك لفظا على القراءة
المشهورة ومجيئه فيه بالتي تاويله بان معناه انه سينشق اذا قامت القيمة والتعبير عنه بالماضي
لتحقق وقوعه فهو استعارة تبعية وقرينتها اقترانه بلفظ الساعة فلا يرد عليه انه ليس بعد
قرينة تصححه كما توهم الا انه لا يرفع كونه خلاف الظاهر واخبر بوجود في هذه الاية وقراءة
انشق تؤيد التاويل فقد تعارضا ويرجح الاول انه الاصل والمتبادر منه ولا يعدل عن ظاهر
بالتنوين اي عن ظاهر القرآن الا بدليل قوي يقتضي العدول عنه وتاويله بما تقدم وقولهم انه لو
وقع شاهده الناس كلهم يرده انه آية ليلية قد تخفى على بعض الناس وجاء برفع احتماله صحيح
الاخبار اي احتمال خلاف الظاهر ورد في الاخبار الصحيحة ما يرفعه ويدفعه كما سياتي
من طرق كثيرة تؤيد حمل الاية على ظاهرها لا سيما وقد رواه في الصحيحين وقد قال خاتمة الحفاظ
ابن حجر ان ما روي في الصحيحين يفيد علما نظريا وان لم يتواتر وقد صرح بهذا قبله ابن اسحاق
الاسفرايني والحميدي وابو الفضل بن طاهر فان ورد من طرق اخر زاد
قوة وبلغ العلم المستفاد منه مرتبة تقرب من القطعي ثم اشار الى انه لا يلتفت لخلاف من خالف
في مثل هذه المطالب فقال فلا يوهن بالتخفيف والتشديد اي يضعف عزمنا اي ما عزمنا
عليه وقصدناه جزما من اثبات هذه المعجزات وحمل النصوص الواردة بها على ظاهرها من غير تاويل
خلاف اخرق بالاضافة اي مخالفة شخص احمق واصله الذي لا يحسن العمل بيده كانه يخرق ما يريد
رتقه وقال الثعالبي في فقه اللغة في انواع الحمق اولها احمق ثم ابله فان كان معه عدم الرفق
فهو اخرق فالحاصل ان المخالف في مثله جاهل لا دراية له ولا معرفة بالاحاديث ثم وصف المخالف
بقوله منحل عرى الدين بالجر صفة اخرق اي هو مع جهله قليل الدين ضعيفه لعدوله عن ظواهر
النصوص وتشبثه باذيال الشبه وعرى بضم العين المهملة وفتح الراء المهملة والف مقصورة
جمع عروة وهي ما يعقد في الحبل ليتمسك به وقال الراغب العرى مقصور الناحية ومنه العروة
وهو ما يتمسك به قال تع فقد استمسك بالعروة الوثقى وهو على طريق التمثيل انتهى فان شبه الدين
بالعروة فهو من اضافة المشبه للمشبه به كلجين الماء وان شبه بالحبل المتوصل به لما يعلو كما في
الحديث كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الارض فان الحبل مستعار في كلام العرب كقوله
اني بحبلك واصل حبلي فهو استعارة مكنية وتخييلية والمراد انه غير متمسك بالدين
ولا يلتفت الى سخافة مبتدع الالتفات الانحراف للنظر الى شيء ثم صار كالنظر كناية عن الرعاية
بلطف واحسان ومنه قوله تع ولا ينظر اليهم يوم القيمة والسخافة اصلها عدم احكام النسج ثم تجوز
به عن قلة العقل فيقال هو سخيف العقل لمن عقله وفكره غير قوي والمبتدع مرتكب البدع وهو الحدث
على خلاف الشرع وقوله يلقي الشك على قلوب ضعفاء المؤمنين اشارة الى ما هو من شان
اهل البدع من القائهم الشبه والمشكلات على الضعفاء العقول من المؤمنين وخصهم بذلك لان
غيرهم لا يقبل مثل هذه الاراء الواهية واما ضعيف العقل فقد ياخذ باقوالهم ويفتتن بل يرغم
بهذا انفه اي برد ما قاله ويظهر جهله وسخافة عقله حتى يفتضح ويذل ويخزى لان اصله
ان يلصق انفه بالرغام وهو التراب فتجوز به عن الاذلال والتحقير وكني به هنا عما فسرناه به

وهذا اشارة الى ما ذكر من النقول الصحيحة التي لا تصرف عن ظاهرها بغير دليل **ونبذه بالعراء**
نبذه النبذ بنون وموحدة وذال معجمة يقال نبذه ينبذه كضربه يضربه اذا طرحه والقاه والعرا
بالمد المكان الخالي الذي لا ستر فيه وبالقصر الناحية ويقال عراه اذا قصده ونبذه قلة عقله
ودينه ومنه نبذ نبذه بالعراء اي القاه في مكان خال عن الناس وهو عبارة عن ابطاله بالكلية
وهذا ابلغ من عدم الالتفات الذي هو بمعنى الاعراض وعدم الاعتداد بالشيء فهذا ترق لان الاول
يكون مع استماعه وحضوره عنده وهذا ابعاد له قرينة بالعلاوة فلا تكرار في كلامه وتفسيره باهماله
مهمل لا يلتفت اليه وحاصله ان انشقاق القمر في الاية على ظاهره لوروده في الاحاديث الصحيحة
من طرق متعددة فمن حمله على ان المراد انه سينشق اذا قامت القيمة يوم تشقق السماء لم يات بشيء
وان ارتضاه القشيري والماوردي لانه لو وقع شاع وذاع وملأ الاسماع لانه آية عظيمة وقيل معناه
ظهر العرب تضرب المثل بالقمر لما وضح كما قال الشنفرى في لامية العرب

فقد حمت الحاجات والليل مقمر • وشدت لطيات مطايا وارحل

وقيل معناه انشقاق الظلم عنه لطلوعه كما يقال انفلق الصبح وانشق كما قال النابغة

فلما ادبروا ولهم دوي • دعانا عند شق الصبح داعي

والداعي لهم على هذا عدم الوقوف على ما ورد في السنة والفهم لاقوال الحكماء الذاهبين الى امتناع
الخرق والالتيام في الاجرام الفلكية ونحوه من الخرافات الفلسفية **وكذلك نبع الماء** من بين
اصابعه **وتكثير الطعام** القليل ببركته ووضع يده فيه **رواها** اي القصة الثقات من حفاظ
المحدثين **والعدد الكثير عن الجم الغفير** تقدم معناه مفصلا **عن العدد الكثير من الصحابة**
كالشيخين عن انس والبخاري قيل استعمال الجم الغفير مجرورا بالحرف والذي في كتب العربية
انه لازم النصب وجوز بعضهم رفعه كما تقدم ولا وجه له لان من لم ينقل الرفع ونصبه يجوز جره
ايضا اذ لا مانع منه **ومنها** اي رواية قصة تكثير الماء والطعام **ما رواه الكافة عن الكافة**
اي ما رواه جماعة عن جماعة ومثل هذه العبارة من تعريف كافة وجره وقع في كلام كثير من العلما
والفصحا وقد خطاهم فيه الحريري في درة الغواص وتبعه صاحب القاموس وغيره بناء على انه يلزم
تنكيرها ونصبها وقد صرح به كثير من النحاة قال في القاموس لا يقال جاءت الكافة لانه لا يدخلها
ال ولا تضاف ووهم الجوهري وقد بسطنا الكلام عليه في شرح الدرة وبينا انه مردود رواية
ودراية فانه سمع في كلام العرب فان اردت معرفة ذلك فانظره **متصلا عمن حدث بها** اي بتلك
القصة **من جملة الصحابة واخبارهم** بفتح الهمزة وكسرها مرفوع معطوف على قوله ما رواه **ان
ذلك** بفتح الهمزة اي بان الخ ويجوز كسرها **كان في موطن اجتماع الكثير منهم يوم الخندق**
بالمدينة وهو بفتح الخاء المعجمة وسكون النون وفتح الدال المهملة وقاف وهو فارسي معرب كنده
بمعنى الحفر والمراد الخندق وتسمى غزوة الاحزاب لاجتماع احزاب المشركين واليهود فيها حول المدينة
فامر النبي صلى الله عليه وسلم بحفر خندق حول المدينة اشار به سلمان ولم يكن ذلك معروفا عند
العرب وانما هو من مكايد الفرس وكان ذلك في شوال وقيل في ذي القعدة سنة اربع او خمس
من الهجرة النبوية وقد فصلوها في السير **وغزوة بواط** بضم الباء وفتحها وهو اسم جبل ايضا
من جبال جهينة بينه وبين المدينة اربع برد بقرب رضوى وهو جبل ايضا وهي التي ظعن فيها النبي
صلى الله عليه وسلم بعير قريش سنة اثنين ولم يكن فيها حرب ايضا وبواط قيل فيه الصرف وعدمه
والظاهر الاول واشار بالاول الى قصة جابر لما دعى رسول الله لعناق ذبحها مع صاع من شعير خبزه

فاتاه

فاتاه صلى الله عليه وسلم ومعه ناس كثير وكان دعاه وحده فاكلوا وشبعوا وفضل ذلك
الطعام وكانوا نحو الف وقصة بواط انه وضع عنده ماء قليل للوضوء فقال لجابر ادع الناس
فلما اتوا وضع يده الشريفة في الماء فنبع الماء من بين اصابعه حتى توضؤوا كلهم كما سياتي **وعمرة
الحديبية** بالجر عطف على المجرور مما قبله والحديبية مصغر كدويبة اسم مكان او بئر قريبة
من مكة سميت بشجرة حدباء فيها وهي التي وقع فيها بيعة الشجرة وهي بتخفيف الياء الثانية
على الصحيح وشددها بعضهم واليه ذهب كثير من المحدثين وكانت في سنة ست والاية التي
كانت فيها انه صلى الله عليه وسلم خرج معتمرا فلما وصل اليها صده المشركون عن البيت وكان بئر بد
ركوة فتوضا منها وماء البئر قليل جدا نزحه الناس وشكوا العطش فنزع سهما من كنانته واعطاه
لناجية بن عمير فغرزه في البئر فجاش ماؤها وجارية من الانصار معها دلو فاقبلت به على ناجية
وهو في القليب وقالت

يا ايها الماتح دلوي دونكا • اني رايت الناس يحمدونكا
يثنون خيرا ويمجدونكا • ارجوك للخير كما يرجونكا

الى اخر ما فصل في السير وساتي بتمامه **وغزوة تبوك** في السنة التاسعة من الهجرة
او السابعة وهو اسم موضع بين الشام والمدينة غير منصرف وسميت به لان فيها امرهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان لا يمسوا ماءها فسبق رجلان بسهمين حملاها فيها ليكثر ماؤها في جوفهما
وقال لهما ما زلتما تبوكانها اي تحفرانها ليخرج ماؤها واشار المصنف الى ايته فيها رواها ابو هريرة
وهي ان الناس اصابتهم مجاعة فقال عمر يا رسول الله ادع بفضل الازواد فدعا بنطع وبسطه ودعا
بفضل ازوادهم فجعل الرجل يجيء بكف من ذرة والاخر بكف تمر والاخر بكسرة فاخذ وافاض ودعا في
حتى ما بقي في العسكر وعاء الا ملؤه واكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة وعقد المصنف لكل اية
فصلا سياتي **وامثالها من محافل المسلمين** مجرور معطوف على موطن بمعنى محل واصله محل
التوطن والضمير للغزوات المذكورة والمحافل جمع محفل من حفل القوم اذا اجتمعوا وكثروا وقيل المحفل
مجمع الرجال والماتم مجمع النساء والنادي مجمع الناس في النهار ودار الندوة والمصطبة مجمع
الغرباء وقيل محل اجتماعهم لامورهم والمجلس مقر الناس في بيوتهم والخان محل المسافرين والحانوت
محل البيع والشرا وقد خص بمحل بيع الخمر **ومجمع العساكر** اي محل اجتماعهم وهو المعركة والعساكر
جمع عسكر وهو الجيش والجمع الكثير مطلقا من الرجال والخيل وقيل انه معرب **ولم يؤثر** بالبناء
للمجهول اي لم ينقل من اثره اذا نقله ومنه الاثر بمعنى الخبر وقد خص بغير الحديث **عن احد من الصحابة
مخالفة للراوي** نايب الفاعل فيما حكاه الراوي من الامور والايات المذكورة **ولا** نقل عن احد
انكار لما ذكر عنهم وذكر مبني للمجهول نايب فاعله **انهم راوه كما راه** اي لم ينقل انكار انهم
راوا من النبي صلى الله عليه وسلم كما راه منهم الاخر بل سكتوا حتى سمعوا من بعض الرواة انه شاهد
بعض اياته صلى الله عليه وسلم **فسكوت الساكت منهم كنطق الناطق** لانه في محله اقرار
اذ هم المنزهون عن السكوت على باطل يسمعه من غيره ولا يصرح له بانكاره وكون السكوت
على اطلاقه كما ذكره الفقهاء واهل الاصول ولذا قالوا السكوت في محل الحاجة بيان **ولا مداهنة
في كذب** فان الصحابة كلهم عدول لا يخشون في الله لومة لائم والمداهنة الملاءمة والمطاوعة
الا ان الفرق بينها وبين المداراة ان المداراة في الحق والمداهنة في غيره ولذا جعلت من الغش
قال الراغب هذا الحديث انتم مدهنون وهي استعارة من الدهن الين كلام صاحبه وجانبه وهي

مذمومة لانه نفاق وليس هناك رغبة ولا رهبة تمنعهم اي الصحابة ليسوا ممن يطمع ويرغب في دنيا غيره ولا يخاف احدا اعدل عن الحق لصلابة دينهم فلا يداهنون لان الحامل على المداهنة هذان الامران فليس عندهم ما يمنعهم من الانكار على من كذب ولو كان الاحسن ان يقول فلو بالفاء لترتبه على ما قبله ما سمعوه منكرا عندهم اي في اعتقادهم وغير معروف لديهم اذ لم يبلغهم عن رسول الله مثله لانكروه على قائله تنزها عن الاقرار على الباطل وما يخالف الظاهر واحتمال ان غيرهم سمع ما لم يسمعه وحمل قائله على الصلاح فغير متات هنا لان الصحابة في العصر الاول كان عندهم حرص على معرفة احواله واقواله لتوفر دواعيهم على نقلها والعمل بها والمعجزات المتحدي بها لغرابتها وعظمها ليس مما يخفى مثله ثم بعد عصرهم يجوز هذا لان خبر الآحاد مقبول فتدبر كما انكر بعضهم اي بعض الصحابة على بعض منهم اشياء رأوها من السنن اي سنن النبي جمع سنة بمعنى طريقه والمراد الاحاديث النبوية والسير جمع سيرة وهي احوال الغزاة وحروف القرآن اي قراءاته المتعددة فان كل وجه من القراءة يطلق عليه ح وبه فسر حديث انزل القرآن على سبعة احرف اي لغات ووجوه منقولة على المعنى المشهور من معانيه وفي السنن الستة ان عمر انكر على هشام بن حكيم قراءة قرأها في سورة الفرقان لم يسمعها فجاء به الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال سمعت هذا يقرأ بغير ما اقرأتنيه فقال اقرأ يا هشام فقرأ فقال هكذا انزلت ثم قال اقرأ يا عمر فقرأ فقال هكذا انزلت ان هذا القرآن انزل على سبعة احرف فاقرؤا ما تيسر منه وفيه بيان الحكمة وكما وقع بين عمر وابن عباس في انكاره عليه ما قاله في نكاح المتعة وامثاله كثيرة في كتب الحديث وخطأ بعضهم بعضا ووهمه في ذلك يعني ان بعض الصحابة نسب بعضهم الى الخطأ والوهم اذا ذكر امرا لم يكن معروفا عندهم مما يتعلق بسير النبي صلى الله عليه وسلم وسيره او بالقراءات وغير ذلك مما يتوقف على ولا ينال بالرأي فانهم لا مداهنة عندهم ولا ممارات في الحق الا ترى ان عمر رضي الله عنه لما قبل الحجر الاسود وقال اني اعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع ولكن رأيت رسول الله قبلك فقبلتك فسمعه علي فقال له لا تقل كذا فان الله لما اخذ العهد على ذريات بني آدم اودع كتاب العهد فيه وقال من قبله فقد وفى بالعهد فيشهد له الحجر بذلك يوم القيامة ودعا له وقال لا عشت لمعضلة ليس لها ابو الحسن والوهم والخطأ هنا بمعنى وروي وهنه بالنون من الوهن وهو الضعف في الرأي بيان لذلك فهذا النوع كله من المعجزات المروية بطريق الآحاد ولم تشتهر اشتهارا يقرب من التواتر يلحق بفتح اوله وضمه اي يعد من قبيل القطعي لما بيناه من نقل بعض الصحابة نقلا صحيحا وسكوت غيرهم ممن بلغه فهو كالاجماع السكوتي وايضا لنا وجه يؤيد كونه كالقطعي فان مثل هذه الاخبار المتعلقة بالمعجزات الثابتة في عصر الصحابة لو لم يكن صحيحة وكانت من الاخبار التي لا اصل لها روايته وبنيت على باطل بان كانت كذبا محضا تبطل وتضمحل اذ لا بد مع مرور الازمان عليها في نقلها في عصر بعد عصر وتداول الناس اي تلقي الناس لها فيما بينهم عصرا بعد عصر قال الراغب يقال تداول القوم كذا اذا تناولوه واخذ بعضهم من بعض قال تعالى وتلك الايام نداولها بين الناس واهل البحث اي التفتيش عنها والمراد علماء الحديث الذين يبحثون عن رواة الحديث صحة وسقما من انكشاف ضعفها اي ظهوره وخمول ذكرها بان ينسى ولا يشتهر لها ذكر لكونها لا اصل لها كما نشاهد بالمثناة التحتية او الفوقية ويجوز قراءته بالنون اي نعرفه ونتحققه في كثير من الاخبار الكاذبة التي ظهرت في بعض الازمنة ثم تبين كذبها وصارت

كأن لم تكن شيئا مذكورة كاخبار مسيلمة الكذاب واضرابه والاراجيف الطارئة اي الاكاذيب التي حدثت في بعض السنين الخالية والاراجيف جمع ارجاف بكسر الهمزة وفتحها وقيل انه جمع رجفة من الرجف وهو الاضطراب والتحرك بحركات متوالية ولذا سمي البحر رجافا لاضطراب امواجه وقال بعض الشعراء فيمن اصابته رعشة في يده ح

ما كان من رجاف كفك منكر • فالبحر من اسمائه الرجاف •

وهي هنا بمعنى الاخبار السيئة التي تشيع بين الناس ثم تنسى لظهور كذبها والطارئة بالهمزة والياء التحتية من طرأ اذا حدث وتجدد واعلام نبينا بفتح الهمزة جمع علم بمعنى علامة وآية كثيرة والمراد معجزاته المعلومة المشهورة هذه الواردة اي المروية من طرق الآحاد بالمد اي رويت آحادا ولم تتواتر لا تزداد مع مرور الزمان الا ظهورا ولو كانت غير صحيحة لازدادت خفاء وضعفا ومع تداول الفرق اي تكلم الناس بها فرقة بعد فرقة وهو بكسر الفاء وفتح الراء جمع فرقة وكثرة طعن العدو من اعداء الدين الكفرة والطعن القدح والدخل بالمعارضة وحرصه على توهينها اي تضعيفها وفي نسخة بدل حرصه حضه بضاد معجمة اي حثه وغيره وتضعيف اصلها بالانكار والعناد وادعاء انها سحر وافتراء واجتهاد الملحد اي بذل طاقته وقوته والملحد العادل عن الحق من الزنادقة وفي نسخة باجتهاد بدون تاء اي اتعابه نفسه وكدها على اطفاء نورها اي على ابطالها فشبه المعجزات بسراج ونار على علم في الظهور والتحقق على طريق الاستعارة المكنية واضاف الاطفاء اليها على طريق التخييل وعدى الاجتهاد بعلى مشاكلة لما قبله او ضمنه معنى الملازمة والانكباب فهو كما قال تعالى يريدون ليطفؤا نور الله بافواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره ومن حكم الصدق ان الرجل ذو المروءة والعقل ليكون خامل المنزلة غامض الامر فما يبرح به مروءته وعقله حتى يستبين ويعرف كالشعلة من النار التي يضوئها صاحبها وتأبى الا ارتفاعا ومنه اخذ ابن الرومي قوله ح

كالذي طأطأ الشهاب ليخفى • وهو ادعى له الى التضريم •

ومنه اخذ الارجاني قوله

ما انس لا انسى يلتظي من غرور • ولديه اخر ترفعه •
كمارام منه للراس رفعا • زاد خفضا كانه نار شمعه •

واحسن من هذا كله قولي في بعض الحساد

رام بالذل ان ينكس قدري • حاسد زادني سنا وسناه •
قلت ان الشهاب شعلة نار • كلما نكسوه زاد ضياه •

الا قوة وقبولا معطوف على قوله الا ظهورا كما ان قوله ومع تداول الفرق معطوف على قوله مع مرور الازمان وفي نسخة الزمان وقوته بظهور حقيقته وتيقنه وهو مقابل لما في ضمنه من التضعيف والقبول بالاذعان العقول التسليمة له وهو مقابل لطعن الطاعنين وانكارهم وللطاعن اي المنتقص الذي يعيبها ويسعى في ابطالها والجاحد والمجحود بها من الاستنباط بعدها بدل ما كان صفة وعداه بعلى في قوله عليها لانه ضمنه معنى المتعدي عليها ولانه يتعدى بفي قوله الاحسرة وهي التأسف والندم على مهم فاته وايس منه وغليلا بالغين المعجمة واصله حرارة وتلهف في الجوف من شدة العطش والمراد به هنا مجازا الحقد المضمر والحسد معطوف والمراد ما يشاركه في متعلقه الا ابتلاء فتدبر وكذلك اي كاعلامه بفتح الهمزة فيما ذكر من الازدياد

إخباره بكسر الهمزة مصدر أخبر عن الغيوب جمع غيب وهو ما خفي علمه عن الناس كالدجال
والمهدي ودابة الأرض وغير ذلك مما أخبر به بعض أصحابه وأنباؤه بوزن أخباره ومعناه
بما يكون في المستقبل من أشراط الساعة وبما يقع بين أمته من الفتن وغيرها وكان في الماضي
كأحوال الأنبياء والأمم السالفة ونحوه مما لا يعلم إلا بوحي وحفظ الكتب الإلهية التي لم يتولها
ولم ير من عرفها معلوم أنه من آياته ومعجزاته الخارقة للعادة أما الأول فظاهر وأما
الثاني فلأنه أمي ولم يخالط من علم ذلك

كفاك بالعلم في الأمي معجزة • في الجاهلية والتأديب في اليتم

على الجملة بالضرورة أي معلوم بعلم ضروري مجموعه وإجماله وإن لم يكن كل فرد فرد كذلك
وهذا حق أي أمر محقق متيقن لا غطاء عليه ظاهر منكشف من غير لبس وشبهة فيه
وقد قال به أي اعتقده وصرح به يقال قال كذا إذا نطق به وقال به إذا ذهب إليه واختاره
من أئمتنا المقتدى بهم من الأشعرية والمالكية القاضي أبو بكر الباقلاني الأصولي المالكي
لأنه المراد به إذا أطلق وبه صرح صاحب المقتفى هنا قال والمراد بقوله والأستاذ أبو
بكر بن فورك كما تقدم في كلام المصنف وقيل المراد بالأول أبو بكر بن العربي شارح الترمذي
وبالثاني أبو بكر الباقلاني أو العكس والأول مالكي والثاني عده المصنف من المالكية وعده
السبكي في طبقاته من الشافعية وقال التلمساني إن المراد بالثاني أبو بكر محمد بن الوليد
الفهري الطرطوشي والأستاذ بضم الهمزة وآخره ذال معجمة معناه الماهر وهو معرب فارسيته
بالدال المهملة ومولدونه ترتيبه الطرطوشي وقد بسطنا الكلام في كتابنا شفاء الغليل فيما
في كلام العرب من الدخيل وغيرهما من الأئمة أي ذهب هؤلاء كلهم إلى أنها معلومة بعلم ضروري
قطعي متواترة بحسب المعنى وإن لم تتواتر مفرداتها وما عندي أوجب قول القائل وفي
نسخة تأخير ما عن عندي وهي نافية ومعنى عندي في اعتقادي وحكمي وهو متعلق بأوجب
أن هذه القصص المشهورة من باب خبر الواحد أي من قبيل خبر الآحاد التي لا توجب وما
أوجب بمعنى اقتضى واستلزم والله أعلم بحقيقة ذلك إلا قلة مطالعته للأخبار
النبوية ومطالعتها الاطلاع عليها وروايتها وشغله بضم أوله أي اشتغاله بغير ذلك
من المعارف غير الأحاديث من العربية والأمور والعلوم العقلية وفيه تأدية مع العلماء
وعدم المجاهرة بالقدح فيهم وإلا أي لم يقل بقلة اطلاعهم لاشتغالهم بما ذكر فمن اعتنى
أي كانت له عناية واشتغال بطرق النقل أي الأمور النقلية السماعية وطالع الأحاديث
والسير النبوية بأن درسها وقرأها لم يرتب أي يحصل عنده ريبة وشك في صحة هذه
القصص المشهورة عند المحدثين والحفاظ على الوجه الذي ذكرناه من جمع طرقها وضم
بعضها لبعض حتى تقوى وتصير متواترة بحسب المعنى قيل وقوله لم يرتب فيه رد واعتراض
على من قال إنها آحاد إذ لم يرد به مجموعها بل جميع أفرادها وفيه نظر ثم أشار إلى دفع شبهة
هي أنه لو كانت الآحاد تصل رتبة التواتر بالاعتناء بالنقول ومطالعة الأحاديث كانت
متواترة معنى عند غيره فقال ولا يبعد أن يحصل العلم بالتواتر الحقيقي عند واحد
ولا يحصل عند آخر فبالطريق الأولى التواتر المعنوي وقد قيل بمثل هذا في البسملة وجمع
به بين الخلاف بين الأئمة فإن إثباتها في أوائل السور وإسقاطها قراءتان متواترتان
من السبعة كما قاله ابن حجر ومن تبعه وإن خفي على كثير فإن أكثر الناس يعلمون بالخبر

المتواتر كون بغداد موجودة وهي المدينة المشهورة بدار السلام إما لسلامة أهلها
من فساد وتغير المزاج أو لأن نهرها يسمى السلام وهي فارسية معربة ومعناها محل البساتين
لأن باغ معناه بستان وقيل بغ اسم صنم وداد معناه العطية أي عطية الصنم ولذا كره
تسميتها بذلك وفيها ست لغات إهمال الدالين وإعجامهما وإهمال الأول وإعجام الثاني وعكسه
وبغدان بالنون مع الإهمال وزاد يعقوب إبدال الباء ميما مع الدال والنون والإهمال والإعجام
والإهمال أصح وقالوا بغدين أيضا وأنها مدينة عظيمة ودار الإمامة والخلافة بكسر أولهما
وهما بمعنى والخلافة هي الولاية العامة لأنه خليفة رسول الله فهي السلطنة بحق وسميت إمامة
لأن الإمامة والخطبة في عصر الرسول والخلفاء الراشدين لازمة له لا يقوم بها غيره إلا بطريق
النيابة عنه كالقضاء والحكومة ولذا احتاجت لتقليد السلطان ونحوه ومعنى دارها محلها
وأول من بنى بغداد هذه أبو جعفر المنصور المعروف بالدوانيقي ثاني خلفاء بني العباس
وآحاد بالمدح واحد لا يعلمون اسمها لعدم سماعه فضلا عن وصفها من كونها دار الخلافة
منزهة عظيمة البنا وفضلا منصوب بالمصدرية يفيد أولوية ما بعدها والكلام فيها مبسوط
في العربية مشهور ثم ذكر مثالا آخر في الشرعيات فقال وهكذا أي مثل أمر بغداد يعلم
الفقهاء من أصحاب مالك المقلدين مذهبه فيجوز بالصحة عما ذكر يجوز أن مشهورا بالضرورة
أي بالعلم الضروري أي البديهي لا الاضطراري لتواتره عندهم فقوله وتواتر النقل عنه
مما لا مقتر له أن مذهبه إيجاب أم القرآن أي الفاتحة ووجه التسمية مشهور للمنفرد والإمام
دون المأموم فإن قراءة الإمام قراءة له وإن لم يسمعها ولا فرق بين الصلاة الجهرية وغيرها
وكذا مذهبه أي الصحيح كما فصل في كتب الفقه وإجزاء النية أي نية صوم رمضان كله
في أول ليلة من رمضان عما سواه الضمير راجع للأول فلا يحتاج في بقية الشهر إلى نية أخرى
اكتفاء بتلك النية والإجزاء بمعنى الكفاية والإغناء وقيل معناه سقوط القضاء ورده الأصفهاني
في شرح المحصول والفرق بينه وبين الصحة مفصل في كتب أصول الفقه وأن الشافعي يرى
من الرأي بمعنى المذهب فمن مذهبه أن النية واجبة في كل ليلة لا مندوبة وهذا معلوم بالضرورة
عند الفقهاء لتواتره عند أصحابه وغيرهم لأن صوم كل يوم عبادة مستقلة تفتقر إلى نية لحديث
إنما الأعمال بالنيات والمراد الأعمال الشرعية أي إنما صحتها ونحوه بتقدير باتمامها كما بين
في محله والاقتصار على مسح بعض الرأس أي ويعلم ضرورة أن الاقتصار على مسح بعض الرأس
مجزئ عند الشافعي لتواتر نقله عنه خلافا لمالك فإنه يجب عنده مسح الرأس كلها احتياطا
وأن مذهبهما أي مالك والشافعي وجوب القصاص في القتل بالمحدد اسم مفعول مشدد الدال
وهو ما له حد خارج كالسيف ونحوه وغيره مما لا حد له كالعصا والحجر والسحر وإيجاب
النية في الوضوء فهي واجبة عندهما لأنه عبادة فلا بد من النية فيه لتكون قربة ولتتميز
العبادة عن العادة بإخلاص العمل بالنية واشتراط الولي وهو من يكون له ولاية شرعية
على المنكوحة كالأب والسيد في النكاح أي في صحته وانعقاده كما فصل في كتب الفقه وأن
أبا حنيفة النعمان بن ثابت الإمام المشهور شهرة تغني عن ذكر ترجمته يخالفهما في هذه
المسائل فلا يوجب القصاص في غير المحدد بل الدية ولا يوجب النية في الوضوء وخالف
فيه بعض الحنفية كما في الأسرار للدبوسي ولا يشترط في النكاح الولي كما فصلوه يعني أن
مذهبه يخالف مذهبهم في هذه المسائل فإنه لم يرهم حتى يخالفهم والفقهاء يستعملون مثل هذه

العبارة كثيرا في كتبهم فيقولون خالف فلان في كذا فلاما وان تقدم عصره عليه **وغيرهم**
اي غير العلماء واصحاب المذاهب **ممن لم يشتغل بمذاهبهم** اي مذاهب الفقهاء ومن ذكر من الائمة
ولا روى اقوالهم ممن قلدهم واشتغل بكتبهم **ولا يعرف هذا** الامر الذي وقع فيه الخلاف فيهم
من مذاهبهم واقوالهم **فضلا عما سواه** اي سوى هذا من دقائق المذاهب ومسائلها الجزئية
وعند ذكرنا احاد هذه المعجزات نزيد الكلام فيها بيانا بتفصيلها وذكر ما يتعلق بها من
الفوائد **ان شاء الله**

فصل في اعجاز القرآن

اي في بيان اعجازه والقرآن بالهمز وقد يسهل ويبدل ووزنه فعلان على الصحيح وتقدم بيان
الاعجاز وهو جعل غيره عاجزا عن معارضته والاتيان بمثله **اعلم وفقنا الله واياك**
اي رزقنا التوفيق والجملة دعائية وتقديره باعلم تنبيها له على ان ما بعده امر مهم يلزم علمه
ان كتاب الله العزيز بفتح الهمزة وهو وما معه ساد مسد مفعولي اعلم والعزيز بمعنى القوي
الغالب والذي لا نظير له ويجوز فيه الجر والنصب على انه صفة الله او الكتاب ولكن ان توقفه
قطعا والمراد به القرآن لغلبته فيه وله معنيان الكلام النفسي وهو ما بين الدفتين وكلاهما
قديم عند بعض المحققين كالشهرستاني والكلام فيه مشهور والمراد هنا الثاني لانه هو المتصف
بالاعجاز **منطو** اي مشتمل ومحتمل افتعال من الطي وهو معروف **على وجوه من الاعجاز كثيرة**
اي انواع يعرف بها اعجازه وكونه لا يقدر عليه البشر **وتحصيلها** اي محصلها اجمالا فالمراد
بالمصدر اسم المفعول مبالغة كالدرهم ضرب الامير اي مضروبه والضمير للوجوه **من جهة
ضبط انواعها** اي حصرها وجعلها مضبوطة محفوظة في اربعة اوجه خبر تحصيل او متعلق
بقوله ضبط **اولها حسن تاليفه** اي نظم كلماته مؤتلفة متوافقة **والتئام كلمه** عطف تفسير
اي كونها متناسبة بحسب الدلالة بحسب مقتضى مقاماتها والكلم اسم جنس جمعي لكلمة ككلم وكلم
لا جمع ولا اسم جمع على الاصح **وفصاحته** قدمها على البلاغة لتوقفها عليها بمعناها المشهور في
كتب المعاني ووجوه ايجازه اي قلة لفظه وكثرة معانيه ووجوهه معروفة في المعاني
وبلاغته الخارقة عادة العرب عادة بالنصب مفعوله خارقة بمعنى خارجة عن عادتهم
كما يقال خرق الاجماع اذا خالفه وخرج عنه ثم بين ذلك فقال **وذلك** اي ما ذكر من عادتهم
لانهم اي العرب **كانوا ارباب هذا الشان** هو الامر العظيم والمراد به البلاغة وجعلهم
اربابها اي اصحابها المالكون لها الذين بيدهم ازمتها وهو مبالغة في اتصافهم بالفصاحة
والبلاغة **وفرسان الكلام** جمع فارس او جمع فرس الذي هو جمعه والفرس يكون ايضا جمع فارسي
بمعنى عجمي كما في شرح شواهد الايضاح ومنه قولهم لغة الفرس فشبه الكلام الذي تمكنوا من
التصرف فيه بجواد علوه وتسابقوا به في ميادين البلاغة والبرهان وفازوا بقصب
السبق فيه **قد خصوا من البلاغة والحكم** اذ خصهم الله من دون الناس ببلاغة كلامهم المخصوصة
بلغاتهم وبما تضمنه من الحكم اي المعاني المتقنة وما يحث على مكارم الاخلاق ومحاسن الصفات
وفيه كلام تقدم **بما لم يخص به غيرهم** قيل كان الظاهر ان يقول بما لم يوجد في غيرهم لكنه عبر
به ليشاكل ما قبله ولان نفي الوجود يفهم من اختصاصهم به دون غيرهم فلا يقال انه لا يلزم من
نفي الاختصاص نفي الوجود وهو المقصود وفيه بحث **من الامم** اي من جميع الامم السابقة واللاحقة
واوتوا بالبناء للمجهول اي اعطاهم الله **من ذرابة اللسان** اللسان الجارحة المعروفة والكلام

نفسه والذرابة بذال معجمة وراء مهملة وموحدة اصل معناها حدة السيف والسنان ونحوه وقيل
هي ان يستقي السم والذرب السم فاستعير لطلاقة اللسان مع الخلو عن اللكنة قال

ارحني واسترح مني فاني • ثقيل محملي ذرب لساني •

وهذا امر محمود وقد يكون بمعنى كونه سليطا صخابا فيكون ذما كالحدة قال تعالى سلقوكم بالسنة حداد
ما لم يؤت انسان اي ما لم يؤته غيرهم من الامم لكنه اتى به لنقص البحث والخطابة كقوله
ومن فصل الخطاب اي الخطاب البين الفاصل عند المحاجة الذي لا لبس فيه ولا خفا كما تقدم
ما يقيد الالباب جمع لب وهو العقل وتقييدها بمعنى تحيرها اذا سمعته حتى كانها قيدت
ومنعت عن الحركة لدهشتها من حسنه وبراعته **جعل الله لهم ذلك** المذكور الذي خصوا به
طبعا وخلقة مركوزا في طباعهم لا بتكلف وتعلم وتعلمه لغيرهم غريزة اي جبلة وسجية مركوزة
فيهم **وقوة** المراد بالقوة مقابل الفعل وليس بمعنى الشدة وهذا استعمال مولد وهو قريب من
الطبيعة ايضا وتكرار الالفاظ المتقاربة لا باس به هنا لانه مقام خطابة او المراد بالقوة
القدرة اي هذا امر طبعهم الله عليه وجعل لهم زيادة قدرة فيه فلذا عقبه بقوله **ياتون منه
على البديهة بالعجب** اصل معنى البديهة الفجاءة ولذا قيل لكل كلام من غير اتعاب فكر ونظر
بديهة فيقال اجاب على البديهة وله بدائع بداية وهذا معلوم في بداية العقول ولحقه في
براهة حربه والعجب بمعنى الامر الذي يعد عجيبا لحسنه وجزالة معناه فكانه لم يعهد فما قيل
انه غير صحيح هنا لا وجه له **ويدلون** بضم المثناة التحتية وسكون الدال المهملة وضم اللام
من ادلى دلوه في البير اي نزله لاخذ الماء ثم عبر عن مطلق التوصل كما قال عمر رضي الله عنه لما
استسقى بالعباس وقد دلونا اليك مستشفعين اي توصلنا **الى كل سبب** اي طريق ووسيلة
الى حصول مهمات امورهم كالزام الخصوم وجلب محبة القلوب واستعطاف الملوك والروسا فاذا
ذكروا هذه الوسائل عبروا عنها بعبارات بليغة رائقة تسحر السامعين وتقود بعنان البيان
شوارد القلوب والخواطر وفي قوله سبب هنا تورية لانه في الاصل بمعنى الحبل فذكره بعد الادلا
فيه لطف وقيل المراد اقبلنا وسقنا من الدلو وهو السوق والرفق وقيل المراد بالسبب الطلب
العالي لشبهه باسباب السموات اي نواحيها كانه شبه ذلك الطلب في عزة نيله بنواحي السما
والعرب كانوا يصلون اليها بتلك المطالب بما نالوه من القرايح الذكية ولعل المراد بالاسباب
مقتضيات الاحوال وقد بين ذلك بقوله **فيخطبون** الى اخره انتهى ولا يخفى انه لا يلائم ما نحن
فيه **بديها** اي ينشئون الخطب بمقتضى طباعهم بديهة من غير تكلف **في المقامات** اي محافل
الناس ومجامعهم بمقتضى طباعهم على رؤوس الاشهاد بديهة من غير تصنع جمع مقام او مقامة يقال
قام بين يدي الامير بمقامة حسنة اذا تكلم بموعظة ونحوها وكانوا يخطبون قياما فلذا سميت مقامة
ثم اطلقت على نفس الكلام المقول فيها كمقامات البديع والحريري وغيرها **وشديد الخطب**
اي الامر العظيم الشان الذي من شانه ان تقع فيه المخاطبات والمنازعات فكان لكل قوم خطيب
يقوم بينهم بحثهم على مهماتهم وقيل الشان عظم او صغر بسبب الامر ولا يناسب المقام والتكلم
بكلام بليغ ارتجالا لا بد على البديهة وغريزة قوية **ويرتجزون** اي ينشدون رجزا في تلك
المقامات بديهة ايضا يعدونه كالخطب ولذا ذهب بعضهم الى انه ليس بشعر **بين الطعن و**
كما ينشدونه في اثنائهم وهذا كقول علي رضي الله عنه لما بارز مرحبا بخيبر

انا الذي سمتني امي حيدره • كليث غابات كريه المنظره • اكيلكم بالسيف كيل السندره •

تلمساني

لاي عرضي

تلمسان ابن الفجرس

الضرب

واما الذمّ فالاعشى ويمدحون من يستحق المدح في مقاماتهم بن لهجة بابلغ الاشعار ويتمدحون اي يمدحون ويهجون يقال قدح في عرضه اذا عابه ومن فسره بقوله اي يقدحون افكارهم فيستخرجون معجب الكلام في احسن نظام لم يصب فحق الكلام ويتوسلون بما ذكر من بليغ الكلام نظما ونثرا ويتوصلون عطف تفسير اي بالمذكور الى مطالبهم العالية ويرفعون من مدحوه بمدائحهم حتى يرتقي لمرتبة لم تكن له بشهرة مدحه مضرب المثل كما وقع للمحلق لما نزل عنده الاعشى ضيفا فنحر له وسقاه وعنده بنات لم يرغب احد في تزويجهن فمدحه بقصيدة قافية مشهورة فلم يمض زمن حتى خطبوا بناته ورغبوا فيهن ويضعون مقدار من ذموه بقدحهم حتى يصير سبة بينهم فمنه لغو ولنشر فيانون من ذلك المذكور كله بالسحر الحلال السحر في الاصل الفطنة وكل ما دق ثم انه تشبه به الكلام البليغ الذي تلتذ به النفوس وتنجذب له ومنه ان من البيان لسحرا فهو تشبيه بليغ والسحر معناه الحقيقي معروف وهو قبيح محرم فوصفه بالحلال بيان للمعنى المراد منه وتجريد للتشبيه والسحر حق واقع وهو باب يعرفها اهلها ويطوقون بالتشديد من الطوق وهو ما يجعل في العنق من ذهب ونحوه مزاوصافهم الدر يعني الدر البيغ وفيه استعارة مكنية وتخييلية اي من وصفهم لغيرهم بمدحهم اجمل من سمط اللآلي اجمل بمعنى ازين واحسن وسمط بكسر فسكون المراد به حسنه لعمومه بالاصالة لمن قال صوابه سموطه لم يصب وهو السلك ما دام فيه الخرز والا فهو خيط وقال البرهان السمط الخيط ما دام فيه الخرز والا فهو سلك وتبعه الانطاكي ونسبه للجوهري وقال ابن عزم قال السمط للجوهر في السلك للخرز والنظام للآلي وفيه وفصله في عقد الدر على اللآلي لانه لا يفنى ولا يقاومه ثمن لعزته واصل اللآل اللآلي بهمزة في اخره فابدلها ياء لسكونها وقفا معاملة معاملة المعتل في الوقف فاسقطها كالقاصر فيخدعون الالباب الخداع هو المكر واظهار امر على خلاف لمن يريد به مكروها والالباب جمع لب وهو العقل والمراد انهم يستميلون العقول حتى تنقاد لهم ففيه استعارة مكنية وتخييلية وتقدير ذوي العقول يذهب برونق الكلام ويذللون الصعاب اي يسهلون بفصاحتهم الامور الصعبة فان كان من الذل بالكسر والذال المعجمة من الارض الذلول وهي التي يسهل المشي فيها ففيه استعارة تبعية وكذا ان كان من الذل بضمها والمراد على كليهما انهم يجعلونها مطيعة لهم ويجوز ان تكون مكنية وتخييلية على ان الصعاب جمع صعبة وهي الناقة التي لا تنقاد ويذهبون الاحن جمع احنة بكسر فسكون وهي الحقد ويمحون الدمن بضم اوله وفتح ثانيه وكسر المثناة التحتية المشددة ويجوز كسر المهملة ثم سكون اليا اي يمحونها ويطهرونها والدمن بكسر الدال المهملة وفتح الميم والنون جمع دمنة وهي في الاصل ما في مبارك الابل من بعرها المتلبد بما عليه من ابوالها استعير للحقد المضمر المجتمع في الباطن وهي استعارة بليغة شائعة في كلامهم قال

• ارعى الامانة لا اخون ولا ارى • ابدا اوس من عرضه الاخوان •

ويكون المراد به آثار السكان في الديار والمعنى انهم يمحون الاطلال وسكانها فيهيجون الاشواق بذكرها وان سلم من التكرار بعضها هنا فلا يغتر بما قيل ويجرون الجبان بالتشديد والهمز من الجراة وهي الاقدام والشجاعة والجبان ضد الشجاع اي يجعلونه شجاعا بعد جبنه ويبسطون يد الجعد البنان فاضاف الجعد الى البنان والبنان الاصابع وعقدها وبسطها مدها واذهاب جعودتها وهي انقباضها والجعد اذا اضيف الى اليد او البنان كان للذم كان بمعنى البخيل اللئيم

فاذا اطلق كان بمعنى الجواد الكريم والجعودة ضد السبوطة وهي الانبساط والمعنى انهم بفصاحتهم يصيرون البخيل كريما قال ابو عبيد الجعد في صفة الرجال يكون مدحا ويكون ذما فمعنى المدح معناه شديد الخلق مدمج او ان شعره جعد غير سبط لان السبوطة اكثر في العجم وفي الذم معناه القصير او البخيل ويصيرون الناقص كاملا بحثه على اكتساب الكمال حتى يصير التطبع طبعا وان كانت الطباع يتعسر تغييرها وتبديلها وينزلون النبيه الشريف المشهور خاملا اي خامل الذكر مغمورا كان بعد شهرته بسبب ذمهم له او تنقيصه بالهجاء ونحوه ثم قسمهم فقال منهم اي من العرب البدوي وهم سكان البادية النازلون في الاخبية والدارات وهو بفتح الباء الموحدة وفتح الدال المهملة الذين لا يسكنون القرى والامصار ويسمى حضرا وخاصة لحصور بعضهم لبعض فيها والنسبة للبادية او للبدو وبالسكون على خلاف القياس ويقال بداوي بفتح اوله وكسره او هو نسبة للبدا كالعنى بمعنى البادية ايضا ذو اللفظ الجزل اي صاحب اللفظ المحكم القاطع الفاصل ويكون الجزل بمعنى الكثير ايضا ومنه الثواب الجزيل والقول الفصل بالصاد المهملة اي الفاصل بين الحق والباطل قال تع انه لقول فصل وما هو بالهزل واصل معنى الفصل الحجز ومنه فصول الكتب والكلام الفخم اي المفخم المعظم لنباهتهم وعدم مداراتهم او الممتلي بالمعاني الرائقة يقال وجه فخم اذا كان له جمال ومهابة او هو من التفخيم ضد الترقيق لاعتيادهم باخراج الحروف من حاق مخارجها والجهر بها لقوله والطبع الجهوري اي طبعوا على جهر الصوت وعلوه ومنه الحروف المجهورة قال في القاموس جهر ككرم فخم والصوت ارتفع وكلام جهر ومجهر وجهوري عال وفي الحديث نادى بصوت جهوري وفي نسخة جوهري نسبة للجوهر وهو الخالص النقي والمقدم الجري فان كان من الجوهر المعروف كالياقوت والزمرد ونحوه فهو استعارة للنفيس وفي القاموس الجوهر كل حجر يستخرج منه شيء ينتفع به ومن الشيء ما وضعت عليه جبلته والجري المقدم انتهى والواو وقيل انه بمعناه المعروف معرب والمعرب الجهر بالكلام ويعبر به عن الجهر والحسن كما قال الاعرابي

• جهر الرء واجهر الكلام • م جهير العطاس جهير النغم •

وهذا اشبه بطريقة المصنف في فصاحته والمنزع القوي مفعل من النزع وهو الجذب والاخذ ونزع الماء من البئر اخرجه ونزع القوس جذبه وهو مصدر ميمي او اسم مكان والاول اظهر اي ياتون بنوع من الكلام يستخرجونه من بين انواع الكلام بطباعهم السليمة بحيث اذا سمعه السامع شفى غليله ومنهم الحضري نسبة الى الحضر بفتحتين مقابل البدو وهو الحاضرة ايضا والحضارة سكنى الحضر وهي الامصار والقرى ذو البلاغة البارعة اي الفائقة من برع اقرانه اذا فاقهم برقة طبعه وتهذيب كلامه والالفاظ الناصعة اي الخالصة من الالفاظ الوحشية الغريبة السالمة من الركاكة والكلمات الجامعة للمعاني الكثيرة في الالفاظ القليلة الموجزة والطبع السهل اللين المنقاد بسهولة لسلامة ذوقه واستماع كلامه الذي ارق من النسيم • تكاد من عذوبة الالفاظ • تشربه مسامع الحفاظ • فيدخل الاذن بلا اذن والتصرف في القول القليل الكلفة فيخرج من نوع لنوع من غير تكلف لكونه سجية له والقليل صفة للتصرف او للقول فلا يورد في كلامه ما يعسر فهمه على السامع لغرابته وتعقيده الكثير الرونق اي الحسن واللطافة من رونق السيف وهو ماؤه وحسنه كما قال البحتري

• وبديع كانه الزهر ضاحك • في رونق الربيع الجديد •

مشرق في جوانب السمع ما يخلقه عوده على المستعيد

الرقيق الحاشية اصل الحاشية طرف البرد وال الثوب ورقة حاشيته عبارة عن رقته وحسن نسجه والكلام يشبه بالحلل والبرود والتكلم بالنسج وفي الاساس من المجاز عيش رقيق الحواشي وكلام رقيق الحواشي وهو عبارة عن سهولته وسلامته بان يكون لفظه رشيقا عذبا وفخما سهلا ومعناه ظاهرا مكشوفا وقريبا معروفا وكلا البابين اي المتبين من كلام البدوي والحضري في مقامه ومحله وعند اهله فلهما في البلاغة الحجة البالغة قيل اذ في الكلام تعقيدا واصله واما كلا البابين الخ فالفا واقعة في جواب اما المقدرة ولا يخفى انه ركيك ولو حذفها كان اولى ولو قيل كلا مبتدا خبره مقدر تقديره وكلاهما ما اختصوا به وما له شان عظيم وما بعده مبني عليه كان اولى لان اما حذفها من غير عديل ليس سهلا والحجة البرهان والدليل من حجه اذا خصمه والزمه والبالغة بمعنى الواصلة الى نهاية البلاغة وجعل ظهور امرهما كانه حجة لهما كما قال المتنبي

سبوح لها منها عليها شواهد • والافصح افراد ضمير كلا رعاية للفظه ومعناه وان جاز تثنيته وقد جمع بينهما القايل •

كلاهما حين جد الجري بينهما • قد اقلعا وكلا انفيهما رابي •

والقوة الدامغة اي الغالبة لغيرها من ساير اللغات واصل الدمغ الضرب على الدماغ فاريد به ما ذكر من الغلبة والقهر يقال دمغ الحق الباطل اي ابطله ودمغت فلانا فهرته والقدح الفالج بكسر القاف وسكون الدال المهملة والحا المهملة واصل قداح الميسر وهو سهم بغير ريش وقداح الميسر التي كانوا يقامرون بها في الجاهلية ولها اسم مشهور ومنها ما له نصيب زايد ومنها ما لا نصيب له والفالج بالفاء واللام والجيم بمعنى الغالب يقال فلج امره اي فاز وسعد اي لهذه اللغة شرف وفوز عند صاحبها وقيل المراد ما تنتجه الافكار واصابة الآرا وجودة الانظار وهو امر لا تعلق له بنفس الكلام والكلام فيه والمهيع الناهج بفتح الميم وسكون الها وفتح المثناة التحتية وهو الطريق الواسع والناهج بمعنى البين الواضح المسلوك واصله النالك فتجوز به عن المسلوك كما ذاق بمعنى مذوق وعيشة راضية واراد به سيرة لغتهم وظهور دلالتها لا يشكون ان الكلام طوع مرادهم قيل كان الاحسن الظاهر ان يقول لا يشك ببناء المجهول ليكون ابلغ وهذا من عدم معرفته بمقاصده فان هذا هو المناسب لما بصدده فان البليغ الفايق اذا جاه له كان له اقدام على المعارضة عند التحدي فلله دره ما ادق نظره والمراد انهم يتعلمون ما جبلوا عليه من البلاغة والقدرة على ايراد كل كلام بليغ في مقامه على ما يقتضيه حاله وسبكه في قوالبه ونظمه لا سايلبه المطاوعة له ومعرفته بذلك والبلاغة ملك قيادهم بكسر القاف وهو حبل تقاد به الدابة اي والبلاغة مملوكة لهم منقادة واصله ملكهم وفي قيادهم فعدل عنه لما ذكر لانه ابلغ ففيه استعارة في الملك والقياد وفي اضافته على حد قوله مكر الليل يعني انهم متصرفون في افانينها من غير تكلف قد حووا فنونها اي جمعوا وحازوا انواع البلاغة واقسامها والفنون جمع فن واستنبطوا عيونها اي استخرجوا خيارها ومحاسنها واصل معنى الاستنباط استخراج الماء من الابار والعيون النابعة فعيون هنا في موقعها وفيها تورية لطيفة لا يهامه لعيون الما والمراد خيارها لان عين كل شي خياره وليس من اطلاق اسم الجزء على الكل كما توهم ودخلوا من كل باب من ابوابها اي سهل عليهم الوصول الى مقاصدهم باي عبارة ارادوها كالحقيقة والمجاز والكناية وبسط الكلام في مقام وايجازه

في مقام آخر والتصريح والاخفا وفيه استعارة مكنية وتخييلية بجعل مقاماتها قصورا واسعة لها ابواب متعددة ولذا عقبه بقوله وعلوا صرحا وهو البيت العالي المزخرف بناوه والبيت المنفرد وعلوا بتخفيف اللام بمعنى صعدوا ويجوز تشديدها لبلوغ اسبابها جمع سبب وهو كل ما يتوصل به لشي آخر كالحبل والسلم وهو علة للعلو اي علوا قصر البلاغة ليصلوا الى ما فيه من الاسباب الموصلة لمهماتهم ومطالبهم النفيسة كمن يدخل قصر المقابل لله فينال عنده لغاية انعامه واحسانه وفيه ايما لقوله تعالى يا هامان ابن لي صرحا لعلي ابلغ الاسباب الاية فما قيل ان الاحسن ان يقول صرح اسبابها تركه احسن منه لان معناه انهم علوا ذروة البلاغة فوصلوا لكل ما ارادوه فعبروا بعبارتهم لمقاصدهم واللام لام العاقبة هنا وفيه استعارة مكنية تخييلية لتشبيه مرتبة الاعجاز التي عجزوا عنها بسما لم يصلوا اليها فقالوا اي تكلموا بكلامهم البليغ في الخطير اي في الامر العظيم الذي له خطر اي شرف ومزية على غيره والمهين بفتح الميم اي الحقير من المهانة وهي الحقارة وتفننوا اي اتوا بكل فن من فنون الكلام متصرفين في الغث بفتح الغين المعجمة وتشديد المثلثة واصله اللحم المهزول الذي يكره تناوله فاستعير للامر القبيح والفاسد وضده السمين وفي حديث ام زرع زوجي لحم جمل غث وفي المثل غثك خير من سمين غيرك وقالوا في الكرو النسخ بالقاف من القول وفي بعضها فغالوا بالغين المعجمة وفتح اللام اي زادوا والاول رواية الانطاكي وفسره التلمساني بانشاد المديح والهجا والمدح والذم او الجد والهزل وله وجه وتقاولوا تفاعل من القول اي اداروا الكلام بينهم في القل والكثر بضم اولهما واجاز البرهان كسرهما اي القليل والكثير مدحا وذما وجدلا وهزلا قيل وفيه نقل ولو قال في الكثير والنزر كان احسن واخف وانسب بقوله وتساجلوا في النظم والنثر والتساجل تفاعل من السجل بالفتح وهو الدلو الكبير وتجلت الماء صببته ثم لما كانوا يتناوبون في سقي الماء استعاروا المساجلة للعطا والمفاخرة كما قال •

من يساجلني يساجل ماجدا • يملو الدلو الى عقد الكرب •

وقيل الحرب سجال اي مرة يغلب وتارة يغلب كما قيل •

فيوما علينا ويوما لنا • ويوما نساء ويوما نسر •

فالمراد انهم تناوبوا وتفاخروا وتعارضوا في عد المآثر كما هو متعارف عندهم وليس المراد به المبارزة بان يدعو احدهم الآخر للقتال فيبرز من الصف كما قيل وانه لا وجه له هنا وهي جايزة لفعل الصحابة لها ومنعها بعضهم شرعا لما فيها من المخاطرة والنظم والنثر غني عن البيان فما راعهم اي بينا هم كذلك فجاهم بغتة امر لم يكن لهم علم به ولم يطرق مسامعهم مثله وفي الاساس ما راعني الا مجيئك اي ما شعرت الا به وهو من الروع بمعنى الخوف والفزع الا رسول كريم بعث بين اظهرهم بكتاب عزيز لا نظير له شريف ومنيع بحماية الله وهو استثنا مفرغ من عام مقدر اي لم يفجاهم ويفزعهم شي سوى رسول من الله اتاهم بخلاف هواهم وعكس مناهم اذ كانوا يتوهمون ان رتبتهم في البلاغة لا يفوقها كلام فاتاهم بكتاب اخرس شفاههم واصم اسماعهم والبا للمصاحبة اي مؤتيا بكلام معجز لا ياتيه الباطل اي لا ياتيه باطل وامر فاسد بحسب العقل والشرع او ما يبطله كالنسخ والطعن المقبول من بين يديه اي قدامه وفي مقابلته ولا من خلفه اي وراء ظهره والمراد من جهة من الجهات فلا يجد سبيلا يوصله اليه وما وقع فيه من المطاعن اضمحل وانمحق وصار كالعدم ولذا قال تعالى لا ريب فيه وقد جاء الحق وزهق الباطل تنزيل من حكيم محكم مصنوعاته وتدبير لجميع مخلوقاته

حميد محمود بحمد جميع الكائنات بلسان القال والحال **احكمت آياته** اي نظمت نظما محكما لا
يعتريه فساد ولا خلل ومنعها الله وحفظها من التبديل والتحريف الذي وقع في غيره من الكتب
فهو من احكمت الدابة اذا وضعت في فمه حكمة تمنعها الجماح او جعلت حكمة لاشتمالها على امهات الحكم
النظرية والعملية من حكم بالضم اذا صار حكيما وآيات القرآن جمع آية وهي جملة آيات من القرآن
لها مبدأ ومقطع **وفصلت كلماته** اي فصل وبين ما فيه من الفوائد الجليلة كالعقائد الحقة
والاحكام الشرعية والمواعظ والاخبار الصادقة او جعلت سورا او نزلت نجما نجما او فرق
بين الحق والباطل وجمعت الوعد والوعيد وبهرت اي غلبت وادهشت بلاغته العقول جميعها
لغرابة اسلوبه وحسن ترتيبها الذي اعجز البلغاء **وظهرت فصاحته** اي اتضحت كالشمس وسط
النهار وعلت وارتفعت مرتبة اعجازها **على كل مقول** اي كل كلام نظما ونثرا **وتظافر**
بالظا المشالة كما في اكثر النسخ تفاعل من الظفر وهو الفوز ونيل الاماني **ايجازه** اي قلة
الالفاظ الوافية باداء المعاني من غير خلل **واعجازه** اي كونه في اعلى مراتب البلاغة المعجز للبشر
فالمعنى ان الايجاز اخذ من الاعجاز ما يليق به والاعجاز استوفى من الايجاز ما يحق له ففيه
مع المبالغة استعارة مكنية وتخييلية لمن قال انه لم يجد في كتب اللغة ما يفسر به فقد قصر
وفي بعض النسخ بالضاد المعجمة اخت الصاد بمعنى تعاونا وتقويا على منع معارضته والاتيان
والاتيان بمثله من ضفر الحبل والشعر اذا جمع بعضه على بعض ليتقوى وهو مجاز مستعمل يقال
تضافر القوم اذا تجمعوا وتعاونوا وقيل انه بالطاء المهملة من الطفرة بمعنى الوثوب اي
وثب كل منهما والمراد انهما بلغا الغاية في بابهما والاوجه الثلاثة معانيها متقاربة فلا وجه
لتصويب بعضها دون بعض **وتظاهرت حقيقته ومجازه** اي عضد كل منهما الآخر وقواه
لما صار له ظهيرا ومستندا لما بينهما من العلاقة او تشابها في الظهور لوضوح معانيه وظهور
قرائنه لا كما يكون في بعض المجازات من الخفاء والتعقيد **وتبارت في الحسن مطالعه ومقاطعه**
اي تشابهت وتساوت اوائله واواخره من قولهم فلان يباري فلانا اذا فعل مثل فعله والتباري
يكون بمعنى التسابق في الجري والمعنى ان مطلعه وهو مبدؤه ومقطعه وهو منتهاه وغايته
كفواتح السور والآيات وخواتمها يجاري كل منهما الآخر ويسابقه ليحوز قصب السبق من
الفصاحة وصحة المعاني وهو عبارة عن تشابههما **وحوت كل البيان** اي ما ينبغي بيانه واظهاره
جوامعه اي جوامع كلمه التي جمعت المعاني الكثيرة في الفاظ قليلة **وبدايعه** اي ما ابتدع
فيه ما لم يسبق مثله في كتاب وكلام مما لا يقبل تحريفا ولا يخشى تصحيفا وكفى بالذهن مملكا
وبالذوق مشتملا **واعتدل** اي استقام من غير افراط ولا تفريط **مع ايجازه** وعدم تطويل
لفظه **حسن نظمه** اي تناسب كلماته لفظا ومعنى وقلما يكون ايجاز كذلك وهذا من ادلة
اعجازه وليس هذا مكررا مع قوله حوت كل البيان جوامعه وبدايعه كما توهم **وانطبق** اي وافق
كثرة فوائده اي معانيه التي يفيدها **مختار لفظه** اي لفظه المهذب الذي كانه انتخب ونقي
وهذا من وجوه الاعجاز ايضا لان ما يفيد معنى في كثيرة من الفصحاء يحتاج غالبا الى الفاظ غير
منقحة **وهم** اي فصحاء العرب من كل باد وحاضر **افسح ما كانوا في هذا الباب مجالا** اي اوسع
يقال فسحت مجلسه يتفسح فيه ومنه فسحت له ان يفعل كذا اي وسعت له فهو في فسحة مني وما كانوا
بمعنى كونهم فما مصدرية واضافة افعل للمصدر على التجوز كاخطب ما يكون الامير قائما والمجال
محل الجولان وهو الحركة والجملة حالية من ضمير راعهم ومجالا تمييز عن النسبة محول عن الفاعل والمراد

بالباع

بالباع جنس البلاغة وجعله بابا للوصول به الى مقاصدهم اي جاهم بالكتاب المجيد ومجالهم
في البلاغة في غاية الاتساع وتفسير المجال بالاتساع وان كان ينبئ عنه تكلف **واشهر**
اي اعظم شهرة وفي نسخة واشهرهم بالاضافة لضمير الناس في الخطابة بفتح الخاء اي انشاء الكلام
في المحافل وقوله **رجالا** تمييز كالذي قبله واشهر معطوف على غيرهم اي ورجالهم اشهر من غيرهم
في هذا وليس المراد بالرجال مطلق الذكور بل الاشراف كما يقال رجالات قريش لاشرافهم وليس
هذا منافيا لقوله خصوا من البلاغة والحكم بما لم يخص به احد من الامم لان اسم التفضيل يقتضي
مشاركة غيرهم لهم فيما كان مختصا بهم لان اختصاصهم بما ذكر على ظاهره والتفضيل مجازي
بان يكون على طريق الفرض كما وقع في حديث ما رايت ناقصات عقل ودين اذهب للب الرجل
منكن اذا قلنا الخطاب لجنس النساء او نقول انه على حد قوله الخل احلى من العسل اي انه في حمو
اقوى من العسل في حلاوته ولاسم التفضيل استعمالات ذكروها في المطولات **واكثر في**
السجع وهو الكلام المنثور الذي له فواصل مقفاة كالشعر وهو منقول من سجع الحمام لكونه
على وتيرة واحدة ولذا لا يجوز اطلاقه على القرآن والشعر وهو الكلام الموزون المقفى بالقصد
ارتجالا اي تكلما من غير فكر وروية وهو في الاصل الانتصاب والقيام على الارجل فاطلق على
التكلم قائما لانه كان عادتهم ثم نقل لما ذكر وشاع حتى صار حقيقة فيه وفي كتاب براية
البداية انه في الاصل الانتصاب بسهولة ومنه شعر رجل وقيل هو من ارتجال البئر وهو ان
ينزلها برجليه من غير حبل كالبديهة وهو من بدهه بمعنى بداه كما قالوا امدحه وبدهه الا ان
الارتجال اسرع من البديهة وبعده الروية انتهى وفي نسخة واكثر في الشعر والسجع سجالا والمراد
بالسجال هنا المحاورة واصل معناه الدلو كما تقدم وقيل المراد به المفاخرة **واوسع في الغريب**
المراد به ما يستغرب من الكنايات والمجازات البديعة لتصرفهم في الكلام وقيل المراد به ما يحتاج
الى تنقير وتفتيش من كتب اللغة وهو بالنسبة لنا فان قلت هذا مما يخل بالفصاحة وسياق
الكلام لمدحهم قلت قال ابن هلال في كتاب الصناعتين انه ليس مخلا لمن كانت لغته من الاعراب
والقح من العرب العربا فاطلاق اهل المعاني غير صحيح ولم ار من نبه عليه **واللغة معنا لا**
اللغة معناها الكلام ولكل قوم لغة ويكون اسما للعلم المدون يتبين فيه معناها والمراد الاول
والمقال مصدر ميمي بمعنى القول يعني ان لغة العرب اكثر من سائر اللغات الفاظا فقلما يكون
معنى الا وله اسما مترادفة حتى انه يوجد في كلامهم مما للداهية اسم واكثر وقد افردوه بالتاليف
وهذا كناية عن كونهم اقدر على الكلام من غيرهم فاذا اعجزهم القرآن فغيرهم يعلم عجزه بالطريق
الاولى وعطف اللغة على الغريب من عطف العام على الخاص **بلغتهم التي بها يتحاورون**
الجار والمجرور صفة كتاب او حال منه والتحاور ادارة الكلام والمراجعة فيه سؤالا وجوابا
من الحور وهو التردد والضمير للعرب وقيل لقريش لان القرآن نزل بلغتهم فان كان ما قبله كذلك
فلا اشكال في كلامه **ومنازعهم** بفتح الميم والنون وزاي معجمة وعين مهملة جمع منزع بالفتح
مجرور بالعطف على لغتهم من النزع وهو الجذب والاخذ والمنزع مصدر بمعنى النزع واسم
مكان ويكون اسما للسهم الذي يرمى به يقال رماه بمنزع اي بسهم بعيد المرمى قال

فهو كالمنزع المريش من الشو • حط مالت به يمين المعالي

قاله في الاساس قيل وهو المراد هنا لمناسبته لقوله **يتناضلون** بالضاد المعجمة اي يترامون
بالسهام يقال ناضلته وخرجوا يتناضلون وينتضلون ونضلت من الكنانة سهما اخذته ومن

المجاز ناضل عن قومه اذا دافع وحاج والمناضلة المفاخرة فشبه الكلام الدائر بينهم في
المخاصمة والمفاخرة بالسهام واثبت له المناضلة تخييلاً وقيل المنزع هنا اسم مكان والمعنى
انهم ينتقابون بكلامهم نظماً ونثراً في محال المنازعة وهي المجاذبة في الاعيان والمعاني
وهو بعيد والاقرب منه ما قيل ان المنزع ما يرجع اليه الرجل من رأيه وطريقته اي اتاهم الكتاب
بما هو دينهم الذي لا يتركونه فاكبوا على معارضته صارخا بهم في كل حين حال من الكتاب او الرسول
من الصراخ وهو الصياح والنداء بصوت شديد يسمع من بعيد اي مصرخا بدعوته في كل وقت
يتلو القرآن عليهم ويبكتهم ويدعوهم لمعارضته ومقرعا بضم الميم وتشديد الراء المهملة
وبعين مهملة اي معيرا وموبخا لهم من القرع وهو الضرب ومنه المقرعة لهم بضعا وعشرين
سنة وهو بكسر الباء الموحدة وضاد معجمة ساكنة وعين مهملة وهو من الثلاث الى التسع من
كسور العدد ويقال بضعة ايضا في لغة قليلة وفيه اقوال اخر في القاموس هذا اصحها
ويستعمل مع العشرة وما فوقها الى التسعين ولا يختص ببعض العقود منها وهذه المدة مدة دعوته
من بعثته الى وفاته وقد اختلف فيها مع انه بعث على راس الاربعين وحياته بعده قيل عشرون
وقيل ثلاث وعشرون وهو الاصح وقيل خمس وعشرون ولذا قال بضعا من غير تعيين عاما العام
والسنة بمعنى وقد خص الشائع بالشمسية والاولى بالقمرية ولذا اختاره لان حسابهم
ولانه قد يعبر به عن الشدة والقحط واعلم ان البضع ليس كصريح العدد في انه يذكر مع المؤنث
ويؤنث مع المذكر وما نقله في القاموس عن يرده ما في الحديث الايمان بضعة وسبعون
شعبة فلا يرد على المص ان الصواب ان يقول بضعة وعشرون كما قيل ولا حاجة للتأويل على
رؤوس الملأ اجمعين جمع راس وهو العضو المعروف والشريف السيد والملأ الجماعة وقد يخص
بالاشراف ويقال كلمه على رؤوس الناس وعلى رؤوس الاشهاد اذا صرح بما يريد واشاعه لان من
يريد ذلك يقوم في المحافل مستعليا على رؤوسهم اي انه لم يزل مظهرا الدعوته مدة بعثته
متنزلا لهم قايما عليهم بين اظهرهم والجار متعلقا بقوله مقرعا او تنازعه مقرعا وصارخا ام يقولون
افتراه هذا حال اي ايضا اي قائلا ونائبا لهم ام يقولون الخ ولم يقطعه رعاية لنظم القرآن
فيكون اقتباسا من مشكاة انواره والافتراء كالاختلاق الكذب والاستفهام انكاري توبيخي
قل ان كان الامر كما زعمتم فاتوا بسورة مثله في النظم والبلاغة فانه بلغتكم وانتم فصحاء وادعوا
من استطعتم اي كل من قدرتم على دعوته ليعينكم على افتراء كلام يضاهيه من دون الله اي غير
الله فانه القادر على كل شيء ان كنتم صادقين في قولكم انه افتراء وهذا توبيخ وتقريع بتعجيزهم
عن اقل مراتبه وليس مما بدأ للتسمية الاولى كما قيل ثم الحق باية اخرى في معناها فقال وان
كنتم في ريب في شك وشبهة مما نزلنا على عبدنا الاية اي نزل منجما بحسب الوقائع وهذه
ابلغ مما قبلها للدلالة على عجزهم في المستقبل بقوله ولن تفعلوا والكلام على الايات مما كفانا
المفسرون مؤنته وقال لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن نظما
وبلاغة لا ياتون بمثله الاية وهو جواب قسم مقدر ولذا لم يجزم ولم يذكر الملائكة لان اتيانهم
بمثله لا ينافي اعجازه فتامل قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات اي محض كذب واختلاق
منكم وخص الكذب بالذكر لقوله وذلك اي طلب الاتيان بالمفترى تهكما وتقريعا ان المفتري
اسم مفعول اسهل تلفيقا ووضع الباطل اقرب تناولا واروج تنميقا ومع ذلك لم يقدروا
عليه واللفظ اذا تبع المعنى الصحيح كان اصعب لانه يلاحظ فيه ما في الواقع ونفس الامر

دليجي

ابن فارس

ثم يؤتى باللفظ على طبقه وترتيبه بحيث لا يخرج عنه والمختلق بفتح اللام اسم مفعول
بمعنى الكذب المفترى كما قال تع وتخلقون افكا وهو من الخلق بمعنى التقدير لانه امر يقدر
في النفس من غير نظر للواقع وقيل انه من الخلق وهو الثوب البالي لان الحق يزيد كل يوم جدة
والكذب يزداد بلى على الاختيار اقرب المراد بالاختيار عدم الالجاء والاضطرار فان الصا
يضطر الى اتباع الحق وقد يضيق عليه نطاق البيان بخلاف الكاذب فانه يجد براً واسعا كما قال
تع الم تر انهم في كل واد يهيمون وقيل هنا بحث وهو ان التحدي بقوله فاتوا بسورة الخ ان كان
الاتيان بما هو واقع على وجه الحق فهو غير ممكن قطعا وان كان بالاتيان بمثله وعلى صورته
لفظا فلا يخرج عن كونه مفترى وحينئذ يستوي الامران والذي دار في خلدي ان ذكر
مفتريات لمشاكلة قوله افتراه تهكما وتقريعا لا لما قاله المص انتهى وليس بشيء لانا نختار
الثاني ونقول انهم لعجزهم لا يستويان وهو في غاية الظهور فتدبر وضمن اقرب معنى
اهون ولهذا عداه بعلى كقوله وهو اهون عليه ولولا ذلك عداه بالى او اللام ولهذا اي
لكون الامر المختلق اسهل واقرب من الحق الصحيح عبارة قيل اي قال الادباء ومن لهم دربة
في صناعة الصياغة للكلام فلان اي المنشي لرسائل الملوك ونحوه ممن ينقل الحكم والمواعظ
من الفصحاء يكتب كما يقال اي كتب في شان امر واقع رسالة فينمق اكمام الكلام على زهر
المعاني الزاهية الزاهرة حتى يفوح عبيرها في نادي البراعة وفلان ممن يكتب المقاما
كما يريد من كل منظر وعلى خاطره من غير نظر لصدقه وكذبه فاذا صعب عليه التعبير عن
معنى عدل عنه لغيره فهو يكتب كما يريد لا كما يراد وهذا اشارة كما حكي عن بديع انه رتب له وانه
بين كتبة الديوان فلم يقدر على كتابة الرسايل فلما اخبر الصاحب بذلك قال دعوه فانه
يكتب كما يريد لا كما يراد وحكي مثله عن الحريري ايضا وللاول الذي يكتب كما يقال له على
الثاني وهو الذي يكتب كما يريد والمراد بالكتابة مطلق الكلام وان لم يكتب فضل
اي زيادة شرف ورتبة وبينهما شاو وقد تبدل الفا اي مسافة ومدى بعيد والشاو
بفتح الشين المعجمة وسكون الهمزة والواو بمعنى السبق والغاية والامد فتجوز به عن المسافة
ثم كني به عن التفاوت الزايد فلم يزل صلى الله عليه وسلم يقرعهم اي يعيرهم ويعيبهم
ويشنع عليهم لما عداهم بالقرآن اشد التقريع لانذارهم بالهلاك والعذاب الاليم ويوبخ
غاية التوبيخ هو بمعنى ما قبله لكن المقام مقام اطناب وخطابة يحسن فيه مثله ويسفه
احلامهم اي يصفهم بالسفه وهو قلة العقل وخفته فالسفه الخفة والاحلام جمع حلم
بضمتين وضم فسكون وهو العقل ويحط اعلامهم بحاء مهملة مضمومة واعلام جمع علم
بفتحتين وهي الراية الكبيرة والجبل والسيد والاسم المختص والكل محتمل هنا اي ينكس راياتهم
ويهد جبالهم ويذل سادتهم ويزري باكفائهم والمعنى على كل حال انه يحقرهم ويقهرهم بطعنه
فيهم واظهار ضلالهم وسوء حالهم ويشتت نظامهم اي يفرق جمعهم ويبطل آراءهم بجداله
وجلاده والنظام ما تنظم به الدرر ونحوها والتشتيت التفريق فاستعير لما ذكر ويذم
آلهتهم اي اصنامهم التي عبدوها في الجاهلية وآباءهم الذين اقتدوا بهم في الكفر وقالوا
انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون والآباء بالمد جمع اب ويستبيح ارضهم
وديارهم اي يجعلها مباحة للمسلمين باستيلائهم عليها واجلائهم عنها واموالهم ما ملكوه من
الاثاث والمواشي وغيرها وهم في كل هذا المذكور من التوبيخ والتسفيه وما بعده الى

استباحة الاموال والدماء ناكصون يقال نكص على عقبيه اذا احجم وتاخر فاستعير
للاعراض عن معارضته فيما فعله وما اتى به للقرآن عن معارضته والاتيان بمثله والجملة
حالية من الضمير قبلها محجمون عن مماثلته اي عن الاتيان بشيء يماثل اقصر سورة منه لما عراهم
واحجم كنكص بمعنى تاخر وهو كناية عن عدم القدرة يقال حجمته فاحجم وهو من النوادر مثل كببته
فاكب يخادعون انفسهم اي يمنون انفسهم اماني كاذبة ويؤملون آمالا فارغة ويكرون
مكرا يعود عليهم بالوبال فكانهم بذلك خادعوا انفسهم فهو كقوله تعالى وما يخادعون الا انفسهم
وتحقيقه في الكشاف وشروحه بالتشغيب وهو تهييج الشر والفتن من الشغب بفتح الغين
المعجمة وسكونها بالتكذيب اي بادعائهم كذب رسول الله فيما جاء به من الحق الذي لا مرية فيه
وقيل هو من قولهم كذبته نفسه اذا خيلت له آمالا لا تحمد على اتباع الباطل وهو تعسف لا وجه
له والذي غرّ قوله والاغراء بالافتراء هكذا في النسخ الصحيحة بغين معجمة وراء مهملة
وفي بعضها الاغترار افتعال منه وقال التلمساني صوابه الاغراء بغير تاء وهو الولع بالحث
والتحريض قال تعالى فاغرينا بينهم العداوة اي الزمناها اقول قال اصله من الغرا الذي
يلصق به وعلى هذا فالاعتراض ساقط لما في القاموس من انه يقال اغتراه اذا الصقه ثم
والمصنف اجل ان يتوهم في اللغة فانه فرق فيه ولا حاجة الى انه لمشاكلة الافتراء والافتراء
الكذب كما تقدم وصيغة الافتعال تفيد مبالغة ليست في المجرد كما قرروه في قوله لها ما
كسبت وعليها ما اكتسبت وقولهم بالجر معطوف على التكذيب ان هذا الا سحر يؤثر اي ينقل
ويروى عن السحرة كاهل بابل وغيرهم وسبب نزول هذه ان الوليد لما سمع منه صلى الله عليه وسلم
حم السجدة قال سمعت من محمد كلاما ما هو بكلام انس ولا جن وانه ليعلو ولا يعلى فقيل قد
صبا الوليد فقال ابن اخيه ابو جهل انا اكفيكموه فجلس عنده حزينا وكلمه بكلام احماه فقال
لهم تزعمون ان محمدا مجنون هل رأيتموه يخنق وزعمتم انه كاهن هل رأيتموه يكهن وانه شاعر هل
رأيتموه قال شعرا قالوا لا فقال انما هو ساحر اما رأيتموه يفرق بين المرء واهله وولده فاهتز
النادي فرحا واعلم ان السحر كما نقله الاكفاني في ارشاده قد صنف فيه كتب كثيرة اكثرها غاية
الحكيم للمجريطي وهو حقيقي وغير حقيقي يقال له الاخذ بالعيون والى القسمين الاشارة بقوله
واسترهبوهم وجاؤوا بسحر عظيم وقوله سحروا اعين الناس ولما خفيت اسبابه اختلفت
طرقه فطريقة تصفية النفس وتجريدها لانهم رأوا افعالا لا تصدر عن النفس وطريقة النبط
عمل اشياء مناسبة للغرض المطلوب مضافة لرقية وعزيمة ودخنة في وقت مناسب فتلك
الاشياء تماثيل وتصاوير وعقد ينفثون فيها وكتابة تدفن او تعلق في الهواء او تحرق والعزائم
تضرع للكواكب المؤثرة عندهم فطريق اليونان تسخير روحانية الافلاك والكواكب دون
اجرامها في وقت خاص وطريق القبط والعبرانيين والعرب الاعتماد على اسماء وعزائم مجهولة
كانهم يخاطبون بها حاضرا لاعتقادهم ان تصدر عن الجن بتسخير الملائكة لها وانواعه ثلاثة
الاستخدام والاستنزال والاستحضار ويكون بنقطة يتوسط بدن يستعمل ينطق بلسانه كصبي
وامرأة حال غيبته عن الحس ويختص باسم الاستحضار فان كان مناما اختص باسم الحلبات
انتهى وسحر مستمر دائم باق لما رأوه من تتابع الوحي غضا طريا او محكم متقن واصله من مرّ
الحبل وهو فتل مرائره وهي طاقات او ذاهب غير باق من المرور او بشيع من المرارة وافك
افتراه اي كذب اخترعه واختلقه والافك اسوأ الكذب واساطير الاولين اي شيء اخذه

مما سطره الاولون وزخرفوه وهو جمع سطر اي صف من الكتابة على خلاف وقال المبرد
انه جمع اسطورة كارجوحة واراجيح على القياس او له مفرد مقدر كاسطار واسطيرة وقائل
هذا هو النضر بن الحارث بن كلدة وفيه نزلت الاية وقيل هو مرتد والمباهتة بالجر عطفا على
التكذيب وهي بمعنى البهتان وهو الكذب الذي يبهت وبهت صاحبه وكذا قوله والرضى
بالدنية بالهمزة وتبدل فتدغم ومعناه الخصلة الحقيرة الخسيسة المنحطة التي لا يرضى بها من
له عقل ومروءة وفسرها بقوله كقولهم قلوبنا غلف لان ظاهره الوصف بالحماقة وعدم الرضى
وهو امر مذموم لا يرتضيه العقل وهو جمع اغلف بمعنى اقلف والقلفة الغلفة وقيل انه جمع
غلاف واصله غلف بضم اللام ككتب وبه قرئ ثم خفف بالسكون اي هي اوعية للعلم مملوءة به
فلا تحتاج للتعلم منك وعلى الاول معناه لا نفهم ما تقول ولا يصل الينا وهذا هو الملائم لكلام
المصنف ولقوله في اكنة مما تدعونا اليه وهو القرآن والاذعان وفي آذاننا وقر اي صمم
واصل معناه الثقل والحمل ومن بيننا وبينك حجاب اي مانع عن وصول ما تقوله لنا وفي من
اشارة الى انه مبتدأ وانه استوعب المسافة المتوسطة بينهما بحيث لم يبق فراغ وهو تمثيل لتبعيد
قلوبهم عن ادراكها ما دعاها له ومجاسماعهم له وامتناع مواصلتهم وموافقتهم له وقال الذين
كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن اي لا تصغوا وتنصتوا والغوا بفتح الغين المعجمة وضمها
من لغي يلغى ولغا يلغو والاول اصح وهو المعروفة والمراد هنا رفع الاصوات باي كلام كان حتى
يشوش على قارئه فيقطع قراءته ويمنع من استماعه ولغو الكلام ما لا يعتد به وهو من اللغا وهي
اصوات الطيور يقال لغا لغوا ولغا وقد يسمى كل كلام قبيح لغوا قال تعالى لا يسمعون فيها لغوا
قبيحا كما قال الراغب وانما فعلوا هذا لعجزهم عن معارضته لعلكم تغلبون قارئه بقطع قراءته
فغلبتهم انما هي بالجهل والسفه كما هو شأن العاجز المعاند ومثله دينه لا يرضى والادعا مجرور
كالذي قبله مع العجز لقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا وهذه وقاحة لفرط عنادهم ومكابرة ولو
استطاعوه ما منعهم ان يشاؤوا وقد تحداهم وقرعهم بالعجز عشر سنة ثم قارعهم بالسيوف فلم يقدروا
مع استنكافهم ان يغلبوا خصوصا في الفصاحة وقائل هذا هو النضر بن الحارث لكنه اسنده الى
الجميع كاسناد فعل الرئيس الى المرؤوسين او على حد قولهم بنو فلان قتلوا قتيلا والقاتل واحد منهم
وقد قال الله تعالى مكذبا لهم ولن تفعلوا فنفى قدرتهم في المستقبل فلو قدروا لحميتهم فعلوا
ولم يقل فلن تأتوا بسورة من مثله لما فعله من الكناية والايجاز فما فعلوا ولا قدروا نفي الفعل
ظاهر والقدرة في الانسان قوة غير محسوسة فنفيها يعلم من انهم عجزوا وانهم لم ينطقوا ببنت
شفة مع شدة غيرتهم واستعمال نار حميتهم ومن تعاطى ذلك اي فعله وتكلم بما توهمه معارضة
واصل معناه المناولة من سخفائهم اي ممن له طيش وقلة عقل كمسيلمة تصغير مسلمة فلامه
مكسورة ومنهم مضمومة والعامة تفتح لامه خطأ منهم والضمير للعرب وهو كذاب يضرب به المثل
يقال اكذب من مسيلمة وهو ابن حبيب اليمني ثم الحنفية قبيلته وهذا لقبه واسمه هارون ويقال
له ابو ثمامة وكان وفد على النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسلم حتى قتله خالد بن الوليد في خلافة ابي
بكر رضي الله عنه وقيل قتله وحشي وكان له حيل وشعبذات يوهم انها معجزات وارسل للنبي
صلى الله عليه وسلم مكتوبا صورته من مسيلمة رسول الله سلام عليك اما بعد فاني قد اشتركت
معك بان لنا نصف الارض ولقريش نصفها ولكن قريشا يعتدون علينا فاجابه وكتب اليه
من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب سلام على من اتبع الهدى اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء

الكلام المغترة لا التقارية كما توهم لانه لا يناسب المقام وسمع اعرابي آخر يقرؤ فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا اي لما يئسوا من يوسف وزيد السين والتا للمبالغة في اليأس وخلصوا بمعنى اعتزلوا وانفردوا ونجيا بمعنى متناجين في تدبير امرهم وهو يطلق على الواحد المذكور وغيره فقال اشهد ان مخلوقا لا يقدر على هذا الكلام لاعجاز بلاغته وخروجها عن طوق البشر فانك اذا وزنت قولك لما لم يطمعهم يوسف ولم يجبهم ذهبوا وتشاوروا فيما يقولون بعد هذا وكيف يرجعون لابيهم بهذا النظم عرفت ما لذوق انه لا مناسبة بينهما ولولا خوف السآمة فصلنا وجوه البلاغة فيها وحكي ان عمر كان نايما بالمسجد اي بمسجد رسول الله بالمدينة والظاهر ان مراده بقوله نايما مضطجعا لينام فانه يستعمل كثيرا بهذا المعنى لقوله وعلى راسه قايم اي في جانب راسه رجل منتصب القامة وليس المراد انه واطي لراسه وهو حقيقة عرفية في مثله والجملة حالية والضمير لعمر رضي الله عنه وفي نسخة فاذا هو قايم على راسه واذا فجايية والبا للملابسة يتشهد شهادة الحق اي يقول اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فاستخبره اي طلب عمر منه الاخبار عن سبب شهادته وعن حاله فاعلمه انه من بطارقة الروم بطارقة جمع بطريق بكسر الرا معرب بترك ومعناه الرئيس وقايد الجيش وقد تكلمت به العرب قديما قال الجواليقي في كتاب المعرب البطريق بلغة الروم هو البترك وجمعه بطارقة وقد تكلموا به ولما سمعت العرب بان البطارقة اهل رياسة وصفوا الرئيس به يريدون المدح قال ابو ذويب وهم رجيمون انتهى

وهذا يقتضي ان بطريق هو المعرب وهو المعروف وقال ابن خالويه في كتابه ليس البطريق معرب بطريق عربته العرب قديما قال

يعلو الظواهر فردا لا انيس له • كبطرك قد مشى في رهط كتان •

انتهى وهذا مما يتعجب منه فحرره والروم جيل من الناس معروفون سموا باسم جدهم روم بن عيص بن اسحاق وكان اصفر فلذا قيل لهم بنو الاصفر والواحد رومي وقول الجوهري رامي غلط منه ممن يحسن كلام العرب وغيرها من العبرانية والسريانية والرومية وانما قال هذا توطية لانه يفهم القرآن والانجيل ويقدر على النظر في معانيها ولذا قال وانه سمع رجلا من اسارى المسلمين بضم الهمزة وفتحها جمع اسير واصله من الاسر وهو الشد بالقد ثم عم لكل من اسر وصار في يد عدو يقرؤ آية من كتابكم ايها المسلمون يعني القرآن فتاملتها اي نظرت بفكري معناها فاذا قد جمع فيها ما انزل الله على عيسى بن مريم في الانجيل من احوال الدنيا والآخرة بيان لما اي من الاحوال التي تلزم العقل في الدنيا التي هي سبب للفوز والنجاح في الآخرة وهي اي الآية التي سمعها قوله عز وجل ومن يطع الله ورسوله في امره مما فرض وسن ونهيه عن غيره ويخش الله ويتقه اي يخافه ويجتنب ما يستوجب سخطه فاولئك هم الفايزون بسعادة الدارين وجمع بالبنا للمفعول ويجوز بناؤه للفاعل ويقرؤ بالافراد فاعله ضمير رجل وقيل انه روي يقرؤون بضمير الجمع للاسارى وهو محتاج للتكلف وحكي الاصمعي بصاد مهملة ساكنة وميم مفتوحة وعين مهملة وهو عبد الملك بن قريب بالتصغير ابن اصمع وهو لقب جده ومعناه صغير الاذن وهو امام اللغة والنحو والادب والنوادر ولد بالبصرة سنة ثلاث وعشرين ومائة وتوفي بها سنة عشر ومايتين انه سمع جارية اي امراة شابة من العرب تتكلم بكلام فصيح فقال لها قاتلك الله ما افصحك تعجب من فصاحة لسانها وبالغ في تعجبه

فان

فانه يقال للمرء اذا اتى بامر بديع غريب وهي في الاصل جملة دعايية يراد بها شدة الاستحسان كانه ممن يستحق ان يحسد ويدعى عليه فقالت اوبعد بفتح الهمزة للاستفهام والواو العاطفة والهمزة مقدمة من تاخير او داخلة على مقدر معطوف عليه وبعد بالبنا التحتية مجهول او الفعل معلوم هذا الكلام فصاحة اي فصيحا بعد قول الله اي مع فصاحة القرآن يقال لكلام غيره انه فصيح لمن سمعه فانه ازرى بكل فصاحة فصيرها كالعدم كالمتاع النفيس اذا نشر بجنب ما هو اعظم نفاسة منه يعد غير نفيس كما قيل

• ولا قبح فيها غير ان جمالها • يصير كل الغانيات قباحا •

واوحينا الى ام موسى اي الهمناها وارينا لها مناما ان ارضعيه الآية اي فاذا خفت عليه فالقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين فجمع في آية واحدة بين امرين ارضعيه والقيه ونهيين لا تخافي ولا تحزني وخبرين اوحينا وخفت عليه وبشارتين رادوه وجاعلوه من المرسلين والمراد بالفصاحة هنا البلاغة فانها تطلق عليها كما ذكره الشيخ عبد القاهر فهذا اي الجمع بين ما ذكر في آية واحدة نوع من اعجازه اي القرآن منفرد بذاته اي مستقل بنفسه غير محتاج لغيره غير مضاف لغيره اي غير تابع لنوع غيره من البلاغة على التحقيق لما في الواقع عند من عرفه والصحيح من القولين بالجر معطوف على التحقيق والظاهر ان مراده بالقولين هنا كما قاله بعضهم القول بان اعجاز القرآن بل هو بمجموع بلاغته واسلوب نظمه او هو متحقق بكل واحد منهما على حدته وانفراده بدون اضافة احدهما الى الآخر فان كلا منهما خارق للعادة خارج عن طوق البشر وهذا هو المتبادر من سياقه • وقيل المراد بالقولين القول بان اعجازه ببلاغته التي لا يرتقي احد الى مرتبتها والقول بانه معجز بغير ذلك كالصرفة والاخبار بالمغيبات ولا شك في ان من يقول باعجازه لبلاغته واسلوبه يقول ايضا انه بالنظر لمعناه ايضا اذ لا يمكن قطع النظر عنه كما قاله العلامة الزركشي في برهانه اذ قال اكثر المحققين ان الاعجاز من جهة البلاغة لكن تعذر الاحاطة بتفصيلها فان اجناس الكلام مختلفة ومراتب البيان متفاوتة فمنها الرصين الجزل والفصيح القريب السهل والجايز الطلق البليغ الرسل فهذه اقسامه المحمودة والاول اعلاها والثاني اوسطها والثالث ادناها وقد حازت بلاغة القرآن من كل شعبة فانتظم له نمط جمع الفخامة والعذوبة وهما كالمتضادين لان العذوبة نتاج السهولة والمتانة والجزالة يعالجان الوعورة فكان اجتماعهما فضيلة خص بها القرآن ليكون آية بينة وانما تعذر على البشر لان علمهم لا يحيط بجميع اللغة العربية وظروف معانيها وافهامهم لا تدرك جميع معانيها ووجوه نظمها فيتخيرون احسنها حتى ياتوا بمثله وانما يقوم الكلام بلفظ كامل ومعنى عليه قايم ورباط له ناظم فاذا تامل القرآن وجد انه اسبق في ذلك كله وفي اعلى درجاته وهذا لا يتيسر لغير العليم القدير فانما صار معجزا لانه جاء باحسن الالفاظ وابدع النظم والقالب واصح المعاني من الدعا للتوحيد وطاعة الرب الجليل والتحليل والتحريم والعظة والتقويم والارشاد الى محاسن الاخلاق والزجر عن مساويها واضعا كل شي في موضعه بحيث لا ترى شيئا اولى من محل مودة بما فيه مثلات اخبار القرون الماضية منبيا بالحوادث المستقبلة ازمانها جامعا فيه الحجج والمحتج له المؤكدة للزوم ما دعي له ولا شك ان استيفاء هذه الامور متسق احسن نسق لا يليق لغيره عز وجل وكون القرآن من قبل النبي بكسر القاف وفتح البا الموحدة واللام اي

من عباده والعاقبة للمتقين انتهى ومن هذيانه الذي زعم انه وحي نزل عليه والزارعات زرعا والحاصدات حصدا والطاحنات طحنا والخابزات خبزا والثاردات ثردا ضفدع بنت ضفدعين الى كم تنقين لا الما تكدرين ولا الشراب تمنعين الى غير ذلك مما تمجه الاسماع وتستقبحه الطباع **فكشف عواره** وفي نسخة بدون فاء واثباتها احسن اي اظهر ما قاله من الكلام السخيف الركيك عيبه وحماقته وهو بضم العين المهملة بزنة غراب على الافصح وآخره راء مهملة وبفتح العين ايضا وقيل انها الافصح **لجميعهم** اي العرب ممن سمعه وقد نقل صاحب الدلائل منه كلاما كثيرا وشرحه ولا حاجة لشرحه وجه الصحف به والعوار ماخوذ من عور العين وفيه اشارة الى ما نقل من انه مسح عين استشفى بمسحه فانصدعت عينه **وسلبهم الله** اي اخذ منهم والضمير لمن وجه نظر المعناه **ما الفوه** اي ما اعتادوه بطباعهم **من فصيح كلامهم** بيان لما اي لما المعارضة لم يقدروا على كلام مثل كلامهم قبله وليس هذا قولا بالصرفة كما توهم لان من فعل هذا ليس له صرفه وهذه الجملة معطوفة على جملة لما فعلوه وليست الواو بمعنى ولا حالية كما قيل **والا** اي وان لم يسلبهم الله فصاحتهم المالوفة **فلم يخف على اهل الميز** بفتح الميم وسكون التحتية والزاي المعجمة اي التمييز والعقل وزاد الفا في الجواب لانه ماض لفظا ومعنى او بتقدير المستدل اي فهم لم يخف ووجهه دفع توهم كون الا استثنائية فاندفع ما قيل ان الصواب اسقاطها لصحة مباشرته للشرط فيقال ما زن بمين اذا ميزه اي لو نظر تلك الجمل وما زها ظهر انه كلام ما راق وما زهي **انه ليس من نمط** بفتحتين ونون وميم وطا مهملة اي من نوع الفصاحة وعلى طريقتها التي اعتادوها فانه معجز خارج عن طروح البشر وضميرانه للقرآن لقوله تعالى عندي متاع من هذا النمط وهذا ابلغ من ليس فصيحا لانه نفى عنه كونه من جنسه **فصاحتهم ولا جنس بلاغتهم** لركاكته وقباحته **بل ولوا** عنه **مدبرين** اضراب عنه ومدبرين اي معرضين حال مؤكدة لولوا بمعنى رجعوا واعرضوا **واتوا مذعنين** بذال المعجمة وعين مهملة اي منقادين مسلمين والاذعان الانقياد واما اطلاقه على العلم في قولهم اذعان النسبة تصديق بها مولد ليس من كلامهم **من بين مهتد** اي مصدق بحقيقته واعجازه لهداية الله له **و**من **بين مفتون** متحير في امره بل لا عجازه وفيه لف ونشر مشوش **ولهذا** اي لكونه ليس من نمط كلامهم **لما سمع الوليد بن المغيرة** قال السيوطي هذا الحديث رواه البيهقي عن عكرمة مرسلا وفي المقتفي في الاحيا في آداب تلاوة القرآن حديث ان خالد بن عقبة جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اقرأ علي فقرأ عليه ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى الآية فقال اعد فاعاد فقال ان له لحلاوة الى آخر ما ذكره المص وكذا ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب بغير اسناد ورواه البيهقي في الشعب من حديث ابن عباس بسند جيد الا انه قال ان الوليد بن المغيرة بدل خالد بن عقبة كما قاله المص وكذا ذكر ابن اسحاق في سيرته فان صح فهما قصتان والوليد والد خالد والمغيرة بضم الميم وكسر الغين المعجمة وابن عبد الله المخزومي وباقي نسبه معروف مات كافرا وترجمته معروفة **من النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يامر بالعدل والاحسان الآية** لما سأله ان يقرأ عليه شيئا من القرآن لينظر في امره وقرأ هذه عليه دون غيرها لمناسبتها له لانه من اقاربه وفيها عظة له وتنبيه وهو من رؤساء عقلائهم فرجي بذلك ان يهديه الله للاسلام **قال** لما سمع ما تلاه عليه **والله ان له** لما تلاه **حلاوة** اي عذوبة فصاحة عند من له ذوق فهو استعارة لما يستلذه السمع **وان عليه لطلاوة** بضم الطاء ويجوز فتحها لغة ومشاكلة وبكسر ايضا فهو مثلث ومعناه الحسن

والقبول

والقبول والرونق وجاء بمعنى السحر ايضا وهو استعارة كالذي قبله واكده بالقسم والاسمية وقدم الخبر للحصر اشارة الى انه لا يشبه غيره من الكلام **وان اسفله لمغدق** بلام التوكيد وضم الميم وسكون الغين المعجمة وكسر الدال كما في النسخ كلها من الغدق بفتحتين وهو كثرة الماء وروى ابن اسحاق وان اصله لعذق **وان فرعه لجناه** والعذق فيه بفتح العين المهملة وسكون الذال المعجمة هو النخلة التي اصلها ثابت ورواه ابن هشام لغدق بفتح المعجمة وكسر المهملة من الغدق بفتحتين قال السهيلي ورواية ابن اسحاق افصح لانها استعارة تامة فيها آخر الكلام يشبه اوله والجناه بفتح الجيم والنون الثمرة **وان اعلاه لمثمر** له ثمر طيب كثير والجملة الثانية بتمامها استعارة تمثيلية والمراد انه كلام اصله قوي ليس من جنس كلام البشر ومعانيه مفيدة مرشدة لسعادة الدارين وحسن العاقبة وهو كقوله تعالى ضرب الله مثلا كلمة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء والاستعارتان تمثيليتان واراد باسفله ما تضمنه من المعاني كما يقال تحت هذا الكلام معان غزيرة واراد باعلاه ما ينتجه من الفوائد والعوائد التي تظهر من فهم معانيه وتبيينها فشبه الكلام لفصاحته وبلاغته بشجرة شربت عروقها ماء غزيرا فاهتزت وربت وانبعث ثمارها وكثرت وعذبت ويجوز ان تكون مكنية وتخييلية قلت اختلاف الروايات يؤيد تعدد القصة ثم بنى على هذا قوله **ما هذا بقول بشر** لانه لا يشبه كلامهم بوجه من الوجوه وفي نسخة ما يقول هذا بشر بصيغة المضارع اي ليس مثل كلام البشر لعلو نظمه وبديع اسلوبه وبلاغته معانيه وجزالة مبانيه يعني انه ليس مفترى مختلقا وخص البشر لانهم المعروفون بالبلاغة والا فهو معجز للجن ايضا مع ان في هذا الخبر التصريح بذلك حيث قال والجن لبشعر فما فيكم رجل اعلم بالشعر مني ولا اعلم برجزه ولا بقصيده مني ولا باشعار الجن والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا وانه ليعلو وما يعلى وانه ليحطم ما تحته كما رواه البيهقي في الدلائل ثم انه روي للعمري ان القاري على الوليد عثمان بن مظعون لا النبي صلى الله عليه وسلم كما رواه المص فان عثمان قال ما اسلمت ابتداء الاحياء من رسول الله حتى نزلت ان الله يامر بالعدل الآية وانا عنده فاستقر الايمان في قلبي فقرأتها على الوليد بن المغيرة فقال يا ابن اخي اعد الى آخر الحديث وهذا يؤيد ما سبق من تعدد القصة **وحكى ابو عبيد** القاسم بن سلام بتشديد اللام الامام في الفقه والحديث واللغة البغدادي الامام الجليل اخذ عن الشافعي وغيره وكان عبدا روميا لرجل من هراة واحواله وترجمته معروفة توفي سنة اربع او ثلاث وعشرين ومائتين **ان اعرابيا سمع رجلا يقرأ فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين** اي اجهر بما امرت بتبليغه ولا تبال بما يقوله وما موصولة او مصدرية واصل معنى الصدع التبيين والتمييز فاستعير لما ذكر لتفريقه بين الحق والباطل وما قيل من انه لا يجوز ان تكون مصدرية لانه بمعنى امرك وهو مصدر مبني للمفعول والصحيح عدم جوازه ولا موصولة لانه يحتاج لتقدير العائد اي تؤمر به ولا يجوز الا اذا جر بما جر به الموصول واتحد متعلقا والاول متعلق باصدع والثاني بتؤمر وهم من قائله وان سبقه اليه بعض المعربين لان الخلاف في المصدر الصريح لا في ان والفعل كما في هذه الآية ولانه انما حذف العائد بعد حذف الجار ونصبه **فسجد** الاعرابي لما ادهشه من بلاغته **وقال سجدت لفصاحته** اذ ليست آية سجدة وانما هذه التعجب لفصاحته حتى ذل ومرغ وجهه في التراب وكان هذا معروفا في مثله حتى قال بعضهم للشعر سجدات وليس المعنى سجدت لله لاجل فصاحته كما توهم وضمير فصاحته

اي من عندهم قال تعالى فما للذين كفروا قبلك مهطعين ويستعار للقوة والقدرة على المقابلة اي المجازاة فيقال لا قبل لي بكذا ومنه قوله بجنود لا قبل لهم بها والمراد كونه بلغة قومه **وانه اتى به** عطف تفسير فليس المراد انه كلامه **معلوم ضرورة** لتواتره وتوفر الدواعي على نقله **وكونه** صلى الله عليه وسلم متحديا اي طالبا منهم الاتيان بمثله **به معلوم ضرورة** لسماعهم له **وعجز العرب عن الاتيان بمثله معلوم ضرورة** لمشاهدتهم له **وكونه في فصاحته خارقا للعادة** اي مخالفا لعادة فصحاء العرب في كلامهم الفصيح من قولهم خرق الصف اذا جاوزه وتعداه **معلوم ضرورة للعالمين بالفصاحة ووجوه البلاغة** اي انواعها ومقاماتها المقتضية لها لعجزهم عن معارضته وقد طلب منهم ذلك مرارا **وسبيل من ليس اهلها** اي طريق من ليس من اهل الفصاحة الجبلية الموصلة لمعرفة اعجازه كالمولدين والعجم **علم ذلك** اي الاعجاز واسم الاشارة قائم مقام الضمير **بعجز المنكرين** لاعجازه وانه ليس من كلام البشر اذا تحدوا **عن معارضته** والاتيان بمثله وعن متعلقة بعجز **واعتراف** هو في الاصل افتعال من العرف فصار بمعنى الاقرار بما عرفوه فقوله **المقرين بانه كلام الله** المعجز من اقامة الظاهر مقام الضمير **وباعجازه** بلاغته لهم ولغيرهم عن ان يرتقوا بنت شفة الا من غلب عليه السفه وتعلق هنا بما عن بصدده اظهر من الشمس وانكاره مكابرة وسبيل مبتدا وعلم مرفوعة مسلك خبره مصدر على يتعلم والمبتدا معرفة باضافته لمن الموصولة والخبر باضافته لاسم الاشارة ولارباب الحواشي هنا خبط يتعجب منه فمنهم من قال على مجرور بدل من من الموصولة وذلك مفعوله وبعجز الخ خبره اي سبيل على من ليس اهلا ذلك اي كونه خارقا للعادة وهو بعجز الخ واعجب منه قولهم ان علم بفتح العين وسكون اللام بمعنى علامة من علمت شفته اذا انشقت فهو اعلم وبعجز متعلق بمقدر وقيل علم فعل ماض مبني للمجهول او للمعلوم وهو تخليط لا داعي له ثم ذكر ايات استوضح بها ما قدمه فقال **فانت اذا تاملت** اي امعنت النظر ودققته كمن كان ينظر لما له دفينة امل وانت فاعل فعل مقدر يفسره ما بعده على حد قوله اذا السماء انشقت اذ منعنا دخولها على الجمل الاسمية **قوله تعالى ولكم في القصاص حيوة** وما اودع فيه من البدائع الروائع مع لطائف الايجاز وانوار الاعجاز الساطعة من مشكاته ورسوخ عروقه في الفصاحة وحلاوة ثمرات بلاغته في الذوق وما اشتمل عليه من بديع البديع كالاغراب بجعل القتل الذي هو ضد الحياة ظرفا لها لان من علم انه اذا قتل اقتص كف عنه فكان سببا لحياة من يهم بقتله وهذا جزء مما عدوه من افصح كلامهم وهو قولهم القتل انفى للقتل مع ما فيه من التكرار وان القتل مطلقا لا ينفيه ففي القصاص تصريح بالمعنى المراد اذ القتل قد يكون ظلما وفيه كلام وفوائد كثيرة في شروح الكشاف والمفتاح والنمرة تدل على الشجرة ولا اقول البعرة تدل على البعير لما في النجاسة من سوء الادب **وقوله ولو ترى اذ فزعوا** من حلول الاجل ومن بعثهم من القبور او في يوم بدر **فلا فوت** لهم من الله بهرب او تحصن **واخذوا من مكان قريب** اي من ظهر الارض الى بطنها او من الموقف الى النار او من صحراء بدر الى قليبها ففي هذه الاية من الايجاز والبلاغة وعذوبة الالفاظ ما يعرفه من له بصيرة نقادة **وقوله ادفع بالتي هي احسن** اي ادفع سيئة من اساء اليك بالحسنة التي هي احسن من كل حسن او باحسن ما يمكن دفعه به ولا حاجة للقول بان احسن بمعنى احسن وعدل عنه للمبالغة فانظر ما في هذه الاية من الايجاز بحذف مفعول احسن وهو السيئة لانه لا يدفع الحسن ولطف المعنى وما تضمنه من المبالغة ومكارم الاخلاق وهذا كقولهم احسن الى من اساء في المسيء فعله وفي طي ذكر السيئة نكتة سنية

به اي

ابن فارس

البرهان وتبعه ابن فارس والتلمساني

والاول

وادعوى المناسبة للمقام بما فيها من دفع الصائل وتكلف المناسبة بينها وبين قوله **وقوله وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي** فبعضه بمراحل وتكلف من غير طائل وفي هذه الاية من البلاغة المعجزة مع الايجاز انه ناداها كما ينادي العقلاء وامرها بما يؤمرون به تمثيلا لكمال قدرته وعظمته لانقيادها لما اراده كالمامور المطيع المبادر للامتثال حذرا من سطوة امره والبلع مستعار للجفاف والاقلاع الامساك وفيه لطائف اخر مفصلة في شرح المفتاح **الاية** وتمامها وغيض الماء وقضي الامر وقيل بعدا للقوم الظالمين **وقوله فكلا** ممن ذكر قبله من المكذبين **اخذنا بذنبه** اي عاقبناه به **فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا** اي ريحا عاصفة فيها حصباء وهي الحجارة الصغيرة او ملكا رماهم بها وهم قوم لوط **الاية** وتمامها فمنهم من اخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من اغرقنا والاول قوم ثمود ومدين والثاني قارون والثالث قوم نوح وفرعون وفي الاية من وجوه البلاغة الاجمال والتفصيل وحسن السبك والنظم والاعلام باحوال من مضى للاعتبار والايجاز والانسجام الرائق **واشباهها** اي ما يضاهي ما ذكر في البلاغة ووجوه **من الاي** اي اسم جنس جمعي ككلم وكلمة او جمع او اسم جمع وهو منصوب معطوف على مفعول تاملت ثم اضرب بيانا لانه لا ينحصر في ايات مخصوصة مشيرا الى وجوه من الاعجاز فيها فقال **بل اكثر القران اذا حققت ما يعتنيه** لك انفا **من ايجاز الفاظها وكثرة معانيها** مع لطائف ودقائق **وديباجة عبارتها** اصل معنى الديباج نوع من الحرير له وبر يقال فلان يلبس الديباج ويركب الهملاج وقيل انه معرب فاصله ديبا فزيد فيه الجيم كما يقال في فولون وهو من الامكان فوليج ثم استعير فقالوا ديج المطر الارض اذا زينها بالنبات والرياض وفلان يصون ديباجتاه اي خداه وفي هذه بينة لها ومنه اخذ ديباجة الكتاب والقصيدة لاوله وللحواميم ديباج القران اي رياضه الذي يرتع فيها الفارس فالمراد حسن عبارته ففيه استعارة مكنية وتخييلية شبهت العبارة بحمى واثبت له الديباج بمعنى الرياض والنبات ثم كني بها عما مر **وحسن تاليف حروفها** حيث كانت سالمة من التنافر والثقل **وحسن تلاوم كلماتها** بالهمز وقد تبدل ياء فيقال تلايم وملايمة اي مناسبة وموافقة واما ابدالها واوا فهو خطا من رسم الهمزة بالواو وبان الملاومة مفاعلة من اللوم فقراءة بعض المحدثين بالواو لحن يعيب ليس فيه تعقيد ولا ضعف تاليف وتنافر كلمات **وان تحت كل لفظة منها جملا كثيرة** اي فيها معاني كثيرة وفوائد غزيرة وفيها ما يدل عليه تحته تجوزا **وفصولا جمة** اي انواعا كثيرة من محاسن الكلام كما يقال جمل الكلام فصلا فصلا والجم الكثير وغاير بينهما تفننا كقوله **وعلوما زواخر** بزاي وخاء معجمتين ثم راء مهملة اي علوما كثيرة كالبحار الزاخرة من زخر البحر اذا كثر ماؤه وارتفعت امواجه ففيه استعارة مكنية وتخييلية ويجوز ان يكون تشبيها بليغا واشتمل مصرحة وزواخر ممنوع الصرف وما في بعض النسخ من تنوينه للتناسب لا وجه له **ملئت الدواوين** اي امتلات كتب التفسير وغيره من الفنون **من بعض ما استفيد** بالبناء للمجهول اي اخذ كل باحث عنه بحسب فهمه واملاها بعضه فكله لا يمكن حصره ولا يفي به كتاب كما قال تعالى قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ودواوين جمع ديوان وهو الكتاب وقد تقدم الكلام عليه **وكثرت المقالات** اي كلام الائمة والمصنفين **في المستنبطات عنها** اي في المعاني والاحكام المستخرجة منه بطريق الاشارة والدلالة الالتزامية وهو من قولهم استنبط الماء من البئر اذا اخرجه فالاستنباط هو ما دل عليه صريحا

هو

بين

ز

وجمل

ن

وما استنبطه غيره **ثم هو** اي القرآن وعطفه بثم للتراخي لمرتبته عما قبله **في سرد القصص**
الطوال اي ذكرها في اثنائه مستغنا من سرد البدع لنسجه **واخبار القرون السوالف**
معطوف على القصص جمع قصة والمراد بالقرون السوالف الامم المتقدمة على عصر النبوة من سلف
بمعنى تقدم والقرن مدة من الزمان مختلف فيها والمراد اهله **التي يضعف في عادة الفصحا**
عندها الكلام صفة للقصص والاخبار اي انها لطولها اذا اريد ذكرها بتمامها يضعف على الفصيح
حكايتها ويضعف نطقه عن ادائها واجمالها لمن لا يعلمها لا يفيده فائدة يعتد بها وليس المراد
انه امر واقع في الخارج يعجز الفصيح عن مطابقة حكايته له **ويذهب ماء البيان** اي رونقه
وحسنه لانه لطوله قد لا تتناسب كلماته ويتسق نظامه ويحكم ارتباطه والبيان ايضاح المعاني
وهو معطوف على يضعف الصلة ففيه عايد مقدر كالذي قبله **آية لمتامله** اي علامة بينة لمن
تامل نظمه وسرده القصص والاخبار رواية خبر المبتدا الذي هو هو او مبتدا مؤخر والجار والمجرور
خبر مقدم والجملة خبر هو والرابط الالف واللام القايمة مقام الضمير اي هو في سرد قصصه
آية لمن تامل حق التامل **من ربط الكلام** صفة لآية ومن بيانية او متعلق بمقدر اي يظهر كونه آية
دالة على اعجازه من ارتباط الكلام **بعضه ببعض** بالجر بدل من الكلام اي من كون اجزائه في غاية
التناسب حتى كان كل كلمة مرتبطة باختها **والتئام سرده** بالهمزة والياء اي تناسبه كلماته
المسرودة اي المتتابعة كحلق الدروع الداخل بعضها في بعض مع فصاحتها وحسن تاليفها **وتناصف**
وجوهه المراد بالوجوه انواع بلاغته من الاستعارة والكناية وتناصف تفاعل من النصفة
والانصاف والمراد تناسبها وانها في غاية التناسب حتى كان بعضها ينصف بعضا كما يقال اعضاؤه
تتناصف حسنا اي لا ينقص حسن بعضها عن بعض وهو من بليغ الكلام الذي لا يعرفه الا من ذاق
حلاوة العربية كما اشار اليه المبرد في الكامل قال الشاعر ۞

الا عرضت المتناصف وجهها • عرض المخالي الحبيب الاول •

واصل معنى الانصاف المساواة في المواساة ونحوها كانك تعطيه نصفا وتاخذ نصفا ومن ظن
تعارض هذه المعاني فقد وهم **كقصة يوسف على طولها** قصها الله على اعجب ترتيب وابدع
تهذيب بحيث لم ينقص تمامها ولم يختل عقد نظامها مرتبطة البوادي بالاعجاز على اصح وجه
واوضح نهج **ثم اذا ترددت** اي اذا كررت **قصصه** المذكورة في القرآن من قولهم فلان يتردد
على فلان اذا كان يكثر الاتيان اليه كقول بعضهم ۞

ان كنت لم اكثر زيارة حيكم • فمحبتي لكم لغير تردد •

اي ما كرر من قصص القرآن ليس بتكرار مخل **اذا اختلفت العبارات عنها** فذكرت في كل مكان
لمعنى ضربت له مثلا غير المكان الاخر وحكيت بعبارات مختلفة النظم والالفاظ وان كان المعنى
واحدا على كثرة ترددها وتكرارها والجار والمجرور حال من ضمير عنها وهذا من عظيم قدرة قايلها
ويحكى عن ابن عباد انه مات له ولد اشتد حزنه عليه فلما صلوا على جنازته في محفل عظيم قام
الناس لتعزيته فلم عبارة للمعزين له مع كثرتهم وكونه في حالة حزن والم حتى تعجب الحاضرون من
بلاغته **حتى تكاد كل واحدة** من القصص المكررة **تنسي في البيان صاحبتها** يعني ان سامعها
كانه انما سمعها الآن ولم يسبق لها ذكر قبل ذلك لان العبارة غير الاولى والسياق ومناسبة المقام
تفيد فوائد اخر وتجدد لمن سمعها حظا عظيما وعبر بتكاد لانها لم تنس حقيقة **وتتناصف**
اي تتساوى وتتقاوم **في الحسن** اي حسن العبارة المغايرة لما تقدمها **وجه مقابلتها** لتفاوتهما باعتبار

تلمساني

المقامات

٤٠٧

المقامات المحكية فيها كقصة آدم وحوا وموسى مع بني اسرائيل **ولا تنفر النفوس من ترديدها**
وتكررها وهذا اشارة الى الجواب عما قاله بعض الطاعنين في القرآن بان فيه مكررات كثيرة وهو
ما ينفر منه الطبع السليم **ولا تمادى لمعاديها** اي لا تعادي الطباع المكرر المعاد في القرآن
من قصصه كما قال الشاعر ۞ طبع النفوس معاداة المعادات •
وفيه تلميح لما ذكر وتجنيس لطيف ۞

فصل الوجه الثاني ۞

من وجوه اعجاز القرآن **من اعجازه صورة نظمه العجيب والاسلوب الغريب** اشار بالاسلوب
والصورة الى مغايرته للوجه الاول فانه باعتبار مادته وتناسب كلماته وايجاز عبارته
وفخامة معانيه وهذا باعتبار نمطه وطريقته الواردة فيه فانه مع حلاوة فصاحته التي تدخل
الاذن بلا اذن وتستدعي الاصغا لبادي الرغبة فيه لا يشبه الشعر ولا الخطب ولا غيرهما
كان عادتهم في محاوراتهم فرق الاسماع بموارد عوائده وبهذا اضمحل ما قيل انه بحسب المعنى
راجع للاول لان حسن تاليفه والتيام كلمه راجع لصورة نظمه فان قيل ان قوله **المخالف لاساليب**
كلام العرب مستغنى عنه لان قوله الخارق للعادة بمعناه انتهى والاساليب جمع اسلوب وهو
الفن والنوع من انواع الكلام يعني انه على اسلوب لا يشبه اسلوب كلامهم وفي كلامه اشارة الى
ان الاعجاز ليس مدار على الالفاظ ولهذا عبر بالنظم دون اللفظ قال عبد القاهر النظم توخي
المعاني على حسب الاغراض التي صيغ لها الكلام وتواليها في النطق وضم بعضها لبعض كيف
ما اتفق **ومناهج نظمها ونثرها** مجرور معطوف على اساليب اي مخالف لمناهجها جمع منهج وهو
الطريق اي لا يشبه كلامهم المنظوم وهو الشعر ولا المنثور من الخطب وغيرها **الذي جاء عليه**
صفة نظمه اي النظم الذي جا من عند الله واردا على اسلوبه العجيب الغريب الذي لا يشبه كلام
البشر **ووقفت مقاطع آيه** جمع آية مضاف لضمير القرآن وفي نسخة آياته والمقاطع جمع
مقطع وهو آخر الكلام الذي يقف عليه القاري وقفا تاما او كافيا واسناد الوقف مجازي
والواقف انما هو القاري او هو بمعنى انتهت ووصلت ولذا عداه بالى وهو معطوف على
الصلة **وانتهت فواصل كلماته اليه** وفي بعض النسخ وقفت مقاطع آيه عليه والفواصل جمع
فاصلة وهي الكلمة الاخيرة من الفقرة ونحوها والضمير للموصول بتقدير مضاف اي الى آخره قالوا
لا يقال في القرآن انه سجع وانما يقال فواصل لانه فصلت آياته **ولم يوجد** اي لم يسمع كلام بليغ
قبله ولا بعده نظير له يماثله في بلاغته وعلو رتبته وغرابة اسلوبه **ولا استطاع** ويقدر
احد مماثلة شي منه بان ياتي بكلام ما يشبهه في الجزالة والبلاغة **بل حارت فيه عقولهم**
فوقعوا في الحيرة بالعناد يمنعهم من الاعتراف وظهور اعجازه بتكذيبهم في قولهم انه مفترى او سحر
او نحوه مما لا يقبله الطبع **وتدلهت دونه** بفتح الدال المهملة واللام المشددة والهاء اي دهشت
وتحيرت في شانه فهو قريب مما قبله **احلامهم** جمع حلم وهو بمعنى العقل وله معان اخر والاحسن
ان التدله ذهاب العقل من الهوى فيكون ترقيا من حيرة الى ذهابه وفي نسخة تولهت
بواو وبدل الدال من الوله وهو الحيرة ايضا ودونه بمعنى ما لم يبلغ منزلته كما في قوله لا تتخذوا بطانة
من دونكم يعني ان عقولهم لم تصل اليه وتحيرت فيما هو اقل منه فكيف به **ولم تهتد الى مثله** اي
اي لم يهتدوا به من فصحائهم ولم يقدروا على الاتيان لشي يماثله ويقرب منه **في جنس كلامهم**
الذي يقدرون عليه ويجيء به قواهم البشرية **من نثر** كالخطب والرسائل **او نظم** من القصائد

والنفث **او سجع** وهو الكلام المقفى غير الموزون المنظوم وهو يطلق على مجموع هذا وعلى الكلمات الاخيرة من الفقر ويطلق على الاتيان به ونفس التوافق الواقع فيه **او رجز** وهو نوع من الشعر معروف وافرده بالذكر مع دخوله في النظم لانه خالفه في عدم التزامهم رويا واحدا فيه فعد نوعا مستقلا من الكلام افرد باسم يخصه ولم يعده بعضهم من الشعر حتى سمي قائله راجزا لا شاعرا **او شعر** ولو لم يذكره كان احسن لانه مكرر مع النظم **ولما سمع كلامه صلى الله عليه وسلم الوليد بن المغيرة** ابو خالد بن الوليد وكان من صناديد قريش وعقلائهم وفصحائهم الا انه لم يشرح الله للاسلام صدره فمات كافرا واسلم ولده خالد سيف الله **وقرأ عليه** اي اسمع الوليد رسول الله بعض القرآن رجاء الاسلام **رق قلبه** ومال طبعه الى الاعتراف به والاسلام واصل الرقة ضد الغلظ فتجوز به عن الملايمة والميل كما قال ابن سعيد المغربي

تذ طال شوقي الى نغور • ملاي من الشهد والرحيق •
عنها اخذت الذي تراه • يعذب من شعري الرقيق •

فجاءه ابو جهل لما بلغه ميله الى كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصده عنه وكان ابن اخيه واسمه عمرو بن هشام **منكرا عليه** ميله واستحسانه لما قراه عليه وهو حال من فاعل جاء **فقال** اي الوليد رد الانكار ابي جهل عليه **والله ما منكم احد اعلم بالاشعار مني** انكار لقولهم انه شاعر **والله ما يشبه الذي يقوله** محمد صلى الله عليه وسلم من القرآن **شيئا من هذا** الشعر الذي ينشد واشار اليه بالقريب لشهرته وحضوره في الذهن كالمشاهد المحسوس **وفي خبره الآخر** اي في خبر آخر عن الوليد رواه البيهقي عن ابن عباس **حين جمع** الوليد **قريشا** يعني اشرافهم ورؤساهم **عند حضور الموسم** مفعل من الوسم وهو العلامة والمراد موسم الحجاج وهو اجتماعهم لانهم كانوا يجتمعون فيه بمكة وحضوره مجيء زمانه او مجيء اهله ولما كان يجتمع به جميع قبائل العرب من كل فج خشي ان يسمعوا بامر النبي صلى الله عليه وسلم فيتبعوه فجمعهم ليتشاوروا ويروا رايا فيما يصد الناس عنه **فقال ان وفود العرب** جمع وفد وهم الجماعة الذين يقدمون من بلادهم الى مكة من غير اهلها واصل معنى الوفد الاشراف **ترد** اي تقدم من غير البلاد واصل الورود الذهاب للماء **فاجمعوا فيه** اي في النبي صلى الله عليه وسلم **وامره** اي دبروا وقرروا رايا اي امرا تعتقدون له فايدة ونتيجة واجمعوا بقطع الهمزة من الاجماع يقال اجمعت كذا واجمعت على كذا واكثر ما يقال فيما يكون جمعا يتوصل اليه بالفكر نحو فاجمعوا امركم وشركاءكم ويقال اجمع المسلمون على كذا اذا اجتمعت آراؤهم عليه ويجوز ان تكون همزته همزة وصل ايضا لانه يقال جمع كيد وآرائه وبه فسر قوله تعالى ان الناس قد جمعوا لكم اي جمعوا آراءهم وتدبيرهم كما قاله الراغب ولا عبرة بانكار الحريري في الدرة لصحته كما بيناه في شرحها **لا يكذب بعضكم بعضا** اي اتفقوا على امر قبل قدومهم حتى لا يحصل افتراق كلمة واختلاف في شانه **فقالوا نقول هو كاهن** وهو الذي يخبر عن المغيبات ويدعي معرفة الاسرار وكانوا في العرب كثيرا كشق وسطيح وكان لهم كلام مسجع مصنع فمنهم من له جني يخبره ويلقي اليه الاخبار ومنهم من يدعي معرفة ذلك باسباب وامور يأخذ من كلام السايل وفعله وحاله ويقال له عراف واكثرها امور ظنية يخطي ويصيب احيانا **فقال** الوليد لهم **والله ما هو بكاهن** اي حاله لا يشبه حال الكهان وكلامه لا يشبه كلامهم المسجع الذي كانوا يلفقونه ويحققونه وفيه اكاذيب باطلة فليس هذا نبأ مقبولا لا يروج عند العقلاء **ما هو بزمزمته ولا سجعه** الضمير للنبي والباء للملابسة اي ليس مقرونا بزمزمته وبكلامه المفهوم من السياق

أي وما كلامه مشبها بزمزمته والزمزمة صوت خفي لا يكاد يفهم وكان للكهان زمزمة يرون يحضرون بها الجن وزمزمة المجوس قراءتهم وكلام الكهان كان مسجعا ولذا كره النبي قول القايل في الجنين كيف ندي من لا اكل ولا شرب ولا استهل ومثل ذلك يطل وقال هذا من اخوان الكهان وهذا لا يدل على كراهة السجع مطلقا فينا في كلامه صلى الله عليه وسلم به احيانا فلم يرض هذا الراي فيه **قالوا نقول هو مجنون** اي رجل اختلط عقله فاختلط كلامه وفعله باصابة الجن له وهو المعروف عندهم وقد يكون لغلبة سوداوي يخل بالدماغ وادراكه وهو المعروف عند الاطباء واصله من جنه واجنه اذا ستره لاستتار عقله ومنه الجان والجنين **قال** الوليد ردا لرايهم هذا **ما هو بمجنون ولا بخنقه ووسوسته** اي لا يشبه حاله حال المجانين والخنق بفتح الخاء المعجمة وسكون النون مصدر وهو الاختناق والمجنون يقال له خنق بكسر النون وفتحها والوسوسة بفتح الواو مصدر وهو شيء يلقى في القلب او في السمع بصوت خفي وقد يحدث المرء به نفسه ولذا سمي حديث النفس **قالوا فنقول شاعر قال** اي الوليد **ما هو بشاعر** اذ ليس كلامه يشبه الشعر لا وزنا ولا معنى اذ الشعر مدح وهجو وتشبيب وليس فيما سمعوه منه شيء من ذلك **قد عرفنا الشعر كله** بانواعه واوزانه ومعانيه ثم فصل بعضا منه بقوله **رجزه** هو نوع من الشعر معروف مسمى بالرجز ويقال للقصيدة منه ارجوزة وجمعها اراجيز وسمي رجزا لاضطرابه في وزنه باختلاف اوزانه واختلاف قوافيه **وهزجه** بفتحتين ومعجمتين وهو اسم لبحر من بحور الشعر معروف وبه فسر هنا ولكن الذي قالوه ان اسماء البحور منقولات اصطلاحية نقلها الخليل بن احمد منقولة من الهزج لنوع مطرب من الاغاني ولو قيل انه اسم لضرب من الشعر كانت العرب تتغنى به كان اقرب وانسب بقوله **وقريضه** لانه ليس اسم بحر من بحور العروض لانه في اللغة بمعنى الشعر مطلقا من قرض بمعنى قطعه فعيل بمعنى مفعول لان الشاعر يقتطع نوعا مخصوصا من الكلام لغرض له فالظاهر ان المراد به ما يقابل القصايد وهي المقطوعات وقرض الشعر ملكة يقتدر بها على نظمه وفي العرف معرفة محاسن الشعر وقبحه **ومبسوطه** اي مطولات قصايد مطلقة المقابل لما قبله فيتناول جميع انواعه من الطويل والبسيط وغيرهما لمن فسره ببحر البسيط وقال بزيادة الميم فيه لم يناسب كله قوله **ومقبوضه** فقد تكلف ما لا دليل عليه وكان المراد بمقبوضه مختصره واوزانه المسمى في العروض بالمخزوق والمنهوك وليس المراد مصطلح العروضيين وهو الجزء الثاني السبب الخفيف الذي هو خامس كمفاعيلن الذي حذف ياؤه فصار مفاعلن لان هذا اصطلاح احدثه المولدون لا تعرفه العرب قديما وقوله رجزه وما عطف عليه منصوب من الشعر لا من كله لانه توكيد لا يصح البدل منه لا لانه لا يتم مفعولا كما توهم **قالوا فنقول ساحر قال ما هو بساحر** انكر لما يعلمه من ان الساحر هو الذي يستعين على ما ياتي به من خارق العادة بامر علوي او بعزايم يسخر بها الجن او بطلسمات يستمزج بها التنزل بالعلوي والناس جميعهم يعلمون انه ليس كذلك ولذا قال **ولا نفثه ولا عقده** بفتح العين المهملة وسكون القاف او بضم ففتح جمع عقدة والنفث النفخ مع ريق والعقد عقد حبال او شعر مصفور ونحوه كما يعرفه السحرة مما يورث امورا خارقة للعادة في الخارج عنه وكني به عن انه ليس عمل مما يعمله السحرة فقد تربى بين اظهرهم ولم يراه منه ذلك فكلهم خطأهم في وصفهم له به وبين ان تشنيعهم الباطل لا يروج على عاقل كما قيل

يا سطوة جلى عقد ما ربطوا • وشتتي شمل اقوام بنا اختلطوا •
الله اكبر سيف الله قاطعهم • وكلما قد علوا في ذمهم هبطوا •

قالوا فما نقول بالنون او بالمثناة التحتية اي نحن او انت يا وليد فيه وما رأيك ما انتم بقائلين من هذا اي من مثل هذه الآراء شيئا في حقه الا وانا اعرف انه باطل ليس بمقبول عندي ولا عند غيري من العقلاء الذين يعرفونه وتقديم الضمير لتقوية الحكم بتقدمه او للحصر لتنبيه اعتقاد بعض جهلتهم فيه والجملة حالية مستثناة يجوز قرنها بالواو وعدمه وان اقرب في حقه وان كان الكل مفترى انه ساحر بفتح الهمزة وكسرها كما في كلما وقع بعد افعل تفضيل مضاف للقول على ان المصدر خبر ان او الجملة المحكية ولا يحتاج لرابط لانها عين المبتدأ هنا وهذا رجل عاقل ختم الله على قلبه وسمعه ونسجت عناكب الضلالة على بصره ثم بين وجه اقربيته بقوله فانه ساحر بحسب النظرة الحمقى وانه سحر كالسحر ووجه المشابهة انه يفرق بين المرء وابنه بالباء الموحدة والنون او بالياء المثناة التحتية ومعناها ظاهر والمرء وزوجه اي امرأته وفيه لغتان هذه وزوجة بتاء التأنيث والمرء وعشيرته اي اقاربه الادنون المعاشرين له وقد كان فان من ذاق حلاوة الاسلام ترك ما عداه لاجله كما كان مشاهدا في الصحابة ومنهم من ترك ملكه كبيرا ابن النجاشي كما في سيرة ابن هشام والتوفيق بين هذا وبين ما حكاه الزمخشري عن الوليد هنا من انه قال لهم ما هو الا ساحر اما رأيتموه يفرق بين المرء الخ وما حكاه عنه من قوله ان هو الا سحر يؤثر كما تقدم انه اراد ما هنا من انه كالساحر فيما ذكر لكن ساقه في معرض الجزم ليروج عندهم او انه قاله مرة ثم راجع عقله فرجع عنه وهو الاوفق بما في الآية ومناسبة ما ذكر لما هو بصدده في غاية الظهور فالقول بان الانسب ان يذكر ما حكي عنه من انه قال لبني مخزوم والله لقد سمعت محمدا يقول آنفا كلاما ما هو ... ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه يعلو ولا يعلى كما تقدم لا وجه له فتفرقوا من المجلس الذي جمعهم للمشاورة فيه وجلسوا على السبل بضمتين جمع سبيل وهو الطريق ليخبروا الوافدين بما قالوه فيه حتى لا يتبعوه يحذرون الناس منه حتى لا يصدقوه فيقولون لكل من رأوه محمد شأنه كذا وكذا فاحذروه لا يفتنكم عن دينكم والجملة الاولى معطوفة او حالية بتقدير قد وكذا الثانية من ضمير يتفرقوا وهما حالان متداخلتان فقال الوليد لكل من قدم للحج ففشا امره في قبائل العرب وخشي ابو طالب من ذلك ومن تعييب النبي لآلهتهم وسبها ان يقع منهم ما يعرضهم على ضرره فقال اللامية الطويلة المشهورة يمدحه ويذكر حسن حاله وما هو عليه فمنها قوله

لعمري لقد كلفت وجدا باحمد • واحببته دأب المحب المواصل

ولولا خوف الاطالة اوردتها لما فيها من مدحه وبيان حقيته وتقبيح تكذيبه فانزل الله في الوليد وقصته المذكورة التي هي سبب النزول وهذا من اقامة الظاهر مقام الضمير للتسجيل عليه بذم الله له ذرني ومن خلقت وحيدا الآيات اي دعني معه فانا اكفيكه من كيد اعدائه وان كانت وحيدا منفردا من اهله وعشيرته لتركهم له او لا نظير له وتمام النظم وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودا ومهدت له تمهيدا ثم يطمع ان ازيد كلا انه كان لآياتنا عنيدا سأرهقه صعودا انه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس وبسر ثم ادبر واستكبر فقال ان هذا الا سحر يؤثر والكلام على هذه الآيات مفصل في التفسير والمقام لا يسعه ووحيدا بمعنى منفرد وهو وصف للوليد او له صلى الله عليه وسلم وقال عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف والد هند ام معاوية رضي الله عنهما وهذا قتله عبيدة بن الحارث في غزوة بدر كافرا حين سمع القرآن يا قوم قد علمتم اني لم اترك شيئا الا وقد علمته وقرأته وقلته هذا عبارة عن انه عنده علم بالكتب

المنزلة لقراءته بعضها وانه قرأ القصص السالفة وقال الشعر وله سعة علم بالبلاغة وليس ظاهره مرادا اذ لا يمكن لمثله ما ادعاه والله لقد سمعت قولا يعني به القرآن الذي سمع الرسول يتلوه والله ما سمعت مثله قط هو للاستغراق في الماضي ما هو بالشعر البارز ابدا اي ليس بشعر ولا يشبهه كما مر وقال النضر بفتح النون وسكون الضاد المعجمة علم منقول من النضارة بمعنى الحسن ابن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار الذي قتله النبي صلى الله عليه وسلم بالصفراء صبرا وقصته مذكورة في السير نحوه اي مثل ما قال عتبة والوليد في اعترافه بالقرآن وانه لا يشبه كلام البشر وفي حديث اسلام ابي ذر الغفاري الصحابي وغفار قبيلة من العرب مشهورة وهو جندب بن جنادة كما مر وغفار قبيلة من كنانة وهو غفار بن مليك بن ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة وحديثه رواه مسلم وغيره وفصله البيهقي في دلائل النبوة واسنده الى عبد الله بن الصامت وهو حديث طويل وكان اسلامه بمكة رابع اربعة فلذا كتب ربع الاسلام وقوله ووصف اخاه انيسا بالتصغير ووصف ماض والجملة حالية بتقدير قد فقال تفسير لوصفه المذكور والله ما سمعت باشعر من اخي انيس لقد ناقض بقاف وضاد معجمة من المناقضة مفاعلة من النقض وهو هدم البناء وحل طاقات الحبل ثم صارت بمعنى كون الكلام له معنى لا يمكن اجتماعه مع نقيضه كزيد قائم وزيد ليس بقائم وهذا اصطلاح المنطقيين وعند العرب نقائض الشعر في الجاهلية انه اذا قال احدهم شعرا ذكر فيه افتخار آبائه وشرفهم على قوم غيرهم او ذكر فيه هجاء غيرهم ومثالبه وتنقيص حسبه وآله فعارضه غيره بشعر يذكر فيه ضد ما قاله يسمى ذلك مناقضة ويقال القصائد نقائض جرير والفرزدق لقصائد من الطرفين جمعت وشرحت وفي الاساس يقال في كلامه تناقض وهذا مناقضة ونقيضه وتناقض القولان والشاعران وناقض احدهما الآخر بقوله قصيدة فينقض صاحبه عليه وهذه القصيدة نقيضة قصيدة فلان وهما نقائض ومنه نقائض جرير والفرزدق انتهى وفسره في الشرح الجديد بما في النهاية من ان المناقضة مفاعلة من نقض البناء وهو هدمه اي ينقض قولهم وينقضون قوله واراد به المراجعة والمراودة انتهى وهو تفسير لا يفي بالمقصود لما عرفته اثني عشر شاعرا في الجاهلية اي عارضهم في قصائدهم فاتى بمثلها وهذا يدل على فصاحته ومعرفته بالشعر وقدرته على انشائه في زمان الجاهلية كان زمانا كان فيه الشعراء الفحول كثيرا وذكر هنا تمهيدا لما سيأتي من انكاره عليهم في قولهم ان النبي شاعر انا احدهم ذكره اعترافا له بقوة شاعريته وانه اي اخاه انيسا انطلق الى مكة اي ذهب اليها بعد ما كانا في غنم لهما يرعى فقال لاخيه ان لي حاجة بمكة فاكفني امر الغنم حتى آتيك فانطلق حتى اتى مكة فابطأ على ابي ذر ثم اتاه فقال ما حبسك قال لقيت رجلا بمكة يزعم ان الله ارسله على دينك الى آخر القصة التي ذكرها البيهقي واشار الى بعض منها المصنف بقوله وجاء يخبر النبي الى اخيه ابي ذر وكان اسلم بمكة قبل اخيه واسلم اخوه بعده فيما صححاه فان قلت له بعد ما اخبرني فما يقول الناس فيه صلى الله عليه وسلم قال يقولون شاعر كاهن ساحر اي بعضهم يقول هذا وبعضهم يقول هذا ثم اشار الى بطلان ما قالوه بقوله لقد سمعت قول الكهنة جمع كاهن مثل كاتب وكتبة ما هو اي النبي او كلامه ملتبس بقولهم ولقد وضعته اي وضعت قوله يعني انه قابله وقاسه بالشعر ونزله عليه لينظر هل فيه ما يشبهه وهو مجاز من قولهم وضع النعل على النعل اذا طابقه به لينظر هل هو مساو له ام لا على اقراء الشعر جمع قرء قال في القاموس اقراء الشعر انواعه واغاريه اي امثاله فهو جمع قرء بالضم وقيل انه جمع قرء بالفتح

وهو طرق وانواعه ونحوه وقال الزمخشري انه قوافيه التي يختم بها كافرائد الظهر التي ينقطع عندها الدم واحدها فقرة فتحا وكسرا وضما فهو مقاطع ابياته وحدوده وقوا والاقرابفتح الهمزة والمد جمع قلة اريد به الكثرة هنا فلم يلتئم بالهمز من الملاءمة اي علم انه مناسبا ولا موافقا له لفظا ولا معنى واين الثريا من الثرى ولذا قال الفقهاء رحمهم الله لا يكتب فيه البسملة واجازها بعضهم مع الكراهة قالوا هذا في غير مدح النبي صلى الله عليه وسلم ونحوه من التوحيد والمواعظ ومنظومات العلوم واما الهجا فينبغي ان لا يختلف في عدم كتابتها كما قاله التلمساني **وما يلتئم** اي يتيسر ويتفق **على لسان احد بعدي انه شعر** بفتح الهمزة من انه لا يتم لاحد غيري ان يقول انه شعر لانه ليس احد باعلم بالشعر واقدر عليه مني فلو امكن لاحد ان ينزله على الشعر ويعارضه به كنت فعلته فحيث لم يتيسر لي لا يتيسر لغيري والمراد ابطال كونه شعرا بعد ما ابطل كونه سحرا وكهانة فلذا عقبه بقوله **وانه** اي النبي صلى الله عليه وسلم **لصادق** في قوله انه كلام معجز من عند الله **وانهم** اي الكفرة **لكاذبون** في جميع ما قالوه ونسبوه له من الاباطيل وتتمة الخبر انه قال لابي ذر هل انت كافي حتى انطلق فانظر قال نعم وكن على حذر من اهل مكة فانطلقت حتى اتيت مكة فقلت لرجل اين هذا الذي تدعونه الصابي فاشار اليه فمال علي اهل الوادي يرجموني حتى خررت مغشيا ثم اتيت زمزم فشربت منها وغسلت الدم ودخلت تحت استار الكعبة ولبثت نحو ثلاثين ليلة وما لي طعام الا ماء زمزم فسمنت وما وجدت جوعا فبينما انا في ليلة قمرا واموا ان تطوفان وتدعوان اسافا ونائلة فلما رايا بي تولتا وانطلقتا فاستقبلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر هابطين من الجبل فقالا لهما ما لكما قالتا صابي دون الكعبة واستارها فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر فاستلما الحجر وطافا ثم صليا فاتيته وحييته بتحية الاسلام وكنت اول من حياه بها فقال وعليك السلام ورحمة الله ممن انت قلت من غفار فرفع راسه ثم قال متى كنت هنا قلت منذ ثلاثين ليلة ويوم قال فما كان لي طعام الا ماء زمزم فسمنت حتى تكسرت عكن بطني فقال انها مباركة انها طعام طعم وشفاء سقم فقال ابو بكر يا رسول الله ائذن لي في اطعامه الليلة فانطلقت معهما حتى فتح ابو بكر بابه وجعل يقبض لي من زبيب الطائف فكان ذلك اول طعام اكلته بمكة فلبثت ما لبثت ثم اتيت رسول الله فقال اني وجهت لارض ذات نخل ما احسبها الا يثرب فهل انت مبلغ عني قومك لعل الله ينفعهم بك ويأجرك فانطلقت حتى اتيت اخي انيسا فقال لي ما صنعت قلت اني اسلمت فقال ما بي رغبة عن دينك فاني اسلمت وصدقت ثم اتيت امي فقالت مثله ثم احتملت واتيت قومي فاسلم بعضهم قبل ان يقدم رسول الله المدينة وكان يؤمهم خفاف وهو سيد قومنا فلما قدم رسول الله المدينة اسلم بقية قومي وجاءت اسلم فقالوا يا رسول الله نسلم على الذي اسلم عليه اخواننا واسلموا فقالوا يا رسول الله غفار غفر الله لها واسلم سالمها الله وهذا خبر اسلامه باختصار **والاعجاز** [illegible] لجميع الخلق بتعجيزه عن الاتيان بمثله **لكل واحد من النوعين** الذين ذكرهما والنوع الاول منهما **الايجاز والبلاغة بذاتها** اشارة الى قوله في اول هذا الفصل ولها حسن تاليفه والتئام كلمه وفصاحته ووجوه ايجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب وحاصله ان اعجازه من نفس جوهر كلامه بكونه في اعلى طبقات الفصاحة والبلاغة بحيث يسلم عن ضعف التاليف وتنافر الحروف والكلمات وايجازه ورعاية معان ووجوه يقتضيها المقام ويتضمن نكات تعجز عنها طاقة البشر والمراد بقوله بذاتها ان الاعجاز منشؤه نفس كلماته وما تركب منها والنوع الثاني ما اشار اليه بقوله **ان الاسلوب الغريب بذاته** يعني كونه على نمط لا يشبه نمط كلامهم المنظوم ولا المنثور فانه ليس بشعر ولا سجع ولا خطب وان وقع فيه من غير تكلف سجع

احيانا ونظم

احيانا ونظم حتى ذهب الخطيب في تكملة العمدة الى ان النظم الواقع فيه مقصود كالابيات والاستطرادات التي تقع في اثنائه الا انها نادر ولا يسمى بها الكلام شعرا لانه لم يقصد بالذات وهو قول غريب وقوله بالذات بمعنى فقط وتغاير النوعين ظاهر وان لم يفرق بينهما بعض الشراح وقال ان في النوعين تداخلا لانه لا يتصور كونه اسلوبا غريبا دون البلاغة الى آخر ما ذكره مما لا طائل تحته **كل واحد منها** بضمير الوحدة المؤنثة الراجع للبلاغة وفي نسخة منهما مثنى والضمير للنوعين وقيل الاولى اولى وكل مبتدأ خبره نوع اعجاز على التحقيق غير محتاج الى الاخر ثم بين اعجازه بقوله **لم تقدر العرب على الاتيان بواحد منهما** وفي نسخة منها كما تقدم خارج **عن قدرتها** لانه مباين اي مخالف **لفصاحتها وكلامها** لما فيه من وجوه البلاغة التي لا تحيط بها قدرتهم ولم تألفه طباعهم مع انسجامه وعذوبة الفاظه **والى هذا** القول الدال على ان كل واحد منهما نوع مستقل من الاعجاز كاف في اثباته **ذهب غير واحد** اي جماعة كثيرة **من ائمة المحققين** العارفين بالبلاغة ووجوه الاعجاز يعني ان منهم من قال اعجازه بما تضمنه من وجوه بلاغة كلامه وفصاحة كلماته كالجاحظ ومنهم من بلاغته واسلوبه الغريب ونظمه العجيب الذي لا يشبه كلام البشر ولا تطيقه القوى والقدرة مع انه بلغتهم وكلماته كلماتهم التي يعرفونها كما قيل في معنى الحروف في اوائل السور نحو الم والمص يعني انه كلام مركب من هذه الحروف التي تركب منها كلامكم فلم تأتوا بمثله **وذهب بعض المقتدى** اسم مفعول بوزن مصطفى **بهم الى ان الاعجاز في مجموع البلاغة والاسلوب** لا بكل واحد منهما وحده **واتى على ذلك** القول الذي اختاره وضمن اتى معنى اسند فعداه بعلى **بقول تمجه** بضم الميم وجوز بعضهم فتحها اي ترميه ولا تقبله به **الاسماع** بفتح الهمزة جمع سمع بمعنى الاستماع وبمعنى جارحة السمع يقال مج الماء من فيه اذا طرحه ففيه استعارة مكنية وتخييلية لتشبيه الاذن بالفم والكلام بالماء في الرقة والعذوبة وتبرير الحرارة كما قال بعض اهل العصر

يكاد من عذوبة الالفاظ • تشربه مسامع الحفاظ •

وقال الغزي

وتغير المعتاد يحسن بعضه • للورد حل بالانوف يقبل •

وتنفر عنه القلوب من النفار وهو الذهاب بسرعة فكان القلوب تهرب منه لعدم قبولها له وهو عبارة عن كونه قول ضعيف مردود ولذا قال في الاول انه قول الائمة المحققين واشار بالمقتدى بهم الى ان هذا القول له وجه ايضا ليس كالقول بالصرفة **والصحيح ما قدمناه** من ان كل واحد منهما وجه مستقل في الاعجاز كان فيه **والعلم بهذا كله** اي العلم باعجازه وبلاغته واساليبه العجيبة على القولين **ضرورة وقطعا** بنصبهما اي من سمعه قطع بما عنده من العلم الضروري انه في اعلى طبقات الكلام وهو مما يدرك بالذوق ويدرك ولا يوصف كالملاحة والطريق له تتبع كلام البلغاء وخدمة علم البلاغة الذي يورثه علما ضروريا ولذا قال **ومن تفنن في علوم البلاغة** اي عرف فنونها ومارسها حتى حصل له ملكة يعرف بها خواص التراكيب ووجوه ايرادها في طرقها المختلفة في الوضوح وانواع محسناتها البديعية وهو باتقان علمي المعاني والبيان وتوابعهما **وارهف** اي سن وحدد ودقق من قولهم ارهف السيف فهو مرهف اذا سنه حتى دق حده **خاطره ولسانه** اي فكره ونطقه بحيث يسهل عليه تصوره والتعبير عنه واصل الخاطر المعنى الذي يخطر على القلب الذي هو محل العقل والفهم ويراد به نفس الفهم والعقل والرهافة ممارسته حتى يتمكن من عمله واللسان الجارحة ويراد به نفس الكلام فشبه ذلك بالسيف المسنون

في سرعة نفوذه ودقته وارهف فعل ماض فاعله **ادب هذه الصناعة** اي صناعة البلاغة
وعلم المعاني والبيان والادب بوزن طلب يكون بمعنى الظرف والحسن والعلم يقال ادبه فاحسن
تاديبه اي علمه واصله من المأدبة وهي الطعام الذي يدعى له كما قيل الادب مأدبة الله ما لاحد
فيها مأربه. ويصح ارادة كل واحد هنا وان قرب الاخير واما اطلاق الادب على علمي النظم والنثر
نحو رد وان قرب من معناه الاصلي واصل الصناعة معرفة ما يزاول بالجوارح كالخياطة ثم شاع في
معنى العلم **لم يخف عليه ما قلناه** اي جميع ما تقدم وان كلا منهما نوع مستقل **وقد اختلف
ائمة السنة في وجه** اي في سببه ومنشئه الذي يوجه به **عجزهم عنه** اي عجز العرب
الفصحاء عن معارضته **فاكثرهم يقول** اي قال وعبر به لحكاية الحال الماضية حتى كانها حاضرة
انه اي وجه اعجازه **ما اشتمل عليه من قوة جزالته** الجزالة الغلظة والقوة والصلابة يقال
حطب جزل ثم يطلق على الكثرة فيقال عطاء جزل فاستعير هنا لاحكام نظمه وعدم ركاكته
واضاف اليه القوة اشارة الى انه في اعلى مراتب الاحكام حتى انه لا يتطرق اليه خلل اصلا ولا
يختلف نظمه ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ولا حاجة لتفسيره بالقوة
ويقال للقوة قوة فيصح اضافتها اليه **ونصاعة الفاظه** بفتح النون والصاد والعين المهملتين
اي وضوحها وخلوصها ومنه ابيض ناصع وقيل الجزالة القطع ومنه القضا الجزل اي القاطع
للشك ونصاعته بياضه وهو تكلف لا داعي له وكونه اشارة الى المحسنات البديعية لا وجه له
وحسن نظمه وايجازه لسلاسته وانسجامه وبديع تاليفه وتركيب كلماته المؤتلفة المتواخية
واسلوبه طريق بلاغته التي لا يسلكها كلام غيره وقوله مما جمع مقدم من تاخير متعلق بقوله
لا يصح ان يكون في مقدور البشر مقدور اسم مفعول او مصدر على وزن مفعول بمعنى القدرة
اي لا يمكنهم القدرة على مثله لما جمعه مما لا تطيقه قدرتهم **وانه من باب الخوارق** اي من جنسها
ونوعها يقال هذا من بابه هذا وبابته اي من جنسه **الممتنعة عن اقتدار الخلق عليها** اي التي
لا يقتدرون عليها حتى كانها امتنعت عليهم وابت مطاوعتهم وهو من بليغ الكلام **كاحياء الموتى**
بفتح الميم جمع ميت وهذا مما وقع لعيسى وابراهيم الخليل **وقلب العصا حية** كما وقع لموسى
وسيفا حديدا كما وقع لنبينا والطلقة المصنف لتشملها فيكون فيه ذكر لمعجزة نبينا صلى الله عليه
وسلم هو المناسب لقوله **وتسبيح الحصا** في كفه صلى الله عليه وسلم كما ثبت في معجزاته ثم ذكر
مذهبا آخر فقال **وذهب الشيخ ابو الحسن** الاشعري امام اهل السنة وقد تقدم بعض من ترجمته
الى انه اي القرآن المعجز **مما يمكن ان يدخل مثله تحت مقدور البشر** اي انه فرد من افراد
الكلام البليغ داخل فيه مندرج في جنسه ومثله قولهم الحيوان جنس تحته الانسان والفرس وهو
تحون معروف **ويقدرهم الله عليه** عطف تفسير لما قبله على مذهبه من خلق الافعال **ولكنه لم
يكن هذا** فيما مضى ولا يكون في الحال والمستقبل **فمنعهم الله** عن معارضته والاتيان بمثله وهذا هو
القول بالصرفة وفيه اختلاف ايضا فقيل معناه ان فيهم قدرة على التكلم بمثله وعنده علم بوجوه
البلاغة واساليبها حالة التحدي لكن الله صرف دواعيهم عن ذلك مع توفر اسبابها من التقريع
والتبكيت وتكرر الطلب وهو قول النظام والاستاذ من اهل السنة وقيل بل سلبهم الله عند التحدي
القدرة والعلم بعلوم البلاغة فاذا ارادوا ذلك لم يقدروا عليه وتسميته صرفة بحسب ظاهر
حالهم وما علم من اقتدارهم وهذا مذهب المرتضى علم الهدى من الشيعة ونقل عن الاشعري الا انه
لم يشتهر عنه وكلام المصنف يحتمل الوجهين فان قلنا هذا اشارة الى الاتيان بمثله فهو المذهب الاول

وان قلنا الاقدار فهو الثاني وحمله بعضهم على الثاني وقال يحتمل ان يكون المراد بابي
الحسن رجل آخر غير الاشعري ولا حاجة لمثله من التكلف **وعلى الطريقتين** بل الطرق من اعجاز
بلاغته واسلوبه والصرفة **فعجز العرب عنه ثابت** محقق مع كمال بلاغتهم وفرط تهالكهم وتبجح
عنادهم لاطفاء نوره وما زاده الا اشتهارا وايضاحا واقامة الحجة عليهم بتكليفهم باقل قليل منه
بما يصح اي يمكن وينبغي فانه ورد بهذا المعنى في اللغة **ان يكون في مقدورهم** على مذهب
الاشعري **وتحديهم** مصدر مضاف لمفعوله اي طلب النبي صلى الله عليه وسلم من العرب
الفصحاء **ان ياتوا بمثله** اي مثل القرآن في البلاغة وعجز العرب مبتدا خبره ثابت **واقامة**
مثله خبره **قاطع بعجزهم** عما لا ريب فيه **وهو** اي ما ذكر او التحدي بما هو مقدورهم **ابلغ في
التعجيز** بغيره مما لا يقدرون كاحياء الموتى **واحرى** افعل تفضيل بحاء وراء مهملتين بمعنى
احق واولى **بالتقريع** وهو التوبيخ والتعيير من القرع بالعصا وهو الضرب **والاحتجاج
بمجيء بشر مثلهم** من جنسهم واهل لغتهم **بشيء ليس من قدرة البشر لازم** على القول الاول من
اعجازه بمادته وصورته **وهو** اي المذكور من عدم قدرتهم **اظهر آية** اي اظهرها واغلبها
لسائر الآيات الباهرة لارتفاع شانه وعلوه في رتبته لا يأتون منه كلام بليغ كما مر تفصيله **واقمع
دلالة** بالنصب على التمييز والجر على الاضافة والدلالة بكسر الدال مصدر او بمعنى الدليل والاقمع
من قمعه اذا قهره وردعه واذله لعجزهم عن معارضته **وعلى كل حال** من الاحوال السالفة
اي سواء قلنا بانه معجز ببلاغته وبالصرفة عن معارضته فقد عجزوا **فما اتوا في ذلك بمقال**
اي لم يسمع منهم كلام مما رضوه به ولو صدر منهم ذلك شاع وذاع **بل صبروا على الجلاء** بفتح الجيم
والمد وهو ترك الوطن والمال والقتل لفرط عنادهم وعدم انقيادهم **وتجرعوا** اي شربوا
جرعة بعد جرعة **كاسات** جمع كاس وهو ما يشرب به الخمر ونفس الخمر **الصغار والذل** بفتح الصاد
المهملة وهو المذلة فالعطف تفسيري وفيه استعارة تصريحية او مكنية اي صبروا على
التحقير والاهانة وتجرعوا غصصها **وكانوا من شموخ الانف** بفتح الهمزة والمد وضم النون جمع
انف كذا ضبطوه ويجوز فتح الهمزة وسكون النون بالافراد والشموخ بضم الشين المعجمة مصدر شمخ
اذا ارتفع وهو كناية عن غاية التكبر والجملة حالية بتقدير قد **وآباء الضيم** بكسر الهمزة والمد
والمد مصدر اذا امتنع مما يكرهه والضيم الذل والتحقير **بحيث لا يؤثرون** بالمثلثة اي
لا يرضون ذلك اي الذل والضيم **اختيارا** اي باختيارهم وعدم جبرهم وقهرهم **ولا يرضون
الا اضطرارا** اي قسرا والجاء وهو عطف تفسير لما قبله ونصبهما على التمييز او المفعول
المطلق **والا** مركب من ان الشرطية ولا النافية اي وان لم يكن الامر كما ذكر **فالمعارضة** للقرآن
بالاتيان بما يماثله **لو كانت من قدرهم** بضم القاف وفتح الدال المهملة جمع قدرة اي لو كانت
المعارضة مقدورة لهم **والشغل بها اهون عليهم** جملة حالية اي اشتغالهم بمعارضته اسهل
عليهم من الصبر على ما ذكر **واسرع بالنجح** بضم النون وسكون الجيم وحاء مهملة وهو الظفر والفوز
بمطلوبهم وهو ابطال الحجة عليهم **وقطع العذر** اي قطع ما اعتذروا به عن عدم المعارضة
من الاعذار الفاسدة **وافحام الخصم** اي اسكاته عما قرعهم به لديهم اي عندهم وهو متعلق بجميع
ما قبله من اسرع واهون وقطع وافحام **وهم ممن لهم قدرة** تمييز والجملة حالية وليس قدرة حال
بمعنى مقتدرين كما قيل لتكلفه وهم مبتدا اول ومن استفهامية وهم الثاني خبره او بالعكس
على المذهبين والجملة خبرهم اي وهم اي شيء هم اي امر عظيم لا يقدر قدره ولا يعلم كنهه وهو من

ابلغ المدح كقولهم زيد وما زيد كقوله تعالى الحاقة ما الحاقة وهو مشهور في كلام العرب والعجم
وقد يقال هو هم بدون اي هم القوم المعروفون بالبلاغة وبنهاية النفس واباء الضيم الذي
لا ابعاد لهم فيه اصل فناهيك بما اوقعهم في حضيض الذل ومن فرقهم الصبا والدبور ايدي سبا
على الكلام متعلق بقدرة وقدوة اي مقتدي الكلام وصياغته لسلامة فطرتهم وصفاء قريحتهم
لجميع الانام متعلق بقدوة واتي به للقافية اي هم في ذلك ائمة مقتدى بهم لا اتباع لغيرهم فكيف
عجزوا ورضوا بما رضوا به لما ادهش انفسهم وتكبرهم ربما توهم متوهم ان تركهم للمعارضة لعدم
تنزلهم وعدم مبالاتهم فدفعه بقوله وما منهم احد الا من جهد ماض بزنة ضرب فالاستثناء
مفرغ من عام مقدر جهده بفتح الجيم وضمها الطاقة والمشقة وقيل الجهد بالفتح المشقة وبالضم
الوسع وقيل الجهد بالضم ما يجهد الانسان فيه اي يجتهد فيه ويتعب نفسه كقوله تعالى لا يجدون
الا جهدهم فالمعنى انهم بذلوا ما عندهم في الطلب فلم يقدروا على شيء منه واستنفد ما عنده اي
استفرغ ما في طاقته وقوته في اخفاء ظهوره اي القرآن او النبي صلى الله عليه وسلم واطفاء
نوره ويابى الله الا ان يتم نوره ولو كره المشركون فاجلوا اي اظهروا من جلا العروس على المنصة
بزينتها لذكر البنات بجدهم في ذلك اي ما اجتهدوا فيه وحاولوه خبية بفتح الخاء المعجمة
وكسر الباء وسكون المثناة التحتية والهمزة والهاء فعيلة بمعنى مفعولة اي مخباة في ضمائرهم
مستورة خلف استار سرائرهم من بنات شفاههم اي كلمة يتلفظون بها شبهت بالبنت والشفة
بالام لظهورها منها وهي استعارة مشهورة مكنية او مصرحة ولا اتوا بنطفة بضم النون وسكون
الطاء المهملة والفاء وهي الماء الصافي من نطف بمعنى صب والناطف السائل والمراد القطرة القليلة
وفي بعض النسخ نقطة بالقاف مقدمة على الطاء وتسمى اللؤلؤة نطفة كما قاله الراغب من معين
مياههم المعين الماء الجاري ظاهرا والميم زائدة من العين وقيل انها اصلية من معن بمعنى سار في
الارض ومياه جمع ماء واصله موه اي لم يقدروا على شيء ما طلب منهم وهو استعارة مصرحة ترشيحية
او مكنية اي مع ما لهم من موارد فصاحتهم وجاري كلامهم لم يجدوا قطرة من عذب فطراته مع طول
الامد اي اتساع زمن التحدي وكثرة العدد من فصحائهم وتظاهر اي تعاون ومساعدة
الوالد وما ولد اي الكبير والصغير وهذا دفع للشبهة وازالة للاعذار اذ لو ضاق الزمان او قل
الاخوان او عدم الاعوان كانت لهم معذرة ما ابلسوا بالبناء للفاعل وفتح الهمزة يقال ابلس اذا
ايس قيل ومنه ابليس لياسه من رحمة الله وكان اسمه عزازيل ويكون بمعنى الانكسار والحزن والمراد
الاول فانبسوا بنون وباء موحدة مفتوحة مخففة وورد تشديدها كما في قوله
ان كنت غير صائد فنبس • ومعناه نطقوا قيل هو مختص بالنفي واورد البيت المذكور
وقد يقال المخصوص بالنفي المخفف فتدبر ومنعوا بالبناء للمجهول فانقطعوا عن المعارضة
لعجزهم وقد يقال هذا اشارة الى القولين فما نبسوا يشير لعجز فطانتهم عن بلاغته ومنعوا اي
منعهم الله اشارة للصرفة وفي الارشاد لامام الحرمين فان قيل ان العرب لم تترك المعارضة للعجز
بل لعدم الاكتراث به قيل هذا ركيك من القول لا يخطر ببال عاقل وقد كانوا اذا قال شاعر
شعرا في ذمهم بالغوا المعارضة فكيف وقد وبخوا اشد توبيخ وحقرت اصنامهم وسفهت
احلامهم وقوتلوا حتى نكست رؤوسهم وقد مر ما ينبهك عليه من اشارة المصنف لهذا وجوابه
والاضراب لتوكيد نفي المعارضة كما يقال ما تكلم زيد بل سكت عجزا فهذان نوعان من اعجازه
الاشارة الى اعجازه بنفس كلامه وخواص تراكيبه ولصورة نظمه واسلوبه ولم يلتفت للصرفة

اعلامهم

لانه

لانه لم يلتفت لها لضعف القول بها كما تقدم

فصل الوجه الثالث من وجوه الاعجاز

اي اعجاز القرآن الكريم لوجه آخر غير الوجهين السابقين او غير الوجوه الثلاثة انطوى عليه
اي اشتمل عليه ووقع في ضمنه من الاخبار بكسر الهمزة مصدر بالمغيبات بفتح الباء المشددة جمع مغيب
او مغيبة اسم مفعول وهو شامل لما سبق مما لم يدركه هو ولا اهل عصره وما سيقع بعده الى ما لا يعلمه
الا الله والمراد هنا الثاني لان الاول يمكن الوقوف عليه فلذا عطف عليه قوله وما لم يكن وما لم يقع
من قبل بما كان ووقع من القرون الماضية بناء على ان الاصل في العطف التغاير فقد خالف
كلامه الآتي من جميع ما مثل به وان كان صحيحا في نفسه لانه لا واحد فيه فوجد بعد ذلك
مطابقا لخبره ومصدقا لما قاله وعبر عنه بالماضي وان كان مستقبلا بالنسبة لما قبله على الوجه
الذي اخبر به في هذه الآية كقوله تعالى في سورة الفتح لتدخلن المسجد الحرام اللام داخلة
على جواب قسم مقدر للتاكيد والتحقيق ان شاء الله علقه بالمشيئة مع تحققه تعليما للعباد
او تلويحا بعدم دخول بعضهم لموته او غيبته او حكاية لما قاله ملك الرؤيا او النبي صلى الله عليه
وسلم آمنين حال من فاعل لتدخلن والشرط اعتراض لانه صلى الله عليه وسلم رأى بالمدينة
قبل عام الحديبية انه دخل مع اصحابه واخبرهم بذلك فظنوه في ذلك العام فلما صدهم المشركون
عن الدخول شق عليهم ذلك فاخبرهم الله تعالى بانه سيقع بعده ذلك وكان كما اخبر وقوله تعالى وهم
من بعد غلبهم سيغلبون فاخبر الله ان الروم تغلب فارس بعد مدة اقل من عشر سنين وكان كما
اخبر الله في كتابه وذلك ان الروم كانوا اهل كتاب وفارس لا كتاب لهم كالمشركين فكان المشركون
كلما تحارب فارس والروم يرجون غلبة فارس ويفرحون بذلك تفاؤلا بغلبتهم للمسلمين فبعث
كسرى جيشا الى الروم فالتقيا باذرعات وبصرى فغلبت فارس الروم ففرح المشركون وشق
ذلك على المسلمين فانزل الله هذه الآية واخبر ابو بكر المشركين بذلك وقال سيظهر الروم على
فارس فلا تفرحوا وقد اخبر الله نبينا بذلك فقال له امية بن خلف كذبت يا عدو الله فقال اجعل
بيني وبينك اجلا على عشر قلائص ياخذها الصادق فراهنه على ذلك لثلاث سنين واخبر رسول
الله بذلك فقال له مد الاجل وزد في الرهان فان الله تعالى قال في بضع سنين وهي من الثلاث
الى التسع فجعل القلائص مائة الى تسع سنين ففعل فوقع ذلك بعد سبع سنين واخذ القلائص ابو
بكر فقال له صلى الله عليه وسلم تصدق بها وكان هذا قبل تحريم القمار وانما امره بالتصدق بها لانه
علم خبثها لانها سحت او شكرا لله على تصديق مقالته وقوله تعالى ليظهره على الدين كله هذا
وعد من الله بان دين رسوله سيظهر ويغلب سائر الاديان وتقهر امته جميع الامم فان العزة لله ولرسوله
وكان كما قال من غير شبهة وكم شاهدنا من تاييد الله لجنده ونصره مع ما للكفرة من الكثرة
في المال والجند وقوله وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم الآية
اي ليجعلنهم خلفاء في ارضه مالكين لها منصورين على اعدائهم وهذه الآية وان كانت عامة المراد
بها غلبة المسلمين لاهل الردة في خلافة ابي بكر الصديق رضي الله عنه وقوله اذا جاء نصر الله
الى آخرها اي الى آخر السورة وهذه الآية وان كانت شاملة لكل فتح لكنها نزلت مبشرة بفتح مكة هو
رغبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولما نزلت وتلاها بكى العباس فقال ما يبكيك يا عم فقال
نعيت اليك نفسك فقال انه كما تقول عبر بالمجيء ايماء الى ان المقدرات تتوجه من الازل الى اوقاتها

له

المعينة مترقبة القدوم وفيه من البلاغة ما لا يخفى اشار الى ما تقدم وتفسير ما ذكر بقوله
فكان جميع هذا كما قال عز وجل مطابقا لما اخبر به والاشارة الى ما تقدم من المغيبات المخبر بها
وكان بمعنى تحقق ووقع بعد الاخبار فصله على طريق اللف والنشر بقوله فغلبت الروم وهم
جيل من الناس مغلوبون فارس وهم الفرس اي قوم العجم وتطلق على بلادهم ايضا وهو لفظ معرب
فان اريد الثاني قدر اهل وقد تقدم بيانه وهو ممنوع من الصرف للعلمية والتانيث وفي بضع
سنين اي سبع سنين كما مر اي في راس سبع سنين واخرها والراس يطلق على ذلك مع الزمان
ويكون بمعنى الاول ايضا ودخل الناس في الاسلام افواجا اي جماعات كثيرة بعد جماعات
كثيرة وفوجا بعد فوج لما اعز الله الدين ونشر اعلامه في الخافقين وهذا اشارة لما في سورة النصر
السالفة واستخلف الله المؤمنين في الارض اي جعلهم خلفا لرسوله بعده واخر هذه الاية عن ذكر
سورة النصر لان الاستخلاف وقع بعد ذلك الدخول وان تقدمت فيما ذكر قبله وهذا مبني على عموم
الذين آمنوا في قوله وعد الله الذين آمنوا الاية لجميع الامة وعدم اختصاصها بابي بكر كما تقدم
ومكن فيها اي في الارض دينهم وهو دين الاسلام اي جعله متمكنا قارا لا يزول الى يوم القيمة يقال
مكنته ومكنت له فتمكن وهو في الاصل من المكان وملكهم اياها اي الارض لان اشرف المعمور
منها في ايديهم وباقيها في انقيادهم فهم بالقوة كالمالكين لها او لانه باعتبار ما سيكون بعد نزول
عيسى بن مريم الى الارض على دينه معدودا من امته ولذا قال من اقصى المشارق الى اقصى المغارب
اي من ابعد مكان من جانب المشرق الى ابعده من جانب المغرب وقدم المشارق اقتداء بالكتاب والسنة
او لشرفه لانه محل الرسل وفيه الاراضي المقدسة وقد وقع للادباء مفاخرة بينهما فقال محيي الدين بن سحنون

• من اين للغرب فضل • الا لمن يتغالى •
• والشمس تفقد فيه • والبدر يلقى الهلالا •
• دلايل النقص فيه • فكيف يحوي الكمالا •

قال

• فلا تبخس الشرق حقا وخذ • من الوصف فيه على ما اتفق •
• مهب الصبا ومفيض الضيا • ووجه الزمان وثغر الفلق •

وعارضه الوداعي فقال

• •
• الغرب خير وعندي ساكنه • امانة اوجبت تقدمه •
• فالشرق من نيرته عندهم • يودع ديناره ودرهمه •

ثم انصف من قال

• •
• حوى كل من الافقين فضلا • يقر به الغبي مع النبيه •
• فهذا مطلع الانوار منه • وهذا منبع الابواء فيه •

وهذه لمحة ادبية • ونفحة مسكية • احمضناها كما قال عليه الصلاة والسلام في حديث
صحيح رواه مسلم عن ثوبان زويت لي الارض بزاي معجمة وواو وياء مبني للمجهول اي جمعت وطويت
فاريت مبني للمجهول من المزيد اي اراني الله مشارقها ومغاربها اي جميع اماكنها وبلادها
وسيبلغ ملك امتي ما زوي لي منها وجمع بمرآى عيني وما زوي منها هو المشارق والمغارب
السالفة وتوهم بعضهم انه غير وان اول الحديث مخالف لاخره ثم جمع بينهما بان المراد بما زوي
المعمور منها وما من شانه ان يملك فكانه جميعها وفيه ما لا يخفى وقدم المصنف خبر الله على الحديث
رعاية للادب بتقديم الاصل الاشرف وقوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون فاخبر

بانه تولى حفظ القرآن من التبديل والتغيير في سائر الزمان بدلالة الاسمية المؤكدة
فكان كذلك في المستقبل كما اخبر فلا مبدل لكلماته بخلاف سائر الكتب فانه وكل حفظها للامم
المنزلة عليهم فقال بما استحفظوا من كتاب الله اي طلب حفظه منهم فوقع فيها التبديل والتحريف
حتى صارت لا يوثق بما ينقل منها والمراد بالذكر القرآن لا يكاد يبدل بالبنا للمجهول اي لا يبدل
لكثرته من سعى اي اجتهد في تغييره وتبديل محكمه ويكاد بمعنى يقرب ونفي القرب من العدد
ابلغ من نفي العدد وقال تبديل محكمه دون تبديله ارشادا لما يقع من تبديله من الملحدة بيان
لمن اي من الطايفة الملحدة من الالحاد وهو الميل سموا بذلك لعدولهم من ظواهر الشريعة وتاويلها
بامور سخيفة ويسمون باطنية وهم الاسماعيلية وزعم بعضهم ان مصحف عثمان نقص منه بعض
القرآن كما ذكره القرطبي في اول تفسيره والمعطلة الذين نفوا الصانع ويتزيوا بزي الاسلام
خوفا من القتل وسعوا في نقض الدين وتزيين ما يروج على بعض العقول القاصرة لا سيما
القرامطة هم طايفة من الملحدين ايضا قال السمعاني في الانساب القرمطي بكسر القاف وسكون
الرا المهملة وكسر الميم والطا المهملة نسبة لطايفة خبيثة وهم من اهل هجر والحسا واصلهم رجل
من سواد الكوفة يقال له قرمط وقيل حمدان بن قرمط وسبب ظهورهم ان جماعة من اولاد بهرام
جور ذكروا اباهم وجدودهم وما كانوا فيه من العز والملك وزوال ذلك بدولة الاسلام في
ايام ابي مسلم وتقلد الخلافة المروانية وهو من الموالي وهم من اولاد الملوك فاتفقوا على رفع
الاسلام وقالوا ينبغي ان نفرقهم ونفسد الرعايا عليهم فقسموا الدنيا اربعة اقسام لكل ربع رجل
منهم واحد ذهب الى الكوفة فاول من اجابه حماد بن قرمط فاعانه على الدعوة وقيل انما سموا قرامطة
لان النبي راى عاقر عيسى وهو من اهل المدينة فقال انه ليقرمط في مشيه انتهى اي يقارب
خطاه ومنه الخط المقرمط وعلى هذا فهو عربي وقيل انه معرب وان جدهم كان يسمى كرميته
وعربوه وكان رجلا احمر العينين من سواد الكوفة فالكاف عجمية في الاصل من الكرمية وهي الحرارة
وكان ظهوره في سنة ثمان وستين ومايتين فلم يزل يظهر الصلاح حتى اجتمع عليه الخلق فزعم
ان النبي بشر به وانه الامام المنتزع فابتدع مقالا وزعم انه انتقل اليه كلمة المسيح وجعل الصلاة
ركعتين بعد الصبح وركعتين بعد المغرب والصوم يومين بالنيروز والمهرجان فكانت له وقايع
وحروب ودعاة وخلفا مذكورة في التواريخ حتى ظهر منهم سليمان بن الحسن الجبابي فعاث في
البلاد وافسد وقصد مكة فدخلها يوم التروية سنة سبع عشرة وثلثمايه في خلافة المقتدر
فقتل الحجاج ورماهم بزمزم وقلع باب الكعبة واخذ كسوتها واخذ الحجر الاسود فبقي عندهم سنين
ثم ردوه مكسورا فنصب في محله وقد كان بذل لهم فيه خمسون الف دينار فابوا ولم يزالوا كذلك
حتى اخذوا الشام وغيرها حتى قاتلهم جوهر القايد وهزمهم وقتل منهم خلقا كثيرا وكانت مدة
خروجهم ستا وثمانين وكانوا يحرفون القرآن ويؤولونه بتاويلات فاسدة لم تقبلها العقول
وما بعد سيما يجوز فيه وجوه الاعراب الثلاثة كما تقدم بيانه فاجمعوا كيدهم بقطع الهمزة
والمراد بالكيد الحيلة والمكر في تحريف القرآن وحولهم وقوتهم اي اعملوا حيلهم وبذلوا قوتهم
وقدرتهم في ان يحولوا القرآن اليوم منصوب على الظرفية قيل ويجوز اعراب اليوم او بنزع
الخافض اي الى هذا اليوم والمراد مطلق الزمان والوقت الحاضر في زمن المصنف نيفا بكسر
اليا المشددة وسكونها بعد نون مفتوحة ومعناه الزيادة اي مدة تزيد على خمس مائة عام
وهي مدة سني هؤلاء فيما ذكر فما قدروا في هذه المدة الطويلة على اطفاء شي من نوره مثل الحلم

في سعيهم في تحريف القرآن بمن اراد اطفاء نور عظيم منتشر في الآفاق ولا على تغيير كلمة من كلماته تفسير لما قبله بجعل كلام الله نورا ولا تشكيك للمسلمين في حرف من حروفه فضلا عن كلمة من كلامه فهو ترقٍ والحمد لله على هذه المنة العظيمة وهي حفظ الله لكلامه وبقاء رونق نظامه وخيبة سعي من سعى في اطفائه وافتضاح جهلة اعدائه ومنه اي ومما اخبر به من المغيبات المعجزة قوله عز وجل سيهزم الجمع ويولون الدبر نزلت بمكة فلم يدر الصحابة ما المراد به حتى كان يوم بدر بعد سبع سنين من نزولها فلبس صلى الله عليه وسلم درعه وهو يقول سيهزم الجمع ويولون الدبر قال ابن عمر فعلمت المراد منه اي سيهزم كفار قريش ويولون المسلمين ادبارهم اي يجعلون المسلمين متولين على ادبارهم بالطعن والضرب فعبر عن شدة انهزامهم بابلغ عبارة ففيها اعجاز لفظا ومعنى وقوله قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم الآية ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين وفيه من الاخبار عن الغيب ان ناسا من اليمن وبني خزاعة اسلموا وبقوا بمكة بعد الهجرة فلقوا من المشركين اذًى شديدا فشكوا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اصبروا الفرج قريب فنزلت هذه الآية فكان كما بعدها ما اوقع الله بهم من القتل ونصرة المؤمنين التي شفيت بها صدورهم وخزيهم بالسبي والجلاء وسبي نعيمهم وقوله تعالى هو الذي ارسل رسوله بالهدى الآية فيه اخبار بالغيب من ظهور دينه على سائر الاديان على رغم انفهم وقد تقدم الكلام على هذه الآية وقوله لن يضروكم الا اذى اي لا يقدرون عليكم الا باذية يسيرة كالطعن فيهم وتصديرهم وان يقاتلوكم الآية اي يولوكم الادبار ثم لا ينصرون فاخبرهم كلما قاتلونا غلبوا وكانت عاقبة النصر لنا عليهم والامر بخزائنهم والحرب سجال فكان كل ذلك اي وقع كلما اخبر الله به قبل على طبق خبره من هزيمة جموعهم وتعذيبهم بما يشفي صدور المؤمنين واظهار دينه وتولية الدبر كل من قاتل منهم ومما في القرآن من المغيبات ما فيه اي القرآن من كشف اسرار المنافقين اي اظهار ما اخفاه المنافقون في قلوبهم مما لا يعلمه الا الله بما انزله في حقهم في سورة المنافقين وكشف اسرار اليهود ومقالهم اي اظهار ما قالوه فيما بينهم وهم يظنون انه لا يشعر به غيرهم وكذبهم في حلفهم اي كذب المنافقين وحلفهم وقسمهم عند رسول الله على مقالتهم انها صادقة والله يعلم انهم كاذبون كما ذكر في سورة المنافقين ومثله كثير في القرآن وتقريعهم بذلك اي توبيخ الله لهم بسبب ما قالوه وحلفهم بايمان فاجرة ثم مثل لما ذكر فقال كقوله عز وجل ويقولون في انفسهم اي قول اليهود فيما بينهم وفي خلوة تناجيهم لولا يعذبنا الله بما نقول اي هلا عذبنا الله تعالى بقولنا في حق محمد لو كان نبيا دعا علينا حتى نعذب او بما كانوا يقولون هم والمنافقون فيما بينهم في حق النبي والمسلمين فاخبر الله بذلك وفضح سرائرهم وزاد بقوله حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير وقوله تعالى يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك الآية يعني انهم يسرون في ضمائرهم غير ما يظهرونه لك اذا اتوك وهذا بيان لحال المنافقين ومكرهم والذي اخفوه قولهم يوم احد وقد غشيهم النعاس ولم يكن لهم غير تخليص انفسهم من القتل وقال بعضهم لبعض في خلوة من المؤمنين لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا الآية فاعلم الله رسوله بذلك فاخبرهم بما قالوه وهو من جملة المغيبات وقوله عز وجل ومن الذين هادوا سماعون للكذب الآية يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع دعاء عليهم بالصمم او بالموت او لا اسمع ما تدعونا اليه فاخبر الله بتحريفهم كتابهم ومقالتهم وعدم طاعتهم وهو من الاخبار بالغيب الدال على اعجاز القرآن وهذا في

حق اليهود وفي الآية كلام مفصل في التفاسير واحتمالات اخر ووجوه من الاعراب ليس هذا محل تفصيلها وقوله في هذه الآية وراعنا ليا بالسنتهم وطعنا في الدين بالتكذيب والاستهزاء والسخرية وهذا اخبار بالغيب عما كان اليهود يقصدونه من التحقير ويبرزون سببه في صورة التوقير فيقولون راعنا وصفا له بالرعونة موهمين الناس بنظره ورعايته لهم مكرا منهم وليا بالسنتهم وكلامهم وقد قال الله حال كونه مبينا بالنبا اي مظهرا ما قدره الله وقضى به واعتقده المؤمنون من الظفر باحدى الطائفتين العير او النفير يوم بدر اي في وقعتها لان اليوم يطلق على ذلك في قولهم ايام العرب كما تقدم وهو من المغيبات التي اخبرهم بها بقوله واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم بدل مما قبله وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم الشوكة مستعارة من الشوك المعروف للقوة والحدة بكثرة السلاح والرجال ومنه شاكي وشائك السلاح للرجل المستعد للحرب بالآية وهذا اخبار لما باثر وقع في انفسهم وودوه واحبوه وهو مغيب عن النبي صلى الله عليه وسلم اعلمه به جبريل فلما تلاه عليهم زاد ايمانهم باعجاز القرآن وذلك ان المسلمين لما علموا بقدوم عير المشركين بما لهم من التجارة واحبوا الخروج اليها علم الكفار بذلك فخرج ابو جهل بمقاتلة مكة وهم النفير ولما علم ابو سفيان بخروج النبي اخذ ابو سفيان بالعير الى جانب ساحل البحر فقيل لابي جهل ارجع بالناس فابى وسار بمن معه الى بدر فوعد الله نبيه صلى الله عليه وسلم باحد الامرين الظفر بالعير او قتل النفير وكانت الصحابة يودون في انفسهم اخذ العير لما فيها من المال وقلة ما عندهم من السلاح والرجال فقدر الله انهم يلقون العدو وليقطع دابر الكافرين فقتل صناديدهم وايد الله المؤمنين واعز الدين ومنه اي من اخباره بالغيب في كلامه المعجز قوله تعالى انا كفيناك المستهزئين وهم خمسة من الكفار كانوا يؤذونه اشد الاذى ويسخرون به فاخبر الله باهلاكهم سريعا وكفاية شرهم قبل وقوعه فكان كما قال وهذا من جملة المغيبات التي اخبر بها رسوله كالذي قبله ولذا جعلهما في قرن كما اشار بقوله في سبب نزول هذه الآية كما رواه الطبراني في الاوسط ولما نزلت هذه الآية عليه صلى الله عليه وسلم بشر بذلك اصحابه اي بهلاكهم لما كان عندهم من الالم من شدة اذيتهم فاخبرهم بان الله كفاه اياهم باهلاكهم وكان المستهزئون نفرا بمكة من اهلها ينفرون الناس عنه بطعنهم واستهزائهم ويؤذونه فهلكوا وهم الاسود بن عبد يغوث والاسود بن عبد المطلب والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وعدي بن قيس وقيل منهم الحارث بن عيطلة وروي ان جبريل اخبره بهلاكهم وكيفيته وقد مر وابه رجلا رجلا وكيفية هلاكهم مفصلة في السير وعن ابن عباس انهم هلكوا في ليلة واحدة والذي ذكره غيره انهم هلكوا في ايام متقاربة بعدما دعا عليهم بفناء البيت فاجاب الله دعوته وانزل عليه الآية كما قال في الهمزية هم

وكفاه المستهزئين وكم سا	ء نبيا من قومه استهزاء
ورماهم بدعوة من فناء الـ	ـبيت فيها للظالمين فناء
خمسة كلهم اصيبوا بداء	والردى من جنوده الادواء

ومن الاخبار بالغيب قوله والله يعصمك من الناس اي يحفظك من جميع الناس الذين يريدون بك سوءا وكان الصحابة يحرسون النبي صلى الله عليه وسلم في اسفاره فلما نزلت منعهم من الحراسة وهذا لا ينافي ما اصابه باحد لان الآية نزلت بعدها او المراد حفظه من القتل كما فصله الخيضري

في خصائصه **فكان كذلك** اي محفوظا معصوما كما اخبره الله وكان هنا تامة وكذلك اي ووجد كما اخبر به او نا قصة كذلك خبرها وقوله **على كثرة من رام** اي قصد **وضره** مفعوله وفسره بقوله **وقصد قتله** اشارة الى ما تقدم عن الخيضري من ان العصمة انما هي عن القتل لا عن غيره من انواع الاذي **والاخبار بذلك معروفة صحيحة** كما في صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل نجد فادركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في واد كثير العضاة فنزل تحت شجرة فعلق سيفه بغصن من اغصانها وتفرق الناس في الوادي يستظلون بالشجر فاتاه رجل وهو نائم فاخذ السيف فاستيقظ وهو قائم على راسه والسيف مصلت في يده فقال له من يمنعك مني قال الله ثم قال ذلك ثانيا فقال الله فشام السيف قال وها هو جالس ومثله كثير

فصل الوجه الرابع

من وجوه الاعجاز القرآنية **ما انبائه** اي ما اخبر الله به **من اخبار القرون السالفة** هو جمع قرن وهم اهل كل عصر وزمان من الاقران لاقتران زمانهم واحوالهم فقيل هو اربعون سنة وقيل ثمانون وقيل مائة وقيل مطلق الزمان اي اخبار الامم والملل المتقدمة والبلاد المعتبرة مما لا يطلع عليه الا من تتبع التواريخ او ساح في اقطار الارض وقد عمر عمرا طويلا وكلا الامرين منتف في حقه صلى الله عليه وسلم **والامم البائدة** اي الهالكة الذين افناهم الموت وطحنتهم رحى الدهر حتى اندرست آثارهم **والشرائع الداثرة** بدال مهملة وثاء مثلثة من دثر اذا اندرس ولم يبق له اثر والدثور وقد يعني النسيان فالمراد معرفته بالشرائع القديمة التي نسيت ونسخت احكامها من تعرف شانه اذا تلطف بها وفي تعبيره نوع من البديع يسمى التفنن لان السالفة والبائدة والدائرة متغايرة اللفظ متقاربة المعاني **مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة** بيان لقوله من اخبار على حد قوله تعالى ما رزقوا منها من ثمرة على ما حقق في شروح الكشاف **الا الفذ** هو الفرد الشاذ وهما بمعنى وكلاهما بذال معجمة وفي الحديث لا نترع شاذة ولا فاذة **من احبار اهل الكتاب** احبار جمع حبر بكسر الحاء وفتحها وسكون الموحدة وراء مهملة ومعناه العالم الحافظ الواسع علمه والعرف خصه بعلماء اهل الكتاب ومنه كعب الاحبار للتابعي المشهور ويقال له كعب الحبر ووجه اطلاقه انه من الحبر وهو المداد الذي يكتب به لكثرته ولانه حبر الكلام وزينه وفي المصباح الحبر بالكسر المداد الذي يكتب به واليه نسب كعب فقيل كعب الحبر لكثرة كتابته بالحبر حكاه الازهري وعن الفراء الحبر العالم والجمع احبار مثل حمل واحمال ويقال حبر الاحبار ايضا اي عالم العلماء وكذا في تهذيب الاسماء للنووي فلا عبرة بقوله في القاموس كعب الحبر بالفتح ويكسر ولا تقل كعب الاحبار **الذي يقطع عمره في تعلم ذلك** اي تعلم اخبار من سلف وشرائعهم فاذا كان لا يعلمه الا من قراه ودرسه طول عمره واما من كان اميا في امة امية لم يقارن من له علم بذلك فعلمه به واخباره به مفصلا امر خارق للعادة في حقه لا محالة لا لذاته بل لامته **فيورده** متفرع على قوله انبائه اي اذا اخبر النبي به في الوحي المتلو المنزل عليه يورده اي يذكره **النبي صلى الله عليه وسلم على وجهه** حال من الفاعل او صفة مصدر مقدر اي ايرادا كائنا على وجهه اي على اتم حال يليق به وينبغي له كما يقال دبر الامر على وجهه كما في الاساس **ويأتي به على نصه** اي في غاية مرتبة من كماله ورفعته يقال

بلغ الشيء نصه اي غايته كما في الاساس لان معنى نص رفع ومنه المنصة وفيه تورية لان عبارة القرآن تسمى نصا **فيعترف العالم بذلك بصحته وصدقه** اي من تعلم تلك الاخبار والشرائع اذا اسمعها ممن لم يسمع بها علم صحة كلامه وصدقه فيما قاله **او ان مثله** اي مثل النبي او مثل هذا الكلام **لم ينله** اي لم يصل اليه النبي بتعليم اي من البشر بل بوحي من الله **وقد علموا** اي علم الناس من المسلمين والمشركين **انه صلى الله عليه وسلم امي** اي لا يعرف القراءة ولا الكتابة فقوله **لا يقرا ولا يكتب** صفة له مفسرة وموضحة وقول النحاة الجملة المفسرة لا محل لها من الاعراب ليس على اطلاقه ولما كان هذا لا يكفي لاحتمال انه سمعه ممن قرا وكتب قال **ولا اشتغل بمدارسة** اي بحفظ وتلق من الافواه **ولا مثافنة** بضم ميم تليها مثلثة ثم الف وفاء ونون اي مدارسة طلب ومجالسة تحتك فيه الركب بالركب حتى يؤثر فيها الاحتكاك وهو عبارة عن كثرة الجلوس مع اهل العلم بالاخبار والشرائع للتعلم منهم وهو مجاز من ثفن البعير اذا برك والثفنات ركبه التي يبرك عليها حتى تغلظ من حك الارض كثفنة على كرة اذا اعتمد وكان يقال لابن عباس ذو الثفنات لطول جلوسه في طلب العلم او لكثرة سجوده حتى يصير في جبهته اثر السجود وهذا ابلغ مما قبله وهو الصحيح الموافق للكتاب المصنف في بلاغته وما قيل من انه بمثلثة وقاف وموحدة من ثقب رايه اذا نفذ وذهن ثاقب وان الاول بمعنى التعب من ثفنت يد الرجل بكسر الفاء اذا اغلظت من كثرة العمل فهو من تحريف الكتبة الذي لا يلتفت اليه من له علم بكلام العرب وان نقله عن بعض الشراح وقد تقدم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اميا لا يقرا الخط ولا يكتب وانه من معجزاته وورد ما قيل انه مخصوص باول امره وانه كتب بيده عام الحديبية فكان ذلك معجزة له اخرى وقد شنع على قائله علماء الاندلس ونسبوه للزندقة **ولم يغب عنهم** اي لم تغب عينه عن قومه بحيث يحتمل انه يعلم فيها ما اخبرهم به **ولا جهل حاله احد منهم** من ولادته الى وفاته حتى يتوهم تعلمه ذلك من اهل الكتاب **وقد كان اهل الكتاب** اي احبار اليهود والنصارى **كثيرا ما** اي في كثير من الاحيان فهو منصوب على الظرفية وما مزيدة لتاكيد معنى الكثرة وهو صفة مصدر مقدر اي **يسألونه** سؤالا كثيرا **عن هذا** اي عن خبر من تقدم من الامم السالفة **فينزل عليه** عقب سؤالهم جوابا لهم من القرآن ما يتلو عليهم منه ذكرا المراد بالذكر القرآن المذكور **كقصص** مصدر بالفتح او جمع قصة بالكسر **الانبياء مع قومهم** فيذكرها لهم مفصلا بابلغ عبارة والطف اشارة **وخبر موسى والخضر** بفتح الخاء وكسر الضاد المعجمة ويجوز سكون ثانيه مع فتح اوله وكسره وهو ما قصه الله في سورة الكهف وموسى هو ابن عمران الكليم على الاصح لا نبي آخر كما يزعمه اهل الكتاب والخضر هو بليا بن ملكان على اقوال في الاختلاف في اسمه وقد اختلف ايضا في نبوته ورسالته وانه هو حي الآن او مات قبل المائة او قبل زمانه صلى الله عليه وسلم واكثر علماء الصوفية على انه حي الآن الا ان الله اخفاه عنا وقد اطبق اكثر الصالحين على ذلك وانهم يلاقونه ويتحدثون معه وانه يحج في كل سنة وليس في ذلك دليل قاطع ولكن حسن الظن يصدق ما قالوه والاكثر على انه ولي لا نبي ومن الغريب ما قيل انه ملك وسمي خضرا لانه اذا جلس على الارض اخضرت وافرد بعضهم له تاليفا مستقلا **ويوسف واخوته** وهي واسماء اخوته والخلاف في كونهم انبياء ام لا سياتي مفصلا وقد كان اليهود سالوه عنها فانزل الله عليه السورة **واصحاب الكهف** ومعناه المغارة لانهم وجدوا بها والخلف في مكانها ولهم اسماء يونانية اختلف في ضبطها وكانوا من ملك يسمى دقيوس و

مفصلة في التفاسير وسبب نزولها ان قريشا بعثوا النضر بن الحارث وعقبة بن معيط
الى احبار اليهود ليسالاهم عن رسول الله وامره لانهم عندهم علم من الكتاب الاول فقدموا المدينة
قبل الهجرة وسالوهم فقال لهم الاحبار سلوه عن ثلاث فان اخبركم فهو نبي مرسل والا فهو متقول
سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الاول ما كان امرهم العجب وعن رجل طاف مشارق الارض ومغاربها
ما كان نبوه وسلوه عن الروح ما هي فان لم يخبره فهو نبي مرسل فسالوه فقال اخبركم غدا ولم
يقل ان شا الله فانقطع عنه الوحي اياما اختلف في عددها فارجف بذلك كفار مكة وحزن رسول
الله ثم انزل عليه ما قصه في سورة الكهف **وذي القرنين** اختلف فيه وفي اسمه وسبب تسميته
فقيل يونانى اسمه هرديش وقيل حميري اسمه الصعب بن ذي مراثد وفي خطبة قس بن ساعدة
ابن الصعب ذو القرنين ملك الخافقين واذل الثقلين وعمر الفين ثم كان كلحظة عين وهو الاسكندر
وسمي ذا القرنين فقيل لانه عمر مدة قرنين وقيل انه ضرب على قرني راسه وقيل لذوابتين
له والقرن الشعر وقيل غير ذلك **ولقمان وابنه** وهو لقمان بن عنقا ابن مروان وكان وليا
صالحا وقيل انه نبي والاصح خلافه وقيل انه نوبي من اهل ايلة واسم ابنه فاران عند ابن
قتيبة **واشباه ذلك من الانبا** والاخبار المذكورة في القرآن عمن مضى من الامم السالفة
وبدء الخلق اي ابتدا خلق الله للدنيا وما جرى في ذلك مما لا يطلع عليه الا من قرا الكتب
ودرسها وخلقه للسموات والارض وما في التوراة والانجيل من احكام الشرائع والتوحيد
والزبور وصحف ابراهيم وموسى من المواعظ والاذكار وذكره لبدء الخلق لما تضمنه
من الاخبار عما سلف ايضا من اخبار الامم فلا يرد عليه ما قيل من ان بدء الخلق اخبار عن فعل الله
وهو جل ربنا الخالق وهو جل ربنا الاخبار بالغيب **مما صدقه فيه العلما** الاحبار من اهل الكتاب
حين ذكره لهم **ولم يقدروا على تكذيب ما ذكر منها** لكونها مطابقة للواقع ولما عندهم
مما لم يمكن انكاره **بل اذعنوا لذلك** فاقروا به واعترفوا منقادين له **فمن موفق** اسم مفعول من التوفيق
اي الذين سمعوا ما قصه عليهم وعرفوا حقيقته منهم من وفقه الله لهداه وامن فعل ماض مفتوح
الآخر **بما سبق له من خير** اي بسبب ما سبق في علم الله الازلي وحكمه بانه سعيد فسبق فعل
ماض بسين مهملة وباء موحدة وقاف والخير هو احسان الله وانعامه عليه لهدايته ويجوز كسر شينه
قبل ياء مثناة تحتية ماض مجهول سافر الله له واوصله **ومن شقي معاند** حاسد اي اشقاه الله
حتى حمله العناد والحسد على عدم الانقياد لما علم حقيقته كما حمل الحسد ابليس على ضلاله لما كتب
عليه من الشقاوة الازلية فلم يصدق ولم يؤمن **ومع هذا** العناد والحسد الذي اظهروه **فلم يحك**
بالبنا للمجهول ونائب فاعله انه انكر الواقع بعد سطور **عن واحد من النصارى واليهود على**
شدة عداوتهم له صلى الله عليه وسلم اي هم مع انهم اشد الناس عداوة له وعلى بمعنى مع كقوله
وانه لحب الخير لشديد **وحرصهم على تكذيبه** اي على شي من كلامه يقدرون على نسبته الى الكذب
فيه **وطول احتجاجه عليهم** اي اقامة الحجة عليهم **بما في كتبهم** المنزلة على انبيائهم **وتقريعهم**
اي توبيخهم وتفضيحهم **بما انطوت عليه مصاحفهم** جمع مصحف بتثليث الميم عن ثعلب من اصحف
اذا جمع الصحف في بمعنى الصحف هنا **وكثرة سؤالهم له عليه الصلاة والسلام** عما لا يعلمه الا
من تبحر في العلم منهم **وتعنيتهم** تفعيل من العنت وهو المشقة والتعب اي تكليفهم بما هو شاق
عن اخبار انبيائهم متعلق بسؤالهم **واسرار علومهم** اي الامور الخفية الدقيقة من علومهم
ومستودعات سيرهم اي سؤالهم عما اودع في مصاحفهم من سير انبيائهم **واعلامه لهم بمكتوم شرائعهم**

٤١٦

وفي نسخة بمكنون بدل مكتوم اي اخباره لمن ساله منهم عن امور مكتومة مخفية عندهم ستروها
عن غيرهم **ومضمنات كتبهم** اي ما تضمنتها كتبهم من الاحكام وغيرها وقوله فلم يحك الى اخره
بالفاء التفريعية تفصيل وتبيين لقوله لم يقدروا على تكذيب ما ذكر منها والمقام مقام اطناب
وخطابة فلا وجه للاعتراض عليه بانه لا موقع له بعد ما تقدم **مثل سؤالهم عن الروح** في الحديث
الصحيح الذي رواه الشيخان كما تقدم بيانه **وذي القرنين واصحاب الكهف وعيسى** لما قال
اليهود للمشركين سلوه عنها فان سكت او اجاب عن الجميع فليس بنبي وان اجاب عن الاولين وسكت
عن الروح ووكل علمها الى الله فانه كذلك في التوراة فهو نبي **وحكم الرجم** اي سؤالهم عن حكم
رجم الزاني المحصن الذي انكروه فبينه لهم صلى الله عليه وسلم كما في التورية **وما حرم اسرائيل**
على نفسه اسرائيل هو يعقوب ومعناه صفوة الله وكان اليهود سالوه امتحانا له عما حرم على
نفسه فقال لحوم الابل والبانها او العرق وما فيه عرق فصد قوه لانه كان يشتكي البرد وخوفا
من اخذه العيص ثم نذر ان دخل بيت المقدس سليما من الامراض والآفات ان يذبح آخر اولاده واعو
عليه فلما سار وقرب منه بعث الله ملكا وكن فخذه فمرض بعرق النسا حتى كان من وجعه
وذلك لئلا يلزمه ذبح ولده فحرم على نفسه ما مر لانه يضر عرق النسا وكان ذلك باجتهاد منه
والانبيا يجوز لهم الاجتهاد على الصحيح ويعقوب مات بمصر فحمله يوسف ودفنه عند ابيه بوصية
منه **و** سالوه ايضا عن **ما حرم عليهم** اي على بني اسرائيل **من الانعام ومن طيبات** من الماكل
كانت احلت لهم اي جعلها الله حلالا لهم **فحرمت عليهم ببغيهم** اي حرمت عقوبة لسبب ظلمهم
يشير الى قوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الاية فحرم الله عليهم ما لم يكن مشقوق الاصابع
من البهائم والطيور كالابل والنعام والاوز والبط وقيل كل ذي مخلب من الطيور وكل ذي حافر
من الدواب وحرم عليهم شحم البقر والغنم والكليتين الا ما التصق بالظهر والجنب كما بينه المفسرون
وفصلوه في سورة الانعام ببغيهم بقتل انبيائهم واخذهم اموال الناس بالباطل فقالوا ان الله لم
يحرم علينا شيا فنزلت هذه الايات بتكذيبهم حتى افتضحوا واذعنوا **و** مثله **قوله ذلك مثلهم**
في التورية ومثلهم في الانجيل الآية الاشارة الى قوله تعالى سيماهم في وجوههم من اثر
السجود كزرع اخرج شطاه الى آخر ما ذكره في آخر سورة الفتح فاخبرهم الله على لسان رسوله
بما في كتابهم **وغير ذلك من امورهم** التي نزل بها القرآن مما لا يعلم مثله الا بوحي **فاجابهم عما**
سالوه **وعرفهم** بما كتموه **بما اوحي اليه من ذلك** السابق ذكره كله **انه انكر ذلك او كذبه**
بفتح همزة ان والمصدر المسؤول منها ومما دخلت عليه نائب الفاعل لم يحك وهو ظاهر **اضرب**
عن ذلك اضرابا انتقاليا على سبيل الترقي فقال **بل اكثرهم صرح** اي تكلم بكلام صريح
بصحة نبوته اي قال انه صادق في دعوى النبوة وان له نبوة صحيحة **وصدق مقالته**
اي صدق كل ما قاله مما ادعاه ومما نقله عن كتبهم **فاعترف بعناده وحسده اياه** فاقر
بان جحده لما قاله محض عناد وحسد وصدق مصدر مضاف للفاعل او فعل ماض مشدد الدال
ومقالته منصوب مفعوله وافراد ضمير حسده فعل ماض لقوله اياه فانه ياباه **كاهل نجران**
بفتح النون وسكون الجيم وراء مهملة قبل الف ونون وهم قوم من نصارى العرب منزلهم بين مكة
واليمن على سبع مراحل من مكة سمي بنجران بن زيد بن سبا وسياتي الكلام عليهم **وابن**
صوريا بضم الصاد المهملة وراء مهملة ومثناة تحتية مقصور وجوز البرهان مده وهو عبد
الله بن صوريا وهو حبر من احبار اليهود الذين بالمدينة وهو الذي وضع يده على آية الرجم وهو

عن ابي واختلف في اسلامه فقيل اسلم وقيل مات على كفره **وابني اخطب** تثنية ابن واخطب بزنة افعل التفضيل بخا معجمة وطا مهملة وموحدة علم لابيهما وهما حيي بضم الحا المهملة وفتح اليا المثناة التحتية تليهما يا مشددة وابو ياسر وهما يهوديان من يهود المدينة مصروفان ماتا على كفرهما وحيي ابو صفية ام المومنين قالت رضي الله عنها كان عمي ابو ياسر احسن راياً من ابي كان يقول الست تجده في كتبنا فيقول نعم هو هو فيقول له فما في نفسك منه فيقول عداوته **وغيرهم** من احبار اليهود والنصارى **ومن باهت في ذلك بعض المباهتة** اي لم يقر بحقيقة ما جا به وادعى انه كذب مكابرة منه يقال باهته وباحته اذا كذبه ونسبه للبهتان **ومنكر طيب المشك كذبه الشوآهد** اي في بعض اموره التي يمكن المكابرة فيها وفيه اشارة الى ان من اخباره ما لا يمكن انكاره من احد من العقلاء ويقال بهته بكذا وباهته كما في الاساس ومن انكره فهو اتى ببهتان من عنده وادعى ان فيما عندهم من كتبهم من ذلك لما حكاه متعلق بقوله مخالفة بالنصب اسم ان ومن الموصولة مبتدا خبره **دعي** بالبنا للمجهول اي دعاه الرسول باذن ربه **وكشف دعوته** اي بيانه لما ادعاه **فقيل له** اي قال الله له صلى الله عليه وسلم قل لهم **فاتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين الى قوله الظالمون** يعني قوله فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك فاولئك هم الظالمون وسبب نزولها ان اليهود قالوا له صلى الله عليه وسلم تزعم انك على ملة ابراهيم وانت تاكل لحم الابل وتشرب لبنها وذلك محرم في شرعه وقيل ان المسلمين قالوا لهم انما حرمت عليكم الطيبات ببغيكم فقالوا انها كانت محرمة قبل ذلك فامروا بابراز التورية حتى يتلى ما فيها من تحريم ذلك فلم يجدوا ذلك فيها وافتضحوا وقيل انهم اتوا برجل وامراة زنيا فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم كيف تفعلون فقالوا نحممهما ونضربهما فقال لهم ان الذي في التورية رجمهما فانكروه فقال كذبتم ايتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين فاتوا بها وقروا احكام الزاني فيها فوضع القاري يده على اية الرجم وقرا ما قبلها وما بعدها فانتزعت من يده ووجد فيها الرجم فرجما **فقرع ووبخ** اي قرعهم الله وعيرهم بتبكيتهم وافترايهم على الله ما لم يكن ونسبهم الى الظلم ونحوه وجعلهم ظالمين **ودعي الى احضار ممكن غير ممتنع** وهو امرهم بالاتيان بالتورية وهي حاضرة بين ايديهم فصاروا قسمين **فمن معترف بما جحده** وانكره من احكام التورية **ومن متواقح** بضم الميم وقاف وحا مهملة اي متكلف للوقاحة وهي قلة الحيا وصلابة الوجه حتى لا يبالي بافتضاحه والمراد به ابن صوريا الذي وضع يده على اية الرجم فقال ابن سلام ارفع يدك يا اعور كما اشار اليه بقوله **يلقي على فضيحته** اي ما يفضحه ويجعله سخرة بين الناس **من كتابه** اي من الكتاب الذي معه يدين اي يعظم عليه وعلى الاية التي فيها ما يخالف دعواه ويكذبه **ولم يوثر** بالبنا للمجهول يعني ينقل معطوف على قوله لم يحك نايب فاعله **ان واحدا منهم** اي من اهل الكتابين **اظهر خلاف قوله** صلى الله عليه وسلم **من كتبه** اي من الكتب التي عندهم مما انزل على انبيائهم **ولا ابدى** اي ولا اظهر **نقلا صحيحا ولا سقيما** اي محرفا لفظا او معنى ولا معناه من صحفه جمع صحيفة وهي الكتاب قال الله تعالى بيانا لما كانوا عليه في هذا الامر **يا اهل الكتاب قد جاكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب** كصفته صلى الله عليه وسلم وقصة الرجم وبشارة الكتب ببعثته وشانه **ويعفوا عن كثير** لحلمه وستره عليهم رجاء هدايتهم بتوفيق الله **الاية** وهي قد جاكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم

فصل هذه الوجوه الاربعة من اعجازه بينة

في غاية الظهور **لا نزاع فيها** اي لا ينازع احد من العقلاء في كونها ثابتة ومعجزة **ولا مرية** بكسر الميم وضمها بمعنى شبهة وشك في ذلك وهي عامة في جميع الايات الواقعة فيها كما قال ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يومنون بالغيب **ومن الوجوه البينة في اعجازه من غير هذه الوجوه** الاربعة **اي** جمع آية او اسم جنس جمعي كتمر وتمرة وليس كل ما يفرق بينه وبين واحده بالتاء اسم جنس جمعي كما فصله البدر بن مالك في باب الجمع من شرح الالفية والآية جملة من القرآن لها مبدا ومقطع **وردت بتعجيز قوم** اي جا فيها اظهار عجز طايفة مخصوصة من الناس **في قضايا** جمع قضية وهي الحادثة الواقعة في حكم قضاء الله وقدره **واعلامهم انهم لا يفعلونها** الاعلام بكسر الهمزة مصدر اعلم مجرور معطوف على تعجيز والضمير للقضايا **فما فعلوا ولا قدروا على ذلك** المذكور من تلك القضايا ونفي القدرة ابلغ من نفي الفعل **كقوله** عز وجل **لليهود** لما ادعوا دعاوي باطلة كقولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى فكذبهم والزمهم الحجة فقال خطابا له صلى الله عليه وسلم **قل ان كانت لكم الدار الآخرة** وهي الجنة عند الله **خالصة** اي خاصة بكم وهو حال من الدار الآخرة والخطاب لاهل الكتاب **من دون الناس** اي باقيهم من المومنين وغيرهم **فتمنوا الموت ان كنتم صادقين** في قولكم انكم من اهل الجنة وانها مخصوصة بكم لان من تيقن دخول الجنة اشتاق لها واحب التخلص من هذه الدار واكدارها ومن احب لقاء الله احب الله لقاه **ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم** فنفى عنهم تمني الموت في جميع الازمنة المستقبلة بقوله لن وابدا وما قدمته ايديهم الكفر بالله وتحريفهم التورية فما في هذه الاية من المعجزات لانه اخبار بالغيب فهو كما اخبر اذ لو تمناه احدهم مع توفر الدواعي على نقله اشتهر والتمني وان كان من اعمال القلب الخفية فالنطق به وقولهم تمنينا مما لا يخفى ولو تمنوه ما توافهم لحرصهم على الحياة ونحو لن يتمنوه وقد صح فهم الله عن ذلك معجزة له صلى الله عليه وسلم وقد استشكل ما قاله المص هنا بانما ذكره داخل في الوجوه السالفة فان قوله لن يتمنوه ابدا مثل قوله فاتوا بسورة من مثله الى قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا الاعلامهم بانهم لا يفعلون لعجزهم وعدم قدرتهم فهو داخل في النوع المتقدم لانه اخبار عما استاثر الله بعلمه في المستقبل فجعله ادخ منه غير مسلم وقد سوى بينهما في الكشاف والجواب عنه ان ما تقدم امر معجز في نفسه في ساير الازمنة بخلاف ما نحن فيه فان قول احدهم ليتني اموت ونحوه امر ممكن لهم واخبرهم واعجازه انما هو بمجرد الاخبار عن عدم وقوعه فهو مغاير لما قبله وادخل منه بمراتب **قال ابو اسحاق الزجاج** في تفسيره المسمى بمعاني القرآن وهو تفسير جليل يعتمد عليه الزمخشري في كشافه وهو ماخذه وهو العلامة في فنون العربية التي تلقاها عن المبرد واسمه ابراهيم بن السري بن سهل الزجاج نسبة لصنعته توفي سنة احدى عشرة وثلثماية يوم الجمعة تاسع عشر جمادى الآخرة كما تقدم **في هذه الاية اعظم حجة واظهر دلالة على صحة الرسالة** اي رسالة محمد صلى الله عليه وسلم **لانه قال فتمنوا الموت واعلمهم انهم لن يتمنوه ابدا فلم يتمنه واحد منهم** وفي نسخة احد منهم وفي الكشاف فان قلت التمني من اعمال القلوب وهو سر لا يطلع عليه احد فمن اين علمت انهم لن يتمنوه قلت ليس التمني من اعمال القلوب وانما هو قول الانسان بلسانه ليت لي كذا وليت كلمة تمن ومحال ان يقع التحدي بما في الضماير والقلوب ولو كان بالقلوب لقالوا قد تمنيناه بقلوبنا ولم ينقل انهم قالوه وفي حواشيه للقطب انه استدلال على ان التمني ليس من افعال القلب لان التحدي انما يكون باظهار المعجز لالزام من لم يقبل الدعوى والتمني ليس بمعجز فهو كقوله

الخصم احلف لي ان كنت صادقا ويمكن ان يقال التحدي هنا تطلب دفع المعجزة فان اخباره
بانهم لن يتمنوه ابدا معجزة طلب دفعها بتمنيهم والدفع لا يكون الا بامر ظاهر وهو كلام حسن
متجه فولَّ من لم يصل الى المقصود وعن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث رواه البيهقي من
طريق الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس بهذا اللفظ واحمد في مسنده عن ابن عباس مرفوعا بسند
جيد بلفظ لو ان اليهود تمنوا الموت لماتوا والذي نفسي بيده اقسم بالله قسما مناسبا للمقسم
عليه فان معناه ان روحه بيد الله ان شاء ارسلها فتحيى وان شاء امسكها فتموت وكان النبي صلى الله
عليه وسلم كثير القسم به لا يقولها اي كلمة التمني المفهومة من السياق رجل منهم اي احد من بني
اسرائيل والرجل على ظاهره او المراد ما يعم المراة الا غص بريقه غص بضم الغين المعجمة وفتح
الصاد المهملة او بفتحهما وفاعله ضمير الرجل وعليه اقتصر بعضهم ولا ينافي الاول كونه لازما
كما توهم والغصة ما يقف في الحلق فيمنع النفس حتى يهلكه يقال غص بالطعام وشرق بالشراب
وشجي بالعظم وجرض بالريق وقد يستعمل كل منها مكان الاخر والريق رطوبة وغصص الدهر مصايبه
وهو كناية عن سرعة وقوع الموت بهم كما في النهاية واليه اشار بقوله يعني يموت مكانه اي في
مكانه الذي غص فيه فلا يمهل لانتقاله لفراشه فصرفهم الله عن تمنيه مصدر مضاف لمفعوله
وهو ضمير الموت وجزعهم بفتح الجيم وتسكين الزاي المعجمة وفتحها وفتح العين المهملة وفي نسخة في
جزعهم وكونه جزعهم براء مهملة غلط ليظهر صدق رسوله وصحة ما اوحي اليه بينه بقوله اذ
لم يتمنه احد منهم لخوف الموت لتنفيذ صدق خبره وكانوا على تكذيبه احرص لو قدروا على
تكذيبه بان يتمنوا ولا يموتوا والجملة حالية بتقدير قد وكذب بالتخفيف والتصديق والتشديد
الله يفعل ما يريد من تمنيهم وعدمه فظهر بذلك اي بصرفهم عما هم احرص عليه معجزته وبانت
حجته بصدق خبره عن الغيب قال ابو محمد الاشبيلي تقدم الكلام عليه وعلى نسبته من اعجازهم
اي اليهود انه الضمير للشان لا يوجد منهم ولا واحد من يوم امر الله نبيه بقوله قل فتمنوا
الموت يقدم عليه اي على تمني الموت ولا يجيب اليه اي الى قوله تمنوا الموت او الى قول احد تمن الموت
لشدة خوفهم ولما جبلهم الله عليه من حرصهم على حب الحياة كما قال لتجدنهم احرص الناس على حياة
وهذا المذكور من امتناعهم عن التمني موجود مشاهد لمن اراده اذ يمتحنه منهم اي كل من اراد
ان يعرفه اذا ذكره لهم ظهر به ما في طباعهم والامتحان هو التجربة وانما ذكره دفعا لما يقال
التمني امر قلبي خفي فقد يقال انه موجود ولم يطلع عليه وكذلك اية المباهلة اي مثل قصة
التمني في بني اسرائيل قصة المباهلة في نصارى نجران لان فيها تكليفا بالتكلم بامر لو قالوه
هلكوا وقد اخبره الله به قبل وقوعه فكان كما اخبر ولم يجبه احد منهم الى ما دعاهم اليه كما لم يتمن
اليهود من هذا المعنى يعني انهما متقاربان كما قررناه انفا واصل معنى المباهلة كما حققه الراغب
من البهل وهو الاهمال كارسال البعير وحل صرار الناقة يقال ابهلتها اذا خليتها واذا
اردته ومنه الابتهال وهو تضرع الدعاء قال ومن فسره باللعن فلما فيه من الاسترسال فيه قال
الشاعر • نظر الدهر اليهم فابتهل • اي استرسل اليهم فافناهم انتهى وفيه رد على بعض
اهل اللغة اذ ظن ان حقيقته الملاعنة ويؤيده ظاهر قوله ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين
حيث وفد عليه الوفد هو القادم من غير اهل البلاد وحيث هنا للزمان اي لما قدموا عليه من
ديارهم اساقفة نجران جمع اسقف بضم الهمزة والقاف وبينهما سين مهملة واخره فاء مشددة هو
وهو رئيس النصارى في دينهم وقاضيهم وامامهم قيل سمي به لاعتنائه وخضوعه ونجران بفتح النون

واسكان الجيم بلدة كانوا بها وهي بين مكة واليمن على سبع مراحل من مكة قدموا منها على رسول
الله صلى الله عليه وسلم ستون راكبا فيهم اربعة عشر رجلا رؤساؤهم ومنهم ثلاثة نفر يؤول اليهم
كل امرهم واميرهم اسمه العاقب ووزيرهم كالوزير اسمه المسيح وثمالهم السيد وصاحب رحلتهم
الايهم وابو حارثة بن علقمة اخو بكر بن بكر بن وائل اسقفهم وامامهم وقصتهم مشهورة في السير
وابوا الاسلام اي امتنعوا ان يسلموا لادعائهم حقية دينهم وعدم نسخه فانزل الله عليه
صلى الله عليه وسلم في حقهم اية المباهلة في قوله فمن حاجك فيه الاية وتمامها فقل
تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على
الكاذبين وكيفيتها كما فصله الله ان يجمع كل من المتخاصمين اهله ثم يتوجه كل منهما الى الله ويقول
اللهم ان هذا يقول كذا وكذا وانا اقول كذا وكذا اللهم فاجعل لعنتك على الكاذب منا فان عذاب الله
يحل بمن كذب حتى يطوقه وهذا لم ينسخ فان سلطان العلماء العز بن عبد السلام استعمله لبعض اهل
الشام ببلده فقال اباهله الى الله ففعل فلم تمض سنة حتى هلك من باهله وانما جمع الاهل تخويفا لهم
بحلول العذاب بهم اجمعين ومن قال هنا معنى البهلة بالضم والفتح اللعنة لم يصب كما مر عن الراغب
وهذا مما غفل فيه من وجه ومن قال الاسقف مشتق من السقف كما قاله ابن السكيت والظا المعجمة
ففي كلامه تناقض فامتنعوا منها اي من المباهلة خافوا لما شاهدوه من الهلاك بمعاينته
ورضوا باداء الجزية وهي الخراج الموظف على الناس ويطلق على ما يعين على الاراضي فاختاروها
مع ما فيها من المذلة وكانوا قالوا له ما لك تشتم نبينا فنقول عيسى عبد الله فقال هو عبد الله ورسوله
وكلمته القاها الى العذراء البتول فغضبوا وقالوا هل رايت انسانا من غير اب فانزل الله ان مثل
عيسى عند الله الخ ثم دعاهم للمباهلة وذلك ان العاقب عظيمهم قال لهم قد علمتم انه نبي
وانه ما لاعن قوم نبيا قط فبقي كبيرهم ولا صغيرهم اي هلكوا جميعا لاجابة دعائه
عليهم ثم قال لهم ان ابيتم الا الاقامة على دينكم فصالحوه وانصرفوا الى دياركم وروي ان القائل
لهذا هو السيد الذي كان يسمى شرحبيل فقال رسول الله اسلموا يكن لكم وعليكم ما للمسلمين
وعليهم فابوا فقال انا نقاتلكم فقالوا ما لنا طاقة بحربك ولكن نصالحك على ان لا تغزونا
ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا على ان نؤدي اليك كل عام الفي حلة الف في صفر والفا
في رجب فصالحهم على ذلك وقال لو تلاعنوا لمسخوا قردة وخنازير واضطرم عليهم
الوادي نارا وفيه دليل على مشروعية الملاعنة قال في المواهب وقد جربت وانه لا يحضر
على الكاذب سنة كما سمعته وهؤلاء امتنعوا عن الملاعنة كما امتنع اليهود عن تمني الموت
وكذا اورده المصنف هنا ومثله قوله وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا الى اخرها اي مثل
قوله فمن حاجك فيه فاخبرهم الله في هذه الاية انهم لا يفعلون في المستقبل ابدا وهو ما
دل عليه الجملة المعترضة بين الشرط وجزائه وهي قوله ولن تفعلوا كما كان في الماضي
الدال عليه فان لم تفعلوا فان عجزهم عن معارضة القران امر محقق ووقع وانما اتى بان الشرطية
وكان تقتضي باعتبار ما عندهم من الشك في قدرتهم تهكما بهم وهذه الاية اي قوله
تع وان كنتم في ريب الخ ادخل في باب الاخبار بالغيب اي ان دراجها فيه اظهر واوضح لتحقق
النفي في المستقبل بالنفي في الماضي الذي علم من التحدي بخلاف اية تمني الموت واية المباهلة هي
لعدم تقدم شيء من نوعها وقيل لان فيها تصريحا بنفي فعلهم في المستقبل بخلاف اية المباهلة
فان فيها اشعارا بالعجز عن المباهلة في الحال والاشعار بالنفي في المستقبل الذي هو من الاخبار

بالغيب من لوازمهم لانهم صم بكم وفيه بحث **ولكن فيها من التعجيز ما في التي قبلها** اي في سورة البقرة التي فيها تعجيزهم عن الاتيان بمثل سورة ما من مثله تعجيزهم عن المباهلة وفيه نظر فانهم لم يعجزوا عن المباهلة وانما خافوا من عاقبتها فاحجموا عنها ولو ارادوها لم يكن عندهم مانع منها فتدبر

فصل ومنها

اي من وجوه اعجاز القرآن وجعلها غير الوجوه الاربعة التي تقدمت **الروعة** بفتح الراء والعين المهملتين المرة من الروع وهو الفزع والخوف الذي يلحقون عند سماعه لجلالته وهيبته كما وقع لسيدنا عمر رضي الله عنه لما سمع اول سورة طه فاسلم من غير تردد لما وقع في قلبه عند سماعه **التي تلحق قلوب سامعيه** اصله تلحق قلوب السامعين له فحذفت نونه لاضافته لضمير القرآن **واسماعهم** بالنصب منصوب على قلوب مفعول تلحق وهو جمع سمع بمعنى الحاسة وفيه تسمح لان الفزع لا يلحق السمع وانما يلحق القلب بواسطته وهو كقوله ان تضل احديهما فتذكر احديهما الاخرى اي لتذكر احديهما الاخرى اذا ضلت كما حقق في الكشاف وشروحه وانما عطفه عليه ليفيد ان هذه الروعة تلحق من يفهمه ومن لا يفهمه مومنا كان او كافرا فما قيل ان في عد هذا وجها مستقلا من وجوه الاعجاز نظرا لانه معنى زايد على النظم مشروط بتدبره وهو في المومن واضح واما في الكافر فلما به منه ليس بسديد لان التي السمع وهو شهيد **ونوله عند سماعه باباه والهيبة** بالرفع معطوف على الروعة ومعناه الخوف يقال هابه اذا خافه كما في القاموس فهي قريب من الروعة والتحقيق انهما ليسا بمعنى واحد كما في عروس الافراح فالا يتوهم ان الروع والمهابة واحد وليس كذلك بل الروع الفزع والمهابة الاجلال قال

اهابك اجلالا وما بك قدرة • علي ولكن ملء عين حبيبها

وقال الشريف في قول السكاكي ادخال الروعة **وتربية المهابة** المهابة يراد بها عرفا الحالة التي تكون في قلوب الناظرين الي الملوك وتربيتها تقويتها والروعة الخوف الذي يتجدد بمجانبته انتهى **التي تعتريهم** وتطروا عليهم وتغشاهم **عند تلاوته** وقراءته والاول ناظر للسامع والثاني للقاري نفسه اوهما بمعنى **لقوة حاله** اي لما فيه من الحالة القوية باعتبار ما فيه من المواعظ والانذار وهذا ناظر للروعة عند من فهمه **وانافة خطره** اي علو مرتبته عن غيره من الكلام الذي لا يسامته فهو ناظر للهيبة ويمكن كل منهما لكل منهما **وهي** اي الروعة والهيبة وافردهما لانهما شي واحد او كالواحد **على المكذبين به اعظم** منها على المومنين لشدة خوفهم منه كما قيل الخائف خايف والمومن وان هابه فهو متلذذ به مطمين قلبه بثباته **حتى كانوا** اي المكذبون **يستثقلون سماعه** لصعوبة ما فيه عليهم **ويزيدهم** سماعه **نفورا** عن الحق والاصغا اليه كما قال تع واذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على ادبارهم نفورا اي ولوا معرضين عنه لعدم ذكر الهتهم فيه **ويودون** اي يحبون **انقطاعه** اي قطع تلاوته عندهم **لكراهتهم له** لخبث طباعهم كما تتضرر رياح الورد بالجعل **ولهذا** المذكور من محبة انقطاعه وكراهتهم له **قال صلى الله عليه وسلم** في الحديث الذي رواه الديلمي وغيره عن الحكم بن عمير وسيأتي تمامه **ان القرآن صعب** في نفسه بمعنى انه لا يقدر احد على محاكاته وضبط الفاظه وحفظها بسهولة كما قال تع انا سنلقي عليك قولا ثقيلا **مستصعب** بفتح العين وكسرها اي يعسر فهمه وتفسيره بالراي ولا يمكن تغييره وتحريفه لانه لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لانه ليس من جنس كلام البشر **على من كرهه** من الكفار

والتالي

والمنافقين **وهو** اي القرآن **الحكم** بفتحتين اي الحاكم الفاصل بين الحق والباطل بما تضمنه من الاحكام والبرهان القاطع بما نصب فيه من الادلة الدالة على حقيته ولذا قيل له فرقان وهذا في حق غير المومن **واما المومن** فلا معاند له لانما معدودة معلومة مما قبله اي اما غير المومن فلا يزال صعبا عليه لكراهته له **فلا تزال روعته به** بفتح الراء اي فزعه وخوفه من زواجره ومواعظه وهيبته منه له الحاصلة بسببه **وهيبته اياه** الضمير الاول للمومن والثاني للقرآن او بالعكس **مع تلاوته** اي قراءته من تلاه اذا تبعه او هو بمعناه اللغوي اي اتباعه لاوامره ونواهيه والتلاوة في العرف تختص بالقرآن وقيل لا تختص به **توليه** اي تعطيه من اولاه بمعنى اذا اعطاه فهو بضم المثناة الفوقية وسكون الواو وكسر اللام المخففة **انجذابا** بنون وجيم وذال معجمة وموحدة من جذبه اذا اماله لجهته بسرعة اي تستميل قلبه وسمعه لمحبته له وشبه الشي منجذب اليه **وتكسبه** بضم التاء الفوقية وسكون الكاف **هشاشة** بفتح الهاء والمعجمة اي سرعة وخفة ولينا لما فيه من البشائر السارة والمعاني اللذيذة التي تحمله في نشاط الميل قلبه اليه وبصره وتعلقه به فهو دايما متنعم فكره منه في روضات انيقة فاذا عرف من يناجي وانه جليس الرحمن سر ونشط ثم استشهد هنا بقوله **تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله** اي يعرض لجلودهم ابدانهم قشعريرة اي قيام من الخوف منه هيبة فاذا تامله وتدبره كان قلبه وجلده لابسه وسروره به ولذا ترى بعض الصالحين اذا تلي القرآن تواجدوا وصاحوا وقد يتعدى ذلك الى الغشي وشق الثياب ونحوه ومثله لا ينكر ومن لم يذق لا يعرف ولا ينافي هذا انه لم يقع من الصحابة لان مقامهم مقام تمكين وقد بين هذا في الاحياء فان اردته فارجع اليه وعدى تلين بالى لما فيه من معنى الميل وذكر الجلود في الاول وضم اليها القلوب في الثاني اشارة الى ان الاول قبل التدبر التام فاذا تدبر ذلك وقر في قلبه زالت تلك الحالة الظاهرة عنه **وقال تعالى لو انزلنا هذا القرآن على جبل الاية** يعني لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون وهذا تمثيل لما فيه من الروعة التي تهد الجبال فما بالك بالرجال والاية مبينة في التفاسير فلا حاجة للتطويل بذكر ما فيها **ويدل على ان هذا** اي ما يحدث للقلوب والاسماع من الروعة والمهابة **شي خص به القرآن** دون غيره من الكلام **انه** امر **يعتري** اي يطرو ويحدث **من لا يفهم معانيه ولا يعلم تفاسيره** ممن لم يمارس كتبه ويقروها حتى يقف على دقايقه ولطايفه فعلم من هذا ان تاثر السامع لسر فيه وامر رباني ولذا كان يتاثر قاريه وسامعه وان لم يفهمه بخلاف غيره **كما روي عن نصراني** ليس من شانه فهم القرآن ولا الوقوف على تفسيره ففيه ايضاح لما قبله **انه مر بقارئ** يتلو القرآن جهرا **فوقف** ليسمع قراءته وهو يبكي **فقيل له مم بكيت** سئل عن سبب بكائه لانه لا يصدق به ولا يفهمه **فقال للشجا والنظم** الشجا بفتح الشين المعجمة والجيم مقصور يقال شجي يشجي شجا اذا حزن او طرب او غضب والثاني انسب هنا كما قاله البرهان والمراد بالنظم رونق انتظامه وحسن انسجامه فاثر ذلك في نفسه وهو لا يفهمه حتى ابكاه وسمع بعض العرب غلاما مغنية حسنة الصوت تتغنى بالفارسية فشوقه ذلك واشجاه وقال

ومسمعة يحار السمع فيها • ولا يفهمه لا يصمم صداها

ولم افهم معانيها ولكن • ورت كبدي فلم افهم شجاها

فكنت كانني اعمى معني • بحب الغانيات ولا يراها

ونيه

وفا

ب

ولم يذكر المصنف ان القاري قرأه بصوت حسن حتى يكون تاثره وطلبه لنغماته وهو ابلغ وادل
على ما قصده وهذه الروعة الحاصلة عند سماع القران لمن يتدبره قد اعترت جماعة وحصلت
لهم قبل الاسلام اي قبل اسلامهم وبعده فصل حال من اعترته الروعة قبل اسلامه لكنه
تسمح في العبارة لان القبلية تقتضي عروض الاسلام فلا ينافي قوله كفر وكذلك قوله بعده فعبارته
لا تخلو من المسامحة وكان الظاهر ان يقول اعترت جماعة منهم من اسلم ومنهم من بقي على كفره فقوله
فمنهم من اسلم لها اي لهذه الروعة لاول وهلة بفتح الواو وسكون الهاء وهي المرة من الوهل وهي الفزع
يقال وهل منه واليه اذا فزع ثم قيل اول وهلة لاول ما يقرع السمع ويقع في الوهم والفكر وهو المراد
كما اشار اليه في الاساس واسلم بمعنى اقر واعترف وآمن به اي صدق بقلبه ومنهم من كفر اي
دام على كفره لاصراره على عناده لحماقته وجاهليته فحكي في الحديث الصحيح الذي رواه الشيخان
مسندا عن جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف الصحابي وقد تقدمت ترجمته وانه
اسلم في فتح خيبر او في فتح مكة قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرؤ في صلاة المغرب
وذلك قبل اسلامه بالطور اي بسورة الطور فلما بلغ هذه الاية ام خلقوا من غير شيء اي من
غير خالق لهم كما تقول الدهرية ام هم الخالقون لانفسهم بذلك ذا قوله بعده ام خلقوا السموات
والارض وقرأ الى قوله ام هم المسيطرون اي المدبرون للاشياء كما يريدون وبينهما بل لا يوقنون ام
عندهم خزائن ربك يقال مصيطر ومسيطر للمتسلط المالك كاد قلبي يطير اي حدث عندي فزع وخوف
شديد ظننت قلبي ذاب وفني حتى لم يبق مني وطيران القلب يراد به تارة شدة الخوف وهو المراد هنا
لان القلب يتحرك دائما لحرارته فاذا زادت الحرارة الغريزية لخوف او شدة شوق وحب زاد خفقانه
فيشبه حينئذ بطائر يخفق جناحه كما قال

كان قطاة علقت بين اضلعي • لان فؤادي دائم الخفقان

وقلت

عجبا لقلبي طائر من غير ما • وعليه ناحل اضلعي قفص

ومنه قول العرب افرخ روعه كما حقق في كتب اللغة وفي رواية اخرى غير رواية الشيخين
وذلك اول ما وقر الايمان في قلبي وقر بالقاف بزنة ضرب بمعنى سكن وثبت وذلك انه
كان مشركا في اسارى بدر اي في وقد اسارها فلما سمع الاية وفهم ما علم ما فيها من برهان الايمان
القاطع لعرق الكفر لدلالتها على انه لا خالق يستحق العبادة الا الله فسكن قلبه بعد اضطرابه
حتى كاد يطير وهذه رواية للبخاري ايضا في المغازي وفي رواية فصدع قلبي وفيه دليل على
صحة رواية المسلم ما تحمله حال كفره وفيه بيان لروعة القرآن لمن سمعه وان تلك الروعة سبب
لاسلامه وعن عتبة بن ربيعة هو ابو الوليد بن عبد شمس بن مناف المشهور وهو ممن قتل كافرا
ببدر فلا يتوهم اسلامه بقول المصنف عن عتبة هنا وهذا الحديث رواه ابن اسحاق في سيرته والبغوي
في تفسيره انه كلم النبي صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من خلاف قومه ليشير لما في السير
من ان ابا جهل قال لقريش قد انتشر علينا امر محمد فلو اتاه منا من كلمه فذهب اليه عتبة وكان
ذا رأي وحزم وقال له يا محمد انت خير ام هاشم انت خير ام عبد المطلب فلم تشتم آلهتنا وتسفه
احلامنا وتضللنا وانت منا بسطة قومنا فان كنت تريد الرياسة عقدنا لك اللواء وكنت رئيسنا
وان كان بك الباه زوجناك من تختار من بنات قريش وان كنت تريد المال جمعنا لك اموالنا حتى
تكون اكثرنا مالا وان كان لك رئي لا تستطيع طلبنا لك الطب وبذلنا فيه اموالنا او كما قال
والنبي صلى الله عليه وسلم يسمع كلامه حتى تم فقال له افرغت يا ابا الوليد قال نعم قال اسمع مني

ما اقول فتلا عليهم اي على الوليد ومن معه او من علم انه سيبلغه ما تلاه من سورة حم
كتاب فصلت اياته الى قوله فانذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود اي الصاعقة التي
اهلكت قوم هود وقوم صالح فامسك عتبة على فيه اي وضع على فم النبي صلى الله عليه وسلم
حتى انقطع كلامه وما تلاه عليه من هذه السورة لخوفه من وقوع ما انذرهم به وناشده الرحم
ان تكف اي سأله مقسما عليه بالرحم وهي القرابة القوية المقتضية للرحمة والتعطف عليهم
من حلول ما ذكره من العقاب بهم يقال ناشدته ونشدته اذا اقسمت عليه قسم استعطاف وفي
رواية اخرى لابن اسحاق في سيرته عن كعب القرظي فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقرؤه قال الولي
جعل لفظ عام في الافعال كلها اعم من فعل وصنع واخواتها ويأتي على اوجه فيجري مجرى صار وطفق
فلا يتعدى بقول جعل زيد يقول كذا الخ فالمعنى انطلق في قراءة السورة وقوله لا يتعدى اي هي من
افعال الشروع والفعل خبرها لا مفعولها والشروع لا ينافي الاستمرار كما توهم وعتبة منصت
اسم فاعل معتل بوزن منذر اي مستمع لقراءته منصت لها ملقي يديه خلف ظهره لاعتماده
عليهما فقوله معتمد عليهما كالتفسير له حتى انتهى اي وصل الى اية السجدة فسجد صلى الله عليه
وسلم وقام عتبة من عنده لا يدري بم يراجعه اي يكلمه بعد تلاوته لروعته التي ادهشته
بما سمعه منه ورجع الى اهله اي دخل منزله ولم يقابل احدا ممن كان ينتظر خبره ولم يخرج من بيته
الى قومه واستمر في بيته حتى اتوه ليسألوه عن انقطاعه عنهم ما سببه فاعتذر عن عدم
خروجه لهم واخباره بما جرى له معه وقال فيما اعتذر به والله لقد كلمني النبي صلى الله عليه
وسلم بكلام والله ما سمعت اذناي مثله قط اي ما يماثله في حسنه وجزالته وتاثيره في
القلوب فما دريت ما اقول له فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين وفيه دليل على
ما نحن فيه من الروعة والهيبة لمن بقي على كفره ممن اضله الله على علم وفي رواية انهم لما راوه قالوا
والله لقد جاءكم ابو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به فلما جلس اليهم قالوا له ما وراءك يا ابا
الوليد قال ورائي اني سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط والله ما هو بالشعر ولا السحر ولا
الكهانة يا معشر قريش اطيعوني وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه فوالله ليكونن
لقوله الذي سمعته نبأ عظيم فان تصبه العرب كفيتموه بغيركم وان يظهر على العرب فملكه
ملككم وعزه عزكم وكنتم اسعد الناس به قالوا سحرك والله يا ابا الوليد قال هذا رأيي فيه فاصنعوا
ما بدا لكم وقد حكي بالبناء للمجهول عن غير واحد اي عن كثير وغير الواحد شامل للقليل والكثير
ولكنه خص عرفا بهذا كما مر ممن رام معارضته اي قصد ان ياتي بكلام يماثله في البلاغة انه
اعترته اي حدثت له واصابته روعة وهيبة حين تلاه وسمعه كف بها اي بتلك الروعة
والفزع عن ذلك اي المعارضة ثم ذكر بعض من سخف عقله فتم بذلك فقال فحكي ان ابن المقفع
طلب ذلك ورامه اي قصد معارضة القرآن والكلام بما يماثله في المقتفي للبرهان الحلبي المقفع
بضم الميم وفتح القاف والفاء المشددة قبل العين المهملة ولم يتعرض ابن ماكولا لبيان حركة
الفاء وهي مضبوطة في النسخ بالكسر والذي احفظه الفتح وذكر ابن ماكولا ايضا يقال له
مروان بن المقفع فليحرر هل هو هذا ام لا انتهى وهو غريب من مثل هذا الحافظ فانه بالفتح من غير
شبهة قال في القاموس مقفع اليدين كمعظم متشنجهما ومروان بن المقفع تابعي وابو عبد
الله بن المقفع فصيح بليغ وكان اسمه روزبه او دادويه بن داذجشنس قبل اسلامه وكنيته ابو
عمرو ولقب ابوه بالمقفع فتقفعت يداه اي تشنجتا وهذا مما تعرفه الخاصة والعامة الا ان التلمساني

قال في حواشيه المقفع البابس اليدين والرجلين من برد وقال ابن مكي في تثقيف اللسان ان الصواب فيه المقفع بكسر الفا لانه كان يعمل القفاع جمع قفعة وهي شي يشبه الزنبيل بلا عروة من خوص وليس بالكبير وقيل انه كان كاتب المنصور وهو اول من هذب المنطق وقتله سفيان المهلبي الوالي البصرة وحضره اعداؤه وفيهم ابن المقفع فذكر عنده الوطش فلم يعرفه وسال عنه من حضر فضحك ابن المقفع ثم انصرفوا فامر ابن المقفع بالجلوس حتى خلا المجلس فامر بتنور فسجر وامر بان يسجر وامر بطرحه فيه فاحترق كما في مشكاة انوار الخلفا وكان ابن المقفع من جملة قوم زنادقة كانوا يجتمعون لذكر مطاعن القرآن وصناعتهم بان يعارضوه كما اشار اليه المص بقوله وشرع فيه اي في المعارضة وذكره لان تاليف المصادر غير معتبر لتاويله بان والفعل **ثم بصير بعض وقيل يا ارض ابلعي ماءك** وقد تقدم بيان بلاغتها وما فيها من الاعجاز على ما في المفتاح وشروحه **محي ما عمل** يعني غسله وابطل ما في صحفه لما راها لا مناسبة بينها وبين شي من الكلام المخترع **وقال اشهد** اي اقر واعترف او اعلم كل احد **ان هذا لا يعارض** اي لا يقدر احد على الاتيان بمثله وما هو من كلام البشر لظهور اعجازه **وكان من افصح اهل وقته** فليس ممن قال ذلك بغير علم بمعرفته بصناعة الصناعة والمراد بوقته زمانه وعصره الموجود فيه **وكان يحيى بن الحكم** بفتح الحا المهملة والكاف مفتوحة بعدها وقيل انما هو الحكيم بوزن الطبيب كما ذكره الذهبي وقال انه من شعراء المائة الثالثة توفي بعد مائة وخمسين ولست على ثقة منه وذكر ابن خلدون في تاريخه وقال انه من شعراء الاندلس وذكره في الذخيرة ايضا **الغزال** بمعجمتين وزاء مشددة وقيل انها مخففة عند الذهبي ايضا في كتابه المشتبه فعلى الاول هو وصف منسوب لصنعة الغزال وعلى الثاني هو علم منقول من اسم الحيوان وهو بكري قرطبي لانه كان في زمن هشام بن الحكم اقول الذي ذكره ابن حيان في المقتبس تاريخ الاندلس انه يحيى ابن الحكم البكري الجياني لقب بالغزالي في صغره لحسنه وكان في المائة الثالثة حكيم الاندلس وشاعرها وله شعر في غاية الحسن وارتحل لمصر ثم عاد للاندلس وعمر اي بقي وتشبب من سنه وارسل رسولا لبلاد الفرنج فاعجب ملكها فنادمه وسالته امراته عن سنه فقال عشرين سنة فقالت له فما هذا الشيب فقال اما رايت مهرا وليدا اشهب فضحكت والى هذا يشير بقوله في قصيدة ه

قالت اري فوده قد نورا • دعابة توجب ان ادعا
قلت لها ما باله انه • قد ينتج المهر اذا اشهبا

قال وحكي انه اراد ان يعارض سورة الاخلاص فعرضت له حالة وجبت توبته **بليغ الاندلس في زمنه** اي معروف بالبلاغة وفصاحة النظم والنثر في عصره والاندلس بفتح الهمزة وضم الدال وفتحها وضم اللام ليس الا وهي معربة لم تتكلم بها العرب قديما وانما عرفتها في الاسلام قال ياقوت في معجمه اشتهر على الالسنة انها تلزمها ال وقد وردت بدونها في قول بعض العرب

سالت القوم عن انس فقالوا • بانلس وانلس بعيد

وهي بكيفيتها لا نظير لها قلنا فعلل او فنعلل والظاهر ان الهمزة زائدة لان بعدها اربعة احرف ولو كانت عربية جاز ان يقال وزنها انفعل فان قلت قال سيبويه انفعل ليس في الكلام ولا يعرف ما في اوله زيادتان ما ليس جاريا على الفعل قلت هو في العربي لعت وهي تحاه نولس ارض تحتوي على بلاد وليست جزيرة الا ان البحر محيط بها من ثلاث جهات فلذا كثرها بلاد اسماها

بعضهم **فحكي** بالبنا للمجهول **انه رام شيا من هذا** اي معارضة القرآن ونسج كلام على منواله في الفصاحة **فنظر في سورة الاخلاص** التي هي اقصر سورة اي تدبر في نظمها ليالي من عمل بمثلها وسميت سورة الاخلاص لاشتمالها على ما يجب اخلاص اعتقاده من التوحيد لذات الله وصفاته **ليحذو على مثالها** بزحذ وتذيحاه مهملة وذال معجمة اذا قفت بحذائه اي مقابلته وحذا النعل بالنعل اذا قطعها مقدارها وقالبها فالمعنى ليقول مثلها وفي الحديث لتركبن سنن من قبلكم حذو النعل بالنعل اي تعملون مثل اعمالهم من غير زيادة ونقص فهو استعارة تمثيلية **وينسج بزعمه** بزاء معجمة مثلثة وهو الظن واكثر ما يستعمل في الكذب فان زعم مطية الكذب **على منوالها** هو بمعنى ما قبله والمنوال بكسر الميم خشبة ينسج عليها الثياب فهو استعارة تخييلية ومكنية بتشبيه النظام والكلام ببرود تنسج واثبت ما لها ما له من النسج والمنوال او هي تمثيلية او تبعية وهو امر سهل **قال** اي ابن الحكم **فاعترتني** اي عرض في حال النظر **خشية** اي خوف وتعظيم له **ورقة** اي رقة قلب وخشوع او ضعف ولين **حملتني** التفات ان الظاهر حملته والحمل الالجا والقسر على التوبة عما كنت هممت به والندامة على ما عزم عليه والانابة اي الرجوع عنه وتركه لعلمي بانه امر لا يقدر عليه البشر ه

فصل ومن وجوه اعجازه المعدودة

اي التي عدها العلما منها اشارة الى انه سيوف بذكر **كونه آية** **ومعجزة باقية** فسره بقوله **لا يعدم ما بقيت الدنيا** اي مدة بقائها الى قيام الساعة وما ورد في حديث حذيفة من انه تاتي ليلة يرفع فيها القرآن لا يبقى في الارض منه آية هو بعد عيسى بن مريم وظهور ياجوج وماجوج وهو في حكم الساعة ووجود الدنيا حينئذ والعدم سواء ويقاوم ببقائه تلاوة محفوظا من النسخ والتبديل والتغيير وهذا فضل تميز به عن سائر الكتب الالهية فضلا عن غيرها وما قيل من ان عد هذا من وجوه الاعجاز لا وجه له فانه لا تعلق له بالنظم المعجز ساقط فان بقاه كما ذكر من لوازم اعجازه لعدم مشابهته لكلام البشر حتى يؤتى بمثاله او يدخل فيه ما ليس منه او يقول انه من جملة ما اخبر الله به عنه فهو من غيبه وهذا السبب بقوله **مع تكفل الله بحفظه فقال انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون** والمراد بالذكر القرآن وضمير له لا له صلى الله عليه وسلم فلما تولى حفظه بعظمته وجلاله ذاته ولم يكله لغيره كغيره المقول فيه بما استحفظوا من كتاب الله كما تقدم تابد وتابد حفظه لبقائه كما قطع ورفعه تنمية حفظه **وقال ولا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه الاية** فلا يجد اليه سبيلا من جهة من الجهات ما يبطله ولا يكون قبله ولا بعده ما يكذبه او ينسخه **وسائر معجزات الانبيا والرسل** اي بقيتها غيره **انقضت** اي مضت وذهبت **بانقضا اوقاتها** اي بعد عصرهم وزمن وجودهم ابعد **فلم يبق الا خبرها** اي الاخبار الماثورة عنها دون ذاتها ونفسها كعصا موسى وناقة صالح وانفلاق البحر وغيرها مما هو مذكور في السير كما قيل ه

وانما المرء حديث بعده • فكن حديثا حسنا لمن وعى

والقرآن العزيز اي المنيع المحمي بحمايه من قاله **الباهرة آياته** اي الغالبة لغيرها والظاهرة وآياته بمعنى انواع معجزاته السالفة او كل آية متلوة منه فقوله **الظاهرة معجزاته** على الاول توضيح وتوكيد وعلى الثاني بيان وتاسيس **باقية على ما كان عليه اليوم** اي الى يومنا

ح
مت
هرة

هذا فتعريف اليوم للتعريف الحضوري كهذا الآن والجار والمجرور خبر المبتدأ وهو القرآن ۞
والمراد باليوم عصر المصنف كما اشار اليه بقوله **مدة خمس مائة عام وخمس وثلاثين سنة**
وروي سبع بدل خمس والصواب الاول لانه روي ان تاليفه للشفا كان في ايام قضائه في سنة
خمس وثلاثين وخمس مائة قال التلمساني هكذا نقله الثقات عن ابي عبد الله بن مرزوق ولم اسمعه
منه انتهى **لاول نزوله الى وقتنا هذا** اي من ابتداء الوحي ونزول القرآن على نبينا صلى الله عليه
وسلم الى وقت تاليف المصنف لهذا الكتاب فاللام بمعنى من نحو سمعت له صراخا اي منه كما ذكره النحاة
ويدل عليه مقابلته بالى **حجة قاهرة** المراد بالحجة نفس القرآن اي هو حجة غالبة لمن كفر به او المراد
ما فيه من الحجج والادلة **ومعارضته ممتنعة** اي الاتيان بمثله لا يمكن ولم يقع **والاعصار كلها**
طافحة الاعصار جمع عصر بفتح فسكون لا ضم وسكون لان جمع الجمع غير قياسي وطافحة بطاء
وحاء مهملتين بينهما الف وفاء من طفح اذا فاض وارتفع **باهل البيان** متعلق بطافحة فان كان
مجازا مرسلا بمعنى ممتلية فظاهر وان كان استعارة تخييلية على ان البيان مشبه بالماء على
طريق الكناية والمعنى ببيان اهل البيان والمراد العارفون بايراد التراكيب البليغة على
حسب مقاماتها **وحملة اللسان** حملة جمع حامل وهو ككاتب وكتبة وهو الحافظ للسان بمعنى
اللغة العربية **وائمة البلاغة** اي العلما بعلم البلاغة من المعاني والبيان وقرض الشعر وغيره من
العلوم الادبية **وفرسان الكلام** الذين لهم فطرة مجبولة على القدرة على التكلم بكلام بليغ نظما
ونثرا وفيه استعارة مكنية تخييلية اذ شبه الكلام فارها والمتكلم برجل عارف بركوبه ضده والسبق
به وائمته **وجهابذة البراعة** اي اساتذة الفصاحة الفائقة في بابها جمع جهبذ بكسر الجيم والبا
وهاء ساكنة وذال معجمة يقال رجل جهبذ اي عالم نحرير وهو لفظ معرب واصل معنى الجهبذ
النقاد البصير والسمسار الخبير فاستعير لما ذكر كذا قالوا والذي عندي في هذه التراكيب
الخمسة ان المراد بها اهل اللسان العارفون به بجبلة نقادة وطبيعة وقادة والعلما بعلوم
العربية فالمراد باهل البيان الفصحا وبالجملة علما اللغة والائمة البلغا الخطبا من العرب
العربا وبالفرسان الشعرا واهل الانساب والمحدثين وبالجهابذة العلما بعروض الشعر وانشاء النثر
فلا تكرار في كلامه وان كان مقام خطبة يحمل فيه البسط والاطناب ولما كان هولا فرقتان
مهتد لا يميل طبعه والمعاند وضده قال **والملحد فيهم كثير** الملحد اسم فاعل من الحد عن الحق اذا مال
ومنه لحد القبر والالحاد كما قال الراغب ضربان الحاد الى الشرك بالله والحاد الى الشرك بالاسباب
والاول ينافي الايمان ويبطله والثاني يوهن عراه ويحل عقدته **والمعادي للشرع عتيد**
اي مهيا حاضر باذل جهده وعداوته واعتد واعد متقاربان لفظا ومعنى اي مع كثرة من يريد
المعارضة **فما منهم من اتى بشيء من الكلام يؤثر** اي يحفظ وينقل **في معارضته** الاتيان
بما يماثله **ولا الف كلمتين في مناقضته** المناقضة التكلم بما يخالفه ويبطله ومنه نقايض
جرير وهي المراجعة والمحاورة **ولا قدر فيه على مطعن صحيح** اي لم يعبه ويعترض عليه باعتراض
يسمع منه وقد فعل ذلك بعض الزنادقة فافتضح وصار سخرية كابن في مطاعن القرآن التي
ذكرها السلف **ولا قدح** القدح ذكر المعايب يقال قدح في نسبه وعرضه اذا ذمه وقدح
الزناد ضربه لاجل النار والاول المراد ولكن فيه تورية بالثاني لقوله **المتكلف من ذهنه**
في ذلك الا بزند شحيح والمتكلف هو الذي يفعل ما لا يحسنه بكلفة استعارة للزند الذي لا
يخرج منه شرر اي لم يقدر فيخرج شيئا غير الخيبة يقال زند شحيح اذا كان لا يوري ولله دره

ما الطف

ما الطف طبعه ومن لم يذق حلاوة كلامه قال لو قال ولا ضرب المتكلف بسيف
ذهنه الا ان ينبو وهو جريح وحسن استعارته كون الذهن يوصف بالتوقد والاشتعال
كما قيل ۞

ويكاد يعرف توقد ذهنه • لولا مياه الجود فيه والندا •

لكن لا تعدم الحسناء ذاما فالابلغ السكوت في محله **بل المأثور** فالمنقول **عن كل من رام ذلك**
اي قصد الطعن فيه بفكره ما يؤدي زكاة حمقه **القاؤه في العجز بيديه** لا القاء بالقاف
بمعنى الرمي ومفعوله محذوف اي القاؤه انفسهم ورميها في مهالك العجز ومهاويه قسم
العجز بيديه ونحوهما مما لهلاك الواقع فيه وبيديه متعلق به اي هو الرامي والطارح لنفسه
وقيل معناه القى نفسه بهما في العجز وللزومه له جعله ظرفا له وهو معنى ركيك وقول
التلمساني انه القا باليدين من لغو الكلام الذي يحسن السكوت عنه لا عليه **والنكوص على عقبيه**
اي المأثور الرجوع عما قاله بالاعتراف بعجزه يقال نكص على عقبيه وهما مؤخر الرجل اذا
رجع القهقري وقال الراغب النكوص الاحجام عن الشي وفي القاموس نكص على عقبيه
رجع عما كان عليه من خير خاص بالرجوع عن الخير ووهم الجوهري في اطلاقه وقيل عليه ان
قلت معارضة القرآن شر فكيف يكون الرجوع عنها نكوصا على العقبين قلت هو مبني
على زعمه او تهكم به كما اطلق على رجوع الشيطان يوم بدر عن اعانة قريش على النبي صلى
الله عليه وسلم في قوله تعالى فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه على ان الاصح جواز اطلاقه
على خلافه فدنا درك اقول هذا استعارة من رجوع القهقري مطلقا لانه بمعنى الرجوع على
العقبين حقيقة فيتجوز به عن العود الى حالة الاول مطلقا شرا كان او خيرا فالحق ما قاله
الجوهري ۞

فصل وقد عد جماعة من الائمة ومقلدي الامة

ضبطه بفتح لام مقلد ليناسب ما قبله وقيل انه بكسرها والمراد بالاول المجتهدين والثاني
نقول انه اشارة الى ضعف اقوالهم **في اعجازه وجوها كثيرة منها ان قارئه لا يمله** اي لا
يسام طبعه من كثرة قراءته ولو اعاده مرارا كثيرة مع ان الطباع جبلت على معاداة المعادا
وسامعه لا يمجه اي لا يكره تكراره على مسامعه يقال مج الشراب ونحوه اذا رماه من فيه فالمج
حقيقته طرح المايع من الفم فان كان غير مايع يقال لفظه فاقيم الاذن مقام الفم واللفظ
مقام الما لرقته ولطفه وهي استعارة لطيفة كما قال العزيزي ۞

ونغمة المشتاق يحسن نقصه • للورد خد بالانوف يقبل •

فاستعير لتركه استعارة تبعية او مكنية وتخييلية فكانه كالنفس الذي تكرره لا يمل لانه
مادة للحياة كما قال المعري ۞

رددي حديثك ما امللت مستمعا • ومن يمل من الانفاس ترديدا •

ويمجه بضم ميم المضارع كيقتله من باب قتل **بل الاكباب على تلاوته** اي ملازمة قراءته
وتكراره فهو مجاز من الانكباب وهو الوقوع على الوجه كما قال افمن يمشي مكبا على وجهه وفي
اختياره على الوقوع اشارة الى توجهه اليه قال لبيد •

يلوح الهالكي على يديه • مكبا يجتلي نقب النصال •

يزيده حلاوة اي تزداد قراءته تكريره حلاوة ففيه ترق من عدم الملل الى زيادة حلاوة
واصاب به المحز لان ما يمج يكون مرا وما يحبه الطبع حلو وهو كقول الشاطبي •

وخير جليس لا يمل حديثه • وترداده يزداد فيه تجملا •

وترديده اي اعادته وتكريره يوجب لمحبة لزيادة حلاوته وحسنه لا يزال كلما كرر غضا اي جديدا وهو مجاز من غض الصوت والطرف قال • جارية شبت شبابا غضا

طريا اي رطبا ناعما فلا تتغير بهجته ونضارته قال الشاطبي •

واخلق به اذ ليس يخلق جدة • جديرا يوالي الله على الحب مقبلا •

فكانه في كل مرة قريب عهد بالنزول وغيره من الكلام ولو بلغ من الحسن والبلاغة مبلغه اي لو فرض ان بعض كلام البشر وصل الى رتبته في البلاغة يمل بالبنا المجهول اي يمله قاريه وسامعه مع الترديد اي مع التكرير مرارا ويعادي اذا اعيد اي يكره ويثقل وينفر منه النفس كما تنفر من معاديه وهذا على فرض المحال والا فقد تقدم انه لا يوجد مثله ولا يقرب منه واين الثريا من يد المتناول وكتابنا معاشر الامة المحمدية النازل الينا بواسطة نبينا صلى الله عليه وسلم وهو القرآن يستلذ به في الخلوات اي يجد قاريه لذة اذا اختلى بقراءته وخص الخلوة لانها محل اجتماع الحواس واطمئنان القلوب بذكر الله فهو فيها اعظم لذة وان له لذة ايضا بقراءته بين الناس ايضا ويونس بالبنا للمجهول اي يجد به انسا بدفع وحشته في الازمات جمع ازمة وهي الشدة كما في حديث اشتدي ازمة تنفرجي ولام خلوة وزاء ازمة ساكنتان في المفرد والجمع لانه اذا جمع على فعلات تسكن في الاسماء وتحرك في الصفات كما بين في التصريف والضمير في كتابنا الجماعة المومنين لا للتعظيم لانه لا يناسب المقام قيل ولو قال كتابنا يستانس به في الخلوات ويستعان به على الازمات كان احسن ومما قصده المصنف اعلا مما قاله لان الخلوة انسب باللذة وقرينتها لان المرء يستلذ الخلوة بمن يحبه هـ

ولذة الاحمق مكشوفة • يسعى بها كل عدو ورقيب •

والسائل لا تجد فيها رفيقا يعين عليها ويدفع كربها والمعالي قليلة الرفقا ولكل وجهة وسواه من الكتب اذا ضم اوله او كسر قصر واذا فتح مد والرواية على القصر وهو بمعنى غير لكنه تفنن فعبر عن الاول بغير وفي هذا بسوى والظاهر ان المراد بالكتب الكتب المنزلة قبله كالزبور لا يوجد فيها ذلك اي اللذة والانس المذكورين حتى احدث اصحابها اي اخترعوا وافتروا والمراد باصحابها من يقروها لها لحونا اي للكتب التي يدرسونها واللحون جمع لحن واحد الالحان الاغاني والنغمات التي تزين بها الاصوات وتوزن بضروب الموسيقي على مقاماتها وشعبها مما هو معروف عندهم يقال لحن في قراءته اذا طرب وللحن معان منها هذا والايماء والرمز وان اشتهر في خطا الاعراب والمراد به هنا تحسين الاصوات للتطريب والغنا تحسينا للقراءة والشعر وفي الحديث اقروا القرآن بلحون العرب واصواتها واياكم ولحون اهل الفسق واهل الكتابين يعني اليهود والنصارى يقرون كتبهم بنحو من ذلك وهكذا يفعله اهل مصر بقراءتهم في مجامع الناس المعروفة بالجوق وهي مما حرمه الفقها وشددوا على فاعله وهو لا ينافي قوله ليس منا من لم يتغن بالقرآن على احد المعنيين فان المراد به الحان العرب المذكورة من غير تمطيط وتغيير كما فصل في ادب القاري وطرقا جمع طريق وهو ما يجري على قانون الموسيقي وضروبها الموزونة يستجلبون اي يطلبون وجودها او يجلبون لهم ولمن يسمعهم بتلك اللحون والنغمات تنشطهم اي وجود نشاطهم وطربهم على قراتها اي على تطويل قراتها وزيادتها او على ان يقراها غيرهم كقراتهم ان اريد باللحون تغني القاري نفسه ويحتمل ان يريد

بما احدثوه مما يكون مع القاري من آلات الطرب كالمزامير وما يسمى ارغنون من اوتار كثيرة تضرب مع القراءة وتاتلف بعضها ببعض حتى كان القاري على نغماته على قوانين الآلة •

يملى على عود له انغامه • ويراه يحرك اذنه ان قصرا •

ولهذا اي لما اختص به القرآن من عدم ملال قاريه وما بعده وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الترمذي عن علي بن ابي طالب وقوله هو الذي لم تنته الجن الخ القرآن بانه لا يخلق بفتح اليا وضم اللام ويجوز فتحهما وضم اوله وكسر ثالثه من اخلق بمعنى خلق لانه ورد متعديا ولازما فلا مدة مثل لبسه بمعنى فوعل بمعنى فعل اي لا يبلى ويتغير حاله بمرور الزمان على كثرة الرد الرد كالترديد بمعنى كثرة التكرار في قراءته ورده ورداده بمعنى كرره وكثرة التكرار في العادة توثر وتغير ما كرر كالثوب اذا تكرر لبسه كما قيل

اما ترى للحبل بتكراره • في الصخرة الصماء قد اثرا •

وفيه استعارة مكنية وتخييلية لتشبيهه ببرد رقيق يبلى لتخيل به والمراد به اما الملال منه فهو بمعنى ما تقدم من ان قاريه لا يمله وكل مكرر يمل او لا يتغير بتحريف ونسخ ولا ينسى وقد ورد ان بعضهم كرر آية واحدة طول الليلة ولا تنقضي عبره بكسر العين المهملة وفتح البا الموحدة جمع عبرة بسكونها والمراد بها عجائبه او مواعظه التي يعمل بها ويعتبر وهو عبارة عن كثرتها وبقائها والثاني اولى لئلا يتكرر مع قوله ولا تفنى عجائبه اي لكثرتها لا تنفد وتنتهي جمع عجيبة وهي ما يتعجب منه فكلما اعدت النظر فيها ظهر لك ما هو اغرب واعجب مما عرفته اولا هو الفصل اي الحد الفاصل بين الحق والباطل يقال كلام فصل اي حق محكم مبين او المفصول المتميز من غيره فهو فعل بمعنى فاعل او مفعول ليس بالهزل كما قال تع وما هو بالهزل اي ليس فيه لعب ولا كلام سخيف وهو في الاصل من الهزال ضد السمن فهو كلام سمين لا غث فيه لما فيه من الاوامر والنواهي التي بها سامعها لا تشبع منه العلما اي لا تستغني عنه ولا تزال تستنبط منه معاني وفوائد في كل حين وفي الحديث منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب دنيا فشبهه بماكول به قوام حياتها لا ان كل ما كول يشبع آكله اذا امتلا منه جوفه وهذا محالف لذلك ففيه استعارة تبعية او مكنية وتخييلية وفوائده ممدودة والواو لتزيين غير مقطوعة ولا ممنوعة ولا تزيغ به الاهوا بفتح المثناة الفوقية وزاي وغين معجمتين من زاغ اذا مال وعدل عن منهجه والاهواء بالمد جمع هوى وهو ما تهواه النفوس وتشتهيه من الضلال اي لا يضل من اتبعه ويميل الى هوى نفسه الامارة ولا تلتبس به الالسنة جمع لسان وهو الجارحة المعروفة شاع في الكلام واللغات فالمعنى انه لا يشبهه غيره من الكلام فلا يمكن اختلاطه وادخاله فيه لان اسلوبه ونظمه لا يشبه غيره فالمراد انه لا يمكن انه يدس فيه دسيسة وقيل المعنى انه لا تعسر قراءته على المومنين وهو بعيد لانه افتعال من اللبس وهو الاشتباه وقوله هو الذي لم تنته الجن اصل معنى انتهى بلغ النهاية وهو آخر الشي وغايته ويكون بمعنى كف وترك وهذا هو المراد هنا اي لم تكف عن هذه المقالة حين سمعته ومن لم يترك شيئا بادر اليه واقبل عليه ولذا قيل معناه لم تلبثوا وان مصدرية بفتح الهمزة ومحله نصب او جر بتقدير عن وما قيل انه في معنى العلة اي لم ينتهوا عن القول من اجل قولهم لقومهم اذا رجعوا اليهم فيه خلط وخبط ان قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا اي عجيبا في بلاغته وعلو رتبته وتركيبه وعزته يهدي الى الرشد اي يدل على الصواب من الايمان والتوحيد وهو تبكيت لقريش اذ لم تولوا

لف

عة

له

ي

سنين مع معرفتهم بالفصاحة لم يفهموه وهؤلاء بمجرد سماعهم من غير توقف آمنوا به قال البرهان
كانوا سبعة شاصر وماصر ومنشى وماشي والاحقب وهؤلاء الخمسة ذكرهم ابن دريد في
مناقب عمر بن عبد العزيز قال بينما هو يمشي بفلاة اذ هو بحية ميتة فكفنها بفضل ردائه
ودفنها فاذا قائل يقول يا سرق اشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ستموت بارض
فلاة ويدفنك رجل صالح فقال عمر من انت رحمك الله قال رجل من الجن الذين سمعوا القرآن
من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبق منهم الا انا وسرق وهذا قد مات وعن ابن مسعود انه
كان في نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشون فرفع لهم اعصار عظيم ثم انقشع فاذا
حية قتيل فعمد رجل منا الى ردائه فشقه وكفن الحية ببعضه ودفنها فلما جن الليل اذا امرأتان
تسألان ايكم دفن عمرو بن جابر فقلنا ما ندري من عمرو فقال ان كنتم ابتغيتم الاجر فقد وجدتموه
ان فسقة الجن اقتتلوا مع مؤمنيهم فقتل عمرو وهو الحية التي رأيتموها وهو ممن استمع القرآن قال
الذهبي الذي دفنه بالفوج صفوان بن المعطل وهو من الصحابة وسماه عمرو بن طارق ومن لقي
رسول الله مؤمنا منهم عد من الصحابة والاعتراض بانه ينبغي ان يعد منهم الملائكة ايضا كجبريل
وميكائيل ورده الذهبي بانه ارسل اليهم ولم يرسل الى الملائكة وبيانه يحتاج لتفصيل ليس
هذا محله وهم من جن نصيبين بلدة بالجزيرة لا باليمن كما قيل والكلام عليه مبسوط في كتاب لقط
المرجان في احكام الجان **ومنها** اي من وجوه اعجازه التي ذكرها بعضهم **جمعه لعلوم ومعارف**
اي علوم كلية كانت في الامم السالفة كعلم النجوم ودقائقه وعلم الطب كما في قوله لا الشمس
ينبغي لها ان تدرك القمر وقوله كلوا واشربوا ولا تسرفوا والمعارف الجزئية كالاخبار عن قصة
يوسف وتفصيلها مما لا يعرفه الا من شاهدها ومن ذلك ما قيل ان قوله انطلقوا الى ظل ذي ثلاث شعب
اشارة الى شكل المثلث وبعض احكامه المذكورة في الهندسة وفيه اشارة الى انه لا يفهم تفسيره
الا من تضلع من جميع العلوم لم يعهد بالبناء للمفعول اي لم تعرفه في عصرها وزمانها **العرب عامة**
اي جميع العرب وعامة منصوب على الحال لافادة العموم مثل كافة وطرا **ولا محمد صلى الله عليه وسلم**
قبل نبوته ونزول الوحي بها عليه **خاصة** اي لم يعرف له بخصوصه علم بها قبل البعثة اما بعدها
فقد اطلعه الله على علوم الاولين والآخرين **بمعرفتها** يتعلق بيعهد والضمير للعلوم والمعارف
ولا القيام بها اي العمل بها ومداومة عليها **ولا يحيط بها احد من علماء الامم** اي لم يحط علم احد من
علماء السلف كالحكماء والاحبار من اهل الكتاب بشيء منها **ولا يشتمل عليها كتاب من كتبهم** اي لم
يدون قبله حتى يقال انه اخذ علمه منها وفسر ما ذكر بقوله **فجمع فيه من بيان علم الشرائع** جمع
مبني للمجهول اي جمع الله في كلامه والشرائع جمع شريعة وهي والملة والدين بمعنى متحد الماصدق
متغاير المفهوم وهو وضع الهي سائق الى ما فيه الخير في الدارين منقولة من الشريعة وهي موردة
الماء او الطريق الواسع كالشارع **والتنبيه على طرق الحجج العقليات** اي تنبيه الناس وارشادهم
الى نصب الادلة العقلية وكيفية الزام الخصم بها كما في قصة ابراهيم ونظره للكوكب لاقامة
الحجة على وجود الصانع وكما في قوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وغيره مما لا يحصى **والرد**
على فرق الامم الضالة ممن عبد الكواكب وغيرهم **ببراهين قوية** محكمة الالزام جارية على قانون
المناظرة والجدل وآداب البحث **بينة** ظاهرة **سهلة الالفاظ** يفهمها كل من سمعها بكاد من
عذوبة الالفاظ تسلسلها مسامع الحفاظ **موجزة المقاصد** قليلة الفاظها الدالة على معانيها
المهمة الكثيرة فليس فيها اختصار مخل ولا عبارة مغلقة **رام المتحذلقون بعد** بالبناء على الضم

اي بعد

اي بعد الوقوف عليه والمتحذلقون بزنة اسم الفاعل بحاء مهملة وذال معجمة ولام وقاف
وهو مدعي الحذق وهو سرعة الفهم اي قصد من عاند كالذي في العلم واقامة البراهين يقال
حذلق اذا اظهر الحذق وادعى اكثر مما عنده كتحذلق وهو ماخوذ من الحذق ولامه زائدة
ان ينصبوا ادلة مثلها نصب الدليل واقامته ذكره واظهاره في مقام المخاصمة **فلم يقدروا**
عليها اي لم يكن لهم قدرة على الاتيان بمثل ادلته وبراهينه **كقوله اوليس الذي خلق السموات**
والارض رد على منكري الحشر والمعاد الجسماني اي من قدر على اختراع مثل هذه الاجرام العظيمة
من العدم **بقادر على ان يخلق مثلهم** اي مثل هذه الاجسام الحقيرة الصغيرة ويعيدها وهو
اهون عليه كما قال تعالى لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس فهذه حجة ظاهرة **وقل يحييها**
الذي انشأها اول مرة اي من اوجدها من عدم محض قادر على اعادتها واحيائها بطريق الاولى
وفي هذا ايضا حجة باهرة ومنه قوله **ولو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا** اي في السماء
والارض فلو تعددت الآلهة فسد نظام العالم وبطل برهان قوي قطعي وليس اقناعيا كما
في شرح العقائد ويسمى برهان التمانع وفي بيانه واعرابه كلام مفصل لا يسعه هذا المقام
وقد افرده بالتاليف خاتمة المحققين مصلح الدين اللاري فخذ لك من القلادة ما احاط
بعنق التقليد فان لكل مقام مقالا **الى ما حواه** اي مضمونا ما ذكر من البراهين **الى ما**
اشتمل القرآن عليه من علوم السير جمع سيرة وهي الطريقة والاحاديث الحسنة وتخص
في العرف بالغزوات واخبار الجهاد والكل وجهه هنا **وانباء الامم** اي اخبار من مضى
منهم **والمواعظ والحكم** اي امور الترغيب والترهيب وجوامع الكلم المحكمة المرشدة لتحلية
النفوس بالملكات الفاضلة **واخبار الدار الآخرة** من الجنة والنار والحشر واهوال الموقف
وغير ذلك **ومحاسن الآداب** جمع ادب وهو الاوصاف المحمودة التي تشرف صاحبها والشيم
بشين معجمة ومثناة تحتية وبعدها ايضا بزنة عنب جمع شيمة وهي الطبيعة واهل مصر يستعملها
بمعنى ذوات الماء كقول القيراطي

لك يا نيل مصرنا • كرم اخجل الديم
انت فينا حقيقة • طاهر الوصف والشيم

وهي لغة عامية لا اصل لها **قال الله جل اسمه ما فرطنا في الكتاب من شيء** اي لم نترك
شيئا يحتاج اليه الا بيناه في القرآن بناء على ان المراد بالكتاب القرآن لا اللوح المحفوظ كما قيل
والتفريط الترك المخل ضد الافراط وهو يتعدى بفي من غير تضمين معنى اغفلنا كما توهم والمعنى
انه مشتمل على جميع ما يحتاج اليه اجمالا لا تصريحا وتلويحا كما بينه المفسرون ومن زائدة بعد
النفي في المفعول الذي تعدي اليه بتضمين ترك ونحوه ثم اردفه بما يبين ان المراد بالكتاب
القرآن فقال **وانزلنا اليك** يا محمد **الكتاب تبيانا لكل شيء** اي مبينا لكل شيء يحتاج
اليه وهو بكسر التاء مصدر على خلاف القياس بمعنى مبين ولا ثاني له غير تلقاء على كلام فيه
ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ضرب المثل معلوم اي بينا لكل امر يهمهم
بمثال يوضحه لما في ضرب الامثال من الفوائد المهمة **وقال صلى الله عليه وسلم** في حديث رواه
الترمذي عن علي تقدم بعض منه واورد بقيته هنا مع زيادة فيه **ان الله انزل القرآن**
من اللوح المحفوظ منجما بحسب المصالح وانزل ونزل يستعمل كل منهما بمعنى الآخر فاذا جمع بينهما
او قامت قرينة اريد بالانزال الدفعي وبالتنزيل التدريجي كما فصلوه **آمرا** بالمد حال من
الفاعل او المفعول على الاسناد المجازي **وزاجرا** اي مانعا وكافا وناهيا والزجر الطرد بصوت

ثم يستعمل تارة في الطرد واخرى في الصوت كما قاله الراغب وسنة خالية اي طريقة
متبعة مستقيمة لمن كان قبلكم من الامم من خلا بمعنى ذهب ومضى ويكون بمعنى تفرغ ومثلا
مضروبا جعله عين المثل مبالغة لكثرة اشتماله على الامثال كغيره من الكتب الالهية فهي مقررة
لما مثل له لتنزيل المعقول منزلة المحسوس قال البيضاوي ولامر ما اكثر الله والانبيا والحكما في
في كلامهم من الامثال وقوله فيه نبأ ما قبلكم بالرفع كالمعطوف عليه ان كان نايب الفاعل مضروبا نحو
بتقدير مضاف اي مثل نبيكم وان كان مبتدا فيه خبر مقدم والجملة حالية وتغيير الاسلوب يحتاج
لنكتة فكانه للاشارة الى انها حال اخرى غير مختصة بالقران كالتي قبلها والنبا الخبر عن امر
عظيم والخطاب للامة وقيل للصحابة وخبر ما كان قبلكم عبر بالخبر تفننا واشارة لشرف هذه الامة
وما شامل لمن يعقل تغليبا للاكثر او لصفات كقوله وما ملكت ايمانكم ونبأ ما بعدكم اي ما بعد
النبي واصحابه او لما يقع بعدهم من الفتن واشراط الساعة وغير ذلك الى يوم القيمة وحكم ما
بينكم اي بيان للاحكام فيما يقع ويحدث بينكم معاشر هذه الامة المحمدية وهو بضم الحا المهملة
وسكون الكاف لا يخلقه طول الرد تقدم معناه وهو انه بضم اوله وفتحه من الثلاثي والمزيد
اي يبليه ونفسه تكرار تلاوته ولا تنقضي عجائبه هو الحق ليس بالهزل تقدم تفسيره من
قال به صدق اي من اختار ما فيه وحكم به فقد اتى بامر صادق لا ريب فيه وفي القاموس
قال به غلب ومنه سبحان من تعطف بالعز وقال به وهذا لا يناسب قوله صدق ومن حكم به
عدل اي قضى بما فيه من الاحكام فهو عادل فانه حكم الله وما الله بظلام للعبيد ومن خاصم
به اي خاصم بحجة وادلة ماخوذة منه فلج اي غلب وفاز بالنصر على من خاصمه بفتح الفا
واللام وجيم يقال فلج اذا فاز وظفر بالغلبة ومن قسم به قسط بفتح القاف والسين المخففة
اي من تولى قسمة امر فقسمها بما في كتاب الله كقسمة المواريث والغنايم وغيرها عدل يقال قسط
اذا جار واقسط بالهمز اذا عدل فهو مقسط فالهمزة للسلب كاشكيته اذا ازلت شكايته وهو ماخوذ
من القسط وهو الميزان كالقسطاس وفي الحديث ان الله يخفض القسط ويرفعه وهو تمثيل ويقال
قسط اذا عدل ايضا فهو من الاضداد ومن عمل به اوجر بالبنا للمفعول اي حاز الاجر والثواب الجزيل
ومن تمسك به هدي الى صراط مستقيم هو كقوله فقد استمسك بالعروة الوثقى وفي الحديث
القرآن حبل الله المتين ففيه استعارة مكنية وتخييلية هنا بتنزيل المعقول منزلة المحسوس
لايصاله لمن اقتدى به الى الطريق الحق وهو الصراط المستقيم الذي لا عوج فيه ولا ضلالة
ومن طلب الهدى من غيره كتقليد واقوال الغير اضله الله اي جعله ضالا لا يهتدي لعدوله عن
الطريق الحق ومن حكم بحكم غيره قصمه الله اي قتله واهلكه هلاكا شديدا واصل معنى القصم
العظم بابانة وانفصال فاستعير لما ذكر ويجوز في هذه الكلمة ان تكون خبرية ودعائية
انشائية هو الذكر الحكيم الذكر بمعنى القران والحكيم ذو الحكمة لاشتماله عليها او سمي باسم قايله
اي الحكيم قايله فعيل بمعنى فاعل اي الذي يحكم الاشيا ويتقنها والحاكم لهم وعليهم او المحكم الذي لا
خلل فيه والنور المبين الواضح البين الذي يهتدى بانواره العقول الى الخروج من ظلمة
الجهل والضلالة والصراط المستقيم اي الموصل الى السعادة الابدية فيصل الناس به ومنه
الى المقصد الاسنى كما يصل من الطريق الى ما يريد من الدار ومنازلها وحبل الله المتين اي
عصمه وامانه الذي يؤمن العذاب وكل ما يكره ويشق على النفس ويتوصل به الى ما يحبه ويوصله
لطالبه والمتين بمعنى القوي المحكم يقال متن اذا صلب والشفا النافع اما ان يراد بالشفا

ظاهره

ظاهره لانه يستشفى به فيشفى من بعض الامراض او يراد به مطلق النفع على طريق المجاز المرسل
كالمشفى او على طريقة الاستعارة فانه يشبه الجهل بالداء ويجعل ما يزيله كالدواء والعلاج
النافع الذي لا سقم بعده لنفعه في الدنيا والاخرة عصمة لمن تمسك به بكسر العين وسكون
الصاد المهملتين فعلة من العصم وهو الامساك والاعتصام التمسك ويجوز ضم عينه ايضا
والاكثر الافصح الامساك الكسر وتجي العصمة بمعنى السور ومنه المعصم لانه محلها والمراد انه
حام ومانع لمن اتبعه وعمل به عن ارتكاب الفاحشة والزلل ونجاة لمن اتبعه اي منج له ومخلص
من غشاه لا يعوج بفتح اوله وتشديد جيمه ورفعه اي ليس فيه خلل لفظا ومعنى كما قال تع ولم
يجعل له عوجا والعوج بفتحتين الميل والانعطاف المدرك بالبصر وبكسر اوله ما يدرك بالبصيرة
فيقوم بالنصب في جواب النفي اي يحتاج الى التقويم بازالة عوجه فليس كسائر الكلام المحتاج للاصلاح   ح
ولا يزيغ بمعجمتين بوزن يصير اي يميل عن الحق والصواب فيستعتب بالنصب اي يستحق العتاب
واللوم لخروجه عن الاستقامة والعتب مخاطبة ادلال ومواجدة ففيه استعارة مكنية وتخييلية
وفي رواية الترمذي ولا تزيغ به الاهوا اي تميله ولا تنقضي عجائبه ولا يخلق على كثرة
الرد تقدم بيانه ونحوه اي نحو هذا الحديث المروي على ما رواه الحاكم عن ابن مسعود وقال
ابن مسعود فيه ولا يختلف اي لا يقع فيه ما يخالف بعضه بعضا مع طوله وبعد عهده ولو
كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ولا يتشان بفتح اليا التحتية والتا الفوقية
والشين المعجمة والف بعدها نون مشددة تفاعل من الشن وهو القربة البالية فهو مستعار
للبلا والفنا بمعنى قوله في الرواية الاخرى لا يخلق على كثرة الرد وفي رواية لا يتفه ولا يتشان
والتفه الحقارة وشي تفه حقير كذا هو في اكثر الروايات وصححوه وفي بعض نسخ الشفا بتا
تحتية مفتوحة او مضمومة وتا فوقية وشين معجمة والف بعدها نون وهمزة من الشنان وهو
البغض والعداوة فاستعير لتنافر الكلمات وعدم تناسبها حتى كان بينها عداوة او لتخالف معانيه
فهو كقوله ولا يختلف معنى او هو معنى ظاهر مكلف فما قيل ان الصواب هو الاول ان ارادوا
بحسب الرواية فمسلم وان ارادوا بحسب الدراية فلا وجه له فيه نبأ الاولين والآخرين
تقدم بيانه بما يغني عن اعادته وفي الحديث الذي رواه ابن الضريس في فضايل القرآن
عن كعب الاحبار انه قال في التورية انزلت على محمد فذكره واخرج ابن ابي شيبة في المصنف
عن مغيث بن سمي مرسلا انزلت على توراة الخ اني منزل عليك توراة اي كتابا سماويا شبيها
بالتوراة لكثرة ما اشتمل عليه من الاحكام والمواعظ والوعد والوعيد والامثال والحكم
والعقايد اليقينية فاطلاق التوراة عليه استعارة تصريحية او مجازا مرسلا او حقيقة
ان قلنا انه عبراني معناه كتاب وانما عبر به لشهرته وعظم شانه فانه اجل كتاب نزل قبل القرآن
ولشهرته بين اليهود من اهل الكتاب الذين اقرب اليه وهو خطاب قد سمي نزل عليه قبل الوحي
او في ابتدا امره حديثة اي قريبة العهد بالنزول وهو كقوله ما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث
فلا دليل فيه لمن يقول بحدوث القرآن ولما كان كلام الله يسمى نورا وشفاء قال يفتح بها اعينا
عميا اي تبصر بها من كان في ضلالة كالاعمى لعدم اهتدايه للحق واذانا صما اي وتسمع بها
اذانا لا تسمع الحق فتقبله وقلوبا غلفا لا يصل اليها ما يهديها الى السعادة كانها في غلاف
وغشا مانع عن وصول الحق اليها وعن الفهم وقد تقدم بيانه فسمي ازالة المانع مطلقا فتحا
او هو من قبيل قوله متقلدا سيفا ورمحا فيها اي في التوراة بمعنى القرآن ينابيع العلم

جمع ينبوع وهي العين التي ينبع منها الماء الجاري فشبه العلم النافع بالماء الذي تحيى به النفوس
على طريق الاستعارة المكنية واثبت له الينبوع على طريق التخييل وفهم الحكمة اي ما يفهم الحكم وهي
المواعظ وكل كلام محكم نافع جعل الفهم كانه فيها مبالغة لكونها ينبوعه ومعدنه وربيع القلوب
الربيع يكون بمعنى الخصب والمطر اي فيها ما تحيى به القلوب وتنمو وتخصب وتمرح وتنشرح
وتتنزه وتفرح ففيه استعارة لطيفة وعن كعب بن ماتع المعروف بكعب الاحبار كما تقدم عليكم
بالقرآن اسم فعل بمعنى الزم وتمسك يقال عليك كذا وبكذا فالمراد ملازمة تلاوته وتدبر معانيه
فانه فهم العقول اي مفهم العقول ما يخفى عليها فهو مصدر بمعنى اسم فاعل مبالغة لا بمعنى مفعول
كنسج بمعنى منسوج فانه ركيك كما يرشد اليه قوله بعده هذا بيان للناس ونور الحكمة اي منورها
او هو كالمعدن الماء اي فيه حكم يشرق نورها وتتلالا وضوحا وبهجة قال تعالى ان هذا
القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون يعني انه بين فيه لاهل الكتاب ما
اشتبه عليهم واختلفوا فيه مما لم يعرفوه من كتابهم ففيه اشارة الى ان القرآن اجمع للاحكام من غيره
من الكتب المنزلة قبله واوضح وقال هذا بيان للناس وهدى لجميع الناس من اهل الكتاب وغيرهم
وموعظة للمتقين والاتيان بما لو بين ما قاله كعب ثم وضح ما قاله وفسره بقوله يجمع فيه اي في
القرآن مع وجازة الفاظه اي اختصارها وقلة الفاظه مع كثرة معانيه وجوامع كلمه
جوامع الكلم تقدم انها الكلام الجامع للمعاني الجمة في الفاظ قليلة واضحة ويطلق على القرآن
كما في حديث اوتيت جوامع الكلم اضعاف ما في الكتب قبله مفعول يجمع اي جمع ما يزيد على
سائر الكتب مثله او مثليه التي الفاظه على الضعف منه مرات اي مع زيادة الفاظها عليه
بامثاله جمع من المعاني ما يزيد على امثال معانيه وضعف الشيء يكون بمعنى مثليه وامثاله
والتضعيف الزيادة مطلقا وفيه كلام لاهل اللغة ليس هذا محله ومنها اي من وجوه الاعجاز
التي ذكروها جمعه فيه اي جمع الله في القرآن بين الدليل والمدلول الدليل هو الدال الموصل
اي ما يمكن التوصل بالنظر فيه الى مطلوب خبري والمدلول هو المطلوب بالدليل هنا وان كان بمعنى
المعنى مطلقا بين معنى الجمع المذكور بقوله وذلك اي الجمع بينهما انه احتج بالبناء للمجهول فهو بضم
اوله وثالثه اي ان الله اقام فيه الحجة على ما اراد اثباته والالزام به لمن اقيمت عليه الحجة هم
بنظم القرآن اي بنظامه البديع المعجز وحسن رصفه براء وصاد مهملتين وفاء لا بواو كما في
بعض النسخ وهو من رصف البناء وهو ضم بعضه الى البعض فالمراد حسن نظمه وتاليفه كما تؤلف البناء
شيئا بعد شيء حتى يتم ويكمل في غاية الاحكام وضمير انه لله او للقرآن وايجازه وبلاغته وفي
نسخة اعجازه اي كونه في اعلى طبقات البلاغة المعجزة لكل بليغ واثناء هذه البلاغة بالنصب
على الظرفية خبر مقدم اي في خلالها والاثناء بالمد على وزن افعال جمع ثنا بالضم والقصر وهو
ما انثنى ودخل بعضه في بعض كما قاله ابن هشام اللخمي في شرح الدريدية وهذا هو الدليل السابق
ذكره ثم ذكر المدلول فقال امره ونهيه ووعده ووعيده وغير ذلك من المقاصد العظيمة التي
ارادها الله فالتالي له اي القارئ بفهم وتدبر لمعانيه يفهم موضع الحجة والتكليف بالجزم والنصب
بالحكم من كلام واحد وسورة منفردة عن غيرها مما هو حجة او محتج عليه تضمن ان كل مقدار معجز
منه دال على مقصد من مقاصده يكون دالا على مطلوب ومدعى وعبارته الدالة عليه برهان
مصدق له لاعجازها وقيل المعنى انه وقع فيه الجمع المذكور كما في قوله في الواقعة لما حكى كلام منكري
المعاد وهو ائذا متنا الخ عقبه بما قطع عرق شبهتهم بقوله افرايتم ما تمنون الخ وقيل انه كقوله فلا نقل

لهما ان

لهما اف انه حجة لتحريم التافيف ومكلف باجتنابه وقوله فصل لربك وانحر حجة لوجوب
الصلاة والاضحية وانه مكلف بهما وهذا كلام لا محصل له ومحل محتاج للتحرير ومنها اي من
وجوه الاعجاز ان جعله في حيز يقال تحيز ويجوز تفعيل وهذه المادة معناها في كلام العرب
يتضمن العدول في موضعه كالجبل لا يقال له متحيز ويراد بالمتحيز عند غير العرب ما يحيط به
حيز موجود وهو اعم من هذا والمتكلمون يريدون به اعم من هذا وهو كل ما اشير اليه سواء كان له
حيز او لا فالعالم كله متحيز كما قاله ابن تيمية المنظوم الذي لم يعهد اي المؤلف الواقع على طريقه
لا يشابه شيئا من كلامهم المنظوم شعرا ولا خطبة ولا رسالة مع كونه واضح الدلالة بلسانهم
وهذا انما يعرفه من له معرفة بكلام العرب نظمه ونثره وسجعه كما بينه في كتاب الابانة ثم قال
فان قلت وما هذه المباينة العظيمة التي بين القرآن وبين سائر كلام العرب وجميع المنظوم
والاوزان حتى صار لاجلها معجزا باهرا قلت هي ما في القرآن من البلاغة التي لا يقدر اشعر
اهل البلاغة واللسن تقدما في البيان وان ياتي بمثلها او ما يقاربها ولم يكن في حيز المنثور
اي لا يشبه اقسام منثورهم من السجع الملتزم حرف بحروف روي الشعر ولا خطابة لمقاطع
فصول الخطب ومواضع استراحاتها لا لاشتماله على الفواصل كما توهم لان المنظوم اسهل
على النفوس اي الكلام المتسق نظمه وتاليفه على نهج واحد والمفضل عليه المنثور بالمعنى
السابق واوعى للقلوب اي ادخل في وعائه وهو القوة الحافظة له وفي الحديث بعد ذكر
الانبياء الذين رآهم في السماء اوعيت منهم اي ادخلته في وعاء قلبي فهو اسم تفضيل على القياس
واللام داخلة على الفاعل كما يقال هو احب لي ولا قلب فيه والصواب والقلوب اوعى له
كما توهم واسمح في الاذن بسين وحاء مهملتين اي اسهل مستعار من السماحة وليس من اشمخ
المزيد كما قيل وليس ايضا بخاء معجمة من السماخ وهو الصماخ اي منفذ الاذن كما توهم واحلى على
الافهام اي يستحسن به الذوق السليم فيجد له لذة وحلاوة فالناس اليه اميل اي اكثر ميلا
ومحبة كما قال الشنفرى: فاني الى قوم سواكم لاميل والاهواء اليه اسرع جمع
هوى وهو ميل النفس واجذب لها الى ميل القلوب نحوه اشد من ميلها لغيره ومنها اي من وجوه
الاعجاز تيسيره تعالى حفظه لمتعلميه اي من يريد تعلمه وتقريبه على متحفظيه اي تسهيل
حفظه لمن يريده قال تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر في الكشاف معنى الاية سهلناه
للادكار والاتعاظ بان شحناه بالمواعظ الشافية وصرفنا فيه من الوعد والوعيد وقيل
معناه سهلناه للحفظ واعنا من اراد حفظه ويجوز ان يكون معنى يسرناه هيأناه من يسر ناقته
للسفر اذا رحلها ويسر فرسه للغزو اذا اسرجه والجمه كما قال

وقمت اليه باللجام ميسرا ... هنالك يجزيني الذي كنت اصنع

وعلى الوجه الثاني يعني المصنف استشهاده بالاية وسائر الامم قبل هذه الامة من اهل الكتاب
وغيرهم لا يحفظ كتبها الواحد منهم اي لا يحفظ فيهم واحد يحفظ كتابهم المنزل على انبيائهم
الا نادرا وروي عن ابن جبير ان بني اسرائيل لم يكن فيهم من يحفظ التورية فكانوا لا يقرؤنها
الا نظرا في صحفها غير موسى وهارون ويوشع بن نون وعزير فلما انهم رفعهم الله وقيل حرقت
فجاء عزير وتلاها عليهم كما انزلت من حفظه فافتتنوا به وقالوا انه ابن الله ومن الله على
هذه الامة بان يسر عليهم حفظ كتابه وجعل فيهم حفظة له لا تحصى الى الآن فكيف بالجماء
منهم اي فاذا لم يتيسر لواحد منهم الا نادرا كيف يتيسر للكثير والجماء بفتح الجيم المشددة والمد

تعلمه وتقريبه

بعد جيم مفتوحة من الجموم وهو الاجتماع والكثرة التي لا تنفد وفي بعض النسخ فكيف الجم
بدون مد وكلاهما صحيح رواية ودراية وفي الاساس عدد جم واحتاث جثا جما وجاؤا جما
غفيرا او الجما الغفير اشتق من جمة الشعر وما قيل من ان الصواب الجم لانه لا يتلفظ بالجما الا موصوفا
نحو جاؤا الجما الغفير لا اصل له وذلك انما هو اذا كان منصوبا كما ذكره اهل العربية على مرور السنين
عليهم اي مع طول اعمارهم وامتداد ازمنتهم لم يتيسر لهم حفظ كتبهم والقرآن تيسر حفظه للغلمان
اي لغلمان هذه الامة واطفالهم في مكتبهم في اقرب مدة اي في زمن قليل كسنة ونحوها
كما شاهدناه وغلمان بكسر الغين المعجمة وهو من حين يولد الى ان يشب ومنها اي من وجوه
الاعجاز عند بعضهم مشاكلة بعض اجزايه بعضا اي مشابهة بعضه لبعض قال الراغب
المشاكلة في الهيئة والصورة والند في الجنسية والشبه في الكيفية والشكل الدل وهو في
الحقيقة الانس الذي بين المتماثلين في الطريقة ومن هذا قيل الناس اشكال والاف واصل المشاكلة
من الشكل اي تقييد الدابة بالشكال ومنه شكل الكتاب وحسن ايتلاف انواعها اي مناسبة
انواع تلك الاجزا فتكون كلماته متناسبة وجمله المركبة اتضامها الفة وحسن مناسبة تامة
والتيام اقسامها بهمزة ويجوز ابدالها ايضا اي توافقها وانضمام كل قسم الى مشاكله وحسن التخلص
من قصة الى اخرى وهو ان يوافق مقطع السابقة مبدا اللاحقة حتى يصير كالقصة الواحدة
والخروج من باب الى غيره اي الانتقال من نوع من الكلام الى نوع آخر وفي ذكر الخروج مع الباب
لطف ظاهر على اختلاف معانيه الضمير للقرآن وعلى بمعنى مع اي تراه مع اختلاف مقاصده
لا يخرج عن المناسبة التامة في جمله وتفاصيله وهذا يعلم من كتاب المناسبات وقد صنف
فيه كتب اجلها مناسبات البقاعي وحسن التخلص مما اعتنى به البلغا والشعرا كقوله ع

تقول في قومس صحبي وقد اخذت • منا السرى وخطى المهرية القود
امطلع الشمس تبغي ان تؤم بنا • فقلت كلا ولكن مطلع الجود

والانتقال من غير مناسبة يسمى اقتضابا وانقسام القصة الواحدة على امر ونهي
وخبر واستخبار اي استفهام هو احد اقسام الانشا المقابل للخبر وعدي الانقسام بعلى والمعروف
تعديته بالى بالنظر الى اقسامه وانما يتعدى بعلى لمن يعطى تلك الاقسام فتقول النقد ينقسم
الى دراهم ودنانير وتقول قسمته على الفقرا والمساكين فاذا استعمل احدهما في مكان الاخر
من يعرف موارد الكلام كان تجوزا لنكتة وهي هنا جعل المقسم الكلي كانه امر خارج قسم
على افراده او انواعه فنال كلا حصة منه لوجوده في ضمنه فلا يحسن في كل محل ولا من كل
قايل ووعد ووعيد واثبات نبوة وتوحيد كقوله وما كنت ثاويا في اهل مدين اذ قضينا
الى موسى الامر وانما الله اله واحد وتفريد لبعض ما شرع اولا وترغيب وترهيب بوعد من
اتقى بالنعيم المخلد وان من كفر في سواء الجحيم منضما ماذكر الى غير ذلك من فوايده كضرب
الامثال وذكر القصص للعبرة ع دون خلل اي امر يخل به وينقصه بتخلل فصوله اي يكون
في اثنا فصوله والفصل عبارة عن جمل من الكلام مستقلة وقيل انه بمعنى الفاصلة وهي الكلمة
مما يضاهي السجع والكلام الفصيح من كلام البشر اذا اعتوره اي ورد عليه وطرا وتداوله
مثل هذا اي تضمن انواع من المقاصد كوعد ووعيد وغيرهم وتخلل فصوله الذي يشبه المتكلم
الفصيح ضعف قوته لانه لكل خاطر قابلة بتعدد انواع المقاصد فينزل عن مرتبته التي
ساقها في اوله ولانت جزالته اي صلابته وشدته تنقلب لضدها وقل رونقه اي صفاوه ع

ونضارته

ونضارته وتقلقلت الفاظه اي اضطربت والقلقلة في الاصل الحركة بعنف ويقال
تقلقل في البلاد اذا طال سفره فاستعير لتنافر الكلام الطويل فتامل اي تدبر في اول سو
ص والقرآن ذي الذكر الخ وما جمع فيه بالبنا للفاعل او المفعول وانث ضمير اول لانه بمعنى
الفاتحة او لاكتسابه التانيث بما اضيف اليه من اسم السورة من اخبار الكفار اي كفار قريش
بحجهم بانزجاجهم تبريهم وقولهم انه ساحر كذاب وغيره وشقاقهم اي عداوتهم لله ورسوله
بقوله بل الذين كفروا في عزة وشقاق وتقريعهم وتوبيخهم باهلاك القرون من قبلهم بقوله
كم اهلكنا من قبلهم من قرن وما ذكر فيه من تكذيبهم لمحمد صلى الله عليه وسلم في قولهم ما سمعنا
بهذا ان هذا الا اختلاق وتعجبهم مما اتى به في قولهم أأنزل عليه الذكر من بيننا والخبر عن
اجتماع ملئهم على الكفر الخبر هنا بمعنى الاخبار والملأ جماعة الاشراف والروسا وذلك انه
لما اسلم عمر شق عليهم اسلامه فاجتمعوا عند ابي طالب وقالوا له انت شيخنا وكبيرنا وقد
رايت ما فعل هولاء السفها فاقض بيننا وبين ابن اخيك فقال هو لا قومك يسالونك القصد
فلا تمل عليهم كل الميل فقال لهم ما تسالوني قالوا دعنا والهتنا وندعك والهك فقال ارايتم
ان اعطيتكم ما سالتم اتعطوني انتم كلمة واحدة تدين لكم بها العرب والعجم قالوا نعم وعشرا قال قولوا
لا اله الا الله فقاموا امشوا واصبروا على الهتكم ان هذا لشيء عجاب وما ظهر من الحسد في كلامهم
اي ما ظهر في كلامهم مما يدل على حسدهم له على ما اتاه الله في قولهم أأنزل عليه الذكر من بيننا مما
دل على اعترافهم ونفيهم بصدقه الا ان الحسد اخرس السنتهم واعمى قلوبهم وتعجيزهم حيث قال
ام عندهم خزاين رحمت ربك العزيز الوهاب ام لهم ملك السموات والارض فليرتقوا في الاسباب
فانهم لما انكروا اختصاصه من بينهم بالنبوة بين لهم انها رحمة منه يصيب بها من يشا ممن ارتضاه
من عباده فلا مانع لما اراده فانهم لا يملكون خزاينه والتصرف فيها حتى يضعوا النبوة في صناد يدهم
فان انكروا ذلك فليصعدوا الى السما وينزلوا الوحي لمن ارادوا وفي هذا غاية التهكم بهم واظهار
عجزهم وقصورهم وتوهينهم اي اظهار تضعيفهم ووهن كيدهم وتحقيرهم بقوله جند ما هنالك
مهزوم من الاحزاب اي هولاء الذين كذبوا وتحزبوا عليك جند ذو حقارة لا قدرة لهم على التصرف
في الامور الربانية ولا تكترث بهم ووعيدهم بخزي الدنيا بهزيمتهم في الاخرة بدخولهم
العذاب فيها وتكذيب الامم قبلهم اي وعيدهم بذكر من كذب من الامم قبلهم واهلاك الله لهم
بقوله كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون الى قوله فحق عقاب ووعيد هولا يعني كفار قريش
الذين كذبوا كما كذب الامم رسلهم فيحل بهم ما حل بهم مثل مصابهم منصوب بقوله وعيدهم
وتصبيره النبي صلى الله عليه وسلم على اذاهم اي امره بالصبر بقوله اصبر على ما يقولون الخ
وتسليته بكل ما تقدم ذكره من بيان ما لهم وان له فيمن تقدمه من الرسل اسوة ثم
اخذ اي شرع بعد تصبيره وتسليته في ذكر داود بقوله واذكر عبدنا داود الخ قيل لما في
قصته من تقطيع المحصنة بذكر ما صدر منه من خلاف الاولى الذي صدر منه فعوتب عليه
فاستغفر ربه وخر راكعا واناب فحاله لذلك يغيره نظرا ولحله ذكره هنا فتدبره وقصص الانبيا
بفتح القاف وكسرها كسليمان وايوب وابراهيم واسحاق ويعقوب بقوله ولقد فتنا سليمان
الخ فذكرهم الله مثنيا عليهم كل هذا المذكور في اول سورة ص مذكور في اوجز كلام واحسن نظام
على اتم ارتباط من غير خلل يزيل رونقه ويقلل ماء فصاحته ومنه اي من اعجاز القرآن وفي بعض
النسخ ومنها ويحتمل ان يريد مما ذكر في اول سورة ص الجملة الكبيرة من المعاني لقوله انا نظرت

يس

م

عليها واشتملت الكلمات القليلة بالنسبة لمعانيها وفي القلة والكثرة طباق البديع
وقيل عليه ان يحصل هذا انه ايجاز وقد تقدم ذكره غير مرة فلا حاجة لاعادة وعده وجها مستقلا
ولذا استدركه بقوله وهذا كله اي ما ذكر هنا وكثير مما ذكرنا في هذا الفصل من اوله الى هنا انه
ذكر في اعجاز القرآن مضافا الى وجوه كثيرة لم يذكرها اكثرها داخل في بلاغته واشار بقوله
اكثرها الى ان منها ما لا يدخل في البلاغة كتسهيل حفظه وان كان يرجع اليه بوجه بعيد
والا لم يعده الائمة من وجوه الاعجاز فلا يجب ان يعد فنا منفردا في اعجازه بل يجعل من توابعه
وثمراته الا في باب تفصيل فنون البلاغة فيعد فنا منها كمشاكلة اجزائه وحسن التخلص
فانه فن منفرد من البلاغة لا من الاعجاز فانه لا يتوقف عليه اذ من المعجز ما لا يكون فيه ذلك
كسورة الاخلاص مثلا وكذلك اي مثل المذكور كثير مما قدمنا ذكره عنهم اي عن الائمة يعد في
خواصه وفضائله لا اعجازه لانه لا مدخل له فيه وحقيقة الاعجاز عند من لم يقل بالصرفة
انما هي في الوجوه الاربعة التي قدمها المصنف اولا التي ذكرنا فليعتمد عليها في تحقيق الاعجاز
ويستند اليها من اراد تحقيقه وما بعدها مما ذكر في هذا الكتاب فانما هو من خواص القرآن
التي لا توجد في كلام غيره وعجائبه التي لا تنقضي اي لا تنفد ولا تتناهى وبالله التوفيق
اي ما التوفيق والهداية للوقوف على عجائبه التي لا تتناهى الا من الله وعنايته وفي بعض النسخ
والله الموفق وفي حديث قدسي من شغله قراءة القرآن ودعائي ومسألتي اعطيته
افضل ثواب الشاكرين اللهم فاجعله ربيع قلبي وشفاء همي وغمي ثم عقب معجزات القرآن التي
هي اعظم معجزاته بمعجزة اخرى عظيمة مناسبة له في انها سماوية ومعجز عليه فقال

فصل في انشقاق القمر وحبس الشمس

اي في ذكر معجزته بشق القمر وجعله فلقتين ومنع الشمس عن مسيرها للغروب كما سياتي بيانه
وهذا كان عقب قصة الاسراء وفي معناه رد الشمس الآتي في قصة علي واقتصر في الترجمة على هذا
لانهما في المعنى سواء ولما سياتي قال الله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر تدل اقتراب
الساعة عليها تخويفا لمنكري ذلك واثباتا له وتقريرا في نفوس المؤمنين اذ تنشق السموات
فيها فالقادر على ذلك الفعال لما يريد كيف لا يقدر على شق القمر واقتربت بمعنى صارت قريبة
من بعثته صلى الله عليه وسلم كما ورد في الحديث بعثت انا والساعة كهاتين واشار باصبعيه
الوسطى والسبابة لان التفاوت بينهما مقدار سبع وبعثته في الالف السابعة على ما اشتهر عند المحدثين
وغيرهم وانما كانت الساعة قريبة لان عمر الدنيا على المشهور سبعة آلاف وكسور وقيل اكثر من
ذلك وقد بعث نبينا في آخرها الفا وحيث لم يبق الا اصابعه وقوله انشق القمر اي وقع شقه
وجعله فلقتين في الماضي بمكة معجزة له اذ قال المشركون ارنا اية وهذا ما عليه جمهور المفسرين
وقيل ان المعنى سينشق في المستقبل اذا قامت القيامة وعبر بالماضي لتحققه ورده القشيري
وقالوا انه مبني على قول الفلاسفة ان الاجرام العلوية لا تقبل الخرق والالتئام ويكذبه القرآن
وقوله فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان وقوله وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر
مستمر اي دائم ومحكم من امر الحبل اذا احكم فتله وقد ثبت انشقاق القمر في الصحيحين واخبر
به جماعة من الصحابة والى هذا اشار بقوله اخبر بوقوع انشقاق القمر بلفظ الماضي واعراض
الكفرة عن آياته ومعجزاته التي لا يمكن البشر الاتيان بمثلها واجمع المفسرون واهل السنة على

وقوعه

وقوعه في الماضي وقال السبكي انه متواتر لا يجوز انكاره ورده واقول الماوردي ان الجمهور
على خلافه وتاويل بمعنى سينشق فانه لو وقع لم يبق احد الا رآه ولم يعتد المصنف بهذه المقالة
وهي لا تخرق اجماع السلف من اهل السنة وعطاء ليس من اهل التفسير بل من اهل التاويل عنده الا ان
بعضهم نظر في حكايته بالاجماع بان السجاوندي والنسفي قالا في تفسيريهما انه منقول عن الحسن
البصري وكذا قال ابو الليث في تفسيره ان معناه سينشق وعزاه بعضهم للجمهور ومن الغريب ما حكي
عن بعض شروح المدونة ان فلقة منه نزلت لجيبه وخرجت من كمه صلى الله عليه وسلم ولما
ارسل ابو بكر بن الطيب رسولا لملك الروم بقسطنطينية وقيل له انه اجل علماء الاسلام احضر
بعض بطارقته لمناظرته فقال له تزعمون ان القمر انشق لنبيكم فهل للقمر قرابة منكم حتى ترونه
دون غيركم فقال وهل بينكم وبين المائدة اخوة اذ رأيتموها ولم ترها اليهود واليونان والمجوس
الذين انكروها وهم في جواركم فافحم ولم يحر بنت شفة اخبرنا الحسين بن محمد الغساني الجياني
تقدم مفصل ترجمة الحافظ من كتابه لا بقراءته عليه حدثنا القاضي سراج بن عبد الملك ابو محمد
السابق ترجمته ثنا المروزي تقدم بيان نسبته ثنا الفربري تقدم بيانه وضبطه ونسبته
ثنا البخاري الامام المشهور حدثنا مسدد عبد الملك بن عبد العزيز الاشعري ومسدد
بوزن اسم المفعول لقب له كمسرهد وهو مسدد بن مسرهد بن مسربل بن مغربل بن مرعبل بن ارندل
بن سرندل بن عرندل بن ماسك بن المستورد محدث البصرة وقال ابو نعيم لو كان في اول هذه
التسمية بسم الله الرحمن الرحيم كانت رقية للعقرب وهو امام حافظ روى عنه اصحاب السنة
وتوفي سنة ثمان وعشرين ومائتين ثنا يحيى بن سعيد بن ابان الاموي الحافظ اخرج له
اصحاب السنة وتوفي سنة اربع وتسعين ومائة وسنة ثمانين وترجمته في الميزان عن شعبة
ابن الحجاج العتكي الحافظ امير المؤمنين في الحديث كما تقدم وسفيان ابن عيينة ابو محمد الهلالي
الكوفي احد الاعلام الذي اخرج له الستة وتوفي سنة ثمان وتسعين ومائة كما تقدم والاعمش
سليمان بن مهران السابق ترجمته عن ابراهيم النخعي السابق ترجمته عن ابي معمر الازدي
الكوفي وهو بفتح الميمين وسكون العين عن ابي مسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم اي في زمنه وحياته والعهد ياتي بهذا المعنى كما في القاموس وغيره
وذكره النووي على من يقول انه سيكون بعد يوم القيامة فرقتين بكسر الفاء وسكون الراء المهملة
بمعنى قطعتين والمراد نصفين وانتصابه على المصدر من معنى انشق كقعد جلوسا او بتقدير
وافترق فرقة فوق الجبل وفرقة دونه بالنصب بدل من فرقتين والجبل حراء او ابو قبيس
وفوق بمعنى رفعه ونصبه ودونه بمعنى في تلقائه منفصلا عنه لا تحته كما قيل لما سياتي
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا وانما قال ذلك لان المشركين اجتمعوا اليه
صلى الله عليه وسلم فقالوا ان كنت صادقا فشق لنا القمر فرقتين فقال لهم ان فعلته تؤمنون
قالوا نعم فسال ربه ان يعطيه ما قالوا فانشق القمر فرقتين ورسول الله ينادي يا فلان يا فلان
اشهدوا وذلك بمكة قبل الهجرة رواه ابن الجوزي في الوفا عن ابن عباس وقال لانه ليلا في
وقت الغفلة اي اشهدوا على معجزتي ونبوتي ووقوع ما طلبوه لانهم اهل بهتان وجحد
وفي صحيح مسلم انه انشق مرتين قال ابن القيم في كتاب اغاثة اللهفان المرات يراد بها الافعال
تارة والاعيان اخرى واكثر ما تستعمل في الافعال واما في الاعيان فكقوله في الحديث انشق
القمر مرتين اي فلقتين ولما خفي هذا على بعضهم زعم ان الانشقاق وقع مرة بعد مرة وفي رواية

مجاهد التي رويت عن ابن مسعود وفي الصحيحين ونحن مع النبي صلى الله عليه وسلم
جملة حالية تفيد انه شاهد ذلك ولم يسمعه من غيره وفي بعض طرق الاعمش كما رواه احمد
في مسنده بزيادة قوله بمنى منون وغير منون اسم بقعة معلومة سميت بها لكثرة ما يمنى بها من
الدم اي يراق ويقال لها المنازل ايضا ويقال نزلوا اذا اتوا منى قال

انازلة اسماء ام غير نازله • قال ابن هشام اللخمي في شرح المقصورة واختلفت الروايات
فقيل بمكة وقيل بمنى وفي اخرى رئي حراء بينهما وقيل شقة منه على ابي قبيس واخرى على السويدا
والذين طلبوا ذلك منه الوليد بن المغيرة وابو جهل والعاص بن وايل والعاص بن هشام
والاسود بن عبد يغوث والاسود بن عبد المطلب ونظراؤهم وهذه الروايات في محلها لا تنافي
بينها لان كل راء رأى القمر بازاء مكان رؤيته ورواه ايضا عن ابن مسعود الاسود بن يزيد
بن قيس بن عبد الله بن علقمة بن سلامان ولم يعينه المصنف لشهرته وهو من كبار التابعين
معروف بالرواية عن ابن مسعود وهو من المعروفين بالزهد وكثرة العبادة توفي في سنة خمس
وسبعين وقال اي ابن مسعود حتى رايت الجبل يعني جبل حراء بين فرجتي القمر اي فلقتيه
وقطعتيه لبعد ما بينهما وهو بضم الفاء وفتحها والضم اولى لان فعله بالفتح للمرة وبالكسر للهيئة
وبالضم للمقدار الحاصل كالغرفة للمغروف والفرجة الفضا ما بين الشيئين كما يجوز به عن المنفرج نحو
اذ الظاهر بين القطعتين المنفرجتين وقصة ابي عمرو مع الحجاج في قراءته غرفة وسماعه من العرب

ربما ضاقت النفوس من الامر له فرجة كحل العقال •

مشهورة ورواه اي ما ذكر عنه اي عن ابن مسعود كما ذكره البيهقي في الدلايل عن مسروق بن
الاجدع الهمداني الكوفي من كبار التابعين تقدمت ترجمته وانه توفي في سنة ثلاث وستين انه
اي الشق او ابن مسعود وراه كان بمكة فقال كفار قريش سحركم ابن ابي كبشة يعنون النبي
صلى الله عليه وسلم قال ابن حجر هو احد اجداد النبي صلى الله عليه وسلم فقيل هو جد وهب جد النبي
لامه وقيل عليه ان ام وهب اسمها عاتكة بنت الاوقص بن مرة بن هلال ولم يقل احد من النسابين
ان الاوقص يكنى بابي كبشة وقيل هو جد عبد المطلب لامه وتعقب ايضا بان ام عبد المطلب سلمى
بنت عمرو بن زيد الخزرجي ولم يقل احد انه عمرا يكنى بابي كبشة ايضا وقيل انه ابوه من الرضاعة وهو
الحارث بن عبد العزى وله بنت تسمى كبشة كني بها وذكر ابن حبيب ان له اجدادا من قبل امه يكنون
بذلك وانما قالوه لان من عادتهم اذا انتقصوا احدا نسبوه لجد غامض له وفي النهاية انه رجل من خزاعة
خالف قريشا في عبادة الاوثان وعبد الشعرى العبور فلما خالفهم النبي ولم يرض آلهتهم شبهوه
به في ذلك وفي القاموس انها كنية وهب بن عبد مناف او كنية عم والد حليمة السعدية مرضعته
وعلى كل حال ارادوا بهذا تنقيصه زاده الله شرفا فقال رجل منهم اي من كفار قريش قيل انه
ابو جهل ان محمدا ان كان سحر القمر حين شقه او خيل لكم شقه فانه لا يبلغ اي لا يصل سحره من سحره
ان يسحر اهل الارض فسلوا من ياتيكم من بلد آخر غير مكة هل راوه اي القمر او شقه او الامر
الذي وقع فاتوا اي اتوا من قدم على اهل مكة من غيرها فسالوا اي سالوهم هل راوا ذلك
فاخبروهم لما سالوهم انهم راوا مثل ذلك اي مثل رؤيتهم فالتشبيه بين الرؤيتين والمرئي
واحد وهو القمر المنشق وحكى السمرقندي تقدمت ترجمته عن الضحاك نحوه اي مثل الحديث
الذي ذكره اولا وقال اي الضحاك فيما رواه فقال ابو جهل لقريش لما شاهدوا انشقاق القمر بعد
ما سالوه فابعثوا الى اهل الآفاق بالمد جمع افق بضمتين او ضم فسكون وهو هنا بمعنى الناحية

وما ظهر

وما ظهر من الفلك ومطلع الشمس كما بينه علماء الهيئة وهو الفلك الافق الحقيقي والافق
الغير الحقيقي له احكام اخر والمعنى ارسلوا ناسا لمن جاوركم من البلاد ليسالوا من بها حتى
ينظروا اي يعرفوا ارأوا ذلك ام لا الهمزة استفهامية وفي نسخة هل راوا او شاهدوا امثال ما
رآه اهل مكة ام لم يروه لانه مثل لهم امر لم يقع وفي نسخة حتى ننظر هو بين فاخبر اهل الآفاق
انهم راوه اي القمر حال كونه منشقا والفا فصيحة اي فسالوهم فاخبروا فقالوا يعني الكفار
هذا سحر مستمر اي دائم باق ذاهب على حاله الذي غيره نهاية من المرور او محكم قوي من امرار الحبل وهو
شدة فتله وقال ابو عبيدة معناه باطل وهو بعيد بحسب اللغة وانما قالوا استمر لان هذا اشارة
الى ما صدر قبله من الايات المتتابعة يقفو بعضها اثر بعض كما اشار اليه القاضي ولولا هذا لم يات
ما قالوه فان انشقاقه لم يستمر بعد الليلة التي وقع فيها وهذا يكون اشارة للشخص وللنوع كما حققه
النحاة ورواه ايضا عن ابن مسعود علقمة بن قيس بن مالك النخعي الفقيه الكبير التابعي الجليل
ولد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وتوفي سنة اثنين وستين والرواية عنه مشهورة في الكتب
الستة فهؤلاء الاربعة يعني مجاهد والاسود ومسروق وعلقمة كلهم رووه وهذا الحديث
عن عبد الله ابن مسعود ثم ذكر له طريقا آخر فقال وقد رواه غير ابن مسعود كما رواه ابن مسعود
وقدم حديث ابن مسعود وجعل رواية غيره كالمتابع له لانه لم يرو احد حديث الانشقاق رواية
سندها في غاية الصحة واعتمدها الايمة غيره وهي مما اتفق عليه الشيخان واحمد بن حنبل وابن الصلاح
وغيرهم رجحوا ما اتفق عليه الشيخان على غيره وقال انه مقطوع بصحته منهم اي ممن رواه غير ابن
مسعود واعاد ضمير الجمع نظرا للمعنى انس وابن عباس وابن عمر وحذيفة وعلي وجبير بن مطعم
وهذه الروايات كلها في الكتب الستة وغيرها مخرجة فرواية انس وابن عباس في الصحيحين ورواية
ابن عمر في صحيح مسلم والترمذي ورواية حذيفة بن اليمان في الدلايل وغيرها ورواية ابن مطعم
بكسر العين في مسند احمد والبيهقي ولذا قال فقال علي من رواية ابي حذيفة الارحبي واسمه
سلمة بن صهيب على الاصح نسبة لارحب حي من همدان بهمزة مفتوحة وراء مهملة ساكنة وحاء مهملة مفتوحة
وباء موحدة قبل يا النسبة وهو من الثقات المشهورين انشق القمر ونحن مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم والجملة حالية وضمير نحن لعلي ومن كان معه لا لمن تقدم وعن انس خادمه صلى الله عليه وسلم
وحديثه من مرسل الصحابة لان الحادثة وهو لم يسلم اذ ذاك وهذا من جملة مرجحات حديث ابن مسعود
سال اهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم آية معجزة غير ما راوه وفي الرواية المتقدمة انهم سالوه
ان يشق لهم القمر فاراهم انشقاق القمر فرقتين بكسر الفاء وسكون الراء وفي رواية فلقتين باللام
بدلها وهما بمعنى قطعتين ونصفين كما مر حتى راوا حراء بينهما اي بين القطعتين وما زايدة
للتاكيد وحرا بكسر الحا المهملة والرا المهملة وهمزة ممدودة وتفتح هاوه مع القصر وهو جبل بمكة
معروف كان صلى الله عليه وسلم يتعبد فيه كذا قاله الكرماني وقال انه يذكر ويونث ويصرف
ولا يصرف وهذا مما ذكره غيره من اهل اللغة اذا عرفت هذا فما قاله الخطابي انهم يغلطون في حرا
ثلاث غلطات يفتحون حاءه وهي مكسورة ويقصرونه وهو ممدود ويميلونه وهو لا يمال شيء لا اصل
له الا قلة النظر في كتب اللغة رواه عن انس قتادة وفي رواية معمر وغيره عن قتادة عنه
اي عن انس اراهم القمر مرتين انشقاقه بالنصب بدل من القمر بدل اشتمال وفي تقديم مرتين في
هذه الروايتين دليل على ما قلناه من ان التعدد في الاراءة لا في الانشقاق وانه مرتين كما ذهب
اليه من نظر لظاهر هذه الرواية وان ما قيل من ان اصل المراة في الازمان والافعال وانه قد

تكون في الاعيان والاول اكثر وهذا من قبيل الثاني فمعناه وصار فرقتين فلقتين واحدة
وان هذا خفي على من قال ان الانشقاق وقع مرتين وهو لم يقع الامرة بلا اختلاف فيه
ودعوى الحافظ العراقي في منظومته الاجماع على تعدده سهو منه في غفلة عما ذكر لدعواه
تواتره فيه ومما قيل من انه كان مرة بمكة ومرة بحرا وهو على ثلاثة اميال من مكة في طريق
الذاهب لمنى وانه يدل على تعدد الازمان والا لزم التناقض في هذه الروايات وهي كلها
صحيحة ولا يمكن عادة ان يكون الناس الذين رواه في ذلك الوقت في هذه الامكنة الثلاثة
وقد قالوا ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا مما يقطع بتعدد الازمنة والامكنة
وليس بشيء فانهم اذا راوه بمكة شاهدوا وقوع قطعة منه خلف حرا واخرى امامه من بعد
وبالنظر تسمته من الافق وان لم يكونوا ثمة كما مر ولا يخفى بعد كونه من ذكر من كبار الكفرة فعله
لتلاوة بحرا وغيره من جبال مكة وبراريها فالذي يحرر في الجمع بين هذه الروايات انه تباعد
ما بين الفلقتين جدا فيكون اظهر في دفع الانكار فانه لو تقارب لقال هولاء الحول العقول
انه من غلط الحس فلما اشهدهم النبي على ذلك اشار مرة الى فلقة منه وقال اشهد يا فلان ويا فلان
ثم اراهم مرة اخرى فلقة اخرى وقال اشهدوا وكل هذا كان ليلا بمكة والقمر يرى في وسط
السما بحذاء حرا وبحذاء غيرها من الجبال والاماكن البعيدة فلا تعدد في الشق ولا تنافي بين
الروايات ولا مطعن في شيء منها وهذا ان شا الله مما لا ينبغي العدول عنه فان القول بان الحركات
في الاعيان لا صحة له في اللغة واستعمال الناس فلو قطع انسان بطيخة قطعتين دفعة
واحدة وقال قطعتها مرتين كذب به سمعه واستهزاء به فعليك بالنظر الحديث وان تطرح من
حيث فكره على التقليد **فنزلت اقتربت الساعة وانشق القمر** مؤيدا المعجزاته ولهذا
تقوى الحديث وصار كالمتواتر وتاويله بانه سينشق اذا قامت القيمة يا باه قوله بعده وان يروا
اية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر كما لا يخفى على من له نظر سديد **ورواه عن جبير بن مطعم بحمل**
وابن ابنه جبير بن محمد رواه عن ابيه عن جده وجبير الثاني روى عنه ابو داود حديثا واحدا
قال البرهان ولا اعلم له تجريحا ولا توثيقا وورد بان ابن حبان ذكره في كتاب الثقات **ورواه**
عن ابن عباس عبيد الله بن عبد الله بن عتبة الامام الجليل القدر احد الفقها السبعة وهو
ثقة مامون خرج له اصحاب الكتب الستة وتوفي في سنة ثمان وتسعين ومايه **ورواه عن ابن**
عمر مجاهد بن جبير وقد قدمنا ترجمته **ورواه عن حذيفة ابو عبد الرحمن السلمي** بضم السين وفتح
اللام وهو ابو عبد الرحمن عبد الله بن حبيب الامام المشهور مقري الكوفة وحافظ السنة توفي
سنة ثلاث وسبعين تقريبا وخرج له الايمة الستة **ومسلم بن ابي عمران الازدي** البصري
وهو ابو عبد الله المعروف بالبطين نسبة للازد بسكون الزاي المعجمة ويقال لها الاسد بالسين
ايضا اسم قبيلة عظيمة والازد اسم جدهم الاعلى وهم حي باليمن واليهم ينتهي نسب الانصار **واكثر**
طرق هذه الاحاديث صحيحة الطرق هي الاسانيد والرواة تسمى طرقا لوصول الحديث الينا
منها وعبر بالاكثر اشارة الى ان في بعضها ضعفا وقيل مراده بالصحيح هنا ما يقابل الحسن فكلها
صحيحة مع التفاوت فيها والاية مصرحة بما في الحديث من الانشقاق وفيه اشارة لما قلناه من
ان فيها ما يمنع التاويل الذي جوزه بعضهم ولا يلتفت الى اعتراض مخذول واصل معنى المخذول
من ترك النصرة والاعانة ثم قيل لكل من لم يكن على الحق وطريق الهداية والمراد به من انكر هذا
بقصد الطعن في المعجزة لا من اول الاية بخلافه فانه ذهب اليه بعض المفسرين لا انه ايضا

لايليق القول به ايضا **بانه لو كان هذا** الانشقاق **لم يخف على اهل الارض** كلهم **اذ هو شيء ظاهر**
لجميعهم تعليل لقوله لم يخف **اذ لم ينقل الينا عن اهل الارض انهم رصدوه تلك الليلة**
اي ترقبوه ونظروا الى مطلعه والرصد الترقب ومنه اخذ الرصد المعروف عند المنجمين فهو منقول
منه وليس بمعنى لغوي **فلم يروه انشق** راي هنا بصرية وانشق حال اي وقد انشق ولا يلزم
ان يعرفوا انه سينشق في تلك الليلة فيرصدوه كما قيل بل يكفي فيه سماعهم له من النبي صلى الله
عليه وسلم فيرصدوا واما وعدهم به ليعرفوا حال خبره وهو ظاهر واذا الثانية تعليل لعدم الانشقاق
ثم اجاب بجواب آخر على فرض تسليم ما ذكر فقال **ولو نقل** بالبنا للمجهول **الينا** انهم رصدوه فلم
يروه انشق **عمن لا يجوز تمالؤهم على الكذب** اي طايفة من اهل الارض لا يجوز اجتماعهم على الكذب
في خبرهم **لكثرتهم** من الملا وهم الجماعة المجتمعون المتفقون على امر واحد لانهم يملؤون مكانا اجتماعا
لما اللام جواب لو وما نافية فيهما مخففة **كانت علينا به حجة** اي لم يكن ما اجتمعوا عليه حجة
ودليلا يقوم على عدمه ووقوعه فعلينا مقدم من تاخير متعلق بحجة لتوسعهم في الظرف **اذ ليس**
القمر في حد واحد الحد الوصف المميز للشيء ماخوذ من الحد بمعنى الحاجز ومنه حدود الدار اي
اي ليس القمر على حال واحد **لجميع اهل الارض** اي عند جميعهم لاختلاف احواله لاختلاف
مطالعه بالنسبة لبعضهم دون بعض فقد يطلع في ليلة في بعض البلاد دون بعض كما بينه علماء
الهيئة فقد يكون ليلة انشقاقه طالعا بمكة دون غيرها فلو قال غيرهم لم نره انشق في تلك
الليلة لم يكذبوا ولذا قال المصنف **فقد يطلع على قوم قبل ان يطلع على اخرين** ولذا لو شهد
اهل بلد برؤية هلال رمضان لم يلزم غيرهم صومه كما قرره الفقهاء **وقد يكون من راى القمر من قوم**
بضد ما هو من مقابلهم من اقطار الارض جمع قطر بضم فسكون وهو الناحية كالطلوع في بعض
والخفا في بعض **او يحول** بالحا المهملة اي يكون حايلا مانعا من رؤيته **بين قوم وبينه سحاب**
او جبال شاهقة فلا يرونه مع رؤية غيرهم له **ولهذا** اي لكونه ليس على حال واحد في جميع
الاقطار **نجد الكسوف في بعض** من البلاد **دون بعض منها** والكسوف معروف وهو كون جرم
القمر غير مضيء مسود لحيلولة الارض بيننا وبينه كما بين في محله **وفي بعضها جزئية وفي**
بعضها كلية والكسوف الجزئي كسوف جزء منه والكلي كسوف جميع جرمه لنسبته للجزء والكل
وفي بعضها لا يعرفها الا المدعون لعلمها اي في بعض البلاد يعرف الكسوفات بعض الناس
الذين يعرفون علم الهيئة دون غيرهم ممن لا يعرفونه كالكسوف تحت الارض فانه يقع كثيرا عند
وتترتب عليه احكامه وغيرهم لا يعلمها بل لا يقدر على تصورها وعبر بالادعا اشارة الى ان مثله
ليس بثابت عن علما الشريعة وليس المراد به اختلاف المطالع كما قيل وما ذكره المصنف بناء على ان الكسوف
يكون في القمر فلا يرد عليه ما قيل من ان الصواب ان يقول الخسوف قال الراغب الخسوف للقمر
والكسوف للشمس وقال بعضهم الكسوف فيهما اذا زال بعض ضوءهما والخسوف اذا ذهب كله يقال
خسفه الله وخسف هو انتهى وقد يستعمل كل منهما بمعنى الاخر مطلقا وعليه الاستعمال في عرف
التخاطب وعليه مشى المصنف فلا اعتراض عليه وله تفصيل ليس هذا محله **ذلك تقدير العزيز العليم**
اي سير القمر واحواله من الكسوف وغيره كله بقدرة الله الغالب بقدرته على كل مقدور والمحيط
علمه بكل معلوم لا كما تقول الفلاسفة من انه بقوة فلكية لاحكام نجومية لا يمكن تخلفها وقيل انه
وقع في اصل الحكيم بدل العليم وان صوابه العليم لانه الموافق للتلاوة واعتذر له بانه
لم يرد الاقتباس من القرآن ولذا لم يقل قال الله تعالى والذي رايناه في النسخ العليم **واية القمر**

الهوامش: هر · لتعات · عصو · هم · لايعرفوا · لـ

كانت ليلة اي الآية والمعجزة بانشقاق القمر وقعت في الليل قال الخطابي الحكمة في
ذلك ان من طلبها قريش فاراد الله وقوعها ليلا ولو ارادوا وقوعها لتكون محسوسة لكل احد
فملوا ذلك ولكن الله جرت عادته باهلاك كل امة اتاها نبيها باية عامة يدركها الحس اذا لم
يؤمنوا بها فخص الله هذه الامة برحمته فجعل آية نبيها على حال لا يقتضي اهلاكها والعادة من الناس
بالليل اي فيه الهدو والسكون عطف تفسير اي النوم وعدم الحركة كما قال جعل الليل سكنا والهدو
بهمزة بعد الواو ويجوز ابدالها واوا وادغام وايجاف الابواب اي اغلاقها بكسر الهمزة وسكون المثناة
التحتية وجيم وفاء واصل معناه الاسراع في السير فاستعمل هنا في الاغلاق لانه مما يسارع اليه عند
الحاجة لاسيما ليلا وهو مجاز شايع فما قيل انه لم يوجد في كتب اللغة فلعله هنا وجف
بمعنى اضطرب والهمزة فيه للسكت لان بغلق الابواب يزول الاضطراب تكلف لا داعي اليه ومن يغلق
بابه ولا يخرج من بيته لا يرى القمر فكني به عن ذلك ومنع التصرف والنظر فضلا عن رصد النجوم وكل
هذا مبالغة في ان هذا امر لا يستبعد ولا يكاد يعرف من امور السما شيا الا من رصد ذلك
الا من تقيد بالنظر اليه وترقبه ليلا واهتبل به اي بذل جهده واعتنى غاية الاعتنا من قول العرب
اهتبل الصيد اذا طلبه من مظانه وهو متعد بنفسه عداه المصنف بالبا لانه ضمنه معنى الاعتنا
ولذلك اي لكونه امرا ليليا في زمان غفلة ونوم ما يكون الكسوف القمري كثيرا في البلاد وما
زايدة لتحصيل الكلام وقيد بالقمري بناء على شموله للشمسي والقمري واحترز عن الشمسي لظهوره هـ
واكثرهم لا يعلم حتى يخبر الناس بوقوعه وكثيرا ما منصوب على الظرفية او المصدرية وما مزيدة للتاكيد
ما يحدث الثقات بعجايب يشاهدونها من انوار بيان للعجايب والنور على ظاهره لانه قد يحدث
في الجو نور زايد على ما عهد او المراد به شعل نارية كذوات الاذناب التي تمر في الافق في بعض
الليالي وينسب لها امور تذكر في كتب الملاحم ونجوم طوالع عظام تظهر كل الاحيان بالليل
ولا علم عند احد منها لانها تستتر تحت الارض حتى تقطع درجات في دايرها وتصل الى ما فوق الارض
فتظهر بعد الخفا وهو مشاهد كثيرا مفصل في فنه وخرج الطحاوي حديث بسنده من الكتب المعتمدة
ومسانيد الايمة المحدثين وبيان صحته وغيرها والطحاوي بفتح الطا والحا المهملتين والف وواو
بعدها يا نسبة منسوب لطحا قرية من قرى مصر وهو الامام الجليل القدر المحدث ابو جعفر احمد بن محمد
بن سلمة بن عبد الملك بن سلمة بن سليم الازدي ثم المصري الحنفي لا المالكي كما قيل ولد سنة
تسع وثلاثين ومايتين وتوفي ليلة الخميس مستهل ذي القعدة سنة احدى وعشرين وثلثمائة
وكان شافعيا من تلامذة المزني ثم تحنف وانتهت اليه رياسة الحنفية بمصر وله تاليف جليلة هـ
في مشكل الحديث هو كتاب جليل له في الحديث اشتهر بالآثار عن اسما بنت عميس مصغر وهي
زوجة ابي بكر الصديق وترجمتها مشهورة وكانت اولا زوجة جعفر بن ابي طالب من طريقين سندين
مختلفين في رواية هذا الحديث عنها ورواه الطبراني باسانيد مختلفة رجال اكثرها ثقات وهذا
الحديث في رد الشمس وحبسها لعلي كما سياتي قال ابن الجوزي انه موضوع بلا شك ورواياته مضطربة
وفي رواته رجال متهمون بالكذب والوضع كاحمد بن داود فان الدارقطني وابن حبان قالا انه
كذاب متروك الحديث وضاع وعمار بن مطر متروك ايضا ذكره الذهبي في الميزان وذكر كلام الناس
وانه روى حديث رد الشمس ونقضه بما روي عن ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال لم ترد الشمس
الا على يوشع بن نون وفي طريقه الثاني فضيل بن مرزوق وقد ضعفه يحيى وقال ابن حبان انه يروي
في الموضوعات وهذا الحديث باطل قال ابن الجوزي ولا اتهم فيه الا ابن عقدة فانه رافضي يحدث

٤٢١

بمثالب الصحابة وقد رواه ابن مردويه من حديث داود بن فراهيج عن ابي هريرة قال نام
رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجر علي ولم يكن اي علي صلى العصر حتى غربت الشمس فذكر نحوه
وداود ضعيف ضعفه شعبة قال ابن الجوزي ومن غفلة واضعه انه نظر الى فضيلته صورة
ولم يلمح عدم الفايدة فيها فان صلاة العصر بغيبوبة الشمس صارت قضاء ورد الشمس ورجوع
الشمس لا يفيد وقد ذكر ابن تيمية الحديث في كتاب رد الروافض بطرقه وما فيه واطال فيه
قلت طالعته ورايت ما ذكره فيه من ان ذلك كان مرتين وانشد فيه شعرا للحميري ان النبي
صلى الله عليه وسلم عليه كان يوحي اليه مرة بالصهبا وراسه في حجر علي جملة حالية والحجر مثلث
الحاء المهملة فجيم ساكنة وراء مهملة بمعنى الحضن وهو معروف والاظهر ان المراد انها كانت
موضوعة على ركبته وهو نايم فلم يصل علي صلاة العصر حتى غربت الشمس وغابت فانتبه فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي اصليت يا علي بهمزة الاستفهام وفي نسخة هل صليت فقال
لا اي لم اصلها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انه كان في طاعتك وطاعة رسولك
لانه لم يزعج رسول الله من منامه وانتظر تيقظه فاردد عليه الشمس اي اعدها لمكانها الذي غربت
منه ليصلي الصلاة في وقتها يقال اردد ورد بالفك وبالادغام وهو دعاء وقد سمعت ما قاله
ابن الجوزي انه لا فايدة فيه بعد ما صارت قضاء شرقها منصوب اي في محل شروقها وفي رواية
شروقها وهذا في بعض النسخ وهو بفتح الراء وسكونها وهو بدل من الشمس ومنصوب على الظرفية ومعناه
ضوؤها او ارتفاعها على الحيطان او انبساطها على الارض وقيل انها انما حبست ومنعت من الحركة حتى
يؤدي الصلاة في وقتها وينافيه قوله فقالت اسما فرايتها غربت ثم رايتها طلعت بعد ما غربت
ووقفت على الارض والجبال وذلك بالصهبا في خيبر في القاموس قلعة بقرب خيبر وكذا
قال الدغيري فمعنى قوله في خيبر مسامحة او فيه مضاف مقدر اي في قربها وخيبر بزنة صيقل ارض
بقرب المدينة فيها قلاع وقرى كانت مساكن اليهود ثم خربت هـ

ورد الشمس والشروق عليه • لعلي حتى يتم الاداء
ثم ولت لها صرير وهذا • لفراق له الوصال دواء

وهذان الحديثان ثابتان رواية واكثر رواتهما ثقات جعلهما حديثين والمذكور حديث
واحد بسندين لانه روي من طريقين كما مر ذكره واعترض عليه بعض الشراح وقال انه موضوع ورد
ورجاله مطعون فيهم كذابون ووضاعون ولم يدر ان الحق خلافه والذي غره كلام ابن الجوزي
ولم يقف على ان كتابه اكثره مردود وقال خاتمة الحفاظ السيوطي والسخاوي ان ابن الجوزي في
موضوعاته تحامل تحاملا كثيرا حتى ادرج فيه كثيرا من الاحاديث الصحيحة كما اشار اليه ابن الصلاح
وهذا الحديث صححه المصنف واشار الى ان تعدد طرقه شاهد صدق على صحته وقد صححه قبله كثير
من الايمة كالطحاوي واخرجه ابن شاهين وابن منده وابن مردويه والطبراني في معجمه وقال
انه حسن وحكاه العراقي في التقريب ولفظه انه صلى الله عليه وسلم صلى الظهر بالصهبا ثم
ارسل عليا في حاجة فرجع وقد صلى النبي صلى الله عليه وسلم العصر فوضع راسه في حجر علي فنام
ولم يحركه حتى غربت الشمس فقال صلى الله عليه وسلم اللهم ان عبدك عليا انما احتبس نفسه على نبيه
فرد عليه الشمس الى آخره وانكار ابن الجوزي فايدة ردها مع القضا لا وجه له فانها فاته بعذر
مانع عن الاداء وهو عدم تشويشه على النبي صلى الله عليه وسلم وهذه فضيلة فلما عادت الشمس حاز
فضيلة الاداء ايضا وقال ابن حجر في شرح الارشاد لو غربت الشمس ثم عادت عاد الوقت ايضا لهذا

بت

وانه

ح

الحديث واما حديث ان الشمس لم ترد الا ليوشع حين قاتل الجبارين يوم الجمعة فلما ادبرت الشمس خاف ان تغيب الشمس ويدخل السبت فلا يحل له قتالهم فدعا الله فرد عليه الشمس حتى فرغ من قتالهم فقد اجيب عنه بانه قاله قبل قصة خيبر او المراد انها لم ترد لاحد من الامم السالفة فالحصر اضافي مع انه نقل ابن حجر عن المصنف في الاكمال ان الشمس حبست لنبينا صلى الله عليه وسلم في الخندق حين شغل عن صلاة العصر حتى ادركها اداء وما روي انه قضاها بعد ما غربت الشمس لعله كان في يوم آخر و في تفسير البغوي والكواشي والثعلبي ان الشمس ردت لسليمان ايضا و روي عن علي وضعفه ردوها على الشمس في الآية للتعليم وان لم يجر لها ذكر واقول ان السيوطي صنف في هذا الحديث رسالة سماها كشف اللبس عن حديث رد الشمس وقال انه سبق بمثله لابي الحسن الفضلي او سرد طرقه باسانيد كثيرة وصححه بما لا مزيد عليه ونازع ابن الجوزي في بعض من طعن فيه من رجاله والحاجة التي ارسل لها علي قسمة غنائم خيبر وما ذكر من الحديث المعارض له ما يعارضه وهو انه لم يكن لنبي معجزة الا وكان لنبينا مثلها وهذه المعجزة كانت ليوشع ولسليمان ومن غريب طرقه ما رواه الطبراني في الكبير عن اسما ايضا قالت اشتغل علي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في قسمة الغنائم يوم خيبر حتى غابت الشمس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا علي اصليت العصر قال لا يا رسول الله فتوضا رسول الله وجلس في المسجد وتكلم بكلمتين او ثلاثة كانها من كلام الحبش فارتجعت الشمس كهيئتها في العصر فقام علي فتوضا وصلى العصر ثم تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل ما تكلم به قبل ذلك فرجعت الشمس الى مغربها فسمعت لها صريرا كالمنشار في الخشبة وطلعت الكواكب انتهى واذا صح الحديث علم ان الصلاة ليست بقضاء بل يتعين بهذا الدعا الاداء والا لم يكن له فائدة فما اورده وارد عليه ولا حاجة الى ان يقال انه من خصائصه فانه لا يقع مثله حتى يقاس عليه وقد يقال نظيره على القول باختلاف المطالع ما لو صام اول يوم من رمضان ببلده ثم سافر وافطر ووصل لبلد فيه الشهر ناقص وعلم انه تم ببلدته فلم يلزمه قضاؤه تماما ام لا **وحكى الطحاوي ان احمد بن صالح** هو ابو جعفر الطبري الحافظ الثقة روى عنه اصحاب السنن وتوفي سنة ثمان واربعين ومائتين وله ترجمة في الميزان **كان يقول لا ينبغي لمن سبيله العلم** اي لمن طريقته ودابه الاشتغال بالعلم ومعرفة الحديث فجعل نفس العلم طريقا لانه يصل به صاحبه الى سعادة الدارين **التخلف عن حفظ حديث اسما** بنت عميس الذي رويته في انشقاق القمر **لانه من علامات النبوة** اي من الآيات الدالة على نبوته لانه معجزة عظيمة وهذا موبد لصحته فان احمد هذا كان من كبار ائمة الحديث الثقات ويكفي في توثيقه ان البخاري روى عنه في صحيحه فلا يلتفت لمن ضعفه وطعن في روايته وبهذا سقط ما قاله ابن تيمية وابن الجوزي من ان هذا الحديث موضوع فانه مجازفة منهما وما قيل من ان هذه الحكاية لا موقع لها بعد نصهم على وضع الحديث وان كونه من علامات النبوة لا يقتضي تخصيصه بالحفظ خلط وخبط لا يلتفت به **وروى يونس بن بكير** بالتصغير وهو ابو بكر الشيباني الامام الثقة وقول ابي داود انه ليس بحجة مردود فان ابن معين وثقه وقال انه صدوق توفي سنة تسع وتسعين ومائة وله ترجمة في الميزان **في زيادة المغازي وروايته عن ابي اسحاق** محمد بن يسار صاحب السيرة وروايته مقبولة روى **لما اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم واخبر قومه** من قريش بعد اسرائه **بالرفقة والعلامة التي في العير** بكسر العين وهي الابل والرفقة جمع رفيق مثلث الراء اخبرهم بما فيها ومن فيها من الجماعة المترافقين والعلامة هي قوله انه يقدمها جمل اورق على ما فصل واشتهر في السير **قالوا متى يجيء** جواب لما اي في اي يوم تصل لمكة وسؤالهم لامتحانه **قال يوم الاربعا** بتثليث الباء والمد اي يجيء يوم الاربعا **فلما كان**

ذلك

ذلك اليوم يوم الاربعا بالرفع والنصب والاول اولى لانه نعت فاعل كان التامة بمعنى وجد واشرفت قريش ينظرون بشين معجمة وراء مهملة اي قامت على شرف وهو المكان المرتفع وينتظرون حاله او مستانفا اي يترقبون قدوم عيرهم وقافلتهم في اليوم الموعود **وقد ولى النهار** اي قارب ذلك اليوم وهو يوم الاربعا ان يتم ويدخل الليل بغروب الشمس فيه ولم تجي العير وتصل اليهم في المكان الذي وقفوا فيه لانتظارها **فدعا رسول الله** اي سال ربه وتضرع له ان يمد ذلك اليوم حتى تجي العير قبل انقضائه **فزيد له في النهار ساعة** وذلك انه **حبست له الشمس ساعة** اي امسكها الله بقدرته وعوقها عن سيرها المعتاد مقدار ساعة حتى قدمت العير قبل غروبها في ذلك اليوم وقد تقدم انها حبست له في الخندق ايضا وفي سيرة مغلطاي نقلا عن الخطيب في كتاب النجوم انها حبست له اولا ايضا وقال انه رواية ضعيفة وذكر البغوي في سورة ص انها حبست لسليمان حين عرض الجياد تنبيه الذي ذكر هنا من حبس الشمس وان العير قدمت بعد العصر قبيل الغروب ينافيه ما ورد من انها قدمت صباحا وعليه اقتصر المفسرون كالزمخشري والبيضاوي في اول سورة الاسرا وهو انه لما رجع من الاسرا فقعد حزينا لعلمه بتكذيبهم له فمر به ابو جهل وقال له مستهزئا هل استفدت من شي قال نعم اسري بي الليلة الى بيت المقدس قال ثم اصبحت بين ظهرانينا قال نعم قال اتحدث قومك بهذا قال نعم فنادى هلموا فانفضوا اليه حتى جلسوا اليهما فقال حدثهم بما حدثتني به فقصه عليهم فمن بين مصفق وواضع يده على راسه تعجبا للكذب على زعمهم وارتد ناس وسعى بعضهم الى ابي بكر وقال هل لك في صاحبك يزعم انه اسري به الخ قال قالوا نعم قال فقد صدق واني لاصدقه فيما هو اعظم من ذلك من اخبار السماء فسمي لذلك الصديق وكان فيهم من راى المسجد الاقصى فقالوا هل تستطيع ان تنعته لنا قال نعم فنعته لهم ثم غلبه بعض امره فجيء بالمسجد الاقصى ووضع دون دار عقيل فنظره ونعته فقالوا اما النعت فقد اصاب ثم قالوا له اخبرنا عن عيرنا هل لقيتها قال نعم مررت على بني فلان بالروحا وقد اضلوا بعيرا لهم وطلبوه وفي رحالهم قدح ما فعطشت فشربته فسلوهم هل وجدوا الما في القدح قالوا هذه آية قال ومررت بعير بني فلان وفلان راكب قعودا لفلان فنفر فوقع وانكسرت قالوا وهذه آية قالوا فاخبرنا عن عيرنا قال مررت بها بالتنعيم قالوا اخبرنا عن عدتها واحمالها وهيئتها ومن فيها قال كنت في شغل عن ذلك ثم مثلت له فنعت ذلك لهم وقال يقدمها جمل اورق عليه غرارتان مخيطتان تطلع عليكم عند طلوع الشمس قالوا وهذه آية اخرى ثم خرجوا يشتدون نحو الثنية وقالوا لقد قضى محمد بيننا وبينه حتى اتوا كدا فجلسوا ينتظرون طلوع الشمس ليكذبوه فقال قائل منهم هذه الشمس قد طلعت وقال آخر هذه الابل قد طلعت يقدمها بعير اورق وفيها كل ما ذكر فقالوا ان هذا الا سحر مبين انتهى مع طي لبعض الفاظه وهذا مناف لما رواه المصنف والعجب من بعضهم اذا مر دهرا ولم يتنبه لما قلناه هـ

فوالله ما ادري احلام نائم • المت بنا ام كان في الركب يوشع

لطيفة من الاتفاقات الحسنة ان المظفر الواعظ ذكر يوما قريب الغروب فضائل علي ورد الشمس له والسما مغيمة غيما مطبقا فظنوا ان الشمس غربت وهموا بالانصراف فاصحت السما ولاحت الشمس صافية الاشراق فاشار اليهم بالجلوس وانشد ارتجالا

لا تغربي يا شمس حتى ينتهي • مدحي لآل المصطفى ولنجله
واثني عنانك ان اردت ثناهم • انسيت اذ كان الوقوف لاجله

كذا صح

وذ

اذ كان للمولى وقوفك لم يكن • هذا الوقوف لخيله ولرجله

فصل في نبع الماء من بين اصابعه

اي خروجه من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم معجزة له يقال نبع ينبع نبعا ونبوعا من باب نصر وعلم وضرب ومنه الينبوع لعين الماء وهو مصدر مضاف لفاعله **وتكثيره ببركته** اي تكثير الماء ببركة وضع يده فيه وهو نبع ايضا وان لم يشاهده الناس وقد كان هذا مرات كثيرة وورد بطرق متعددة في الصحيحين وغيرهما ففي بعضها انه في قدح وفي بعضها جفنة وفي بعضها ميضاة وهي اناء يعد للوضوء وفي بعضها مزادة والماء قليل فكفى جماعة كثيرة في بعضها كانوا خمسمائة وفي بعضها ثمانمائة وفي بعضها وخمسمائة والف الى غير ذلك مما اعتنوا بجمعه في المعجزات وهذه المعجزة اعظم من معجزة موسى اذ نبع له الماء من الحجر لانه معتاد وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار الاية واما خروجه من لحم ودم فلم يعهد لغيره كما قال الشاعر

ان كان موسى سقى الاسباط من حجر • فان في الكف معنى ليس في الحجر

ولله در الابوصيري في قوله في لاميته

ومنبع الماء عذبا من اصابعه • وذي اياد عليها قد جرى النيل

قالوا وهذا الماء افضل من ماء زمزم والكوثر ويحتمل قوله وتكثيره اذ لا يكون عطف تفسير بل عطف الاعم على الاخص ليشمل ما كان بين عاده ونزل ريقه فيه وهو الاظهر والبركة اليمن واصل معناه زيادة الخير فهو مناسب هنا جدا **اما الاحاديث في هذا فكثيرة جدا** اي كثرة عظيمة تفوق الحصر وهو لازم النصب والتنكير مصدر كانها لا تدرك الا بغاية الجد والاجتهاد فيها وقال النووي انها بلغت مرتبة التواتر **روى حديث نبع الماء من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم جماعة من الصحابة** بفتح الصاد مصدر في الاصل كالصحبة ثم صار جمع الصحابي **منهم انس وجابر وابن مسعود** اشار بمن التبعيضية الى انه روي عن كثير غير هؤلاء كبلال وابن عباس لانه وقع بين الجم الغفير منهم في الحديبية وغيرها كما قال اولا ان احاديثه كثيرة جدا فلا حاجة لما قيل ان الكثرة باعتبار المجموع لها في كتبهم من ائمة الحديث حتى صار متواترا تواترا معنويا وانما نص على رواية هؤلاء لقوة صحتها برواية الامام مالك والشيخين **حدثنا ابو اسحاق ابراهيم بن جعفر الفقيه رحمه الله بقراءتي عليه** ابن احمد الفاسي اللواتي نسبة للواتة بفتح اللام والواو المخففة والف تليها مثناة فوقية وهو شيخ المصنف **حدثنا القاضي علي بن سهل** ضد الصعب تقدمت ترجمته **حدثنا ابو القاسم** حاتم بن محمد كما تقدم في ترجمته **ابو عمرو بن الفخار** بفتح الفاء وتشديد الخاء لقب بمعنى كثير الفخر ونوع من الاواني يعمل من الطين ولذا قيل

لا يفخرن امرؤ بذات يد • فالكسر يدنو بكل فخار

وقيل على المصنف ان الصواب ابو عبد الله بن الفخار وقال ابن رشيد ابو عمرو الذي يروي عن ابي عيسى ليس بابن الفخار وانما هو ابن القطان الفقيه وهو ابو عمرو احمد بن محمد بن عيسى القرطبي المتوفي في سنة ستين واربعمائة وبقراءته على ابي عيسى سمع الموطا يونس بن المغيث لكن حاتم لم يكن له الرواية عنه وانما يروي عن عبد الله محمد بن عمرو بن الفخار المتوفي سنة تسع عشرة واربعمائة ففي كلام المصنف سهو من وجهين اذ سماه ابو عمرو وهو ابو عبد الله وفي قوله **ثنا ابو عيسى ثنا يحيى** اذ اسقط راويا بين ابي عيسى ويحيى وهو عبيد الله ابو مروان وقد ذكر المصنف على الصواب في غير هذا المحل وفيما سياتي

حدثنا صح

وابو عيسى هنا هو يحيى بن عبد الله بن يحيى بن يحيى بن كثير صاحب مالك وراوي الموطا عنه وليس من قبيل الانقطاع لتصريحه بصيغة التحديث اللهم الا ان يقال انه جعل اتصاله في غير هذا المحل قرينة على تقديره هنا فليتامل **حدثنا مالك** امام دار الهجرة المشهور قال ابو محمد القرطبي صوابه حدثنا عيسى حدثنا عبيد الله وصوابه ابو عيسى بالكنية لا عيسى بالاسم لان ابا عيسى انما يحمل عن عبيد الله بن يحيى عن ابيه يحيى وابو عيسى هو يحيى بن عبد الله بالتكبير بن يحيى سمع عم ابيه عبيد الله بالتصغير بن يحيى وقد تقدم على الصواب في فصل الحلم والاحتمال وايضا يأتي كذلك في فصل كنيته **عن اسحاق بن عبد الله بن ابي طلحة** الامام المشهور الثقة وانس عمه توفي سنة اثنين وثلاثين ومائة **عن انس بن مالك** قال فيما رواه مالك في موطائه عنه والشيخان عنه **رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد حانت صلاة العصر** بحاء مهملة ونون اي قربت او دخل وقتها وهو ماخوذ من الحين بمعنى الوقت **والتمس الناس الوضوء** بفتح الواو وهو الماء الذي يتوضا به ويجوز ضمها والالتماس افتعال من اللمس بمعنى المس حقيقة في مطلق الطلب **فلم يجدوه فاتي** بالبناء للمجهول **بوضوء** تقديره باناء وضوء بقرينة قوله **فوضع يده فيه** وفي مسلم بقدح رجراج **وامر الناس ان يتوضؤوا منه قال انس فرايت الماء ينبع من بين اصابعه فتوضا الناس من عند اخرهم** اي جميعهم تقدم معنى ينبع وانه مثلث الباء وقد قالوا انه يحتمل ان الماء خرج من اصابعه حقيقة وهو الظاهر ويحتمل انه كثر من غير نبع وانما وضع يده سترا عن الناس حتى لا يروه فيفتتن بعضهم به وتادبا مع الله الذي لا يوجد المعدوم سواه واصابع جمع اصبع وفيه عشر تثليث الهمزة مع تثليث الباء والعاشرة اصبوع قال ابن مالك

تثليث باء اصبع مع ضم همزته • والفتح والكسر والاصبوع قد كملا

وعند مثلث العين والافصح الكسر وهي ظرف مكان يلزم النصب على الظرفية او الجر بمن ويتجوز بها عن العلم وغيره من معانيه وقوله من عند اخرهم لفظ مسموع من فصحاء العرب قديما وقال النووي انه لغة لبعضهم وعندهم من للغاية بمعنى الى ولم تات على الاصل لان الحد عندهم ونقله عن سيبويه وقيل بل هي هنا ابتدائية لا ابتداء الغاية اذ لم تسمع بمعنى الى وانه كناية عن الاستيعاب والشمول والمعنى توضؤوا كلهم بحيث لو قيل ان ابتداء وضوئهم كان من اخرهم صدق قائله اقول سمع ايضا من اخرهم بدون عند كما في الكشاف في اول البقرة وما ذكره ركيك جدا فالصواب ان يقال انه كناية كما قال وتوجيهه ان ماء الوضوء كانه ماخوذ ممن ولي من اخرهم والمعروف انه لا يبذل الا ما فضل عن حاجته فكانهم بذلوه لاولهم ولمن بعدهم وما قاله النووي اسهل واظهر وقد نقل انه لغة في شرح مسلم وهي عبارة النبي صلى الله عليه وسلم ولشراح الكشاف فيه كلام **ورواه ايضا** كالرواية السابقة **عن انس قتادة** كما في صحيح مسلم **وقال** انس في هذه الرواية **بملء او زهاء** الاناء بكسر الهمزة مفرد وانية جمعه وليس مفردا كما يتوهم **يغمر اصابعه** بالغين المعجمة وميم وراء مهملة هو ما يسترها ومنه استعير الغمر للشدة **او لا يكاد يغمرها** يعني انه قليل وتقدم انه انما فعله تسترا وتادبا مع الله الذي لا يوجد المعدوم سواه وكاد للمقاربة ونفيها ابلغ من نفي الفعل الذي هو خبرها والكلام عليه مشهور فلا حاجة لتكثير السواد به هنا كما فعله بعضهم **قال** اي قتادة لانس **كم كنتم** معاشر الناس الذين توضؤوا من ذلك الماء **قال زهاء** بضم الزاي المعجمة والمد اي مقدار **ثلاثمائة** رجل واصل الزهاء العدد الذي يقدر بالتخمين فقد ينقص ويزيد بمقدار يسير يقال زهوت القوم اذا حزرتهم وقدرتهم من غير عد حقيقي

وليس من الزهو بمعنى الفخر وفي رواية عنه اي عن انس وهم بالزوراء عند السوق الزوراء
مكان مرتفع قريب من مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة وثمة سوقها ورواه اي حديث نبع
الما ايضا حميد بالتصغير وهو المعروف بالطويل واختلفوا في اسمه فقيل تير وقيل تيرويه
وقيل طرخان وقيل غير ذلك وهو ابو عبيدة مولى طلحة الطلحات الخزاعي او الدارمي مات وهو قائم
يصلي سنة اثنتين واربعين ومائة وهو ثقة اخرج له الستة الائمة الا انه نسب للتدليس
وترجمته في الميزان وثابت والحسن من ابي الحسن البصري كما تقدم عن انس وتفرد البخاري
بالرواية الاولى والثالثة واتفقا على الثانية وفي رواية حميد قلت كم كانوا قال كانوا
ثمانين ونحوه عن ثابت عنه اي عن انس وعنه ايضا اي عن انس وهم نحو من سبعين رجلا
وفي مسلم عنه ايضا بين الستين الى الثمانين وحمل اختلاف الرواية عنه على انهما كانا قضيتين
في وقتين ووافقها حال حدث عنهما واذا كان الامر على التفريق والتخمين فلا اشكال ايضا
واما ابن مسعود ففي الصحيح اي الحديث الصحيح او صحيح البخاري عنه اي عن ابن مسعود
من رواية علقمة تقدم ترجمته بينا نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين ظرف والالف
فيه اشباع او كافة عن الاضافة وفي نسخة بينما وهي فيما ذكرناه ويقع بعدهما الجملة الاسمية
والفعلية وقد تتلقى باذ واذا والاصمعي يستفصح طرحهما كما هنا كما ذكره النحاة اي كانوا مجتمعين
عنده وليس معنا ما فقال لنا اطلبوا من معه فضل ماء اي بقية من ماء كان او زيادة
منه على حاجته وقد تقدم انه انما طلبه لئلا يتوهم انه موجد من العدم دون الله الواحد
الموجد لكل معدوم فتادب بذلك مع الله ولو شاء لاوجده بغاية وطلبه له من الله ولو شاء لاوجده
ابتداء من غير شيء فاتي بماء بالبنا للمجهول والفاء فصيحة اي فطلبوا الماء فوجد بعضهم واتى
به فصبه في اناء اي صبه وسكبه في اناء اخر مكشوف وكان اتى به في مزادة لا تدخلها اليد
ثم وضع كفه فيه اي في الاناء الثاني والعطف بثم لما بينهما من تراخ يسير بما يده اي بدعاء
الله ثم الخ فجعل الماء ينبع بتثليث الموحدة وجعل بمعنى صار وليس الاسناد مجازيا كما قيل من بين
اصابعه صلى الله عليه وسلم وهذه القصة هي المتقدمة وانما اعادها اشارة الى تعدد طرقها الدالة
على صحته ويحتمل انها غيرها وفي الصحيح اي صحيح البخاري او المراد في الحديث له ولغيره عن سالم بن
ابي الجعد الاشجعي الكوفي وهو من كبار التابعين الثقات روى عن ابن عباس وغيره وتوفي سنة
مائة وله ترجمة مفصلة في الميزان عن جابر عطش الناس يوم الحديبية وهو يوم معروف
بمكان معروف بين مكة والمدينة والطائف وهو مصغر وياؤه مخففة على الافصح ويجوز تشديدها
كما تقدم ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه اي عنده في مكان قريب منه ركوة بتثليث
الراء المهملة وكاف وواو والافصح فيه الفتح وجمعه ركاء بالكسر والمد وهي اناء للماء من جلد
كالابريق فتوضأ صلى الله عليه وسلم واقبل الناس نحوه اي جاءوا له وقالوا ليس عندنا ماء
الا ما في ركوتك جملة حالية والاستثناء متصل فوضع يده على الركوة فجعل الماء يفور اي ينبع
ويرتفع لزيادته من بين اصابعه كامثال العيون اي كان بين كل اصبعين من اصابعه عين ماء
نابعة وفيه اي في حديث سالم هذا فقلت لجابر كم كنتم معاشر الصحابة قال لو كنا مائة
الف لكفانا ذلك الماء الماء ساهد من فوز انه الدال على عدم انقطاعه كنا خمس عشرة مائة
يعني الفا وخمسمائة رجل وهم اصحاب الشجرة وبيعة الرضوان وقد اختلف في عددهم وهذه رواية
مشهورة ولذا اقتصر عليها المصنف وقيل كانوا الفا واربعمائة وصحح هذه الرواية البيهقي وقيل كانوا الفا

وستمائة

وستمائة وقيل الف وخمسمائة واربعون وقيل وخمسة وعشرون وقيل وثمانون وقيل
وثلاثمائة وجمع ابن دحية بين الروايات بانه كان حزرا وتخمينا لا تحقيقا وتحديدا وروايه سبع
مائة وهم من راويها وروي مثله ببناء المجهول اي مثل حديث سالم المذكور عن انس عن جابر
صح في النسخ بدون عاطف بينهما فان صح هذا فليس رواية انس عن جابر في الكتب الستة كما
قاله البرهان الحلبي وفيه اي في هذا الحديث انه كان بالحديبية كما في الرواية التي قبله
وفي رواية الوليد بن عبادة بن الصامت عنه اي عن جابر والوليد هذا ولد في حياته صلى
الله عليه وسلم وتوفي في خلافة عبد الملك بن مروان وهو ثقة لكنه قليل الحديث واخرج له
الشيخان والترمذي وابن ماجة وهو يروي عن ابيه في حديث مسلم الطويل صفة للحديث
في ذكر غزوة بواط بضم الباء الموحدة وفتح الواو المخففة والف وطاء مهملة وهي ثاني غزواته
وهي مفصلة في مسلم وغيره ويجوز فتح بائه ايضا وهي اسم لجبال جهينة على ابراد من المدينة
وفي هذا الحديث معجزات له صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جابر
ناد الوضوء ناد امر من النداء محذوف الاخر المعتل والوضوء بفتح الواو وهو منصوب بعد د
ومفعول ناد مقدر ايضا اي ناد الناس وقل لهم اعطونا ولوا الوضوء وهو الماء الذي يتوضا
به وفيه حث لهم عليه وذكر الحديث بطوله وفيه ان رجلا من الانصار كان يبرد لرسول الله صلى
الله عليه وسلم ماء في سقاء فلما اخبره انه نادى فلم يجد الماء قال له انطلق الى فلان الانصاري
فانظر هل في اشجابه من شيء قال فانطلقت اليه واخبرته بما عنده فانه لم يجد عند الانصاري
الا قطرة اراد ماء قليلا جدا في عزلاء شجب بالاضافة اي فم قربة بالية وعزلاء بفتح العين
المهملة وسكون الزاي المعجمة ولام بعدها مدة وهمزة وهو فم الراوية ومصب الماء منها وجمعه
عزالي بفتح اللام وكسرها وشجب بفتح الشين المعجمة قيل او كسرها وسكون الجيم وباء موحدة ما
قدم من القرب او اعواد تعلق عليها القرب ونحوها وجمعه شجب واشجاب واصل معناه الهلاك
فاتي به ببناء المفعول ويجوز بناؤه للفاعل والرواية الاول وضميره به للمذكور النبي صلى الله
عليه وسلم فغمزه بفتح الغين المعجمة والميم والزاي المعجمة اي وضع عليه يده وكبسه بها والغمز
هنا كالذي في قوله نعم • وكنت اذا غمزت قناة قوم • كسرت كعوبها او تستقيما
والغمز بالعين الاشارة بها معنى اخر وتكلم بشيء لا ادري ما هو وفي الحديث انه جعل يتكلم
بشيء لا ادري ما هو فكانه سر من اسرار الله تكلم به بالسريانية ونحوها ليخفى على غيره وقد
تقدم غيره مثله في رد الشمس المتقدم وقال ناد بجفنة الركب الجفنة كالقصعة وزنا ومعنى
وهي التي تشبع عشرة فاكثر ودونها الصحفة ثم المئكلة والركب بفتح ثم سكون اسم جمع لراكب
والمراد الناس وان يكونوا راكبين بالفعل وهذا وقع في رواية لقتادة والذي في مسلم ناد
بجفنة فكانه لم يكن معهم الا جفنة واحدة وضمن ناد معنى ائت بها بدليل قوله فاتيت بها
بالبنا للمفعول كما قاله البرهان وغيره ويجوز البنا للفاعل وقيل مفعوله محذوف اي ناد القوم
بجفنتهم او هي منزلة منزلة من يعقل لان الله خلق فيها ادراكا حتى تنادى هي فتاتي بنفسها
ويكون ذلك معجزة له لانه لم ينقل لنا مثله فوضعتها بين يديه وذكر جابر ان النبي صلى
الله عليه وسلم بسط يده بسط بالسين والصاد وهما فوقي اي وضع يده الشريفة في الجفنة
مبسوطة ليكون ابرك في الجفنة وفرق اصابعه وصب جابر عليه ما كان في العزبة من الماء
وقال اي النبي صلى الله عليه وسلم بسم الله ابتركا واطلب نبع الماء ويحتمل القسم لصحة نيته

واقتصر عليه لانه المأثور في سائر الافعال لا لبيان انه مجزي بدون الرحمن الرحيم كما قيل ولو قلنا فاعل قال بسم الله هو جابر كان اوفق بما في الرواية من انه وضع يده في فم الجفنة وقال خذ يا جابر فصب علي وقل بسم الله فصببت عليه وقلت بسم الله فلا يقال كيف استثنى جابر بالصب من غيره ان وان المصنف غير الرواية ونسب لجابر ما لم يقله فيجاب بان كان جابر وما علم من ادب الصحابة معه صلى الله عليه وسلم قرينة على ما ذكر **فقال** جابر **فرايت الماء يفور** اي يرتفع وينبع حتى ينزل فوق من فار القدر اذا غلا ما فيه **من بين اصابعه ثم فارت الجفنة** اي فار ماؤها ففيه مضاف مقدر او الاسناد مجازي للمبالغة في قوله انه **واستدارت** اي دار ماؤها لان الماء اذا دار بسرعة يرى كانه يدور وليس المراد ان الجفنة نفسها استدارت لعظم الامر فانه لا يحصل له **حتى امتلات وامر الناس بالاستقا فاستقوا حتى رووا** اي اخذ كل منهم من الماء ما يكفيه ودوابه وشربوا حتى ذهب عطشهم والري مقابل العطش وفيما رواه المصنف بعض مخالفة لما في صحيح مسلم بحسب اللفظ دون المعنى كقوله ودارت وفي نسخة فارت الجفنة ثم فارت بالتكرار **فقلت هل بقي احد له حاجة** اي قال جابر فقلت الخ وهل هنا قيل انها نافية كقوله هل ترك لنا عقيل من دار ويجوز ان تكون استفهامية وقوله **فرفع يده رسول الله** صلى الله عليه وسلم الفاء فيه فصيحة اي قالوا لا فرفع الخ وحديث جابر هذا ليس في شي من الكتب الستة غير مسلم **من الجفنة وهي ملاى** بوزن سكرى اي مملوءة بالماء لم تنقص شيئا ما اخذوه **وعن الشعبي** هو من كبار التابعين محدثيه هذا مرسل والمرسل يستدل به عند مالك والمصنف مالكي **ان النبي صلى الله عليه وسلم** اتي بالبناء للمجهول اي اتاه بعض الصحابة **باداوة** بكسر الهمزة وفتح الدال المهملة والف وواو وها وجمعها اداوي وهي انا صغير يتخذ من جلد ولذا اضافها لقوله **ما في بعض اسفاره وقيل ما معنا يا رسول الله غيرها فسكبها** اي صبها رسول الله بنفسه وامر بصبها **في ركوة ووضع اصبعه** بالافراد وقد تقدم لغات الاصبع وانها عشرة **وسطها** بفتح السين وسكونها وهو منصوب على الظرفية اي **وضعه في وسط مائها** وفي الفرق بين الوسط مسكنا ومحركا كلام في كتب العربية ليس هذا محله وبيناه في شرح الدرة **وغمسها في الماء** تفسير لما قبله والغمس بغين معجمة الادخال **وجعل الناس يجيئون ويتوضئون** جعل هنا بمعنى صار وطفق نحو جعل زيد يقول كذا وهو احد معانيه الخمسة **ثم يقومون** بعد الوضوء **قال الترمذي** ابو عيسى امام السنة المشهور صاحب الجامع وغيره **وفي الباب** اي في هذا الباب الذي ذكر فيه معجزاته ونبع الماء **عن عمران بن حصين** اي روي عنه مثله **ومثل هذا** الامر المعجز المروي في هذا الحديث **في هذه المواطن** جمع موطن وهو موضع التوطن وهو هنا بمعنى المجالس **الحفلة** بفتح الحاء المهملة وكسر الفاء واللام والها اي الكثيرة الناس **والجموع الكثيرة** اي جموع الناس الكثيرة في مثل هذه المحافل **لا تتطرق التهمة** بضم المثناة الفوقية وفتح الها ويجوز تسكينها وتاؤه مبدلة من الواو والتهمة ما يتوهم ويظن في شي على خلاف الواقع وقيل التسكين غلط وهو ظاهر ما في القاموس ولا يكون الا اسما لما يتهم به وقيل انه بالسكون مصدر وبالفتح اسم كما في شرح المفتاح لابن كمال وقد نظر وتتطرق بمعنى تصل واصل معناه تجد طريقا **الى المحدث** بفتح الدال المهملة المشددة وكسرها **به لانهم كانوا اسرع شي الى تكذيبه** اي تكذيب المخبر عنه والخبر لو وقع بين ناس كثير لا يمكن تواطئهم على الكذب **لما جبلت عليه النفوس من ذلك** اي الاسراع الى التكذيب **ولانهم** اي من حضر تلك المحافل **ممن لا يسكت على باطل** اي فلا يقرونه على ما قاله اذا كذب فيه وهم عرفوا اخلافه ولا يخافون

فقد

في الله لومة لائم **وهؤلاء** المذكورون من الصحابة وغيرهم **فقد رووا هذا الحديث** الذي فيه نبع الماء من بين اصابعه واشاعوه **ونسبوا حضور الجم الغفير له** اي قالوا انه وقع في محافل ناس لا يحصون كثرة فلا يمكن كونه كذبا وحضور الجم الغفير يجاوز الجم الغفير اي كلهم شريفهم ووضيعهم بحيث لم يتخلف احد وفيه لغات واستعمالات كثيرة ذكرها في القاموس وليس هذا محل تفصيلها **ولم ينكر احد من الناس عليهم ما حدثوا به عنهم** اي لم ينقل احد ان ما نقلوه من هذه المعجزة انها لا اصل لها ونحوه **انهم فعلوه وشاهدوه** بفتح همزة ان بدل من ما حدثوا وما فعلوه كوضوئهم ونحوه بهم الاداوة وصب الماء وغيره مما تقدم وما شاهدوه نبع الماء ونحوه وكونه فصار ما ذكر من كثرة من نقله من عدول الصحابة وعدم انكار غيره **كتصديق جميعهم له** اي لذلك الخبر والحد فيتوا ترتوا ترا معنويا وامرا مجمعا عليه وفي نسخة لهم

فصل ومما يشبه هذا

اي من المعجزة المشبهة **من معجزاته** بيان لما او حال من اسم الاشارة لنبع الماء من بين اصابعه **تفجير الماء ببركته** التفجير الشق الواسع يقال فجر الارض وانفجرت وتفجرت ومنه الفجر بمعنى الصبح فاضافته للماء اضافة مجازية من اضافة ما للمحل الى الحال قال عز وجل وفجرنا الارض عيونا او التفجير مجاز بمعنى الاخراج وهو للنابع فيه **ببركته** اي بيمنه ووجوده في مكان اخرج منه الماء والبركة الخير الدائم وهي في الاصل من البرك وهو الموضع الذي يضع البعير على الارض اذا برك ومنه البركة وهي الموضع الذي يحبس فيه الماء وقوله تبارك وتعالى انزلني منزلا مباركا اي كثير الخير وتبارك الله بمعنى زاد خيره الذي افاضه على عباده وهو لا يتصرف ولا يستعمل في غير الله **وانبعاثه** وهو انفعال من البعث وهو الاثارة والاخراج للماء حتى يجري **بلمسه ودعوته** اي بلمسه لمحله ودعائه لله واخر هذا عن نبعه من بين اصابعه لان الاول اقوى في المعجزة لاحتمال هذا لكونه من الاتفاقيات كغيره من الماء الجاري وفي بعض النسخ انبعاثه من الانفعال بالنون وهما بمعنى واحد مطاوع لبعثه فانبعث وانبعث كانشوى واشتوى وجعل هذا مشبها بذاك لما تقدم **مما روى مالك في الموطا** ومسلم في صحيحه وعزاه المصنف للموطا دونه لان روايته له اعلا سندا عنده اولترجيح روايته **عن معاذ بن جبل** الصحابي المشهور **في قصة غزوة تبوك** بفتح المثناة الفوقية اسم مكان بين الشام والمدينة غزاه صلى الله عليه وسلم في غزوة مبينة في السير **وانهم** اي الجيش الذي كانوا معه **وردوا العين** تعريفها للعهد اي عينا بتبوك نزلوا عليها في سفرهم هذا **وهي تبض** مضارع بض بزنة رد بوحدة وضاد معجمة مشددة من بض الماء اذا سال سيلانا قليلا ويجوز ان يكون بصاد مهملة من بص اذا لمع وبرق وهو رواية فيه وهو كناية عن قلته ولذا قال **بشي من ماء مثل الشراك** بكسر الشين المعجمة وفتح الراء المهملة والف وكاف وهو سير النعل الذي يكون على وجهه وشبهه به لقلته وضعف جريانه وليس بمعنى احد ود في الارض كما قيل **فغرفوا من العين بايديهم حتى اجتمع الماء** الذي غرفوه **في شي** من الاواني التي كانت معهم وليس فيه قلب وان الاصل غرفوا في شي حتى اجتمع ما فيه كما توهم **ثم غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وجهه ويديه** ضمير فيه للشي بمعنى الاناء او للماء والظاهر منه ولكنه لمشاكلة قوله **واعاده فيها** اي في العين التي غرفوه منها وضمير اعاده للماء لا للوجه كما توهم **فجرت بماء كثير** اي جرى من تلك العين ماء كثير **فاستقى الناس** اي شربوا وسقوا دوابهم **قال معاذ بن جبل في حديث ابن اسحاق** صاحب السير فيما رواه

عن مُعاذ في سيرته **فانخرق** بنون وخا معجمة ورآء مهملة وقاف اي انفجر انفجارا اشدة **من الماء**
ماله حِسٌّ كحس الصواعق الحِسّ بحا وسين مهملتين بمعنى الصوت المحسوس عاسة السمع وهو
مجاز مشهور يقال لمشيه حس اي تسمع حسه وحركته والصواعق تكون معناها صوت شديد
من الصعقة وهي الصيحة وهو من تشبيه المحسوس بالمحسوس وهذا كان في رجعته من تبوك
قال ابن اسحاق ثم انصرف قافلا من تبوك الى المدينة وكان في الطريق ما يخرج من وشل ما يروي
الراكب والراكبين والثلاثة بواد يقال له واد المشقق فذكر القصة **ثم قال** النبي صلى الله عليه
وسلم بعد جري الاستقا وجري **يوشك** بضم اليا المثناة التحتية وواو وشين معجمة مكسورة
وكاف مضارع اوشك وفتح شينه لغة رديئة كما في القاموس وغيره ومعناه يقرب ويسرع من
غير بطو **يا معاذ ان طالت بك حياة** اي ان اطال الله عمرك ورايت هذا المكان **ان ترى**
بعينك وهو فاعل يوشك وان بالفتح مصدرية **ههنا** ما موصولة اي الذي ههنا وهو اشارة
للمكان **قد مُلي** بالبنا للمجهول **جِنانا** منصوب على التمييز وهو بكسر الجيم جمع جنة بفتحها وهو البستان
اي يكثر ماؤه وتخصب ارضه فتكون بساتين ذات ثمار وشجر كثيرة والحديث طويل اقتصر المصنف
على مقصده المراد منه اختصارا **وفي حديث البرا** بن عازب بفتح البا الموحدة كما تقدم **وسلمة بن الاكوع**
اقمل من الكوع بفتحتين وهو اعوجاج اليد وحديث البرا في صحيح البخاري وحديث سلمة بفتحتين
في مسلم **وحديثه** اي حديث سلمة الذي رواه مسلم **اتم** من حديث البرا كما سياتي **في قصة الحديبية**
التي قدمناها وفيها بيعة الرضوان **وهم اربع عشرة مائة** رجل من الصحابة كما تقدم **وبئرها** اي وما
بئرها **لا يروي** بضم المثناة الفوقية **خمسين شاة** الشاة معروفة وروي اشاة بهمزة مكسورة
في اوله ومفتوحة في اخره وهي النخلة الصغيرة **فنزحناها** اي اخرجنا جميع ما فيها من الماء كله
فلم نترك فيها قطرة من مائها **فقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على جباها** بفتح الجيم والبا
الموحدة مقصور وهو فم البئر وما حولها وبالكسر ما جمع فيها من الماء وروي شفاها بشين معجمة
وهما بمعنى هنا **واتي** بالبنا للمفعول **بدلو منها** اي من تلك البئر اي بما دلو مما نخرجه منها **فبصق**
اي القى ريقه **فدعا** بعد بصاقه او هو شك من الراوي هل بصق فيها او دعا الله لبكرة ماءها كما
اشار اليه بقوله **وقال** سلمة راوي الحديث **اما دعا واما بصق فيها** بكسر همزة اما فيهما بيانا
للشك في الرواية وضمير فيها راجع للبئر لا للدلو كما قيل **فجاشت** البئر اي فار ماؤها حتى ارتفع
لهم من جاشت القدر اذا غلت **فارووا انفسهم وركابهم** اي شربوا منها حتى ارتووا وسقوا ركابهم
حتى رويت والركاب بكسر الرآء المهملة الابل جمع لا واحد له من لفظه واعلم ان حديث البرا رواه البخاري
ولفظه تعدون انتم الفتح فتح مكة وقد كان فتح مكة فتحا ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية
كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم اربع عشرة مائة والحديبية بئر فنزحناها فلم نترك فيها قطرة فبلغ
ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فاتاها فجلس على شفيرها ثم دعا باناء من ماء فتوضا فتمضمض ودعا
ثم صبه فيها فتركناها غير بعيد ثم انها اصدرتنا نحن وركابنا اي صرفتنا ونحن والابل رووا ولم نحتج
لمقامنا لاجل الما وحديث سلمة في صحيح مسلم وهو انه قال قدمنا الحديبية مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم ونحن اربع عشرة مائة وعليها خمسون شاة لا ترويها قال فقعد رسول الله صلى الله
عليه وسلم على جبا الركية فاما دعا واما بصق فيها قال فجاشت فاسقينا واستقينا قال ثم ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم دعانا للبيعة في اصل الشجرة فبايعته اول الناس ثم بايع وبايع حتى
اذا كان في وسط الناس قال بايع يا سلمة فقلت قد بايعتك يا رسول الله في اول الناس ورآني رسول الله

اعزل اي ليس معي سلاح فاعطاني جحفة او درقة الحديث ومنه تعلم ما في مد المصنف من ان حديث
سلمة اتم لما فيه من تفصيل القصة وانه كان عليها من يستقي للشاة حين قدموا ولذكر كيفية المبا
يعة وما جرى له معه صلى الله عليه وسلم **وفي غير هذه الروايتين** كذا في اكثر النسخ بتوحيد هذه
وفي بعضها هاتين الروايتين قيل وهو الصواب لتثنية المشار اليه ووجه تانيه ووحد اسم الاشارة
لاتحاد الروايتين معنى لان القصة فيهما واحدة لكنه لا يخلو من تكلف والروايتين رواية البرا
ورواية سلمة **في هذه القصة** اي قصة الحديبية **من طريق ابن شهاب** الزهري وقد تقدمت ترجمته
مرارا **في الحديبية** تفسير للقصة **واخرج سهما من كنانته** هي ما يوضع فيه السهام لانها تكنها اي تسترها
فوضع بالبنا للمجهول وفي بعض النسخ فوضعه اي امر بوضعه **في قليب ليس فيه ماء** القليب
البئر المحفورة من غير بناء فان بنيت فهي طوي ويذكر ويؤنث وهو مخالف للرواية السابقة انه كان
ماء قليل والذي وضع السهم البرا وقيل ناجية **فروي الناس** بفتح الرآء المهملة والمثناة التحتية اخره
وكسر الواو اي شبعوا هم ودوابهم لقوله **حتى ضربوا بعطن** وهو بفتح العين والطا المهملتين
ونون محل تبرك فيه الابل عند الما بعد شربها لتعود لعلل بعد نهل وضربوا بمعنى اقاموا من ضرب
الخيمة اذا نصبها يقال ضربت الابل بعطن اذا بركت يعني انهم لما رووا اكثروا الماء من لوا عنده وهذا
الحديث رواه البيهقي مسندا عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم قال فيه خرج رسول الله يريد زيارة
البيت لا يريد حربا فذكر الحديث وفيه انه صلى الله عليه وسلم قال له الناس انزل فما لنا بالوادي
ماء ننزل عليه فاخرج سهما من كنانته اعطاه رجلا من اصحابه فقال انزل للقليب واغرزه فيه ففعل
فجاش الما حتى ضرب الناس بعطن وقيل ان الذي نزل في البئر خالد الغفاري دلاه رسول الله
بعمامة وقيل هو ناجية السلمي وكان البرا ابن عازب يقول انا الذي نزلت كذا في دلايل النبوة
وعن ابي قتادة هو الحارث بن ربعي وقيل النعمان بن ربعي وقيل اسمه عمرو وهذا الحديث رواه البيهقي
ايضا فلذا عطفه فقال **وذكر ان الناس شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش**
لانه كان يوما شديد الحر **في بعض اسفاره فدعا بالميضاة** بكسر الميم ويا منقلبة عن واو
لانها آلة الوضو وهي مقصورة وزنها مفعلة وقد تمد فوزنها مفعالة ودعا بمعنى طلب مطهرة ما الوضو
فاتي بها **فجعلها في ضبنه** بكسر الضاد المعجمة وسكون البا الموحدة والنون وهو ما تحت الابط
قريب من الحضن يقال اضبنته اذا جعلته في ضبنك وبه سمي العيال كما في الغريبين والمراد انه
امسكها وضمها اليه **ثم التقم فمها** اي ادخل فمها في فيه كما تدخل اللقمة **فالله اعلم** اي قال الراوي
اني لا اعلم **نفث فيها ام لا** اي نفث ام لا والنفث بنون وفاء ومثلثة نفخ لطيف بغير ريق كالنفخ
واقل من التفل **فشرب الناس** من تلك الميضاة **حتى رووا** اي حصل لهم الري المزيل للعطش **وملاوا**
كل اناء معهم مما فضل عن شربهم **فخيل** بالبنا للمجهول **الي انها كما اخذها مني** اي مثل ما اخذها
مني لم تنقص شيئا مما كان فيها حين اخذها مني وانما قال خيل لانه بالحدس اذ لم يتحقق مقدار ما كان
فيها **وكانوا اثنين وسبعين رجلا وذكر الطبري** محمد بن جرير الامام المشهور **حديث ابي قتادة**
المذكور **على غير ما ذكره اهل الصحيح** اي فيه لما رواه اصحاب الحديث المعتنون بتصحيحه
وان النبي صلى الله عليه وسلم خرج بهم اي بهولا المذكورين من الصحابة **ممدا لاهل موتة**
بضم الميم وسكون الواو وجوز بعضهم همزها ساكنة ثم مثناة فوقية وهي ارض من البلقا وقرية
بين تبوك وحوران من الشام وممدا بمعنى مقويا ومعينا **عند ما بلغهم قتل الامرا** ما مصدرية
والامرا جمع امير وهم زيد بن حارثة مولى رسول الله وجعفر بن ابي طالب وعبد الله بن رواحة

وذلك انه صلى الله عليه وسلم ارسل حارث بن عمير الازدي بكتاب الى ملك بصرى فلما نزل بموتة عرض له شرحبيل بن عمرو الغساني فقتله ولم يقتل رسول له قبله فامر رسول الله زيد بن حارثة على ثلاثة الاف وارسلهم لقتال شرحبيل وقال ان قتل زيد فاميركم جعفر فان قتل جعفر فاميركم عبد الله بن رواحة فان قتيل فليرض المسلمون برجل منهم وعقد السرية لواء دفعه لزيد واوصاهم ذكره اهل السير فلما التقوا قتل زيد ثم جعفر ثم عبد الله كما اخبرهم رسول الله فلما فتحت الراية لخالد بن الوليد الى اخر الحديث وفيه معجزات له من اخباره بالغيب كما اشار اليه بقوله **وذكر** ابن جرير **حديثا طويلا فيه معجزات وايات للنبي صلى الله عليه وسلم** كما ذكر وما شاهده من جعفر وطيرانه في الجنة بجناحين وغير ذلك مما فضله الله به وعظم قدره **وفيه انهم يفقدون الماء غدا وذكر** ابن جرير **حديث الميضاة** السابق **قال والقوم زهاء ثلثمائة** اي قريب من ذلك بطريق الحذر والتخمين كما تقدم انفا **وفي كتاب مسلم انه** صلى الله عليه وسلم **قال لابي قتادة** وقد راى معه ميضاته **احفظ علي ميضاتك** هذه امسكها عندك **فانه** ضمير شان **سيكون لها نبا** اي خبر عظيم وقصة عظيمة عجيبة في امر مائها وكفايته القوم وما يظهر بها من المعجزة العظيمة **وذكر نحوه** اي مثل ما تقدم **ومن ذلك** اي من قبيل المعجزة السابقة في تكثير الماء **حديث عمران بن حصين حين اصاب النبي صلى الله عليه وسلم وجيشه عطش في بعض اسفارهم فوجه** اي ارسلهم للجهة من الجهات **رجلين من اصحابه واعلمهما انهما يجدان امراة بمكان كذا** الرجلين عمران بن حصين الراوي وعلي بن ابي طالب وقيل انهما علي والزبير بن العوام وفي البيهقي ان عليا خرج في نفر من اصحابه لم يسم احد هذه المراة الا انه وقع في السير انها اسلمت ولم يذكروا اسم المكان الا انه في الحديث انه بين وضحاخ ان كانت القصة واحدة **معها بعير** قال اهل اللغة انه يطلق على الذكر والانثى **عليه مزادتان** المزادة بفتح الميم ظرف من جلد يحمل فيه الماء كالقربة وهي من الزيادة لانه يزيد فيه جلد من جلد لا من الزاد كما توهمه بعضهم وذلك المزود **الحديث فوجداها** اي المراة **واتيا بها الى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل** في اناء من مزادتها اي جعل من مائها في اناء عنده وضع بعض ماء المزادتين **وقال فيه** اي في الماء الموضوع في الاناء **ما شاء الله ان يقول** المراد دعاء وذكر اسماء الله عليه ونحو مما لم يسمعوه ولذا ابهموه **ثم اعاد الماء** الذي اخذ في انائه من المزادتين فرده بعدما دعا له في المزادتين التي للمراة **ثم فتحت عزاليهما** ببنا الفعل للمجهول وعزاليهما بكسر اللام جمع عزلاء وهو فم القربة كما تقدم والتانيث والجمع وليس للقربة الا فم واحد قيل لانها كانت تتعدد في قربهم عزلاوان من اسفل وعزلاوان من فوق وما كان من اسفل يخص باسم العزلاء والاحسن ان الجمع قد يطلق على الواحد وليس على قوله قد ضعفت قلوبكما الاختصاص بما اذا كان المضاف مثنى وانما جرت على مائها لانها كانت حربية او لضرورة العطش وقد قيل ان هذه المراة اسلمت لما شاهدت هذه المعجزة العظيمة منه صلى الله عليه وسلم **وامر** صلى الله عليه وسلم **الناس** ان يملؤا **فملؤا اسقيتهم** جمع سقاء وهو اناء من جلد يوضع فيه الماء **حتى لم يدعوا شيئا** من اوانيهم **الا ملؤوه** ماء قال عمران بن حصين **وانا يخيل الي** بالبنا للمجهول **انهما لم يزدادا الا امتلاء** فالجملة حالية تتعلق بمقدر اي كان كونه وقع في مخيلتي ان المزادتين بعد اخذ الناس منهما الماء انهما لم ينقصا بل زادا عما كانا عليه **ثم امر** صلى الله عليه وسلم ان يعطوها من زادهم شيئا بدل الماء الذي اخذ من مائها تفضلا منه فان ماءها لم ينقص **فجمع** بالبنا للمجهول اي جمع الناس للمراة **حتى ملؤوا ثوبها** وحملوها على بعيرها **وقال** صلى الله عليه وسلم للمراة **اذهبي**

فانالم

فانا لم ناخذ من مائك شيئا ولكن الله سقانا من فضله واختلفت الرواية هنا ففي بعضها ما ذكره المصنف فقط وفي بعضها انهم ملؤا اسقيتهم وسقوا ابلهم وانه امرهم بذلك واستعماله من ماء القربة التي للكافرة لا ينافي النهي عن استعمال اوانيهم وانهم نجس وامر بغسلها اذا اضطروا لاستعمالها لاختصاصه بما يحتمل النجاسة كقدورهم واوانيهم التي يصنعوا فيها الخمر والخنزير وقرب الماء لا يتوهم فيها ذلك **الحديث بطوله** اي اقرا الحديث بطوله وتمامه ان اردت الوقوف عليه وفيه اشارة الى انه حديث طويل مروي في كتب الحديث كالبخاري وغيره لاشتماله على رجوعها لقومها وذكرها لهم القصة بتمامها وتعجبها مما راته من المعجزة لكن المصنف اقتصر على محل الشاهد منه **وعن سلمة بن الاكوع** تقدم بيانه **قال نبي الله** صلى الله عليه وسلم في يوم من الايام **هل من وضوء** بفتح الواو كما تقدم وانه الماء الذي يتوضا به وبالضم نفس الفعل ومن زائدة في المبتدا المقدر خبره اي هل معكم وضوء وسوغ الابتداء بالنكرة وقوعه بعد الاستفهام **فجاء رجل باداوة** بكسر الهمزة ودال مهملة اي اناء من جلد صغير **فيها نطفة** اي ماء قليل وقد تطلق على غيره لتنزيله منزلته للنكتة واصل معناها القطرة ومنه نطفة الرجل لمنيه **فافرغها في قدح** اي صبها في اناء **فتوضانا كلنا** تؤكيد لضمير الفاعل **ندغفقه دغفقة** مفعول مطلق وندغفقه بضم النون وفتح الدال المهملة وسكون الغين المعجمة ثم فاء مكسورة وقاف اي نصبه صبا كثيرا من قولهم عيش دغفق اي واسع **اربع عشرمائة** من الرجال واربع بالرفع خبر مبتدا مقدر اي وعن اربع الخ او بدل من ضمير ندغفقه او توضانا لانه بيان لعدد من توضا وكثرتهم مع قلة الماء وصغر الاناء وبتضييقه على الحالية من احد الضمائر **وفي حديث عمر** بن الخطاب الذي رواه البيهقي والبزار وخزيمة في مسنده بسند صحيح **في جيش العسرة** بضم العين وسكون السين المهملة وهي غزوة تبوك الواقعة في سنة تسع من الهجرة وسميت بذلك لانها اتفقت في زمن كانت النفقة والزاد في غاية القلة عندهم ولذا لم يور النبي فيها كما كانت عادته في اسفاره ولعثمان بن عفان فيها اليد البيضاء لما جهزهم بماله كما فصل في السير وتسمى الفاضحة لافتضاح المنافقين فيها والعسرة هي الشدة والضيق **وذكر عمر** رضي الله عنه **ما اصابهم** اي جيش العسرة **من العطش** لقلة الماء **حتى ان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه** هو ما في كرشه **فيشربه** اي يشرب ما عصره منه مع نتنه وقلته وهم كانوا يفعلون ذلك في ضرورتهم **فرغب ابو بكر الى النبي** صلى الله عليه وسلم والرغبة طلب ما يحبه ويتعدى للمطلوب بفي فيقال رغب في كذا وتصدى لمن فيقال رغب عنه ويكون بمعنى التضرع فيتعدى بالى لمن طلب منه اي تضرع وتذلل **في الدعا** اي في دعائه وتوجهه لربه ليزيل ما بالناس من الباس الذي حل منهم **فرفع يديه** نحو السماء التي جعلها الله قبلة للدعاء ورفع اليدين نحوها سنة كمسح الوجه بهما بعده كما ذكره ابن حجر اي ودعا ربه وتضرع اليه كما ورد انه طفق يهتف بربه اي يدعو ويسال في سرعة اجابته **فلم يرجعهما** اي لم يرد يديه من دعائه بفتح اليا ويرجع متعد كما في قوله فان رجعك الله ويكون لازما ايضا **حتى قالت السماء** اي غيمت وظهر فيها سحاب من فوقهم قال كذا اذا تهيا له واستعد كما في القاموس وفي بعض الحواشي يقال قالت السماء اذا ارعدت وغيمت وبتفسيرها بامطرت لا يناسب قوله فانسكبت اي انسكب ماؤها فالاسناد مجازي وكون السماء بمعنى المطر بعيد هنا وكذا كونه استخداما كقوله

اذا نزل السماء بارض قوم ❊ رعيناه وان كانوا غضابا

فلو اما معهم من آنية جمع اناء كاوان وبعضهم يطلقه مفردا وهو وهم والاناء معروف
ولم يجاوزوا العسكر في يجاوزوا ضمير مستتر للسماء بمعنى السحاب او المطر المعلوم من السياق
وهذه معجزة اخرى وعن عمرو بن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص السهمي الصحابي
المشهور وفي الاحتجاج بعمرو هذا اختلاف واقوال والاكثر على الاحتجاج به وهو يروي عن ابيه
وغيره واخرج له الاربعة من اصحاب السنن وهذا الحديث ليس فيها وتوفي في سنة ثمان عشرة ومائة
ودفن بالطائف ان ابا طالب قال للنبي صلى الله عليه وسلم وهو رديفه اي راكب خلفه
والضمير هو للنبي صلى الله عليه وسلم وضمير رديفه لابي طالب بذي المجاز بفتح الميم والجيم ثم زاي
معجمة وذي بمعنى صاحب اي محل الجواز وذو المجاز اسم سوق بقرب عرفة كانوا يجتمعون فيه
في الجاهلية كما كانوا يجتمعون بعكاظ وهذا الحديث رواه ابن سعد عن اسحاق بن الازرق عن عبد
الله بن عون عن عمرو عطشت وليس عندنا ماء فنزل عن الدابة التي اردف عليها وضرب بقدمه
في الارض فخرج الماء فقال صلى الله عليه وسلم لابي طالب اشرب قيل هذا كان قبل البعثة
فلم يذكر على سبيل الاحتجاج لان ابا طالب كافر لا يستدل بقوله والحديث في هذا الباب
اي باب نبع الماء وخروجه ببركته صلى الله عليه وسلم كثير ومنه الاجابة بدعاء الاستسقاء
اي دعاؤه بطلب السقي وايجاد الماء عند الحاجة له وما جانسه اي ما شابهه الاستسقاء من السماء
كما ذكرها هنا وهو ماخوذ من الجنس وهو معروف

فصل

مناسب لما قبله لان الاكل والشرب توأمان ومن معجزاته تكثير الطعام ببركته ودعائه
النافعين عند الحاجة وبدا به لحديث رواه مسلم في صحيحه بسند صحيح وهو ثنا القاضي
الشهيد ابو علي رحمه الله هو الحافظ بن سكرة وتقدمت ترجمته ثنا العذري ثنا الرازي
تقدم ترجمتهما وبيان نسبتهما ثنا الجلودي تقدم ترجمته ونسبته وانه يجوز ضم الجيم
وفتحها ثنا ابن سفيان هو ابراهيم بن محمد بن سفيان راوي صحيح مسلم وقد تقدم ترجمته ثنا
مسلم ابن الحجاج صاحب الصحيح المشهور كما تقدم ثنا سلمة بن شبيب ابو عبد الرحمن النيسابوري
الحافظ الثقة اخرج له اصحاب السنن وتوفي سنة سبع واربعين ومائتين ثنا الحسن بن
اعين افعل تفضيل من العين وهو الحسن بن اعين بن محمد الحراني الثقة ثنا معقل عن ابي الزبير
محمد بن مسلم الثقة وترجمته مشهورة عن جابر الصحابي المشهور ان رجلا اتى النبي صلى الله
عليه وسلم يستطعمه اي يطلب منه طعاما له ولاهله لشدة احتياجه وهذا الرجل لم يعرفوا
اسمه لانه من اهل البادية والطعام ما يؤكل وبه قوام ويطلق على غيره مجازا فاطعمه اي اعطاه
لان الاطعام يكون بمعنى الاعطاء كثيرا حتى كانه لكثرته يستعمل فيما لم يكن ماكولا فيقال اطعمه
السلطان بلدة وهو مجاز مرسل او استعارة شطر وسق شعير الشطر هنا بمعنى النصف وهو
اصله ويكون بمعنى البعض مطلقا وبمعنى الجهة لقوله تعالى فولوا وجوهكم شطر المسجد الحرام
والمراد جهته والوسق بفتح الواو وكسرها وسكون السين المهملة وقاف بمعنى الحمل فيقال وسق
بعير اي حمله وصار حقيقة في ستون صاعا بصاعه صلى الله عليه وسلم وهو ثلاثمائة وعشرون
رطلا حجازية واربعمائة وثمانون رطلا عراقية على الاختلاف في قدر الصاع والمد فالشطر منه
ثلاثون صاعا وعلى الاول مائة وستون رطلا وعلى الثاني مائتان واربعون والكلام في
المقادير الشرعية مفصل في كتب الفروع فما زال ياكل منه وامراته بالرفع معطوف

على الضمير

٤٢٨

على الضمير المستتر في ياكل من غير فصل بضمير مؤكد كاسكن انت وزوجك الجنة
وهو الافصح وقد يعطف من غير فاصل اصلا كما في قول علي كنت وابو بكر وعمر لكنه قليل
وضيفه اي من نزل عليه من غير اهله وهو يطلق على الواحد وغيره وقد يختص بالمفرد فيقال
ضيف وضيفان وضيوف اي لم يزالوا ياكلون منه وهو باق على حاله من غير نقص لانه لا يزال
يكثر ببركة النبي وهو محل استشهاد المصنف وفي نسخة وضيف حتى كاله غاية لاكلهم
اي استمر اكلهم منه من غير نقص شيء منه الى ان كاله فظهر نقصه بتعدد الكيل بما ياخذ منه
فكانت البركة في ترك كيله حتى لو لم يكله لم ينفد وترك الكيل والعد فيه بركة لما فيه من
الاتكال على الله وهو اكثر بركة وهكذا جرت عادة الله واما ما ورد في الحديث من قوله
صلى الله عليه وسلم كيلوا طعامكم يبارك لكم فيه فهو بالنسبة لمن كان يخشى خيانة فيه
وقيل المراد كيلوا ما تخرجونه للنفقة منه لئلا يخرج اكثر من الحاجة او اقل بشرط ان يبقى
الباقي مجهولا غير مكيل وقيل انه انما كان كذلك لان فيه سرا من اسرار الله ينبغي كتمه
واتى النبي صلى الله عليه وسلم واخبره بتكثير ما اعطاه له صلى الله عليه وسلم ببركته
فقال له لو لم تكله لاكلتم منه اي لاستمر اكلكم منه الى غير النهاية ولقام بكم اي لكفاكم
مدة حياتكم وكان فيه قوام لكم من غير نقص وهذا الرجل هو جد سعيد بن الحارث وكان استعان
به صلى الله عليه وسلم في نكاحه فانكحه امراة فكلنا منه طعاما ما يقوم به ويزوجه ولم
يكن عند رسول الله شيء فبعث ابا رافع وابا ايوب الانصاري بدرعه فرهناه عند يهودي
في شطر وسق من شعير ودفعه اليه قال فاكلنا منه سنة وبعض سنة ثم كلناه فوجدناه
كما ادخلناه ومن ذلك اي تكثير الطعام ببركته حديث ابي طلحة المشهور في قصته
التي رواها الشيخان عن انس وهو زيد بن سهل بن الاسود الانصاري الصحابي توفي سنة
احدى وثلاثين وقيل غير ذلك والمشهور بمعنى انه كثرت روايته في كتب الحديث وتعددت
طرقه ويحتمل ان يريد بالمشهور معناه المعروف في مصطلح الحديث واطعامه صلى الله عليه
وسلم مرفوع عطف على حديث ثمانين او سبعين رجلا وجزم مسلم بالثمانين من اقراص
من شعير جمع قرص وهو رغيف من شعير صغير اتى بها انس بن مالك وهو ربيب ابي طلحة تحت
يده اي ابطه بكسر الهمزة وكسر الباء وتسكينها والابط تحت المنكب وفسره به لان اليد تستعمله
وغيره والابط يذكر ويؤنث فامر بها اي بالاقراص ففتت يقال فته يفته اذا قطعه
باصابعه قطعا صغيرة بمقدار اللقمة وقد يطلق بمعنى التكسير مطلقا وقال فيها اي
في شانها بان دعا ببركتها وذكر اسماء الله عليه وقيل بمعنى على كقوله لاصلبنكم في جذوع
النخل ما شاء الله ان يقول اي ما قدره وعلمه من الذكر الذي لم يطلع عليه وهو حديث
طويل في الصحيحين اقتصر المصنف على بعضه اعتمادا على شهرته وفيه ان ابا طلحة قال
لام سليم لقد سمعت قول رسول الله ضعيفا اعرف فيه الجوع فهل عندك شيء فقالت نعم
فاخرجت اقراصا من شعير وفيه انه دعا القوم عشرة عشرة وحكمته ان لا يزدحموا
على قصعة واحدة كانت صغيرة وهذا كان بالمدينة لا بالخندق كما توهمه القسطلاني
والحديث طويل والكلام عليه مفصل وفيه انهم بعدما اكلوا دفعه لاهل المنزل فاكلوا
واطعموا جيرانهم وحديث جابر الذي رواه البخاري في اطعامه صلى الله عليه وسلم
يوم الخندق الى قصة الخندق المشهورة في السير ومعناه معروف وهو معرب كنده

بمعنى الحفر الف رجل بالنصب مفعول اطعام ويوم الخندق منصوب على الظرفية وحدث
مبتدا خبره مقدر اي ومن ذلك من صاع من شعير بالاضافة وتقدم معنى الصاع وعناق بفتح العين
وهو الانثى من اولاد المعز لم يتم سنة وقيل هي التي قاربت الحمل ولم تحمل قال جابر فاقسم بالله
لاكلوا وفي نسخة لقد اكلوا ولما كان هذا امرا غريبا خارقا للعادة اكده بالقسم لانه مظنة
الانكار حتى تركوه وانحرفوا اي اكلوا كلهم حتى شبعوا وقاموا وانصرفوا والانحراف الميل
الى جهة اخرى غير الذي كان متوجها لها من الحرف وهو الطرف ومنه قوله ومنهم من يعبد الله على
حرف اي على طرف غير متمكن وان برمتنا لتغط البرمة بضم البا الموحدة وسكون الرا المهملة
ثم ميم وهي القدر مطلقا او من حجارة وهو المعروف وجمعها برام وتغط بضم المثناة وفتح او كسر
الغين المعجمة وبعدها طا مهملة مشددة اي تغلي غليانا يسمع له صوت كغطيط النائم والمخنوق
كما هي اي هي على حالها الاول لم ينقص منها شي مع كثرة من اكل منها وهذا محل الشاهد وان عجيننا
ليخبز اي انهم استمروا على خبز العجين وايصاله شيئا فشيئا من الاكل منه ولم ينقص ببركته صلى
الله عليه وسلم لانه بصق في البرمة والعجين وبارك عليه كما ذكره المصنف ومعنى بارك دعا
فيهما بالبركة اي الزيادة والنمو رواه اي روى هذا الحديث عن جابر سعيد بن ميناء
بكسر الميم وسكون المثناة التحتية والنون والمد والقصر وبالصرف وعدمه على ان وزنه
فعلا او مفعال وسعيد هذا اخرج له البخاري ومسلم وميناء علم منقول من الميناء وهي مرسى السفن
وجوهر الزجاج وايمن بزنة افعل من اليمن وهو ايمن الحبشي المكي والد عبد الواحد بن ايمن
مولى عمرة المخزومية الثقة وقال ابن حبان انه ايمن بن ام ايمن هذا قيل يعني ابن فقد خلط من جمعه
بين جمعه وتبعه التلمساني وحديث ابي ايوب اي ومن ذلك حديث ابي ايوب الذي رواه
عنه الطبراني والبيهقي وهو انه صنع صلى الله عليه وسلم وابي بكر من الطعام زهاء
اي مقدار ما يكفيهما اي طعاما يكفي رجلين فقط وهو بيان لقلته فقال له النبي صلى الله عليه
وسلم لما اخبره بذلك ودعاه ادع ثلاثين من اشراف الانصار انما خصهم ليتالفهم كي
يسلموا فان ذلك كان في اول الهجرة وسماهم انصارا لعلمه بانهم سينصرونه وتفاولا بذلك فدعاهم
وقيل معناه اخلصوا في اسلامهم فاكلوا حتى تركوه اي شبعوا وتركوا الطعام او الاكل منه
ثم قال ادع ستين من اشراف الانصار فكان مثل ذلك اي اكلوا حتى تركوه ثم قال ادع
سبعين فاكلوا حتى تركوه اي الطعام والاكل كامر وما خرج احد منهم اي ممن دعاه واكل
واكل حتى شبع حتى اسلم وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجهاد معه ونصرته لما
راوا من تلك المعجزة ولطفه بهم وفي نسخة الا حتى اسلم قيل وصوابه اسقاط الا ولا وجه له
قال ابو ايوب فاكل من طعامي مائة وثمانون رجلا ذكر بعضا منهم وترك الباقي
كانه لكونه لم يدعهم بامره والمذكور مائة وستون غير ابي بكر والنبي صلى الله عليه وسلم وعن سمرة
بن جندب تقدم ترجمته وانه بضم الدال وفتحها اتي النبي صلى الله عليه وسلم بالبنا للمجهول
اذ لا يتعلق غرض ببيان الاتي بقصعة بفتح القاف ولا تكسر القصعة فيها لحم مطبوخ
فتعاقبوها اي دخل جماعة من الصحابة بعد جماعة فان كلا منهم اتى على عقب بعض اي فاصل
لانه محل الاعجاز من غدوة حتى الليل بالجر ويجوز رفعه ونصبه يقوم قوم ويقعد
آخرون تفسير لما قبله من تعاقب القوم قيل عليه المعروف من حديث سمرة من غدوة الى
الظهر يقوم قوم ويقعد آخرون قال فقيل لسمرة هل كان يمد قال فمن اي تعجب ما كان الا من ههنا

واشار

واشار الى السما ومن ذلك حديث عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق اي من معجزاته في تكثير الطعام
ببركته وهذا الحديث رواه الشيخان في صحيحيهما كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ضميره كنا له مع غيره
من الصحابة وخبر كان ثلاثين ومائة ومع النبي حال من اسم كان او هما خبران اي خبر بعد خبر وذكر
انه عجن صاعا من طعام روي ببنا عجن للفاعل ونصب صاعا وبنا به للمفعول ورفعه وصنعه
بمعنى طبخه في قوله وصنعت شاة فشوي ببناء المفعول سواد بطنها المراد به الكبد خاصة
او حشوها مطلقا والاول اظهر قال اي عبد الرحمن بن ابي بكر وايم الله قسم كعهد الله وهو مبتدا خبره
محذوف تقديره قسمي مرفوع وجوز بعضهم جره بواو القسم وفيه لغات كثيرة وهمزته همزة وصل
وهو اسم وقيل حرف وقيل انه في الاصل جمع يمين والكلام عليه مفصل في باب القسم ولا يجر بالاضافة
لغير لفظ الله وجوز ابن مالك جره ما من الثلاثين ومائة احد الا وقد حز له حزة بفتح
الحا المهملة والحز هو القطع بالسكين والحزة بالضم القطعة من اللحم من سواد بطنها اي كبدها والحز
بعينه بحسب الظاهر وهو القطعة من اللحم من سواد بطنها وهو انسب بمحل الاشتراك لكفاية الكبد
لهم في تفرقتها عليهم ثم جعل منها اي طبخ من الشاة ما جعل منه قصعتين فاكلنا اجمعون بالرفع
تاكيد لاسم كان من غير ان يكون تابعا لكل لقوله لاغوينهم اجمعين وفضل في القصعتين اي
فضل من لحمها مقدار في القصعتين بعدما اكلوا حتى شبعوا وقد صرح به في الصحيحين قيل ولو
ذكره المصنف كان اولى لانه محل الشاهد وفضل بمعنى بقي فيه ثلاث لغات كدخل يدخل وعلم يعلم
وبالكسر في الماضي وضم عين المضارع وهي شاذة او من التداخل فان كان من الفضيلة فبالفتح
والضم لا غير فحملته على البعير فيه اشارة لكثرة ما بقي بعد اكلهم كلهم ومن ذلك اي من معجزاته
في تكثير الطعام ببركته ما رواه ابن سعد والبيهقي وصححاه حديث رواه عبد الرحمن بن ابي
عمرة بفتح العين وسكون الميم وراء مهملة الانصاري عن ابيه ابي عمرة بشر بن عمرو بن محصن
الانصاري البخاري الصحابي البدري قتل مع علي بصفين وفي اسم ابي عمرة اختلاف وابنه عبد
الرحمن اخرج له اصحاب الكتب الستة لا الدارقطني فقط وهو ثقة وهذا الحديث مروي في بعض
غزواته صلى الله عليه وسلم ومثله اي مثل حديث عبد الرحمن لسلمة بن الاكوع وابي هريرة
في مسلم وعن عمر بن الخطاب ورواه ابو يعلى بسند جيد فذكروا اي هولاء مخمصة بفتح
الميمين بينهما خاء معجمة ساكنة ثم صاد مهملة وهي الجوع من الخمص وهو خلو البطن اي مجاعة اصابت
الناس مع النبي صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه جمع مغزاه بمعنى موضع الغزاة وهو
بمعنى الغزو ونفسه وهذه الغزوة غزوة كما في مسلم وفي دلائل البيهقي انه في غزوة
غطفان وفي غيره عن ابن عباس انهم في مرجعهم من الحديبية كلمه بعض اصحابه وقالوا اجهدنا
وفي الناس ظهر فاعتزلنا الحديث فالقصة وقعت مرتين فدعا ببقية الازواد اي من كل
رجل منهم ان ياتي بما بقي عنده من زاده فجا الرجل بالحثية بفتح الحا المهملة وسكون الثا المثلثة
والمثناة التحتية يقال حثوه بالواو ولانه يقال حثى يحثي وحثا يحثو وهي والحفنة بالفا والنون
بمعنى وهو ما يملؤ اليدين معا وقيل بالفا في اليدين وبالثا في احدهما وروي بالخبنة بخاء
معجمة مضمومة وبعدها موحدة ساكنة ونون وهي ما يحمل في الحضن تحت الكشح والاول
اشهر واظهر وتعريف الرجل هنا للعهد الذهني كادخل السوق وليس المراد به رجل معين من الطعام
اليسير الذي بقي عنده وفوق ذلك اي او بل منه بيسير واعلاهم اي اكثرهم زادا وبقيته هو
الذي ياتي بالصاع من التمر فجمعه اي وضع ما اجتمع من الازواد على نطع بكسر النون وفتح

الطا المهملة بزنة عنب بساط من ادم وفيه لغات اربع هذه افصحها وبفتح نونه مع فتح
الطا وسكونها وبكسر نونه مع سكون الطا **قال سلمة فحزرته** بحا مهملة وزاي معجمة
وراء مهملة اي قدرته بطريق الحدس والتخمين **كربضة العنز** براء مهملة مفتوحة وقيل
انها مكسورة لا غير لان المراد بيان الهيئة وموحدة وضاد معجمة من الربوض وهو كالجلوس
في الانسان والبروك للابل والجثوم للطير اي مقداره مقدار جثة عنز باركة على الارض او
تمثيل لموضع من النطع لموضع ربوضها **ثم دعا الناس باوعيتهم** اي طلب مجيئهم ومعهم
اوعيتهم لياخذوا مما اجتمع عنده وفي الحديث حتى ملوا ازودتهم قال المصنف في الاكمال كذا الرواية
عن جميع شيوخنا والازودة بمعنى الاوعية كما سميت الاسقية روايا وورد ايضا جاوا باوعيتهم
فما بقي في الجيش وعاء الا ملوه مما اجتمع عنده **وبقي منه** اي فضل منه بقية بعد ما اخذ
الجميع كفايتهم والمصنف اقتصر على محل الشاهد من الحديث لطوله وفيه انهم اكلوا حتى شبعوا
ثم حشوا في اوعيتهم وقبله انهم لما اصابهم قال له بعضهم لو امرتنا نحرنا نواضحنا اي ابلنا
فقال افعلوا فقال عمر ان فعلوا قل الظهر ولكن ادع بفضل ازوادهم فجعل الرجل يجي بكف
ذرة والاخر بكف تمر والاخر بكسرة حتى اجتمع على النطع فدعا بالبركة وقال خذوا فاخذوا
كلهم وفضلت فضلة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهد ان لا اله الا الله واني رسول
الله الحديث **وعن ابي هريرة** في حديث رواه ابن ابي شيبة والطبراني بسند جيد **امرني
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ادعو له اهل الصفة** الصفة كل مرتفع في الدار
والمسجد وغيره يمتاز عن غيره للجلوس فيه وكان في مسجده صلى الله عليه وسلم محل كذلك
فيه المنقطعون عنده صلى الله عليه وسلم من فقراء الصحابة الاعراب وغيرهم كسلمان
وابي ذر قال ابو نعيم في الحلية كانوا نيفا ومائة مما روي انه روي منهم نحو ثلثمائة رجل
يصلون مع النبي بلا اردية وهولاهم صفوة خلق الله هنيئا لهم وانا اتوسل الى الله بهم ان
يجعلنا في بركتهم **فتتبعتهم** اي ذهبت لكل واحد منهم في مكان كان فيه لانهم في النهار قد
يتفرقون في المدينة لان كل احد لا يخلو من حاجة يذهب لها **حتى جمعتهم** عند النبي صلى الله
عليه وسلم **فوضعت** بالبنا للمجهول **بين ايدينا صحفة** بالرفع نايب الفاعل وهي
اناء بين الصغير والكبير يعد للطعام **واكلنا ما شئنا** حتى شبعنا وانتهت ارادتنا
للاكل **وهي مثلها وضعت** جملة حالية اي وهي مملوءة بما فيها كما كانت حين وضعها بين
ايدينا **الا ان فيها اثر الاصابع** اي اصابع من اكل منها وهذا تشبيه لحالها بعد الاكل
بحالها قبله فليس فيه تشبيه الشي بنفسه كما لا يخفى وكان اهل الصفة يسمون اضياف
الاسلام لان اكثرهم اعراب وقال اكلنا بضمير المتكلم مع الغير لان ابا هريرة منهم **وعن
علي بن ابي طالب** في حديث رواه احمد والبيهقي بسند جيد **جمع رسول الله صلى
الله عليه وسلم بني عبد المطلب وكانوا اربعين رجلا** وهذا كان بمكة في ابتداء البعثة
منهم قوم هو في الاصل مصدر قام ثم صار اسم جمع للرجال خاصة لقيامهم بالامور ۞
يا كلون الجذعة بفتح الجيم والذال المعجمة والعين المهملة وهي من البقر والغنم والمعز
ما تم له سنة وقيل انه في البقر ما دخل في الثالثة والمراد هنا الاول اي اقل ما يكفيهم
كما يقال لمن دونهم اكله راس ويشربون الفرق بين الفا والرا المهملة ويجوز تسكينها
وهو مكيال يسع ثلاثة اصع وهو ستة عشر رطلا كما تقدم اي يروبهم ما فيه وفي الفتح

هنا اختلاف ففي بعضها بني عبد المطلب منهم من يا كل جذعة وفي بعضها عبد المطلب منهم
قوم من يا كل الجذعة وفي بعضها منهم قوم يا كل وفي بعضها منهم قوم يا كلون وهذه اقرب وفي
التي قبلها قلق ثما وقال التلمساني المراد بالجذعة جذعة الابل كما ورد مفسرا في بعض الروايات
وهي التي تدخل في الخامسة **فصنع لهم مدا من طعام** اي طبخه وسواه **فاكلوا حتى شبعوا
وبقي كما هو** ما موصولة وهو مبتدا خبره اي قبل الاكل والجملة صلة والمراد انه لم ينقص كانه
ما اكل منه **ثم دعا بعس** بضم المهملة وتشديد السين المهملة وهو قدح من خشب يروي الثلاثة
والاربعة والمعنى بعس من لبن طلبه من اهله لهم **فشربوا** من العس **حتى رووا** اي تم
شربهم منه **وبقي كانه لم يشرب** منه شي وتفصيله كما في الدلايل للبيهقي وغيره بسند صحيح
انه لما نزل عليه وانذر عشيرتك الاقربين الاية قال صلى الله عليه وسلم ان بدات قومي
بها رايت منهم ما اكره فصمت فجاه جبريل فقال يا محمد ان لم تفعل ما امرك به ربك عذبك
فدعا عليا واخبره بذلك وبما قال له جبريل له ثم قال له فاصنع طعاما واعد لنا عس لبن ۞
ثم اجمع بني المطلب وهم نحو اربعين من اعمامه فلما اجتمعوا قدم لهم الطعام وقال كلوا بسم الله
فاكلوا ثم شربوا فلما اراد ان يكلمهم تفرقوا قال ابو لهب سحركم فتفرقوا ولم يكلمهم فلما كان الغد
فعل مثل ذلك فلما اراد ان يكلمهم تفرقوا وفي الثالثة قال يا بني عبد المطلب انه لم يجيكم
احد بافضل مما جيتكم به اني قد جيتكم بامر الدنيا والاخرة الى اخر الحديث والذي في البخاري عن
ابن عباس انها لما نزلت صعد على الصفا ونادى يا بني فهر يا بني عدي ويا بطون قريش
حتى اجتمعوا الخ ولعل ذلك تكرر فحضر اولا ثم عم **وقال انس** في حديث رواه الشيخان واللفظ
لمسلم **ان النبي صلى الله عليه وسلم لما ابتنى بزينب** بنت جحش ام المومنين وهو افتعال
من البنا وهو التزوج هنا ويقال بنى بها وعليها **امره** اي امر النبي انسا **ان النبي صلى الله
عليه وسلم ان يدعو له قوما سماهم** اي عينهم باسمايهم **وكل من لقيت** بتاء الخطاب ومن
منصوبة محلا بمقدر اي قال له ادعهم وادع كل من لقيته فهو تعميم بعد تخصيص لم اعتنى به
فدعاهم او فقال فدعوتهم **حتى امتلا البيت** بالناس المراد به المنزل كله وقيل انه اراد به
الصفة التي فيه كما ورد مصرحا به والحجرة هي بمعنى البيت والغرفة وكان لكل زوجة من ازواجه
صلى الله عليه وسلم حجرة تخصها واصل معنى الحجرة بقعة تفرد ببناء تحجر ثم عم وقدم اليهم
تورا بمثناة فوقية مفتوحة وواو ساكنة وراء مهملة وهو اناء من صفر او حجارة كالاجانة
او كالقدح الذي يشرب فيه **فيه قدر مد من تمر** بيان لمد وقدر تقدم تفسيره **جعل** بالبنا
للمفعول **حيسا** مفعوله الثاني وهو بفتح الحاء المهملة وسكون المثناة التحتية والسين المهملة
وهو تمر خلط بسمن او اقط ودقيق قال ۞
التمر والسمن معا ثم الاقط ۞ او الدقيق الحيس لم يختلط
وقال ابن قرقول انه قيل انه تمر ينزع نواه ويخلط بالسويق والاول اعرف واصل معنى الحيس
الخلط **فوضعه** صلى الله عليه وسلم والضمير للتور **قدامه** بين يديه **وغمس ثلاث اصابعه**
اي ادخلها فيه لتحصل البركة ولتطيب قلوبهم باكله معهم والسنة ان ياكل بثلاث اصابع
ففيه تعليم لهم **وجعل القوم يتغذون** بذال معجمة من الغذا بمعجمتين وهو اعم من الغدا بالدال
المهملة وفي مسلم انه دعا الناس بعد ارتفاع النهار فيصح ان يكون بالمهملة ايضا كما في المقتفي
ويخرجون من الحجرة **وبقي التور نحوا** تمييز او حال **مما كان** قبل الاكل منه لم ينقص نقصا كثيرا

وكانوا اصلا وثلاثين او اثنين وسبعين رجلا وهو شك من الراوي وقيل انه من
القصة في بيانه بصفته والراوي ادخل قصة في قصة وقيل يحتمل انه اتفق الشيان من
الشاة والحيس الذي لام سليم كما سياتي وفي قوله بقي النور نحو ما اي بقي ما فيه وفي رواية
اخرى في هذه القصة اي قصة وليمة زينب او مثلها فيما ذكر من الاطعام ان القوم كانوا
زها ثلثمائة اي مقدارهم وانهم اكلوا حتى شبعوا وقال لي بعد ما شبعوا ارفع التور
من مكانه فما ادري حين وضعت بضم التاء للمتكلم اي احين وضعته او بتاء التانيث الساكنة
كالتي في قوله كانت بالتانيث باعتبار انه آنية اكثر ام حين رفعت بالوجهين وروي
لترفع بدل ارفع بلام الامر والخطاب والاول اولى وافصح وهذا حديث طويل في مسلم اختصره
المصنف اقتصارا على محل الشاهد منه وفي حديث جعفر الصادق عن ابيه محمد الباقر عن
علي بن ابي طالب جد والد محمد اعني زين العابدين بن الحسين بن علي فهو حديث منقطع
كما رواه بن سعد فان كان علي المذكور علي الاصغر فالحديث مرسل او معضل فهو ضعيف ان
فاطمة الزهراء طبخت قدرا اي طعاما في قدر ففيه تجوز او هو بتقدير مضاف اي طعام
قدر لغذائها بمعجمة وهو كل ما يوكل في اي وقت او بمهملة وهو ما يوكل اول النهار اي لاجل غدائها
وفي نسخة تتغذى به ووجهت عليا اي ارسلته لجهته والمراد بيته الى النبي صلى
الله عليه وسلم ليتغذى معها فامرها اي قال لها اغرفي من القدر فغرفت بالغين
المعجمة لجميع نسائه التسع المعروف صحفة صحفة منصوب كتعلمت النحو بابا بابا والصحفة
اناء صغير معروف ثم له ولعلي اي ثم غرفت له ولعلي ثم لها اي غرفت لنفسها ما تتغذى به
ثم رفعت القدر بعد ما غرفت لجميع من ذكر وانها لتفيض جملة وتفيض بفاء وضاد معجمة
من الفيض والمراد انه بعد ما غرف منه بقي مملوا بطعام كثير يسيل من جوانبه ببركته صلى الله
عليه وسلم وكان بعثت له ليجيئها ويأكل معها فلم يأت وامرها بما ذكر لما فيه من مكارم الاخلاق
والايثار قالت فاطمة فاكلنا منها اي اكلنا كلنا من طعامها والضمير للقدر لانه مؤنثة
وقيل يجوز تذكيرها وتانيثها فالمراد ان فاطمة واهل بيتها اكلوا مما بقي في القدر بعد ما فرقته
ما شاء الله اي الذي اراده الله لنا او مدة ارادة الله ذلك وهو كناية عن كثرة ذلك وامر
رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث آخر عمر بن الخطاب ان يزود اي يعطيهم ما يكفيهم
من الزاد اربعمائة راكب من احمس بزنة احمر بحاء وسين مهملتين بينهما ميم اسم قوم من العرب
وهم بطن من ضبيعة يقال لهم بنو احمس وهو من الحماسة وهي الشدة والصلابة ويقال لقريش
الحمس لتصلبهم في دينهم في الجاهلية فقال ما هي الا اصوع بفتح الهمزة وضم الواو ويجوز
ان تبدل الهمزة كما في الصحاح وهو اناء يشرب فيه ومكيال معلوم وهو جمع صاع قال ابن قرقول
فيه لغات صاع وصوع وصواع ويجمع على اصوع وصيعان وفي كثير من الروايات اي في الحديث
اصع بالمد والصواب اصوع انتهى وقوله والصواب اصوع غير مسلم واذا جاء نهر الله بطل نهر
معقل وهو مبني على عدم صحة الاستدلال بالحديث في العربية وهو على الاطلاق فاسد اي قال
عمر ليس التمر الذي عندي يكفي فانه اصوع قليلة فان الصاع مكيال يسع اربعة امداد والمد
رطل وثلث او رطلان عراقيان على اختلاف فيه كما تقدم والضمير اعني هي للوسع وان تاخر لا
للوديعة كما في قوله تعالى ان هي الا حياتنا الدنيا قال الزمخشري هذا ضمير لا يعلم ما يعنى به
الا بما يتلوه واصله ان الحياة الا حياتنا الدنيا ثم وضع الضمير موضع الحياة لان الخبر يدل عليها

وبينها ومنه قوله هي النفس ما حملتها تتحمل وهي اي العرب تقول ما شاءت انتهى
قال ابن مالك وهذا من جيد كلامه وفيه كلام في شرح التسهيل لا يسعه المقام قال
صلى الله عليه وسلم لعمر اذهب وافعل ما امرتك به ولا تبال بقلة ما عندك فذهب عمر
فزودهم منه اي اعطاهم ما يكفيهم من التمر الذي عنده وكان اي التمر قدر الفصيل هو ولد
الناقة الصغير الرابض اي البارك على الارض وهو بيان لمقداره تخمينا من التمر بان لقدره
وبقي بحاله اي لم ينقص شيئا مما اعطاهم منه وهو من المعجزات من رواية دكين خبر مبتدا
مقدر وهذا الحديث من رواية دكين وهو بضم الدال المهملة وكاف مفتوحة ثم ياء تصغير ونون
ورواه العزفي بالراء بدل الدال وقال انه الصحيح ودكين هو ابن سعيد بالتصغير وقيل سعد
وقيل سعد المزني وقيل الخثعمي وله صحبة وهذا الحديث رواه ابو داود في الادب قال
اتينا النبي صلى الله عليه وسلم فسالناه الطعام فقال يا عمر اذهب فاعطهم فارتقى بنا
الى علية فاخذ المفتاح من حجرته ففتح والمسالة غير هذا الحديث فلم يروه غير ابي داود الاحمسي
نسبة لبني احمس قبيلة كما تقدم وهو صفة دكين ومن رواية جرير اي مثل رواية دكين
ولم يخرجه ومثله اي مثل المروي المذكور ما خرجه احمد والبيهقي بسند صحيح رواية
النعمان بن مقرن بضم الميم وفتح القاف وكسر الراء المهملة المشددة وقيل القاف ساكنة والراء
مخففة مكسورة وهو احمسي ايضا واحمس فخذ من مزينة وتقدم انهم من ضبيعة من نسل اد
بن طابخة وللنعمان سبعة اخوة كلهم صحابة هم النعمان ومعقل وعقيل وسويد وسنان
وعبد الرحمن ولم يسلم الرابع قال السهيلي بنو مقرن المزني هم البكاؤن الذين نزل فيهم ولا
على الذين اذا ما اتوك لتحملهم الاية الخبر بعينه بالرفع والنصب والباء مزيدة في التاكيد
يقال هذا عينه وبعينه كما ذكره وتلطف القائل متغزلا فقلت هذا قاتلي بعينه وحاجبه
وزيادة حاجبه فيه من كلام المولدين لتوهمهم او لايهامهم انها الباصرة الا انه قال
في هذه الرواية اربعمائة راكب من مزينة فزاد قوله من مزينة وكذا رواه ابو داود في سننه
قيل واختلاف الروايات يدل على تعدد القصة وفيه شيء ومن ذلك اي من معجزاته في
جمل القليل كثيرا حديث جابر بن عبد الله الانصاري وهذا الحديث رواه البخاري في دين
ابيه بعد موته اي في قصته لما مات ابوه وعليه دين اراد اداءه لغرمائه وكان قد
بذل بموحدة وذال معجمة اي اعطى وهو مجاز بمعنى اراد بذله لغرمائه ابيه جمع غريم وهو هنا
الدائن الطالب له من الغرام وهو اللزوم كما قال تعالى ان عذابها كان غراما اصل ماله اراد باصل
ماله بستان ونخل له كان يتقوت منه والمال في لسان العرب لا يختص بالنقود كما في
وشاع اطلاقه على الابل قديما كما يشير اليه قوله فلم يقبلوه لانه لا يفي بدينهم او لعدم
احتياجهم او لانه لم يكن مرضيا لهم ولم يكن في ثمرها انث الضمير الراجع للمال نظرا لمقالات
المراد به هنا النخيل جمع نخل وهي تونث والثمر بالمثلثة واحده ثمرة ولا حاجة لجعله راجعا
لاموال المعلوم من قوله مال ولا الى تفسيره بالفوائد مطلقا ليشمل الالبان والنتاج كما قيل
ولا وجه له لما ستبينه في الحديث وقوله سنتين مثنى سنة وفي نسخة سنين بصيغة الجمع
والاول هو الصحيح كفاف دينهم بفتح الكاف بمعنى ما يفي به ويكفيه ومنه اللهم اجعل رزقي
كفافا اي مقدار الكفاية وبفتحها بمعناه الخيار وهو غير مناسب هنا كقراءة ثمر بمثناة فوقية
وان صح معنى وسنتين ظرف مستقر لا لغو متعلق بثمر بالمعنى المصدري حال من ثمر فجاءه النبي

صلى الله عليه وسلم نخرما امر بجذها بفتح وذال معجمة ويجوز اهمالها وكلاهما بمعنى قطع الثمار وجمعها وجعلها بصيغة المصدر بيادر بمثناة تحتية ودال وراء مهملة جمع بيدر بزنة حيدر وهو الموضع الذي يوضع فيه التمر للتنشف والبر ونحوه ليخلص من تبنه والكوم من الطعام كالتمر والحنطة ويجوز ويصح ارادة كل منهما هنا والظاهر الثاني والبيدر هو الجرين والجرن واهل العراق يسمونه انذر وجمعه انادر وفي المغرب يسمونه نادر وكانه غلط من الاندر في اصولها اي جعلها كوما كوما في اصول الثمار وهي النخل والمراد انه كومه في حديقة غالة حتى يعلم مقدارها فمشى فيها النبي صلى الله عليه وسلم وفيه مضاف مقدر اي في ارضها او المراد ما بينها وفعل ذلك لتحصل البركة ويسمو ما فيها فدعا الله ان يبارك فيها فنمت وزادت فاوفى منه غرماءه اي اعطاهم ما في البيادر مقدار حقهم بتمامه من قولهم اوفاه حقه ووفاه فاستوفاه وتوفاه اخذه بتمامه وضمير غرماءه لابيه لعلمه مما تقدم اوله لقيامه مقامه في اداء دينه وفي نسخة غرماء ابيه وهي ظاهرة وفضل اي بقي منه بعد ما ادى كل ذي حق حقه وهو مثلث الضاد والفتح افصح مثل ما كانوا يجذون بفتح المثناة التحتية وضم الجيم وتشديد الدال معجمة او مهملة اي ما كانوا يقطعون من ثمارها في كل سنة وفي رواية مثل ما اعطاهم اي بقي مثل ما اعطي غرماء ابيه وفيه زيادة كثيرة على ما في الرواية الاولى من ان ثمرها لا يفي بدينهم في سنتين او سنين قال اي جابر وكان الغرماء يهود بالنصب خبر كان وهو ممنوع من الصرف لانه علم لهذه الطايفة وقد ينكر وينون فعجبوا من ذلك اي مما راوه من كفاية ثمرها وزيادته مع انه كان لا يكفي في سنين وهو من معجزاته العظيمة وهذا الحديث في البخاري وغيره اقتصر المصنف على محل الشاهد منه وكان ابو جابر استشهد باحد وترك عليه دينا كثيرا وله ست بنات وكان الدين لرجل من اليهود ثلاثين وسقا فاستنظره جابر فلم ينظره فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك فكلم اليهودي فلم يرض فامر رسول الله بتمره واتاه وطاف ببيدره ثلاث مرات وامره بان يكيل لهم فكال حتى وفي لهم ثلاثين وفضل سبعة عشر وفيه تصريح بان ماله حديقة نخل وهذا ما وعدناك به فلا تكن من الغافلين وقال ابو هريرة في حديث رواه البيهقي مسندا اصاب الناس مخمصة اي جوع كامر فقال لي رسول الله هل عندك من شيء من جنس الطعام ومن زايدة هنا لاطرادها بعد النفي والاستفهام وشيء مبتدا خبره مقدر كما ذكرناه قلت نعم شيء من التمر قليل في المزود بكسر الميم وهو وعاء الزاد قال فاتني به فاتاه به اي بالمزود او التمر فادخل يده في المزود فاخرج منه قبضة بفتح القاف وهي المرة كالضربة اريد بها المقبوض من القبض وهو الاخذ بالكف وبالضم اسم المقبوض فبسطها اي وضعها ~~مقبوضة~~ مبسوطة متفرقة ليعلم قلتها ودعا بالبركة اي بان يبارك الله فيها حتى تزيد ثم قال صلى الله عليه وسلم بعد ما دعا ادع عشرة من الناس فدعاهم فاكلوا حتى شبعوا من ذلك التمر ثم قال ادع عشرة كذلك اي فدعوتهم فاكلوا حتى شبعوا وهكذا حتى اطعم الجيش كلهم وشبعوا وهذا يقتضي انه كان في بعض غزواته وقد صرح به في بعض الروايات وسياتي ثم قال لي خذ ما جئت به لانه اطعمهم كلهم وبقي ما جاء به كما كان وهو محل الاستشهاد فانه لم ينقصه وان ياخذ كل ما اراده وقال له ولا تكله ليبارك فيه كما مر قال فاكلت منه واطعمت اهلي ومن اردت اطعامه مدة حياة رسول الله و في مدة حياة ابي بكر وعمر الى ان قتل عثمان بن عفان فانتهب مني بالبناء للمجهول اي نهبه الناس واغاروا عليه فاخذ وفي زمن الفتنة فذهب اي عدم ولم يبق منه شيء ولولا ذلك لكفاه مدة حياته

لما فيه من البركة وفي رواية رواها الترمذي وحسنها في سننه عن ابي هريرة فقد حملت من ذلك التمر الذي اعطانيه رسول الله صلى الله عليه وسلم اي جعلته محمولا معي في اسفاري كذا وكذا كناية عن مقدار ما حمله من وسق بيان لكذا وكذا والوسق حمل بعير كما مر في سبيل الله اي في اسفاري غازيا وسبيل الله الطريق الموصلة اليه فاذا اطلق فالمراد به ما ذكر وفي رواية فلقد حملت بلام القسم وكان يعلقه خلف رحله وكان يقول اصبت بثلاث مصايب لم اصب بمثلهن موت رسول الله وقتل عثمان وذهاب مزوده وروي هذا الحديث بطريق اخر قوية مما هنا وذكرت بالبناء للمجهول وانث لان مثل هذه الحكاية اكتسب التانيث من المضاف اليه في غزوة تبوك فان التمر كان بضع عشرة تمرة ذكره لانه ابلغ في المعجزة لغاية قلته ومنه اي من تكثير الطعام ببركته ايضا حديث ابي هريرة الذي رواه البخاري حين اصابه الجوع وعلمه منه صلى الله عليه وسلم فاستتبعه النبي صلى الله عليه وسلم اي طلب منه ان يتبعه فقال له اتبعني وكن ماشيا معي فتبعه فوجد لبنا في قدح في بيته قد اهدي اليه صلى الله عليه وسلم وامره ان يدعو اهل الصفة ليكونوا تابعين معه وهم فقراء المهاجرين الذين تقدم بيانهم فقلت ما موقع هذا اللبن فيهم وما مقداره القليل كاف لهم كنت احق منهم لشدة جوعي وما علمه الرسول من حالي بان اصيبت شربة من ذلك اللبن اتقوى بها اي يكون فيها تقوية لضعف جوعي وليس هذا انكارا على النبي صلى الله عليه وسلم لانه لا يليق بمثله فهو انما تعجب منه لما استغربه قبل مشاهدة الحقيقة ومثله من الخواطر لا يؤاخذ بها وقيل غايته انه توهم انه ارتكب خلاف الاولى ولا حاجة لمثله فدعوتهم الى النبي صلى الله عليه وسلم وبعد حضورهم امرني اذا سقيتهم فجعلت اي شرعت اعطي الرجل منهم فيشرب بالنصب حتى يروى بفتح المثناة اي يروي عطشه ثم ياخذه الاخر اي فيشرب حتى يروي وهكذا حتى روي جميعهم اي جميع اهل الصفة قال ابو هريرة فاخذ النبي صلى الله عليه وسلم القدح الذي فيه اللبن وهذا القدح لصاحب اللبن الذي اهداه او هو من اقداحه صلى الله عليه وسلم صب فيه اللبن الذي جاءه وقال لابي هريرة بقيت انا تاكيد لضمير الفاعل ليعطف عليه قوله وانت اقعد فاشرب امره بالقعود لان الشرب قائما من غير ضرورة مكروه فشربت ثم قال اشرب مرة اخرى وما زال يقولها اي كلمة اشرب واشرب بالرفع اي وانا اشرب والجملة حالية حتى قلت لا اشرب نفي للشرب المامور به واعتذر عن رده بقوله لا اشرب بعد هذا والذي بعثك بالحق لا اجد له اي للبن مسلكا اي لم يبق في جوفي محلا خاليا يدخله وهو جواب القسم ان لم يكن تاكيدا للنفي قبله وما بعده استينافا او تعليلا له فاخذ صلى الله عليه وسلم اي تناوله بيده من ابي هريرة القدح فحمد الله على ما انعم به من الزيادة وسمى فقال بسم الله وشرب الفضلة اي ما بقي منهم بعد شربهم كلهم والحديث بتمامه في صحيح البخاري اقتصر المصنف على محل الشاهد كما هو دابه وفي حديث خالد بن عبد العزى الذي رواه البيهقي مسندا عنه ولم يذكره اصحاب الكتب الستة ع وخالد هذا كما قاله البرهان هو ابن سلامة ابو خناش بخاء معجمة مضمومة ونون واخره شين معجمة ونون مخففة وهو خزاعي وله صحبة وروي عنه ابن مسعود وقال التلمساني انه خالد بن حزام بن خويلد بن اسد بن عبد العزى بن قصي هاجر الى الحبشة في المرة الثانية فمات في الطريق وهو ابن اخي خديجة ام المؤمنين انه اجزر النبي صلى الله عليه وسلم شاة بالنصب مفعول

آخر بمعنى اعطى والنبي بالنصب ايضا مفعول اول واجزره اعطاه جزرة وهي شاة او نعجة
او كبش تعطى ليجزر اي يذبح ولا يكون في الناقة فانه يقال اجزره وجزرة اذا اعطاه جزورا
الغنم للذبح كالركوب وهو معنى قول الجوهري يقال اجزرت القوم اذا اعطيتهم شاة يذبحونها
نعجة او كبشا او عنزا ولا تكون الجزرة الا من الغنم ولا يقال اجزرتهم ناقة لانها قل تصلح لغير الذبح
انتهى وفي القاموس هنا كلام غير مهذب وقصة خالد هذه كانت بالجعرانة لما نزل عليه رسول
الله وامسى ثم بعثت له صلى الله عليه وسلم العمرة فارسله الى رجل من خزاعة كما في بعض الشروح هنا
وكان عيال خالد كثيرا يذبح الشاة لاجلهم واطعامهم فلا تبد عياله بفتح المثناة الفوقية
وضمها وضم الموحدة وكسرها وفاعله ضمير الشاة يقال بده بموحدة ودال مهملة مشددة يبده اذا
فرقه وقال ابن القطاع بددت الشيء فرقته وابددتهم العطا فرقته فيهم وفي المحكم ابد العطا
بينهم اذا اعطى كل واحد منهم نصيبه على حدة وهو بيان لكثرتهم يعني ان الشاة اذا فرقت عليهم
لا تكفيهم وقوله عظما عظما اي اذا فرقت عليهم قطعة قطعة وعظمة بعد عظمة لا تكفيهم
لكثرتهم وان النبي صلى الله عليه وسلم بفتح همزة ان بالعطف على قوله انه اجزر الخ الذي هو
مبتدا تقدم خبره وهو قوله في حديث خالد اكل من هذه الشاة التي اجزرها خالد وجعل
فضلته اي ما بقي منها بعد اكلهم في دلو وهو وعاء من ادم وجلد يستقى به الما فالمراد به هنا
جراب يشبه الدلو ويجوز ان يراد حقيقته لانه لم يكن معه وعاء غيره ودعا له اي لخالد
ويجوز ان يعود للدلو بالبركة اي بالزيادة ولفظه اللهم بارك لابي خراش فنثر ذلك الطعام
الذي في الدلو اي رماه لعياله بكسر العين قال الصاغاني في التكملة انه جمع عيل كجياد جمع
جيد وهو من يلزمه الانفاق عليه ويكون اسما للواحد كما استعمله الحريري في مقاماته وذكره
المطرزي في شرحه فاكلوا وافضلوا اي ابقوا بقية زادت عن كفايتهم ببركته صلى
الله عليه وسلم وبركة دعائه فكذا خبره اي خبر خالد او خبر ما ذكر من الاكل والزيادة الدولابي
فاعل ذكر وهو بضم الدال المهملة وواو ساكنة ولام والف وبا موحدة وهو اسم بلدة نسب اليها
وهو منقول من الدولاب بضم الدال وفتحها معرب دولب وهو الحافظ ابو بشر محمد بن احمد بن حماد
بن سعيد بن مسلم الانصاري الرازي الوراق المحدث الجليل صاحب التصانيف روى عنه
الكبار كالطبراني وابو حاتم وتوفي بين مكة والمدينة بالعرج في ذي القعدة سنة عشر
وثلثماية ومولده سنة اربع وعشرين وفيه كلام مفصل في الميزان في ترجمته وله ذرية
مشهورة ولهم دولابي آخر وهو ابو جعفر بن الصباح صاحب السنن والمراد الاول كما ذكره البرهان
وغيره وفي حديث الآجري بالمد وضم الجيم وتشديد الراء المهملة منسوب للآجر المعروف
بالطوب نسب لعمله وهو ابو بكر بن محمد الامام البغدادي كما تقدم تفصيله في ترجمته في انكاح
النبي صلى الله عليه وسلم اي عقده نكاحها فاطمة لعلي اللام مزيدة للتقوية انه صلى الله
عليه وسلم امر بلالا ان ياتي بقصعة مملوءة من اربعة امداد او خمسة من حنطة او غيرها
ويذبح جزورا بنصب يذبح بان مصدرية مقدرة وجزورا مفعوله وان يذبح معطوف على مفعول
كما اشرنا اليه او على امر بتقدير وامره ان يذبح والجزور بوزن الشكور واحد من الابل ناقة او جمل
سميت به لانها مما يجزر اي ينحر وهي مؤنثة سماعية وان عمت فتانيثها شبه تغليب فافهم لوليمتها
الوليمة هي الدعوة لطعام يصنع في النكاح خاصة وتجمع على ولائم وهو مستحب قال فاتيته
بذلك الذي امر به من القصعة والجزور فطعن في رأسها ان كان الضمير للقصعة فرأسها

بمعنى اعلاها وان كان للجزور فهو ظاهر وطعن فيها ادخل يده فيها او وسطها لتحصل البركة فيها
ثم ادخل الناس اي امر بدخولهم ليأكلوا رفقة رفقة بالنصب اي حال كون دخولهم جماعة بعد
جماعة والرفقة بضم الراء وكسرها بمعنى الجماعة المترافقين المتصاحبين يأكلون منها جملة مستأنفة
او حال مقدرة حتى فرغوا اي اكلوا جميعا الى ان شبعوا وفرغوا من اكلهم وبقيت منها فضلة اي
فضل منها ما زاد على اكلهم فبرك فيها وفي نسخة فيها وبرك بتشديد الراء المهملة اي دعا بان يبارك فيها
ويجعل فيها البركة وهي الزيادة والنمو وامر بحملها اي بحمل القصعة بما فيها او بحمل الفضلة الى ازواجه
اي الى بيوتهن وقال لازواجه كلن واطعمن من غشيكن بفتح الغين المعجمة وكسر الشين المعجمة اي
كل من ياتي اليكن من غير اهل البيت يقال غشيه غشيا وغشاه اذا اتاه اتيانا قد غشيه اي ستره
وفي حديث انس الذي رواه الشيخان بسنده تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض ازواجه
وهي صفية بنت حيي في مرجعه من خيبر بمحل يسمى سد الصهبا قال انس فصنعت امي
والدة انس ام سليم بضم السين مصغرا واسمها سهلة وهي زوجة ابي طلحة الخزرجية الصحابية
الصالحة القانتة وكان لها منزلة عند رسول الله حيسا وقد تقدم انه طعام يصنع من لبن
واقط وتمر وسمن يجاس اي يخلط بعضه ببعض فجعلته اي وضعته في تور بفتح المثناة الفوقية
وواو ساكنة وراء مهملة وهو اناء من صفر او حجارة واسع رجراج كالصينية القريبة القعر فذهبت
بضم التا وهو ضمير انس المتكلم فقال ضعه على الارض وادع لي فلانا وفلانا مما كان ثم
من كبار الصحابة وخصهم انس بها لطعام ثم فقال ومن لقيت اي وادع كل من صادفته فدعوتهم
اي دعوت كل من عينه او لا ولم ينقل دعوتهما اما لان قوله وفلانا وفلانا مختصر كناية عمن عينه
من القوم او لان الاثنين جمع على قول ولم ادع اي لم اترك دعوة احد لقيته الا دعوته كما امرني
به وذكر انس انهم اي من دعاهم كانوا زهاء اي مقدار ثلثماية رجل فاجتمعوا ثمة حتى ملؤوا الصفة
وهي موضع مظلل قدام البيت او متكة عليه فيه وليس المراد صفة المسجد المعهودة والحجرة وهي
البيت الصغير المفرز من الدار فقال لهم صلى الله عليه وسلم بعد اجتماعهم تحلقوا تفعلوا اي
استديروا حول الطعام كالحلقة طائفة بعد طائفة من غير ازدحام عشرة عشرة ليسعهم مكان
الطعام ووضع النبي صلى الله عليه وسلم يده على الطعام الموضوع وهو الحيس الذي جاء به
فدعا فيه بالبركة وقال ما شاء الله ان يقول اي ما اراد الله من دعائه الذي علمه ولم يعينه
لانه اسره فلم يسمعوه لانه من الاسرار التي خصه الله بها فاكلوا حتى شبعوا كلهم فقال صلى
الله عليه وسلم لي اي لانس ارفع التور بما فيه فما ادري حين وضع عنده قبل الاكل منه
كان الطعام اكثر ام حين رفع بالبنا للمجهول وفي بعض النسخ وضعت ورفعت واعلم ان هذا
الحديث ذكره بعينه عن انس قبل هذا فاعادته هنا تقتضي ان القصة صح عنده تكررها وانه
وقع مرة في تزوجه زينب بنت جحش واخرى حين تزوج صفية وقد استشكله المصنف في
شرح مسلم فقال ما وقع في الحديث من ان تكثير الطعام كان في وليمة زينب التي نزلت فيها
آية الحجاب وتعقبه القرطبي بانه لا وهم فيه ولا مانع من الجمع بين الروايتين بان الذين دعوا
للخبز واللحم اكلوا وذهب منهم جمع وبقي آخرون يتحدثون فجاء انس بالحيس ودعا الناس كما
ذكره المصنف هنا وقال ابن حجر ايضا لا وجه لانكار تكثير الطعام في حديث الخبز واللحم فان
انسا قال انه اولم بشاة اشبعت الناس وما قدرها حتى تشبعهم وهم نحو الالف فالظاهر ان
المصنف رأى هنا تعدد القصة ولذا صرح بزينب اولا ولم يسمها هنا الا انها صفية الا انه

فيه توقف عندي من جهة اخرى فان وليمة صفية كانت في السفر وذكر الحجرة والصفة ينافيه والحيس فيها صنعه رسول الله لا ام سليم وما قيل من ان ام سليم اهدته له بعد قدومه المدينة فرحا بتزوجه لا يخفى ما فيه من البعد وبعد كل كلام فكلام المصنف فيه اضطراب يحتاج للتحرير وأكثر احاديث هذه الفصول الثلاثة اي نبع الماء من بين اصابعه وانفجاره بدعوته وتكثير الطعام ببركته في الصحيح من الاحاديث وكتبها المعتمدة وقوله اكثر اشارة لضعف بعضها وقد اجتمع على معنى هذا الفصل يعني تواطؤا على ما يفيده المجموع بقطع النظر عن كل واحد على حدة بضعة عشر من الصحابة تقدم ان البضع بكسر من الثلاثة الى التسعة مع اختلاف في استعماله فيما فوق العشرين والصحيح جوازه لوروده في الحديث وقوله ببضع وعشرين درجة في فضل الصلاة وتفصيله مشهور رواه عنهم اي روى احاديث الفصل عن الصحابة اضعافهم من التابعين ثم رواه عن الاضعاف من التابعين وتبع التابعين من لا يعد بعضهم بصيغة المجهول وفي بعض النسخ من لا يعد بالنون واكثرها اي اكثر احاديث الفصول المشهورة الثلاثة في قصص مشهورة بحسب الرواية ومجامع مشهودة جمع مجمع وهو محل يجتمع فيه الناس بكثرة قال الفرزدق

اذا جمعتنا يا جرير المجامع

والمشهود من الشهود بمعنى الحضور وفيه تجنيس وموازنة بديعية ومما يقع بين كثير من الناس لا يمكن ان يكون غير واقع او متنقل ولا يمكن التحدث عنها الا بالحق اي لا ينقل عن مثلها الا الامور الصادرة المحققة ولا يمكن ان يسكت الحاضر في مجالس وقوعها والتحدث بها وضمن الحاضر معنى الساكت فعداه باللام في قوله لها على ما انكر منها مما خالف الواقع والله اعلم

فصل في كلام الشجر

الشجر ما قام على ساق واحده شجرة وما عداه نبات وقد يطلق على بعض النبات شجر كاليقطين والحنطة والكلام ما يتلفظ به ويسمع ويجيء بمعنى التكلم وتكليمه له بان يخلق الله فيه نطقا ولما كان هذا امرا خارقا للعادة لم يقل ومن معجزاته فلا حاجة لذكره كما قيل وشهادتها له بالنبوة من عطف الخاص على العام واجابتها دعوته اي طلبه منها ان تجيء نحوه كما سيأتي وله فيها حديث رواه البيهقي والبزار والدارمي مسندا عن ابن عمر وهو ما ذكره بقوله ثنا احمد بن محمد بن غلبون بفتح الغين المعجمة وسكون اللام وموحدة ممنوع من الصرف للعلمية وشبه العجمة كزيدون وسعدون ومثله كثير في لسان اهل المغرب الشيخ الصالح فيما اجازنيه عداه بنفسه لمفعولين وهو لغة حكاها ابن فارس ۞ في المجمل ويتعدى باللام والباء والاجازة الاذن بالرواية عنه والكلام على انواعها ولغتها مفصل في ابن الصلاح وحواشيه فلا حاجة لذكره هنا عن ابي عمر الطلمنكي بفتح الطاء المهملة واللام والميم ونون وكاف تقدم الكلام عليه وعلى نسبته عن ابي بكر بن المهندس المعروف بابن ابي طاهر والمهندس بوزن اسم الفاعل ويقال مهندز بالزاي وهو معروف وليس في لغة العرب دال بعدها زاي والهندسة اسم علم معروف من الرياضيات وفي العرف العارف باحوال البناء عن ابي القاسم البغوي نسبة الى بغ ويقال بغا وهي قرية بين مرو وهراة واصلها بغشور فخفف وهذا هو عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن المرزبان الامام الحافظ الجليل البغدادي ابن بنت احمد بن منيع وليس هو البغوي المشهور صاحب المصابيح

والتفسير

والتفسير محيي السنة ومولد هذا في رمضان سنة اربع عشر ومائتين وتوفي ليلة عيد الفطر سنة سبع عشرة وثلثمائة وترجمته في الميزان ثنا احمد بن عمران الاخنسي بتاء النسبة لاخنس بخاء معجمة ونون وسين مهملة بوزن افضل وقيل انه اخنس بغير نسبة لقب له وقيل اسمه محمد وقيل هما واحد وتوفي في حدود الثلاثين ومائتين وكان ببغداد وفيه كلام ۞ حدثنا ابو حيان التيمي بحاء مهملة ومثناة تحتية مشددة منسوب لتيم قبيلة مشهورة وهو امام ثقة اخرج له الستة وتوفي سنة خمس واربعين ومائة وهذا الحديث منقطع فانه سقط بين ابن عمران وابي حيان راو وهو محمد بن فضيل كما سيأتي في كلام المصنف وتردد في تعيينه ومثله لا يكون رجما بالغيب وكان صدوقا وثقة ردا على من طعن فيه عن مجاهد تقدم ترجمته عن ابن عمر الصحابي المشهور قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فدنا اي قرب منه من الدنو منه اعرابي نسبة الى الاعراب وهم سكان البادية من العرب وفي النسبة اليه وهو جمع حقه ان يرد لمفرده كلام مشهور فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اين تريد اي تقصد بمسيرك وسفرك هذا قال الى اهلي اي اريد مكانا فيه اهلي ولم يعينه لانهم نزالة رحاله وعداه بالى لتضمنه معنى التوجه والارادة متعدية بنفسها وانما قدم سؤاله تانيسا له وازالة لما في نفسه من مهابته لانه كان مهيبا لمن رآه وتوطئة لقوله قال هل لك الى خير اي هل تنقاد وتميل عن غير ما انت فيه قال وما هو اي الخير الذي دعوته له قال تشهد ان لا اله مخففة من المثقلة الا الله وحده حال لازمة اي متوحدا منزها عمن يشاركه في ذاته وصفاته وفي كونه معبودا بحق وقوله لا شريك له تاكيد لوحدانيته بعد تاكيد وان محمدا عبده ورسوله قدم العبودية لتنزيهه لنفسه عن الاطراء في مدحه قال الاعرابي من يشهد لك على ما تقول من دعوى الرسالة قال هذه السمرة بفتح السين المهملة وضم الميم وراء مهملة مفتوحة وهاء وهي شجرة عظيمة ذات شوك من الطلح واشار اليها لقربها منه وهي اي السمرة بشاطئ الوادي بشين معجمة والف وطاء مهملة وهمزة بمعنى جانب وطرف والوادي الارض الواسعة المستوية من ودى بمعنى سال لما فيها من المياه السائلة فاقبلت الفاء فصيحة اي فدعاها لتشهد له فاقبلت تخد الارض بمثناة وخاء معجمة مضمومة ودال مهملة مشددة اي تشقها ومنه الاخدود وشقها لمشيها بعروقها التي في جوف الارض ولولا ذلك لم تتحرك حتى وقفت بين يديه صلى الله عليه وسلم بان قامت محاذية له قريبا منه فاستشهدها ثلاثا اي قال لها ثلاث مرات وطلب منها ان تشهد بانه رسول الله وجملة تخد الارض حالية او مستانفة وانما كرر استشهادها تاكيدا لما يعتقد في قلب الاعرابي فشهدت له بانه رسول الله الذي لا شريك له ولم يبين ما نطقت به لانه معلوم من السياق ثم رجعت الى مكانها الذي كانت فيه وفي هذه القصة معجزات خلق الله في الجماد ادراكا ونطقا وحركة ارادية تجيء وتذهب وقد وقعت على سبيل التحدي فحد المعجزة منطبق على كل واحد منها وفي حديث رواه البزار مسندا عن بريدة بضم الموحدة وفتح الراء المهملة ومثناة تحتية ودال مهملة علم منقول من مصغر البردة المعروفة وهو ابو عبد الله بن الحصيب مصغر حصب بمهملتين وموحدة وهو صحابي اسلم قبل بدر وشهد الحديبية ومات بمرو خراسان غازيا في ايام معاوية او يزيد سنة اثنين او ثلاث وستين هجرية سال اعرابي النبي صلى الله عليه وسلم آية اي علامة ومعجزة تدل على انه رسول الله حتى يؤمن به فقال له قل لتلك الشجرة مشيرا لشجرة كانت ثمة وهي تلك السمرة المذكورة في الحديث الذي قبله او غيرها رسول الله يدعوك بكسر الكاف اي يطلب منك المجيء

اليه والحركة نحوه قال اي بريدة فدعاها فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها اي مالت ميلا شديدا وتحركت في جهاتها الاربع حتى تخلص عروقها من الارض وتمكنها الحركة نحوه فتقطعت عروقها المتمكنة في مغرسها وهو اما على ظاهره او المراد انها تخلصت وهذا هو الظاهر من قوله ثم جاءت تخد الارض وتشقها تجر عروقها من خلفها وهذا يدل على انها لم تتقطع ولو تقطعت فسدت ولم تبق نابتة بحالها وقيل انه معجزة اخرى مخالفة للعادة من بقائها بعد تقطع عروقها التي هي سبب حياتها والجملتان حالان مترادفتان او متداخلتان والثانية مؤكدة للاولى ولذا لم تعطف عليها مغبرة اي مسرعة في مشيها قال في فالمغيرات صبحا ومنه الغارة على العدو وهو منصوب على الحال ايضا حتى وقفت بين يدي رسول الله قريبا منه مواجهة له فقالت السلام عليك يا رسول الله وفيه شهادة برسالته وتوقير له ولم يذكر انه رد عليها السلام لان السلام انما شرع تحية موجبة للرد في حق البشر لانه امان وليست من اهله فما قيل من انه رد عليها السلام مكافاة لها لا وجوبا اذ ليست مكلفة امر محتاج للنقل فكان عليه بيانه والسلام دعا بالسلامة وقيل انه اسم هنا لله اي الله معك حفيظ لك وفيه كلام ليس هذا محله ومغيرة اسم فاعل من الغارة وبعد الغين المعجمة مثناة تحتية وقيل انه بباء موحدة مشددة مكسورة وراء مهملة مخففة وقيل الغين ساكنة والباء مفتوحة مخففة والراء مفتوحة مشددة من الغبار وهو حال من الفاعل المستتر او من العروق ولكل منهما ذهب بعضهم قال الاعرابي مرها بضم الميم امر اصله اومرها فخفف فلترجع الى منبتها تفسير للامر ومنبتها بكسر الباء موضع نباتها ويجوز فتحها فامرها فرجعت لمحلها فدلت عروقها اي ادخلتها في الارض فاستوت اي انتصبت قائمة من غير ميل فقال الاعرابي لما راى هذه المعجزة وآمن به ائذن لي امر من الاذن بكسر الهمزة الاولى وسكون الثانية ويجوز ابدالها ياء اسجد لك مجزوم في جواب الامر او جواب شرط مقدر اي ان تاذن لي في السجود اسجد لك فابى ذلك وقال له لو امرت احدا ان يسجد لاحد اي لو جاز لي امر مخلوق بالسجود لمخلوق مثله لامرت المراة ان تسجد لزوجها لوجوب طاعته عليها ولماله عليها من الحقوق الموجبة للتعظيم والخضوع والسجود والركوع لا يكون لغير الله في ملتنا وقد قيل انه كان جائزا في الشرائع التي قبل شريعتنا بقصد التعظيم لا العبادة ولذا قال تعالى ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا اذا كان الضمير ليوسف وكذلك سجود الملائكة لآدم ثم نسخ هذا في شريعتنا وكان ذلك تحية الملوك عندهم ولذا طلب الاعرابي الاذن في تعظيمه بذلك فنهاه عنه وكذلك الانحناء على هيئة الركوع نهينا عنه وعوضنا عن ذلك تحية الناس بالسلام والمصافحة وقال الاعرابي لما نهاه عن السجود فائذن لي اقبل مجزوم في جواب الامر يديك ورجليك تعظيما لك فاذن له في تقبيل يديه ورجليه وقبلهما وفيه دليل على جواز تقبيل اليد والرجل من الفاضل للمفضول اذا كان ذلك لزهده وصلاحه او علمه وشرفه وليس بمكروه بل يستحب اذا كان تعظيمه لامر ديني كما قاله النووي في الاذكار فان كان لامر دنيوي فهو مكروه وقد وقع في احاديث كثيرة صحيحة تقبيل يد النبي صلى الله عليه وسلم وبهذا رد على المتولي من ائمة الشافعية حيث اطلق القول بعدم جوازه وفي الصحيح اي في الحديث الصحيح او المراد صحيح مسلم لانه روى هذا الحديث مسندا فيه في حديث جابر بن عبد الله الطويل بالجر صفة للحديث وصفه به لتوجيه عدم ايراده بتمامه هنا ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الصحراء لانه لم يكن في بيته خلاء وهكذا سائر بيوتهم يقضي حاجته هو كناية عن التغوط اي ذهب لاجل ذلك فلم ير شيئا يستتر به اي حائلا بينه وبين رؤية عورته بعد كشفها فاذا بشجرتين اذا الفجائية

وال[...]

٤٤٥

والباء زائدة اي فاجاءه بغتة من غير توقف منه اي فاذا هو فالمبتدا مقدر هنا في شاطئ الوادي بالهمزة اي طرفه وجانبه فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم الى احديهما اي توجه الى احدى الشجرتين حتى قرب منها فاخذ بغصن من اغصانها اي امسكه بيده فقال للشجرة انقادي علي اي طاوعيني وميلي علي لتكوني ساترة له عن الاعين باذن الله تعالى اي بتيسيره وتسهيله وارادته لا بقوة جذبي واذن الله يتجوز به تجوزا مشهورا فانقادت معه اي طاوعته ومالت حتى سترته كما اراد وانما امسك غصنها ولم يكتف بمجرد دعوتها كما في الحديث الذي قبله لان ذلك كان لاظهار المعجزة حتى يسلم وهنا لم يقصد ذلك كالبعير المخشوش اي كما ينقاد البعير المخشوش لمن يقوده بسهولة وهو اسم مفعول بخاء معجمة وشينين معجمتين وهو الذي يوضع في انفه خشاش بكسر الخاء والبعير الذي يصعب قوده يخرق انفه ويوضع فيه شيء يذل به فان كان عودا من خشب فهو خشاش وان كان مفتولا من وبر ونحوه فهو خزام وان كان من نحاس ونحوه من المعدنيات فهو برة كما قاله الخطابي وبهذا علمت موقع المخشوش هنا لان الغصن من جنس العود فلذا لم يقل المخزوم وهي نكتة سرية لم ينبهوا عليها والتشبيه في السرعة والسهولة وفيه تشبيه الشجرة بالبعير وهو واقع في كلامهم كعكسه في قوله في الابل

لمن شجر قد انقلتها ثمارها ... سفاين بر والسراب بحارها

والخشاش ماخوذ من قولهم خش بمعنى دخل لادخاله في الانف الذي يصانع قائده صفة البعير وهو يطلق على الذكر والانثى كما مر والمصانعة مفاعلة من الصنع وهو العمل والمراد به الملاينة وسهولة الانقياد مستعار من المصانعة وهي المداراة والاعطاء ولذا قيل للرشوة مصانعة كما قاله الراغب وذكر اي جابر في حديثه هذا انه صلى الله عليه وسلم فعل بالاخرى اي بالشجرة الاخرى التي كانت بالوادي مثل ذلك اي مثل ما فعل بالاولى بان امسك غصنا منها حتى انقادت له بسهولة حتى اذا كان صلى الله عليه وسلم اي حل ووجد بالمنصف بفتح الميم وسكون النون وفتح الصاد المهملة المخففة اي حل في وسط المكان بينهما اي بين الشجرتين وهذا اشترله قال التئما بفتح المثناة الفوقية وكسر الهمزة اي انضما واجتمعا علي باذن الله بتيسيره وارادته والالتئام الاجتماع ومنه التئام الجرح والاستتار من رؤية العورة واجب اذا كان عنده من لا يغض بصره وهذا لا ينافي كون هذا معجزة له فان الامر مستتر باي وجه كان وفي رواية اخرى لحديث جابر من غير طريق مسلم فقال صلى الله عليه وسلم يا جابر قل لهذه الشجرة التي بشاطئ الوادي يقول لك رسول الله صلى الله عليه وسلم الحقي بصاحبتك اي تحركي واذهبي مع الشجرة الاخرى وسماها صاحبة لكونهما في واد واحد او باعتبار ما يؤول اليه بعد اللحوق والانضمام حتى اجلس لقضاء الحاجة مستترا خلفكما فزحفت بزاي معجمة وحاء مهملة وفاء معجمة وفي نسخة فرجفت براء مهملة وجيم وعين مهملة حتى لحقت بصاحبتها فجلس خلفهما بان جعلهما بينه وبين الناس قال جابر فخرجت احضر بضم الهمزة وسكون الحاء المهملة وكسر الضاد المعجمة والراء المهملة اي اسرع في العدو من الحضر بالضم والسكون قال الجوهري الحضر بالضم العدو ويقال احضر الفرس احضارا واحتضر اذا عدا انتهى وهو مضارع المزيد للمتكلم كاكرم يكرم وجلست احدث نفسي حديث النفس مجاز عما يخطر بالبال من هذه الامور العجيبة والمنقبة الشريفة التي رآها وشاهدها من معجزاته

وانما اسرع وعدا لما كان يفعله من المبالغة في التستر وابعاد الناس عنه اذا قضى لسنة
حياته حتى انه كان يذهب وهو بمكة لقضاء حاجته الى المغمس وهو مكان بينه وبين مكة نحو
ميلين ولذا ناداه ولم يمش على تؤدته حتى يقف صلى الله عليه وسلم ينتظر البعد عنه فالتفت
اي حولت وجهي وانا جالس الى جانبه لانظر ما حدث بعد الحدث فاذا رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا الفجائية اي فاجاني بغتة بعد التفاتي فابصرته مقبلا اسم فاعل من الاقبال مرفوع
خبر رسول وفي نسخة مقبلا بالنصب على الحالية من مقدر اي جاء مقبلا والجملة خبر المبتدا او الحال
مؤكدة كولى مدبرا والشجرتان قد افترقتا وعادت كل واحدة منهما لمحلها وهي جملة اسمية حال
من الضمير المستتر في قوله مقبل فقامت كل واحدة منهما على ساق منتصبة في منبتها
مفارقة لصاحبتها والساق حقيقة فيما قام عليه الشجر وما لا ساق له فهو نجم ونبت فاذا ظهر
على وجه الارض فهو عشب فاذا غطى الارض فهو كلا كما فصله اهل اللغة فوقف رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقفة يسيرة ينتظر لما اكرمه الله من مشي الشجر فقال براسه اي حركها
هكذا فسره بقوله يمينا وشمالا منصوب على الظرفية اي في جانب اليمين والشمال وقال هنا
بمعنى مال اي ميل راسه في الجهتين قال في القاموس قال ابن الانباري يجيء قال لمعان
تقول قال فاكل وقال فضرب وقال فتكلم وقال فاقبل الى آخر ما فصله وقيل قال مجاز عن
الاشارة لاشتراكهما في الافهام وقيل انه اذن لهما في الرجوع الى مكانهما وهو لا يوافق قوله
فقامت كل واحدة منهما على ساق فتدبر وروى اسامة بن زيد في حديث اخرجه البيهقي
في الدلائل وابو يعلى بسند حسن عنه نحوه اي بمعنى الحديث الذي قبله قال اسامة قال لي
رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه جمع مغزاة بمعنى الغزاة او محلها [illegible] هل
استفهامية حذف المستفهم عنه للعلم به واستهجانا ذكره او لانه لم يسمعه او لم يفهمه او لم
يجده في اصله اي هل ترى مكانا لا ايتاء بقضاء الحاجة واليه المشار بقوله يعني مكانا للحاجة
رسول الله الحاجة كناية عن الغائط والبول فقلت ان الوادي ما فيه موضع بالناس
الباء سببية وفيه اي ما فيه موضع خال بسبب نزول الناس فيه فهو مملوء بهم فقال هل ترى
من نخل او حجارة مرتفعة يمكن ان يستتر بها كالنخل الذي يقضي الحاجة خلفه ويكون فيه
سترة ومن زايدة بعد الاستفهام قلت ارى نخلات جمع نخلة متقاربات اي قريب
بعضها من بعض وهو مناسب للسترة بالجلوس بينها وروى متكاربات بالكاف وهي لغة
بمعنى متقاربات والقاف تبدل كافا كثيرا وقرى في الشواذ لا تكهر في لا تقهر ورآى
بصرية وكونها علمية بعيد فهي صفة نخلات منصوبة قال انطلق وقل لهن اي للنخلات
رسول الله صلى الله عليه وسلم يامركن ان تاتين اي تجتمعن وتتزايدن في مكن
ليكون استر له لمخرجه اي لمكان خروجه اليه لقضاء حاجته فيه وقل للحجارة مثل ذلك
اي مثل قولك للنخلات من امره صلى الله عليه وسلم ان ياتين لمخرجه وفي كلام اسامة لم يذكر
الحجارة اما لعدم الحاجة اليها مع النخيل او لانها لم تكن موضوعة حتى تكون ساترة فقلت ذلك
لهن الفاء فصيحة اي فذهبت فقلت ما امرني به لهن فو الذي بعثه بالحق قسم اي
بالدين الحق لقد رايت النخلات تتقاربن اي يدنو بعضها من بعض حتى اجتمعن
في مكان واحد والحجارة بالنصب يتعاقدن اي ينضم بعضها الى البعض حتى يصرن كالبنيان
المعقود بعضه ببعض حتى صرن ركاما بضم الراء المهملة اي بعضها فوق بعض خلفهن متعلق

بركاما والضمير للنخلات يعني ان الحجارة اجتمعت مع النخل وفي نسخة فجلس خلفهن فالضمير
للنخلات والحجارة فلما قضى حاجته قال لي قل لهن يفترقن اي ترجع كل نخلة وحجر الى
موضعه الذي كان فيه اولا فو الذي نفسي بيده اي الله الذي روحي في قبضة تصرفه وارادته
ان شاء ابقاها وان شاء اماتها والنفس لها معان مشهورة منها الروح وغاير بين القسمين تفننا
مع مناسبة الاول للمقسم عليه من ان له دينا حقا وهو رسول له معجزات منها ما ذكر ومناسبة
الثاني لحاله في ان من آمن بالله وخشيه لا يتكلم الا بالحق لا سيما فيما ذكر لرايتهن والحجارة
بالنصب عطف على الضمير او هو مفعول معه والضمير للنخلات واللام في جواب القسم تفترقن حتى
عدن الى مواضعهن وفيه معجزات له صلى الله عليه وسلم في سعي النخل والحجارة بامره مرتين وخلق
الله فيها قوة تسمع وتاتمر بامره والحديث طويل وفيه معجزات اخر من اتيان امراة له بولد صغير لها
كان يصرع فتفل في فيه فلم يعد له ذلك وان امه اتت له بشاة فشواها اسامة فقال له ناولني
منها ذراعا ثم قال ذلك ثم قاله فقال اسامة لها غير ذراعين فقال لو سكت لم تزل تناولني
منها وكان ذلك في سفره للحج بمحل يسمى الروحاء وقال يعلى بن سيابة في حديث صحيح رواه احمد
والبيهقي والطبراني ويعلى بن نونه يرضى علم منقول من المضارع وسيابة بفتح السين المهملة
وتشديد المثناة التحتية والف وموحدة تليها هاء اسم امه فتسمى بالالف وابوه مرة بن مروان هو
وقيل مرة بن وهب الثقفي وقيل انهما اثنان وهو صحابي بصري او كوفي وترجمته مفصلة في
الاصابة والرواية عنه نادرة وهو من اهل البيعة كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في مسير
بفتح الميم مصدر ميمي او اسم زمان او مكان فقيل والاول اولى وذكر نحوا من هذين الحديثين
الذي قبله في ذهابه لقضاء حاجته وامره بالشجر غير انه قال فامر وديتين تثنية ودية
بفتح الواو وكسر الدال المهملة والمثناة المشددة قبل الهاء وهي صغار النخل التي تخرج من اصول
كبارها فتقطع وتغرس وتسمى فسيلا وفراخا فانضمتا اي انضمت احداهما الى الاخرى كالذي
مر وفي رواية اشاتين بفتح الهمزة وكسرها في بعض النسخ خطا وشين معجمة والف ممدودة
وهمزة وتاء مثناة مثنى وهي من صغار النخل ايضا لكنها اكبر من الودية وهمزته الثانية منقلبة
عن ياء وقيل اصلية وعن غيلان بن سلمة الثقفي مثله في شجرتين وغيلان بفتح الغين
المعجمة وتحتية مثناة ولام ونون وهو غيلان بن سلمة بن معتب بوزن معلم بالتشديد بن
مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف الصحابي الشاعر اسلم بعد الطائف
وتوفي آخر خلافة عمر وهو الذي اسلم وله عشر نسوة وفي هذه الرواية لم تعين الشجرتان
وعن ابن مسعود مثله في غزاة حنين اسم معروف وغزوة حنين كانت بعد الفتح بسنة
كما فصل في السير وضمير مثله راجع لما ذكر من امر الشجرتين وعن يعلى بن مرة وهو ابن سيابة
ايضا اشارة الى ما مر من الاختلاف في اسم ابيه كما سمعته آنفا وان سيابة اسم امه وذكر
اشياء راها من رسول الله صلى الله عليه وسلم اي ذكر ابن سيابة امورا خارقة للعادة من معجزاته
شاهدها منه صلى الله عليه وسلم في تلك الغزاة فذكر ان طلحة او سمرة بفتح المهملة وضم
الميم نوعان من شجر البادية ذات شوك تسمى العضاه واو للشك من الراوي في تلك الشجرة هل
جاءت فطافت به اي دارت حوله وفي بعض النسخ فاطافت بهمزة قبل الطاء المهملة وهو
بمعناه يقال طاف واطاف وتطوف واستطاف بمعنى اذا الم به ودار حوله واما كونه من الطوف
بمعنى الغائط ويقال منه ايضا طاف واطاف اذا ذهب الى البراز ليتغوط وانه استند الى الشجرة

مجازا فتكلف لا حاجة اليه وليس في هذا التجوز معنى حسن يرتكب لاجله وان كان صحيحا
بحسب اللغة ولا يناسبه قوله بعده ثم رجعت الى منبتها اي موضعها الاول الذي نبتت فيه
فقال صلى الله عليه وسلم لها اي تلك الشجرة استاذنت ان تسلم علي اي استاذنت ربها
ويجوز ان يكون هذا مجازا او المعنى انها طلبت من الله ان يعطيها قدرة كقدرة العقلاء من المشي
اليه والسلام عليه بالمقال لا بلسان الحال وهذا صريح في انه لم يكن للتفوه كما قيل وفي حديث
عبد الله بن مسعود الذي رواه الشيخان مسندا اذنت بالمد بمعنى اعلمته وفاعله شجرة الآتي
في قوله النبي صلى الله عليه وسلم بالنصب مفعوله وبالجن متعلق به اي بحضورهم عنده واستماعهم
ليلة استمعوا له منصوب على الظرفية اي في الليلة التي استمعوا قراءته للقرآن شجرة وهذا دال
على انه لم يرهم عيانا في هذه القصة وانما كانوا عنده وهو لم يرهم وانما نطقت له شجرة واعلمته بحضورهم
واستماعهم وفي هذه القصة كلام سنفصله وعن مجاهد عن ابن مسعود في هذا الحديث الذي
رواه الشيخان ان الجن قالوا له صلى الله عليه وسلم لما اجتمعوا به من يشهد لك بانك رسول الله
قال هذه الشجرة ثم دعاها للشهادة فقال تعالي بفتح اللام وسكون اليا التحتية وهو امر من تعالى
يتعالى بالطلوع لمكان عال ثم عم وصار بمعنى اقبل مطلقا وكسر اللام قال كثير من النحاة انه لحن ولم
يرتضه الزمخشري وقال انه قرئ به في الشواذ وانه لغة وعليه قول ابي فراس وهو اسير سمع تغريد
حمامة شوقته لاوطانه ومعاهد الفه واخوانه حيث قال

اقول وقد ناحت بقربي حمامة	ايا جارتي هل بات حالك حالي
معاذ الهوى ما ذقت طارقة النوى	فلا خطرت منك الهموم ببالي
اتحمل محزون الفؤاد قوادم	الى غصن نائي المسافة عالي
ايا جارتي ما انصف الدهر بيننا	تعالي اقاسمك الهموم تعالي
تعالي تري روحا لدي ضعيفة	تردد في جسم يعذب بالي
ايضحك ماسور ويبكي طليقة	ويسكت محزون ويندب سالي
لقد كنت اولى منك بالدمع مقلة	ولكن دمعي في الحوادث غالي

يا شجرة فجاءت امتثالا لامره اذ قال تعالي تجر عروقها لانها لما خرجت من محلها ما خرجت
عروقها التي كانت في داخل الارض فلما مشت انجرت خلفها لها اي لعروقها او للشجرة نفسها
قعاقع اي صوت قوي كصوت الرحا وهو جمع قعقعة وهي حكاية صوت الحركة من الاجرام الصلبة
وقيل يجوز ان يراد به صوت كلام حضوري لها اذ انطقها الله او الصوت من شق الارض كما مر انها
جاءت تخد الارض وصوت اصطكاك اغصانها وقال الحافظ المزي في حديث مجاهد عن ابن مسعود
مرسل نقلا عن شيخه العلائي وابن الصلاح وذكر مجاهد مثل الحديث الاول اي ما يشابهه لفظا
ومعنى او نحوه اي قريبا منه وان لم يكن بينهما شبه تام ونحو يكون بمعنى مثل مطلقا ويكون بمعنى
ما يقرب منه وان لم يكن مثله وهو المراد هنا للجمع بينهما وقوله في اول الحديث ان الشجرة اعلمته
بالجن يقتضي انه لم يرهم وقوله بعده انهم قالوا له من يشهد لك يقتضي انه رآهم وخاطبهم ولا تناقض
فيه لان القصة تعددت وتحقيقه كما في كتاب آكام المرجان في احكام الجان انه صلى الله عليه وسلم
لما ايس من ثقيف رجع من الطائف لمكة فقام بنخلة يصلي جوف الليل فمر به نفر من الجن جن نصيبين
وسمعوا قراءته آمنوا واتوا قومهم منذرين كما اخبر الله عنهم بقوله واذ صرفنا اليك نفرا من الجن
الخ وفي هذه القصة كما في الصحيح انه لم يقرأ عليهم ولا رآهم وانما كانت الشياطين لما حيل بينهم

وبين السماء نفروا في الارض ليعلموا سبب ما حدث فمر به منهم من جاء تهامة وهو واجم من
عكاظ وقد قام يصلي الفجر باصحابه فلما سمعوا قراءته قالوا هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء
فرجعوا واخبروا وانزل الله عليه قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن السورة كما قاله ابن عباس قال
البيهقي وهذا كله في اول الامر ولم يرهم ثم اتاه مرة اخرى داعي الجن فرآهم وقرأ عليهم كما رواه ابن
مسعود وفي القصة الاولى لم يرهم وانما اعلمه الله بهم في الشجرة وروي انه قرأ عليهم سورة الرحمن
فكانوا كلما قال فباي آلاء ربكما تكذبان قالوا ولا بشيء من آلائك نكذب فلك الحمد وابن مسعود
اعلم بقصة الجن من ابن عباس لانها كانت قبل الهجرة سنة احدى عشرة من النبوة وابن عباس طفل
وقال السهيلي انهم كانوا يهود لقولهم من بعد موسى دون عيسى كما ذكره ابن سلام واختلف في عددهم
فقيل سبعة وقيل تسعة وفي مسلم انه قيل لابن مسعود هل صحب احد منكم النبي ليلة الجن
قال لا وكنا فقدناه ليلة فالتمسناه في الاودية فلم نجده وبتنا بشر ليلة فلما اصبحنا جاء
من قبل حراء وقال اتاني الليلة داعي الجن فذهبت معه وقرات عليهم القرآن وانطلق بنا وارانا
آثارهم وذكر لنا ما امرهم به من الزاد وهذه غير الليلة التي اعلمتهم بها وذهب معه ابن
مسعود وخط له خطا وغاب عنه ثم عاد اليه وكانت بمكة وقد قال لاصحابه من احب منكم
ان يحضر الليلة امر الجن فليفعل فلم يحضر احد منهم غيري فانطلقنا حتى اذا كنا باعلى مكة
خط لي برجله خطا وامرني ان اجلس فيه ثم انطلق حتى قام يقرأ فغشيته اسودة حالت
بيني وبينه ثم انصرفوا مثل قطع السحاب الى الفجر ثم اتاني وفي هذه الرواية ان ابن مسعود
قال سمعت الجن يقولون من يشهد انك رسول الله الى آخر ما ذكر من قصة الشجرة وما هنا من اعلامه
لهم وخروجه معه الى آخره وما روي عنه من التمسوه وباتوا بشر ليلة يدل على ان قصة الجن
تعددت وقول البيهقي انها واحدة لا يمكن الجمع بين الروايتين ولعينه ما رواه ابو نعيم
في دلائله من ان القصة كانت بالمدينة بالبقيع وروى ابن الزبير انه حضرها بالمدينة فهذه
مرة ثالثة وذكر مثله عن بلال باحاديث مفصلة ثم قال دل مجموع الاحاديث ان وفادة الجن
عليه كانت ست مرات الاولى لم يشعروا بها والتمسوه والثانية كانت باعلى مكة في الجبال والثالثة
ببقيع الغرقد حضرها ابن مسعود وخط عليه والرابعة كانت مع ابن مسعود ايضا والخامسة
خارج المدينة مع الزبير والسادسة في بعض اسفاره مع بلال وكل منها حديث مسند ان
اردته فانظر الكتاب المذكور فانه لم يصنف في معناه مثله • اقول فيما ذكرناه معجزات
منها انقياد الجن له باختيارهم وهي اعظم من تسخيرهم لسليمان • ومنها كلام الشجر له • ومنها
سعيها له وعودها لمحلها بعد خروج عروقها من منبتها وهو امر خارق للعادة وفي الحديث
فوائد كرهنا الاستطالة بالعظم ومنها انه بعث للجن كما بعث للانس وانهم مكلفون • وقد اختلف
هل بعث منهم رسول ام لا فقيل بعث منهم رسول يسمى يوسف وثمة فوائد اخر لا يسعها نطاق
البيان هنا قال القاضي ابو الفضل هو المصنف وهذا فذلكة لما تقدم بقوله فهذا ابن عمر
الى قوله قد اتفقوا على هذه القصة بعينها يعني كلام الشجر او معناها مما يدل على ذلك
وقد رواها عنهم اي عمن ذكر من الصحابة من التابعين اضعافهم لتعدد طرقهم والضعف
هو المثل والمثلان فصارت من انتشارها اي اشتهارها وروايتها عنهم من القوة حيث هي
يعني انها نقلت عن كثير من الصحابة والتابعين حتى بلغت مرتبة التواتر المعنوي وصارت
في مرتبة قوية لا يشك فيها احد من العقلاء وحيث ظرف مكان مضاف لجملة وهي ضمير القصة

مبتدا خبره محذوف تقديره هي معروفة مشهورة وذكر ابن فورك تقدم الكلام عليه وعلى صرف فورك وعدمه وانه امام ثقة جليل القدر انه صلى الله عليه وسلم سار في غزوة الطائف اسم بلدة قريبة من مكة كثيرة المياه والاشجار يقال ان جبريل اقتطعها من ارض صنعا وهي المذكورة في سورة ن في قوله تعالى فطاف عليها طايف من ربك وهم نايمون والطايف هو جبريل اقتلعها وطاف بها حول البيت ثم انزلها حيث هي كما نقله السهيلي عن بعض المفسرين قال فلذا سميت بالطايف وهذه الغزوة كانت في السنة الثامنة من الهجرة ليلا متعلق بسار وهو وسن بزنة حسن والوسن قريب من النعاس في فقه اللغة في مراتب النوم اوله النعاس ثم الوسن ثم الترنيق ثم الكرى والغمض ثم التغفيق ثم الاغفا ثم التهويم ثم الغرار ثم الهجاع وهو الهجوع يعني انه نعس سايرا على دابته بحيث لا يرى ما في طريقه ثم اعترضته سدرة اي وقع اتفاقا ان شجرة في طريقه اتت دابته لها بحيث كادت تمنعه عن سيره لسترها طريقه وهو لنومه لم يعدل عنها لطريق اخرى فانفرجت له نصفين اي انشقت وتباعد بعضها عن بعض بحيث صار بينهما فرجة يمر فيها الراكب حتى جاز بينهما اي بين النصفين وبقيت الشجرة كشجرتين على ساقين قايمة الى وقتنا اي الى زمن ادركه ابن فورك وهي هنالك اي في الارض التي هي فيها من الطائف معروفة لانها من آثار معجزاته ومن ذلك اي من معجزاته في الشجر ما ورد في حديث رواه الدارمي وابن ماجه والبيهقي كما قاله السيوطي حديث انس ان جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم وراه حزينا جملة حالية اي وقد راه محزونا لعدم اطاعة قومه له في اول البعثة اذ عرض نفسه على القبايل اتحب ان اريك آية اي معجزة تزيل حزنك لانه اذا اطاع دعوته الجماد علم ان الناس ستطيعه ولكن تاخيره لحكم خفية فال نعم احب ذلك ليزول حزني واعلم ان الله سينصرني ويلين قلوب قومي لاجابة دعوتي فنظر رسول الله الى شجرة من وراء الوادي الذي كان مع جبريل فقال جبريل له ولم يدعها هو ليكون معجزة له لا لجبريل كما توهم ادع تلك الشجرة اي مرها بان تاتي اليك فامرها فجاءت تمشي حتى قامت بين يديه بمكان قريب منه ثم قال مرها فلترجع الى مكانها التي كانت فيه فامرها فعادت الى مكانها كما كانت وعن علي نحوه قال السيوطي لم اجده عن علي وانما هو عن جابر ولم يذكر فيها اي في هذه الرواية جبريل وكلام له وانما فيه انه صلى الله عليه وسلم قال اللهم ارني آية اي معجزة ملزمة لمن راها دالة على اني مستجاب دعوتي وينفذ بلاغي واللهم معناه يا الله كما فصل في النحو فما ابالي من كذبني بعدها لانها معجزة قطعية لا يفيد انكارها وجحدها عنادا ولا ابالي بمعنى لا اعتد ولا التفت لما ذكرنا قال ابن فارس في المجمل اشتبه على اشتقاق لا ابالي فرايت قول ليلى الاخيلية • تبالي رواياهم هبالة بعدما • وردن وحول الما بالجم ترتمي • اذ فسروا التبالي بالمبادرة للاستقا يقال تبالي القوم اذا تبادروا الما عند قلته والانتظار بعضهم لبعض فقولهم لا ابالي به معناه لا ابادر الى اقتنايه بل ابتذه ولا اعتد به انتهى فدعى شجرة وذكر مثله من مجيئها ورجوعها وحزنه بالنصب كما مر لتكذيب قومه له في اول امره وطلبه الاية لهم اي لقومه المكذبين لانه على يقين من امره وعلمه بقدرة ربه وذكر ابن اسحاق ما رواه في سيره ورواه ابو نعيم والبيهقي عن ابي امامة بسند من طريقين مرفوعا ومرسلا ان النبي صلى الله عليه وسلم اري ركانة بضم الرا وفتح الكاف المخففة والف تليها نون وها وهو ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف القرشي المكي الصحابي الذي اسلم

عام الفتح وتوفي بالمدينة في خلافة معاوية سنة اثنين واربعين وكان شديد البأس قويا جسيما معروفا بالقوة في المصارعة بحيث انه لم يصرعه احد قط ولم يمس جنبه الارض مغلوبا قط وقد صح ان النبي صلى الله عليه وسلم صارعه فصرعه واما مصارعته لرجل آخر يقال له ابو جهل فلم يصح كما قاله المقدسي وكان قبل اسلامه يرعى غنما له بواد يسمى اضم بالمدينة وهو من افتك الناس واشدهم فخرج صلى الله عليه وسلم يوما من بيته وتوجه لذلك الوادي فلقيه ركانة وليس ثمة احد غيرهما فقال له انت الذي تشتم الهتنا وتدعو الهك العزيز الحكيم ولولا رحم بيني وبينك قتلتك ولكن ادع الهك ان ينجيك مني اليوم وانا ادعوك لامر وهو ان تصارعني وتدعو الهك وادعو اللات والعزى فان غلبتني فلك من غنمي هذه عشرة تختار فصارعه فغلبه فقال لم تصرعني وانما غلبني الهك وخذلني اللات والعزى وما وضع جنبي على الارض احد قبلك ولكن عد فان صرعتني فلك عشرة اخرى فعاد فصرعه فقال له كما قال اولا ثم عاد ثالثة فصرعه فقال له دونكها ثلاثين من غنمي تختارها فقال له لا اريد ذلك ولكن ادعوك الى الاسلام فاسلم تسلم من النار فقال لا الا ان تريني آية فقال له ان اريتك آية تسلم قال نعم وكان بقربه شجرة سمرة فقال اقبلي باذن الله فانشقت اثنتين واقبل نصفها حتى كان بين يديه وبين ركانة فقال اريتني امرا عظيما فمرها فلترجع فقال ان امرتها فرجعت اتسلم قال نعم فامرها فرجعت والتامت بنصفها وفرعها من نصفها الآخر فقال له اسلم فقال اكره ان تتحدث نساء المدينة وصبيانها باني اجبتك لرعب قلبي منك ولكن الغنم فقال لا حاجة بها وانطلق فلقيه ابو بكر وقال له خرج الى الوادي وبه ركانة فضحك وقال اليس الله عصمه وحديثه الحديث والحديث يقتضي جواز المصارعة لا انهم قالوا انها بالمال حرام كالمسابقة عليه والجواب انه لم يطلبه وانما اقره على مقاله ليريه انه رجا بها اسلامه او انه من خصائصه او تحريمه ورده الغنم عليه قيل انه كان بعد اسلامه وصارعه هنا ثلاثا وقيل مرتين وقيل انه كان صارعه بمكة ولم يسلم الا يوم الفتح مثل هذه الاية في معجزة دعا فاتت حتى وقفت بين يديه ثم قال ارجعي فرجعت كما سمعته آنفا في الحديث الذي ذكرناه لك وعن الحسن في حديث رواه البيهقي مرسلا وهو الحسن بن علي رضي الله عنهما وقيل يحتمل انه الحسن البصري انه شكى الى ربه من قومه في اوايل البعثة قبل قوة الاسلام واهله وانهم يخوفونه كما قال تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك وهو عطف تفسيري لان المراد انه شكى له تخويفهم له وانما شكى ذلك لانه خاف القصور في تبليغه ما ارسل به تلاوتنا في كونه على كمال يقين امر الله في رسالته كما توهم وهذا كان قبل الهجرة وقيل وساله آية ومعجزة يعلم بها ان لا مخافة عليه ان هنا مخففة من الثقيلة واصلها انه فاوحي اليه ان ائت وادي كذا من اودية مكة فان فيه شجرة فادع غصنا منها اي غصنا وطرفا من اطرافها يانك مجزوم في جواب الامر ففعل اي اتى الوادي ودعى الغصن كما امر فجاء يخط الارض خطا اي يشقها شقا وهذا يدل على انه غصن مع بعض ساق منها وهو بمعنى قوله فيما تقدم تخد ويحتمل ان الطا مبدلة من الدال المهملة وقيل المراد بالخط اثر مشيه الذي يشبه خط الكتابة كقول الابوصيري

• جاءت لدعوته الاشجار ساجدة • تمشي اليه بلا ساق على قدم •
• كانما سطرت سطرا لما كتبت • فروعها من بديع الخط في اللقم •

حتى انتصب بين يديه اي قام عنده فحبسه ما شاء الله اي جعله مدة من الزمان اراد ها
الله قايما عنده ثم قال ارجع كما شئت فرجع الى مكانه الذي كان فيه والتام باصله فقال
صلى الله عليه وسلم علمت ان لا مخافة على بتسخير الجمادات لامتثال امري الدال على ان من
عصاه سيرجع كما كان عليه ونحوه منه اي فيما رواه البزار وابو يعلى والبيهقي بسند حسن
ما هو قريب مما ذكر في هذا الحديث مروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال عمر فيما رواه
ارني آية لا ابالي من كذبني بعدها اي لا اعتني واهتم به لاطمينان قلبي وذهاب خوفي
وعن ابن عباس في حديث رواه البخاري في تاريخه والدارمي والبيهقي مسندا انه صلى الله
عليه وسلم قال لاعرابي ارايت بهمزة الاستفهام وتاء الخطاب بمعنى اخبرني وقل لي وهو
مجاز مشهور ورأى فيه علمية او بصرية فاريد به لازمه كما بينه النحاة ان دعوت ان شرطية
اي امرت هذا العذق اشارة لعذق كان عنده وهو بكسر العين المهملة وسكون الذال المعجمة
والقاف وهو العرجون من النخلة وشماريخها كما بينه بقوله من هذه النخلة وقد يطلق على النخلة
نفسها ولا يناسبه قوله من هذه النخلة فلا وجه لتفسيره به هنا وقيل ان النخلة يقال لها عذق
بفتح العين اتشهد اني رسول الله اي اتؤمن بي وبما ارسلت به وتقر بذلك قال نعم
اشهد بانك رسول الله فدعاه اي العذق بان امره بالمجي اليه فجعل اي طفق وصار العذق
ينقز بفتح اليا المثناة التحتية وسكون النون وضم القاف وكسرها كما في المحكم ففي الاقتصار
على الضم قصور وآخره زاي معجمة ومعناه يثب صعدا وروى هذا الحديث مفصلا البيهقي
وقال ان الاعرابي من بني عامر حتى اتاه ووصل الى مكان عنده بقربه فقال له ارجع
فعاد الى مكانه الذي كان فيه وخرجه بالتشديد اي رواه بسنده الترمذي وقال
هذا حديث صحيح متنا وسندا والله اعلم

فصل

من معجزاته ما اشتهر في قصة حنين الجذع الحنين بفتح الحا المهملة ونونين بينهما يا
تحتية وهو صوت كالانين يكون عند الشوق لمن يهواه اذا فارقه ويوصف به الابل كثيرا قال
الجوهري الحنين الشوق وتوقان النفس تقول حن اليه يحن حنينا وحنين الناقة صوتها في
نزاعها الى ولدها والجذع بكسر الجيم وسكون الذال المعجمة وعين مهملة وهو ساق النخلة اليابس
وقيل انه لا يختص به لقوله تع وهزي اليك بجذع النخلة وتعريف الجذع للعهد والمراد به جذع
كان قايما بالمسجد النبوي كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خطب يستند اليه ويخطب قايما ولم
يكن له منبر فلما صنع له المنبر وخطب عليه سمع للجذع حنين لمفارقته وقال البرهان وغيره ان
الخبر به متواتر كذا قال المص وهذا الجذع من سواري المسجد النبوي وهكذا كانت سواريه كلها
وسقفه من جريد النخل ولا بدع في ان يخلق الله فيه حياة وصوتا فما قيل انه لا يلزم من سماع صوت
عنده ان يكون منه مما لا ينبغي ذكره وتعضد هذه الاخبار المذكورة في الفصل الذي قبل هذا
من كلام الشجر ومشيها اليه ان يقويها ويؤيدها وهو بعين مهملة وضاد معجمة من عضد اليد
وساعدها حديث انين الجذع الانين صوت المريض والانين والحنين متقاربان وقيل
الانين فيه زيادة امتداد الصوت وفي تعبيره اشارة الى خفته الم كما يحق المريض وتنبه
در الشهاب المنصوري في قوله

يا السنا فصحاء قد خرست • ان الجماد بفضله نطقا

واعلم ان المص انما عطف الانين على الحنين لنكتة وهي ان حقيقة الحنين في الابل
ونحوها اذا فارقت اولادها ثم صار شايعا في مطلق الشوق ولو بالكلام كقوله

والمرء يشتاق الديار واهلها • وحنينه ابدا لاول منزل

واما الانين فانه مما لا يفهم كالتاوه وهو اي حديث الجذع مشهور منتشر اي شايع
بين الخلف والسلف والخبر به متواتر لكثرة طرقه الصحيحة ونقل جماعة له عن جماعة
لا يمكن تواطيهم على الكذب خرجه اهل الصحيح اي رواه مسندا اصحاب الكتب الصحيحة
كالبخاري ومسلم وابن حبان وابن خزيمة وما وصل الى مثلهم بطرق متعددة صحيحة يكون
متواترا حقيقة لاجماع من بعدهم على صحتها كما قاله ابن حجر ردا على ابن الصلاح في قوله ان
التواتر لا يكاد يوجد كما بينه في النخبة والمراد باهل الصحيح من التزم ان يورد في كتابه
الاحاديث الصحيحة عنده ورواه من الصحابة بضعة عشر تقدم ان البضعة من
الثلاثة الى تسعة فيما زاد على العقود مطلقا كبضعة وستين ونحوها على الصحيح عند
اهل اللغة وهو بكسر البا وفتحها منهم اي من الصحابة الذين رووه مرفوعا ابي بن كعب
كما رواه عنه الشافعي في مسنده وابن ماجة والدارمي والبيهقي وجابر بن عبد الله
كما رواه عنه البخاري وانس بن مالك كما رواه عنه الترمذي وصححه وعبد الله بن عمر
كما رواه عنه البخاري وعبد الله بن عباس كما رواه عنه احمد في مسنده باسناد صحيح على
شرط مسلم والدارمي والبيهقي وسهل بن سعد كما رواه عنه الشيخان وابو سعيد الخدري
بالدال المهملة كما تقدم في ترجمته رواه عنه الدارمي وام سلمة ام المومنين كما رواه عنها
البيهقي والمطلب بن وداعة بفتح الواو والدال المهملة والف وعين مهملة بعدها
هاء ابن الحارث بن صبيرة بن سعيد القرشي السهمي الصحابي ممن اسلم عام الفتح رواه عنه احمد
والزبير بن بكار كلهم يحدث بمعنى الحديث فجميع رواياتهم متفقة بحسب المعنى وكانه
اشارة الى انه تواتر معنوي لا اصطلاحي لما مر عن ابن الصلاح وقد علمت ما فيه قال
الترمذي صاحب السنن الامام المشهور وقد تقدمت ترجمته وحديث انس صحيح انما نص
على صحته لرجحانه عنده على غيره لا لنفي صحة غيره حتى ينافي ما مر من رواية اهل الصحيح
له او لان في بعض رجاله شيء وقال جابر بن عبد الله في روايته كان المسجد اي مسجد النبي
صلى الله عليه وسلم بالمدينة مسقوفا اسم مفعول من سقفت البيت ونحوه اذا جعلت
عليه سقفا وهو معروف على جذوع نخل جمع جذع وقد تقدم يعني ان له سواري وضع السقف
عليها من النخل والاضافة بيانية فكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خطب اي قام للخطبة
يقوم مستندا الى جذع منها وكان هنا تفيد التكرار لذلك كثيرا منه لان كان اذا كان
خبرها مضارعا تفيد ذلك في استعمالهم كقولهم كان حاتم يقري الضيف وقال الله تعالى
وكان يامر اهله بالصلاة وهو مما صرح به في كتب العربية والاصول وفي وجه دلالتها على
ذلك كلام مقرر مشهور لا حاجة لنا به هنا فلما صنع بالبنا للمجهول له صلى الله عليه وسلم
المنبر بكسر الميم من نبره بمعنى رفعه ورقاه لانه يرتفع القايم عليه به عن غيره سمعنا له اي
للجذع الذي كان يستند عليه في خطبه صوتا كصوت العشار بكسر العين المهملة وشين
معجمة والف وراء مهملة جمع عشراء كنفساء وهي الناقة التي اتى عليها الفحل عشرة اشهر وزال
عنها اسم المخاض ثم لا يزال ذلك اسمها حتى تضع وبعد وضعها ايضا والمراد حوارها حين وضع

او عقبه نزاعا لولدها اذا مات وفيه مناسبة تامة هنا لما عرفته من ان الحنين اصله في النوق
المتشبه لشدته وانه لحزنه على مفارقته كما انه في النوق كذلك ويزيده حسنا ان النوق
تشبه بالنخل فليس المقصود تشبيهه مسموع بمسموع فقط كما قيل **وفي رواية انس** انه
صلى الله عليه وسلم قعد على المنبر جار الجذع **حتى ارتج المسجد** بهمزة الوصل وسكون الراء
المهملة وفتح التاء الفوقية وتشديد الجيم مطاوع رجه فارتج اذا تحرك حركة شديدة واضطرب
وهو بتقدير مضاف اي اهله او هو على ظاهره بان تحركت حيطانه وجدرانه لشدة صوته
اما حقيقة او لظن ذلك من هو فيه **لخواره** بضم الخاء المعجمة وفتح الواو وبعدها الف وراء
مهملة بوزن فعال وهو بناء مطرد في اسماء الاصوات والخوار في الاصل كما قاله الراغب
يختص بصياح البقر ثم توسعوا فيه في اصوات جميع البهائم وفي بعض النسخ جؤار بضم الجيم
وفتح الهمزة والراء المهملة وهو بمعنى الاول وقال الراغب انه يجارون من جار اذا
افرط في الدعا تشبيها له بجؤار الوحشيات كالظبا ونحوها انتهى والمعنى فيهما واحد اي
صاح **وفي رواية سهل وكثر بكاء الناس لما راوا به** الكاتم ويقصر معروف وما
موصولة والعائد محذوف اي راوه بالجذع ورأى بصرية وكونها قلبية يحوج على بعد
والمراد حركته ونحوها والباء بمعنى في او سببية وفيه تجوز اي للذي راوا آثاره
بسببه اذ الصوت لا يرى ويجوز كونها مصدرية **وفي رواية المطلب** بن وداعة
حتى تصدع وانشق عطف تفسيري لان حقيقة الصدع شق الاجسام الصلبة كالزجاج
والحديد يقال صدعته فانصدع وصدعته فتصدع ثم استعير منه صدع الامر اذا فصله
كقوله فاصدع بما تؤمر ومنه صدع الراس لوجعه والصداع العجز وهو مبالغة في شدة
صياحه كما صاح حتى انفلق ويجوز بقاؤه على ظاهره ويؤيد الاول قوله **فجاء النبي صلى
الله عليه وسلم** اي نزل عن منبره واتى له **فوضع يده عليه فسكت** اي ترك خواره
لما نال لما بقربه ومسه له **زاد غيره** اي غير المطلب وهو في رواية ابي بن كعب **فقال
النبي صلى الله عليه وسلم ان هذا بكى لما فقد من الذكر** فقد كقتل من الفقد وهو العدم
بعد الوجود فهو اخص من العدم والمراد بالذكر ذكر الله او الموعظة او القران ويجوز ان يكون
نفس النبي لانه اطلق عليه الذكر ايضا **وزاد غيره** اي غير الغير او من ذكر **والذي نفسي
بيده** قسم بالله على عادته والنفس الروح هنا ويده معناه بقبضة قدرته وتصرفه
حياته ومماته متى اراد **لو لم التزمه** هو افتعال من اللزوم وعدم الفراق ثم استعير للعناق
كما في الاساس يقال التزمه اذا اعتنقه وضمه اليه **لم يزل هكذا** اي له صراخ وخوار **الى
يوم القيمة تحزنا على مفارقة رسول الله صلى الله عليه وسلم** والتحزن تفعل من الحزن
والمراد به الزيادة لا التكلف **فامر به** اي امر بعض الصحابة بأخذه او بدفنه **فدفن
تحت المنبر** وانما امر بذلك لئلا يشتغل به الناس وربما افتتن به بعد العصر الاول
وفيه اشارة الى انه سينبت في الجنة كما سياتي ان بعض اغصان الاشجار وقطعها اذا دفن
نبت وطلع من الارض واعلم ان سواري المسجد في زمنه ص وقصة مفصلة في تاريخ المدينة
كقصة حرقه ومنبره صلى الله عليه وسلم كان من خشب اثل الغابة والاثل بالمثلثة شجر معروف
والغابة اسم موضع بالمدينة فيها شجر وفي النجار الذي صنعه له اقوال فقيل انه قبيصة
المخزومي وقيل انه غلام للعباس اسمه صباح وقيل هو غلام اسمه باقوم او باقول بالاوم ©

غلام سعيد بن العاص وقيل هو تميم الداري وقيل غلام لسعد بن عبادة وقيل انه
غلام امراة انصارية وقول الكرماني انه غلام لعايشة لا مستند له فيه وقيل انها
عايشة الانصارية وقيل هي من بني سعد وكان وضع منبره في السنة السابعة وقيل
الثامنة من الهجرة وعلى القول بانه تميم تكون التاسعة لانه اسلم سنة تسع الا ان يقال
عمله قبل اسلامه وهو اول منبر في الاسلام وكان درجه ثلاثا ومن قال اثنين اسقط
محل قيامه وقيل انه كان اكثر من ثلاث وكان طوله اكثر من ذراعين وعرضه ذراع وطول
صدره وهو مستنده ذراع ورمانتاه اللتان يمسكهما بيده الكريمة في مقامه والماجح معا

وية

رضي الله عنه كساه قباطي ثم كتب مروان وهو عامله على المدينة فرفعه وزاد عليه ست
درجات فصارت تسعا ثم لما قدم جدده بعض بني العباس واتخذ من اعواده القديمة ه
امشاطا يتبرك بها الى آخر ما فصل في تاريخ المدينة **كذا في حديث المطلب وسهل بن سعد
واسحاق عن انس** وفي بعض النسخ هنا وفي بعض الروايات عن سهل فدفنت تحت منبره او جعلت
في السقف انتهى وضمير دفنت وجعلت على هذه الرواية لاعواده اولنا ويل الجذع بالخشبة
واسحاق المذكور هو ابو نجيح عبد الله بن ابي طلحة الانصاري اخرج له الستة وتوفي في سنة
اثنتين وثلاثين ومائة من الهجرة وكونه دفن تحت المنبر على ظاهره او تسمح فيه لانه قيل
انه دفن في يسار المنبر وروي انه دفن بالمسجد **وفي حديث ابي فكان اذا صلى النبي
صلى اليه** اي استقبله وجعله كالسترة للمصلي من المارين **فلما هدم** ببناء المجهول
والهدم والهدمة نقض البناء ونحوه **المسجد** اي مسجده صلى الله عليه وسلم وهدمه كان في زمن
عمر لان بناه في عصره صلى الله عليه وسلم لم يكن بالحجارة ثم هدمه عثمان وزاد فيه كما ذكر في
تاريخ المدينة **اخذه ابي** هذا لا ينافي ما مر من انه جعل في السقف او دفن تحت المنبر

جل

او في المسجد قريبا منه لجواز وضع النبي له تحت المنبر ثم رفع في السقف لئلا يداس بالاقدام
تبركا به الى زمن الوسول ثم حين الهدم اخذه ابي تبركا به **وكان عنده الى ان اكلته الارض**
ووقع في رواية الارضة بفتحات وهي دويبة صغيرة تاكل الخشب وغيره من النبات والكتب
وهي العثة وقال الامام المزي ان هذه الرواية هي المشهورة عند المحدثين وما ذكره
المصنف صحيح والارض فيه اما بمعناها المشهور لانها تبلي ما يدفن فيها فاستعير له الاكل او
هو بتقدير اي دابة الارض وهي تلك المتقدمة بعينها او مصدر ارض بارض ارضا اذا اكلته
الارضة وبه فسر قوله تعالى دابة الارض تاكل منساته كما ذكره السيوطي ● ولابن عنين ●

● يا اهل مصر وجدت ايديكم ● عن بسطها بالنوال منقبضه ●
● لما عدمت النوال عندكم ● اكلت كتبي كانني ارضه ●

فليس في كلامه ما يعترض به عليه كما توهم قال القسطلاني فان قلت هذا يخالف
قوله لو لم التزمه بقي هكذا الى يوم القيمة وكيف يتصور هذا مع قوله كل من عليها فان قلت
هذا وقع على طريق المبالغة كقوله حتى يلج الجمل في سم الخياط وان لم يقع وهذا مما لا حاجة
اليه وبقاؤه على ظاهره لا مانع منه فانه علق بقاه على عدم فعله به ما فعله فاذا فعله
تغير وفني وقد علم الله بما ذكر **وعاد رفاتا** عاد هنا بمعنى صار لا بمعنى رجع لانه كان
عليه وهو احد معنييه كما بين في كتب اللغة وغيرها والرفات بوزن غراب براء مهملة
وفاء ومثناة فوقية كالفتات وهو ما تكسر وتفرق **وذكر الاسفرايني** بكسر الهمزة وسكون

السين المهملة وفتح الفاء والراء المهملة والف بعدها همزة مكسورة ونون بلدة بالعجم
نسب اليها الاستاذ الامام الاصولي المتبحر في سائر العلوم المعروف بالزهد والورع وهو
ابو اسحاق لانه اذا اطلق فالمراد هو وان نسب لهذه البلدة غيره من الائمة كابي حامد وطاهر
بن محمد ان النبي صلى الله عليه وسلم دعاه اي دعا الجذع المذكور الى نفسه اي امره بان ياتيه
ويقبل ساعيا اليه وزاد لفظة نفس لئلا يتحد ضمير الفاعل والمفعول بواسطة ودونها فانه
ممتنع في غير افعال القلوب وما الحق بها وقد اورد عليه نحو قوله وهزي اليك بجذع النخلة
وضم اليك وقد اجيب عنه بما يطول وقد فصلناه في السوانح والمقام يضيق عنه هنا فجاءه
يخرق الارض اي يشقها بمشيه فيها فالتزمه واعتنقه ثم امره بالرجوع لمحله فعاد الى مكانه
الذي كان فيه في المسجد وهذه زيادة منه لا يقال مثلها من قبل الراي وهو امام ثقة على ان
هذا رواه الامام البيهقي في دلايله والحافظ ابو القاسم في تاريخه عن العباس كما في الشرح
الجديد ولو وقف عليه المصنف عزاه له وفي حديث بريدة علم منقول من تصغير البردة المعروفة
وهو بريدة بن الحصيب بن عبد الله بن الحارث بن الاعرج السلمي واختلف في كنيته فقيل ابو عبد
الله وقيل ابو سهل وقيل غير ذلك وهو صحابي اسلم حين مر به النبي صلى الله عليه وسلم مهاجرا
ثم قدم المدينة قبل الخندق ثم نزل البصرة واخرج له احمد في مسنده وغيره وليس هو بريدة
الاسلمي كما توهم فانه تابعي روى احاديث مرسلة فظن انه صحابي وله ترجمة في الميزان
فقال يعني النبي صلى الله عليه وسلم للجذع حين سمع حنينه ان شئت بتاء الخطاب خاطبه لما
علم ان الله خلق فيه حياة وادراكا ان اردك الى مكانك اردك الحايط هو في الاصل اسم فاعل
من حاطه اذا احاط به ودار به ثم نقل للبستان نفسه الذي فيه الشجر والنخل وهو المراد هنا
ولذا قال الذي كنت فيه تنبت لك عروقك بدل من قوله اردك او مستانف لبيان علة الرد
الى مكانه الذي نبت فيه ويكمل خلقك ويجدد لك خوص وثمره والثمر بمثلثة واحده ثمرة
اي تعود لك خلقتك بتمامها ونضارتها وان شئت مفعوله مقدر اي غرسك في الجنة فعوله
اغرسك في الجنة جواب الشرط مجزوم فياكل اولياء الله من ثمرك معطوف على الجواب وهذا
مرتبط بقوله فالتزمه في الكلام الذي قبله فخيره صلى الله عليه وسلم بين الحياة الدنيوية
والحياة الاخروية ثم اصغى له صلى الله عليه وسلم بصاد مهملة وغين معجمة اي مال راسه
وقربها منه يستمع ما يقول اي ليسمع قوله وما يجيبه به وهو من الصغي بمعنى الميل يقال صغت
الشمس اذا مالت للغروب وصغيت الاناء وصغيته اذا املته واصغيت الى فلان ملت بسمعي نحوه
وحكي صغوت اليه اصغو صغوا وصغيت اصغى قاله الراغب فقال اي الجذع بل تغرسني
في الجنة اي تصيرني من غراس الجنة لا تغرسني بيدك فياكل مني اي من ثمري اولياء الله واكون
في مكان لا ابلى منه ابلى كافنى لفظا ومعنى من البلاء بالكسر وهو الفناء فاختار الحياة الباقية
كشاب اهل الجنة واشجارها فسمعه من يليه اي سمع كلام الجذع والضمير الاول له والثاني يحتمل
عوده له وللنبي صلى الله عليه وسلم ويليه بمعنى يقرب منه ولابي بفتح الهمزة وضمها خطا فقال
النبي صلى الله عليه وسلم قد فعلت بضم التاء للمتكلم اي اجعلك من غراس الجنة ثم قال صلى الله
عليه وسلم اختار دار البقا وهي الجنة كما تقدم على دار الفنا وهي الدنيا فكان الحسن البصري
التابعي الامام المشهور اذا حدث بهذا بكا وقال يا عباد الله الخشبة يعني الجذع تحن الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم تقدم تفسير الحنين شوقا اليه مفعول مطلق لقوله تحن لجلست فعودا

او مفعول

او مفعول له والاول اولى لان قوله لمكانه لامه للتعليل ان لم يكن بدلا من قوله اليه وقيل
انه علة متداخلة فشوقا علة ليحن ولمكانه علة لقوله شوقا اي الخشبة اشتاقت لعلو مقام
وجلالة قدره وهي جماد وهذه معجزة له صلى الله عليه وسلم اعظم من معجزة موسى في العصا
واحياء عيسى الموتى لان الشوق والكلام يستلزمان الاحيا عند الاشعري وان قيل ان مجرد
الصوت المسموع لا يستلزمه كما تقرر في محله فالمكان على حقيقته وهو الجنة او هو بمعنى
علو قدره وشرفه كما اشرنا اليه فانتم احق من الجماد بان تشتاقوا الى لقائه ونقل صاحب
القاموس انه انشد لسلطان اليمن في الحج وزيارة النبي صلى الله عليه وسلم فكتب اليه
بكلام قال فيه انه صح في الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال لا يحل بالمؤمن ان يمر عليه اربع سنين
ولا يتجدد له شوق للحج وزيارة سيد المرسلين وقد تجدد لي من الشوق • ما شبت عمري عن الطوق
وقد تضعضع السن • وتقعقع الشن • فما هو الا عظم في جراب • وقد بلغت دقاقة الرقاب
الى آخر ما قاله وقلت • انا حين وقفت على ما كتبه •

لم لا احن الى المختار من اضم • والجذع حن اشتياقا بعد فرقته •
اني لاعجب من خشب مسندة • ما هزها الشوق احيانا لروضته •

والشوق نزاع النفس للشيء والهيجان اليه ونقل ابن عطية في سورة الكهف انه سمع الجوهري
الواعظ يقول كلب احب اهل الخير فنال بركتهم وشرفه صحبتهم حتى ذكره الله في كتابه
فالخشبة تحن والجلب يحب وهذا عبرة لاولي الالباب وفقنا الله لما يقربنا اليه ورواه عن
جابر حفص بن عبيد الله ويقال عبيد الله بن حفص بتصغير عبيد فيهما وقيل انه حفص بن
عبد الله بلا تصغير قال البرهان والصواب الاول وهو حفص بن عبيد الله بن انس بن مالك
وهو يروي عن جده وروى عنه اصحاب السنن وقال ابو حاتم انه لم يثبت له سماع الا عن جده وايمن
الحبشي والد عبد الواحد بن ايمن مولى بن ابي عمرة المخزومي وقد وثقه ابو زرعة وقد تقدم فيه كلام
وان ابن حبان خلط في ترجمته وايمن منقول من افعل تفضيل من اليمن وهو البركة وابو نضرة بفتح
النون وسكون الضاد المعجمة وراء مهملة ووقع في بعض النسخ بصرة بباء موحدة وصاد مهملة وهو
تحريف وليس لنا ابو بصرة عن ابي نضرة واسمه جميل ولبشرته رواية عن جابر كما قاله الحافظ الحلبي
وابو نضرة الاول اسمه المنذر بن مالك بن قطعة العبدي النضري له رواية عن ابن عباس وغيره
واخرج له اصحاب السنن وله ترجمة في الميزان وكان فصيحا ثقة توفي سنة تسع ومائة وابن المسيب
سعيد الامام المعروف تقدمت ترجمته وان ياءه تفتح وتكسر وسعيد بن ابي كرب بكاف وراء
مهملة وباء موحدة الهمداني وله ترجمة في الميزان وكريب مثله الا انه مصغر وهو ابن رشد بن مولى
ابن عباس وابو صالح وهو ذكوان السمان وتقدمت ترجمته ورواه عن انس بن مالك الحسن البصري
وقد تقدمت ترجمته وثابت البناني وقد تقدمت ترجمته واسحاق بن ابي طلحة السابق بترجمته
ورواه عن ابن عمر نافع ابو عبد الله مولى ابن عمر الامام الثقة المشهور توفي سنة سبع عشرة
ومائة واخرج له الستة وابو حية بفتح الحاء المهملة وتشديد المثناة التحتية واسمه يحيى الكلبي
الكوفي الامام الثقة والد ابي جناب يروي عن ابن عمر ولهم ابو حية آخر يروي عن علي وترجمته
في الميزان ورواه ابو نضرة السابق ذكره قريبا وابو الوداك بفتح الواو وتشديد الدال
المهملة ثم الف فكاف وهو جبر بن نوف البكالي له ترجمة في الميزان عن ابي سعيد الخدري
وقد قدمنا ترجمته وعمار بن ابي عمار مولى بني هاشم وهو ثقة اخرج له مسلم عن ابن عباس

وابو حازم بحاء مهملة وزاي معجمة وهو سلمة بن دينار الاعرج المديني الثقة احد الاعلام اخرج له الستة وعباس بعين وسين مهملتين بينهما موحدة مشددة والف ابن سهل بن سعد الساعدي توفي في سنة بضع عشرة ومائة وقد زاد على الثمانين واخرج له اصحاب السنن عن سهل بن سعد ابو عباس المذكور روى عنه ابنه وغيره وكثير بفتح الكاف ومثلثة وراء مهملة ابن زيد الاسلمي ابو محمد المدني وله ترجمة في الميزان عن المطلب السابق ذكره وروايته كثيرة عنه وليس لها ذكر في الكتب الستة كما قاله البرهان وعبد الله بن بريدة عن ابيه عبد الله قاضي مرو وعالمها الثقة وترجمته في الميزان والطفيل بصيغة تصغير طفل عن ابي عن ابيه ابي بن كعب وكنيته ابو بطن لعظم في بطنه قال القاضي ابو الفضل وهو المصنف فهذا يعني حديث حنين الجذع حديث كما تراه يعني انه علم مما ذكره من كثرة طرقه عن الصحابة والتابعين وغيرهم انه خرجه اهل الصحيح اي الثقات من المصنفين الذين التزموا في كتبهم رواية الاحاديث الصحيحة ورواه من الصحابة من ذكرناه في هذا الفصل وغيرهم من التابعين ضعفهم بكسر الضاد المعجمة لان كل صحابي روى عنه من طرق كما فصله فاذا ضممتهم الى من لم نذكره فاذا علمت هذا تحقق عندك القطع بصحته لتواتره ومن دون هذا العدد الذي ذكر يقع العلم اي يوجد العلم ويتيقن صحته فكيف به لمن اعتنى اي اهتم به وتقيد لهذا الباب من معجزاته صلى الله عليه وسلم والله المثبت بضم الميم والمثلثة المفتوحة وتشديد الموحدة قبل المثناة اي توفيق الثبات وعدم تقلب القلب نعمة من الله على عبده المؤمن فيثبته على الصواب وهو ضد الخطا والله اعلم

فصل ومثل هذا

من حنين الجذع واشتياقه ونطقه في سائر الجمادات اي جميعها او بقيتها والجماد ما لا روح له ومثل مرفوع مبتدا خبره ما بعده او فاعل فعل مقدر اي ورد مثله وهذا يحتمل انه اشارة لجميع ما سبق من كلام الشجر وغيره واستشهد له بحديث رواه البخاري وهو ما اشار اليه بقوله حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمي تقدم بيانه وترجمته ثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن المرابط بصيغة اسم الفاعل من المرابطة وهي الاقامة بالثغور بنية الجهاد وهو محمد بن خلف بن سعيد بن وهب المري توفي بالمرية قاضيا سنة ثمانين واربعماية وكان متفننا في العلوم سمع من المهلب والوالبي وغيرهما حدثنا المهلب ابو القاسم والمهلب بصيغة المفعول هو ابن ابي صفرة وفي التكنية بابي القاسم وجوازه على الصحيح كلام مشهور تقدم بيانه ثنا ابو الحسن القابسي علي بن محمد بن خلف الحافظ المعافري كما تقدم حدثنا المروزي ابو زيد كما تقدم حدثنا الفربري تقدم بيانه وبيان نسبته على اللغتين في اسم بلده ثنا البخاري صاحب الصحيح وقد تقدم بيانه ثنا محمد بن المثنى وهو محمد بن المثنى ابو موسى العنزي الحافظ الثقة الورع توفي في سنة اثنين وخمسين ومايتين وترجمته مفصلة في الميزان ثنا ابو احمد الزبيري بضم الزاي المعجمة وهو محمد بن عبد الله بن الزبير بن عمر الزبيري نسبة لجده وليس هو الزبير بن العوام بل هو كوفي مولى لبني اسد توفي في سنة ثلاث ومايتين حدثنا اسرائيل بن يونس بن اسحاق السبيعي الكوفي ابو يوسف الثقة اخرج له الستة وتوفي في سنة اثنين وستين ومايه وترجمته في الميزان عن منصور ابو عتاب بن المعتمر السلمي من ايمة الكوفة عن ابراهيم بن يزيد النخعي عن علقمة بن قيس تقدم بيانه عن عبد الله بن مسعود قال اي ابن مسعود لقد كنا

معاشر الصحابة نسمع تسبيح الطعام وهو نؤكل جملة حالية اي في حال اكلنا مع رسول الله وفي غير هذه الرواية يعني رواية البخاري وهو رواية الترمذي عن ابن مسعود ايضا كنا ناكل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الطعام ونحن نسمع تسبيحه اي قوله سبحان الله وهذا مما يستانس به لان معنى قوله تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده تسبيح حقيقي بلسان القال لا بلسان الحال وانه يشهد له تذييله بقوله ولكن لا تفقهون تسبيحهم وهو حديث صحيح حسن اخرجه الترمذي عن ابن مسعود ايضا من طريق آخر وفي قوله كنا دليل على تكرره انه وقع مرارا عديدة كما تقدم وفي هذا معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم وكرامة للصحابة اذ سمعوا ما لم يسمعه غيرهم وهذه المعجزة اعظم من معجزة فهم منطوق الطير والجبال لسليمان وداود وفي الدر المنثور للسيوطي اذ كل شيء يسبح الا الكلب والحمار والتسبيح معناه تنزيه الله عما لا يليق به واهل الظاهر على ان الاية بلسان الحال كالزمخشري وجعلوه خطابا للمشركين ولذا قال لا تفقهون ولم يقل لا تسمعون وذكر المصنف هذه الرواية لما فيها من التصريح بانه كان معه صلى الله عليه وسلم ولبعض الشراح هنا كلام طويل لا طائل تحته وقال انس في حديث اخرجه ابن عساكر في تاريخه اخذ النبي صلى الله عليه وسلم كفا اي مقدارا يملا الكف وهو باطن اليد وقيل فيه مضاف مقدر اي ملء كف من حصى جمع حصاة وهي صغار الحجارة فسبحن في يد رسول الله من وضع الظاهر موضع المضمر تعظيما واشارة الى انه معجزة وفي نسخة في يده حتى سمعنا التسبيح ثم صبهن اي وضعهن وهو استعارة شائعة في الاجرام الصغيرة كصب الصبرة من الكيل واصله في المائعات كالماء في يد ابي بكر فسبحن جملة حالية ثم صبهن في ايدينا فما سبحن وفي قوله حتى سمعنا اشارة الى خفاء صوتهن وفيه دليل ظاهر على فضل ابي بكر على غيره وايماء الى خلافته ومعنى قوله فما سبحن انه ما سمع تسبيحهن او ان التسبيح لم يكن من الجمادات دائما والاول اولى وروى مثله ابو ذر رواه الطبراني والبيهقي والبزار والمثلثة في مجرد تسبيح الحصا فلذا قال في قوله وذكر انهن سبحن في كف عمر وعثمان وهذا الحديث عن ابي ذر في دلائل البيهقي قال كنت اتتبع خلوات رسول الله صلى الله عليه وسلم فرايته يوما خاليا فاغتنمت خلوته وجئته حتى جلست اليه فجاء ابو بكر فسلم ثم جلس عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جاء عمر فسلم وجلس عن يمين ابي بكر ثم جاء عثمان فسلم وجلس عن يمين عمر وبين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم حصيات فاخذهن فوضعهن في كفه فسبحن حتى سمعت لهن حنينا كحنين النحل ثم وضعهن فخرسن ثم اخذهن فوضعهن في يد ابي بكر فسبحن حتى سمعت لهن حنينا كحنين النحل ثم وضعهن فخرسن ثم تناولهن فوضعهن في يد عمر فسبحن حتى سمعت لهن حنينا كحنين النحل ثم وضعهن فخرسن ثم تناولهن فوضعهن في يد عثمان فسمعت لهن حنينا كحنين النحل ثم وضعهن فخرسن فقال رسول الله هذه خلافة النبوة وهكذا اخرجه ابو القاسم في تاريخه مسندا عن انس وزاد فيه بعد عثمان ثم وضعهن في ايدينا رجلا رجلا فما سبحت حصاة منهن وفي رواية صبهن في ايدينا رجلا رجلا الحديث وفي الشرح الجديد انه لم يذكر عليا فان كان تسبيحها في يد غيره مخصوصا بالخلفاء فهو خليفة كابنه الحسن ايضا واجاب بانه لم يكن حاضرا ثمة او لان خلافته ادركت الفتنة على ان مثله لا يشين مقامه مع ما له من المناقب اقول الظاهر ان هذه الواقعة تعددت لان رواية ابي ذر تقتضي انه لم يكن ثمة غيرهم وما في رواية البيهقي يقتضي انه حضرها جماعة من الصحابة لقوله رجلا رجلا وعلى كليهما لم يكن معهم علي وفيهما اشارة الى عدم امتداد خلافته استقلالا وقال علي في حديث رواه الدارمي والترمذي بسند حسن كنا بمكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

فخرج صلى الله عليه وسلم الى بعض نواحيها فما استقبله في بعض النسخ فما استقبلته
شجرة اي وقعت في مقابلة وجهه قريبا منه ولا جبل الا قال له كل واحد منهما السلام
عليك يا رسول الله بان خلق الله فيه نطقا وان لم يكن معه حياة لانه لا تلازم بينهما ولكن
الظاهر انه كان فيه حياة ايضا وهذا كما قاله ابن اسحاق كان في بدء النبوة تطمينا لقلبه
وتبشيرا له بانقياد الخلق له بعده واجابتهم لدعوته وعن جابر بن سمرة في حديث صحيح
رواه مسلم اني لاعرف حجرا بمكة يسلم علي اي يقول السلام عليك يا رسول الله وعن قال
السهيلي وغيره روي في المسندات ان هذا الحجر هو الحجر الاسود وهذا هو المأثور وقد قيل
انه حجر غيره وانه معروف الى الآن بمكة في محل يقال له زقاق المرفق والناس يتبركون به
ويقولون انه الذي كان يسلم على النبي وهذه المعجزة اعظم من معجزة داود في قوله والجبال
يسبحن معه لانها لم تسبح بيده وفي يد من اراده من امته وتسبيح الطعام اعظم منهما لانه
لم يعهد مثله والجبال قد وصفت بالخضوع والخشوع وتأكيده بان وتنكيره اشارة الى ان
له شانا خاصا به وانه حجر ليس كسائر الحجارة ولذا فسر بالحجر الاسود ولا يقال ما الفائدة
في ذكر حجر واحد وهو كان لا يمر بحجر ولا شجر الا سلم عليه وعن عائشة في حديث صحيح
رواه البزار في مسنده لما استقبلني جبريل اي نزل علي واتاني بالرسالة جعلت
اي صرت لا امر بحجر ولا شجر الا قال السلام عليك يا رسول الله تشريفا له وتطمينا
وايماء لعموم رسالته وامر يفهمه الحجر كيف ينكره البشر وعن جابر بن عبد الله في حديث
رواه البيهقي لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ابتداء بعثته يمر بحجر ولا شجر
الا سجد له اي انخفض حتى مس الارض على هيئة السجود تواضعا له صلى الله عليه وسلم
وتعظيما له وتكريما كما سجدت الملائكة لآدم والسجود لغير الله انما يمتنع من البشر وهذا محمول
على السماع منه صلى الله عليه وسلم كما ورد التصريح به في الحديث السابق ومثله لا يقال
من قبل الرأي فلا حاجة الى انه علم من قبل الكشف وفي حديث العباس الذي رواه البيهقي
عن اسيد الساعدي اذا اشتمل عليه الضمير للعباس اي الحديث الذي ذكروا فيه انه كان
في وقت اشتمل اي ضمه في رداء له وبنيه وهم عبد الله وعبيد الله والفضل وقثم بملاءة
بميم مضمومة ولام وهمزة ممدودة وهاء وهي الازار والملحفة وقيل الملاءة الازار الذي له
شقتان فان كان شقة واحدة فهي ربطة براء وطاء مهملتين والجمع ملاء وربط ودعا لهم
اي للعباس وبنيه بالستر من النار الستر ما يمنع من رؤية المستور ويحجبه فهو مجاز
واستعارة لما يمنعهم من دخولها وعن ارتكاب ما يوجب العذاب بها وهو بفتح السين مصدر
سترهم ثم شبه بعد التجوز في قوله كستره صلى الله عليه وسلم لهم اياهم بملاءته اذ قال
يا رب هذا عمي وصنو ابي وهؤلاء بنوه فاسترهم من النار كستري اياهم بملاءتي هذه فامنت
بفتح الهمزة والميم المشددة والنون اي قالت امين طلبا للاستجابة لدعائه اسكفة
الباب بضم الهمزة وسكون السين المهملة وضم الكاف وفاء مشددة مفتوحة وهاء
وهي العتبة وما يطؤه الداخل من الباب ومن المجاز وقفت الدمعة على اسكفة عينه اي
جفنه الاسفل وهذا محل الشاهد من الحديث لنطق الجماد فيه وحوائط البيت جمع حائط
وهو معروف اي جدرانه المحيطة بجوانبه ونواحيه امين امين هو اسم فعل امر بمعنى
استجب وفيه لغات اشهرها مد الهمزة وتخفيف الميم وروي قصرها وتشديد الميم وفيه

كلام

كلام في التفسير واللغة مشهور وامين امين اما معمول لمقدر اي وقالت امين او
لامنت لتضمنه معنى القول وتكريره اما على التوزيع اي قالت الاسكفة امين والحوائط
امين ويحتمل ان كل واحد منهما كرر قوله آمين تأكيدا وتحقيقا للمقال اذ قد ينقل عن مثله
وهذا الحديث بتمامه في دلائل البيهقي وفيه انه قال للعباس يا ابا العباس لا تفارق
انت وبنوك بيتك حتى آتيك فان لي فيكم حاجة وانتظروه فلما اتاهم قال كيف اصبحتم
قالوا بخير فقال تقاربوا تقاربوا فاجتمعوا فجمعهم معه في ملاءته وقال يا رب هذا
عمي وصنو ابي وهؤلاء بنوه فاسترهم من النار الى آخر ما ذكره المصنف وفي دلائل ابي نعيم
انهم كانوا سبعة الفضل وعبد الله خير الامة ابو الخلفاء وعبيد الله وعبد الرحمن وقثم
وسعيد وام حبيبة اختهم وفيهم يقول عبد الله الهلالي

ما ولدت نجيبة من فحل * بجبل نعلمه او سهل
كستة من بطن ام الفضل * اكرم بها من كهلة وكهل
عم النبي المصطفى ذي الفضل * وخاتم الرسل وخير الرسل

وتمثل هذه القصة لحديث اهل الكسا في قصة المباهلة وهو جمع النبي صلى الله عليه وسلم
لخمسة من اهل بيته وهم النبي صلى الله عليه وسلم وعلي وفاطمة والحسنان في كساء ويقال
ان جبريل كان معهم كما قيل

افضل من تحت الفلك * خمسة رهط وملك

وقال الخالدي
اعاذني ان كساء النبي * كسانيه حبي لآل الكسا
وقال ابو علي الضرير لمن وعد بكساء ثم اخلف

من غزل من هذا الكسا ونسج من * هل في عمان طرازه ام في عدن
ولاي وقت بعد ريح قترة * هبت وانظار [illegible]
ام ذا كسا الغر آل محمد * فالضن عن بذله امر حسن

وهذا من تشبيه المعقول بالمحسوس المشاهد فلا يقال عليه ان المشبه هنا اعظم من المشبه
به والمعهود في التشبيه عكسه كما قيل وعن جعفر بن محمد عن ابيه محمد الباقر بن زين
العابدين وقال السيوطي لم اجد هذا في كتب الحديث يعني المشهورة فلذا ينافي اطلاع المصنف
عليه مرض النبي صلى الله عليه وسلم فاتاه جبريل بطبق المذكور في اللغة الطبق
بمعنى الغطاء والمراد به هنا الوعاء مجازا لانه على هيئته فيه رمان وعنب الظاهر انهما
من ثمرات الجنة وكونه من ثمرات الدنيا وانه لو كان من الدنيا لم يبق لقوله كلها دائم لا يلتفت [وسلم صح]
اليه كالبحث عن كونهما فاكهة اولا فاكل منه صلى الله عليه وسلم فسبح اي فاراد الاكل منه
اذ تناوله بيده لا بعد الاكل كقوله اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم الآية ولم يذكر
هذا مع الطعام لكونه ليس من طعام الدنيا المعقود له فصله فلذا ذكر مع الجماد وهو مما لا
روح له مطلقا وعن انس بن مالك في حديث رواه احمد والبخاري والترمذي وابن ماجة
صعد النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر وعثمان احدا بضمتين وقد يسكن ثانيه
وقيل ان تسكينه ضرورة وهو جبل معروف بقرب المدينة وقد قال صلى الله عليه وسلم
فيه انه جبل يحبنا ونحبه واخبر انه سيكون في الجنة فرجف بهم اي تحرك حركة شديدة
واضطرب واضطرابه اما لمهابته او لخوفه من الله او انه زلزلة اتفقت عند صعوده عليه

فقال اثبت احد بضم آخره من غير تنوين اي يا احد فامره بالثبات وعدم الحركة
وقد خلق الله فيه ادراكا وحياة اذ فهم كلامه وامتثل امره وهو محل الشاهد في هذا
الحديث اي ينبغي ان يكون فيك وقار وسكون لشرف من علا عليك ممن ينبغي عدم الاضطراب
المشوش عليهم فلذا قال فانما عليك نبي يعني نفسه وصديق يعني ابا بكر وشهيدان
يعني عمر وعثمان لانهما قتلا ظلما كما لا يخفى ورواه بعضهم وشهيد بالافراد وقال
لم يصف عثمان اختصارا او اقتصارا ولا وجه له وكل الشراح على خلافه وروي انه ضربه
برجله اي ركضه بها ومثله اي مثل الحديث الذي في احد ما رواه مسلم عن ابي هريرة في
حرا بالمد والقصر والتذكير والتانيث والصرف وعدمه وهو جبل معروف على ثلاثة
اميال من مكة وقد تقدم الكلام عليه وزاد في هذه الرواية على ما تقدم من ذكر علي وابي
بكر ومعه علي وطلحة والزبير وفي رواية سعد بن ابي وقاص بدل علي وقال في هذه
الرواية فانما عليك نبي او صديق او شهيد وهنا بمعنى الواو او للتقسيم واراد
بالشهيد ما يشمل ما فوق الواحد وبالشهيد المقتول ظلما مطلقا لان عمر قتله ابو لؤلؤة
غلام المغيرة الكافر وعثمان قتل يوم الدار واختلف في قاتله وعلي قتله ابن ملجم الخارجي
الشقي والزبير قتل بوادي السباع ظلما وطلحة اعتزل الناس فاصابه سهم فقتله فكلهم
قتلوا ظلما فهم شهداء حقيقة وحكما وروي انه قال اسكن حرا الخ كما رواه مسلم والترمذي
ولم يذكر سعدا كما سياتي والخبر الذي رواه مسلم والترمذي عن ابي هريرة رواه الترمذي
والنسائي في حرا ايضا عن عثمان بن عفان قال عثمان في هذه الرواية ومعه عشرة
من اصحابه انا فيهم وزاد في رواية عثمان عبد الرحمن بن عوف وسعد ابن ابي وقاص
قال ونسيت الاثنين تتمة العشرة وهما طلحة وابن الزبير وفي حديث آخر رواه ابو داود
والترمذي والنسائي وابن ماجه سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل احد العشرة المبشرة
وفي الصحابة سعيد بن زيد الانصاري الاسلمي وهو غير هذا لانه لا يعرف له رواية مثله
اي مثل حديث عثمان وذكر في هذه الرواية ايضا عشرة وزاد نفسه فيهم وقد روي
في حديث الهجرة المذكور في السير ولم يسنده السيوطي هنا انه حين طلبته قريش لما خرج
مهاجرا وارسلوا خلفه من يطلبه منهم قال له ثبير بثاء مثلثة مفتوحة وموحدة مكسورة
ومثناة تحتية ساكنة وراء مهملة جبل بالمزدلفة عن يسار الذاهب الى منى ولهم جبال
اخر تسمى ثبيرا كلها حجازية وسمي ثبيرا من الثبور باسم رجل كان يسمى ثبيرا دفن به فسمي
باسمه اهبط يا رسول الله اي انزل من ظهري واذهب الى مكان آخر تختفي به عنهم ثم علل
امره بالهبوط والنزول عنه الى مكان آخر بقوله فاني اخاف ان يقتلوك على ظهري فيعذبني
الله بالنصب معطوف على يقتلوك وانما خاف العذاب بسبب قتله لانه لو لم يذكر له ذلك
مع علمه بانه ليس فيه مكان يستتره كان غاشا منه يستحق به العذاب ولانه قتل على ظهره
غضب الله على المكان الذي يقع فيه مثل هذا الامر العظيم كما غضب على ارض ثمود فلا يقال
انه كيف يعذب بذنب غيره ولا تزر وازرة وزر اخرى حتى يوجه بانه خوفه بمعنى حزنه
وتاسفه عليه ونحو من التمحلات التي لا وجه لها كما قيل فقال حرا اسم جبل كما تقدم الي
يا رسول الله بتشديد الياء المفتوحة تقديره ايت الي او هو اسم فعل بمعنى اقبل وقال له
لانه الهمه الله اذ يقدره على ان ينشق له ويستتر في جوفه ونحو ذلك مما يقع به سلامته

صلى الله

صلى الله عليه وسلم وهذا كان قبل توجهه الى غار ثور الذي اختفى فيه عند الهجرة
وروي عن ابن عمر في حديث رواه مسلم والنسائي واحمد في مسنده وما ذكره المصنف هو رواية
احمد بلفظه ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا على المنبر آية وما قدروا الله حق قدره
اي ما عظموه حق تعظيمه وما عرفوه حق معرفته قيل ان بعض احبار اليهود قال له يا محمد
ان الله يمسك السموات والارض يوم القيمة على اصبع والارضين على اصبع والجبال على
اصبع والماء والثرى على اصبع وسائر الخلق على اصبع ويقول انا الملك انا الله فضحك
صلى الله عليه وسلم تصديقا له وتعجبا ثم قرا وما قدروا الله الاية ونحو منه في جامع الترمذي
وقال الخطابي انه انكار لمقالته لتوهمه ان لله يدا حقيقية ذات اصابع وهو منزه عن
ولذا قال ثم قال اي النبي صلى الله عليه وسلم بعد ما تلى الاية يمجد الجبار نفسه اي يعظم
وينزه ذاته وروي يحمد بالحاء المهملة من الحمد والثناء الجميل وفي ذكره الجبار وهو
صيغة مبالغة من الجبر وهو القهر ونفوذ الامر والنهي وفيه دليل على جواز اطلاق
النفس بمعنى الذات على الله وان لم يكن بطريق المشاكلة كما ورد في القرآن ايضا وليس من
قبيل قوله تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك فانه يشترط فيه المشاكلة لانه اطلاق
آخر ومن اشترط ذلك مطلقا فقد وهم وهذا مما خفي على كثير من الفضلاء يعني المقصود من
الاية تعظيم كبريائه توقيفا لعباده على كنه جلاله فلذا قال انا الجبار انا الجبار
وكرره للتاكيد والتهويل انا الكبير المتعال اي المتعالي في عظمته عما يخطر بالعقول
وحذف الياء في الوقف وهو جائز اي انا الجليل المتكبر العلي الاعلى المنزه عن الجارحة وفيه
اشارة الى ان ما ذكر من الاصبع واليد والقبضة تمثيل لجلاله قدره وعظم ذاته فرجف
المنبر اي اهتز واضطرب من مهابة مقاله صلى الله عليه وسلم حتى قلنا اي قال من كان
حاضرا ليخرن اي ليقع النبي صلى الله عليه وسلم من شدة اضطراب المنبر او ليهدن المنبر
وهذا وما قبله من معجزاته انطق الجبال له وفهم المنبر كلامه وتحركه وهو محل الشاهد منه
وعن ابن عباس في حديث اخرجه الشيخان والبزار والطبراني وابو يعلى عن جابر وابن
مسعود ايضا كان حول البيت في الجاهلية وقبل الفتح ستون وثلاثمائة صنم اتخذ
قريش آلهة يعبدونها من دون الله مثبتة الارجل بالرصاص في الحجارة اي قيدت
ارجلها ومكنت في الارض برصاص جعل عليها حتى لا تسقط وتزول من مكانها والرصاص
معروف قال الجوهري بفتح الراء والعامة بكسرها انتهى فكسره كضمه لحن من العامة وكون
الاصنام حول الكعبة لا ينافي ورد في كثير من الروايات فلما دخل رسول الله صلى
الله عليه وسلم المسجد اي مسجد مكة المشرفة عام الفتح اي فتح مكة جعل اي شرع
وطفق يشير بقضيب وعصا كانت في يده اليها اي الى الاصنام المذكورة واليها
متعلق بيشير ولا يمسها بيده ولا بقضيبه لاستكراهه لها ولانه لو مسها توهم
ان سقوطها بشدة دفعه لها ويقول حال من فاعل يشير لا من فاعل يمسها كما قيل وان جاز
بتكلف اي قائلا جاء الحق وزهق الباطل والحق التوحيد والاسلام والباطل ضده
وزهوقه زواله واضمحلاله وزهقت نفسه خرجت فما اشار بالقضيب الى وجه صنم
اي ما هو على صورة وجه مقابل له الا وقع خر ساقطا لوجهه اي على قفاه واللام بمعنى
على كقوله • وخر صريعا لليدين وللفم • والاستثناء مفرغ من اعم الاحوال

اي في حال من الاحوال الا حال سقوطه ولا اشار لقفاه الا وقع لوجهه اي الى اي جهة اشار اليها من الصنم وقع على مقابلها حتى سقطت كلها وما بقي منها صنم قايم اذ سقطت كلها والقفا مقابل الوجه وهو مقصور وسمع مده في لغة ضعيفة وقيل انه ضربه والحاصل انه سقطت باشارته من غير ان يمسها واختلفت الروايات فقيل اشار بيده وقيل بقوس وقيل بقضيب وقيل بعود وهذا فيما كان حول الكعبة واما ما كان في جوفها فامر باخراجه ولم يدخل البيت حتى اخرجت منه ومحيت الصور التي كانت فيه ولم يتعرض له المصنف مع انه في الصحيحين لان كلامه في اطاعة الجمادات له وهذه الاصنام كانت موثقة بالرصاص لو اراد احد قلعها لم يقلعها الا بعلاج شديد وقد سقطت باشارته من بعيد فهو كتحريك الشجر من مغرسه فلذا اقتصر عليه المصنف واشار اليه بقوله مثبتة بالرصاص

ومثله اي مثل هذا الحديث ومعناه في حديث ابن مسعود الذي رواه الشيخان وقال ابن مسعود في روايته فجعل يطعنها اي الاصنام المذكورة ويطعن بفتح العين كمنع يمنع ويجوز ضمها والاول اشهر وافصح وقيل فالمنع عكس وقد تقدم الروايات فيما طعن به وهي متقاربة والذي مر في الرواية السابقة انه اشار اليها من غير ان يمسها بيده وما فيها من عصا ونحوها وهذه الرواية تقتضي انه مسها بالعصا ونحوه كالطعن لها فبينهما اختلاف ولذا فسر بعضهم طعنها باشارته اليها من غير مس وهو خلاف الظاهر وقيل انه كانت كثيرة فاشار لبعض منها وطعن بعضها فلا تعارض في الروايات ويقول معطوف او حال منقدير وهو يقول جا الحق اي الدين الحق والتوحيد او وعد الله بفتح مكة وما يبدي الباطل وما يعيد الابدا الايجاد ابتدا من غير سبق ايجاد آخر والاعادة الايجاد مرة بعد مرة وما هنا يجوز فيها ان تكون نافية اي ان الشرك هلك واضمحل واستفهامية استفهاما انكاريا وهو بمعنى النفي ايضا فالمعنى واحد وانما ذكر حديث ابن مسعود لانه في الصحيحين وقدم الاول لانه اوفق بمراده هنا وفيه زيادة ثقة وهي مقبولة

ومن ذلك اي مما ذكر من امر الجمادات حديثه الذي رواه الترمذي والبيهقي مع الراهب وهو بحيرا واسمه جرجيس ويقال جرجيس بياء من عبد القيس نصاري تيما او بصرى وهو ممن آمن به قبل بعثته ولذا عده بعضهم من الصحابة كورقة بن نوفل وفي المسئلة اختلاف ذكره البرهان في النبراس وغيره وقيل انه بحيرا يهودي واسمه بفتح البا مقصور وروي مده ايضا وتسميته راهبا نوع نصرانيته لان الرهبانية وهي الزهد في الماكل وغيره لشدة رهبته اي خوفه معروفة فيهم كما لا يخفى في ابتدا امره صلى الله عليه وسلم اي وهو صغير السن لم يبعث اذ خرج تاجرا اي لاجل التجارة مع عمه ابي طالب واعترض عليه فانه لما خرج مع عمه كان عمره تسع سنين وقيل اثني عشر ولم يكن تاجرا وانما تعرض لعمه وهو خارج وقال له تتركني وليس معي احد فاخذه معه وانما خرج تاجرا بعد ذلك مع ميسرة غلام خديجة وميسرة هذا لم يذكر في الصحابة وقد مات قبل البعثة وفي هذه الخرجة لقي راهبا اخر وهو نسطورا وقصته مشهورة ايضا ففي كلام المصنف ما لا يخفى وما قيل في الجواب من انه كان تاجرا حال من ضمير عمه او حال من ضميره صلى الله عليه وسلم المستتر في خرج وجعله تاجرا لمجاورته لعمه الذي خرج للتجارة تعسف وتكلف جدا وكان الراهب لا يخرج من صومعة له كان يترهب فيها الى احد ممن يمر عليه من ابنا السبيل

لان صومعته كانت على طريق قريش في ممرهم للشام تجارا فكان يراهم ولا يخرج اليهم لانفراده واشتغاله بعبادته على عادتهم فخرج على خلاف عادته لما نزل قريبا منه ابي طالب والنبي صلى الله عليه وسلم معه وابصرهم وجعل اي صار يتخللهم بفتح المثناة التحتية والفوقية والخا المعجمة واللام المشددة بعدها لام مخففة اي يدخل في خلالهم وبين ورديهم ينظرهم واحدا بعد واحد من تخلل القوم اذا دخل بينهم كما في الصحاح حتى اخذ بيده صلى الله عليه وسلم اي امسك بها فقال هذا سيد العالمين اي اشرف المخلوقات كلهم لما راى منه من الصفات التي علمها في كتبهم يبعثه الله اي يرسله لدعوة الكافة بعد ما نباه رحمة للعالمين اي لاجل رحمتهم جميعا المجيئه بما يسعدهم في الدنيا والاخرة كما تقدم فقال له اي للراهب اشياخ من قريش جمع شيخ وحقيقته الكبير السن ثم شاع في الشريف المتقدم على غيره ما علمك بما ذكرته من كونه سيدا ورحمة عامة اي من اين عرفت هذا قال انه لم يبق شجر ولا حجر الا خر ساجدا له وهو شاهد ذلك من صومعته لما نزلوا عنده ومن معه لم يروا ذلك لاشتغالهم باحوالهم في السفر ولا تسجد الا لنبي تعظيما له اذا مر بها او نزل عندها والسجود للتحية والاكرام كان سنة عندهم على ان امتناعه انما هو في حق العقلا دون غيرهم فانه لا يتصور منهم شرك فالبحث عنه لا وجه له وذكر القصة الى آخرها مفصلة كما في السير وشهرتها تغني عن ذكرها ثم قال اي الراهب فاقبل صلى الله عليه وسلم للمنزل وعليه غمامة تظله دون من معه من رفقته فلما دنا من القوم المرافقين الذين نزلوا قبله وجدهم سبقوه الى فيء الشجرة فلما جلس صلى الله عليه وسلم مال الفيء اليه اي الى جانبه الذي جلس فيه والفيء هو الظل والظل بالغداة والفيء بالعشي لانه من فاء اذا رجع وهذا هو اصل معناه لكن توسعوا فيه فاستعملوا كلا منهما مقام الاخر والغمام السحابة السودا او البيضا والمراد الاول وخبر بحيرا صحيح روي من طرق صحيحة الا انه طعن فيما رواه الحاكم فيه من ان سبعة من الروم اقبلوا يقصدون قتله صلى الله عليه وسلم فاستقبلهم بحيرا وقال لهم ما جابكم فقالوا ان هذا النبي خارج في هذا الشهر وانا بعثنا له فقال لهم ارايتم امرا اراده الله هل يستطيع احد رده قالوا لا فصدهم عما ارادوه واقاموا معه ورده ابو طالب وبعث معه ابو بكر بلالا وقال الذهبي انه حديث منكر وانما طعن فيه لان ابا بكر كان صغيرا اذ ذاك ولم يملك بلالا وقيل ان هذا مدرج فيه من حديث اخر والآفة فيه من راويه وما آفة الاخبار الا رواتها والله اعلم

فصل في الآيات في ضروب الحيوانات

الآيات جمع آية وهي العلامة والمعجزة لانها علامة نبوة النبي والضروب جمع ضرب وهو النوع نا سراج بن عبد الملك رجال هذا السند تقدموا كلهم مع الكلام عليهم وعلى اسمائهم فلا حاجة للتكرار المملل ابو الفضل الصقلي بفتح الصاد المهملة والقاف وكسر اللام المشددة ويا نسبة نسبة لصقلية جزيرة بالاندلس كثيرة الاشجار والثمار قال الشاعر

ذكرت صقلية والاسى • تهيج نيران تذكارها

وكسر صادها خطا وان ذكره البرهان ظنا من عنده نا احمد بن عمران نا يونس بن عمرو كذا في النسخ وصوابه وقد سقط منه راو حدثنا احمد بن عمران حدثنا محمد بن فضيل حدثنا يونس

بن عمرو كما في بعض النسخ موصولا وهو من رجال مسلم واصحاب السنن الاربعة وترجمه
في شرح وجها كما تقدم ويونس هو ابن اسحاق السبيعي وهو ثقة صدوق وقيل انه مضطرب
لا يحتج به وترجمته في الميزان توفي سنة تسع وخمسين ومايه عن مجاهد عن عايشه ام
المومنين ومجاهد هو ابن جبر كما تقدم قيل ان مجاهدا لم يسمع منها والصحيح خلافه قالت عايشة
كان عندنا داجن من المداجنة وهو لزوم البيوت وسكونها والمراد بها شاة تالف البيت
وتعلف فيه وتطلق على غيرها من الحيوانات التي تربى في البيوت كالناقة والحمام والمراد بنحوها
عندنا منزلها الذي تسكنه وكذا في قوله فاذا كان عندنا رسول الله قر وثبت مكانه
اي وقف او ربض في مكانه لا يتحرك تادبا معه صلى الله عليه وسلم واذا خرج رسول الله
من منزله جاو ذهب اي مشى في البيت وترددا فيه لانه ليس ثمة من يهابه وقيل المعنى انه
لم يعتن لعدم رويته اشتيا قالي رويته وهذا حديث صحيح رواه احمد والبزار وابو يعلي والبيهقي
والدارقطني وهذا من معجزاته صلى الله عليه وسلم لالف الحيوانات التي لا تعقل به وم[...] بها
له وروي داجنه بالطاو راجن بالراء وقر من القرار وهو السكون وعدم الحركة وروي
عن عمر بن الخطاب في حديث رواه الطبراني والبيهقي وروي ايضا عن عايشة وابي هريرة
وهو ضعيف كما قاله السيوطي وليس بموضوع كما قيل كان في محفل بفتح الميم وسكون الحا
المهملة وكسر الفاء واللام محل يجتمع فيه ناس كثيرون من حفل بمعنى جمع من اصحابه اذ جاء
اعرابي اي دخل بغتة عليهم رجل من اهل البادية غير معروف قد صاد ضبا جملة حالية بفتح
الضاد المعجمة وتشديد الباء حيوان بري اكبر من الحردون يبيض والاعراب تصطاده هم
وتاكله فقال الاعرابي للصحابة من هذا سال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه
ينكره اولم يعرفه قالوا له جوابا نبي الله اي هو نبي الله ورسوله هم

• وليس قولك من هذا بضايره • البيت يعرف من انكرت والحرم •

فقال واللات والعزي وهما صنمان عبدا في الجاهلية واصل اللات اللاه فحذفوا
الهاء وادخلوا التاء التانيث عوضا عنها وهو من لوي سمي به لالتوايهم في طوافهم حولها
وكانت بنخلة والطايف لقريش وثقيف والعزي تانيث الاعز شجرة من السمرة كانت
لغطفان بعث اليها رسول الله خالد بن الوليد فقطعها فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها
داعية ويلها فقتلها وقال ...

• يا عزي كفرانك لا سبحانك • اني رايت الله قد اهانك •

ثم اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تلك العزي ولم تعبد ابدا واقسم بهما لانه لم
يكن مسلما كما يدل عليه ما بعده من قوله لا امنت بك اي بانك رسول الله او يومن بك
هذا الضب بنصب يومن اي الا ان يومن بك هذا الضب فاومن انابك ايضا بعد روية معجزتك
من نطق هذا الحيوان واقراره برسالتك واو بمعنى الا لا نتفاء ايمانه وهما مما ينتصب بعده
المضارع بعد النفي ونحوه فقال له صلى الله عليه وسلم اي للضب يا ضب بالضم لانه منادى
مفرد فاجابه بلسان بين كلامه او بكلام ظاهر مفهوم يسمعه القوم الذي عنده جميعا
لبيك اي اجابة بعد اجابة لك وهو مثنى منصوب على المصدر كما بين النحاة وسعديك
اي مساعدة وطاعة لك بعد طاعة وهو مثله في المعنى والنصب وهما عبارة عن سرعة الاجابة
والانقياد والطاعة يا زين من وافي القيمة اي يا من يزين ويحسن كل من جاء الى القيمة

والموافاة الحضور والمجي والقيامة معروفة وانما جعله زينا اي مزينا لاهلها ومن بها
لانه سيدهم وقايدهم والشفيع فيهم وهذه العبارة شايعة في لسان العامة من العرب
فيقولون يا زين القوم لاشرفهم واحسنهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للضب من
تعبد سال له ليقر بعبوديته لله فيصفه بما يعرفه به كل احد قال الذي في السما عرشه
وهو في الاصل سرير الملك والعرش والكرسي اجمالا معلوم وتحقيقه في كتب التفسير
والمراد بالسما ما يقابل الارض او جهة العلو مطلقا فلا ينافي ما ورد من انه فوق السماوا
كما قال وسع كرسيه السموات والارض والكلام في هذا مقام اخر لا يحيط به ظروف الحروف
وفي الارض سلطانه اي في الارض ومن فيها يظهر عدله وحكمه وقهره لمن فيها من الثقلين
وسلطانه وان كان على موجود لكن ظهوره فيمن قد يخالفه ظاهر فيها والسلطان في الاصل
مصدر بمعنى التسلط والقهر وفي البحر سبيله اي طريقه التي جعلها مسلوكة لعباده بتسخير
الريح ونحوه مما لا يقدر عليه غيره كما قال وهو الذي يسيركم في البر والبحر ولذا كانت الكفرة
لا يدعون فيه سواه كما قال واذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين وفي الجنة رحمته
المختصة به العظيمة الباقية وان كان رحيم الدنيا وفي النار عذابه وفي نسخة عقابه
فلما آمن بالله ووصفه بما هو مختص به دال على عظمته قال له ليكمل ايمانه فمن انا اي اذا
امنت فمن انا قال رسول رب العالمين اشارة الى عموم رسالته لكل موجود حتى الجمادات
والحيوانات وخاتم النبيين فلا نبي بعدك كما تقدم وقد افلح وفاز بسعادة الدارين
من صدقك واقر برسالتك وخاب من كذبك بانكار رسالتك وعدم اجابة دعوتك
فاسلم الاعرابي لما راى من معجزته وعلم علما ضروريا بتوحيد الله والاقرار برسالة
رسوله وهذا حديث طويل رواه البيهقي وفيه ان الاعرابي من بني سليم وانه كان ذاهبا
بالضب ليشويه وياكله فلما راى النبي ووقع ما ذكر المصنف من اسلامه قال لا اتبع اثرا
بعد عين والله لقد جيتك وما على وجه الارض ابغض الي منك وانت اليوم احب الي
من نفسي وولدي فلما اسلم وتشهد قال رسول الله الحمد لله الذي هداك ان هذا الدين
يعلو ولا يعلى ولا يقبل الا بصلاة ولا صلاة الا بقران ثم علمه الصلاة والقراة وعلمه
سورة الاخلاص وكان هذا سببا لاسلام قومه وقدومهم على رسول الله وقال ابن دحية انه
موضوع ومن ذلك اي من معجزاته في تسخير الحيوانات وانطاقها قصة كلام الذيب
المشهورة التي رواها احمد والبزار والبيهقي وصححه عن ابي سعيد الخدري
هو سعيد بن مالك الصحابي كما تقدم بينا راع تقدم ان بينا من الظروف وان الالف
للاشباع او كافة عن الاضافة فراع محل رفع او جر وهو اسم فاعل من رعى الغنم ونحوها وهو
معروف وقوله يرعى غنما له ذكره لبيان ان الغنم له فليس باجير وانه كان يرعى غنما فان
الراعي قد يرعى غيرها كالابل والبقر واختلف في اسم هذا الراعي فقيل انه اهبان بن اوس
وقد جرى مثل هذه القصة لابي سفيان بن حرب وصفوان بن امية في ذيب اخذ ظبيا
ولابي جهل واصحابه وفي حديث آخر الذيب اخذ شاة فتبعه الراعي فقال له الذيب من لها
يوم السبع يوم لا راعي غيري لها وان الذي كلمه الذيب اهبان بن اوس الاسلمي وقيل اهبان
بن عقبة عم سلمة بن الاكوع احد اصحاب الشجرة وقيل اهبان بن الاكوع وعند السهيلي انه
بن ربيعة وقيل اهبان بن صيفي وعن ابن عساكر ان الذي كلمه الذيب رافع بن عميرة الطاي

نح

كلمه الذيب وهو في ضان له يرعاها ودعاه الى النبي صلى الله عليه وسلم وامره باللحوق به فقال •

رعيت الضان احميها زمانا • من الضبع الخفي وكل ذيب •
فلما ان سمعت الذيب نادي • يبشرني باحمد من قريب •
سعيت اليه قد شمرت ثوبي • عن الساقين قاصده الركيب •
فالفيت النبي يقول قولا • صدوقا ليس بالقول الكذوب •
فبشرني لدين الحق حتى • تبينت الشريعة للمنيب •
وابصرت الضياء يضي حولي • امامي ان سعيت وعن جنوبي •
الا ابلغ بني عمرو بن عوف • واخوتهم جذيلة ان اجيبي •
دعا المصطفى لاشك فيه • فانك ان اجبت فلن تخيبي •

وقصه كلام الذيب وقعت مرارا عديدة على انحاء مختلفة وكلامه وان كان لغيره لكن اقراره به معجزة له عرض الذيب اي اتاها الشاة منها اي لاختطافها واخذها فاخذها الراعي منه اذ ادركه وانتزعها من يديه واوردها فاقعى الذيب اي نكص على عقبه ناصبا يديه كما هو معروف في اقعاء الكلب والذيب والاقعا معنى آخر كما ذكره الفقها في كتاب الصلاة فقال الذيب بعد اقعايه للراعي الا حرف استفتاح هنا تتقي الله اي تخافه وتحذره حلت بضم الحاء المهملة واللام وتاء الخطاب اي فصلت وفرقت بيني وبين رزق الذي رزقه الله لي قال الراعي العجب من ذيب يتكلم بكلام الانس وفي نسخة البشر وهما بمعنى تعجب من نطقه وليس من شانه ذلك فقال الذيب مجيبا له الا اخبرك باعجب من ذلك اي من كلام حيوان اعجم رسول الله بين الحرتين بفتح الحاء المهملة وتشديد الراء المهملة وتاء تانيث مثنى حرة وهي ثنية مرتفعة ذات حجارة سود كانها اسودت من الحر والحرتان بالمدينة يحدث الناس بانباء ما قد سبق وفي نسخة من قد سبق اي الامم السابقة واحوالهم وانما جعله اعجب لانه اخبار بالغيب معجز عن اعجب من نطق حيوان انطقه الله الذي انطق كل شي وكون الامر اعجب يختلف باختلاف الاسباب والانبا جمع نبا وهو الخبر فاتى الراعي النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره بكلام الذيب وقصته فقال النبي للراعي قم من عندي فاذهب للحاضرين فحدثهم بما شاهدته ليزدادوا ايمانهم وليسرهم ما ظهر من معجزاته والحديث فيه قصة لما فيه من الغرابة وانه من اشراط الساعة لقوله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع الناس ويكلم الرجل اشراك نعله وعذبة سوطه ويخبره فخذه بما حدث في اهله ولما لم يكن في هذا استشهاد لما هو بصدده اسقطه واعتذر عنه بقوله وفي بعضه اي في بعض رواياته طول ولذا تركه لعدم الحاجة اليه هنا وروى حديث الذيب عن ابي هريرة رواه احمد والبزار والبيهقي وصححه والبغوي وابو نعيم بسند صحيح وفي بعض الطرق بضمتين جمع طريق تجوز به عن الرواية فقال الذيب انت اعجب اي حالك اعجب من حالي في حال كونك واقفا على غنمك اي مراعيا وحافظا لها وتركت نبيا اي وقد تركت الخ فالجملة حالية بتقدير قد لم يبعث الله نبيا من انبيائه السالفة اعظم منه عنده واجل قدرا ومنزلة عند ربه وهو تمييز للنسبة اعظم وقد فتحت له ابواب الجنة بتشديد تا فتحت وتخفيفها اي هييت واعدت له والجملة حالية ايضا وقوله واشرف اهلها يدل على ان المراد انها انفتحت حقيقة لينظر من فيها من الملايكة والاشراف النظر من مكان عال ماخوذ

من الشرف وهو المكان العالي على اصحابه ينظرون قتالهم اي ينظرون اليهم وهم صفوف واقفون في القتال كصفوف الملايكة وما بينك وبينه الا هذا الشعب بكسر الشين المعجمة وسكون العين المهملة بعدها موحدة وهو منفرج بين جبلين يعني انه قريب منك لا عذر لك في التخلف عنه فتصير في جنود الله اذا ذهبت اليه وتصير من حزب الله المفلحين فتخلفك عنه مع هذا اعجب من نطقي الذي تعجبت منه قال الراعي للذيب لما اشار عليه بالذهاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومن لي بغنمي اي اذا ذهبت من يتكفل لي بحفظ غنمي حتى اجي قال الذيب انا ارعاها اي احفظها واحرسها حتى ترجع اليها من عنده فاسلم اي سلمها للذيب وتركها عنده الرجل وهو الراعي اليه غنمه ومضى الى النبي صلى الله عليه وسلم وذكر قصته مع الذيب وما كلمه به وما فعله ووجوه النبي صلى الله عليه وسلم يقاتل كما قال له الذيب فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بعد ما قص قصته واسلم عد الى غنمك تجدها بوفرها بفتح الواو وسكون الفاء اي بتمامها وكمالها لم ينقص منها شي من قولهم ارض وفرة لم يرع نباتها فوجدها كذلك اي تامة غير ناقصة وذبح للذيب شاة منها جزاء له على صنيعه وعن اهبان بن اوس بضم اهبان واوس بفتحها علم منقول بمعناه العطية وهذا الحديث رواه البيهقي والبخاري في تاريخه عنه انه كان صاحب هذه القصة المذكورة في كلام الذيب وانه المحدث بها ومكلم الذيب كما في الروض الانف وانه كان في غزوة ذي قرد وعن سلمة بن عمرو وانه اهبان بن الاكوع وانه ابن الاكوع لا سلمة كما قيل ويجوز فتح همزة انه وكسرها كان صاحب هذه القصة ايضا يعني انها تعددت وكانت سبب اسلامه وفي مراة الزمان لسبط بن الجوزي اهبان بن الاكوع اسمه عقبة من الطبقة الثالثة من المهاجرين وهو مكلم الذيب في رواية هشام وقد اختلفوا فيه فقال هشام هو هشام بن الاكوع وعن الواقدي هو اهبان بن اوس الاسلمي صحابي من اسلم نزل الكوفة وتوفي في خلافة معاويه • وحكى ابن سعد عن ابن الاشعث ان مكلم الذيب اهبان بن عباد بن ربيعة بن كعب بن امية بن نفطة بن خزيمة من اسلم • وذكر جدي في التلقيح ان من اسمه اهبان اربعة اهبان بن الاكوع ابو عقبة • واهبان بن اوس الاسلمي • واهبان بن صيفي الغفاري • واهبان بن عباد الخزاعي مكلم الذيب قال وقيل ان مكلم الذيب اهبان بن اوس انتهى ولم يذكر في الرواة منهم سوى اهبان بن صيفي • والحاصل ان مكلم الذيب على رواية هشام ابن الاكوع وعلى قول الواقدي اهبان بن اوس الاسلمي وعلى قول ابن الاشعث اهبان بن صيفي الغفاري انتهى • ففيه اقوال ارتضى المصنف منها قول الواقدي فان كانت القصة تعددت فلا خلاف • وقيل ليس في الصحابة من اسمه اهبان بن عقبة وقد يقال انه غلط من ابي عقبة فليحرر بمثل حديث ابي سعيد الخدري اي روى سبب اسلامه بمثله وقد روى عبد الله بن وهب السابق ترجمته مثل هذا المذكور من كلام الذيب انه جرى اي وقع واتفق الى ابي سفيان بن حرب والد معاوية وام حبيبة المشهور رضي الله عنه وصفوان بن امية الصحابي المعروف وقع هذا لهما قبل اسلامهما وكانا من اشد الناس عداوة له صلى الله عليه وسلم قبل اسلامهما فلما اسلما صارا احب الناس اليهما من نفسهما مع ذيب وجد اخذ ظبيا اي جرى خلفه في الحل ليأخذه لفريسته قوله فدخل الظبي الحرم وانصرف الذيب عنه لانه في الحرم المحرم صيده او انه انفلت منه بعد اخذه فعجبا من ذلك

اى من كون الذيب عرف حرمة الحرم وكف عن صيد اماكنه وهو ليس من العقلا فقال الذيب
لما سمع تعجبهما او علمه منهما الما اعجب من ذلك الفعل الذي صدر منه محمد بن عبد الله موجود
بالمدينة يدعوكم الى الجنة بدعوته الى الاسلام الذي يقتضي دخولها وتدعونه الى النار
بقولكم له لا نوافقنا وتعبد آلهتنا مما هو سبب للخلود في النار ولما كان هذا عجبا لانه مخالف
لما يقتضيه العقل ونطق حيوان اعجم لقدرة الله واقراره ليس بعجيب هكذا في النظر السديد
والعقل السليم وليس باغرب من عبارة الحجارة فقال ابو سفيان واللات والعزى لئن ذكرت
هذا بضم التا وفتحها هنا اى تكلم الذيب وما قاله بمكة اى ذكرته لاهلها لتتركنها خلوفا
بضم الخاء المعجمة واللام والفا مصدر وجمع خالف والمراد تركها خالية من اهلها بان يسلموا
جميعا ويدخلون له صلى الله عليه وسلم لان من سمع مثله لا يتردد في صحة رسالته وسعادة من
اتبعه والمراد يدعها واهلها متغيرة فاسدة لما فيها يقع بين اهلها من الفساد باختلاف الكلمة
فالاول من قولهم انبت اللحي فوجدته خلوفا اي ليس فيه احد من الرجال بل النسا ويقال لهن خوالف
لانهن يخلفن الرجال والثاني من قوله لخلوف فم الصائم عند الله اطيب من رايحة المسك
اي رايحة تغيره وقد روي مثل هذا الخبر الذي وقع لابي سفيان وصفوان ذوانه جرى لابي
جهل واصحابه اي انهم شاهدوا امثاله وسمعوه وتعجبوا منه ولكن الله اشقاه واشقاهم
وعن عباس بن مرداس بكسر الميم وهو من الصحابة شاعر مجيد وشجاع شهم فكان ممن حرم الخمر
على نفسه في الجاهلية كالصديق وجماعة الا انه كان من المولفة قلوبهم ثم حسن اسلامه ونور
الله قلبه لما تعجب لما ظرف متعلق بمقدر اي وقع ذلك او شرطية جوابها قوله فاذا الخ فان
جواب لما يقترن بالفا لكنه نادر من كلام ضمار بكسر الضاد المعجمة وميم وآخره را مهملة بوزن
كتاب كما في القاموس وفي بعض نسخ الذيل والصلة للصاغاني ضماد بالدال المهملة وفيه
نظر قاله البرهان الحلبي صنمه بالجر بدل من ضمار فانه اسم صنم كان يعبده مرداس ورهطه
وانشاده بالجر معطوف على كلام الشعر بالنصب مفعول المصدر الذي ذكر فيه النبي صلى
الله عليه وسلم صفة الشعر وضمير انشاده للصنم فانه لما احتضر قال لابنه عباس اي
بني اعبد ضمارا فانه سينفعك ويضرك فتفكر عباس يوما عند ضمار وقال انه حجر لا يضر
ولا ينفع ثم صاح باعلى صوته يا الهي الاعلى اهدني للتي هي اقوم فصاح صايح من جوف الصنم

اودى ضمار وكان يعبد مرة • قبل البيان من النبي محمد
وهو الذي ورث النبوة والهدى • بعد ابن مريم من قريش مهتدي
قل للقبايل من سليم كلها • اودى ضمار وعاش اهل المسجد

فحرق عباس ضمارا ولحق بالنبي صلى الله عليه وسلم فسقط طاير اي خر من الجو بغتة عليه
فقال الطاير يا عباس اتعجب من كلام ضمار بالتنوين والصرف الا انه وقع في الشعر غير
مصروف فان لم يكن ضرورة فهو جايز وتعجبه لنطق الجماد بما سمع من جوفه وانكاره لعجبه لانه
كلام شيطان في جوفه وكلام الطاير اعجب منه ولا تعجب من نفسك ان رسول الله يدعوك
الى الاسلام وانت جالس في منزلك متخلف عن اجابة دعوته التي هي السعادة العظمى
فكان ذلك المذكور مما سمعه من الصنم والطاير سبب اسلامه لانه لما سمع ما ذكر نهض
في ثلثماية من قومه وهم سليم فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم تبسم وقال له يا عباس حدثنا
بما رايت فقص عليه القصة واسلم وقيل ان ضمارا كان صنما لخزاعة يتحاكمون اليه وان قصة

نطقه وقعت لعمر بن الخطاب وكانه صنم آخر والقصة ونطق الاصنام واخبارها
ببعثة النبي وقعت مرارا وفيها اخبار مذكورة في السير فيل انما تركها المصنف لان المسموع
منها من الجن وعن جابر بن عبد الله في حديث رواه البيهقي عن رجل اسمه اسلم وعن الواقدي
ان اسمه يسار وهو رجل اسود قاتل عنيبر حتى قتل كما ذكره ابن سيد الناس في سيرته
في غزوة خيبر اتى النبي صلى الله عليه وسلم وامن به وهو على بعض حصون خيبر
وهو الخ جملة حالية اي وهو مقيم عنده لفتحه والحصون جمع حصن وهي القلعة التي يتحصن
بها لا القصر كما قيل ولا خلاف في هذا الكلام وقيل الضمير للرجل وكان في غنم يرعاها لهم
لاهل خيبر والظرفية بمعنى المعية وهي مجازية كقوله واذا كنت فيهم الاية فقال
يا رسول الله كيف بالغنم اي كيف افعل بالغنم اذا اسلمت وهي ملك غيري وانا اجير
قال احصب وجوهها اي ارمها في وجوهها بالحصبا وهي صغار الحجارة ودقاقها وما قيل
من انحكمة هذا ان الحصاة وردت بمعنى العقل في قوله

• وان لسان المرء ما لم يكن له • حصاة على عوراته لدليل •

ومنه الاحصا بمعنى العد آفة اخذ العلم والهداية لها الى اهلها هذيان لا معنى له وانما
المراد انه اذا ضرب وجوهها ولت مدبرة فصدها الله ببركته صلى الله عليه وسلم للرجوع
لمنازل اصحابها حتى يخلص من عهدة ضمانها كما اشار اليه بقوله فان الله سيؤدي اي
يوصلها ويبلغ عنك امانتك وهي الغنم التي تسلمت ويردها الى اهلها وهم اصحابها
المالكون لها فتخرج عن عهدة ضمانها ففعل ما امره به رسول الله فسارت كل شاة حتى
دخلت الى اهلها وانما كان هذا لانه كان مستامنا وفي يده امانة لاهل خيبر قبل فتحها فلذا
ردها صلى الله عليه وسلم لاصحابها مع ما فيه من تطيين قلبه بخروجه من عهدتها ولذا لم يجعلها
فيا مع انه علم انها ستكون كذلك بعد الفتح والراعي كان عبدا اسود رقيقا لبعض اهل خيبر
فلما غزاها النبي صلى الله عليه وسلم وسمع خبر النبي من اليهود جاءه واسلم وحسن اسلامه
واستشهد في تلك الغزاة بحجر اصابه او سهم ولم يصل صلاة قط فشهد له صلى الله عليه
وسلم بالجنة وانه رآى عنده حوريتان من الحور العين كما رواه مفصلا في دلايل النبوة
وهذا من معجزاته الظاهرة كما لا يخفى وعن انس في حديث صحيح مسند رواه احمد والبزار
دخل النبي صلى الله عليه وسلم حايط انصاري الحايط معروف ويتجوز به عن البستان
وهو المراد هنا وابو بكر وعمر ورجل من الانصار وفي الحايط اي البستان غنم فسجدت
له صلى الله عليه وسلم تعظيما له لما شاهدت نور نبوته والهمها الله معرفته فقال ابو بكر
لما راى سجودها نحن احق بالسجود لك منها يعني لو كان يجوز السجود لغير الله والجماد
الاول متعلق بالسجود والثاني باحق وفي بعض النسخ تقديم لك على السجود لانه ظرف
متوسع فيه ومعمول المصدر وغيره لا يتقدم عليه لضعف عمله الحديث وتتمته انه صلى الله عليه
وسلم قال له لا ينبغي لاحد ان يسجد لاحد واحد المخصوص بالنفي يشمل الواحد وغيره ويختص
بالعقلا كما صرحوا ففيه اشارة الى ان الغنم ونحوها من غير جنس الناس سجودها لتعظيما ليس
ممنوعا كسجود الكواكب ليوسف وعن ابي هريرة قال السيوطي هذا الحديث رواه البزار بسند
حسن وحديث ثعلبة بن مالك رواه ابو نعيم وحديث جابر رواه احمد والدارمي والبزار
والبيهقي ويعلى بن مرة احمد والحاكم والبيهقي بسند صحيح وعبد الله بن جعفر مسلم وابو داود

وعبد الله بن ابي اوفى وابو نعيم والبيهقي دخل النبي صلى الله عليه وسلم حائطا اي بستانا
فجاء بعير كان في البستان فسجد له وذكر مثله اي مثل الحديث الذي قبله وروى مثله في الجمل
عن ثعلبة بن مالك الصحابي وهو ممن استشهد باحد لكن الذي ذكره ابن عبد البر انه ثعلبة
بن ابي مالك القرظي وابوه قدم من اليمن على دين اليهودية فنزل على بني قريظة ثم اسلم فقوله
ابن مالك صوابه ابن ابي مالك وجابر بن عبد الله ويعلى بن مرة وعبد الله بن جعفر في حديث
الجمل وسجوده روي من طرق متعددة مروية عمن ذكر والقصة واحدة كما بينه السيوطي
قال كل منهم او عبد الله بن جعفر وكان لا يدخل احد من غير اصحاب البستان الا شد عليه الجمل
شد هنا بمعنى اسرع وحمل حملة عليه قال الراغب يقال شد واشتد اذا اسرع وشد عليه حمل
يعني انه كان عقورا هائجا على كل من استنفر به فلما دخل عليه اي على الجملة في البستان دعاه
وامره بالاقبال عليه فوضع مشفره بكسر الميم وفتح الفاء وراء مهملة وهو في الابل كالشفة
للانسان والجحفلة للفرس والخرطومة للسباع والمنقار للطير كما بينه اهل اللغة في الفروق
في الارض وبرك بين يديه البروك للجمل كالجلوس للانسان من البرك وهو صدر الجمل ونحوه
فخطمه اي وضع زمامه الذي يقاد به في راسه وعلى فمه لانه برك عنده وانقاد له مثل الذلول
بعد ما كان لا يطاق وقال صلى الله عليه وسلم لمن عنده ما بين السماء والارض شيء مخلوق
من الحيوان والطيور وغيرها والمراد بالارض الجنس فيشمل الاراضي السبع الا يعلم وفي
نسخة لا يعلم اني رسول الله بعلم يخلقه الله فيه ويلهمه له الا عاصي الجن والانس اي الا
من عصى الله ورسوله وكفر فانه ينكر معرفتي اي معرفة رسول الله حقا وعاصي يجوز ان
يكون مفردا او ان يكون جمعا واصله عاصين فحذفت النون للاضافة والياء لالتقاء الساكنين
وقدم الجن لسبقهم خلقا ومعصية لان اول من عصى الله ابليس والاكثر حيث اجتمعا تقدم
الجن في القرآن ومثله عن عبد الله بن ابي اوفى هو وابوه صحابيان شهدا المشاهد مع
رسول الله وهو الذي دعا له النبي صلى الله عليه وسلم حين اتى بصدقته وقال اللهم صل على
آل ابي اوفى وحديثه مذكور في دلائل النبوة لابي نعيم والبيهقي ولفظه قريب مما ذكره
اولا وفي خبر آخر في حديث الجمل ان النبي صلى الله عليه وسلم سألهم عن شانه لما انه تمرد
منهم وبطش بكل من قرب منهم فاخبروه وفي نسخة فاخبر بالبناء للمفعول انهم ارادوا ذبحه
لانه ضعف كما سيأتي وفي رواية قال لهم انه شكى كثرة العمل وقلة العلف وهو بفتحتين
فعل بمعنى المفعول والمعلوف يطلق على قوت الدواب من الحبوب وشكايته الظاهر انها
بنطق فهو من المعجزات وفي رواية انه شكى الي انكم اردتم ذبحه ونحوه واكثر ما يستعمل
في الابل النحر وفي غيرها الذبح والفرق بينهما قريب جدا فلذا استعمل كل منهما بمعنى الاخر
ومعرفته ارادتهم بالالهام بعد ان استعملوه اي اكثرتم العمل به من التحميل ونحوه في
شاق العمل اي فيما يشق اي يصعب عليه من العمل وقولهم عمل مشق غير مسموع فكانه مبني
على ان التعدية بالهمزة مقيسة وفيه خلاف مذكور في كتب العربية من صغره الى ان بلغ
الكبر وعجز عن العمل فقالوا نعم اعترافا بما ذكر فبئس الجزاء الذي اردتموه وهذا الحديث
اخرجه الطبراني وابن ماجه في سننه في غزوة ذات الرقاع عن جابر وتميم الداري وفيه انه
صلى الله عليه وسلم قال ما هكذا جزاء المملوك الصالح بعينه فابتاعه منه وارسله يرعى في
الشجر حتى توفي والحديث فيه طول وقد روي بالبناء للمجهول قيل وهذه القصة بهذا

المفضل

المفضل لا يعرف راويها في قصة العضباء بفتح العين المهملة وسكون الضاد المعجمة والموحدة
والمد وهو اسم ناقة للنبي صلى الله عليه وسلم ومعناها المشقوقة الاذن وقد اختلف في ناقة
العضباء والقصوى والجدعاء بالمد فيهما ايضا هل هن ثلاثة او واحدة لها القاب متعددة او
اثنتان فذهب التيمي والعراقي في منظومته الى انها واحدة ولا عضب ولا جدع اي شق اذنها
وانما هو لقب وقيل كان باذنها عضب اي شق وفي البخاري ان الجدعاء هي التي هاجر عليها وقيل ان
التي هاجر عليها القصوى وعن ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم خرج ذات ليلة فمر بناقة بارقة
في الدار فقالت السلام عليك يا زين القيمة يا رسول رب العالمين فالتفت وقال وعليك السلام
فقالت اني كنت لرجل من قريش يقال له اعضب فهربت منه فوقعت في مغارة فكان اذا غشيني
الليل احتوشني السباع ينادي بعضها بعضا لا تؤذوها فانها مركب محمد فلما اصبحت رتعت
نادتني كل شجرة الي الي فانك مركب محمد حتى وقفت هاهنا فسميت عضباء باسم صاحبها وفيها
قالت ادع الله ان يجعلني مركبك في الجنة فقال قد قضيت وقد قيل ان هذا الحديث كله في سنده
طعن وقد سميت عضباء وقصوى وجدعاء بدال مهملة وصلما ومخضرمة والكل متقاربة المعاني
والجدع قطع طرف الاذن فاذا بلغ الربع فهو قصوى فاذا جاوزه فهو عضب فان استوصل فصلم
ونقل ابن الجوزي عن ثعلب انها كلها القاب لناقة له ولا جدع لها ولا عضب واختاره في القاموس
وكلامها النبي صلى الله عليه وسلم كلام بمعنى تكليم مصدر والنبي منصوب به مفعول وتعريفها
له بنفسها كما سمعته آنفا ومبادرة العشب اليها بالدال المهملة مفاعلة من البدار وهو الاسراع
وقد تقدم انه كان ينادونها الي الي فالمراد طلبه ان ترعاه قبل غيره والعشب بالضم معروف
في المرعى اي مكان رعيها وتجنب الوحوش لها اي عدم اذيتها واكلها لها كما مر وندائهم لها انك
لمحمد ولركوبه وضميرهم للعقلاء وعبر به لصدور فعل العقلاء منها وهو النداء كما في قوله
رأيتهم لي ساجدين وانها لم تاكل ولم تشرب بعد موته صلى الله عليه وسلم حتى ماتت من
الحزن والاسف على فراقه قيل انها التي اشتراها ابو بكر من بني الحريش مع اخرى بثمان مائة درهم
فلما هاجر اشتراها منه باربعمائة درهم وقد ذكر قصتها مفصلة ابو سعيد في كتاب الشرف
وكان له نوق اخر كما بينه اصحاب السير كما بينه الاسفرايني وقد تقدم بيان نسبته وترجمته
وروي ابن وهب هذا الحديث لم يخرجوه واما ابن وهب فتقدم ترجمته ان حمام مكة الموجود
بحرمها الى الآن والحمام كل ذات طوق بري او اهلي وقيل انه مخصوص بالبري وقيل انه كل ما عب
وهدر والعب كرع الماء من غير نفس والهدير ويقال الهديل ترجيع صوت الطائر المعروف اظلت
النبي صلى الله عليه وسلم اي اجتمعت لتجعل ظلها عليه وقاية من الحر قيل ولذا كانت محترمة لا
تصاد وقيل انها من حمامتي الغار يوم فتحها اي فتح مكة فدعا لها بالبركة فاجاب الله دعاءه فيها
وكانت محترمة لا تصاد وروي عن انس رواه عنه ابن سعد والبزار والطبراني والبيهقي
وابو نعيم وزيد بن ارقم والمغيرة بن شعبة قال امر الله ليلة الغار منصوب على الظرفية
والغار غار ثور الذي اختفى فيه لما هاجر وقصته مشهورة مذكورة في القرآن غنية عن البيان
شجرة فنبتت من وقتها والامر هنا مجاز عن التسخير كقوله كونوا قردة فنزلها منزلة المامور المختار
وروي شجرة بالباء وهما بمعنى والشجرة كانت من الطلح تسمى الراء كما قاله السهيلي وهي بمقدار
القامة لها زهر ابيض وهي شيء شبه القطن يحشى به الوساد كالريش خفة ولينا واصله راه كما
في كتاب النبات قال الشاعر

ترى وذاك الشريف على الحمائم • كمثل الراية لرده الصنيع

نجاه النبي صلى الله عليه وسلم بضم التاء المثناة الفوقية المبدلة من الواو واصله وجاه اي
في مقابلة وجهه بباب الغار فسترته عمن ينظره بحيث لا يراه من طلبه من كفار قريش وامر اي
الهم حمامتين ذكرا وانثى فعششا وباضتا على تلك الشجرة فوقفتا بفمه اي بفم الغار لان مثله
لا يكون الا بمكان خال من الناس وورد في الحديث فسمت عليهما صلى الله عليه وسلم اي دعا لهما
فانحدرا الى الحرم فافرخا كل حمام به وفي حديث الاكل سموا الله وادنوا وسمتوا اي اذا ابتداتم
بالاكل كلوا مما يليكم وادنوا منكم واذا فرغتم فسمتوا اي ادعوا لمن اكلتم عنده وقيل ان الشجرة جاءت
تسعى من مكان آخر تشق الارض كما اشار اليه القائل

فاتت اليه شرحة سترته من • نظر العدو باحسن الاغصان

وفي حديث آخر رواه ابن سعد والبزار والطبراني والبيهقي وابو نعيم عن انس وزيد بن
ارقم والمغيرة بن شعبة وفيه فسمت عليهما ودعا لهما وانحدرا الى الحرم فافرخ ذلك الزوج
كل شيء في الحرم كما تقدم وان العنكبوت نسجت على بابه اي باب الغار وفيه فلما اتى
الطالبون له صلى الله عليه وسلم الذين قصدوا اسره واتبعوه لياخذوه وراوا ذلك
المذكور من الشجرة والحمام والعنكبوت بباب الغار قالوا لو كان فيه احد اي في هذا الغار
احد من الناس لم يكن الحمامتان تفرخان ببابه الذي منه المرور والنبي صلى الله عليه وسلم
يسمع كلامهم لقربهم منه بحيث لو امعنوا النظر راوه فانصرفوا راجعين تاركين للطلب
وكانوا فتيانا من قريش مضوا خلفه ومعهم سراقة القائف يقص اثره فلما انتهوا الى الغار
راوا نسج العنكبوت والحمامتان على بيضهما فقالوا انه لو دخل احد لم يكن مثل مع فوجهم
بحيث لو طاطا احد راسه رآه وفي هذا معجزات شاعت حتى بلغت حد التواتر ورواه المحدثون
من طرق كثيرة صحيحة وقد قال فيها الشعراء كثيرا ويعجبني منها قول النقيب

وود ود الفتى ان نسجت حوله • يجمل لبسه في كل زي
فان العنكبوت اجل منها • بما نسجت على راس النبي

وفيه معان اخر لا نطيل بها • تنبيه قول الابوصيري في همزيته هي

اخرجوه منها واواه غار • وحمته حمامة ورقاء
وكفته بنسجها عنكبوت • ما كفته الحمامة الحصداء

الحمامة بنون هي الدرع لانها تجن البدن اي تستره والحصداء المحكمة النسج كما في كتب
اللغة وهذا البيت حرفه شراحه وصاحب المواهب اذ جعلوه الحمامة الحصداء اي الكثيرة
الريش وهذا قول من لم يصل الى العنقود ويفسره قوله في البردة

وقاية الله اغنت عن مضاعفة • من الدروع وعن عال من الاطم

وعن عبد الله بن قرط بضم القاف وراء مهملة ساكنة تليها طاء مهملة وهو صحابي ثمالي
وكان اميرا على حمص من قبل معاوية وقتل بارض الروم سنة ست وخمسين واخرج له اصحاب
السنن واحمد في مسنده وغيرهم وهذا الحديث رواه الحاكم والطبراني وابو نعيم مسندا
قرب بالبناء للمفعول اي الى بعض الصحابة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بدنات
جمع بدنة وهي ما يعد للنحر من الابل خاصة ولا يطلق على البقر وغيرها وان كانت في حكمها
شرعا في الاجزاء عن سبعة وقال ابن الاثير هي من الابل والبقر حقيقة وبدنات بفتحات

وقال العزفي

وقال العزفي في انه بدنات بضم الموحدة وسكون الدال ورد بانه على خلاف القياس
الا ان يكون جمع بدن فهو جمع الجمع وهو بعيد الا ان تساعده الرواية وسميت بدنة لعظم
بدنها خمس او ست او سبع الشك من الراوي ليذبحها يوم عيد فازدلفن اليه افتعال
من الزلفى وهي القرب ابدلت تاء الافتعال الزاي اي تقدم كل واحدة منهن اليه رغبة
في ان يبدا بنحرها وانقيادا له بالهام من الله بايتهن يبدا في الذبح وهذه معجزة باهرة
وعن ام سلمة في حديث رواه الطبراني والبيهقي واسمها هند او رملة كان النبي صلى الله
عليه وسلم في صحراء فنادته ظبية اي كلمته ظبية بنطق سمعه الناس لا بلسان الحال
قالت له يا رسول الله فالتفت فاذا هي موثقة عندها اعرابي نائم قال ما حاجتك حتى
ناديتني قالت صادني هذا الاعرابي ولي خشفان تثنية خشف بزنة طفل المحتمين
وهو الظبي الصغير الذي ولدته في ذلك الجبل يشير للجبل في تلك الصحراء فاطلقني حتى
اذهب فارضعهما وارجع بنصب الافعال الثلاثة قال او تفعلين اي ترجعين
الي ان اطلقتك قالت نعم فاطلقها والاعرابي لا يشعر بذلك فذهبت وارضعتهما
فذهبت وارضعتهما ورجعت فاوثقها وربطها كما كانت وانتبه الاعرابي وراى
رسول الله عنده فقال يا رسول الله الك حاجة قال تطلق هذه الظبية فاطلقها فخرجت
من وثاقها تعدو وهي تقول اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله فالجملة حالية
تعدو مستبشرا وقد ذكرنا من روى هذا الحديث وصححه ابن حجر لوروده من طرق اخر فلا
يلتفت الى قول ابن كثير انه لا اصل له لان في سنده مجاهيل وانما اسناده للنبي صلى
الله عليه وسلم لانه ملكها بالحيازة وانك في ملك الغير بغير اذنه ممنوع والواو في قوله
او تفعلين محركة عاطفة على مقدر او استئنافية على القولين في مثله وفي الحديث
معجزات ظاهرة ومن هذا الباب اي باب المعجزات باطاعة الحيوانات ما روي قال
السيوطي لم اقف على هذا الحديث هكذا واخرج البيهقي انه وقع لسفينة حين ضل عن الجيش
بارض الروم الا ان البخاري ذكره في تاريخه كما قاله المصنف ولا اعتراض عليه من تسخير الاسد
اي تذليله وانقياده لسفينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو من خدمة رسول الله
وهو الذي لقبه سفينة لانه رآه في بعض اسفاره حاملا لامتعة فقال له انما انت سفينة
فاشتهر بذلك واختلف في اسمه فقيل رومان وقيل مهران وقيل طهمان وروى عنه مسلم
وغيره من اصحاب السنن وفي الحديث مناسبة اتفاقية لاسمه اذ وجهه الى معاذ حاكم
باليمن وهو الاقليم المعروف وسفينة من مولدي العرب وقيل من فارس اشتراه رسول
الله واعتقه وقيل ان ام سلمة اعتقته ليخدم رسول الله وكان صلى الله عليه وسلم ارسل
معاذ بن جبل لليمن ليجمع الزكاة فلقي الاسد في طريقه فعرفه فقال له انه مولى رسول
الله ومعه كتابه فالهمه الله فهم كلامه وكف عنه فهمهم الهمهمة صوت لا يفهم وقيل
صوت فيه بحة وفي الحديث ان سفينة قال ظننته السلام يعني عليه او على رسول الله
وتنحى عن الطريق اي تاخر عنه في ناحية متباعدة عن الطريق اذ هابا للخوف فذكر اي
سفينة في منصرفه اي انصرافه ورجوعه من اليمن مثل ذلك اي مثل ما وقع له في ذهابه
فيكون لقيه في سفره هذا مرتين وفي رواية اخرى عنه اي عن سفينة وهذه الرواية
هي التي رواها البيهقي والبزار وصححها السيوطي في تاريخه ان سفينة تكسرت به

في بعض اسفاره فخرج الى جزيرة فاذا الاسد اي فاجاه بها اسد لقيه فيها والجزيرة
معروفة فقلت للاسد انا مولى رسول الله فجعل اي طفق وصار يغمزني بسكون الغين
المعجمة وكسر الميم وضمها وزاي معجمة واصل الغمز الاشارة بالجفن فتجوز عن الدفع الخفيف
بقرينة قوله بمنكبه بفتح الميم وكسر الكاف وهو راس الذراع وما بين الكتف والعنق حتى
اقامني على الطريق اي حتى اتى بي الى الطريق ليعرفه بما يذهب فيه قال البيهقي قال سفينة
وكنت في البحر فانكسرت السفينة فركبت لوحا منها فاخرجني الى اجمة فيها اسد فرايته اقبل
الي فقلت يا ابا الحارث انا مولى رسول الله فاقبل نحوي حتى ضربني بمنكبه ثم مشى معي
حتى اقامني على الطريق ثم همهم ساعة وضربني بذنبه فظننت انه يودعني فكان آخر عهدي
به وفيه معجزة لرسول الله بانقياد الاسد له اذ ذكر اسمه وكرامة لسفينة ايضا واخذ عليه
الصلاة والسلام باذن شاة اي امسكها واخذ المتعدي بالبا بمعنى امسك بخلاف
اخذه فهو تضمين لقوم من بني عبد القيس اسم قبيلة مشهورة باصبعيه باصبعيه بكسر
الهمزة مثنى اصبع معروف وفيه لغات عشر تقدمت ثم خلاها اي نحى اصبعيه عنها وتركها
فصار ذلك اي اخذه باذنها ميسما بكسر الميم اصله موسم فقلبت واوه ياء من الوسم
وهو الكي فهو اسم آلة الكي من الحديد فاطلقت على العلامة والاثر مجازا كما تطلق على
العضو الذي فيه الاثر كما ورد في الحديث فيها اي الشاة وفي نسلها بعد بالبنا على الضم
اي بعدها او بعد اخذه وعمده قالوا وهذا الحديث لا يعلم من رواه من المحدثين وما روي
عن ابراهيم بن حماد بسنده هذا الحديث رواه ابن حبان لكنهم قالوا انه ضعيف من كلام الحمار
ونطقه صريحا بمقاله الذي اصابه بخيبر اي وجده لما فتحها وقال له ما اسمك
قال يزيد بن شهاب وانه من نسل غوستين حمارا كلها لم يركبها الا نبي وقال له كنت
اتوقع ان تركبني اذ لم يبق من نسل جدي غيري ولا من الانبيا غيرك وكنت ليهودي فكنت
اعثر به عمدا فكان يجيعني ويضربني فسماه النبي صلى الله عليه وسلم يعفور وهو في اكثر
النسخ مصروف منون منصوب لانه مفعول سمي وروي غير منون قيل لمنع صرفه للعلمية
ووزن الفعل كيعقوب قاله التلمساني اقول فيه نظر لان زيادة الواو فيه اخرجته
عن شبه الفعل والظاهر صرفه ويعقوب لم يمنع صرفه لذلك بل للعلمية والعجمة الا ترى
ان يعفر بضم اليا يصرف لذلك قال في الصحاح الاسود بن يعفر بضم اليا منصرف لانه
قد زال عنه شبه الفعل انتهى وليس في اوزان الفعل يفعول وفي هذه المسئلة كلام في
شرح التسهيل • واعلم انه صلى الله عليه وسلم كان له حماران يعفور وعفير وهو الذي
رمى نفسه في البير كما سياتي ويقال هما واحد قال ابن فورك انه كان من غنائم خيبر وقيل
ان عفير كان اشهب وهو مما اهداه له المقوقس ملك القبط وكان له حمار آخر اهداه له فروة
كان يركبه وآخر اعطاه له سعد بن عبادة وقصة يعفور هذه نقلها السهيلي في الروض
عن ابن فورك في كتاب الفصول قال السهيلي وزاد الجوفي في كتاب الشمايل انه كان
يوجهه الى دور اصحابه فيضرب عليهم الباب براسه ويستدعيهم ومعنى يوجهه
يرسله الى جهة ودور جمع دار ويستدعيهم بمعنى يطلب منهم اجابة دعوة رسول الله لانهم
كانوا اذا خرجوا له دق الباب وراوه علموا انه يطلبهم لا انه يكلمهم لكنه يفهم ما امره به النبي
صلى الله عليه وسلم بالهام من الله وهو من معجزاته اذ سخره له وفهم مراده وان النبي صلى الله

عليه وسلم

عليه وسلم لما مات تردى الحمار اي القى نفسه وطرحها في بير كانت بالمدينة معروفة
لابي الهيثم بن التيهان فكانت البير قبره والتردي تفعل من الردى وهو الهلاك وهو
مخصوص بهلاك من القى نفسه يقال تردى من الجبل وفي البير اذا سقط او القى نفسه فيها
جزعا وحزنا على فراق رسول الله وفقده فمات وكونه صلى الله عليه وسلم كان له حمار
وانه كان يركبه وان ركوبه سنة وانما الكلام في هذا الحديث فانه رواه ابن حبان بسند
ضعيف فيه من طعن فيه حتى قيل انه كذب موضوع كما قاله ابن الجوزي وغيره وقال
بعضهم لا اصل له ومما ذكر من معجزاته في الجماد والبهايم ونطقها حديث الناقة الذي رواه
الطبراني عن زيد بن ثابت بسند فيه مجاهيل والحاكم عن ابن عمر وقال الذهبي انه
موضوع التي شهدت بنطق بين عند النبي صلى الله عليه وسلم لصاحبها ومالكها الذي
قيل انه سرقها فقالت انه ما سرقها وانه ملكه فحكم له لان للقاضي ان يحكم بعلمه او
نقول انه من خصايص الانبيا والحديث هو قال زيد بن ثابت غزونا معه صلى الله عليه وسلم
حتى اذا كنا بمجمع طرق المدينة بصرنا باعرابي آخذ بخطام بعير حتى وقف عليه صلى الله
عليه وسلم وقال السلام عليك يا نبي الله فرد عليه فجاء رجل وقال انه سرق هذا البعير فرغا
البعير وهو منصت له ثم قال للرجل انصرف فان البعير شهد بانك كاذب الخ وفي العنز
اي في حديث العنز الذي اخرجه ابن سعد والبيهقي وابن عدي عن سعد مولى ابي
بكر التي اتت رسول الله صفة العنز في عسكره حال اي وهو في عسكره وقد اصابهم
عطش ونزلوا على غير ماء اي في مكان لا ماء فيه وهم زهاء ثلثماية اي قريب عددهم
تخمينا من ثلثماية رجل وقد تقدم الكلام على زهاء ومعناه وضبطه فحلبها رسول الله
يحتمل انه على ظاهره وان يكون امر بحلبها والاسناد مجازي فاروى الجند باجمعهم لما
سقاهم فشربوا حتى زال ما كان بهم من العطش والري ضده ومنه اروى والعسكر والجيش
والجند بمعنى ففيه تفنن واسناد اروى للنبي لانه سببه بحلبه وسقيه فهو مجاز ايضا
ان لم نقل فاعل اروى ضمير يعود على ما حلبه المفهوم مما قبله ثم بعده ثم قال صلى الله عليه
وسلم لرافع براء وعين مهملتين بينهما الف وزاي بزنة اسم فاعل من الرفع علم الصحابي كان
عنده تقدمت ترجمته املكها اي اخذها واتخذها ملكا لك لانه لا صاحب لها اذ وجدت
بارض العدو ويحتمل ان يكون معناه شدها واوثقها والملك من ملاك الامر وملاك العجين
ونحوه وما اراك مالكا لها او فاعلا ذلك وهو بضم الهمزة مبني للمجهول اي لا اظنك
تملكها فربطها وشدها بوثاق ثم ذهب ورجع فوجدها قد انطلقت اي انحلت ووثاقها
ومضت وغابت عنه فالفا فصيحة رواه اي حديث هذه العنز ابن قانع بقاف ونون
وعين مهملة وغيره من الرواة من غير هذه الطريق فقد رواه البيهقي وابن عدي قالوا
كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر وكنا اربعماية فنزلنا في موضع ليس فيه ماء
فشق ذلك علينا واعلمنا بذلك فجاءت شويهة لها قرنان وقامت بين يديه فحلبها
وشرب حتى روي وسقانا حتى روينا وقال يا نافع املكها الليلة وما اراك تملكها فاخذ
وربطتها ونمت ثم قمت في بعض الليل فلم اجدها فاخبرت النبي صلى الله عليه وسلم قبل ان
يسالني فقال يا نافع ذهب بها الذي جاء بها وما قيل من انها ليست من جنس حيوان الدنيا
وانما هي ككبش الفدا وانما سماها عنزا لكونها على صورتها لا وجه له ومثله من خلاف الظاهر

يحتاج للرواية والذي او هم ذلك قوله فقال النبي صلى الله عليه وسلم لنافع
لما اخبره بانطلاقها ان الذي جاء بها هو الذي ذهب بها يعني الله او الملك ومن
هذا القبيل ما روي انه قال لفرسه عليه الصلاة والسلام والفرس واحد الخيل يطلق
على الذكر والانثى الا انه مونث سماعي وسم فرسه وكان صلى الله عليه وسلم له افراس
عدة مذكورة في السير باسمائها ومن ابتاع ملكها ولا داعي لتفصيلها هنا كما ذكره بعضهم
وقد قام الى الصلاة في بعض اسفاره والفرس غير مربوط ولم يامر احدا بامساكه
بل خاطب الفرس وقال له لا تبرح اي لا تزل عن مكانك الذي انت فيه من
البراح وهو المكان الواسع وبرح بمعنى ثبت في مكانه وبمعنى زال وهو نفي معنى
فاذا دخل عليه صار نفي النفي وهو اثبات كما هنا فمعناه اثبت والزم كما حققه النحاة
واهل اللغة بارك الله فيك دعا له بالبركة وقد تقدم تحقيقها حتى نفرغ من صلاتنا
ونتمها وهو غاية لثباته في مكانه وجعله قبلته اي جعله في جهة قبلته ساترا وما
لمن يمر بين يديه وفيه دليل على جواز الاستتار بالحيوان والكلام عليه مفصل في كتب
الفقه لا حاجة لذكره هنا فما حرك عضوا من اعضائه وهو بضم العين وكسرها
وسكون الضاد المعجمة معروف حتى صلى اي تم صلاته صلى الله عليه وسلم وفيه
معجزة له لفهم الحيوان كلامه وطاعته له وانقياده لعلمه بانه رسول الله وفي بعض
النسخ هنا زيادة وهي ويلتحق بفضل المذكور من معجزاته ● ومن كلام الحيوانات لان لهم
لغة لم يعرفها كفهم العربي كلام العجمي فريب منه ومشابه له ما رواه الواقدي
صاحب السير وهو محمد بن عمر بن واقد قاضي العراق وعالمها وقد قيل فيه انه ضعيف
ونسب للوضع وقيل انه مجمع على ضعفه ونازع فيه بعضهم وقال كفى برواية الشافعي عنه
دليل على صحة ما رواه وترجمته في الميزان مفصلة وفي اول سيرة ابن سيد الناس ان النبي
صلى الله عليه وسلم لما وجه اي ارسل لجهتهم وناحيتهم رسله جمع رسول الى الملوك
من العرب والعجم لما فشى الاسلام وقوي فخرج ستة نفر منهم اي ستة رجال والنفر اسم
جمع للثلاثة فما فوقها الا انه يستعمل بمعنى الرجل الواحد كما بيناه في شرح الدرة وقد صرح به
الكرماني في شرح البخاري وهو عربي فصيح ايضا في يوم واحد خرجوا من عنده فيه
فاصبح كل واحد منهم يتكلم بلسان القوم الذي بعثه صلى الله عليه وسلم اليهم من غير
مضي زمان يحتمل التعلم فيه وتفصيل الرسل ومن ارسلوا اليه مفصل في السير ايضا وهذا
معجزة له صلى الله عليه وسلم الشمول بركته لهم ● خاتمة مما يلحق بمعجزاته في الحيوانات
والجمادات ما ذكر في بعض الكتب وشاع في الاقطار ونظمه الشعرا في فصيح الاشعار من
انه كان في بعض الاحيان اذا مشى غاص قدمه في الحجارة بحيث بقي ذلك الى الان وارتسم
فيها مثاله بعينه والناس تتبرك به وتزوره وتعظمه كما في القدس ونقل منه لمصر في
اماكن متعددة حتى قيل ان السلطان قايتباي اشتراه بعشرين الف دينار واوصى بجعله
عند قبره وهو موجود الى الان وانه اذا مشى على الرمل احيانا لا يكون لقدمه اثر فيه الا ان
هذا لم ينضبط لانه امر عدمي لا يعرفه الا من كان حاضرا وقد ذكر هذا السبكي في تائيته وعزم
قال الامام القسطلاني في المواهب اللدنية كان صلى الله عليه وسلم اذا مشى على الصخر غاصت
قدماه فيه كما هو مشهور قديما وحديثا على الالسنة ونطق به الشعرا في قصائدهم النبوية

والبلغا

والبلغا في منثورهم ثم اعتضاده بوجود اثر قدمي الخليل في حجر المقام المنوه به
في التنزيل في قوله فيه آيات بينات البالغ لتعيينه وانه اثر مبلغ التواتر وفيه يقول
ابو طالب ● وموطئ ابراهيم في الصخر وطئة ● على قدميه حافيا غير ناعل ●
وبما في البخاري من معجزة موسى بما يتوضربه في الحجر ستا او سبعا لما فر بثوبه حين اغتسل
وقد مر ما من معجزة لنبي الا ولنبينا مثلها صلى الله عليه وسلم ● ونوبة وجود اثر حافر
بغلته صلى الله عليه وسلم في مسجد بطيبة عرف بها الى الان يقال له مسجد البغلة وما
ذاك الا من سر الساري فيها ليكون اوضح في الدلالة على انه اوتي مثل ما اوتي الخليل على
وجه اعلا منه ● ونقل المجد الشيرازي عن ابن بكار في المغانم المطابة بعد ذكر لحافر
البغلة ومسجدها ان في غربي هذا المسجد اثر كانه اثر مرفق يذكر انه اتكى عليه بمرفقه
فاثر فيه وفي آخر اثر اصابعه انتهى ● وممن ذكر اثر البغلة السيد السمهودي في تاريخ المدينة
وقال انه مسجد بني ظفر بن الاوس شرقي البقيع بطرف الحرة الشرقية ويعرف بذلك وذكره
ابن النجار في تاريخه ايضا لكن قال محمد بن يوسف الدمشقي في سيرته ان هذا لا وجود
له في شيء من كتب الحديث وممن انكره برهان الدين الناجي وقال السيوطي في فتاويه لم
اقف له على اصل ولا سند ولا رايت من خرجه في شيء من كتب الحديث وتبعه تلميذه العلقمي
في شرح الجامع الصغير وزاد انه لم يوجد في شيء من التواريخ المعتمدة فلا تسوغ نسبته له
صلى الله عليه وسلم وقد تعقبه من علماء عصره الشيخ الصالح المحدث احمد المنوفي شارح
الجامع الصغير فقال بعد ما ساق ما قدمناه مفصلا سبحان من لا ينسى كيف هذا السيوطي
وقد قال في خصائصه الصغرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما وطئ على صخر الا واثر
فيه وعزاه للحافظ رزين العبدري انتهى ● قلت لا سهو ولا نسيان فان السيوطي لم
ينكر هذه المعجزة وانما انكر ما يوثر بعينه في الاماكن التي ذكرها وكذا ما قاله صاحب المواهب
الا ان ما نقله السيوطي ما وطئ على صخر الا واثر فيه لا ينبغي لان الظاهر انه كان في اول البعثة
ككلام الحجر والشجر الذي تقدم ● واما كونه لا اثر لقدمه في الرمل فقد رواه ابن سبع والبنا
وغيرهما بسند ضعيف وقال انه الطف خلق الله واخفهم ولذا لم يؤثر مشيه في الرمل ولا
بنافيه تاثيره في الحجر فانما هو لبقا اثره وتبكيت حاسده فانهم اقسى من الحجارة الا انه وقع
في الاحيان ما يقتضي خلافه لانه نقل فيه اثر فيه ان بعض الصحابة انكر على ابي موسى دعاه على
المنبر لعمر اذ لم يذكر ابا بكر فقام بين الملا بالمسجد وقال له ابن من كان قبله فشكاه لعمر
فامر باشخاصه اليه من البصرة فلما جاءه دق عليه الباب فخرج اليه فقال له لم ان تجئني
من وطني فساله عن سبب شكايته امره منه فقص عليه القصة فبكى وقال والله ليوم وليلة
لابي بكر خير من خلافتي يعني باليوم لما قام على المنبر خطيبا يوم مات النبي صلى الله عليه وسلم
وبالليلة ليلة ذهابه معه الى الغار فكان يمشي تارة خلفه وتارة امامه وتارة يحمله ليقصد
بذلك اخفاء آثار اقدامه في الرمل حتى لا يشعر به من يقص اثره ● قلت وكان هذا
مستند ابن خلدون في مقدمة تاريخه اذ ذكر فيها ان الدعا للسلاطين في الخطبة سنة وان
كان الزركشي قال في كتاب المساجد انه بدعة لا ينبغي تركها لخوف الفتنة فاعرفه فانه
من الفوائد النفيسة والله الموفق للصواب

تم الجزء الأول من شرح كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى

تأليف المولى الفاضل والالمعي الكامل
شهاب افندي ابن شيخ الاسلام ابي بكر
الخفاجي المصري عامله الله بلطفه في
الدارين وحشره ووالديه مع الحمرين
بحرمة من شرف الروضتين
امين

وكان مهم يتلوه في اول الجزء الثاني فصل من معجزاته في احيا الموتى

على يد كاتبه وما بعده احمد شهاب المصري
الحنفي عسى الله ان يرفع قدره ويطلع من
افق العلى بدره امين امين

وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم